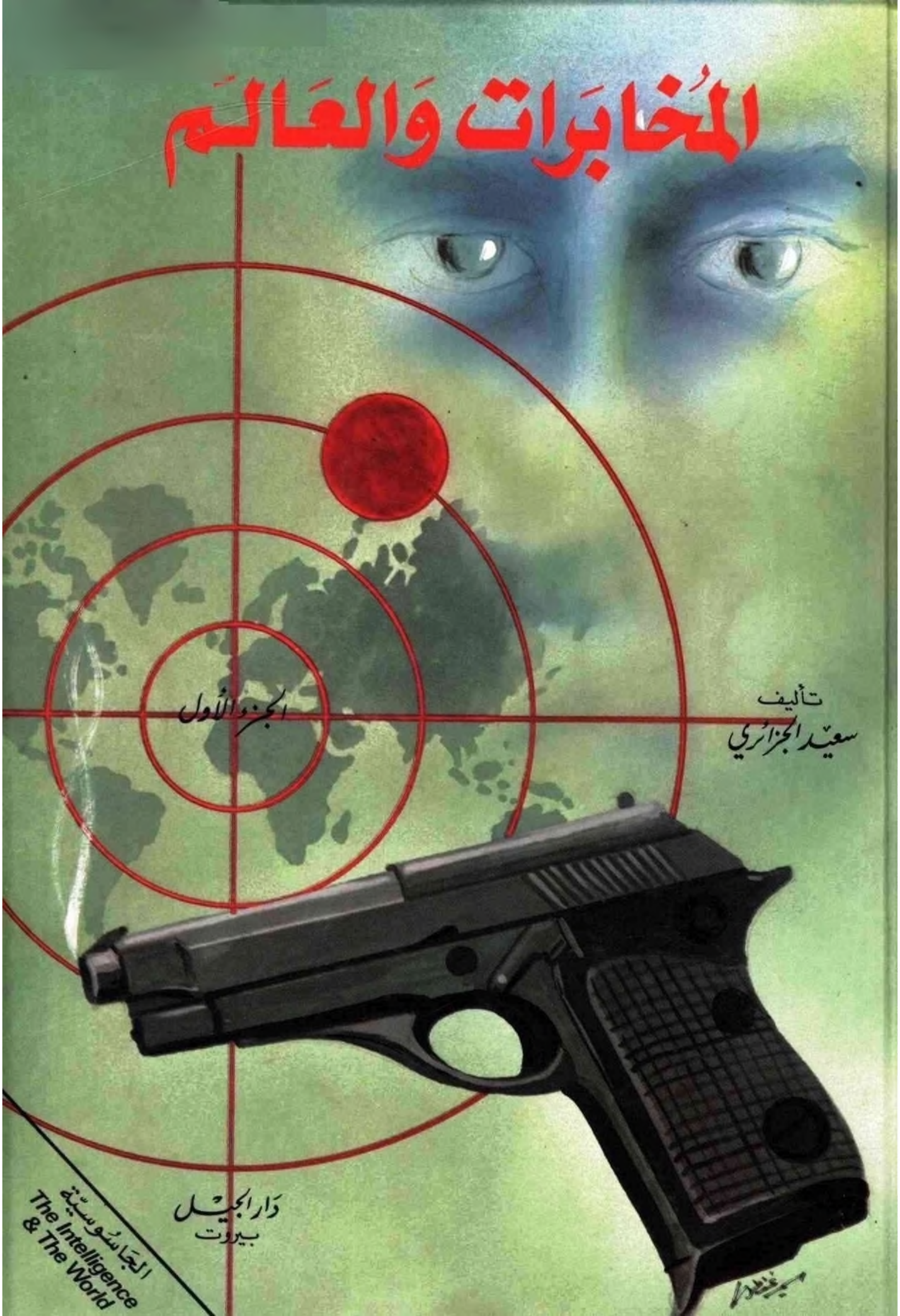

المُخابَرات وَالعَالَم
الجزء الأول
تأليف
سعيد الجزائري
دار الجيل
بيروت
الجاسوسية
The Intelligence
& The World

المُخابَرات وَالعَالَم

تأليف

سعيد الجزائري

الجزء الأول

دار الجيل
بيروت

الطبعة الخامسة
١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م

إهداء

إلى الرجال الساهرين على أمن وسيادة
البلاد العربية
إلى من نذروا أنفسهم وأرواحهم لخدمة
التراب العربي من المحيط إلى الخليج
إلى الأخوة الذين يقدمون لبلادهم
أسمى الخدمات من أماكن وجودهم
أهدي كتابي هذا

سعيد الزرائع

تقديم *

من مجمل الاحداث والمؤامرات التي سوف يطلع عليها القارىء في هذا الكتاب الوثيقة لا بد من التاكيد على دور المواطن في احباط مخططات العدو في تجنيد الجواسيس لصابه وعدم التورط في كل مامن شانه افادة هذا العدو المتربص بالامة العربية.

فتجنب الحديث عن الامور العسكرية والامنية ـ وخاصة من قبل العسكريين ومن في حكمهم ـ امام الاغراب وفي المحلات العامة كالمقاهي والمطاعم ووسائل النقل حبا بالتعالي والظهور.. واجب وطني وأمني يقي البلاد من الاخطار التي يعمل العدو على الحاقها بوطننا .

وعند تعرض أي مواطن لسؤال حساس عن أوضاع اقتصادية او اجتماعية ، فعليه ألا يرد على هذا السؤال فهدف العدو ليس مجرد الحصول على معلومات عسكرية أو أسرار حربية ... بل تمتد جهوده الى محاولة استكشاف حقائق اقتصادية واجتماعية تتعلق بالبلاد ، وحتى الحصول على معلومات قد تبدو لمواطنين كثيرين مجرد اشياء عادية لاينطوي التحدث فيها عن خطر يلفت الانظار .

ومن المعروف ان عملاء العدو يدخلون الاقطار العربية بشتى انواع الخداع ، فمنهم من يدخل بصفة السواح او طلاب يحاولون دراسة الاوضاع في البلاد عن كثب ليعودوا الى اقطارهم الموهومة التي يحملون جنسياتها زيفا ويقدموا الاطروحات للجامعات التي ينتسبون اليها زورا عن النهضة التي تشهدها الاقطار العربية ، وهم في الواقع ينقلون الى العدو الذي يعملون لحسابه هذه المعلومات التي يعدها دسمة يستفيد منها اغلى فائدة.

كما ان هناك من يدخل الاقطار العربية بصفة « رجال اعمال » ويؤسسون الشركات والمكاتب التجارية بالتعاون مع المواطنين العرب الذين يتورط بعضهم ويصبحون هم بالتالي عملاء للعدو .

وسائل العدو في ذلك عديدة ... وكل مسؤول يدرك أن الانسان معرض للخطا ، أو الوقوع فيه ، ومن السهل أن يتعثر مواطن في حياته ، ولكن الخطر وغير المقبول ان ينساق هذا الانسان في تيار الانحراف والخطا ، مما يجعله فريسة لاجهزة المخابرات العدوة التي تتصيد أمثاله مستغلة عثراتهم .

ومع التسليم بان كل انسان معرض للخطا ، الا ان هذا - في حد ذاته - لا يدعو للانزعاج ، فالخطر يكمن في الانسياق خلف النزوات والشهوات والاحلام الطائشة ، وهو ما تبحث عنه مخابرات العدو لتلتقطه من بين عشرات المواطنين ، فيذعن لغرائزه وضعفه البشري ناسيا مسؤوليته الوطنية لفترة ، سرعان مايعود بعدها ليواجه النهاية المحتومة وهي عقوبة الموت حيث لا تنفع ساعة ندم .

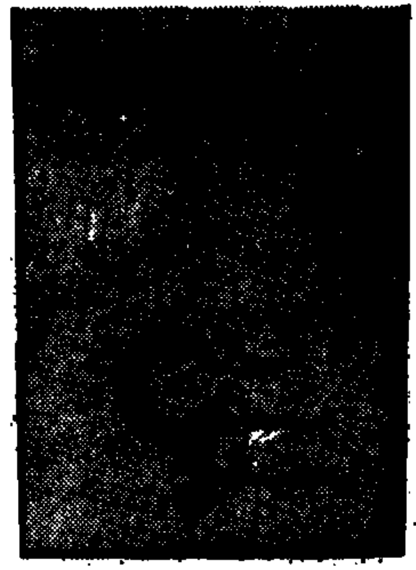
ولو أن كل انسان دفعت به الظروف او الضائقة المادية أو النزوات الشخصية الى التورط فعلا في التجسس للعدو ، ثم تقدم من تلقاء نفسه للمخابرات العامة واجهزة الامن المسؤولة وروى قصته لتبدلت النهاية تماما ، فعدم التقدم الى هـــذه الدوائر الامنية المختصة لكي تنقذه وتحمي الوطن من الخطر الذي يتهدده بوصول معلوماته وأسراره الى أيدي العدو سيؤدي حتما ان عاجلا أو أجلا ، الى سقوطه بين أيدي سلطات الامن الساهرة التي لا تغفل فيواجه الموت في النهاية قصاصا عـلى ما اقترفت يداه .

ان المخابرات العربية لها دورها الهام بمقاومة محاولات العدو ... وعلى اي مواطن أن يساهم بدوره انجاح هــذا الدور .. وهي تمد يد العون الى كل من يتقدم اليها طائعا مختارا يبلغها عما تورط به ، او عما اذا كان في الطريق الى اصطياده من قبل أجهزة العدو التجسسية ، وبذلك نحبط فرصة العدو في الحصول على أسرارنا كما يحظى هذا المواطن بالتقدير والاحترام .

المؤلف

تنويــه

قريبا سيصدر الجـزء الثاني
من كتـاب المخابرات والعالم
يحتوي على معلومات هامة من
الجاسوسية العالميـة واهم مؤامرات
المخابرات في العالم



إن جميع ما جرى ويجري في العالم من شرقه الى غربه ، ومن شماله الى جنوبه من حروب ومؤامرات وانقلابات وأحداث بالغة الأهمية ، بما في ذلك الحربان العالميتان الأولى والثانية ، وبالإضافة الى مهمة المحافظة على أمن الدولة وأسرار جيشها وصناعتها من أعدائها ومعرفة العكس عن هؤلاء الاعداء ....؟

كل ذلك يجري ترتيبه واقراره والايعاز بتنفيذه في أماكن خاصة ومكاتب بعيدة عن الأعين من قبل رجال من نوع خاص ، أقوياء ، أذكياء ، منهم من يحمل أعلى الرتب العسكرية والدرجات العلمية وبيدهم وحدهم يتقرر مصير دول وشعوب ، هؤلاء هم : « رجال المخابرات » الذين يحركون العالم ، ومن خلال دراسة أسباب معظم المؤامرات العالمية واكتشاف العديد من شبكات التجسس والجواسيس والاغتيالات ، وجدنا أن كل ذلك من عمل « المخابرات » .

لذلك كانت الغاية من وضع هذا الكتاب الوثائقي بين يدي القارىء العربي لاطلاعه على معلومات هو بحاجة للاطلاع عليها ليكون على بينة من أمره وليتعرف على عمل المخابرات المعادية وتخطيطها وقد سميته (المخابرات والعالم) للدلالة على مضمونه وذلك بدافع من شعور وطني أولا ليتعلم القارىء العربي كيف يتجنب جواسيس الاعداء وبالتالي يتجنب الوقوع في حبائلهم ويطلع بنفس الوقت على معلومات وأسرار من انجاز المخابرات في مختلف دول العالم لا يصدقها العقل ولم يكن بالامكان الاطلاع عليها لولا الجهود التي بذلت للحصول على هذه المعلومات من مصادرها الموثوقة والمختصة مدعومة بالصور الحية ، مقدما ثمرة جهودي هذه الى السيد الفريق حافظ الاسد رئيس الجمهورية العربية السورية الذي حقق الوحدة الوطنية في سورية .

« والله من وراء القصد »



رجال المباحث في سوريا منذ نصف قرن ، تبين هذه الصورة الفريدة التي يحتفظ بها المجاهد أبو عبده العشي كيف كان جهاز رجال المباحث الذي كان برئاسة المدعو (حلمي عزيز) الملقب أبو رياح يبالغون في التنكر وتقمص الشخصيات المختلفة لكشف المجرمين ، والتاريخ يعيد نفسه الآن حيث يضطر رجال المباحث والمخابرات للتنكر حسب الظروف للوصول الى الاعداء وكشفهم ..

المخابرات



المخابرات ، وتسمى في بعض الدول (الاستخبارات) ، أو (الشعبة الثانية)، أو (المكتب الثاني) • ومعنى المخابرات هو التخابر لنقل المعلومات القيمة المنقولة والتي تكون على درجة كبيرة من الاهمية بين شخص وآخر ، وبين مركز وآخر • وأخيرا مقر شبكة التجسس والدولة التابعة لها هذه الشبكة والمخابرات في كل دولة ، تشمل جميع وسائط التجسس الداخلي والخارجي والتخابر معناه (خبّر كل واحد الآخر) أو كلمه أو باحثه (تباحث معه) وخبره بالشيء أي أخبره أو أنبأه عنه • والتخابر هو التفاهم بين شخصين في مختلف صوره ، سواء حصل ذلك شفاهة أو كتابة ـ صراحة أو رمزاً ، مباشرة أو بالواسطة ولفظ (التخابر) في معناه هو ما تعبر عنه القوانين بلفظ (Intelligence) أيضا ، وهو كل تراسل أو اتصال معناه تفاهم يتم بين شخصين أو أشخاص تتحد فكرتهم على خداع الغير والمراسلة قد تكون بالمحادثة التلفونية أو الشفوية أو السلكية أو اللاسلكية •

حتى إن كلمة المخابرات هي ما حددها الانجليز وبينوا أعمالها :

The Int. Dep : dealing with the Foreign countries and several parts of the world in trades, collecting information, and take action in regard to trade. commerce, they are attached slso to Forces :

ومن أقسامها Secret service ، Censorship الرقابة أو الخدمة السرية والسعي والتخابر هو صورة من الاتصال بدولة أجنبية (لقصد اجرامي) ، وهي التي يرمي فيها الجاني الى الاتصال مع دولة أجنبية أو مع الشخص الذي يعمل لمصلحة هذه الدولة . فتكون النتيجة تمكن هذه الدولة من القيام بأعمال عدائية ضد الدولة الثانية ، وهو ما سمي بالخيانة العظمى (Treason Felony) ويصرف على أجهزة المخابرات ورجالها الملايين بحيث أن ميزانية المخابرات تكون دائماً غير محدودة و (سرية) . وفي أغلب الدول تكون ميزانية المخابرات من ميزانية وزارة الدفاع . والتخابر كما يعتبر اليوم في العرف السائد (هو حصول دولة من الدول على أسرار دولة أخرى) ، سواء كان ذلك بشراء الضمائر الضعيفة أو بواسطة رجال المخابرات الاذكياء المدربين الذين يطلق على أحدهم « لقب جاسوس » لدى خروجه من بلده الى بلد آخر .

الجاسوسية

أما الجاسوسية فهي عمل المخابرات نفسه من الوصول الى الاسرار والاختراعات بحيث يتمكن الجاسوس من التقاط أو معرفة الاسرار بالسمع أو التصوير أو بالتواطؤ مع عميل . وذلك من دون أن يلفت النظر اليه ، ثم يرسل ما يحصل عليه الى دولته ، حيث تتولى المخابرات الاستفادة منه عند العمليات العسكرية أو المناورات السياسية أو الصفقات التجارية .

أهمية المخابرات

ترجع أهمية المخابرات الى حاجة الدولة أو القائد الى معرفة ما يخبئه له عدوه . ولدى مراجعة المستندات القديمة عن المخابرات وجدنا أن فن المخابرات (أي التجسس) فن قديم جداً فالمصريون كان لهم نظام تجسس منذ حوالي خمسة آلاف عام وكانوا يعتبرون التجسس على أعدائهم فناً رفيعاً ولوناً من ألوان العلم الحربي ، بحيث استطاع أحد ضباط المخابرات المصرية القدماء ، ويدعى «توت» أن يرسل مائتي جندي مسلحين ضمن أكياس القمح على ظهر مركب الى مدينة (يافا) التي كانت محاصرة من قبلهم في حينه ، ولما استقر المركب في الميناء

خرج الجنود ، واستولوا على المدينة . كما أن المؤرخ (توليبوس) الذي عاش بين عام ١٢٠ — ٢٠١ ق.م قال :

«إن القائد يجب أن يواظب على دراسة ميول واتجاهات وشخصية خصمه».

وليس يبعد عنا ما قاله الشاعر «هوميروس» عن قصة «حصان طروادة» :

هذه الواقعة من روائع الجاسوسية القديمة ، حيث صنع هـذا الحصان من الخشب واقفا على قاعدة . وكان جوفه خاليا ، يتسع لعشرات من الجنود وقد حمل هذا الحصان الى قلب المدينة ، ومن ثم خرج الجنود ليلا ، وقضوا على حاميتها . وحتى اذا وصل بنا المطاف الى أيام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لوجدنا أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يرسل بعض أتباعه لكشف مواقع أعدائه المشركين . والدين الاسلامي الحنيف يحرم التجسس الضار كما جاء في الآية الكريمة : « ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ... » « صدق الله العظيم » ، كما أن النبي عليه الصلاة والسلام عندما علم بنية المشركين غزو المدينة بعد هجرته اليها ، أوعز بحفر خندق حولها ، وكان النصر من الله عز وجل . وفضل هذا الخندق أن ردت قريش على أعقابها .

وفي عام ١٨٥٧ نجد أن (فون مولتكه) رئيس أركان حرب بروسية ، والذي شغل هذا المنصب ثلاثين عاما، قال في خطاب وجهه الى ضباطه :«ستجدون أن هناك ثلاثة طرق مفتوحة أمام العدو ، ومع هذا فان العدو يختار الطريق الرابع ...؟ ومعنى كلامه أن للعدو عيونا وجواسيس أمدوه بمعلومات وافيـة عن الطريق الرابع ... ؟

وفي عهد لويس الخامس ، كان مدير البوليس السياسي ضابطا شديد البأس يدعى « غبريال دي سارتين » ، وقد أصبح فيما بعد (وزيراً للحربية). كان يبث جواسيسه بين الاهالي فيوافونه بأخبار المعارضين فيرفعها بدوره الى لويس الخامس الذي كان يوعز بالتخلص منهم كما أن « جوزف فوشيه » اعتبر في عهد نابليون بونابرت أخطر مدير للبوليس السياسي ، حيث قام بإحباط العديد من المؤامرات التي كانت كثيرة الشيوع في حينه . وقد وصف الكاتب المعروف « هانسون بولدوين » المخابرات الحديثة كما يلي :

ان نظام المخابرات الصحيح عبارة عن منشأة ذات امكانات هائلة لكل من الخير والشر ، ويجب أن تستخدم الرجال والنساء وكل الوسائل ، فهي رقيقة وشرسة تتعامل مع الابطال والخونة ، وهي ترشي وتفسد وتختطف وأحياناً تقتل . . انها تقبض على قوة الحياة والموت ، انها تستغل أسمى وأدنى العواطف وتستخدم في الوقت نفسه الوطنية حتى أعظم معانيها ، والنزوات حتى أحط مداركها . وهي تبرر الوسائل التي تحقق أغراضها ... حتى القتل .

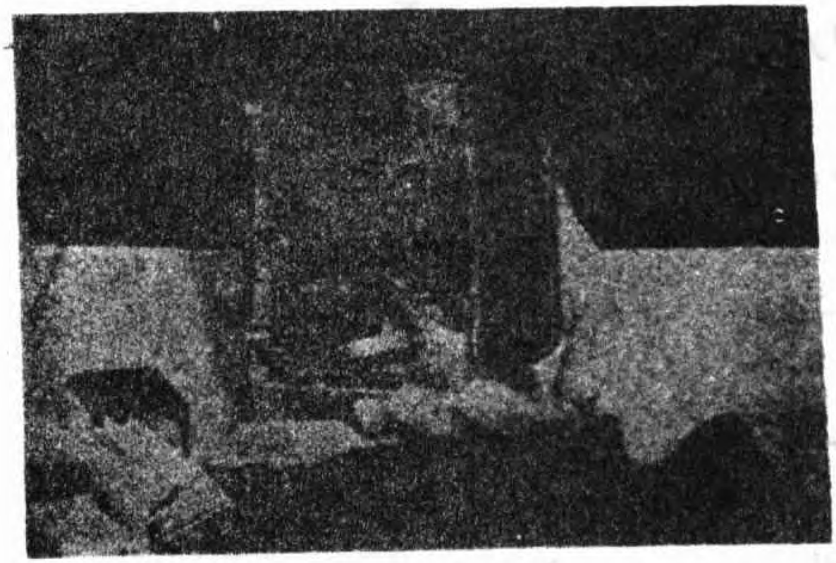
تحول المخابــــــــرات :

أما في العصر الحديث وفي الحربين العالميتين الاولى والثانية ، فاننا نسمع ونقرأ عن جواسيس رجال ونساء قدموا لبلادهم أعظم الخدمات وأجلها ، وأهم هؤلاء الجواسيس الجاسوسة « كتوكازت » والجاسوسة « ماتاهــاري » التي ألقي القبض عليها أثناء تجسسها . وقد عذبت عذاباً مبرحاً للبوح بما تعرفه عن بقية زملائها فلم تعترف ونفذ حكم الاعدام فيها رميا بالرصاص . وقد صورت السينما الباحثة عن القصص الجاسوسية قصة هذه الجاسوسة فيلما عرض في مختلف البلاد العربية .

والجاسوس الروسي « ريتشاد سورج » الذي سنذكر في هذا الكتاب براعته في انشاء شبكة تجسس في طوكيو ، واستطاعته تحويل وتأخير الحرب بين روسية واليابان في حينه .

والجاسوس « فيلبي » الذي خدع المخابرات البريطانية ثلاثين سنة ، وهو يعمل فيها بينما هو في الاصل يعمل للاتحاد السوفياتي .







المخابرات في العالم

نقدم للقارىء تصنيف المخابرات في العالم ، وهذا التصنيف مقدر من قبل خبراء المخابرات العالميين حسب الترتيب الآتي :

١ ـ المخابرات السوفياتية ـ موسكو ـ الاتحاد السوفياتي

٢ ـ المخابرات المركزية الاميركية ـ واشنطن ـ الولايات المتحدة الامريكية

٣ ـ المخابرات البريطانية ـ الانتلجانس سرفيس ـ لندن ـ بريطانيا

٤ ـ المخابرات الصينية الشيوعية ـ بكين ـ الصين الشعبية

٥ ـ المخابرات الالمانية الغربية ـ بون ـ المانيا الغربية

٦ ـ المخابرات الحربية المصرية ـ القاهرة ـ

٧ ـ مخابرات حلف شمال الاطلسي ـ بروكسل ـ ولها فروع في البلاان التابعة لحلف شمال الاطلسي

٨ ـ المخابرات العسكرية الافرنسية ـ باريس ـ فرنسا

٩ ـ المخابرات العسكرية الايطالية ـ روما ـ ايطاليا

١٠ ـ المخابرات العسكرية التركية ـ أنقرة ـ تركيا ـ وتتعاون مع مخابرات

حلف شمال الاطلسي .
١١ ـ المخابرات العسكرية الجزائرية ـ الجزائر ـ الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية .
١٢ ـ المخابرات العسكرية السورية ـ دمشق ـ (ج . ع . س) واسمها (شعبة المخابرات) .
١٣ ـ المخابرات العسكرية العراقية ـ بغداد ـ العراق ـ واسمها (شعبة الاستخبارات) .
١٤ ـ المخابرات العسكرية اللبنانية ـ بيروت ـ لبنان ـ واسمها (الشعبة الثانية)
١٥ ـ المخابرات العسكرية الاردنية ـ عمان ـ الاردن .

كما يوجد تقريبا في جميع دول العالم (مخابرات) ، ولكن بحجم مالديها من جيش وحاجة للتجسس ، وكشف الجواسيس فاذا جاء ترتيب المخابرات العربية هكذا فاتنا في هذاالكتاب نسجل تقديرنا واعترافنا بقوة المخابرات العربية بصورة عامة نتيجة انجازاتها من معرفة أسرار العدو ، واكتشاف العديد من شبكات تجسسه .

أصل الجواسيس

ان اغلب الذين ينخرطون في عمليات التجسس من خارج الجهاز الحكومي أي العملاء الذين يجندون للتجسس على بلادهم يكون لديهم في أغلب الاحيان عدة أسباب ، ومنها :

١ ـ معارضتهم لمذهب من المذاهب السياسية أو الدينية في بلدانهم .
٢ ـ حاجتهم الملحة الى (المال) بسبب الفقر أو ضعف الراتب .
٣ ـ حبهم الى حياة الليل والليالي الحمراء التي تتيحها لهم الجاسوسية .
٤ ـ وضعهم تحت الامر الواقع من قبل مخابرات عدوهم وتهديدهم بكشف اعمال سبق أن ارتكبوها ، واطلعت عليها هذه المخابرات بطرقها الخاصة .

صفات الجواسيس

يجب أن يكون الجاسوس يملك المؤهلات اللازمة لعمله ، لان التجسس يتطلب أذكى الرجال الذين يتحلون بالجرأة وضبط النفس مع التدريب الكافي على يد الاخصائيين في فنون التجسس . فالجاسوس ، يختلف عن رجل المخابرات لان الجاسوس يدرب خصيصا على يد رجال المخابرات ليرسل في مهمة الى خارج الحدود . بينما يبقى رجل المخابرات في مكتبه ينتظر ما يرسله إليه الجاسوس من بعد ذلك بمختلف الوسائل التي زود بها ودرب عليها ، ويختلف تدريب الجواسيس في كل بلد من بلدان العالم عن غيرها .

ففي الاتحاد السوفياتي معهد خاص ، تابع لوزارة الدفاع يتخرج منه الجواسيس الذين يختارون بدقة . ومدة الدراسة فيه سنتان ونصف يتخرج بعدها الجاسوس ومدربوه متأكدون من نجاحه بفضل ما اكتسبه من خبرة أثناء الدراسة . وفي المعهد العالي للمخابرات السوفياتية ، يحصل الطالب الجاسوس على شهادة تعادل « اجازة الحقوق » ، ولكنه لا يستطيع تعليقها في المكاتب . ولهذا المعهد فريق كرة قدم خاص به يخوض المباريات الرياضية خارج الاتحاد السوفييتي . ونعرض أن الفترة الاخيرة من الدراسة في معهد التجسس السوفييتي ، يكون تدريبا عمليا واختبارا حيا للجاسوس الطالب ، حيث يتعرض لمختلف أنواع المطاردة والمراقبة . وحتى التعذيب والأعتقال المزيف . فاذا اجتاز هذه المراحل بنجاح منح لقب « جاسوس » . وأرسل بجواز سفر جديد واسم جديد الى عمل جديد مع الادوات الخاصة لمهنته الى البلد الذي اختير للعمل فيه . وفي بعض الاحيان ينضم الجاسوس الجديد الى شبكة تعمل في البلد المرسل اليه . ويتم التعارف بطرق أغرب من الخيال بينه وبين مستقبليه .

وفي لندن مدرسة خاصة لتدريب الجواسيس . وهذه المدرسة تابعة للمخابرات البريطانية « الانتلجانس سرفيس » وتقع في ضاحية (فوتشير) بلندن . ولا يدخلها سوى المختارون من الرجال الاذكياء ، الذين يزكيهم ضباط « الانتلجانس سرفيس » ، أو ضباط القوات الملكية . ومدة الدراسة في هذه المدرسة « سنتان » يدرس فيها الجاسوس علم التجسس وفنه والكتابة بالحـ

السري ، والاتصالات اللاسلكية والسلكية ، واعطاء الاشارات بواسطة المصابيح الكهربائية ، وفك الرموز ، ثم دراسة عادات وتقاليد أهل البلد التي سيوفد اليها بعد تخرجه ، وبانتهاء الدراسة يتعرض لاختبار التخرج ، ومن ثم يصبح جاهزا لارساله الى مقر عمله الجديد .

اما في الولايات المتحدة الامريكية فيجري تدريب الجواسيس في مقر المخابرات المركزية الاميركية التي تبعد / ١٥ / كم عن واشنطن ، ولا تحدد مدة معينة لتدريب الجاسوس حيث يدرب الاخصائيون كل جاسوس حسب المهمة التي ستوكل اليه ، والبلد التي سيرسل اليها .

وفي عهد مؤسس المخابرات المركزية الاميركية « ألن دالس » أدخل الى المخابرات عشرات من المثقفين ، كانت وزارة الدفاع الاميركية (بالاتفاق مع المخابرات) تعلن عن وظائف شاغرة لحمله بكالوريوس العلوم والاداب فيتقدم المئات من الشبان الاميركيين ، فتؤخذ طلباتهم ، وتدرس بعناية فائقة ، وينتقى الافضل ، وبين ليلة وضحاها يجدون أنفسهم من عداد المخابرات الاميركية (عدا عن طريقة تطبيق العملاء من غير الاميركيين) . (راجع فصل المخابرات المركزية الاميركية) .

أما في الصين الشعبية فالصينيون يجدون مشقة في اختيار جواسيسهم .لانه من الصعب على الجاسوس الصيني السير في شوراع اوربا وامريكيا ، دون أن يلفت النظر اليه ، ومع ذلك وجد الصينيون حلا لهذه المشكلة بتكليف الذين هم من أصل صيني ، ويعيشون في بلاد أجنبية بالعمل لدى المخابرات الصينية .

وفي المانيا أيام حكم هتلر والحزب النازي كان الجواسيس يختارون بمعرفة أركان الحرب والضباط المقربين للرايخ الثالث ، حيث تناط بهم المهمات التي ترسم لهم في المخابرات الالمانية ، أما في المانيا الغربية حاليا فإن عناصر المخابرات فيها تدرب من قبل المخابرات المركزية الاميركية ، وفي فرنسا وايطاليا يختار الجواسيس بمعرفة ضباط المخابرات ، ولا دخل للسلطات المدنية بذلك .

وأما في البلاد العربية فجميع رجال مخابراتها من القوات المسلحة ، حيث الرجال الذين يتميزون بالذكاء والحنكة ، بالاضافة الى القوة البدنية

واحتمالهم الصعاب ، ليصار الى اتباعهم دورات شاقــة لتعلــم فنون التجسس التخابر ، وليصبحوا جاهزين للمهمات التي توكل اليهم في أي مكان وزمان .

والمخابرات الاسرائيلية اذا كنا نذكر عنها شيئا فمن أجــل مبدأ (اعرف عدوك) ، وجميع رجالها ينتقون من العائلات اليهودية الغربية أو من أبناء وأقرباء الوزراء والضباط الحاكمين ، لان لها وباسمها يفعل المرء مايشاء دون رقيب أو حسيب . وان أي انجاز للمخابرات الاسرائيلية انما كان من جراء الملايين التي تدفعها لشراء الضمائر . ونحن نعرف من أين وكيف تحصل اسرائيل على الاموال . ولا يكفي أن يكون رجل المخابرات أو العميل ممن تنتقيهم المخابرات مــن الطلاب أو العسكريين أو من رجال المخابرات المحترفين ، بل ان هناك العديد من العملاء من الشخصيات السياسية ، نواب أو وزراء في بعض الاحيان ، بحيث يتم تجنيدهم على مستوى عال ، للاتصال بهم لدى زيارتهم للبلدان التي يعملون فيها فيما بعد . ويتم الاتصال بهم اما من قبل ضباط المخابرات شخصيا ، أو من قبل بعض الوسطاء الذيــن يقدمون الوعود الى هؤلاء ، بتنفيذ كــل مايهمهم تنفيذه في بلدهم في المستقبل ، عدا عن الدفعات المغرية التي تدفع لهم ، ليتمكنوا من الظهور سياسيا في بلدهم ، وليس المال كل شيء في اكتساب العملاء ، بــل هناك التعاطف أي أن يكون العميل الذى يجري الاتصال معــه للمساعدة على معرفة أمور بلده يعطف على الحكم الموجود في البلد الاخر فيقوم بالمساعدة،كما حصل مع النائب البريطاني « وليام أوين » البالغ من العمر /٦٩/ عاما ، والذي كان يزود المخابرات التشيكوسلوفاكية بالمعلومات منذ عام /١٩٦١/ حتى شهر شهر كانون الاول /١٩٦٩/،حيث كشف أمره نتيجة جرأة أحد ضباط المخابرات البريطانية « الانتلجانس سرفيس » الذي أعتقل (على مسؤوليته) فراش (١) السفارة التشيكية في لندن عند زيارته لهذا النائب فوجــد معه كتابا الى النائب البريطاني ، يطلب حضوره الى مكان معين في لندن ، وفي هــذا المكان شوهــد اثنــان مــن موظفي السفارة التشيكوسلوفاكية بالانتظار . عند ذلــك حصلت المخابرات البريطانيه عــلى الاذن القانوني باعتقال النائب (عــن طريق البرلمان

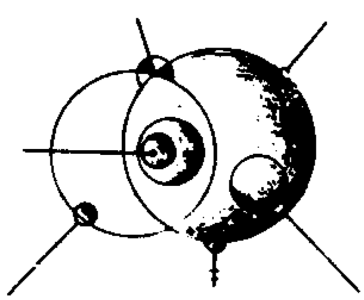
---

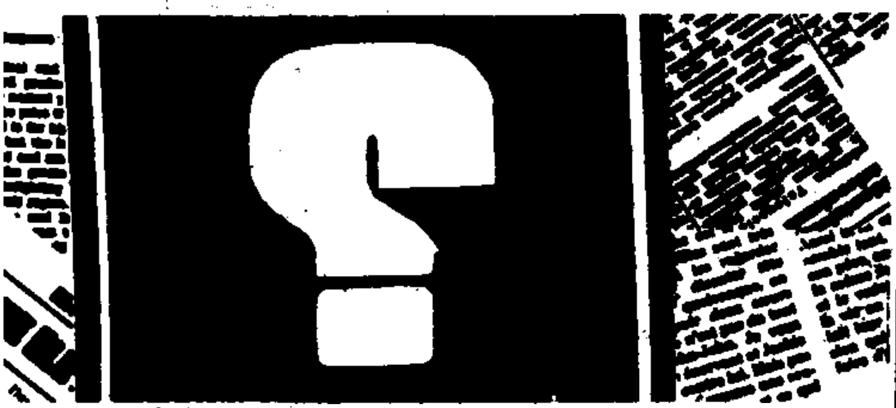
(١) كان هذا الفراش موضوع تحت مراقبة المخابرات البريطانية فكيف بقيه أعضــاء السفــارة ... ؟

البريطاني نظرا للحصانة التي يتمتع بهـا) ، وبعد مداهمة منزله جرى اعتقاله وتقديمه الى المحكمة ، بعد التحقيق معه (اطلع مجلس النواب البريطاني في جلسة سرية على التهم والمستندات التي تدينه) • وفي أول جلسة لمحاكمته اعلن المدعي العام أن « أوين » كان يقوم بتقديم المعلومات العسكرية والسياسية والاقتصاديه عن بريطانيا الى اثنين من موظفي السفارة التشيكية لنقلها الى مخابراتهم • ومن ضمن هذه المعلومات (أوصاف الصواريخ الموجهة ودبابات شيفتن البريطانية الصنع ، أشهر دبابة صنعت في بريطانيا حتى الآن ، ومعلومات قدمت الى لجنة التقديرات المالية البرلمانية خـلال زيارتها للمؤسسات العسكريـة البريطانية ، (القواعد) في المانيا الغربية ، وسنغافورة ، وهونغ كونغ ، ومعلومات تتعلـق بطائرات النقل وشؤون المستعمرات • وان أغلب هذه المعلومات كان يحمل طابع السرّية التامة ، بل أقصى درجة من السرية • وكان النائب « أوين » يحصل على هذه المعلومات باعتباره (عضوا في لجنة التقديرات المالية البريطانية) • وهذه اللجنة مهمتها في البرلمان البريطاني بحث مخصصات الدفاع وغيرها من القضايا التي تتعلق بالناحية المالية والاعتمادات • وأضاف المدعي العام أيضا أن نقل هذه المعلومات الى المخابرات التشيكية يعني معرفة المعسكر الشرقي لهذه الاسرار التي تحرج بريطانيا على الصعيد الدولي (والاسباب عسكريـة واعتبارات تجارية واقتصادية عدا عن ضررها البليغ نتيجة الاطلاع عليها) •

أما النائب المتهم فانه نفى جميع هذه التهم بالهدوء الانكليزي المعروف ، وطلب اخلاء سبيله بالكفالة على لسان محاميه ، ولكن المحكمة رفضت طلبه •

وقد أذيع من لندن مساء ٦ /٥/ ١٩٧٠ أن المحكمة برأت « أوين » من التهم التي وجهت اليه • ونحن نعتقد أن هذه البراءة بالاتفاق مـع المخابرات البريطانية للابقاء على حسن سمعة النواب البريطانيين •





مراكز المخابرات في العالم

يجب أن يكون مركز المخابرات بمنأى عن الأعين والرقباء ، ولذلك نجد أن كل دولة تحرص على سرية مراكز مخابراتها وتحصنها ، وتجعل الدخول اليها مستحيلاً ، الا للمواطنين • وحتى الموظفين أنفسهم يخضعون لاجراءات أمن مشددة لدى دخولهم ، للتأكد من شخصيتهم • وتناط حراسة مراكز المخابرات بالقوات المسلحة ما عدا بعض الدول ، حيث يقوم بحراسة المراكز عناصر من رجال المخابرات أنفسهم ، وبالتناوب مثل المخابرات البريطانية • واذا بحثنا في مركز المخابرات في الاتحاد السوفياتي وجدناه في قيادات القوات المسلحة يتبعه مكتب متمم في مقر الحزب الشيوعي، لان الحزب هو السلطة العليا في الاتحاد السوفياتي • ومقر المخابرات السوفياتية يقع في شارع تشير شينكسي رقم ـ ٢ ـ على مقربة من الكرملين يقابله « سوبر ماركت للاطفال » • واسم المقر بالروسية (لوبيانكا) ، ويتألف من قسمين :

١ ـ سجن المخابرات السوفياتية ، وفيه ما لا يخطر على البال من طرق التحقيق مع المعتقلين والمحافظة عليهم

٢ ــ قسم المكاتب والادارة ويقال : ان هذا البناء كان في عهد القياصرة مكتب لشركة تأمين) ٠

وفي الولايات المتحدة الاميركية يقع مركز المخابرات المركزية في ضاحية لانغلي ، وتبعد /١٥/ كم عن واشنطن ، وفي مركز محصن تحصينا طبيعيا ٠ عدا الحراسة المشددة عليه ، والكاميرات التلفزيونية المسلطة على المنطقة المحيطة به ليلا ونهاراً ٠ وهذا المركز تبلغ مساحته ضعف مساحة مبنى القيادة الاميركية « البنتاغون » وتقدر هذه المساحة بـ / ١٢٥ / ألف متر مربع ، بينما بلغت تكاليف الانشاء ــ ٤٦ ــ مليون دولار وذلك ابتداء من عام ١٩٦١ ٠

ويحيط بمبنى المخابرات الاميركية سور يبلغ ارتفاعه أربعة أمتار ، وتعلوه أسلاك شائكة ٠ ويقوم بالحراسة حرس مسلحون ، ومعهم الكلاب المدربة ٠ أما المدخل الرئيسي ، ففيه شبكة من الحراس والاجهزة تمنع أي شخص من دخول المبنى ، دون أن يبرز البطاقة المسلمة له والتي تخوله حق الدخول ٠ وهذه البطاقة عبارة عن شارة بلاستيكية توضع عليها صورة الموظف في مكان ظاهر للعيان طيلة وجوده داخل حرم المخابرات الاميركية ٠

وللمخابرات الاميركية عشرات التلفونات ، ولها دليل سري خاص لا يعطى للجميع ٠ ولكن معظم موظفيها يستطيعون التوصل الى معرفة أرقام جميع الاقسام ، وتدوينها في مفكرتهم الخاصة ، رغم تعليمات الحذر الشديد بأن عليهم أن يتركوا مثل هذه المفكرات في خزائنهم لدى مغادرة مركز عملهم ، وتوضع في هذه الخزائن أيضا أشرطة الالات الكاتبة والاراق السرية ٠

والموظف الذي لا يتقيد بذلك يتعرض للعقوبة التي تبدأ بالتوبيخ وتنتهي بالطرد في بعض الاحيان ٠ وبعد خروج الموظفين تبدأ عاملات التنظيف ممارسة عملهن داخل المبنى بمصاحبة حراس مسلحين ، ولا يسمح لأية

عاملة بالخدمة في المخابرات الا بعد اخضاعها لتحقيق ، ومن ثم منحها شهادة أمن تخولها حق الدخول وحمل شارة من شارات المخابرات طيلة وجودها بالخدمة ٠

من دواعي الامن :

يطلب الموظفون الاداريون في المخابرات الأميركية من الموظفين الجدد فيها أن لا يعلنوا للناس عن عملهم في المخابرات الاميركية بل يدعون بأنهم موظفون في وزارة الدفاع أو وزارة الخارجية أو احدى مؤسسات الجيش الاميركي الأخرى . ويمكن الحصول لهم على بطاقة (مزيفة) لعملهم التمويهي . ويسمح لهم عند الاحراج أن يعطوا رقم هاتف عادي يتفق عليه مع المقسم الرئيسي للمنطقة التي يدعون العمل بها ، فتتحول المخابرة بطريقة فنية إلى « لانغلي » مركز المخابرات الاميركية .

وما دمنا في صدد شرح ما يجري داخل بناء المخابرات الاميركية ، فمن حق القارىء أن يعرف أنه يوجد داخل المخابرات الاميركية في « لانغلي » مطعم يعتبر من مطاعم الدرجة الاولى . ولكن العمل في هذا المطعم وارتياده يخضع لاجراءات أمنية تشبه اجراءات مراجعة أي مركز من مراكزها . وهذا المطعم مقسم الى أقسام سرية ، وأقسام مكشوفة . فالاقسام المكشوفة تستعمل للموظفين في دوائر حكومية أخرى ، تستدعي الضرورة زيارتهم لمركز المخابرات، وممثلي حكومات صديقة ، وأفراد عائلات الموظفين أنفسهم . والاقسام السرية تستعمل لموظفي الوكالة بعد أن يبرزوا شاراتهم للحراس المسلحين الواقفين على مدخل كل قسم . وقد صممت الاقسام للزوار ، بحيث لا يشاهد أيٌ منهم أيَّ رجل مخابرات مطلقا . أما الموظفين الكبار كالمستشارين أو ذوي الرتب العسكرية العليا فلهم أجنحة خاصة بالمطعم ، يقدم لهم فيها الطعام الخاص بكل منهم . وهذا يكلف الوكالة كثيراً ، ولكن المحاسب يبرر ذلك للمفتشين إذا وجدوا (أنه من دواعي الامن) . ورغم نقل معظم مكاتب المخابرات الاميركية الى (لانغلي) فانها احتفظت ببعض الابنية لاستعمالها تحت أسماء مستعارة،ومنها

١ ــ بناء في الشارع الثالث والعشرين شمال غرب واشنطن تحت اسم (مركز التسهيلات الطبية البحرية) .

٢ ــ بناء في شارع بنسلفانيا في واشنطن على مقربة من البيت الابيض ، ويشغله الآن (قسم العمليات الداخلية للمخابرات) .

٣ ــ بناء قسم الصور في المخابرات الاميركية ، ويقع في جنوب شرق واشنطن •

٤ ــ بناء برويهيل في ارلنغتون ويستعمل لتدريب بعض العملاء والحالات الخاصة •

٥ ــ ستة مبان في منطقة « تايسون كورنز » في شمال فيرجينيا • وتستعمل للاعمال التقنية بسبب وجود آلات تقنية في هذه المباني ، لم تستطع المخابرات نقلها ، ووجود شركات أبحاث بالقــرب منها تعمل لصالح المخابرات ووزارة الدفاع الاميركيــة •

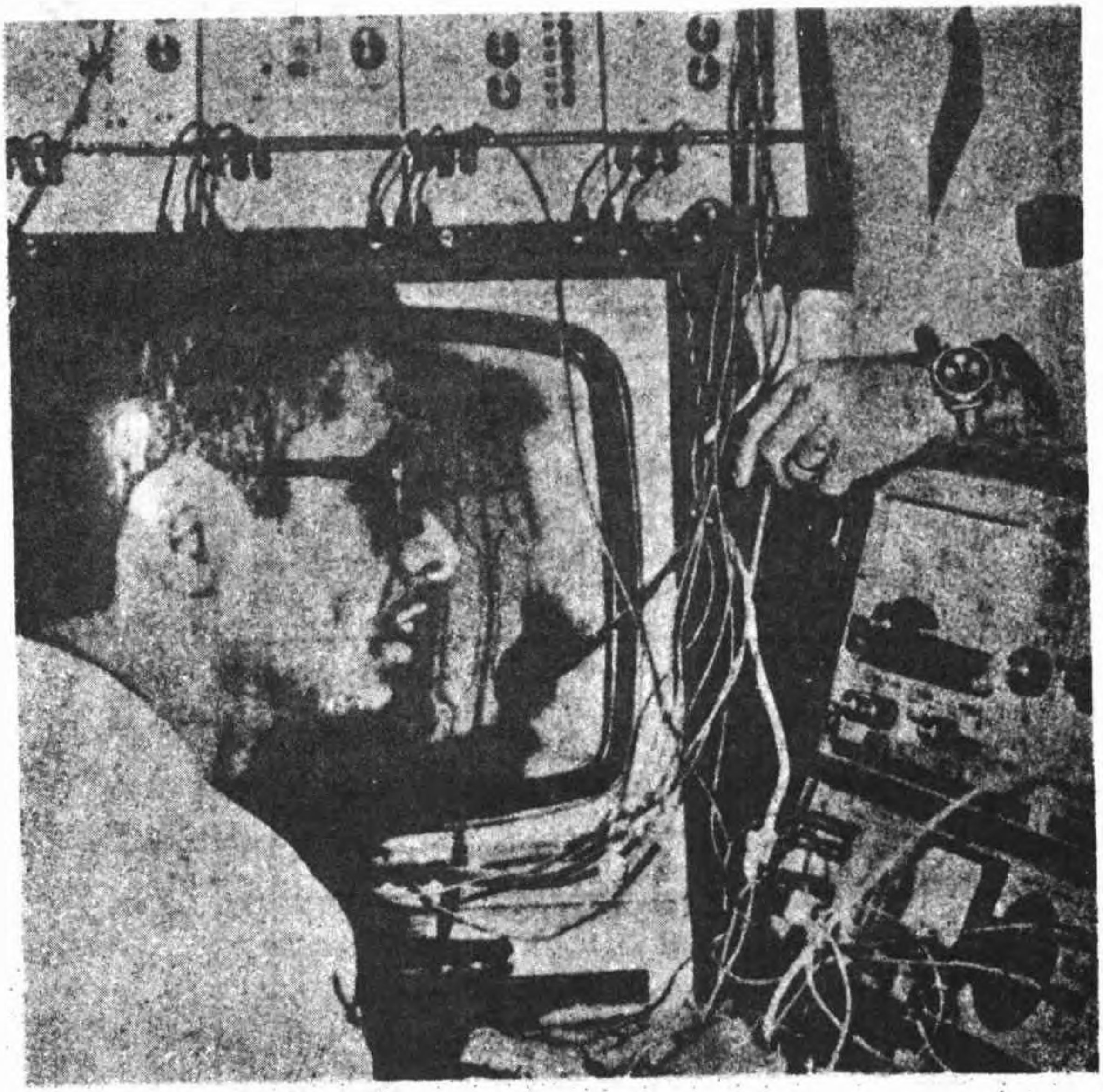
أما المخابرات البريطانية « الانتلجانس سرفيس » فتقع في احدى ضواحي مدينة لندن (كوين آن غيت » وفي الصين الشعبية يقع مقر المخابرات الرئيسي في مكتب رئيس الوزراء بالذات ، الذي يطلع على كل شاردة وواردة في الصين الشعبية بالرغم من تولية ادارة شؤون أكثر من (٧٥٠) مليون نسمة هو تعداد سكان الصين الشعبية • وتتبعه فروع متممة في كل من مكتب وزير الخارجية ، ومكتب وزير الدعاية الخارجية ، ومكتب مدير البوليس السري ، ومكتب في وزارة الامن الاجتماعي • وتنقل هذه المكاتب يوميا بصورة روتينية ملخص ما تحصل عليه من مصادرها الى المكتب الرئيسي لدى رئيس الوزراء •

أما في فرنسا وايطاليا فمراكز المخابرات في القيادات العسكرية •

وفي المانيا الغربية ، مركز المخابرات في مدينة (بون) ، ويرأسه الجنرال « جيرهارد فيسيل » • أما في اسرائيل فتقع ادارة المخابرات الاسرائيلية في تل أبيب ومكتب متمم في القدس بعد عام (١٩٦٧) • أما مخابرات حلف شمال الاطلسي فهي مخابرات انشأت مع انشاء الحلف ، ومركــز الرئاسة حاليا في بروكسل في بلجيكا بعد أن كان في باريس • وحين طلب الرئيس « الجنرال ديغول » نقل مركز الحلف وقواته من باريس ، وانسحاب فرنسا منه جرى نقل قيادة المخابرات الى بروكسل • ولها فروع متممة في (بون ــ أثينا ــ أنقرة ــ لندن)وفي كل من النرويج وهولندا ــ وكنداوايطاليا ــ والبرتغال ــ ولوكسمبوغ وايسلندافروع مخابرات تابعةللقوات الموجودةبها،والتي تتبع تصرف الحلف اداريا•

واذا علمنا أن الاسلحة الاتيـة مخصصة لتوضع تحت تصرف حلف شمال الاطلسي في حال تعرض الغرب لاي هجوم مفاجيء من قبل حلف وارسو أدركنا أهمية وجود مراكز (مخابرات) في كل دولة ، لمراقبـه وكشف الجواسيس السوفيات الذين يحومون حول دول الحلف ليلتقطوا كل صغيرة وكبيرة عنه ، ويبعثوا بما يعلمونه أو يشاهدونه الى موسكو .

وهذه نسبة الاسلحة والمعدات المخصصة للحلف حسب نشرات رسميـة صادرة عن الحلف ومؤكدة من خبراء المخابرات المحايدين . والعدد صحيح مائة في المائة ، وقد حصلنا عليه من أدق المصادر .



كشف بتعداد أسلحة حلف شمال الأطلسي

الدولة	عدد الجنود	الطائرات	السفن الحربية	الغواصات	الصواريخ	الدبابات
أميركا	٥ر٣ مليون	٠٠٠ر١٥ عادية	٩٤٠ عادية	٤٠ عادية	١٢٠٠	٣٧٠٠
أميركا		٥٧٥ قاذفة		٤٠ بولاريس		
أميركا		٥٢، التي تحمل رؤوس نووية				
بريطانيا	٠٠٠ر٥٠٠	٦٥٠ عادية	١١٤ عادية	٥ بولاريس		
بريطانيا		٨٥ قاذفة ثقيلة				
المانيا غ	٠٠٠ر٤٥٠	٦٠٠ أغلبها أميركية	٤٥ عادية			٢٩٠٠
تركيا	٠٠٠ر٥١٥	٥٠٠ عادية	١٨ عادية			
ايطاليا	٠٠٠ر٣٦٥	٤٥٠ عادية	٦٨ عادية			
كندا	٠٠٠ر١٠٠	٣٠٠ عادية	٤٨ عادية			
اليونان	٠٠٠ر١٦٠	٢٥٠ عادية	٢٠ عادية			٣٠٠
بلجيكا	٠٠٠ر١٠٠	١٤٠ عادية				٧٠٠
هولندا	٠٠٠ر١٣٠	١٤٥ عادية بعضها ميراج	٢٩ عادية			
النرويج	٠٠٠ر١٣٥	١٣٠ عادية	٢٠ عادية			
الدانمارك	٠٠٠ر٤٥	١١٥ عادية	١٢ عادية			
البرتغال	٠٠٠ر١٨٥	١٠٠ عادية	٢٧ عادية			
لوكسمبورغ	٥٦٠ جندي					
ايسلندا	٣ كتائب أميركية					

وان علمنا بعد معرفة كمية هذه المعدات والاسلحة ان القوات المطلوبة فعلا للحلف كي يستطيع الصمود امام « حلف وارسو » هي خمسون لواء كامل من طائرات وسفن وغواصات وتوابعها ادركنا قلة اهمية هذه المعدات .

فنتقل من مراكز المخابرات الى تعداد رجال المخابرات، ذلك ان تعداد رجال المخابرات في كل دولة ، يتناسب مع عدد سكانها ، والحاجة الى المخابرات والجاسوسية لحماية تلك الدولة ، فيكفي أن نعرف أن عـدد رجال المخابرات والامن في الصين الشعبية يقدر من قبل خبراء المخابرات العالميين بأكثر من ثلاثة ملايين نسمة مهمتهم التجسس على الشعب الصيني في الداخل،واكتشاف الاسرار وما يدبر ضد الصين الشعبية خارج الحدود . واذا علمنا أن سكان الصين الشعبية يبلغون أكثر من (٧٥٠) مليون نسمة عرفنا ان عدد رجال المخابرات والامن قليل . ففي عام ١٩٦٨ أعلنت المخابرات الصينية الشيوعية عن اكتشاف ٨ ملايين تمرد وثورة ونقد وعصيان ضد النظام الشيوعي ، كما أعلنت مخابرات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني أن نسبة ١٠٪ من الشعب و ٨٪ الموظفين هم فاسدون ولا يؤتمنون ، وهؤلاء المعارضون أو الفاسدون حسب تعبير المخابرات الصينية — يرسلون الى معسكرات (السخرة) . كما أن المخابرات المركزية الاميركية قد بلغ عدد أفرادها في يوم من الايام أكثر من نصف مليون موزعين في أركان العالم الاربعة .

وفي بعض البلدان لا يتعدى عدد موظفي المخابرات والامن العشرات بسبب هدوء ومحايدة تلك البلاد وقلة عـدد سكانها ، حيث يقوم رجال المخابرات بالاعمال الروتينية . وفي الاتحاد السوفياتي لا يمكن تقدير أومعرفة عدد رجال المخابرات السوفياتية الحقيقيين ، لأن العقيدة الشيوعية تفرض أن كل عضو في الحزب يجب عليه طوعا أن يكتب جميع ما يرى أو يسمع من نشاط مناوىء للشيوعية الى رؤسائه ، وهـذه الكتب تلخص وتجمع وترسل الى الرئاسة في « الكرملين » للاطلاع عليها ، ووضعها في المكان المناسب لاستغلالها فيما بعد .



تسليح رجل المخابرات

اسباب تسليح رجل المخابرات

منذ أن عرفت المخابرات بشكلها الحالي ، وفيما بعد الحرب العالمية الثانية وحتى أيامنا هذه ، ورجالها يحملون المسدسات داخل ملابسهم ، وذلك للدفاع عن النفس عند حدوث أي طارىء ، أو عند مداهمة أي مقر لشبكة تجسس مناهضة أو عند الانتظار ليلا ساعات طويلة في مراقبة عميل خطير موضوع تحت المراقبة ، ويحمل رجل المخابرات عادة مسدسه تحت ابطه الايسر محمولا بحماله من الجلد ، لها حزام يلتف على الكتف الايسر مع حزام آخر من البلاستيك يشد الحزام الاول الى الكتف الايمن لينحسر المسدس من تحت الابط الايسر، ويوضع المسدس بهذا الشكل وتحت الابط الايسر لسهولة استعماله باليد اليمنى باسرع وقت . ويلزم ثانيتين لرجل المخابرات المحترف لكي يُخرج مسدسه عند شعوره بالخطر أو مفاجأته في احدى مأمورياته ، أما طريقه وضع المسدس على الحزام الحامل للبنطال ومن الخلف الى الجهة اليمنى ، فهذه الطريقة لها مضارها الآتيــة :

١ ــ ظهور المسدس واضحا من تحت الجاكيت •

٢ ظهور مؤخرة المسدس من تحت الجاكيت ومن المؤسف أن بعض رجال المخابرات والامن الناشئين يعمدون الى ذلك حبا بالتباهي في وسائط النقل •

٣ ــ امكانية خطفه من حامله في الزحام •

٤ ــ التأخر في إشهاره من الخلف عن إشهاره من تحت الابط •

أما أنواع المسدسات التي يستعملها رجال المخابرات فتكون عادة من أحسن أصناف المسدسات المتداولة ، وأحسن وأخف صنف ممكن استعماله هو مسدس (لاما ٧) لصغر حجمه ومفعوله القوي •

متى يستعمل رجل المخابرات سلاحه

إن رجل المخابرات يحمل المسدس لحماية نفسه عند اللزوم • ولكن الى أي مدى يحق لرجل المخابرات أن يستعمله •

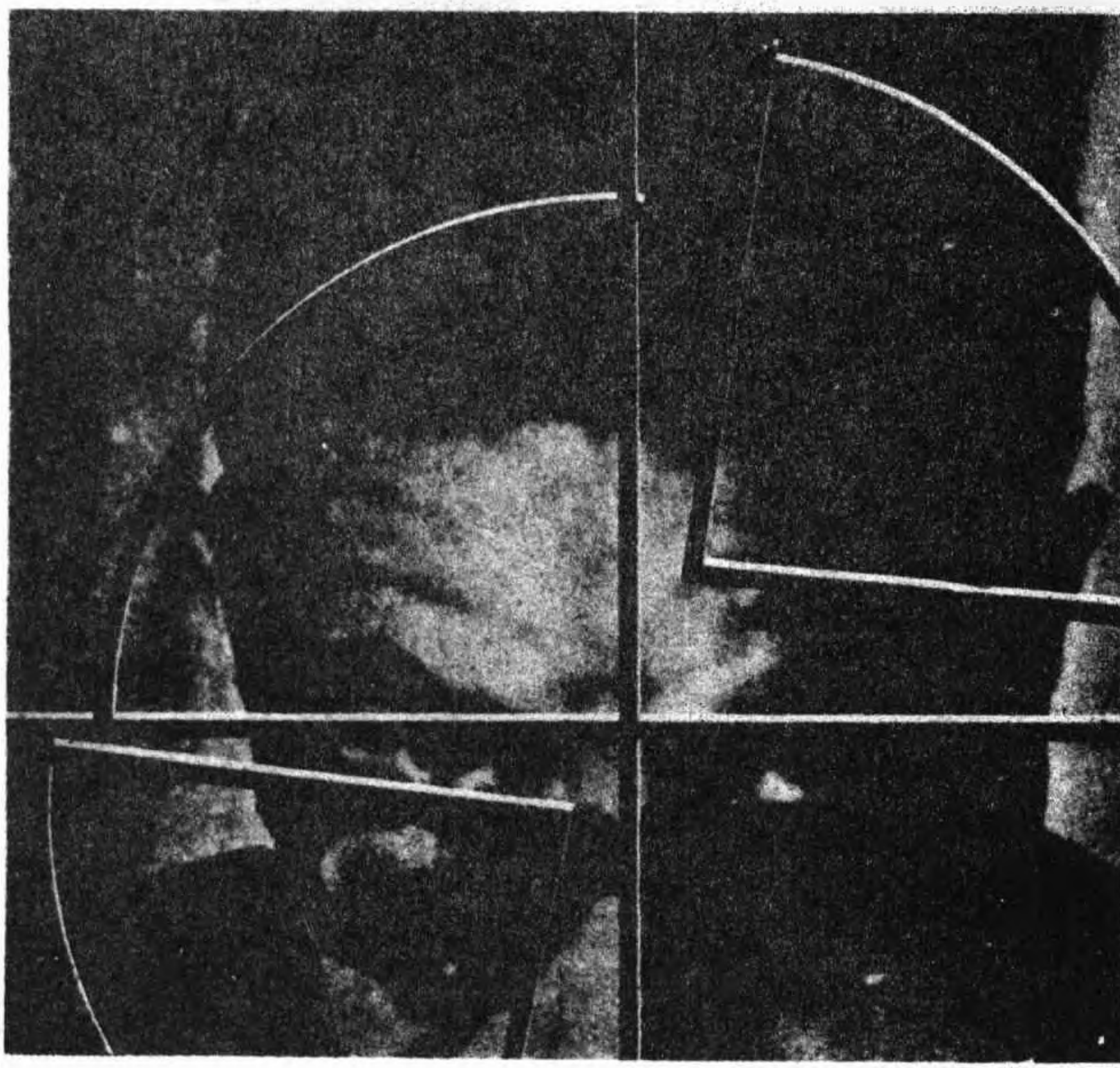
١ ــ يحق لرجل المخابرات أن يستعمل مسدسه أو التهديد به عند اللزوم ضد (جاسوس) مثلا أو شخص مشتبه بعمالته لبلد آخر ، وذلك عند مداهمته منزل هذا العميل حتى يستسلم • ويقيد يداً بيد مع رجل المخابرات لخطورته : وفي حال مقاومته يحق لرجل المخابرات التصرف حسب الموقف • ويجب على رجل المخابرات أن يكون اطلاقه الرصاص في حال المقاومة اذا وجدت في أماكن غير قاتلة على الارجل في أغلب الاحيان لتعطيله عن الهروب • واذا كان رجل المخابرات من الدقة بحيث يصوب على يده ، اذا كانت مقامته للعميل من مكان ظاهر أو مضاء وكانت الرؤيا جيدة •

٢ ــ يحق لرجل المخابرات استعمال مسدسه في حال تعرضه للخطر أثناء قيامه بمراقبة أحد العملاء في ضواحي البلدة وفي الامكنة النائية التي غالبا ما يستعملها العملاء أوكارا لهم لبعدها عن المدينة وضآلة الاشتباه بها • ويكون استعماله لسلاحه ضمن حدود الاوامر المزود بها ، اذ انه من الممكن أن يقتل هذا العميل ويضيع على المخابرات المعلومات التي كان من الممكن أن يدلي بها لدى اعتقاله ، ومنها الدلالة على بقية الاعضاء الذين يتعاون معهم •

٣ — يستعمل رجل المخابرات سلاحه للدفاع عن نفسه في كل زمان ومكان طالما يعمل في هذه المهنة • وبعض رجال المخابرات يسمح لهم باذن خاص بحملهم مسدس حتى بعد احالتهم على التقاعد ، وذلك حماية لهم مما قد يتعرضون له نتيجة عملهم السابق في المخابرات •

٤ — يستعمل رؤساء المخابرات (الضباط) أكثر من مسدس في منازلهم لتعرضهم أكثر من غيرهم للخطر •

٥ — في أغلب الاحيان تكون الاوامر الصادرة الى رجال المخابرات لدى توجههم لاعتقال عميل صريحة وواضحة كالآتي :



القيادة العامـة
المخابرات العربيـة
فرع مكافحة الجاسوسية
رقم/١٤٠/س٠م
تاريخ ١٤/١/١٩٦٥

(أمر مداهمة)

الى فرع الخدمات

ثبت أن العميل الاجنبي المدعو : روبين سكايدن هو عميـل المخابرات الاسرائيلية نتيجة مراقبته مما يستدعي القاء القبض عليه بعد أن استنفذت مراقبته أغراضها . ويخشى فراره خارج البلاد . لذلك يطلب اليكم القاء القبض عليه بتاريخ ١٥/١/١٩٦٥ في الساعة الثانية صباحاً لضمان مفاجأته .

العنوان : معروف من قبل النقيب (حسين) رئيس مفرزة المراقبة الـذي سيشترك في المداهمة .

تنبيه هام : يمنع قتل العميل اذا أظهر أية مقاومة ويجب احضاره حياً . وعلى آمر العملية مسؤولية المحافظة على حياة العميل وافهام العناصر ذلك .

العقيد (أ٠ح) موسى العيد
رئيس فرع مكافحة الجاسوسية

المرسل اليهـم :

ــ نسخة الى السيد قائد شعبة المخابرات (يرجى الاطلاع) .
ــ نسخة الى النقيت (حسين) .
ــ نسخة للحفظ في إضبارة العميل .
ــ نسخة لمقام النيابة العامة إشارة الى موافقتها رقم/٨٣/م تاريخ ١٤ــ١ــ١٩٦٥

القيادة العامــة
المخابرات العامــة
فرع الخدمات

رقم : ٧٢/س م
تاريخ ١٤/١/١٩٦٥
الموضوع : اعتقال عميل •
اشارة : كتاب السيد رئيس فرع مكافحة الجاسوسية رقم ١٤٠/ س م
تاريخ ١٤/١/١٩٦٥ •

امـر مهمـــــــة

استنادا الى كتاب السيد العقيد رئيس فرع مكافحة الجاسوسية بتكليفنا باعتقال العميل الاجنبي (روبن سكايدن) وعنوانه معروف بالدلالة من النقيب (حسين) آمر مفرزة المراقبة ، تتحرك العناصر الآتية بقيادة الرائد عبد الجبار حمدي في الساعة الواحدة والدقيقة الثلاثين من صباح ١٥/١/١٩٦٥ باتجاه منزل العميل وهم :

(أحمد ــ مصطفى ــ جورج ــ غازي ــ عمر ــ أنطون ــ محمود ــ كاظم ــ سالم) ، وتنفيذ عملية الاعتقال كما يلي :

١ ــ أحمدومصطفى وجورج يتمركزون في ثلاثة زوايا خلف المنزل خشية هروب العميل لدى شعوره بالمداهمة •

٢ ــ غازي ــ عمر ــ أنطون يصعدون على السطح احتياطاً لمحاولة العميل الهروب من على السطح •

٣ ــ حسين ــ محمود ــ كاظم ــ سالم للأقتحام وكسر باب شقة العميل بـأي وسيلة ، وذلك لعدم ترك مجال لاي ردة فعل . كالمقاومة أو الهرب أو الانتحار لدى مداهمة الشقة •

الاجراءات التي تتخذ بعد القاء القبض على العميل :

١ ــ ارسال محمود لاستدعاء أحمد ومصطفى من الحديقة خلف المنزل وترك جورج فقط للمراقبة .

٢ ــ في حال تواجد النقيب (حسين) واحمد ومحمد ومصطفى ــ كاظم ــ سالم في الشقة يرسل احمد لاستدعاء غازي وعمر من السطح وابقاء انطون للمراقبة فقط حتى النهاية .

٣ ــ يقود النقيب (حسين) العميل ومعه أحمد ــ محمود ــ ومصطفى وكاظم سائق السيارة الى المركز حالا بعد عصب عينيه .

٤ ــ العناصر الباقية في الشقة بقيادة الرائد عبد الجبار تقوم بتفتيش الشقة تفتيشاً دقيقاً ، ويترك جهاز اللاسلكي في مكانه مع بقية الاشياء التي يشتبه بها حتى حضور الاخصائيين .

٥ ــ تسلح عناصر هذه المهمة برشاشات بريتا مع الذخيرة الكافية اضافة الى سلاحهم الفردي ، وعلى أمين المستودع تنفيذ هذه الفقرة .

المقدم فخري محمـــد
رئيس فرع الخدمات

اعتقال العميل

تلقى الرائد عبد الجبار حمدي أمر اعتقال من رئاسة فرعه ، استناداً الى طلب السيد رئيس فرع مكافحة الجاسوسية الذي أثبت أن العميل اتخذ من صفته واقامته ستاراً للتجسس لصالح المخابرات الاسرائيلية بدلائل واثباتات واضحة نتيجة مراقبته مدة كافية لكشفه، ومن ثم وضعت المخابرات هذه الدلائل تحت تصرف النيابة العامة التي وافقت على اعتقاله حسب الاصول المرعية الاجراء وهكذا توجهت هذه القوة من المخابرات بقيادة الرائد عبد الجبار حمدي الى المنطقة التي يقطن بها العميل ، ثم دخلت العمارة التي يسكن احدى شققها حسب

الخطة الموضوعة . فجرت مداهمتها ومفاجأة العميل وهو في فراشه ، فاعتقل وجرى تقييده يداً بيد مع أحد رجال المخابرات منعاً لأي محاولة منه وسيق الى مركز المخابرات ، ثم المحاكمة كغيره من الجواسيس الذين سقطوا في قبضة المخابرات العربية قبله ...

تقرير تنفيذ المهمة

سيدي العقيد رئيس قسم مكافحة الجاسوسية المحترم .

تنفيذاً للامر الصادر تحت رقم /١٤٠/ س م تاريخ ١٥–١–١٩٦٥ قمت مع العناصر المعينة التي حضرت جميعها ، وكان التنفيذ حسب الخطة الموضوعة من قبل سيادتكم حرفيا – ولدى مداهمة شقة الجاسوس وجد نائماً ، وقد اعتقل من فراشه ، وقد أصيب بالذهول والرعب نتيجة المفاجأة فشلت حركته ، وقد تم تسليمه الى الملازم الاول (صادق) في الساعة الثانية و ٣٥ دقيقة باعتباره الضابط المناوب ، وباشرت التفتيش مع العناصر فوجدنا في الشقة الاشياء التالية :

١ – راديو عادي على يمين سرير العميل من أحدث نوع ، اتضح بعد حضور الخبير المهندس أنه جهاز ارسال واستقبال ، كما أنه بنفس الوقت جهاز راديو عادي اذا استعمله شخص ما غيره ، وقد تم سحب (الارييال) الخاص به، والذي وجد موجهاً الى جهة شمال – شرق .

٢ – زجاجات أدوية مختلفة جرى تغليفها بمعرفة المهندس الخبير ونقلها الى المختبر .

٣ – مسدس بلجيكي نوع براونغ عيار ٩ مم وجد تحت وسادة العميل مع مشط احتياط وعلبة ذخيرة تحوي ٢٥ طلقة ٩ مم وجدوا في درج صغير جانب السرير .

٤ – محفظة نقود (جلد أسود) تحوي ٣٤٠ جنيه استرليني و/٨٠/دولار وصور نسائية عدد /٤/ تقرير طبي باسم العميل صادر من سويسرا يشهد بأنه مصاب بقرحة . شهادة قيادة سيارة دولية صادرة من أنقرة بتركيا .

٥ ــ دفتر صغير للعناوين وأرقام الهواتف .
٦ ــ منافض للسجائر عدد /٣/ ظاهراً عادية ، ومن أسفلها يوجد أمكنة يمكن وضع أي شيء بداخلها كالافلام المصغرة .
٧ ــ كاميرا (كنون) جديدة وبداخلها فيلم (سيجري تحميضه بواسطة الاستديو) .
٨ ــ أوراق رسائل واردة عدد /٨/ منها رسالة مظهرة بالحبر السري تبين الطلب الى العميل بتنفيذ بعض المهمات التي لم يتمكن رؤسائه من مـــن ارسالها له لاسلكياً .
٩ ــ أصابع معجون حلاقة ومعجون أسنان عدد /٥/ سلمت الى الخبير.
١٠ ــ أثاث الشقة ويحوي : خزانة ملابس عدد /١/ واحدة ، سرير للنوم /١/ فرشة ، سيرنك ، عدد ١ ، ملابس مختلفة ١٨ قطعة من قميص وبنطال وجاكيت ، وأحذية ٣ أزواج .

ومن ثم نقلت المصادرات رقم /٣ــ٤ــ٥ــ٦ــ٧/ الى مركز المخابرات ، والمصادرات ١ــ٢ــ٩ نقلت بمعرفة الخبير والمصادرات /١٠/ أبقيناها في الشقة تحت الحراسة بانتظار التفضل بالايعاز بما ترونه مناسباً .

١٩٦٥/١/١٦ المقدم فخري محمد
رئيس فرع الخدمات

وبعد اجراء التحقيق مع هذا العميل تبين أنه من الجنسية الكندية ، وقد دخل البلاد بموجب تأشيرة دخول قانونية على جواز سفره ، وبعد اقامته المدة القانونيةالتي سمح له بها تقدم بطلب اقامة مدعيا بأنه يود افتتاح مكتبا للاعمال التجارية ، وعرض نماذج صناعات لعدة شركات يمثلها . وقدم لذلك عدة كتب اعتماد من شركات تجارية معروفة من قبل غرفة التجارة فجرت الموافقة على منحه الاقامة ، بنفس الوقت قام جهاز مكافحة التجسس لدى المخابرات بوضعه تحت المراقبة الدقيقة من أول يوم ، لافتتاح مكتبه الوهمي بل وكان أول زبون يتعامل معه من المخابرات العربية . واعترف بكيفية تعامله مع المخابرات الاسرائيلية منذ ثلاث سنوات . حيث تعرف على أحد ضباط المخابرات الاسرائيلية في أحد مقاهي

ميدان (دومينيون) في مونتريال بكندا ، ولما علم بحاجته الى عمل عرض عليه التعاون معه في جمع معلومات عن الحركات الهدامة ، وبعد آن وافق على العمل بحكم حاجته تسلم مبلغ /٣٠٠/ دولار كسلفة ، ثم وضع تحت الامر الواقع، وطلب منه السفر الى اسرائيل مدة ثلاثة أشهر تدرب خلالها على مختلف أنواع التجسس ، ثم أعيد الى كندا لينطلق منها كسائح اولا الى البلاد العربية ، ثم يطلب منحه اقامة لانه وجد آن الاعمال التجاريه رائجة ، وهكذا كان .

وجدت محكمة أمن الدولة أن ما قام به من تجسس لا يشكل خطراً على السلامة العامة ، لأن أغلب ما أرسله الى رؤسائه كان تحت اشراف المخابرات ، وانه كأجنبي لا يحمل في قلبه أي وفاء للوطن ، وانه تعاون مع فرع مكافحة التجسس تعاوناً كاملا لدى التحقيق ، وأظهر ندمه على عمله في جميع مراحل التحقيق ، وآكد ندمه في المحكمة وطلب الرحمة . لذلك جرى الحكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات وابعاده عن البلاد .

الكتابة بالحبر السري

هذه الرسالة التي صودرت مع العميل (روبن) من رسائل التجسس التي وردت اليه من رؤسائه في بروكسل . حيث كان يراسلهم . وقد ظهرت الكتابة رقم /٢/ بين سطور الرسالة بعد آن وضع عليها مادة خاصة بكشف الكتابة بالحبر السري .

بروكسل بتاريخ ٢/١٢/١٩٦٤ .

عزيزي روبن :

١ ــ خط عادي : أشكرك على رسالتك الاخيرة والصور الجميلةالتي أرسلتها لنا.
٢ ــ حبر سري من رقم /٢/ وصلت المعلومات وهي جيدة ــ تابع عملك .
١ ــ خط عادي : وأنت على ظهر الباخرة عند سفرك الجميع بانتظار اخبارك .
٢ ــ حبر سري : أعلمنا حالا عن حرك أي وحدات جديدة باتجاه ــ الجبهة .
١ ــ خط عادي: ويسألونني هل تحسنت صحتك في أجواء الشرق التي تحبها .

٢ ـ حبر سري : أعلمنا في حال التعبئة العامة لاسلكيا في ساعة ارسالك .

١ ـ خط عادي : وفي هذه السياحة التي رغبت أن تبقى بعدها للعمل التجاري.

٢ ـ حبر سري : وعند اختفاء الجنود من الشوارع سافر الى (٤) .

١ ـ خط عادي : وهل صحيح أنك ستبقى للصيف . نرجو لك إقامة سعيدة .

٢ ـ حبر سري : واكتب لنا جميع مشاهداتك العسكرية والاقتصادية على .

١ ـ خط عادي : وتنتظر عودتك محملا بالهدايا الشرقية الاثرية .

٢ ـ حبر سري : الطريق ذهابا وايابا ـ يصلك رسائل منا تباعاً .

١ ـ خط عادي : الجميع عندنا بخير وقد افتقدك الجميع خصوصا خطيبتك .

٢ ـ حبر سري : استعلم بحذر عن سبب إحالة اللواء (عمر) .

١ ـ خط عادي : (ماري) تعاقدت للعمل في مكاتب شركة (شل) لغاية .

٢ ـ حبر سري : على التقاعد دفعنا ٤٠٠ دولار حسب طلبك .

١ ـ خط عادي : ١/٥/١٩٦٥ سوف تتسلم منها رسالة قريبا اكتب لنا .

١ ـ خط عادي : مولر سكايدن

٢ ـ حبر سري : رقم /٨٢٠/ .

نصائح إلى رجل المخابرات

هذه النصائح المستمدة من الخبرة في أعمال المخابرات نقدمها الى السادة رؤساء المخابرات العربية :

١ ـ لدى ارسال أكثر من عميل الى بلد واحد . ننصح بعدم معرفة بعضهم بعضاً مهما كانت الظروف .

٢ ـ في حال وجود عملاء من عدة فروع في بلد واحد ومشاهدتهم لبعضهم في أثناء تأدية الخدمة ، ننصح بعدم الالتقاء . وحتى التحية . لكيلا يفوت فرصه المهمة ومن المحتمل أن يكون الطرف الآخر مراقبا من قبل مخابرات تلك البلد، فاذا حيا « زميله » جره معه الى الاعتقال . بينما يكفي لو اعتقل عميل واحد . لأن أكثر ما يبوح به تحت التعذيب هو اسم فرعه ورئيسه . وما يعرفه عنهم . بينما يتابع العميل الآخر مهمته بدون اي ازعاج .

٣ ـ عدم السماح للعملاء والمخبرين بالتجول في فروع المخابرات المختلفة والتعرف على الموظفين ، لأنه في حال انتقال العميل الى الجهة المعادية ، وهذا محتمل الحدوث ، فان ما يعرفه عن المخابرات لا يتعدى معرفته بالفرع الذي كان يتعامل معه (وهذا لا يشكل خطرا كبيراً) .

٤ ـ اعطاء (طلب المعلومات) الى اكثر من عميل في نفس البلدة للتحقيق ومن ثم مطابقة هذه المعلومات عند ورودها من جميع الجهات (هذه الطريقة تكشف العميل او الموظف الذي يقوم بعمله جيداً) .

٥ ـ نفس طريقة الفقرة السابقة ننصح باتباعها مع العملاء الذين يقدمون معلومات من خارج الدولة (طريقة المخابرات البريطانيه) .

٦ ـ طلب تحديد أماكن دائمة لوجود العملاء في البلد الذي يرسلون اليه بغية الاتصال بهم عند الضرورة ، ومثال على ذلك تحديد دار سينما للعميل ، ورقم الصف ، وساعة معينة يكون فيها موجودا مع كلمة السر ، ومن الممكن أن يكون العنوان الدائم في مقهى ـ فندق ـ حديقة عامة .

٧ ـ عندمايكون العميل متزوجاً ، ويرسل بمهمة ننصح بعدم رفقة زوجته، مهما كان السبب لأن بقاءها أضمن لانجازه المهمة .

٨ ـ الاتصال دورياً بالعملاء والمخبرين . والتعرف على مشاكلهم وطلباتهم إن وجدت والعمل على مساعدتهم قدر الامكان للرفع من معنوياتهم وتجديد الثقة بهم .

التدقيق في معلومات العملاء والمخبرين

بعض ضباط الامن (المخابرات) مباحث جنائية ـ يزينون مكاتبهم بالآية الكريمة (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) . « صدق الله العظيم » . هذه الآية الكريمة لا تنطبق على العميل أو المخبر الشريف الذي يقوم بتقديم المعلومات الصحيحة ، والتي تساعد على حفظ أمن الدولة من العابثين والجواسيس . أما اذا كان العميل أو المخبر ممن لا ضمير لهم ، عند ذلك يجب على رؤساء المخابرات

وفروع المخابرات والمباحث الجنائية (تقييم) ما يقدم لهم من الاخباريات والتقارير والتأكد من صحتها . ولدى اكتشاف أي دسيسة بقصد الايقاع بمواطنين شرفاء لمآرب شخصية يجب ايقاف المسؤول فورا عن العمل واحالته الى القضاء اذا لزم الامر بجرم الافتراء ، واشغال السلطات والحاق الاذى بالغير مستغلا وظيفته أو صفته . وان مهنة المخابرات والمباحث الجنائية مهنة حساسة جدا ، ولا يجوز السكوت عن عميل أو مخبر يسخرها للانتقام أو لتحقيق مآربه الخاصة .

كما أن هناك فئة من الناس درجت على ارسال رسائل الى المخابرات والمباحث الجنائية ، تتهم فلانا بالعمالة ، أو بيع المخدرات ، أو أي اتهام خطير يمس أمن الدولة ، وتختم هذه الرسائل بتوقيع (مخبر صادق) ، مثل هذه الرسائل تشغل سلطات الامن فعلا ، فلا هي تهملها ولا تتهم من جاءت بحقه التهمة حالا . ولا بد من اجراءات روتينية تبدأ بالاستعلام والتحقيق عن الشخص المتهم . بما في ذلك وضعه تحت المراقبة الدقيقة حتى اذا ثبت شيء ضده (اعتقل) بعد اعلام النيابة العامة . واذا ثبت العكس يستدعى هذا المتهم لسؤاله عن أشخاص يهمهم الحاق الضرر به ، ويستدعو وتؤخذ عينات من خطوطهم . بمعرفة خبراء الخطوط في المخابرات ، ثم تقارن مع الرسالة الموقعة (مخبر صادق) حتى ينكشف مرسل الخطاب ليلقى جزاءه القانوني ، لأن ما كتبه غير صحيح ولو صحيح أن مصلحته ومصلحة وطنه دفعته للكتابة كما يدعي . لكان وقع باسمه الصريح بل ولحضر بنفسه الى السلطات لاعلامهم .

كيفية اعتقال الجاسوس ومعاملته

جميع أجهزة المخابرات في العالم تعلم أحيانا بوجود جواسيس بالاخبار عنهم من قبل أشخاص حاولوا الاتصال بهم ، او باي وسيلة من وسائلها . فتعمد الى وضع الجاسوس تحت المراقبة الدقيقة ، حتى تعتقله متلبسا بالجريمة مثل وجود جهاز ارسال في غرفته أو وجود تقارير جاهزة للارسال ، أو وجود خرائط أو أفلام مصورة عن المناطق الاستراتيجية ، ونظرا لدقة عملية اعتقال الجاسوس

نظرا لخطورته من جهه امكانية كونه مسلحا ومقاومته أو قيامه باتلاف أدوات التجسس بالتفجير أو الحرق قبل وصول رجال المخابرات اليه، أو قيامه بالانتحار عندما يشعر أنه لا مفر له ، لذلك يجب على رجال المخابرات مراعاة الامور التالية لدى التوجه لالقاء القبض على أي جاسوس :

١ ـ أن يكون وقتاعتقال الجاسوس في الساعة الثالثة صباحا ، لأن الجاسوس يكون في هذا الوقت مستغرقا في النوم ، ولا يتمكن من المقاومة حالا،

لأن أغلب الجواسيس يأوون الى الفراش بعد الثانية أي بعد منتصف الليل بعد التخابر باللاسلكي مع بلادهم ، أو كتابة تقاريرهم .

٢ تفتيشه تفتيشا دقيقا ، وتقييد يديه بعيدتين عن بعضها ، ووضع محرمة أو قطعة قماش في فمه حالا ، وترك تنفسه الطبيعي من أنفه وذلك احتياطا من وجود سن اصطناعية للجاسوس فيها سم . وهذه الاسنان يزود بها الجاسوس الخطر للانتحار عند القاء القبض عليه .

٣ ـ عصب عينيه لدى قيادته من مقر تجسسه ، الى مركز المخابرات، وذلك لاحتمال تبادله في المستقبل مع جاسوس آخر ، حتى لا يدل على مركز المخابرلت.

٤ ـ وضعه في غرفة توقيف خاصة تكون جدرانها ملساء ليس فيها سوى حديد القيد لليدين فقط ، وتكون انارتها مخفية ومحفوظة جيدا ، لاحتمال قيام الجاسوس باجراء ماس ّ في الكهرباء وانتحاره ، ويستحسن ترك رجل المخابرات معه في هذه الغرفة .

٥ ـ لدى إحضاره للتحقيق معه يجب إبقاؤه بعيدا عن النوافذ ، ومراقبته بدقة ويستحسن تقييده مع رجل المخابرات يدا بيد

٦ ـ تهيء المخابرات أماكن خاصة لتوقيف الجواسيس ، تستوفي جميع الشروط المذكورة أعلاه وذلك تحسبا من انتحارهم ، وضياع معلومات قيمة يدخرونها عما قاموا به قبل اعتقالهم .

كيفية اعتقال متهمة بالتجسس

ان نسبة عمل المرأة في الجاسوسية أقل بكثير من نسبة الرجل بسبب تعرض المرأة (كأنثى) الى طلب الرجل في أي وقت •وان أغلب النساء اللواتي سمعنا عن اشتراكهم في شبكات التجسس أو العمالة لبلد ما ، كن يتعرضن الى الوقوع بين يدي الرجال من صناعيين أو مسؤولين أو تجار وحتى ضباط المخابرات ، والبعض منهن كن البادئات في انشاء (العلاقة الغرامية) ، بغية الوصول الى غرضهن • ولكن المرأة هي حواء الضعيفة عندما تتعرض الى منافسة لها تنسى نفسها ، وتدفعها غيرتها العمياء الى ارتكاب أخطاء يكون من نتيجتها اعتقال الجاسوسة نفسها . وتعرض مهمتها للخطر ، ومن كل هذه الاخطار المحدقة بأعمال الجاسوسية يعلن بين كل فترة وأخرى عن اكتشاف شبكة تجسس من ضمنها (امرأة) ، وفي هذه الحالة يجب مراعاة الامور التالية لدى الايعاز باعتقال أي امرأة مشبوهة بجرم التجسس :

١ ــ ايفاد من أمضى مدة طويلة في المخابرات للقيام بهذه المهمة الحساسة•

٢ ــ عدم التأثر من أي مظهر من مظاهر الخداع أو الحركات التي تصدر عن المرأة ومنها التظاهر بالاغماء عند القاء القبض عليها •

٣ ــ تقييدها بالقيد الحديدي (الكلبشة) حسب مقياس معصمها بالضبط. وعدم تركها بدون قيد (مهما كانت صفتها قبل الاعتقال) •

٥ ــ عصب عينيها لدى نقلها من مكان الاعتقال الى مركز المخابرات ثم اعادة عصب عينيها لدى نقلها من المخابرات الى سجن النساء •

٦ ــ يراعى في المخابرات أو في سجن النساء اخلاء غرفتها في كل مايمكنها من الحاق الاذى بنفسها . وعدم ادخالها الغرفة الا بعد تفتيش دقيق من قبل سيدة مسؤولة في المخابرات أو السجن •

٧ ــ ارغامها على ارتداء بنطلون (بدون حزام) ، وذلك لمنع اظهار مفاتنها، اغراء من تحدث له نفسه بالسوء (أثناء التحقيق) •

٨ ـ سحب ما بيدها من مصاغ وخواتم وأدوات الشعر ، مهما كانت صغيرة ، وذلك لكيلا تؤذي نفسها بها .

أما بالنسبة لاعتقال الجاسوس ، فيختلف الامر لأن أهم نقطة يدرب عليها الجاسوس هي (انتحاره) لدى القاء القبض عليه في أول فرصة تسنح له ، وذلك لعدم الحاق الاذى ببقية أفراد الشبكة ، أو لعدم الحاق الاذى بنفس دولته ، لان الجاسوس معرض بعد القاء القبض عليه للتشهير به في الاذاعة والتلفزيون ، وطلب اعترافه أمام الجماهير بأنه كلف بالتجسس ، ويمكن انتحار الجاسوس بالطرق الآتية :

١ ـ بتناول كمية من السم تعطى له ضمن أحد أسنانه او مكان آخر لحين الحاجة[١] .

٢ ـ الانتحار شنقاً باي وسيلة ـ شرشف ـ حرام ـ طرف القماش ـ بالتعليق في شباك السجن أو شباك التواليت أو الحمام .

٣ ـ الانتحار بالقاء نفسه من علو شاهق اذا كان مركز التحقيق في الطوابق العليا [٢] .

٤ ـ قطع الشريان بأي وسيلة وبأي شيء حاد كالشفرات أو قطع الزجاج او ما شابه ذلك .

لذا ينصح باتباع جميع وسائل الاحتياط لحفظ حياة الجاسوس (الغانية).

□ □

---

(١) وجدت مع الطيار الاميركي الجاسوس الكابتن (بورز) انبوبة سم لم يستعملها

(٢) القى الجاسوس الروسي الياباني مياجي بوتوكا نفسه من علو عشرة أمتار لدى التحقيق معه في ادارة الامن اليابانية للانتحار . وحاول أحد جواسيس اسرائيل الانتحار عندما كنت مكلفا بالتحقيق معه من الطابق الثالث لولا انني ادركته وقمت بتقييده بالقيد الحديدي لانتحر كما دربته المخابرات الاسرائيلية .





ترتيب المخابرات

وفي هذا الكتاب لا نقدم سوى ما تمكنا من معرفته والاطلاع عليه من أعمال وانجازات المخابرات التي تحرك العالم فعلا ، وهي :

١ ــ المخابرات السوفيتية .

٢ ــ المخابرات المركزية الاميركية .

٣ ــ المخابرات البريطانية (الانتلجانس سرفيس) .

٤ ــ مخابرات الصين الشعبية .

٥ ــ مخابرات حلف شمال الاطلسي .

٦ ــ المخابرات الالمانية الغربية (الجستابو) قبل استسلام المانيا (حاليا المخابرات الاتحادية) .

٧ ــ المخابرات الفرنسية .

هذا الترتيب الى نسبة مكانة المخابرات وعملها وانجازاتها ، لا يعني أن مخابرات الصين الشعبية مثلا أقوى من المخابرات الافرنسية ، بل كان هــذا الترتيب من الناحية التقنية فقط .





المخابرات العربية

يعرف الجميع أن المخابرات العربية قد أصبحت من القوة بحيث لها رجالها المحترفون ومنجزاتها في حقل التجسس ، تضاهي المخابرات الاجنبية حتى انها تستعمل أحدث ما وصل اليه فن التجسس من مخترعات دقيقة ، وقد دربت رجالها على استعمال جميع هذه المخترعات والاجهزة منذ سنين اما بدورات تدريبية في الدول المنتجة لهذه الاجهزة ، واما باستخدام الخبراء من هذه الدول لنفس الغاية .

ولم يعد سراً بأن للمخابرات العربية الان شبكات تجسس منظمة على أحدث الطرق ، وموزعة في أماكن مدروسة ، تعمل في البلاد التي يهم الدول العربية معرفة أسرارها ، والاطلاع على ما يجري فيها وهذه الشبكات تعمل بانتظام تام وسرية مطلقة منذ انشائها ، ونادرا ما يتعرض بعضها الى الكشف وذلك بفضل حسن تدريب رجالها على أيدي أخصائي المخابرات العربية وتقوم هذه الشبكات بتزويد المخابرات العربية بجميع ما يطلب منها أولا بأول ،



وبمختلف الوسائل ، وأبطالها نذروا أنفسهم لخدمة بلادهم بصمت وصبر ،حتى يتحقق النصر بعون الله • وليس من دليل صادق على أن مخابراتنا العربية تقوم بواجبها خير قيام مما يطلع عليه القراء من هذا الكتاب أو غيره من الصحف والمجلات العربية والاجنبية أو قراءة أخبار اكتشاف بشبكات التجسس العديدة في سورية ــ لبنان ــ العراق ــ الاردن ــ جمهورية مصر العربية وحتى في بعض دول الخليج العربي •

أما في العراق ، فقد اكتشفت عدة شبكات تجسس أهمها (شبكة تجسس البصرة) والتي حكم على أغلب أعضائها بالاعدام شنقا ، ونفذ الحكم فيهم صباح ١٩٦٩/١/٢٧ ، وبعدها اكتشفت عدة حالات تجسس ، ونال جميع العملاء جزائهم العادل بفضل يقظة رجال شعبة الاستخبارات العراقية •

وفي الاردن اكتشف أفراد يقومون بالتجسس لصالح العدو ، وحكم على أغلبهم بالاعدام ، وقد نفذ الحكم في الساحة العامة قرب مسجد الحسين في

عمان . لان المعروف ان رجال المخابرات الاردنيه يقظون جدا ، ولا سيما . ان أغلبهم تلقوا تدريبهم خارج المملكة الاردنية الهاشمية وفي دورات خاصة .

وفي دولة الكويت لا يوجد مجال لقيام الاعداء بالتجسس لان جميع المقيمين في الكويت معروفين من قبل رجال الامن ، بالاضافة الى آن كل شخص مقيم في الكويت قد ضمنه مواطن كويتي لدى السلطات وهذا الضامن يسمى (الكفيل) ، يكون على اطلاع عما يقوم به من اعمال ، حتى اذا ظهر منه أي شك يكون الكفيل تلقائيا أول من يعلم السلطات عن هذا الشك لاسيما وقد كان سمو الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء يرأس وزارتي الدفاع والداخلية منذ سنوات وقد أرسى سموه بذلك دعائم الامن والطمأنينة بفضل اهتمامه شخصياً بجميع الامور المتعلقة بالامن مباشرة وقد استلم الامانة منه سعادة الشيخ نواف الاحمد فكان خير خلف لخير سلف لمتابعة السهر على أمن الكويت يعاونه في ذلك سعادة اللواء عبد اللطيف الثويني الذي يسهر الليالي ليرعى مصالح وزارة الداخلية ومنتسبيها والسيد العميد محمد الحمد مدير الامن العام الذي كان له الفضل في تفويت عشرات الفرص على أعداء الكويت عندما كان يرأس المباحث الجنائية ويعتبر العميد الحمد بحق العين الساهرة مع جميع رجال الامن والشرطة الكويتيين الذين يقفون بالمرصاد لكل من تسول له نفسه العبث بأمن الكويت حيث اكتشفوا العديد من جرائم التجسس وأحبطوا غيرها في مهدهـا بفضل سهرهم وقدمـوا الجناة للقضاء الكويتي العادل لينالوا جزاءهم بما اقترفت أيديهم بحق الكويت وطن الجميع .

وللمخابرات السورية (شعبة المخابرات) وقائع ثابتة في مراقبة العملاء ضمن الاراضي السورية ، والقاء القبض عليهم متلبسين بجرائم التجسس ، أو حتى لدى ابتداء مهماتهم التجسسية وتقديمهم للمحاكمة ونيلهم الجزاء العادل . وذلك هو الاعدام في آغلب الاحيان والحالات الثابتة .

ومن التراب الوطني في الجزائر يقف عشرات من رجال المخابرات التابعين لجيش التحرير الوطني في الجزائر بالمرصاد لجميع العملاء . الذين يتربصون للنيل من المنجزات الثورية الضخمة في الجزائر . أو الذين تدفعهم الامبريالية ومن ورائها الصهيونية للاطلاع على هذه المنجزات ، فيجدون أنفسهم في قبضة المخابرات الجزائرية . كقضية اكتشاف شبكة تخريب معادية للجزائر في ١٠/١/ ١٩٧٦ بعد القـاء قنبلة على مكاتب مجلة المجاهد الجزائرية الرسمية بتاريـخ

١٩٧٦/١/٣ • وقد سببت هذه القنبله بعض الاضرار المادية فقط بينما كان لها تأثير معاد فانطلقت المخابرات الجزائرية تبحث عن الفاعلين حتى اعتقلتهم بعد أيام رغم محاولاتهم الهرب • وقدموا للمحكمة في مدينة ميديا التي تبعد ٩٠ كيلو مترا الى الجنوب من الجزائر وهم :

١ ــ اسماعيل محمد جبر ــ جزائري •

٢ ــ سلبي جاي ــ ويحمل الجنسية الاميركية من ولاية بنسلفانيا •

٣ ــ نويل شيريد افرنسي (صودر معه جواز سفر ايطالي مزيف وبطاقة جنسية اسبانية مزيفة أيضا) وهو من مواليد الجزائر •

وبعد المحاكمة صدر الحكم عليهم بالاعدام رميا بالرصاص ، عملا بالقانون الجزائري • وتستمر المخابرات الجزائرية عينا ساهرة ترصد العملاء ، وكل من تسول له نفسه بأمن الجزائر •

وفي ليبيا الثورة ••• أصبحت المخابرات الليبية تضم خيرة الضباط الليبيين المدربين ، خصيصا لمكافحة التجسس ، وتعتبر المخابرات الليبية الآن من أحدث المخابرات بحيث بدأت نتائج أعمالها بكشف العملاء والجواسيس الذين وفدوا الى ليبيا ، بعد أن أصبحت ملاذا للاحرار ، ومن أخبار المخابرات الليبية اعتقال أحد الجواسيس الخطرين في طرابلس الغرب ، واعترافه الكامل بالاعمال التجسسية التي قام بها في ليبيا من الاطلاع على المرافق العامة ، وتسقط الاخبار والدس • وقد أشرف على التحقيق مع هذا الجاسوس سيادة الرائد الخويلدي الحميدي ، عضو مجلس قيادة الثورة في ليبيا شخصيا •

والمخابرات اللبنانية (الشعبة الثانية) لها نشاط واضح في معرفة تحركات الجواسيس ورصد أعمالهم ، وقد اعترفت السلطات الاسرائيلية نفسها باكتشاف (عملاء) للمخابرات اللبنانية داخل اسرائيل •

ولعل أهم مخابرات بالنسبة للدول العربية هي (المخابرات الحربية)المصرية في القاهرة ، بحيث أصبحت هذه المخابرات من القوة لاكتشاف العملاء حتى في أوربا ، وقبل حضورهم الى مصر للتجسس •

وفي القاهرة اكتشفت معظم شبكات التجسس لصالح اسرائيل واميركا ، وأهمها اكتشاف الجاسوس الالماني (لوتز) الذي كان يقوم بالتجسس على العملاء الالمان الذين يعيشون ويعملون في المصانع الحربية المصرية •

وقد اعترف وحكم بالسجن المؤبد (لم يجر اعدامه كما هي العادة نظرا لقيمته وقد صح ذلك عندما سلمت اسرائيل (ج٠م٠ع) مقابلة خمسة آلاف أسير كانت ستسلمهم على كل حال • لكن اسرائيل فضلت مبادلة جاسوسها بالخمسة آلاف أسير ، لرفع معنويات جواسيسها الذين أخذوا يتساقطون بفضل يقظة المخابرات العربية • ودرجت المخابرات في أغلب الدول العربية على بذل جهودها لكشف الجواسيس • ومن جملة الاجراءات التي تتخذها هذه المخابرات (المراقبة الهاتفية) ، وطريقة المراقبة الهاتفية مأخوذة عن الدول الغربية وعلى رأسها أميركا فقد علمنا أنه في عام ١٩٦٥ فقط قامت المخابرات المركزية الاميركية بمراقبة وتسجيل (٣٩ مليون مخابرة) بطريقة غير شرعية ، منها مايتعلق بالتجسس على أشخاص موضع شك المخابرات ، ومنها ما يتعلق بالتجسس الصناعي ، أو ما يتعلق بالضرائب ، وبالاضافة الى رقابة المخابرات هذه على الهواتف هناك (مؤسسات خاصة) غير قانونية تقوم بالمراقبة الهاتفية لقاء أجر • وقد بلغ عدد الخطوط التي تراقبها احدى هذه المؤسسات في نيويورك وحدها (٦٠ ألف خط) ولم تكن هذه المراقبة تتعمد الاشخاص بقدر ما كانت تستعمل لمراقبة هواتف صناع وتجار الادوية .وحتى في بريطانيا تم اكتشاف مؤسسة كانت تقوم بمراقبة حوالي /١٢/ ألف خط من خطوط الهاتف ، وتقدم أسرار هذه الخطوط الى عملائها •

أما في البلاد العربية فلا يوجد سوى رقابة روتينية خاصة عندما يوجد (شك) في شخص أجنبي أو (وطني) مشتبه به ، فتوضع المراقبة الهاتفية على هاتفه ، وتسجل مكالماته لتكون دليلا عليه فيما بعد •

ولطالما كشفت بعض المكالمات الهاتفية (ضمن المراقبة) أشياء تمس أمن البلاد ؛ بحيث كان المتكلمون لا يشعرون أن كلامهم مسجل •

أما المراقبة البريدية فلا تتعجب عزيزي القارىء اذا وجدت على بعض رسائلك جملة (فتح بمعرفة الرقابة) أو حرفي (ر٠ع) أي (رقابة عسكرية)،

فهذا يعني أن رسالتك فتحت ولكن ذلك اجراء روتيني ، وموظف المخابرات المسؤول عن المراقبة له (حاسة سادسة) يعرف بها الرسالة التي يجب أن تفتح وتراقب فعلا ....

هذا العرض الموجز الذي تسمح بنشره ضرورة الامن القومي للبلادالعربية عن بعض المنجزات للمخابرات العربية ، بينما نمسك عن أهم من ذلك بكثير حتى لا تستفيد منه المخابرات الاسرائيلية التي لها عيون وآذان من ذوي الضمائر الضعيفة مع الاسف .

إعتراف إسرائيل بالتجسس العربي عليها

خير دليل على وجود شبكات تجسس للدول العربية داخل المدن الاسرائيلية المختلفة وبشكل منتظم ، هو اعتراف اذاعة اسرائيل بنشرة أخبارها المذاعة في الساعة الثالثة والنصف من تاريخ ــ ١٩٧٣/٢/٢ عن اكتشاف شبكة تجسس تعمل لصالح سورية في قلب تل أبيب . واعتقال أفراد هذه الشبكة وبينهم بعض اليهود الذين ألحقوا ضررا بالغا بأمن اسرائيل . نظرا لما نقلوه من معلومات ووثائق سرية عن وحدات جيش الدفاع الاسرائيلي.وقواعد تدريبيةوحواجزالامن وبالاخص عن المظليين الاسرائيليين الى المخابرات السورية. وقد اعترفت السلطات الاسرائيلية فيما بعد بخطر هذه الشبكة. وقالت بأن اسرائيل منذ انشائها تعرضت للتجسس من قبل جواسيس . أغلبهم يعمل للاتحاد السوفياتي والكتلة الشرقية ، على أساس ايديولوجي . ولكن هــذه المرة الاولى التي يظهر فيها شبان يهود يتجسسون ويحملون السلاح في شبكة مشتركة مع العرب (المخابرات السورية) وباختيارهم لدرجة الاستعداد للمساهمة في أعمال تخريب . ضد أمن اسرائيل.

عُـمَلاء من إسرائيــل

كتبنا عن وجود عشرات العملاء من اليهود أنفسهم يتعاملون مع المخابرات العربية طوعا وبدافع حقدهم على الحكام الاسرائيليين العسكريين.ومن ثم قبضهم الاموال الطائلة من المخابرات العربية . وذلك لتمكنوا من العيش داخل اسرائيل

في مستوى لايعادل حتى ثلث المستوى الذي كانوا يعيشون فيه في دول أوروبا عندما غررت بهم الدعاية الاسرائيلية ، وصورت لهم أن اسرائيل أصبحت جنة • وفاتها أن تذكر لهم أن الالاف من اليهود الذين غررت بهم بهذه الصورة ينوون العودة الى بلادهم لولا منع السفر من اسرائيل وقد آذاعت السلطات الاسرائيلية بتاريخ ٢٦ / ١٢ / ١٩٦٨ أنها اعتقلت المدعو (أندرية بن ياري) وهو يهودي مغربي عمره / ٢٧ / عاما لـدى وصوله الى حيفا بتهمة الاتصالات بالمخابرات العربية السورية طيلة خمس سنوات حسب اعترافه شخصيا • وهـذا اليهودي الشرقي خسرته المخابرات العربية ، ولكن بقي العشرات غيره في اسرائيل يبعثون الى مخابراتنا عن كل مايجري هناك • وبقي على مخابراتنا أن تحسن الاستفادة من معلوماتهم عن اسرائيل •

المخابرات العربية خدعت اسرائيل

ان أقمار التجسس الاميركية ولا شك أيضا السوفايتية تستطيع الان آن تلتقط صورة علبة سجائر من على ارتفاع ٨٠ ميلا في الفضاء • ومعنى ذلك أنها تستطيع التقاط الصور لاية أهداف تفصيلية على سطح الارض بوضوح الرؤيا المباشرة للعين ، الامر الذي يجعل اخفاء الاسرار عن الدول الاخرى شبه مستحيل •• ؟

الامر لا يقتصر على هذا الحد ، فليست المسألة مجرد تصوير الاهـداف بواسطة أقمار التجسس وانتظار الافلام لتحميضها ، بل ان الذي يحدث حاليا أن الولايات المتحدة أقامت شبكة متكاملة من الطائرات والمراكز الارضية ، بحيث يمكن الحصول على أي معلومات فوق أي مكان في الكرة الارضية خلال دقائق معدودة• وعلى سبيل المثال فان المحادثات التي تجري في الجو بين طياري المقاتلات السوفياتية تصل فورا الى العقول الالكترونية في مركز المخابرات الاميركية في ضواحي واشنطن ، بحيث تترجم وتقدم للمسؤولين خلال ١٠ دقائق فقط •

والحقيقة أن المخابرات الاميركية بما لديها مـن اقمار صناعية للتجسس والمخابرات السوفياتية آيضا ، بأقمارها الصناعية الحديثة عـلى دراية تامة بما يجري فوق مناطق العالم ، وخصوصا الشرق الاوسط • وثمة خبر مبالغ فيه يقول

ان المخابرات الاميركية كانت تلتقط بواسطة الاقمار التجسسية أصوات ملء ساعات القادة السوفيات والصنيين لدى حضورهم تجارب اطلاق الصواريخ في المواقع السرية، وقد يظهر ذلك للقارىء كالسحر ، ولكنه ممكن جدا لان التقدم العلمي في هذا العصر أنجز مثل هذه الامور بل وأغرب منها حتى ماقبل حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣ ، ومع ذلك فآجأ الجيشان المصري والسوري اسرائيل ، بما اتبعاه من خطط تمويهية أغرب من الخيال . ومنها على سبيل المثال الاعلان في وسائل الاعلام المصرية بالسماح لاعداد كبيرة من الجنود المصريين بأداء فريضة الحج الى الديار السعودية .. وعدم اعلان التعبئة في سورية واختيار (يوم الغفران) لدى اسرائيل ، ليكون موعدا للهجوم عليها . وغير ذلك من الامور التي لا يسمح الامن بنشرها الان ، وأهم من ذلك كله (وحدة الكلمة) ، والسرية المطلقة في تحديد ساعة الهجوم على اسرائيل (ساعة الصفر) ، التي لم يعلم بها سوى أشخاص يعدون على أصابع اليد ، ومنهم بالطبع الرئيسين انور السادات وحافظ الاسد والمرحوم المشير أحمد اسماعيل واللواء مصطفى طلاس والشخص الخامس كان المغفور لـه الملك فيصل بن عبد العزيز .. وهكـذا دخلت حرب تشرين التحريرية (التاريخ) الحديث ، وتحـدى الجيشان المصري والسوري غطرسة جيش اسرائيل الذي ملأ الدنيا دعاية بعد حرب حزيران ١٩٦٧، بأنه الجيش الذي لا يقهر ، كما تحدى هذان الجيشان الاقمار الصناعية الاميركية ودقتهـا وخصائصها .. فهل يكرر الزمان .. حرب تشرين أخرى يكون من نتيجتها تنفيذ مقرارات مجلس الامن بالقوة ،وحصول الشعب الفلسطيني على حقوقه الوطنية بالعودة الى التراب الوطني الفلسطيني ، واعلان قيام (الجمهورية العربية الفلسطينية) دولة علمانية يتعايش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود ؟ ليعم السلام وتنتهي هذه المأساة ، ونعود للصلاة في المسجد الاقصى وقرب الصخرة المشرفة كما كان يتمنى المغفور له الملك فيصل وان غدا لناظره لقريب .

المخابرات الاسرائيلية تزرع وتصدّر المخدرات

على أثر تعاون سلطات الامن في لبنان وجمهورية مصر العربية وتركيا للحد زراعة (حشيشة الكيف) ، ونجاح هذا التعاون بانخفاض موجـة التهريب

وتعاطي المخدرات عمدت المخابرات الاسرائيليه الى زيادة مساحات الاراضي التي تزرعها بالحشيش في سيناء المحتلة، ومن ثم تهييء المحصول من الحشيش لتسلمه الى عملائها بدون مقابل ، لكي يغرقوا الشعب المصري بالمخدرات التي تلهيه عن تحسس مسؤولياته تجاه التحرير حسب الخطة التي وضعوها •

كيف تنقل المخدرات إلى مصر؟

بعد عدوان عام ١٩٦٧ هاجر المواطن المصري سليمان سلمان سليمان من سيناء الى القاهرة أسوة بمواطنيه ، وعاش فيها عيشة فقر وحاجة نظرا لعدم امتهانه أية (صنعة) سوى النقل سابقا على ظهور الجمال في سيناء • وفي أحد الايام زاره (بدوي) من معارفه السابقين ومن سكان سيناء • ولما شاهد حالته دعاه الى سهرة في أحد الملاهي ، وقدم له الخمر والمأكولات الشهية بالاضافة الى صحبة احدى الخاطئات مما جعله يعيش في جو طالما كان يشتهيه • وفي أثناء الحديث عرض عليه أن ينشله من حالة الفقر التي يعيشها ، وسيجعله (يجاريه) في الثراء وصرف الاموال على الملذات فقبل (سليمان) عرض (البدوي) دون مناقشة ، وفي اليوم التالي توجها الى (سيناء المحتلة) حيث يتوافر الحشيش • ودهش سليمان عندما وجد (شريكه) يستقبل من احد ضباط المخابرات الاسرائيلية ، ويتسلم منه (مخدرات) قيمتها (آلاف الجنيهات) ولما سأل سليمان (البدوي) كيف يستطيع دفع قيمة هذه المخدرات ضحك ضابط المخابرات الاسرائيلي وقال له : اننا كل مانريده منك هو (كلام) فقط أي معلومات •

وافق سليمان حالا بدون تردد ، لانه سيحصل على مخدرات ، ويبيعها في مصر بآلاف الجنيهات بدون أن يدفع قرشا واحدا ، ويحقق أحلامه • أما الضابط الاسرائيلي فقد ضحك مرة ثانية في سره وهو يقول : (عصفورين بحجر واحد ، المخدرات تدخل مصر ليزداد المدمنون عليها ، وكسب عميل جديد للمخابرات الاسرائيلية) •

سلم في المرة الاولى كمية من المخدرات يستطيع نقلها الى القاهرة • وفعلا كان عند حسن ظنهم باعها سريعا الى بعض ضعاف النفوس ، وعاد الى سيناء ليدخل دورة تدريبية على أصول التجسس ، تعلم استعمال الحبر السري في كتابة

الرسائل ـ لقنوه شيفرة خاصة تعتمد على الحروف الابجدية كل حرف له معنى ـ جعلوا طريقة الاتصال به :

١ ـ موجة خاصة يلتقطها براديو ترانزستور عادي في وقت معين وساعة معينة، ويكون البث بالشيفرة الابجدية التي تعلمها .

٢ ـ الكتابة له من بلد عربي عن طلباتهم وباسم شخص عربي غير موجود اصلا .

٣ ـ استلام رسائله بالحبر السري من بلد أجنبي .

كما لقنوه مايحتاجه من فنون التجسس وكيفية جمع المعلومات العسكرية والاقتصادية والاجتماعية، وعينوا له الاماكن العسكرية التي يهمهم أمر الحصول على معلومات دائمة عنها . كما طالبوه باتخاذ أصدقاء مهمين ، ومن اصطحاب المراكز الحساسة بغض النظر عن رتبهم .

المخابرات العربية بالانتظار

أنهى سليمان دورته التدريبية بنجاح،وعاد الى القاهرة محملا بكمية جديدة من الحشيش ، باعها ، وأبدل بثمنها اللباس (البدوي) باللباس (الموردن) . واستأجر شقة فخمة في مصر الجديدة ثم اشترى سيارة فاخرة . وأخذ يعيش كما اشتهى ، متنقلا بين الملاهي وبنات الخطيئة . اما زوجته البدوية الفقيرة فقد طلقها ، ليتزوج من حسناء تعرف عليها في لياليه الحمراء .

أرسل بعض التقارير بالحبر السري ، واستلم تعليمات جديدة بالراديو . وعندما زاره الجندي في القوات المسلحة المصرية فوزان سليمان حسين شقيق زوجته البدوية المطلقة ليستفهم منه عن سبب طلاق شقيقته ، أغدق عليه المال والهدايا ، وطلب منه امداده ببعض المعلومات عن وحدته . فلم يمانع وهكذا نسي الجندي ماجاء من أجله وانغمس في التجسس .

وسع سليمان دائرة معلوماته ، وأخذ يبعث الرسائل الى عنوان عميل للمخابرات الاسرائيلية في أثينا (باسم مستعار) وبالحبر السري . وكانت هذه الرسائل تقع بين يدي خبراء (المخابرات العربية) الذين استطاعوا قراءة

محتوياتها المكتوبة بطريقة الحبر السري ، (يكتب رسالة عادية فيها سلامات وأشواق ، ويكتب المعلومات المطلوبة بين السطور بالحبر السري) .

ألقي القبض على سليمان من قبل المخابرات العربية متلبسا بالجرم المشهود وهو يضع باحدى هذه الرسائل في صندوق البريد بعد مراقبته، واستئذان النيابة العامة . واقتيد الى شقته ، ليجد رجال المخابرات (المرأة الحسناء) باتنظاره وقد صودرت من الشقة جميع أدوات التجسس كما ألقي القبض فيما بعد على الجندي فوزان الذي اعترف بدوره في هذه العملية ، وقدم الاثنان الى المحكمة العسكرية في القاهرة التي حكمت عليهما بالاعدام واقتران هـذا الحكم بتوقيع رئيس الجمهورية ، بسبب عدم وجود أي داع للرأفة بهما . ونفذ الحكم شنقا بسليمان في أحد سجون الصحراء ، بينما نفذت فرقة رماة مؤلفة من أمهر رماة البحرية ـ المشاة ـ الجو المغاوير حكم الاعدام رميا بالرصاص بالجندي فوزان في أحد السجون العسكرية بالقاهرة . وهكذا لقي الاثنان جزاء ما اقترفا بحق وطنهما . ليبحث ضابط المخابرات الاسرائيلي عن عملاء جدد من ضعاف النفوس .

تجنيد عميل جديد للمخابرات الاسرائيلية

حصل الطالب الاردني عبد الله أبو ندا من مواليد القدس ١٥ أيلول ١٩٤٧ على جواز سفر رقم ٥٩٠٣٦٧ بتاريخ ٤ نيسان عام ١٩٦٧ من دائرة الامن العام بالقدس ، وسافر الى القاهرة ، ليتلقى علومه في مدرسة مصر الجديدة الثانوية ومعهد التليوميونيكشتز . وبعد ذلك حصل العدوان الاسرائيلي ، وخضعت القدس للحكم العسكري الاسرائيلي وحضر الطالب باجازة في صيف عام ١٩٦٩ . وعندما حاول العودة لاتمام دراسته في القاهرة توجه الى مكتب الحاكم العسكري في القدس للحصول على أذن بالسفر ، فلم يستطيع بسبب التعقيدات التي فرضت على المسافرين ، فتوجه الى رام الله لمقابلة ضابط اسرائيلي يدعى (أبو ابراهيم) ، سبق أن تعرف عليه في محل تصليح تلفزيونات هناك . لكنه علم أن الضابط الاسرائيلي نقل الى القدس فعاد الى القدس واستقبله أبو ابراهيم الذي سبق أن عرض مساعدته عليه عند الحاجة ، وأمهله الى اليوم التالي ثم تكرر

امهاله ستة أيام كان الضابط خلالها يسأله عن حياته،وعن الوضع في مصر ويؤكد له صعوبة تأمين اذن سفر له • وفي اليوم السابع قدمه الى (رائد) في المخابرات الاسرائيلية يدعى (أبو سمير) الذي أمهله أيضا يومين وفي هذه الاثناء استفسر منه عن الوضع في مصر وعن حالته المادية شخصيا ، وفي اليوم الثالث فاجأ أبو سمير الطالب بقوله لقد حصلنا لك على اذن خاص بالسفر الى القاهرة بشرط أن تتعاون معنا في جمع المعلومات في القاهرة • ونحن نؤمن لك جميع نفقات الدراسة ، فلم يمانع الطالب بسبب (الجو) الذي وضع فيه • وبدأت المخابرات الاسرائيلية تدربه لمدة أربع ساعات يوميا على التمييز بين الاسلحة المختلفة وعلى الكتابة بالحبر السري وبعض فنون التجسس ولما انتهى تدريبه سافر الى القاهرة بعد أن طلبوا منه أن يبدأ رسائله بالرقم (١٤٣) ، ويوقعها بكلمة (فرحان) ، ويوجهها الى شخص يدعى : رمزي حسن وعنوانه اسكوتلنده ــ هـ ــ كارافان ١٤٦ ــ كامبهيل ــ غلاسكو •

Ranzie Hassan. Scotland. H. Crahvan 146. Camphill : Glasgow

وأن رسائلهم له تبدأ بالرقم (٢٤) أو (٣٧) أن يكون صداقات للمساعدة في جمع المعلومات كما طلبوا منه مايلي :

١ ــ ملاحظة التحركات العسكرية في القاهرة مهما كانت •

٢ ــ زيارة منطقة حلوان والمقطم •

٣ ــ التجول في العباسية •

٤ ــ السفر من القاهرة الى الاسكندرية ذهابا عن الطريق الزراعية وايابا عن الطريق الصحراويـــــة •

ــ زيارة مدينة (المنصورة) •

ثم الكتابة لهم عن جميع مشاهداته بعد تنفيذ هذه التعليمات • وعندما استقر به المقام في القاهرة قام بجولة حسب طلب المخابرات الاسرائيلية • وأرسل

لهم رسالة تتضمن جميع مشاهداته • وفيها المعلومات العسكرية عن المواقع التي مر بها ، ثم بدأ البحث عن أصدقاء فعثر على أحد العسكريين من ذوي الضمير الوطني المخلص الذي بادر الى اعلام رؤسائه بما طلب منه ، فطلبوا منه موافقته لكشف الطالب الاردني • فأخذ يزوده ببعض المعلومات والوثائق (بمعرفة المخابرات العربية) • وطبقا لخطة المخابرات كان الجندي المصري يدعي العلم حينا ، وينفي معرفته أحيانا ، لكي لا يدع مجالا للشك به وقد بلغت رسائله الى المخابرات الاسرائيلية / ٦ / رسائل وبطاقة بريدية (تحت رقابة المخابرات العربية) •

النهـــاية

أعلمت النيابة العامة بكل ذلك وحتى يتم ضبط الطالب بالجرم حمل اليه الجندي احدى الوثائق ، فقبض على الاثنين بحضور النيابة العامة ، واعترف الطالب بما أقدم عليه وقدم للمحكمة بينما رقي الجندي الى رتبة ملازم تقديرا لاخلاصه لوطنـــــه •

جـاسوس جديد

جمال حسنين ـــ من مواليد ٢٩ /١٠/ ١٩٤١ القاهرة أتم تعليمه الثانوي ثم حصل على دبلوم (في المساحة عام ١٩٦٢) ، وعين في مصلحـــة المساحـــة بالقاهرة براتب شهري ـــ ١٦ ـــ جنيها ، وفي أيام العطل الصيفية تمكن مـــن متابعة الدراسة والحصول على دبلوم الدراسات الصيفيـــة المعهـــد الاولمبي بالاسكندرية عام ١٩٦٨ •

لم يقنع جمال براتبه ، وما كان يحصل عليه من الأعمال الاضافية بالتدريس فقرر السفر الى الخارج ، لتحقيق أحلامه بالغنى السريع خصوصا بعدما كان يسمع من العائدين من بيروت والكويت واليونان •

تقـــدم بطلب الحصول على اجازة (بدون راتب) من عمله في مصلحـــة المساحة ، فسمح له بستة أشهر سافر خلالها الى بيروت ، وأخـــذ يبحث عـــن

عمل بدون فائدة ، أمضى في بيروت ثلاثة اشهر ، وهـو يتسكع في مقهى فاروق • عاد الى عمله ، وحاول الحصول على اجازة ثانية للسفر الى اليونان هذه المرة ، فرفض طلبه فقدم استقالته ، وتوجه الى اليونان • ونزل في أحد فنادق مدينة (بيريه) وظل يبحث عن عمل في البحر أو الفنادق • فلم يوفق حتى نفذت نقوده فاضطر للعمل (عامل بناء) مقابل ما يعادل ـ ٧٥ ـ قرشا مصريا في اليوم لمدة شهر ، كان يشكو خلاله همومه وارهاقه الى صديق تعرف عليه بأنه (فلسطيني) واسمه (سمعان) • وعده هذا الصديق بمساعدته في الحصول على عمل أفضل ، واصطحبه الى القنصلية الاسرائيلية في (بيريه) بحجة وجود صديق له هناك حيث استقبله أحد ضباط المخابرات الاسرائيلية • وفعلا وعده بايجاد عمل جيد له وأقنعه ببيع جواز سفره المصري لقاء ـ ٢٠٠ ـ دولار • فلم يتردد جمال وسلمه الجواز وقبض القيمة مضافا اليها حوالي جنيهين ونصف مصاريف تكسي (جواز السفر تستعمله المخابرات الاسرائيلية بايفاد عميل لها الى مصر لتنفيذ أية مهمة تجسسية طالما أنهم متأكدون أن صاحب الجواز الاصلي بقربهم ••) •

أما بخصوص العمل فقد طلب منه ضابط المخابرات املاء (استمارة) خاصة بالوظائف ، اجاب فيها على أسئلة مكتوبة عن حياته وأسرته وأصدقائه ووظائفهم وعناوينهم [1] ، ووعده بالاتصال به بعد أسبوع •

ابتداء عمله بالتجسس :

مضى الاسبوع وجمال يقيم في فندق محترم ، يصرف مما قبضه ثمنا لجواز سفره • فاتصل به شخص عرفه على نفسه باسم (يوسف) ، وأبلغه أنه مكلف بايجاد عمل له • وبعد حديث طويل عن أزمة الشرق الاوسط والاسلام واليهودية والسلام بين الشعوب قال له أثناء الحديث مشجعا أن على المرء

(١) من هذه الطريقة يتضح كيف تحصل المخابرات الاسرائيلية على معلومات اضافية (مجانية) ، فلا يستغرب من يجد أنهم يعرفون كل شيء عنه بدون علمه•

أن يعيش ويستمتع بحياته ولا سبيل الى ذلك سوى (بالمال) ، وودعه بعد أن منحه مايعادل ـ ٦ ـ جنيهات مصرية بالعملة اليونانية (الدراخما) ، ثم حضر الى فندقه شخص قدم نفسه أن اسمه (ابراهيم) وأنه (زميل) يوسف وأنه قد كلمه الكثير عنه كما أنه اطلع على استمارة التوظيف خاصته ، وهو يقدر مواهبه وقدراته وأخبره انهم قرروا أن يكون مجال عمله في القاهرة فوافق بدون تردد حيث سلمه ـ ٢٠٠ ـ دولار نقدا ، وطلب منه الانتقال الى فندق (درجة اولى) في بيريه ، لأنه سيتبع دورة تدريبية عن التجسس • وفي خلال خمسة عشر يوما تم تدريبه على الكتابة بالحبر السري وكيفية تمييز الاسلحة التي يشاهدها ، وطريقة وصف المباني والشخصيات الهامة التي يقابلها وعلى رسم الخرائط وبعض فنون التجسس الاخرى •

العودة الى القاهـــرة :

انتهت فترة التدريب بنجاح ، وأبلغ أن يستعد للعودة الى القاهرة وأن مهمته ستكون الحصول على معلومات عسكرية واقتصادية وسياسة عن مصر وان راتبه الشهري سيكون ـ ٢٠٠ ـ دولار ومكافاة (٤٠) دولار عن كل رسالة فيها معلومات (قيمة) ، وأن عليه أن يبعث برسائله بالحبر السري الى عنوان روما ـ صنوق بريد /١١٧/ ـ الصديق كستالا يوستالي •

وصل القاهرة وهو يحمل ما تبقى معه من الدولارات الحرام ، وعقد العزم على الزواج من آنسة كان يعرفها•وبمجرد وصوله أرسل بطاقة بريدية على العنوان المتفق عليه يعلمهم فيها بوصوله سالما وزواجه قريبا•وبعدها بدأ ممارسة نشاطه التجسسي ، فأخذ يتصل بأقربائه وأصدقائه من عسكريين ومدنيين سائلا كلا منهم على حدة عن أحواله وأعماله • فاستطاع الحصول على كثير من المعلومات العسكرية والاقتصادية ، وأرسلها برسالة بالحبر السري • ثم أخذ يتجول في جميع أنحاء البلاد للاستماع الى مختلف الآراء ، ومشاهدة ما يمكن مشاهدته من التحركات العسكرية ، وهو يعتقد أنه نجح في مهنته الجديدة • ولا يدري أن رسائله كانت في طريقها الى خبراء المخابرات الحربية

المصرية الذين اكتشفوا الكتابة بالحبر السري فيها ، فاستأذنوا النيابة العامة في القبض عليه ، وكان ذلك بتاريخ ٢٩ - ١١ - ١٩٧٢ بعد أقصر فترة أمضاها (جاسوس) في عمله حيث اعترف - تفصيليا بمزاولته التجسس لصالح المخابرات الاسرائيلية وبيعه جواز سفره (استحصل على جواز سفر من القنصلية المصرية بدل عن ضائع ، وتمكن من العودة الى القاهرة) .

انسانية جاسوس :

أثناء التحقيق معه من قبل السيد العميد اسماعيل مكي رئيس النيابة العامة العسكرية سجل كلمة قال فيها : (ان أقاربي وأصدقائي ومعارفي الذين خدعتهم وحصلت منهم على المعلومات كانوا يتحدثون معي بما يعرفونه من معلومات عن أعمالهم وبلدهم وهم واثقون بي لأنهم لا يمكن أن يتصوروا أني أصبحت (جاسوسا لاسرائيل) ولو أنهم التزموا الحذر وتوخوا الحرص لعجزت عن الحصول على أية معلومات اني آسف على ما ارتكبته في حق بلادي وأطلب من والدي أن يسامحني) .

انتهت محاكمته بالحكم عليه بالسجن المؤبد مع الاشغال الشاقة ، ولولا ظروفه التي مر بها أثناء وقبل تجنيده لكان نصيبه (الاعدام) مثل أمثاله الذين سبقوه على هذه الدرب الشائكة .

وجود ضعاف النفوس في كل زمان ومكان :

شاكر فاخوري شاب عاش حياة البذخ بما لا يتناسب مع دخله فسافر الى الكويت ، وعمل فيها مدة لم يحصل على مبتغاه السريع ، وعاد الى بيروت ومنها توجه الى جزيرة قبرص وحل بأحد فنادقها ، وقد عقد العزم على الاتصال بالمخابرات الاسرائيلية ، وفعلا توجه في اليوم التالي الى سفارة اسرائيل وطلب مقابلة الملحق العسكري فيها وعرض عليه رغبته الصريحة في التعاون معهم بتقديم ما لديه من معلومات عامة حاليا ، وبما يطلب منه مستقبلا . أحاله الملحق العسكري الى ضابط المخابرات المسؤول في السفارة الذي أخذ منه كافة ما لديه من معلومات

كتبها بخط يده ، ثم طلب منه الانتظار في الفندق • وبعد خمسة أيام قضاها شاكر في نيقوسيا طلب الى السفارة الاسرائيلية وهناك استقبله ضابط اسرائيلي يدعى ــ هيدار ــ المسؤول عن التجسس في جمهورية مصر العربية ، وأبلغه أنه أختاره للعمل في القاهرة • وطلب منه أن يستعد للسفر ، وسلمه مبلغ ــ ٣٠٠ ــ دولار وبطاقة سفر الى القاهرة وقال له وهو يودعه ، نحن بانتظارك بعد شهرمن الآن لنرى نتيجة عملك •

وقع في الفخ في ابتداء عمله التجسسي :

بعد وصول شاكر الى القاهرة وحسب طلب المخابرات الاسرائيلية منه بدأ يكون صداقات مختلفة منها مع نساء ليل ومع بعض رواد الملاهي ، وأهمها مع ضابط مصري تعرف عليه في صالون الفندق ، وأخذ يغدق عليه الهدايا بدون أن يسأله عن شيء •

سافر الى نيقوسيا من القاهرة عن طريق بيروت واتصل بضابط المخابرات في السفارة الاسرائيلية ، وسلمه ما لديه من معلومات (وخاصة) تعرفه على الضابط المصري وكل التفاصيل التي تتعلق بهذا الضابط • أرسل الضابط كل ذلك الى رؤسائه وطلب منه الانتظار في الفندق وسلمه ــ ٣٠ ــ جنيه استرليني (تحت الحساب) ، وبعد أربعة أيام اتصل بــه وطلب منه الحضور للسفارة الاسرائيلية حيث أبلغه رغبة المسؤولين في المخابرات الاسرائيلية بالتعرف عليه عن كثب ، وسلمه جواز سفر اسرائيلي عليه صورته وباسم (موشي ابراهيم) ومؤشر عليه بالدخول رسميا الى قبرص وسلمه بطاقة سفر على طائرة (العال) ذهابا وايابا الى (اللد) ، واحتفظ بجواز سفره الأصلي معه •

وصل شاكر الى (اللد) فوجد الضابط هيدار في انتظاره ونقله بسيارته الخاصة الى تل ابيب حيث اقام في شقة مفروشة مستاجرة من قبل المخابرات الاسرائيلية لمثل هذه الحالات ، وفي اليوم التالي استقبله رئيس المخابرات الاسرائيلية بحضور ضابط مخابرات اسمه أبو يوسف والضابط هيدار المسؤول عن التجسس في مصر وضابط مخابرات آخر مسؤول عن التجسس

في لبنان ، وبعد مناقشة معه تقرر اتباعه دورة تدريبية على أعمال التجسس .

ابتدأ تدريبه على يد مدرب مخابرات يهودي من مواليد الاسكندرية بالأصل على تصوير المستندات التي تعرض عليه أو يشاهدها بآلة تصوير دقيقة . ثم درب على تصوير المواقع من مسافات بعيدة ومن زوايا حساسة بالاضافة الى تدريبه على مختلف فنون التجسس ، وأثناء فترة التدريب عرض على جهاز اميركي لدى المخابرات الاسرائيلية (جهاز كشف الكذب) . ولدى انتهاء تدريبه أفهم عن مهمته في القاهرة وهي جمع معلومات وافية عن القوات الجوية المصرية والنشاط السوفياتي في مصر وعن معنويات الشعب المصري خصوصا بعد الغارات الاسرائيلية على ضواحي القاهرة (في حينه) .

عاد الى نيقوسيا واستلم جواز سفره ، واتجه منها الى القاهرة لينفذ تعليمات المخابرات الاسرائيلية . فاتصل فور وصوله بالضابط المصري ، وسلمه بعض الهدايا التي جلبها له من قبرص للذكرى وهي عبارة عن مصنوعات صدفية يدوية . ثم اتبع ذلك بدعوات وحفلات وهدايا ثانية لا تتناسب مع حجم علاقتهما ، مما أثار الشك لدى الضابط فاتصل فورا بالمخابرات العربية ، ونقل لها هذا الشك وهذا ما يجب على كل عسكري مخلص أن يفعله عندما يتعرض لمثل هذا الاغراء (فطلبت منه المخابرات أن يتظاهر بصداقته . فأخذ شاكر يطلب منه معلومات ووثائق بعد أن ظن أنه عثر على الشخص المقصود) . وكان الضابط لا يخل بما يطلب فيسافر فورا الى قبرص حيث يسلم ما لديه من معلومات ، ويقبض ما له من مكافآت ويعود الى القاهرة . وأخيراً طلبت منه المخابرات الاسرائيلية أن يحضر الضابط المصري الى قبرص فطلب منه ذلك ، ولكنه أخذ يماطله وفقا لطلب المخابرات .

بعد هذا القدر من الانغماس في التجسس أعلمت المخابرات الحربية المصرية ــ النيابة العامة ــ بواقع هذا الجاسوس . فوافقت النيابة على القاء القبض عليه . وعند آخر عودة له من قبرص طلب من (صديقه) الضابط أن يزوده ببعض الصور ومعلومات جديدة عن النشاط السوفياتي في مصر . هيأ الضابط له ما طلبه بمعرفة المخابرات وحضر الى شقته التي استأجرها لهذه الغاية فأطبقت

عليهم المخابرات المصرية . وانتهى بذلك فصل من فصـول التجسس الفاشل للمخابرات الاسرائيلية . وقدم شاكر الى المحكمة العسكرية لينال جزاءه . بينما صرح الضابط المصري بقوله : أنا عندي مبادىء ، ولا يمكن تغييرها ، وكل انسان له ثمن . أما ولائي لمصر فلا يقدر بثمن حتى ولو دفعت لي المخابرات الاسرائيلية جميع ميزانيتها الحرام .

سقوط جاسوس جديد للمخابرات الاسرائيلية

جندت المخابرات الاسرائيلية المصري : محمد ابراهيم فهمي كامل للعمل معها بطريقة أغرب من الخيال ، ولا تحـدث سوى في الافلام السينمائيـة . ومحمد ابراهيم فهمي كامل الذي كان يلقب بـ (ماريو) كان يملك محلا لبيع قطع تبديل السيارات في الاسكندرية ، ويعيش مع زوجته في شارع محرم بـك ، وله زوجة ثانية أسكنها في الدقي بالقاهرة . وسبب لقبه بماريو أنه بدأ حياته ميكانيكيا في الاسكندرية ، وأغلب زبائنه من الايطاليين . حيث تعلـم اللغـة الايطالية وأخذ يتكلمها بطلاقة حتى أطلق عليـه أصدقائه لقب (ماريو) . ولكن حالته المادية ساءت بعد سفر الايطاليين من الاسكندرية لاسيما وهو يعيل زوجتين .

استخرج حالا جواز سفر وتوجه الى (ميلانو) . وهناك بحث عن أصدقائه القدامى الذين ساعدوه على بيع ما حمله من هدايا (خان الخليلي) ، وابتياع قطع سيارات . والعودة بها الى الاسكندرية بعد تهريبها من الجمارك . وبعد عدة سفرات أوجد له أصدقاءه عملا في شركة (رلواتيكس) ، واستحصلوا له على تصريح عمل واقامة في ايطاليا . فتحسنت أحواله بعض الشيء وأخذ يتنقل من روما الى ميلانو ، الى الاسكندرية .

ابتداء عمله في التجسس :

في احدى رحلاته التجارية الى روما ، وفي المطار تقابل مع صديق يهودي قديم سبق أن غادر الاسكندرية في عام ١٩٥٢ واسمه (ليون لابي) . وبعد العناق والسؤ عن الاحوال تواعد الاثنان على اللقاء في ميلانو مقر عمل

(محمد) أو (ماريو) • وبعد اسبوع اجتمعا فدعا لابي صديقه القديم لتناول الغداء في مطعم فاخر من مطاعم ميلانو • وأثناء الحديث سأله لابي (في براءة) عن حالته المادية ، وعن سبب اقامته في ميلانو ، وأيضا عن الحالة الاقتصاديـة في مصر فأجابه (ماريو) بسوء الاحوال (زي الزفت) • ثم شكا له الفقر وعدم استطاعته تحقيق آماله • فأبتسم (لابي) في نهاية الحديث وطلب منـه أن يزوره في مكتبه الكائـن في ميلانو ـ شارع أوربا رقم ـ ١٢ ـ الدور الثـانـي •

ذهب ماريو في اليوم الثاني الى العنوان ، ليجـد فوق الباب (نجمـة اسرائيل السداسية) وعلى اليسار لوحة نحاسية كتب عليهـا باللغة الانكليزية (القنصلية الاسرائيلية) • ومع ذلك قرع الجرس ففتحت له سكرتيرة جميلـة الباب • سألها عن لابي ، فأدخلته مبتسمة الى مكتبـه الفخم واستقبلـه لابي بقوله : (ماريو) أنت صديق قديم يمكن الوثوق به ، وأنا أحتاج اليك فيعمل• وستربح كثيرا من المال ، وتحقق جميع آمالك التي حدثتني عنها بالأمس • وقبل أن يصحو ماريو من المفاجأة ، أردف لابي قائـلا : قابلني في روما في فندق (ريتز) ، وودعه بابتسامة عريضة •

في روما توجه (ماريو) الى الفندق ، فوجده من أفخم فنادقها ، بينما كان يظنه من فنادق ميلانو التيكانيتردد اليها ، ويدفع مابين ٢٥٠٠ لير و ٧٥٠٠لير في الليلة •

حضر لابي حسب الموعد ، وحجز له جناحا في هـذا الفندق ، وأعطـاه ـ ١٠٠ ـ دولار ، وطلب منه أن يستريح هذا اليوم • وفي اليوم الثاني حضر لابي في الساعة العاشرة صباحا ، ومعه يهودي آخر يتكلم اللغة العربية بطلاقـة تامة ، وقدمه لماريو باسم ـ ابراهيم يعمل في المخابرات الاسرائيلية لمكافحـة الشيوعية في البلاد العربية • فرحب به ماريو ، فتكلم معه ابراهيم بصراحـة قـائلا : لقد حدثنا عنك صديقك لابي ، الذي يعرفك منذ زمن طويل • ونحن نعمل فيمكافحة الشيوعية في المنطقة• ولا نريدك أن تخون وطنك ، كل ما هو مطلوب منك لقاء راتبك الذي سيكون ٣٠٠ دولار شهريا هو بعض المعلومات عن خطر الشيوعية فقط •

وافق ماريو فورا على حديث ابراهيم المغلف بمكافحة الشيوعية . وهنا أفهمه ابراهيم أنه يجب أن يتبع دورة لتعلم أصول المهنة . وتولى مع ضابط آخر اسمه فوراحي مهمة التدريب على استعمال الحبر السري ، والتصوير باستخدام كاميرا (كارل زايس) . وسلماه كاميرا من نفس النوع لاستعمالها ، وعلماه كيفية قياس المساحات والارتفاعات . وتعلم أيضا بعض فنون الحرب النفسية من اطلاق الشائعات (التريقة) . باعتبار أن الشعب المصري يحب النكتة والضحك (باعتراف الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ...) .

انتهى الشهر الاول بالتدريب ، وقبض ماريو أول راتب جرام من المخابرات الاسرائيلية ، وعاد الى القاهرة ليمضي بعض الوقت بين زوجتيه : ويعود الى ايطاليا ليكمل عمله . وبناء على طلب المخابرات الاسرائيلية بدأ بالحصول على المعلومات من المصريين الذين أخذوا يتوافدون الى ايطاليا لشراء السيارات وهم من جميع فئات الشعب – أطباء – مهندسين – ورجال أعمال وميكانيكيين . كلهم بحاجة الى السيارة ، يتلقفهم ماريو ويساعدهم في الشراء وتسهيل أعمالهم ويستغل الظروف أحسن استغلال بتبادل الاحاديث معهم ، ويحصل منهم على المعلومات التي تريدها المخابرات الاسرائيلية .

زادت ثقة رؤسائه به ، فطلبوا منه تجنيد من يراه مناسبا من المصريين للعمل معهم ، فتذكر فتاة مصرية مثقفة سبق ان قابلها في القاهرة ، وأخبرته برغبتها في شراء سيارة من ايطاليا لتشغيلها (تكسي) . تستعين بايرادها على الحياة كما أنها لا تمانع في العمل اذا وجد لها عملا مناسبا . فكتب لها رسالة مضمونة طلب منها الحضور حالا الى ايطاليا، وفعلا أحضرت الفتاة معها ماادخرته من مال وحضرت الى روما فاستقبلها ماريو . وأخذ يتجول بها على الاماكن التي تبيع السيارات . وكان يتعمد رفع أثمان السيارات (لأنها لا تلم باللغة الايطاليه) . واخيرا اشترى لها سياره (فيات ١٢٥) بجميع ما لديها من مال ولم يبق معها شيء لأجرة الشحن .

أوقفت السيارة امام الفندق ، ودارت الدنيا بها كيف تتصرف ، وهي لا تملك شيئا . وكان ماريو يتعمد تركها عدة أيام وحيدة بدون مال معها لكي يتمكن من تسخيرها في النهاية لخدمة المخابرات الاسرائيلية .

ظهر ماريو فجأة بعد غياب عدة أيام ، واعتذر لها بانشغاله ، ثم دعاها الى العشاء في مطعم فخم ، واثناء العشاء كان يجلس بالقرب منها شخص وسيم خط الشيب شعره ، تقدم منها بأدب وسألها هل يزعجها لو طلب من ادارة المطعم اغلاق جهاز الحرارة لكي لا يصابوا بالبرد عند الخروج من المطعم . فوافقوا . وبعد الشكر جرى التعارف فاصر ماريو على دفع الحساب ، ولكن الآخر رفض ذلك الا اذا قبلا دعوته للعشاء في اليوم التالي . وقبلا الدعوة ، وبعد العشاء أوصلهما بسيارته . وفي الطريق جرى الحديث باللغة الانكليزية التي تجيدها الفتاة عن حاجة الفتاة الى وظيفة فوافق الرجل على مساعدتها للحصول غدا على وظيفة . ولكن ماريو اعتذر بحجة انشغاله ، وقابلت الفتاة الرجل لوحدها في احد المطاعم ، واخبرها بأن لديه مؤسسة مالية تستثمر اموالها في مشاريع انمائية، وأنه سوف يجعلها مندوبة لمؤسسته في القاهرة ولا يطلب منها الآن سوى السفر على حسابهم الى القاهرة وموافاته بمعلومات عن الحالة الاقتصادية هناك . لأنهم يريدون الاطمئنان قبل أن يفتتحوا فرعاً في القاهرة . فوافقت الفتاة على ذلك وودعها الرجل بعد أن سلمها بطاقة سفر الى القاهرة ، ومن ثم وجدت أنه دفع عنها حساب الفندق المتراكم عليها ، وهنا ظهر ماريو وأخبرها أنه شحن لها السيارة ، فأعلمته بأمر الرجل فوافق بحرارة ، وتمنى لها التوفيق .

نهاية ماريو :

نسي ماريو وصديقه ضابط المخابرات الاسرائيلي الذي طلب من الفتاة المعلومات عن الحالة الاقتصادية في مصر أن البشر ليسوا من طينة واحدة . فاذا كان ماريو قدباع وطنه بمبلغ /٧/ آلاف دولار مجموع ما قبضه من أموال المخابرات الاسرائيلية الحرام ، فان هذه الفتاة المثقفة المصرية والتي لا عمل لها وتعيل أسرة كبيرة رفضت أن تبيع أسرار وطنها . ولو بما كان سيصلها من الملايين ، فتوجهت فور وصولها القاهرة الى ادارة المخابرات بعد أن اقتنعت بأن

ماعرض عليها هو التجسس على وطنها،فرجل المطعم صاحب المؤسسه الماليه تقرب منها بطريقة تدعو للشك ، طلب منها معلومات قيمة عن بلدها ، ودفع عنها حساب الفندق ، وحجز لها في الطائرة . ماريو بعد أن أوقعها في حبائل المخابـرات الاسرائيلية قام بشحن سيارتها على حسابه بدون أن يطالبها لدى وداعها باي شيء . كل ذلك قدمته للمخابرات المصرية ، فوجدت أن لدى المخابرات ملفا كاملا عن (ماريو) . وعرضوا عليها صورا التقطت له في أماكن مختلفـة في ايطاليا من قبل المخابرات العربية التي كانت على علم بامره . بل وكانت تراقبه وتنتظر الدليل لادانته ، وهاهو الدليل بين يديها .

رسمت المخابرات خطة بارعة للفتاة للايقاع بماريو . وما هي الا أيام حتى وصل ماريو الى القاهرة، واتصل بالفتاة، وبلغها تحيات صاحب المؤسسة المالية ، وأعلمها بانه ينتظر منها المعلومات التي طلبها ، لكي يقوم على ضوئها باعتمادها مندوبة لمؤسسته بالقاهرة فوعدته خيرا ، وكتبت تقريرا مفصلا عن الاحوال الاقتصادية في مصر مؤلفاً من عدة صفحات (بمعرفة المخابرات) ، فاعجب ماريو بالتقرير كثيراً وشكرها وشجعها على السفر قريباً، وذهب يجمع المعلومات والصور لينقلها الى المخابرات الاسرائيلية .

خرج ماريو من منزله صباحا وهو يحمل حقيبتـه المملوءة بأسرار بلده متوجهاً الى منزل الفتاة ، ليصطحبها معه فاعتقله رجال المخابرات العربية بعد اعلام النيابة العامة ، واقتيد الى المحكمة العسكرية ليحاكم على ما ارتكبه من خيانـة وتجسس بحق وطنه ، وقد نسبت اليه الجرائم التالية :

١ ــ حصولـه بصورة غير مشروعة على أسرار عسكرية وافشاؤهـا الى المخابرات الاسرائلية .

٢ ــ التخابر مع العدو لمعاونته في الاضرار بمصر حين العمليات الحربية .

٣ ــ تقاضي مبالغ من المال (٧ الاف دولار) مقابل إفشاء الاسرار .

٤ ــ تحريض مواطنة مصرية على ارتكابها التخابر ، والحصول على أسرار هامة بقصد افشائها للعدو .

٧ آلاف دولار تساوي راس الجاسوس :

المواطنة المصرية أدت واجبها كاملا تجاه وطنها ، والمسؤلون في المخابرات لم يبخلوا عليها بالمساعدة لقاء وطنيتها • عينت في وظيفة تتناسب وثقافتها لتأمين مستقبلها بينما سيارتها التي اشتراها لها ماريو تعمل (تكسياً) كما رغبت ، وايرادها يساعدها على العيش موفورة الكرامة ، بينما وقف ماريو أمام المحكمة العسكرية التي يرأسها العميد أسعد محمود اسماعيل وعضوية المقدم فاروق عبد الستار خليفة والمقدم أحمد جمال عيسى غلاب وممثل النيابة العسكرية العميد مكي والمقدم عـز الدين رياض ، كما عين للدفاع عن المتهم المحامـي علي الرجال •

كرر المتهم ماريو اعترافه أمام المحكمة فقضت بالحكم باعدامه شنقا ، واكتسب الحكم موافقة رئيس الجمهورية لعدم وجود ما يستدعي الرحمة بالمتهم • ونفذ الحكم في أحد السجون بالقاهرة ليضع خاتمة قصة ماريو العجيب الذي سيتذكره بعض الذين قابلهم في ايطاليا ، ولم يخطر في بالهم بأنه جاسوس •

جاسوس آخر للمخابرات الاسرائيلية

المخابرات الاسرائيلية تصطاد دائما ، وكما هو معروف عنها ضعاف النفوس ومحبي التظاهر بالعظمة والليالي الحمراء ، وها هي تجند المدعو نبيل النحاس من مواليد ١٩٣٦ السويس ومن أب لبناني هاجـر الى مصر مع بعثة تبشيريـة واستقر فيهـا •

أتم نبيل دراسته الثانوية ، ثم دخل الجامعة بالقاهرة ، وحصل على دبلوم التجارة وعين للعمل في منظمة الشعوب الافرواسيوية ، وعمل أيضاً في وكالـة (الاسوشيتدبرس) للانباء بالقاهرة . وكان دخله من هذه الاعمال حوالي ١٢٠ جنيها شهريا ، وهذا المبلغ في القاهرة يؤمن لصاحبه عيشا محترما • لكن ما العمل اذا كان نبيل بحاجة الى أضعاف هذا المبلغ ليصرف على ملذاته وسهراته الحمراء ، وأسفاره المتعددة ما بـين القاهرة ــ بيروت ــ باريس ، وفي باريس جندتـه

المخابرات الاسرائيلية بعد أن وجدت فيه ضالتها المنشودة ، واخذ يقدم لهم المعلومات عن جمهورية مصر العربية التي أكرمت وفادته لقاء مبالغ مالية كـان يستلمها منهم بالتتابع منذ عام ١٩٦٠ الى عام ١٩٧٣ ، فوضع تحت المراقبة نظراً للشك فيالمصروف الذي كان يصرفه ، بما لا يتناسب مع دخله حيث ألقي القبض عليه متلبسا بالتجسس عقب حرب تشرين ١٩٧٣ ، واعترف اعترافا كاملا بما اقدم عليه ، وقدم الى المحكمة العسكرية التي أدانته بما يلي :

١ ــ السعي لدى دولةأجنبية والتخابر معها،ومع أشخاص يعملونلمصلحتها ولمعاونتها في عملياتها الحربية ، والاضرار بالعمليات الحربية المصرية .

٢ ــ السعي لدى دولة أجنبية في زمن الحرب والتخابر معها ، ومن شأن ذلك الاضرار بمركزمصر الحربي والسياسي والاقتصادي .

٣ ــ طلب لنفسه وقَبلَ واخذ من أشخاص يعملون لمصلحة دولة أجنبيـة نقوداً ومنافع أخرى ، بقصد ارتكاب عمل ضار بالمصلحة القومية وذلك في زمن الحرب .

٤ ــ سلم وأفشى لأشخاص يعملون لمصلحة دولة أجنبية سراً من أسرار الدفاع عن البلاد[1] .

من لايستحي يفعـــل مايشاء

فصل جديد أيضاً في حلقات التجسس لصالح المخابرات الاسرائيلية بطله خائن جديد لم يستح ، ولم يردعه ضمير ولا حب الوطن الذي رباه وأكرمه ؛ ففي أول فرصة توجــه محمد عمر حمودة الى استانبول ، واتصل بالقنصليـة الاسرائيلية فيها عارضا (خدماته) ، فاستقبله معاون الملحق العسكري الاسرائيلي والمسؤول عن التجسس والمخابرات في القنصلية النقيب : سامي . طبعا ليس

(١) ألقي القبض على هذا الجاسوس بتاريخ ١٤ تشرين الثاني ١٩٧٣ في داره بالقاهرة . وصودرت منه أدوات تجسس كاملة بالاضافة إلى اعترافه الصريح . ولم نطلع على نتيجة محاكمته ومن المحتمل أن تكون عقوبته الاشغال الشاقة وليس الاعدام كما هو مفروض لانه ليس مصريا ، وبالتالي لا يدين بالولاء لمصر ، ويعتبرها في قرارة ضميره لدى ارتكابه التجسس عليها بأنها ليست وطنه .

اسمه الصحيح ، وتباحث معه عما يمكن ان يخدمهم به فطلب منه املاء استمارة معدة عن حياته (السابقة) ، حتى لحظة المقابلة ، ثم كتابة ما يعرفه (بصورة عامة) ليكون اختباراً له ففعل ، وقدم لهم الاستمارة ، وفيها كل شيء عن حياته مما لم يعرفه عنه (حتى أهله) ، ومن ثم قدم لهم (التقرير رقم ١) مؤلفا من ست صفحات كتب فيها كل ما يعرفه عن وطنه ، وعن المقاومه ، وبعد اطلاع النقيب سامي على (البضاعة) أعجبته لما حوت من دقائق الاسرار ، فقام بدفع حساب الفندق عنه باعتباره فندقاً شعبياً ، ونقله الى فندق درجة أولى ، وحجز له جناحاً خاصاً ، وأخذ يتردد عليه يوميا يدربه على أعمال التجسس ، فنجح نجاحا باهرا لم ينجحه في مدرسته ، وكلف بالسفر الى لبنان ، وجمع معلومات عن الفدائيين بشكل عام بعد أن منح مبلغ /٣٠٠/ دولار مصاريف سفر ، وسددت المخابرات الاسرائيلية بالطبع عنه جميع فواتير الفندق والمطعم والمكوى .

التجسس على المقاومة الفلسطينية :

في بيروت قدم نفسه الى مندوب احدى المنظمات الفدائية ، وهذا المندوب قدمه الى قائد المنظمة عارضاً خدماته ، فقبل مع الاسف وجرى تدريبه في معسكر تابع للمنظمة لمدة شهر ، اعتبر بعدها (فدائيا) ، وأخذ يقوم بمهمته الجديدة ، ونفذ بعض العمليات البسيطة للتضليل ، مما أتاح له التنقل بين مواقع الفدائيين ، ثم معرفة أغلب قادتهم ومنازلهم (كان كلما خلا الى نفسه) قام بكتابة ما شاهده وسمعه ورسم المخططات التي مر بها (كما دربته المخابرات الاسرائيلية في استانبول) ، وخلال فترة جمع معلومات لا تقدر بثمن ، فقرر نقلها الى المخابرات الاسرائيلية ، فاستأذن منظمته بالسفر الى القاهرة من أجل تصديق الثانوية العامة التي يحملها ليتسنى له الالتحاق بجامعة بيروت العربية لزيادة ثقافته خدمة للمقاومة على حد تعبيره ، فوافقوا له .

نقل البضاعة المحرمة :

استقل الجاسوس محمد عمر حمودة التكسي من مكتب سفريات بلانكو في ساحة البرج في بيروت الى دمشق ومنها الى حلب ـ ثم الى أنطاكية في تركيا

حيث توجه بالبولمان بعد ذلك الى استانبول فوصلها ليلا ، ولم يشأ ان يزعج (معلمه) ، فتوجه الى ملهى (أومبيا) الكائن في شارع الملاهي في استانبول ، ويسمى (تقسيم) ، بعد أن حجز غرفة في الفندق الذي تتعامل معه المخابرات الاسرائيلية لمثل هذه الحالات ، وفي الصباح رن الهاتف في غرفة النقيب سامي الذي رحب به ودعاه للحضور فورا ، وما هي إلا دقائق حتى أصبح الجاسوس داخل القنصلية الاسرائيلية ، يسلم البضاعة المحرمة معلومات عن أماكن وجود الفدائيين ــ أغلب الاسماء للفدائيين ، وحتى بعض الاسماء المستعارة ــ عناوين ــ مكاتب المنظمات وعناوين بعض قادة المنظمات ، خرائط من تخطيطه عن الطريق التي يسلكها الفدائيون من سورية الى لبنان • سر النقيب سامي كثيرا لهذا الصيد الوفير وأعطاه مبلغ /٥٠٠/دولار مقابل هذه المعلومات ، وطلب منه البقاء في استانبول عدة أيام حتى تصل آوامر جديدة بخصوصه من اسرائيل •

نقل مهمة الجاسوس للقاهرة وسقوطه :

زاره النقيب سامي في الفندق ، وطلب منه الاستعداد للسفر الى القاهرة حسبما تقضي الاوامر الجديدة التي تلقاها بخصوصه وأخذ يتباحث معه عن امكانية الحصول على المعلومات الآتية :

١ ــ أماكن الصواريخ على القناة •

٢ ــ التركيز على الحركة الطلابية في مصر •

٣ ــ الحصول على نسخ من المنشورات التي يوزعها قادةالاتحادات الطلابية

٤ ــ ردود الفعل لدى رجل الشارع وبقية الفئآت عن حركات الطلاب •

٥ ــ معلومات على العناصر التي تسيطر على الطلبة وتحركها •

٦ ــ معلومات عن الوضع الاقتصادي •

٧ ــ معلومات عن الوضع السياسي •

٨ ــ معلومات عامة عن تأييد الشعب المصري للحل السلمي أو العكس •

٩ ــ علاقة جمهورية مصر العربية مع المقاومة الفلسطينية

١٠ معلومات عن كيفية استدعاء المسرحين للاحتياط وتحديد الزمن والعدد •
١١ ــ معلومات عن الوحدة الاندماجية •

١٢ ــ معلومات عن أجهزة الامن ــ المخابرات ــ المباحث العامة ••• الخ

ونصحه النقيب سامي بتمزيق الورقة التي سجلت عليها هذه الطلبات ، وحفظها في الذاكرة ، فوعده بأنه سيمزقها • ولكنه لم يفعل (حتى ضبطت معه فيما بعد) وأعطاه مبلغ ٢٠٠ دولار أخرى ، وطلب منه الحرص الشديد ، وتغيير ملامحه (التنكر) ، ثم سافر الجاسوس الى القاهرة فوصلها في أول نيسان ١٩٧٣ وبدأ فوراً مهمته ، فكتب تقارير عن الفقرة (٢) والفقرة (٤) والفقرات (٦و٧و١٠)، وكاد يتابع مهمته •••

السقوط :

مهما أوتي الجاسوس من ذكاء وخبرة وتفان في خدمة أسياده تجاه المغريات (التافهة) مقابل الوطن ، فان كل ذلك يزول عندما يحاول استدراج مواطن شريف للسير معه في هذه الطريق الشائكة ••••؟

توجه الجاسوس الى المدينة الجامعية لمقابلة شقيقه : عبد الحميد حمودة الطالب بالسنة الاخيرة ــ كلية التربية ــ جامعة عين شمس ، ولكنه لم يجده فاستضافه زملاؤه : الطالب حسن محمد حسن والطالب أحمد ابراهيم ، حتى اليوم التالي حيث حضر شقيقه فشكرهم على حسن وفادتهم له ••

في الغد استأذن الشقيق الطالب شقيقه الضيف وتوجه الى الجامعة لحضور احدى المحاضرات ، فتوجه الجاسوس الى الطلبة الذين أكرموه أيضا لانه شقيق زميلهم ، ولكنه استغل هذا الكرم ، وحاول اقامة علاقات معهم مثل الارتباط بأعمال كتابية عن أوضاعهم الطلابية في الاتحادات فاظهروا له الموافقة بعد أن (شعروا) بأن ما يطلبه من المعلومات هو (التجسس) وفي نفس اليوم كان هؤلاء الطلاب الشرفاء في مكتب اللواء سيد فهمي نائب وزير الداخلية مدير مباحث أمن الدولة الذي رحب بهم وبوطنيتهم،وطلب منهم المتابعة مع الجاسوس وكلف اللواء أحمد رشدي رئيس فرع مباحث أمن الدولة بالقاهرة رسم خطة معهم ، للايقاع بالجاسوس ، وكانت الخطة تقضي بما يلي :

١ ــ استئذان النيابة العامة بعد تقديم افادات المخبرين (الطلاب)٠

٢ ــ تزويد الطلاب بجهاز تسجيل لوضعه خفية في الشقة لتسجيل أقوال الجاسوس ٠

٣ ــ تكليف مفرزة من مباحث أمن الدولة لتبقى على اتصال ، وبالقرب من مكان إقامة الجاسوس وتحت تصرف الطلاب ٠

٤ ــ تعميم اسم الجاسوس حالاً على جميع نقاط الحدود براً وبحراً وجواً خشية فراره ٠

عاد الطلاب الى شقتهم بالمدينة الجامعية ، ونصبوا جهاز التسجيل في مكان خفي ، وجلسوا ينتظرون ، وما هي الا مدة وجيزة حتى حضر الجاسوس ، وبعد شرب الشاي أفاض بالحديث عما يمكنه أن يقدمه لهم من خدمات فيما لو آمدوه بالمعلومات التي يطلبها ، وكان الحديث يسجل بالطبع وأهم ما سجل فيه :

١ ــ طلبه المعلومات منهم بصراحة ٠

٢ ــ تهجمه على الاوضاع في مصر ٠

٣ ــ شتمه بعض المسؤولين ٠

٤ ــ اقراره بأنه (عمل حاجة جامدة ٠٠) وفسر ذلك بأنه اشترك في حرق القنصلية المصرية في بنغازي أثناء المظاهرات المعادية لمصر التي وقعت في ليبيا وبتكليف (من المخابرات الاسرائيلية) ٠ صراحة ٠

ولما ذكر (المخابرات الاسرائيلية) صراحة فوجيء الطلاب ، وسألوه هل صحيح أن المخابرات الاسرائيلية كلفته بحرق القنصلية المصرية في بنغازي ، فأجابهم بكل فخر واعتزاز : (أمّال !) ٠ واستمرت جلسة السمر هذه الى منتصف الليل حيث انصرف الجاسوس الى شقة شقيقه ، ونام بينما أسرع الطلاب الى الدورية الموجودة بالقرب منهم ، وسلموها الشريط (الادانة) ، فنقل هذا الشريط حالاً الى اللواء سيد فهمي ثم الى النيابة العامة،التي أمرت باعتقاله فوراء

توجهت القوة الملكفة باعتقاله في الساعة الثالثه من صباح ١٩/٥/١٩٧٣ الى المدينة الجامعية ، واصطحبت معها المسؤول عن المدينة الى شقة الطالب عبــد

الحميد حمودة الذي فوجىء باعتقال شقيقه واعتقاله على ذمة التحقيق ، حيث أفرج عنه فيما بعد نظرا لثبوت عدم مسؤوليته أو اشتراكه بأعمال اخيه الجاسوس ، وقد عثر بحوذة الجاسوس على لائحة بطلبات المخابرات الاسرائيلية منه ورقم تلفون القنصلية الاسرائيلية في استانبول مع فاتورة الفندق ، وقد سجل عليها باللغة التركية (دفع من قبل القنصلية الاسرائيلية ..) ، كما عثر معه على بطاقة جامعية مزورة (بالاصل لشقيقه) ، وإقرار جمركي مزور أيضاً ..

بعد التحقيق واعترافه الكامل واجراء مقابلة بينه وبين الطلاب الشرفاء الذين حاول ايقاعهم في حبائل التجسس ، حكمت عليه محكمة أمن الدولة العليا برئاسة السيد المستشار مصطفى عبد الوهاب خليل بالاشغال الشاقة المؤبدة ، وبغرامة (١٠٠٠) ألف جنيه مصري ، وبما أن الاشغال الشاقة المؤبدة (٢٥ سنة) هي أقسى العقوبات في جمهورية مصر العربية بعد حكم الاعدام ، فاننا نرى بأن هذا الحكم في محله لان الجاسوس لم ينقل الى العدو أية معلومات عن مصر ، وأن المعلومات التي ضبطت معه قدرت بأنها ليست من الخطورة بمكان، فيما لو وصلت الى المخابرات الاسرائيلية لانها معلومات عادية كتبها عن مشاهداته الخاصة ، واستنتاجاته ، أو نقلها من الصحف ، أما المعلومات التي نقلها (سابقا) الى المخابرات الاسرائيلية عن المنظمات الفدائية وحصل مقابلها على أموال من العدو مما ألحق الضرر بالقضية الفلسطينية ، فانه من الجائز لو حكم عليه بأقل من المؤبد لكان بالامكان تسليمه الى لبنان ، باعتباره الدولة التي وقع عليها التجسس ضد المنظمة الفدائية ، وذلك لمحاكمته هناك مجدداً .. ولكن يظهر أنه لن يخرج من سجنه في ج.م.ع .

إغراءات المخابرات الاسرائيلية

درجت المخابرات الاسرائيلية على اغراق المحرمات على من تتعامل معهم من مال وملذات ، وحتى منحهم الرتب العسكرية الفخرية تشجيعاً لهم على تنفيذ مآربها في الوصول الى أسرارنا .

منح جاسوس رتبة (رائد) أي رئيس أول (صاغ) :

رجب عبد المعطي من مواليد ١/١٠/١٩٣٧ــ قسم القباري ــ الاسكندرية لـم يتمكن لسوء حالته المادية من اتمام تعليمـه الثانوي ، فعمل في ميناء (الاسكندرية) كاتبا ثم معقبا لمعاملات التجار . ولما توسعت أعماله افتتح (شركة الخدمات البحرية) ، ولكن كساد العمل عقب حزيران ١٩٦٧ دعاه الى تصفية شركته ، والوقوع تحت طائلة بعض الديون فسافر الى اليونان للعمل هناك وفشل أيضا ، ووقع تحت عجز ايجار الفندق ، وعوضا عن أن يطلب المساعدة من سفارته ومواطنيه ليعود الى أرض الوطن ، ويبحث عن عمل شريف سولت له نفسه المريضة الالتجاء الى أعداء بلده وأمته العربية ، فكتب خطابا ضافيا الى السفارة الاسرائيلية في أثينا ، يعرض عليها خدماته ومعلوماته ، فحضر اليه مندوب السفارة ، وصحبه اليها ، وهناك كالعادة طلبوا منه أن يملأ استمارة يكتب فيها (سيرة حياته) ، وأسماء أصدقائه ، ومعارفه . ولما وجد ضابط المخابرات أنه أمضى عدة سنوات في العمل في ميناء الاسكندرية طلب منه تقريرا مفصلا عما يعرفه عن هذا الميناء الحيوي من الناحية الاقتصادية والعسكرية ، فكتب رجب تقريرا مفصلا عن جميع ما يعرفه عن الميناء ، وقد أعجب مسؤولو المخابرات الاسرائيلية والسفارة بهذا الفيض من المعلومات فقاموا بتسديد حسابه في الفندق ، ثم نقلوه الى فندق أفخم بالاضافة الى تسليمه /١٥٠/ دولارا تحت الحساب .

سفرة الى تل ابيب :

بعد اتصال ضابط مخابرات السفارة الاسرائيلية في أثينا بالقيادة العامة للمخابرات الاسرائيلية في تل أبيب وعرضه أوصاف الجاسوس الجديد ، طلبوا منه العمل على ارساله اليهم في تل أبيب ، فزاره في فندقه وعرض عليه السفر الى تل أبيب ، فوافق فورا ، فطلب منه عـدة صور ، ودعـاه للحضور للسفارة الاسرائيلية في اليوم التالي ، وهناك استلم ضابط المخابرات الاسرائيلي جواز سفره المصري ، وسلمه (وثيقة سفر اسرائيلية) تثبت أن حاملها من الجنسية الاسرائيلية واسمه : دافيد ماشول شالوم ، وقد فقد جواز سفره في أثينا مـع

بطاقة سفر على طائرة (العال) محجوزة أثينا ـ تل أبيب ـ أثينا • وفي تل أبيب استقبله ضابط مخابرات (يرتدي اللباس المدني) ، وتوجه به من المطار الى بناء في تل أبيب معد لأمثاله من الجواسيس ، وبعد استراحة قصيرة انتقل به الى قيادة المخابرات الاسرائيلية حيث أخضع لاجتماع مغلق حضره كبار القادة في المخابرات الاسرائيلية ، وجرت مناقشته عما كتبه في تقريره في أثينا عن ميناء الاسكندرية ، ولما وجد المجتمعون أنه ميال للنزعة العسكرية ، ويضع أجوبته بلهجة عسكرية مدعومة بما يشبه الستراتيجية في التفصيل والاقناع عرضوا عليه منحه رتبة (رائد) في المخابرات ، فوافق مبتهجا[1] ، وخلال الاسبوعين اللذين قضاهما في ضيافة المخابرات الاسرائيلية تم تدريبه على استعمال الحبر السري ، وشيفرة خاصة للمراسلة ، ونظرا لأهميته لديهم تقرر بصورة استثنائية تسليفه مبلغ /٢٠٠٠/ دولار ليتمكن من احياء شركته المفلسة ، ولكن نبه بأن يعود الى أثينا ، ويمكث بها عدة أشهر ، ويشيع أنه يتعاطى أعمالا مربحة أثناء تردده الى الاسكندرية ، ثم ينهي أعماله ويعود الى ممارسة نشاطه في شركته ، وبالتالي تنفيذ طلبات المخابرات الاسرائيلية •

بقي في أثينا المدة الكافية حسب تعليمات المخابرات الاسرائيلية ، وكان لا يضيع وقتـه سدى ، فكان يتردد الى المطار والاماكن التي يتواجد فيهـا (المصريون) عارضا عليهم خدماته ، وبنفس الوقت يسألهم عن الاحوال في البلد ••••؟ ومن جملة خدماته لمواطنيه المصريين كان يؤمن لهم العمل في الشركات البحرية (بمساعدة المخابرات الاسرائيلية ••) أخذ يرسل الهدايا مع كل من يسافر عائدا الى الوطن ، ويبعث الرسائل لاعلام أهله وأصدقائه عن حسن

---

(١) اتبعت المخابرات الاسرائيلية في منحه رتبة رائد لاشباع غروره نفس طريقـة أساتذتها في المخابرات الاميركية الذين (منحوا)سابقا الجاسوس السوفياتي الهارب الى الغرب (أوليغ بنكوفسكي) رتبة (كولونيل) في الجيش الأميركي تشجيعا لـه واشباعا لرغبته وقديما قيل (اقلب الجرة على فمها •••)

احواله . وأعلم ضابط مخابرات السفارة الاسرائيلية في أثينا بأنه قد هيأ (الجو) لعودته ، فوافق وصفى له جميع أتعابه في أثينا اضافة الى الـ ٢٠٠٠ دولار التي قبضها من تل أبيب .

ازدهرت أعماله بعد عودته من اليونان ، خصوصاً بعد أن أدخل تحسينات جديدة على شركته كالديكور الفخم والاعلان بالنيون والاعلان بالصحف واستلامه (وكالات) لشركات جديدة (بايعاز من المخابرات الاسرائيلية) ، وازداد البريد الوارد اليه ومنه بريد (رؤسائه) في أثينا وتل أبيب ، واعتقد في قرارة نفسه أنه نجح في التمويه ، وسها عن باله بأن المخابرات العربية هي العين الساهرة له ولامثاله بالمرصاد ، ولها العديد من الوسائل لكشف تجسسه .

اكتشاف (الجاسوس الرائد) :

لم تنجح توصية المخابرات الاسرائيلية له بالبقاء في أثينا مدة طويلة لتغطية ثرائه المفاجيء وتجديد شركته المفلسة . ومن أول الطريق وضع تحت المراقبة الدقيقة وجرى الكشف على رسائله العديدة وصورت وأعيدت له بدون أن يشعر ، وقدمت للنيابة العامة كدليل على ضلوعه في التجسس فوافقت النيابة على اعتقاله بعد ثبوت تجسسه ، فتوجهت قوة من المخابرات العربية بتاريخ ١٩٧٥/١/١٣ في الساعة الثامنة صباحا الى مكتبه في الشركة ، واعتقلته وبعد تفتيش مكتبه عثر فيه على مختلف أدوات التجسس المزود بها ، ، والتي كان يستعملها ، ومن قبيل الصدف وصول رسائل له من المخابرات الاسرائيلية (بالشفيرة) أثناء وجود رجال المخابرات في مكتبه حيث طلبوا منه حلها ، ففعل وأضيفت كمستندات ضده أثناء محاكمته بالتهم الآتية :

١ ــ باع نفسه ووطنه للعدو مقابل المنفعة المادية .

٢ ــ أمد العدو بمعلومات عسكرية واقتصادية تضر بأمن الدولة ومصلحة البلاد .

٣ ــ ارتضى لنفسه أن يحمل اسماً يهودياً وجوازاً يهودياً ورتبة عسكرية يهودية .



● الجاسوس جمال ... يشرح للعميد اسماعيل مكي رئيس النيابة العسكرية جزاب « كاميرا » زوده بها العدو ●

(صورة من ...)

٤ ــ التخابر مع دولة معادية (اسرائيل) بقصد الاضرار بالعمليات الحربية لمصر .

٥ ــ التخابر مع دولة أجنبية معادية لتسليمها سرا من أسرار الدفاع عن البلاد

٦ ــ الحصول على أموال من دولة أجنبية معادية هي اسرائيل للاضرار بالمصالح القومية للبلاد .

وبعد المحاكمة حكم عليه بالاعدام شنقاً ، وجرى التصديق على الحكم وبانتظار التنفيذ حدث ما سبق أن نبهنا اليه من دواعي التشدد في مراقبة الجواسيس ، فقد أقدم هذا الجاسوس بقطع شرايين يديه بزجاج نظارته الطبية وانتحر في سجنه قبل تنفيذ الاعدام بـه بعدة أيام ، وهذا سبب جديد يدعو المخابرات العربية الى الانتباه والتشدد في حماية الجواسيس من أنفسهم حتى لو اضطر الامر حرمانهم من نظاراتهم الطبية .

من غرائب التورط في التجسس :

لم يكتف الابن الفاشل في التورط بالتجسس لصالح المخابرات الاسرائيلية، بل جر معه أباه أيضا الى هذه الطريق الشائكة ...؟

سمير وليم باسيلي ــ ١٩٣٨ القاهرة نال شهادة البكالوريا بصعوبة ، وكان فاشلا يعيش مع أبيه الذي عقد له حياته من كثرة توبيخه له وضربه ، فقرر الهرب من حياته السابقة في القاهرة .

سافر الى المانيا الغربية عام ١٩٦٢ وفي مدينة (ميونيخ) حط الرحال ، وساعده بعض المصريين الذين سبقوه الى هناك فهيؤوا له عملا في شركة(سيمونز) براتب جيد ، وعاش سمير الحياة التي كان يرغب بها ، فلا توبيخ ولا ضرب من أبيه ولا وجع دماغ من الدراسة ، بل هناك عمل وفي الليل ما يشاء من المحرمات، وقد تعود أن يمضي بعض الاوقات في مقهى (برنسيس) على الطريقة الالمانية فيشرب (البيرة) ، ويتناول السندويش ، ثم يعود الى غرفته التي استأجرها لدى عائلة ألمانية .

رجل اعمال في طريق سمير :

تقدم شخص في العقد الرابع من العمر الى الطاولة التي يجلس اليها سمير في مقهى (برنسيس) ، وقدم نفسه معتذراً بسبب ازدحام المقهى : (هانز مولار) رجل أعمال ، هل تسمح ياسيد بالجلوس معك ؟ فرحب به سمير (التخاطب كان باللغة الانكليزية التي يجيدها سمير) ، وبعد الاستفسار منه عن الاحوال في مصر انطلق سمير يهاجم بلده ، ويعلق على الامور بطريقة سرّ منها هانز كثيرا فقرر أن يخلع قناعه بعد أن وجد في سمير استعدادا طيبا للتعاون . فقدم نفسه على حقيقته (الرائد موسى من فرع المخابرات الاسرائيلية في ميونيخ) ومع ذلك لم يظهر على سمير أي تعجب ، بل نظر اليه نظرة الموافق ، وهنا صارحه (هانز) ، وقد اتفقا أن يبقى على اسم هانز التجاري للمستقبل بان كل مايرغب منه هو : تسقط أخبار مصرمن المصريين الوافدين الى (ميونيخ) ثم انتقاء من تراه (مثلك) لنتعامل معه .

وهنا صدرت عن سمير حركة تشبه الاستفهام عما سيتقاضاه ، فأجابه (هانز) : سأحصل لك على /٥٠٠/ مارك شهريا وبامكاني اعطاؤك ٣٠٠ مارك عن كل شخص تجنده للعمل معنا ، فوافق سمير وفي اليوم التالي كان يزور هانز في مكتبه ويقبض منه راتب أول شهر (مقدما) ، ليتمكن من التفرغ لمهمته الجديدة كجاسوس

نشاط سمير التجسسي في ميونيخ :

في مطار (ميونيخ) كان سمير يعرف أوقات وصول أية طائرة من القاهرة سواء كانت تابعة لشركة مصر للطيران أم لاي شركة طيران أخرى ، وقد أسس صداقات مع بعض موظفي مكتب شركة مصر للطيران وبعض المضيفين والمضيفات وكان يستقبل كل مصري يكون قادما الى ميونيخ ، ويعرض عليه خدماته وخبرته ، وبالطبع فان أي مصري يجد مصريا آخر في هذه البلاد النائية يقدم له مثل هذه المساعدة ، فانه يقبلها شاكرا من تأمين فندق متوسط ، الى شراء سيارة ، الى (ترجمة) حين التجول في ميونيخ ، كل ذلك مقابل أن يسأله سمير أسئلة عادية جدا في ظاهرها البراءة :

١ ـ ازاي الحال في بلدنا ؟ (ويترك الجواب من القادم على سجيته كعادة المصريين في التحدث) •

٢ ـ انشاء الله كله كويس وحنحارب •

٣ ـ ازاي انتو عايشين ، فيه عندكم كل حاجة (يقصد التموين) •

ولا ينسى أن يأخذ من الوافدين الصحف المصرية التي سبق أن أحضروها من القاهرة أو اشتروها من الطائرة ، ويعود سمير الى غرفته ليكتب ما علم من أخبار (وطنه) ، ويسلمه في اليوم التالي الى (هانز) •

تجنيد ابيه في التجسس :

استقرت الامور مع سمير فراتبه من شركة (سيمونز) جيد وراتبه الثاني من شركة (المخابرات الاسرائيلية) جيد أيضا ، وهنا أخذ أبوه في الظهور في حياته مجددا بتردده الى ميونيخ ، لينظف جيوب سمير بحجة الصرف على اخوته وعائلته ، وهنا قرر توريطه معه في التجسس فقدمه الى هانز الذي رحب كثيرا بعدما شرح له سمير الفوائد المرجوة من ابيه ، وهي :

١ ـ كبر السن لايدعو للريبة والشك •

٢ ـ صاحب عمل إداري سابقا ولديه امكانيات لادارة الاعمال

٣ ـ تكون جميع سفرياته الى (ميونيخ) بحجة زيارة ابنه (سمير)•

قام هانز بطريقته الخاصة بتعريف نفسه الى الاب وليم بأنه رجل أعمال مهم ، وأن جميع أعمال ابنه سمير مزدهرة بفضله ، وأن بامكانه التعاون معه لتأسيس عمل مماثل لعمل ولده ، فوافق بلا تردد .

أعلم الاب بصراحة بأن عمله سيكون جمع المعلومات العسكرية والسياسيه والاقتصادية عن مصر وارسالها الى بعض العناوين في سويسرا او ايطاليا أو احضارها شخصيا الى ميونيخ . وسيكون عمله منوطا بنجاحه في الحصول على معلومات دسمة لانهم سوف يدفعون له /١٠٠٠/ مارك عن كل تقرير ، وذلك تشجيعاً له ، ونظرا لمكانته وكبر سنه .

انغمس الاب وليم بالتجسس، وتردد عدة مرات الى ميونيخ يقدم المعلومات ويقبض الماركات ، فكف عن مطالبة سمير بالمصروفات ، وفي كل مرة كانت المخابرات الاسرائيلية تزوده بطلبات جديدة . ومن جملة تعليماتهم المهنية له :

١ ــ لا تقرأ أي قضية تجسس تنشرها الصحف المصرية .

٢ ــ تجنب الخطا في عملك . لأن الخطأ يؤدي للوقوع بين يدي المخابرات الحربية في القاهرة ، وهذه المخابرات معاملتها قاسية جداً ...

٣ ــ وسائل المخابرات الاسرائيلية (حسب زعمهم) لا يمكن الكشف عليها .

٤ ــ أسلوب عمل المخابرات الاسرائيلية لا يمكن لاحد أن يعرفه .

٥ ــ كانوا يطمئنوا (العم وليم) حتى ولو حصل ما لم يكن بالحسبان وقبضوا عليك فسوف (نرعى أولادك) .

نهاية مؤسسة وليم باسيلي وولده سمير للتجسس :

طلبت المخابرات الاسرائيلية من سمير مضاعفة عمله بتجنيد اكبر عدد من المصريين للتعاون معهم . فبدأ بتقديم بعض المصرين الوافدين الى ميونيخ الى هانز واحداً واحداً حتى بلغوا خمسة طلب منهم جميعاً التجسس على (وطنهم)، فعاد ثلاثة منهم الى مصر واما الاثنان فقد انتقلوا الى بلد آخر للعمل به ، فلاهم عادوا الى مصر وأخبروا ، ولا هم بقوا في ميونيخ وتجسسوا . أما الثلاثة الذين عادوا الى مصر فكانوا عند حسن ظن وطنهم بهم ، هذا الوطن الذي وضع

فيهم هذه الدماء وهذه الكرامة ومع أن الثلاثة عادوا بأوقات متفاوتة وأخبروا (المخابرات) عما تعرضوا له ، وما طلب منهم فقد جمعت معلوماتهم في (ملف واحد) ، مضافاً اليها ما لدى هذه المخابرات من معلومات عن تاريخ سفر سمير ، ومكان عمله وبعض الصور عن مراسلاته (لذويه) ، ومن ثم تاريخ أول سفرة لابيه وبعدها عدد السفرات الى ميونيخ ، كل ذلك قدم ملفا كاملا الى النيابة العامة التي وافقت على تتبع نشاط الاب وولده واتخاذ ماتراه المخابرات الحربية مناسباً.

تنكر أحد ضباط المخابرات بشكل ثري ، واخذ يتردد على مكتب وليم باسيلي يطلب الاستفسار عن امكانية فتح بعض المشاريع العمرانيه بمناسبه عودته من الكويت ، ومعه مبلغا ضخما من المال نتيجة أعماله وتعهداته السابقه ، وكان لابد للاب ان يستشير ابنه وشريكه فطلب منه الحضور لتدارس الامر ، فحضر سمير ومعه صديق الماني وصديقته لا دخل لهم بالتجسس واصطحبهم الى الاهرامات ثم أسوان ، ولدى عودتهم بالقطار وجد المخابرات المصرية بانتظاره في المحطة ، فاستاذن من ضيفيه بلباقه على ان يلحق بهما الى الفندق ، وفي مركز المخابرات فوجىء بأبيه قد سبقه وبعد ذلك فوجىء الاثنان بدخول (الثري القادم من الكويت وصاحب المشاريع العمرانية والذي احضر سميراً الى الفخ بسببه) مرتديا البزة العسكرية ، وقد أدى له الموجودون التحية العسكريه .

اعترف الاب وابنه بالتجسس،وبما اقدما عليه من نقل المعلومات العسكريه والسياسية والاقتصادية عن مصر الى المخابرات الاسرائيلية قام بالتحقيق الاولي السيد العقيد عز الدين رياض (رئيس النيابة العسكرية) ، ثم قدم الاثنان الى (المحكمة العسكرية العليا) المختصة بجرائم التجسس والخيانة ، وبعد تكرار الاعتراف حكم على الابن سمير وليم فريد باسيلي بالاعدام شنقا لتخابره مع دولة معادية لمعاونتها في عملياتها الحربية والاضرار بالعمليات الحربية لمصر ، ومعاونة العدو عمدا بتقديمه بعض المصريين لتجنيدهم للعمل لصالح المخابرات الاسرائيلية . وحكمت على الاب وليم فريد باسيلي بالاشغال الشاقه مدة ١٥ سنة بتهمة التخابر مع عملاء دولة معادية لمعاونتها في عملياتها الحربية ، ومعاونه العدو بتقديم بعض المصريين لتجنيدهم للعمل لصالح المخابرات الاسرائيلية . وبراءة المصريين الثلاثة الذين أخبروا المخابرات عملا بالمادة (٨٤) من قانون العقوبات

(يرجى مراجعة البحث القانوني في هذا الكتاب) التي تعفي من العقوبة كل من بادر من الجناة بابلاغ السلطات الادارية او القضائيه قبل البدء في تنفيذ الجريمة ، وقبل البدء في التحقيق . ويجوز للمحكمة الاعفاء من العقوبة اذا حصل البلاغ بعد تمام الجريمة ، وقبل البدء في التحقيق ، ويجوز لها ذلك اذا مكّن الجاني في التحقيق السلطات من القبض على مرتكبي الجريمة الآخرين او على مرتكبي جريمة أخرى مماثلة لها في النوع والخطورة .

يوم لا ينفع الندم :

أثناء التحقيق مع الجاسوس الابن في هذه القضية سمير باسيلي كتب بخط يده : انني اشعر الآن انني أخطأت بحق وطني الحبيب ... ، وقد حفظت في ملفه الذي سيحفظ نهائياً بعد تنفيذ حكم الاعدام به ...

وفاء المخابرات العربية لعملائها داخل اسرائيل

المخابرات العربية مثل جميع المخابرات في العالم تتميز بالرجال الاقوياء الاذكياء ذوي القدرة والخبرة ، كما يتوفر لمعظم مخابرات الدول العربية الميزانية الكافية لاتمام أعمالها بدقة تامة ، لا تنقص بأي حال من الاحوال عن مخابرات أية دولة من الدول . حيث توجد مدارس للمخابرات في كل دولة عربية يدخل فيها الشباب القوي المختار ، ليتخرج ويخدم بلاده عن طريق الجاسوسية ، وأنا شخصيا اتبعت في أول عهدي بالمخابرات العربية دورة تدريبية لمدة طويلة في مدرسة المخابرات العربية . تعلمت في هذه الدورة مختلف وسائل العمل في مكافحة التجسس ، وفك الرموز والشيفرة وحتى الدفاع عن النفس بطريقة المصارعة اليابانية (الجيدو) على يدي متخصصين مدربين ، وعرفنا خصائص رجال المخابرات الاسرائيلية بصفة خاصة،وشاهدنا عشرات الافلام التي التقطها مخبرونا المنتشرون في داخل اسرائيل لمختلف الاماكن الحساسة حتى أدق اعلانات النيون كانت واضحة في أحد الافلام التي صورها أحد عملائنا داخل طبريا ويتبع عملاؤنا داخل اسرائيل نفس الطريقه العالمية في ارسال ما يحصلون عليه من الاخبار والاسرار . كما يقومون بتجنيد العديد من اليهود للعمل لقاء مبالغ

باهظة تسلم اليهم ، اما بالدولارات أو بالليرة الاسرائيلية المتوفرة بين يدي عملائنا داخل اسرائيل للدفع حالا لاي عميل تتوفر فيه النية في التعاون لعدة أسباب أولها الحصول على المال ، وثانيها الحقد على الحكام الاسرائيليين • ونادرا ما يقع أحد عملائنا في قبضة السلطات الاسرائيلية • ومع ذلك فقد خان الحظ مفرزة من المخابرات عندما كانت هذه المفرزة متوجهة الى لقاء أحد عملائنا داخل الارض المحتلة • وكان أحد المواطنين في الارض المحتلة مع الاسف الشديد يتعامل مع المخابرات الاسرائيلية ، وشاهد هذه المفرزة ، وهي متجهة الى هدفها، فأخبر المخابرات الاسرائيلية التي راقبت المفرزة حتى وصلت الى منزل العميل العربي ، حيث تقدم أحد العناصر وطرق الباب بينما بقي الباقون يقومون بحمايته • وعندما خرج العميل ليسلم الطارق الامانه ، لان الطرقات على الباب كانت من العدد بحيث عرف العميل ان الطارق رسول المخابرات العربية • وعند فتح الباب فوجيء الجميع بأنهم محاصرون من الجيش الاسرائيلي والمخابرات • فقام أفراد المفرزة حالا باطلاق النار من مكان اختفائهم حمايه لزميلهم ، وللعميل اللذين زحفا حتى انضما الى زملائهم تحت وابل من نيران الاسرائيليين وانسحبوا حالا • تاكد العميل من مقتل الخائن مع بعض الجنود الاسرائيليين ، واستشهد في هذه المعركة اثنان من المخابرات العربية بينما تمكن الباقون من العودة بالعميل ، وما معه من معلومات الى مركز المخابرات العربية ، حيث أذاعت اسرائيل عن الحادث في اليوم التالي من اذاعتها ، وصرح العميل أنه عمل مع المخابرات العربية ست سنوات كاملة كان يرسل المعلومات بمختلف الطرق ، ومنها ذهابهم اليه لاستلام المعلومات • كما أنه بحضوره معهم الى مركز المخابرات العربية قد حفظ حياة وكيل ضابط في الجيش الاسرائيلي ، كان قد جنده معه، وكان يزوده بمعلومات وأوامر عن تحركات الجيش الاسرائيلي كانت جميع هذه الاخبار صحيحة بعد مطابقتها مع غيرها من الاخبار الواردة من اسرائيل من مصادر ثانية • وقد علمنا أنه أعطيت التعليمات بالاتصال مع وكيل الضابط الاسرائيلي مع عميل آخر لتسليم راتبه من المخابرات العربية ، وليستمر في التعاون معها •

لدى وصول العميل العربي للمخابرات العربية اتضح أنه ترك زوجته

وولده في اسرائيل رهن الاعتقال بعد فراره ، ولكن المخابرات العربيـــة قامت بواجبها نحوه خير قيام حيث منح جواز سفر عربي باسم جديد ، وأعطي مبلغاً من ميزانية المخابرات ، وسافر الى احدى دول أميركا اللاتينية لينضم هناك الى الجالية العربية • وبعد مدة طلبت لجنة الهدنة مبادلة زوجته وولده عن طريقها مع جاسوس اسرائيلي معتقل ، وبالفعل وافقت اسرائيل ، وأحضرت زوجتـــه وولده الى ضيافة المخابرات العربية . وأرسلوا بالطائرة الى أميركا حيث عادوا عائلة كاملة وهذا خير دليل على وفاء المخابرات العربية •

اشهر الجواسيس

في العالم مشاهير من العلماء والاطباء والمهندسين والفنانين تتناقل أخبارهم الصحف ومحطات الاذاعـــة يوميا ، وتشرح ما قدموه للبشرية من اختراعـــات وبحوث نافعة من الازل حتى عصرنا هذا وهناك مشاهير للجواسيس ايضا ، وهؤلاء يكونون أنفع لبلادهم في كثير من الاحيان من العلماء وغيرهم ، ذلك لانهم يقدمون لبلادهم الخبر اليقين عما يجري • ويرتب ضدها من البلد الذي يوفدون اليه مخاطرين بحياتهم ، بينما يقبع العالم في مكتبه أو مختبره يقـــوم بأبحاثه ، وهو مطمئن البال والخاطر يتمتع بمبـــاهج الحياة وترفها ، لايفكر بانكشاف أمره والقبض عليه مثل الجاسوس ، وقد شرحنا كيفية انتقاء الدول للجواسيس وتدريبهم وتكليفهم بالمهمات الصعبـــة في بلاد نائيـــة ، فيقومون بمهماتهم خير قيام • ونادرا ما يقعون بأيدي المخابرات • وفي أغلب حالات كشف الجواسيس لعبت الصدفة دورها بينما يأتي دور خطأ الجاسوس بالمرتبة الثانية لتـــي تـــؤدي لكشفـــه •

وتتابع المسير مع أحداث العالم بصورة عامة لنجد أن أغلب الاحداث كانت (المخابرات) وراءها ، فالجواسيس منتشرون في جميع أنحاء العالم ، وهناك عدة طرق لعمل هؤلاء الجواسيس وبقائهم بشكل مموه في البلاد التي توفدهم اليها (مخابراتهم) • ومن أهم صفات الجواسيس وأعمالهم :

١ ـــ فتح مكاتب تجارية بالتعاون مع أفراد البلاد التي يعيشون فيها •

٢ ـ عرض رؤوس أموال لتأسيس (شركات) وتنفيذ مشاريع عمرانية ـ انشائية بالتعاون مع أبناء البلاد .

٣ ـ المشاركة في الصحف ودور النشر .

٤ ـ شراء فنادق جاهزة أو انشائها بنفس الطريقة .

٥ ـ الانتقال الى البلد المطلوب التجسس فيه ، والتظاهر بممارسة مهنة معينة يحتاج اليها أبناء ذلك البلد (تصليح ساعات) أو (راديو) ... الخ .

يضاف الى هؤلاء الملحقون الثقافيون والعسكريون ، وحتى الملحقون الصحفيون والتجاريون . كلهم يعمدون الى جمع المعلومات من مختلف المصادر وبذلك يتعدون عملهم ، حتى أن بعضهم يجند من أبناء البلاد لمده بالمعلومات مقابل بعض المال ، وكثيرا مايقع هؤلاء الملحقون ضحية وطنية أبناء البلاد التي يعملون بها ، والذين يخبرون السلطة المختصة (المخابرات) لدى أول أتصال بهم ، فتعمل المخابرات على مراقبتهم والقاء القبض عليهم ، متلبسين بجريمتهم ، فتطردهم من بلادها مثلما نسمع كثيرا ويوميا من الاخبار ونقرأ في الصحف (بسبب حصانتهم الدبلوماسية) .

واذا استعرضنا أحداث الحرب العالمية الثانية وما جرى بين الدول من معاهدات ، ومن ثم حروب وصلح وهزيمة ، ونجد أن المخابرات والجواسيس وراء كل ذلك ومهما كانت الجيوش قوية ومجهزة بأحدث وأفتك الاسلحة لا يمكن لها أن تنتصر الا بنتيجة مجهود المخابرات والجواسيس الذين يقدمون المعلومات والخطط والخرائط ، وحتى انهم يتمكنون من معرفة ساعة وتاريخ الهجوم كما سنعرف من قصة أجرأ وأخطر جاسوس للاتحاد السوفييتي ، وهو « ريتشارد سورج » ، هذا الجاسوس الذي تسببت شبكته التي أنشأها في طوكيو فيما بعد في تغيير مجرى الحرب العالمية الثانية .

ريتشارد سورج

ولد ريتشارد سورج في مدينة (باكو) الروسية من أب الماني وأم روسية ، وكان والده الالماني مهندسا في شركة (بترول القوقاز) . وعندما بلغ ريتشارد الثالثة من العمر انتقل مع والده ووالدته الى برلين ، مسقط رأس ابيه . وكانت

حال ابيه لاتسمح بتدريسه ، لذلك وقبل أن يتم دراسته الثانوية عام ١٩١٤ جند في الجيش الالماني . فاشترك بالحرب حيث أصيب بجروح خطيرة ثلاث مرات ، وفي آخر مرة أصيب بها كانت اصابته أخطر من اصابته السابقتين ، لذلك حصل على فترة نقاهة يقضيها في منزله . وفي خلال هذه الفترة بدأ يفكر في الاسباب السياسية والاقتصادية التي تسبب مثل هذه الحروب ، وأغرق نفسه في مطالعة كتب الادب (اليساري) . حتى خرج من الحرب مؤمنا ومعتقدا بالماركسية ، حيث تخلى عن مشروعاته السابقة بالاشتغال بالطب ، وتوجه الى متابعة دراسته الثانوية ، ومن ثم الجامعية فحصل على دكتوراة في العلوم السياسية من جامعة (هامبورغ) ، ثم انضم رسميا الى الحزب الشيوعي ، وخدمه باخلاص عميق . ولم يتأفف وهو يحمل هذه الدرجة العلمية من العمل كعامل مناجم ، ثم جامع تبرعات ، ثم ممرض واخيرا (صحافي) حتى اكتسب خبرة تامة في الشؤون العالمية سياسيا واقتصاديا وعسكريا . مما حمل (الكومنترن) أي المخابرات السوفياتية الى أن يطلب اليه المساعدة في انشاء مكتب للمخابرات بمقر الحزب الرئيسي في موسكو (لا يزال هو المقر الرسمي للمخابرات السوفياتية الى يومنا هذا بعد توسيعه أضعاف ما كان عليه) .

أظهر سورج صلاحية واسعة بانشاء مكتب المخابرات ، ووضع كل ما اكتسبه من خبرة في نجاح هذا المكتب . وبعد أن استقر في موسكو واصبح (سرا) مواطنا سوفياتيا نقلت خدماته الى القيادة العامة (الجيش الاحمر) . وفي النهاية أرسل الى (شانغهاي) حيث أدار شبكة تجسس هامة . وفي أوائل عام ١٩٣٣ استدعي الى موسكو ، وعهد اليه بمهمة انشاء (شبكة تجسس في طوكيو) . وكانت هذه المهمة عملية تجريبية بحتة اذ لم يكن هناك من يعرف ما اذا كانت ممكنة أم لا . كما أن سورج كان اكثر المرشحين بعدا عنها . اذ أنه ولا شك سيكون ظاهرا باعتباره أجنبيا في اليابان . مع ذلك فان رؤساءه السوفييت قرروا أنه أصلح رجل لهذه المهمة . وأنه سوف يستغل مظهره الواضح كألماني ستارا لعمله من ورائه بل سوف يبرزه . فيذهب الى طوكيو كصحافي يستطيع أن يذهب الى أي مكان ، ويقابل كل انسان ويوجه اي سؤال .

وفي استطاعته ان يختفي عدة أسابيع ثم يظهر فجاة في أي مكان دون أن يثير أي شك حوله ، فان عمله يكفل له أكمل وأنجح عملية (للتجسس) • ولكن كان من الضروري العودة الى المانيا للحصول على أوراق الاعتماد المناسبة ودور النشر التي يمثلها . وسيكون ذلك أشبه بالسير على حبل مشدود فوق الكارثة، فمنذ شهر يناير وعندما أصبح هتلر مستشارا لالمانيا تعرض الشيوعيون لهجوم وحشي هناك . وحل الحزب الشيوعي الالماني ، ودمرت صحفه وسجن اعضاؤه . وتعرضوا للمضايقات. وكان (سورج) ذا نشاط في الحركة السرية الشيوعية في أماكن كثيرة من المانيا •

ولكن يبدو أحيانا بأن الحظ يخدم ذوي الجراة . فقد أتاحت له الاوراق المناسبة التي اعدتها له موسكو (المخابرات السوفياتية) ان يدخل دون أي حادث إلى العالم العجيب الذي كان يجتاح المانيا •

جوازسفر

واستطاع الحصول على جواز سفر الماني ، وجمع خطابات توصية لكثير من ذوي النفوذ في طوكيو . ورتب أمر ارسال برقيات من صحيفة (فرانكفورت زيتونج) .وكذلك لصحيفتين من صحف برلين ومجلة (ذيتشريفت نورجويوليتك) وكانت أصعب مشكلة هي اكتساب ثقة أعضاء الحزب النازي الحاكم • ومن أجل هذه الغاية قرأ الكثير من الدعايات النازية ، وحفظ كل الكلمات الشهيرة والدارجة في المانيا، وقرأ كتاب (كفاحي) لهتلر عدة مرات حتى استطاع أن يسرد صفحات بأكملها من الذاكرة ، وسرعان ما أصبح يجادل أفضل النازيين • ورحب أصدقاؤه الجدد من أتباع الصليب المعقوف بهذا المجند الذي يبشر بالامل في صفوفهم . وصحبوه الى كثير من مآدب حانات البيرة الالمانية • ولكنه كان يتوقف عن احتساء الكحول خوفا من أن يشي به لسانه •

وعندما قدم طلبا في النهاية للانضمام الى الحزب النازي أمسك أنفاسه ، لان الجستابو يفحص كل الطلبات ، ويحقق عن أصحابها • ولكن حظه كان مايزال قويا فقد غادر برلين للالتحاق بمهمته الجديدة في طوكيو ، وهناك لحقت به بطاقة عضوية الحزب النازى الالمانى •

سفر سورج إلى طوكيو وابتداء مهمته

وصل سورج الى طوكيو ، وأخذ يظهر بمظهر الالماني الصالح ، فقد انضم الى سلك الصحفيين الاجانب • ومن ثم توجه الى السفارة الالمانية في طوكيو ، وأطلع على أوراق اعتماده كمراسل (فرانكفورت زيتونج) • وكان وسيما طويل القامة ، ذا بشرة سمراء وعينين زرقاوين صافيتين • وكان قد بلغ من العمر في حينه ــ ٣٧ ــ عاما وأخذ ينتقل بلا مبالاة ، وحتى درجة الدكتوراة في العلوم السياسية التي يحملها تتيح له أن يخاطب بلقب (هر ــ دكتور) • وقد لقي ترحيبا شديدا في السفارة ، وبدأت اتصالاته الصحفية ، حيث خضعت الصحيفة التي يمثلها للحزب النازي وسلطته وكانت تعتبر أفضل صحيفة في برلين واستطاع خلال الاشهر التالية ان يثبت وجوده كصحفي ، وذلك بالعمل الجاد الذي ضمن له النجاح • وكانت أول مفاجأة له في طوكيو هي التقاؤه بالصحفي الياباني (آريتومي ــ ميتسوكادو) الذي يعمل مخبرا في صحيفة (جيجي شمبو) ، والذي أصبح لا يفارقه ، عارضا عليه نصائح مفيدة من خبرته ، وفعلا طلب منه سورج أن يجد له غرفة سكن في أحد الفنادق ولكن مدير الفندق أخبره بان آريتومي كان يعمل مخبرا ، مع أن سورج وحاسته السادسة في التجسس قد استنتج أن آريتومي يعمل مخبرا للبوليس وأن البوليس قد وضعه تحت المراقبة فعلا كاجراء روتيني بالنسبة لجميع الاجانب • وكانت محاولات آريتومي لكشفه ومعرفة ما لديه ، وسورج ينظر اليه نظرة استاذ الشطرنج الى طفل يتحداه ، وهو في العاشرة من عمره ، حيث ان سورج جاسوس محترف ، وأحد أبطال مخابرات الجيش الاحمر • وهكذا تخلى البوليس الياباني عن مراقبته تلقائيا ، بعدما وجد أمامه مواطنا المانيا صالحا وصحافيا يبحث وراء الخبر والكلمة ، أما سورج فأخذ يدعم مكانته بين الجالية الالمانية في طوكيو ، فصادق موظفي السفارة ، وحضر كل حفلات النادي الالماني • وكان من رواد جمعية شرق اسيا الالمانية في طوكيو ، وبذل جهودا جبارة لتعلم اللغه اليابانيه حتى ادرك معظم معانيها • وكانت له جولات غراميه مع النساء ، حيث كان يغزو قلوبهن برشاقته • ومن ثم

يتخلص منهن بدون صعوبة . وكانت موسكو قد امهلته عامين ، لكي يؤسس شبكته بحذر . وكان عليه ان لا يقوم باي عمل خطير خلال هذين العامين . وقد بدا شبكته بثلاثة أعضاء وهم :

١ ــ برنارد وهو الماني ، خريج مدرسة موسكو للاسلكي ، وستكون مهمته بناء وادارة جهاز اللاسلكي .

٢ ــ برانكودي فوكليتش ، وهو يوغسلافي ويعمل ظاهرا كمصور لاحدى المجلات الفرنسية .

٣ ــ مياجي بوتوكو وهو ياباني ، فنان في الثلاثين من عمره . وكان قد هاجر الى كاليفورنيا وهو في السادسة عشرة من عمره ، وهناك التحق بالحزب الشيوعي .

وبعد مضي أربعة أشهر من وصوله الى طوكيو وصله أول رسول للمخابرات السوفياتية . وهو شخص من اسكنديناوه ، حيث تحدثا باللغة الانكليزية في فندق طوكيو ، ثم اتفقا على القيام بجولة سياحية في اليوم التالي في ضواحي طوكيو . وهناك سلمه سورج المعلومات المتوفرة لديه . واستلم منه مبلغا ضخمامن المال نفقات الشبكة لبضعة شهور .

وكانت أمثال هذه الزيارات المتقطعة التي يقوم بها رسول المخابرات السوفياتية ، هي اتصال سورج الوحيد مع موسكو الام في أول عمل الشبكة .

وفي عام ١٩٣٤ أي بعد مضي حوالي عام على تأسيس الشبكة قام بحركتين ، دفعتا أطماع شبكته للامام :

١ ــ استأجر منزلا من طابقين في حي ازابوكو رقم ٣٠ في نجازاكي ــ ماشي . وكان المنزل مخربا بحاجة الى طلاء كما كانت حديقته ملأى بالحشائش مما يجعله مكانا طبيعيا لصحفي بوهيمي غير منظم . واستأجر مدبرة منزل عجوز . طلب اليها أن تحضر للعمل في الصباح الباكر، وتنصرف حوالي الثالثة بعد الظهر، وقد أتاح له ذلك أن يبقى في البيت وحده بعد الظهر . وفي المساء لكي يستقبل الزوار أعضاء شبكته أو ممارسة نشاطه الاجتماعي ، وكان وجود المنزل على مسافة

قصيرة من مركز بوليس (توريزاكا) يجعله ستارا رائعا لتغطية نشاطه ••• اذ ليس من المعقول أن يقيم جاسوس عن عمد في ظل قسم البوليس •

٢ ــ قام من تلقاء نفسه بتجنيد ياباني آخر في شبكته الجاسوسية ، وهو صحفي بدين يدعى (اوزاكي هوكوسي) سبق أن عمل معه في شنغهاي • وكان يعرفه شخصا مريضا وداهية • كما أنه شيوعي مخلص وان لم يكن عضوا رسميا في الحزب • وقد أصبح أوزاكي من أكثر اعضاء الشبكة قيمة فيما بعد •

وفي مايو ١٩٣٥ استدعي سورج الى موسكو فذهب عن طريق نيويورك حيث حصل من بعض الشيوعيين على جواز سفر زائف حتى لا يظهر سفره الى روسيا على جوازه الاصلي • وقد حمل معه كميــة من الاوراق ، متحديــا التعليمات التي تمنع هذه المجازفات واستقبلــه الجنرال سيمــون بتروفيتش اورتيسكي رئيس الادارة الرابعة (المخابرات الروسية) استقبالا وديا ، وبدأ خلال المشاورات التي تلت ذلك متفائلابشأنمستقبلشبكةالجاسوسية فيطوكيو، فقد تمت مراحلة الافتتاح وسيركز جهوده بعد ذلك على مسألتين هما :

هل تنوي اليابان مهاجمة الاتحاد السوفياتي ••• ؟ واذا كان الامر كذلك فما هو مدى استعداد اليابان لشن الحرب ••• ؟ •

وفيما عدا ذلك كان لديه تفويض مطلق لاختيار المسائل التي يعمل بها ، وفقا لتطورات الموقف ، كان الشيء الوحيد الذي تحتاج اليه شبكته الآن هو عامل لاسلكي جديد ، فقد تبين ان برنارد غير صالــح تماما ، اذ أخر تركيب

الاجهزة اللاسلكية عدة أشهر بعد أن ساوره الفزع من هذه المخاطرة ، ولــم يرسل بعد ذلك الا أقل عدد ممكن من الرسائل • وكان يصاب بالذعر بعد كل ارسال • ودفعه التوتر الى الافراط في الشراب ، وأخيرا وافق سورج بدافع من سخطه على اعفائهمن العمل ، واعادتهالى الاتحاد السوفييتي ، وطلب بدلا منه ماكس كلاوزن وهو ميكانيكي الماني شاب ضخم ، الجسم رث الهيئــة ، كان قد عمل معه في شانغهاي كعامل لاسلكي ، أنشأ علاقة في شانغهاي مع أرملــة فنلندية حسناء تدعى (آنا والنيوس) • وقد أجل الزواج منها خوفا مــن أن تثير الاجراءات الرسمية بعض التعقدات المركبة • ولم تكن (آنا) شيوعية

وكان السوفييت الذين يستخدمون ماكس لا يرتاحون الى حالات الزواج أو العلاقات التي تتم مع الغرباء • وعندما طلب سورج ارساله الى اليابان كانت موسكو على استعداد للتغاضي عن خرقه للنظام نظرا لمهارته الخاصة الثمينة ، وفي أواخر نوفمبر ١٩٣٥ وصل ماكس الى طوكيو ، ومع أنه كان فنيا فحسب فان الشبكة لم تمارس عملها حقا الا بعد أن فتحت اصابعه البارعة طريق الاتصالات مع موسكو • كان اول اختبار شامل للشبكة في أوائل عام ١٩٣٦ عندما نشبت ثورة غريبة لا معنى لها في طوكيو • ففي ٢٦ فبراير قام حوالي ٢٤٠٠ جندي بزعامة بعض ضباط الجيش باحتلال كثير من المباني الحكومية ، بينما حاولت فرق خاصة للقتل مسلحة بالمدافع الرشاشة ان تغتال كبار المسؤولين الحكوميين في بيوتهم ، وقتل اثنان من الوزراء ، بينما افلت الاميرال أوكارا ، كيزدك رئيس الوزراء من الموت لانجلاديه أطلقوا نيرانهم خطأ على شقيق زوجته ، وعندئذ أصدر الضباط الثائرون بيانا حماسيا طويلا بدا للاجانب شيئا غير مفهوم •

كانت هذه الضجة تثير أهمية بالغة وعلى الفور طلب سورج الى فريق من جواسيسه مساعدته في ادراك سببها ، وفي ذلك الحين شرعت الشبكة تعمل بكل طاقتها ، ولم يعد فوكليتش مجرد مصور فوتوغرافي بل كان ايضا مخبرا يعمل لحساب وكالة الانباء الفرنسية الرسمية (هافاس) • وقد أتاحت له تلك الصلة فتح أبواب كثيرة أمامه • أما الفنان الشاب مياجي الذي لم يكن يعرف شيئا عن الجاسوسية عندما استدعي من كاليفورنيا • فقد اظهر موهبة عظيمة كعميل ، وتخصص في المسائل العسكرية كقوة وأسلحة وحركات الوحدات العسكرية اليابانية وروحها المعنوية • وحصل أوزاكي على وظيفة استراتيجية هامة في مشروع للأبحاث تحت رعاية صحيفة (اساهي سيمبون) • وهذا المشروع الذي عرف باسم (جمعية استقصاء مشكلات شرق آسيا) ، يستخدم كغرفة مقاصة للآراء عن النواحي المختلفة لعلاقات اليابان بكل من الصين ومنشوريا ، وقد تضمنت عضويتها خبراء في المشكلات الاقتصادية والتحليلات الاقتصادية، ومندوبين عن وزارات الخارجية والبحرية والجيش وممثلين عن هيئات أركان الحرب العامة وغيرهم من مندوبي الحكومة والصناعات اليابانية والمثقفين ، ولو أن سورج نفسه وضع تخطيط هذه العملية لما فعل أفضل من ذلك ؛ وبينما كان

هؤلاء الثلاثة يحاولون استقصاء حقيقة حادث ٢٦ فبراير من زواياهم الخاصة ، أخذ سورج يعالجه عن طريق السفارة الالمانية ، اذ قال لهم انه من الاهمية بمكان الوصول الى أعماق الازمة ، ولقترح أن يقوم هو ، والسفير (هربرت فون ديركسن) والملحق البحري الكابتن (بول فينكر) ، والملحق العسكري الكولونيل (أوت) بتحقيقات مستقلة على أن يجمعوا نتائج تحقيقاتهم فيالنهاية.

وكانت منزلته رفيعة في السفارة الى حد أن اقتراحه قبل فورا ، بل تبناه السفير بالذات . وحصل من الملحق العسكري بصفة خاصة على معلومات ثمينة عن العسكرية اليابانية، وكان قد عقد أواصر صداقة وثيقة مع الكولونيل (يوجين أوت) ، وتضمنت هذه المعلومات أنواعا مختلفة من النشرات والكتيبات ، التي تثير فضائح . وكانت هذه الوثائق وغيرها التيجمعتها السفارة بالغة الاهمية بالنسبة له ، حتى انه أغلق باب المكتب المخصص واستخدم كاميرا صغيرة في تصويرها صفحة صفحة لارسالها الى موسكو ، وثبت أن التحليل الذي وضعه مياجي دقيقا للغاية ، فقد ذكر أن الثورة نشبت قبل أوانها ، وأنها ضعيفة التكامل والتسليح ، سوف تنتهي سريعا ، وفي تقرير آخر أشار مياجي الى أن السياسة اليابانية حيال الاتحاد السوفييتي (وهي أهم مسألة) سوف تتوقف على العناصر التي ستكسب المعركة ، ونظرا لان أي شخص يسيطر على الجيش يسيطر على اليابان كلها ، فان العصبة التي تتولى الحكم سوف تملي سياستها الخارجية ، وتنبأ مياجي بأن المعتدلين تحت زعامة الجنرال (اوجاكي كازوشيجي) ــ وكان سكرتيره صديقا قديما لمياجي ــ ما زالوا يمسكون بزمام الموقف ، ومن ثم فان الاتحاد السوفييتي ليس في خطر مباشر من ناحية اليابان ، وضع سورج كل هذه المعلومات في تقرير طويل قدمه للسفارة الالمانية ، فبعث الكولونيل (اوت) المعجب نسخة منه الى رؤسائه في برلين الذين اعجبوا به ، وطلبوا المزيد من مثل هذا العمل الرائع ، ولم يرفع هذا التقرير من أسهم سورج في عين السفير وأوت فحسب ، بل انه أتاح له عذرا محكما لاستخدام مصادر السفارة في ابحاثه المستقبلة ، وفضلا عن ذلك فان مقالاته المليئة بالمعلومات عن الثورة رفعت من قدره بين زملائه الصحفيين والجالية الالمانية في اليابان .

لقد نجح سورج في اختياره الاول الحقيقي كجاسوس سوفييتي فيطوكيو، وكشف كفاءة نادرة في استيعاب المعلومات واستغلال الفرصة وتحويلها لصالحه. وقد أثبت تقريره الذي بعث به الى رؤسائه في المخابرات السوفياتية عن طريق رسول خاص أنهم كانوا على حق في اختياره ومنذ ذلك الحين وشبكة التجسس التي أقامها تمضي قدما الى الامام طوال الاعوام الخمسة التالية أي الىعام١٩٤١.

بقيت آنا والنيوس بضعة شهور في روسيا بعد رحيل ماكس الى طوكيو ويبدو أنها كانت بمثابة رهينة في أيدي المخابرات السوفياتية ، ولم يسمح لهـا باللحاق به إلا بعد أن أنشأ اتصالات لاسلكية مرضية ، وأظهر انه لا يزال في قبضتهم تماما ، ولكنها التقت في النهاية بماكس وتزوجا .

طلب ماكس استئجار مبان خشبية ذات طابقين في مناطق مزدحمة بالسكان، كما أن ارتفاع المبنى يساعده في الارسال ، والمناطق المزدحمة تجعل من الصعب على البوليس التفتيش لكل مسكن عندما تشير أجهزة الكشف البدائية التـي لديهم الى منطقة عامة . وكانت كل الرسائل ترسل بالانجليزية من أجل الامان. إذ لو استخدمت اللغةالروسية وحلل اليابانيونالشيفرة،فان ذلك سوف يحرج موسكو ، وكذلك إذا استخدم الالمانية فان ذلك يعرض مركز سورج في السفارة الالمانية للخطر .

وقد أنشأ ماكس لنفسه عملا كستار يعمل من ورائه،وذلك بطبع الرسومات الهندسية وقد نجح في عمله منذ البداية مما أبهج (آنا) ذات الميول الرأسمالية ، ولم تكن آنا تخفي المعاداة للشيوعية . ولعل هذا هو السبب الذي جعل زوجها يقرر استخدامها حاملة رسائل ، وربما أراد أن يورطها في نشاطه ونشاط الشبكة ليضمن سكوتها ، وعلى أي حال فانها ذهبت الى شانغهاي تحمل /٣٠/ لفة من الافلام الدقيقة ، وعادت الى طوكيو بقبعة جديدة من الفراء ، مكافأة من ماكس على رحلتها الخطرة .

أما سورج فلم يستخدم عشيقته الخاصة كحاملة رسائل قط أو أي هدف يتعلق بالجاسوسية . وكانت ايشي هاناكو فتاة يابانية حسناء تعمل جرسونة في بار يمتلكه ألماني ، يدعى رينجولد ، يرتاده سورج كثيرا ، وحدث في احدى

امسيات ١٩٣٥ ان جاءت لخدمته فأعجبته وبدأ يخرج معها ، وسرعان ما أنشأ علاقة معها كان يخلص لها بقدر ما تسمح له طبيعته الجاسوسية ، وكان سخياً ، وعندما علم أنها تهتم بالموسيقى اشترى لها بيانو الماني الطراز ، وجعلها تتلقى دروسا في العزف والغناء ، بل استأجر لها منزلا ، لان مسكنها الصغير لا يتسع للبيانو ، وكتم عنها طبيعة عمله •

أصبح مركزه في السفارة الالمانية مركزا ممتازا ، وهو نجاح يدين به جزئيا الى اوزاكي ، وعندما غزت اليابان الصين في يوليو ١٩٣٧ كتب اوزاكي مقالا تنبأ به بحرب طويلة ، تلي ذلك ، ولم تكن وجهه نظرة شائعة في اليابان ، حيث كان المعتقد على نطاق واسع ان الصين سوف تكون (دفعت للامام) • ولكـــن بينما كانت الحرب مستمرة شهراً بعد شهر ، ظهر بوضوح ان اوزاكي كان على صواب ، وزادت هيبته تبعا لذلك وكان سورج يتفق مع اوزاكي حول (احداث الصين) ، وكان قد تردد في السفارة الالمانيه صدى تقرير اوزاكي بان الحرب ستكون حربا طويلة ، وكانت النتيجة ان اسهم سورج ارتفعت من جديد ، بل لقد دعي لالقاء محاضرة على موظفي السفارة عن الموقف في الصين فلم يمانع ، ولكن الحظ كان عاملا ضخما أيضا ، ففي اوائل عام ١٩٣٨ ساعده الحظ بطريقة يصعب تصديقها ، عندما عين صديقه الملحق العسكري (يوجين أوت) ليخلف كسن المريض في منصب السفير ، وكان اوت وسورج صديقين منذ البداية فقد حارب الاثنان معا في الجبهة الغربية وكلاهما يهوى الشطرنج ، وبموافقه موسكو كان سورج قد اطلع أوت على ما يمكن اطلاعه عليه من المعلومات التي حصل عليها من اوزاكي ومياجي ، وأتاح هذا لاوت نافذة على اليابان ، لم يكن ليستطيع أن يفتحها عن طريق الوسائل الدبلوماسية والعسكرية العالية ، وكانت المعلومات التي اكتسبها أوت عن شؤون اليابان بلا شك عاملا في تعيينه سفيرا ، وهو تكريم عظيم لان ترقية ملحق عسكري الى هذا المركز الدبلوماسي الكبير امر غير عادي في تلك الايام •

وازداد اعتماد أوت على سورج بعـــد أن أصبح سفيراً ، وراح الملحقـــان العسكري والبحري يستشيرانه في مشاكلهما ، ويعرضان عليه صور البرقيات الهامة ، والتقارير ، ليقول لهما مقترحاته فيما ينبغي عمله حيالها ، وكان السفير

أوت قد أخذ يستخدمه كحامل رسائل الماني ، مرسلا إياه الى مانيلا وكانتون وهونج كونج بعد أن منحه جواز سفر دبلوماسي متمتعا بصفة دبلوماسية لكيلا يتعرض للفحص من رجال البوليس أو الجمارك ، وقد وقع حدث جديد جعل تغلغله في السفارة أمرا ذا قيمة خاصة للسوفييت وذلك هو فرار الجنرال (ليوشكوف) الذي غادر منصبه وهرب عبر حدود مانشوكو لكي ليقع في أيدي جيش كوتنج الياباني الذي أرسله سريعاً الى طوكيو لاستجوابه استجواباً سريعاً ودقيقاً ، وكانت تصريحاته غزيرة وكاشفة للاسرار الى حد أن السفارة الالمانية التي كانت تتلقى المعلومات عن أركان الحرب اليابانية اقترحت أن ترسل برلين بعثة خاصة لاستجواب ليوشكوف في المسائل التي تتعلق بالمصالح الالمانية ، ووافقت المخابرات الالمانية على ذلك ، وسأل سورج رؤسائه الروس (هل تحبون رؤية تقرير هذه البعثة) ؛ وكان الرد قاطعا أن الشبكة يجب أن تبذل اقصى جهد للحصول عليه ، وقال لموسكو إنه سيكون من الصعب تماماً الحصول على مثل هذه الاشياء ، وكان معتادا أن يبالغ في صعوبة عمله ، والواقع أن المسألة لم تكن فيها أية صعوبة ؛ فعندما وضعت البعثة الخاصة تقريرا من بضع مئات من الصفحات تلقت السفارة نسخة منه وعرضته فورا عليه ، وقد كشف التقرير عن وجود عناصر معارضة في سيبيريا ، وأن المعلومات عن وجود الجيش الاحمر في سيبيريا مذكورة بتفصيل مدهش ، فقد ذكر مثلا أن هناك حوالي ٢٥ فرقة من الجيش الروسي في سيبيريا ، بما في ذلك منغوليا الخارجية ، ووصفت أماكن وتكوين وعتاد هذه الفرق ، ووجد سورج أن حوالي نصف التقرير يستحق التصوير لارساله الى المخابرات الروسية ، وقد أدى خدمة عظيمة للاتحاد السوفييتي عندما حدد فورا ما عرفه عن العدو المحتمل بالضبط ، كما أن تقريره الذي ذكر أن ليوشكوف قد أفشى سر الشيفرة العسكرية كان بحد ذاته لا يقدر بثمن ، إذ أتاح للروس فرصة لتغيير الشيفرة ، وهكذا سدوا ثغرة خطيرة في سد مخابراتهم في الشرق الاقصى بفضل سورج •

عندما أصبح الامير كونوي فوميما رئيسا للوزراء في منتصف عام ١٩٣٧ ، استفادت الشبكة فائدة بالغة • فقد كان مياجي صديقا قديماً لسكرتير الجنرال أوجاكي كازوشيجي وزير الخارجية الجديد ، كما استخدمت الوزارة الجديدة

اوزاكي مستشارا في الشؤون الصينية ، كما أصبح عضوا في الهيئة الاستشارية غير الرسمية لرئيس الوزراء ، وهي تضم تشكيله من الرجال البارزين ، وكانوا يتناولون الاخطار معا كل شهر لمناقشة المشكلات الراهنة ، ومن ثم فانهم كانوا مصدرا ثمينا للمعلومات بالنسبة لاوزاكي ، ولقد أطلق على هذه الهيئة اسم (فريق الاخطار) مثل هذه الاتصالات آتاحت له أن يرسل لموسكو تقديرات عن انتاج اليابان الزراعي ، وما يمكنها الحصول عليه من صيد الاسماك وقوة صناعتها العسكرية ومعلومات أخرى،بينما تنبؤات ملخصة عن نواياهم السياسية، مما جعل موسكو أفضل العواصم اطلاعا في العالم على شؤون الشرق الاقصى .

بعد /١٨/ شهرا في الحكم سقطت وزارة كونوي ، ولكن اوزاكي ظل عضوا في الهيئة الاستشارية لرئيس الوزراء ، وبعد بضعة شهور حصل على وظيفة في ادارة التحقيقات بسكة حديد جنوب منشوريا ، وهو منصب آكثر استراتيجية من منصبه كمستشار لمجلس الوزراء ، اذ كان للشركة علاقات وثيقة مع جيش كوانتونج ، كما أن وظيفته في الشركة أتاحت لـه الحصول على معلومات عن السياسة والاقتصاد والسياسة الخارجية وتحركات جيش كوانتونج العسكرية اليابانية والواقع أنه كان لاوزاكي مقعد في الصفوف الامامية يتيح له أن يرى أية خطوة هامة قد تفكر اليابان في الاقدام عليها ضد الاتحاد السوفييتي .

وفي سبتمبر ١٩٣٩ عندما هاجم هتلر بولندا، والقى في أتون الحرب أوربا، ازداد الجو في السفارة الالمانية بطوكيو توترا ، وكان السفير (أوت) قد قضى شهورا يحث سورج على أن يصبح موظفا رسميا في السفارة . واستطاع سورج أن يرفض دون أن يؤذي مشاعر أوت .

وفي الاول من شهر اكتوبر عام ١٩٣٩ بدأت ادارة الامن اليابانية الخاصة بمراقبة الافكار الخطرة تراقبه بهدوء ، وحيث لم يكن هناك شك خاص به . ولكن من وجهة نظر ادارة الامن لها ثلاثة أسباب طبيعية لوضعه تحت مراقبتهم وهي :

١ ـ كونه صحافيا .

٢ ـ أجنبي عن اليابان (حيث يراقب الاجانب البارزين بشكل روتيني) يجب مراقبته بين الحين والحين .

٣ ــ يتردد كثيرا على السفارة الالمانية (ومن الفقرة الثالثة نعرف بطبيعة الحال أن السفارة الالمانية في طوكيو كانت تحت مراقبة ادارة الأمن اليابانية ، حتى تمكنت من متابعة تردد سورج) . وادارة الامن اليابانية (توكو) تعتبر الاجانب مثقفين حملة جراثيم الافكار المعادية لليابانيين ، وتخشى افساد الشباب الياباني ، كما أنهم يعرفون أن الصحفيين يتدخلون في أمور ليست من شأنهم وهم يعتقدون أن هناك مؤامرات تدبر وراء أبواب أي سفارة .

عهدت ادارة الامن الى شاب في الثامنة والعشرين من عمره ، يدعى سيتوهارد تسوجو ، وهو شاب ذكي وسيم يفاخر بنفسه كأحد رجال توكو ، ولم يندفع في مراقبة سورج بل راح يسجل بهدوء عاداته ، وفي بعض الاحيان كان يقتفي أثره من البيت ، كما كان ينتظره في احدى الحانات التي كان يتردد عليها وكان سيتو شديد الحذر بحيث لا يدع سورج يراه ، ولم يقض فيمراقبته سوى ساعة كل يوم ويتركه لليوم الثاني ، وهكذا نترك سورج لنعود الى سير الاحداث الدولية حيث نجد أن رسولا خاصا من برلين حضر الى طوكيو وهو الكولونيل اوسكار ريترفون يدرماير وسبب حضوره هو اجراء تحقيق حول مدى استعداد اليابان بالاشتراك في الحرب ضد روسيا ، وكان الرسول يحمل رسالة تعرف الى سورج من السفير السابق ديركسن ، وتحت سحره وكرم ضيافته أسر اليه الرسول بأن الحرب الروسية الالمانية أضحت حقيقة ، وأن المانيا لها ثلاثة أهداف :

١ ــ احتلال منطقة القمح الاوربية في أوكرانيا .
٢ ــ الحصول على مليون أسير للعمل في الصناعة والزراعة في ألمانيا .
٣ ــ ازالة الخطر القائم على الحدود الالمانية الشرقية .

وكان هتلر يعتقد بوجوب محاربة روسيا في هذا الوقت بالذات بومساعدت المعلومات المتفرقة التي جمعها سورج على رسم صورة كاملة للموقف ، فقد توقف الكولونيل شول الذي كان مساعدا للملحق العسكري في طوكيو ، وهو في طريقه الى منصبه الجديد في تايلاند ، وكشف بسذاجة عن تعليمات على درجة من الخطورة ، وهي أن الحرب بين روسيا والمانيا ستبدأ يوم ٢٠ يونيو ، وقد تؤجل بضعة أيام ولكن الاستعدادات لها بدأت فعلا ، فقد تجمعت حوالي ١٨٠

فرقة المانية على الحدود الشرقية وكلها مزودة بالدبابات والاجهزة الميكانيكية ، وأضاف أن الهجوم سيقع على طول الجبهة ، وستوجه قوة من الجيش الالماني الاساسية الى موسكو ـ وستالينغراد ، ومن ثم الى أوكرانيا وقد ينهار الجيش الروسي خلال أشهر (شهر أو شهرين) ، وتسقط الحكومة الروسية ويفتح خط حديد سيبيريا شتاء ، ويصبح الاتصال مع اليابان ممكنا .

وكانت هذه الانباء مثيرة جدا لان هتلر كان قد وقع في عام ١٩٣٩ ميثاق عدم اعتداء مع ستالين (اتفقا سرا بينهما على اقتسام بولندا ، وهاهو هتلر يستعد لخداع الزعيم الروسي) .

دفع سورج بهذه المعلومات الى كلاوزين وأمره بارسالها حالا ، وانتظر بعدها أي جواب من موسكو حول استفادتها من هذه المعلومات ولكن شيئا من هذا لم يحدث حتى إنه لم يتلق أي شكر أو طلب المزيد من التفصيلات ، وكان كلاوزين قداختصر التقرير كثيرا حسب عادته . ولكن جواب موسكو جاء مخيبا للامال ، وكان عبارة عن برقية موجزة تقول (نشك في صحـة معلوماتكم)، وصدف أن كان سورج بجانب كلاوزين عندما جاءته هذه المعلومات والرد الفظ، فانتابته نوبة غضب جارفة وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابا ، ورأسه بين يديه وهو يصيح « لماذا لا يصدقني هؤلاء التعساء كيف يتجاهلون رسالتنا .. ؟ ».

بينما كان سورج ينتظر الهجوم الالماني في يأس راح يشرب باسراف ، وكان أحيانا يعرب عن يأسه المطلق ، كان يبدو وكانه ليس هناك طريق يستطيع أن يخطر به وطنه اللاهي ، وعندما وقعت الضربة تبين أن معلوماته كانت دقيقة، فقد شن هتلر هجومه في ٢٢يونيو بنجاح خيالي حتى بدا أن وجود روسيا أصبح في شك من معلوماته التي حذر بها من هذا الهجوم ، وعند ذلك أخذ القلق يتمكن من الاتحادالسوفياتي، فهل تنتهز اليابان هذهالفرصة لطعنه ..؟ وأبرقت موسكو الى سورج (ما هو قرار الحكومة اليابانية حيال روسيا ، والحرب الالمانيـة الروسية ، وهل هناك تحرك للقوات اليابانية نحو بلادنا ؟) .

حمل سورج السؤال للسفارة الالمانية التي لم تستطع أن تجاوب عليه اذ بالرغم من أن اليابان والمانيا كانتا حليفتين (اسما) بعد توقيع الميثاق الثلاثي

مع ايطاليا في ٢٧ سبتمبر ١٩٤٠ ، فان اليابان كما يظهر لا تريد ان تشتغل لخدمه الاهداف الالمانية . وعندما حاول السفير (أوت) اقناع الحكومة اليابانية بأن هذا هو الوقت المناسب لمساعدة حليفتها المانيا بالهجوم على روسيا من الشرق أخذ اليابانيون يراوغون ، ورفضوا بادب التقيد بأي التزام ، وقد علم فيما بعد أن اليابان قد وقعت ميثاق حياد مع روسيا ، مما أثار دهشة الالمان .

نوايا اليابانيين :

كانت الهيئة الاستشارية لرئيس الوزراء تجتمع ومن ضمنها أوزاكي اسبوعيا ، ففي الاجتماع الاول بعد الغزو ناقشت اللجنة الاحداث بآراء مختلفة وكان الاعضاء « يرقبون تقدم الالمان ويخشون أن لا تتوقف الجيوش الا بعد أن يرفرف الصليب المعقوف على (فلاديفوستوك) . كما كان بعض الاعضاء يجدون أن هذه فرصة لا تعوض لضرب روسيا في سيبيريا . والحصول على شقة واسعة من الارض للشمس المشرقة . وربما للتخلص من الخطر الروسي الى الابد ، وكان رأي هذا الفريق سلبيا حتى إن (ماتسوموتوشيجهارو) رئيس تحرير وكالة أنباء (دوماى) اليابانية يومئذ قال : حتى إذا انضمت اليابان للحرب بجانب المانيا فمن الصعب جدا هزيمة روسيا ...

وكانت الدلائل تشير الى أن اليابان بدأت فعلا التعبئة العامة ــ ربما ..؟ استعدادا للهجوم على روسيا ، وظهر من الواضح أن العسكريين أصحاب الكلمة الاخيرة يميلون الى الغزو وكان هناك فريق ــ كان أوزاكي يؤيده بشدة أثناء مناقشات الهيئة ــ يؤيد تجاهل روسيا ، والتوسع نحو الجنوب « حيث يكمن في الاراضي الخصبة مثل جزر الهند الغربية والملايو والفلبين واندونيسيا » « البترول والمواد الخام الاخرى لتعزيز الامبراطورية اليابانية الى جانب إتاحة فرصة العمل لملايين اليابانيين » لذلك لم يستطع سورج ابلاغ موسكو عن نوايا اليابانيين لان اليابانيين أنفسهم لم يستقروا بعد على شيء .

عودة الى التوكو :

كان الحظ قد أخذ يتخلى عن الشبكة (شبكة سورج) بالسابق، ولسنوات خلت كانوا يعملون بهمة ونشاط دون أن تحدث لهم أية حادثة ، وهاهم الآن

يعيشون على حافة الخطر ، وهاهو الفنان مياجي قد أصيب بالسل ، وطواه الحزن واليأس وأسلم نفسه لحكم القضاء والقدر ، وراح يضاعف احتياطاته ، وأخذ في قرارة نفسه ينتظر اللحظة التي يضع فيها البوليس الياباني يده على كتفه (ومعناها النهاية بالنسبة للجاسوس) • أما ماكس كلاوزين فقد أصبح عصبياً خصوصاً بعدما أعلمته خادمته أن جاره (أويا شيجيرو) من البوليس السري الياباني كان يأتي مرارا لسؤالها عنه وعن نشاطه •

بداية النهايـــــــة :

أما الشخص الذي وجه البوليس الياباني الى الشبكة وهو لا يدري فهو (ايتورتيسو) ، والذي كان يعمل مساعدا لاوزاكي في سكة حديد جنوب منشوريا ، وقد اعتقل بتهمة الشيوعية ، وتحول الى مرشد للبوليس حيث سئل إذا كان يعرف أحدا من الشيوعيين اليابانيين الذين عادوا أخيرا من اميركا وهم جماعة كانت تحوم حولها الشبهات بصفة خاصة ، وتذكر ايتو على الفور أن عمته مديرة منزل منعزلة عادت منذ سنوات من أميركا ، وكانت تفاخر بشيوعيتها فذكر اسمها للبوليس وهو يعتقد أنها شخصية صغيرة لا تضر التضحية بها (وكانت المرأة وتدعى كيتابایاش تومو) تقيم في طوكيو شارع أوند اشيبوياكو ، وتدير مدرسة لوس انجلوس لتعليم الخياطة ، وبعد مضي حوالي الشهر زارها شابان من ادارة الامن الياباني (القسم الاجنبي) ، وهما يمسكان بعض الدفاتر ولعتذرا اليها بلباقة قائلين انهما يقومان بمسح دوري للمنازل ووجها اليها بعض الاسئلة الروتينية • كما زارا بقية المنطقة بنفس الاسلوب لكي لا يثير سؤالهما الى كيتاتومو بالذات أي ريبة في نفسها ، لان ادارة الامن لم تكن تنوي اعتقالها، بل وضعتها تحت المراقبة الدقيقة ، وهم لا يشعرون بأنهم يقتربون من أخطر شبكة تجسس •

آخر اذاعة للشبكة :

كان (سورج) مشغولا بكشف المشكلة التي كلفته بها موسكو وهي : ماذا تنوي اليابان أن تفعل ••؟ وقد أبلغهم عن التعبئة العامة ، وكل المعلومات التي حصل عليها ، وعن ارسال القوات الى سيبيريا ، وعندما علم أوزاكي بالقرار

الذي اتخذ في المؤتمر الامبراطوري الذى عقد في /٢/ يوليو بأن اليابان تتحرك جنوبيا ، أو أنها ستضرب روسيا اذا اضطرت ، لذلك نقله الى سورج الذي أرسل الخبر الى موسكو حالا .

كما أن السحب أخذت تتجمع فوق علاقات اليابان بأميركا ، وكان اعتقاد سورج بأنه من الممكن وقوع الحرب بين الدولتين ، فاذا اعتزمت اليابان قتال اميركا،فانها ، ولا شك ، تريد التحرش بروسيا . وجاء تأكيد ذلك عندما اجتمع جنرالات جيش كوانتونج بالقيادة العليا في مؤتمر استمر أربعة أيام ، وبعدها صرح أحد العاملين معأوزاكي فيسكة حديد جنوب منشوريا أن جيشكوانتونج قرر ألا يدخل الحرب مع روسيا ، وهذا هو سبب وجود ممثلين في طوكيو للتحدث مع السلطات المركزية ، وعندما ذهب آوزاكي بحكم منصبه الى (ديرن)، ومن هناك انتقل الى شنكنج وهوتين مراقبا حركة القطارات بعناية ، ابتهج عندما لاحظ عدم وجود تحركات كبيرة للجنود أو العتاد وساعده حظه في هوتين عندما حصل على ثقة مدير احصاءات فرع المكتبالعام ، وبلغه الرجل أنه قبل التعبئة العامة في يوليو مباشرة كان جيش كوانتونج قد أمر السككالحديدية بأن تستعد لنقل (١٠٠ ألف طن من الشحنات العسكرية يوميا) ولمدة /٤٠/ يوما ، وطلبوا أيضا جمع ٣٠٠٠ من عمال السكك الحديدية المدربين ، وانتظار شن هجوم على الجيش الاحمر ، وقد نفذ الامر في البداية فقط ، ثم أخذ عدد العمال يتناقص تدريجياً حتى أصبح ١٥٠ لم يستخدم منهم سوى (عشرة فقط) .

إن معزى هذه المعلومات بالنسبة لأوزاكي لا يمكن الشك فيه ، فهاهو لأول مرة يحصل على دليل حقيقي ملموس من مصدره الصحيح عن عملية ضخمة كانت تدبر ضد الاتحاد السوفياتي والتخلي عنها فيما بعد ، وقدم أوزاكي هذه المعلومات الى سورج كهدية له في عيد ميلاده الواقع ١٤ آكتوبر ١٩٤١ ، الذي صاغها بشكل تقرير موجز وقام بارسالها الى موسكو عامل لاسلكي الشبكة (كلاوزين) ، مؤكدا لهم أن الوطن الشيوعي في أمان مؤقتا من الهجوم الياباني حتى نهاية الشتاء المقبل على الاقل .

استلمت موسكو هذه المعلومات ، أما سورج فانه لم يكن يعرف بالضبط أثر هذه المعلومات على الاستراتيجية السوفياتية حتى نهاية عام ١٩٤١ •

نقلت روسيا أكثر من نصف قواتها على حدود اليابان الى الغرب للقتال ضد الجيوش الالمانية بعد أن اطمأنت ، ومع ذلك لم تكن هذه القوات والقوات السابقة كافية لوقف التيار الزاحف على موسكو حيث كان الالمان يدقون أبوابها فعــلا •

وكانت هذه المعلومات من شبكة سورج في طوكيو هي آخر رسالة تصل الى موسكو •

الوصول للشبكـــة :

عندما قررت ادارة الامن لعتقال المسز (كيتابایاش) نتيجة مراقبتها توجه اليها بعض رجال الامن ، وكانت أسئلتهم مؤدبة وغير عاجلة ، كما ضبطوا معها بعض الدولارات الاميركية • وكان ذلك مفتاح كشف شبكة سورج[١] وكان أول سؤال وجه اليها •• من أين حصلت على الدولارات الاميركية ؟ أجـابت (المسز كيتابایاش) على السؤال بصدق قالت « إن صديقها مياجي يوتوكو العضو الثالث لشبكة سورج » كان يعطيها هذه النقود نظرا لمعرفتها القديمة عندما كان ينزل في منزلها بلوس انجلوس • وأخبرتهم أن معرفته استمرت بعد عودته لليابان، وقد استعملت الادارة معها بعض الضغوط فاعترفت بأنها ومياجي كانا عضوين في الحزب الشيوعي بأميركا ، عند ذلك أخرج سجل مياجي المحفوظ بادارة الامن فتبين أنه من مواليد اوكيناوا ، ومن أسرة مهاجرة ، ثم انتقل الى كاليفورنيا وهو في السادسة عشرة من عمره ، ثم عاد الى اليابان كرسام محترف، وأنه مصاب بالسل ، وليس ثريا حتى يتمكن من تقديم النقود في مثل هذه الكمية

---

(١) من الخطأ أن يدفع رجل المخابرات أو الجاسوس دراهم الى أي صديق أو عميل من غير دارهم البلد التي يعمل بها ، لذلك حرصت المخابرات في جميع الدول على تزويد عملائها بعملات البلاد التي يوفدون اليها وكيفية صرفها ، حتى أن المخابرات العربية تعمل المستحيل للحصول على الليرة الاسرائيلية لدفع رواتب العملاء في اسرائيل •

الى المستر باياش وحتى ذلك الحين لم يكن لدى ادارة الامن أي فكرة عن كون مياجي جاسوسا ، ومع ذلك قرروا استدعائه للتحقيق ، وتوجه ثلاثة من رجال الامن الى منزله بصحبة المستر كيتا باياش فوجودوه في فراشه . فقال له أحدهم بالادب الياباني المعروف : لدينا بعض الاشياء نريد أن نسألك عنها فهل تتفضل بالذهاب معنا ؟

وأذعن مياجي للاعتقال في عزة وكبرياء ، فقد كان يتوقع أن توضع هذه اليد على كتفه منذ شهور ، وبينما كان يرتدي ملابسه أخذ رجال الامن يفتشون غرفته ، فعثروا على وثائق موضوعة على المكتب وتبدو للعين بسهولة ، وكانت هذه الوثائق تحوي دراسة كاملة عن مخزون اليابان من البترول. وهي معلومات على أعلى درجة من السرية ، ومترجمة من اللغة اليابانية الى الانكليزية على الآلة الكاتبة بدقة متناهية .

وهكذا حضر رجال الامن يبحثون عن سمكة صغيرة لاقيمة لها ، واذا بهم يصيدون (سمكة قرش) .

اقتادوا مياجي الى الادارة (توكو) ، ولم يكونوا هناك رقيقين ، بل كانوا يهددونه، ويصيحون فيه ويشتمونه ويلعنونه،ثم أخذوا يتملقونه تارة ويتلاطفون معه أخرى ، ولكن دون فائدة حتى أصيبوا بالارهاق عند الظهر فتوقفوا لتناول الغذاء وتركوه بحراسة اثنين ، وفي لمح البصر قفز مياجي واقفا ودار على عقبيه ، ثم ألقى نفسه من النافذة المفتوحة الى الارض التي تقع على علو عشرة أمتار ، وشاهده المخبر تاما سو فصاح طالبا محاصرة البناء ، ومن ثم قفــز ورائه من النافذة مباشرة[1] وعلى الارض وجد الطريد والمطارد مستلقيين وقد فقداوعيهما، ولكنهما ما زالا حيين ، استدعوا عربة الاسعاف ونقلوهما للمستشفى حيث تبين بعد الفحص أن مياجي أصيب بجروح سطحية وكدمات مع التواء عظم فخذه بسبب سقوطه على بعض الاشجار ثم هبوطه على الارض ، وعند ذلك أعيد الى ادارة الامن لمواصلة استجوابه ، وهناك وجدوه رجلا آخر ، فقد قفز من النافذة

---

(١) تدل عملية القاء موظف الامن الياباني تاماسو نفسه وراء الجاسوس الهارب مياجي من نافذة مكتب التحقيق على أسمى أنواع الاخلاص للوظيفة .

للانتحار وفقا للتقاليد اليابانية متوقعا أن يموت معه السر الكامل لشبكة سورج، وعندما خذله الموت أصابته ردة فعل عقلية وجسمانية عنيفة ، فقد أحس بأنه بعث حيا من جديد ، وأحس بالحاجة الى الاعتراف ليبدأ حياة جديدة وصفحة نظيفة ، وهكذا سجلت (توكو) نصرها من هذه الحادثة بكشف شبكة سورج، حيث تكلم مياجي ، وكشف كل شيء عن الشبكة ورجال (توكو) يستمعون اليه (في ذهول تام) ، ، وبعد ذلك توجهوا لاعتقال اوزاكي في السادسة من صباح ١٥ اكتوبر في منزله ولم يقاوم ، بل سار معهم ، لاعتقاده بأن اعتقاله نتيجة كتاباته كمثقف ، ولكن ضابط (توكو) المكلف بالتحقيق معه قال له بصراحة :

اننا لا نستجوبك باعتبارك يابانيا ، بل بصفتك اوزاكي جاسوس الكومنترن ، ولكن أوزاكي ظل معتصما بالصمت ١٨ ساعة ، وعند منتصف الليل انهار وقال للمحققين ، سأذكر لكم الحقائق فدعوني اليوم أفكر قليلا وأستريح ، ووافقت ادارة الامن ، فقد أحس المحققون بالارتياح لانهم يعرفون أنه بدون اعتراف اوزاكي لن يستطيعوا اتخاذ أي اجراء ضد الاجانب الثلاثة في وهم : ريتشارد سورج ، وبرانكوفوكليتس ، وماكس كلاوزين .

أما سورج فنراه قلقا في نفس اليوم الذي اعتقل فيه (اوزاكي) ، وقد أعطى كلاوزين عندما جاء لزيارته مظروفا أخيرا من البرقيات لارسالها باللاسلكي، وكان في قرارة نفسه يشعر بأن مهمته قد انتهت ، فقد نقلوا الى موسكو من حين انشاء الشبكة حتى الان معلومات لا تقدر بثمن عدا عن أن اليابان لن تهاجم الاتحاد السوفييتي ، أما البرقيات التي أعطاها سورج الى كلاوزين لارسالها الى موسكو فهي تتضمن الطلبات الاتية :

١ ــ طلب عودة الشبكة الى روسيا لان بقاءها في اليابان لم يعد له معنى.

٢ ــ طلب الموافقة على الانتقال الى المانيا لبدء نشاط جديد هناك .

وقلب كلاوزين البرقيات ثم أعادها الى سورج قائلا : « لم يحن بعد وقت ارسال هذه البرقيات أرجو تأجيلها . ومن المفروض أن يثور سورج في وجه كلاوزين لرفضه ارسال البرقيات ، ولكن بطل المخابرات الروسية استبد به القلق

بسبب عدم حضور أوزاكي ومياجي في الميعاد المتفق عليه ، وأخذ يسأل نفسه هل اعتقــلا ؟..

وفي الواقع بعــد اعتراف مياجي أمرت ادارة (توكــو) ساتيو المكلف بمراقبة سورج أن يضاعف مراقبته بشتى الوسائل ، ولا يتركه يهرب خارج البلاد أو ينتحر ، وبنفس الوقت لا يتركه يشعر بأن اعتقاله وشيك . فاستأجر غرفة في الطابق الاعلى لمنزل يقابل منزل سورج ، وفي ١٦ اكتوبر عاد سورج الى منزله بعد أن تناول الغذاء مع ماكس في مطعم ياماتو وترك سيارته في الجاراج الذي كان جــزءا من شبكة البوليس التي تحيط به وفي كل مرة كــان يترك سيارته كان البوليس يفتشها بدقة ، ولكن هذه المرة كشف التفتيش السريع عن وجود مبلغ كبير من النقود في مظروفات أخذت الى ادارة البوليس حيث صورت وأعيدت الى مكانها ، وطلب البوليس أن يذهب صاحب المنزل الى سورج ليعيد له المبلغ ويخبرهم عما يشاهده عنده ، وفعلا طرق الباب وكــان لديه كل من كلاوزين وفوكليتش يتباحثون حول غياب عضوي الشبكــة الغائبين اوزاكي ومياجي ، ودعــا سورج صاحب المنزل الى الدخول وأحصى المبلغ ، وشكــره وأعطاه مكافأة طيبة .

وفي الساعة السادسة من صباح ١٨ اكتوبر وبعد استكمال الادلة اللازمة عن الشبكة انطلقت ثلاث فرق من المخابرات اليابانية واعتقلت سورج وكلاوزين وفوكليتش وهم في فراشهم .

رد الفعل في السفارة الالمانية :

أثار اعتقال سورج بالذات ردود فعل عنيفة وسريعة في السفارة الالمانية ، لأن اليابانيين لم يعلنوا حالا عن الاتهامات الموجهة له فغضب السفير (أوت) غضبا شديدا وقدم احتجاجا الى وزارة الخارجية اليابانية بالطرق الدبلوماسية ، وقدم طلباً بمقابلة سورج ، ولكن المدعي العام الياباني أجل هذه الزيارة الى أن حصل على اعترافه بالتجسس وهو أمر مفروغ منه لان آلادلة ضده ساحقة ، ولأن بقية أفراد الشبكة اعترفوا وتحدثوا بحرية ، كما عثرت ادارة الامن على دفتــر الشيفرة التي كان يستخدمها كلاوزين وجهاز الارسال ومجموعة رسائل مطبوعة

باللغة الانكليزية (لم يتم ارسالها) واقتنع سورج بأن لا فائدة من الانكار ، لكنه لم يرغب في مقابلة السفير الالماني خوفا من الحرج الذي يشعر به تجاه هذا الرجل الذي خدعه طيلة هذه المدة الطويلة .

نهاية جاسوس مخلص :

عاش سورج في السجن عيشة ترف وبذخ لأن القانون الياباني يسمح للسجين أن ينفق من النقود التي تكون بحوزته حين القاء القبض عليه ، وكان وقت اعتقاله لديه ١٠٠ ين و ٤٠٠٠ دولار أميركي ، ومثل هذا المبلغ كان يفعل الكثير في اليابان ، ولم تذع الحكومة قصة اعتقال شبكته للصحف الا في مايو

عام ١٩٤١ ، وفي مايو ١٩٤٣ بدأت المحاكمات حيث توفي مياجي الذي كان مصابا بالسل أثناء المحاكمة وحكم على المصور اليوغسلافي فوكليتش بالسجن المؤبد مدى الحياة ، وقد توفي بالسجن متأثرا بالالتهاب الرئوي بعد ١٦ شهرا من الحكم عليه .

وحكم على كلاوزين بالسجن المؤبد مدى الحياة ، بينما حكم على زوجته آنا بالسجن ثلاثة سنوات ، أما مسز كيتا باياش حكم عليها بالسجن خمس سنوات ، وقد حررهما الاميركيون لدى تحرير السجناء عام ١٩٤٥ حين استسلام اليابان بعد القاء القنبلة الذرية عليها وهما الان يعيشان في المانيا الشرقية . أما رئيس الشبكة سورج فقد حكم عليه بالاعدام ، وحكم على أوزاكي بالاعدام أيضا فتقبلا الحكم بهدوء . وقدما طلبات استئناف بموجب القانون الياباني ، وعاش سورج أيامه الاخيرة على أمل أن يقوم الاتحاد السوفييتي بأيةبادرة لاطلاق سراحه ، وينقذه من الاعدام وكان في قرارة نفسه يعرف آن آغلب الجواسيس الذين يعتقلون تفضل دولهم التضحية بهم خشية أن تواجه الاحراج ، الا انه كان (يعتقد) بانه ذو أهمية خاصة للاتحاد السوفييتي ، وأن ستالين سوف يعمل من أجل تخفيف الحكم عنه أولا ثم ايجاد مخرج لانقاذه .

ولكن ستالين وزعماء الكرملين والمخابرات السوفياتية لم يتفقوا معه في ذلك ، فقد تجاهلته الحكومة السوفياتية وأنكرت آن هناك شيئا اسمه (شبكة سورج للتجسس) ، كما نشرت الصحف اليابانية وأكدت وزارة الخارجية السوفياتية أن المسألة هي من ترتيب (المخابرات اليابانية) لاحراج الحكومة

السوفياتية والحط من قيمة اليابانيين الاحرار الذين يعيشون في الاتحاد السوفيتي مما دفع الحكومة اليابانية الى تنفيذ حكم الاعدام بسورج واوزاكي شنقا صباح ٧ نوفمبر ١٩٤٤ في ساحة السجن المركزي في طوكيو ، وذلك لاثبات تجسس الاتحاد السوفيتي للرأي العام .

وبعد مرور عشرين عاما على اعدام سورج اعترف الاتحاد السوفياتي به وكرمه باطلاق اسمه على شارع رئيسي في مدينة باكو مسقط رأسه ، وأطلق اسمه أيضا على باخرة روسية ضخمة كما صدر طابع بريدي يحمل صورته كبطل للاتحاد السوفيتي كل ذلك في ١٥ / ١١ / ١٩٦٤ أي بعد مرور عشرين عاما وأسبوع ولحد على اعدامه .

وهكذا نكرر ما كتبنا من أن الصدفة وحدها أغلب الاحيان تكشف الجاسوس . وفي سردنا لقضية تجسس سورج نجد أن الصدفة في تخاذل (ايتورتيسو) الذي اعتقل بتهمة الشيوعية فقط وكان من المفروض فيه أن يطلق سراحه بعد التحقيق الروتيني معه ولكنه (تحول) تلقائيا الى (مخبر) لدائرة الامن اليابانية ، مما سبب بالتالي كشف واعتقال جميع أفراد (شبكة سورج ...) .

طرائف في التجسس :

قلم يكشف جاسوسا :

من أغرب حوادث كشف الجواسيس أثناء الحرب العالمية الثانية أن ضابطا في القاهرة [illegible] على [illegible] أحد الاجانب [illegible] وبعد تفتيش المحتويات وجد من بينها [illegible] من [illegible] في مصر عرف بالبديهة أنه كان جاسوسا للنازية ، [illegible] في أقرب مركز للشرطة [illegible] ، ولكن [illegible] إلا أن يكشف صاحبها (الجاسوس) ، [illegible] من أخطر جواسيس (الجستابو) واسمه ([illegible]) .

كيم فيلبي

واذا تابعنا البحث والتدقيق في دراسه حياة وأعمال أشهر الجواسيس في العالم وجدنا أن الجاسوس البريطاني (كيم فيلبي) هو أشهر جاسوس كشف النقاب عنه فيما بعد الحرب العالمية الثانية . وهذا الجاسوس الذي خدع بريطانيا مدة ثلاثين عاما ، وهو يعمل لصالح الاتحاد السوفييتي، حتى قررت المخابرات الروسية احالته على ما يشبه التقاعد نظرا لخدماته الجليلة للاتحاد السوفييتي . فاستدعته روسيا عن طريق بيروت حيث يعيش الان عيشة عز واحترام .حتى أن الكاتب البريطاني المعروف (غراهام غرين) دافع عنه في مقال صحفي بعنوان (انطباعات عن شخصية فيلبي)، حيث قال الكاتب أن فيلبي لم يكن يقوم بالتجسس للاتحاد السوفييتي لمصلحة شخصية، بل انه كان يتجسس ليقوم بخدمة قضية، حيث أن الجميع يعتبرون فيلبي قد خان بريطانيا وطنه ، بينما غرين يعتبره كان يعمل لنظام آت أو مرتقب ، تستطيع بلاده أن تجني منه فائدة ، وقال غرين في مقاله ان فيلبي كان على ثقة وطيدة جدا بأن حكمه على الامور كان صحيحا بقوة المنطق الجامحه للرجل الذي فقد الايمان ، ومن ثم وجده ، وبات لا يريد أن يفقده من جديد بسبب المظالم التي نالها على أيدي القوى البشرية الضالة والمعتدية. وتابع غرين تحليل روايه فيلبي نفسه بأنه دهش من السهولة التي دخل بها الى خدمة المخابرات، وهو يقول ان الاستفسار الوحيد الذي أجري عنه وعن ماضيه هو (كتاب من دائرة م ـــ ى ـــ ٥) بشكل روتيني ، حتى كان يشعر فيلبي في قرارة نفسه بالعجب فيما اذا كانت المخابرات البريطانية التي دخل في خدمتها فعلا ، وقدم لها تقارير واقعية لا تعرف عنه شيئا . وهو لايزال يعتقد بأنه دخل هذه المنظمة خطأ ، (كان ميله نحو الاتصال بالسوفييت) منذ ذلك الحين ، وكانت مهمته في المخابرات دراسة الاشخاص، وكان يقيّم السياسيين بصدق وأمانة، حتى نقل الى قسم آخر كان عليه أن ينظم خطة جديدة لمقاومة الجاسوسية السوفياتية ، وكان فيلبي يقول : ان هذا القسم سيكون أفضل من أي قسم آخر في هذه المخابرات الفوضوية. وأخذ ينتقي الرجال لهذا القسم بحماس شديد ، وهو يقول :كان الشيء المهم أن نمسك بالرجال ، وهم مازالوا متوفرين ، فمع ترقب اقتصاديات السلم سيكون التخلص من فائض الموظفين أسهل من ايجاد أناس فيما بعد لملء الشواغر التي قد تظهر .

ويعود الكاتب غرين الىمديح فيلبي فيقول ان فيلبي يخدم قضية،ولم يكن يخدم نفسه وهذا مما يزيد في حب الكاتب لفيلبي حتى انه ذهب لزيارته في منزله بالقرب من لندن ، فوجد أن منزله شبه مهجور ، وأن اوراق الدعاية التي يقذفها البائعون تحت الباب عندما لا يجدون صاحب المنزل قد غطت الارض ، وشاهد من نافذة المطبخ بعض الزجاجات الحليب الفارغة وفنجانا وسخا وصحنا واحدا في المجلى ، وعندما لم يجد أحدا في المنزل عاد وهو لا يدري أن فيلبي رحل الى بيروت في رحلته الاخيرة الى موسكو ، الوطن الذي خدمه في العمل السري مدة ثلاثين عاما ، ولم يكن رآه حيث أصبح من حقه أن يستريح .

ولنترك فيلبي يستريح من عناء العمل على أعصابه لصالح الاتحاد السوفياتي ، ونعود بالقراء الى عام ١٩١٢ ، حيث ولد كيم فيلبي في مدينة (أمبالا) في الهند ، وكان الابن الوحيد للمستر هاري سانت جون بريد فيلبي الذي كان موظفا لدى حكومة الهند،وأطلق عليه والده اسم كيم تيمناً ببطل رواية رود يارد كبيلينغ الشهيرة التي خلد فيها الكاتب أمجاد الامبراطورية البريطانية ، ثم انتقل المستر فيلبي الاب للعمل كمستشار لوازرة الداخلية في العراق ، ابان الاحتلال البريطاني ، ثم كمندوب للحكومة البريطانية في شرقي الاردن ، وأخيرا حصل على وظيفة كمستشار للملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية ، وكان قاسيا في منزله مما سبب لفيلبي لعثمة اللسان التي لازمته حتى الان . وحتى والد فيلبي كان ساخطا على سياسة بريطانيا في الشرق الاوسط ، وهذا السخط ورثه ابنه فيما بعد .

التحق فيلبي في كلية (ترينتي) التابعة لجامعة (كمبريدج) ، وفي أيام دراسته عصفته الاضطرابات الاشتراكية التي سرت بين المثقفين ، وأصبحت الماركسية موضة ، والانتساب للحزب الشيوعي دليل الجرأة والشجاعة . ويعتقد بأنه انضم في هذه الاثناء الى الحزب الشيوعي وتكتم على الامر ، وكان معه زميلان هما : (دونالد ماكلين) و (جاك بيرجس) وكلاهما منتسبان الى الحزب الشيوعي ، ومعتنقان المذهب الماركسي عن عقيدة راسخة ، حيث تتلمذ كيم على يد بيرجس مع أن بيرجس كان مصابا بالشذوذ الجنسي ، ومدمنا الخمر ، ومع ذلك كان له نفوذ عظيم في الاوساط الطلابية الجامعية .

تخرج كيم من الجامعة في عام ١٩٣٣ ، وامتهن الصحافة ، وسافر الى اوربا حيث تعرف على فتاة تدعى (ليز) ، وتزوجها • وهي من أصل بولندي ،وانتقل معها الى باريس حيث استأجرا منزلا ، جعلاه مقرا للشيوعيين حتى عام ١٩٣٦• وقد تم لقاؤه مع (أندريا يتوفيتش) في باريس ، وهو الذي نظمه في شبكة الجاسوسية منذ ذلك الحين • وهو يقوم بمراسلة جريدة (التايمز) اللندنية ولم تبق ليز عنده فقد انفصلا بالطلاق ، وسافرت مع زوجها الثاني الى الاتحاد السوفياتي •

أراد فيلبي أن يشترك في القتال،ولكن لعثمة لسانه حالت دونه ودون قبوله كضابط • وبعد عودته الى لندن ، وكان قد كبر بعض الشيء مخفيا شيوعيته ساعده أصدقاؤه بالحصول على منصب كبير في المخابرات البريطانية ـ الفرع M.I.6 ، المختص بالتجسس عبر البحار • (وكنا قد ذكرنا في فصل سابق) أن فيلبي نفسه قد تعجب من سرعة قبوله في المخابرات البريطانية ، ولم يصدق نفسه في بادىء الامر • أما مهمته الجديدة في الفرع فقد كانت أن يضع الخطط لمقاومة الجاسوسية السوفياتية ، وبما يتطلبه عمل الجواسيس الذين يقومون بمهمة مزدوجة في تحضير معلومات زائفة لهم ليقدموها للروس ومع الايام أصبح فيلبي (رئيس قسم مقاومة الجاسوسية) • وكان عمله هذا يتطلب اتصاله بالمخابرات الروسية أو مندوبها ، واتصالاته معهم كانت علنية تتم دون أي شك من رؤسائه ، مما ساعد على اعطاء الروس أكبر قدر من المعلومات الصحيحة • ومع ذلك فقد أنعم عليه بوسام الامبراطورية البريطانية لاخلاصه ••• الخ ومنح منزلا مجانيا بميدان كرليل ليعيش فيه عيشه ترف ورفاهية •

ترشيح فيلبي لرئاسة المخابرات البريطانية :

لم يبق بين فيلبي وبين رئاسة المخابرات البريطانية شيء ، فقد كان جميع رؤساء الاقسام الستة في الانتلجانس سرفيس يتوقعون أن يصبح فيلبي رئيسا للمخابرات البريطانية • وقد أرسل الى واشنطن عام ١٩٤٩ برتبة سكرتير أول للسفارة البريطانية • وكانت مهمته الاتصال مع الحكومة الاميركية فيما يتعلق بمشاكل الامن • واتصالاته محصورة على نطاق واسع مع وزارتي

الخارجية والدفاع بالاضافة الى وكالة المخابرات المركزية الاميركية . (لذلك فوجىء) الاميركيون لدى هروبه للاتحاد السوفييتي ، وتأكدوا أنه نقل للروس جميع ما سمع وشاهد وعلم في أميركا أثناء عمله هناك .

عودة صديق الدراسة للظهور :

في شهر آب من عام ١٩٥٠ عاد (صديق الدراسة الجامعية) جاك بيرجس للظهور في حياة فيلبي ، فقد نقل أيضا الى واشنطن كسكرتير ثان للسفارة البريطانية واستقبله زميله فيلبي وأعطاه غرفة لديه يقيم فيها، وعمل جاك بيرجس ودونالد ماكلين الذي لحق به فيما بعد مدة في واشنطن حتى شهر نيسان ١٩٥١، حيث شعر بيرجس وماكلين أن مكتب المباحث السياسية في أميركا يشك في أنهما يتجسسان لحساب الاتحاد السوفياتي . ولما كان فيلبي هو الشخص الوحيد المطلع على موضوع الشك بهما ، والتقرير الوارد عنهما لذلك فقد تعرض الى استجواب مرهق من روسائه في المخابرات البريطانية عن دوره في اعلام بيرجس صديق الدراسة فحوى التقرير الخاص فاعترف فيلبي أنه تصادف وجود بيرجس في مكتبه أثناء ورود التقرير بحقه مباشرة فقال له : هل يمكنك أن تتصور أن المباحث السياسية الاميركية تدعي أنك جاسوس سوفياتي ؟ . وصرح فيلبي للمحققين انه اشترك مع بيرجس في السخرية والضحك .. باعتبار أن فيلبي وجه الكلام لصديقه بيرجس من قبيل الدعابة والثقة بينهما ، ولا يقصد أن ينبهه الى مضمون التقرير .... ومع ذلك ما ان عاد فيلبي الى منزله كان بيرجس وماكلين قد رحلا الى غير رجعة.

عندما تأكد فيلبي من أن بيرجس ودونالد قد غادرا لندن الى الاتحاد السوفييتي قام باعلام السفير البريطاني . وهكذا عرض فيلبي مركزه للخطر بتحذير بيرجس بصورة عفوية وقد قام باعترافه على أن رؤسائه سوف يصدقون تفسيره هذا ، وبالفعل فقد وقف زملاؤه في سفارة (واشنطن) الى جانبه وبرروا عمله بقولهم بأن أي شخص انكليزي مهذب كان سيفعل ذلك لصديق الدراسة القديم ، وقدروا ماضي فيلبي . وانطلت عليهم الحيلة .

طلب التخلص من فيلبي :

استحوذ الغضب على أعضاء مكتب المباحث السياسية الاميركي ووكالة المخابرات المركزية الاميركية حيث طلب الجنرال (ولتر بيدل سميث) مدير المخابرات في حينه ـ التخلص من فيلبي ، بل ومحاكمته • وكان تهديده من القوة بحيث لا يمكن للبريطانيين أن يتجاهلوه • وفي عام ١٩٥١ استدعي الى لندن فعلا ، وفصل من وظيفته ، وظل يعيش عيشة متواضعة مدة عام كامل • وبعد بقاء فيليبي في منزله بدون عمل شعر بعض البريطانيين أنه أصيب بظلم شديد ، ومع ذلك تابعت دائرةالمخابراتالبريطانية ـ القسم الداخلي ـ التحقيق في ماضي فيليبي • وبدأوا يجدون شكوكا بعلاقاته مع الروس ، أثناء الحرب العالمية الثانية ، وفهموا سبب اعطائه السر الى زميل الدراسة بيرجس ليمكنه من الهرب ••• الخ •

وبدأوا يديرون خطة لمعرفة ما يمكن معرفته ، وكشف ما يمكن كشفه عنه ، واقترح أحد زملائه في القسم الداخلي اعادته للعمل ، ووضعه في مكان قريب من النشاط الروسي • وفعلا تقرر وضعه في العالم العربي الاكثر نشاطا وتقربا للروس • ووافق مدير المخابرات البريطانية مبدئيا على اعادة الاعتبار أولا لفيليبي ، ومن ثم اتاحة فرصة العمل له ، حتى لا يكون لديه أي شك •

ففي عام ١٩٥٥ تقدم عضو مجلس العموم البريطاني (ماركوس لبتون) متهما فيلبي بصراحة بأنه وراء هرب بيرجس ورفيقه الى الاتحاد السوفييتي ، ولكن هارولد ماكميلان وزير الخارجية ـ في حينه ـ رد على الاتهام بقوله : ان المستر فيلبي قد أدى واجبه في خدمة الحكومة بكفاءةوضميرحي ، ولستأرى ما يدعو للاستنتاج أنه خان مصالح بلاده في أي وقت •••

كان مكميلانيعرف أنالشكوك تحيط بفيلبي،ولكنه برأه في مجلس العموم بناء على طلب المخابرات البريطانية نفسها • وهذا يؤكد لنا أن سلطة المخابرات في بريطانيا فوق كل السلطات ، وذلك بفضل شعارها وهو (خدمة الامبراطورية والملكة باخلاص) • وعندما برأ ماكميلان فيلبي علنا ، وأعاد له اعتباره كان يعرف أنه سوف يتعرض الى اتهام صريح من المعارضة ، ولذلك اتصل مقدما

بعض زعماء المعارضة ، وأفهمهم الاسباب الكامنة وراء بيانه . واستمرارًا في خطة المخابرات البريطانية فقد سحب لبتون اتهاماته بعد بضعة أيام ، حتى تتمكن المخابرات البريطانية من المضي في تنفيذ خطتها ، واعادة فيلبي . وهكذا طلب أحد موظفي المخابرات (القسم الخارجي) الى رئيس تحرير مجلة (الاوبزرفير) أن يجد مكانا لفيلبي في المجلة ، وأفهمه أن طلبه له طابع رسمي (تنفيذ خطة معينة) ، وطلب من رئيس التحرير أن يعلم فيلبي أن وزارة الخارجية البريطانية ترى أنه من الظلم أن لا يجد فيلبي فرصة لممارسة مهنته الاصلية ، وهي الصحافة رغم تبرئته . وهكذا تم اقناع (الايكونوميست) بنفس الطريقة لاستخدام فيلبي . وبالفعل فقد استلم فيلبي عمله رسميا في بيروت كمراسل لمجلتين من أكبر المجلات البريطانية ، وذلك في شهر أيلول ١٩٥٦ .

بدأ عمله في بيروت فيبادىء الامر في فندق النورماندي في منطقة الزيتونة، حيث سجل عنوانه في الفندق الى المجلتين اللتين يعمل لهما والى اصدقائه ، ومن ثم لم يتمكن من البقاء في الفندق لأن مورده كان قليلا نسبيا ، فترك الفندق لكنه أخذ يتردد عليه يوميا من أجل البريد والرسائل التي تصله . ولم يكن أحد يدري أين يعيش في بيروت . ومع ذلك استمرت مراقبته (مراقبة هادئة) . ونظرا لكونه مراسلاً لمجلتين من كبرى المجلات وسمعتها محترمة جدا ، فقد اتيحت له فرص كثيرة للتحري عن المسائل السرية . وكان يتردد الى السفارة البريطانية بهدوء ، ولم يظهر أي فضول ، ولم يطلب أي شيء لا يمت لعمله كصحفي بصلة (لم يقع في أي فخ نصب له حيث أفلت منها جميعا ببراعة) . وكان يتحاشى الايقاع به بذكاء نادر .

زواجـــه في لبنــــان :

التقى فيلبي أثناء عمله الصحفي ببيروت (باليانور برور) ، وكانت زوجة مراسل جريدة (النيويورك تايمس) ، وانفصلت عنه بالطلاق عام ١٩٥٨ ، وبقي فيلبي على صداقته معها حتى تزوجها في كانون ــ ٢ ــ ١٩٥٩ وأقام معها في سكن انيق . وأخذت عليه ملامح الابهة والثراء . فطلب ولديه من زوجته الاولى ليقيما معه في بيروت . وعندما علمت جميع الأوساط الصحفية والدبلوماسية بزواج فيلبي أخذت توجه اليه ولزوجته الدعوات لحضور جميع الحفلات

الاجتماعية في بيروت بمناسبة الاعياد الوطنية المختلفة ، ومع ذلك كان فيلبي لا يزال تحت (المراقبة الهادئة) ، لكن مراقبيه لم يجدوا ما يؤيد شكوكهم . فقد كان مثال الصحافي الناجح ، وكانت مقالاتــه في الاوبزفر والايكونومست تعرب عن التخوف من تسلسل النفوذ الشيوعي الى البلدان العربية حتى عام ١٩٦٢ أقنع الجميع بأنه ليس جاسوسا بفضل ذكائــه وتحاشيه الوقوع في أى خطـأ حتــى تــاريخــــه .

الجميع يخطئون :

في نهاية عام ١٩٦٢ اتصل فيلبي مع شخصية لبنانية سياسية مشهورة ــ ونمتنع عن ذكر الاسم حفاظا على مبدئنا في الكتاب بعدم التشهير بأحد ، حتى لا يستفيد الاعداء من ذلك ــ وطلب فيلبي من هذه الشخصية عقد صداقة معه ، ومن ثم طلب منه أن يساعده في الحصول على معلومات معينة تهم الحكومــــة البريطانية ــ حسب زعم فيلبي ــ وبصراحة لصالح المخابرات البريطــانيــة ، وسايره السياسي اللبناني حتى اتفق معه على مبلغ معين لقاء ما طلبه فيلبي منه . وتشاء الصدفة أن يكون السياسي اللبناني يعمل فعلا للمخابرات البريطانية من قبل ، وهذا أبلغ السياسي الضابط المسؤول في فرع المخابرات البريطانية في بــيروت عن طلب فيلبي ، مما أحيــا موضوع نشاطه من جديــد واستنتجت المخابرات البريطانيــة في بيروت ان فيلبي يعمــل عــلى تأسيس شبكة تجسس لصالح الاتحاد السوفييتي ، ويجمع لها العملاء . وهو يزعم لهم أن العمل لصالح بريطانيا . فقررت وضعه تحت المراقبة الشديدة عوضا عن المراقبة الهادئــة . وكانت المخابرات البريطانية تقوم بمراقبة عدد من أمثال فيلبي في المنطقــــة . وهذا معروف لدينا ، ولكنها في هذه المرة قررت الاستعانة بالبوليس اللبناني ، فاتصلو بـ (العقيد توفيق جلبوط) مدير الامن العام اللبناني ، وفعلاً وضــع فيلبي تحت مراقبة الامن العام اللبناني . وكانت نتيجة المراقبة اللبنانية أن فيلبي يتصل مع شخصيات مشكوك فيها من الناحية السياسية . وبالنسبة لمراقبة منزله فقد خرج في ليلتين متتاليتين الى شرفة منزله ونظر الى ساعتــه ، ثم أخذ يلوح بشيء ما في يده . وبعد التدقيق اتضح أن فيلبي يعطي الاشــارات لشخص أرمني تقع شقته مقابل شقة فيلبي ، لينقلها الى شخص آخر . دون أن يدري

معنى لهذه الاشارات • وكل همه قبض الاجرة • فوضع في السجن • وهكذا قطع اللبنانيون اتصال فيلبي بعد اختفاء الشخص الارمني الذي كان يتسلم اشاراته •

الخطأ الاخر لفيلبي في بيروت :

بعد اختفاء الرسول الذي كان يتلقى الشيفرة من فيلبي ، لم ينتظر فيلبي بل صمم على الاتصال المباشر مع المخابرات السوفياتية في بيروت ، وهكذا توجه الى منطقة الزيتونة في بيروت ، والتي تضم معظم النوادي الليلية • ومن هناك استقل سيارة أجرة الى شارع متفرع ونزل الى محل بقال حيث أجرى مخابرة قصيرة ، ثم عاد وركب سيارة الاجرة ثانية الى حي البسطة ، ثم نزل وركب سيارة ثانية نقلته الى (منطقة فرن الشباك) • حيث ترجل ودخل الى مسكن مظلم يقع فوق دكان لبيع الحلويات اللبنانية ، ويملكه أحد الارمن ، وبعد نصف ساعة انضم اليه أحد موظفي السفارة الروسية • وبالرغم من جميع احتياطات فيلبي وتغييره سيارات الاجرة عدة مرات لم يفلت من مراقبة البوليس اللبناني الذي يضم نخبة من الرجال المحترفين • وقد أبلغت المخابرات البريطانية نتيجة مراقبة فيلبي ، واجتماعه هذا • فأحضر فيلبي الى السفارة البريطانية وواجهه المسؤولون بالشكوك فيه وما عرفوه عن اتصالاته ، وطلبوا منه عدم مغادرة بيروت ، فلم يجبهم بأي كلمة بل بقي هادئا متزنا كعادته • وأبرقت المخابرات البريطانية الى لندن ، فحضر فورا الى بيروت اثنان من كبار ضباط المخابرات في لندن ، وقاما باستجواب فيلبي • وكان استجوابه فوق أرض أجنبية (لبنان) ، ولا يمكن للسلطات اللبنانية أن تسلمه لهم ، لان عدم الولاء لأي دولة ثانية لا يعتبر جريمة في لبنان مع أنه لا يوجد اصلا بين لبنان وبريطانيا أية اتفاقيات بهذا الخصوص • فخرج فيلبي هذه المرة من السفارة البريطانية في بيروت ، وهو يؤكد لنفسه أن لعبته انتهت

اسرار الهروب الكبير :

بعد خروج فيلبي من السفارة البريطانية أخذ يفكر بهدوء ، هل ينتحر ، أو يفر •• ؟ ولكنه استقر على الرأي الاخير ، وهو الهروب الى الاتحاد

السوفييتي ، بعدما آتاه الجواب بأنهم بانتظاره •• ففي مساء ٢٧ ــ ١ ــ ١٩٦٣، وكانت الانباء لم تتسرب بعد عن التحقيق معه من قبل الضباط الوافدين من لندن دعي مع زوجته (اليانور) الى الحفلة التي أقامها المستر (غلين بلفور) السكرتير الاول للسفارة البريطانية في بيروت ، ولكن اليانور ، وصلت الى الحفلة وحدها وصرحت للذين سألوها عنه أنه اتصل بها هاتفيا ، وطلب منها الذهاب بها وحدها للحفلة لانه سوف يلحق بها هناك • ونظرا لان فيلبي سبق له أن فعل ذلك معها عدة مرات ، فقد ذهبت بمفردها للحفلة ، وهي مطمئنة أنه سوف يلحق بها كعادته • ولكن الحفلة انتهت ولم يحضر فيلبي • فتطوع أحد اصدقائه بتوصيلها للمنزل ، لعل فيلبي كان مشغولا في تتبع خبر صحفي • وانصرف هذا الصديق ، وطلب منها تطمينه لدى وصول فيلبي • ولكن مضى الليل طويلا على اليانور ، ولم يعد فيلبي حتى الصباح ، واستبدبها القلق لانها كانت قد لاحظت منذ أيام أن زوجها يبدو كئيبا ، ويشرب زيادة عن عادته • وفي الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي اتصلت اليانور برجل أعمال أميركي على اتصال بالسلطات اللبنانيه ، وطلبت مساعدته في البحث عن زوجها • وحالا اتصل الاميركي بالعقيد توفيق جلبوط الذي كان مطلعا على قضية فيلبي حيث أجرى جرداً على جميع مخافر الحدود اللبنانية براً وبحراً وجوا ، فاتضح أن فيلبي لم يغادر لبنان من أي مركز حدود رسمي ، كما أجرى فحصا شاملا للمستشفيات والسجون ، فلم يعثر له على أثر •• لقد اختفى فيلبي تماما••• ؟

انهارت أعصاب اليانور ، وعادت الى منزلها لتستريح بعض الوقت • ولكنها قفزت من مكانها فورا عندما تذكرت البريد الذي كان يرد الى زوجها عن طريق فندق (النورماندى) ، وركبت سيارة أجرة حالا الى الفندق ، فوجدت رسالة من زوجها يقول لها انه بخير ، ويودعها مؤقتا لانه سيقوم بجولة صحفية سريعة في الشرق الاوسط • عند ذلك اطمأنت اليانور ، وعادت الى منزلها هادئة الاعصاب حيث اتصلت بالعقيد جلبوط ، وطلبت منه كف البحث عن زوجها ، وأعلمته بالرسالة التي حضر وشاهدها • ومع ذلك أصر العقيد جلبوط على أن زوجها لم يغادر لبنان بصورة مشروعة •

بعد اختفاء فيلبي من بيروت أخذت الصحف اللبنانية تنشر تفاصيل خيالية عنه ، منها من ذكر أنه انتحر ، ومنها من ذكر أنه سافر للقاهرة ، ٠٠ومنهامن ذكر أنه اختطف من قبل المخابرات البريطانية ٠ لكن صحيفة واحدة اصرت أنه هرب الى الاتحاد السوفييتي ، ولا ندري من أي المصادر استقت هذه الصحيفة معلوماتها التي كانت هي أصح المعلومات ٠٠٠

بعد مغادرته لبنان بشهر كانت اليانور قد تلقت منه رسائل بخط يـده ، يطمئنها فيها ويعدها بأنهما سيلتقيان قريبا ٠ وفي شهر نيسان تلقت منه رسالة فيها خطة مدروسة لمغادرتها بيروت كما يلي :

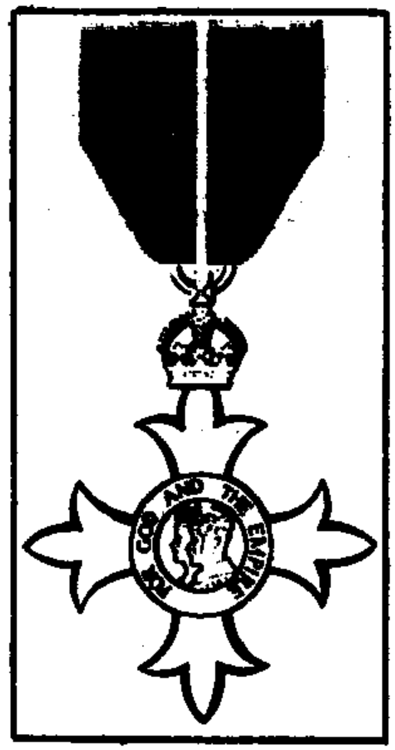
١ ـ عليها أن تشتري بطاقة طائرة لها ولولديه على طائرة الخطوط الجوية عبر البحار الى لندن ، وحدد لها التاريخ ٠

٢ ـ عليها أن تتوجه خفية الى مكتب شركة الخطوط الجوية التشيكية في بيروت ، وتعلن عن اسمها الى مدير المبيعات ، فستجد بانتظارها تـذاكر طائرة لهـا ولـلاولاد ٠

٣ ـ يعلمها فيلبي أنـه انتظر هذه الفرصة لأن موعـد مغادرة الطـائرة البريطانية في نفس الوقت الذي تغادر فيه الطائرة التشيكية ٠ وعليها أن تكون في المطار قبل ساعة ، وأن تتجاهل سفر الطائرة البريطانية ، وتصعد حالاً في الطـائرة التشكيـة ٠

٤ ـ اذا احتاجت أية خدمة ضرورية فما عليها الا ان تضع (اناء معينا فيه ورد في نافذة مطبخها) ، فيأتي صديق موثوق به لخدمتها فورا ٠

قرأت الرسالة بتعجب ٠ وقررت أن تجرب موضوع الانـاء ، فوضعته في نافذة المطبخ حسب طلب زوجها ٠ وبعد أقل من ساعة قرع باب شقتها شخص مؤدب قدم نفسه قائلا لها : (هل تريدين رؤيتي يا مسز فيلبي ؟) ٠وعرفـت أنهموظف في السفارة الروسية ، وسوف ينفذ لها أي طلب فشكرته واكتفت بأن قالت له انها اطمأنت الآن على زوجها منه ، وبنفس الوقت اكتشفت ما أخفـاه عنها زوجها من عمله للاتحاد السوفياتي ، وهو الذي يفخر بحمل وسام الملك



وسام الامبراطوريه



وسام العلم الأحمر : اعتراف بجميل

جورج السادس ، وهذه من أهم صفات رجال المخابرات والتجسس الطيبـة لان بعض النساء لا يتوانين عن التبجح بأعمال رجالهن • مما يخشى منـه في هذا المجال •

أما على الصعيد الرسمي في لبنان ، فقد وجد العقيد توفيق جلبوط شاهدا صرح بأنه شاهد رجلا يشبه فيلبي الذي عرضت أوصافه في جميع وسائل الاعلام • يركب في الباخـرة الروسية (دولماتوفو) المتوجهة الى (أوديسيا) بتاريـخ ٢٧ — ١ — ١٩٦٣ •

أما اليانور فقد قررت أن تسير بخطة غير خطة زوجهـا • فطلبـت مـن السلطات اللبنانية السماح لها بالسفر الى لندن ، فسافرت حيـث أعادت طفلي فيلبي الى ذويه ، وعاشت في عزلة •

أما المخابرات البريطانية التي تأكدتمن هروب فيلبيالى الاتحادالسوفياتي، وخشيت أن يقدم في موسكو في مؤتمر صحفي — فـأعلنـت أنه فعلا كـان (الرجل الثالث) في قضية هروب (بيرجس وماكلين) ، وأنه كان يعمل لحساب الاتحاد السوفياتي ، وقررت المخابرات البريطانية كبادرة منها لجعل (فيلبي) أن يكون أقل فضحا للأسرار التي عرفها أن تبعث له بزوجته • وفعلا استقلت اليانور الطائرة من لندن متوجهة الى موسكو حيث التقت بزوجها الذي بقيت مخلصة له ، بينما أعلنت صحيفة أزفستيا السوفياتية أن الاتحاد السوفياتي قرر منح (كيم فيلبي) حق اللجوء السياسي • ومنذ لجوئه الى موسكو ، وحتى تاريخه رغمبلوغهسن الثالثة والستين من عمره فانه لا يزاليقدمخدماتهللمخابرات السوفياتية • ففي كل صباح يستلم من رسول المخابرات الصحف البريطانية (التايمز — الدايلي اكسبرس — والاوبزفرر — والايكونومست) ، التي تصدر في لندن ، ويقرأ مقالاتها الافتتاحية ، ويضع تقريرا مفصلا بذلك ، ويرفعه الى المخابرات السوفياتية • وحتى انه تزوج من (روسية) تصغره بعشرين عامـا تدعى (نينا) ، ويعيش معها عيشة هانئة رغم أنه طلـق قبلهـا ثلاث نساء • ويظهر أنزواجه من هذه الصبية كان من جملة مكافآته على خدماته لهم ، لانه طيلة تعامله السابق مدة ثلاثين سنة لم يقبض مقابل أتعابه أي ثمن ، لأنه كان مؤمنا بعقائده ، وبالقضية التي كان يعمل لها •••

ونترك كيم فيلبي يقضي حياته هانئا ، لنعود للتأكيد على ما سبق أن نوهنا عنه في هذا الكتاب ، بأن المخابرات وبالتالي (الدولة) أن تكون (وفية) مع من يقدمون لها الخدمات الضرورية • وأهمها الخدمة التي يقدمها رجال المخابرات والجواسيس الذين يقضون معظم أيامهم ولياليهم في خوف وحذر ، ويعيشون على أعصابهم المتينة • ولولا اختيارهم من بين اقوياء الاعصاب والموثوقين لما كان هناك شيء اسمه تجسس أو مخابرات •••

جورج بليك

(جورج بليك) كان يشغل منصب نائب القنصل البريطاني في كوريا الجنوبية • وأثناء الحرب الكورية وقع أسيرا لدى قوات كوريا الشمالية (كان عمره ثلاثين عاما) • ثم اطلق سراحه وعاد الى لندن ، حيث عين في وظيفة دبلوماسية جديدة في برلين لتغطية عمله كوكيل للمخابرات البريطانية • وبقي يقوم بمهامه التجسسية حتى عام ١٩٦٩ ، حيث ألقي القبض عليه من قبل السلطات البريطانية ، وأعيد الى لندن حيث جرت محاكمته بجرم التجسس لصالح كوريا الشمالية • واعترف بليك بأنه (جند) للعمل مع المخابرات الشيوعية أثناء أسره حيث عومل معاملة خاصة جدا ، ومن ثم اطلق سراحه ليعود الى عمله الدبلوماسي ثم المخابرات وبنفس الوقت كان يقدم المعلومات الى الشيوعيين ، حيث أدت هذه المعلومات الى كشف حوالي ٤٠ ــ عميلا وجاسوسا بريطانيا في الدول الاشتركية ، أودعوا السجون ، وأعدم بعضهم • وانتهت المحاكمة بالحكم عليه بما مجموعه /٤٢/ سنة من مجمل الجرائم التجسسية التي ارتكبها ، وأحيل الى سجن /ورم وود / لتنفيذ الحكم به • وفعلا أمضى بليك الخمس سنوات الاول من حكمه (٩٦١ ــ ١٩٦٦) كمثال للسجين الهادىء المهذب ، حتى لم يخطر على بال أحد من مسؤولي السجن /أنه كان يخطط للهرب مع السجين (بورك) المحكوم مدة أربع سنوات بتهمة ارسال قنبلة بالبريد الى أحد ضباط الشرطة ، حيث تقابلا لاول مرة وبورك ايرلنديا متحمسا ضد جميع أنواع السلطة في بريطانيا • بينما كان بليك رجلا كاملا هذبته

تسع سنوات ، قضاها في السلك الدبلوماسي البريطاني . وكانا يقيمان في جناح واحد ، ويتبادلان الزيارات وشرب القهوة ، وحاول بليك في بادىء الامر أن يشرح منافع الطريقة الشيوعية الى بورك ، ولكنه لم يتقبل منطقه ومع ذلك بقيا صديقين لا يفترقان . حيث استخدم بورك فيما بعد في مشغل خياطة السجن ، وخاط قمصان بليك . واستمرت صداقتهما ١٨ شهرا . وفي ظهر أحد الايام وقف بليك وراء بورك في الصف للحصول على الطعام ، وفي مكان بعيد عن الحراس والسجناء فاجأ بليك صديقه بهذا السؤال الواضح : هل تساعدني على الخروج من السجن (الهرب) أجابه بورك : نعم . وعند ذلك عرف بليك انه اختار الرجل المناسب ، لانه حتى ولو رفض طلبه فانه على الاقل يضمن سكوته عن الموضوع وبدأ الاثنان في مناقشة على طريقة الهروب حتى انهم كانوا يسمحون لبعض المساجين بتجاوزهم ، ليتسنى لهم المزيد من الوقت لمناقشة بعض النقاط ثم وضع خطة الهرب ببطء وعناية .

بدء التنفيذ :

في مطلع عام ١٩٦٦ أطلق سراح بورك قبل انتهاء مدة حكمه نظرا لحسن سلوكه . وعمل بعد خروجه من السجن في مصنع للمعلبات ، وأخذ يوفر كل فلس يكسبه حتى تجمع لديه ـ ٥٠ ـ جنيه اشترى بها سيارة همبر مستعملة . ومع أنه لا يعرف القيادة لكنه لم يستطع الحصول على رخصة بسبب الحكم عليه (بجناية ارسال قنبلة الى ضابط بوليس وتهديد حياته) . فعمد الى قيادة السيارة بدون رخصة حتى أتقن القيادة . وبعد ذلك اشترى سلما من الحبال ، وجهازي لاسلكي من صنع ياباني من الحجم الصغير . حيث تمكن من تهريب أحدهما الى بليك داخل السجن . واختار بورك لسكناه منزلا يبعد ميلا فقط عن السجن . وظل يتدرب على قيادة سيارته بين منزله والسجن . وكان يدرس كل التفاصيل على الطريق ، حيث وجد أن المسافة تقطع من السجن الى البيت بدقيقتين . قرر أن يبدأ العملية فأجرى نداءات تجريبية الى بليك كانت ناجحة . وهكذا اختير يوم ٢٢ تشرين الاول ١٩٦٦ . وكان يوم سبت تقف فيه عشرات السيارات بجانب حائط السجن للزيارة في مستشفى (همر سميث) حيث أحضر بورك سيارته ووضعها بين تلك السيارات دون أن يلتفت أحد اليها . وكان قد

وضع جهاز اللاسلكي ضمن باقة ورد ، واستعد للاتصال مع بليك الذي كان في تلك اللحظة قد ترك حفلة مصارعة في التلفزيون قبل أن تنتهي (بحجة انها رديئة) ، وطلب من الحراس أن يعود الى غرفته قبل الوقت المحدد . فسمح له طبيعيا نظرا للثقة التي كان يتمتع بها . وفور رجوعه الى الغرفة اتصل مع بورك الذي كان ينتظره بفارغ الصبر . وعندما تأكد بورك من وجود بليك وراء الحائط ألقى بسلم الحبال فوق الجدار ، وبعد لحظة ظهر رأس بليك وراء السياج . وأثناء مروره فوق السياج فقد توازنه بسبب المطر فسقط من أعلى الحائط على أرض الرصيف ، واصطدم بالحجارة وظل ملقى على الارض كالميت. فسارع بورك وحمله للسيارة ، وسار به دون أن يعرف أنه حي أو ميت . ولكنه استفاق قبل نهاية الطريق الى منزل بورك . وعندما اطمأن عليه بورك سارع الى اخفاء سيارته في مكان مهجور . وبعد ذلك عمل المستحيل على شفاء صديقه .

وفاء المخابرات السوفياتيــة :

استمر بورك في جلب الطعام والشراب والصحف التي تتحدث عن هروب ضيفه (بليك) . بينما كان الأخير يتماثل للشفاء كانت جميــع أجهزة الامــن البريطانيــة (الانتلجــانس سرفيس ــ اسكتلند يارد ــ الشرطــة ــ العملاء المحليين ــ المخبرين السريين) تبحث عنه وتشدد الحراسة على المطاراتوالموانيء وتفحص بعناية فائقــة كل مسافر على حدة اصيبت هذه السلطات باليــأس ، لاعتقاد المسؤولين أن (بليك) قد هرب رأسا خارج البلاد ، وذلك بعدما تأكد لهم بأنه لم يكن وحده حين الهرب . لذلك خفت حدة البحث بعد الاقتناع برأي المسؤولين عن المخابرات البريطانية ، بأنه أصبح فيالاتحاد السوفياتي ، أو لحدى الدول الاشتراكية . وانقطعت الصحف عن التحدث عنه . فوجد أن الفرصــة أصبحت مواتية للسفر ، حيث أعد له بورك الاوراق الخاصــة ، وجوازي سفر ايطاليين مسجل فيهما أنهما دخلا البلاد للعمل منذ ثلاث سنوات . وبينما كانت الباخرة تبتعد بهما في عرض البحر كانا يتبادلان نظرة تعبر عــن الفرحة بنجــاح عمل عظيم قاما به . وما هي الا أيام أصبحا في أرض الاتحاد السوفياتي .

وهكذا هرب أخطر جاسوس بريطاني مزدوج لا يقل خطورة عن فيلبي • ولم تعترف السلطات السوفياتية بوجوده في موسكو الا مؤخرا حيث ظهر مع زميله كيم فيلبي في حفلات الفنانين السوفياتيين والحدائق العامة ••• وفي مثل هذه الحالة يصبح بورك تلقائيا من ضيوف المخابرات السوفياتية بسبب مساعدته لبليك ، وانقاذه من السجن أولا ثم اخراجه من بريطانيا ثانيا ، ومداواته بالاصل عند سقوطه أثناء الهرب ثم تركه وطنه بريطانيا نتيجة جريمته هذه• ومن جملة المساعدات التي تقدم في مثل هذه الحالة استدعاء الزوجة والاولاد ان وجدوا مهما بلغت المصاريف تشجيعا لغيره من الجواسيس أو الذين يتعرضون لمساعدة جواسيس آخرين •

وهذه القاعدة تسير عليها جميع مخابرات دول العالم ، وليست دعاية للمخابرات السوفياتية كما تبادر الى ذهن البعض •

إصطياد المخابرات العملاء من خارج جهازها

تعمل جميع أجهزة المخابرات في العالم على اصطياد بعض العملاء لتسخيرهم على العمل لصالحها ، بالاغراء تارة ، وبالتهديد بمختلف الوسائل حتى اللا اخلاقية في بعض الدول كاسرائيل وبريطانيا ابان الحرب العالمية • كما نجد في قصة الجاسوسة البريطانية (فلور) الحسناء الجميلة التي كانت جذابة وجريئة ، بالاضافة الى اتقانها عدة لغات ، حيث كانت تكلف بالمهام الصعبة • وكانت تدعى الى أغلب الحفلات الاجتماعية بترتيب من المخابرات البريطانية • وكانت تصاحب عليّة القوم لتحصل على أدق الاخبار • وعلمنا بان أحد كبار المسؤولين الفرنسيين وقع في حبها ، وعرض عليها الزواج ، تاركا أولاده وبيته • ولكنها صدته بأدب قائلة انها لا تريد منه هذه التضحية ، وستبقى له صديقه مخلصة ، (بالطبع للحصول على المزيد من الاسرار التي كان يحدثها بها في ساعات صفائهما •••) وان أحد رؤساء الوزارات الايطالية أيضا وقع في حبائلها ، وأصبح لا يفارقها • وفي عام ١٩١٥ علمت المخابرات البريطانية أن أحد كبار الجواسيس الالمان يقيم في سويسرا (تحت اسم الاستاذ أهردات) ، فأرسلوها اليه لتكتشف حقيقته وتساعد على اعتقاله • كان يقطن في غرفة

خاصة استأجرها في فندق ، وكان لا يسمح لاحد بدخول غرفته بحجة خوفه من أن أحدا يعبث في مجموعة الآثار التي جمعها•واذا أراد الخادم تنظيم الغرفة فليكن ذلك بحضوره • والحقيقة أنه لم يكن بالغرفة آثار قديمة ولا جديدة بل كانت هناك أدوات التجسس (جهاز لاسلكي ـ ولوائح بأسماء عملاء ألمانيا في سويسرا ، الذين يتصل بهم ويتعاون معهم • هذا بالذات ما رغبت المخابرات البريطانية بـه) •

توجهت فلور بأمر من المخابرات البريطانية الى مدينة زوريخ في سويسرا ، ونزلت في نفس فندق (هيرشن) الذي ينزل فيه • وبدأت تحاول لفت نظره حتى وقع في حبها كما كان مرتبا • وبعد أيام دعاها الى غرفته لتناول كأسا من الويسكي ••• الخ •• وفعلا لبت فلور دعوته بسرور زائد ، وأخذا يتبادلان الشراب حتى تأكد لها أنه اصبح تحت سيطرتها ، طلبت منه أن يذهب الى غرفتها في الطابق الاول ، ويحضر لها البوم الصور من خزانتها لتطلعه عليها• وحالا توجه الى غرفتها [1] • وبعد خروجه قفزت الى أوراقه وحاولت وضعها في حقيبتها • وفي هذ اللحظة دخل سكرتيره الذي كان يشك في تصرفاتها مع أستاذه ، ويراقبها من ثقب الباب لدى خروج الاستاذ وقيدها ، حتى حضر الاستاذ ليفاجأ بذلك الامر ، وصحي من سكرته وأقسم على تسليمها للسلطات • ولكنها كانت من الذكاء والتدريب بحيث تمكنت من الافلات سابقا من العديد من مثل هذه المآزق، فوعدته بإعطائه أسماء الجواسيس البريطانيين في المانيا ، وأماكن وجودهم مقابل أن يطلق سراحها • ورضي بذلك وأخذ يكتب ما تمليه عليه من أسماء (بعد مدة بعثت برلين كتابا الى الاستاذ تلومه فيه لوما شديدا على تقريره الخاطيء الذي ليست فيه سوى أسماء وهمية لا قيمة لها) •

واذا فشلت فلور في مهمة ، فانها نجحت في العديد من المهمات . وكانت تنتقل من برلين . الى ميونيخ . الى هامبورغ وهي تحمل جواز سفر هولندي وطلبت منها المخابرات البريطانية الحصول على الشيفرة الالمانية البحرية وعمت جهدها حتى أوقعت أحد ضباط البحرية الالمان في غرامها • وحصلت منه على

---

(١) هذا الخطأ الذي ارتكبه أمرادات ينبه عليه في تدريس المخابرات لأن من المفروض به أن لايهمل ل الفترة واذا اضطر أن لا يفقد شعوره واذا تعرض للنساء أن يكون حذرا في علاقته معهن •

الشيفرة التي تتخابر بها المدمرات الالمانية في البحر • وقد ساعدت الشيفرة على معرفة استعداد الالمان في معركة (جوتلند) البحرية المشهورة •

كما نجد في تاريخ الجاسوسية الطويل أسماء العديد من الشخصيات المشهورة التي كانت تتعاطى التجسس برضاها أو التهديد، لان من طرق المخابرات في بعض الدول دراسة ماضي وحاضر الاشخاص البارزين في الدولة والمجتمعات الراقية ، ومعرفة من سيكون له شأن في المستقبل ، فتحوم المخابرات حولهم لانه من المحتمل أن أحدهم سوف يصبح نائبا في الانتخابات أو موظفا ذا شأن في وزارة الخارجية مثلا أووزيرا في وزارة مقبلة ، ويوضع تحت المراقبة من قبل شخص مختص حيث يسجل عليه أحاديثه واتصالاته مع الجميع ، حتى علاقاته الغرامية ان وجدت • وأخذ الصور له في حالات السكر والعبث مع النساء ، حيث تجمع جميع هذه الاخبار ، وتوضع في ملف خاص [1] بهذا الشخص وتخرج عند الحاجة اليها • أو عندما يصبح الشخص المقصود صاحب مركز لتهديده بماضيه المحفوظ ، ولنأخذ مثال على ذلك أن أحد الامراء الهنود عندما مرّ في ايطاليا نزل في أحد الفنادق الفخمة ، وهناك تعرف على راقصة مشهورة حيث قضى معها بعض الايام من العبث والمجون • ولما عزم على السفر قدم لها شيكا بمبلغ مائة ألف فرنك ، وهو مبلغ بسيط بالنسبة لمركز الامير • فما كان من الراقصة الا أن ألقت الشيك في وجهه وقالت له : هل تحسبني احدى محظياتك •• اما أن تعطيني شيكا بمليون فرنك والا الفضيحة •• وخشي الامير من الفضيحة حفاظا على مركزه ، فوقع لها شيكا بطلبها • وعاد الى بلاده وهو متأثر من الحادث ومن جسامة المبلغ • ولدى وصوله الى نيودلهي ، تقدم منه شخص بكل احترام ، وسلمه مظروفا كتب عليه : (مع تحيات الانتلجانس ــ سرفيس) المخابرات البريطانية ، واختفى ذلك الشخص •وعندما فتح الامير المظروف وجد

---

(١) كما فعلت المخابرات المركزية الاميركية مع الامير فيصل بن مساعد آل سعود عندما كان طالبا في الولايات المتحدة عام ١٩٦٨ ، حيث صور مع صديقته (كريستين نورما) باوضاع مخزية ثم انقذته هذه المخابرات من قضية مخدرات كانت ستطيح بمستقبلـــه •••؟

فيه الشك الذي حرره بمبلغ مليون فرنك للراقصة كماهو؟ سر الامير باسترجاع الشيك ، ولكنه لم يدر أن المخابرات البريطانية قدمت له هذه الخدمة مقابل خدمات طلبوها منه أيام استعمارهم للهند بعد ذلك • وفعلا كان عند حسن ظنهم • كان هذا نموذجا من طرق المخابرات في اصطياد العملاء ، وهم لا يفرقون في ذلك بين أمير أو وزير أو موظف أو تاجر أو مهندس أو طبيب ، حتى العامل وخادم المقهى وماسح الاحذية ••• يوجد منهم عملاء تم استدراجهم بالطرق المختلفة •

واذا تابعنا البحث في تاريخ الجاسوسية نجد أناسا مرموقين في هذه الايام ، قد وصلوا الى أعلى المراتب ، بينما كانوا في السابق عملاء للمخابرات ، ومنهم (آرثر غولد برغ) مندوب اميركا الدائم لدى الامم المتحدة سابقا بالذات •ومن ماضيه نجده ابان الحرب العالمية الثانية برتبة ميجر في الجيش الاميركي ورئيس فرع مخابرات انشيء أثناء الحرب في سويسرا • ولعله لا ينسى أول عملية تدمير قام بها هو ورجاله عندما دمروا جسرا يربط سكة الحديد بين براغ وبيلسن داخل تشيكوسلوفاكيا ، عندما وصل القطار المقل لمئات الجنود الالمان الذين جيء بهم من الجبهة الشرقية ، لمساعدة القوات الالمانية في ايطاليا • مما تسبب في مقتل أغلب الجنود ، بينما اصيب من بقي منهم على قيد الحياة بعاهات مستديمة • فهذا فقد ساقه ، وذاك فقد ساعده • بينما عاد آرثر برغ الى مقر عمله التجسسي ، ليبعث برقية الى رؤسائه يقول فيها (تمت عملية جودكس) • ونحن بانتظار تعليماتكم لعمليات جديدة •••) •

أما الآن ، وبعد هذه السنين الطويلة نجد آرثر قد أصبح مندوبا لبلاده في الامم المتحدة عدة سنين ، ليتابع عمل التجسس • ولكن هذه المرة بصورة مختلفة عن ماضيه ، وعلى نطاق واسع • بحيث كان حتى نهاية عمله في الإمم المتحدة مثال المدافع عن اسرائيل ، بالرغم من جميع ما ارتكبته من جرائم وخرق لمعاهدات الامم المتحدة نفسها •

ومن الاشخاص المرموقين الذين وصلوا الى أعلى المناصب ، وسبق أن تعاملوا مع المخابرات الرئيس السابق ريتشارد نيكسون الذي تعامل مع المخابرات

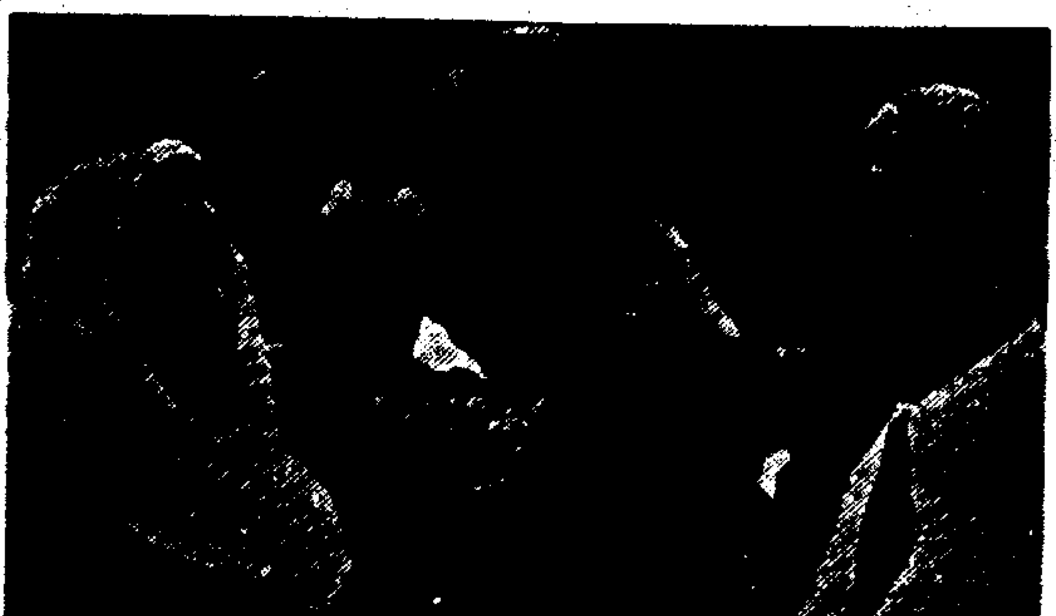
الاميركية في مطلع عام ١٩٤٧ ، وكان اسمها في حينه (F B I) ، وسرح بعدها بسبب تخفيض الميزانية .



الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون وهو يحمل الرقم ١٢ في فريق رياضي وكان بنفس الوقت يحمل معتبرا

ومن الماضي القريب تطل علينا صورة المطربة السورية (اسمهان) واسمها الكامل (آمال فهد الاطرش) التي ذهبت ضحيــة لتعاملهــا مع المخـابرات البريطانية • فقد جندها قائد سلاح الطيران البريطاني في الشرق الاوسط للعمل معهم • وكان بنفسه رئيس المخابرات للجيوش البريطانية ، وبهمه معرفة جميع الامور في المنطقة • وبرعت اسمهان في تقديم المعلومات للبريطانيين براعتها في الغناء ، حتى حكم عليها بالاعدام من قبل الالمان لشدة ما ألحقته بهم من أضراره فنقلت للعمل في فلسطين وبيروت • وكـان يرافقها في القدس أثناء حضورهـا (كانت برتبة ضابط فخرية) جاويش (رقيب) من الجيش البريطـاني أردني يدعى ــ م ــ ط أثناء اتصالاتها • وحين أصبح الالمان على أبواب مصر خشيت المخابرات البريطانية أن تقع أسمهان في الاسر فقرروا التخلص منهـا خشية أن تفضح ما شاهدته وسمعته وعلمته من الاسرار •

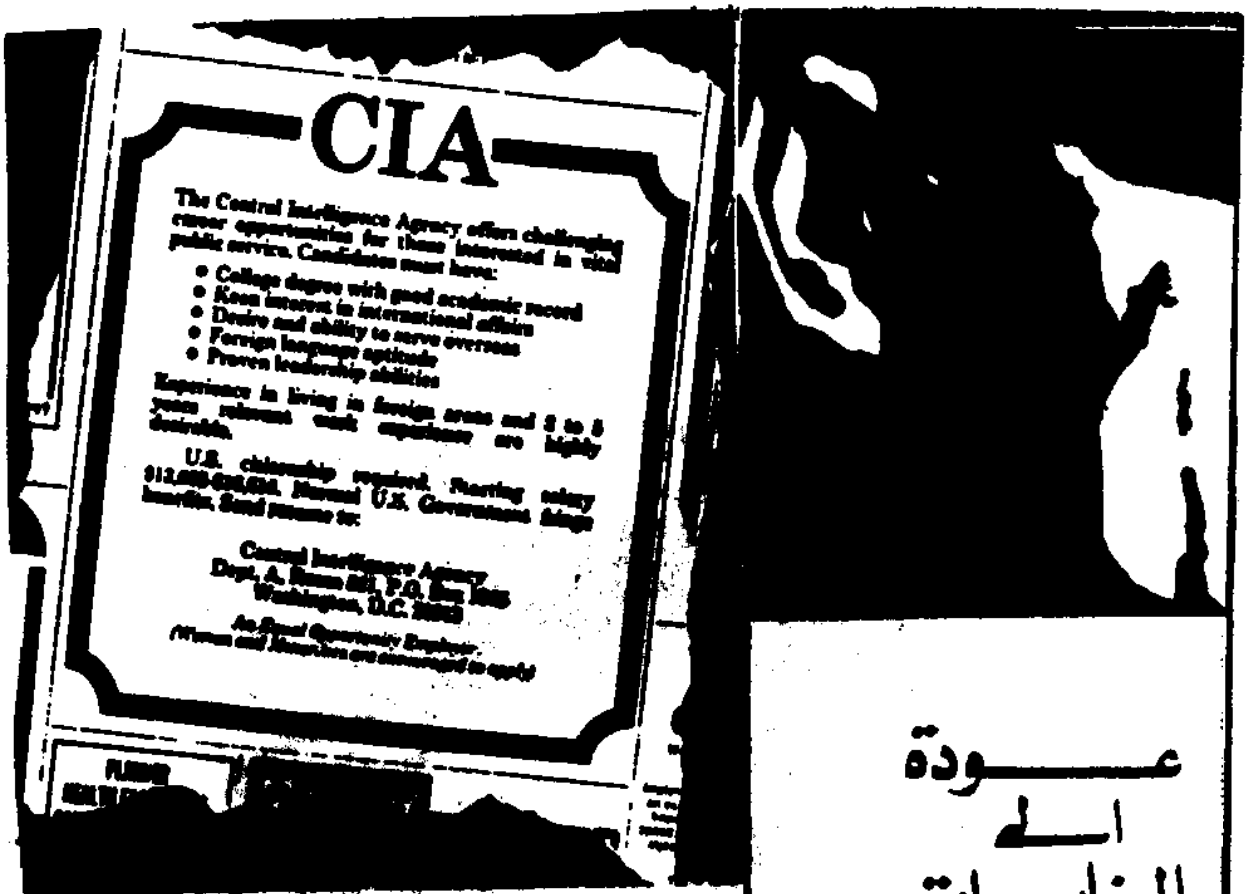
وهكذا صورت نهاية اسمهان بأن سقطت سيارتها في ترعة للري • وهذه الطريقة ليست غريبة عن المخابرات البريطانية التي تتخلص من عملاءها ، حفاظا على أسرارها (خصوصا وأن سائق السيـارة نجـا بنفسه ، وتركها تسقط بأسمهان في الترعة) •



الاميرة امال الاطرش وعدد من القواد والضباط بعد دخول الحلفـاء سوريـا ولبنـان



المطربة السـورية إسمهان الأطـرش ضحية المخابرات البريطـانيـة



مطلوب جواسيس : اعلانات مبوبة

عــــودة الــى المخابــرات

بعد هذا القدر من الشرح عن مشاهير الجواسيس ، وعن طرق اصطيــاد الجواسيس من قبل المخابرات نعود الى التفصيل والتعمق في حياة وخبايا رجال المخابرات والصفات التي يجب أن تتوفر في رجل المخابرات • وكنــا شرحنا في صفحات سابقة عن كيفية اختيار كل دولة من الدول لرجال مخابراتها • نعود الى التأكيد بأن رجل المخابرات يجب أن يكون مخلصا لوطنه في الدرجة الاولى ، وذا ضمير حر ، واستقامة ، ونزاهة حيث من الممكن أن يتعرض لشتى المغريات أثناء عمله من مال وفير ونساء جميلات ووعود واغراءات فاذا لم يكن ذا مناعة طبيعية ضد كل هذه الامور انغمس في الملذات ، ونسي مهمته مما يضيع عــلى دولته الفائدة المرجوة من ذلك • لذلك يجب أن تعطى هذه الناحية بالذات العناية الفائقة لدى اختيار الرجال للعمل في المخابرات • ثم يجب على الدولة أن تجعل راتب رجل المخابرات مضاعفا ليعيش عــلى مستوى يجعله في غنى عــن التورط في الديون أو عروض الاعداء ، كما يجب على الرؤساء المباشرين لرجــال المخابرات الاهتمام الشخصي في كل رجل مخابرات على حدة ، وتفهم مشاكلهم

ومساعدتهم على حلها،ليكون انصرافهم الى واجبهم كليا ، ثم على الدولة أن تسارع الى منح كل رجل مخابرات أو عميل لها قام بكشف أي خطر يتهدد أمن البلد من تجسس أو تخريب أو دعايات مغرضة لتفرقة الصفوف أن تمنحه المكافأة الفورية تشجيعا له ولزملائه ولرفع روحــه المعنوية • كما يوجد أيضا واجبات وصفات ضرورية على رجل المخابرات أن يتقيد بها دون طلب ، وهي كونه مثال التهذيب والاخلاق في معاملة المواطنين ليعطي انطباعا طيبا عن المخابرات في بلده، كما يجب عليه المحافظة على سرية عمله،وذلك بعدم البوح أمام أقربائه وأصدقائه بأي نوع من أنواع مهمته التي يكلف بها ، بقصد التعالي أمامهم • كما يجب عليه أن يتفادى قدر الامكان معرفة الناس به أنهمن رجال المخابرات لكي لاتضيع عليه الفرصة التي تسنح لمعرفة الاخطار المحدقة بالوطن ، كما أنه من المؤسف أن بعض رجال المخابرات يعمدون الىاظهار قسم من مسدساتهم التي يحملونها بقصد الدفاع عن النفس عند مداهمة أي خطر لهم ، وذلك في وسائل النقل العامة أو في الطريق ، وذلك للتباهي أمام الاخرين • وأنا أعرف صديقا من المخابرات العربية بقي طيلة ثلاث سنوات وأهله يعتقدونه موظفا في البلدية بسبب حيطته وتكتمه • وهناك الكثير من النصائح التي تفيد رجال المخابرات • وأنا واثق أن رجال المخابرات ومسؤوليتهم في الدول العربية قد تلافوا الاخطاء الماضية ،وهذا يظهرواضحامنالنشاطالملحوظالذيطرأ على أعمالهم،حيث لا يمر يوم الا ونسمع عن كشف شبكة تجسس أو عميل لاسرائيل وأميركا ، وهما الدولتان الوحيدتان اللتان يهمهما معرفة أسرار وقوة الدول العربية ، وبقي حقيقة واحدة نقولها ، وهي أن اسرائيل منذ وجودها عام ١٩٤٨ ليس لها سوى طلب معرفة ما يجري في البلاد العربية من تسلح ، وما لديها من قوات وعتاد ، لذلك لجأت منذ تأسيسها الى شراء العديد من ضعفاء الضمائر في البلاد العربية ، وجعلتهم يعملون لحسابها، وينظمون شبكات التجسس العديدة في عواصم الدول العربية جميعا ، حيث تعمد المخابرات الاسرائيلية الى ابقاء أكثر من شبكة تجسس في كل من دولة عربية ، حتى اذا صدف أن كشفت احدى هذه الشبكات تبقى الاخرى تتابع عملها التجسسي ، بالاضافة الى أن اسرائيل تدفع ألوف الدولارات للصرف على هذه الشبكات ، وأن أهم أسباب تورط بعض أبناء الدول العربية في العمــل

لصالح المخابرات الاسرائيليـة هو ضعف الحالة المادية ، والرغبة لـدى بعض المتهورين بالعيش في الملذات والملاهي . لذلك فقد أعلنت المخابرات الحربيـة بالقاهرة في شهر كانون الثاني ١٩٦٨ بأنها ستساعد كل من تورط مع العدو وبنشاط تجسسي بالتهديد أو الاغراء ، وأنها على استعداد للتغاضي عن كل ما أقدم عليه أي مواطن عربي ، وما عليه الا أن يتقدم باعلامها أواعلام أيـة

سفارة عربية في الخارج عن تورطه وسيصار الى مساعدته للخلاص مهما كان منغمسا في التجسس وذلك لتفويت الفرصة على المخابرات الاسرائيلية ، وحبذا لو تحذو جميع المخابرات العربية حذو المخابرات الحربية بالقاهرة عن التغاضي عن المتورطين في أمور التجسس ، وطلب اعلامهم المخابرات حالا ، مع تأمين مستقبلهم وضماناتهم ، وبذلك سوف تخسر اسرائيل من اعتقدت أنها اشترتهم الى الابد .

وقد أسفرت هذه الخطة من قبل المخابرات العربية عن ثمارها ، حيث تقدم سبعة من المواطنين الى المخابرات العامة بمعلومات ، يوضحون فيها عن تورطهم مع المخابرات الاسرائيلية ومع مخابرات بعض الدول . كما علمنا أن شخصا آخر كان قد تورط في العمل مع المخابرات الاسرائيلية تقـدم من نفسه الى وزارة الداخلية ، تحت الاجراءات الكفيلة بحمايته والتغاضي عنه . كما جاء في بيـان السيد رئيس الجمهورية العربية المتحدة الرئيس جمال عبد الناصر الذي وعـد بضمانة وحماية كل من تورط بالتجسس لاي سبب . ومن المعروف عن اسرائيل أنها لا تدع وسيلة من الوسائل للحصول على المعلومات الا واتبعتها معهما كانت. وليس أوثق من اعتراف كبير مراقبي الهدنة في فلسطين سابقا الجنرال (فون هورن) في مذكراته التي نشرت أخيرا ، بأن بعض اليهوديات الجميلات حاولن اصطياد ضباطه بالطرق اللاأخلاقية ، وان احداهن طلبت من أحد ضباط الهدنة اصطحابها معه الى القدس العربية (قبل الاحتلال) كزوجـة ، ولكنه رفض ، وأعلم الجنرال بذلك .



الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وقد أعلن بنفسه حماية كل من يتورط في التجسس شريطة أن يتقدم للسلطات المختصة بكل ما وصل إليه

كما أننا نجد أن هروب المجند أ ـ ع الى اسرائيل عام ١٩٥٧ حيث استقبله الملازم الاول موسى رئيس فرع مخابرات طبريا حينئذ ، ورحب به وجعله موضع حفاوة المخابرات الاسرائيلية • وفي اليوم التالي على وصول هذا المجند لاسرائيل فاجأه الملازم الاول بنبأ منحه رتبة رقيب، وقبوله في جيش الدفاع الاسرائيلي مقابل هروبه من الجيش ومنحه اجازة شهر مقدما ، مع تسليمه الراتب الكامل لرقيب في

الجيش الاسرائيلي ، وهو مبلغ ٣٨٠ ليرة اسرائيلية وتعيين عريف يهودي كمرافق له ، لكي يتعرف على المعالم والاحياء الاسرائيلية في المدينة والثكنة الى حين التحاقه بالخدمة الفعلية لدى انتهاء اجازته ، التي منحها باعتباره بحاجة الى إجازة نظرا لاجتيازه للحدود ، وتعرضه لاطلاق النار عليه .. الخ .

هذه الطريقة من قبل المخابرات الاسرائيلية تعتبر من الطرق الجديدة في الحصول على ثقة عملائهم . حيث أخذ يتجول مع مرافقه في طبريا ومنتزهاتها وأماكن اللهو فيها . وفي احدى الليالي دعاه مرافقه الى السهر مع فتاة يهودية جميلة في أحد الملاهي ، فتعلق أ ـ ع بالفتاة اليهودية التي كانت من المخابرات الاسرائيلية ، وأصبح يطلب من مرافقه يوميا السهر معها ، حتى صرح له مرافقه بأنه اذا أراد الزواج منها فما عليه الا أن يقدم طلبا بذلك ، وفعلا تقدم بطلب ، وجرت الموافقة عليه . وجرى عقد زواجه في الثكنة على يد خاخام الجيش (زواج صوري) ، ومنح بعد ذلك منزلا من منازل الرقباء ، التي تقع على اليمين من مدينة طبريا . وكان الخائن سعيدا بهذا الزواج . وبعد يومين حضر الملازم الاول موسى ، ليطلب مرافقته الى الثكنة نظرا لطلب مندوب اذاعة اسرائيل اجراء مقابلة معه . وفعلا أجريت المقابلة بترتيب من المخابرات الاسرائيلية التي لقنت الخائن الجواب ، حيث كان في حالة نفسية طيبة بالنسبة لما حصل عليه من رتبة ومال ومنزل ، وفوق كل ذلك امرأة جميلة ، يحسده عليها حتى الضباط الاسرائيليون أنفسهم . فقد كانت تملي عليه الاجابات التي يريدها رجال المخابرات الاسرائيلية .

رجع الى زوجته التي أخذت تستجوبه بدقة من حيث لا يشعر عن الاماكن الاستراتيجية في الخطوط الامامية ، وكان بطبيعة الحال يعتقد حسب ثقته فيها كزوجة أنها انما من حقها أن تسأله مثل هذه الاسئلة ، وهو لا يدري ، بأن نفس الغرفة التي يقيم فيها مع زوجته المزعومة مملوءة بالميكروفونات اللاقطة التي تنقل كل كلمة يتفوه بها الى آلات التسجيل المنصوبة في غرفة مجاورة . والتي يديرها ويراقبها ضباط المخابرات الاسرائيلية . حيث أخذ يفيض بالحديث عن جميع ما يعرفه عن الاماكن العسكرية . وبعد مضي عدة أيام على ذلك لم يبق مكان في المنطقة الا ودل عليه ، وعلى ما يوجد فيه من أسلحة مختلفة . وعندما لم يبق في ذاكرته أية معلومات عن هذه المنطقة فوجىء بأمر نقله الى منطقة ثانية

مقابلة للخطوط العسكرية أيضا • واتبعت معه زوجته نفس الطريقة الماضية في استدراجه للتحدث عن نوعية الاسلحة الموجودة في هذه المنطقة أيضا • وهكذا جرى نقله مع زوجته على طول الخطوط الامامية • وكان يعطي المعلومات عن جميع ما يعرفه بصورة عفوية ، ومضى على هذه الحال حوالي الشهرين ، حتى تأكد للمسؤولين في المخابرات الاسرائيلية أنه لم يعد ذا نفع لهم لانتهاء مالديه من معلومات ، فوجد نفسه بين ليلة وضحاها يعتقل ويوضع في زنزانة منفردة في سجن طبريا العسكري • واذا رجعنا للخطوط الامامية المقابلة ، وعرفنا ما حصل نتيجة هروبه الى السلطات الاسرائيلية لتعجبنا ، لان السلطات العسكرية عندما اكتشفت هروبه الى اسرائيل اتخذت احتياطات أمن مشددة ، وهي تعرف أن اسرائيل سوف تحصل منه على المعلومات بأي طريقة كانت • ولذلك وفي نفس الليلة التي اكتشف هروبه فيها لم تبق قطعة سلاح في الجبهة، الا وجرى تبديل مكانها حيث كلفت الخزينة آلاف الليرات قيمة محروقات الاليات التي تحركت ، لتبديل أمكنتها•هذا ولم تستفد اسرائيل من المعلومات التي حصلت عليها منه بهذه الطريقة اللاأخلاقية ، بينما قامت اسرائيل بتسليمه للسلطات العربية عن طريق لجنة الهدنة المشتركة مقابل استرجاعها بعض العسكريين المعتقلين • وجرى التحقيق معه حالا من قبل المخابرات العربية ، حيث تكلم عن الطريقة التي ذكرناها ، والتي أتبعتها معه المخابرات الاسرائيلية ، عوضا عن التعذيب وقلع الاظافر والارهاب • وجرى الحكم عليه بالاعدام من قبل المحكمة العسكرية العرفية ، بموجب الاحكام العرفية ونفذ فيه حكم الاعدام في احدى قرى الحدود ليكون عبرة لمن تسول له نفسه السير في هذا الطريق ، طريق الخيانة ـ واذا كان لدينا من تعقيب على هذه القضية ، فانه يكون عن نفسية الحكام الاسرائيليين ومخابراتهم في استعمال هذه الاساليب الدنيئة التي لم نسمع بها من قبل مطلقا •

خبير بريطاني عميل للسوفييت

ولمتابعة البحث في موضوع اصطياد العملاء ، وجعلهم يعملون لصالح دولة ثانية نجد الكثير من الادلة على مختلف مخابرات العالم • وكل منها لها طريقتها الخاصة في اكتساب العملاء • فنجد أن المدعو دوكلاس ورنلاد برتين (كبير الخبراء التقنيين في سلاح الجو الملكي البريطاني) قد تورط بالعمل مع المخابرات السوفياتية طوال ست سنوات • والمذكور سبق أن عمل مع السلاح الجوي البريطاني في العراق قبل الاستقلال ، ثم في قناة السويس وأخيرا في قبرص •

كيفية اصطياده :

كان دوغلاس قد تزوج من احدى المتطوعات في سلاح الجو البريطاني في قبرص وعند عودته الى لندن تراكمت عليه الديون ، مما أثر في حياته الزوجية وسعادته • وبينما كان يتجول في أحد الايام في متحف لندن اقترب منه شخص وعرفه على نفسه بأنه روسي ، ومن هواة الاستماع الى أجهزة اللاسلكي خصوصا الموجات القصيرة • وقد سأله عن امكانية تزويده بنسخة من كتاب صدر أخيرا في لندن عن المحولات من طراز (١١٥٤) مقابل عشرة جنيهات استرلينية • مع أن الكتاب ثمنه في المكتبات العامة (نصف جنيه استرليني) • وفعلا اشترى له الكتاب بمعرفة أحد أصدقائه ، وتقاضى منه العشرة جنيهات • وبعد مدة صدر الامر بعودة دوغلاس الى قبرص ، فأعلم الروسي بذلك بعد أن أصبحا صديقين• فقال له ، انه سيزوده بكتاب الى أحد معارفه في (فاما غوستا) • وبالفعل اجتمع دوغلاس بالرجل في قبرص وركب معه في سيارة تحمل اللوحة الدبلوماسية ، وفي الطريق طلب منه تزويده بمعلومات ذكر أنه لا ضرر منها لقاء بعض المال الذي يحتاجــه •

طلب المعلومات عن الاسرار الجنسية لضباط البريطانيين في قبرص :

كانت المعلومات التي ذكرهـا بأنها لا ضرر منها تتعلق بمسلك الضباط البريطانيين • ومن منهم له عشيقة واسم عشيقته اذا أمكن ، من منهم يمارس

الشذوذ الجنسي ، ومن من زوجات هؤلاء الضباط تمارس البغاء ، سواء مع الانكليز أصدقاء أزواجهن أو مع السكان المحليين . وفعلا اجتمع دوغلاس معه مرة ثانية ، وكان بصحبته امرأة حسناء ذكر له أنها زوجته ، فأعطاه أسماء ثلاثة من الضباط الذين لهم أسرار جنسية . وبالمقابل أعطاه الرجل الروسي مبلغا من المال . وقد حاول دوغلاس الانسحاب من منتصف الطريق من هذا العمل ،ولكن حاجته للمال كانت تدفعه لتلبية أول طلب من الروس حتى انغمس كليا في العمل معهم . حيث جرى تزويده بأوعية لاخفاء المعلومات فيها . ومن بينها صحيفتا بيرة لهما قعر مزدوج ، ووعاء مغناطيسي يلصق تحت المقعد أو في أي قطعة حديدية ، وزود بآلة تصوير (ميفركس) حديثة . وطلبوا منه تصوير مركز عمله من الداخل لقاء بعض المال ، ففعل حتى عام ١٩٦٦ ، حيث أعيد الى لندن . وفي لندن عاد الى التعامل معهم لقاء مبالغ متفاوتة ، حيث كان يجتمع مع شخص يدعى (يوري)[١] أخذ يهدده بفضحه اذا لم يعطهم ما يطلبون منه . فأذعن دوغلاس للامر ، وزوده هذه المرة بجهاز لاسلكي ، قاموا بتدريبه على استعماله بعض الوقت في بلدة (أرنوس غروف) . وبعد ذلك أعطوه طول الموجة التي يتصل بها مع موسكو مباشرة (المخابرات الروسية) . وبقي يتصل معهم ، ويزودهم بالمعلومات حتى تم اعتقاله في منزله . ولم تعلن (الانتجانس سرفيس) المخابرات البريطانية عن كيفية اعتقاله،بل أعلنتعن العثور على جهاز اللاسلكي في منزله وآلة تصوير (ميفركس) ومختلف أدوات التجسس ، وفك الرموز التي ترد له بواسطة جهاز اللاسلكي الذي يشبه جهاز الراديو العادي.

أما دوغلاس فقد اعترف اعترافا كاملا بتوريطه في العمل مع الروس ، لقاء مبلغ حوالي /٨٠٠/ جنيه استرليني بالاضافة الى التهديد الروسي الذي لم يعفه من الحكم عليه (٢١ سنة) ، بتهمة اعطاء الروس أسراراً تضر بالامن البريطاني ، وتفيد الاتحاد السوفياتي خاصة في مجال الطيران . وليس دوغلاس

---

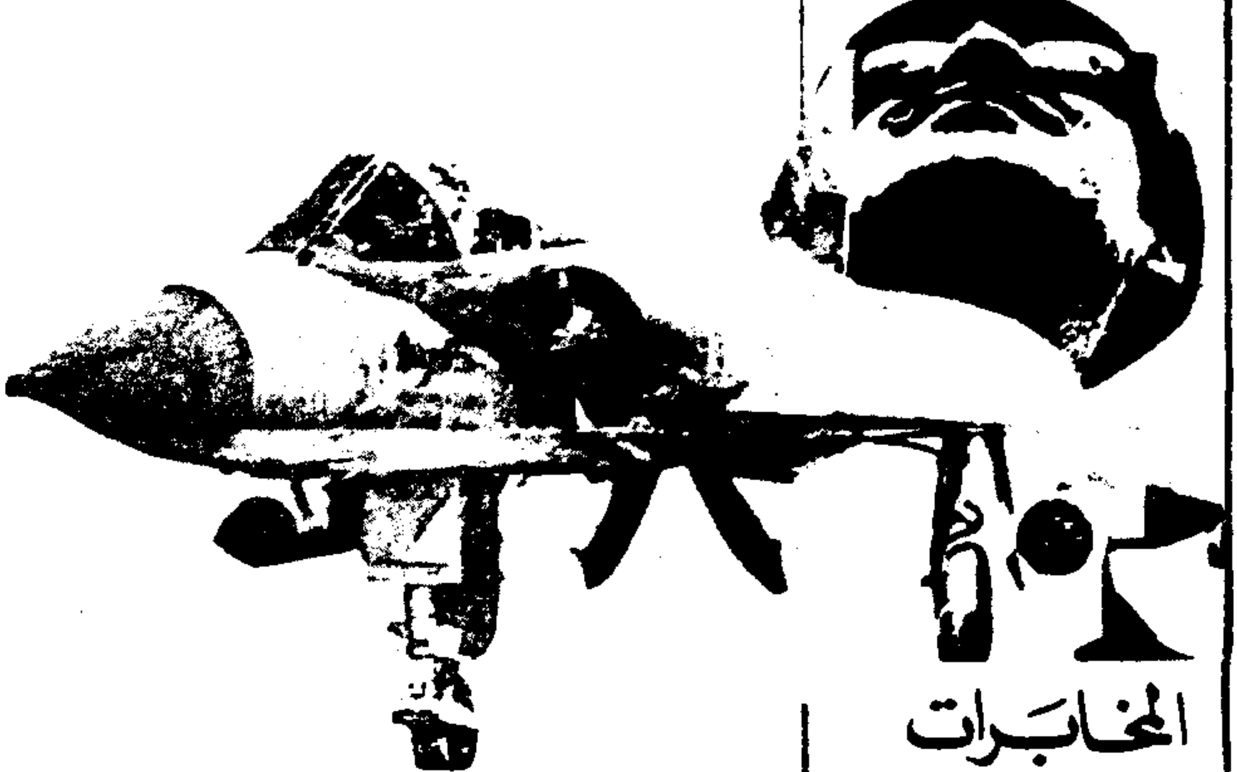
(١) اتضح أن يوري هو الاسم المستعار للملحق الثقافي الروسي في السفارة السوفياتية بلندن المدعو الكسندر ايفانوفتش بوريستكو الذي غادر لندن بعد القاء القبض على دوغلاس مباشرة .

هو الوحيد من الذين تورطوا في العمل لصالح المخابرات الروسية تحت ظروف معينة ، فهناك العشرات الذين تم ويتم تجنيدهم للعمل في المخابرات من خارج سلك المخابرات ، حيث تتوفر فيهم أدق الاسرار • وهؤلاء تجري مراقبتهم بدقة واسعة ، حتى تعرف المخابرات نقطة الضعف لديهم ، فتنقض عليهم بطرقهـا المختلفة • ونحن إذ نقدم للقارىء الكريم هذه الوقائع من أوثق المصادر ، ومنها أقرب الناس الى هذه الاسرار والوقائع ، وهو نفس جهاز المخابرات • ولكننا راعينا في المادة التي تنشرها ليطلع عليها المواطن العربي في كل مكان ، أن تكون هذه المادة غير مفيدة للعدو • لذلك أدرجنا ما قد مضى الوقت عليه ، وراعينا الرموز للدلالة على بعض الاشخاص • بينما بقيت مواد الكتاب العلميةوالتاريخية ثابتة ، وجرى استقاؤها من مصادرها الاصلية •

نعود الى شرح موجز عن كل جهاز مخابرات في العالم على حدة ، ونبدأ في شرح كاف عن المخابرات السوفياتية في الاتحاد السوفياتي • والتي اعترف النقاد العسكريون وكبار رجال المخابرات الغربيين بأنها أحدث جهاز مخابراتفي العالم• حيث يضم الجهاز الرسمي للمخابرات أكثر من سبعين ألف موظفا ، عدا عن واجب الجميع بالتجسس الطوعي ، واعلام المخابرات السوفياتية أولا بأول ، عن كل ما يمس بأمن الاتحاد السوفياتي •

دائرة معارف للجاسوسية العالمية :

أصبح للجاسوسية مؤخرا دائرة معارف تقتص سير أعلامها من جواسيس عصرنا المبرزين • مؤلف هذه الموسوعه التي تقع في نحو ٧٠٠ صفحة جاسوس انكليزي سابق اسمه رونالد سيت . مارس الجاسوسية وأعمال التخريب أثناء الحرب العالمية الثانية . ووضع عددا من الكتب حول هذا الموضوع،ثم عاد فغربل كتاباته وتخيرأجودها وأودعه في هذا الكتاب•



المخابرات السوفيتية منشؤوها

يرمز الى المخابرات السوفياتية NKVD ، وموظفوها من العسكريين والمدنيين الروس المختارين بدقة متناهية ، لانـه من المعروف أن انتقاء رجال المخابرات الروس لا يتم بتقديم الطلبات وانتقاء البعض من المتقدمين ، مثل المخابرات الاميركية • بل كان من قبل المسؤولين في المخابرات ، والذين يختارهم الكبار في الحزب الشيوعي • وهم بدورهم يختارون ما يريدون من الموظفين الاذكياء في وزارة الداخلية والخارجية والتربية والتعليم،على أن يكونوا من الحزب الشيوعي أو مرشحين للحزب ، أو من أعضاء منظمات الشباب الشيوعية • كما يراعى في اختيارهم أن يكونوا من عائلة معروفة ليس فيها خائن ، أو مشبوه عرف بعدائه أو انتقاده للثورة الشيوعية ، والشاب الـذي يحصل على مركز في المخابرات السوفياتية يعتبر من الاشخاص المحظوظين ، ويعتبر من فئة خاصة في [illegible] حتى ان الذي يحصل على هذا المركز يكون له من الصفات أكثر [illegible] عسكري ، وينال من العطايا والمخصصات المادية ما لا يحصل عليه أي موظف [illegible] في الوظائف الثانية،عدا عن مميزات [illegible] ته الخاصة

بعد ذلك في الحزب،وجهاز المخابرات الروسي تضخم مع الايام ، وامتدت أعماله الى مختلف بلاد العالم حتى اكتسب الصفة العالمية • ولما كان هذا الجهاز من اختيار الحزب الشيوعي الحاكم ، لذلك فهو يتمتع بثقة الحزب والحكومة القائمة بنحو أفضل من جهاز مخابرات الجيش التابع للقيادة العامة للقوات السوفياتية المسلحة • ومنذ عام ١٩٤٨ كان جهازا المخابرات يعملان معًا كجهاز واحد، ولكن سيطرة المخابرات الحكومية كانت واضحة على المخابرات العسكرية • أما اذا نظرنا الى مهمات الجهازين فنراها مهمات لا حدود لها ، تشكل كافة أعمال المخابرات لصالح الاتحاد السوفياتي في جميع أنحاء العالم •

وفي عام ١٩٥٨ وضع خرشوف أخلص رجاله في رئاسة المخابرات السوفياتية العسكرية ، وهو الجنرال (ايفان سيروف) ليطمئن اليه في نقل كافة حركات كبار ضباط الجيش • أما نظام المخابرات الاخر والخاص بالحزب فقد بلغ من التضخم،حيث امتدت شباكه الى أطراف العالم • وأصبح العين الساهرة للحكومة السوفياتية في روسيا ، والخارج • وهذا الجهاز يعمل في الخفاء ، وعلى استعداد لتنفيذ رغبات الحكومة السوفياتية ، مهما اختلفت هذه الرغبات بما في ذلك التدخل فيشؤون الدول التي يهم الحكومة السوفياتية التدخل فيها أو لها مصلحة في ذلك •

اصل المخابرات السوفياتية

ان نظام المخابرات، أو ما يسمى : (البوليس السري) كان مما ورثه الحزب الشيوعي الحاكم عن القياصرة الذين قصدوا من انشاء البوليس السري في حينه (المخابرات) حماية العائلة المالكة • ولهذه الغاية قام الجهاز بالاطلاع على كل شيء من داخل روسيا ، وحتى في خارجها بواسطة مخبرين محترفين ، حيث كان الثائرون خارج الاتحاد السوفياتي وداخله ينظمون أنفسهم (الشيوعيون) ،حيث علمنا أنّ لينين عندما كان في براغ عام ١٩١٢كان يقيم معه جاسوس من البوليس السري القيصري ، يتابع حركاته ، وينقلها الى رؤسائه في العهد القيصري • وكان غرض القياصرة في ارسال هؤلاء الجواسيس الى الخارج معرفة نشاط المقاومة والعمل الثوري (الشيوعية) ، وبث التفرقة بين الشيوعيين •

الشيوعيون في الحكم

وعندما ظفر الشيوعيون بالحكم عام ١٩١٧ أنشأوا جهاز بوليس يدعى جهاز (الشيكا) مهمته مطاردة أعداء الثورة الشيوعية ومعارضيها . وكان مدير هذا الجهاز هو (فلمكس زربهنكي) ، واستطاع هذا الجهاز بما جمع لديه من مخبرين القضاء على جماعات كثيرة ، بحجة عدائهم للثورة ومعارضتهم للحكم الشيوعي الجديد . ولما فشل أعوان القياصرة والثوار البيض في معارضتهم مع الشيوعيين هربوا الى خارج الحدود ، وأصبح الان دور الشيوعيين في ارسال العيون والجواسيس لمعرفه الوسائل التي تساعد فيها الدول الاجنبية خصومهم ، واستعمل الشيوعيون للوصول الى غاياتهم هذه بعض الوسائل القاسية،كاستعمال الوسائل غير المشروعة من خطف، وقتل للخصوم في الداخل والخارج ، سواء في باريس عام ١٩٢٦ حيث قام الجواسيس السوفييت بقتل الجنرال (تبليورا) الذي كان قائدا للوطنيين الاكرانيين ، ولجأ الى باريس لدى استلام الشيوعيين الحكم، وأرسلوا جواسيسهم حتى تمكنوا منه في نفس باريس . وفي عام ١٩٣٠ قام الجواسيس السوفييت بخطف الجنرال (كوتيوف) الزعيم الروسي الابيض وأحد مشاهير المعارضين للثورة الشيوعية عام ١٩١٧ ، حتى تروتسكي الشاعر الروسي المشهور الدي هرب من روسيا لم ينج من الاغتيال بأمر ستالين بالذات، حيث قتل بفأس في مدينة مكسيكوسيتي تنفيذا لخطة موضوعة من المخابرات السوفييتية .

وفي عام ١٩٣٤ تطورت المخابرات السوفياتية خصوصا بالنسبة للشؤون السياسية ، وأصبح اسمها المصلحي (MKFD) وفي هذه السنة بدأت الجهود لجمع مختلف الاجهزة البوليسية في وزارة واحدة .

من حيث تضخم المسؤولين على المخابرات في الداخل والخارج بتضخم الجهاز ، حتى أشيع في عهد ستالين أنه من بين كل خمسة أشخاص كان يوجد (مخبر) . وهذه أعظم نسبة تجسس سمعنا به في العصر الحديث . والواقع أن السوفييت قد ارتقوا بفن الجاسوسية الى غاياتهم المطلوبة ، وسبقوا بذلك معظم الامم الاخرى . مما دعا أميركا وحلفاءها الى توسيع مخابراتها وجهازها ، لمواجهة نشاط المخابرات السوفياتية .

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية قام المسؤولون السوفييت بتعديل نظام المخابرات ، فأصبح مجددا يقسم الى قسمين : القسم (K.G.B) والقسم M.F.D أعمال القسم K.G.B كانت الاهتمام بالتجسس الخارجي ، والتحقيق في الامور الداخيلة الخطيرة .

أما أعمال القسم M.F.D كانت الشؤون الداخلية العادية والتجسس على المشبوهين في الداخل ، وهذا لقسم كان يتبع زعيم البلاد . لذلك كان الرؤساء يحاولون دائما اضعاف هذا الجهاز ، حتى لا يتمكن من السيطرة على الرؤساء أنفسهم .

ستالين يعتمد على المخابرات

استفاد ستالين من المخابرات M.F.D بالقضاء على حركة الفلاحين ومن ثم القضاء على الحركة المعارضين والمخالفين . حتى اذا تم له ما أراد ، قام بتصفيه القسم M.F.D ،والذي قام بالتصفيات الماضية لان مدير هذا القسم وكبار موظفيه، كانوا يعرفون كل شيء عن ستالين وأعماله،مما دعاه الى اقصائهم ،ليبقى على حياته وحكمه .

وبعد وفاة ستالين عام ١٩٥٣ ترك جهاز مخبرات قويا جدا،مما دعا خلفاءه في الحكم الى اقصاء رؤسائه المشهورين مثل (لافرتي وبريا) وانصارهما ، ونقلهم من المخابرات الى مراكز مدنية ، لشل حركتهم . وعندما كان خرشوف يخطب أمام الحزب الشيوعي عام ١٩٥٦ منتقدا سياسة ستالين كان انتقاده منصبا على المخابرات . وبعد ذلك قام بتنظيف الجهاز . وأعلن تبديل اسم (وزارة الشؤون الداخلية) الى وزارة العدل والنظام . كما وعد بان لا تحدث في عهده محاكمات سرية ، كما كان يحدث أيام ستالين ، وأن تنشر المحاكمات على الناس في وضح النهار . ومن ذلك فقد استمرت المراقبة العادية وصدر قانون في عام ١٩٦٣ تضمن نظام المراقبة حيث جعل من كل عامل في البلاد رقيبا على تنفيذ الاوامر للحزب والحكومة السوفياتية ، وعين (الكسندر شيلين) لرئاسة تنفيذ القانون الجديد .

جهاز المخابرات السوفياتي الخارجي

اكتسب جهاز المخابرات السوفياتية الخارجي خلال هذه السنين الطويلة بعد الثورة كثيراً من الخبرات والتجارب التي حملها اليه رجال من جميع أنحاء العالم • ومما زاد في مكانته احتفاظه بالاسرار رغم جميع الاحداث التي جرت في الاتحاد السوفييتي ، بالاضافة إلى أن هذا الجهاز يضم اليوم بين أعضائه رجالا أقوياء وذوي خبرة طويلة ، نتيجة عملهم المختلف الاغراض ، مما زادهم خبرة وحنكة • وتجد منهم من قضى حوالي ٢٠ أو ٣٠ سنة في الخدمة • كما أحيل للتقاعد مؤخرا ضابط من هذا الجهاز امتدت خدماته الى أيام القيصر قبل الثورة الشيوعية •

مكافحة المخابرات السوفياتية لأجهزة استراق السمع

بعد تفشي وكثرة أدوات استراق السمع الحديثة عمدت المخابرات السوفياتية حين استئجار أبنية ومكاتب في البلدان الاجنبية الى بناء جدران وسقوف وأرضيات جديدة بالمرة ، تغطي الجدران والسقوف والارضيات القديمة للغرف الرئيسية ، اذا كان البناء مستأجرا ليصبح سفارة • فان هذه العملية تتم لغرفة السفير ، ثم غرفة الملحق العسكري ، واللاسلكي ، ومكاتب المخابرات وغرفة (مقسم التلفون) • وتتبع ذلك الغرف الاخرى حسب أهميتها[1] وهذا يقضي على امكانية وجود أجهزة استراق سمع تكون قد زرعت فيها •••

---

(١) بالنسبة لاستراق السمع التجسسي اذا اشتبه شخص ما بأن هناك من يستمع اليه عبر ميكروفون مزروع في غرفته ، فما عليه سوى فتح الراديو أو جهاز التسجيل ورفع صوته الى أعلى درجة لان الموسيقى العالية تطغى على صوت الحديث الذي يفترض بالجهاز التقاطه لان الجهاز خلافا للاذن البشرية لا يستطيع تمييز الاصوات •

صفات الجواسيس السوفييت

واذ استعرضنا على مر الايام بعض رجال المخابرات السوفييت ، نجدهم جواسيس من الطراز الاول في علم التجسس لان أغلبهم من مدرسة المخابرات التي جاء ذكرها في مكان آخر من هذا الكتاب ، وهم يحبون عملهم كثيرا ، بل يضحون بأنفسهم في سبيل الاتحاد السوفياتي • ومنهم من يعتنق مبدأ (الغاية تبرر الواسطة) للوصول الى مهماتهم التي تطلب منهم • وقد علمنا أن بعض الامور التي تهم أمن الاتحاد السوفياتي ، دعت الى وجود ضابط كبير برتبة جنرال في احدى سفارات الاتحاد السوفييتي في الخارج ، ولم يكن هناك مجال في السفارة لقبول الجنرال برتبته لتنفيذ مهمته مما دعا المسؤولين عن المخابرات الى تكليفه (بمهمة سائق) في السفارة • مع أنه أعلى رتبة من السفير بالذات • وهذا دليل على اخلاص السوفييت في العمل في مخابراتهم • ومن الامثلة الاكثر غرابة في ذلك أن شقيقة الجنرال (ف•س•أ) قبض عليها أثناء الحرب العالمية الثانية بتهمة الاتجار بالسوق السوداء ، واتصل المسؤولون بشقيقها رغبة منهم في توسطه لاخلاء سبيلها ، ولكنه غضب غضبا شديدا وقال لهم : ألا تعرفوا أن عقوبة الاتجار بالسوق السوداء هي الاعدام ؟ وفعلا نفذ فيها حكم الاعدام •

ونفس الجنرال (ف•س•أ) كانت نهايته مشابهة ، فقد جرى تطهيره بعد وفاة ستالين مع العديد من أعوانه •

إعداد الجاسوس السوفياتي في أمريكا المصغرة

عمدت المخابرات السوفياتية الى مضاهات المخابرات المركزية الاميركية بكل جديد ومبتكر من التجسس وزرع الجواسيس • وبالاصل تدريبهم في جو مثل جو الولايات المتحدة نفسها • فانشأت (أميركا مصغرة) على بحر البلطيق ، مخصصة بكاملها لتكون نسخة طبق الاصل عن الولايات المتحدة • ويتعجب المرء حين يدخلها من مركز المراقبة : هنا نيويورك ، وهناك سان فرنسيسكو ، وهذه شيكاغو ، وتلك ميامي •

سكان هده الولايات المتحدة أو الذين اختيروا ليكونوا من سكانها (رجال المخابرات) ، يبدأون صباحهم بترويقة حليب مع الكورن فليك ، ويشربون

القهوة الاميركية ،يتغدون الستيك أو الهمبرغر أو التشيز برغر مع الفرنش فرايز، ويشربون الآيس تي ، أو يلعقون بعد ذلك الساندي أو الآيس كريم ، ويدفعون ثمن كل ذلك بالدولار ، والسنت والحديث دائما باللهجات الاميركية الصرفة ، النيويوركي يتحدث بلهجته الخاصة ، والتكساسي بلهجته المميزة والنيويوركي يعرف منهاتان وبروكلين وكوينز وبرونكس ؟ ويتحدث بالبرامج الثقافية والمسرحيات التي تمثل كل يوم في برودواي شارع الملاهي . ويتأفف من كثرة الزحام ، وينزعج من الهيبيين في سنترال بارك ، ويتمشى في (ولهستريت) في داوتنان ، ويقود سيارته البويك الى الاوبتان عند جامعة كولومبيا ملرا بحي (هارلم) يوما ويتجنه يوما آخر (نيويورك المصغرة) ، هذه تقع ضمن الاراضي

السوفياتية (لتدريب رجال المخابرات السوفياتية ، مثلها شان فرانسيسكو وديترويت وسينسناتي) .

السوفياتي الذي يختار للاقامة في (الولايات المتحدة) المصغرة بمجرد أن يدخلها ، ينسى أنه سوفياتي (برنامج التدريب) ، لا يأكل طبخة سوفياتية ، ولا يرتدي بزة سوفياتية ، ولا يركب سيارة سوفياتية ، ولا يسكن في منزل سوفياتي . وهنا كل شيء أميركي في البيت ــ في المطبخ ــ غرفة النوم ــ التدفئة والتبريد المركزيين ، أفلام رعاة البقر، الموسيقى الحديثة جميع المجلات والصحف الاميركية الصادرة في أميركا تصل تباعا الى أمريكا السوفياتية عن طريق السفارة الروسية في واشنطن ، اللباس الاميركي المتجدد ، مغازلة النساء في السيارات ، المبيع بالتقسيط السوبر ماركت . باركينغ السوفياتي في (أميركا المصغرة) يشتري الاسهم عبر (البروكر) في وول ستريت نرى اسهم كرايزلر ارتفعت ، وأسهم لوكهيد هبطت قيمتها ، وأسهم بنسلفانيا سنترال على وشك الانهيار . (كل ذلك تدريب) وبعد ذلك يدور نقاش في الكافتريا حول الاسهم بين هذا (الاميركي) وذلك (الاميركي) . والاثنان (روس) عند انتهاء فترة اقامة الجاسوس في أميركا الصغرى يستعد للسفر الى أميركا الحقيقية ، التي سيدخلها بمئات الوسائل المختلفة . وكأنه من أبنائها الذين ولدوا فيها ، وترعرعوا في ربوعها ، ودرسوا في مدارسها مثل هذا الجاسوس السوفياتي ، ينتهي به المقام



الباخرة (ليبرتي) ويظهر عليها جليا ثقوب عشرات الطلقات التي ضربتها بها الطائرات الاسرائيلية وهي على بعد ١٢ ميلا من سيناء ـ لماذا ضربت . ولماذا اعتذر الضاربون وعوضوا .. لماذا ... ؟

في الولايات المتحدة الحقيقية وباسم (أميركي)، ويصبح (مزروعا) هناك للقيام بما يطلب منه مستقبلا من أعمال التجسس •

كيف يدخل الجاسوس السوفياتي إلى الولايـــات المتحدة ؟

طبعا يوجد في اميركا منذ الاربعينات رجال مخابرات سوفياتيون مقيمون بين ظهراني (العم سام) حتى تاريخه ، ولا تكشفهم سوى الصدف أو هروب بعضهم الى اميركا(بمعنى تسليم انفسهم،وهكذا يحدث مع كل مخابرات العالم)• وهؤلاء يقومون بالتفتيش عن جوازات سفر (اميركية) يكون أصحابها مـن المتوفين ، أو بغير ذلك من الوسائل السرية ، وترسل هذه الجوازات الى موسكو بالبريد الدبلوماسي ، وهناك توضع عليها صور المتخرجين من اميركا الصغرى ، ويتجهوا بها الى بلادهم بشكل (طبيعي) • فاذا قال (الروسي) منهم انه مـن نيويورك ، فهو فعلا من نيويورك يعرف أحياءها وارقام شوارعها حتى أصغر أزقتها (الذي يقيم فيه) ، لهجته وتصرفه فرحهوحزنه ، كل ذلك تابع الى جو نيويورك•واذا قال (روسي آخر)انه من شيكاغوفهو منشيكاغوحقا،وهكذا،مع سان فرنسيسكو وميامي ونيوأورلينز ومينابوليس الاميركي صاحب الاسم الاصلي (مات)، او يقيم خارج الولايات المتحدة لسبب ما، والروسي (يحل محله)•رجل الامن العام في المطار او المرفأ يرى أمامه جواز سفر أميركي ، وشخصا أميركيا بلباسه ومنطقه وتفكيره وحركاته ، فيختم له الجواز بجملة (قادما الى الولايات المتحدة) حسب الاصو ل وصحة الخروج ، ولا يستطيع أن يقرر او حتى يخطر على باله أن صاحب الجواز ـ متوفي) وهذه الحالة بالذات تطبق على القادمين للدول العربية أمثال (كوهين) الذي دخل سورية •••

وقد اعطيت (أميركا المصغرة) أفضـل النتائج والخدمات للمخـابرات السوفياتية • ومن أهم خريجيها أصبحوا من المشاهير في الولايات المتحدة ، ومنهم (روده لف آبل) ، والعشرات (المزروعون) في شتى أنحاء الولايات المتحدة حتى كتابة هذه السطور • وما دامت الحياة يقومون بعملهم حسبما دربوا ، وحسبما يطلب منهم • وهم بالظاهر يمارسون أشغالا عادية مثل سائر مواطني الولايات المتحدة الحقيقيين ، الموظف في شركة طيران (أية وظيفة)

التاجر ــ المعلم ، موظف بلدية ، موظف مالية (مأمور الضرائب) ، شرطي ، سائق تكسي ، وللدلالة على مدى نجاح السوفييت في هذا المضمار من المخابرات • لنعد الى عام ١٩٦٠ فقد تعرض (كولونيل) في الجيش الاميركي لحادث اصطدام سيارته مع شاحنة ، وفقد الكولونيل الوعي من الاصابة ، ونقل الى المستشفى • وهناك صعق الاطباء لهذا الكولونيل الذي أخذ ينطق الروسية بطلاقة غريبة أثناء غيبوبته،وتحكم العقل الباطن،فقد تبين أن هذا الكولونيل الذي حارب في كوريا باسم الولايات المتحدة،ويحمل عدةأوسمة حربية تقديرا لشجاعته وأعماله البطولية الفذة لم يكن سوى رجل من المخابرات السوفياتية•وقد زرع في الولايات المتحدة بعد تخرجه من الولايات المتحدة المصغرة ، وقد تدرج في رتب الجيش الاميركي حتى وصل الى رتبة (كولونيل) • كما حارب ضد الشيوعيين في كوريا ، وربما قتل العديد منهم وما ذلك الا للتمويه عن حقيقته، لينقل معلومات أهم وأثمن ، بل لا تقدر بثمن في بعض الاحيان • ولولا حادث التصادم الذي حصل له لبقي في الولايات المتحدة الى ماشاء الله • •

مدرسة المخابرات السوفياتية الأكاديمية

أما مدرسة المخابرات في الاتحاد السوفياتي ، فتقع في منطقة غوركي بالقرب من موسكو ، وتسمى (مدرسة ماركس انجلز) • وهذه المدرسة خرجت وتخرج عشرات الجواسيس السوفييت سنويا • وتعتبر بالنسبة للجواسيس كمدرسة ابتدائية ، لانهم يقضون فيها أربعة أشهر ، يتعلمون فيها :

١ ـ تاريخ الحركة العمالية •

٢ ـ تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي •

٣ ـ النظام والانضباط والطاعة •

وبعد النجاح ينقل (الطلاب الجواسيس) الى مدرسة لينين التقنية الكائنة في فيركوفنوى بالقرب من حدود جمهورية (التتر) السوفياتية • وهناك تبدأ فترة التدريب العملي وأول مادة تدرس لهم هي (الرياضة) ، ولمدة شهر كامل لان السوفيات يؤكدون أن العقل السليم في الجسم السليم ، ومادة

(الرياضة) هذه تشبه ما يتعلمه (الكوماندوس) في اي جيش ، لكي يتعلم الطالب تحمل أصعب الظروف التي يتعرض لها • وتقوم الفتيات المنتسبات للمدرسة بنفس التمارين بدون استثناء ، ولا يخلو الامر من بعض الاصابات الطفيفة بين الجنسين أثناء التمرين • ثم يأتي دور (الرماية واستعمال الاسلحة المختلفة) بما فيها المتفجرات ، فيتعلم الطلاب كيفية الرماية أولا ، ثم أعمال تفجير الجسور والعمارات والسكك الحديدية ووضع القنابل الموقوتة • وابطال مفعول نفس القنابل عند العثور عليها ، بالاضافة الى تفجير الاقفال الاوتوماتيكية والصناديق الحديدية المنيعة • ونقل المتفجرات في علب السجائر والولاعات وأقلام الحبر • ثم يتعلمون تحضير السموم أو المخدرات، ووضعها في المشروبات والسجائر والسيجار • وبالطبع يطلعون على أنسب أنواع المخدرات التي تستعمل لاغراض معينة والوقت اللازم لتأخذ مفعولها مع مميزاتها الخاصة ، ثم تكون الخطوة التالية من التدريب هي كيفية التنصت على الخطوط الهاتفية ووضع ميكروفونات لاقطة عليها لتسجيل المخابرات على آلات تسجيل ، يصل مدى تسجيلها الى خمس ساعات • وتكفي لاستيعاب أي مكالمة ، ومهما كانت طويلة• ثم يأتي التدريب على الشيفرة ، وحلها ، واستعمال أجهزة الارسال (اللاسلكية)، واصلاحها اذا دعت الحاجة • ومن ثم التدريب على التقاط الصور من مختلف (الزوايا) والابعاد والتقاط صور المستندات بكاميرات ميكرونية • وتعتمد ادارة المدرسة اجراء امتحانات نظرية ، وعملية دقيقة قبل نهاية كل مادة دراسية للتأكد أن للطلاب القدرة على استيعاب ما يدرس لهم ، والطلاب الذين يحصلون على علامات ضئيلة تفرض عليهم فترة تدريب اضافية • ونادرا ما يكون أحد هؤلاء (الطلاب الجواسيس) المختارين بدقة غير صالح (للمهمات الخاصة) •

يضم برنامج التدريب دراسات عن الامن الداخلي والقانون بشكل عام ، والاستراتيجية العسكرية ومكافحة التجسس ومراقبة الجواسيس وكيفية التهرب من (مراقبة الآخرين) مع دراسات كاملة عن اللغات الانكليزية والفرنسية والعربية والتركية واليونانية والصينية والالمانية والاسبانية •

وبعد الانتهاء من دراسة هذه المواد ، وخلال مدة سنتين ونصف يقضيها الطلاب في هذه المدرسة تبدأ الامتحانات العسيرة من قبل ضباط المخابرات

والمختصين (المدرسين والخبراء) في المقر العام ، ويصنف الناجحون بعد ذلك في قسمين :

١ ـ قسم يؤهل للعمل خارج الاتحاد السوفياتي •

٢ ـ قسم يؤهل للعمل داخل الاتحاد السوفياتي •

ثم يمنح الطلاب اجازة مدتها (شهر) يقضونها في معسكر خاص قرب الينابيع المعدنية في القوقاز ليعودوا ويضعوا أنفسهم تحت تصرف (ادارة المخابرات السوفياتية) •

التدريب لم ينته :

التدريب المفاجىء في المخابرات السوفياتية والذي لم يكن بالامكان معرفته ولا يوجد سوى في هذه المخابرات هو الاعتقال التدريبي • فقد ظن جميع (الطلاب الجواسيس) أنهم انتهوا من التدريب ، وقضوا عطلة ممتعة استعدادا لبدء العمل • ولكن قبل ان يسند اليهم أي عمل تقوم اللجنة الفاحصة بآخر مرحلة من مراحل اختبار (جواسيس المستقبل) • فيجري اعتقال الطلاب بشكل افرادي ومنظم ، ولا يعلم (الطالب الجاسوس المعتقل) اذا كان طالبا آخر يشاركه الاعتقال • ولا يدري سبب اعتقاله المفاجىء • وفي قسم التحقيق يجبر الطالب على الوقوف أمام حائط بدون حركة . وأن يمسك يديه خلف رأسه ، ويبقى هكذا عدة ساعات متتالية وكافية لكشف ما يخبئه في نفسه ، لان هذه الوضعية المؤلمة لشخص حساس وحسب اعتقاده انه مؤتمن حزبيا تجعله يكاد ينفجر ، ويتصبب منه العرق • وعندما يحاول القيام بأي حركة يهدده الحارس وينهره •

عندما يقرر المحقق المختص أن هذا التعذيب الخفيف لم (يثمر) ، أي لم يكشف أي شيء ، يطلب احضار المعتقل الى مكتبه • وهناك يتهمه بأنه (عميل اجنبي) ، تسلل الى المخابرات السوفياتية عن طريق التحاقه بمدارس المخابرات، ليتمكن فيما بعد من تزويد رؤسائه بالمعلومات • فيدهش الطالب ، ويدافع عن نفسه بتأثر ويؤكد للمحقق بأن هناك خطأ كبيرا • ولكن ذلك يقابل من المحقق بغضب وصياح وتهديد ، ويطلب مجددا من الطالب الاعتراف (لانهم

علموا كل شيء) • وعندما لا ينصاع الطالب للتهديد ، ويصر على براءته يؤخذ الى زنزانة (منفردة) ، ويقفل عليه • وما ان يحاول النوم من شدة ارهاقه حتى يدخل عليه الحارس الذي كان يراقبه من نافذة خاصة ، ويقوده الى التحقيق مجددا بالاتفاق مع المحقق نفسه • وفي هذه المرة يتبدل التحقيق فيوضع الطالب أمام نور قوي ، يسطع في وجهه • ويعلن له المحقق بكبرياء وانتصار بانه لم يعد يكترث به سواء اعترف أم لم يعترف ، لانه أصبح يملك اعترافا موقعا من شريكه، وأن القوانين تسمح بقتل الخائن بدون أي اعتراف •

يتعجب الطالب مجددا من توجيه مثل هذا الاتهام الخطير له وهو الشيوعي الثقة ، ويحاول الدفاع ولكن المحقق يضرب الطاولة بيده بحركة تمثيلية ، ويعيد التهديد ويدوم هذا التحقيق ٢٤ ساعة يتبدل المحقق حسب الدوام • وكل محقق يوضح الى زميله (المراحل) التي وصل اليها التحقيق مع (المتهم) • وبعض المحققين يستعمل العنف لتحطيم مقاومة المتهم ولكن هذا العنف من النوع المعتدل ، اذ لا يمكن الحاق اضرار جسمانية بالطلاب الجواسيس الذين يبدون مقاومة شديدة • اذ ليس من المسموح أن يصاب عملاء المستقبل بالاذى ، ولكن للتأكد من أن قواهم العقلية والجسمانية كافية لمجابهة أي ضغط (مشابه في المستقبل) على أيدي المحققين الاجانب (فيما لو اعتقلوا) • وآخر مرحلة من مراحل هذا التدريب العجيب في المخابرات السوفياتية هي التهديد بالقتل ، اذا لم يوقع المتهم اعترافا يوضع أمامه • وبالطبع يرفض المتهم توقيعه بعد الذي عاناه أثناء التحقيق عند ذلك يعاد الى زنزانته •

بعدما تنتهي عملية التحقيق مع الجميع ويطمئن المسؤولون في المخابرات السوفياتية بأن طلابهم غير قابلين للتحطيم يسمحون باجتماعهم معا في قاعة الاجتماعات • وهنا يخطب بهم أحد ضباط المخابرات شارحا لهم أن ما تعرضوا له كان لمصلحة المخابرات السوفياتية، ولضمان معرفة مدى تحمل كل منهم لمثل هذه التحقيقات ، مؤكدا لهم أن هذا الاختبار كان لصالحهم •

وقبل أن يطلق سراحهم يوقع كل منهم على وثيقة بأن لا يبوح بما تعرض

له طوال مدة التدريب وخاصة عملية (الاعتقال الكاذب) لاي شخص كان تحت طائلة المسؤولية • وبعد ذلك توضع العلامات النهائية ، ويقرر لكل منهم عمله ومكانه في عالم التجسس والمخابرات.لينضم طلاب جدد الى مدارس المخابرات السوفياتية •••

الخيانة

والمخابرات السوفياتية كغيرها من المخابرات يوجد بين عملائها ضعاف النفوس ، وهذا نادر • ومع ذلك فقد انهار أحد عملاء المخابرات الروسية في باريس ، وسلم نفسه لمندوبي المخابرات الاميركية فيها • وهذا العميل يدعى (رينوهابهانن) ولقبه (ماكي) • سوفييتي من مواليد قرية (كاسكيسلرى) الواقعة بالقرب من لينىنغراد ، وكان يجيد اللغة الفنلدية فعين مدرسا لها ثم جند في البوليس السياسي ، وأدخل دورة تدريبية في مدرسة الجواسيس • وعندما نشبت الحرب بين روسيا وفنلندا عام ١٩٣٩ أرسل الى الجبهة لترجمةالوثائق التي يستولي عليها الجيش السوفياتي وترجمة التحقيق مع الاسرى الفنلديين بالاضافة الى عمله في تجنيد العملاء ، ومراقبة ولاء العمال للشيوعية • ثم كلف بمهمة الكشف عن العناصر المعادية للاتحاد السوفييتي داخل المخابرات . حيث أصبح خبيرا في المخابرات السوفياتية في عام ١٩٤٣ •

ابتداء عمله بالتجسس خارج الاتحاد السوفياتي :

استدعي هابنهانن الى موسكو ، وطلبت منه المخابرات السوفياتية قطع علاقاته بأهله نهائيا استعدادا لارساله في مهمة جديدة • وبدأوا يعلمونه اللغة الانكليزية إلتي كان يجيد بعضها •

ثم تدرب على استعمال الشيفرة واستعمال كاميرة (ميرفكس) لتصوير المستندات • وبعد انتهاء تدريبه هذا أصبح اسمه الجديد (نيكولاي ماكي) من مواليد مدينة ايناقيل في ولاية ايداهو الاميركية ، جاء برفقة والده الفنلدي وأمه الاميركية الى استونيا عندما كان في الثامنة من عمره وهو لا يدري ما حل بصاحب الاسم الحقيقي ، لان أسرته كانت تبعث له برسائل من استونيا تشكو

فيها من سوء الحالة هناك ، ورغبتهم في العودة الى الوطن (أميركا) وفي شهر تموز عام ١٩٥١ زار (هابهانن) أو (نيكولاي ماكي) سفارة الولايات المتحدة الاميركية في هلسنكي وقدم شهادة ميلاد صادرة عن مكتب ولاية مدينة (ايداهو) الاميركية جاء فيها أنه من مواليد اينافيل ٣٠ مايس ١٩١٩ وطلب منحه جواز سفر على هذا الاساس لانه يريد العودة الى وطنه (اميركا) مع زوجته وبالفعل جرى منحه الجواز بعد الاجراءات القانونية التي استغرقت حوالي سنة حيث وصل نيويورك بتاريخ ٢١ /١٠/ ١٩٥٢ على ظهر الباخرة كوين ماري المشهورة وبعد اربعة أشهر لحقت به زوجته .

وبعد أن استقر في نيويورك مع زوجته استدعي الى موسكو ، فسافر اليها بجواز سفر آخر حتى لا يظهر دخوله موسكو في جوازه الاميركي . وفي موسكو تعرف على ميخائيل الذي سيكون رئيسه في نيويورك ، وفعلا رجع الاثنان الى نيويورك كل على حده . ووضع هابهانن اشارة خاصة في احدى زوايا المحلات العامة ليعرف ميخائيل بوصوله . أما اذا شعر انه مراقب من المخابرات الاميركية فيضع علامة ثانيه ...

وفي عام ١٩٥٤ استبدل ميخائيل بعميل جديد لقبه (مارك) كان يقابل هابهانن في محطة مترو الانفاق (قطارات تحت الارض) اذا كان هناك ضرورة للتقائهما . أما اذا أراد اعطاءه معلومات كان يتركها في مخابىء سرية في مكان مجوف تحت احد السلالم في بروسكيت بارك ، حيث يستلمها (مارك).

وكانت طريقة وضع المعلومات داخل قطعة معدنية حديثة مجوفة حيث يوضع في داخلها فيلم دقيق مصور بطريقة فنية حديثة مصغرة .

منذ ظهور الاتحاد السوفياتي عام ١٩١٧ اعتبر زعماؤه أن الجاسوسية بأية صفة وبأي شكل من أهم الأسلحة التي يعتمد عليها . وبالتالي فقد فعلوا كل شيء من أجل انشاء جهاز مخابرات من شأنه أن يتفوق على أي مخابرات في العالم .

الصدفة أيضاً :

في صباح أحد أيام صيف ١٩٥٣ طرق أحد باعة الصحف المنزل رقم ـ ٣٤٠ ـ بشارع فوستر في حي بروكلين نيويورك ليتقاضى قيمة الصحف التي سبق أن باعها لاصحاب المنزل الذين اعطوه دولارا . ولكنه لم يكن يحمل عملة صغيرة ليرد لهم باقي الدولار فطرق الباب المقابل للشقة التي تقطنها سيدتان ، وطلب منهما صرافة الدولار . فلبوا طلبه وأعطى صاحبه الدولار الباقي ، ونزل الدرج وهو يقلب العملة الصغيرة المتبقية بين يديه . فلاحظ أن احداها وزنها أخف من الثانية (وهي من فئة العشر سنتات) فرماها على الارض بعفوية ليسمع رنتها ، واذا بها تنقسم نصفين ويظهر من داخلها فيلم دقيق جدا . وتقدم بائع الصحف للشرطة بهذا الدليل ، فأحالوه فورا الى المخابرات المركزية الاميركية التي قررت حالا أن قطعة العملة المجوفة هذه والفيلم من أعمال المخابرات الروسية . ولدى تكبير الفيلم ظهر أن عليه صورة لعشرة أعمدة من الارقام مكتوبة على الآلة الكاتبة ، وكل رقم مكون من خمسة أرقام . وفي مجموعات منتظمة تحوي كل منها ٢١ رقما . ولم يتمكن خبراء المخابرات المركزية الاميركية من حل هذه الرموز حتى ، ولم يتمكنوا من تحديد نوع الآلة التي سجلت الارقام . وتأكدوا أنها من صنع المخابرات الروسية .

وانتقل رجال المخابرات الاميركية الى منزل السيدتين للتحقيق ومعهم بائع الصحف فتذكرتا البائع ، ولم تتذكرا من أين حصلتا على قطعة العملة . وقامت الدائرة المختصة بمراقبة السيدتين والسؤال عن ماضيهما ، فتبين أنه لا غبار على سلوكهما . فتوقف التحقيق عند هذا الحد . مدة أربعة اعوام .

انحراف جاسوس سوفياتي وخيانته :

يظهر ان هايهانن قد ضاق ذرعا بعمله في المخابرات السوفياتية ، ووهنت أعصابه وأصبح يخشى على نفسه كثيرا . ويتردد عدة مرات قبل ان يقدم على

ارسال رسالة . وفي لحظه يأس وخوف قرر أن ينهي عمله مع المخابرات السوفياتية بأي شكل ، فسافر الى باريس وأخذ يتردد الى احد مقاهي (الرصيف) في سان جيرمين . وتوطدت صداقته بينه وبين أحد الكرسوقات ، وكان لبقا فافضى له (هابهانن) بأنه يود التعرف على أي مسؤول بالسفارة الاميركيـة فرحب الكرسون بذلك ، لانه نفسه كان من عملاء المخابرات الاميركية . فعرفة حالا على شخص يدعى (جون) ، وهو مسؤول المخابرات الاميركية في السفارة الاميركية في باريس . ولم تمض دقائق حتى كـان الاثنان (جون) و (ماكي) أي هابهانن يتحادثان في المقهى ، حيث صرح هابهانن الى جون أنه ضابط في هيئة المخابرات الروسية ، وزوجته موجودة في اميركا ، ولا يريد العودة الى الاتحاد السوفياتي .

وفي مكتب المخابرات الملحق بالسفارة الاميركية أفضى (ماكي) بكل شيء ، حتى خطر لاحد رجال المخابرات الاميركية (وكان قد حضر فورا من واشنطون لحضور التحقيق بناء لطلب السفارة المستعجل) أن يعرض عليه الفيلم الذي عثر عليه داخل قطعة العملة المعدنية في بروكلين منذ أربع سنوات فقام (ماكي) حالا بفك رموز الفيلم وقراءتـه وتسجيل ما حوى ، ومنـه ما يلـي :

سنبعث لك ثلاثة آلاف دولار ، اتصل بنا قبل استثمار المبلغ ،سندلك على نوع الاستثمار ، طريقة تحميض الفيلم سوف ترسل لك لاحقا، الوقت مبكر على ارسال الشيفرة .. استعمل القصاصات ، لا ترسل معلومات كاملة عن اسمك ومكانك دفعة واحدة .. أرسل المعلومات على دفعات ، الطرد سلـم لزوجتك شخصيا ، الاسرة بخير ، أتمنى لـك النجـاح . رقم[1] لـو تصور القارىء الكريم أن جميع هذه المعلومات كانت مصورة بطريقة مصغرة في فيلم دقيق وموضوع داخل قطعة معدنية من العملة تشبه الليرة الفضية السوريـة أو المائة فلس الاردنية أو العراقية أو الكويتيـة ، لعرف ما وصلـت اليـه الجاسوسية من فن ودقة . وصرح هابهانن أن هذه الرسالة موجهة اليه بالذات وفيها أنهم أي رؤسائه في المخابرات سلموا زوجته مبلغا من المال ولكنه لم يعرف كيف تسربت الى السيدتين ومن ثم بائع الصحف .

وعندما اصطحبوا هايهانن معهم الى بروسكيت بارك حيث كان يضع المعلومات .. وجدوا هناك رسالة تقول : لم يحضر أحد للقائي يومي ٨ و ٩ كما طلبتم ، هل يكون في الداخل أم الخارج ؟ هل التوقيت خطأ ؟ المكان يبدو لا غبار عليه ! مطلوب الرد ، عند ذلك ضحك هايهانن لانه هو الذي وضع الرسالة ، ولكن المكان جرى عليه بعض التعديل حيث لم يتمكن (مارك) من استلامها .

حاول رجال المخابرات الاميركية الايقاع بـ (مارك) ، ولكن لم يتمكنوا لانه اختفى تماما ويعتقد بعودته الى موسكو عندما شعر بانقطاع (هايهانن) وعدم استلام رسالته ، كما صرح (هايهانن) لرجال المخابرات الاميركية بأن مارك قبل مدة طلب منه مقابلة (جاويش – أي رقيب) في الجيش الاميركي ، وهذا الرقيب من العاملين في السفارة الاميركية في موسكو ، وجرى تجنيده ، هناك من قبل المخابرات السوفييتية وأعطي لقب (كوبيبك) وبعد ذلك لعبت الصدفة أيضا دورها فقد عثر أحد رجال المخابرات الاميركية على قطعة حديدية في مكان يعتقد أنه معد لالتقاء الجواسيس تحت أحد الجسور ، وحالا سلمت هذه القطعة الى (هايهانن) الذي فحصها بدقة وعرف طريقة شقها نصفين ووجد بداخلها (ميكرو فيلم) مسجل عليه رسالة من كوبيبك . وبعد حل الرموز بمعرفة هايهانن الذي خان المخابرات الروسية اتضح أن كوبيبك يدعى (الرقيب روى رودس) فقبض عليه ليلقى الحكم عليه مدة خمس سنوات على تجسسه للاتحاد السوفياتي .

بقي لرجال المخابرات الاميركية أن يعرفوا من هو (مارك) الذي اتصل بـه هايهانن ، ولم يعد يراه . وبعد مراقبته دقيقة مع مقارنة الاوصاف التي ادلى بها (هايهانن) اتضح أن مارك يمتهن التصوير ، ويدعى باسم (جولد فاس) ، ويقطن في بروكلين شارع فولتين منزل رقم – ٢٥٢ – وسارع المخبرون الى منزله فلم يجدوه ، وفرضوا رقابة دقيقة على المنزل مدة ثلاثة أسابيع لم يقطعوا الامل حيث ظهر (جولد فاس) . ويعتقد أنه كان خارج البلاد حيث جرى تصويره من حيث لا يدري . وعندما شاهد (هايهانن) الصورة صاح انه (الكولونيل رودلف ايفانوفيتش) أو المصور (جولد فاس) . وبفضل شهادة

هابهانن ضده حكم عليه بالسجن ثلاثين عاما لانه لا يتمتع بأي حصانة . لم يقض منها سوى مدة قصيرة حيث جرى تبادله مع جاسوس آميركي سبق أن اعتقل في الاتحاد السوفياتي .

ونظام الجاسوسية السوفياتية من أحسن وأدق نظم الجاسوسية في العالم، وحتى صدور هذا الكتاب للاسواق لا يزال عشرات الجواسيس السوفياتيين أو من يدينون بالولاء للاتحاد السوفياتي يعيشـون في قلـب المدن الاميركية والبريطانية بل في جميع البلدان التي تهم الاتحاد السوفياتي . معرفة أسرارها . ولكن أهم أهداف روسيا هو التجسس على أميركا بالذات،لذلك نرى الجواسيس السوفييت يعمدون الى مختلف الوسائل لاكتشاف الحقائق العلمية والبحوث الذرية التي تجريها الولايات المتحدة ، ومعرفة واكتشاف خططها داخل وخارج الولايات المتحدة ، ومعرفة واكتشاف نقاط الضعف في الشعب الاميركي ، التي يمكن استغلالها لاغراض اغراء العملاء الاميركيين . والعمل مع المخابرات الروسية بالاضافة الى التأكد من اتجاهات السياسة الاميركية الداخلية والخارجية . ومن مهماتهم أيضا سرقة أسرار المصانع المختلفة ، ولذلك أنشأوا مكتبا تجاريا منـذ سنوات بحجة تشجيع الاستيراد من أميركا (مثال ذلك طلبت روسيا صنع عدة آلاف من ولاعات رونسون لحسابها ، وفعلا صدرت أميركا كمية ضخمة من هذا الصنف لروسيا ، وهكذا أخذ مندوبو المكتب التجاري هذا،يتجولون فيمختلف المصانع الاميركية (وما هم الا من رجال المخابرات السوفياتية) ، هدفهمالاطلاع وسرقة ما يقع عليه نظرهم من الاسرار في تركيب الصناعات الحديثة ، وهؤلاء جميعا يتبعون موظفا مسؤولا في السفارة الروسية غالبا ما يكون صاحب رتبة كبيرة.ومن المعروف أيضا أنجميع الرسائل الجاسوسيةالروسية تنقل فيالحقائب الديلوماسية الروسية التي يمنع القانون الدولي تفتيشها ، ويتعرض الجاسوس السوفياتي في البلاد التي يعمل بها للتفتيش عليه . والاشخاص الذين يقومون بهذه المهمة (مفتشون متنقلون) ، وهم عادة من كبار الموظفين الروس الذين يقومون بزيارات لاميركا من حين لآخر، ظاهرها تجاري وباطنها التفتيش ومراقبة الجواسيس ومدى نجاحهم . ويتبع هؤلاء في الاجتماع بجواسيسهم طرقا اغرب

من الخيال ، حيث على كل عضو عند ذهابه لملاقاة المفتش أن يتأكد أثناء توجهه الى المكان المحدد أن أحدا لا يتبعه فاذا شعر بمراقبة ما واصل سيره في طريقه . ومر من أمام مكان الالتقاء دون ان يدخله . فيفهم زملائه أنه مراقب ، ويغادرون المكان حالا ليجتمعوا في مكان آخر جرى عليه الاتفاق مسبقا ، احتياطا . ومن الطرق الغريبة التي يتبعها المفتشون للالتقاء بالجواسيس هو الاعلان في الصحف ومثال ذلك : (شاب محاسب عمره ٣٣ سنة يرغب العمل بعد الظهر) وينشر هذا الاعلان في عدة صحف وعدة مرات . ومن أغرب لقاءات الجواسيس عندما يراد لقاء جاسوس مع جاسوسة فبعد التأكد من أوصافها والمكان المتفق عليه وغالبا ما يكون مقهى حيث عندما يشاهدها يجلس بالقرب منها ويطلب نوعا معينا من الشراب ، أما هي فعندما تراه تطلب أيضا نوعا اخر متفق عليه . ثم تسأله عن الوقت مثلا فيقول لها ان ساعتي تخطىء دائما ولا يمكن الاعتماد اليها ، وعند ذلك تتأكد منه وتعتذر حيث تسير أمامه بمعدل خمسة عشر دقيقة لكيلا تلفت الانظار . فيلحق بها . وآخر تأكيد للمعرفة هو وقوفها أمام محل معين لبيع الاواني المنزلية مثلا . كل هـذه التعقيدات المتبعة تنفذ حرفيا ، حتى يتأكد الجاسوس من أنها ليست تحاول الايقاع به . فبينما هي بالعكس تتأكد نفس الشيء من زميلهـا .

وسبق أن ذكرنا أن الحزب الشيوعي والمخابرات السوفياتية تصل الى أغراضها باقل كلفة من المخابرات الثانية . حيث تعتمد على طرق التهديد للعميل بعد أول أو ثاني تعامل معه ، ولكنهم لا يتأخرون في تقديم المال لمن يرونهم صالحين للقيام بالاعمال الجاسوسيه . كما أن بعض أعضاء الحزب والمخابرات يؤمنون وظائف لجواسيسهم . لستر اعمالهم . ويحصلون على جوازات وتصاريح مزيفه وينشئون لهم الجمعيات ذات الطابع الانساني . وباسماء بريئه ينضم اليها بعض حسني النيه من البشر . حيث يتم اقناعهم بطرق عفويه ..حتى يقبلوا منهم اعانات ماديه بشكل هدايا او سلف . وبعد ذلك يبدأ استغلالهم للحصول منهم على مبتغاهم من المعلومات ..بالتهديد ومتابعه مدهم بالمال .

بنكوفسكي السوفياتي يعمل للمخابرات الأمريكية والبريطانية

بعد قصة العميل السوفياتي الهارب (هابهانن) ، وكيف سلم نفسه للمخابرات الاميركية حيث تمكنت بفضل خيانته من كشف بعض الجواسيس السوفييت والتابعين لهم • تتابع العرض لبعض السوفيات الذين خانوا الاتحاد السوفييتي ، ومنهم (اولنغ بنكوفسكي) الدي تقدم من نفسه وأثناء وجوده في انقرة عام ١٩٥٥ الى بعض عملاء المخابرات الاميركيه عارضا(خدماته)• ولكن طلبه في حينه رفض لان فرع المخابرات الاميركيه في السفارة الاميركية في انقرد اعتبره جاسوسا مزدوجا • ونحوف من التعامل معه ، ولكن المخابرات البريطانيه جندته للعمل لصالحها بعد سنين . وقدم لها شتى الخدمات عند ذلك شعرت المخابرات الاميركية بالندم . فسعت اليه بواسطة عملائها في موسكو ، واخذت تتعامل معه حتى عام ١٩٦٣ حيث كشفته المخابرات السوفياتيه ، وجرى اعدامه في موسكو بعد ن زود المخابرات الاميركية ومن قبلها البريطانيه بمعلومات (قيمّه) عن الاتحاد السوفياتي • وكان يسلم بعض هده المعلومات الى عملاء المخابرات الاميركيه والبريطانيه في موسكو . ويسلم البعض الاخر اثناء سفره الى الدول الغربيه بمهمات دبلوماسيه . ونتيجه للمعلومات العزيره التي قدمها بنكوفسكي للمخابرات الاميركيه قامت هده المخابرات بالايعاز الى شركه (دوبلداي وترداه) للنشر في واشنطن باصدار كتاب اسمه (اوراق بنكوفسكي) تضمن معلومات قيل انها بقلم بنكوفسكي ، تتضمن النواحي الدقيقه والاسماء والتواريخ لنشاط اغلب الاجهزة السوفياتية الرسميه ، ومنها المخابرات السوفياتيه وأسماء عملائها في الغرب ، ويزعم بنكوفسكي أنه حصل على هذه المعلومات من نوادي المجتمع السوفياتي والسهرات الراقصة التي كان يشترك فيها بالسفارات الاجنبية بمناسبات أعياد الاستقلال • ومن الفنادق الفخمة في موسكو لدى مرافقته أو حضوره الاجتماعات التي كانت تعقد مع الوفود الشيوعية والصديقة للاتحاد السوفياتي ، بالاضافه الى معلومات فاضحة عن بعض شخصيات الاتحاد السوفياتي ، ومنهم (خرشوف) حيث زعم الكتاب بأنه كان مغرما بزوجة أحد وزرائه ، ويبادلها الغرام • ولو تعمقنا في صفحات

هذا الكتاب لوجدناه محشوا بفصول كاملة لا يمكن أن يكون بنكوفسكي كتبها • وهذه الفصول تشمل عمليات وأسماء عملاء تعرفهم المخابرات الاميركية سابقا ، ولكنها أضيفت للكتاب . ونقحت بحيث تظهر بأنها معلومات خطيرة • ونحن نجزم بأن هذه المعلومات دست في الكتاب لاحراج المخابرات السوفياتية، واقناعها بأن عملاءها قد كشفوا لان الكتاب يفضح الطرق التي تتبعها المخابرات السوفياتية مع عملائها.ودفع هذه المخابرات لتبديل عملائها أو وقف نشاطهم • وهذه العمليةليست سهلة لانه من المعروف أن العميل الجديد يحتاج الى مدة سنة على الاقل ليتعرف على البلد الجديد ، الذي يوفد اليه • كما انه لا يستطيع التصرف مثل العميل القديم الذي يصول ويجول بخبرته . كمن يسير في بلده نظرا للمدة التي قضاها ••• في هذا البلد •••

ومن مطالعة كتاب (أوراق بنكوفسكي) تأكد لنا تماما أنه ليس بقلمه ، ولكن المعلومات التي فيهوالنصائح تدل علىأنها منقولة عن(بنكوفسكي) •ومن ثم معدلة لانه من المعروف ، وكما صرحت المخابرات السوفياتية ان(بنكوفسكي) لم يكن متزنا ولا كامل الادراك • بينما تصفه المخابرات الاميركية والبريطانية بأنه عميل له وزنه وخطره . وله اتصالاته حتى بين كبار المسؤولين في الحزب الشيوعي ، وأنه اختار العمل برضاه لصالح أميركا وبريطانيا . لانه كان يعتقد أن سياسة الحكومة السوفياتية سوف تؤدي بالعالم الى حرب ذرية شاملة تقضي على الحضارة والتقدم • أما رأينا الشخصي في بنكوفسكي فهو أن الشخص الذي يخون وطنه ويتجسس عليه •• لا يمكن أنيكون شخصا محترما كامل الادراك والعقل (الجاسوس البريطاني كيم فيلبي صورة طبق الاصل عنه ••) وفي آخر الكتاب يظهر للعالم أن خرشوف قد تآمر على الحزب عام ١٩٦٠ بخصوص جدار برلين ، وتآمر مرة ثانية في كوبا عام ١٩٦٣ بالمجابهة مع أميركا ، ويختتم الكتاب بأن الحكام الجدد للاتحاد السوفياتي سوف يقامرون مرة ثالثة على الحرب ، اذا اعتقدوا أن مقامرتهم هذه سوف تنجح وتثمر بدون أي رد فعل سريع من الغرب خصوصا أميركا •

وللتأكيد أن الكتاب هو من اخراج المختصين في المخابرات الاميركية فان شركة دوبلداي وشركاه للنشر رفضت ابراز المخطوط الروسي الاصلي الذي

يفترض بأنه كتب بخط المؤلف المزعوم (أولينغ بنكوفسكي) عندما تحداها المعلق الخبير في الشؤون السوفياتيه في مجلة (ما نشستر غارديان) واسعة الانتشار (الصحفي فيكتور زورزا) أن تنشر او تقدم الى لجنه اعلاميه(المخطوط الاصلي الروسي للكتاب) . وعندما رفضت الشركه الناشرة هاجمها الصحفي المذكور واعتبر ان هذا الكتاب هو من جمع ونشر المخابرات الاميركيه . بحيث لا يمكن لغيرها ذلك بسبب وفرة الوثائق لديها ...

معركة الكتب

مع بحث طرق التجسس المختلفة ، وهروب العملاء من والى المخابرات السوفياتية نقف لحظة أمام نوع من أنواع التجسس الجديد بين المخابرات السوفياتية والمخابرات الغربية هو تجسس الكتب والاعلانات . مما يدل على تبدل عمليات التجسس الروتينية التي كان يقوم بها فيما مضى الجواسيس في الخفاء والظلام . أما في هذه الايام فقد أصبح التجسس بواسطة الكتب والاعلانات نظاما حديثا مقررا ، وله أهداف وفوائد معترف بها ويعمل في هذا الحقل الجديد آلاف الموظفين وكلهم (جواسيس) .

وبعد هذا العرض عن خصائص المخابرات السوفياتيه وطريقة عملها ، يحق لنا أن نقف لحظة عند نهاية ستالين زعيم روسيا . حيث أعلن عن وفاته أثر نوبة بتاريخ ٥ آذار عام ١٩٥٣ . واذا رجعنا الى تاريخ الوفاة هذه .وما أذيع عنها من المصادر الروسية نجد أن الكرملين اذاع نبأ الوفاة وأعقب ذلك تشييع رسمي ، ثم فترة حداد رسمية . ولكيلا تحدث ردة فعل في الاتحاد السوفياتي عقب وفاته كفت الصحف عن الكتابة عنه بعد ثلاثة أسابيع من وفاته .

أما المخابرات المركزية الاميركية فلم تترك وفاة ستالين تمر مرور الكرام ، فقد استغلت الوفاة لمحاولة احداث انشقاق بين الشعب السوفياتي واللجنة المركزية للحزب الشيوعي والحكام . فأشاعت أن ستالين لم يمت ميتة طبيعية ، وأعلنت أنه استقبل في الايام الاولى لشهر شباط ١٩٥٣ سفيري الهند والارجنتين ، وقد ظهر معهما في الصور التذكارية التي التقطت أنه بصحة جيدة. ولكن بعد ١٧ شباط لم يعد يظهر في موسكو . ولم يحضر حفلا عاما . ولم تذكر

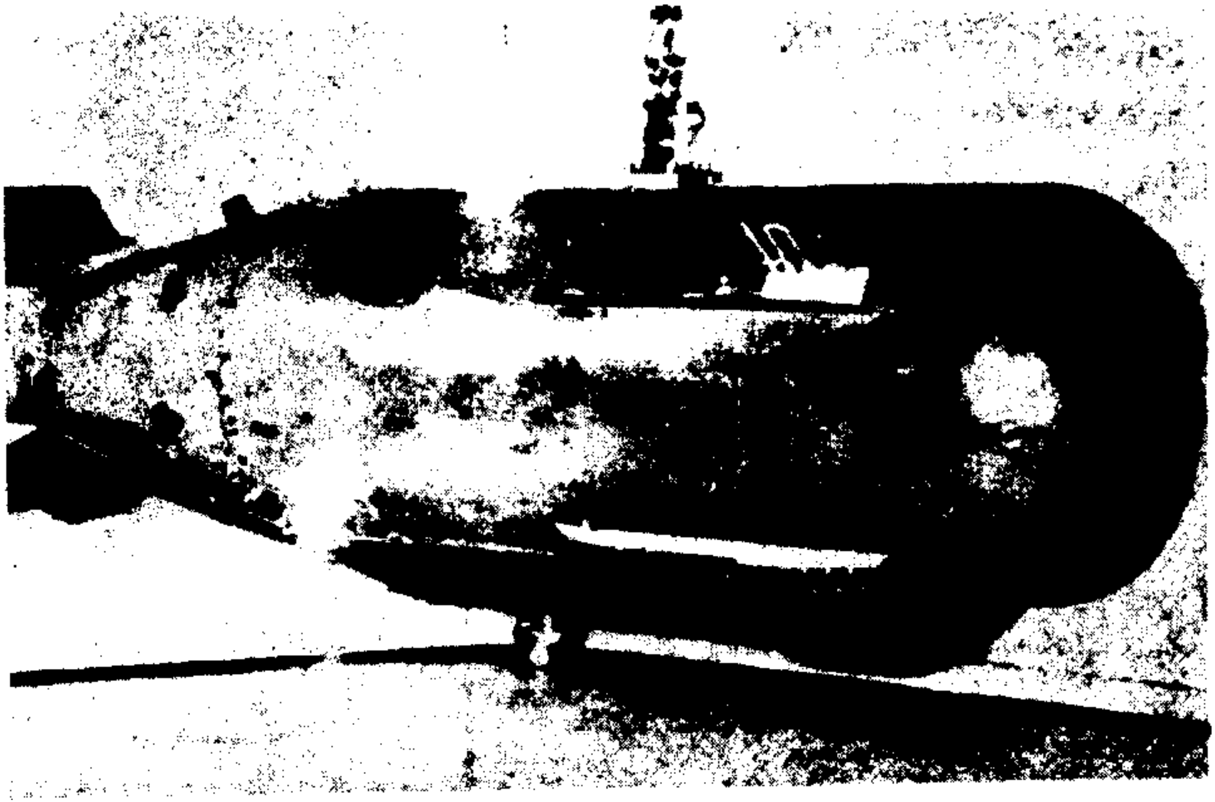
الصحف عنه شيئا وكان هدف المخابرات الاميركية هو التشكيك في موت ستالين واتهام الجنرالين لافرتي وبيريا بقتله ، لانهما خشيا أن تكون نهايتهما مقررة من قبله بالتخلص منهما ، فسارعا الى ايقاف قلبه قبل أن يتمكن منهما • وتؤكـد المخابرات الاميركية أن (مالنكوف) السكرتير العام للحزب الشيوعي أبعد عن وظيفته عقب وفاة ستالين بعشرة أيام ، وتمضي القصة الى القـول ان الجنرال (بيريا) نفسه قتل بعد ذلك في ظروف غامضة •

أما القصة الحقيقية لنهاية ستالين فقـد نقلت عن لسان الشيوعي العراقي مطشر حواس (أعدم في بغداد في ٥ كانون الثـاني ١٩٦٨ بعد ادانته من قبل المحكمة العسكرية الخاصة بجرم قتل الجندي طاهر حبوب من الحرس الجمهوري العراقي) هذا الشيوعي الذي تلقى المبادىء الماركسية منذ نعومة أظافـره ، وأصبح يعرف الكثير عن مشاكل الاتحاد السوفييتي ، ومنها (نهاية ستالـين) أكد أن (الرفيق) ستالين مرض بالحقيقة لمدة أيام قبل اصابته بالنوبة الحادة (انفجار في المخ) ، وكانت تلازمه ابنته سفتلانا التي لجأت فيما بعد الى الولايات المتحدة (عن طريق الهند) • وهي التي صرحت بأن والدها قد مات نتيجـة اصابته ومرضه • وقد بقيت بجانبه الى آخر لحظة في حياته ، ولا صحة لادعاءات المخابرات الاميركية •

حصول المخابرات السوفياتية عـلى أسرار القنبلة الذرية الأمـريكية

تمكنت المخابرات السوفياتية من تجنيد الشيوعيين الاميركيين (روزنبرغ وزوجته) للعمل معها حتى تمكن روز بنرغ بحكم عمله في مؤسسة الطاقة الذرية الاميركية من الحصول على صور تصاميم القنبلة الذرية ، ونقلها بالتعاون مع زوجته الى موسكو•وقد كشفت المخابرات الاميركية ذلك ، واعتقلتهما وقدمتهما مع الدليل الى المحاكمة ليقول لهما القاضي :

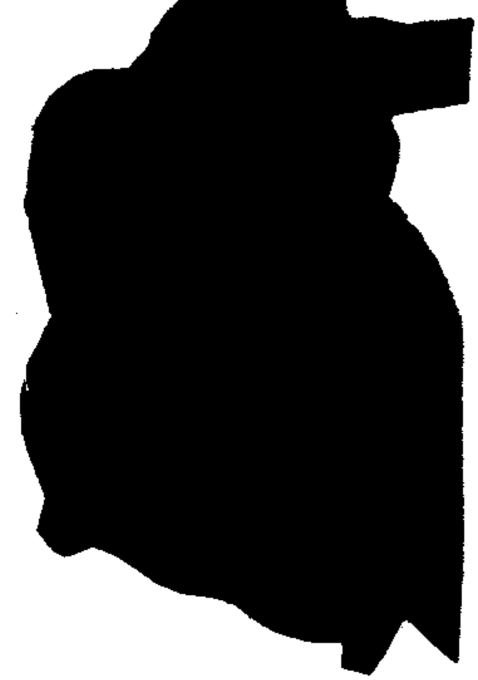
ان الله وحده يستطيع ايجاد المبررات للتسامح عما أقدمتم على فعله ، انكم وضعتم القنبلة الذرية الاميركية وأسرارها تحت تصرف روسيا ، وساعدها ذلك على التقدم سنوات في هذا المضمار ، بعد أن كان علماؤنـا يفكرون بأن هناك سنوات سوف تمضي على الاتحاد السوفياتي قبل ان يصبح مستعدا لتملك



اول صورة طبق الاصل عن القنبلة الذرية التي القتها الطائرات الامريكية على مدينتي هيروشيما وناغازاكي .

هذه القنبلة . ولقد نتج عن تصرفاتكم ذلك الاعتداء الشيوعي على كوريا الذي كلفنا كثيرا من الضحايا الاميركيين . كما ان ملايين الابرياء دفعوا ويدفعون ثمن خياناتكم ، وان جريمتكم بدون اي شك غيرت التاريخ . ولم يكمن هذا التغيير لمصلحة بلادكم ، لذلك فان الموت بسلام وبساطه شيء لا يذكر مقابل الجريمة التي قمتما بتنفيذها لمصلحة المخابرات السوفياتية .

وفعلا بعد هذا الحكم بالاعدام عليهما جرى تنفيذ الحكم بالكرسي الكهربائي . وفي سجن (سينغ سينغ) بتاريخ ١٩ حزيران ١٩٥٣ ابان حكم (أزنهاور) . ويظهر من حيثيات الحكم أن القاضي أصدره بلهجة المخابرات ، لا بلهجة اصدار الاحكام القضائية المعروفة .



الجديد في المخابرات السوفياتية

(الهراكس) سارق الصاروخ الاميركي ..!

تثبت المخابرات السوفياتية دائما أنها تحصل على ما تريد من المعلومات الكتابية وحتى العينية ، عن كل ما هو جديد بالنسبة للمخترعات الحربية الحديثة لدول حلف شمال الاطلسي . فقد أعلن النائب العام لمدينه كارلزور في المانيا الغربية أنه تم القبض على شخصين لهما علاقة بسرقة صاروخ أميركي الصنع سري حديث ، تستخدمه طائرات المانية غربية . كما أن لهما علاقة بسرقة جهاز ملاحي للطائرات وتهريبهما الى موسكو .

الشخصان المعتقلان هما السيرجنت ماجور وولف ديتمار ونوب وعمره ٣٣ عاما ويعمل طيارا على مقاتلة نفاثه من السرب /٧٤/ بمدينه نيوبيرغ والمدعو جوزف ليتوفسكي البولندي الاصل . وهو ميكانيكي بنفس السرب /٧٤/ . وذكر النائب العام أن هناك متهما ثالثا له صله بعمليه الصاروخ ، ولكنه رفض ان يذكر اسمه لئلا يؤثر على مجرى التحقيق . واكتفى بان اشار اليه بأنه

(الهراكس) . ومضى يقول : قبل عام دمل تقريبا اتفق المتهمون المذكورون على سرقة أحد الصواريخ السرية من مطار زيل التابع لمنظمه حلف شمال الاطلسي، بالقرب من مدينة نيوبيرغ على نهر الدانوب في جنوب المانيا .

وفي الموعد المحدد لذلك تسلق لينوفسكي ونوب أحد الاسوار ، وقفز منه الى القاعدة الجوية.ثم تسللا الىأحدالمخازن التي تحويعددا من الصواريخ. فيما ظل الهراكس في الخارج مع سيارة .

الصاروخ الاميركي في طريقه للاتحاد السوفييتي :

بعد أن سرق الرجلان الصاروخ ، حملاه بينهما وخرجا به من القاعدة حيث ساعدهما (الهراكس) الذي كان ينتظرهما ، ووضعوه في السيارة . فتبين أنه طويل عن حجم السيارة مما اضطرهم الى كسر زجاج السيارة الخلفي ، وأخفيا مؤخـرة الصاروخ بسجادة حتى لا ينفضح أمرهم . وبهذه الطريقة تم نقـل الصاروخ مئات الكيلومترات الى احدى المدن ، حيث تم تفكيكه الى قطعتين وضعت القطعة الاولى في صندوق للشحن ، وأرسلت في طريق الجو الى موسكو بصفتها بضاعة عادية من السفارة السوفياتية . أما الجزء الثاني من الصاروخ وهو الموجه فقد وضع في حقيبة يد ، ونقلها أحد الأشخاص الدبلوماسيين الى موسكو بطريق الجو ، دون أن تمتد يد التفتيشلحقيبة الصاروخ المذكور وزنته ٧٥ كنم. وتبلغ تكاليفه ٣٠٠ ألف مارك . وهو مزود برأس حربي يتجه الى الهدف بواسطة الاشعة تحت الحمراء . ويستطيع رأس الصاروخ أن يهتدي الى هدفه بواسطة الحرارة المنبعثة من الهـدف الى مسافة ٦ كم . وهو مصمم لكي تستخدمـه الطائرات ضد أهداف جوية ، وباستطاعة قاذفة القنابل المقاتلة من طراز (ستار فاير ـ ف ١٠٤ ـ ج) التي يستخدمها سلاح الجو الالماني الغربي أن تحمـل صاروخا واحدا من هذا النوع تحت أحد جناحيها .

شجع نجاح عملية سرقة الصاروخ المتهمين على القيام بعملية سرقة جريئة أخرى . اذ أقدموا على سرقة جهاز لتوجيه الطائرات من سوق هانوفر التجاري، ولم يكن في السوق سوى جهازين من هذا النوع .

وقام المتهمون بمحاولتين فاشلتين لتهريب الجهاز الى الاتحاد السوفياتي .

غير أن صعوبات كثيرة اعترضتهم ، ولكن محاولتهم الثالثة نجحت فقد استطاع المتهم لينوفسكي بمساعدة المتهم الطيار نوب أن يخرجه من حظيرة مغلقة ، وهربه من خلال أجهزة الامن في المطار الى احدى المدن حيث كان الهراكس ينتظرهما بسيارة جيب جرى نقله الى احدى المنازل . ومن ثم جرى نقله الى الاتحاد السوفييتي بطريق الجو بصفة أمتعة خاصة . واذا كان لنا من تعليق على غرابة هذهالعملية التجسسية منقبلالمخابرات السوفياتية فان تعليقنا يزداد غرابة عن الطريقة التي اكتشفت فيها هذه العملية .

كيفية الاكتشاف للسرقة :

في غرفة سوداء صغيرة تابعة لاحد استديوهات التصوير العادية حيث كان أحد العمال المختصين بتحميض الافلام يقوم بتحميض فيلم أصيب بذهول ، ولم يصدق عينيه ، وهو يلاحظ أن الفيلم الذي بين يديه انما هو عبارة عن صور لوثائق خطيرة جدا عن حلف شمال الاطلسي ملتقطة بواسطة آلة تصوير من طراز (مينوكس) ،وقد كتب عليها بوضوح « سري جدا » « سري مكتوم » وعلى الفور غادر العامل الغرفة المظلمة ، ومعه الفيلم المظهر وتوجه الى دائرة البوليس التي أحالته الى مركز المخابرات الالمانية الغربية قسم النشاط المضاد للجاسوسية . وبعد انتظار دام أربعة أيام كاملة اكتشف رجال المخابرات أن صاحب الفيلم هو الاميرال « هيرمن لوديكا » النائب السابق لرئيس التحركات العسكرية في قيادة حلف شمال الاطلسي ، وأحد كبار ضباط الاسطول الالماني، والذي كان على وشك التقاعد من البحرية الالمانية .

وكان لوديكا مطلعا بحكم منصبه على أدق الاسرار المتعلقة بتنقلات جنود وحدات حلف شمال الاطلسي وطاقات الموانيء الاوروبيةوالمواصلاتوالصناعات الحربية ومواقع ومخازن الاسلحة النووية وغيرها من أسلحة الحلف لدرجة أنه يعرف حتى عددالرصاصات والقنابل في كل مخزن . وكان واضحا من صور الفيلم أنه يقوم بنقل أسرار الحلف الى الاتحاد السوفياتي .

التحقيق مع الاميرال :

على الرغم من هذه الادلة فان المسؤولين فضلوا أن لا يلغــوا الاميرال الوسيم البالغ من العمر ــ ٥٧ ــ عاما نيتهم من التحقيق معه الى أن كان موعد تركه الخدمة في البحرية الالمانية • وبهذه المناسبة أقام زملائه وضباطه حفلــة وداع تكريمية له كان على رأس الحاضرين فيها جيرهارد شرودر وزير الدفاع الالماني الغربي •

وبعد أن شرب الجميع الشمبانيا ، وتمنو للاميرال المحال على التقاعد صحة طيبة ، أمسك نائب الاميرال جيشر نيك قائد البحرية الالمانية بذراع لوديكا ، وانتحى به جانبا حيث طلب مرافقته الى مكتبه لانه مطلوب رسميا للتحقيق معه في أمر مهم •

وأثناء التحقيق صرح الاميرال بأنه من المحتمل أن يكون أحد الاشخاص قد سرق آلة التصوير التي يملكها والتقط بها الافلام •• ولكنه ما لبث أن اعترف بأنه هو الذي قام بتصوير هذه الوثائق زاعماً أنه انما صورها لغرض ضمها الى مذكراته التي كان سيباشر كتابتها بعد احالته للتقاعد • وعلى الرغم من ذلك فقد سمح للاميرال بالذهاب الى منزله ، ولم يستجوب بشكل رسمي غير أن النائب العام في مدينة كارلزور آمر باعتقاله رسميا • ولما توجه رجــال المخابرات لاعتقاله لم يعثروا عليه في منزله ولدى التفتيش عليه وجدوه مقتولا في ٨ تشرين الاول ١٩٦٧ في غابة للصيد تخص أحد اصدقائه • وفي البداية اعتقد الجميع أن القتل كان بطريق الخطأ أثناء الصيد ، ولكن الجميع استبعدوا ذلك لان الاميرال كان معروفا عنه أنه من آمهر الصيادين في العالم ، ثم قيل ان الحادث ــ حادث انتحار • وكاد هذا الحادث يمر لولا وقوع سلسلة انتحارات بعد ذلك آكدت أن القضية خطيرة جدا ، وأن هناك عملية جاسوسية واسعــة النطاق في الامر• ففي نفس اليوم ٨ تشرين الاول ١٩٦٧ الذي وجد فيه الاميرال لوديكا مقتولا أعلن أن الجنرال هورست فنلاند نائب رئيس المخابرات الالمانية الغربية أطلق الرصاص على نفسه في مكتبه وانتحر • وفي تشرين الاول أعلن ان أحد كبار موظفي وزارة الاقتصاد شنق نفســه • وفي ١٦ تشرين الاول أعلن

أن امرأة تعمل في وزارة الصحافة والانباء الالمانية الغربية أقدمت على الانتحار بتناول جرعة كبيرة من الحبوب المنومة . وفي ١٨ تشرين الاول أعلن أن الكولونيل (جوهان غريم) ٥٤ سنة من ضباط شعبة التجنيد أطلق الرصاص على نفسه وانتحر أيضا . وفي ٢٣ تشرين الاول نفسه أعلن أن أحد كبار الموظفين المدنيين في وزارة الدفاع اختفى بعد ان ترك رسالة ذكر فيها أنه سيقدم على الانتحار . وبالفعل وجد ميتا في احدى المناطق النائية .

وهكذا تضيف مخابرات الاتحاد السوفياتي نصرا الى انجازاتها بسبب وجود في المانيا الغربية حوالي خمسة آلاف جاسوس : معظمهم يعملون للاتحاد السوفياتي والمانيا الشرقية ...

والمخابرات السوفياتية تمنى بخسارة أو هرب أحد رجالها بين الفينة والفينة . وكان أول الهاربين الى الولايات المتحدة الجنرال (الكسندر أورلوف) في عام ١٩٣٨ ، الذي كان يشغل رئاسة قسم (مكافحة الجاسوسية) في المخابرات السوفياتية . ولذلك فان هربه الى الولايات المتحدة كلف المخابرات السوفياتية كثيرا من عملائها في أوربا واميركا عدا الفضائح التي قام بنشرها في المقالات الصحفية التي أجريت معه بترتيب من المخابرات الاميركية . وبعد استراحة في ضيافة المخابرات الاميركية أصدر كتاب (التاريخ السري لفضائح ستالين) بالاضافة الى كشفه أخطر عملية قامت بها المخابرات السوفياتية ، ونفذتها باشراف ستالين نفسه ألا وهي عملية سرقة كنوز اسبانيا التي كشف النقاب عنها في تشرين الاول ١٩٦٧

المخابرات السوفياتية تسرق كنوز اسبانيا

يقول الجنرال الهارب الكسندر اورلوف المشرف في حينه على عملية سرقة الكنوز والذهب الاسباني ونقلها الى موسكو :

توجهنا مساء ٢٢ أكتوبر ١٩٣٦ بالسيارة من (قرطاجنة) وهي ميناء على الساحل الجنوبي الشرقي لاسبانيا ، وقد جلس بجانبي نائب وزير المالية الاسباني وهو غير قادر على اخفاء عصبيته بينما سار ورائنا طابور يضم ٢٠ سيارة نقل حمولة كل منها خمسة أطنان . وكانت وجهتنا الى التلال التي تبعد خمسة أميال

عن قرطاجنة حيث يوجد مستودع الذخائر للبحرية الاسبانية ، ولكنا كنا نسعى الى شيء أهم من القنابل والبارود .

كان الليل قد أرخى سدوله عندما توقفت قافلتنا . ولم ألحظ الا بعد نزولنا من السيارة تلك الابواب الخشبية الثقيلة التي تدعمها قضبان حديدية ، وقد أقيمت في مواجهة سفح التل . وقام على حراستها بعض العسكريين ، ولما تاكدالحراس من هويتنا جذب مسمارا ضخمافتح بابا مزدوجا على مصراعيه ورأينا أمامنا كهفا فسيحا مضاءا بالمصابيح الكهربائية المموهة . وفي الداخل وقف ٦٠ بحارا اسبانيا بانتظار أوامرنا . بينما تكدست أمام الجدران ألوف الصناديق الخشبية الجديدة . وكان في هذه الصناديق سبائك ذهبية وعملات تقدر بمئات الملايين من الجنيهات هي كنز أمة عتيدة جمعته عبر القرون ، وهذا هو الشيء الذي جئت من أجله وكانت مهمتي (نقله الى موسكو) .

حدث هذا في في الاشهر الاولى للحرب الاهلية الاسبانية ، وكنت قد أمضيت عشرة أيام أقوم بتنظيم (عملية نقل الذهب) . وبعد أن قرر عدد من الزعماء الجمهوريين الاسبان ايداع هذا الكنز في مكان أمين لدى (جوزف ستالين) خوفا من أن يقع بين يدي الجنرال (فرانكو) وقواته الوطنية المتقدمة في حينه باتجاه مدريد .

وكان نقل الجزء الاكبر من احتياطي الذهب (المقدر بـ ٦٠٠ مليون دولار) موضوع شائعات أو افتراضات منذ ثلاثين سنة ، ولم يبق من الرجال الذين اشتركوا في العملية سوى اثنين أنا (الجنرال الكسندر اورلوف) ، والآخر اسباني وهو الدكتور جوان نجران وزير المالية الاسباني في حينه .

كنت قد وصلت الى مدريد في ١٦ سبتمبر ١٩٣٦ بعد شهرين من اندلاع الحرب الاهلية لكي أرأس بعثة سوفياتية كبيرة من (المخابرات) ، تضم خبراء مختلفين . ولما كنت جنرالا في ادارة المخابرات السوفياتية فقد كنت بطبيعة الحال (كبير المستشارين السوفييت لدى الحكومة الجمهورية) لشؤون المخابرات ومكافحة التجسس وحرب العصابات ، وهو منصب عليّ توليه لمدة عامين . وكنت كغيري من الروس في اسبانيا أؤيد قضية الجمهوريين بكل اخلاص .

أقمنا مكتبا لعملنا في الطابق الاعلى من السفارة السوفياتية في مدريد ، وتحت تصرفنا جهاز ارسال لاسلكي قوي . وكنت قد أمضيت هناك أقل من شهر . عندما أقبل كاتب الشيفرة الذي يعمل معي الى مكتبي ، وتحت ابطه كتاب الشيفرة وبين يديه رسالة برقية قال عنها : انها وصلت الآن من موسكو وهي

بعنوان (سري للغاية) باسم (شويد) أي أسمي الحركي لـدى المخـابرات السوفياتية . وقد قمت فورا بفك رموزها التي كانـت عبارة عن ملاحظـة استهلالية من الجنرال نيكولاي ايجوف رئيس ادارة المخابرات السوفياتية ثم جاء بالبرقية :

رتب مع لارجوكا باليرو رئيس الوزراء ، شحن احتياطي الذهب الاسباني الى الاتحاد السوفياتي ، استخدم سفينة سوفياتية ، حافظ على أقصى قـدر من السرية . اذا طالب الاسبان بايصال فارفض ــ أكرر ــ أرفض قل ان ايصالا رسميا سيصدر في موسكو عن بنك الدولة ، انني اعتبرك مسؤولا شخصيـا عن العملية ، التوقيع (ايفان فاسيليفش وهو الاسم الحركي لستالين بالذات) فهل يوافق (لارجوكا باليرو) رئيس وزراء اسبانيا ورفقه أولئك الاسبانيين الوطنيين الشرفاء على وضع ذهب بلادهم (بين يـدي ستالين) ؟ لقـد أظهرت تحرياتي أن الرد على ذلك هو (نعم) ...

الواقع أن فكرة (حماية) الذهب من الوقوع في يدي الوطنيين بارسالها الى روسيا قد وضعها أصلا الزعماء الجمهوريون المنزعجون أنفسهم حيث كان الوطنيون يضيقون الخناق حول مدريد . وبدأ سقوط المدينة وشيكا . وصدر مرسوم (سري) في ١٣ سبتمبر ، وقعه الرئيس مانوريـل أزانـا ووزير المالية الدكتور جوان نجران بنقل الذهب والفضة من خزائن بنك اسبانيا . وقـد منح هذا المرسوم وزير المالية سلطة نقل المعادن الثمينة من مدريد الى المكان الذي يكفل في رأيه أفضل قدر من الامن . ونص هذا المرسوم على عملية النقل سوف تعرض على (الكورتز) أي البرلمان الاسباني للتصديق عليها ، ولكـن هذا لم يحدث مطلقا .

ومهما كان من أمر شرعية المرسوم فانه بلا شك لم يكن يتوقع شحن هذا الكنز خارج البلاد • ولكن بعد ان تدهور الموقف العسكري وسع جوان نجران سلطته بدافع اليأس ، وقام بجس نبض ملحقنا التجاري السوفياتي حول اختزان الذهب في روسيا ، وذلك بعلم رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء فقط ، وأبرق بذلك الى موسكو ، فأسرع ستالين الى انتهاز الفرصة •

وبعد مرور يومين على وصول برقية ستالين الي قمت بالتباحث مع جوان نجران في مبنى سفارتنا ، كان وزير المالية الاسباني (استاذ الفسيولوجيا) الوافد حديثا الى مقاعد الحكم نموذجا صادقا للشخص المثقف الذي يعارض الشيوعية من الناحية النظرية • الا أنه يعطف بصورة مبهمة على « التجربة العظمى » التي تجري في الاتحاد السوفياتي ، وهذه السذاجة السياسية تساعد على تفسير الدافع الذي جعله يسمح بتصدير كنز بلاده الى تلك البلاد • هذا فضلا عن أن هتلر وموسوليني كانا يساعدان الوطنيين ، بينما وقفت الدول الديمقراطية بعيدا أما روسيا ، فكانت حليفا للجمهوريين ، وهي الدولة الوحيدة الكبرى التي كانت تساندهم ••وسألته : أين يوجد الذهب الآن ؟ فاجاب وزير المالية : في قرطاجنة في أحد الكهوف القديمة التي يستخدمها الاسطول لخزن الذخائر • وقلت في نفسي : لقد ساعد الحظ ستالين مرة ثانية ، وقد أصبحت مشكلتي بسيطة جدا بوجود الشحنة في قرطاجنة ، فذلك الميناء الفسيح هو الذي تقوم سفننا السوفياتية بانزال الاسلحة والذخائر فيه • وهكذا لا توجد فيه السفن فحسب ، بل الاشخاص السوفياتيين الذين نثق بهم •

وكان لا بد من الافضاء بالسر الى مسؤول اسباني آخر هو(أنداليشيوبرتيو) وزير البحرية والطيران ، فاننا سنحتاج الى سفنه الحربية لحراسة الشحنة عبر البحر المتوسط الى اوديسا على البحر الاسود ، وعندما استشير في ذلك(وافق على اصدار الاوامر اللازمة) •

كانت السرعة ضرورية جدا فان أية اشاعة كفيلة بجعل ايطاليا والمانيا تعترضان سفننا • والاكثر أهمية من ذلك ان اعصاب الشعب الاسباني كانت

في حالة تكفل بالغاء العملية بأسرها ، فيما لو تسرب أي نبأ عن ارسال كنز الامة الاسبانية الى الخارج ...

وبناء على تعليمات (جوان نجران) قدم لي أحد كبار موظفي وزارة الخزانة (المالية) تفاصيل الذهب وتخزينه ، فقال : ان هناك حوالي عشرة آلاف صندوق حجم كل منها ٣٠ × ٤٨ × ١٨ سم يحوي كل منها على ٦٥ كيلو جراما من الذهب ، ومجموعها حوالي ٧٢٥ طن

وفي اليوم التالي ذهبت الى قرطاجنة بالسيارة ، وكان ملحقنا البحري قد سبقني الى هناك ، وهو صديقي القديم (نيقولا كوزتسوف) (الذي أصبح خلال الحرب العالمية الثانية وزيرا للبحرية السوفياتية) . وأمرته أن يجند كل السفن السوفيتية التي تصل الى قرطاجنة : وان يتم افراغها باقصى سرعة ، ويضعها تحت تصرفي . وكانت هناك سفينة شحن روسيه في الميناء . ومن المتوقع وصول سفن اخرى . كما اعطيت الاوامر الى القائد الاسباني . فوضع تحت تصرفنا ٦٠ بحارا . والتفت بعد ذلك الى مشكلة نقل الذهب من الكهف الى ارصفة الميناء كان هناك لواء دبابات سوفياتي قد نزل في قرطاجنه قبل اسبوعين للوقوف بجانب الجمهوريين ، ضد هجمات الجنرال فرانكو بعد أن وضعت للدبابات أرقاما اسبانية . وهو يعسكر الان في (أرثينا) على مسافة ٦٠ كيلو مترا يقوده الكولونيل (كوريفوشين) الذي عرفه الاسبان باسم (ميليه) ، وقد خصص كوريفوشين لي ٢٠ سيارة نقل عسكرية من التي لديه ، ويقودها افضل سائقي الدبابات السوفييت .

وأخيرا أصبح كل شيء على استعداد ، وكانت سياراتي تقف في السكة الحديد في قرطاجنه بقيادة الجنود السوفييت الذين ارتدوا ملابس (الجنود الجمهوريين الاسبان) . وارسلنا البحارة الاسبان قبل ذلك بساعتين الى الكهف ، بينما كانت سفن سوفياتية بملاحيها وحتى الطهاة في حالة تأهب ، توقعا لعدة ليال من عمليات شحن هامة . (وهكذا توجهت مساء ٢٢ أكتوبر بالسيارة الى مستودع الذخيرة وورائي قافلة سيارات النقل) .

كان البحارة الإسبان الستون من بحارة الغواصات ، وأجسامهم نحيلة .

وكان نقل كل صندوق الى السيارات يتطلب تعاون اثنين منهم . ولتسهيل العد جعلنا حمولة كل سيارة (٥٠) صندوقا فقط . وكنت أرسل كل عشر سيارات الى الميناء ، بعد أن يتم شحنها . فاذا عادت بعد ساعتين تكون السيارات العشر الاخرى قد استعدت للرحيل مع ٥٠٠ صندوق أخرى . وكنت أتقدم كل قافله بسيارتي ، ومعي أحد ضباط المخابرات السوفياتية ومندوب من وزارة المالية الاسبانية .

واستمرت عملية الشحن ثلاث ليال من السابعة مساء وحتى الصباح . وكانت تلك الليالي حالكة الظلام لا قمر فيها . وقد أظلمت الدنيا تماما ، ولم يكن باستطاعتنا استخدام انوار السيارات . وكان السائق لا يرى السيارة التي أمامه أحيانا فيتيه عن الطريق ويختل الطابور . وقد ساورني الرعب عدة مرات لهذا السبب ، اذ أن رجال الدبابات الروس الذين يرتدون الزي العسكري الاسباني لم يكونوا يلمون بكلمة واحدة اسبانية . فماذا يحدث لو احتجزت أحدهم دورية عسكرية من البوليس الحربي الاسباني ؟ ، واعتقدت انهم (جواسيس) . ومن المعروف أن قضاء ومحاكمة الحرب يكونان من السرعة بحيث لا نستطيع تلافي أي تهور . بل ماذا لو فتشت (الشرطة العسكرية) احدى هذه السيارات ؟ . ان نبأ رحيل بعض الاجانب بشحنات من الذهب سوف يشعل نيران أعمال عنف سياسية لا حصر لها . كما كان ثمة خطر يتمثل في حدوث غارة ألمانية ، لقد كانت الكهوف ملأى بالمتفجرات ، وأية اصابة مباشرة يمكن أن تكون فيها نهايتنا جميعا ، أو ربما غرق سفننا في الميناء . وكان الحظ في ركابنا حتى الليلة الثالثة والاخيرة . وحوالي الساعة الرابعة صباحا راحت القاذفات الالمانية تمر من فوق سلسلة التلال المنخفضة . وكان في استطاعتنا ونحن في الكهف ان نسمع صوت القنابل وهي تصيب أرصفة الميناء . وعلمت من أحد السائقين العائدين أن الالمان أصابوا سفينة شحن سوفياتية كانت تقف بالقرب من سفننا . وقررت أن انهي العملية وأرسل سفني الى خارج الميناء بأسرع ما يمكن . وعندما أرسلت آخر سيارة في تلك الليلة سألت موظف المالية المشرف على العملية عن رقمه الاخير فقال : لقد نقلنا حتى الآن ٧٨٠٠ صندوق أي ثلاثة أرباع الذهب . وفي العاشرة من صباح ٢٥ أكتوبر وضع

آخر صندوق على ظهر آخر سفينة،وحلت اللحظة الحرجة التي لا مناص منها عندما طالبني الموظف الاسباني بايصال عما استلمته•فتحاشيت عيني الموظف الحمراوين • وحاولت أن أبدو غير مكترث وقلت ببرود «ايصال؟ ولكني أيها الرفيق لست مفوضا لاعطاء ايصال ، لا تقلق يا صديقي فسوف يصدر الايصال من بنك الدولة للاتحاد السوفياتي عندما يتم استلام ووزن وفحص كل شيء هناك في موسكو » •

وفغر الرجل فاه دهشة ، وقد أصابه الذهول • ولم يستطع أن ينطق الا بكلمات مبهمة غير متماسكة أي انه لم يفهم جوابي • فالامر قد يعني حياته في هذه الاحوال وشعرت أنه يود الاتصال بمدريد ولكني لم أرد قطعا أن أجعله ينشر الذعر بواسطة الحديث التلفوني ، فاقترحت عليه أن يرسل عوضا عن الاتصال مندوبا عن وزارته في كل سفينة كمرافقين رسميين للذهب • ولم يكن هذا التساهل يعني شيئا في ضوء هذا المنطق البارد • ولكن الرجل الشارد اللب وافق عليه ، وبعد ساعتين أقلعت السفينة • واستطعت أن أبعث تقريرا الى موسكو بأن الشحنة الثمينة في طريقها الى أوديسا • كما استطعت في النهاية أن أعرف النهاية السوفياتية للعملية • وذلك من كبار موظفي المخابرات الذين كانوا يروحون ويجيئون بين روسيا واسبانيا •

وقد تقاطر على أوديسا عدد كبير من كبار ضباط المخابرات السوفياتية من موسكو وكييف • وظلوا هناك عدة أيام يشرفون على تفريغ الذهب ، ومن ثم حمله الى قطار خاص•وقد أحيطت مساحة كبيرة من الميناء حتى خطوط السكك لحديدية بقوات خاصة • وعندما رحل القطار الى موسكو صحبه المئات من لضباط المسلحين • وأقام ستالين مأدبة فاخرة لكبار ضباط مخابراته احتفالا بهذه الضربة وذلك في الليلة التالية لوصول الذهب الى موسكو • وكان جميع أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي حاضرين ، بينما ظهر ستالين في حالة معنوية عالية • وقد ذكر أريجوف مدير المخابرات السوفياتية لاحد أصدقائي : (أن الاسبان لن يرو ذهبهم مرة أخرى الا بعد أن يروا آذانهم • وفي خلال الواحد والعشرين شهرا التي مضت على عملية الذهب[1] وفراري من الاتحاد السوفييتي)

---

(١) كان فرار الجنرال (الكسندر اورلوف) في الشهر التاسع من عام ١٩٣٨ الى الولايات المتحدة بحيث يذكر الـ ٢١ شهرا التي تفصل بين عملية الذهب وفراره الى امريكا•

كنت على صلة مستمرة بالزعماء الجمهوريين الاسبانيين • ولكن الامر ظل سرا مؤلما بيننا لا يتحدث عنه أحد • وكنت واثقا أن علمهم بدأ يبدو أمامهم باعتباره غلطة كبيرة • وكانت المرة الوحيدة التي ذكرت فيها هذه المسالة في خلال حديث مع نجران وزير الخزانة كان قد أصبح رئيسا للوزراء فقد سالني : أتذكر هؤلاء الاربعة الذين وضعوا على سفنكم ؟ انهم ما زالوا في روسيا بالرغم من أكثر من عام••• إني أتساءل لماذا لا يسمح لهؤلاء المساكين بالعودة الى وطنهم ؟ وقد اكتشفت فيما بعد أن هؤلاء الاربعة لن يسمح لهم بالعودة الا بعد انتهاء الحرب الاهلية • ولا بد أن الجنرال (فرانكو) قد علم بنبأ الذهب (الضائع) بمجرد استيلائه على مدريد • ولكن حكومته لم تذكر شيئا عنه لمدة ١٨ عاما تقريبا فالعملة الاسبانية ضعيفة فعلا ، وسوف تنهار بكل تاكيد اذا عرف أن الخزائن الوطنية خالية تماما • وقد تحطم الصمت الرسمي في ديسمبر ١٩٥٦ بعد موت الدكتور (جوان نجران) فقد أكدت وزارة الخارجية الاسبانيه أنها وجدت أخيرا بين أوراقه الخاصة ايصالا رسميا عن ذهب مودع لدى الاتحاد السوفياتي• وبعد بضعة أشهر اعترف مقال نشر في صحيفة (برافدا) بعبارات ساخرة بان حوالي (٥٠٠) طن من الذهب الاسباني وصلت فعلا الى موسكو عام ١٩٣٦ ، وان الحكومة السوفياتية قدمت ايصالا عنها ومضت الصحيفة تقول : ان هذا الذهب كان لضمان (سداد) قيمة الطائرات والاسلحة والذخيرة من السلع السوفياتية التي قدمت للجمهوريين في اسبانيا • وقالت الصحيفة : ان هذا المبلغ ثمن لهذه الاشياء ، وان اسبانيا ما زالت (مدينة) بباقي الثمن وقدره (٥٠) مليون دولار• أليس ذلك من عجائب المخابرات ؟ •

جاسوس روسي سقط بسبب الحب :

لا نستغرب أن نجد مع عظمة المخابرات السوفياتية ودقتها في اختيار وتدريب جواسيسها أن بعضهم ، ولا يتعدى أصابع اليد قد انهاروا أو تخاذلوا بسبب (الحب) الذي تحرمه عليهم مهنة المخابرات اصلا • لانه يشل الجاسوس عن حركته والجاسوس السوفياتي • (بوغدان ستاشنكي) المتخرج من أكاديمية التجسس السوفياتية ، والذي أوفد بمهمة اغتيال اثنين من الزعماء الاوكرانيين (الذين لجأوا الى المانيا الغربية) قبل مدة ، حيث تحدثت عنهم الصحف نظرا

لقيمتهم الادبية والاجتماعية ، وهما: البروفسور ليف ريبيت والكاتب الاوكراني الشهير اسطفان بانديرا ــ وسبب اقرار اغتيالهم من قبل المخابرات السوفياتيه هو ما نشروه عن الحياة في الاتحاد السوفياتي ، وبعض ما نشر قد آملي عليهم، ووافقوا عليه بسبب حسن وكرم الضيافة في برلين الغربية •

ابتداء مهمة ستاشنسكي :

زود ستاشنسكي ــ ببطاقة ألمانية غربية (مزورة) باسم : يوشي ليمان•• ووصل الى برلين ، وعمل في عدة مجالات تجارية (مترجما) ، ومنها وزارة التجارة بالذات • وأثناء ذلك كان يقوم بجولات استطلاعية بحثا عن ضحاياه المسماة بلغة المخابرات (أهداف) • فتبين له أنهما استوطنا في (ميونيخ) ، فانتقل فورا الى هناك ، وتعرف على عنوان الضحية الاول : ليف ريبيت ، وبدا بدرس تحركاته •• لاحقه في أول يوم لدى خروجه من مكتبه الواقع في كارلزبلاتس الى الحافلة ، الكهربائية ثم تركه لكيلا يثير شكوكه •

واستأجر غرفة في فندق /غرتفالد/ بحيث يستطيع منها أن يراقب ريبيت هدفه في مقر الصحيفة التي يصدرها المهاجرون الاوكرانيون الكائن مقابل الفندق وهذه الصحيفة بالذات كان يكتب بها الضحية الثانية ــ اسطفان بانديرا ــ ولكن ستاشنسكي ــ قرر تصفية ريبيت أولا • ولما تأكد من استطاعته من تنفيذ مهمته أعلم رؤسائه بذلك ، فتم احضار خبير من موسكو الى ميونيخ ، حيث قام بتسليم ستاشنسكي السلاح الذي سيتم به الاغتيال ، وهو عبارة عن أنبوب معدني بسماكة الاصبع البشرية طوله ١٧ سنتميترا ، لكنه مؤلف من ثلاث قطع تجمع بعضها الى بعض ، وفي أسفلها كان هناك /زناد/ للاطلاق ، يلهب كمية من البارود مما يؤدي الى تحريك قطعة معدنية في الانبوب الاوسط والى انطلاقها عبر زجاجة عند مخرج الانبوب الثالث • هذه الزجاجة تحتوي على سم يبدو كالماء ، ويخرج من الانبوب على شكل (بخار) ، فاذا ما استعمل هذا السلاح ضد وجه (الضحية) من مسافة نصف متر فان الشخص يموت فورا بمجرد (تنشق البخار) الصادر عن السم ، وهذا السم هو /الاسيد البروسيك/ لا لون له ، ومن النوع السائل من السيانيد أقوى أنواع السموم التي عرفها الانسان • وله (ترياق) خاص (مضاد) له هو تيوسلفات الصوديوم ــ بشكل بودرة بيضاء •

اغتيـــال ليفـــ ريـبيت :

في التاسع من تشرين الاول عام ١٩٥٧ عاد /ستاشنسكي/ الى ميونيخ ، ونزل في أحد الفنادق • وبدأ لثلاثة أيام يتناول الترياق المضاد لسلاحه ، (لانه سوف يستنشق بعض بخار سم الاسيد البروسيك عند اطلاقه على ضحيته) • وبتاريخ ١٢ تشرين الاول رأى ستاشنسكي ضحيته ريبيت يدخل صباحا الى مبنى مكتبه في كارلزبلاتس، فلحق به عند الدرج ، ووجه الى وجهه أنبوبه القاتل، وأطلق عليه (السم) فقتله على الفور ، بحيث لم يصدر عنه أي صوت أو نزف دموي وسقط ريبيت على الدرج ، فخرج ستاشنكسي بكل هدوء من الباب وأسرع الى فندقه ، وتناول بقية الكمية المضادة للسم ، وألقى سلاحه في مكان لا يهتم له أحد • ثم سافر بالقطار من ميونيخ الى فرانكفورت ، ومنها الى برلين بالطائرة •

أما بالنسبة للضحية فقد عثر على جثته بعد ساعة ، واعتبرت الشرطة في ميونيخ أنه /مات بالسكتة القلبية/ بعد أن جرى فحصه من قبل الطبيب الشرعي لمدينة ميونيخ •••

اغتيال (اسطفان انديرا) او الضحية الثانية لستاشنسكي :

لما كان نجاح ستاشنسكي في اغتيال ريبيت مذهلا بحيث اعتبرت الشرطة الالمانية ــ موته سكتة قلبية ـ قررت المخابرات السوفياتية اعادة ارساله لتنفيذ الشق الثاني من مهمته • وهي اغتيال اسطفان آنديرا رئيس رابطة المهاجريـن الاوكرانيين في المانيا ، وذلك بعد حوالي سنتين من اغتيال ريبيت •

عثر ستاشنسكي على ضحيته بسرعة نظرا لمعرفته سابقا بالعنوان والامكنة التي يتردد عليها •

بتاريخ ١٥ تشرين الاول ١٩٥٩ ــ أي بفارق سنتين وثلاثة أيام عن اغتيال /ريبيت/ ، وهذا الفارق بمفهوم المخابرات لاسباب معنوية ومهنية أولا ، بتاريخ ١٢ تشرين الاول ١٩٥٨ الذكرى السنوية لاغتيال ريبيت والمخابرات السوفياتية تعرف أن المخابرات الغربية تتخذ احتياطات في مثل هذه المناسبة • ويوم ١٢ تشرين الاول١٩٥٩ترك يمر أيضا كسابقه ولنفس الاسباب ولكن بنفس الوقت ابتدأت

عملية الاغتيال في هذا اليوم • حيث آخذ ستاشنسكي بتناول الترياق المضاد لسم سلاحه حتى يوم ١٥ توجه الى منزل أنديرا ــ ولدى وصوله آدخل سيارته الى الكراج حيث كان ستاشنسكي باتنظاره من الداخل ، ولدى خروجه من سيارته وبيده /سلة بندورة/ أطلق عليه ستاشنسكي القذيفة السامة فتهاوى أنديرا على الارض حالا ، وتفرقت حبات البندورة التي سقطت سلتها من يده ، بينما خرج ستاشنسكي بكل ثبات لا يكترث لاحد منطلقا بالقطار الى فرانكفورت ثم برلين بالطائرة • بعد أن ألقى أنبوبة القاتل بمكان مهجور ، وتابع طريقه الى موسكو بعد ذلك حيث قدم تقريرا بالتنفيذ حسب العادة ، وكوفيء بمنحه (وسام العلم الاحمر) من قبل الجنرال (شيلبين) بالذات رئيس المخابرات السوفياتية في شهر كانون الاول ١٩٥٩ •

اكتشف اغتيال انديرا بعد ساعتين ، ونقل الى مستشفى الحكومة لاجراء الكشف والتشريح حسب الاصول ، فأكد الطبيب الشرعي في ميونيخ أن الوفاة مشابهة لوفاة /زميله/ ريبيت ، وطلب امهاله أسبوعين قام خلالها بالتحليل والاختبار ، فتبين له أن الوفاة تمت بسم خاص لا يترك أي أثر •

ومع ذلك حفظت القضية نظرا لعدم وجود أي دليل على اغتياله •

غرام ستاشنسكي اثناء قيامه بمهمات المخابرات :

أثناء استعداد ستاشنسكي لتنفيذ مهماته السابقة تعرف على فتاة المانيـة شرقية في احدى دور السينما ، وتدعى /آنجي بول وعمرها ٢٣ سنة/، فأحبها كما أحبته وألبسها خاتم الخطوبة بدون حفلة وبدون أن يخبر أحدا • ونظرا لثقتها به لم تسأله عن سبب ابقاء خطبتهما (سرية) ، وكان يتغيب عدة أيام فلم تحاول أن تسأله عن السبب لانها مثل جميع الالمانيات (تحب الرجل الذي يحبها وتحترم عمله ورغبته) • وبقيا هكذا متحابين الى ما بعد تنفيذه مهمتي قتل ريبيت وأنديرا ، وكاد في احدى المرات أن يعترف لها بعمله أثناء مشاهدتهما أخبارا مصورة في احدى دور السينما ، وهي تعرض وجه أنديرا بعد اغتياله ، وهو ميت أصيب ستاشنسكي بالدوار والرغبة في البكاء فرجاها أن تخرج معه من السينما

بحجة أنه مريض . ولهذا السبب ولاجتناب مثل لحظات الضعف هذه تحرم المخابرات الحب علـى منتسبيها ، بل وتفضلهم بدون عواطف أو أن يكونـوا متزوجين سابقا .

كانت حالة الحب هذه قد عرفت من قبل رؤسائه في برلين الشرقية الذين كتبوا بذلك الى موسكو . فاستدعي الى هناك وفوجيء بقرار حاسم « الابتعاد عن الصديقة الالمانية (الخطيبة) » ؛ واتباع دورة لغة انكليزية استعدادا لعمل جديد في مكان جديد ! ثم اتبع ذلك الضابط الذي أبلغه هذا القرار بجملة : فكر في الامر جيدا وهو يعرف معنى ذلك (بلغة المخابرات) . ومع ذلك قرر الزواج من آنجي مهما كان الثمن ، لذلك عاد الى برلين الشرقية . وهناك تـزوجا في الكنيسة بشكل هادىء ، وبدون حفلات . وبعد مدة أقنعها بالسفر معه الى موسكو لقضاء اجازة وهناك وجد عنده الشجاعة ليخبرها عن حقيقته ، وبكت آنجي حين علمت أنه قاتل محترف . ولكنها رجعت وسامحت بكل شيء ، لان المحب يسمو عن الاخطاء . وطلبت منه العودة الى برلين فلم يتمكن من مرافقتها . (كانت حاملا بشهرها الرابع) عادت الى برلين على أن يلحق بها فيما بعد . وكانت عند حسن ظنه فعلا لم تخبر أحدا من معارفهم ، وانتظرته فتأخر في موسكو حتى وضعت وليدها (بيتر) الذي أصيب بعد ولادته بالتهاب رئوي خطر (كان أثناء ذلك ستاشنسكي يتبع دورة لغـة انكليزية في مدرسة المخابرات في موسكو وممنوع من العودة اليها ..) .

بتاريخ ٩ آب ١٩٦١ — اتصلت آنجي هاتفيا به وأخبرته أن ابنهما بيتر قد توفي ، وهي تنتظر حضوره لاجراء الدفن . فسمحت له المخابرات بالسفر حالا الى برلين الشرقية لحضور دفن ولده . (ولكن بنفس الوقت أعلمت مخابرات برلين باقامة حراسة مشددة عليه تحسبا لاي ردة فعل تكون لديه من جهة حرمانه زوجته . ومن ثم وفاة ولده البكر وهو بعيد عن منزله الزوجي) .

أثناء مراجعته المستشفى لتوقيع وثيقة وفاة ولده مع زوجته قرر الهرب الى برلين الغربية . وكانت الحراسة المفروضة عليه من الشدة بحيث تتناوب ثلاث سيارات على مراقبته ومتابعة خطواته .

بتاريخ ١٢ آب جرى دفن ابنهما بيتر بشكل مؤثر • ولما رجعا الى المنزل للاستراحة وتقبل عزاء الجيران كانت ثلاث سيارات حراسة معهم ، تقف أمام المنزل استغلا الوقت حيث خرجا فور دخولهما المنزل من الباب الخلفي (كان يجب احاطة المنزل بالحراسة ، وهو ما تقتضيه المصلحة في مثل هذه الحالات) • وانطلقا ركضا في الاحراش والاراضي الزراعية حتى وصلا الى طريق رئيسية فركبا تكسي الى منطقة فالكنزى من ضواحي برلين ، ثم تكسي أخرى الى برلين الشرقية ومنها بالقطار رأسا الى المانيا الغربية حيث اتجها الى مركز المخابرات الاتحادية في بولاخ قرب مدينة ميونيخ ، ولو تأخر الهروب يوما واحدا لما تمكنا من اللجوء لانهما هربا بتاريخ ١٢ آب ١٩٦١ وفي ١٣ منه بدىء بانشاء جدار برلين •

قدم ستاشنسكي الى المحكمة بعدالتحقيقات التي أجرتهاالمخابرات الاتحادية وفي المحكمة أعلن أنه نادم ، وأنه كان ينفذ عمله تحت الضغط عليه • فوجدت المحكمة أن له من الاسباب المخففة ما يكفي للحكم عليه ثماني سنوات في الاشغال الشاقة أي أنه سيقضي بالسجن من تاريخ تسليم نفسه في صبيحة ١٣ آب١٩٦١ الى ١٣ آب ١٩٦٩• ولكنه اختفى من سجنه في عام ١٩٦٦ وكذلك اختفت زوجته التي كانت تزوره يوميا في السجن •

أين ذهب ـ هرب من سجنه • هربته المخابرات الاميركية التي ساعدت بالتحقيق معه زميلتها المخابرات الاتحادية التي هي أصلا من صنعها ؟ • هل يعيش الان في مكان ما من الولايات المتحدة ؟• هل اغتيل مع زوجته من قبل المخابرات السوفياتية •••؟

لا أحد يعرف حتى الان ••• وهذه هي المخابرات • وأسرارها •••؟

آخر العنقود : (رقيب أميركي يتجسس لصالح المخابرات السوفياتيه) :

عندما ودع فكتور شيرنيشيف ـ السكرتير الاول في السفارة السوفياتية في واشنطن الرقيب جيمس وود ـ من سلاح الجو الاميركي في أحد شوارع نيويورك أطبقت عليهم المخابرات الاميركية التي كانت تراقب شيرنيشيف بطبيعة الحال (كدبلوماسي) ، فاقتيد الرقيب للسجن • أما شيرنيشيف فأظهر جواز سفره الديبلوماسي ، وأخبرهم أن الحصانة الديبلوماسية تشمله ، عندئذ جرى تسليمه

الى القنصل السوفياتي في نيويورك • فغادر الولايات المتحدة حالا لتعيينه في منصب جديد ••؟ أما الرقيب وود الذي أمضى ١٨ سنة في المخابرات الخاصة بسلاح الجو الاميركي ، وكان سينتقل الى تركيا فقد اعترف باعطاء الدبلوماسي السوفياتي وثائق سرية هامة عن سلاح الجو الاميركي والقواعد الاميركية في عدة أقطار ، وما تحتويه من تجهيزات وأسلحة لقاء منفعة مادية وصلته بشكل دفعات متقطعة تتراوح بين ٥٠ دولار و ٥٠٠ دولار • ومن المعروف أن عقوبة التجسس بهذا الشكل الواضح هي الاعدام • ولكن ولاية نيويورك من الولايات التي تطالب بالغاء عقوبة الاعدام، لذلك سيكون الحكم الصادر بحقه هو السجن مدى الحياة ••

* * *

المخابرات البريطانية ونشوؤها



مركز المخابرات البريطانية في شارع (هوايت هول ..) المسمى شارع الوزارات ...

قبل الدخول في شرح أعمال ونشوء المخابرات البريطانية المسماة (الانتلجانس سرفيس) نبدأ بموجز عن بريطانيا نفسها ، واسمها الجغرافي (انكلترة) وهي جزيرة صغيرة المساحة بالنسبة للدول النامية . ومن المعروف أن موارد هذه الجزيرة من الاعمال البحرية لا تكفي بالنسبة لسد حاجة سكانها، مما دعاهم الى التوسع واستعمار بقاع أخرى من العالم . وأخذت تسمي نفسها (الامبراطورية البريطانية العظمى) ، ولحفظ هذه الامبراطورية من الاعداء تم انشاء ادارة المخابرات البريطانية منذ حوالي القرن السادس عشر حيث (احتفلت في عام ١٩٧٣ بعيدها الاربعمائة) . لان مؤسسها الاول عام ١٥٧٣ هو السير فرنسيس والشينغهام وزير الدولة في حينه ومستشار الملكة اليزابيت الاولى ، وفي عهده أدخل الى المخابرات البريطانية نخبةمن أذكى متخرجي جامعتي كمبريدج واكسفورد ، ودربهم للتغلغل في قصور أعداء التاج البريطاني . كما نجد في

تاريخ المخابرات البريطانية القديم أن بريطانيا تعرضت لمحاولة غزوها من اسبانيا التي كانت تملك وتتنذ اسطولا بحريا قويا • فما كان من المخابرات البريطانية الا أن أرسلت الى اسبانيا جميع عملائها مزودين بعشرات الالوف من الجنيهات ، فاندسوا بين الشعب ووصلوا الى قادة القوات المسلحة الاسبانية ، ورشوهم وأقنعوهم بأن هجوم اسبانيا على بريطانيا يعني تحطيم الجيش والاسطول الاسباني على الصخور البريطانية مما أفسد الحملة بأسرها • وهذا (مثال بسيط على بداية الانتلجانس سرفيس التي تطورت مع الزمن حيث ظهرت أعمالها واضحة قبيل ابتداء الحرب العالمية الاولى ، حيث أحست انكلترا بالخطر يحدق بها خصوصا من ألمانيا التي بدأت تنافسها بحريا • ولدى مراجعتنا لمختلف المصادر عن منشأ (الانتلجانس سرفيس) وجدنا أن منشأها يبدو بشكل غامض حيث وجدنا كتبا تشير الى أن الملك جورج الاول في القرن الثامن عشر هو أول ملك بريطاني اعتمد الجاسوسية • وتمضي بنا المصادر حتى تقترب من الحرب العالمية الاولى ، حيث نجد أن الانتلجانس سرفيس أصبحت دائرة سياسية كبيرة تشرف على السياسة البريطانية ، وتوجهها في جميع أنحاء العالم • ومن المصادر ما يؤكد أن سيطرة المخابرات البريطانية وصلت الى أعضاء مجلس الثورة الفرنسية حيث كان معظم أعضاء المجلس يتعاملون مع المخابرات البريطانية • ومن منجزاتها ابان الحرب العالميــة الاولى حصولها على مفتاح الشيفرة الالمانيــة حيث تمكنت من التقاط مخابرات وزارة الخارجية الالمانية مــع سفيرها في واشنطون • حيث قــدمت الانتلجانس سرفيس هذه المخابرات هدية منها الى وزارة الخارجية الاميركية • لان أميركا لم تفكر باعلان الحرب على المانيا رغم جميع ما تعرضت له من تحرشات المانية واعتراض السفن الاميركية • ومع ذلك فان اميركا كانت تحتج فقط لدى السفارة الالمانية حتى تمكنت الانتلجانس سرفيس من الحصول على الشيفرة الالمانية ومعرفة سر المخابرات الجارية بين وزير الخارجية الالمانية وسفيره في لندن بخصوص الاتفاق مع المكسيك على محاربة أميركا معا اذا أعلنت هي الحرب على المانيا • مما دعا وزير الخارجية الالمانية الى التخابر مع سفيره في بعض الامور السرية • وكانت نسخة من هذه المخابرات ترسل الى القنصل الالماني في المكسيك بلغة سرية لا يعرفها أحد • ومع ذلك اكتشفتها المخابرات البريطانية حيث قــدم

القور وزير الخارجية البريطانية(١) بتاريخ ٢٣/٣/١٩١٧ صورة عن تجميع المخابرات السرية التي اتضح أنها كانت مضمون الاتفاقية السرية المعقودة بين المانيا والمكسيك وهي باللغة الانكليزية (بعد ترجمتها) الى السفير الاميركي ، الذي أبرق الى حكومته حالا عن هذا الموضوع وقد زاد على نص برقية الاتفاقية ما يلـي :

ما اطلع المستر بلفور وزير الخارجية البريطانية من مصادره الموثوقة على هـذه الاتفاقية الخطيرة أطلعني عليها ، وأخبرني أن انكلترا تمكنت من معرفة سر الشيفرة الالمانية حيث تمكنت بعد ذلك من ترجمة جميع البرقيات التي تتبادلها المانيا مع سفرائها في الخارج • وهي الان تترجم جميع هذه البرقيات المتبادلة بين برلين والقنصل الالماني في المكسيك وستزودنا بها حال الانتهاء من فك رموزها •

ولما كان حل الشيفرة من الامور الخطرة وأسرار الحرب فان الحكومة الانكليزية قد أسدت الينا خدمة عظيمة باطلاعنا على ما عرفته . وترجو بنفس الوقت أن يظل حديث الشيفرة سراً مكتوماً • لكن الحكومة الاميركية طلبت مفتاح الشيفرة ، فرفضت الحكومة البريطانية بسبب نية بريطانيا الاحتفاظ بالسر في أقبية مخابراتها • ولكن الحكومة الاميركية أصرت على مشاهدة الشيفرة خشية أن تكون بريطانيا تدبر مثل هذه الطريقة لتحمل أميركا على دخول الحرب ضد المانيا ، حيث أعاد المستر لانسينغ وزير خارجية أميركا في حينه طلبه بالاطلاع على الشيفرة الالمانية ، مما دعا بريطانيا الى الموافقة • وسمحت لاحد موظفي السفارة الاميركية في لندن دخول دائرة الانتلجانس سرفيس لكي يتاكد مـن الشيفرة بنفسه حيث أحاط به رجال المخابرات البريطانية المدربين ، وسلموه البرقيات المتبادلة بالشيفرة بين المانيا والمكسيك ، ومن ثم سلموه مفتاح حل هذه البرقيات ، وطلبوا منه التاكد بنفسه • وبعد جهد شاق منه استطاع ترجمـة البرقيات حول الاتفاقية حيث كانت هذه الترجمة الجديدة من قبل الموظف الاميركي مطابقة حرفيا للترجمة البريطانية ، مما دعا أميركا الى التاكد من أن

---

(١) بلفور هو نفسه صاحب الوعد المشؤوم الذي قطعه لليهود بتاسيس وطن قومى لهم في فلسطين •

بريطانيا كانت لا تريد الايقاع بها . وحدث بعد ذلك أن رئيس الولايات المتحدة طلب من سفيره بلندن التصريح للصحافة حول المعاهدة مع المكسيك ، فقامت صحف مؤيدة لالمانيا بالادعاء بأن هذا الموضوع كاذب مما اضطر أميركا الى نشر الوثائق الرسمية عن المعاهدة ، ثم دخلت الحرب ضد المانيا . وهذا يضيف الى مآثر الانتلجانس سرفيس بأن لها الفضل في ادخال أميركا الحرب العالمية الاولى .

ومضت المخابرات البريطانية في تطوير نفسها حتى اعتبرت ابان الحرب العالمية الثانية من أرقى المخابرات في العالم من حيث الصفة القانونية لاعمالها في الداخل والتنظيم والتخطيط لاعمالها في الخارج .

وبالنسبة للصيغة القانونية لاعمالها الداخلية يؤكدها عدد من الافلام والقصص التي اعتقل فيها أغلب الجواسيس في لندن . وكانت أوامر القاء القبض صادرة بطريقة منتظمة وعن طريق المدعي العام .

مقر الانتلجانس سرفيس

سبق أن ذكرنا في موجز أمكنة مراكز المخابرات في العالم أن مركز رئاسة المخابرات البريطانية (الانتلجانس سرفيس) في لندن . ولكن مركزها بالتحديد هو بنفس شارع الوزارات في منطقة (هوايت هول) ، ومركز المخابرات عبارة عن بنائين من الابنية القديمة البريطانية لهما مدخل واحد ، حيث يجد القادم اليهم مكتبا لاستقبال المراجعين ، ثم يتخطى حديقة حتى يدخل البناء . ولدى دخول أي شخص الى أحد مراكز المخابرات الثانية يشعر برهبة طبيعية أما الداخل الى مكاتب الانتلجانس سرفيس فانه يجد الترحيب أينما سار ، حيث يزود ببطاقة زرقاء من مكتب الدخول تشير الى عنوان ورقم دور وغرفة الشخص المراجع بالضبط ، وغالبا ما يكون المراجعون البريطانيون لدوائر المخابرات بخصوص استدعائهم، لاخذ رأيهم بموضوع اشتباه بأحد الاجانب أو العملاء، أو للمراجعة بخصوص التوجه الى بلاد شيوعية حيث تخضع معاملات منح سمة الدخول الى البلاد الشيوعية للاسباب التجارية والعلمية (الدراسة) الى موافقة ومراجعة دائرة المخابرات البريطانية . وسبب ذلك هو خوف المسؤولين في المخابرات من تجنيد المخابرات السوفياتية لاي شخص يدخل الستار الحديدي كما يسمون

دخول أي بلد شيوعي . لذلك يتقدم طالب السفر الى الدوائر المختصة لتحيله الى الانتلجانس سرفيس التي تفتح سجلا خاصا له يبقى قيد الدرس حتى عودة الشخص من الاتحاد السوفييتي ، حيث يوضع تحت مراقبة روتينية وهكذا ... وتقسم المخابرات البريطانية الى ستة أقسام كل قسم له أهميته ، وهي :

١ ـ القسم الخارجي :

ومهمته مراقبة السفارات والممثلين الاجانب حيث يخضع لمراقبته جميع السفارات والمفوضيات ، وحتى مراقبة الشخصيات السياسية والاجتماعية التي يدخل معها موظفي القسم الخارجي الى جميع الاندية السياسية والاجتماعية الراقيـــة .

٢ ـ القسم البحري :

ويسمى أيضا « فيلت انتلجانس » ومهمته مراقبة الاسطول البريطاني بضباطه وجنوده وجميع الاعمال التجسسية الخاصة بالبحرية الملكية البريطانية .

٣ ـ القسم العسكري :

ومهمته التجسس العسكري ومعرفة التسلح والاستعداد العسكري لدى لدول الثانية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي وارسال وتدريب الجواسيس لنفس الغاية) .

٤ ـ القسم التجاري والصناعي :

ومهمته الاختصاص بمعرفة أسرار الصناعة والتجارة للدول الاخرى .

٥ ـ القسم الوطني الداخلي :

ومهمته الاولى مراقبة الاجانب ونشاطهمونشاط المنظمات الاجنبية والمحلية.

٦ ـ القسم الاستعماري :

أو قسم المستعمرات ومهمته هي معرفة الحياة والامور السياسية في المستعمرات التي تسيطر عليها بريطانيا ودول الكومنولث .

هذه الاقسام الستة هي بمجموعها تشكل المخابرات البريطانية بكاملها .

ومن مكاتب هذه الاقسام الستة تقرر مصائر شعوب وأمم . وفيها تعد المؤامرات وتقرر سياسة الامبراطورية بكاملها ويدير هذه الاقسام مديرون من ذوي الرتب والالقاب في الحكومة والجيش البريطاني .

فمثلا ، مدير ومساعدو وموظفو القسم الخارجي في الانتلجانس سرفيس يتخرجون من جامعتي اكسفورد وكمبريدج ، أما مدير ومساعدو وموظفو القسم الوطني الداخلي فأغلبهم من خريجي جامعة غاريك أوسانت جيمس ، والمدراء الستة لهم مكانة خاصة في الدولة . وكل منهم يحرص على اختيار موظفيه وعملائه خفية عن المديرالاخر . وهذا من دواعي حفظ الاسرار الى حد ما حيث أن بعض العملاء من الشخصيات الذين يزودون القسم مثلا بالمعلومات يجب أن يكون غير معروف من أحد ، حرصا على استمراره في عمله في اصطياد الاخبار .

مدير الانتلجانس سرفيس وطريقة اختياره

في جميع مخابرات العالم نجد أن الرئيس معروف للجميع برتبته ومركزه ، ويمكن مراجعته والتحدث اليه . ولنأخذ على سبيل المثال أن رئيس مخابرات المانيا الغربية من عام ١٩٦٦ هو الكولونيل (جيرهارد فيسيل) ورئيس المخابرات المركزية الاميركية يدعى (ريتشادر هيلمز) ورئيس المخابرات الاسرائيلية الجنرال أهارون ياريف ورئيس المخابرات الفرنسية الكولونيل الكسندر دورمانش . أما رئيس المخابرات البريطانية فهو شخصية غامضة منذ عهد ديك هوايت وحتى الآن ، ولا يعرفه الا المقربون جدا للانتلجانس سرفيس ورؤساء الاقسام الستة الذين يجيء ترتيبهم في المسؤولية من بعده . وهذا الرئيس اللغز ينتخب انتخابا عندما تنتهي خدمات سلفه ، اما بالاحالة للتقاعد أو الموت ، وهذه الطريقة لاتزال متبعة منذ عهد (كرومويل) أبي الجاسوسية في بريطانيا ، حيث يوجد في الصالون الرئيسي لمركز الانتلجانس سرفيس قاعة كبيرة فخمة مفروشة بأحدث ما وصل اليه فن الديكور ، وتسمى (القاعة البيضاء) . وعند اقتضاء الحاجة الى انتخاب رئيس جديد للمخابرات البريطانية بخلو الرئاسة للاسباب التي ذكرناها ، يجتمع مدراء الاقسام الستة في القاعة البيضاء حول المائدة المستديرة ، ويقترعون فيما

ينهم على اسم الرئيس الجديد وتسلم المظاريف لاصواتهم الستة الى أكبرهم سنا ، ليقوم بفتحها ومعرفة الرئيس المنتخب (مثل انتخابات رئاسة المجالس النيابية تقريبا) ، حيث يجري تنصيبه في حفلة خاصة • وآخر مراسيم هذه الحفلة هو تسليمه مفتاحا ذهبيا يكون الرمز للسلطة العليا التي تسلم مسؤولياتها • وهذا المفتاح هو مفتاح مكتب ملكة بريطانيا ، ومعنى ذلك أنه أصبح مسؤولا عن المصالح السرية في الامبراطورية بأجمعها • وحين انتخابه وتسلمه مهام السلطة يختفي اسمه بالتدريج من بين المدراء والموظفين ، ويظهر اسمه الرمزي الجديد الذي يوقع به المعاملات الروتينية والتقارير التي ترفع للوزراء المختصين • كما أنه يصبح باستطاعته الدخول على أي وزير أو مسؤول مهما بلغت مكانته بدون استئذان، وهو المسؤول عن الاوامر البسيطة والخطيرة التي تصدر الى كافة أنحاء العالم لاسلكيا وبكافة الوسائل •

كيف تعمل الانتلجانس سرفيس

ان أول واجبات المخابرات البريطانية هو الاطلاع على جميع ما يجري في العالم وبصورة خاصة ماله صلة ببريطانيا واكتشاف الاسرار ، قبل أن يقدم العدو على تنفيذها• وهذه الاسرار تشمل المعلومات العسكرية أولا،ثم المعلومات السياسية ، ثم المعلومات التجارية والصناعية والبحرية ، ولتنظيم العمل بصورة منتظمة وسرية وقد دأبت الانتلجانس سرفيس على اختيار موظفيها بدقة ، ومن بين الموثوقين والجامعيين المخلصين للامبراطورية • وقد حدث بعد فرار فيلبي الى الاتحاد السوفياتي أن قامت الانتلجانس سرفيس بعمل جرد كامل لموظفيها وعملائها • وعلى ضوء هذا الجرد جرى ابقاء الاصلح والاوثق • كما جرى بعض التبديل في مراكز الموظفين والعملاء حتى ينكشف من يكون مرتبطا بأي أعمال أو ارتباطات ثانوية مضرة •

تبذل الانتلجانس سرفيس المال الوفير في سبيل الحصول على المعلومات العسكرية ، وتنظيم القيادات في الدول الثانية (خصوصا الدول الشيوعية) ، وأسماء ورتب وأمكنة القيادة في كل دولة • وعندما تصل المعلومات الى الادارة



صيوف المخابرات السوفياتية :
كيم فيلبي وزوجته الروسية (نينا) جورج بليك وزوجته إيدا وولده ميشا وتظهر نيشيا زوجة جون فيلبي ابن كيم واقفة خلف (عمها)...؟

العامة في (هوايت هول) يقوم الموظفون المختصون بتدقيقها ومطابقتها على المعلومات الثانية التي لديهم (فقد عمدت الانتلجانس سرفيس الى وضع أكثر من عميل في كل بلد لها فيه مصالح . وتطلب من هؤلاء العملاء الذين لا يعرفون بعضهم أن يحققوا بموضوع واحد . ومن ثم ترد الاجوبة منهم الى القيادة في لندن ، فتجري مطابقتها . حيث ينكشف العميل المهمل أو الذي ليس باستطاعته تنفيذ طلباتها . وتسجل هذه المعلومات في سجل خاص .

ومن النادر تكرار وجود شخص مثل فيلبي في المخابرات البريطانية ، أو امكانية قيام أي عميل من عملائها بازدواج مهمته . لان الدقة التي سارت عليها

بعد فرار فيلبي والسخاء الذين تقدمه الى عملائها لا يتصوره العقل • ومن المختصين بالمخابرات وعملائها من يشبّه عطاء المخابرات البريطانية لعملائها بأنه (نهر من ذهب) ، وهذا النهر يجري الى كافة أنحاء العالم ليشرب منه جميع جواسيسها ، لذلك عمدت المخابرات البريطانية الى المشاركة في الاعمال التجارية عن طريق القسم الرابع فيها ، حيث يقوم هذا القسم باتفاقات تجارية بارعة وتشجيع وامداد البيوت التجارية التي تتعامل معها بالرساميل،مما يدر عليها مبالغ ضخمة من الارباح تضم الى ميزانيتها •

صفات الانتلجانس سرفيس

اذا حاولنا التأكد من مميزات ومنجزات المخابرات البريطانية ما تمكنا من حصرها • ونجاح المخابرات البريطانية يعود فضله الى خبرة رجالها المدربين الذين أمضوا سنين عديدة في خدمتها، ومنهم من يبقى في خدمتها حتى الوفاة أو التقاعد لذلك أصبحت تحمل لقب الحارس الحقيقي للامبراطورية • وقد شبه أحد رؤساء الوزراء السابقين ذلك بقوله : (ان سياسة الامبراطورية مركزة في أيدي عدد قليل من الناس ، والذين يحسبون أنهم يحكمون هم نادرا ما يكونون الحاكمين حقا) • وهذا الوصف حقيقي نوعا ما ، فالمخابرات البريطانية هي التي تحكم فعلا ، وهي التي تفرض رأيها في أغلب الامور • وهي التي أرست دعائم الامن والاستقرار في الامبراطورية بكاملها بل ودول الكومنولث أيضا • وكما ذكرنا فان رجالها من أذكى الرجال في بريطانيا وهم يتفانون في خدمة وطنهم ويمنح بعضهم مختلف الاوسمة التقديرية لهم مثل رجال القوات المسلحة • وقد اتبعت الانتلجانس سرفيس في العشرين سنة الماضية على الحاق جواسيسها بالسفارات، بل وتزويد بعضهم بجوازات دبلوماسية لتضمن له الحصانة والحماية لدى كشف أمرهم في دولة ما • ولا يقتصر قبول الموظفين والعملاء فيها على البريطانيين، بل ان كل شخص مها كانت جنسيته ويزكى من قبل سفير أو شخصية مسؤولة في المخابرات أو وزارة الداخلية والخارجية ، يجري تدريبه في مدرسة المخابرات البريطانية ، ويلحق في أي عمل تجسسي يصلح له ، وتقدم لكم على سبيل المثال قصة شاب متعلم ولد بالهند تعهدته الانتلجانس سرفيس حتى أصبح أخطر جاسوس في حينه •

ولادة جاسوس

تحوي الهند خليطا من البشر بما فيهم الهندوس والمسلمون . ونظرا لكثافة السكان في الهند والفقر المنتشر نجد أن شابا صغيرا يافعا يدعى مصطفى ، ولد من أبوين فقيرين مسلمين في مدينة (بنيارس) . وكان هذا الشاب يظهر ذكاء ملموسا بين زملائه في الحي الذين نقلوا أخبار ذكائه الى أحد الضباط الانكليز في الهند (وكانت مستعمرة بريطانية) . (وهذا الضابط من ضباط المخابرات البريطانية) حيث حضر هذا الضابط الى منزل أهل الشاب ، عرض عليهم تعليم ولدهم على حساب بريطانيا . ونظر لفقر أهله رحبوا بهذه الفكرة ، وأرسلوا ولدهم مصطفى للدراسة على حساب بريطانيا . وأخذ هذا الشاب ، ودرس مع أولاد الضباط في مدرسة راقية في الهند . وعند حصوله على ما يعادل الشهادة الثانوية في البلاد العربية ، أرسل الى جامعة اكسفورد في لندن ، حيث تلقى علومه الجامعية الى جانب أبناء الوزراء والوجهاء واللوردات . ويمضي عطل نهاية الاسبوع في منازل ومزارع السياسيين البريطانيين والاثرياء . وذلك ليتعود على معاشرة الطبقات الراقية وعظام القوم والتصرف معهم والتحدث اليهم . وكان يبشر بنجاح باهر وذكاء منقطع النظير في جميع مراحل دراسته . وبدأت أعماله التجسسية في الجامعة حيث قام بوصف جميع زملائه ، وتقييم اتجاهاتهم بشكل أرضى المسؤولين عنه ، وسرهم حتى حصل على الشهادة الجامعية بدرجة جيدة عند ذلك قاده أحد المسؤولين بالانتلجانس سرفيس الى مدرسة المخابرات البريطانية في ضاحية (دغونشير) حيث تخرج بعد سنتين جاسوسا خطرا ، تعلم جميع فنون التجسس ، وكان أول عمل كلف به هو السفر الى مصر لمراقبة حركة الوطنيين . هناك ، باعتباره مسلما لن يشك المصريون بامره . وعمل مدة في القاهرة يتجسس على الوطنيين ، ويخبر عنهم . حتى صدر الامر له بالتوجه الى أفغانستان حيث نجد أن السردار (محمد عزيز خان) رفض الوقوع تحت ضغط البريطانيين ، وفضل قبول أساتذة المانيين على المبشرين البريطانيين الذين وضعوا الشروط على السردار . وهكذا قررت الانتلجانس سرفيس التخلص من السردار المناوىء لهم . فأرسلوا أحد جواسيسهم ، وكان مسلما ، فاندس بين القبائل

الافغانية يحرضها على السردار ، ويصفه بالالحاد[١] • وكان يطوف بالبلاد من قندهار الى المزار الشريف• وسبب رغبة المخابرات البريطانية في حينه السيطرة على بأفغانستان نظرا لوقوعها على الحدود الهندية • وبريطانيا تستعمر الهند حيث يصبح لافغانستان أهمية عسكرية • وكانت هـذه الطريقة من قبل الجاسوس البريطاني كافية لجعله يتنازل عن العرش ،ويتوجه الى سيبريا • وهنا جاءت مهمة مصطفى الذي أحضر خصيصا لاغتياله في سيبريا•وقيل ان مصطفى لدى وصوله الى سيبريا وجد السردار مقتولا على يد عميل آخر ••؟

المهــمّة الكبرى

كان مصطفى عند حسن ظن رؤسائه ، فما كاد ينتهي من مهمته حتى يعهد اليه بمهمة جديدة • وهذه المرة وجدت له المخابرات البريطانية عملا في تركيا باعتبارها بلدا اسلاميا •

كانت مهمته في تركيا هي العمل على معرفة ما يبيته مصطفى كمال ، الذي كان في حينه يفخر بانتصاره على أعدائه • واستطاع أن يجمع في قبضته مناطق الخلافة العثمانية المشتتة من جديد • مما حمل المخابرات البريطانية على الاهتمام بتركيا ، وخشيتها من تعاظم نفوذ مصطفى كمال (أتاتورك) • وصل الجاسوس مصطفى الى أنقرة حسب الخطة الموضوعة له ، وكانت أنقرة تحتفل بانتصارها على اليونان • فزعم أنه قدم لتأسيس لجنة تركية ــ هندية باعتباره يحمل الجنسية الهندية البريطانية لتوثيق العلاقات الودية الطيبة • وكان مصطفى متحمسا في أفكاره ومقترحاته التي تهاجم جميعها انكلترا (حسب الخطة) حتى وصلت أخباره الى زعيم تركيا (مصطفى كمال) فطلبه للحضور لمقابلته • ولدى مقابلته

---

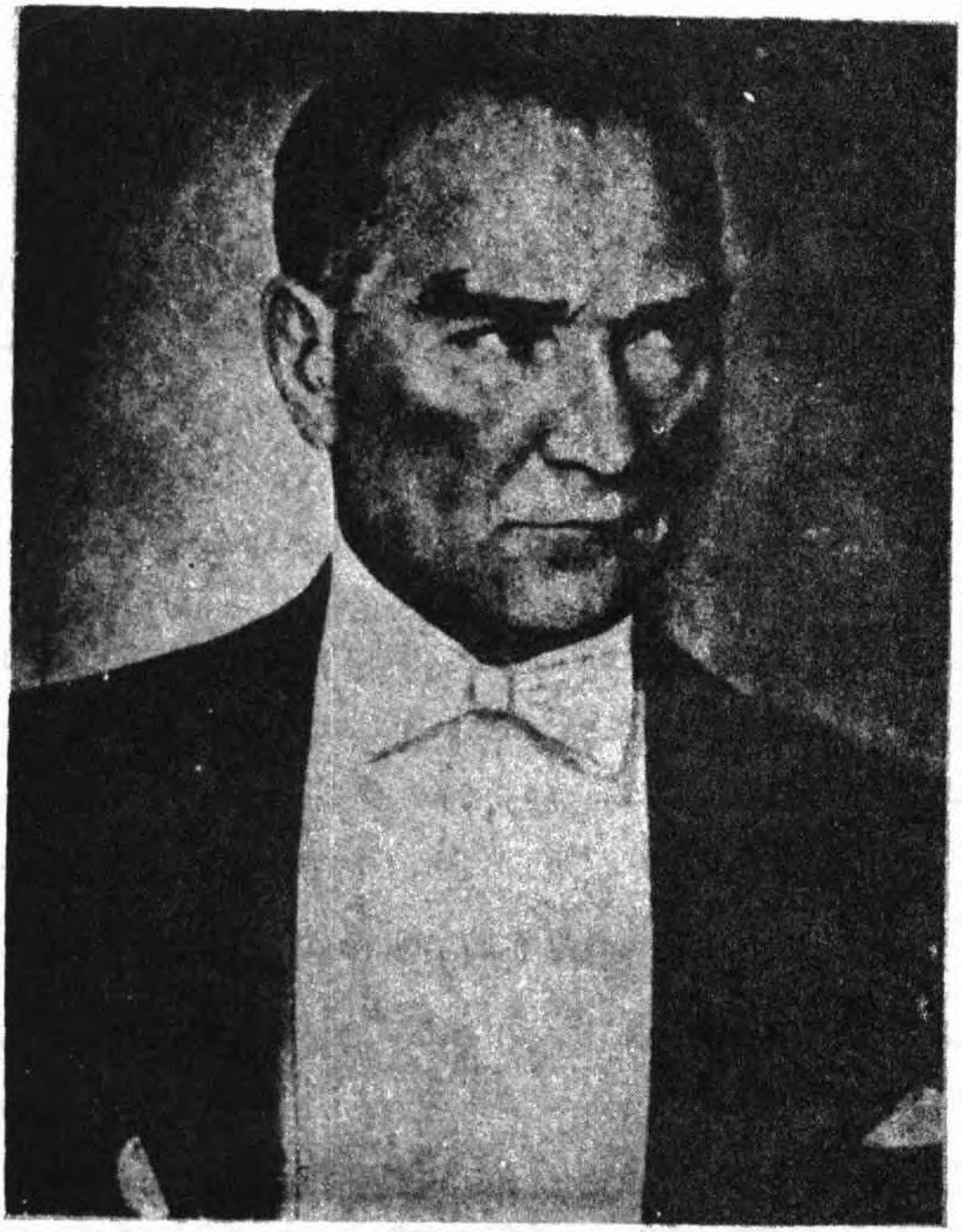
(١) ثبت هذه الحادثة عن المخابرات البريطانية الطالب الافغاني (يوسف ولدميرزا) الذي التقيت به في بغداد مساء ١٩٦٩/١/٢ أثناء كتابة هذا الفصل عن المخابرات البريطانية وزاد أن الانكليز هم الذين قتلوا السردار محمد عزيــز خان فعلا ، وأن زوجته توفيت في عام ١٩٦٧ فجرى دفنها باحتفال رسمي احتراما لذكرى زوجها •

شجعه وصرح له بأن بامكانه طلب أي معونة ، فشكره وانصرف . وبعد انصرافه قام مصطفى كمال باستدعاء مدير البوليس السري التركي في حينه (عدنان بك)، وطلب منه مراقبة مصطفى الصغير ، وهذا لقبه بتركيا . ومنذ ذلك اليوم كانت جميع مراسلات الجمعية التركية الهندية تخضع للمراقبة الدقيقة. وكانت المخابرات التركية (في أول نشاطها وقد أعدت بعض الخبراء لمساعدتها في كشف الجواسيس وألاعيبهم . وكان أن اكتشف خبير المخابرات التركية (عوني بك) بالاجهزة الكيماوية ثلاث رسائل مكتوبة بالحبر السري الى جاسوس آخر في مدينة استانبول يدعى (جمال أوغلي) . لان مصطفى بدأ بجمع العملاء لمعرفة كل شيء عن الزعيم التركي وأعوانه وضباطه ، وحتى عاداته . ومن ثم قررت الانتلجانس سرفيس العمل على اسقاط مصطفى كمال بالعروض المغرية ، ومنها منحه الملايين من الليرات الذهبية الانكليزية ، واعطاؤه قصرا مفروشا في ايطاليا ، وتأمين حياته حال تنازله عن الزعامة التركية . وأما تهديده بالاغتيال فيما اذا رفض عرضهم وكان لمحبة والتفاف الشعب التركي حول زعيمه مصطفى كمال أن لم تستطع المخابرات البريطانية شيئا ضده ...

اعتقال مصطفى الصغير جاسوس الانتلجانس سرفيس المدلل :

بعد ثبوت تجسس مصطفى وهدفه من مراسلاته صدر أمر القاء القبض عليه حالا وتقديمه الى المحاكمة . وقد شكلت محكمة ثورية خاصة لمحاكمته كان رئيسها احسان بك النائب في المجلس الوطني التركي ، ولكن مصطفى الجاسوس المدرب خير تدريب . ومن تدريبه احتمال اعتقاله ، وكيف يتصرف لذلك عمد الى الانكار بادىء الامر ، ولم يعترف بشيء مما نسب اليه ، بالرغم من تقديم الادلة الى المحكمة وهي الرسالة التي أرسلها الى زميله جمال أوغلي ، واعتراف جمال نفسه ومقابلته مع مصطفى. كل ذلك ومصطفى مصمم على الانكار والادعاء بأن اتهامه من قبل السلطة التركية خطأ ، فأجلت المحكمة لمتابعة التحقيق معه .

وقد خطر لمدير البوليس السري التركي (عدنان بك) أن يلجأ الى الحيلة للحصول على اعتراف الجاسوس الخطير. فاستحصل على اذن من المحكمة المختصة بمحاكمة مصطفى بجعل جريدة (يني كون) اليومية التركية التي تصدر في أنقرة



مصطفى كمال رئيس جمهورية تركيّا

M: KAMAL ATA TURK PRESIDENT DE LA REPUBLIQUE TURKIE

أن تنشر في صفحتها الاولى وليوم واحد فقط خبرا مفاده أن العلاقات الدبلوماسية سوف تقطع بين بريطانيا وتركيا . ونشر الخبر في الصفحة الاولى وأرسلت الصحيفة مع بقية الصحف والمجلات التي يطلبها يوميا . ولما اطلع على الخبر غضب غضبا شديدا ، وأحس بأنه أصبح لا قيمة له لدى المخابرات البريطانية بعد قطع العلاقات . فاستدعى (عدنان بك) ، واعترف له بكامل قصته مع

المخابرات البريطانية التي تعهدته من صغره حتى جعلته (جاسوسا) ، يجوب البلاد ، وينفذ المهمات حتى انتهى به المطاف في تركيا ، ثم كشفه من قبل الزعيم التركي •

قدم الى محكمة (عرفية) حكمت عليه بالاعدام نظرا لخطورة تجسسه في تلك الحقبة من الزمن من حياة الجمهورية التركية الفتية ، والتي كانت تخطو أول خطواتها نحو تحسين الاوضاع •

اقترن حكم الاعدام بتصديق زعيم تركيا حالا ، وقد احتجت بريطانيا على هذا الحكم ، وادعت كما هي العادة (بأن مصطفى هو مواطن بريطاني الجنسية وأوقع به من قبل المخابرات التركية) • وقد توترت العلاقات البريطانية التركية فعلا ، ومع ذلك نفذ فيه حكم الاعدام ، وجرى تسليم ما ترك من حوائج الى السفارة البريطانية • فوجد بين حوائجه رسالة مخبأة ، وموجهة الى رئاسة المخابرات البريطانية يقول فيها : أنه خدمهم باخلاص حتى لقي حتفه (كان متأكدا من الحكم عليه بالاعدام ، حين كتابته الرسالة الوصية) ، ويرجو منهم الاهتمام بعائلته • وهكذا فقدت الانتلجانس سرفيس أحد جواسيسها المدربين بفضل ذكاء الزعيم التركي الراحل مصطفى كمال ورجال الامن والمخابرات الاتراك •

هذا بالنسبة لاعمال المخابرات البريطانية القديمة ، أما الاعمال والانجازات الحديثة فلم يعلن عنها بعد ، نظرا لان القانون العسكري البريطاني يمنع نشر الاسرار قبل مضي ٣٠ سنة عليها ، خصوصا الاعمال الجاسوسية الخطيرة التي تتسم بالسرية التامة والجرأة وتنفيذ المهمات الصعبة لا يكشف عنها الا بعد مرور المدة القانونية بحيث يكون من المتعذر على أي كان الاستفادة من معرفتها • ومن الاعمال التي تناقلها الباحثون عن أسرار هذه المخابرات استخدام المخابرات البريطانية للنساء الماكرات الجميلات والجريئات في مهمات صعبة •

***

سيدة مجتمع وجاسوسة :

السيدة جوتردبل [1] سيدة مجتمع من الدرجة الاولى ، تمتاز بالجرأة والثقافة الواسعة . أرسلت عام ١٩١٥ بمهمة خاصة من قبل المخابرات البريطانية الى القاهرة ، وسكنت في فندق (شبرد) . وبعد مدة أصبحت تدعى الى مختلف الحفلات الاجتماعية . وكانت أثناء ذلك تقوم بجمع المعلومات عن (الحركة القومية المصرية) . تنقلت مهمتها ما بين القاهرة والاسكندريةظهرتفي الاهرامات تركب الجمال ، وتستقي الاخبار من هنا وهناك . ونظرا لما تغدقه عليها المخابرات البريطانية من الاموال كانت تظهر في أفخم الفساتين ، التي كانت تحضر بعضها من ايطاليا رأسا ، والباقي من محلات (شيكوريل) المعروفة في القاهرة .

اخذت تظهر بعض العطف على حركة (التحرير) من الاستعمار البريطاني، كما دربت (وهي منهم) . وكانت بنفس الوقت قد أسست شبكة للتجسس ممن اصطادتهم كأصحاب الحانات وبعض الادلاء ، الذين يجيدون غالبا اللغة الانكليزية ، ومثلهم (التراجمة) وبعض موظفي السفارات الاجنبية في القاهرة الذين تعرفت عليهم بحكم ترددها على هذه السفارات، لحضورحفلاتها المختلفة.

عملت باخلاص ، وكانت تزود المخابرات البريطانية بجميع ما يتطلب معرفته عن احرار مصر ، حتى انها انتقلت الى الصحراء ، وأقامت مع (البدو) ، وتعلمت بعض لغتهم ، وعقدت صداقاتمع رؤساء العشائر ، وأكلت من طعامهم، وعلى طريقتهم (باليد) . وتحملت المشاق والصعاب دون أن تخلد الى الراحة حتى منحت أثناء ذلك ، ونظير خدماتها هذه ، وسام (الامبراطورية) . وهذا الوسام لا يمنح الا لكبار القادة العسكريينأو لمنيقومون بأعمال خارقة لرفعشأن الامبراطورية العظمى .

---

(١) من مواليد عام ١٨٦٨ ، وقد اعترفت اذاعة لندن في برنامج هذا الصباح المذاع بتاريخ ١٩٧٦/٧/٣٠ بأنها كانت فعلا تجمع المعلومات في العراق وفلسطين ، لصالح المخابرات البريطانية وبحجة جمع الآثار ..؟

صدرت الاوامر اليها بالسفر الى السودان ، لمتابعة عملها التجسسي هناك ، وأقامت مدة في مدينة الخرطوم ، وفي فندق النيل تنفذ ما طلب منها تنفيذه . ثم نقلت الى (الهند) وبقيت مدة في (نيودلهي) أعيدت بعدها الى (شرق الاردن) و (الحجاز) حيث قابلت (جورج فيلبي) أو (الحاج عبد الله) ، كما كان يسمى بعد اسلامه .

وأخيرا أرسلت الى العراق ، فظهرت فيمجتمعاتبغداد، ولا يزال يذكرها بعض كبار الرعيل الاول من الاوساط البغدادية الراقية . انتقلت الى الموصل ، وعندما أخذ بعض قطاع الطرق يتعرضون للقوافل (فيحينه) طلبت منالسلطات البريطانية ارسال الجنود لتأديبهم . كما أنها حرضت البريطانيين على مهاجمة قبيلتي ــ شمر ــ والمطير ــ .

كانت دائمة التجول في الصحراء العراقية ، وصادفت أثناء تجوالها قافلة متوجهة الى أفغانستان بقيادة شاب (تذكرته) . ولما حاولت السلام عليه قال لها بعض معاونيه انه (حمال ايراني) ، فابتعدت عنه لانه زميلها (لورانس) في طريقه لتنفيذ مهمة مثلها .

وبقيت تمارس نشاطها في البلاد العربية حتى عام ١٩٢٦ ، حيث أعيدت الى الهند . وهناك توفيت بعد أن أدت أعظم الخدمات للانتلجانس سرفيس .

وبذلك نجد أن المخابرات البريطانية منذ نشوءها تضم الى جهازها أخطر العملاء والعميلات ، لان مهمتها الدائمة هي معرفة الكثير عن كل شيء في العالم، والحصول على الاخبار الصادقة مهما كلفه ذلك من مبالغ . وموظفي المخابرات البريطانية (مخولين) الدفع حالا ، لقاء كل خبر جيد وكل (سر) مهم من أي شخص كان وفي كل زمان ومكان .

وخير دليل على ذلك سياسة المخابرات البريطانية منذ تأسيسها حتى الآن ، حيث نجد أن المستر (فيلبوت) قد أسس مكتبا تجاريا في زوريخ بسويسرا ، مهمته تقدير الحرير والاقمشة . بينما كان مندوب الانتلجانس سرفيس في سويسرا ، كلها . وكان يقوم بعمله التجاريخير قيام ، ويناقشالتجار بالاسعار ، حتى على السنتات القليلة ، ويحافظ على مواعيده التجارية الدقيقة . ونظرا لمراجعته من قبل العديد من الاشخاص كان من بينهم عملاؤه الذين يزودونه

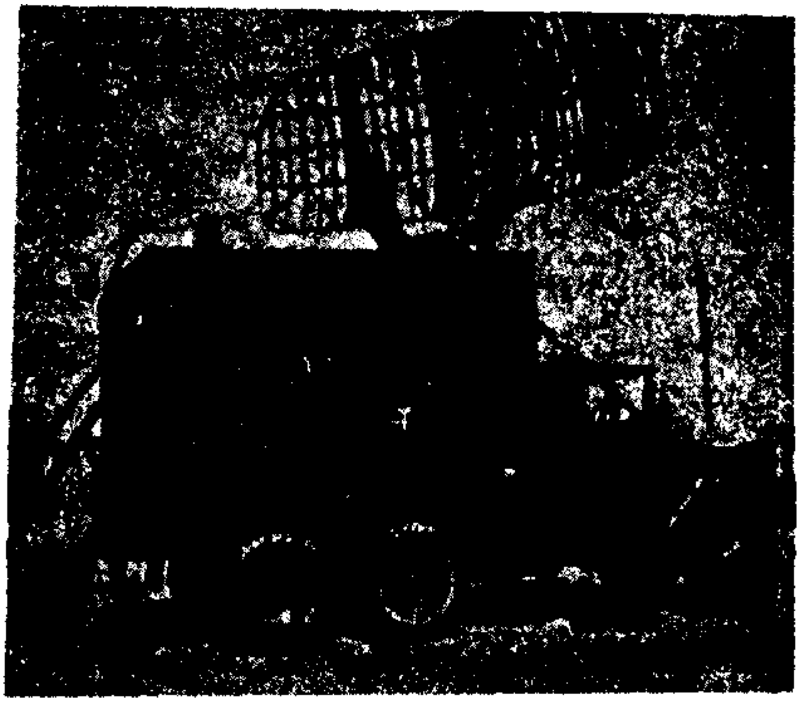
بالاخبار والتقارير المختلفة • وكان يستلم التقرير من العميـل ، ولا يدفع له القيمة الا بعد التدقيق • وكان فيلبوت يعلن لعملائه بكل صراحة أن المخبرين تجار في نظره يبيعونه (بضائع) ، لكنها بضائع من نوع خاص • وهو يحتاج الى هذه البضاعة وأصحابها ، ويعاملهم كالتجار ، الا أنه يدفع بعكس التجار بعد استلام البضاعة لا حين (استلامها) • كمـا كان يصرح أن كـل العملاء والجواسيس يزورونه ، وهم محتاطون لزيارتهم ، ويجعلونها ذات أهمية بالغة ، ويمتدحون أخبارهم أكثر من اللازم ، ويؤكدون له انهم لا يستطيعون الافضاء بشيء اذا لم يدفع لهم حالا • ويهددون اذا لم يدفع لهم حسب طلبهم ، فانهم سيذهبون الى غيره ، وهؤلاء لا يؤتمن لهم • وهو يصنفهم بأنهم يتصرفون تصرف الاطفال ، حينما يطلبون الدراهم اولا ، لذلك فالمستر فيلبوت لا يسلم بنسا واحدا قبل أن يتأكد ويحكم على نوع (البضاعة) • وكان يقول لعملائه المختلفين اذا لم ترتاحوا لطريقتي ، فاذهبوا الىغيري وأنا أعلم أنكـم ستعودون الي لاني أدفع أفضل من غيري ، ولكن للبضاعة الجديدة فقط •

وهكذا تعمل الانتلجانس سرفيس بدقة وسخاء ، ولكن هذا السخاء في محله • وهذا الابتكار من فيلبوت أعطاه أفضل المعلومات ، وكان بجرأته يتصل بزبائنه مباشرة (المخبرون) • ويتسلم منهم البضاعة ، ولكن مع تأجيل الدفع حتى التأكد من جودة البضاعة •

ويعمد فيلبوت بعد استلام البضاعة الى الاطلاع عليها ، وتقديرها بنظرة عابرة • ومن ثم يقوم بدفع قسم بسيط من الثمن على الحساب ، وباقي الثمن يقدره ، ويدفعه بعد أيام (بعد التأكد من جودة البضاعة) ، عند احضار العميل لبضاعة جديدة وهكذا • ويؤكد المستر فيلبوت أن الاموال التي تغدقها عليـه الانتلجانس سرفيس هي نتيجـة شرفه واستقامته في المعاملة وتقديمه احسن الاخبـار •

عمـل المخابرات

ان مجرد الشك في أي عميل لأي مخابرات يؤدي عـادة الى الاستغناء حالا عن خدماته •



طريقة عمل جواسيس الانتلجانس سرفيس

سبق أن نوهنا الى بعض الطرق التي يتبعها موظفو الانتلجانس سرفيس في عملهم ، وأن مئات الالوف من الجنيهات الاسترلينية تغدق عليهم ، ليحصلوا على أحسن الاخبار وأدقها • وهكذا يرفع يوميا تقرير مؤلف من عدة صفحات ضمن ملف فخم ، كتب عليه (اطلاع رئيس الوزراء) • وهذا التقرير يحتوي على موجز عن أخبار العالم ، التي كلفت عشرات ألوف الجنيهات :وعمل مئات الموظفين والعملاء في مختلف انحاء المعمورة •

وقبل أن تتم البحث عن أعمال العملاء في المخابرات البريطانية ، يحسن بنا أن نعرف بعضا من طرق عملهم • حتى ان منهم من لا يتورع عن استخدام مختلف الاساليب ، للحصول على المعلومات حتى بالطرق المخجلة • (ونذكر أن المخابرات البريطانية هي أول مخابرات تستعمل النساء في أعمالها) • واننا اذا تجولنا في انحاء العالم لوجدنا من بين مديروا الحانات والكباريهات من يكون في خدمتها • ويقوم باستراق السمع والتجسس على زبائنهم ، الذين يتحدثون عن بعض اسرارهم عندما تلعب الخمرة برؤوسهم • كما نجد بعض مضيفات

الطيران في شركة الخطوط الجوية البريطانية (B. O. A. C.) يقمن بالتجسس وحتى معظم خادمات الفنادق في بريطانيا يعملن في المخابرات البريطانية • وأخطر هؤلاء من ضاربات الآلة الكاتبة في الدوائر الرسمية والسفارات والبنوك ، حيث يحصلن على أدق الاسرار في أسهل الطرق • حتى بنات الهوى يوجد منهن من يعملن للمخابرات البريطانية ، حيث يستدرجن الجنود الغرباء الى الغرف الخلفية ، ويسألنهن عن أسرار الثكنات والتنقلات ، وما الى ذلك أثناء ساعات سكرهم •

في كل مكان من العالم تجد أصابع المخابرات البريطانية ، حيث تجد الحيلة والدهاء وشراء الضمائر والطمع في حياة الترف والجاه على حساب التعامل معها •

فهنا ترى تاجرا يحوي مخزنه جميع أنواع البضاعة المشروعة ، ومع ذلك فهو عميل للانتلجانس سرفيس ، ورئيس جمعية خيرية عميل ايضا ورئيس نقابة أيضا عميل •

وكما شرحنا من صفات الجاسوس البريطاني أن يحصل على ثقة الجميع خصوصا المحيط الذي يعمل فيه ، وأن يكون داهية وجريئا الى أبعد حدود الجرأة . وأن يتصرف ويتكيف في جميع الاحوال حسبما يتعرض له من المشاكل والمفاجآت • وان الجاسوس البريطاني يدرب على دخول المجتمعات والحياة العامة بشكل طبيعي جدا ، حتى لا يثير ادنى شك في وجوده أو تصرفه •

ارسال الاخبار الى مقر الانتلجانس سرفيس بلندن :

لدى حصول أي عميل للمخابرات البريطانية على أي خبر كان أو سر من الاسرار فانه يقدمه الى رئيس شبكته اذا كان في البلد شبكة تجسس ورئيس الشبكة يقوم بدوره باختصار الخبر والابراق به الى لندن حالا • أما اذا كان العميل يعمل لوحده ، وغالبا ما يكون مزودا بجهاز لاسلكي فيعمد الى الابراق بالخبر الى رئاسة المخابرات البريطانية في لندن حالا • أما اذا كان الخبر عبارة عن تقرير مطول أو سرقة صورة لامر ما أو سر من الاسرار ، حيث يمكن أن يرسل الى الرئاسة بواسطة عدة طرق مختلفة منها اخفاء الاخبار حتى في ربطة العنق ، أو التماثيل . أو في قطع صابون . أو كعب حذاء . أو يد مظلة • وأنا شخصيا اشتركت في اعتقال جاسوس كندي يعمل لصالح المخابرات الاسرائيلية ،

كان يضع الميكرو فيلم داخل تجويف خشبي في حمالة بنطلون خشبية داخل شنطة ملابسه ، بحيث لا يمكن كشفها بأي حال ...

ومن بعض طرق ايصال ونقل الاخبار بين عملاء المخابرات البريطانية أن تكسب المخابرات مفتشا يعمل في السكك الحديدية . ولدى مروره في المحطات المختلفة يتناول الاخبار من العملاء ، أثناء سير القطار . ولهذه الطريقة صفات هي نجاة الرسائل من الرقابة الروتينية على البريد . وبالتالي يعطي المفتش أي تعليمات وصلته الى العميل شفهيا من غير أن ينتبه اليه احد . وكدليل على دقة عمل المخابرات البريطانية نذكر على سبيل المثال أن أحد السياح ، وبطبيعة الحال من المخابرات البريطانية كان في زيارة سياحية لاحدى الدول الشيوعية وضع بعد الاشباه به تحت المراقبة الدقيقة حتى وصل الى محطة السكة الحديد ، والغليون لا يفارق شفتيه . وقد قررت ادارة الامن في هذا البلد تفتيشه ، فألقت القبض عليه وسيق الى أحد مراكز المخابرات . وهنا كان له الوقت الكافي ليشعل غليونه بكل برود . وكان هذا الغليون معبأ بأوراق حرير مطبوع عليها بطريقه فنية أدق الاسرار ، وهكذا احترق الدليل الذي كان من الممكن أن يوصله الى السجن بفضل احتياط رجال المخابرات البريطانية . وقد وجد في جيبه لدى تفتيشه ــ ٥٠ ــ قطعة نقدية من ذات الالف فرنك ، فقال له مفوض التحقيق : يظهر يا سيدي أنك تمارس عملا ممتازا فأجابه السائح (الجاسوس) باسما : هل تريد أن أوظفك عندي ؟ ولكن من أين تأتي الانتلجانس سرفيس بكل هذه الاموال التي سبق أن ذكرنا أنها تشبه نهرا من الذهب ؟ . والجواب هو الميزانية الضخمة التي تقتطع من ميزانية وزارة الحربية (الدفاع) البريطانية . وثانيا تدخلها في التجارة والبيوتات التجارية ، حتى تستطيع بريطانيا تأمين اطلاعها على المناطق الحيوية في العالم . وهكذا استطاعت مع الايام أن تقبض على مفاتيح الطرق الحيوية في العالم . فمفتاح البحر الابيض المتوسط هو جبل طارق بيدها . والسويس قبل تأميمها ــ وعدن مفتاح البحر الاحمر بيدهم ــ والكاب مفتاح بحر الجنوب بيدهم ومشارف ايكوسا مفتاح بحر الشمال بأيدهم ايضا بالاضافة الى سنغافورة ــ ومستعمرة هونغ كونغ ودول الكومنولث . وجميع

هذه المناطق مملوءة برجال الانتلجانس سرفيس ، الذين يطلعون على كل شاردة وواردة ، ويرسلونها الى لندن حسب أهميتها •

المخابرات البريطانية في الدول العربية :

من جملة أهداف الانتلجانس سرفيس في العالم معرفة كل شيء عن العالم العربي لتأمين مصالحها • وبدأت بذلك من أيام الحرب العالمية الاولى ، وأبقت بعض أعوانها بعد الحرب العالمية الثانية موزعين في البلاد العربية ، فوضع غلوب باشا وهو انكليزي ولقب باشا بالنسبة لوجوده في بلد عربي في شرقي الاردن ، وكان ضابطا عاديا وصل الى رتبة قائد الجيش الاردني • وكان موضع ثقة البلاط الملكي سنين عديدة ، حتى أحيل للتقاعد ووضع (جورج فيلبي) الاب في المملكة السعودية وحصل على أعلى المراتب الادارية والتجارية حتى انه أشهر اسلامه ، وبقي في السعودية ، ووضع المستر (تشآمبان أندروز) في لبنان ، وهؤلاء جميعا مرتبطون بالمستر (كلايتون) الذي يتولى الاشراف على المخابرات في الشرق العربي كله • وبالاضافة الى بعض المسؤولين البريطانيين الموزعين في البلاد العربية لتوجيه حكوماتها التي كانت تدين بالولاء لبريطانيا حسب سياستها • ولدى انسحاب فرنسا من الشرق العربي مثل سورية ـ لبنان ـ بعد استقلالهما عام ١٩٤٦ ـ اشتدت المنافسة بين لندن وواشنطن ، فقد تغلغل الاميركيون في السعودية ولكن البريطانيين كانوا السابقين الى الدول العربية بفضل جواسيسهم، أمثال (تشابمان) الذي عين في بيروت ، و (غلوب) في الاردن، و (فليبي)في السعودية ، فالاول أصبح يتحدث اللهجة اللبنانية وأنشأ صداقات متينة في بيروت ، والثاني عايش البدو وعاداتهم ، ووصل الى قيادة الجيش الاردني ، أما الثالث فقد اعتنق الاسلام في السعودية وساعد الاسرة المالكة (الملك عبد العزيز) ، وألف كتاب (الربع الخالي) • ويعتبر حتى الآن من احسن الاكتشافات عن الصحراء في العالم • وأخيرا عمل في تجارة السيارات والسجاد •

أمثال هؤلاء هم الممثلون لبريطانيا في البلاد العربية ظاهريا ، بحيث كشف عنهم النقاب •

أمـا العشرات غيرهم ممن خدموا ولا يزالون يخـدمون (المخـابرات البريطانية) ، فلم يتمكن أحد من معرفتهم الا بعد انقضاء مدة طويلـة ، لأن ذلك من اسرار (المخابرات) .



صورة واضحة عن بعض أسباب الانغماس في العمالة والتجسس

***

أقوال في المخابرات

قال الفيلد مارشال (مونتغمري)في اجتماع بين ضباط قيادته :
ان قيمة عمل المخابرات والاجهزة التابعة لها تنبع من وجوب الامساك بزمام المبادرة ومفاجأة العدو من حيث لا يتوقع ، ومن دون ذلك لا يمكن احراز أي نصر عسكريا كان أم مدنيا .





المخابــرات في الحـــرب

ومن ملفات الحرب العالمية الثانية السرية التي لم يطلع عليها سوى القلائل، نجد أن هناك تعاونا حصل بين المخابرات المركزية الاميركية والمخابرات البريطانية

في يوم ٦ يونيو ١٩٤٤ (غزو نورماندى)

بدأت الجيوش الحليفة تغزو ساحل النورماندي دون أن يشعر بهـا الالمـان ، حتى فوجئوا بها متأثرين بخدعة تمت بنجاح باهر اذهل الالمان . وكان قوام هذه الخدعة غزوا موهوما خدع ضباط الرادار الالمان ، فظنوا أن الحلفـاء يغزون منطقة (بادة كاليه ـ Bada Caliya) التي تبعد مئتي ميل الى الشمال من السواحل التي غزوها فعلا فيما بعد (النورماندي) .

هذه الخدعة الباهرة التي تمت يوم غزو النورماندي كانت ذروة الحرب الناشبة على أمواج الاثير، بالتعاون بين المخابرات الاميركية والمخابرات البريطانية. هذه الحرب التي ظلت أربع سنوات تسير جنبا الى جنب مع القتال الدائر بين سلاح الحلفاء الجوي وسلاح الطيران الالماني . وقد اسفرت هذه المعركة التي كتمت أخبارها عن ظفر حاسم للاميركيين والانكليز أنقذهم من خسارة فادحة

تنزل بطائراتهم ومكنتهم من أن يحتفظوا بالتفوق الجوي الذي كسبوه بشق النفس • ثم مهد لهم أن يكونوا كالسيل الجارف بعد ذلك في هجومهم المعاكس على المانيا ••

ان السرعة العظيمة في القتال بين الطائرات في الحرب العالمية الثانية اقتضت من الفريقين أن يعتمدوا اعتمادا لاغنى عنه على التلفون والمكالمات اللاسلكية ، اذ لم يكن منها بد لحشد أسراب القاذفات وتوجيهها • ومن ثم لتوجيه المطاردات (طائرات القتال ذات الطيار الواحد) الى القاذفات المغيرة أيضا • وكان الرادار عماد الالمان والحلفاء فيما اتخذوه من وسائل الدفاع ضد الطائرات والرادار هو العين اللاسلكية الساهرة التي تبين موقع واتجاه الطائرات المغيرة ••• اذا فقد كان هدف كل فريق تدمير الوسائل التي يعتمد عليها الفريق الآخر كما ذكرنا ، وأولها الرادار •

وقد بدأ الانكليز يتخذون الاساليب اللاسلكية (المضادة) ، ففي خريف عام ١٩٤٠ عندما بدأت قاذفات جورنج الالمانية تشن غاراتها في الليل على مدن انكلترا كان طياروها الالمان يوجهون الى أهدافهم باتباع أشعة ضيقة من الراديو، ترسل من قواعد أقيمت على سواحل فرنسا وبلجيكا • وكانت هذه الخطوط تقطعها خطوط أخرى مرسلة من قواعد مماثلة أقيمت في هولندة والنرويج ، وتكون الاماكن التي تتقاطع فيها الاشعة انذارا للطيارين الالمان باقترابهم من اهدافهم • فعزم الانكليز على افساد هذا الاشارات لان هناك اسبابا طبيعية شتى تحدث انحرافا فيها فأخذ خبراء المخابرات على عاتقهم أن يضخموا هذا الانحراف • ولما كان الالمان يطلقون أشعتهم لمدة ساعات قبل كل غارة فقد أتيح للبريطانيين أنيتبينوهاويحاكوها ، فاستطاعوا أنيعيدوا ارسالها في الفضاء ، وان يحنوها قليلا قليلا حتى تبتعد عن المدن والاهداف التي يغير عليها الالمان ، ولو حرفت الاشعة مقدار درجتين لكان ذلك كافيا لابعاد الطائرة تسعة أميال عن خط سيرها ، في مسافة تبلغ ٢٥٠ ميلا •••

اعترف البريطانيون في حينه بأن جدوى افساد اشارات الراديو كانت قليلة ، حين كانت أهداف الطائرات هي مدينة (لندن) والموانيء البريطانية (بسبب سهولة تمييزها ومعرفتها من قبل الطيارين الالمان) • ولكن حين كانت

الاهداف هي المدن الصغيرة في داخل الجزيرة كانت امالة خط السير بعض الشيء كافية لاقصاء القاذفات عنها ، فترمي ما تحمله من القنابـل في الارض الفضاء (ظنا منها انها تلقيها على الاهداف المحددة لها بالاشعة) • وقد تم أعظم ظفر لامالة خط السير اللاسلكي في ذات ليلة حين ألقت القاذفات الالمانية التي قدرت بأكثر من مائتين ما زنته ٤٠٠ طن من القنابل ـ فقتلت (دجاجتين) فقط •

وكمـا هو معروف من وجود المخابرات الالمانيـة التي علمت باكتشاف أشعتهم ، فأوعزوا الى سلاح الطيران الالماني بذلك • فترك نظام خطوط الاشعة حالا ، وأحلوا محله التعليمات اللاسلكية التي أصبحت ترسل من المانيا نفسها فاستعان الحلفاء يومئذ بحيلة جديدة في حرب الراديو • فكانوا اذا أبرق الملاح الالماني الى قاعدته ليطلب منها ما يعينه على معرفة موقع قاذفته يجيبه عامل انكليزي يذيع على نفس الموجة التي يستعملها الالمان ويعطيه طلبه باللغة الالمانية خطأ ، فيضل الطيار الالماني عن اتجاهه الصحيح ويظل يدور في الفضاء حتى يطلـع الصباح ثم ينزل في مطارات جنوب انكلترا وهو يظن أنه هبط في فرنسا ••

وقد اعترفت المعلومات التي حصلنا عليها بأن الالمان كانوا يسيرون عـلى قدم المساواة مع خصومهم في الخداع ، فأحرزوا أول ظفر لهم حيث أفـسدوا عمل رادار الحلفاء في فبراير عام ١٩٤٢ تسللت البوارج الالمانية ـ شارنهورست ـ وجنايزناو ـ والبرنس اويجن ـ من مرفأ برست ، واتجهت الى بحر المانش • وقد لاحظ ضباط الرادار البريطانيون على الساحل اضطرابا في أجهزتهم كـان قليلا في أول الامر ، ثم ازداد قوته • فلما بلغت البوارج الالمانية مضيق ـ دوفر ـ كان الاضطراب لا يزال مستمرا ، فمنع الانجليز من توجيه سفنهم وطائراتهم كذلك مرت البوارج الالمانية بسلام •

وفي هذه الاثناء تبين للحلفاء أن أجهزة الراديو الالمانية عرضة للاضطراب ، فقد روى ملاحو بعض القاذفات البريطانية العائدة من غارة على المواقع الالمانية أنهم حين أداروا أجهزتهم اللاسلكية التي تعرّف بهم من يتلقى اشارتهم رأوا الانوار الكاشفة الالمانية الموجهة بالرادار قد ضعفت أو انحرفت عنهم • ففحصت أجهزة الرادار الالمانية • كان فدائيون انكليز قـد ظفروا بها فظهر أن أجهزة التعريف في الطائرات البريطانية تدخل الاضطراب على هذه الاجهزة الالمانيـة

مصادفة ، فزودت أجهزة التعريف البريطانية بأدوات خاصة لادخال الاضطراب حتى يصبح ما تحدثه من لغط في الاجهزة الالمانية أقوى ، ثم أنشأ البريطانيون محطات لاسلكية قوية في جنوب انكلترا ، صار همها احداث الاضطراب فيأجهزة الرادار الالمانية القريبة التي ترسل الانذار الاول باقتراب الطائرات البريطانية . وزاد الطين بلة أن سلاح الطيران البريطاني أخذيحدث لغطا في الاتصال اللاسلكي بين الطائرات الالمانية في الفضاء وقواعدها على الارض .

وقد ظلت حرب الاثير دائرة الرحى ، لا تقطعها ساعة من هوادة أو سكون. ومنذ بدأ خبراء الحلفاء هجومهم الاول على وسائل الالمان اللاسلكية أقاموا ليلة بعد ليلة ، يستطلعون مناطق أمواج الراديو ما كبر منها وما صغر وما علا وما سفل . وصار الالمان أيضا يتلمسون كل حيلة في يدهم للعمل على أمواج لا تزال خالية من خدع المخابرات المتحالفة ولاحقهم الحلفاء جادين يطمسون لهم كل موجة يجدونها . وقد عمد الالمان في أثناء بحثهم عن الامواج الجديدة الى تعديل ما عندهم من أجهزة الرادار ومعدات المخاطبة بالراديو ، أو ربما عمدوا الى احلال غيرها محلها . ولكن الاجهزة الجديدة كانت لا تكاد تبدأ عملها حتى يقبل عليها الحلفاء بأجهزتهم الجديدةأيضا يحدثون فيها لغطا واضطرابا. مما سبب في النهاية انتصار الحلفاء وهزيمة المانيا النازية . هذا الانتصار عسكريا بالظاهر بينما يعود ٧٠٪ من هذا الانتصار الى أعمال المخابرات الحليفة .

ومن الاجهزة التي أتقنها البريطانيون بعدما تغلبوا على عقبات فنية كأداء (جهاز خفيف لاحداث اللغط يسهل حمله في طائرة) فوضعوه في قاذفة خصصت لذلك ، وهو جهاز بارع فأحد أقسامه جزء مستقل يفتش مناطق أمواج الراديو تفتيشا آليا . فاذا تبين اشارة ما على حديث دائر ظهرت (نقطة من الضوء) على لوحة . وما على عامل الجهاز الا أن يستوثق من مصدر الاشارة ، فاذا فعل أرسل في الفضاء بجهازه المرسل خليطا مختلطا من الاشارات فيمحو الحديث الدائر .

وقد بلغ من نجاح هذا الجهازأن عمد الالمان الىانشاء محطة قوية للارسال، فصاروا يستعملون أمواجها في ارسال التعليمات الى مطاراتهم الليلية كلاما منقولا على أمواج التلفون ، فالراديو . فما كان من سلاح الجو البريطاني يومئذ الا أن نشأ محطة قوية للارسال أيضا ، تذيع على نفس الموجة التي تعتمد عليها المحطة

الالمانية • وأخذ مذيعوها يأخذون الطريق على المذيعين الالمان ، ويذيعون تعليمات متناقضة ومعلومات خطأ ، فيتلقاها طيارو المطارات الليلية الالمان ، فيختلط عليهم الامر • وكان المذيعون (البريطانيون) يعمدون الى استعمال اللهجة الالمانية كأهلها تماما • بل دربوا أنفسهم عـلى محاكاة (نبرة) الالمان الذين يصدرون الاوامر محاكاة تامة •

وقد استعمل هذا الاسلوب أول ما استعمل ليلة ٢٢/٢٣ اكتوبر ١٩٤٣ يوم شنت القاذفات البريطانية هجوما قويا على مدينة (كاسل) • وقد أدرك الالمان خلال الغارة أن خللا قد وقع وسمع رصاد الراديو البريطانيون أحد الالمان يقول لطياري المطارات الليلية الالمان الذين يأتمرون بأمره : (حذار من صوت آخر) ، وحذرهم من أن (يضللهم العدو) • وبعد أن انفجر الالماني بالسباب والشتائم تدخل صوت المذيع الانكليزي مقلدا صوت أحد الطيارين وقال : (هذا الانجليزي يسب ويلعن) • فقال الالماني : (ليس الذي يسب الانكليزي بل أنا) • ولم تكد الغارة تشرف على ختامها حتى بلغ من اختلاط الامر عـلى الطيارين الالمان أن صار يشتم بعضهم بعضا •

وتوقع خبراء حرب الاثير من البريطانيين أن يحاول الالمان فضح (الاصوات) الانجليزية التي تفسد عليهم عملهم باحلال امرأة على الميكروفون محل الرجل • فعمد البريطانيون الى اختيار ثلاث مجندات يجدن الالمانية ، ودربوهن أحسن تدريب ، وأمروهن بالتأهب والانتظار • وبعد أسبوع عمد الالمان الى امرأة ترسل الاوامر للطيارين فهبت احدى المجندات الى محاكاة صوتها ونبرتها ، فظل الامر مختلطا على الطيارين الالمان كما كان •••

ومن أنفع الوسائل التي توصلوا اليها في حرب الاثير لتضليل عمال الراديو من الالمان • قدد صغيرة من رقائق الالمنيوم ، وقد أطلقوا على هذه الوسيلة اسم (نافذة) فقد وجد علماء سلاح الطيران أنه اذا ألقي عدد من هذه القدد في الفضاء وكان بعضها قريبا من بعض بحيث لا تتلامس ، فانها تحدث على لوحة جهـاز الرادار شبحا شبيها لشبح الطائرة • فاذا ألقي عدد وافر منها على فترات أطلمت

لوحات أجهزة الرادار (لكثرتها) ، أو تعددت الاشباح الزائفة فيعجز عمال الرادار عن أن يتبينوا أشباح الطائرات الحقيقية .

وقد استعملت وسيلة (النافذة) أول ما استعملت في الغارة الاولى من الغارات الاربع القوية التي محت مدينة (همبرج) ، ولم تبق الا آثارها .. في الاسبوع الاخير من شهر يوليو ١٩٤٣ ، وكان عدد القاذفات المغيرة تلك الليلة (٧٩١) قاذفة ألقت كل منها حزمة مؤلفة من /٢٠٠٠/ ألفي قدة المنيوم في كل دقيقة فوق خط مرسوم يفضي الى الهدف . فاذا فرضنا أن كل حزمة أحدثت (أثرا) في أجهزة الرادار ظل (١٥) دقيقة لعلمنا الاثر المدمر الذي حدث للدفاع الالماني . فقد روى رجال القاذفات المغيرة أن الانوار الكشافة التي توجهها أجهزة رادار كانت تتذبذب في عرض الفضاء أما نيران المدافع المضادة للطائرات التي تسدد بأجهزة رادار فكانت مضطربة غير محكمة وكانت تسدد على الاكثر الى الاماكن التي تجيء منها الاشارات التي تحدثها رقائق الالمنيوم . وأما المطاردات الالمانية التي كانت تعتمد على أجهزة الرادار القائمة على الارض لتوجيهها وعلى اجهزة رادار محمولة في الطائرات للانقضاض على الطائرات المغيرة فكانت عاجزة لاحول لها .

وقد خسر سلاح الطيران البريطاني في تلك العملية (١٢) قاذفة من (٧٩١) قاذفة ، وترجع الخسارة الى لقاء جاء اتفاقا باحدى المطاردات الليلية أو الى مقذوفات مدافع مضادة أطلقت على غير هدى فاصابتها .

فلما أبطلت وسيلة (النافذة) نفع التوجيه بواسطة الرادار ، لجأت المطاردات الالمانية الى أن تستقل كل مطاردة بعملها مسترشدة بعض الشيء بمراقبين على سطح الارض يعتمدون على الرؤية والسمع في تعيين مسارات القاذفات المغيرة ، ويستعينون بالمشاعل والاضواء الكشافة وأجهزة تبين الصوت . وهذه طريقة ضعيفة عقيمة اذا قيست بطريقة الرادار قبل أن تفسدها وسيلة (النافذة) . وقد مهد ضعفها لقائد قيادة القاذفات البريطانية أن يضرب (برلين) ، وهي أهم هدف في حرب الجو فيصيبها في مقاتلها (المناطق الحيوية) .

فلما قدم ربيع ١٩٤٤ كان هجوم البريطانيين والاميركيين الذي استنفد غرضه في أحداث الاضطراب في الاثير على الالمان قد حير الالمان وأربكهم ، حتى

أصبحوا يرسلوا رسائلهم على عشرين موجة مختلفة عسى أن تكون واحدة منها قد أفلتت من الاضطراب الذي يحدثه خصومهم •

وقد تجلت فائدة هذا الهجوم البريطاني الاميركي في الساعات الفاصلة التي سبقت ساعة النزول في (النورماندي) •

كانت غارات الحلفاء التي سبقت الغزو قد أنزلت بنظام الرادار الالماني على ساحل أوربا الغربي وهناً خطيرا • ولكن الالمان كان لهم بين (شربورج) ونهر (السكلت) أكثر من مائة محطة رادار ، وكان معظمها لا يزال قائما ، يعمل في الايام التي سبقت (يوم الغزو) • فلم يكن بد لقواد الحلفاء من أن يضللوا عمال هذه المحطات ويذروا الرماد في عيونهم حتى يكفلوا النجاح للجيوش التي ستهبط على ساحل (النورماندي) ، اذ لا بد من أن يطمس بصر محطات الرادار الالمانية القائمة في منطقة الغزو نفسها ، لان النجاح الاول مرهون بالمفاجأة ، ثم لا بد لمحطات الرادار الالمانية في بعض المناطق الاخرى من أن تتوهم أنها ترى أشياء تحملها على الظن أن قوات الغزو مقبلة عليها (مصيدة) •

ولتنفيذ هذا الغرض نفذ الخبراء خطة كانوا قد أحكموا وضعها ، ومن ثم تجربتها ، مؤلفة من خمسة أقسام •

وقد نفذت هذه الاقسام الخمسة معا في وقت واحد في ليلة ٦/٥ يونيو ١٩٤٤ حين عبرت قوات الغزو بحر المانش متجهة الى شبه جزيرة شربورج كان الالمان موقنين أن الحلفاء سيحاولون النزول فوق مدينة (الهامز) ، وفي منطقة (بادة كالية) على الارجح ، فنجاح الخدعة التي دبرها الحلفاء كان وثيق الصلة بهذا اليقين• ولذلك أقلعت (١٨) سفينة حربية بريطانية صغيرة متجهة الى (كاب دانييفر) فوق الهافر بسرعة ثماني عقد بحريةفي الساعة لكي توهم الالمان أن النية معقودة على نزولالجيوش فيتلك المنطقة من ساحلفرنسا•وكانت كل سفينة منها (تجر) بضعة بالونات منخفضة فتحدث في لوحات الرادار الالمانية أثرا قويا يدل على سفن دانية من الساحل الفرنسي •

لكن الالمان كانوا خليقين أن يدركوا بعد قليل ضعف هذه القوة البحرية، فلا تنطلي عليهم الحيلة ، ولذلك طارت فوق هذه السفن وعلى ارتفاع قليل اثنتا

عشرة طائرة حليفة جعلت تلقي حزما من رقائق الالمنيوم بمعدل حزمة (كل دقيقة) لكي توهم الالمان أن قافلة عظيمة متجهة الى فرنسا ، وصار عمال اللغط في كل طائرة يواصلون عملهم حتى يمنعوا الالمان من تبين الحقيقة وفضح الحيلة . وقد اقتضى تحقيق كل هذا أن تعين مواعيد كل جزء من الخطة تعيينا دقيقا ، وأن ينفذ كل جزء في موعده (تماما) . ومع ذلك ظلت الطائرات ثلاث ساعات ونصف تطير فوق بقعة طولها ٢١ ميلا وعرضها ٨ أميال . فتم كل شيء كما ينبغي أن يتم . كان هذا هو الجزء الاول من الخطة ، أما الجزء الثاني فقد اشتمل على تنفيذ خدعة كالخدعة الاولى تجاه بولون . أما الجزء الثالث من الخطة فقد تم في المنطقة الممتدة بين مدينتي (الهافر) و (بولون) حيث ظلت ٢٩ قاذفة من طراز لانكستر مدة أربع ساعات تروح وتجيء ، لكي تستدرج اليها المطاردات الليلية الالمانية فتقصيها عن منطقة الغزو الحقيقية وقد عنيت هذه القاذفات أيضا باحداث اللغط في الرادار الالماني مستعينة بأجهزة خاصة بلغ عددها (٨٢) جهازا . وكان أيضا الهدف من هذه القاذفات أن يحسبها الالمان حرسا جويا للسفن الحربية التي اشتركت في تنفيذ الجزء الأول والثاني من هذه الخطة . وفي نفس الوقت شرع الحلفاء في تنفيذ الجزء الرابع من الخطة ، وكان هدفه توزيع اهتمام الالمان ساعة نزول الجيوش المحملة بالطائرات في النورماندي .

فقبل أن يبدأ انزال هذه الجيوش انطلق سرب من الطائرات البريطانية فوق (الهافر) ، وألقى رجاله بالعشرات من دمى مصنوعة من خشب بشكل جنود المظلات بمظلاتهم ، فنزلت تتهادى في المنطقة التي تحيط بمدينة (فيكامب)، وذهبت طائرات أخرى تلقي في نفس الوقت دمى في منطقة (شربورج) وذلك على يمين المنطقة التي تم فيها حقا نزول الجنود الذين حملتهم الطائرات . وقد ألقى مع الدمى الخشبية قدر كاف من رقائق الالمنيوم لكي يتوهم رجال الرادار الالماني ان الهجوم بالمظلات أعظم مما يلوح بعشرين ضعفا . أما قوات الغزو الحقيقية فقد أقبلت مستخفية تحت ستار كثيف أسدلته الطائرات التي تولت احداث الاضطراب في أجهزة الرادار الالمانية على نطاق لا مثيل له من قبل ، فقد حلقت ٢٤ قاذفة اميركية وبريطانية مجهزة بأدوات اللغط على ارتفاع ١٨ الف قدم ، وأخذت تروح وتجيء فوق خط يبعد عن ساحل الغزو خمسين ميلا ، وظلت

ساعات متوالية ترسل الاشارات التي تحدث الاضطراب في الرادارات الالمانية في شبه جزيرة (شربورج) ولم يقتصر أثر عملها على اخفاء أسراب القاذفات الحليفة التي انطلقت الى حصون الساحل تدمرها قبل نزول الجيوش الحليفة • بل اخفى أيضا الطائرات والسابحات التي كانت تحمل الجنود ، ومنعت الالمان من تبين قوات الغزو نفسها • فلما دنت السفن من الساحل (اشتركت أجهزتها في اطلاق اشارات اللغط والاضطراب • وقد نجحت هذه الخطة أعظم نجاح • فقد ظن الالمان أن السفن المقبلة نحو (بولون) هي تهديد حقيقي بالغزو ، فأطلقوا كل ما بين أيديهم من مدافع وأنوار كشافة ، وهرعت زوارق الطوربيد لكي تعترض سبيل القافلة العظيمة (المزعومة) • ودعا الالمان جميع المطاردات الليلية المتاحة لكي تقاتل قاذفات لانكستر بين (الهافر) و (بولون) لظنهم أن هذه القاذفات لا غرض لها سوى حماية قوات الغزو • وكذلك جمدت منطقة (النورماندي) من المطاردات الليلية الالمانية ، فهبطت فيها الطائرات والسابحات الحليفة المحملة بالجنود،وهي طائرات نقل فقط لا قدرة لها على الدفاع وأما هبوط جنود المظلات المزيفين (الدمى) فقد دفع الالمان الى العمل فورا ، فانتشرت جنودهم لمطاردة هؤلاء بينما نزل جنود الحلفاء على جناحي ساحل الغزو وعززوها • وقد أفضت اشارات اللغط المنطلقة من الطائرات والسفن الى تضليل نظام سفن الرادار الالمانية أتم تضليل ، حتى انه سمع رصاد أمواج الاثير من الحلفاء (جماعة من عمال الرادار الألمان) يؤكدون أن طائرات لانكستر هي في الواقع طليعة هجوم جوي عظيم أرسلته قيادة الحلفاء تجاه فرنسا •

وقد حقق غرض الخطة بأقسامها أبرع تحقيق ، ولم يعرف الالمان أين كان الغزو الحقيقي • ومتى تم الا بعد الساعة ٣٠ر٥ من صباح ٦ يونيو ١٩٤٤ حين أخذت بوارج وقاذفات الحلفاء تقذف عليهم حممها، وكان جهنم فتحت أشداقها •

وبهذا الانتصار العظيم في الحرب العالمية الثانية نرى مقدرة رجال المخابرات على اللجوء الى أحداث ومفاجئات تختصر الحرب بل وتوفر من العتاد والرجال •

المخابرات البريطانية تنتظر جاسوسا :

في شهر تشرين الاول من عام ١٩٤٠ طلبت الحكومة الاسبانية تأشيرة دخول الى

بريطانيا من سفيرها في مدريد لاحد أعضاء حزب (الكتائب) الحزب الذي أسسه الجنرال ، فرانكو ، وكان هذا الشخص مهتما بحركة الشبيبة في أسبانيا ، ويرغب في دراسة الكشفية البريطانية (زمـن الحرب) • واستجابت وزارة الخارجية للطلب وأوعزت للسفير بمنحه التأشيرة المطلوبة،وتمكن الرجل من دخول بريطانيا قادما الى مطار لندن الدولي،أما المخابرات البريطانية الانتلجانس سرفيس فكانت تعرف كل شيء عنه وتعرف أن جميع ماسيشاهده ويعرفه سوف ينقل الى المخابرات الالمانية لكونه عميلا لها •

قام بعض موظفي الانتلجانس سرفيس (بدور) المسؤولين الكشفيين،وذهبوا لاستقباله في المطار ، وهم يرتدون البذلات الكشفية والشورط وأبدوا تجاهه عطفا لاحدود له ، ثم صحبوه الى فندق (أتينوم كورت) ، حيث كانوا قد رتبوا له رقابة يقظة وكانت غرفته مزروعة بالميكروفونات الموصلة الى مركز استماع بنفس الفندق ، وقد زودوه بالهدايا والمشروبات الروحية ، وبشكل عام لم يتركوه يحتاج الى شيء •

وفي ذلك الوقت ، كان الموجود في تلك المنطقة من لندن من وسائل الدفاع الجوي بطاريتان ثقليتان من المدفعية المضادة للطائرات ، صدر الامر لاحداهما بالانتقال الى مقابل الفندق ، وأن تبدأ باطلاق النار كلما اعطيت شارة الانذار سواء ظهرت طائرات معادية أم لم تظهر •

وقامت البطارية بمهمتها على أكمل وجه ، ولما كانت لندن تستقبل كل ليلة غارة على الاقل ، فقد اضطر الجاسوس الى قضاء ليلة في الملجأ وهو يعتقد أن لندن مزروعة بكاملها بالمدافع المضادة للطائرات ، وفي اليوم التالي ، رتبت المخابرات له أمر زيارة المدافع المنصوبة بالقرب من الفندق ، وكانت من المدافع الضخمة عيار ٩٠ ميلمتر وجيء بعدد من الكشافين ليكونوا مبررا لهذه الزيارة •

وبعد فترة ، دعـي لزيارة أخرى في ضاحية وندسور ، ليتفقد بعض أفراد الكشافة ، ومن باب المصادفات التي لا يمكن أن توصف الا بالغرابة والشذوذ ، مرّ الجاسوس الاسباني في طريق تجمعت فيه الفرقة الوحيدة التي كانت مهيأة للحرب في كل بريطانيا ، كما احتشدت جميع الدبابات التي يملكها البريطانيون هناك ، وعندما مر من جانب هذه الوحدات المؤلفة من أفضل الاسلحة والجنود ،

شرح له مرافقه بلا مبالاة بأن مايراه ليس سوى مجموعة صغيرة سحبت من مراكز الدفاع عن الجزر ليسند اليها دورا استعراضيا بحتا ، بالقرب من القصور الملكية وبدت بعض الدهشة على وجه الرجل غير أنه لم يجد مفرا من الاقتناع بذلك . ومرة أخرى ، رتبت له زيارة الى أحد الموانىء حيث تجمعت كل قطعة سالمة من قطع الاسطول الحربي ، وأسر مرافقه الكشاف اليه ان دعما جديدا وسريا يتيح لهم أن يحشدوا في كل ميناء مثل هذا العدد من السفن الحربية للدفاع عنه ، وتقطعت أنفاس الجاسوس، ولكن البوارج الحربية ماثلة أمامه بمدافعها وبحارتها ، وقدم اليه بعض أفراد الكشافة ، ليتفقدهم ، وبدأ يضجر من الكشافة ومن مرافقه أيضا ولكن لم يكن بد من المضي في اللعبة حتى النهاية .

كان أروع نجاح سجلته الانتلجانس سرفيس من وجهة نظر الاخراج الجاسوسي تلك الرحلة التي نظمت له لزيارة ايقوسيا ، والتي قام بها بطريق الجو (١) ، فذهل وهو يشاهد أسرابا متلاحقة من طائرات السبتفاير ، ولم يكن بوسعه أن يعرف أن هذه الطائرات هي نفسها كانت تغيب بين طيات الغيوم لتعود بعد ذلك أسرابا متلاحقة .

وفي ايقوسيا ، شاهد (مناورات) ضخمة تقوم بها الوحدات المدرعة التي سبق ان شاهدها في وندسور ، وقد خشي مرافقه في لحظة معينة . ان يكشف اللعبه ويعرف بعض الجنود أو الضباط ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث لاضطراره للبقاء بعيدا عن المناورات ، وقال له مرافقه : أن هذه ليست سوى فرقة سينه التدريب والتسليح ، وانها في دور التشكيل قبل ارسالها الى أحد مراكز التدريب في قطاع ثان . وبالواقع فان هذه الوحدة كانت قليلة العدد نسبيا ، ولهذا أبعدت عن مهمة الدفاع عن الجزر كما زعم له ، وبالطبع قدم اليه بعض الكشافين في المنطقة (مسايرة لصفته) ، وفي طريق عودته جوا الى لندن ، شاهد أيضا أسرابا عديدة من الطائرات السبتفاير ، ولولا أن مرافقه من المخابرات ويعرف اللعبة ، لما شك لحظة بأن سماء لندن زاخرة بالطائرات ...

وبعد هذه الايام استأذن الجاسوس بالسفر ، بعد ان تقدم بالشكر العميق

---

(١) كان سلاح الجو الملكي البريطاني في حينه يشكو من الضعف في طائراته التي كانت مؤلفة من بعض طائرات (الهريكان) وقليل من الطائرات القاذفة (سبتفاير) .

الى مسؤولي الحركة الكشفية (موظفي المخابرات البريطانية) ، لاهتمامهم به وحسن ضيافته ، وركب الطائرة عائدا الى مدريد ، وفي هذه الحالة لا يمكن لاي مخابرات أن توقف عميلا من هذا النوع لانه لم يقم بأي نشاط تجسسي محظور ، ولم يرسل أي تقرير أو برقية عما شاهده ، أو عرفه ، وبنفس الوقت لم يغب عن نظر المخابرات لحظة واحدة وان كل ماشاهده واطلع عليه كان من ترتيب المخابرات ، بحيث جعلوه يشاهد مارغبوا له بمشاهدته ، وبذلك يكون قد خدم المخابرات البريطانية من حيث لا يشعر فقد التقط عمـلاء الانتلجانس سرفيس في مدريد الرسائل التي أرسلها الى برلين بعد وصوله من لندن وقد وصف في هذه التقارير أن انكلترا قلعـة منيعة صامدة زاخرة بالاسلحة والعتاد ، وقال أيضا في أحـد تقاريره بأن الشائعات التي تتردد عن ضعف بريطانيا وضآلة دفاعها ناجمة عـن البريطانيين أنفسهم وهذه الشائعات هي مصيدة لجرّ الجيش الالماني الى مهاجمة الجزر البريطانية وسحقه على شواطئها عندما يحاول النزول ، ولما كانت هذه المعلومات (موثوقة) كونها من عميل له قيمة ، فقد أخذها الالمان مأخذ الجديه الكاملة حتى أن الغارات الالمانية على لندن قد تقلصت بعد سفر هذا الجاسوس وشرحه عما شاهده من بطاريات المدافع المضادة للطائرات ....

المخابرات البريطانية تستخدم الأموات

استخدمت المخابرات البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية مختلف الوسائل التجسسية المعروفة في هذا القرن ، ولكن لم يخطر على البال مطلقا حتى تاليف هذا الكتاب أن المخابرات البريطانية تستخدم حتى الاموات في خداعها للسلطات الالمانية .

من جملة واجبات المخابرات أثناء الحرب هو تشتيت قوات العدو وتوجيهها الى أماكن متفرقة بعيدة عن أماكن الغزو الحقيقية لهدفين :

١ ــ اضعاف هذه القوات بعد تجزئتها .

٢ ــ تأمين أكبر قسط من الامن والمفاجأة للقوات المهاجمة .

لذلك خطط خبراء المخابرات البريطانية في خريف عام ١٩٤٢ لعملية خداع للسلطات والمخابرات الالمانية ، لم تحدث في أي زمان ومكان من العالم .

تفاصيل الخطـــة :

في خريف عام ١٩٤٢ كان غزو افريقية مقررا من قبل الحلفاء ، وقد تقرر أن تكون جزيرة صقيلة هدفهم المقبل ، وهذه العمليه كانت لا تنطوي على أي عنصر مفاجاة للالمان لذلك قررت المخابرات البريطانيه توجيه القوات الالمانية وجهــة خاطئة ، ومن ثم تشتيت هذه القوات واضعافها وذلــك بالقاء جثة تحمل وثائق مزورة في عرض الشواطىء الاسبانيه ، بحيث تبدو هذه الجثه ، وكأنها جثة ضحية من ضحايا الطائرات الساقطة في البحر ، ويكفي ان تحمل الامواج الجثه الى رمال الشاطىء لكي تقع الوثائق في ايدي (الالمان) . ولكن المخططين من الانتلجانس سرفيس واجهتهم عقبة (طبية) ، وهي لو أنهم ألقوا الجثة على الشاطىء ، فان رئتيها لاتمتلاان بالماء ، ويحتمل التشريح في هده الحالة ، واكتشاف أن الموت حصل قبل الاغراق ، مما يثير الشبهات لدى الالمان بأن القضية مفتعلة •

لم ييأس المخططون لهذه الخدعة . وكتبوا الى مختلف المستشفيات والهيئات الطبية ، يسالونهم تأمين (جثة) رجل يكون قد توفي بمرض يشبه بآثاره آثار (الغرق) ، وعثروا على طلبهم : رجل عمره ثلاثين سنه . توفي منذ مــدة بسيطة (بالتهاب الرئة) ، ولذا فان رئتيه تحتويان على ماء بطبيعة الحال ، توجه اثنان من موظفي المخابرات الى ذوي المتوفي وبدون الدخول في تفاصيل ماترغب المخابرات عمله في فقيدهم . حصلا على موافقتهم . شريطه ان لايذاع اسمه أبدا ، وبذلك اصبح هذا الفقيد منذ تلك اللحظة (الميجر وليم مارتن) من رماة البحرية الملكية ، ووضعت جثته في غرفــة مبردة بينما استمر خبراء المخابرات في رسم خطوط العملية . وتحضير الاوراق والمستندات اللازمة لها ، وتقرر أن تكون الوثائــق الخادعة صادرة من سلطات عليا جدا •

١ ــ رسالةموجهةمن رئيس الاركان المعاون للامبراطوريةالى الجنرال الكسندر قائد الجيش الثامن عشر في أفريقية ، تحتوي على الاسباب شبه الرسمية التي تحول دون حصول الجنرال الكسندر على ما يريد من رؤساء الاركان ، وسطر بشكل عابر بعض الجمل في الرسالة ، والتي يفهم منها بــأن (صقلية) ستكون الهدف القادم للحلفاء •

٢ ــ مذكرة موجهة الى أميرال الاسطول السير كوننهام القائــد البحري الاعلى في المتوسط من اللورد لويس موتنباتن ، يشرح فيها مهمة حامل الرسالة الميجر مارتان ، ولتنتهي المذكرة بهذه الالغاز : أعتقد أنكم ستجدون في مارتان الرجل الذي يناسبكم أرجو اعادته الي فور انتهاء الهجوم فربما استطاع أن يحمل الينا (السردين) فهو متقن هنا ..... ؟

ومن المعتقد أن الالمان تذقوا فيما بعد هذه النكتة الواضحة بعض الشيء ، وحسبوا أن الهدف المقبل للحلفاء سوف يكون (سردينيا) .

كانت الخطوة التالية بعد تهيئة الوثائق ، هي تزويد الميجر (الجثة بهوية نظامية تماما من وحدته العسكرية ، ولكن جميع الصور التي أخذت لوجه الجثة، كانت تظهر بأن صاحب الصورة (ميت فعلا).

ووقعت المخابرات في ورطة ، وجرى البحث في مختلف المناطــق العسكرية والمدنية والاسواق . حتى عثر على شخص يشبه (مارتان) ٨٠٪ فجرى تصويره حالا . وصدرت الهوية النظامية . ووضعت في جيبه كما وضعت رساله من بنك كويد تشعره بانه مكشوف على ٨٠ جنيه . ويجب عليه تغطيه حسابه (ليظهر بمظهر المبذر) .

ولما كــان لجميــع الضباط الشبان مشاكل عاطفية وغراميات . فقد وجدت المخابرات أن يكون لمارتان صديقة تدعى (بام) ، فتاة جذابه . ويحمل في محفظته صورة ورسالتان منها (قام خبراء المخابرات بطي الرسائل عدة مرات وفتحها ، لتظهر وكانها أعيدت قراءتها عدة مرات) [1] كما لم ينسوا أن يضعوا مع اوراقه فاتورة بقيمة ١٥ جنيه ثمنا لخاتم الخطوبة ، كما البس بــلاك حفر عليه اســـمه ووضعت في يده ساعه (أوميغا) [2] ، كما أضيف الى الاوراق في جيوبه قسائم أوتوبيس مستعملة (نصف بطاقه) ، ومفاتيح مختلفة ، وقــد (تخيل) مخططوا

---

(١) من طي الرسائل وفتحها عدة مرات لتظهر وكانها (مستعملة) أي مقروءة تظهر لنا مقدرة المخابرات على التفكير بادق التفاصيل مسبقا لكيلا يكون هناك أي مجال لكشف أي خطة او عميل .

(٢) للحقيقة وليس للدعاية .

العملية أن مارتان ــ رافق خطيبته ــ بام ــ الى المسرح قبل سفره للقيام بهذه المهمة ، لذلك وضع في جيبه ايضا نصف بطاقتي مسرح مؤرخة : /٢٠/ نيسان لمسرحية من تاليف شكسبير كانت تعرض في حينه .

وبعد انتهاء كافة الترتيبات المتعلقه بالميجر مارتان . وما يحمله من وثائق وأوراق خاصة ، تقرر أن تلقى (جثته) في منطقة (هيولفا) . في الجنوب الغربي من اسبانيا ، وبالطبع سوف تحصل المخابرات الالمانيه على صور الوثائق (وهذا ماحصل) ، ثم يسلم الاسبانيون الجثة الى القنصل البريطاني ليجري دفنها .

لم يبق على البدء بالعملية سوى موافقة (ونستون تشرشل) . وفرض عليه الامر ، ووافق شريطة أن يحاط الجنرال ايزنهاور علما بالعملية باعتباره قائدا لعمليات الحلفاء .

ابتداء مهمة الجثة :

بتاريخ ١٩ نيسان ١٩٤٣ . وفي الساعة السادسة (مساء) تحركت الغواصة البريطانية (سارف) وهي تحمل (الميجر مارتان) راقدا في تابوت معدني طوله ١٩٠ سم وقد ملىء بالثلج .

واستغرقت الرحلة الى قرب الشواطىء الاسبانية مدة عشرة أيام وفي ٢٩ نيسان ١٩٤٣ طفت الغواصة على بعد ١٥٠٠ متر من الشاطىء ، بدون أن يشتبه بها أحد وفي الساعة ٤ر٣٠ أخرج التابوت الى السطح وأخرج منه الميجر مارتان حيث نفخت له (سترة النجاة) المسماة (ماي وست) [٣] ووقف طاقم الغواصة وقفة وداع ، تلى أحد الضباط صلات الموت وهم مكشوفو الرأس وحملت الامواج الميجر مارتان (الجثة) الى (مهمته) ، وعلى مسافة نصف ميل القي طوق نجاة من النوع الذي يستعمل في الطائرات (لكي يوحي بأن طائرة قد سقطت) .

تنفيذ المهمة :

في صباح ٣٠ نيسان ١٩٤٣ التقط صياد اسباني الجثة من مكان قريب من الشاطىء وتركها في زورقه ، وأعلم السلطات الاسبانية، فنقلت الجثة الى المستشفى

---

(٣) سمي (طوق النجاة) ، (ماي وست) نسبة الى الممثلة الاميركية الشهيرة (ماي وست) في حينه .

الذي أكد أن الوفاة ناتجة عن الغرق وفي ٢ أيار استلم القنصل البريطاني الميجر مارتان ، وقام بدفنه بالمراسم الدبلوماسية والعسكرية المتاحة له ، في مقبرة مدينة (هيولفا) الواقعة على بعد (٢٢٠) كيلو متر الى الشمال من جبل طارق (هـذا المواطن البريطاني الذي مات بالتهاب الرئة في بلده،ولم تتركه المخابرات البريطانية يستريح في موئته الابدية ، أعادته الى الحياةوأدخلته في القوات الملكية ، واسندت اليه مهمة خطيرة نفذها ، ثم عاد ميتا ليرقد في سلام الى الابد تحت سماء اسبانيا المشمسة) •

بتاريخ٤/٥/١٩٤٢ ، تلقى القنصل البريطاني رسالة (سرية جدا) تقول ان الميجور مارتان كان يحمل (خلافا للتعليمات) وبسبب الضرورة ••• وثائق سرية وهامة جدا وتطلب اليه التدخل لدى السلطات الاسبانية المحايدة لاستعادة تلك الوثائق •

أمـا المخابرات الالمانية في هيولفا فقد بذلت أقصى جهدها لتصوير هـذه الوثائق التي علموا بها من عملاء محليين ، ودفعوا مقابل ذلك مبالغ ضخمة حتى تمّ لهم ما أرادوا •

بتاريخ ١٣ / ٥ / ١٩٤٢ ــ استدعت رئاسة أركـان البحرية الاسبانية الملحق العسكري البريطاني ، وسلمته مظروفا يحوي جميع ماكان يحمله مارتان من الاشياء والوثائق ، وأعلم بأنها كانت محفوظة في مكان آمن جدا • وكتتمة للخدعة واحتراما للميجر مارتان ، طلبت المخابرات البريطانية من القنصل وضع لوحة رخامية على قبر الميجر لاتزال حتى الان تشهد بغرائب المخابرات، كما أرسل أكليل من الازهار من الجالية البريطانيه هناك ، وختاما انزل أسم الميجور وليم مارتان في الزاويه المخصصه لقتلى الحرب في (التايمس) التي صدرت بتاريـخ ٤ / ٦ / ١٩٤٣ استمرارا في الخدعة حتى بعد انجازها •

في شهر تموز،تم غزو صقيلة بانزال ضخم ونجاح تام بعد أن حولت العملية أنظار الالمان عنها ، وهذا اكبر دليل على نجاح الخطه ، ولكن الدليل القاطع على النجاح جاء من الالمان أنفسهم، فالضابط الذي قام بتفتيش وثائق البحرية الالمانيه

بعد نهاية الحرب ، طلب الاتصال برئيس فرع الانتلجانس البحري قائلا له (ان ضابطا عالي الرتبة قد أرسل وثائق خطيرة جدا بطريقة غير قانونيه مما جعلها تقع بأيدي المخابرات الالمانية (يقصد وثائق مارتان) ، وفي مقـر المخابرات الالمانية وجدت صور الوثائق مع ترجمتها الى اللغة الالمانية وتقارير العملاء الذين حصلوا عليها وقد أعد تقرير موجز عن هذه الوثائق ورفع الى الاميرال (كارل دونتز) •

بتاريخ ١٤ / ٥ / ١٩٤٢ ، اجتمعت قيادة الاسطول الالماني مع رئيس فرع المخابرات البحرية وقرروا بعد اطلاعهم على صور الوثائق البريطانية بأن الهجوم الرئيسي الحليف سيكون على سردينيا وليس على صقلية مع عمليات انزال اضافية في اليونان •

نتيجة خدعة المخابرات البريطانية :

١ ـ أرسل الالمان الى اليونان فرقة كاملة من الدبابات ، نقلوها من فرنسا وذلك للدفاع عن طرق المواصلات والمرافىء التي أشير اليها في الوثائق التي كانت مع الميجر مارتان وهذه التحركات لفرقة كاملة من الدبابات (لواء) من فرنسا الى اليونان منعتها من الاشتراك الفعلي في القتال لمدة طويلة (وهذا نجاح المخابرات البريطانية) •

٢ ـ ثبتت القيادة الالمانية الالغام البحرية في عرض الساحل اليوناني ونصبت عليه بطاريات المدفعية الساحلية •

٣ ـ نظمت دوريات بحرية ليلا ونهارا مؤلفة من قاذفات الطوربيد •

٤ ـ في شهر حزيران نقل الالمان اسطولا صغيرا من الزوارق البحرية السريعة من صقيلة الى اليونان (بدل أن يكون النقل بالعكس) •

وفي تموز عندما بدأ الهجوم فعلا على صقيلة ، كان الالمان مشغولين بمراقبة مضيق جبل طارق ، حيث ظنوا أن قوات بحرية سوف ترسل لمهاجمة سردينيا ، وفي وثائق المانية ثانية وجدت المخابرات البريطانية تقريرا يقول:ان ارسال اسطول الزوارق من صقيلة الى اليونان هو الذي أوجد ثغرة قاضية في الدفاع عنها •

ونجاح مهمة مارتان ، وهو ميت مذكور في الاوراق الشخصية للمارشال

رومل نفسه ، عندما أشار الى أن غزو صقلية قد تم بينما كانت القوات الدفاعية الالمانية مشتتة بسبب العثور على جثة حامل بريد دبلوماسي على شاطيء اسبانيا •

وللحقيقة ، فان هتلر نفسه ، قد اطلع على صور الوثائق التي كان يحملها مارتان ، وكان يعتقد مثل جميع ضباطه وكما أوحت له المعلومات بأن هجوم الحلفاء الرئيسي سوف يوجه ضد سردينيا •

وهكذا قدم مارتان اثناء مماته خدمة الى بلده هي إنقاذ ارواح الآلاف : الجنود ، وتوفير الملايين ، بينما في حياته لم يستطع أن يقدم أي عمل نافع بسبب مرضه •

المخابرات البريطانية وراء فضيحة كريستين كيلر :

يملك اللوردآستور قصراً فخماً في كلايفدن بلندن ، وفي هذا القصر الشامخ البعيد عن أعين الرقباء ، كانت تقام حفلات (ماجنة) أو مايسمى الان : (حفلات جنس) ، وتشمل هذه الحفلات (استحمام بعض المدعوات في حوض سباحة القصر وهن عاريات) انسجاما من مبدأ (حسن الضيافة) الذي اتخذه صاحب القصر شعارا له ، ويستغل الضيوف هذا المبدأ الى أبعد الحدود في الاستمتاع المحرم ، وكان من رواد هذا القصر وزير الحربية البريطانية في حينه (جون بروفوميو) الذي شاهد (كريستين كيلر) ذات ليلة تستحم عارية في مسبح القصر وكانت تعمل (بغياً) تحت الطلب الهاتفي ، وهو أرقى أنواع البغاء فأعجبته وتعرف عليها وقد قال عنها فيما بعد بأن لها:جمالاجسديا أخاذا••)وأخذ يتلاقى معها باستمرار ••••

مخبر بريطاني يمتهن (القوادة) الراقية :

بريطاني في الخمسين من عمره يدعى : ستيفان وارد كان يسهل اللقاءآت بين رجال الاعمال ، والسياسيين البارزين والدبلوماسيين الاجانب في لندن ، وبين الفتيات في قصر (اللوردآستور)،وبنفس الوقت ينقل مايحصل عليهمن الاسرار الى المخابرات البريطانية فرع (أم — أي — ٦) وكان بنفس الوقت من رواد نادي (غاريك) الاجتماعي الذى كانت اللقاءآت تبدأ فيه ، ثم ينتقل الجميع الى القصر

، وكانت (كريستين كيلر) على لائحة ـ ستيفان ـ يؤمن لها الزبائن ، فعرضها على الملحق العسكري السوفياتي (يوجين ايفانوف) ، وكان بنفس الوقت رئيس قسم المخابرات السوفياتية في السفارة السوفياتية في لندن ، وكان أول لقاء لهما بتاريخ ٨ تموز عام ١٩٦١ حيث شرب معها الويسكي في القصر ، وبعدها نشأت بينهما (علاقة غرامية) طويلة الامد ، فعرف (ايفانوف) من كريستين أنها تخرج مع (جون بروفوميو) وزير الحربية ، فطلب من صديقه (ستيفان) الذي كان يفرض ارادته عليها أن يقنعها بالعمل مع ايفانوف اي (تتجسس للاتحاد السوفياتي) وتستنطق بروفوميو اثناء لحظات (المتعة) عن موعد (اقدام الولايات المتحدة على على تزويد المانيا الغربية بالاسلحة الذرية) ، وهو لا يدري بان (حكمة المخابرات البريطانية قضت في ان يكون هذا القواد الرافي من عملائها نظرا لحاجتها اليه في مثل هذا الامر الهام) ، وقد نقل اليهم حرفيا طلب ايفانوف ،فطلبوا منه الاستمرار معه أطول مدة ممكنة لتسجيل الادله عليه أولا باول •• ولكن (كريستين كيلر) ،فضحت القضية بنقلها للصحف البريطانية ، رغم محاولة الحكومة البريطانية التي كان يرأسها (هارولد ماكميلان) الطلب رسميا من الصحف عدم نشر (هذه الفضيحة) لانها تؤثر على سلامة الدوله وأمنها ، ولكن الصحافه استمرت في نشر وقائع هذه القضيه وكانت النتيجة :

١ ـ تعرض الحكومة كلها للانتقاد في مجلس العموم البريطاني •

٢ ـ استقالة وزير الحربية (جان بروفوميو) من الوازرة •

٣ طلب مغادرة الملحق العسكري السوفييتي يوجين ايفانوف لندن خلال ثلاثة أيام وفعلا غادرها••••• •) •

٤ ـ استقالة مدير الفرع ـ ام ـ اي ـ ٦ ـ في المخابرات البريطانية •

٥ ـ انتحار (ستيفان وارد) •

٦ ـ الشهرة التي اكتسبتها كريستين كيلر حتى أن قصتها مثلت فيلما سينمائيا •



شارلـز ريني ابن مديـــر المخابرات البريطانية الذي فضح والده

كشف رئيس المخابرات البريطانية لاول مرة :

القي القبض في لندن على تشارلز ريني وعمره ٢٥ سنة وزوجته بتهمة حيازة المخدرات والمتاجرة بهـا واقامة حفلات (جنس) (وتحشيش) جماعيه • وقـد اكتفت الصحف البريطانية بنشر الصور دون الاسماء ، وحتى دون تعليق كعادتها وذلك بناء لطلب (وزارة الخارجية) وشعر رئيس تحرير مجلـة (ديرشبيغل) الالمانية بأن وراء ذلك سرا ، فارسل أذكى مندوبي المجله فورا الى لندن للتعرف على أصدقاء الفتى السجين وزوجته ، ومن هؤلاء عرفوا اسميهما ومن ثم صدرت المجلة وفيها مقال بعنوان : (اعتقال ابن رئيس المخابرات البريطانية وزوجتـه بتهمة حيازة مخدرات ٠٠) وهكذا فضح الابن والده ولاول مرة يتعرف قراء الصحف العاديين على رئيس المخابرات البريطانية بعد أن كان لا يعرفه سوى عدد قليل من المسؤولين • يعدون على أصابع اليد ، وكان هاتفه سريا لا يعرفه أحد ، واسمه غير مسجل في دليل الهاتف ، وعنوانه هو (بواسطة وزارة الخارجيـة البريطانية ــ لندن) ولكي تخفف المخابرات البريطانية من الصدمة صرح أحـد مسؤوليها للصحف : بان ما نشرته المجلة الالمانية صحيح ، وسيأخذ العدل مجراه ثم ختم تصريحه بقوله : لا أظن أن المجلة كشفت سرا خطيرا ، لان شخصية السير جون ريني رئيس المخابرات البريطانية ، كانت معروفة من المخابرات السوفياتية•

مهمة جديدة للمخابرات البريطانية :

بعد أن استلم (موريس اولدفيلد) رئاسة المخابرات البريطانية ، وعـرف نفسه في الوسط السياسي ، عكس الرؤساء السابقين للمخابرات البريطانيه ، دأب

عـلى الخروج بالمخابرات عن عملهـا الروتيني الى الاشتراك بالنشاط السياسي (الموجه) ضد الجيش الجمهوري الايرلندي (الثوار) فقد استدعى في أوائل عام ١٩٧٣ الى مكتبه كلا من الاخوين : كنييث ليتل جون ـ ٣٢ سنة ـ جورج ليتل جون ـ ٢٧ سنة ، وهما من أصحاب السوابق في عالم الاجرام والسطو والاغتصاب ، وطلب منهما الانضمام الى صفوف الجيش الجمهوري ، كثوار مقابل مبلغ /٥٠٠٠/جنيه استرليني توضع باسمهما مناصفة في البنك ، ووعدهما بالمساعدة غير المشروطة ، لقاء تزويده فيما بعد بما يطلعان عليه من المعلومات عن حركات الثوار ، فقبلا العمل فورا ، وقد تمت هذه العملية بموافقة الوزير (جيوفري جونسون سميث) من وزارة الدفاع الذي قابلهما شخصيا ، وتمنى لهما النجاح حيث انخرطا فيما بعد بالثوار وقاما بتزويد المخابرات البريطانيـة ببعض النشاط الذي اطلعا عليه أثناء التدريب ، وبعد مدة استدعيا الى مركز المخابرات ، وطلبت منهما القيام بعمليـة سطو على أحد فروع البنك المركـزي الايرلندي ، وفعلا نفذا عملية سطو مسلحة حيث استوليا على مبلغ (٦٧) ألف جنيه استرليني ، ولكنهما اعتقلا فيما بعد حسب خطه المخابرات ولدى التحقيق معهما ، ونشر هذا التحقيق في الصحف البريطانيه، اعترفا بانهما من اعضاء الجيش الجمهوري الايرلندي (لتشويه سمعة هذا الجيش الثائر واظهاره بأنه يحوي اللصوص والمجرمين) ولكن المسؤولين عن الاعـلام في الجيش الجمهوري الايرلندي ، تنبهوا لهـذه الخدعة واتصلوا بالرأي العام البريطاني لتوضيـح الحقائق ، مما اضطر رئيس الوزراء البريطاني الى فتح التحقيق • عند ذلك اضطر الوزير سميث الى الاعتراف بأنه (زرع) هذين المجرمين بين الثوار بالاتفاق مع صاحب الفكرة (موريس أولدفيلد) رئيس المخابرات البريطانية ـ لكي ينطبق على المخابرات البريطانية (الانتلجانس سرفيس) القول بأنها تتدخل في كل شيء وفي كل زمان ومكان ، حيث تتابع عملها رغم تقلص الاستعمار البريطاني عن بلاد عديدة ،ولكن المخابرات تبقى ما بقيت الشمس تشرق وتغيب •

عشرات المؤآمرات والاغتيالات والانقلابات في شتى أنحاء الكومنولث والعالم تحيكها الانتلجانس سرفيس التي لا صديق لها سوى من يخدم مصالح بريطانيا العظمى •••





مخابرات الصّين الشعبيّة

مخابرات الصين الشعبية :

انها اذا أدرجنا منجزات المخابرات الصينية في هـذا المكان فذلك اقرارا بالحقيقة ، فالمخابرات السوفياتية مشهورة بالقوة والتهديد والعظمة ، والمخابرات البريطانية بالاستقرار والهدوء داخليا ، وتحريك العالـم خارجيا ، والمخابرات الصينية بالمنجزات والاعمال الخارقة لاستتباب الامن في ربوع الصين الشعبية ثم المخابرات الاميركية التي تتميز بالدهاء والنظام .

الحياة في الصين الشعبية :

قبل أن نبـدأ في شرح أعمال وانجازات المخابرات الصينيـة الشيوعيه ، يجب علينا سرد موجز عن الصين الشعبية ، هذا البلد الشاسع ، الذي يبلغ تعداد سكانه اكثر من سبعمائة وخمسين مليون نسمة ، ويتزايد سنويا ١٥ مليون نسمة، ويحكمها حاليا حكام مسنون ينتمون الى الحزب الشيوعي الصيني، وهم الذين قادوا ثورتها حتى ظفروا بالحكم فيها ، وأصبحت الآن الصين من

حيث التحية الصينية التقليدية بضم راحتي اليدين والانحناء بكل احترام الى كل زائر سواء كان صينيا أو أجنبيا • كما قدر دخل العائلة الصينية الواحدة بحوالي ٥٥٠ جنيه استرليني سنويا ، وهو مبلغ ضخم لان جميع حوائجهم الضرورية مؤمنة ومدة العمل ثماني ساعات ويوجد يوم استراحة في الاسبوع للجميع وتعتبر جميع المصانع في الصين مدنا صغيرة فيها أسباب التسلية والتعليم والعناية الصحية ، حتى دور السينما بالاضافة الى وجود نفس المصنع في وسط حديقة جميلة بالورود والازهار ، أما موضوع الزواج في الصين فهو من أيسر وأحسن طرق الزواج في العالم ، حيث يختار الصيني زوجته ويكتب بذلك طلبا الى رئيسه في العمل حيث يحدد موعد القران ، وتتحمل الدولة مصاريف الزواج • وعلى المرأة بعد الزواج أن لا تترك عملها أو تتخلف عن الفحص الصحي المجاني ليحفظ لها حقها في التقاعد مع الايام •

وحين تنتظر الزوجة الصينة حادثا سعيدا (ولادة) تمنح ثلاثة أشهر اجازة تتقاضى راتبها كاملا خلال ذلك ، حتى تضع طفلها وتستريح حسب وصية الطبيب أو الطبيبة المولدة ، لتعود الى عملها • بينما يؤخذ طفلها الى العمارة الخاصة للمصنع لتربية الاطفال على أحدث الطرق الصحية الحديثة بينما تزوره يوميا أثناء فراغها ، ومن المعلوم أن الصيني آمن رجل في العالم ، وباستطاعة أي صيني وضع أي شيء في أي مكان فلا يمد أحد اليه يده حتى انه ليس هناك في الصين شركات تأمين ضد السرقة ، لانه لا يوجد من يفكر بالسرقة ، كما لا يوجد في الصين شركات تأمين على الحياة ، لان الدولة تهتم بكل شيء للفرد الصيني من ساعة ولادته وحتى وفاته •

المخابرات الصينية ونشوءها :

أما المخابرات الصينية ونشأتها شأن أغلب مخابرات العالم من حيث الخطورة ومع ذلك تعتبر دائرة مخابرات جديدة نشأت مع استلام الشيوعيين الصينيين الحكم ، ومهمتها محاربة أعداء الثورة في الداخل ، وملاحقة الاعداء في الخارج لضمان استقرار الشيوعية في الصين كلها • ودائرة المخابرات الصينية تضم بصورة رسمية حوالي مليون موظف رسمي ، تصرف أقل مبلغ يصرف على المخابرات في العالم ، لانه من المفروض على الشيوعي الصيني مساعدة حزبه أو

حكومته دون أن ينتظر حمدا ولاشكورا • ومن واجبات المخابرات الصينية أيضا التجسس على خصوم الصين وأصدقائها ، وعلى الشعب الصيني نفسه لذلك ازداد عدد موظفيها وعملائها بصورة عامة حتى أصبح ثلاثة ملايين شخص ذكورا واناثا (أي أن تعداد عناصر مخابرات الصين الشعبية تعادل سكان دولة بكاملها) •

كيفية انتقاء موظفي المخابرات الصينية :

عندما ترغب المخابرات الصينية في ادخال موظفين جدد الى جهازها ، فانها تعلن عن حاجة وزارة الخارجية الصينية الى موظفين في السفارات والقنصليات والمؤسسات الصينية المختلفة في الخارج•ويشترط في القبول كون المتقدم يختلف في الملامح والشكل عن الصيني ، وهكذا يتقدم المئات للوظيفة فيصار الى اختيار المناسب منهم ، وهكذا يبدأ موظف المخابرات الصيني عمله فيصبح واحدا • من شبكة المخابرات الصينية الهائلة التي أصبحت منتشرة في جميع أنحاء العالم، بعد تدريبه في مدارس المخابرات الصينية •

بعض خطط المخابرات الصينية :

قبل أن نعرف من هو رئيس المخابرات الصينية ، هذا الرجل صاحب العقل الجبار الذي يعمل من وراء الستار حيث تدل منجزاته علىقدرته وعبقريته وجرأته كما أثبت في حالات عديدة بحيث أتعب الغربيين بصورة عامه والاميركيين بصورة خاصة ، وجعلهم لا يعرفون الاستقرار في أميركا اللاتينية أو آسيا او في افريقيا، حيث أصبحت اليد الصينية تظهر علنا في بعض الثورات التي وقعت في بعض هذه المناطق حيث نجد أن المخطط الذي تسير عليه المخابرات الصينية هو الاستيلاء على آسيا من شرقي جبال الاورال في روسيا، الى ما بعد دلك من سهول وبحار • حتى تصبح الصين دولة مؤلفة من ألف مليون نسمة من البشر من جنس واحد ••• حتى ان وزير الدفاع الصيني أعلن عن خطة الصين في السيطرة على ثلثي العالم ، وذلك بتطويق الدول القائمة على شمال المحيط الاطلسي بواسطة الثورات الداخلية وتدبير الانقلابات في الدول المتأخرة• وتفسر المخابراتالصينية خطتها هذه بأنه حين تنتصر الشيوعية تنتهي متاعب المعذبين في الارض ويعم السلام في الارض ••

أقسام المخابرات الصينية واختصاص كل منها

للوصول الى حقيقة المخابرات الصينية وأسرارها وطريقة عملها وتخطيطها والرجوع للبحث عن العقل المدبر وراء هذا الجهاز الرهيب نجد أن المخابرات الصينية تقسم الى أربعة أقسام وهي :

١ ــ القسم الاول ويتبع وزارة الخارجية الصينية •
٢ ــ القسم الثاني ويتبع الحكومة مباشرة •
٣ ــ القسم الثالث ويتبع قيادة الجيش •
٤ ــ القسم الرابع ويتبع الحزب نفسه •

وكل جهاز من هذه الاجهزة الاربعة يعمل مستقلا عن الآخر ، ولكن هذه الاجهزة جميعها تلتقي بواسطة رؤسائها تحت سيطرة الحزب مباشرة• أما الاجهزة والدوائر المتفرعة عنها فانها تعمل لوحدها ، وقد علمنا أن بعض أعضاء الحزب الشيوعي الصيني يعملون في الدوائر كموظفين أو مراقبين، وهكذا يتمكن رئيس المخابرات بالذات مراقبة كل شيء ، وان هؤلاء الاعضاء يقدمون تقارير تتضمن ما يصل اليهم من معلومات ذات شأن فتجمع هذه التقارير ويجري التحقيق فيها ومقابلة ما جاء فيها من وقائع بما يكون لدى الرئاسة من معلومات من مصادر ثانية عن نفس الموضوع وهكذا تتم مراقبة جميع الاجهزة وتقدير الصدق في تقارير كل جهاز لوحده •

واذا بدأنا في شرح أعمال هذه الاجهزة وجدنا أن الجهاز الاول الذي يتبع وزارة الخارجية جهاز دقيق جدا ، وخفي وهو خاص بالاخبار الخارجية والعمل الخارجي ، ويقسم الى قسمين أيضا ، ويسمى بالصينية (هاي واي) •

١ ــ قسم لجمع والتقاط الاخبار وفحصها جيدا •
٢ ــ قسم للعمل والتنفيذ •

أما الجهاز الثاني فيتبع وزارة العدل ، ومن ثم الحكومة واسمه بالصينية (باوتنشو) • ومن شأن هذا الجهاز مراقبة الاجانب في الصين،والسيطرة ومراقبة البوليس الصيني نفسه ، وهذا الجهاز ينفذ أعمال السخرة التي تفرض على

المعارضين أو المعادين للشيوعية والحزب ، ومن مهمات هذا الجهاز أيضا توزيع العملاء على السفارات الصينية في الخارج لمراقبة الموظفين واخلاصهم .

أما الجهاز الثالث فيتبع الجيش وهو قوي يتجسس على العسكريين من جميع الرتب للتأكد من اخلاصهم للحزب الشيوعي بالاضافة الى مراقبة البعثات العسكرية والملحقين العسكريين في الصين وفي الخارج .

أما الجهاز الرابع وهو الجهاز التابع للحزب مباشرة ، وهو اكثر الاجهزة تكتما ومهمته التجسس على كل انسان في الصين تقريبا . وقد علمنا أن هذا الجهاز يتجسس حتى على أعضاء الحزب من كبارهم لصغارهم ما عدا رئيس الوزراء ورئيس الدولة . ولهذا الجهاز الرابع اسم لطيف وجذاب هو (دائرة الاعمال الاجتماعية) ، ومكتبه في عمارة تقع في الشارع /١٥/ في بكين . ومثل هذه المسؤولية الضخمة لا يمكن أن يتحملها انسان واحد ، مها بلغ من الذكاء . ولكن اذا راجعنا تاريخ الجهاز الرابع وجدناه قد أسس منذ خمس وعشرين سنة، وأول رئيس له هو (كانغ شي) ، وقد قتل في ظروف غامضة عام ١٩٥٢ . وجرى تعيين الجنرال (لي كونونغ) ليحل محله ولكن مصيره لم يكن خيرا من مصير سلفه ، حيث قتل أيضا في ظروف غامضة بعد عشر سنوات من ادارته الجهاز ١٩٦٢ ، وبعد ذلك أصبح الجنرال (تشوتايننغ) مدير قسم (هاي واي) يرأس أيضا القسم الرابع . وهذه الطريقة في تسليم شخص واحد ادارة قسمين من أكبر أقسام المخابرات الصينية تدل على أن (تشوتايننغ) ذو أهمية خاصة .

من هو رئيس المخابرات الصينية :

بعد هذه المعلومات عن الصين الشعبية وعمل مخابراتها وأهدافها وفروعها يحق للقارىء أن يتساءل : من هو الرئيس الفعلي لهذا الجهاز الرهيب ؟ من هو الرجل الغامض الذي يشرف على هذه الاجهزة كلها ؟ ويتحمل مسؤولية أعمالها ولا مسؤول بعده الا رئيس الوزراء ؟ انه الجنرال (لوجو شيننغ) هذا الرجل الحديدي الذي ولد في مدينة (ستشوان) عام ١٩٠٧ ، ودرس بعد حصوله على الشهادة الثانوية بالكلية العسكرية ، ومن ثم انضم في عام ١٩٣٤ الى اللجنة التنفيذية للمؤتمر الصيني الشيوعي عام ١٩٣٧ ، وعين ضابطا سياسيا في جامعة يوثان ، حيث استقر الشيوعيون فيها بعد هزيمتهم وجعلوها منطقتهم ، بعد أن

ساروا مسافة ستة آلاف ميل للوصول اليها ، ومنهم من عاش في المغاور والكهوف على حدود منغوليا مع ماوتسي تونغ ، لقد استفاد ماوتسي من الجامعة كمركز لتدريب رجاله على حرب العصابات وبث الدعوة الشيوعية بينهم اما (لوجو شينغ) فقد أرسله ماوتسي الى المنطقة العسكرية في (شاتتونغ) ليكون قائدا ، كما عينه بعد ذلك عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ، ومن المعروف أن هذا المركز لا يرقى اليه الا من تثبت جدارته واخلاصه العميق للحزب ، وكان (لو) قد بلغ في هذه المرحلة الثالثة والثلاثين من عمره ، وبعد ذلك اختير ليكون مدير التوجيه المعنوي بالجيش ، ثم أعيد في عام ١٩٤٣ نائبا لرئيس جامعة يونان • وحين كان الشيوعيون ينتصرون على خصومهم في عام ١٩٤٩ انضم (لو) الى (بنغ شن) لتنظيم الادارة المدنية في بكين وعند ذلك تبدل مركزه وانتقل في عدة أعمال منها أنه عام ١٩٤٩ أصبح مسؤولا عن الامن العام أمام (ماوتسي تونغ) وفي عام ١٩٥١ عين وزيرا للامن العام فأصبح يسيطر على أجهزة البوليس المتفرعة وأصبحت تخضع لسلطاته منطقة يعد سكانها أكثر من أربعمائة مليون نسمة • وفي عام ١٩٥٣ امتد سلطانه باستلام مخابرات الصين العامة والجيش نفسه ، ومما يدل على عظمة مكانته أنه صدف أن ثار اثنان من قادة الجيش في الصين عام ١٩٥٤ على قرار اخضاع الجيش للحزب ، واعتبر ماوتسي تونغ ثورتهما تمردا ، وأمر (لو) باعدامهما ، ونفذ الحكم فيهما فورا ، وبعد هذه المناصب العديدة عين (لو) عضوا في مجلس الدفاع الوطني ، وفي عام ١٩٥٥ رقي الى رتبة جنرال في الجيش الصيني ، حيث أصبح سلطانه لا حدود له • وصرح بنفسه أن أجهزة المخابرات والبوليس التابعة له تقوم بواجبها خير قيام • غير أنه عاد وصرح في عام ١٩٥٨ أنه يأسف لظهور بعض حالات الاهمال واللامبالاة في الحزب، واعترف أنه خلال عامي ١٩٥٧ و ١٩٥٨ أمر بتشكيل ٧٥٠ ألف لجنة تحقيق ، واتهم حوالي مليون وستمائة ألف شخص بالاشتراك بـ ٣٢٨ ألف حادثة معارضة أو اشتباه ، وانه اكتشف ٣٠٠٠ متآمر و ٢٦ ألف شخص من المشبوهين الفاسدين، وهذه نسبة بسيطة بين أمة تعدادها أكثر من سبعمائة وخمسين مليون نسمة ، واعترف أيضا باكتشاف /٢٢٠/ شخصا فاسدا في المراكز العليا في الدولة ، وبعد مدة نقم ضباط الجيش والجنود عندما طلب منهم (ماوتسي تونغ) التعاون مع

العمال ، ورفضوا التعاون وأصروا على بقاء الجيش في مكانه ، مستقلا عن الحركة العمالية • كما أن الحزب نفسه أصابه القلق من عدم تعاون الجيش مع أجهزة الحزب والعمال وموقفه السلبي، فأصدر ماوتسي تونغ أمره باقصاء رئيس أركان الجيش، وكثير من ضباطه •

ولكي يتأكد الحزب من أن أحدا لن يتجرأ بعد الآن على الاعتراض وعدم تنفيذ أوامر الحزب فقد عين (لو) رئيسا لاركان الجيش ، ولكن تعيين الجنرال (لو) رئيسا لاركان الجيش الصيني لم ينهي الخلاف على الاقل ضمن تنفيذ قرارات الحزب وفرضها على الجيش وجميع شعبه وفروعه بدون مراجعة وحيث أن الجنرال (لين) وزير الدفاع الجديد كان مسنا مريضا لا يقوم بأي عمل الا نادرا لذلك أصبح (لو) الآمر الناهي في وزارة الدفاع بالاضافة الى كونه رئيس أركان الجيش ومدير المخابرات وسكرتير الحزب وعضو مجلس الدفاع الوطني وما جاء عام ١٩٦٥ حتى اختير الجنرال (لو) نائبا لرئيس الوزراء وبذلك التعيين أصبح الجنرال (لو) قد ظفر بمناصب خلال ستة سنوات لم يحصل عليها أحد من قبله ، في أية دولة •• وقد أصبح مصدرا لجميع السلطات ، حتى ان نشاط جميع الجواسيس في الداخل والخارج كان من توجيهه بالذات•ولم يكن مسؤولا أمام أحد عن تصرفاته المطلقة سوى أمام رئيس الوزراء ، وقد بدأ يوعز بتحريك الثورات في البلاد الثانية بعد أن استتب له الامن في الداخل ، وبدأ بالايعاز الى عملائه بتخطيط الانقلابات في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية • وهذه الخطوة لم تتخذ الا بعد الاستقرار الداخلي في الصين،حين أصبح (لو) يختار الجواسيس ويبعث بهم للتدريب على أعمال الجاسوسية مع أن الجواسيس الصينيين لم ينجحوا نجاح الجواسيس الروس والاميركيين وغيرهم بسبب مظهرهم كصينيين، بحيث أن المرء يعرفهم من النظرة الاولى ، ومع ذلك فقد أثبتوا براعتهم في بعض الحوادث والمؤامرات ، ولكي تتستر المخابرات الصينية على أعمالها التجسسية قامت بانشاء (وكالة الانباء الصينية) ، واختير جميع رجال الوكالة من الحزب الشيوعي الصيني المحترفين ، وأسس لهذه الوكالة فروع في كل من لندن وطوكيو وباريس ومكسيكو ستي والقاهرة ودار السلام وبيروت ، ويرأس هذه الوكالة

(كاوليانغ) وآخر مكان لعمله قبل رئاسة الوكالة كان في دار السلام ، وينحصر عمله في أي مركز يوجد به في تنظيم الجبهات والجمعيات للقضاء على المعادين للشيوعيين ، ويغذّي هذه الجماعات بالمحاضرات والنصائح والمال المتوفر لديه وكان يعاونه في التنقل بين هذه المراكز الكولونيل (كان ماسي) ، وهو يجيد اللغتين الانكليزية والهندية واختصاصه في حرب العصابات حيث كان يعمل في السفارة الصينية في الكونغو برازافيل عام ١٩٦٤ ، وقد قام بتدريب المئات من الثوار الكونغوليين على حرب العصابات لقلب حكومة ليوبولدفيل ، حتى انهما اتهما بتدبير مقتل رئيس جمهورية (بوراندي) ، مما دعا بوراندي على قطع علاقاتها من الصين الشعبية ، وقد بدأ الصينيون باستخدام الآسيويين بايعاز من الجنرال (لو) ، ومنهم الإندونيسيون الذين استخدموا قسما منهم في الهند وفي اندونيسيا نفسها .

عودة المشاكل إلى الصين

في أوائل عام ١٩٦٧ تواردت الاخبار من الصين عن حصول بعض الاضطرابات في عدة مناطق ، وذلك بين الحرس الاحمر والمعارضين من الشباب البورجوازيين ، لذلك سارعت المخابرات الصينية الى الغاء بعض أعمالها فيالبلدان الثانية ، ما عدا آسيا حيث تفرض عليها سياستها أن تبقى مطلعة على كل شيء فيها . وحصرت معظم مهامها في الالتفات الىالمعارضة بينما حافظت على تولي المهام الآتية خارج الصين :

١ ــ مساعدة مؤيدي الصين بحذر (مثل مساعدتها لفيتنام الشمالية) .

٢ ــ افتعال أحداث في جميع أنحاء العالم لالهاء الولايات المتحدة .

٣ ــ جر الاتحاد السوفياتي الى التدخل في المشاكل التي تثيرها باسم الشيوعية .

٤ ــ التدخل من تحت ستار في بعض الدول ، ثم تحميل هذه الدول المسؤولية كما حدث في اندونيسيا عندما كان الرئيس أحمد سوكارنو ــ الرئيس المطلق لاندونيسيا حيث بلغ عطفه على الشيوعيين الصينيين ذروته مما أدى الى اعلان أندونيسيا المجابهة مع ماليزيا .

وكما ذكرنا أن الصين ألغت ارتباطها في بعض الدول ما عدا (آسيا) ، وسبب اهتمام الصين بآسيا وهو وجود مصالح عديدة ـ حيث يوجد العديد من التجار الصينيين والجالية الصينية في كل من تايلاند ـ بورما ـ سيلان ، وأغلبهم من الشيوعيين بالاضافة الى العديد من أبناء هذه البلاد الذين انتسبوا للحزب الشيوعي بعد اقتناعهم بالعقيدة الشيوعية ، وهؤلاء جميعا مع عدد من الضباط المختصين الموفدين من المخابرات الصينية تعتبرهم (بكين) النواة أو القدوة لكل انقلاب أو حادث تعتزم القيام به في تلك المناطق . بينما نسمع أنه في أوائل عام ١٩٦٩ اختفت المعارضة في الصين نهائيا وعادت الصين الى التطلع الى بنـاء جيشها وجهاز دفاعها خصوصا الاسلحة النووية التي سوف تصبح قريبا تضاهي أميركا بل روسيا .

واذا رجعنا الى عنصر المخابرات في الكتاب نجد أنه من الصعب على الصين التجسس على اميركا لمعرفة أسرارها، بسبب عدم وجود سفارة أو تبادل ديبلوماسي بينهما سابقا ، لذلك تكتفي المخابرات الصينية بالحصول عـلى أخبار الولايات المتحـدة السياسية والاقتصاديـة من بعض الصينيين الذين يحملون الجنسية الاميركية،حيث يعمل بعضهم مختارا والبعض الاخر تحت الضغط . وأغلب الانباء عن أميركا تحصل عليها المخابرات الصينية من مركز شركة وكالة الانباء الصينية في مكسيكو وهذا المركز يديره رجلان من أقدر عملاء الصين هما (ووشو) والثاني (شنغ بين) ، حيث يديران الوكالة للتجسس ضد أميركا بواسطة بعض المكسيكين من الذين أغروهم بالمال .

في عام ١٩٦٦ أسست المخابرات المركزية الاميركية بالتعاون مع مكتب التحقيق الاتحادي مدرسة خاصة للتدريب على مكافحة التجسس الصيني الشيوعي، حتى يكون المتدربون على استعداد كامل لمجابهة المشكلة في حال قبول الصين في الامم المتحدة ووصول مندوبيها الى نيويورك ، وأكثرهم من رجال المخابرات وفعلا كان رعب المخابرات المركزية الاميركية في محله وقبلت الصين في الامم المتحدة فيما بعد ... ؟ ودخلت المخابرات الصينية الى قلب الولايات المتحدة .

ان أميركا ومخابراتها دائما تشيع أن في الصين اضطرابات داخلية ، وان الوضع غير مستقر فيها ، حتى ان المخابرات الاميركية تؤكد أن الصين مقبلة على تطور سياسي داخلي خطير مثلما جرى في الاتحاد السوفياتي بعد وفاة ستالين وهم يقولون ان الصين يحكمها شيوخ يتراوح متوسط أعمارهم الستين عامـا وهؤلاء لا يثقون بأحد من الشباب الصيني الناشيء بالرغم من تعليمه وتغذيته بالعقيدة والدعاية الشيوعية لا يزال لم يتمرس على مشقات الحياة ، هذا ماتشيعه المخابرات الاميركية ، أما الحقيقة فهي أن الحزب الشيوعي الصيني مدرك كل الادراك ما يشناع ضد الصين لتفرقة الصفوف واللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني تجتمع دوريا للتداول في أمور الصين ومستقبلها وقد علمنا من بعض المصادر الموثوقة أن الرأي قد استقر على تسليم ليوشوشيليو الزعامة قبل وفاة (ماوتسي) وهو أذكى رجل في اللجنة المركزية للحزب ومع ذلك فهو كبير السن ولكن اختياره وهو في هذا العمر ليس الا تمهيدا لتسليمه الجنرال (اليوجوى شينغ) الزعامة بعده لانه يملك من الذكاء والسلطان والاخلاص للحزب ما يفوق الوصف ، وهو المشرف على الدولة بأجمعها ، ولننتظر مع الايام القادمة لنعرف مجريات الامور في الصين حسبما قدرنا مع أن المصادر الوحيدة لاخبارنا عن الصين وما يجري فيها تأتينا عن طريق هونغ كونغ وبعض العائدين من الصين بعد أن أنهوا سنين عديدة من الخدمة في السلك الديبلوماسي • وهؤلاء بالطبع شاهدوا وعرفوا العديد من الامور التي يتحدثون عنها لدى عودتهم لاوطانهم • ولو أن بعض الذين يصغون لهم آذان خاصة •• ؟

تقدم الصين في عالم الذرة لاثبات وجودها وقوتها :

سبق أن شرحنا بأن الصين تقصد من تقدمها وتفجيراتها الذرية الضغط على أميركا والدول الدائرة في فلكها ، لتسمح بدخولها للامم المتحدة في حينه وتثبت وجودها ، وبالفعل حصلت على ما أرادت ، وقد علمنا أن الصين لجأت الى أسهل الطرق لصناعة قنبلتها الذرية الاولى • ثم ضاعفت جهودها لصناعة الصواريـخ

الموجهة حاملة هذه القنابل الذرية الى أبعاد مختلفة وأهداف مدروسة ، ومن أهم علماء الذرة الآن في الصين هو الدكتور (تشيني هسر) المدرس السابق في أميركا والذي اشترك مع العلماء الاميركيين في صناعة الصواريخ وترك أميركا ليعود للصين في عام ١٩٥٥ وهو الان يشترك بصناعة الصواريخ الموجهة بعد الانتهاء من انتاج القنبلة الذرية ، كما علمنا أن للصين الان عدة مواقع لاطلاق الصواريخ حاملة القنابل الذرية ، والتي يصل مداها الى أكثر من ٦٠٠٠ كيلو متر كما أنها صنعت صواريخ عابرة للقارات ، وهذا التقدم الملموس في صناعة الذرة في الصين يذكرنا بحادثة جرت عندما كان خروشوف رئيسا لوزارة الاتحاد السوفياتي قال للصينيين ان صناعة الاسلحة الذرية يكلف الصين كثيرا حتى لن يبق لدى الصينيين ما يصنعون به البنطلونات لابنائهم ، ولكن الصينيين أكدوا أنهم سوف يصنعون الاسلحة الذرية حتى ولو كلفتهم البنطلونات نفسها • ومع ذلك ساعدت روسيا الصين في صناعة الاسلحة الذرية حتى عام ١٩٦٠ ، وحين شعرت روسيا بأن الصين تسير بخطى سريعة في هذه الصناعة أخذت تضع العراقيل والشروط للتعاون الذري،حتى حدث الخلاف بينهما ، وتابعت الصين المسيرة الذريةوحدها، ونجحت وهي تؤكد أنه مهمـا كانت درجة الفقر في الصين فانها لن تستسلم لتهديدات أميركا ، وتصل الاخبار من الصين عن اجراء تجارب على صواريخ بعيدة المدى • بالاضافة الى امتلاكها القنبلتين الذرية والهيدروجينية وضعها في مركز دولي ممتاز • واذا ما قارنا بين الاسلحة الذرية الاميركية نجد أن اميركا تملك قوة ذرية كبيرة منتشرة حول حدود الصين بالاضافة للاسطول السابع المزود بالاسلحة الذرية أيضا ، كما أنها وزعت قواعد صاروخية موجهة للصين في بعض البلاد المجاورة لها في آسيا مع وجود الغواصات من طراز بولاريس حاملة الرؤوس النووية ، التي حدد لها توجيه قذائفها للاراضي الصينيـة من البحر مع مساندة القوات اليابانية•وفرموزا مسلحةبالاسلحة النووية وجميع هذه القوى تعتمد عليها أميركا ، لمدة أقصاها خمس سنوات ، ومع كل هذه الاسلحة التي ذكرناها ، والتي كلفت وتكلف أميركا ملايين الدولارات فانها لا تستطيع تهديد الصين باستخدامها في أي اشتباك قادم ، وتعرف الصين مسبقا أن كل هذا العرض الذري الاميركي (من قبيل سياسة التهديد لاغير) •

إلى أين..؟

وبعد كل هذا البحث ، نتساءل : ما هو موقف أميركا من النزاع الصيني السوفييتي ؟ والجواب بأن أميركا تبقى متجنبة موسكو قدر الامكان في الوقت الحاضر حتى لا تتقارب موسكو مرة أخرى مع الصين • ودائما يضع مخططوا السياسة الاميركية نصب أعينهم احتمال عودة التقارب بين الصين والاتحاد السوفييتي ، لذلك يجب على أميركا أن تعمل على توسيع شقة الخلاف بين موسكو وبكين على أن تبقى على استعداد لعودة الوفاق بينهما ، كما ذكرنا سابقا مع احتمال قيام أميركا بهجوم خاطف على الصين بعد أي مناسبة أو تحرش ، وذلك بقصد تحطيم قواعد الصواريخ الصينية العديدة ، والمفاعلات الذرية ، ولكن الصين تحسب لذلك حسابا زمنيا دقيقا أيضا ، وهي مستعدة بما أصبح لديها من الصواريخ الجاهزة والموجهة الى أهداف حيوية ، حاملة الرؤوس الذرية لرد الهجوم الاميركي بهجوم مضاد يكون ضرره على أميركا أكثر مما يضر الصين بأضعاف مضاعفة ، مع احتمال قيام الاتحاد السوفياتي تلقائيا باعلان الحرب على أميركا بجانب الصين . وتكون الحرب العالمية الثالثة واقعة لامحال إلا اذا قدرت أميركا الصين حق قدرها •••

وآخر أخبار الصين الذرية أن لجنة الطاقة الذرية الاميركية التي تراقب مع المخابرات المركزية الامريكية نشاط الصين النووي أعلنت أن الصين قامت بتفجير قنبلة نووية جديدة ، تعادل قوتها ثلاثة ملايين طن من مادة ال ت ن ت شديدة الانفجار ، وأعلنت اللجنة المذكورة أن هذا هو الانفجار الثامن بهذه القوة الذي تسجله أجهزة الكشف الاميركية • وبالفعل فقد اعترفت الصين بهذا التفجير النووي أنه هدية الى مؤتمر الحزب الشيوعي الصيني في حينه •

منذ [illegible] الاتحاد السوفياتي عام ١٩١٧ اعتبر زعماؤه أن [illegible]
[illegible] صفة وبأي شكل من أهم الأسلحة التي يعتمد عليها • وبالتالي [illegible]
[illegible] شيء من أجل انشاء جهاز مخابرات من شأنه أن يتفوق على أي مخابرات
العالم •





يوجد مثل امريكي يقول: «إذا صافحت رجل مخابرات عد أصابعك». وهذا المثل ينطبق على هذه الصورة التي تجمع ثلاث من رؤساء المخابرات المركزية الأميركية. الن دالاس - إلى اليسار وهو متردد في مصافحة وليم رابورن إلى اليمين خوفاً على إحدى أصابعه بينما وقف ريتشارد هيلمز - ضاحكاً

نشوء المخابرات المركزية الأمريكية

C.I.A.

بتاريخ ١٩٤٧/٩/١٨ أمر الرئيس الاميركي في حينه (هاري ترومن) بانشاء المخابرات المركزية الاميركية (C.I.A.) التي أصبحت الان من أقوى المخابرات في العالم، وذلك لتحل محل « مكتب الخدمات الاستراتيجية » سابقا .

كيف تعمل المخابرات المركزية الاميركية :

في الساعة التاسعة من صباح كل يوم . وقبل أن يقوم الرئيس الاميركي في مكتبه (البيت الابيض) بأي عمل (رسمي) يقدم له الضابط المناوب في رئاسة المخابرات تقريرا سريا مؤلفا من صفحتين او ثلاث صفحات[1] هو (موجز) عمل

---

(١) ويعرف هذا التقرير (بالنشرة اليومية) ، وكان الرئيس جونسون يطلب من المسؤولين في المخابرات الاميركية تقديم ما يحصلون عليه من الفضائح عن حياة بعض زعماء العالم ليطلع عليها باهتمام زائد ، وبسبب كون رئيس الولايات المتحدة هو المستهلك الوحيد لنشاط المخابرات فان له الحق في طلب معلومات اضافية وأفضل .

بضعة آلاف من الرجال والنساء موزعين في جميع أنحاء العالم ، وصل عددهم في يوم من الايام الى (٢٥٠ ألف موظف وجاسوس) ، هم أعضاء جهاز المخابرات المركزية الاميركيه (.C.I.A) . كما ان هذا الموجز الذي يقدم صباح كل يوم للرئيس الاميركي قد صرف عليه عشرات الوف الدولارات (ميزانية المخابرات الاميركية سنويا أكثر من مليار دولار) ، وعلى ما يحتوي هذا التقرير أوعلى كلمات يسطرها الرئيس الاميركي بالقلم الاخضربجانب احدى فقرات هذا التقرير التقرير يتوقف مصير دولة أونظام حكم ، أو الموافقة بالقيام بانقلاب ، وقد يأتي يوم من الايام يتوقف مصير العالم على ما يحوي هذا التقرير ، مثلما حدث أثناء الحرب التحريرية التي شنتها مصر وسورية ضد اسرائيل في تشرين /١/١٩٧٣، حيث ذكرت المخابرات الاميركية للرئيس الاميركي في تقريرها بتاريخ ٢٤/١٠/ ١٩٧٣ بأن قطعة بحرية روسية حاملة صواريخ تحمل رؤوسا نووية قد اتجهت الى الاسكندرية لتنفيذ تهديد روسيا لاسرائيل بردعها ، اذا هي لم تستجب لقرار وقف اطلاق النار . فما كان من الرئيس نيكسون الا ان أصدر أوامره باعلان حالة التأهب القصوى لجميع القوات الاميركية ، حتى اتضح الامر بأن هذه القطعة البحرية ليست سوى باخرة تجارية .

كيف تجمع مواد تقرير المخابرات الاميركية اليومي :

١ ــ رسام عجوز في موسكو يبيع لوحة فنية الى سائح (غربي) .

٢ ــ في برلين الشرقية يلتقي سائق تكسي بجندي الماني شرقي .

٣ ــ في باريس مراسلة صحفية أميركية تتحدث مع موظف فرنسي كبير في بار قرب دار الأوبرا .

٤ ــ في أنقرة خادم مقهى يتحدث الى المستشار العسكري للسفارة الروسية.

٥ ــ في فينا سيدة محترمة تستقبل ابن عمها العائد من هنغاريا ، وتعرفه على صديق لها يعمل في شركة تتعاطى تجارة المشروبات الروحية .

٦ ــ في لبنان سائح يشرب فنجان قهوةمع صديق في أحد مقاهي الجنوب .

هذا على الارض أما في السماء فالعجب العجاب :

قمر صناعي على علو /٢٥٠/ كيلو متر يلتقط ويسجل رسائل سرية بين غواصة ذرية تابعة لحلف وارسو وبين وزارة الدفاع في موسكو .

بدء العمل في مكاتب المخابرات الاميركية :

صباح كل يوم وفي الساعة الثامنة تبدأ المخابرات الاميركية عملها في مكاتبها بالمركز الرئيسي الكائن في ضاحية (لانغلي) التي تبعد ١٥ كيلو متر من واشنطن. فنجد أن الخبراء يقرأون رسائل الرسام الروسي والسائق الالماني والصحفية الاميركية والخادم التركي والسيدة المحترمة وغيرهم ، ويحللون ما بهذه الرسائل ويضيفون اليها ما جمع من أميركا بالذات ، ثم يقومون بنقلها الى أوراق خاصه تدخل الى العقل الالكتروني ، وهو الاحدث من نوعه في العالم ليقول فيها كلمته الاخيرة ، ويصنفها حيث يستخلص منها ما يقدم صباح كل يوم الى الرئيس ليبدأ به عمله . وهذه العملية أصبحت روتينية منذ انشاء المخابرات عام ١٩٤٧ . وكما ذكرنا في هذا الكتاب أن المخابرات موجودة في كل بلد ، وتختلف قوتها بالنسبة للبلد . كما ذكرنا أن التجسس من أقدم المهن الا أنه بعد عام ١٩٤٧ ، وبالضبط لدى بدء الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي أصبحت الجاسوسية في أميركا كل شيء تقريبا ـ بل وتعتبر صناعة وطنية ودقيقة .

في مقرّ المخابرات المركزيّة الأمريكيّة

اذا أردنا دخول مبنى المخابرات الاميركية في مقره في فرجينيا ، فان عدسات تلفزيونية خفية تراقب القادم حين دخوله في الطريق الفرعي المؤدي الى مقر المخابرات ، حيث يفاجأ الزائر بشدة احتياطات الامن . فالحراس المسلحون يرافقون الزائر خطوة خطوة ، ويحملون مفاتيح المصاعد الكهربائية . وجميعهم مدربون (كاراتيه وجيدو) ، بينما تتابع الجميع عدسات التلفزيون التي تنقل للموظفين حركات الزائر . وهناك غرف وصالات لا يمكن للزائر دخولها ، مهما كانت منزلته لانها غرف الخبراء والمهندسين والعلماء والاساتذة الذين يدرسون البرنامج الروسي المقبل لغزو الفضاء ، ويسمعون الاذاعات الاجنبية ، ويترجمون

الصحف الشيوعية ، بما في ذلك الاعلانات السينمائية والاعلانات المبوبة وأبواب الفكاهة . وهكذا نجد أن مهنة المخابرات في أميركا فقدت مظاهرها المشوقة ، ولكن ازدادت هدوءا ورصانة واتناجا ، حيث نجد أن معظم عملائها من المثقفين ، غير أنه يوجد هناك أيضا العملاء (السود) ، وهؤلاء العملاء تتكفل المخابرات بتغيير شخصياتهم قبل أن تتعاقد معهم ، على أن يكونوا من عائلة معروفة وجيدة، ولها ماض ممتاز . ثم يخضعون لتمارين عديدة ، منها تمارين على التعذيب بالاضافة الى دراسة تقنية في تقليد عادات الشعوب التي سيوفدون اليها :حركاتهم ــ عاداتهم ــ قسم من لغتهم ــ كيفية العيش دون لفت النظر (امتهان مهن للتمويه) ، ومنهم من يدرب على تزوير جوازات السفر وتصاريح العمل واستعمال الشيفرة والتصوير بالكاميرات الصغيرة ، وبعد انتهاء فترة التدريب يوفدون الى البلاد التي يوجد مصلحة للولايات المتحدة فيها لانشاء شبكات التجسس التي يكون من مهماتهم اعداد الثورات (كثورة التشيلي) ، أو افشال الثورات بالقيام بعمليات مضادة مع تعليم استعمال القنابل (الموقوتة) والبلاستيكية عند اللزوم .

كل ذلك يكلف المواطن الأميركي (غاليا)من دخله ، ومن الضريبة التي يدفعها صاغرا ومع ذلك لا يتكلم ولا يحتج الا عندما تتدخل هذه المخابرات في حياته الخاصة ، مثل الضجة التي أثيرت في واشنطن بتاريخ ١٩٧٤/١٢/٢٨ لدى اكتشاف آلاف المواطنين الاميركيين (١٠ الاف أميركي) أن المخابرات الاميركية تتجسس عليهم وتراقب حركاتهم وسكناتهم بالميكروفونات الحساسة وآلات التصوير الدقيقة والاستماع الى مخابراتهم الشخصية بالتلفون عند ذلك ثار الاميركيون لكرامتهم، وجعلوا نوابهم يتدخلون في مجلس الشيوخ لاثارة القضيه على مستوى عال جداء مما اضطر أربعة من كبار المسؤولين في المخابرات الاميركية الى الاستقالة والاختفاء من الحياة العامة (مؤقتا) ، ثم تقديم وليم كولبي رئيس المخابرات الاميركية تقريرا مغلوطا الى الرئيس فورد ، مما دعاه لتاليف لجنة تحقيق على مستوى وزارة العدل الأميركية . وتشير الدلائل الى انغماس الدكتور هنري كيسنجر وزير الخارجية الاميركية وريتشارد هيلمز رئيس المخابرات الاميركية السابق وسفير أميركا حاليا في طهران في هذه القضية التي ستسمى (إنغماس المخابرات الاميركية في نشاطات خارجة عن النشاطات التي أسست

لاجلها ...) ، أي قيامها بالتجسس على أفراد الشعب الاميركي خلال عهدي ـ جونسون ونيكسون .

والشيء المهم الذي أزعج الشعب الاميركي أنه يدفع الملايين ، ويعلم كل شيء عن تورط مخابراته في الخارج ، وان ميزانية المخابرات الاميركية السنوية (سرية) رغم كل ما أعلن عنها ، وانها تعادل ميزانية (عدة) دول نامية حتى الكونغرس والبيت الابيض لا يعرفون مقدار هذه الميزانية بالضبط ، وكم من مرة صادق الكونغرس على مشاريع للحكومة بإضافة نفقات الى مشاريع معينة ، دون أن يدري أن هذه الاضافة أخذت طريقها الى صندوق المخابرات وحسابات المخابرات الاميركية أيضا (سرية) ، ويمكن لامين الصندوق في (لانغلي) أن يدفع أي مبلغ دون الحاجة الى ايصالات أو (تبرير). كما أنه ليس على المخابرات أن تبرر للكونغرس طرق صرفها لميزانيتها ولذلك أصبحت المخابرات الاميركية (امارة) مستقلة داخل امبراطورية ، مرجعها الوحيد هو رئيس الجمهورية ، وحتى بعض الامور تشعر أنها ليست بحاجة الى الرجوع اليه ... وعلم أن الرئيس كندي انتهى عندما أقال ألن دالاس .. وان تنصيب وبقاء جونسون كان بفضل (امتداحه) للمخابرات الاميركية وتودده اليها .. وان من أسباب عظمة هذه المخابرات (عدم ادخال عنصر اليهود اليها حتى الان ...) .

غرائب في المخابرات الأمريكية

المخابرات الاميركية هي المخابرات الوحيدة في العالم التي تأتي الغرائب والعجائب في علاقاتها المثيرة،وهي لاتألو جهدا لاقامة أوثق العلاقات مع السياسيين البارزين حتى درجة (رؤساء الدول) ، ويحدث أن تكون المخابرات الاميركية تتصل برئيس دولة ما عن طريق موظفيها ، بينما يكون السفير الاميركي آخر من يعلم عما يجري الاتفاق عليه بين البلاد المعتمد لديها وبلاده ، وفي هذه الحالة يكون السفير لاقيمة له ، وهذا مايؤكد للقارىء أن المخابرات الاميركية فعلادولة داخل دولة ، والعلاقات التي كانت قائمة بين فان ثيو رئيس دولة فيتنام الجنوبية قبل تحريرها وبين رئيس فرع المخابرات الاميركية هناك ، والعلاقات التي كانت قائمة بين راي كلاين رئيس فرع المخابرات الاميركية في (تايوان) الصين الوطنية

ورئيس الوزراء (تشانغ تشينغ كوو) خليفة (تشانغ كاي شيك) في رئاسة الصين رغم وجود (سفير اميركي) في تايوان يدير سفارة اميركية مؤلفة من ست طوابق • ومع ذلك كان لايدري شيئا عما يجري من وراء ظهره بين رئيس الوزراء ورئيس المخابرات الاميركية في تايوان ، ألا يحق لنا أن نتعجب من مثل هذه المخابرات الدولية ؟ •••

استاذ المخابرات الاميركية :

واذا كنا في صدد شرح أعمال ومميزات المخابرات المركزية الاميركية ، فلا يسعنا الا الرجوع الى (الن دالس) فهذا الرجل يعتبر من مؤسسي المخابرات الاميركية لارتباط اسمه بالجاسوسية الاميركية منذ عام ١٩٤٧ • هذا الرجل الذي توفي في أواخر عام ١٩٦٨ عن عمر يناهز السبعين عاماً تاركا وراءه تاريخا حافلا بالمغامرات والمؤامرات والانقلابات والاسرار ، والفضائح وشراء الضمائر في جميع أنحاء العالم ، حيث جعل من الجاسوسية بالنسبة له أكثر من مهنة ، لانها كانت أحب الاشياء اليه • امضى حوالي خمسين عاما ، وهو يسترق السمع من وراء الابواب والنوافذ للحصول على معلومات يحارب بها في معركة الباردة على جبهته الخاصة • فشقيقه جون فوستر دالاس وزير خارجية أميركا الاسبق،كان يحرض العالم على محاربة الشيوعية ، بينما الن دالاس يحركه بالمؤامرات للغاية نفسها . ولكن من وراء ستار •

دخول ألن دالاس المخابرات :

بعد اتمام ألن دالاس دراسته الثانوية التحق بالجامعة حيث تخرج محاميا ، ثم عين في وزارة الخارجية الاميركية ، ثم ألحق بالسفارة الاميركية في فيينا ، وهو لم يبلغ الثالثة والعشرين من عمره • حيث تبدأ علاقته بالمخابرات والجاسوسية في فيينا (ويكتب في مذكراته) عن هذه الفترة : في الواقع كنت جاسوسا أكثر مما كنت دبلوماسيا • وفي سويسرا ارتكب أول خطأ فيحياته التجسسيه عندما رفض مقابلة (فلادمير أوليانوف) ، لانه بعد ذلك لم يحظ بمقابلة (لينين) مطلقا •

وبعد الحرب العالمية عاد (دالاس) الى أميركا ، حيث عمل في قسم الشرق الاوسط في وزارة الخارجية الا أن المهنة الدبلوماسية لم ترق له ، لانه كان يطمح الى افتتاح مكتب للمحاماة فترك الوظيفة وافتتح هذا المكتب مع شقيقه جون دالاس ، ومع ذلك لم ترق له مهنة المحاماة،فعاد الىالاعمالالحكومية (المخابرات بالذات)حيثأوفد الى (بون)وعينرئيس مكتبالخدمات الاستراتيجية هناك،حيثأنشأ علاقاتوطيدةمعجواسيسأوربيين،استطاع بواسطتهمارسالأكثر من ألفي وثيقة الى واشنطن ، ثم أوفد الى المانيا حيث لعب دورا هاما في اطلاع رؤسائه على ما يدور داخل المانيا الهتلرية ابان الحرب العالمية الثانية ، ثم أعيد في ١٩٤٧ الى واشنطن ليبدأ بتكليف رسمي بانشاء (وكالة المخابرات المركزية). وكان التكليف من الرئيس (ترومان) بالذات ، فانتقى للعمل معه في وكالة المخابرات نخبة من الرجال قليلي العدد نسبيا ، لا يحبون الظهور والمظاهر ، وجهدهم محصور في عملهم الخاص (المخابرات) .

وتيجة لبعض الاخطاء قام الرئيس ترومان بابعاد آلن دالاس عن المخابرات، وعين عوضا عنه الجنرال فالتر سميث لرئاستها ، فصبر دالاس على مضض حتى استدعاه سميث وعرض عليه أن يكون مساعدا له ، وأفهمه بأنه حصل على موافقة الرئيس ترومان نظير خبرته في عمليات التجسس والتجسسالمضاد . وبقي دالاس يعمل بصمت ، وهو ينتظر الفرصة لعودته الى القمة (رئاسة المخابرات)[1] .

بعد انتخاب الجنرال ايزنهاور رئيسا للولايات المتحدة أعفى الجنرال سميث من رئاسة المخابرات وأعاد دالاس الى رئاستها ، بينما كان شقيقه جون فوستر دالاس وزيرا للخارجية فحققجميع آماله واقتراحاته بخصوصالاعمال التجسسية حسب خبرته ، وطوال مدة ثماني سنوات . حتى جاء الرئيس جون كندي الى الرئاسة فأقنعه دالاس بامكانية ترتيب غزو الى كوبا من قبل عملاء كوبيين ، تابعين للمخابرات الاميركية وبعض عسكرييها بمساندة بعض قطعات البحرية الاميركية. وأشرف دالاس على التنفيذ شخصيا ، ففشلت العملية فشلا ذريعا ، وأحرجت

---

(١) لأول مرة منذ تأسيس المخابرات المركزية الاميركية عام ١٩٤٧ ستخضع ادارة المخابرات لاشراف الكونغرس المالي ، بعد أن كانت طيلة السنين الماضية (معفاة) من هذا الاشراف بحيث كانت تغرف من مخصصات وزارة الدفاع ما يحلو لها دون أي تبرير ، ومع ذلك فان هذا الاشراف لا يتمكن من أن ينقص لها ما تطلبه ...

أميركا ، وتعرضت علاقاتها مع دول العالم الثالث الى هزات ، وكادت تودي الى مجابهة نووية ، مما اضطر كندي الى تنحية دالاس عن رئاسة المخابرات ، وتعيين المستر (جون ماك كون) عوضا عنه ، وهو من رجال الاعمال البارزين وإداري ممتاز ، بقي في رئاستها الى حين قتل كندي بالحادث المعروف ، ونصب جونسون رئيسا للولايات المتحدة ، فعين الجنرال رابون لرئاستها ، ولم يبق فيها طويلا حتى عين بتاريخ ٣٠ حزيران عام ١٩٦٦ المستر (ريتشارد هيلمز) رئيسا لها ، وهو أول رئيس للمخابرات الاميركية من ضمن جهاز موظفيها ، فهو موظف قديم أمضى فيها عشرين عاما متواصلة ، متنقلا في مختلف وظائفها • واشترك في أغلب أعمالها قام بتجنيد عملاء مزدوجين ، يتعاملون مع المخابرات السوفياتية، ومعهم اشترك بالاشراف الاميركي ، والتدخل في الكونغو ، وهو صاحب الفضل في اشراك المؤسسات الطلابية فيأعمال المخابرات وأوعز بنشر الكتب والمنشورات الدعائية لصالح أميركا ، ومنها مجلة (حوار) التي كانت تصدر في بيروت واتخذ صاحبها موقفا مشرفا عندما تأكد له بأن الاموال التي كان يقبضها لاجل الدعاية والنشر كانت من أموال المخابرات الاميركية أوقف المجلة فورا •

استمر ريتشارد هيلمز في رئاسة المخابرات الاميركية الى أن عينه الرئيس نيكسون (سفيرا) لاميركا في طهران [1] ، بينما انزوى دالاس بعيـدا يراقب (أولاده) (موظفي المخابرات) من المكان الذي عين فيه في اللجنة المالية التي تشرف على تنظيم نفقات المخابرات ، وكان لا يبخل على هيلمز وغيره من مسؤولي المخابرات بمشورته وخبرته ، حتى انه كان يستدعى من منزله في ساعة متأخـرة من الليل أحيانا لاخذ رأيه في مؤامرة تحاك أو عملية تجسس سوف تنفذ ••

النظام الوظيفي لمنتسبي المخابرات الاميركية :

لموظفي المخابرات الاميركية نفس الرتب التي يتمتع بها موظفوا الدوائـر الحكومية الاخرى ، ويقبضون الرواتب المخصصة لهذه الرتب ، مضافا اليها

(١) في هذه المهمة الجديدة يستمر هيلمز في انتسابه الى المخابرات الاميركية ، لأن مهمته الجديدة كسفير ولي عاصمة كطهران تجعله يدير أكبر شبكة للتجسس ، في طهران ويشمل عمل هذه الشبكة دول الخليج العربي •

المخصصات المرتفعة تحت مختلف الحجج والاسماء، ومع ذلك فانهم لا يخضعون للسلطات المدنية . ومن المعروف أن لرئيس المخابرات الاميركية الحق بتعيين أي شخص أو طرد أي موظف دون الرجوع الى الانظمة الحكومية السارية المفعول على بقية الموظفين ، ولا يجوز مقاضاته على ذلك أبدا . وعندما يصبح الموظف الجديد داخل ملاك المخابرات ، فعليه أن يكيف نفسه مع هذا المحيط العجيب ، ويحاول كبار المسؤولين أن يجعلوا جميع الموظفين يشعرون بأنهم ينتمون لعائلة واحدة ، ويظهرون لهم الاهتمام الشديد بكل قضاياهم مهما كانت ، ولذلك يضمنون ولاءهم، وهم يعرفون بأن الموظف الذي يعيش في جو من عدم الاستقرار والراحة يكون هدفا سهلا للمخابرات المعادية .

وفي حالات الوفاة يوجد مختصون في الفرع الاداري للمخابرات الاميركية يتوجهون حالا الى منزل الموظف المتوفى ليساعد العائلة على اجراءات الدفن (وبالطبع للتأكد من أن المتوفى لم يترك أي وثائق كان قد نقلها الى منزله أثناء خدمته) .

أما اذا مرض الضابط أو الموظف فانه يحول الى المستوصفات الخاصة بالمخابرات ، واذا استدعى الامر الى اجراء عملية فان موظفا من المخابرات يرافقه الى غرفة العمليات للتأكد من أنه لن يبوح بأية أسرار ، وهو تحت تأثير المخدر ، وللمخابرات الاميركية (مصح خاص) لان مرض (الانهيار العصبي) متفش بين موظفيها ، ويعاد الذين يصابون بالانهيارات العصبية الى أعمالهم بعد شفائهم دون أن يؤثر ذلك على مكانتهم .

رأي الأمريكيين في مخابراتهم

ان أغلب الاميركيين كانوا يشعرون بحاجتهم الى جهاز مخابرات قوي يكشف لهم جواسيس أعدائهم بسبب عدم استطاعة (مكتب الخدمات الاستراتيجية) القيام بواجبه تجاه هذا الهجوم الكاسح من الجواسيس والعملاء ، الا أنهم لم يستقبلوا بارتياح خبر انشاء (وكالة المخابرات الاميركية (C.I.A.))فأعلن بعضهم تخوفهم من أن تصبح هذه الوكالة (جستابو) على الطريقة الاميركية ، وأثيرت ضجة حول هذا الموضوع تقرر على أثرها أن لا يكون للوكالة أي تدخل في

الشؤون السياسية في الداخل ، وتأكيدا لذلك طلب الرئيس ترومان شخصيا من الجنرال سميث أن لا تتدخل الوكالة في شؤون وحياة الاميركيين (الخاصة). وهكذا اقتنع الرأي العام الاميركي بعد أن أعلن له بأن الوكالة لا تتدخل في شؤونه (الخاصة) . غير أن قوة الوكالة وامكانياتها المالية الضخمة جعلاها (تزج نفسها في أمور لاتعنيها) ، فمثلا لم تتدخل في شؤون المواطن الاميركي (العادي) ، بينما فرضت سيطرتها على بعض المؤسسات الكبرى مثل : راديو أوربا الحرة ـ الذي أضحى الناطق الرسمي للوكالة ـ وشركة الطيران الاميركية التي استخدمت طائراتها في نقل العملاء الاميركيين في تنقلاتهم الضرورية ، بل وتهريبهم من بعض البلدان أحيانا . غير أن نشاط الوكالة داخل أميركا لم يمنعها من القيام (بواجباتها) في الخارج ، والخارج بلغة المخابرات (العالم كله) ، حيث ظهرت آثار هذه الواجبات وراء معارك (برلين الشرقية) ، والتمرد الذي حصل في هنغاريا ، ونهاية (مصدق) رئيس وزراء ايران في حينه ، ونهاية جاكوب آربنز في غواتيمالا ، ولومومبا في الكونغو ، ووصل بها الامر الى التدخل مع الجنرالات الذين أعلنوا العصيان في الجزائر ضد الجنرال ديغول ، وعملية خليج الخنازير ـ ضد كوبا ، ومقتل (تشي غيفارا) في بوليفيا ، والاطاحة بالرئيس أحمد سوكارنو في أندونيسيا[1] ، بالاضافة الى عمليات مختلفة في بلدان (مناوئة) لاميركا منها ما تكشف عنه التحقيق مع شبكة التجسس الاسرائيلية في البصرة (العراق) ؛ والتي كان أفرادها يتصلون لاسلكيا من كنيس (السبتيين) بالمخابرات الاميركية والمخابرات الاسرائيلية ...

---

(١) بالرغم من جميع الادلة على تدخل المخابرات الاميركية في اندونيسيا وتغذية اتحاد الطلاب الاندونيسيين ودعم بعض العملاء وتقديم الاسلحة لهم للاطاحة بحكم الرئيس الراحل أحمد سوكارنو ، بسبب تعاطفه مع الشيوعيين . ومع ذلك فقد أصدر البيت الابيض (كان يرأسه في حينه الرئيس ايزنهاور) ووزير الخارجية جون فوستر دالاس بيانا نفيا فيه (كالعادة) تدخل اميركا في أحداث أندونيسيا ، وحين تم لهم ما أرادوا وجاء الرئيس سوهارتو للحكم قام الرئيس نيكسون بزيارة رسمية الى جاكارتا بتاريخ ٢٠/٧/١٩٦٩ بعد ترتيبات أمنية شديدة اتخذت بالتعاون مع المخابرات الاميركية. وعلى القارىء الكريم أن يقتنع بعد ذلك ... ؟



لرئيس أحمد سوكارنو أسقطته المخابرات المركزية الأمريكية والرئيس الراحل جمال عبد الناصر لم ينج من تخطيطها لاغتياله عدة مرات

بعض أخطاء المخابرات الاميركية :

كانت أغلب مؤامرات وعمليات المخابرات المركزية الاميركية ناجحة نوعا ما بسبب الخبرة والسخاء بالانفاق عليها ، فقد تمكنت من ازالة حكام ورؤساء ، وجاءت بغيرهم اشترت صداقات جديدة على الطريقة الاميركية تمكنت من الحصول على أسرار عسكرية هامة من الاتحاد السوفييتي وتكهنت قبل عام ١٩٦٧ بتفوق اسرائيل ، ومع كل ذلك ارتكبت أخطاء جسيمة منها :

١ ـ في عام ١٩٧٠ قدم فرع المخابرات الاميركية في سايغون معلومات الى واشنطن مفادها أن (قوات الثورة في فيتنام الشمالية الفيتكونغ) يحتجزون الاسرى الاميركيين وبالاخص الطيارين منهم في معسكر (سون تاي) في فيتنام الشمالية . فوافق الرئيس (نيكسون) شخصيا (في حينه) للخابرات الاميركية بالقيام بعملية عسكرية لانقاذ الاسرى . ونقلت كتيبتان من كوماندوس الجيش

الاميركي مع بعض الادلاء من عملاء المخابرات ، واقتحمت المعسكر فوجدوه خاويا الا من بعض (الدجاجات) ...

٢ ـ ارسال طائرة التجسس فوق الاتحاد السوفياتي بقيادة الكابتن فرانيس غاري باورز التي أسقطها الروس واعتقلوا قائدها ، واعترف بالتجسس .

٣ ـ فضيحة غزو كوبا الذي باء بالفشل واقصي دالاس على أثره .

٤ ـ فضيحة شراء المؤسسات الصحفية والادباء والصحفيين لاغراض دعائية.

ففي بداية عام ١٩٦٧ وبعد ما تحولت عملية غزو كوبا الى الملفات للحفظ تفجرت قضية شراء المؤسسات الطلابية والعملية التي استخدمتها المخابرات بطرق (مباشرة) أو (غير مباشرة) وبواسطة أموال (سرية) ، وهكذا علم الراي العام الاميركي الذي قيل له سابقا بأن المخابرات لا تتدخل في شؤونه بأن المخابرات تتدخل حتى في أصغر الشؤون ، وتستخدم لهذه الغاية الافراد والمؤسسات الوطنية . وانطلق الصحفيون يقومون بتحقيقات (شبه بوليسية) فاكتشفوا بأن (نقابات) و (نواد) تقافية كثيرة هي فروع من المخابرات . واتضح بعد التحقيق أن ٨٠ مؤسسة تعمل لحساب المخابرات . وكان هدف المخابرات من وراء ذلك هو استخدام المؤسسات التي تهتم بالشؤون العالمية في سبيل شرح سياسة الدولة الاميركية واظهار (الجنة الأميركية) للاجانب . واتحاد الطلبة الاميركيين فضح بنفسه مسألة تعامله مع المخابرات التي جعلت البعض من أعضائه المسافرين الى (الخارج) جواسيس وعملاء لها ، وقدمت لهم المساعدات اللازمة مصحوبة بالاغراءآت المادية الضخمة ...

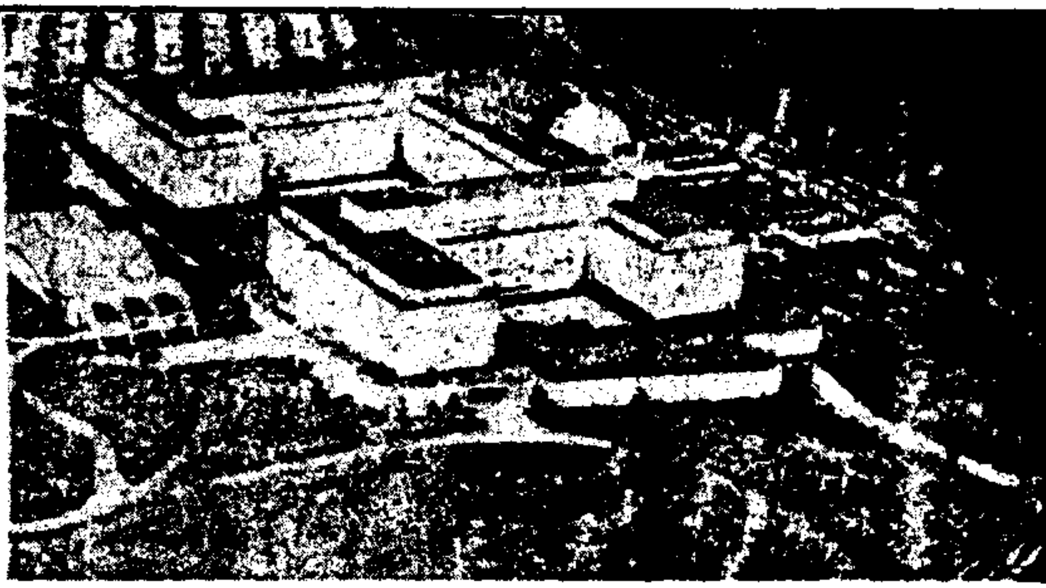
المخابرات الاميركية تقوم بتزوير الدولار :

قامت المخابرات الاميركية أثناء حرب فيتنام بعملية ضخمة لتزوير ملايين الدولارات لانفاقها في فيتنام ، لتغطية النفقات الضخمة التي كانت تدفعها . وقد جاءت كمية الدولارات المزورة ناجحة بنسبة ٩٠٪ وصرفت عن آخرها في أسواق فيتنام ، ومن المعلوم أن للمخابرات الاميركية مكتبا ماليا خاصا يدير مثل هذه العمليات ، كما أن لهذا المكتب وحدات ميدان أي موظفين جاهزين لنقل الملايين من أي عملة تقتضي مصلحة المخابرات الاميركية نقلها ، وهؤلاء الموظفون لهم

مكاتب في هونغ كونغ وجنيف وبيروت وبيونس آيرس تحت مختلف الاسماء التجارية للتضليل ، ويتحركون بدقة وتنظيم لنقل العملات الى مكان الحاجة اليها، ويجري شراء هذه العملات من السوق السوداء وبأسعار يمكن المساومة عليها وبملايين الدولارات ...

شراء وتوزيع الكتب والمطبوعات :

ونحن اذ نتطرق الى هذا الموضوع عن المخابرات المركزية الاميركية ، فاننا نعرف أن المخابرات المركزية منذ تأسيسها تعاملت مع الصحفيين والطلبة والادباء الكبار ومختلف دور النشر والثقافة ، وذلك لنشر الدعايات المختلفة التي يهم اميركا أن توصلها الى اقاصي الارض . حتى شعر معظم المثقفين بهذا الخطر . فعبروا عن سخطهم بطرقهم الخاصة . فأحرقوا حوالي ١٠٠ مكتبة ومركز ثقافي أميركي في مختلف دول العالم . وفعلا فقد وجدوا أن بعض أو معظم الكتب التي تصل الى مراكز الثقافة الاميركية وتوزع مجانا كانت كتب دعائية وضعت بطلب من الحكومة الاميركية لتبرير سياستها دون أي احترام للحقيقة التاريخية. وعلى سبيل المثال في عام ١٩٦٥ صرفت المخابرات عدة ملايين من الدولارات لتوزيع ١٥ مليون كتاب في العالم . وليس من الصعب على المخابرات الاميركية وعن طريق وكالة المعلومات الاميركية اغراء الناشرين الاميركيين باصدار الكتب ذات الطابع الدعائي عن دورهم دون الحاجة لذكر اسم (مكتب المعلومات عليها).



مقر وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية في لانغلي قرب واشنطن .

وتوزع هذه الكتب بنسبة ٧٥٪ خارج الولايات المتحدة ، و ٢٥٪ يباع داخل الولايات المتحدة • حتى وصل الامر الى الكونغرس الاميركي حيث شكلت لجنة تحقيق استدعت ليونارد ماركس / رئيس وكالة المعلومات الاميركية للتحقيق ، حيث أفضى للجنة بمعلومات هامة حول هذا الموضوع حيث قال : أن الكتاب الذي لا يحمل اسم ناشر محترم بل يحمل اسم الحكومة الاميركية يقابل في الخارج بكثير من الحذر عند ذلك أفهمته اللجنة أن نشاطه في الخارج يهنأ عليه ، ولكن لا يسمح له بمزاولة هذا النشاط داخل الولايات المتحدة • فاميركا تقبل أن يكون الاجنبي عرضة لنشراتها وكتبها الدعائية،ولكنها لاتقبل ذلك للمواطنين الاميركيين ••• وهذا من كرم اخلاق المنطق الاميركي ، حتى بلغت الصراحة في أن ريد هاريس أحد المسؤولين عن المخابرات الاميركية صرح بقوله : نطلب من الادباء أن يضعوا حسب رغبتنا كتبا ودراسات ضد الشيوعية على وجه الخصوص ، حيث يمكن لهذه الكتب أن تخدم السياسة الاميركية • ونطلب التعامل مع مؤلفين مشهورين في عالم الفكر والادب• فاسم المؤلف يعطي الكتاب وزنا وقيمة ويزيد من خدمة أميركا ، فمثلا خصصت المخابرات عام ١٩٦٦ مبلغ /٦٥٠/ ألف دولار لنشر ـــ ١٠٤ كتب لم تكن لتنشر لولا تشجيع الجهات الرسمية (وكالة المخابرات) ، وفي نفس السنة صرفت المخابرات حوالي /٢٠٠/ ألف دولار لنشر ٤٦ كتابا كانت تحوي كل ما تريد أن تقوله الحكومة الاميركية للاجنبي •

ودور النشر التي تصدر هذه الكتب لاتعترف بتعاملها مع المخابرات المركزية نجد منها (حقيقة الجمهورية الدومينيكية) لمراسل مجلة (تايم) جي مالان الذي قبض من الوكالة أيضا حوالي /٥٠٠٠/ دولار على كتابه (فزع في فيتنام)، وكتاب (حرب فيتنام لماذا ••••؟) للصحفي الهندي سيفارام الذي يشرح أن الحرب في فيتنام لا تنتهي الا بخروج المعتدي ، ويقصد الفيتنامي الشمالي أوثوار ـــ الفيتكونغ من المعركة ، وقد اشترت المخابرات ٢٥ ألف نسخة من هذا الكتاب ووزعتها في مختلف أنحاء العالم لنفس الغاية؛وحصلت من نفس الصحفي على حقوق ترجمته الى (٣١) لغة عالمية • ونفس دور النشر التي تنشر هذه الكتب تعمد أحيانا الى نشر كتبا لا تتفق مع تعليمات الحكومة الاميركية • وهذا أيضا

يدخل في لعبة اقناع القارىء الاميركي أولا والاجنبي ثانيا بأن هذه الكتب تصدر عن دور نشر محترمة ، لا تنشر الكتب الا لقيمتها الثقافية والعلمية .

اغراء الكتاب والصحفيين :

ان وسيلة المخابرات المركزية الاميركية في اغراء الكتاب والصحفيين بتأليف الكتب التي تخدم دعاياتهم أصبحت معروفة للجميع ، حيث تأخذ المخابرات أحد الاسرار التي تملكها حول قضية سياسية معينة وتعرضها على صحفي معروف مشترطة عليه مقابل الاطلاع عليها وضع كتاب عن الموضوع باسمه ، وتعطيه الوقت الكافي على أن يكون لها حق تغيير ما تشاء من الكتاب ، وقلائل من الصحفيين يتمكنون من مقاومة هذا الاغراء المزدوج في الحصول على دراهم أولاً والتمتع بشهرة ثانية عبر نشر الملفات السرية . ومثل هذا الاغراء يجعل الصحفي يتخلى عن حياته الفكرية والعقائدية بحيث يصبح أداة طيعة في يد المخابرات التي تملي عليه ما تريد هي أن يعرفه الناس ويطلعوا عليه .

تدخل المخابرات في الحياة الدراسية :

في عام ١٩٦٧ استغرب معظم الاميركيين الاحرار عندما علموا أن وكالة المخابرات المركزية تمول بعض النشاطات الجامعية . حتى ان صحيفة (النيويورك تايمز أكدت أن ٥٣٪ من ميزانية جامعة كاليفورنيا هي من مساعدات (حكومية)، وان معظم هذه الاموال تصرفها الجامعة المذكورة على أبحاث ذرية لاغراض عسكرية بطلب من الحكومة نفسها . ومع ما أثير من ضجة حول هذا الموضوع فالنشاط مستمر بنفس الاساليب طالما الخطر الشيوعي مستمر ، وأهمية الفوز بتأييد الناس لدى المخابرات المركزية كأهمية الحصول على الثروات الطبيعية ، والاحتفاظ بالتفوق العسكري كل هذا لخدمة أميركا ورسالتها المرسومة في العالم. وخدمة أميركا وأهدافها لا تعرف الحدود والمقاييس ، لذلك يشترك فيها كل من الافراد والمؤسسات والجامعات والدولة والمخابرات المركزية . حيث تتلاحم النشاطات لتنصب في أجهزة المخابرات في النهاية بحيث مالا تقدر على معرفته المخابرات تتكفل به المؤسسات الخاصة .

وعندما أثيرت فضيحة « لجنة العمل من أجل حرية الثقافة » التي تصدر المجلات الاتية Quadernos - engouter - Prouvos ومعها المجلة اللبنانية (حوار) التي كانت تصدر في بيروت والتي توقفت نهائيا عن الصدور،لان صاحب امتيازها لم يكن يعلم أن مجلته تمولها المخابرات الاميركية عبر مؤسسات أخرى • بينما استمرت باقي المجلات في الصدور بعد أن حلت وكالة فورد محل المخابرات الاميركية في التمويل •

المجتمع الافضل الذي تنشده المخابرات المركزية :

ان المشرفين على المجتمع الاميركي يدركون أنه بالرغم من مثالية هذا المجتمع فانه يعاني من بعض الامراض والاخطار • ولديهم القناعة بأن هذه الامراض والاخطاء يمكن تلافيها والمسألة هي مسألة وقت وصبر وايمان • وبانتظار هذا الوقت يجب الجهاد للقضاء على القوى الخفية في الداخل والخارج ، هذه القوى التي تهاجم المجتمع المثالي والحر هذا المجتمع الذي ليس انه يغذي نجاحه وتقدمه على حساب فقر وتعاسة وتخلف أكثر من نصف سكان العالم ، ولكن لا بأس طالما أن العالم في طريقه للتمتع بخيرات « الطريقة الاميركية في الحياة » ويكفي قليلا من الصبر والاخذ بوصفة النجاح الاميركية الصادرة عن المخابرات المركزية وهذه الوصفة معروفة وهي عبارة عن عشرات الكتب التي وضعت لشرحها وتفسيرها• كتب مختلفة من صناعة محلية وأجنبية تتولى المخابرات ترجمتها ونشرها في مختلف أنحاء العالم كما شرحنا سابقا بعضها دعائي محض وبعضها وضع للتحدث عن نوعية الانتاج الفكري في أميركا •

صدق أو لا تصدق : المخابرات تستفيد من معلومات الصحف :

كثيرا ما تتصفح الجريدة أو المجلة . ونلقيها جانبا دون أن يلفت نظرنا فيها شيء ولكن المخابرات تأخذ الصحف اليومية وتضعها تحت المجهر ، لتأخذ منها بعض المعلومات النافعة للاستفادة منها في عمليات التجسس وعلى أثر حصول الاتحاد السوفييتي على أدق الاسرار الاميركية من الصحف تألفت لجنة من الكونغرس الاميركي ، وانقطعت عن حضور جلسات المجلس مدة ثلاثة أشهر لا عمل لها سوى مطالعة ما يقدم لها من الصحف والمجلات الاميركية فقط • واذا

بها بعد مضي هذه المدة تجمع (أسرارا) ومعلومات مصورة تعتبر من أدق الاسرار العسكرية والاقتصادية عن أميركا، حتى أدق المعادلات والمعلومات جرى جمعها من المجلات العلمية. وجميع هذه المعلومات تنشر بشكل عادي لذلك نرى أن المخابرات تطلب جميع الصحف الصادرة في البلاد التي تهمها معرفة أحوالها . ولكن ليس من جميع الصحف تستفيد المخابرات اذ لو جمعنا جميع ما يحلو لنا من الصحف الشيوعية خصوصا البرافدا ـ والازفيستيا لمدة طويله لما تمكنا من الحصول على أي خبر أو (سر) علني أو حتى عادي لان جميع الصحف الشيوعية خاضعة لرقابة الحزب ، وبالتالي لمراقبة المخابرات . ومن المعلوم بأن السفارات تشترك في الصحف المحلية ، ولكن ثلثي هذه الاشتراكات (الصحف) تذهب الى المخابرات فورا للاطلاع عليها ، والمخابرات الاسرائيلية بالذات تصرف عشرات الألوف من الدولارات على عملاء لها لا عمل لهم سوى شراء الصحف العربية يوميا وارسالها حالا الى تل ابيب ، ليقوم قسم الصحافة بأخذ ما يحلو له منها ، ثم ارسال الباقي الى الاذاعة الاسرائيلية . (ومن هنا يعرف القارىء من أين تستقي اذاعة اسرائيل) تعليقها على ما تنشره الصحف العربية بنفس اليوم .

بيفرجها الله :

من طرق التجسس في المخابرات المركزية الاميركية استعمال العلم الحديث والاجهزة الالكترونية وبث الجواسيس في جميع أنحاء العالم بمختلف الصفات منها الدينية ومنها التجارية ومنها الصحفية بالاضافة الى مكاتب المعلومات المنتشرة في كل البلدان التي لها علاقة دبلوماسية معها ، ولا تدع هذه المخابرات فرصة للاستفادة من عادات وتقاليد ولغات الشعوب الا وانتهزتها للاستفادة منها . فقد طالعت أثناء تأليف هذا الكتاب كتاباً لبنانياً شيقا محشوا باللغة اللبنانية العامية المحببة من تأليف الاستاذ جورج ابراهيم الخوري تحت عنوان (بيفرجها الله). وهذا الكتاب يحوي على الحلقات المسلسلة من برنامج كان يذاع من اذاعة بيروت بنفس العنوان (بيفرجها الله) تقديم أبو بسام وأم بسام . وكنت (أثناء اقامتي في بيروت) من المعجبين بهذا البرنامج الناجح ، وأستمع اليه يوميا رغم مشاغلي ، والقارىء الكريم يتعجب ؟ فما دخل كتاب (بيفرجها الله) بالمخابرات.



بيفرجها الله ..!!

كتب الاستاذ حسن الحسن مدير الاذاعة اللبنانية في حينه ومدير السياحه لاحقا مقدمة جميلة لهذا الكتاب كان من ضمنها ما يلي :.

(ان معهد السلك الدبلوماسي الاميركي في السفارة الاميركية في بيروت أخذ كتاب (بيفرجها الله) ووضعه على رأس المناهج الدراسية في المعهد ، لتعليم المستشرقين الاميركيين التحدث باللهجة اللبنانية • ونحن مع احترامنا للاستاذ الحسن نؤكد أنه عندما ذكر ذلك كان من قبيل المديح من قبله للغة واللهجة اللبنانية ولمؤلف الكتاب ولكننا نعلم أن المخابرات الاميركية ـ فرع بيروت أوعزت باقتناء هذا الكتاب وتدريسه للمستشرقين وغيرهم من (الجواسيس) الذين يتبعون دورات عمل لصالح هذه المخابرات• ومع ذلك ليس لنا الا أن نؤيد مؤلف هذا الكتاب ونردد معه (بيفرجها الله ••) •

صورة عن ضحايا المخابرات الاميركية :

من أهم طلبات المخابرات الاميركية في نطاق سيابتها العامة التي تسير عليها بالنسبة للدول الشيوعية هي حصولها على موقف كل شخصية شيوعية بالنسبة للاشتراكية وحصولها بالتالي على هوايتهم ونقاط ضعفهم لكي يتسنى لها أن تستغل أي نقطة ضعف لدى هؤلاء بالتشهير بهم وقد استخدمت هده المخابرات في المانيا الغربية النساء كطعم للحصول على مختلف المعلومات من المانيا الديمقراطية وقصة الفتاة الايطالية المدعوة ماريا ديلاري خير دليل على اللاأخلاقية المسلكية المتبعة لدى المخابرات الاميركية . وتبدأ القصة عندما تعرف عميل المخابرات الاميركية المدعو جوبيتر على هذه الفتاة ، عندما كان يظهر في المجتمع كطالب جامعي . وأخذ يغريها بالوعود الزائفة حتى استسلمت له بفضل مئات الدولارات التي صرفها عليها وأخيرا فاجأها بكونه عميلا للمخابرات الاميركية فرع برلين ، وطلب منها العمل بالسفر الى المانيا الديمقراطية حيث قال لها بالحرف الواحد : « سافري الى برلين الشرقية لان من يحوز مثلك هذا الجمال الفتان لن يكون هناك اي صعوبة لها في الاتصال بمدراء ومهندسي المصانع الهامة او مع رجال التجارة الخارجية .. سافري الى مدينة لايبزغ واحضري المعرض هناك حيث تستطيعين اختيار من تريدين ، وكأنهم على طبق بين يديك ، ونحن كل ما نحتاجه أسماء .. عناوين .. صفات مميزة . ولا مانع لدينا من أن تقضي مع احد هذه الشخصيات وليكن مثلا (مدير عام) ، عدة أيام عطلة جميلة في يوغسلافيا أو بلغاريا أو هنغاريا .. الخ ، انك ستحصلين على كمية من النقود بالاضافة الى استمتاعك بالعطلة .. ونحن هنا بدورنا (أي المخابرات الاميركية) نحصل على ما نريد .. انك لن تستعملي مسدسا ولا تضعي لاحد سما ، فقط سلاحك هو جسمك وهو سلاح فتاك . وبعد ذلك سنبقى معا ولكن ماريا رفضت ذلك بشدة وقالت له : أنا لا أستطيع ذلك ، مع أني لست بالملاك الطاهر لكني لن أتحمل عذاب الضمير، وأود أن تبقى يداي نظيفتين في المستقبل .. وكان (جو) قد أفاض بالحديث مع ماريا نظرا لاحتسائه معها بعض الويسكي ، وحدثها أثناء تناول الويسكي معها عن الكثير من مهماته ومشاريع المخابرات الاميركية لاستخدام طلاب جامعات ، وارسالهم الى المانيا الديمقراطية . وسألها اذا كانت تثق بأحد من هؤلاء الطلبة

حتى يقدمه لرؤسائه لاستخدامه ، فنفت معرفتها بأحد يقبل التعاون مع المخابرات الاميركية . وكانت من الجرأة الادبية رغم ما كانت تشعر من حب نحوه بحيث قالت له : أنا نفسي رفضت التعاون معك ومع مخابراتك فكيف تريدني أن أورط غيري ؟ فودعها غاضبا وانصرف ، وهو لا يدري أن جميع ما تفوه به قد سجل من قبل زملائه ، لان من عادة المخابرات الاميركية (عدم الثقة) في عملائها ، فتعمد الى مراقبتهم والتدقيق في تصرفاتهم .

استدعي (جو) في اليوم التالي الى فرع المخابرات وأسمع حديثه المستفيض مع (ماريا) أثناء تناوله الويسكي (نوهنا في فصل سابق بعدم افراط رجل المخابرات بالمشروبات لكيلا يفقد ذاكرته ..) من قبل رئيسه المباشر (فورمز) الذي كان يتحرك في الغرفة جيئة وذهابا . وبعد انتهاء التسجيل قال له رئيسه آمرا : بسبب اخلاصك لنا سوف نتغاضى لك عن هذه الهفوة . انكم تثرثرون أكثر من اللازم . لقدأ طلعتها على أسرارنا ، لذلك عليك بالتخلص منها . راجع المختبر لاستلام ما يلزم لذلك [1] .

توجه (جو) الى حيث تقطن (ماريا) مصطحبا بيده اليمنى هدية لمصالحتها، كسبب للدخول الى غرفتها . وباليد اليسرى زجاجة الويسكي التي ستكون سبب نهايتها فاستقبلته كعادتها.وتناولا طعام العشاء معاً،جلس بعد العشاء في الصالون مقابلها ، وأخذ يشعل السجائر تباعا . وهو يفكر بمصيرها ولسان حاله يقول : ما أقسى المخابرات والجاسوسية !. وتذكر الايام الجميلة التي قضاها معها . ولكن ما باليد حيلة لقد صدر الامر اليه بقتلها وهو أمر (مبرم) أقوى من حكم الاعدام الذي تصدره أيةمحكمةجنايات،لانحكم الاعدام من قبل محكمة الجنايات بحاجة الى تصديق رئيس الدولة ملكا أو رئيس جمهورية . أما هذا الحكم(الامر) فليس بحاجة الى تصديق وهو واجب التنفيذ الفوري .

---

(١) استلم انبوب (السم) ودرب كيف يستعمله، وهذا السم الفعال تكفي ثلاث نقاط منه في كأس ويسكي للقضاء على انسان (كما نشاهد في الافلام السينمائية) .. ولكنها هنا حقيقة وعلى يد المخابرات الاميركية .

وضع لها الكمية المحدودة من السم في كأسها أثناء وجودها في المطبخ ، وتناول كأسه (النظيفة) وشرب نخبها ، فشربت المسكينة معه حتى آخر نقطة في الكأس وارتمت على مقعدها .

أكمل (جو) سيجارته بعد أن تأكد من موتها بجس نبضها ، وتوجه الى الشباك وفتحه ليخرج الدخان ومعه رائحة الويسكي المشبعة برائحة الموت .

أما رئيس المخابرات في برلين (فورمز) فقد طلب من المحفوظات الملف (اكس ل — ٣٣٢) ، وهو الملف الذي فتح لماريا عندما طلب من (جو) التعامل معها ، وعندما أبلغه جو بتنفيذ الامر بقتلها أغلق الملف نهائيا . وهذه الطريقة التي تتبعها المخابرات الاميركية (ككل) لان أغلب الذين رفضوا التعاون كانت نتيجتهم نفس النتيجة وفي هذا الكتاب بعض الادلة على ذلك مدعومة بالصور والوثائق .

تقرير المخابرات الاميركية بطلبة الجامعات :

الطالب الجامعي من المانيا الغربية (كلاوسنتيرز) يعيش في برلين الغربية ، ويدرس الطب ، ذو طموح وحب للمغامرات والرحلات استدرجته مؤسسة (توسما) التي أنشئت ظاهريا لمساعدة الطلاب الجامعيين المحتاجين لاتمام دراستهم،بينما تمول هذه المؤسسة المخابرات الاميركية فرع برلين لتنفيذ أغراضها المختلفة .

دعا أحد أعضاء هذه المؤسسة الطالب كلاوسنتيرز لتناول زجاجة بيرة فقبل دعوته ، وأثناء الحديث علم هذا العضو أن كلاوسنتيرز يعاني من ضائقة مالية ، فعرض عليه ايصال سيارة الى المانيا الشرقية ، وتسليمها لاحد الاصدقاء لقاء مبلغ /٥٠٠/دولار صعق كلاوسنتيرز للمبلغ فوافق فوراً واستلم السيارة(مرسيدس ٢٢٠ رقم B - EW - 981 وقادها باتجاه برلين الشرقية ، وعلى الحدود وجد رجال المانيا الشرقية بانتظاره . فتشوا السيارة تفتيشا دقيقا ، فوجدوا في أحد المخابىء السرية (ذخيرة مسدس نوع Supen Magnum 326 مع وثائق وجوازات سفر للتزوير ولدى التحقيق معه أفاد بما يلي :

اسمي : كلاوسنتيرز   عمري : من مواليد ١٩٤١/١١/٤

الصفة : طالب طب سنة ثالثة جامعة برلين   العنوان برلين الغربية — شارع سكالتيزر رقم ١٣٣ •

المحقق (سيركولد) يسأله : أفدنا عن كيفية قبولك ايصال هذه السيارة•

جواب كلاوسنتيرز : تعرفت منـــذ أسبوع على زميل جامعي عرض علي ايصال هذه السيارة عبر برلين الشرقية الى مدينة دوسلدروف ، وتركها مـــع مفاتيحها في مطار دوسلدروف كل ذلك لقاء /٥٠٠/ دولار •

المحقق سيركولد : نحن نعرف ياسيد كلاوسنتيرز أنك استلمت السيارة من عنوان : برلين الغربية رقم ١٣ — هايلمن رينج ٦٢ هاتف ٢٨٩٥٦٨ وان هذه السيارة هي ملك لاحد عملاء المخابرات الاميركية ، وهي مسجلة باسم (السيدة اليزابيت فروش — برلين الغربية هايلمن رينج) •

كما أننا سبق أن صادرنا لهم السيارة الاوبل رقم B - KE 706 بتاريخ ٢٤/٢/١٩٦٧ والسيارة المرسيدس رقم B - KM - 429 بتاريخ ٦—٦—١٩٦٧ والسيارة الستروين رقم B - HW - 499 بتاريخ ١٣—١٠—١٩٦٧ وجميع هذه السيارات تشتريها المخابرات الاميركية•وأضاف المحقق الالماني الشرقي سيركولد:

قد تتعجب لاننا لن نقدمك الى المحكمـــة هنا لاننا نؤكد بأن المخابـــرات الاميركية قد غررت بك . ونحن أحرص منهم على مستقبلك الجامعي . وتأكـــد أننا نعرف أيضا أن هذه السيارة قامت بأربع رحلات الى برلين الشرقية (تحت أنظارنا) حتى لا نشتبه بها،أما الان فانك ترى نتيجة شطارة المخابرات الاميركية•

هنا أخذ العرق البارد يتصبب من الطالب كلاوسنتيرز فطمنه المحقق قائلا : اننا نأمل أن يعاملوك مثل معاملتنا هذه فأجاب كلاوسنتيرز :

انني أتعجب يا سيدي من المخابرات الاميركية كيف تستخدمني بهـــذه الصورة ضاربة عرض الحائط بمستقبلي لاسيما وأنا غريب عن هذه الامور تماما ولولا قناعتكم بجهلي بما تحتويه السيارة وتقديركم لظروفي لكانت (هذه الغلطة) نهاية مستقبلي •

وأجابه المحقق سيركولد : ان المخابرات الاميركية تنفــذ مشروعا يدعى (المشروع الرمادي) هذا المشروع تعتبر بموجبه المخابرات الاميركية ومن ورائها

(الامبريالية) أن أراضي ومصانع جمهورية المانيا الديمقراطية هي فروع وامتداد لاراضي ومصانع المانيا الغربية .

ونحن (يقصد الشيوعيون) نزعنا ملكية الاراضي والمصانع من الرأسماليين الكبار بمقتضى معاهدة بوتسدام ، وأصبحت الآن ملكا للشعب ، ولكي تحقق المخابرات الاميركية مشروعها تستخدم جميع الوسائل من تخريب وتجسس ومؤامرات وتضليل الناس (أمثالك) حتى القتل وضعوه في حسابهم .

انظر الى هذه الطلقات المصادرة من سيارتك لمن كانت ستذهب ؟

ان الشيء الذي كانوا سيستغلونك به لا علاقة له بالسلم ولا بالسلام ولا بالانسانية أو مساعدتك لاتمام دراستك كما يدعون ...

وهكذا خرج كلاوسنتيرز من مكتب مخابرات برلين الشرقية وهو غير مصدق وعاد الى برلين الغربية ليفضح المخابرات الاميركية .

تسليط الضوء الاخضر على عميل :

في مختلف بلدان العالم يبحث المختصون من رجال المخابرات الاميركية عن عملاء جدد لضمهم والاستفادة مما يأتون به من جديد الاخبار والاسرار للمخابرات الاميركية ، ويركز الباحث في بلد ما بحثه عن عميل مرتقب في صفوف المسؤولين في الحكومة ، ثم بين أفراد القوات المسلحة ، وحتى بين موظفي مخابرات ذلك البلد . وينطلق معظم هؤلاء الباحثين من السفارة الاميركية لان الحصانة الدبلوماسية تتيح لهم الوصول الى (صفوة القوم) ، وبطبيعة الحال فان حياة الدبلوماسي الاجتماعية (وان كان دبلوماسيا وهميا) تتيح له الاجتماع مع مختلف الشخصيات في عشرات حفلات أعياد الاستقلال والجلوس وغيرها من الاعياد ، والتي يدعى اليها (الدبلوماسيون) . وتزرع المخابرات الاميركية ايضا موظفيها بين موظفي (وكالة للانباء الدولي) و (مكاتب المعلومات الاميركية) . وليس من الضروري لموظف المخابرات الاميركية في أغلب الاحيان أن يكون موظفا وله صفة رسمية لانه يوجد المئآت من موظفيها من الطلاب ــ والاساتذة ــ والصحافيين ــ وحتى المبشرين . والنوعية المعينة من العملاء الجدد الذين ترغبهم المخابرات الاميركية ، وتفضل التعامل معهم هم .

أولا : المسؤولون غير الراضين عن سياسة بلدهم ،ويجدون حسب تقديرهم في الولايات المتحدة النصير لهم ولافكارهم •

ثانيا : تفضل المخابرات الاميركية العملاء الذين يكون عندهم الاساسي للتعامل معها المال ، لان مال المخابرات الاميركية الذي يتدفق لشراء الضمائر يساعد كثيرا للحصول على المعلومات ، وخصوصا من أبناء العالم (الثالث) ، ويعتبر العقائدي الخارج على نظام حكومته وهو في بلده••صيدا ثمينا للمخابرات الاميركية ، وأيضا ذلك المسؤول الذي يعيش حياة باهظة التكاليف . ولا يستطيع المحافظة على مستواها عن طريق دخله العادي . والذي يعاني نقطة ضعف تجاه النساء أو المشروبات أو المخدرات، كل هؤلاء يتم تجنيدهم بالاضافة الى أشخاص تأمل المخابرات وصولهم الى مراكز مهمة بعد بضع سنوات بمساعدتها أو دون هذه المساعدة • وأول من يوضع على قائمة عملاء المستقبل (طلاب العالم الثالث) . حيث يرتقي خريجو الدراسات العليا الى مناصب حكومية رفيعة بعد سنوات قليلة من تخرجهم وعودتهم لبلادهم •

دراسة عن العميل :

بعد وضع أي عميل موضع الترشيح للعمل مع المخابرات الاميركية تقوم الاجهزة المختصة بالتدقيق في ماضيه ، وتراجع سجلاتها الاساسية في القيادة لعلها تجد عنه بعض المعلومات • فاذا عثر على أي معلومات عن العميل فانها ترسل الى المسؤول الذي كلف بالتجنيد ، ويواصل بنفس الوقت تحرياته الخفية بما في ذلك (مراقبته) لمعرفة المزيد عن عاداته وآرائه ، ثم تبدأ الدراسة التقليدية عن أسباب قبوله العمل (عقائدية أم مالية أم نفسانية) حتى انه اذا لم يكن للعميل موضع الترشيح مثل هذه الدوافع ، وكانت المخابرات الاميركية بحاجة اليه ، فانها ستلجأ الى ما لديها من وسائل أخرى كالتهديد والضغط أو المساعدة المالية فورا •••

وعلى الضابط المسؤول عن ادخال العميل للمخابرات التأكد من أنه ليس عميلا مزدوجا ــ أي عميل للعدو ــ يتقرب من المخابرات الاميركية ليدخل في عدادها ••• ؟

عملية التجنيـــد :

انفترةالتحقيق عن العميل ووضعه تحت المجهر قد تستغرق عدة أسابيع أو أشهر ، فاذا أعطي المسؤول الذي رشح العميل (الضوء الاخضر) مكن الاتصال مع العميل كي يبدأ العمل (هنا ينسحب المسؤول الذي رشح العميل وقدمه للعمل من حياته) بعد تعريفه الى الضابط الذي سيتعامل معه مستقبلا . وفي هذا الاجتماع تتخذ خطوات أمنية توفر لهذا الضابط طريقا للهرب في حال وقوع ما ليس في الحسبان مثل كون العميل الجديد مراقبا من مخابرات بلده ، ومن المعروف أن جميع هذه الاجتماعات (تصور وتسجل) وتؤخذ بصمات أصابع العميل من حيث لا يدري وتوضع جميع هذه المستندات في ملفه (فاذا تردد في العمل) فان هذه البينات قد تستعمل ضده ...

وبعد أن يقبل العميل عرض المخابرات الاميركية أو يستسلم للتهديد تبدأ تفصيلات (الراتب) أو المكافأة ، فيقدم عادة للعميل الجديد مبلغ ٥٠٠ دولار أو ١٠٠٠ دولار شهريا ، واذا كان المبلغ مكافأة عن عملية معينة فيعطى العميل مبلغا كدفعة أولى ، ويوضع الباقي في حساب سري في مصرف أميركي أو سويسري بحجة عدم التبذير ولفت أنظار مخابرات البلد الذي سيعمل به . ويتعهد الضابط للعميل بأن تضمن المخابرات الاميركية سلامته وسلامة عائلته في حال تعرضه لمشاكل مع المخابرات العدوة . وقد يمنح جواز سفر أميركي كما يمنح راتبا تقاعديا حسب الاتفاق (فيما بعد) .

هذه الوعود يتفاوت تحقيقها تفاوتا كبيرا اذ يتوقف على نوع العميل ومهمته التي سيكلف بها وشخصية الضابط المسؤول ، اذ أن بعض هؤلاء الضباط قساة القلوب ، يحنثون بوعودهم (وقد يكون رؤساؤهم لا علم لهم بهذه الوعود..) وبعضهم ينفذ ما وعد به الى أبعد الحدود .

وبعد اللقاء الاول وتسليم العميل الجديد الدفعة الاولى والخيوط الرئيسية لعمله يطلب منه الضابط توقيع ورقة استلام تربطه رسميا بالمخابرات الاميركية . ويمكن استعمالها في وقت لاحق اذا لزم الامر .

ابتـــداء العمـــل

متى انتهت اجراءات الانتساب ، ومرت بسلام يبدأ الضابط فورا باختبار العميل ومدى الركون اليه وولائه ، فيعطى بعض المهمات الاستطلاعية لتعطى في حال تنفيذها بدقة الدليل على صلاحية العميل (وهو لايدري أن هذه المهمات سبق للمخابرات الاميركية أن حققت بها وحفظتها في الارشيف) •

فاذا لم تتفق المعلومات التي يقدمها العميل الجديد مع المعلومات المتوفرة سابقا • فسر ذلك بضعف العميل أو كونه عميلا مزدوجا فيعاد اختباره ، ويوضع تحت مراقبة خفية لرصد جميع حركاته بعد انتسابه للمخابرات الاميركية •

ولا يفوتنا أن نذكر للقارىء بأن المخابرات الاميركية اضافة لجميع ما ورد من التحقيقات عن العميل الجديد فانها تخضعه آخر الامر أيضا لجهاز الكشف عن الكذب ، فاذا لم يكن في ذلك البلد جهاز للكشف عن الكذب في السفارة الاميركية فيستدعي (خبير ومعه الجهاز على وجه السرعة) • ويقول أحد هؤلاء الخبراء ان فحص العميل الاجنبي على جهاز كشف الكذب يتعبه أكثر من فحص العميل الاميركي ، لان الاميركي يحب الصراحة وليس عنده ما يخفيه (حسب ادعاء الخبير) ، بينما اختبار العملاء الاجانب أصعب بكثير اذ يجب تعديل طريقة الاستجواب من ناحية الفروق الثقافية ، ويوجد حقيقة أخرى اذ من الممكن أن يكون سبب انخراط العميل (عقائديا) مما يجعله سريع الانفعال ، ويصعب على الجهاز (قراءته) أي كشف حقيقته • ويصعب كذلك كشف العميل الذي يقبل العمل لاجل المال أو لارضاء نزواته أو كشف الشخص الذي نشأ على الكذب أو لديه خلل عقلي أو مدمن المخدرات ، كل ذلك صحيح ، والجهاز شرحنا عنه في هذا المكان ، كونه تحقيقا متمما للتحقيق السابق • وكل ما في الامر أن الخبير الذي يدير الجهاز يعمد الى اقناع العميل الذي يخضع للفحص (بأن الجهاز من الدقة بحيث لا يخطىء) • وهذه احدى أخطاء المخابرات الاميركية •••

جهاز الكشف عن الكذب يحدث مشكلة للولايات المتحدة :

المخابرات الاميركية تبحث عن العملاء في أي زمان ومكان لتجنيدهم للعمل لصالحها ، ولمعرفة جميع ما يجري في مختلف أنحاء العالم حتى سنغافورة التي

كانت مستعمرة بريطانية في عام ١٩٦٠ وجدت المخابرات الاميركية من بين سكانها (عميلا) ليقوم بالتجسس لها فيها ، وبعد الاجراءات الروتينية تقرر عرض العميل على جهاز الكشف عن الكذب فاستقدم خبير يحمل الجهاز الى سنغافورة ، ونزل مع جهازه في فندق كونتيننتال ، واستدعي العميل لعرضه على الجهاز ، وما أن وصل الخبير الجهاز بالكهرباء المحلية حتى احترقت جميع الاجهزة العاملة بالكهرباء في الفندق وأطفئت الانوار نتيجة انقطاع التيار الكهربائي •

جرى التحقيق في هذا الحادث وأوقف الخبير والعميل وضبط الجهاز وعرض الامر على رئيس وزراء سنغافورة في حينه (لي كوان يو) ، فاصر على توقيف الجاسوسين (وكانت سنغافورة على وشك الحصول على الاستقلال من بريطانيا) • وهنا بدأت الضغوط والمفاوضات من أجل اطلاق الرجلين ، وعرضت الحكومة الاميركية على رئيس الوزراء مبلغ ثلاثة ملايين دولار للافراج عنهما ، ولكنه رفض العرض وطلب ثلاثين مليون دولار •••لكن تدخل وزير الخارجية والسلطات البريطانية الحاكمة أدى الى الافراج عن الرجلين •• وكعرفان بالجميل أرسل (دين راسك) وكان قد أصبح وزيرا للخارجية الاميركية برسالة (سرية) الى رئيس وزراء سنغافورة يعتذر منه ••• ودارت الايام الى عام ١٩٦٥ ، وبينما كان (لي كوان يو) يلقي خطابا سياسيا أشار الى الحادثة كمثال على تدخل المخابرات الاميركية في بلاده ، فأسرعت وزارة الخارجية الاميركية كعادتها الى نفي هذه الحادثة بشكل روتيني (دون أن ينتبه المكتب الصحفي في وزارة الخارجية الاميركية الى أصل الاتهامات التي أطلقها (لي كوان يو) ، مما دعاه الى ابراز (رسالة الاعتذار التي استلمها من دين راسك) ، فأسقط في يد الحكومة الاميركية ، وتراجعت عن نفيها للحادثة ، وتورط المخابرات الاميركية • ولكنها أكدت أنها لم تعرض (مالا) لانقاذ الرجلين ، وبعد هذه الحادثة التي أثرت على العلاقات بين الولايات المتحدة وسنغافورة قررت وزارة الخارجية الاميركية اعادة النظر والتمهل قبل اصدار أية بيانات عن أعمال المخابرات الاميركية •••

دورة تدريبية للعميل الجديد :

لدى انتهاء عملية اختبار العميل الجديد والتأكد من ولائه وصلاحيته للعمل

في المخابرات الاميركية يقرر المسؤولون عنه اتباعه لدورة تدريبية حسب ظروف المهمة التي سيكلف بها • ويكون التدريب السري في بعض الحالات دقيقاً • فبعضهم يدرب على استعمال أجهزة التصوير الحديثة لتصوير الوثائق، واستعمال الحبر السري للكتابة ، وأجهزة استراق السمع ، واللاسلكي ، وتقضي عملية التدريب عزل العميل عدة أسابيع بعيدا عن أهله ومجتمعه ويطلب اليه اختلاق المبررات لغيابه هذا •• حتى ينتهي من التدريب •

معاملة العميل الجديد :

هناك نظرية تقول ان الضابط المسؤول يجب أن يقيم مع العميل الجديد علاقة وثيقة وشخصية ويقنعه بصداقته وأنهما يعملان لتحقيق هدف سامٍ مهم للبلاد • ومثل هذه البادرة تشكل لدى العميل قوة دافعة تشجعه على ركوب الاخطار في سبيل صديقه الجديد ، وهناك نظرية أخرى تقول : انه يجب على الضابط المسؤول عن العميل أن يعامله معاملة جدية وبعيدة عن الرحمة والتساهل لكي يحصل منه على النتيجة ، لان المهم بالنسبة للمخابرات هي (النتيجة فقط). لذلك يدفع الضابط العميل الى الدرجة القصوى من الخطر للحصول منه على أقصى مايمكن من المعلومات ولهذه الطريقة مضارها أيضا لانه ما ان يشعر العميل أنه موضع استغلال من ضباطه وعدم اهتمام حتى يتبخر ولاؤه بسرعة أو ينقلب الى الجهة المقابلة •••

وثمة عوامل عديدة تجعل العميل معقدا، ومنها المخاطر التي يتعرض لها وجو التوتر والخوف والحذر حتى انه يصعب التكهن عما يدور في خاطر العميل • لذلك فان على الضابط أن يكون واعيا لاية اشارة من عيله تدل على انزعاجه أو قلقه ويتلافى الاسباب فورا ، وأن يستعمل أسلوب التملق والمديح ، ومن ثم أسلوب التهديد والقسوة اذا كان العميل من الصنف الثاني • وخير دليل على نجاح المخابرات الاميركية في أسلوب التملق هي الطريقة التي اتبعت مع (أوليغ بنوفسكي) عندما ابتدأ بالتعامل معهم وجدوا أنه يحب المظاهر العسكرية ، فمنحوه رتبة (كولونيل) بالجيش الاميركي ، وهكذا شعر

بأنه لم يفقد شيئا من مركزه السوفياتي[1] كما منح الجنسية الاميركية سرا، ومنح وساما رفيعا (صنع المخابرات) كل ذلك من قبيل التملق .

ويوجد مشكلة واجهت المخابرات الاميركية وتواجه بقية مخابرات العالم وهي النقل الروتيني للضباط كل سنتين أو أربع سنوات ، وكل ضابط ينقل عليه أن يقوم بتعريف الضابط الذي يحل محله على العميل المرتبط به وبعض العملاء يعز عليهم فراق الضابط الذي قدمهم للمخابرات فيترددون في العمل مع الضابط الجديد لانهم يشعرون بأن التعامل مع ضابط تنقصه الخبرة يزيد في احتمال افتضاح عملهم ، لذلك فان عملية تغيير الضابط تكون محرجة للعميل ، ولكنها لن تؤدي الى الحاق الضرر بأية عملية تجسسية لانه اذا أخفقت المخابرات باقناعه لجأت الى الوسائل الثانية (التهديد). والابتزاز بما لديها من وثائق تدين العميل مثل ــ الصور ــ والعقود السرية ــ وايصالات القبض الموقعة من العميل ــ والتسجيلات الصوتية لمقابلات العميل وموافقته المبدئية . كل ذلك يجعل أشد العملاء ترددا يقبل الاستمرار في العمالة قسرا ، وقد تتفادى المخابرات الاميركية في حالات نادرة ومهمة في العمليات التجسسية الحساسة مسألة نقل الضابط المسؤول احتراما منها لرغبات العميل ذي المكانة العالية فيبقى الضابط بصورة استثنائية حتى انتهاء العملية .

تسليم البضاعــة :

على الضابط الذي يتلقى معلومات من عميل ألا يجعل طريقة استلامه المعلومات مأمونة ، وأن يبدل بين فترة وأخرى هذه الطريقة للحد من احتمالات (الكشف) ، ولا يوجد أنظمة ثابتة للاجتماع بالعميل مطلقا هذا العمل يكون بلا قيد ما دامت (البضاعة) تصل الى المخابرات، فان للمسؤول (حرية) الإبتكار وتنويع المواعيد والامكنة وبعض العملاء يفضلون الاتصال بضباطهم لنقل المعلومات اليهم (شفهيا) ، ويجدون ذلك أضمن لهم من حمل أوراق وتقارير

(١) اتبعت المخابرات الاسرائيلية حديثا هذا الاسلوب مع الجاسوس المصري / رجب عبد المعطي / فمنحته رتبة رائد في الجيش الاسرائيلي / الموساد / تشجيعا له على الاستمرار في خيانة وطنه .

تدينهم فيما لو حدث أي مكروه ، ولكن المخابرات الاميركية لا توافقهم الرأي لانها ترغب بالوثائق المكتوبة أو الرسائل اللاسلكية او رسائل الحبر السري وبعض العملاء يجري سحب المعلومات منهم عن طريق شخص ثالث كوسيط •

ومن الممكن أن يكون هذا الوسيط يعلم حقيقة عمله أو لا يعلم كاستخدام (الاصدقاء) لنقل مثل هذه المعلومات الخطرة وهم لا يعلمون ما يحملون (لطفا خذ هذه الرسالة معك وحين تصل الى باريس ضعها في أي صندوق بريد) ، وهكذا يكون الصديق خدم صديقه عن حسن نية ، وهو لا يدري أن صديقه ممن (باعوا الضمير) •

أما اذا كان الوسيط يعلم أنه ينقل معلومات تجسسية ، ويتقاضى عن ذلك أجرا معلوما، كما حدث مع المدعو جعفر صادق الحاوي من أعضاء شبكة تجسس (البصرة) في العراق، الذي كان يتقاضى من الشبكة مبلغ مائة دينار ثمنا لايصال كل رسالة اما من البصرة الى بغداد وهذا نقل داخلي ، واما من البصرة الى عبدان في ايران وهذا نقل خارجي ، يضاف اليه المصاريف جميعها مهما بلغت،وأما سبب افلات هذا المراسل من حبل المشنقة في حينه مثل زملائه أعضاء الشبكة (جاء ذكر هذه الشبكة في مكان آخر من الكتاب) ، فلانه سلم نفسه للمخابرات العراقية عندما سمع بالقاء القبض على زملائه • والسبب الاهم لتخفيض عقوبة الاعدام عليه بالذات هو مساعدته السلطات والتحقيق واعترافه وندمه (أذيعت مقابلة تلفزيونية له من تلفزيون بغداد أثناء التحقيق مع الشبكة) •

ولمتابعة البحث في طرق المخابرات الاميركية لاستلام ضباطها أو موظفيهـا (البضاعة) من العملاء هو اعتماد نوع من صناديق البريد السرية (العفوية) التي لا يخطر على البال أنها تحوي رسائل من هذا النوع ، ومن هذه الصناديق على سبيل المثال ــ الفراغ القائم وراء أنابيب التدفئة المركزية في منزل (بنكوفسكي) في موسكو عندما كان يتعامل مع المخابرات الاميركية في حينه ، ومن الامكنة الصالحة صندوق بريد (سري) جذع شجرة قديم أو فراغ في مقعد في الحديقة العامة ، أو ثقب في جدار قديم ، أو مستودع قديم (مهجور) ، ووضع المعلومات في هذه الامكنة يتم بالاتفاق بين الضابط والعميل (على ساعة الاستلام) لكي

لا تبقى (البضاعة) مدة طويلة، وأغلب أوقات التسليم والاستلام تتم بين الساعه السابعة والتاسعة مساء .

وعندما يوجد سبب مستعجل لمقابلة الضابط والعميل يتفقان على اللقاء في مواقف المترو أو مدخل سينما ، ويتصرفان كالغرباء، اذ يكفي أن ينحني الضابط ليربط حذاءه (بحركة متفق عليها) . فيضع العميل في هذه اللحظة في جيبه (البضاعة) . وفي بعض الحالات (يتبادلان) الصحف أو يتبادلان (الشنط) ، وهذه الاتصالات السريعة قصيرة جدا ومأمونة لان (طريقة التبادل) لا يعرفها سوى الاثنين فقط ، وتنفذ بأحكام ، وقد سلطت السينما الاضواء على هذه الناحية في الافلام الجاسوسية ، وأبرزتها بوضوح للمشاهدين ..

وبعض هذه الاجتماعات يتم تحت مراقبة (عناصر من المخابرات المسلحة) تقوم بالمراقبة كاجراء وقائي ، واحتمال حدوث (شيء) . وعندما تعطي للطرفين اشارة (الامان) أي أن الطريق خالية يتم الاجتماع والا عند وجود أي اشتباه تعطي اشارة متفقا عليها ، فيلغى الاجتماع ويسير كل من الضابط والعميل في طريقهما .

واذا كانت الامور التي تستدعي اجتماع الضابط والعميل أو عدة عملاء لا يمكن أن تتم في مثل هذه الظروف (الجيمس بوندية) ، فان المخابرات الاميركية غالبا ما تستأجر المنازل (المناسبة) لتكون مركزا للاجتماعات وتبادل المعلومات والتحدث بكل حرية .

نهاية الخدمة :

كل عملية لها نهاية وكل عميل له نهاية أيضا ، ولكن نهاية بعض العملاء تكون مفجعة ، أما المخابرات الاميركية فقد اتخذت الحيطة لكافة الاحتمالات ، فاذا توفي أحد العملاء بأسباب طبيعية يجري تدريب غيره ليحل محله ، أما اذا اعتقل العميل أو سجن وربما (أعدم) وهنا تقوم الحكومة الاميركية من وراء المخابرات بانكار كل زعم بأن الرجل كان عميلا ، وتطلق الدعاية المعاكسة بأن مخابرات البلد الذي اعتقل العميل فيه تريد الايقاع بين البلدين .. الخ .

وفي بعض الاحيان تضطر المخابرات الاميركية الى انهاء عملية ما للتخلص من العميل بسبب فقدانه عناصر وأسباب التعامل معه،ومنها الوصول الى الاسرار والمهمات التي ترغب المخابرات الحصول عليها •ومن أسباب انهاء أي عملية عدم الاستقرار العاطفي للعميل أو ظهور أشياء تدل على فقدان الثقة التي منحت له سابقا أو التأكد من كونه عميلا مزدوجا أو سقوطه بين يدي مخابرات الجهة المقابلة باكتشافها نشاطه • كل هذه الاسباب تجعل المخابرات تلغي العمليه للتخلص من العميل • وهنا تبدأ عملية (ما بعد العمالة) بحيث يمكن شراء العميل عديم الفائدة وغير المستقر بعد الغاء عمله بتهديده بعد التعويض عليه بمبلغ معقول •••

وهناك بعض الحالات الخاصة تضطر فيها المخابرات الاميركية الى تصفية (عميل خطر) ، فان قرار التصفية يتخذه رئيس الفرع الذي يتبعه العميل ثم يبرق هذا القرار مكثفا الى (المدير العام) ، وعندما يوافق على التصفية يوعز رئيس الفرع الى بعض المختصين لديه بالقيام بالتصفية بطريقة يظهر فيه (موت العميل) كحادث عادي أو انتحار ، لانه من الممكن استعمال أحدث الاساليب للقتل • وقد اضطرت المخابرات الاميركية بالفعل الى تصفية عشرات العملاء منهم من تقرر تصفيته لارتكابه بعض الاخطاء المميتة ومنهم من قتلته المخابرات الاميركية لانه لم يوافق على التعامل معها كما جاء في هذا الكتاب ••••

أما العميل المفيد الذي ينفذ عمله حسب الاتفاق ويقدم الخدمات الممتازة (كجاسوس بكل معنى الكلمة) فيمكن تزويده بمبالغ ضعف الاتفاق ، ونقله الى أي بلد يختاره للاقامة فيه ، ويساعد على ايجاد عمل ملائم له وبعض العملاء الذين يخشى عليهم بعد انهائهم مهمات معينة لاسيما الذين يعرضون أنفسهم للخطر خلال قيامهم بخدمة المخابرات الاميركية فانهم يرسلون الى الولايات المتحدة للاقامة فيها برعاية المخابرات حتى انتهاء حياتهم ، خصوصا وان القانون الاميركي سمح لمدير المخابرات المركزية الاميركية ١٩٤٩ باصدار أذونات دخول خاصة للاجانب (العملاء) والاقامة بصورة دائمة ••• بحجة خدمة الامن القومي ، ويمكن بعد ذلك التحاق بقية أفراد عائلته به تلقائيا ، حتى ولو كان بعضهم ممن

منعوا من دخول الولايات المتحدة (سابقا).أما الهاربون الى المخابرات الاميركية من مختلف الجنسيات فتجري معهم تحقيقات دقيقة ومطولة حتى يقتنع المحققون بأنه لم يبق لديه ما يفضي به عندئذ يحول أمره الى (قسم الاسكان) الذي يصبح مسؤولا عن ايجاد مكان ملائم لسكنىالهارب يعيش فيه بأمان من الانتقام وبشكل لائق لا يضطره الى الهرب من نعيم المخابرات الاميركية وافشاء مامر به أثناء استجوابه أو اتصاله مع من يغريه للعودة الى بلاده (بعد وعود) أو اغرائه للانتقال الى (معسكر آخر) ، يهمه معرفة (ما عرفته المخابرات الاميركية منه) فيبقى الهارب تحت المراقبة الدقيقة ، ويضع قسم الاسكان خطة يمليها على هـذا الهارب تتلخص بما يلي :

١ ـ اعطاؤه جنسية مناسبة لشخصيته (لدى المخابرات الاميركية جنسيات تحت الطلب) .

٢ ـ يعطى اسما جديدا يناسبه .

٣ ـ يعطى مسكنا لائقا به .

٤ ـ يوضع تحت تصرفه مبالغ كافية لظهوره بمظهر الشخص الذي اختارته له المخابرات الاميركية .

وأحيانا يعطى اللاجىء أو الهارب الى المخابرات الاميركية تقاعدا (مـدى الحياة) عندما يكون بهروبه قد أدى خدمة كبرى كما ينقل بعض اللاجئين الى المخابرات الاميركية للسكن في أوربا الغربية أو كندا ...

أعمال المخابرات الأمريكيّة

اكتشف خبراء المخابرات الاميركية الموجودون في جزيرة (جواد لنكال) أسرار (الشيفرة السرية اليابانية) ، وأخذوا يطلعون على جميع الاوامر العسكرية اليابانية أولا بأول حتى علموا بأن الجنرال (ايزوروكوياماموتو) سيكون عـلى مقربة من المواقع الاميركية في جولة تفتيشية على القوات اليابانية ومن الممكن (اسقاط طائرته) .

استشير الرئيس الاميركي روزفلت شخصيا ، واستشير معـه الاميرال

(أرنست كنج) قائدا الاسطول الاميركي، ودارت بينهما وبين المخابرات الاميركية مشاورات هـل يكون ذلك عملا حربيا أم (جريمة قتل) ، وفي النهاية وافق الرئيس روزفلت على العملية بعد أن أقنع بأن الجنرال ياماموتو عنصر هام في المجهود الحربي وليس لدى اليابان من يحل محله في وضع استراتيجية الحروب بالاضافة الى حقد الاميركيين عليه لانه واضع خطة الهجوم الياباني المفاجىء على (قاعدة بيرل هاربر) الذي زعزع الاسطول الاميركي ، وقضى على نحو الفين من خيرة مشاة الاسطول وأسقط هيبة أميركا وعظمتها في حينه (مما جعل من اغتياله انتقاما) •

سجل حياة (ياماموتو) :

يبلغ التاسعة والخمسين من عمره (سنة ١٩٣٤) قصير القامة مثل أغلب اليابانيين ، ولكنه ممتلىء الجسم وجهه مدبب الانف • وله يعود الفضل في تشييد الاسطول الياباني الحديث (ابان الحرب العالمية الثانية طبعا) ، كما أنه أدخل تحسينات عديدة على فنون القتال البحري الليلي ووسائل •••استخدام الطوربيد التي ألحقت بالسفن الاميركية أبشع الخسائر • كما كان من رواد الطيران ، وله الفضل أيضا في مضاعفة انتاج طائرات الزيرو المهلكة • والاعتماد على حاملات الطائرات مما سبب انقلابا كليا في الحرب البحرية •• ومع ذلك كان من المعجبين بأميركا وهو من الطلبة الاوائل في جامعة هارفرد الاميركية • وبعدها عين ملحقا بحريا في السفارة اليابانية بواشنطن يتكلم الانجليزية بطلاقة تامة ومحبا للعبتي البيسبول والبوكر • وكانت بعض العناصر المتطرفة في اليابان تعتبره من أنصار أميركا • وقد تعرض نتيجة لهذا الشك لمحاولة اغتيال ••• ؟ وعندما دخلت اليابان الحرب ضد أميركا تولى ياماموتو قيادة الاسطول الياباني بمهارة ، ومن أروع منجزاته الهجوم على بيرل هاربر •

اعتراض طائرة ياماموتو واسقاطها :

في مساء يوم ١٧ نيسان ١٩٤٣ صدر الامر الى الميجور تاماس لابنهاير من سلاح الطيران الاميركي في مطار هندرسون بتقديم نفسه الى ادارة العمليات العسكرية•

فوصلها مع الميجور جون ميتشل قائد سرب المقاتلات (٣٣٩) ، وأهم الابطال في جواد لنكال • وعندما دخلا المخبأ المعد للادارة أدركا أن في الامر شيئا ذا أهمية لان معظم ضباط القيادة كانوا موجودين • وسلم الى الميجور لابنهاير مظروف كتب عليه (سري للغاية) ، ولما فتحه وجد فيه برقية تقول (ان ياماموتو وكبار ضباط أركان حربه يصلون الى جزيرة (بوجينفيل) بطريق الجو بتاريخ ١٨ ابريل ، ويجب على السرب (٣٣٩) ب ٣٨ الهجوم على طائرته وتدميرها مهما كان الثمن • فان رئيس الجمهورية يعلق أهمية كبرى على هذه العملية) ، وتكفي هذه الجملة هنا لنتأكد أن رئيس الجمهورية في أميركا يطلع على الامور والمؤآمرات الهامة التي ترتبها المخابرات المركزية منذ تأسيسها وحتى الآن •

وقد ذكر في البرقية أن ياموتو وضباط أركان حربه يستقلون طائرتين من قاذفات القنابل تحرسهما طائرات زيرو مقاتلة ، وتفصيلا مدهشا للرحلة واختتمت البرقية بتوقيع : فرانك نوكس وزير البحرية الاميركية •

وتبادل لابنهاير وميتشل البرقية ونظرا الى بعضهما • وعرفا لماذا اختير سرباهما لهذه الغاية وذلك لان جزيرة (بوجينفيل) تبعد ٥٠٠ كيلو متر من جواد لنكال ، وطائرات السرب ٣٣٩ من نوع (لوكهيد لايتننج) هي الطائرات الوحيدة ذات المدى الذي يكفي لاعتراض طريق الاميرال •

تنفيذ العملية بدقة :

رتبت العملية على أساس وصول طائرة ياماموتو في الساعة التاسعة و ٤٥ دقيقة من صباح ١٨ واعتراض طائرته قبل وصولها بعشر دقائق ، في منطقة تبعد ٥٦ كيلو متر شمال المطار ، وكان الامر كالمقامرة غير المضمونة ، حيث لا يملك الاميركيون سوى ١٨ طائرة بينما يملك اليابانيون حوالي مائة طائرة في كاهيلي• ومع ذلك فقد تقررت العملية ، وقام الميجور ميتشل بشرح العملية على الارض لقادة الطائرات بقوله : سننطلق في الساعة السابعة والدقيقة ٢٥ ، وسيكون سربي المؤلف من ١٤ طائرة على ارتفاع ٦٠٠٠ قدم ليتولى أمر مهاجمة الطائرات المقاتلة التي تغادر مطار كاهيلي • بينما يتولى سرب لابنهاير المؤلف من أربع طائرات على ارتفاع ٣٠٠٠ قدم بعملية اعتراض طائرة الاميرال ••• ومن ثم اسقاطها • وانضم

الى شرح العمليه ضابط المخابرات المركزية الذي أضاف الى تعليمات ميتشل ان الجنرال يامانوتو له أهمية كبرى للاسطول الياباني ، وكيف ان فقده سيكون ضربة قاضية تصيب ، روح العدو المعنوية . وأضاف ضابط المخابرات قائلا : ان الاميرال محب للكمال وتؤكد مخابراتنا سرعته ونشاطه فلا بد أن تحافظوا على الميعاد .

وأشرقت شمس ١٨ ابريل على (جواد لنكال) صافية ولكن الجو كان مشبعا بالرطوبة . ومع ذلك انطلقت الطائرات في الساعة السابعة والدقيقة ٢٥ حسب الخطة في السماء تسير بخط متعرج لتفادي رادار العدو . والجميع مصممون على المخاطرة لتنفيذ المهمة حتى أصبحوا فوق جزيرة « بوجينفيل » عند ذلك انطلق ميتشل بطائرته كالصاروخ يتبعه سربه الى علو ٦٠٠٠ قدم بينما انطلق لانبهاير قائدا سربه الى علو ٣٠٠٠ قدم ، وكانت الساعة التاسعة والدقيقة ٣٣ وبعد دقيقة واحدة قطع أحد الطيارين سرب ميتشل حبل الصمت قائلا في هدوء: أشاهد طائرات العدو على ارتفاع الساعة العاشرة « وهو تعبير في السلاح الجوي أن الطائرة تحلق على ارتفاع يتناسب مع ارتفاع الطائرة التي تراها » وعندما اقترب لانبهاير منهم شاهد من بعيد بقعا سوداء تشبه حرف « ٧ » وشاهد في وسطهم طائرتين من ذوات المحركين مطليتين باللون الاخضر وكانت الساعة تشير الى التاسعة والدقيقة ٣٥ — وهذه الدقة جاءت بالنظر لمحافظة الاميرال على مواعيده أولا ، وثانيا لجهد المخابرات الاميركية وبالتالي الطيارين الاميركيين.

كان الطيارون الاميركيون يقتربون من الطائرات اليابانية بسرعة ، ولم تشاهدهم الطائرات اليابانية . وبدأ لانبهاير وسربه الاستعداد للقتال ، فرمى خزاني وقوده ، وحذا زملاؤه حذوه . وعلى ١٥٠٠ متر اكتشفتهم الطائرات اليابانية فارتفعت فوقهم ، بينما توجهت طائرة من ذوات المحركين الى فوق الغابة وتوجهت الطائرة الثانية نحوهم . أما لانبهاير فقد طاردته ثلاث طائرات زيرو ، مما دعاه الى اطلاق مدافعه حالا حيث أصاب احداها وشاهدها وهي تسقط تحته وتخلص من الطائرتين الثانيتين . وأخذ يبحث عن الطائرة ذات المحركين التي فقدها أثناء المعركة فشاهدها تنزلق فوق الغابة حتى تكاد تلامس رؤوس الاشجار، فتبعها حتى مستوى رؤوس الاشجار ، وأخذ يطلق عليها النار من مدفعيه ، فبدأ

محركها الايمن والجناح في الاشتعال ، ثم سقط الجناح وشاهد الطائرة تهوي في الغابة وتتحطم . وكان زميله الطيار باربر قد أسقط الطائرة الثانية من ذات المحركين في المحيط . وحان وقت للتراجع وعند دورانه للعودة دخل سحابة من الغبار ، اذ أنــه كان يطير فوق مطار كاهيلي ، وكان الغبــار ناشئا عن انطلاق الطائرات اليابانية الى الجو مما دعاه الى الانطلاق بطائرته « اللايتنج » والصعود السريع ، وابتعد تدريجيا عن طائرات الزيرو اليابانية في طريق العودة . وبطبيعة الحال كان الطيارون الباقون من المهمة يعودون تدريجيا الى المطار ، وكان لابنهاير آخر العائدين بطائرته التي كان في خزانها آخر نقطة من الوقود . حيث التف حوله الميكانيكيون وزملاؤه الطيارون وأخرجوه من مقصورة القيادة (كان يشعر وكأنه لاعب كرة قدم سجل هدف الفوز) . أما زميله باربر فقد أسقط الطائرة الثانية وطائرتين زيرو وفقدوا طيارا واحدا . وفي المساء أقيمت حفلة على شرفهم ، حيث تليت عليهم البرقية التالية : من الاميرال (بول هالزي) قائد القوات البحرية الاميركية في جنوب الباسفيكي : تهنئتي للميجور ميتشل وصياديه . يبدو أن البطة التي في حقيبتهم طاووس «حيث علم بعد ذلك أن طائرة الغابة التي أسقطها لابنهاير كانت تحمل الاميرال ياماموتو . وقد عثر عليها ، وفيها الاميرال لا يزال قابضا على سيفه حيث نقلت جثته الى طوكيو وشيعت بجنازة رسمية ، اشترك فيها ملايين اليابانيين بينما أنقذ الاميرال أوجاكي والاميرال كيتامورا من حطام الطائرة الثانية التي أسقطها باربر ، وهما مصابان بجروح خطيرة .

أما بالنسبة للدولتين المتحاربتين أميركا واليابان فقد اذاعت طوكيو بعد شهر من الحادث أن الاميرال ياماموتو قد لقي مصرعه ، وهو يؤدي واجبــه العسكري . أما أميركا فلم تذع شيئا طوال الحرب لسببين : الاول عدم اشعار اليابان باكتشاف المخابرات الاميركية للشيفرة اليابانية ، والثاني وجود الميجور لابنهاير أسيرا في اليابان حيث أسقطت طائرته بعد شهرين من اسقاط طائــرة ياماموتو . ومع ذلك فقد مات تشارلي شقيق لابنهاير بالغرغرينا قبل وصول مشاة الاسطول الاميركي الى مكان أسره بأسبوعين . وهكذا أضيفت الى عمليات المخابرات الاميركية هذه العملية التي لم يتمكن الاميركيون من نشرها الا بعد الحرب .

من مهمات المخابرات المركزية الاميركية :

من المهمات العديدة للمخابرات المركزية الاميركية فتح الرسائل والاستماع الى المكالمات الهاتفية والاطلاع على الافلام والكتب والصحف والبرامج الاذاعية والتلفزيونية ، وذلك لان هذه المراقبة (ضرورية) وتكون ذات حدين أولا : تمنع وصول المعلومات الى (العدو) ، وثانيا تكشف العميل الذي يرسل هذه المعلومات فقد اكتشفت المخابرات الاميركية جاسوسا ألمانيا في نيويورك كان يتظاهر بأنه (تاجر جملة) ويتلقى اموالا طائلة من البنوك بعد مراقبة مراسلاته التجارية وحل رموزها ، فاعتقل وحكم عليه بالاعدام . وقد بلغ حتى الآن عدد الذين اكتشفتهم المراقبة هذه المئات .

بدء المراقبـــة :

مع نشوء المخابرات الاميركية وجدت المراقبة حيث أعد لها غرفة في مبنى الهاتف في واشنطن ، والآن أصبح للمراقبة في الولايات المتحدة /٩٨/ عمارة وموظفو المراقبة فقط /خمسون ألف/ ، أغلبهم خبراء في عملهم ، يعاونهم عدد ضخم من المترجمين والاختصاصين في القضايا الحقوقية والمالية والتقنية حتى (هواة الطوابع) ، وتصرف المخابرات على العلماء بسخاء لينضموا الى هذا الجهاز حتى انها تعاقدت مع أستاذ جامعي يجيد /تسع/ لغات منها اللغة السنسكريتية ، وفي كل يوم يمر من أمام جهاز المراقبة في سائر أنحاء الولايات المتحدة حوالي (مليون) رسالة ، ومع هذا تراقب جميعها خلال (٢٤) ساعة ، أما البريد الرسمي فيحظر فتحه ، ولكن كان لا بد من الاطلاع عليه (بدقة) ، لان بعض الجواسيس تمكنوا من تقليد مغلفات بريد الوزارات والاختام المستعملة . لذلك بما في ذلك تقليد بريد (البيت الابيض بالذات) .وقد وضعت لوائح بأسماء أشخاص مشتبه بهم وعملاء للعدو في جميع مراكز المراقبة لكي تتعرض رسائل وهواتف هؤلاء الذين يقدر عددهم بـ ١٠٠ ألف الى مراقبة دقيقة . والرسالة التي تضبط تحول حالا الى الدوائر المختصة ، ومن بعض المراقبة الهاتفية ابان الحرب العالمية أن اكتشف أحد المراقبين أن أحد المعامل سوف يصدر /١٥٠٠/ طن من فضلات النيكل الى السويد ، وكانت السويد بحاجة الى هذا النيكل لصناعة الفولاذ الذي

تبيعه فيما بعد الى المانيا ، فمنعت الصفقة بأمر من المراجع العليا ، كما كشف أحد المراقبين أن المانيا سوف تبيع مليون زجاجة شمبانيا الى اسبانيا . وهذه الصفقة سوف تتيح لها ربحا صافيا حوالي ٦ ملايين دولار من القطع النادر . واكتشفت رسالة مرسلة من أم المانية الى ولدها المقيم في نيويورك تخبره بأن يركب القطار لدى عودته فاستنتج الرقيب أن (خطا) حديديا قد بني الى بلدة المرسل اليه ووضع الخط ضمن أهداف الغارات الاميركية فيما بعد .

وفي مراكز الحدود يوضع مراقبون من عناصر المخابرات اضافة الى موظفي الجوازات تكون مهمتهم التدقيق في الاوراق التي يحملها المسافرون ، أو مراقبتهم بدقة بموجب اللوائح والصور التي يحملونها . ونتيجة لمراقبة الحدود فقد ألقي القبض على سيدة تحمل وثائق تجسس ومعلومات ضمن باقة من الازهار ، ورسالة من جاسوس الى رؤسائه يشكو لهم (شدة المراقبة التي تشل عمله) .

وأهم ما يلفت نظر المراقب بالنسبة للرسائل كل رسالة من الخارج الى عنوان عسكري ، كل رسالة الى أي شخص من عنوان (مشبوه) ، كل رسالة تحوي أرقاما غريبة أو رموزا أو يكون ورقها جافا (كتبت بالحبر السري ثم نشفت) . وأقل ظاهرة في الرسالة توحي بخدعة أو تجسس أو خبر سري تجعل المراقب يفتحها حالا ، فاذا وجد فيها شيئا أحالها الى القسم المختص . وهذا القسم يضم مختبرا يكشف الرموز المحتملة في الرسائل المشبوهة . وكل رسالة تمر عليها (اسفنجة) مغموسة بمادة خاصة لكشف الحبر السري ، ثم تفحص بالاشعة (فوق البنفسجية) ، وتوصل هذا القسم الى اكتشاف طريقة جديدة جدا في فن التجسس فتصور صفحة كاملة (مضروبة على الالة الكاتبة) ثم تصغر (عدة مرات) حتى تصبح بحجم (نقطة) تغرس في سطر (معين) من رسالة بريئة .

أما المخابرات الهاتفية فهي بحاجة الى مراقبين سريعين وأذكياء ، ويلزم أحدهم أن يمسك بيده قلما بينما يسجل المخابرة بيده الثانية ، ويترك القلم من يده ليقطع المخابرة في بعض الاحيان وهكذا .

ومن المخابرات التي كشفت أن أحد الضباط في واشنطن كان يملي هاتفيا على صديق له وبداعي التبجح أنه سوف يسافر مع وفد من كبار المسؤولين

والضباط وعدد رتبهم وموعد اقلاع الطائرةفسجلت مخابرتهلاداتته بافشاء أسرار عمله أمام مجلس تأديب عسكري •

والبرقيات المرسلة أيضا تقوم المخابرات الاميركية بمراقبتها ، فكل برقية تصدر من أي ولاية تحول فورا الى أحد مكاتب المراقبة • فاذا كان نص البرقية واضحا ، ولا يضر بالمصلحة الوطنية تابعت البرقية سيرها الى المرسل اليه ، وان كان هناك أدنى شك فكانت تخضع لفحص أدق، وكان خبراء المخابرات الاميركية يقومون بتصحيح بعض البرقيات لسببين : أولا لاضاعة المعنى المقصود منها ، وثانيا اذا كانت طبيعية ولكن لغتها ركيكة فتصلح لغويا • ومن ذلك أحد الجنود أرسل برقية مختصرة يقول فيها (٤ دولارات قرنفل) صححتها المخابرات الى (٤ دولارات زهور) لاشتباه المراقب بأن كلمة (قرنفل) ترمز الى شيء آخر بالشيفرة وبرقية ثانية يقول مرسلها (رحل الوالد) جرى تصحيحها الى (توفي الوالد) عند ذلك فضح المرسل اليهلانه أرسل للمصدر برقية يستفسر فيها (هل رحل أو توفي الوالد) فاعتقل ؟ والمعدل الوسطي للرسائل التي تصادر سنويا من مراقبة البريد حوالي /١٠٠٠/ رسالة مشتبه بها يتضح بعد التحقيق أن ٥٠٠ منها رسائل تجسس ذات أهمية بالغة كالرسالة التي وصلت الى سيدة تنزل في فندق نيويورك أخضعت للمراقبة ووضع عليها مادة خاصة ظهر بين السطور رسالة ثانية مكتوبة بالحبر السريتقول لها : (اكتبي الى تريزا أو أقصديها فانها تتسلم دراهم من السيد ميلر ٠٠) • أخذ مكتب المراقبة يقرأ جميع رسائلها حتى أدينت بالتجسس ومعها خمسة شركاء حكموا جميعا أحكاما قاسية •

وهناك جاسوسة اعتقدت أنها تضحك على المراقبة فاسست شركة لبيع الدمى (اللعب) على مستوى عالمي • وكانت رسائلها التجارية أحسن تغطيه للتقارير التي كانت ترسلها الى اليابانيين ، وفعلا نجحت بعض الوقت ، ونقلت معلومات عن مراكز وحالة السفن وعن السفن الانكليزية التي تصل الى الموانيء الاميركية ولكن عودة بعض رسائلها المرسلة الى الارجنتين لان العنوان كان خطا بينما الرسائل كانت مرسلة من المدن الاميركية باسماء اشخاص اميركين اما من الدليل التجاري أو دليل الهاتف وهؤلاء قاموا باعلام المخابرات الاميركية تلقائيا عند استلامهم الرسائل المرتجعة ، أبلغت مصلحة المراقبة في المخابرات فوضع بريد

(فلفالي ديكنسون) تحت المراقبة الدقيقة • وكانت النتيجة جمع أدلة كافية لادانتها حيث اعتقلت واعترفت وحكم عليها بالسجن عشر سنوات مع غرامة /١٠ر٠٠٠/ دولار ، كما تمكنت المخابرات الاميركية من توقيف عميل برتغالي يدعى أرنست لهمتز بعد ارساله كتابا بالبريد المضمون الى لشبونة ضمنه بعض التقارير •

وكانت لدى المخابرات الاميركية معلومات عن عميل لالمانيا يدعى (هيزل) فوضع اسمه على لائحة المطلوب مراقبة بريدهم • وفي أحد الايام وقعت رسالة بيد المراقب كتب عليها اسم المرسل اليه /هيزل/ المقصود والمرسل : جيرسون يرد ، وبعد طليها بمادة خاصة ظهرت رسالة آخرى كتبت بالحبر السري تتضمن أهم المعلومات عن انتاج الولايات المتحدة من الاسلحة • وانتظرت المراقبة رساله ثانية ظهر منها أن جيرسون قد دب فيه الخوف (وهذا شعور الجاسوس) ، ويطلب عدم مراسلته • ورسالة ثانية يقول فيها انه لم يبق لديه حبر سري للكتابة ورسالة ثالثة يقول انه سيوقع باسم بيل عوضا عن جيرسون وضمن هذه الرسالة معلومات عسكرية جديدة فاضطرت المخابرات عند هذا الحد الى توقيفه، وأخضع للتحقيق فتبين أنه الماني الاصل يدعى الكونت فون روتر ، وأنه اتخذ الجنسيه الاميركية ستارا للعمل لصالح المخابرات الالمانية •• وساعدت المراقبة على توقيف ثلاثة أشخاص في يوم واحد أولهم سيدة يابانية تتنكر بزي هندية ، والثاني جاسوس حاول تركيب جهاز ارسال في غابات واشنطن ، والثالث يطلب من رؤسائه نقله الى لندن •

وأكبر نجاح حققته مصلحة المراقبة في المخابرات الاميركية هو عملية منع اليابانيين من معرفة(نتيجة آحد أسلحتهم الجديدة وهو كتلية عن بالون من الورق المقوى مملوء بالقنابل المحرقة ، تدفعه الرياح فوق الغابات في شمال الولايات المتحدة • والغاية منه زرع الرعب في قلوب السكان المدنيين فقد وجد أطفال في الاوريغون أحد البالونات فانفجر وقتل امرأة وخمسة منهم • أما عمال الغابات والمياه فقد وجدوا ٣٤٤ من هذه البالونات جمعت وأبطل مفعولها بتعليمات من

خبراء الجيش ، ولكن الخبر بقي طي الكتمان بايعاز من المخابرات حتى اعتقد اليابانيون أن بالوناتهم لاتصل فوق الاراضي الاميركية ، وبعد أن أطلقوا /٩٠٠٠/ بالون منها ألغوا المشروع بكامله •

ان أقسام المراقبة في أي مخابرات في هذا العصر ذات فائدة كبيرة لان الولايات المتحدة التي تعتبر نفسها رائدة الحرية ، فيها من أنواع المراقبة على الشعب الاميركي ما ذكر بعضه وما لم يعرف حتى الآن •

المخابرات الاميركية تعتقل جاسوسا من بين ٨ ملايين نسمة :

المخابرات الاميركية لديها الوسائل الحديثة منذ انشائها لكشف الجواسيس الذين يقدرون بالمئات ، ويعيشون داخل أميركا بمختلف الاشكال • وهذه حادثة أدت الى اعتقال جاسوس في مدينة نيويورك التي كان تعداد سكانها في حينه ٨ ملايين نسمة (الان عدد سكان نيويورك ١٣ مليون نسمة) جرى اعتقال الجاسوس بدون مغامرات سيف وقناع أو وضع امرأة حسناء أو اشتباك مع رجال المخابرات حتى بدون طلقة مسدس واحدة بل كان الاعتقال نتيجة (الصبر والخبرة) في البحث عن جاسوس ضائع بين الثمانية ملايين نسمة •

رقابة البريد :

في مساء ٢٠/٢/١٩٤٢ عثر موظف المراقبة في مركز بريد نيويورك على رسالة موجهة الى (البرتغال) ، وصادر الرسالة لان اسم المرسل اليه في البرتغال على اللائحة السوداء[1] لدى موظف المراقبة وكانت المخابرات الاميركية تعلم أن عنوانه كان كصندوق بريد للعديد من الجواسيس •

---

(١) ننصح رؤساء المخابرات ودوائر الامن العام باتباع طريقة (اللائحة السوداء) وادراج أسماء العملاء والمشبوهين في كتيب صغير وبموجب حروف الابجدية (تستعمل حاليا بالاضافة الى اميركا في يوغسلافيا وايطاليا) لكي يسهل على موظفي الامن العام في الحدود والمخابرات في عملهم بالمراقبة البريدية استعماله لكشفهم ، ولدينا الخبرة الكاملة لذلك نضعها بتصرفهم حين الضرورة •

ولدى فتح الظرف وجد رسالة مكتوبة على الآلة الكاتبة ومضمونها(بريء) كتلك الرسائل التي يتبادلها الاصدقاء القدامى ، وفيهـا السوءال عن الصحه والاحوال والاصدقاء ... الخ .

حولت الرسالة فورا الى واشنطن ادارة ـ المخابرات الاميركية ـ وبعد عدة ساعات كان أحد الخبراء يمر باسفنجة مغموسة بمادة كيماوية على وجه الرسالة وشيئا فشيئا أخذت تظهر كتابة على الوجه الابيض بالخط الالماني . ولما ترجمت تبين أنها تتعلق بمعلومات عن انتقال قوات على ظهر سفن راسية في ميناءنيويورك. والتي تستعد للابحار في قافلة . ومثل هذه المعلومات لو وصلت الى يد الألمان فهي تشكل خطرا قاتلا على الجنود المنقولين والبحارة والسفن الحربية إذ لا بد من اعتقال هذا الجاسوس للتخلص من خطره .

لكن المختبر لم يستخلص سوى أدلة ضئيلة ، والرسالة كانت مطبوعة على آلة كاتبة من نوع (أدروود) النقال ذي الصفوف الثلاثة من الحروف فانطلق العشرات من رجال المخابرات يبحثون عن وكلاء بيع آلة الطباعة ومؤجريها في المدينة الهائلة (نيويورك) بدون فائدة .

وخلال أسبوع أرسل الجاسوس رسالتين ثانيتين ، وهذا يدل على أنه يعمل بهمة ونشاط . وجميع الرسائل مرسلة من نيويورك مما يدل على انه يقطن في المدينة ، وبينما كان أحد الضباط يراجع الرسائل المصادرة لفت نظره على أن بعض المقاطع تنطوي على لهجة صادقة . أما بقية الرسائل فتحوي على اختلاق ظاهر كما يلي :

بعد المقدمـة .. الطويلة ..

هيومفري تزوج . البيت الذي يسكنه هو ملكه لديه كلب أصيب بمرض وعنده وظيفة مستقرة ، يغادر منزله كل صباح بين السابعة والثامنة (بدّل) مؤخرا زجاج نظارتيه هو منتم الى الدفاع السلبي الذي يضم ٩٨٣٣٨ عضوا في مدينة نيويورك .

اذا كتب الجاسوس معلومات لرؤسائه بأنه منتسب للـدفاع السلبي ، وهكذا تضيق الحلقة من ثمانية ملايين الى ٩٨٣٣٨ نسمة هم أعضاء الدفاع السلبي .

وباصرار تام بدأت المخابرات بغربلة جميع أعضاء الدفاع السلبي من منهم يملك بيتا • كم منهم متزوج • كم منهم يملك كلبا • (مريضا) ، كم منهم يضع نظارات (بدل زجاجها مؤخرا) • واستمر البحث والتدقيق واستمر عدد الرسائل بازدياد فاتضحت الصورة بعض الشيء عن الجاسوس فهو يملك بيتا له حديقة لم يستطع دفع بعض الاقساط فوضعت اشارة حجز على منزله ، وهو يريد الحصول على (مزرعة طيور) واذا كانت صورته لا تزال غامضة ، لان هذه الصفات تنطبق على مئات الاشخاص وبعد أيام وليال مرهقة ضيقت المخابرات البحث . وأخذ عدد المشبوهين لديهم يتناقص من ٩٨٠٠٠ الى ٨٨٠٠٠ ثم ٨٠٠٠، وحتى الرقم الاخير كان يشكل شيئا ضخما •• حتى مساء ١٤ نيسان ١٩٤٢ وقعت بأيديهم الرسالة الثانية عشر ، وأخذ منها المحققون المقاطع التالية : الحرارة هنا مرتفعة ، والاشجار بدأت تزهر • هذا الربيع يذكرني بذلك الاسبوع الرائع الذي قضيناه على شاطىء البحر في استوريل ••• والمخابرات تعرف بأن آستوريل هو شاطىء حديث على بعد عدة كيلو مترات من لشبونة ، وهو مكان هام للقاء الجواسيس الالمان •

عقد اجتماع على مستوى رؤساء فروع المخابرات وجرت مناقشة الموضوع من جميع نواحيه بحيث عرف الآن أن الجاسوس دخل مدينة نيويورك قادما من لشبونة • وكيف للمخابرات أن تعرفه من بين آلاف القادمين من الاميركيين ، والاجانب ، لا يوجد صورة ولا بصمات ؟ عند ذلك اقترح أحد المحققين قائلا : بأن كل شخص يدخل الولايات المتحدة عليه أن يملأ تصريحا للجمارك بخطه[1] والجاسوس (طبعا) ملأ مثل هذا التصريح لدى قدومه ، ولدى المخابرات نماذج عديدة من خطه (توقيعه على الرسائل باسم/فريد لويس) ، وما عليهم سوى مراجعة مصلحة الجمارك في نيويورك للاطلاع على التصاريح ، ومقارنه خطوطها بخط/فريد لويس/، وحالا انطلق رجال المخابرات من خبراء الخطوط وبدأوا بفحص ألوف التصاريح الجمركية ، وكانت نسبة القادمين من البرتغال الى

(١) ننصح ايضا رؤساء المخابرات العربيــة بالاستنادة من بطاقات الدخول والخروج للبلاد التي يملؤها الاجانب للمقارنة عند مصادرة أي رسالة مشبوهة وعند الضرورة •

نيويورك أكبر نسبة ، وكانت تصاريحهم مكتوبة باللغات : الروسية ــ الالمانية البولونية ــ الفرنسية ــ الهولندية ــ اليثوانية[1] وكانت جميع التصاريح تدرس بعناية ، وخلال أيام كان الخبراء يشقون طريقهم بين جبال من التصاريح الجمركية بدون تعب أو ملل .

النتيجـــة :

مساء ١٩٤٣/٦/٩ في الساعة التاسعة : وبينما كان أحد الخبراء يفحص لتصريح رقم /٤٨٨١/، وبعد تركيز عدسته على التوقيع شعر بارتياح شديد ، وان تعبه وتعب زملائه قد أثمر . فانطلقت صيحة انتصار قفز لها زملاؤه حيث تجمعوا حوله وشاهدوا الصيد الثمين بيده ، شاهدوا التصريح الذي سيرشدهم الى ضالتهم الى (الجاسوس) الذي أمضوا الليالي الطويلة في البحث عنه ، وقد سجل بالتصريح ما يلي :

الولايات المتحدة الاميركية
وزارة الماليــة
ادارة الجمارك في مدينة نيويورك

تصريح رقم /٤٨٨١/
الاسم : أرنست ف ليهميس
الجنسية : ألماني
الزوجة : ميريل دايك
الاولاد : لا يوجد
أشياء تجارية مطلوب التصريح عنها : لا يوجد

---

(١) فحص الخط علم صحيح تعتمده المحاكم استنادا لتقارير خبراء الخطوط وشكل حرف واحد يمكن أن يكون الدليل على كاتبه . وقد اعتقلت المخابرات العربية أحد المشبوهين لارساله رسالة بتوقيع مخبر صادق يتهم فيها بعض الناس بالعمالة بعد أن استكتبته مع مجموعة من زملائه وكشفت خطه بعد ذلك .

نوع العمل : متقاعد
قادما من : لشبونة •
العنوان :
١ ـ الفندق ـ نيويورك فندق كونتيننتال ـ الشارع ٥٩ ـ هاتف/٦٤٣٨٩٢/٠
٢ ـ الاقارب : لا يوجد •

التوقيع

بعد هذه النتيجة المرضية توجه فريقان من المخابرات ، فريق الى مقر الدفاع السلبي للتأكد من وجود الجاسوس ضمن أعضائه ، والفريق الآخر توجه الى الفندق الذي نزل فيه الجاسوس لدى حضوره . فتبين أنه غادر الفندق ، ولم يعرف له عنوان . بينما كان يتردد لاستلام بعض الرسائل ، أما الفريق الاول فقد عثر على العنوان الكامل للجاسوس في سجلات الدفاع السلبي ، وكان يقطن في ١٣٣ اكسفورد بالاس توبكنسفيل • ستاشين ايلاند ـ نيويورك وبعد نصف ساعة كان رجال المخبرات يتوجهون الى العنوان لمشاهدة (الهدف) ، وهو بلغة المخابرات الجاسوس • وأمضوا ليلتهم يراقبون المنزل ، وفي الساعة السابعه من صباح اليوم التالي خرج من الباب رجل طويل نحيل يضع نظارتين سار مسرعا عبر الشارع ودخل الى مطعم غير بعيد عن منزله •

لحق به رجال المخابرات دخلوا المطعم الذي كان مزدحما بالبحارة والجنود رغم هذا الوقت المبكر فوجدوا (الهدف) وقد وضع على وسطه (مريلة قذرة) وراح يمسح الارض بالماء والصابون بشكل لا يلفت النظر ، متنقلا في عمله هذا بين الطاولات التي جلس اليها الجنود ، يتحدثون عن مهماتهم ومواعيد سفرهم (بعفوية) ظاهرة دون أن يعرفوا أن هناك من يسترق السمع اليهم •••؟

ترك ارنست تحت المراقبة الدقيقة ، بينما كانت الادلة تجمع من حوله دون أن يشعر سألت المخابرات الجيران عنه ، وكان يلقب بينهم بـ (ايرني) ، وكانت أجوبتهم كلها لصالحه من شدة ما اكتسب من شعبية خلال مدة اقامته •

نماذج من أجوبة الجيران :

جواب سيدة : ايرني أنا أعرفه جيدا انه رئيس جزيرتنا ، يجب أن تسمه أثناء

التدريب على أعمال (الدفاع المدني) وهو يصرخ بأعلى صوته على أولئك الذين لا يخفون أنوارهم .

جواب جار له : ايرني رجل شهم مات كلبه في الصيف الماضي ، فحزن عليه وكأنه فقد صديقا عزيزا .

جواب ثالث : ايرني ليهميس طبعا أعرفه عنده أجمل حديقة في المنطقة .؟

جواب رابع : أعرفه ومن سوء الحظ أن البنك العقاري حجز له منزله ؟

جواب خامس : أعرفه طبعا لان من عادته أن يتوقف عندي ليشرب كأسا من البيرة قبل عودته للمنزل .

جواب سادس : ايرني جاري انه شخص في غاية الهدوء . هوايته تربية الطيور ، وينوي شراء مزرعة لتربيتها .

جمعت هذه المعلومات التي أتت مطابقة لما جاء في رسائله، ووضعت في ملف يحوي الرسائل التي صودرت تباعا منه ، وعلى وجه جميع هذه الاوراق (موافقة النائب العام) باعتقاله ، وهذا بكل هدوء وبعد سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام بعد ضبط المراقبة البريدية للرسالة الاولى توجهت مفرزة من المخابرات الى منزله صباح ١٩٤٣/٦/٢٧ في الساعة الثامنة (حسب الاصول القانونية)، وطلبوا منه مرافقتهم الى المركز ، وهناك وضعوا رسائله أمامه مع الادلة الدامغة ، فاعترف اعترافا صريحا وقعه بيده ، بأنه حضر لاول مرة الى الولايات المتحدة عام ١٩١٨ بصفة موظف في القنصلية الالمانية في نيويورك ، ثم سافر عدة مرات الى ألمانيا ، وأخيرا استقر في ألمانيا فترة طويلة حتى عام ١٩٣٨ وخلال اقامته (جندته) المخابرات الالمانية (الجستابو) للعمل لصالحهم ، وجرى تدريبه على استعمال الكتابة بين السطور وبالحبر السري ، وسائر وسائل التجسس وأمروه بالعودة للعمل في نيويورك ، لانها ستكون مقر عمله الجديد ، وفعلا سافر اليها في ربيع ١٩٤١ . ومن جملة ما درب عليه أن يسعى لايجاد وظيفة أو صفة رسمية له (فوجد الدفاع السلبي) ، وأن يكون مواطنا طيبا (فأحبه جميع الجيران) حسب الخطة الرسمية.

وفي اعترافاته اتهم جاسوسا آخر يدعى اورين هاري دي سبرتير وحوكم الاثنان أمام محكمة عسكرية ، حكمت على كل منهما بالسجن لمدة ثلاثين سنة ،

واتضح بعد القاء القبض عليه أنه لعب دوره باتقان لان معظم الجيران تقدموا الى زوجته بعد اعتقاله ، مواسين مؤآزرين ، وقدموا لها الهدايا •

وأخبرها أحد الجيران قائلا أن ايرني لا يمكن أن يلحق الاذى بذبابه لذلك فانه يوجد خطأ ، وأن الامر ليس خطيرا •

ومع ذلك فقد كان اعتقال هذا الجاسوس عملا من أعظم أعمال مكافحة التجسس حققته المخابرات الاميركية ابتداء من موظف مراقبة البريد الى خبراء الخطوط وجميع من عمل بهذه القضية • لان اعتقال جاسوس يعيش في ترف أمر عادي ، ولكن اعتقال أرنست أمر غير عادي لانه كان يعمل كغطاء لتجسسه (خادما) في مطعم ، ويلبس أحذية كاوتشوكية من الجنس الرخيص ، ويركب المترو أو يسير على قدميه ••

واذا تابعنا تقصي عن كل مايقال أو يسجل عن المخابرات المركزية الاميركية لوجدنا عشرات القصص عن منجزاتها ، التي تتسم دائما بطابع معرفة كل شيء عن الدول المحيطة بأميركا خاصة الدول الشيوعية ، وقد حصلنا من مصدر موثوق على أن المخابرات الاميركية كانت تخطط منذ قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢على عدم السماح لمصر بالتطور والتقدم • وهي تثبت استطلاعها على حالة كل دولة من دول العالم على حدة سلفا ، حتى قررت هذه المخابرات حرمان مصر من أي عالم يتخصص في الذرة• وبدأت بتنفيذ مخططها هذا بطلب معلومات من عملائها في القاهرة عن أسماء المهندسين الذين يرسلون في بعثات دراسية للخارج ،ويختصون

ـ من مهام المخابرات الاميركية توصية الاميركيين بالحذر ، وكان يحدث أثناء الحرب العالمية الثانية أن يبوح ضباط موثوقون بأسرار عسكرية (هامة) لنساء يلتقون بهن في النوادي الليلية والمراقص بداعي حب الظهور أمامهن ، لذا فقد عمدت المخابرات الاميركية الى استخدام بعض نساء الليل من الارتيستات الحسناوات لهذا الغرض ، وكن يخرجن مع الضباط ومن تجد صديقها (ثرثارا) يتكلم عن مهماته تبلغ عنه حالا فينقل من مركزه استنادا الى الاخبار الموثوقة عنه بأنه غير أهل ليكون في مركز ذي أهمية (خاصة) •

بالذرة وغيرها مـــن العلوم الحيويـــة ، حتى طالعتنا الصحف الصادرة في شهر أغسطس عام ١٩٥٢ بخبرا مفاده أن الدكتورة المصرية(سميرة موسى) لقيت حتفها في حادث سيارة على طريق كاليفورنيا ، وأن البوليس الاميركي حقق بالحادث واتضح أنه حادث غامض (١) ، واذا تحرينا حقيقة ماحدث وجدنا أن الدكتورة سميرة اتجهت في طريق كاليفورنيا صباح ١٥/ ٢/ ١٩٥٢ . وفي منتصف الطريق وقع الحادث حيث قفز الصديق الذي كان يرافق سميرة من السيارة. وبقي سليما معافى . بينما هوت السيارة الى وادٍ سحيق . ولدى وصول البوليس كانت سميرة جثة هامدة .. وبعد الحادث اصدرت السفارة المصرية في واشنطن بيانا صحفيا جاء فيه : أن الآنسة سميرة موسى الطالبة في جامعة اوكردج قتلت في حادث سيارة على طريق كاليفونيا ، بعد أن أتمت دراستها ، وكانت تقود سيارتها الخاصة عند وقوع الحادث . الى هنا فينتهي الحادث على الصعيد الرسمي ، أما بالنسبة لنـــا فالحادث حسبما عودتنا المخابرات الامريكيـــة وعميلتها المخابرات الاسرائيليةهوامتداد لتآمرهماعلى النبوغ العربي خصوصا وأن الدكتورة سميرة



الدكتوره سميرة موسى

ضحية من ضحايا المخـابرات الاميركية

(١) مثل حوادث قتل العلماء والطيارين البارزين العرب في الولايات المتحدة والتي يفيد فيها البوليس الاميركي أنها حوادث غامضة ... الخ دائما ..

موسى سبق أن أعلمت ذويها قبل الحادث بمدة أنها تستعد للقيام بدراسات في غاية الاهمية بعد عودتها الى مصر وتخصصها في الذرة ، وكانت آخر مرحلة من مراحل دراستها هي زيارة معامل الابحاث الذرية في أميركا •

وهكذا حرمت مصر من هذه الدكتورة الاختصاصية في الذرة كما حرمت بعض البلاد العربية من خبرة علمائها وطياريها بنفس الطريقة المؤسفة •

المخابرات الاميركية تستعمل احدث كاميرات التصوير :

بدأت أجهزة المخابرات في العالم وأولها المخابرات الاميركية تستعمل آلة تصوير جديدة تعمل بواسطة الاشعة تحت الحمراء • ومن ميزات هذه الآلة الدقيقة التقاط الصور في أشد الامكنة ظلمة دون اللجوء الى الخاطف الضوئي ـ الفلاش ـ الذي يملأ المكان نورا ، ويفضح المصور هذه الآلة اسمها - (Infrorib) قياس ٣٥ ملم ، والى جانب العدسة يوجد كاشف ضوئي ، ولكن ضوئه غير مرئي بسبب تغطيته بمرشح (فلتر) أشعته تحت الحمراء •
ـ الذي يمنع مرور أشعة الضوء المرئية من خلاله ، وهي التي تمكننا من رؤية الاشياء بالعين المجردة ولايسمح هذا الفلتر سوى للاشعة ماتحت الحمراء باختراقه والى جانب العدسة فلاش مغطى أيضاً بمرشح أشعة ماتحت الحمراء، وعند تسليط الضوء على اتجاه فاننا لانرى أي أثر للضوء المنبعث منه ، ولكننا اذا نظرنا من خلال عدسة الكاميرا شاهدنا الشيء المراد تصويره أو الموجهة الكاميرا عليه وكأننا نراه في وضح النهار •

أما اذا حولت نظرك عن العدسة فانك لن ترى شيئا سوى الظلام أما عملية التصوير بطريقة الاشعة تحت الحمراء فليست جديدة بالنسبة لدوائر المخابرات ، وكلنا نذكر الطائرة ـ يو ـ ٢ ـ التي أسقطت في روسيا ، وكانت مجهزة بآلة تصوير من هذا النوع وباستطاعتها التقاط الصور من علو شاهق • وقد علمنا أن ثمن هـذه الآلة يبلغ ٢٤٠٠ جنيه استرليني ووزنها ٦ كيلو غرامات وبامكانها التصوير من مسافة ٢٥ مترا وعند استعمالها يجب تركيزها على ثلاث قوائم لمنع الاهتزاز الناتج عن طول البعد البؤري لعدسة ـ ٣٠٠ ـ ملم ، أما الفيلم المستعمل لهذه الاله فهو من نوع (High - Speed - Infra - Red)

عودة إلى صناعة المخابرات في أمريكا



« على عينك يا تاجر »

باري غولد ووتر عضو مجلس الشيوخ الامريكي يفحص مسدسا حديثا وزعته المخابرات الامريكية

بعد حرب حزيران وضرب باخرة التجسس الاميركية (ليبرتي) من قبل اسرائيل ، واعتذار اسرائيل رسميا وقبولها دفع قيمة التعويض عن مقتل بعض بحارتها واصلاحها • أشيع كما هو معروف أن اسرائيل ضربت ليبرتي لتغطية نقلها الاشارات والمكالمات الهاتفية البرية لها • ولكن بالحقيقة التي اطلعنا عليهامن مصادر موثوقة أن اقتراب ليبرتي في حينه من الشواطيء العربية لم يكن بنيه الاستطلاع لصالح اسرائيل بل كان لغاية رصد البواخر السوفييتيةوحركاتها. لان ذلك من أولى مهمات ليبرتي وعشرات البواخر مثلها والموزعة في بحار العالم،حتى جاءتنا الاخبار بأسر باخرة مماثلة لليبرتي تدعى (بويبلو) من قبل البحرية الكورية الشمالية في المياه الاقليميةلكوريا الشمالية،وهي تقوم بالتجسس باعتراف قبطانها الذي أظهر مع بحارته أسفه للسطات الكورية التي أحسنت معاملتهم • ولم تفرج عنهم حتى تقدمت أميركا باعتذار رسمي ، ثم سحبته بعد أن أطلقت السلطات الكورية الشمالية سراح البحارة •

ولم توقف أميركا تجسسها بطبيعة الحال على كوريا الشمالية بحرا وجوا حتى جائتنا الأخبار مجددا بخبر اسقاط طائرة تجسس أميركية نوع أي سي ١٢١ بعد أن اخترقت المجال الجوي الكوري ، وهي على ارتفاع شاهق • وقد سقطت هذه الطائرة في بحر اليابان فسارعت قطع الاسطول الاميركية الموجودة في اليابان للتفتيش عنها • وقد شاركتها بصفة انسانية بعض قطع الاسطول السوفياتي هذا

المعدات الاكترونية . ويتالف طاقمها من (٣١) شخصا معظمهم من المختصين بشؤون الرادار • تبلغ سرعتها ٣٠٠ ميل في الساعة ولها قدرة على التحليق الى علو ٢٥ ــ ألف قدم ومهمتها الاساسية معرفة قدرة الرادار عند العدو ومدى ذبذبته ومن مهماتها الثانية الانصات الى الاتصالات اللاسلكية ومن مسافات بعيدة • وكذلك معرفة أمكنة محطات الرادار •••

واذا تابعنا هذه الطائرة يوم اسقاطها لوجدنا أقلعت من قاعدة آتسوغي البحرية في اليابان[١] وكانت خلال طيرانها (من ابتداء الاقلاع الى بدء عمليه التجسس في المرور فــوق الاراضي الكورية الشمالية) عــلى اتصال لاسلكي بالقاعدة•وبالرغم من أنها مزودة بأجهزة الكترونية تخولهامعرفة اقتراب الطائرات العدوة منها واعلام القاعدة بذلك الا أنها لم تبعث بأي اشارات مما يدل على دقة عملية اسقاطها من قبل الكوريين الشماليين •

وقد علمنا أن المخابرات المركزية الاميركية دأبت على ارسال مثل هذه الطائرات للتجســس منذ عام ١٩٥٠ •

كما برعت المختبرات التابعة للمخابرات المركزية في تقديم كل جديد ومفيد فيعلم التجسس كما تقدم وكالة الفضاءالاميركية الاقمارالصناعية التي تدورحول الكرة الارضية بسرعة ١٩ ألف كيلو متر في الساعة ، وآخرها كان (سوموز) ، الذي يصور كل شيء يمر فوقه خصوصا في الاتحاد السوفياتي والصين ، وأن الكاميرا المثبتة فيه تصوير السيارات الواقفة في الساحة الحمراء في موسكو • وهذا القمر يستمر تحليقه مدة أسبوع في الجو ، وعندما يصل الى منطقة معينــة فوق المحيط فانــه يلقي أتوماتيكيا الفيلم الجاهز به لتلتقطه باخرة مــن بواخر

(١) يوجد عدة قواعد أميركية في اليابان والشعب الياباني غير راض عنها وقد قامت عدة مظاهرات ضد هذه القواعد كان آخرها المظاهرة التي قام بها عشرة آلاف ياباني أمام قاعدة (اوكيناوا) التي تحوي وتنطلق منهــا اسراب القاذفات الاميركيــة (ب ٥٢) • وقد حاول المتظاهرون اقتحام القاعدة ، ولكن الشرطة اليابانية صدتهم ، وجرحت عشرة منهم واعتقلت عشرين •••

التجسس الاميركية ، وفي حالة حدوث أي خطأفي القاء الفيلم في المكان المخصص أو عدم وجود الباخرة فان الفيلم يذوب بفعل انطلاق مواد كيماوية جهز بها خشية وقوعه في يد السوفييت أو غيرهم . وهذا القمر باستطاعته التقاط مكالمة هاتفية تجري بين رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي في موسكو ورئيس وزراء المجر في بودابست . ومع أن هذا القول مبالغ فيه لكن ليس من المستبعد أن تصل دقة أقمار التجسس الى هذا المستوى ان عاجلا أو آجلا ....

عودة الى رجل المخابرات الاميركي :

المئات من المثقفين الاميركيين جرى ويجري ادخالهم الى المخابرات المركزية الاميركية عن طريق اعلانات عن وظائف مدنية في وزارة الدفاع الاميركية . ومن ثم يجد المتقدم الذي يحوز رضى المسؤولين نفسه في كادر المخابرات ... ومن جهة ثانية فان بعض رؤساء الاقسام المختلفة في المخابرات يقومون بادخال أشخاص يتم اختيارهم وعلى مسؤوليتهم الخاصة ، ولا فرق في أن يكون الشخص المختار أبيض أو أسود لأن مجال التجسس مفتوح للجميع ويتم اختيار هؤلاء الرجال بدقة تامة . ومن الصفات المطلوبة في هؤلاء أن يكون الشخص الذي يقع عليه الاختيار ذا وجه (عالمي) مثل الايطالي أو المكسيكي أو اللبناني . وأن يكون رياضيا ويستحسن أن يكون قد خدم في القوات المسلحة . وأن يكون غير عاطفي وحتى غير مثالي ويفضل من يكون متزوجا وصاحب عائلة لكي لايؤثر عمله على أعصابه فيرهقها . واذا أحب القاريء الكريم معرفة رجل المخابرات الاميركية عن كثب فيجده شخصا يشبه الى حد ما أبطال الافلام الذين نشاهدهم مع بعض الاختلاف بوجود قسم منهم يضع الغليون في فمه ويرتدي الملابس الوسيمة (ذات الفتحة من الخلف وبعضهم فتحتين) يحملون مسدساتهم تحت ابطهم (طبق الاصل كما نشاهد أبطال السينما) . وهم حريصون على حركاتهم وتنقلاتهم بسبب ازدياد النشاط المضاد لهم من قبل المخابرات السوفياتية في عقر دارهم ، حتى قيل أن أحدهم عندما يتحدث يصدر عنه بعض الحركات الصبيانية مثل وضع يده على فمه (لاعتقاده بأن شخصا يصوره) كما يوجد لديهم عقدة الخوف من التقاط صورهم حيث يعتقد كل منهم بأن شخصا يصورهم من عمارة قريبة أو من سيارة عابرة .

كما أن المخابرات المركزية الاميركية تسارع الى استئجار الشقق المقابلة للمكاتب والشركات ومنازل من تشك بعمالتهم • فاذا شاهد المواطن الاميركي نافذة مغلقة فانه يهز رأسه ، وهو يعرف أن أصحاب المنزل لم يهجروه بل أن هناك وراء النافذة من يسترق النظر بأحدث ما وصل اليه فن العدسات المكبرة •

أما اذا شاهد المواطن الاميركي بائع علكة يقف بجانب السفارة السوفياتية بواشنطن فانه لايتعجب لان أحد بائعي العلكة استطاع أن يلتقط من الهواء ورقة رماها ضابط أميركي من سيارته لتقع في حديقة السفارة • ولدى فحص هذه الورقة في مقر المخابرات وجد أن هذا الضابط يعرض بيع أسرار للسفارة السوفياتية • ورقي بائع العلكة في حينه من جاويش (رقيب) الى رتبة لفتنانت (ملازم) نظير هذه الخدمة (وبقي في مكانه بائع علكة) •

ومنذ مدة سمعنا احتجاجا قدم في الكونغرس الاميركي الى المسؤولين عن المخابرات ، لان آلة ارسال بحجم حبة الزيتون وضعت في كاس زبون بار بالخطأ مما أدى الى كسرضرسه•كما تستعمل المخابرات نوعا من علب السجائر فيها آلة لاقطة لنقل حديثك الى مسافة ٢٠٠متر، وتستعمل أيضا نوعا من أقلام الحبر ينقل الصوتويغلقتلقائياعندما لايكونهناك صوت وقداستعمله أحدموظفيالمخابرات أثناء مراقبته أحد العملاء ، فلم ، يسجل خلال يومين سوى صوت عصفور هذا العميل • ولدى سماع ذلك الى المسؤولين استغرقوا في الضحك المرافق لخيبة الامل ودرجت المخابرات الاميركية على ارسال راديو مع تحيات شركة وهمية ـ دعاية الى الشخص أو الهيئة المراد التجسس عليها ، ويكون هذا الراديو عبارة عن جهاز لاقط[1] للاستماع الى مايدور في الغرفة أوالمكتب الذي يوضع فيه • ونظرا لان هذه الوسائل مع جديتها اصبحت معروفة من قبل المواطنين حتى أن معظمها

---

(١) عممت وزارة الخارجية السوفياتية وبعض الدول الشرقية على بعثاتها التجارية والدبلوماسية عدم قبول مثلهذه الهدايا ، بعد أن كشفتالمخابرات السوفييتية الكثير منها (أو ارسالها الى مقر المخابرات السوفياتية فورا للاطلاع عليها ••)

ظهر في أفلام جميس بوند الجاسوسية لذلك نعتقد جازمين أن المخابرات الاميركية ماضية في تطوير أجهزة جديدة تضيفها الى دنيا التجسس الواسعه وسيأتي يوم ليس ببعيد تتمكن من الاطلاع على هذه الاجهزة وكشفها، كما كشفت الاجهزة السابقة والتي صرف العلماء جهدا عشرات السنين لاختراعها ...

ومن الاجهزة التي علمنا باجراء التجارب عليها الان جهاز يطلق أشعة الى منزلك فهذه الإشعة تعود حاملة كل كلمة قلتها لتوضع في جهاز تخرج منه شريطا ناطقا . (انها عجائب المخابرات ..) .

ومن تتبع حاجة المخابرات المركزية الاميركية الى مراكز لها في أنحاء العالم لتغطية ضخامة أعمالها وانشاءآتها التي تحوي الاجهزة الاكترونية الحديثة .وأهم مراكز المخابرات الاميركية في مدينة (أسمرة) عاصمة أرتيريا حيث شيدت قاعدة كاملة تحوي أحدث وسائل تتبع الاقمار الصناعية والتقاط الاتصالات الاكترونية والصور حيث يوجد في هذه القاعدة (قبة) ، تشبه القباب المشيدة في المراصد العالمية . وتحت هذه القبة تقع أحدث غرفة عمليات وتجسس في العالم ، منها تصدر الاوامر الى الطائرات والسفن وتوجه الصواريخ عند اللزوم . كما علمنا أنه يوجد في هذه القبة (زر أحمر)، وبمجرد الضغط على هذا الزر بأمر من رئيس الولايات المتحدة تنطلق عشرات الصواريخ والطائرات المحملة بالقنابل الذرية الى أهداف معينة لها في أراضي الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية.ومن الطبيعي أن مثل هذه القاعدة الهامة تكون لها حراسة قوية ، حيث أختير المكان الذي أنشئت عليه في موقع استراتيجي يرتفع ٣ آلاف متر عن سطح البحر ، وفي أعلى جبل شاهق قد أحيط بشبكة من الالغام والاسلاك المكهربة هذه الاسلاك تطلق صفارات انذار لدى ملامستها عدا عن خطر الكهرباء منها .

ويلاحظ من يقترب من القاعدة عشرات اللافتات المكتوبة بالانكليزية والعربية ـ والاريترية ـ بأنه ممنوع الاقتراب والتصوير . ومن يخالف التعليمات يرمى بالنار بدون انذار .

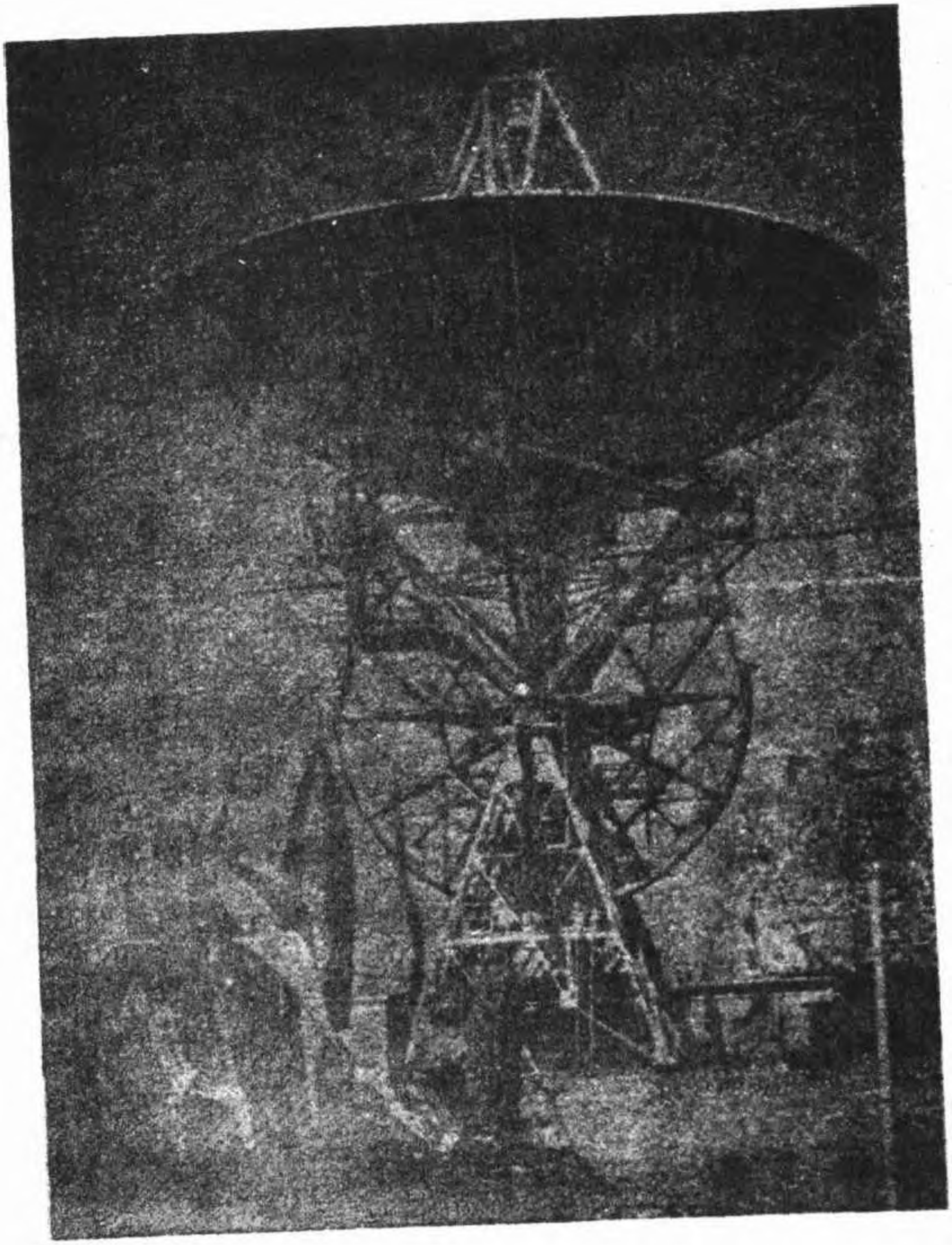
أهـــمية القـــاعـدة

هذه القاعدة واحدة من القواعد الاميركية المنتشرة في أنحاء العالم : في الظهران ــ في ليبيا سابقا ــ في اسبانيا ، وغيرها من البلاد التي تقـع تحت السيطرة الاميركية بأي شكل ، وينحصر عملها في جمع المعلومات والتقـاط الشيفرات والمخابرات السرية لاي دولة تقع شبكة اتصالاتها اللاسلكية على مقربة من القاعدة أو في مجال (التقاط أجهزتها) البالغ في بعض الاحيان مئات الاميال • ويوجد في هذه القاعدة عشرات الاختصاصيين الاميركيين مستعدين في أي لحظة لفك رموز أي رسالة • كما ترصد تحركات القطع البحرية المعادية (السوفياتية) والطائرات ، كما أن لهذه القاعدة اتصالات مع جميع القواعد في العالم • وبحكم موقعها الجغرافي يمكنها التحكم في مضيق باب المندب عـلى البحر الاحمر ، والسيطرة على أي تحركات في البحر الابيض المتوسط وعلى جزء كبير من أراضي آسيا وافريقيا • وهذه القاعدة هي همزة الوصل بين وزارة الدفاع الاميركيـة (البنتاغون) في واشنطون وبين طائرات ب ٥٢ التي تطير حول الاتحاد السوفياتي بحزام وهي تحمل القنابل الذرية والهيدروجينية •

وبين البنتاغون وبين قطع الاسطول الاميركي المؤلف من سفن حربيـة وغواصات (بولاريس) حاملة الرؤوس النووية وبين جميع قواعد الصواريخ الاميركية الموزعة في أنحاء العالم •

دور قاعدة (اسمرة) في حرب حزيران العدوانية ضد العرب :

أما بالنسبة الى حرب حزيران العدوانية التي شنتها اسرائيل بما عرف عنها من غدر وخسة وتواطؤ مع المخابرات المركزية الاميركية كان أهمها دور هـذه القاعدة في تسليم المخابرات الاسرائيلية صور المطارات في جمهورية مصر العربية وباقي البلاد العربية هذه الصور التي التقطت بواسطة الاقمار الصناعية الاميركية وطائرات التجسس التي أسقط الروس احداهـا ــ وكانت هـذه القاعدة في حالة تأهب لدى الهجوم الاسرائيلي الغادر على البلاد العربية ، وكانت على اتصال مباشر مع الطائرات الاسرائيلية المتوجهة الى مطارات ج م ع والعائدة بعد القصف •



أحد أجهزة الارسال اللاسلكي الضخمة في . أسمرة . وقد استعمل
أثناء حرب حزيران ١٩٦٧ لصالح اسرائيل .

ولسنا بمغالين اذا قلنا بأن المسؤولين في هذه القاعدة هم الذين حددوا لاسرائيل الوقت المناسب للعدوان،وحددوا للاسراب الاسرائيلية الطريق المناسب لتحاشي شبكات رادار مصر • وأيضا فان هذه القاعدة أول من علم بتعرض سفينة التجسس (ليبرتي) للضرب من قبل الطائرات والسفن الاسرائيلية حيث تلقى المسؤولون فيها اشارة الاستغاثة الوحيدة من السفينة كما أن نفس المسؤولين تلقوا أول اشارة من سفينة التجسس (بويبلو) أيضا التي أسرها الكوريون الشماليون في مياههم الاقليمية ، ونقلوا هذا الخبر رأسا الى الرئيس الاميركي (جونسون) في حينه • يضاف الى كل ميزات هذه القاعدة بأن الخط التلفوني الاحمر بين البيت الابيض وقصر الكرملين يتم الاتصال به عن طريق هذه القاعدة• وهذا الخط لا يستعمل الا عند الضرورة القصوى أي لدى وجود خطر يهدد بنشوب حرب عالمية[١] •

ويستنتج مما تقدم عن أهمية هذه القاعدة وخطورتها أنه من المحتمل في يوم من الايام أن تكون السبب في تدمير العالم لان وجود (الزر الاحمر) في هذه القاعدة الذي يكفي الضغط عليه لتنطلق أسلحة الدمار الموجهة الى أراضي الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية • وبطبيعة الحال فان الاتحاد السوفييتي ومخابراته تعرف كل ذلك وتعرف أن عشرات طائرات (ب ٥٢) تحوم حوله ليلا نهارا ، ولذلك نجد في الطرف الآخر أي المعسكر الشرقي (تلفونا آحمر) في الكرملين هذا التلفون في غرفة العمليات • ويكفي أن يعطي آمرا مؤلفا من كلمتين في هذا التلفون لتنطلق عشرات الصواريخ السوفياتية المحملة بالرؤوس النووية متوجهة من جميع قواعد حلف وارسو الى اهداف لها لا تحيد عنها ، بينما تتكفل صواريخ ثانية طورت خصيصا لاصطياد الطائرات المغادية ، وخصوصا « ب٥٢ » التي يلاحقها الرادار السوفياتي ليل نهار • وهكذا نجد أن من الممكن قيام حرب عالمية ثالثة في أي لحظة • ويكون النصر في هذه الحرب لمن يسبق من المعسكرين المتصارعين الآخر « بـ ٣٠ ثانية فقط » هي المدة الزمنية الكافية لوصول الامر

---

(١) علمنا أن هذا الخط الذي أنشيء بعد غزو كوبا الفاشل استعمل أثناء حرب حزيران (٢٠) مرة •

باعلان الحرب • أما بالضغط على « الزر الاحمر » أو في رفع سماعة (التلفون الاحمر) الا اذا توصل المسؤولون عن مصير العالم الآن الى اتفاق للعيش بسلام واتفاقيات للحد من الاسلحة النووية وحصرها بل واتلاف معظمها ، لكي تطمئن الشعوب على مصائرها • ويلتفت بنو الانسان الى العيش برخاء وهناء وتحويل هذه المجهودات الى الوصول الى المريخ[1] وغيرها من الكواكب ، لعلنا نجد في احدى هذه الكواكب جيرانا لنا ينتظرون منا البدء بزيارتهم ليردوا لنا الزيارة وليس على العلم بعسير من مجيء يوم تصبح المقاعد محجوزة سلفا في رحلات سياحية الى القمر • وهذا ما حصل فعلا في أميركا فقد حجز حوالي ٢٠٠ شخص محلات لهم لدى احدى وكالات الطيران للسفر الى القمر في المستقبل •

السوفييت يسقطون احدث طائرات التجسس الاميركية :

الكابتن (فرانسيس غاري بورز) قائد طائرة التجسس الاميركية (٢ـيـ٤) يعتبر أحدث جاسوس في العصر الحديث لانه لم يضطر الى التنكر أو التدرب على لغات وعادات بلاد ثانية ، ولم تجر له أي عملية تغيير معالم على وجهه ، ولم تعط له تعليمات الالتقاء مع جواسيس آخرين وكلمات تعارف واحتياطات أمن مطلقا • كل ما هنالك أنه كان طيارا ممتازا كلفه رؤساؤه باداء بعض المهمات الخاصة، حيث ارتفع راتبه الشهري من ٧٠٠ دولار الى ٢٥٠٠ دولار، وأصبح يرتدي اللباس المدني عوضا عن الملابس العسكرية • ثم أجريت له بعض التدريبات الخاصة ، وأرسل للانضمام الى سرب من الطائرات الاميركية الخاصة في (أضنة) في تركيا ـ ومنحوه الرقم (١٥) • وهناك أفهمه رؤساؤه بأن عليه الطيران على طول الحدود السوفياتية للحصول على المعلومات والصور التي تلتقطها طائرته لمواقع الرادار ـ والصواريخ والراديو •

---

(١) جرى ما توقعنا فعلا حين التاليف وها هي مركبة الفضاء (فايكنغ ١) الاميركية قد هبطت على سطح المريخ ، ونقلت عينات من ترابه واحجاره ثم لحقت بها مركبة أخرى (فايكنغ ٢) ، وهبطت ايضا فوق سطح المريخ في الساعة الثالثة بتوقيت غرينتش صباح الجمعة ١٩٧٦/٩/٣ عند الدرجة ٤٧٥١ من خط العرض الشمالي لتكمل اكتشاف مجاهل هذا الكوكب البعيد ٠٠ ؟

ومن (أضنة) بدأ رحلاته التجسسية حول الاتحاد السوفياتي بطائرته المجهزة تجهيزا خاصا ، يمكنها من الارتفاع في الجو حتى ٢٠ ألف قدم . كما كانت تحتوي على آلات خاصة لالتقاط الاشارات اللاسلكية وخزنها . ثم جرى نقله بعد ذلك الى (بشاور) في الباكستان ليقوم بنفس عمله في قيادة طائرة (٢ ـ ى ـ ٤) فوق الاتحادالسوفياتيوهذه المرة منجنوبه الىشماله ثم النزول في (بورو) من أعمال النرويج ، وفيها قاعدة أميركية ليقدم ما عنده من الافلام ومن ثم يعاود طيرانه بالعكس وهكذا ..

أما اذا فحصنا طائرته الـ (٢ ـ ى ـ ٤) وجدنا فيها من أحدث المخترعات التي وصل اليها العقل البشري (لم يسمح سلاح الطيران الاميركي بنشر صورة لها . وقد نشرالسوفييت حطامهافيالمعرض الذي أقاموه لاتاحة الفرصة للمواطنين السوفييت للاطلاع على حطامها) . فهذه الطائرة مجهزة بآلات تصوير تستطيع التقاط أدق الصور ولو كانت تبعد آلاف الاميال ، كما كان باستطاعة الطيار الضغط على زر صغير فتتحرك الكاميرا التي تصور كل ما يبدو تحتها من المناظر في الارض السوفييتيةوكانتهذه الكاميرا آية في الدقة والاتقان ـ بالاضافة الى كاميرا تحمل الرقم (٧٣ـ ب) تستطيع التصوير ، والطائرة تسير بسرعة ألف كيلو متر في الساعة وبدقة تامة . هذا من جهة أدوات التجسس فيها . أما بالنسبة للاحتياطات المتخذة من أجل عدم اطلاع العدو على الدقائق الميكانيكية فيها فهي تحتوي على مادة ناسفة تنسفها حالما يتمكن الطيار من الهبوط منها بمظلة الامان. غير أن الكابتن نفسه يحمل سما قاتلا ، عليه استعماله عندما يشعر بالخطر يحدق به ، ولكيلا يعترف بشيء عن مهمته نتيجة تعذيب . أما اذا اضطر للهبوط في مكان بعيد ووجد باستطاعته النجاة فما عليه الا ارتداء لباس الفلاحين الذي يحمله مع بعض النقود السوفياتية وبعض القطع الذهبية ، والساعات لاستعمالها (رشوة) لمن يساعده . بالاضافة الى حمله (مسدسا حديثاكاتما للصوت)، وبعض الاغذية الضرورية المصغرة (بعضها حبوب فيها غذاء كامل) مصباحا كهربائيا ـ وزورقا ينفخ بالفم لاستعمالهفياجتياز نهر أو بحيرة[1] أو عند السقوط فيالبحر.

---

(١) منذ ابتداء عملي في المخابرات واطلاعي على أساليب وطرق التجسس وأدوات التجسس لم أعرف جاسوسا زود بمثل هذه المعدات سوى الكابتن (بورز) نظرا لاهميته.

منذ ابتداء طيران الكابتن (بورز) في ١ مايس ١٩٦٠ فوق الاتحاد السوفييتي، وهو يقوم بعمله خير قيام حيث أن رؤساءه طمأنوه الى أن لا الصواريخ ولا المدفعية المضادة السوفييتية تستطيع اصابة طائرته . وهي في هذا العلو الشاهق . ولكن حدث ما لم يكن بالحسبان اثناء وصوله الى منتصف الطريق في الاتحاد السوفييتي أصيبت طائرته وفقد السيطرة عليها فهوت من علو ٢٠ ألف قدم (كما ادعى السوفييت)، وعلى بعد أربعة آلاف متر من سطح الارض قفز منها (بورز) بالمظلة الواقية فوصل الارض سالما . وقبض عليه الاهالي الذين هبط في منطقتهم . ولم يقاوم بل لم يستعمل السم المزود به لمثل هذه الحالات[٢] . أما الطائرة فقد تحطمت لدى وصولها للارض فسارع السوفييت الى جمع حطامها واحضار طاقم الصاروخ الذي أسقطها ، واخذوا لهم الصور التذكارية . ومن ثم نقلوا حطام الطائرة الى معرض خاص افتتح في موسكو لمدة شهر شاهد فيه آلاف السوفييت طائرة التجسس الاميركية (٢ ــ ي ــ ٤) كل قطعة على حدة حتى أدوات ومسدس الكابتن (بورز) عرضت في هذا المعرض .

* * *

محاكمة الكابتن (فرانسيس غاري باروز) في موسكو :

نقل الكابتن (بورز) بعد اعتقاله الى مستشفى حيث عولج لمدة أيام ، ثم جرى نقله الى السجن العسكري ، حيث بدأت محاكمته فوجده القضاة يحب الكلام . وقد اعترف بأن رؤساؤه أخبروه عندما انتدبوه للعمل معهم ، بأن مهمته الاولى هي الطيران فوق الاتحاد السوفياتي للحصول على المعلومات ، وصور

---

(١) يوجد احتمالان لعدم استعماله السم والسلاح المزود به :

آ ــ حالة شبه الاغماء التي أصابته نتيجة اصابة طائرته ، وبالتالي صدمة هبوطه .

ب ــ حب الحياة وعدم رغبته في الانتحار في هذه اللحظات التي حاصره فيها الاهالي السوفييت وهم عزل من السلاح .

الراديو ومواقع الصواريخ . واعترف أمام قضاته السوفييت بأنه مذنب ، وأنه كان يعرف حقيقة مهمته التي كان مكلفا بها . وأنه وقع عقدا مع (ادارة المخابرات المركزية الاميركية) للعمل ، وأن العقد ينص على أنه اذا أفشى سرا من الاسرار التي يشاهدها أو يطلع عليها أو يعلمها بحكم تعاقده مع المخابرات فسيعاقب بالسجن عشر سنوات أو بغرامة عشرة آلاف دولار أو بالعقوبتين معا .

وقد انتهت محاكمته في شهر آب ١٩٦٠ حيث حكم عليه بالسجن خمسة عشر عاما نظرا لاعترافه الصريح،وندمه(١) ومن ثم أنزلت العقوبة الى عشر سنين. واستغل « خروشوف » رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي حينئذ هذه الحادثة التي اعتبرها تعديا على الاتحاد السوفييتي بارسال أميركا طائرات تجسس علنا ، بينما اعترف الجنرال ايزنهاور الذي كان رئيسا للولايات المتحدة أن الطيران فوق الاتحاد السوفييتي هو من صميم السياسة الاميركية .

وبالطبع فان الكابتن (بورز) جرى تبادله مع جاسوس سوفييتي يدعى الكولونيل (آيبل)(٢) كان معتقلا في أميركا . وكان التبادل في شهر شباط ١٩٦٢(٣) .

وهكذا أسدل الستار على هذه الفضيحة التي شغلت الرآي العام أكثر من سنة لتضاف الى تاريخ التجسس الحدث وأعاجيبه .

---

(١) عقوبة الاعدام هي العقوبة المعروفة للجاسوس الذي يقبض عليه متلبسا في جريمته في أغلب بلدان العالم ما عدا الاعتبارات الثانية كوجود جاسوس محتجز لنفس الدولة لدى دولة الجاسوس كما جرى مع الكابتن (بورز) .

(٢) هو العقيد (رودولف ايفانوفيتش آبيل) من المخابرات السوفييتية العاملة في مدينة (بروكلين) في الولايات المتحدة ، وكان قد صدر عليه حكم لمدة ثلاثين سنة بايعاز من المخابرات الاميركية لان عقوبته في أميركا ايضا هي الاعدام . وبقي سجينا حتى جرى تبادله في ١٠/٢/١٩٦٢ مع الكابتن بورز في برلين .

(٣) يعمل فرانسيس باورز كطيار لطائرة هيلوكوبتر تابعة لادارة المرور في لوس انجلوس لتنظيم المرور من الجو ...

العميل المزدوج :

في هذا الكتاب قمنا بشرح واف عن كيفية بقاء /فيلبي/ جاسوسا مزدوجا عشرات السنين يعمل في المخابرات البريطانية (الانتلجانس سرفيس) ، وهو بالاصل يعمل للاتحاد السوفييتي لانه مقتنع أصلا بأن المعسكر الشرقي على حق بالنسبة لتطبيق الاشتراكية وتأمين المستقبل لشعوبه • ولم تستطع المخابرات البريطانية اكتشاف ازدواجيته بالرغم من خطئه في مساعدة أحد أصدقائه على الهرب ، حتى قررت المخابرات السوفياتية انهاء أعماله واحالته على ما يشبه التقاعد عندهم بسبب السنين الطويلة التي أمضاها في خدمتهم ، مخلصا كل الاخلاص• فاستدعي عن طريق بيروت وهو الآن يعيش معززا مكرما في الاتحاد السوفييتي وليس له عمل سوى استدعائه بين الفينة والفينة الى مركز المخابرات السوفييتيه لاستشارته في بعض القضايا الجاسوسية أو لسؤاله عن بعض الاشخاص الذين عرفهم اثناء خدمته أو مراجعته نشرات وكالة (نوفوستي) للانباء ، واستخلاص الاخبار التي تهم المخابرات السوفييتية من الصحف •

أما العملاء المزدوجون فموجودون في كل زمان ومكان . يستغلون الظروف ويتنقلون بحرية بين بلدين عدوين . موهمين كل بلد أن البلد الآخر لا يعرف أنهم عملاء له • وهكذا يقومون باللعب على الحبلين ، ولكن نهاية هؤلاء تكون عادة غير مضمونة بل ويحفها الخطر أكثر من نهاية الجاسوس العادي الذي يعمل لدولته فقط • ومن أعمال الجواسيس المزدوجين القريبة في أيامنا هذه أن المدعو: تاي كاك شويان وعمره ٣١ سنة كان يعمل مترجما للفرقة الخاصة الخامسة التي يرأسها الكولونيل /روبرت رولت/ وتسمى هـذه الفرقة ــ فرقة القبعات الخضر ــ •

وبنفس الوقت كان الكولونيل (رولت) يستقي الاخبار من (تاى) عن أماكن الفيتناميين الشماليين (الفيتكونغ) ، الذين كان يتردد الى مناطقهم ، وينقل لهم أيضا ما يسمع ويرى لدى الاميركيين • واستمر كذلـك لغاية ١١ حزيران ١٩٦٩حيث استجوب على جهاز أميركي حديث لكشف ماذا كان الشخص يكذب أم يقول الصدق ، وكان استجوابه هذا بسبب (شك) الكولونيل (رولت)

به نظرا لتغيبه كثيرا لدى (الفيتكونغ) ، وعن أسباب زياراته لفيتنام الشمالية . فاذا قلنا ان الجهاز اكتشف أن (تاى) كان يكذب بخصوص تردده لفيتنام الشمالية وأنه كان يزود الفيتكونغ بالمعلومات ، وظهر هذا لدى عرضه على جهاز كشف الكذب كان ذلك مبالغة منا وذلك لان هذا الجهاز يعمل على تسجيل أحاسيس وذبذبات صادرة عن المخ ـ والقلب ـ فاذا وجه مثلا سؤال الى المستجوب عليه : هل كنت تعطي معلومات الى الفيتكونغ فان صيغة هذا السؤال ولهجته وما يحمل من اتهام خطير يعرف المستجوب نتيجته كل هذه الامور كافية لجعل المستجوب يرتعد من الخوف ، وتسرع دقات قلبه حتى ولو كان بريئا . وأجاب بالنفي فان الجهاز يسجل العكس لذلك فان المحاكم الاميركية لم تعتمد على الجهاز .

أما العميل (تاى) الذي كان فعلا عميلا مزدوجا فلم يستطع الكولونيل ادانته فقرر التخلص منه على مسؤوليته ، فقام بالاشتراك مع ستة من ضباط /فرقة القبعات الخضر/ بقتله بعد استجوابه ورمي جثته في بحر الصين الجنوبي.



بطاقة العميل المزدوج تاي كاك

ولكن زوجته تقدمت بشكوى للسفير الاميركي في (سايغون) لان زوجها المترجم لم يعد للمنزل منذ أيام ، وأنها استلمت ورقة من جندي اميركي في ١٣ حزيران ١٩٦٩ كتب في هذه الورقة أن زوجها لن يعود الى البيت لانشغاله في بعض الاعمال المستعجلة في المعسكر الذي يعمل به • فسكتت على مضض وبقيت تراجع وتسأل عنه لغاية ١٥ آب ١٩٦٩ حيث فوجئت باثنين من الاميركيين يزورانها • ويسألانها عن زوجها وهل سمعت بعودته فأجابت بالنفي • ونظرا لاختفائه بهذا الشكل ووجود الاثبات لديها بأن زوجها كان لآخر مرة في امرة الكولونيل (رولت) لذلك جرى تحقيق معه ومع الضباط الستة الذين اشتركوا في قتل الجاسوس الفيتنامي (تاى) ، وطبعــا حفظ التحقيق كعادة السلطات الاميركية في مثل هذه الحالات •••



« الكاميرا الفاضحة » وصورة سيدة التقطت في الظلام

من ضحايا المخابرات الاميركية :
الطيار العراقي الشهيد (النقيب شاكر محمود يوسف) :

الطيار الشهيد هو النقيب شاكر محمود يوسف ــ عراقي من مواليد محلة حسن جديد باشا في بغداد عام١٩٣٦أكمل دراسته الابتدائية في مدرسة البارودية والمتوسطة في المدرسة الغربية المتوسطة والثانوية في الاعدادية المركزية في بغداد وبعد حصوله على الشهادة الثانوية التحق بكلية الطيران العراقية دفعة عام ١٩٥٦، وتخرج بعدها برتبة ملازم طيار في القوى الجوية العراقية •

ــ التحق بدورة تدريبية في لندن •

ــ التحق بدورة تدريبية في الاتحاد السوفييتي حيث أحرز أحسن الصفات كطيار ممتاز / للميغ ٢١/، وكان معه بنفس دورة موسكو الطيار الشهيد الملازم حامد ضاحي • والطيار الخائن (منيرروفا) •

ــ في عام ١٩٦٤ التحق بدورة لتدريب القادة في مدينة تكساس في الولايات المتحدة ، وكان معه بنفس الدورة أيضا الطيار الشهيد الملازم حامد ضاحي والطيار الخائن (منيرروفا) • وأثناء وجوده بهذه الدورة في تكساس تعرفت عليه عمدا الجاسوسة الاميركية / كروثر هلكر / في فترات الراحة والاستجمام التي يقضيها أثناء الدراسة • وقضى معها بعض الاوقات باعتباره شابا ومن الشرق، وأعجبت به الجاسوسة • ولدى قرب انتهاء الدورة ومعرفة الجاسوسة بذلك عرضت عليه متظاهرة بحبه أن يبقى في تكساس وأن يترك الجيش العراقي ، وصرحت أن لديها أشخاصا لهم قيمتهم يستطيعون تأمين أحسن المراكز له في الولايات المتحدة • ولكنه رفض ذلك وهو الشاب الوطني أولا ، والمتحمس لخدمة بلاده والمتزوج ثانياً وزوجته وأولاده بانتظار عودته اليهم بفارغ الصبر •

وهكذا رجع الطيار الشهيد الى بلده ليخدمها بما حصل عليه من فنون الطيران ، فأوعزت المخابرات الاميركية الى الجاسوسة باللحاق به الى بغداد ، لعلها يمكنها اقناعه بالعمل معهم • والا فعلى الاقل تحصل منه على بعض الاسرار• وفوجىء الشهيد بحضورها الى بغداد وراءه ونزلت في فندق بغداد الدولي • وبعد أسبوع واحد فقط من وصولها باعتبارها محسوبة عليه وحضرت لاجله

اضطر تحت الظروف الحرجة التي وضعته امامها أن يستاجر لها شقة مفروشة في منطقة الكرادة الشرقية في بغداد في عمارة تطل على نهر دجلة ، وأخذ يسرق من وقته ، ويتردد عليها خفية ، وحاول مرارا اقناعها بالسفر بدون فائدة ، واتضح لها أنه متصلب في موقفه منها ، ولم تستطع اقناعه بشيء مما جاءت لاجله فاستشارت بذلك روساءها الذين كانوا على اتصال دائم معها بمساعدة بعض العملاء المحليين من يهود العراق ، وأخبرتهم بأنها حاولت المستحيل معه بل انها صرحت له بأنها تسعى للحصول على معلومات تقدمها الى (هيئة دولية تهتم بأحوال البلاد العربية) ، وهو اسم مستعار للمخابرات المركزية الاميركية . فهددها بأنها اذا لم تترك بغداد خلال ٢٤ ساعة وتعود من حيث جاءت فانه سيضطر الى الابلاغ عنها مهما كانت النتيجة[1] . وفي اليوم التالي قاد سيارته الخصوصية الى مسكنها ، ولم يعلم أحدا بوجهته ليقف منها على قرارها بمغادرة بغداد أم لا . وكان يرتدي في هذه الاثناء (التاريخ ٦/٧/ ١٩٦٥) بنطلونا وقميصا فقط ولم يكن معه أي سلاح[2] وصعد الى شقتها دون أن يراه أحد . بعد أن ترك سيارته في مكان بعيد . ولما سألها عن قرارها كان الجواب (قتله) في غرفة النوم بمساعدة باقي الشبكة ولفت جثته في شرشف ووضعها تحت السرير حيث انصرف الجناة ، واختفوا ... بينما قام العملاء من العراقيين بايصالها الى المطار حيث ركبت أول طائرة متوجهة الى لندن .

وفي اليوم التالي ولدى افتقاد الشهيد من قبل أهله ، ومن قبل قيادته جرى البحث عنه وتتبع أخباره حتى وجد مقتولا على هذه الحالة . وبعد ذلك جرى اعتقال المشبوهين الذين أوصلوا الجاسوسة الى المطار . بينما جاءت الاخبار من



(١) كان المفروض رحمه الله أن لا يتورط في علاقته معها منذ الاساس ولو كشف أمره معها قبل استشهاده لتعرض للعقوبات والتحقيق معه . ولكن يظهر انه قرر التصرف على أساس اكراهها على السفر من بغداد . لينهي بذلك هذه الغلطة التي ارتكبها بمصادقتها في تكساس أصلا ...

(٢) جميع الطيارين يحملون مسدسات حديثة حتى أثناء اجازاتهم .

لندن بأن المخابرات الاميركية أوعزت بقتل الجاسوسة نفسها لتضع حدا لهـذه القضية التي فشلت بها المخابرات المركزية الاميركية ، فوجدت الجاسوسة ميتة في غرفتها في الفندق بلندن / وكأنها منتحرة / • وهكذا نجد أن المخابرات ـ الاميركية عندما تعجز عن الحصول على ما تبغيه ممن تختارهم تبادر الى التخلص منهم خشية فضح أعمالها أمام العالم (ولو كانوا من أعضائها) •

اسباب طلب التعامل مع الشهيد شخصيا :

كان الشهيد من أبرز قادة الطائرة الروسية الجبارة /الميغ ٢١/ ، وكانت المخابرات المركزية الاميركية تطمع في أن تحصل على بعض أسرار هذه الطائرة أو على طائرة كاملة ومن وراء المخابرات الاميركية كانت المخابرات الاسرائيلية التي تلح على الحصول على طائرة /ميغ ٢١/ مهما كان الثمن • فكانت خطة الايقاع بالطيار الشهيد تسير جنبا الى جنب مع خطة تطبيق الطيار الشهيد الملازم حامد ضاحي الذي رفض التعامل معهم أيضا ، فجرى اغتياله بنفس تكساس •

كيف تتخلص المخابرات الاميركية من معارضيها :

في ليلة من ليالي صيف ١٩٦٥ وفي أحد الاندية الليلية في مدينة تكساس الاميركية كان الطيار العراقي الملازم حامد ضاحي يقضي سهرة عطلة (نهايـة الاسبوع) مع احدى الاميركيات التي تعرف عليها بحكم تردده على هذا النادي أثناء أوقات الفراغ من دراسته للطيران في حينه ، وبينما كان الجميع منشغلين بالرقص على أنغام الموسيقى الصاخبة وصيحات الراقصين الاميركيين (الهستيرية) أطفئت الانوار فجأة في النادي وأثناء ذلك سمع صوت (اطلاق نار) ، ثم صوت سقوط جسم على الارض وصرخة انسان عند ذلك حصل اضطراب وفوضى في النادي ، حتى عاد النور الكهربائي وجد الجميع الملازم العراقي ملقى على الارض وقد فارق الحياة • فساد الهرج في النادي وتدافع الجميع هاربين بما فيهم القتلة•

جرى التحقيق بعد ذلك من قبل الشرطة الاميركية التي افادت بان الشهيد الطيار قتل في ظروف غامضة ، لم يتمكن التحقيق من كشفها بسبب كثرة الرواد

في النادي وهرب صديقة الطيار واختفائها (هي عملية المخابرات الاسرائيلية والاميركية) • وسلمت جثة الشهيد الى القنصل العراقي الذي أعادها للوطن ، وقد تأكد بعد ذلك بأن الطيار الشهيد هو من الضباط الذين يقودون الطائرة السوفييتية (ميغ ٢١) أيضا ، وقد فشلت المخابرات الاميركية والاسرائيلية في جعله يوافق على التعامل معها ، بغية اختطاف طائرة ميغ ٢١ والهروب بها الى اسرائيل ، فقررت التخلص منه . وقبل عودته الى وطنه (العراق) لكيلا يفضح هذه الخطة الجهنمية لانه لو ترك يعود للوطن ويخبر المخابرات العراقية عما عرض عليه لاحبطت عملية سرقة الطائرة التي نفذها فيما بعد الطيار الخائن /منيرروفا/ ، لان المخابرات العراقية كانت ستقوم بمنع اي من الطيارين الذين كانوا في هذه الدورة التدريبية وفي تكساس من قيادة أي طائرة (احتياطا) لمثل عملية تطبيق منيرروفا عدا عن التحقيقات التي ستجري مع الجميع ، ولكن المخابرات المعادية كانت قد فكرت بكل شيء ، واتخذت احتياطاتها أيضا تحسبا لكل طارىء حتى تمكنت مع الاسف من جعل الطيار الخائن منيرروفا يهرب بطائرة ميغ ٢١ الى اسرائيل حيث وضعها لقمة سائغة بين يدي الخبراء الاسرائيليين والاميركيين الذين اطلعوا على كل ما فيها من ميزات قتالية جرى العمل فيما بعد على تلافيها أثناء حرب ٥ حزيران ١٩٦٧ • وهو ما قصدت معرفته المخابرات الاميركيه والاسرائيلية وصرفت على هذه العملية عشرات ألوف الدولارات ، وارتكبت الجرائم العديدة لانجاحها من قتل الطيار الشهيد حامد ضاحي الى قتل الطيار الشهيد شاكر يوسف الى قتل نفس عشيقة الطيار شاكر يوسف(الجاسوسة كروثر هلكر) •

سبب الحاح المخابرات الاميركية والاسرائيلية للحصول على طائرة الميغ ٢١ :

بعد أن تمكنت المخابرات الاسرائيلية من الحصول على طائرة سوفيتية ـ ميغ ٢١ ـ تتيجة خيانة ـ منيرروفا ـ وهروبه بها الى اسرائيل [1] ، لم يعد

---

(١) القصة الكاملة لوقائـــع الهروب بالطائرة الميغ ٢١ الى اسرائيل في فصل المخابرات الاسرائيلية (الحقد الاسود) •

سراً أن يعرف الخبراء والمعنيون مميزات هذه الطائرة الجبارة والاسباب التي من أجلها استماتت المخابرات الاميركية والاسرائيلية للحصول على الطائرة . ومن هذه الاسباب أن هذه الطائرة الجبارة أعدت كطائرة قتال اعتراضية يتمكن طيارها المتمرن من التحليق بها خلال نصف دقيقة فقط لاعتراض طائرات العدو ، وانها تستطيع أن تكون جاهزة للاشتباك مع طيران العدو حال ارتفاعها عن أرض المطار ، وباستطاعتها الدوران حالا ، وفي اي أتجاه مما لا يتوفر في غيرها من الطائرات الاخرى عدا عن امكانية ارتفاعها في الجو بعد قطع مسافة ١٥٠ مترا فقط من مدرج المطار بسبب قوة اندفاعها .

جميع هذه المميزات والمقدرة الجبارة لهذه الطائرة توضع بين يدي الطيارين العرب الاكفاء ، هذا بالاضافة الى قدرة الطيار ومهارته واستعداده النفسي للقتال العادل الشريف دفاعا عن وطنه تجعل هذه الطائرة دوما من الطائرات الاصلح للقتال الجوي ، حتى مع الطائرات الاميركية الفانتوم والسكاي هوك التي يقودها (مرتزقة اسرائيل) . وهذا ما أثبتته المعارك المشرفة التي خاضها الطيران العربي السوري خلال حرب رمضان وما تبعها من حرب الاستنزاف التي شنتها سورية على اسرائيل قبل توقيع اتفاقية فصل القوات .

تنظيم المخابرات الاميركية :

على أثر الوفاق الذي حصل بين الدولتين العملاقتين الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية وبين الولايات المتحدة اختلفت متطلبات التجسس عليهما باعتبارهما الهدفان الرئيسيان (سابقا) لنشاطات المخابرات الاميركية ، فبدلا عن التقديرات التقليدية للصواريخ والمقدرات العسكرية الاخرى انصب اهتمام مسؤولي المخابرات وبايعاز من البيت الابيض بالحصول على تقديرات جديدة عن النوايا السياسية والاستراتيجية وانتاج الحبوب والتطور في صنع الادمغة الالكترونية.

وبغية تنفيذ هذه التغييرات اوعز الرئيس نيكسون شخصيا الى جيمس شليسنغر رئيس المخابرات الاميركيه في حينه باجراء تنظيم جديد والتخلص من العملاء الذين لم يقدموا نتائج مرضية عن عملهم . ويسمى هؤلاء (العملاء الهامشيون)

فاقدم على انهاء خدمات ــ ٦٠٠ ــ عميل منهم دفعة واحدة ووضع ــ ٤٠٠ ــ عميل آخرين تحت الانذار بالفصل ...

ومن الذين سرحوا في هذه العملية أهم مساعـدي ــ هيلمز ــ المـدير السابق للمخابرات في أكبر عملية تنظيم وتطهير تحدث في المخابرات الاميركية منذ عام ١٩٤٨ كانت نسبة التسريح ٦ ٪ بغية ابقاء هذا الجهاز الضخم مطلعا على تطورات الاحداث في جميع انحاء العالم ، خصوصا التأكيد على طلب الحصول على تحذير مسبق عن عمليات (الارهاب الدولي) . وتشمل هذه الفقرة عملية مراقبة نشاط المنظمات الفدائية الفلسطينية خصوصا منظمة (ايلول الاسود) . (١) ومعرفة أماكن تدريبهم والمصادر التي تمولهم ومن ثم تتقاسم المخـابرات الاميركية هذه المعلومات التي تكلفها عشرات ألوف الدولارات مـع ربيبتها (المخابرات الاسرائيلية) .

وما هجمات الوحدات الاسرائيلية الخاصة على مخيمات اللاجئين في لبنان بالاضافة الى الاغارة جوا على هذه المخيمات الا (نتيجة ما يقدمه عملاء المخابرات الاميركية من معلومات عن المنظمات والمخيمات الى المخابرات الاسرائيلية) . ولو أن حربا منظمة ضد هؤلاء العملاء المنتشرين مع الاسف وبمختلـف الصور في لبنان حدثت مع التشديد في عقوبات التجسس بالقانون اللبناني لأصبحت عمليات اسرائيل أقل ضررا بكثير من الآن ، حيث علمنا بأن الجنود الاسرائيليين الذين يغيرون على المناطق اللبنانية وهم من أصل (شرقي) ويتكلمون اللغة العربيـة كانوا ينادون على الاشخاص لدى قرع منازلهم بأسمائهم الكاملـة (أخرج يا حبيب ... ؟) (أخرج يا مرهج ..) وما هذه الدقة في المعلومات الا مما يقدم لهم من المعلومات ، ومن أشخاص باعوا ضميرهم بالدولارات . وسيأتي يوم ينالو فيه جزاء ما اقترفوا عندما تقبض عليهم المخابرات العربية عاجلا أم آجلا في أي زمان ومكان ...

---

(١) (منظمة ايلول الاسود) منظمة فدائية مجهولة الرئيس والمكان ابتدات نشاطها باغتيال (وصفي التل) رئيس وزراء الاردن في مدينة القاهرة

المخابرات الاميركية (مختبر متنقل)

يسعى فريق من جواسيس المخابرات الاميركية وهم من الخبراء في التحاليل الكيماوية بالحصول على (عينات) من بول زعماء دول أوربا الشرقية بغية تحليلها ، ومعرفة أن هؤلاء الزعماء مصابون بأمراض خطيرة • وقد فعلوا ذلك (سابقا) مع ملك مصر السابق فاروق ولكنهم لم يستطيعوا حتى الان القيام بعمل مماثل مع (تيتو) الرئيس اليوغسلافي •

وفي (هونغ كونغ) تسلل أحد العملاء الى محطة السكك الحديدية ، وقام بفحص عجلات عربات القطار القادم من الصين لمعرفة مدى (البلى) الذي أصابها • ومن ثم يعرف اذا جرى عليها تنقلات عسكرية وبنفس الوقت يشتري عميل آخر عددا من (معاليق العجول الواردة من الصين لاجراء فحوصات مخبرية عليها ومعرفة كمية الاشعاعات الذرية المتساقطة عليها • كل ذلك تقوم به المخابرات الاميركية بل وأكثر من ذلك من الغرائب التي ستكشفها الايام •••

المخابرات الاميركية تستعمل السموم في أغراضها :

كشف السناتور الديمقراطي الاميركي (فرانك تشيرش) الذي يرأس (لجنة) من مجلس الشيوخ الاميركي تحقق في أعمال المخابرات الاميركية اللا أخلاقية ، بأن هذه المخابرات تنتج أقسى أنواع السموم فعالية في العالم ، وأن الرئيس (السابق) ريتشارد نيكسون أمر المخابرات في عام ١٩٦٩ باتلاف هذه السموم (عملا باتفاق دولي وقعته الولايات المتحدة) • ومع ذلك فقد أبلغ هذا الامر الرئاسي الى ريتشارد هيلمز رئيس المخابرات الاميركية في حينه وسفير أميركا الحالي في طهران ولكن هيلمز تغاضى عن هذا الامر ، لانه كان يشعر في قرارة نفسه كرئيس للمخابرات الاميركية بأنه هو رئيس الولايات المتحدة وليس نيكسون ، وأمر بابقاء هذه السموم (مخزونة) في أحد معامل المخابرات في واشنطون (لحين الطلب) • وقد علم أن من هذه السموم المخزونة كمية (١٠ر٩٧٢ غرام من سم مصنوع ومستخلص من المحار ••)، وكمية (٨ كيلو غرام سم مصنوع ومستخرج من الثعابين ••) ، وكمية (٣٠٠ حقنة من سم السيانيد الفتاك) • وان المخابرات الاميركية استخدمت

بعض هذه السموم وأن باستطاعتها استعمالها في شن حرب بكتريولوجية على نطاق واسع ضد بلاد أجنبية ، وان باستطاعة المسؤولين في المخابرات الاميركية تحديد نوعية ووقت استعمال هذه السموم فيما يطلق عليه (مهمات خاصة) .

عملاء المخابرات الاميركية ونهايتهم :

في مطلع عام ١٩٦٥ ألقت المخابرات السورية القبض على جاسوسين باعا نفسيهما للمخابرات المركزية الاميركية ، وهما «عبد المعين حاكمي وفرحان أتاسي» ـ الذي يحمل الجنسية الاميركية بالنظر لزواجه من سيدة أميركية ـ .وقد وجهت لهما تهمة افشاء أسرار عسكرية تتعلق بسلاح الصواريخ الموجهة للمخابرات الاميركية ، وقدما للمحكمة العسكرية التي حكمت عليهما بالاعدام . وهو أقل حكم يوجد للجواسيس الخائنين لاوطانهم .

عند ذلك بذلت الدبلوماسية الاميركية جهدها لانقاذهما ، وتدخل السفير الاميركي شخصيا لذلك ، وطلب مقابلة وزير الخارجية السورية . ولكن طلبه رفض وأعلم بالطرق الدبلوماسية أن على كل دولة أن تحكم على الجواسيس والخونة حسب قوانينها ومصلحتها وسلامة جيشها .

بعد ذلك نفذ فيهما حكم الاعدام في دمشق بتاريخ ٢٤ /٢/ ١٩٦٥ ، واعترفت السفارة الاميركية في دمشق أنها حاولت الضغط على الحكومة السورية لمنع تنفيذ حكم الاعدام بهما بحجة (انقاذ حياة .. فقط) ، وكان أحد موظفي السفارة الاميركية ويدعى (ستودون) هو أكثر المتحسين والمراجعين للسلطات السورية بخصوص الجاسوسين ، فعمدت الحكومة السورية الى طرده واعتباره شخصا غير مرغوب فيه وفعلا غادر دمشق بعد ـ ٢٤ ـ ساعة من طلب وزارة الخارجية السورية بذلك ...

التجسس على طريق الميني جوب :

عودتنا المخابرات المركزية الاميركية على كل جديد في فن التجسس وجمع الاخبار والصور عن الدول الشيوعية خاصة ودول العالم عامة ، متبعة بذلك

المثل القائل (الغاية تبرر الوسيلة) • وآخر مبتكرات هذه المخابرات استخدامها لاعداد كبيرة من لابسات الميني جوب في اعمال التجسس حيث يرسلن في أعداد تحت اسم : « فرق السلام الاميركية الى الدول النامية » ، الى المناطق التي تخصص لهم للصيد فيها • والصيد بلغتنا نحن رجال المخابرات هو التقاط الخبر أو القصد من ارسال أي جاسوس او عميل وتقوم هذه الفتيات المدربات بالحصول على المعلومات من الاشخاص المختارين ، وذلك بايقاعهم في شباك غرامهم المزيف ثم تجمع من قبل عملاء محترفين وترسل الى المركز الرئيسي في واشنطون ، مع أن عمل هؤلاء الفتيات الظاهر « نشر الثقافة الاميركية » •

من رؤساء المخابرات المركزية الاميركية :

جيمس شليسنغر ــ رئيس لجنة الطاقة النووية الاميركية سابقا والبالغ من العمر الثالثة والاربعين وحامل ثلاث شهادات جامعية من هرفارد ورئيس قسم الادارة والموازنة في البيت الابيض عام ١٩٦٩ عينه الرئيس نيكسون في أواخر عام ١٩٧٢ رئيسا للمخابرات المركزية الاميركية ، خلفا لرئيسها السابق ريتشارد هيلمز الذي نقل الى العمل الدبلوماسي سفيرا للولايات المتحدة في ايران •

وقد آلى شليسنغر على نفسه أن يكون عند حسن ظن الرئيس نيكسون بتقديم نتائج أهم وأكثر فعالية مقابل التكاليف الباهظة التي تصرفها الوكالة •

أما هيلمز فقد حصل له الرئيس الاميركي على موافقة شاه ايران بتعيينه سفيرا في طهران بسبب دوره السابق في الاطاحة بحكم الدكتور ــ مصدق ــ رئيس وزراء ايران الراحل عام ١٩٥٣ بل ان شاه ايران شعر بأنه محظوظ لان بلاده ستحظى (بشرف) استقبال ضيف كبير جدا •• مثل هيلمز •

التحق هيلمز بمركز عمله الجديد في طهران ، بعد ان قدم أوراق اعتماده الى الشاه منوها بالصداقة التي تربط الشعبين الاميركي والايراني • أما شليسنغر رئيس المخابرات المركزية الاميركية فلم يطل به الحال • حتى شغر منصب وزير الدفاع فعينه نيكسون وزيرا للدفاع • وعين خلفا له في رئاسة المخابرات المركزية الاميركية (وليام كولبي) • فمن هو هذا الرئيس الجديد ؟

تخرج (وليام كولبي)من جامعتي برنستون وكولومبيا في القانون ، وعين في مكتب الخدمات الاستراتيجية للمخابرات الاميركية (قبل تأسيسها) ، ونقل للعمل في فرنسا والنرويج ابان الحرب العالمية الثانية وهبط بالمظلة خلف الخطوط الالمانية في فرنسا ، وبعد انتهاء الحرب وتأسيس المخابرات الاميركية عام ١٩٤٧ انضم اليها وارتقى في الوظيفة حتى اصبح خبيرا في شؤون الشرق الاقصى ... له مكتبه الفخم ذو الهواتف الاربعة . ونقل الى سايغون مديرا لمكتب المخابرات الاميركية من ١٩٥٩ الى١٩٦٢ ثم نقل مديرا لقسم الشرق الاقصى ، وعهد اليه رئاسة تنفيذ برامج المخابرات في جنوب شرق آسيا مبتدئا في (لاوس) حيث جند (٣٠٠٠٠) رجل من قبيلة (ميو) ، وبموافقة البيت الابيض وشن حربا ضارية ضد (باتيت لاو) مستخدما طائرات خاصة تملكها شركةطيران(اير أميركا) التابعة للمخابرات وتكلف هذه العمليات سنويا الولايات المتحدة مبلغ ـ٣٠ـ مليون دولار .

وفي عام ١٩٦٦ طلب (جونسون) من كولبي الاشراف بنفسه على تنظيم برنامج المخابرات الاميركية للارهاب المعاكس في فيتنام ، ورأى المختصون تبديل كلمة ارهاب فأصبح اسم (فرق الارهاب المعاكس) (وحدات الاستكشاف الاقليمية) وبدأ كولبي بتنظيم فرق الاستكشاف اي الارهاب ويمولها مباشرة ، وأجريت التدريبات لهذه الفرق لاستخدام نفس أساليب (الفيتكونغ) كالاغتيال والخطف والتخويف وأنشأ كولبي شبكة مراكز الاستجواب الاقليمية في كل اقليم من أقاليم فيتنام الاربعة والأربعين ، وعهد الى ضباط مخابرات أميركية يعاونهم مواطنون فيتناميون موالون بالتعذيب بمختلف السبل [1] لأخذ الاعترافات عن أماكن تدريب ووجود الفيتكونغ الحقيقيون . ولما جوبه بصلابة

---

(١) لا يخطر على بال اي اميركي الآن أن رئيس مخابراته وليم كولبي خريج جامعة برنستون يأمر موظفيه وبحضوره بربط أسلاك كهربائية حول العضو التناسلي لشخص فيتنامي معتقل ، ثم يصل التيار الكهربائي ليجبر الموقوف على البوح بما يعرفه عن الفيتكونغ (هذا هو أحد رؤساء المخابرات الاميركية ...) .

الفيتناميين وتفضيلهم الموت (تحت التعذيب) على البوح عن ثوار الفيتكونغ لجأ الى تنسيق هجوم على المناطق التي يشتبه بولائها للفيتكونغ أو وجودهم فيهـا •

اشترك في هذا الهجوم الذي سمي (عملية فوينكس) الجيش الاميركي والبوليس الفيتنامي الجنوبي ورجال المخابرات الاميركية وعملائهم (الخونة) وقتل نتيجته (٢٠ر٥٨٧) شخصا حسب الاحصاءات الاميركية • أما الاحصاءات الفيتنامية الجنوبية فتقول ان (٤٠ر٩٩٤) شخصا قتلوا ، نتيجة هذا الهجوم الذي باركه (جونسون) رئيس الولايات المتحدة في حينه •

وهذا الرقم من القتلى الفيتناميين الابرياء جاء ذكره بوسائل الاعلام الاميركية بالمئات حيث كان يذكر بالانباء أن الجيش الاميركي شن هجوما على الفيتكونغ قتل خلاله ١٤٠ من الفيتكونغ ، وخسر الاميركيين ثلاثة قتلى ، بينما كرر كولبي هذه العملية حسب الاحصاءات ــ ٢٩١ ــ مرة سمعنا اغلبها مـن الاذاعات • ولم يقتل سوى عدد ضئيل من الاميركيين ، بينما كان يدفع الفيتناميين الجنوبيين الذين اشتراهم بأموال المخابرات الاميركية (المزيفة) لقتل الفيتكونغ أو لقتل أي فيتنامي (بريء) •

المخابرات الاميركية تستنفذ الميول الادبية لمنتسبيها :

في عام ١٩٦٧ وافق هيلمز رئيس المخابرات الاميركية في حينه على اصدار (مجلد) تحت اسم (التاريخ السري لوكالة المخابرات المركزيـة الاميركية) • والسبب في اصدار هذا المجلد هو معرفة هيلمز أن أغلب الضباط والمستشارين وحتى العملاء في المخابرات الاميركية لديهم ميل الى كتابة مذكراتهم عن عملهم في المخابرات ، ومنعا لاحراج الحكومة الاميركية كما حصل لدى نشر بعض هذه المذكرات وكشف الحقائق ، فقد وافق هيلمز على اعداد مجلد سري يشترك في تأليفه جميع الذين ينهون أعمالهم مع المخابرات سواء كانوا ضباطا أو موظفين مدنيين أو عملاء ، بحيث تمدد خدمة كل من يصل الى سن التقاعد (سنتين) بنفس الرتبة والراتب ، ليعمل على تسطير مذكراته باشراف استـاذ مختص

انتدب من احدى الجامعات ، ليعمل منسقا ومستشارا في الابحاث والاسلوب لاخراج المجلد واستنفاذ ما لدى هؤلاء من مذكرات ومعلومات .

ونحن نعتقد ، وهذا هو الصحيح ، بأن هذا المجلد الذي مضى على العمل به حتى الآن أكثر من ثماني سنوات لن يرى النور لانه مشروع دائم ومتواصل، طالما هناك من يحال على التقاعد ، وتخشى المخابرات الاميركية من كتابة مذكراته . وبعض هؤلاء المحالين على التقاعد كان لديهم بالفعل مخططات لنشر مذكراتهم ، لكن مشروع المجلد استنفذ منهم هذه المذكرات . وبالتالي فانهم تقاضوا أجرا كبيرا على جهودهم ، ربما كان أجرا أكبر من أي مبلغ يقبضونه من دور النشر فيما لو نشروا مذكراتهم بالعلن (وهـذه هي المخابرات الاميركيـة التي تفكر بكل شيء ...) .

سلطات (هنري كيسنجر) :

ان (هنري كيسنجر) وزير خارجية أميركا سابقا ظاهريا هو (رئيس مجلس الامن القومي) فيها ، ويتمتع بأعلى السلطات بعـد رئيس الجمهوريه مباشرة . ومن هذه السلطات كونه مسؤولا عن لجنة المخابرات الاميركية التابعة (لمجلس الامن القومي) في الولايات المتحدة وتضم هذه اللجنة في عضويتها :

١ ــ رئيس المخابرات الاميركية .
٢ ــ وزير العدل .
٣ ــ وكيل وزارة الخارجية .
٤ ــ النائب الاول لوزير الدفاع .
٥ ــ رئيس الهيئة المشتركة للاركان .

ومهمة هذه اللجنة (اعداد التوجيهات والعمليات ــ المؤامرات للمخابرات الاميركية في انحاء العالم) وتوفير استمرار تقويم النتائج .

وقد أنشأ الرئيس السابق ــ نيكسون ــ هيئة جديدة أخرى عهد برئاستها الى (كيسنجر) أطلق عليها أسم (هيئة التقديرات) . ومهمتها تحليل القدرات العسكرية الاميركية ومقارنتها مع القدرات العسكرية السوفياتية والصينية . ويشغل كيسنجر ايضا رئاسة هيئة التدقيق) التي تجمع كل ما يتعلق بمفاوضات

تحديد الاسلحة الاستراتيجية ، وفوق رئاسة (هنري كيسنجر) لجميع هـذه الهيئات فهو الرئيس الفخري للمخابرات المركزية الاميركية . وبذلك يكـون (أقوى رجل مخابرات في العالم) .

المخابرات المركزية الاميركية وراء الانقلاب الاخير في قبرص :

في الدقائق الاولى لاعلان الانقلاب صبيحة يوم ١٥ تموز ١٩٧٤ في جزيرة قبرص على حكم مكاريوس ، واضطراره للفرار من الجزيرة بعد أن تولى الارهابي (نيكولاس سامبسون) السلطات بالقوة ، ولكنه لم يستطع السيطرة على الحكم في الجزيرة بسبب (تمكن الرئيس الاسقف مكاريوس من مغادرة الجزيرة) مما اضطره أيضا الى الاختباء ، وتنازله عن الرئاسة (الوهمية) التي لم يفرح بها الا لايام معدودة تبين أن أصابع المخابرات المركزية الاميركية (وراء الانقلاب) . ذلك لان الدكتور هنري كيسنجر ــ وزير الخارجية الاميركية ــ قد دعم (نيكولاس سامبسون) بالساعات الاولى للانقلاب ، وهو يأمل بأن ينفذ هذا الانقلاب كما أعد في مكاتب (فرع المخابرات المركزية الاميركية) في قبرص [1] بأن يقتل (الاسقف مكاريوس) وأن هذه المخابرات قد صرفت عدة ملايين من الدولارات لتنفيذ هذا الانقلاب[2] . وهكذا نجد المخابرات الاميركية وراء أغلب أحداث العالم ، مع أن نتائج انقلاب قبرص كانت الحاق الضرر في السياسة الاميركية في اليونان ، وانسحابها من حلف الاطلسي ثم عودة الحكم الديمقراطي الى اليونان تبعه عودة الملك قسطنطين الى عرشه وسقوط الحكومة العسكرية ومحاكمة أعضائها بتهمة الخيانة العظمى ثم عودة الاسقف مكاريوس بالذات الى رئاسة الجمهوريين في قبرص ــ رغم دخول القوات التركية اليها عقب الانقلاب لحماية الجالية التركية فيها بينما سجن سامبسون وحكم عليه بالسجن عشرين عاما بتاريخ ٣٠ /٨/ ١٩٧٦ .

---

(١)المصدر المعلق الاميركي (جارك أندرسون) من صحيفة واشنطون بوست

(٢) المصدر ــ الرئيس الاوغندي ــ عيدي أمين بحيث قدم اتهام صريح بهـذا المعنى الى رؤساء كل من اليونان وتركيا والرئيس مكاريوس بالذات .



المفتش الانكليزي جميس فبرين يقود سامبسون الى المحكمة ومسدسه بيده لمواجهة تهمة القتل في عام ١٩٥٧ .. ومع ذلك كان من الممكن أن يصبح رئيسا لقبرص بقوة المخابرات

كيف تتخلص الدول من عملاء المخابرات الاميركية :

في أواسط الستينات حدثت اضطرابات في المناطق الشرقية النائية في البيرو ، ولما عجزت الحكومة عن اخماد هذه الاضطرابات طلبت مساعدة حكومة الولايات المتحدة التي حولت الطلب الى المخابرات الاميركية ولبي فورا ، فوضعت حكومة (بيرو) تحت تصرف القوات الخاصة (المختلطة) حصنا كبيرا بالقرب من منطقة الاضطراب . واحتوى الحصن على قاعات للطعام وغرف للتدريس وثكنات ومبان ادارية ، وأبراج للقفز بالمظلات ، وجميع المتطلبات الاخرى اللازمة للعمليات شبه العسكرية . وقدمت طائرات هيلوكبتر تحت ستار برامج المساعدات الاقتصادية . فنقلت بواسطتها المخابرات أسلحة وأعتدة قتالية . وباشر بالتدريب في حينه (رجال القبعات الخضر) على سبيل الاعارة ، وبدأت المخابرات بضم الرجال المحليين لاشراكهم في عمليات مكافحة الإضطراب ، ودفعت لهم أجورا خيالية ، ولم تمض مدة حتى تمكنت هذه القوة من ابادة الثوار وقمع الاضطرابات نهائيا . ومع ذلك بقي هؤلاء في الحصن يعيشون حياة ترف ومجون روتينية حتى موعد احتفال (بيرو) بالعيد القومي للاستقلال ، حيث يقام عرض عسكري سنويا احتفالا بهذه المناسبة .

عند ذلك طلبت قوة المخابرات الاميركية والرجال الذين دربتهم الاشتراك في العرض العسكري ودخول العاصمة ، فرفض طلبهم مما اضطرهم للاحتفال في أماكن اقامتهم ، وهم متأثرون من حرمانهم دخول العاصمة . ولما كان زعماء بيرو يعرفون ان أنظمة حكم أميركية لاتينية أخرى قد أسقطت على أيدي كتيبة واحدة قوية مثل هؤلاء ، فانهم كانوا غير مستعدين للسماح لقوة المخابرات الاميركية هذه بالدخول الى ليما . ولما علم المسؤولون بأن رؤساء وعناصر هذه القوة مستاؤون من منعهم دخول العاصمة قدم مشروع الى الحكومة بحل هذه القوة ، وجرى تجريدها من أسلحتها فور توقيع المشروع والخلاص من شرها ... ؟

المخابرات الاميركية تستعين بجميع المغامرين :

عندما تكون المخابرات الاميركية بحاجة الى رجال اضافيين لتنفيذ احدى

العمليات الضخمة ، فانها تستأجرهم بموجب عقاد (خاصة) بحيث يستدعي العسكريون السابقون .

والمغامرون المعروفون من قبل رؤساء الفروع والمرتزقة المسجلين (تحت الطلب) . وحين الحاجة الى المزيد من الرجال يستدعي عـدد منهم من القوات الخاصة في الجيش الاميركي (القبعات الخضر) ، ومن وحدات مكافحة رجال العصابات في سلاح البحرية وسلاح الجو . وبعضهم يستقيـلوا مـن الجيش الاميركي لكي يحصلوا على الستار اللازم لنشاطهم ، لأن أغلبهم كانوا يتمتعون بأبرع المهارات العسكرية القتالية .وحال انتهاء العملية يقبض المدنيون تعويضاتهم (السخية) ، بينما يعود العسكريون منهم الى وحداتهم بعد قبض المخصصات (المضاعفة) تشجيعا لهم ولغيرهم . بالاضافـة الى اعتبار سنة الخدمة مـع المخابرات الاميركية (سنة ونصف) بالنسبة (للتقاعد) و (الترقية) .

انسحاب صاحب ضمير حي من المخابرات الاميركية

عين أحد الضباط الاميركيين لتدريب عملاء المخابرات الاميركية في جزيرة (سالبان) في المحيط الهادي وابتدأت المهمة بتدريب بعض الاهالي المحليين على مكافحة رجال العصابات (حسب زعم المخابرات الاميركية) ، وسار التدريب روتينيا وبأسلحة غير مشروعة طبعا ، لان المخابرات الاميركية لم تسمع شيئا عن معاهدات جنيف ، ولذلك تستعمل وتقدم لعملائها :

ـ مدافع رشاشة مزودة بكاتم للصوت .

ـ طلقات تنفجر لدى ارتطامها بالهدف أو بالأرض وتحدث أذى مضاعفا (وقد استعملت في احداث بيروت ١٩٧٥) .

قنابل نابالم :

وجرى التدريب على جميع هذه الاسلحة والتدريب على صنع القنابل محليا حتى وصل البرنامج الى مادة (النسف) ، وفوجيء المدرب بالايعاز اليه بتدريب المنتسبين لهذهالدورةعلىجميع أعمالالنسف : طرقات ــ سكك حديدية ــ جسور ــ أبنية ... الخ ووضعت تحت تصرفه المتفجرات اللازمة والعشرات

من السيارات من نوع حديث وعربات السكك الحديد وصهاريج خزن الغاز لاجراء التجارب عليها وتفجيرها تفجيرا حقيقيا من قبل المتنسبين بعد تدريبهم .. كما وجد في برنامج التدريب على استعمال مواد ناسفة مخلوطة بدقيق أو سماد .. وأخيرا التدريب على استعمال مدفع صغير من صنع المخابرات الاميركية يتألف من قطعة معدنية مقعرة فوق صفيحة مملوءة بمتفجرات بلاستيكية . وعندما ينفجر الجهاز كانت الحرارة الناجمة عن الاحتكاك بسبب دوران قطعة الصلب المقعرة فتحولها الى قذيفة متوهجة ، ويستعمل هذا المدفع لعدة أغراض وقد استعمل أثناء التدريب على سيارة باص عسكرية بحيث ربط هذا المدفع الى خزان البنزين بطريقة مزقت القذيفة معها الخزان ، وقذفت بالبنزين الملتهب الى داخل الباص ليحرق كل من فيه حسب التجربة . وهنا صحا ضمير المدرب وهو يشاهد ألسنة النار تتصاعد من الباص (التجربة) . وتلتهم مع من فيه وفي هذه اللحظة قارن المدرب بين حرق باص بركابه بهذه الطريقة وبين الحرية التي تنادي بها أميركا فما هو الحق الذي يجيز للمخابرات الاميركية تنفيذ أحكام الموت بالطرق البشعة وباسم الحرية على المعارضين لسياستها .

وبعد ذلك قدم هذا المدرب استقالته فورا ، وعاد الى الولايات المتحدة ليعمل عملا شريفا يرضي ضميره ...

نظرا لان مؤسس المخابرات الاميركية قد تعهد منذ تأسيسها بأن تكون حربا على أعداء الولايات المتحدة ، وأن تبتعد عن كل ما يمس حرية المواطن الاميركي . وبما أن عشرات الألوف من الاميركيين شعروا بأنها أخذت تتدخل في حياتهم الشخصية خصوصا أثناء حرب فيتنام . ونظرا للحرية التي يتمتع بها الفرد الاميركي ، فقد انهمرت الدعاوي على المحاكم الاميركية ضد المخابرات بشخص رئيسها تطلب الحكم بابطال بعض الاجراءات التي شعروا بها تقيد حريتهم مثل التصنت على هواتفهم (يعرف الشخص حين الاتصال به بأن خطه مراقب من صوت التكتكة في الهاتف بالاضافة الى احساسه الشخصي) ، ثم مراقبة رسائلهم (أغلب الاميركيين كانت تصلهم الرسائل مفتوحة ومغلقة بمعنى أخذ المخابرات فوتوكوبي عنها) ، وبعض الوسائل غير المشروعة.. ونظرا لقوة واستقلال القضاء الاميركي (قضية ووترغيث واصرار القاضي

على استدعاء الرئيس (ريتشارد ميلهاوس نيكسون) الى المحكمة ، ومن ثم اضطراره للاستقالة • كل ذلك يبين لنا نوعية القضاء الاميركي لذلك فقد كسب أغلب هؤلاء المواطنين الدعاوي ضد المخابرات الاميركية (رغم قوتها وجبروتها)، واستحصلوا على أحكام (مبرمة) بابطال جميع اجراءاتها بل وحتى الحكم باتلاف ما سجل وصور وحفظ عنهم • وتراكمت هذه الدعـاوى تطلب التنفيـذ من المخابرات ، وبطبيعة الحال أخذت المخابرات الاميركية تماطل في التنفيذ من مصدر القوة • فالتجأ المواطنون الى نوابهم في مجلس النواب والشيوخ ، فاستدعي رئيس الاغلبية في مجلس الشيوخ الاميركي بتاريخ ٢٥ /٦/ ١٩٧٦ جورج بوش رئيس المخابرات الاميركية الى مجلس الشيوخ بالطرق القانونية ، وحصل منـه على وعد ذكر فيه أن المخابرات الاميركية سوف (تحرق) جميع المعلومات غير الشرعية التي صدرت بها أحكام وغيرها •

وهكذا ظهرت الى الوجود حرب جديدة من نوع التحدي بين أعضاء مجلسي النواب والشيوخ ، وبين رئيس المخابرات الاميركية من أجل التأكد من تنفيذ أحكام (حرق واتلاف ما تجسست عليه هذه المخابرات) • وبطبيعة الحال سوف تماطل المخابرات الاميركية في حرق بعض هذه المستندات بحجة (دواعي الامن) ، أو تقدم (للحرق والاتلاف) نماذج (مسحوبة) عن الاشرطة والصور الاصلية بحيث تبقى المخابرات الاميركية (دائما) عصا تلـوح بها تهديدا لمن لا يتعاون معها كما ثبت من عشرات الحوادث السابقة •••



سفينة التجسس الاميركية « بوئبلو »





المخابرات الألمانيّة „الجستابو"

الجستابو : وهو الاسم الذي أطلق على المخابرات الالمانية ودائرة التجسس الالمانية أيام الرايخ الثالث في تلك الحقبة من الزمن . وفي المانيا كانت كلمه الجستابو تعني البطش والارهاب والمعتقلات للمعارضين للحزب النازي ، ومن ثم (الحرق) في أفران خاصة بلا رحمة ولا شفقة • وكانت رئاسة المخابرات الالمانية (الجستابو) تشغل عمارة من ثمانية طوابق في برلين ــ شارع برنز ــ البرت ستراش رقم ٨ • وفي مركز الجستابو كان عشرات الضباط النازيين المخلصين للحزب ولهتلر يقومون بالتخطيط لاعمال تخريبية وتجسسية ، ويجندون العملاء ويدربونهم ويبعثو بهم الى مختلف البلاد التي يهمهم معرفة ما يجري فيها •

ولم تتأخر المخابرات الالمانية عن استخدام النساء في اطلاقهن كجاسوسات في دول أخرى • وبعد سقوط برلين بيد الحلفاء بعد مئات الغارات عليها عرض مقر الجستابو الى القصف ومن ثم الحريق والتدمير ، وهكذا ضاعت الملفات التي كان من الممكن الكشف بموجبها عن أعمال وحشية ارتكبتها المخابرات الالمانية • وكل ما نسمعه هو جزء قليل من المعلومات التي توفرت من عملاء

سابقين اعترفوا بجرائمهم ، وسجل الجستابو الذي أمكن الحصول عليه سلم الى الحلفاء واستخدم كدليل في محاكمات نورمبرغ ضد الزعماء الالمان ، وبعد ذلك كان مصيره الحفظ مع التحقيقات هذا عدا عما صرحت به السلطات الحليفة للصحافة للاطلاع عليه فاصبح بعد ذلك أفلاما سينمائية تعرض علينا بين الفينة والفينة حيث يرى المشاهد فيها كيف كانت تعامل المخابرات الالمانية المعارضين ولو أن في هذه المشاهد بعض المبالغة السينمائية الا انها تحكي جزءا من العهد الاسود عهد الجستابو .

من اعمال المخابرات الالمانية :

ومن أعمال المخابرات الالمانية إبان الحرب العالمية الثانية العديد من الانجازات والاعمال المهمة التي ساعدت في باديء الامر على اجتياح القوات الالمانية أوربا قبل الهزيمة ، ومن هذه المنجزات أنه في شهر كانون الاول عام ١٩٤٢ تمكنت المخابرات الالمانية من اعتقال شبكة دقيقة للتجسس تقوم بعملها في هولندا المحتلة ومؤلفة من ١٥٠٠ شخص أغلبهم من المتطوعين لخدمة الحلفاء فيما وراء خطوط الالمان ، وتمكنت المخابرات الالمانيـة من اخفاء أمر اعتقال هذه الشبكة مدة سنتين ، وذلك بسيطرتها على محطات الاذاعة السرية التي كانت تستخدمها الشبكة ، وحبك وبث القصص الخيالية عن نشاط الشبكة حتى حصلت على كثير من المؤن والعتاد من لندن التي كان لها نصيب الاسد من الخدعة الالمانية .

الخدعة بالتفصيل :

في شتاء عام ١٩٤١ كلفت المخابرات الالمانية (الجستابو) (اريك فاتر) بالاشراف على النشاط الذي يقوم به الجواسيس التابعون لدول الحلفاء في هولندا المحتلة من القوات الالمانية ، وكانت مهمته الاولى هو كشف مقر القيادة السرية لجماعات المقاومة ، وأن يحول بينها وبين الاتصال بلندن ، وكانت نقطة البداية بالنسبة لهذه المهمة ، عندما استطاع الكابتن (فاتر) أن يدخل أحد عملائه ضمن خلية تابعة لرجال المقاومة ، حيث استطاع هذا العميل أن يزود رئيسه بكثير من الاسرار التي حصل عليها ، وأكد في أحد تقاريره الخطيرة أن أحد ضباط اللاسلكي كشف اذاعة سرية كانت تبث مبتدأة بالاحرف (ر ـ ل

ــ س) وفي ساعة معينة من مساء كل يوم ، فتقرر الاستيلاء على هذه المحطة وفي خلال ثلاثة أشهر تمكن الالمان من الاستيلاء على المحطة المذكورة ، واعتقال مديرها الانكليزي ويدعى (الكابتن هـ ــ م ــ بويدز) ، وبعد ساعتين تم اعتقال باقي الاعضاء والمعاونين •• ومعرفة جميع الرموز والشيفرة • وجاءت الاوامر الى الكابتن (أ ــ فاتر) بمتابعة الاتصال مع لندن وتضليلها فأوعز الى الكابتن بويدز بمتابعة الاتصال بلندن ، ولكنه رفض باصرار أن يواصل الاتصال وادارة المحطة باشراف المخابرات الالمانية ، كما رفض مساعدة ضابط اللاسلكي (تيمبس) أيضا ، ،وفشلت عدة محاولات لاقناعهما بالعمل باللطف واللين ، مما اضطر الالمان الى استعمال التهديد والعنف ــ ، وطلبوا منهما الاستعداد لتقديمهما الى المحكمة العسكرية التي ولا شك سوف تحكم باعدامهما ، وكان لهذا التهديد أثره لدى الكابتن بويدز ، فوافق على معاودة الاتصال ، وقام بارسال الرسائل الثلاث التي تعود ارسالها يوميا ، وتلقى الجواب عليها من لندن ، مع رسالة جديدة عن وصول مندوب جديد ، وطلب اعداد منطقة لهبوطه ومعه كمية من العتاد • (كانت عناصر المخابرات الالمانية على استعداد في كل لحظة لقطع الاتصال مع لندن عند أول بادرة من بويدز) •

وبعد هذا الاتصال ، لم يستطع المدير الانكليزي أن يكتم أسفه وحزنه على ما قام به ، وصرح بأنه لن يقوم بعد ذلك بالاتصال ، وانه يفضل الموت على أن يرتكب مثل هذه الجريمة بحق مواطنيه •

ولكن المخابرات الالمانية عادت الى التهديد ، وأفهمته أن رفضه التعاون سوف يؤدي بالمندوب الجديد الى الاعدام ، أما اذا استمر في معاونتهم فانه ينقذه وينقذ من سوف يحضر غيره بعد ذلك، فاضطر الى الرضوخ ومتابعة الاتصال تحت المراقبة الشديدة ، وكانت المخابرات الالمانية تتعجب من اخلاص بويدز وعدم محاولته الاشارة الى اعتقاله مع شبكته من قبل الالمان •

وفي تاريخ ٢٧ آذار وصلت اشارة من لندن تطلب منهم انتظار وصول الطائرة القادمة من لندن وهي تحمل المندوب الجديد والمعدات •

في الساعة الحادية عشر ليلا ، فانتظرت عدة سيارات صغيرة في غابة بالقرب

من الموقع المحدد لهبوط الطائرة التي تأخرت في الوصول مدة ساعتين ، وهبطت لمسافة بسيطة عن سطح الارض في المكان المحدد وألقت خمس مظلات ، أربعة تحمل صناديق العتاد والخامسة تحمل المندوب الجديد وهو ضابط لاسلكي ، ثم عادت الطائرة ، وبعد دقائق كان الضابط والعتاد في حوزة المخابرات الالمانية. وكلف بويدز بالاتصال بلنــدن للاعلام عن وصول المندوب والعتاد وهكـذا فعــل ...

استمرار الخدعة وظهور اذاعات سرية جديدة :

مضت عدة أسابيع بعد وصول المندوب الجديــد ضابط اللاسلكي ، والحالة هادئة ، ولكن المخابرات الالمانية كانت تخشى أن يكون البريطانيون كشفوا الخدعة ، ثم علمت المخابرات الالمانية أن قيادة المخــابرات الهولنديــة البريطانية ومركز لندن لا تزال تتصل ببعض الفدائيين وفرق المقاومة ، واستمع الاخصائيون الى اذاعات سرية جديدة تبث من منطقة (أوترخت) ، كما عثر على جثة فدائي بريطاني في منطقة « هولتن » ، كان قد قتل على الصخور عند هبوطه بالمظلة وعثر في جيوبه على ورقة سرية سجل بها مراكز خمس محطات اذاعة سرية وشيفرة جديدة لكي يذيع بها ... عند ذلــك رسم (أريك فاتر) خطة لكشف باقي العملاء والاستيلاء على هذه المحطات ... فتركت الجثة على حالها ، وشددت المراقبة حولها حتى حضرا اثنان من الفدائيين لدفنها ، والاستيلاء على ما في الجيوب من الاوراق فاعتقلا وعثر معهما على شيفرة ثانية وجديدة ومن ثم اعتقلت باقي المجموعات وأخذت المخابرات الالمانية تذيع الى لندن من الشيفرة الخاصة بالمحطة الجديدة ، وانطلت الخدعة على لنــدن . وفي نفس اليوم اطمأنت لندن ، وأخبرت الالمان عن وصول فوج جديد من الفدائيين مع كمية كبيرة من العتاد والمؤن الى موقع معين .. واعتقل الجميع ، وأبلغت لندن بوصولهم سالمين .. واستمر الاتصال ، ثم أخبرت لنــدن أن ضابط الارسال لقي حتفه ، وأنه يجري تدريب غيره لكي يحل محله ، فوافقت حالا ، وهكذا اصبح لدى المخابرات الالمانية ثلاث شيفرات للاتصال بلنــدن . ثم اخذت المخابرات الالمانية بالتخلص من الانكليز واحدا واحدا ، بعد أن تزعم للندن بأن الشكوك أخذت تحوم حولهم ، فتوافق لندن على تغييرهم في الحال ، حتى اصبح أغلب مذيعي المحطات السرية المستولى عليها من الالمان واصبحوا يديرون

أجهزة الارسال والاستقبال كأحسن ما يكون ضباط اللاسلكي ، وكانت المخابرات الالمانية تخشى في هذه الحالة أن يكون البريطانيون قد قاموا بتسجيل أصوات عملائهم قبل ارسالهم ، وبذلك يكتشفون الخدعة الالمانية ، ولكن مع الاسف لم يجر شيء من هذا اما لاهتمام المسؤولين في الانتلجانس سرفيس لهذه الناحية ، أو لعجزهم عن تمييز الاصوات واستمر الالمان في خداعهم حتى أصبح لديهم بعد شهور اربعة عشر شيفرة اتصال يقوم بالاتصال بموجبها الضباط الالمان وتوالى ارسال المندوبين وكميات كبيرة من العتاد من أسلحة وذخائر وأجهزة لاسلكية جديدة .

والقيادة في لندن لم تنتبه الى هذه الخدعة ولا الى مصير عشرات المندوبين الذين يقعون تباعا بين يدي الالمان .. ومما زاد في خداع الالمان هذه المدة التي وصلت فيما بعد الى سنتين ، ان المخابرات البريطانية لم تكن في حينه بمستوى ارسال مندوبين سريين في أوقات متفاوتة للتاكد من حسن عمل المندوبين السابقين والا كان من الممكن كشف خدعة الالمان هذه .

نجاح المخابرات الالمانية وحصولها على وسام بريطاني :

ومع سير العمل وتكرار المهمات ومتابعة خداع المخابرات الالمانية للمخابرات البريطانية ، عهدت لندن في أحد الايام الى المسؤولين في محطة (ر . ل . س) القيام بمهمة خطيرة هي القيام بنسف المحطة اللاسلكية في (كوتوجك) . وهذه المحطة كانت تستخدمها البحرية الالمانية للاتصال مع غواصاتها المنتشرة في المحيط الاطلنطي ، فأجابت المحطة (المخابرات الالمانية) بأن هذه المهمة سوف تكون سهلة وأنهم في طريق التنفيذ . ولكي يكون الامر طبيعيا أبلغت لندن في اليوم التالي بأن مهمة نسف محطة (كوتوجك) باءت بالفشل مع الاسف ، وأن عناصر المهمة فقد منهم خمسة وجرح اثنان عاونهم رفاقهم بسبب وجود حقل الغام حول منطقة المحطة . ومتابعة في جعل الامور طبيعية أخبرت لندن في الصباح بأن اثنان من المفقودين تمكنا من العودة سالمين بعد جهود عظيمة ، وابلغوا عن وفاة زملائهم الثلاثة . وأن الالمان قد شددوا الحراسة (بعد هذه المحاولة) . وردت لندن بأنها تأسف للخسائر التي لحقت بالفرقة وطلبت عرض ما تراه مناسبا لتذليل تلك العقبات بسبب اصرارها على نسف المحطة .



الجنرال (جيرهارد فيسيل) رئيس المخابرات الاتحادية لالمانية الغربية استلم عمله في شهر ايار ١٩٦٨



هاينريش هملر – مدير المخابرات الالمانية الفستابو كان هتلر نفسه يخشاه ..

واذا تعمقنا في مضمون مثل هذه الامور ، نجد أن المخابرات وأعمالها هي المخابرات في كل زمان ومكان ، لا تتأخر عن القيام بأي عمل من شأنه استفادة الدولة منه وبالتالي القوات المسلحة ، خصوصا في أوقات الحرب وهذه الواقعة عن الخدعة الالمانية خير دليل على عمل المخابرات • فقد أوعزت المخابرات الالمانية بعد أيام من محاولة نسف محطة (كوتوجك) البحرية الى احدى الصحف بنشر خبر يقول بالحرف الواحد :

« احبطت محاولة غادرة لنسف احدى المحطات اللاسلكية الكبرى قامت بها عناصر اجرامية قتل منها ثلاثة ولاذ الباقون بالفرار ، وبعد فحص المواد المتفجرة تبين أن لاعداء البلاد يدا في هذه المحاولة الغادرة » (١) وضح ما توقعته المخابرات الالمانية من نشر هذا الخبر ، حيث وصلت الصحيفة التي نشرت الخبر الى لندن عن طريق احدى الدول المحايدة التي تصلها الصحف الهولندية بطبيعة الحال ، وبعد اسبوعين اتصلت لندن بالمحطة (ر • ل • س) وهنأتهم على محاولتهم لتحطيم المحطة ، وزادت لندن بأنها قررت منح المدير (الكابتن بويدز وساما رفيعا تقديرا لجهوده (٢) •

---

(١) يجب أن تفكر المخابرات بكل شيء (مثل هذه النشرة الصحفية التي تؤكد الخدعة ..) •

(٢) هذا الوسام يعتبر بلغة المخابرات من حق المخابرات الالمانية •

واستمرت الاتصالات والاعمال الوهمية ، حتى أبلغت لندن أنها بصدد ارسال مندوب جديد يدعى « جامبروز » الى هولندا ومعه فرقة من المواطنين الذين رغبوا في الاشتراك لتحرير وطنهم « هولندا » ، وكانت تعليمات لندن تقول ان هؤلاء المتطوعين سوف يقومون بتأليف فرقة للمقاومة يتألف كـل منها من مائة رجل •

قامت المخابرات الالمانية باعتقال الجميع لدى هبوطهم مع معداتهم • وكان عليها أن تخبر لندن بأنباء وصولهم ونشاطهم ، فاتصلت بلندن زاعمة ان بعض المخبرين كانوا مدسوسين بين (جامبروز) وفرقته فأوجدوا التفرقة بينهم ولكن « جامبروز » تابع مهمته بتدريب الفرق بعد أن تخلص من المـدسوسـين ، ولمتابعة الخدعة طلبت المخابرات الالمانية من لندن ارسال مدربين فنيين للقتال واللاسلكي ، فأرسلت لندن في شهر نوفمبر سبعة عشر فنيا بينهم خمسة ضباط لاسلكي مع أجهزتهم الجديدة ، ولكل منها ذبذبة خاصة ـ اعتقلوا جميعا وزاد الالمان من خدعتهم ، فأخبروالندن بانضمام ـ ١٥٠٠ ـ (متطوع هولندي) الى فرق المقاومة ويجري تدريبهم حسب التعليمات ، وطلبوا ارسال ملابس وأحذية جبلية وكميات من المؤن علب لحم محفوظ ـ شاي تبغ ـ وكعادة لندن سارعت بتلبية الطلب وارسال ما زنته عشرة أطنان من هذه الطلبات بواسطة الطائرات •

مندوب جديد ومحاولة كشف الخدعة :

نظرا لاستمرار هذه الخدعة لفترة السنتين كان على المخابرات الالمانية أن توافي لندن ودوريا بأنباء وهمية عن تدريب ونشاط الفرق ونظرا لتعـدد محطات الارسال والشيفرة وخشية كشف الخدعة فقد أعلمت المحطة الرئيسية (ر • ل • س) لندن بأن بعض المحطات سوف تتوقف عن الاتصال لضرورة الامن، وصدقت لندن وأمرت فعلا بوقف معظم هذه المحطات مما تسنى للالمان الاستمرار في خدعتهم ، وهم مطمئنون • حتى وصل منـدوب انكليزي جديـد يدعى (آري) ، وقد اعتقل فور هبوطه كالعادة • فطلب من الالمان أن يسمحوا لـه بأن يتصل بلندن ليقول لهم جملة اتفق عليها مع المسؤولين هناك وهي « لقـد

سافر الاكسبريس في الوقت المحدد » وأكد أن عدم اذاعته هذه الجملة بنفسه يكون دليلا على أنه وقع في أيدي الالمان .

وخشيت المخابرات الالمانية أن يكون العكس هو الصحيح أي أن معنى هذه الجملة بالذات أنه وقع بالاسر ، فوضعته بالسجن واذاعت في الوقت المحدد رسالة الى لندن جاء فيها : لقد وقعت حادثة مؤسفة لآري وهو فاقد الوعي ، وقرر الطبيب الفاحص انهمصاب بالارتجاجفي المخ «وبعد يومينآرسلت الىلندن: لقد تحسنت حالة آرى وهناك أمل في انقاذه « وتتمة للعبة أرسل بعد يومين آخرين : أن آري قد توفي فجأة ... ومع الايام طلبت لندن أن يرسل اثنان من المندوبين للتشاور معهم . واسقط في يد المخابرات الالمانية هذه المرة ... ولكنها استمرت بجرأة في الخداع ، فأخبرت لندن أن بالامكان ارسال ما تطلبه ولكن طريق العودة غير مأمون بسبب انتشار الحراس في كافة المناطق ، فعادت لندن وطلبت تحديد أنسب الاماكن لهبوط طائرة تخطف مندوبا واحدا فقط للتشاور ، وأجابت المخابرات الالمانية باستحالة ذلك لان آنسب مندوب لديهم قتل في غارة المانية على « روتردام » فالغت لندن طلبهـــا وأرسلت فريقـــا جديدا من المندوبين باشراف « جولف جروب » فاعتقل الفريق ، واتضح آن مهمته الاولى هو البحث عن طريق آمنة لمساعدة الراغبين في العودة الىانكلترا.. وتشاء الصدف أن يقع طياران انكليزيان بين يدي المخابرات الالمانية ويرضيان بالتعاون معهما فأبلغت لندن بأنها هيأت طريقا آمنا حتى باريس ، وهي سوف ترسل رسولين للتشاورحسب طلب لندنمن قبل وكانالرسولان هما الطياران. أرسلا حسب الاتفاق . وبعد اسبوعين ارسلت لندن تهنىء بوصول الرسولين سالمين ، وتشكر جميع الفرق على نشاطها في سبيل تحطيم العدو ... وبعـــد ذلك أخذت المخابرات الالمانية تخدم الحلفاء خدمات حقيقية غير ضارة استرسالا في خداعهم . فكانوا يتعهدون بعض الطيارين الذين تسقط طائراتهم في سهول وهضاب هولندا وبلجيكا ويوصلونهم عبر طرق وعرة الى الحدود الاسبانية باعتبار من أوصلهم أنهم من رجال المقاومة وكانوا يذيعون هذه الخدمات عبر محطات الارسال ذاكرين أسماء ورتب الذين ساعدوهم وانقذوهم من الموت المحقق .

ومع الايام خشيت المخابرات الالمانية من افتضاح أمرهـا لدى الحلفاء بسبب عدم توافق المعلومات التي تحصل عليها من الدول المحايـدة عن أعمال التخريب المزعومة التي ترسلها لهم ، فعمدت الى افتعال حوادث تخريب «مصغرة»، فكانت تضع أكوام الورق والاقمشة والمتفجرات الفاسدة قرب محطات السكك الحديدية ، وتضرم فيها النيران فيرتفع اللهب عشرات الامتـار وتنشر هـذه الحوادث في اليوم التالي في الصحف .. ومن ثم في لندن كما قامت المخابرات الالمانية لنفس الغرض بنسف سفينة المانية في وضح النهـار (وكـانت هذه السفينة ناقلة قديمة محطمة لا تصلح لشيء « وقد وصل خبر نسفها الى لندن فهنأت « المخابرات الالمانية » باعتبارها من اعمال فرق المقاومة ...

نهاية المطاف والخدمة :

استمرت عملية الخداع هذه سنتين قامت بها وتفذتها المخابرات الالمانيـة باتقان تام وبدون أخطاء حتى تاريخ ٣١ آب ١٩٤٣ حيـث تمكن اثنان مـن المندوبين المعتقلين من الفرار ليلا ، وعرف الالمان أنهما في طريقهما الى لندن ، وسوف يكشفان كل شيء ، فأسرعوا للابراق الى لندن ، بأن هذين المندوبين وقد اعطوا اسماءهم الصريحة الى لندن قد انضما الى المخابرات الالمانية وسوف يحاولان الوصول الى لندن لتضليل المسؤولين لصالح الالمان .

ومع ذلك ، فان المخابرات الالمانية علمت أن هذه الخدعة لن تستمر طويلا فاقترح (أ ـ فاتر) المسؤول الاول عن هذه الخدعة على رؤسائه وقف هذه العملية . فأجيب على طلبه وسميت هذه العملية من أولها لآخرهـا (القطب الشمالي) وأوعز الى العشر المحطات التي تعمل بنفس الوقت وبشيفرات مختلفه ومعتمدة من لندن باذاعة هذه البرقية : الى المخابرات البريطانيـة نشعر الآن أنكم تحاولون أن تديروا المعركة السرية في هولندا بدون معاونتنا ... ونحن نأسف لذلك فقد بذلنا كل ما بوسعنا لخدمتكم .. ؟ وكنا وكلاؤكم الامناء طيلة هذه المدة في هذا البلد ونؤكد لكم أنه اذا فكرتم في ارسال منتدبين جدد لزيارة هذا البلد أو العمل به فاننا سوف نستقبلهم ونرعاهم ونرحب بهم أجمـل ترحيب « المخابرات الالمانية » .. وقد اصيبت المخابرات البريطانية بالذهول لهـذه الصدمـة ....



...دبابة سوفياتية حديثة
...بحث المخابرات الأميركية
...ن سرها ..

كما ان المخابرات الحربية قامت بنفس الدور في خدعة المخابرات الاسرائيلية والحصول منها على معدات ومبالغ من المال ، ثم ختمت الخدعة برسالة وداعية الى المخابرات الاسرائيلية . كما نعلم أنه كان للمخابرات الالمانية عيون وجواسيس تقذف بهم في مختلف المناطق التي لها فيها مصالح حيوية ، وتود معرفة ما يجري فيها مثلها في ذلك مثل مختلف مخابرات العالم . ولدينا عيّنة من أعمال هذه المخابرات في مصر ابان الحرب العالمية الثانية ، حيث كانت ترزح تحت نير الحكم الاستعماري البريطاني ، وتعج القاهرة بالدبلوماسيين والسفراء وعشرات الجنرالات قواد القوات البريطانية المرابطة في مصر ، والمكلفة بصد القوات الالمانية وكان بنفس الوقت في القاهرة بعض الجواسيس الالمان الذين دخلوها بمختلف الصفات وأندسوا بين فئات الشعب ، وأخذوا يتسقطون الاخبار ويرسلوها الى برلين بالوسائل التجسسية المعروفة في ذلك الوقت وهي اللاسلكي بعيد المدى ، والوسائل العادية فقط وكان من هؤلاء جاسوسا يدعى (ايلرهاتمن) جاء الى مصر مدعيا لنفسه اسم (حسين جعفر) ونظرا لاجادته اللغة العربية [1] تمكن حسين من العيش في القاهرة بما تغدقه عليه المخابرات الالمانية حياة صاخبة ، حيث كان يحضر الحفلات الراقية ، ويتردد على الاندية الليلية التي كان يرتادها الجنرالات الانكليز ، حتى تعرف على راقصة مصر الاولى في حينه (حكمة فهمي) بعد خطة وضعها للتعرف بها نظرا لمصاحبتها مختلف هؤلاء الجنرالات ، وكان مخدعها مرتعا للعديد من الاسرار الحربية الخطيرة عن الحلفاء بصورة عامة والانكليز بصورة خاصه ، ونجح الجاسوس الالماني في خطته ، وأصبح يقضي

---

(١) من المعروف ان جميع الجواسيس يدربون ويتعلمون لغة البلد التي يرسلون اليها وهذا الاجراء متبع منذ نشوء المخابرات .

معظم وقته في عوامة (حكمة فهمي) يستنزف منها الاخبار ، ويرسلها الى قيادته فيما بعد بواسطة عامل لا سلكي كان قد استحضره ايضا يدعى (مونكاسز) عن طريق الواحات ، وهو يحمل جهازه اللاسلكي ومع الايام ، كشف لها عن حقيقة عمله ، بعد أن تأكد له أنها أصبحت طوع أمره نتيجة صرفه لعشرات ألوف الجنيهات التي أنفقها عليها ، فأصبح يقيم بصفة دائمة في عوامتها ـ الراسية في نهر النيل مقابل مستشفى العجوزة بعد نقل جهاز اللاسلكي للعوامة حيث يتولى ارسال الاخبار أولا بأول الى مركز المخابرات الالمانية المتقدم مع قوات ـ روميل ـ . وكانت بعض هذه الاخبار السبب المباشر في اكتساح روميل للقوات البريطانية في أكثر المناطق قبل هزيمته المعروفة فيما بعد . ونحن نسجل في هـذا الكتاب عن أعمال المخابرات في ماضي عهدها وحاضره ،، ويجب أن نعترف أن نجاح أي جاسوس مهما أوتي من ذكاء ومعرفة وحظ يتوقف على بقائه طبيعيا بدون أن يغير من نمط حياته التي أوصلته الى مكانته التي تعود الناس من حوله أن يروه بها ، لأن أي تغيير مفاجيء في حياته يجعل الفضوليين يتحدثون عن هذا التغيير مهما كان . وبطبيعة الحال هناك دائما مخابرات مضادة لهـا من العيون والجواسيس ما لنفس الجاسوس اذا لم يكن أكثر ، تحلل هذا التغيير بوضعه تحت مجهر المخابرات الحساس ، ومن ثم تقوم هذه المخابرات بعمـل اللازم لكشف ما خفي وراء التغيير ، كما حصل مع ـ ايلر ـ اذ بلغ من الاهمية في نجاحه بعمله التجسسي أن حصل بمساعدة ـ حكمة فهمي ـ على حقيبة أحد القواد الكبار بما تحويه من أسرار عسكرية هامة ، مما دعا القيادة الالمانية الى زيادة المخصصات المقررة له آلافا مضاعفة ، فأخذ يبعثرها مع معاونـه بدون حساب ، حتى قيل انه أشعل ذات مرة ورقة نقدية من فئة (المائة جنيه) ليشعل بها سيكارة راقصته المفضلة ، مما لفت بعد ذلك نظر المخابرات البريطانية التي

كانت قد وضعته تحت المجهر نتيجة التغيير المفاجيء في حياته بازدياد مصروفه وسخائه . وقد دفعت المخابرات البريطانية بفتاة يهودية الاصل اسمها (ايفيت) كانت تعمل ظاهرا موظفة في قسم الاستقبال في فندق (كونتننتال) ، وعملهـا

الحقيقي (جاسوسة مزدوجة) فهي أولا عميلة للوكالة اليهودية في مصر ، وثانيا عملية للمخابرات البريطانية بنفس الوقت ، فدخلت حياة (ايلر) كعشيقة (١) حيث استطاعت كشف ومعرفة ما يجري في عوامة التجسس التي اصطحبها اليها . وبعد ذلك اقتحم البوليس الحربي البريطاني العوامة ، واعتقلوا — ايلر — ومعاونه وحكمة فهمي حيث جرى نقل الجاسوس ومعاونه بعد ذلك الى لندن ولم يكشف النقاب عن مصيرهما ، أما حكمة فهمي فقد قضت في السجن سنتين ونصف خرجت بعدها لتعود الى عملها (كراقصة مصر الاولى) .

وحكمت فهمي ليست المرأة الاولى التي عملت مع المخابرات الالمانية حيث نجد بعد تقليب الصفحات عن الحرب العالمية الثانية ومارافقتها من أعمال تجسسية لصالح المخابرات الالمانية ، نجد أن هناك ايضا امرأة المانية من أصل سويسري تدعى (كارمن ماري مورى) تخرجت كارمن من معهد الجاسوسية الالماني بدرجة تفوق حيث عهد اليها بمهمة الكشف عن اسرار (خط ماجينو) هذا الخط الذي وصف في حينه بأنه قلعة منيعة لا يمكن اختراقها) .

توجهت كارمن رأسا الى العاصمة الافرنسية (باريس) لانها اكثر المدن اهمية ، كما أنها تعج بعشرات الضباط الفرنسيين حيث أصبحت مقصد أغلبهم بالاضافة الى صداقتها لعدد من الشخصيات الهامة ، وكانت تذهب من وقت لآخر للقيام بزيارة قصيرة للمدن والقرى الواقعة على مقربة من خط ماجينو ولكنها كانت من الحذر حيث كانت تتردد على مكان تحصينات الخط والذي كان يتضمن ثكنات تحت الارض تتصل فيما بينها بدهاليز وممرات تخترقها الخطوط الكهربائية والحديدية ، كما تعرفت أيضا على أماكن حقول الالغام ، وسدود الحواجز المضادة للدبابات وما تحويه من مدافع تم تمويهها باتقان تام لتحمي الخط ، كما تمكنت من معرفة النقاط الاستراتيجية التي كان يضعها الفرنسيون

---

(١) من المعروف أن اليهوديات وبأوامر من سلطاتهم حتى قبل احتلال فلسطين يقدمن انفسهم بكل سهولة بل باندفاع لان تعاليمهم تقضي بتقديم الفتيات لقاء الحصول على اي شيء يفيد الحركة الصهيونية كما نوهنا عن ذلك في فصل المخابرات الاسرائيلية .

لاعاقة أي هجوم عليه ، ثم قامت بارسال جميع هذه المعلومات الى خطيبها ضابط الاستخبارات الالمانية (هنز) الذي كان قد ذكاها لهذه المهمة ، ومن ثم وعدها باتمام زواجه منها فور انتهائها من أداء هذه المهمة الشاقة .

الخطأ المميت

في احد امسيات شتاء عام ١٩٣٩ وبينما كان الشعب الفرنسي يتساءل بقلق هل ستدخل حكومته الحرب أم لا ، وفي هذه الاثناء اتخذت كارمن فندق (جورج الخامس) مقرا لها ، وأصبحت من نزلائه المرموقين حيث كان الجميع يعاملونها باحترام كبير . في هذا المساء بالذات تناولت الكثير من المشروب مع صديقين فرنسيين ، كانا من ضباط المخابرات الفرنسية حيث استدرجاها الى حديث تجاوز مداه ما يطلبه الحذر منها [1] وقد أجابت على بعض الاسئلة التي طرحت عليها بترتيب بعد أن تم اعدادها للايقاع بها .

في اليوم التالي تم اعتقالها ووضعت في سجن (بوتيت روكيت) الذي يقع في احدى ضواحي باريس ، ومن المعروف عن هذا السجن أنه سجن موحش يوضع به المجرمون الخطرون ومنهم المتهمون بالتجسس ، وبما أنها امرأة فلم تكن المعاملة التي لقيتها هناك حسنة بالنسبة لما تعودت عليه من حياة الترف والبزخ . وبقيت هناك حتى شهر نيسان من عام ١٩٤٠ حيث انتهى التحقيق معها من قبل المجلس العسكري الذي حكم عليها بالاعدام ولكن هذا الحكم لم ينفذ بعد أن عرض على الرئيس (لوبرون) الذي انزله الى السجن المؤبد مدى الحياة حيث أعيدت الى سجنها الموحش ، وبقيت فيه حتى سقطت فرنسا ، ووصلت القوات الالمانية المنتصرة الى باريس حيث تم تحريرها من السجن ، ونقلت بطائرة الى برلين حيث قدمت الى زعيم الجستابو (المخابرات الالمانية) الذي رحب بها ، وأخذ يتمعن بها بعينيه الزرقاوين فبادرته بقولها : انها لا تستحق الحياة والعمل

---

(١) كانت كارمن موضع شبهة مسبقة من قبل المخابرات الافرنسية بأن تكون احدى عميلات النازيين ولكن لم يكن لدى المخابرات أي دليل ضدها حتى أخطأت بتناولها المشروب زيادة عن حد الامان المسموح لها به وهذا الخطأ أول ما يدرس في مدارس المخابرات الآن .

لهم بعد هذه الخطيئة ، فأجابها لنترك الحديث عن الماضي لاني وجدت لك عملا جديدا ينتظرك . سوف أبعث بك الى بلجيكا وهولندا لتكون مهمتك العمل والتظاهر كأنك عضو في منظمات المقاومة السرية . وعملك سيكون اكتساب ثقة رؤساء هذه المنظمات وكشفهم وكشف أماكن عملهم وأسلوبهم وبالنتيجة يجب أن تعرفي كل شيء عنهم وعن عائلاتهم وتمنى لها التوفيق وبعد ذلك نهضت كارمن وقد سرت لهذه المهمة الجديدة ووعدت زعيم الجستابو انها ستكون عند حسن ظنه هذه المرة .

جهزت لها المخابرات الالمانية جميع الاوراق اللازمة التي ستحتاجها في مهمتها الجديدة ، وقذف بها على الحدود على أنها فرنسية هاربة من باريس (هذه المهمة سيكون من السهل عليها تنفيذها نظرا لاجادتها اللغة الفرنسية)

كانت الضحية الاولى لها فتاة تعمل كضاربة على الآلة الكاتبة ، وعمرها سبعة عشر عاما وكان أخاها قد قتل أثناء الغزو الالماني لبروكسل . قامت كارمن بوشاية هذه الفتاة الى الجستابو بأنها تعمل مراسلة بين منظمات المقاومة لنقل الشيفرة لهم . وبعد وشاية كارمن بها لم يعثر لهذه الفتاة على أي أثر ....

بعد الكشف عما قامت به هذه الجاسوسة من أعمال وحشية ، لم يتمكن أحد من تنظيم لائحة رسمية بعدد الذين وشت بهم كارمن الى الجستابو من رجال ونساء وأغلبهم من الذين كانت لهم أهميتهم في قيادة الكفاح ضد النازية . ومن الثابت أن نتيجة أعمالها كانت رهيبة جدا لان الاسلوب الذي كانت تتبعه للايقاع بضحاياها هو نفس الاسلوب الذي كانت تتبعه قبلا عند استيلائها على أسرار خط ماجينو ، وكان لنجاحها في تنفيذ مهماتها اكتساب ثقة رؤسائها . ومع ذلك ، وجد من ضباط الجستابو من شك في ولائها ، ومنهم ضابط مخابرات الجستابو في امستردام ويدعى (هايك) الذي تورطت معه في نقاش حاد ذات يوم فاتهمها صراحة بانها تتغاضى عن بعض الاشخاص الذين طلب منها مراقبتهم وأنها تعمل على الايقاع بالعناصر العاديه والذين لا قيمة لهم تاركة رؤساءهم يسرحون ويمرحون .

ولكنها وهي الواثقة من نفسها ، تجاهلت هذا الضابط ، فما كان منه الا أن ارسل تقريرا مفصلا بشكوكه الى رئيس الجستابو (هايدريك) الذي درس هذا التقرير مع غيره من التقارير السابقة بحقها حتى قضية خطئها في باريس

قبل احتلالها من قبل الالمان • وكانت نتيجة الدراسة قرار رئيس الجستابو بأنه لا يوجد أي مبرر للشك في سلوكها نتيجة الخدمات الجليلة التي قدمتها الى الرايخ الثالث ، وأن اقدامها على الخيانة هو احتمال ضئيل وأمر يستبعد صدوره منها ، لذلك ونتيجة لقناعته باخلاصها قرر أن يسند اليها مهمة جديدة تتناسب مع طبيعتها المتهورة •



مهمة جديدة وضحايا جدد :

نقلت (كارمن) الى معسكر (رافنسبروك) الذي يقع على بعد ٨٠ كيلو متر من برلين ، حيث أدخلت الى المعسكر في صورة (معتقلة سياسية) ، وتحت التهديد والوعيد والاهانات ، عدا عن مظهرها المتقن ومعاملتها أمام المعتقلات معاملة قاسية • وكان من بين المعتقلات (ابنة اخ الجنرال ديغول) وكانت هذه المعاملة القاسية سببا في كسبها ثقة من في المعتقل •

تعرفت على (فريد زسوهيرن) وهو من أعوان هتلر الموثوقين ، والذي كان يدير المعتقلات في المانيا ، ومنها هذا المعتقل ، وكان معروفا بطبعه الشرس ، وحبه للسيطرة ، والظهور ، وتملق السلطة ، وتذكر التقارير التي ظهرت بعد انهيار النازية أن حوالي ثمانين ألف امرأة اعتقلوا من جميع أنحاء أوربا واتهموا بمقاومة النازية لقوا أجلهن في هذا المعسكر الجهنمي وأن (ايخمان) الذي عرضنا قصة اختطافه من قبل المخابرات الاسرائيلية في هذا الكتاب كان يقرر الموت لهؤلاء •••

ولما كشفت كارمن من قبل المعتقلات • جرى تعيينها كرئيسة لاحد عنابر هذا المعتقل ، وكان مركزها الجديد كافيا لاشباع رغباتها • وحبها للسيطرة ، وارهاب النساء الاخريات • والتلذذ بمشاهدتهن يرتعدن أمامها • بل وكانت تجبرهن على الانحناء لها حتى سميت (الملاك الاسود) • وكان من ضمن عملها مساعدة رجال التحقيق التابعين للجستابو على انتزاع الاعترافات من المعتقلات بعدة طرق وحشية • نذكر منها استعمالها السوط لجلد ظهور النساء المرهقات ، ثم طريقة انتزاع الاقوال بالماء • وهي وضع المعتقلة على طاولة وتقييدها ، ثم غمر رأسها في سطل ماء مثلج عدة مرات حتى تعترف • ولا ننسى قسوتها يوما ،

عندما تلقت أمرا بالتخلص من سبعين امرأة، حيث عملت على جرهن من شعورهن عند الالتقاء بهن في أفران الغاز .

بقيت كارمن حوالي اربع سنوات في هذا المعتقل ، وفي عملها هذا حتى دخلته القوات السوفييتية ، وحررت الاسرى فتمكنت من الفرار والاختفاء حوالي شهرين حيث دخلت المنطقة التي تسيطر عليها القوات البريطانية لان البريطانيين في نظرها أكثر تهذيبا ومرحا من السوفييت .

وضع خبرتها السابقة تحت تصرف البريطانيين :

قدمت كارمن الى السلطات البريطانية جواز سفر افرنسي (مزور) كانت تخبئه لمثل هذه الاوقات . وادعت امامهم بأنها احدى المعتقلات السياسيات (سابقا) في معتقل (رافنسبروك) ، وانها على استعداد لوضع خدماتها في معرفه ما علمته وشاهدته في هذا المعتقل تحت تصرفهم . رغبة منها في العثور على جلادي هذا المعتقل وعلى رأسهم (فريد زسوهرن) حسب ادعائها ... ؟

في بادىء الامر ، حامت حولها الشكوك ، مثلما يحدث في مثل حالتها مع كل من يتجاوز الحدود . ولكن في النهاية انتهى الامر بتصديقها . وقد أعجب البريطانيون بذكائها وتذكرها كل صغيرة وكبيرة عن السجانين والمسجونين على السواء ، واستمرت في عملها الجديد مدة خمسة اشهر حتى وصفها أحد ضباط (الانتلجانس سرفيس) بأنها ذات ذاكرة من (الصنف الدقيق) بسبب تذكرها جيدا أسماء وصفات وحتى العلامات الفارقة لضباط الجستابو السابقين ، مما دعا الى اعتقال عدد كبير منهم ، نتيجة ارشاداتها ومعلوماتها . وكان لها الفضل في اعتقال (فيشر) وهو أشهر أطباء النازيين في مجال التعذيب والتشويه والقتل . حيث كان يقوم بتجاربه الجهنمية على السجناء الذين تضعهم المخابرات الالمانية تحت تصرفه ، وكان يقيم في قرية تدعى (ميندن) وظهر السرور عليها عندما اعتقله رجال المخابرات البريطانية ، وكان من جملة أعمالها الانتقامية من الالمان مرافقتها لضباط المخابرات البريطانية الى معسكر (لوف توف) المشهور ، وذلك للتعرف على الضباط والمسؤولين عن الجرائم الوحشية . وذات مرة وهي تقوم بمثل هذه الجولات لمحت فتاة تعطي فتاة اخرى بجانبها في المعتقل ورقة مطوية . وبحركة سريعة تناولت كارمن الورقة وفتحتها وقرأت فيها أن هذه الفتاة تخبر

رفيقتها أن كارمن (يهودية) فغضبت جدا وصرخت في الفتاة (اذاً أنا يهودية) وصفعتها صفعة قوية فوقعت المسكينة على الارض مغميا عليها [1] •

النهاية :

تمادت كارمن في ايذائها للالمان ، ولم تتمكن من كبح جماح نفسها وعاطفتها السادية وفي ذات يوم ، وبينما كانت ترافق احدى دوريات المخابرات البريطانية شاهدت في الطريق امرأة المانية من اللواتي كن يعملن في الجستابو فصرخت كارمن بالسائق أن يقف ، وهجمت على هذه المرأة أمام المارة الذين أصابهم الذهول وصرخت فيها : (تعالي يا بنزدوروفي) أما المرأة فقد جمدت في مكانها من المفاجأة ، ولم تتمكن سوى من نطق كلمة (موري) وقد اعتقلت هذه المرأة فورا وخضعت لاستجواب دقيق سبب نهاية كارمن • ولو أنها هي بنفسها سببت نهايتها باعتراضها لهذه المرأة • وأثناء التحقيق معها بدأت الحقائق تظهر بوضوح أولا بأول عن الاعمال التي زاولتها كارمن في المعتقل ، كما توصلت المخابرات البريطانية الى أن كارمن هي التي توجهت الى باريس في يوم من أيام ١٩٣٨ لتكشف على أسرار (خط ماجينو) • وهكذا اعتقلت كارمن في نفس الوقت الذي كانت أغلب قوات الحلفاء تبحث عنها ووضعت في سجن (التونا) في هامبورغ • حيث انضمت الى زملائها مجرمي الحرب الذين بدأت محاكمتهم المشهورة بتاريخ ٣ /١٢/ ١٩٤٦ وكانت التهم الموجهة اليهم (ارتكاب الجرائم ضد أسرى الحرب والمعتقلين وتعريضهم للتعذيب الوحشي حتى الموت) وفي بداية المحاكمة كانت تبدو وكأنها واثقة من نفسها ، ولكن هذه الثقة بدأت تتلاشى خصوصا عندما شهدت ضدها فتاة فرنسية تدعى (فيولنيت لوكوك) بأنها كانت تعطي الحقن القاتلة الى المعتقلات ، فوقفت كارمن منفعلة ، وصاحت في وجهها أنها كاذبة في شهادتها عند ذلك ، هددها رئيس المحكمة باخراجها من القاعة اذا لم تحافظ على الهدوء • وفي أول شهر نيسان ١٩٤٧ صدر عليها الحكم بالاعدام ، واعيدت الى سجن (التونا) ، ووضعت في زنزانة الموت ، ومع ذلك

---

(١) من تصرفات كارمن وتحولها من خدمة النازيين الى خدمة البريطانيين بهذا الشكل وعدم التزامها بمبدأ استخلصنا أنها من أصل يهودي حتى أكدت فتاة المعتقل أن كارمن يهودية •

لم تفقد الامل ،، فلعبت في آخر ورقةكان لها أمل فيها وهي جنسيتها السويسرية فقد وجهت بواسطة القنصلية السويسرية في هامبورغ نداء مستعجلا للحكومة السويسرية تطلب التدخل لوقف تنفيذ حكم الاعدام الصادر بحقها ، ولكنها أبلغت في ٨ /٤/ ١٩٤٧ بأن طلبها قد رفض ، وهذا يعني تنفيذ حكم الاعدام فيها واستقبلت هذا الرفض ببرود وهدوء حتى قيل انها صرحت لاحدى المعتقلات معها (بأنهم لن يستطيعوا شنقها !) •

رسمت كارمن في هذه الليلة اشارة الصليب على صدرها ، وجلست على فراشها القاسي ، وطلبت أن يحضروا لها حذاء غرفة النوم [1] فأحضروه لها من قبيل الشفقة والعاطفة الطيبة • وفي صباح اليوم التالي نظرت رئيسة الحرس من كوة باب الزنزانة فوجدتها ممدة على الفراش ووجها أصفر فأسرعت بالدخول اليها ، فوجدتها قد فارقت الحياة انتحارا بواسطة شفرة كانت قد خبأتها بين طبقات نعل حذائها ، وهكذا تمكنت كارمن من تطهير نفسها بدمها الذي أهرقته بنفسها• وكانت هذه النهاية المفجعة متوقعة نظرا لشراستها أولا ، وثانيا بسبب عدم تنفيذ اجراءات الأمن المفروضة في مثل حالتها ، خصوصا وهي من الخطورة بحيث لا يستبعد ممن تكون مثلها أن تقدم على الانتحار •

واذا تابعنا سبر غور أعمال المخابرات الالمانية (الجستابو) ابان حكم الرايخ الثالث نجدها مشحونة بالقصص والاعمال المتسمة بالقسوة والوحشية ، بالاضافة الى بعض القصص التي فيها من الاعمال الخارقة والبطولات الفردية ، التي قدمها مواطنون ألمان ، وكان لها الفضل في بعض الانتصارات العسكرية التي ساعدت هتلر على تهديد العالم بأسره نتيجة تهوره المعروف واذا راجعنا سجل المخابرات الالمانية نجدها حافلة بالقصص التي تستحق أن تسجل ، وأن يطلع عليها القارىء في هذه الظروف بالذات ، لكي يتعرف على ما قامت به ألمانيا من جرائم وحشية ضد شعوب آمنة من نتيجة هجوم الجيوش الالمانية ، أو من

---

(١) من دواعي الامن المتبعة مع المحكومين بالإعدام عدم ترك أي ملابس او أدوات مهما كانت بسيطة ومنها (الحذاء) تحت أيديهم وذلك خشية محاولتهم الانتحار نظرا لانهيار اعصابهم من الخوف الناتج عن تصور تنفيذ حكم الاعدام بهم فيستهينوا بالانتحار •

نتيجة أعمال تخريبية أو تجسسية قام بها عملاء المخابرات الالمانية المنتشرون في دول مختلفة وفيأوقاتسابقة ، ومن قصصهؤلاء قصة : العميل الفريد ويهرينغ •

بداية العمل في اصلاح الساعات :

من المعروف أن كل مخابرات في العالم تدرس وضع كل عميل في مكـان مناسب وقبل مدة معقولة ليظهر بين اهل المنطقة المحدد له العمل بها ، ومن ثم يزاول تجسسه بدون أن يلفت اليه الانظار ، كما حدث مـع العميـل الالماني (الفريد ويهرنيغ) وهذه الطريقة تدعى (بـ الزرع) حسب تعبير المخابرات •

كان ويهرنغ ضابطا قديما من ضباط البحرية الالمانية في زمن القياصرة وبقي الى نهاية الحرب العالمية الاولىسنة ١٩١٩ حيث سرحمن البحرية ، وبقي عاطلا عن العمل مدة أربع سنوات حتى عام ١٩٢٣ حيث عهد الى الاميرال (كانـاري) باعادة تنظيم ادارة الجاسوسية الالمانية فتذكر صديقه القديم الضابط ويهرينغ الذي كان يكن له كل تقدير ، فاستدعاه وعهد اليه بمهمة جديدة عليه ، ولكنه كان سعيدا بها لاستعادة نشاطه وحيويته ، وأصبح بموجب أوامر كانارىالوكيل المعتمد لاحدى الشركاتالالمانية التي تستورد الساعات بكثرة من سويسرا ، مما سهل عليه السفر الى عدة بلدان في أوربا كان عمله ظاهرا بسبب تجارة الساعات، وكان يقوم بجمع المعلومات عن المنشآت البحرية التي يمر عليها والتي قيـد الانشاء ، كما كان يقوم بالتقاط الصورلها بحجة (الذكرى) ، وبعد ثلاثة أعوام من عمله الجديد ، اكتسب خبرة الجاسوس المتمرن ، فقرر كاناري ارساله الى سويسرا لتعلم مهنة الساعات.فقضىويهرينغ مدة سنة فيسويسرا ، ليعود كأمهر مصلح ساعاتيمكن أن يفتتح واجهة ممتازة لتصليح الساعات في أي بلد ، ويختفي ورائها لمزاولة نشاطه الاصلي ـ التجسس ـ •

بالاضافة الى حصوله على جواز سفر سويسري بساعدة السفارة الالمانية في جنيف •

قطف ثمار صناعة الساعات وتصليحها :

عام ١٩٢٧ وفي يوم من أشهر الصيف (أي قبل أن يفكر هتلر في محاولته للسيطرة على العالم باثنى عشر عاما) ، تقدم رجل قصير القامة ، يضع على عينيه

نظارات طبية الى رجال الجمارك والجوازات في بريطانيا على أنه قادم من سويسرا واسمه (البرت أورتل) وصرح لهم بأن عمله هو صناعة وتصليح الساعات بأنواعها ، وأنه قدم الى بريطانيا لمزاولة عمله ، وأضاف بلطف وابتسامة بريئة أنه يشرفه أن يجد عملا في الجزيرة البريطانية الساحرة التي تشبه على حد زعمه موطنه سويسرا .

سمح له بالطبع بالعمل في بريطانيا ، فاختار مدينة (كيركويل) واستأجر فيها مسكنا متواضعا اقام فيه ، ومن المعروف أن هذه المدينة لا تبعد عن (ميناء سكابافلو) كثيرا (أي أن موقعها استراتيجي) .

تمكن أورتيل من الحصول على محل صغير في المدينة وأخذ يزاول فيه بيع المجوهرات والتحف بالاضافة الى تصليح الساعات بمختلف أنواعها . وكان عمله متقنا (بسبب اكتسابه الصنعة ورغبة للنجاح في مهمته) لذلك اكتسب شهرة واسعة ، ولقي التشجيع والاستحسان لما كان يتمتع به من التهذيب والدقه والنبل الواضح في تعامله مع زبائنه ، ولم ينس في غمرة هذا النجاح أن يتقدم بطلب الحصول على الجنسية البريطانية [1] وبقي هذا الطلب حتى عام ١٩٣٢ حيث انتهت الاجراءات اللازمة لحصوله على الجنسية البريطانية عوضا عن الجنسية السويسرية المزورة . وهذا لم يكن واردا في التعليمات التي تلقاها قبل البدء في مهمته بل كان من نتاجه الخاص وذكائه ، لان بعض الجواسيس ومنهم من ذكرنا أعمالهم في هذا الكتاب كانت تعطى لهم الجوازات والجنسيات المزورة والمعدة في مكاتب المخابرات بينما نجد أن جاسوسنا هذا حصل وبالطرق القانونية على الجنسية البريطانية . نتيجة وضعه في هذه المهمة التي نجح بها أبعد حدود النجاح وكان لعامل الزمن أهميته لاكتساب ثقة مواطنيه حتى أصبحوا يدعونه الى منازلهم أيضا ويتباسطون معه في الحديث ، ولو عرفوا أن هذا الساعاتي لم يكن سوى ضابط من ضباط الجستابو ، لكانوا أكثر تحفظا في اظهار عواطفهم نحوه ، ولم يعلموا أن كل المعلومات التي

---

(١) يكون مضى على اقامته التجنسية في بريطانيا خمس سنوات وهي المدة القانونية لحصول اي شخص يقيم ويتقيد بالقوانين البريطانية على الجنسية البريطانية .

يتكلمون بها أمامه ، والتي كانت تهم الجستابو ، تأخذ مكانها في دفتره حالا بعد عودته من السهرة ، ومن حسن حظه أصبح له زبائن من ضباط البحرية الملكية البريطانية ، وبعض ضباط القيادة كانوا يترددون اليه لشراء الهدايا أو لاصلاح ساعاتهم ، وعندما يحصل على خبر مهم يستبق الزمن الى مسكنه ويغلقه على نفسه ويهرع الى جهاز اللاسلكي ، ويضبطه على تردد معين هو رمز التعارف مع محطة القيادة ، ويبلغهم ما حصل عليه من المعلومات • أما المعلومات العادية ، وصور القطع البحرية التي يحصل عليها ببراءة ، فقد كان يرسلها بالبريد العادي وعليها اهداء الى صديقه فون بيلو ولم يكن هذا الصديق سوى الملحق البحري الالماني

في هولندا بينما كان يتلقى رسائل عادية لاتثير الريبة كانت تحمل في طياتها أوامر رئيسه (كاناري) وتوجيهاته •

وقد حرص (أورتيل) على أن لايثير حوله أي شك مهما كان بسيطا ، حتى أصبح أهالي (كيركوبل) يعتبرونه واحدا منهم ، ولم يجرؤ أحد على التساؤل عن نزهاته اليومية في الميناء أو نظره الى الافق البعيد بالمنظار المكبر ، وهكذا سارت حياته رتيبة هادئة حيث تنقل من نجاح الى نجاح ، حتى تلقى رسالة واردة من سويسرا فيوم اعلان بريطانيا الحربعلى المانيا وقد ظهر الحزنعليه حال استلامه الرسالة واعتذر من جميع الذين دعوه لتناول الغذاء قائلا : إن الرسالة تخبره أن والدته البالغة من العمر ثمانين عاما مريضة جدا وتطلب رؤيته حالا •

بعد يومين تمكن من ايجاد باخرة متجهة الى (روتردام) فاستقلها حاملا معه كافة الرسوم والمخططات التي رسمها بنفسه ، وحصل عليها بمختلف الطرق • ولدى وصوله الى (روتردام) اتجه رأسا الى فندق البحارة ، وطلب مقابلة الهر (فوتيزبيرلو) رئيس فرع الجستابو الالماني في هولندا فاستقبله الاخير باحترام زائد ، وعندما قدم له (اورتيل) ماحمله معه دهش (بيرلو) وقام فورا باصطحابه الى مقر اقامة الملحق البحري الالماني (فون بيلو) ، الذي دهش أكثر مما شاهده من المستندات القيمة ، بالاضافة الى أعماله السابقة فهنأه بحرارة مشيدا بخدماته منوها أن الاميرال كاناريلم يخطىء عندما اختاره لهذه المهمة، وختم كلمته بتحية هتلر المعهودة (عاش هتلر) ، فرد أورتيل التحية بمثلها لانه بذلك الوقت لم يكن ذلك الساعاتي المسالم الهادىء المتحفظ ، وفعلا أرسلت كافة المستندات الى القيادة

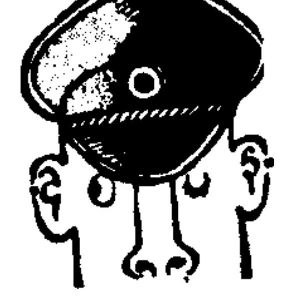
مع رسول خاص ، بينما بقي أورتيل في ضيافة الملحـق البحري ورئيس فـرع المخابرات الالمانية في هولندا ....

حتى النهـايـة :

يحق للقارىء الكريم أن يتخيل أن مهمة (أورتيل) انتهت عند هذا الحد . ولكن المخابرات تحرص على السيرفي أعمالها للنهاية لكيلاتوجد ثغرات في أعمالها يكونُ لهافي بعض الاحيان خطر جسيم لذلك نجد أن أورتيل تلقى أمرا بالعودة الى مقر عمله .

شاركه جيرانه الحزنعندما ظهر بالملابسالسوداء بعد عودته ، والذينعلموا منه أنه وصل الى روتردام بعد ساعتين فقط من وفاة والدته ... كما قام بعد عدة أيام برفع علم بريطاني على محله قائلا لمن سأله : انني بريطاني مثلكم وعلي أن أظهر ابتهاجي تجاه الحلفاء ... بينما عكف فور وصوله الى اكتشاف آخر الاسرار المتعلقة بالدفاع عن (سكابافلو) ، لان السلطات البريطانية عمدت على اصلاح وسائل الدفاع عن هذه القاعدة لأن الصدأ تراكم على الافخاخ والشباك المعدنية المضادة للغواصات وقد ظهر له مدخل أحـد المحاور الشرقية لا يزال مفتوحا لم يتم اغلاقه بواسطة حبال الغواصات ومن الممكن لغواصة اجتيازه كما شاهد بأم عينه أن البارجة (البلوطة الملكية) واثنتين من القانصات البحرية قاربوا على الانتهاء من التصليح ...

اسرع (أورتيل) الى منزله وكان ذلك في احدى أمسيات شهر تشرين الاول وفتحدولابه الذيكان يخفي فيه جهاز الارسال فهيأه وأعطى نداء التعارف على الموجة القصيرة ، وأتاه الجواب بعد لحظات ، فأبرق لهم ما تمكن من معرفتـه وما دعاه الى الاسراع بالاتصال بهم ، ونقلت البرقية فورا الى الجنرال (دوينتز) الذي عزم على توجيه الضربة واستغلال الوقت الذي نبهه اليه (أورتيل) .



الغواصة (ى ـ ٤٧) •

أوعز الكابتن (براين) الى رجاله طاقم الغواصة (ى ـ ٤٧) بادارة المحركات والخروج من ميناء (كييل) باتجاه مجهول كان وحده يعرفه • سارت الغواصة ليلا في جو صافٍ حتى قاربت المحور الشرقي لميناء (سكابافلو) عند ذلك فقط أصدر الكابتن أمره الصارم « وضعية الغوص » وفي هذه الحالة ينفذ بقية طاقم الغواصة الاوامر تباعا • وكادت الحبال التي تربط الناقلات بعضها أن تؤذي الغواصة عندما لامست فجأة أسفلها • وعلق مؤخرها في قبضة خطرة لاحد الحبال • عند ذلك وضع (براين) كافة خبرته ومعلوماته في الملاحة للخروج من هذا المأزق ولم يفقد أعصابه وأصدر أوامره الى غرفة المحركات كما يلي :

ـ وقف محركات اليسار •

ـ عمل المحركات اليمنى ببطء والى الامام

ـ الدفة الخلفية الى أقصى اليسار •

وهكذا وفي لحظات بدأت الغواصة في العوم البسيط ، فتخلى الحبل عن قبضته وتخلص (براين) من هذه اللحظة الحرجة وأصدر أمره : الى السطح•••

اهتزت الغواصة بدلال وهي تصعد الى السطح فرفع (براين) المنظار ، وشاهد (سكابافلو) وشاهد (البلوطة الملكية) تقف شامخة وقد عرفها من العلامات التي زودهم بها (أورتيل) الذي يقيم على بعد عشرات الامتار منه وعندما أصبحت (البلوطة) هدفا واضحا أعطى أمره : نار ••••

انطلق الطوربيد الاول وبعد ربع دقيقة أصاب مقدمة البلوطة ، والطوربيد الثاني ليصيب منتصفها ، والثالث مؤخرتها ، فاختفت تحت ستار عال من الماء نتج عن الانفجارات التي حدثت بعد ذلك في البلوطة • فانطلقت الشهب الزرقاء والبرتقالية والحمراء القاتمة والمندفعة من الحطام تخترق سواد الليل في كل اتجاه وكان أهمها صوت انفجار مستودع الذخيرة وأصبح منظر (البلوطة) هكذا كأن جهنم فتحت أبوابها في (سكابافلو) •

أما في القاعدة فقد أضيئت الانوار الكاشفة حتى أصبح البحر شعلة أخرى ، بينما انطلقت قاذفات الطوربيد البريطانية وقانصات الغواصات لتمشيط المنطقة بحثا عن الغواصة •

استغل (براين) الفوضى وأسرع عائدا ، بعد أن أمر بأن تدار المحركات بأقصى سرعة تاركا وراءه (البلوطة الملكية) تغرق رويدا رويدا حتى وصل الى ميناء (كييل) متمما هذا النصر البحري الذي هز البحرية البريطانية ، وطعنها في الصميم ، وحرمها بارجة من اعظم البوارج الحربية • ان هذا النصر كان نتيجة جهود (أورتيل) مصلح الساعات السويسري الذي اكتسب الجنسية البريطانية فيما بعد أو : الضابط (ألبرت ويهزينغ) جاسوس الجستابو الذي قضى هذه السنوات في مدينة بريطانية • بالرغم مما نعرف عن قوة المخابرات البريطانيـة وبذلك يثبت لنا أن المخابرات مهما كانت من القوة ولديها الاجهزة الالكترونية والملايين لا تتمكن من كشف العملاء المضادين الا بالصدفة (أو من اخطائهم الشخصية)وليس من المستبعد وجود عملاء للمخابرات العربية في قلب واشنطون ولندن •••

كما يلاحظ من عملية اغراق البلوطة الملكية فقط من دلالـة وتجسس (أورتيل) وما كلف من بقائه سنوات في بريطانيا ومن ثم عـودة (غواصـة خصيصا)) التقطته من مكان محدد بعد أن قام بتنفيذ مهمته على أكمل وجه ولم يعد يهم (الجستابو) أن يكتشف البريطانيون غيابه •••

كل ذلك يوضح بعض أسباب سرية ميزانية المخابرات في أغلب دول العالم أن لم يكن جميعها •• وتستمر الحياة في هذا العالم الذي تحركه المخابرات لنجد أورتيل بعد قضائه وقتا ممتعا مع أهله قد اختفى ••• ليظهر في مكان جديد •• ومهمة جديدة ••• انها المخابرات ••••

الحرب العالمية الثانية •• اشعلها رجل مخابرات الماني :

عندما اجتاحت مئات الدبابات الالمانية ومن ورائها (١ر٢٠٠ر٠٠٠) جندي الماني • وفوقهم (٢٥٠٠) طائرة رسم على أجنحتها (الصليب المعقوف) الحدود البولونية من جميع الاتجاهات بتاريخ الاول من ايلول ١٩٣٩ ، أصيب الجيش البولوني بالذهول وتمزق اربا اربا ، بعد أن تحولت المطارات ومستودعـات الذخيرة والمحروقات البولونية الى قطع من اللهب والشظايا ••• بهذا الهجوم عرف العالم في حينه (الحرب الصاعقة) ، تلك الحرب الشاملة التي تنقض فيها

القوى الضاربة (جميع الاسلحة) على قوات العدو من الجو والارض فتدمرها تدميرا كاملا ...

أما بالنسبة للجيش البولوني فقد فوجىء أية مفاجئة ، وهو لم يستكمل تعبئته بعد بحيث لم يستطع القيام بأية أعمال دفاعية سوى بعض الاعمال الفردية التي منيت بالفشل حين أطبقت جحافل ــ البانزرز ــ فرق الدبابات الالمانية على العاصمة (فرصوفيا) ثم اندفعت باتجاه الحدود الشرقية المتاخمة للاتحاد السوفياتي ، وكانت أوامر هتلر تقضي باحتلال ــ بولونيا ــ خلال خمسة عشر يوما ، ولكن الاحتلال تم خلال عشرة أيام واصبح نشيد (المانيا فوق الجميع) يعزف في شوارع جميع المدن البولونية على وقع خطوات القوات الالمانية... المنتصرة .

وفي ألمانيا اذيع البلاغ الحربي الاول على الشعب الالماني في نفس اللحظات التي دخلت القوات الالمانية (بولونيا) على الشكل التالي :

(بلاغ من القيادة العسكرية هايل هتلر ...) .

في هذه الليلة .. وللمرة الاولى في أرضنا الالمانية فتحت القوات البولونية النظامية النار علينا ونحن نجيب على النار بالمثل منذ الساعة الخامسة من هذا الصباح .

ثم كرر هتلر بالذات هذه الكذبة بعد عدة ساعات أمام (الرايغشتاغ) أي المجلس النيابي الالماني ــ الذي انعقد بسرعة في قاعة (أوبرا كرول) في برلين ، وهو يرتدي بذته العسكرية ، ثم تبع ذلك بخطاب ناري بلهجة (هستيرية) حيث كان يقاطع بعد كل جملة بالتصفيق المحموم الذي يرتج له المبنى الضخم ولا سيما حين تحدى فرنسا وأنكلترا وايضا الرئيس الاميركي ــ روزفلت ...

عاد هتلر بعد ذلك رأسا الى مقر رئاسة الوزراء ، حيث كان بانتظاره مساعده الاول مارشال ــ هرمان غورنغ ــ مصحوبا بشخصية سويدية كبرى هو « بيرجد داهاروس » الذي كان هتلر قد كلفه سرا بمهمة (تسوية الجو) في لندن ، فأعلمه داهاروس برفض لندن لكل تسوية وباخفاق مهمته بالتالي . فاستبد الغضب بالفوهرر ، وأخذ يذرع أرض القاعة جيئة وذهابا وهو منفعل ، ثم وقف وصاح بالرجلين : اذا كانت أنكلترا تريد الحرب فلها ما تريد ....

سوف أحاربها سنة كاملة اذا ارادت حربا تدوم سنة .. واذا أرادت الحرب لسنتين فسوف أحاربها لسنتين ... ثم أردف هتلر وبصوت راعد « واذا استلزم الامر فسوف أحاربها لمدة عشر سنين » .

أما الشعب الالماني فنراه على عكس زعيمه فحين توجه موكب هتلر الى قاعة (أوبرا كرول) ذلك الصباح كان الالمان يشعرون بالوجوم الشديد وبأن المستقبل يحمل لهم في ثناياه شر مستطيرا . لذلك كانت الشوارع خاوية ، يهيمن عليها صمت مستغرب في مثل هذه المناسبة ، ــ مرور موكب هتلر ــ الذي كانت تحيط به الجماهير هاتفة هازجة ... أما في ذلك اليوم فان البرلينيين القلائل الذين مر بهم الموكب في طريقه ظلوا جامدين أشبه بالنافرين أو المذهولين وكانما استيقظ الشعب فجأة من النشوة التي كان (ثملا بها منذ ست سنوات) أو بصوره أدق منذ وصول هتلر الى الحكم اي بالتالي منذ شرع (غوبلز) وزير الدعاية يصب عليهم الانباء المهيجة المحمومة والمضخمة ... على أن جميع هده الدعاية والجهود لم تقنع الشعب الالماني بضرورة الحرب بدليل ما كتبه المؤرخ الالماني (وليام شيرز) يوم ٣١ أغسطس بالذات أي في اليوم السابق للغزو الالماني لبولونيا : (ان الناس جميعا ــ في المانيا ضد الحرب وهم يعلنون ذلك بصورة مكشوفة فكيف يمكن والحالة هذه اجبار شعب على خوض حرب لم يتقبل فكرتها ..) بيد أن هتلر يعلم أن موافقة الجماهير ليست الشيء الاساسي بالنسبة لمخططاته ، فهو يحتفظ بالكثير من السهام في جعبته وأولها (آلة الدعاية العملاقة) الكفيلة بحمل الجماهير على اعتقاد ما يشاء لها ، وقد صارح جنرالاته قائلا : (سوف تخلق لي الدعاية السبب اللازم للحرب) ولن يجرو احد في المستقبل على سؤال المنتصر عما اذا كان قد قال الحقيقة . وما يجب مراعاته في الحساب هو أن من يعلنون الحرب لا يهدفون الى الحق بل الى (النصر) أما الحق فهو ملك (المنتصر) ...

تمثل هذه الكلمات استراتيجية هتلر في هذه المعركة الاولى ، فقد كان واثقا من قدرته على احراز نصر ساحق على بولونيا ، فلم يعد أمامه والحالة كذلك سوى العثور على (سبب) يبرر اعلان الحرب .

فوجىء الجميع صباح ١ سبتمبر ١٩٣٩ بـ « الاهانة البولونية » وفي المانيا كانت اهانة لا تغتفر : فقد هاجمت قوة بولونيــة نظاميــة محطة الاذاعــة في ــ غليوتيز (GLEiWTS) قرب الحــدود البولونيــة ــ مخترقة الاراضي الالمانية • اذاً بولونيا هي التي بدأت العدوان وعليها أن تتحمل العواقب •

الرصاصات الاولى التي أطلقت في الحرب العالمية الثانية اطلقها رجل مخابرات :

لم تكن الرصاصات التي أطلقها رشاش الدبابة الاولى التي اقتحمت الحدود البولونية هي الرصاصات الاولى التي اطلقت في الحرب العالمية الثانية •بل سبقتها في الليلة المنصرمة (رصاصات أخرى اطلقها رجل مخابرات) وفيما كانت فرق ــ البانزرز وطائرات اللوفتواف تندفع على بولونيا في ذلك الصباح الباكر ، كان الرجل الذي أطلق الرصاصات الاولى يدلف الى منزله ليغط في نوم عميق يستعيض به عن الجهد الذي بذله في مهمته الليلية الناجحة ، دون أن يدور في خلده أن ما قام به سيكون له نتائج جسيمة : الحرب العالمية الثانية • ودون أن يدرك أحدا أنه هو الذي أطلق الرصاصات الاولى في هذه الحرب •

كان هذا الرجل هو ضابط المخابرات الالماني الملازم « الفريد هلمنــت نوجوكس » أحد الاعوان المقربين من (رينهارت هايدريش) رئيس جهاز الامن السري في فرق الـ ــ SS ــ أي الفرق النازية الخاصة وقد بدأت مهمته في ٥ آب ١٩٣٩ حين استدعي الى المقر الرئيسي للمخابرات الالمانية في ــ برلين ــ شارع (برنز ــ البرت ستراش) حيث وجد رئيسه بانتظاره منتصبا بقامته المديدة وشعره الاشقر مرتديا بزته الرسمية الخاصة بفرق ــ SS ــ الذي بادره بقوله : أنت الرجل الذي يلزمنا في هذه المهمة وأخذ يشرح له المهمة التي سميت (الاطعمة المحفوظة) بالشيفرة • ولم ينسى أن يؤكد له أن هتلر نفسه قرر هذه العملية •

كانت العملية تقضي بأن يقــوم نوجوكس بهجوم مفتعل على محطــة (اذاعة غليوتيز) الالمانية القريبة من الحدود البولونية بصورة يكفل معها حصول

القيادة الالمانية على البرهان الكافي على أن هذا الهجوم حدث بفعل من القوات البولونية ... واختتم هايدريش حديثه الى نوجوكس بالتعليمات التالية :

ستذهب لمقابلة (هاينريخ مولر) رئيس الجستابو (المخابرات الالمانية) الذي سيسلمك سجينا وثيابا عسكرية بولونية وسيكون هذا السجين ضحية «الاعتداء» الذي ستتركه القوة المهاجمة صريعا خلفها لدى انسحابها وأضاف هايدريش حديثه قائلا بلهجة صارمة : من البديهي أن احتمال الاخفاق في هذه المهمه يعتبر خارج نطاق البحث بصورة مطلقة ... ؟

لم يدهش نوجوكس لطبيعة المهمة ، فقد نفذ هو شخصيا ما يفوقها غرابة حين ارسل الى سلوفاكيا — وأخذ يلقي المتفجرات وافتعال الاعتداءات وذلك قبيل غزو ألمانيا لتشيكوسلوفاكيا .

بالعكس فقد وجد أن مهمته هذه أسهل من ذهابه الى سلوفاكيا وتعريض نفسه للخطر هناك . كل ما يطلب منه هو مهاجمة محطة اذاعة ألمانية وضمن الاراضي الالمانية واحتلالها لفترة وجيزة ومن ثم اذاعة بيان يهين فيه ألمانيا ، ويتوعدها ، وستكون جميع الاذاعات الالمانية مفتوحة لتلقي هذا البيان وبثه في المانيا لتهييج الرأي العام الالماني . ولكن نوجوكس دهش في اليوم التالي للعملية حين علم باندلاع الحرب .

أما هتلر فقد حدد أول شهر أيلول ١٩٣٩ موعدا للهجوم على بولونيا وأسر بذلك للجنرال (كاتيل) ، وكلف الاميرال كاناريس رئيس ادارة مخابرات الجيش الالماني بالاستعلام عن احتمال دخول فرنسا وبريطانيا الحرب الى جانب بولونيا ، وعندما أبلغه الاميرال كاناريس أن لندن مصممة على حماية بولونيا ، لم يصدق ذلك ، وظل معتزما الاقدام على مغامرته بيد أنه كان ينقصه اللمسة الاخيرة والاساسية في مخططه هذا ، وهي الحصول على (السبب اللازم) الذي يستحيل فيه عليه الرجوع الى الوراء ، وأنه بالتالي سيقامر بمصيره ومصير وهكذا قرر رأيه أخيرا على عملية (الاطعمة المحفوظة) . وصدرت أوامره الى مساعديه الذين شرعوا في البحث عن الرجل القادر عن تنفيذ هذه العملية فكان (نوجوكس) الرجل المنشود ..

كان هتلر مدركا كل الادراك خطورة ما هو مقدم عليه عندما اتخذ قراره

شخصيا بشأن عملية (الاطعمة المحفوظة) . فهو يعلم أنه يختار بذلك الطريق الذي يستحيل فيه عليه الرجوع الى الوراء ، وأنه بالتالي سيقامر بمصيره ومصير المانيا ومصير العالم أجمع . فلم يثنه ذلك عن عزيمته وقرر المضي في (لعبته) حتى النهاية . لذلك لم تصدق شعوب العالم اذنيها وهي تستمع طيلة شهر أغسطس ١٩٣٩ الى تصريحات هتلر تنادي بالسلام والوئام ورغبة شعب المانيا في تجنب الخلافات مع جيرانه طالبا منهم حسن الجوار والصداقة والعلاقات الودية ، وكان هتلر في أوج خداعه للعالم عندما رفع غصن الزيتون فجأة ، ولم يعلم أحد أنه يعد بالخفاء لضربته الكبرى .

عندما قال هايدريش الى نوجوكس : أن احتمال الاخفاق في هذه المهمة يعتبر خارج نطاق البحث بصورة مطلقة .. كان يعني بذلك الاعدام الفوري لنوجوكس ورفاقه في حالة الاخفاق لذلك انصرف نوجوكس الى دراسة مهمته دراسة دقيقة مستعينا بالخرائط الجوية لمنطقة الحدود كما سلمه الاميرال كاناريس الملابس العسكرية والاسلحة البولونية ، وخصص له صالة نسيجة في أحد المعسكرات لتدريب رجاله الستة الذين انتقوا بدقة لهذه المهمة .

بدء التنفيذ :

بعد اتمام الدراسات والتدريب غادر نوجوكس برلين مع رجاله كمسافرين عاديين واتجهوا الى بلدة (غليوتيز) حيث حلوا في أحد فنادقها ، وسجلوا أسماءهم (مهندسين) مما يبرر انصرافهم الى دراسة الاراضي المجاورة للبلدة ، ومنها الاراضي المحيطة بمحطة الاذاعة طيلة عدة أيام . ثم استدعى نوجوكس الى مدينة (أوبلن) في الايام الاخيرة من شهر آب لمقابلة (هاينريخ مولر) من كبار ضباط المخابرات الذي أعلمه ان الخطة قد توسعت مجددا وأنها أصبحت تقضي بتدبير عدد من حوادث الحدود ، وأنه أحضر بالتالي عشرة من السجناء العاديين المحكوم عليهم بجرائم مختلفة ، وسيقوم أحد الاطباء التابعين للمخابرات بحقنهم بمادة مخدرة ، ثم تستبدل ثيابهم بثياب عسكرية بولونية ، وتوضع في أيديهم أسلحة بولونية تمهيدا لاطلاق النار عليهم في منطقة الحدود ، حيث ستترك

(جثثهم) كشواهد على العدوان البولوني (المزعوم) ، حين يتهال الصحفيون على المنطقة الحدودية في الايام التالية لتغطية هذه الاحداث .

وعاد نوجوكس الى (غليوتيز) ونفذ القسم الاول من مهمة الحدود وأطلقت النار على السجناء (الجنود البولونيون) وحضر الصحافيون ، وتوترت الاحوال على الحدود حتى ظهر ٣١ آب استلم نوجوكس البرقية الآتية : (اتصل بمولر لاجل الاطعمة المحفوظة) . وقد اتصل بمولر فعلا وأعلمه أنه مستعد للتنفيذ ثم توجه الى غابة « رايتبوزر » الملاصقة للحدود حيث ارتدى الالبسة العسكرية البولونية هو ورجاله وفي الساعة السابعة والنصف مساء اقتحم نوجوكس محطة الاذاعة التي لم يكن فيها سوى فنيين يشرفون على الاجهزة الفنية وأطلق الرصاصات الاولى فاستسلم الفنيون فورا ثم توجه الى ميكروفون الاذاعة وأمر أحد الفنيين ببدء الارسال : ثم ألقى خطابا جامحا هاجم فيه ألمانيا وكال لها الشتائم والتهديدات والاهانات الجارحة[1] وأطلق بعد ذلك مع رجاله عدة طلقات على البناء ثم اختفوا وقد دام هذا الهجوم مع اذاعة الخطاب دقائق معدودة . وأمام درجات المدخل وضعت جثة السجين وهو يرتدي الملابس العسكرية البولونية امعانا في التضليل .

قدر لتلك الرصاصات التي أطلقت في هذه المهمة من قبل ضابط المخابرات الالمانية نوجوكس أن تكون ابتداء الحرب العالمية الثانية ، التي امتدت كالنار في الهشيم . حتى أغرقت العالم كله بالدمار والويلات وملايين القتلى وبحر من الدماء لم تشهد له الانسانية مثيلا لاسيما وقد تممت هذه الحرب الضروس الولايات المتحدة الامركية بالقائها قنبلتين ذريتين على مدينتي هيروشيما ونغازاكي في اليابان ، حيث قتل عشرات الالوف خلال أقل من ساعة . واستمرت هذه الحرب حتى تضافر الحلفاء ودخلوا المانيا منتصرين وانتهى هتلر منتحرا أو مقتولا وطوت الايام والسنون ذكريات هذه الحرب المدمرة ليبقى منها ما خلاصته أن المخابرات هي التي أشعلت هذه الحرب .

---

(١) كان الخطاب معد سلفا في ادارة المخابرات الالمانية .

طمع جاسوس الماني :

كان موي زيش من الصحفيين البارزين في برلين ، وقد انضم الى الحزب النازي الالماني فأرسل مكافأة له كملحق تجاري في (أنقرة) العاصمة التركية ، وباعتباره مخلصا للحزب فقد كلف ضمن مهامه بادارة قسم المخابرات في السفارة الالمانية ، وقد عثر على اسمه فيما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانيـة في كتاب شكر وثناء مرسل من سفير ألمانيا في تركيا (في حينـه) فـون بابن الى رئيس المخابرات الالمانية (الجستابو) هملر•فأوقف من قبل البريطانيين ، واتهم بجرائم حرب ، واخضع الى استجواب ، ثم اطلق سراحه ، ففضل الاختفاء في المنطقـة الفرنسية من النمسا (وطنه الاساسي)•ولكن ظهوره في عملية تجسس علىالسفارة البريطانية في أنقرة جعلت المخابرات البريطانيـة تنطلق وراء موي زيش مجددا وتعتقله وتحقق معه فيما نسب اليه •

مساء ٢٦ تشرين الاول من عام ١٩٤٣ أفاق موي زيش على صوت جرس الهاتف في منزله الذي يقع ضمن السفارة الالمانية في أنقرة ، وكانت المتكلمة (فروجنك) زوجة السفير وأعلمته أن زوجها يريد مقابلته حالا •

فتح معاون السفير بنفسه الباب ، واستقبل موي زيش قائلا :

يوجد في الصالون شخص لديه معلومات تهمك باعتبارك مسؤولا عن قسم المخابرات وعندما تنتهي المقابلة أخرجه من السفارة وأغلق الباب ، وانسحب معاون السفير بينما وجد موى زيش أمامه شخصا قصير القامة ذو ملامح ناشفة ومتجهمة قدم نفسه قائلا :

اسمي ديلو ألباني الاصل بامكاني تزويدكم بمعلومـات قيمة هـي صور لاهم الوثائق الموجودة لدى السفارة البريطانيةفي أنقرة ولكن مقابل ــ ٥٠٠٠ ــ خمسة آلاف جنيه استرليني لكل صورة •

تعجب موى زيش من طلبه وصراحته،وخطرت له فكرة طرده ولكن الجرأة التي أظهرها هذا الزائر بفرضه هذا السعر الجنوني قد شوشت تفكيره فقال له : من يضمن لي أنك لست عميلا بريطانيا ؟

أجاب ديبلو مشيرا الى السفارة السوفييتة : اذا كان عرضي لا يهمك أنه يغر غيرك ، فينبغي أن تصدقني بدون اثبات وصدق أن الوثائق التي أعرضها

عليك تساوي ضعف السعر الذي طلبته (كان واثقا من أهميتها) . وانا أعلم ايضا أنه لا يمكنك اتخاذ أي قرار بدون مراجعة السفير ، لذا أعطيتك مهلة لغاية الساعة الخامسة من مساء ٢٨ تشرين الاول (المهلة لا تتعدى اليومين) .

اعترض موي زيش مطالبا بمهلة أطول ، فأجاب (دييلو انه سوف يتصل به في يوم ٢٨ هاتفيا ، فان كان استحصل على الموافقة فانه على استعداد لمقابلته في الساعة العاشرة من مساء نفس اليوم في الحديقة العامة ليسلمه صورا لاربع وثائق هامة مقابل ـ ٢٠٫٠٠٠ ـ جنيه استرليني واستأذن بالخروج .

في صباح اليوم التالي ، عرض موى زيش الموضوع على السفير مضيفا أن ٣٠٫٠٠٠ جنيه استرليني أي ما يعادل ٣٫٥ مليون فرنك في ذلك الحين لهو ثمن ضخم لوثائق نجهل ما تتضمن . أما اذا كانت تلك الوثائق لها من الاهمية كما صرح دييلو فانه أيضا يجدر بنا أن لا نتركها تفلت منا .

قام السفير الالماني بدوره بمخابرة مستعجلة الى رينتروب في وزارة الخارجية الالمانية يعرض عليه القضية ،وأعلمه في حال موافقتهم ارسال المبلغ لعدم وجود مال احتياطي في السفارة لمثل هذه الامور ـ وقد وصل المبلغ بعد ظهر اليوم نفسه بطائرة خاصة الى انقرة ـ .

في الساعة الخامسة من مساء يوم ٢٨ تشرين الاول اتصل دييلو حسب الاتفاق ، وفي الساعة العاشرة كان يلتقي مع موي زيش وبدون أي تعليق سلم موي زيش المبلغ ضمن مغلف معدني واستلم مغلف الصور ، وسار كل منهما في طريقه . وما أن وصل موي زيش الى مكتبه حتى طلب من السفير فون باين والمعاون جنك الحضور ، ثم استدعى المصور الخاص الذي عينته (الجستابو) لمساعدته في أعمال التجسس ، وبعد بضع دقائق كانت الصور مكبرة بقياس ٣٠ × ٤٠ سم وقد وافق الرجال الثلاثة بأن الوثائق تساوي فعلا ضعف الثمن المدفوع . فاللائحة الاولى تحوي أسماء العملاء البريطانيين في تركيا ، والثانية هي ملحق لتقريراميركي للائحة دقيقة لكمية ونوعية السلاح الذيأرسلته أميركا للاتحاد السوفياتي، والثالثة هي نسخة لمذكرة مرسلة الى لندن منقبل السفير السابق في انقرة تتضمن مجمل محادثاته مع

وزير الخارجية التركية لاقناعه ، ومن ثم حكومته باعلان الحرب على ألمانيا ، والوثيقة الرابعة والاخيرة تتضمن تقريرا أوليا عن آخر المقررات المتخذة من قبل هول ـ ايدن ـ مولوتوف في مؤتمر وزراء الخارجية المنعقد في موسكو ...

على أثر اطلاع السفير على هذه الوثائق ابتسم وقال : لا شك باننا وفقنا برجل ذكي لا يمكننا تسميته باسمه الحقيقي (ديلو) فلنطلق عليه اسم (شيشرون) .

أرسلت الصور الى برلين مع رسول خاص ، وفور وصولها عرضها رينتروب على (هتلر) شخصيا الذي أمر باطلاعه بعدذلك على كل ما يستطيع (شيشرون) أن يوفق بالحصول عليه من صور الوثائق . فأبلغ رينتروب السفير فون باين بوجوب استخدام (شيشرون) بصورة دائمة والسعي لاقناعه بجعل اسعاره (مناسبة) .

استدعي (شيشرون) للمقابلة بعد مخابرة أجراها مع موي زيش ، واقتنع بوجوب تسليم عشرين صورة نقية لقاء ١٥٠٠٠ جنيه استرليني ، وبعدها أنزل هذا السعر الى ١٠٠٠٠ ، وخلال خمسة أشهر قبض (شيشرون) مبلغا قدره (١٢٥٠٠٠) جنيه استرليني أي ما يعادل (٢٢) مليون فرنك في حينه .

وكان موي زيش لا ينفك فيكل مرة يسألهعن الطريق التي يستعملها لتصوير هذا القدر من الوثائق السرية . وكان الجواب في آخر مرة وبعد الحاح : ان السفير البريطاني هاو موسيقى شغوف بها ، وقد سر جدا عندما علم أن رئيس خدمة (ديلو أو شيشرون) يحفظ عن ظهر قلب عددا من الاوبريتات الايطالية وقد طلب منه عدة مرات أن يسمعه بعض الالحان منها ومع الزمن وبهذه الطريقة اكتسب (شيشرون) ثقة السفير وأصبح أمين سره الخاص . وبينما كان ينظف احدى بدلات السفير ، وجد في أحد الجيوب (مفتاحا صغيرا) وقدر أنه مفتاح خزنة السفارة ، وأنه من الممكن أن يحصل على ثروة نتيجة أهمال (السفير) ، فاستحصل على نسخة من المفتاح صنعها له حداد تركي مقابل خمس ليرات تركية ، واستحصل على (آلة تصوير) اشتراها صدفة من أحد السياح ، وأخذ يصور الوثائق الموجودة في الخزنة وكان يقومعادة بالتصوير عندما يكون السفير (مسافرا) أو يكون (نائما) .

ان شخصية (شيشرون) سحرت موي زيش خصوصا وقد علم أن والده قتل بيد الانكليز أما شيشرون فكان همه الحصول على أكبر قدر من المال ، وهو مقتنع بأن الالمان يدفعو أكثر من غيرهم ثمنا لهذه الوثائق ، مع أنهم أنقصوا له القيمة الى الثلث .

نتيجة استخدام المانيا لوثائق (شيشرون) :

لا شك أن المستندات التي حصل الالمان على صورها لها أهميـــة بالغة ، فصورة التقرير البريطاني عن (مؤتمر طهران) تتضمن المناقشات التي جرت حول فتح (جبهة ثانيـــة) ، مذكرة السفير البريطاني عن مؤتمر القاهرة ، تقيد هتلر لمعرفة مايجري بين بريطانيا والاتحاد السوفييتي لجر تركيا لتعبئة جيوشها ودخول الحرب ضد ألمانيا ، وقد تلقى السفير فون بابن تعليمات صريحة باستعمال الرشوة ثم التهديد لابقاء تركيا على الحياد . ولكن اتكاله على مضمون وثائق شيشرون في القيام بمهمته ، جعل وزير الخارجية التركية (في حينـــه) نعمان مينوغلو يتعجب من معلومات السفير الالماني الدقيقة لدرجة أنه أبلغ السفير البريطاني بأنه لا بد أن يكون هناك (جاسوس) في سفارته . فقام السفير باعلام حكومته عن مخاوف الوزير التركي في برقية استحصل (شيشرون) على صورة لها ، وسلمها للسفارة الالمانية ايضا مقابل ثمن وعلى اثر تلك البرقية أرسلت الحكومة البريطانية جهازا تحذيريا معقدا جدا مع بعض خبراء الانتلجانس سرفيس الذين ساعدهم شيشرون بتركيبه ، مما جعله على علم بطريقة تعطيل جرس الانذار . وبهذه الطريقة تمكن من اكمال تصوير جميع ما تحويه خزنة السفارة من وثائق حتى أنه قام بتصوير بعض الايصالات المالية التي يقوم السفير بالتصرف بها شخصيـا .

بتاريخ ٦ نيسان عام ١٩٤٤ انفجرت قنبلة موقوته في السفارة الالمانية في أنقرة ، واختفت على أثر هذا الانفجار المدعوة (نيلي كاب) ابنـة القنصـل الالماني السابق في بومباي وقد عرف بعد أنها كانت تعمل لحساب المخابرات البريطانية ، وهي التي (أعلمت السفير البريطاني عن تردد شيشرون الى السفارة الالمانية) وفضحتـه .

لم يستطع السفير البريطاني اتخاذ أي اجراء ضده سوى طرده من خدمته ، لان تركيا كانت قد دخلت الحرب الى جانب الحلفاء .

قرر شيشرون أن يسافر الى اميركا اللاتينية للعمل فيها بما لديه من مال في المشاريع العمرانية وباسم (مستعار) ، وعندما بدأ يخرج المبالغ التي جمعها من التجسس ليصرفها تبين له بأن ما يعادل خمسة عشرة مليون فرنك كانت مزورة ، وأن ما تصرف به وكان عملة صحيحة هو ٥ ٪ فقط مما دفعته له المخابرات الالمانية ... ومع هذا خسرت ألمانيا الحرب .

أما موي زيش فقدمته المخابرات البريطانية الى محكمة نورمبرغ ، التي حاكمت الزعماء والضباط الالمان بجرائم الحرب ، فلم تجد المحكمة انه مذنب سوى باشتراكه في قضية شيشرون وتجسسه على السفارة البريطانية ، فبرأت ساحته وعاد الى بلدته ـ فاين ـ في منطقة جبال الالب .

الريفو هرر هنريخ هملر رئيس المخابرات الالمانية مريض :

مبنى رئاسة (الجستابو) المخابرات الالمانية القائم في شارع البريشت رقم

٨ ـ برلين كان له من الرهبة لوجود العديد من الحراس العسكريين والمدنيين وعشرات الاعلام ذات الصليب المعقوف ، وحراسة الذين يتفحصون الجميع بنظرات ملؤها الاستخفاف والتعالي وعندما كان الناس يمرون أمام هذا المبنى ، يسرعون الخطى ويخفضون رؤوسهم أو يميلون بانظارهم عن المبنى

في هذا البناء كان مركز (الجنرالهنريخ هملر) رئيس المخابرات الالمانية ، الذي كانت له المنزلة الرفيعة في الارهاب حتى أن الالمان كانوا يخشونه اكثر من خشيتهم لهتلر نفسه .

أقامت المخابرات الالمانية ـ الجستابو ـ مدرسة للجاسوسية ضمن معهد كلوبستوك في مدينة هامبورغ كانت هذه المدرسة تخرج الجواسيس الالمان وغيرهم من العملاء ليوفدوا الى جميع أنحاء العالم .

بتاريخ ١٥ /٣/ ١٩٣٩ توقفت سيارة ذات طابع بورجوازي ، يقودها سائق مهذب امام هذا البناء وهبط منها رجل مدني في الاربعين من عمره ، وتوجه الى رئيس حرس المبنى بهدوء بالغ (وكأنه لا يعرف الصفة الرهيبة للمبنى)، وطلب منه أن يقابل (الريخفو هرر هملر) وهذا اللقب أوجهه هتلر خصيصا لهملر ، فسأله الضابط : هملر شخصيا ؟ أجابه الزائر : شخصيا٠٠ سجل الضابط اسمه ثم دخل مسرعا وبعدقليل ظهر ضابط يرتدي قميصا أسود وشارة الجستابو برفقته ، وأشار له على الزائر ، فمد يده بالتحية الحزبية التقليدية ـ هايل هتلر ـ ورفع الزائر قبعته وقال له : صباح الخير أيها الملازم فقال الضابط : هل تتفضل بمرافقتي :

وكانت لهجته وموقفه ذات مدلول خاص ، وعندما دخل الرجلان تبادل الحرس مع رئيسهم نظرات الدهشة ، ذلك لان زوار هذا المبنى هم من ضباط الجستابوا والعملاء المشبوهين الذين يطلبون للتحقيق ومنهم من يخرج ومنهم من لا يخرج مطلقا ٠٠٠

سار الضابط في ممرات الجستابو ، حتى وصل الى قاعة خرج من احدى غرفها جنرال قصير ضيق الكتفين ، وعلى عينيه الرماديتين نظارات لهما اطار معدني شمعي اللون ٠ هو هملر نفسه استقبل الزائر بقوله : أهلا بك يادكتور سمعت عنك كثيرا ربما يمكنك معالجة آلام المعدة القاسية التي أعاني منها ٠٠٠ ثم تابع قائلا : لم ينجح أي طبيب في ألمانيا بشفائي ، ولكن بعضهم آكد لي أنك قادر على ذلك فهل تعتقد أنك تستطيع مساعدتي ٠

ودون أي جواب بدأ الدكتور : فلكس كيرشين ـ يفحص هملر بعد أن طلب منه التمدد على مقعد ، وهو يقول في ضميره هذا هو الانسان الذي يخطط جميع عمليات الارهاب التي تجتاح المانيا وتروع جميع الناس المتمدنين : اعتقالات جماعية معسكرات الاعتقال والتعذيب ومع هذا احس الدكتور بنداء الجسم المريض ، فبدأ بلمسات خفيفة مدروسة وسريعة للعنق والصدر والمعدة ٠ وبغتة صدر عن هملر (صرخة) لان أصابع الدكتور كيرشين شدت على مكان الالم فقال لهملر : حسنا طالما عرفنا الالم يحسن بك أن لا تتحرك ، ثم بدأ بتدليك مكان الالم وكان هملر ينتفض بين الفينة والفينة والعرق يتصبب منه حتى توقف٠

وقال له : يكفي هذه المرة كيف تشعر الآن : أجاب هملر : انه أمر مدهش أن يختفي الالم لقد عولجت حتى بالمورفين ولم ينفع وها أنت تشفيني .. أرجو أن تبقى بجانبي ، سوف أعينك برتبة كولونيل في (الجستابو) لدينا

استطاع كيرشنين منع نفسه من الضحك وأجابه: لشدما تأثرت بالشرف الذي اضفيته عليّ ، ولكن يستحيل عليّ لسوء الحظ قبوله ، وذلك لان لي منزلا في هولندا وعائلة وعيادة ومرضى ينتظرونني ، وكلما احسست بالالم ما عليك سوى استدعائي وها أنا الان باقيا في برلين اسبوعين لمعالجة مرضاي هنا .

قال هملر : اذن ارجوك اعتبرني واحد من هؤلاء المرضى ، واحضر كل يوم لمعالجتي مثل اليوم ـ ودق جرس فدخل سكرتير هملر وأدى التحية الحزبية فقال له : الدكتور كيرشين يحضر لمقابلتي في أي وقت يشاء ، ليأخذ الجميع علما بذلك وضعوا اسمه في مكتب الدخول ...

كل صباح طوال الاسبوعين التاليين كان كيرشين يزور هملر ليعتني به ، ولم تكن هذه المهمة عن طيب خاطره وما كان كيرشين يفعل ذلك لولا أن واحدا من أعز اصدقائه وهو الصناعي الالماني المعروف (أوغست ديهن) أتاه في ٢٠ /١٢/ ١٩٣٨ ليقول له : هل تريد فحص هملر ...

أجابه كيرشين برفض قاطع وهو يقول : لقد تجنبت حتى الآن اقامة أية علاقة مع هؤلاء الناس ولا أريد أن أبدأ بأسوئهم ...

تابع ديهن باصرار : انني حتى الآن ورغم العشرة الطويلة التي تجمعنا لم أطلب منك أية خدمة يا دكتور . أما اليوم فاني اسمح لنفسي بالاصرار من أجلي وأجل الآخرين . همل ينوي أن يؤمم صناعة البوتاس وهذا ما يصيبني بالدرجة الاولى بضرر كبير ، وأنا أعرف التأثير العميق الذي تستطيع ممارسته على مرضاك بعد أن تشفيهم من آلامهم وسيكون همل منهم ولاذ بالصمت .

قبل كيرشين على مضض وكان قراره بعيد المدلول انه يعني انقاذ عشرات الالوف من البطالة وصديقه من الافلاس ...

لم يكن كيرشين (طبيبا حقا) ، بل كان اسمه في اللغة الدارجة (مدلكا) ولكن القدر أعطى ليديه مقدرة استثنائية فهو من مواليد ١٨٩٨ في أستونيا ،

ولكنه بعد الحرب العالمية الاولى اصبح مواطنا (فنلديا) ، وبـدأ دراسته في علم التدليك في هلسنكي • والتدليك هناك علم قديم وفن محترم جدا حتى عام ١٩٢١ حيث نال كيرشين شهادة عليا في التدليل العلمي ثم انتقل الى (برلين) • لمتابعة دراسته • وهناك التقى في مأدبة خاصة بالدكتور (كو) وهو من الصين وقد عاش في دير تيهتي حتى اصبـح ــ لاما ــ ثم انغمس في علم التدليـك وخاصة الفن الالفي الذي يعالج الاسقام بالتدليـك ، وبعد عشرين عاما انتقل الى لندن حيث حصل على (دكتوراة) فيالطب واستقام فيها • ورغم الدكتوراة التي نالها عن جدارة لم يكن يعالج مرضاه سوى بالتدليك (كماتعلم في التيبت)، وخلال المأدبة أبدى الدكتور (كو) اهتماما بالطالب الشـاب (كيرشين) ، وطلب منه أن يطلعه على فنه الفنلندي الخاص بالتدليك ، وبعد أن قام الشاب بالتجربة أمام الطبيب الكبير ركز عليه نظرة محبة ورعاية وقال له : يا صديقي انك تعتبر مبتدئا وسوف آخذك تلميذا لي •••

وخلال ثلاث سنوات قضى كيرشن جميع أوقاته بالقرب من استاذه يساعده في أعماله ، ويتعلم منه التدليك العجيب المدهش ، تعلم منه كيف أنالطبيبيجب أن يعرف مكان الالم وطبيعته ومنبعه بدون أدوات سوى رؤوس أصابعه ، وهذه الاصابع يجب أن تكون قادرة على اكتشاف الالم الخبيث الذي يكمن تحت الجلد وتحديد المجموعة العصبية المتعلقة به •

حتى عام ١٩٢٥ عاد الدكتور (كو) الى التيبت ، بعد أن زود كيرشين بكل ما يلزمه وسلمه عيادته ومرضاه • تبدلت حياته بين ليلة وضحاها ، فالطالب الفقير الذي عمل في مختلف أعمال الخدمة أثناء دراسته ليؤمن حاجته من المال ، أصبح الآن غنيا فالزبائن وكلهم من الطبقة الارستقراطية والمتنفذين يتدفقون على عيادته حتى تجاوزت شهرته حدود المانيا •

في عام ١٩٢٨ استدعته ملكة هولندا ولهلمينا الى لاهاي ليفحص زوجهـا الامير هنري وقد أعجب بهولندا ، وقرر أن يجعلها مقره الرسمي ، ولكنه احتفظ بعيادة برلين واشترى منزلا بالقرب منها ، ثم تزوج من الشابة ايرمفارد التي أحبته وكان سعيدا معها ورزق بطفل تمم سعادته ، وكان لا يزاول عمله متنقلا

من نجاح الى آخر تارة في برلين وتارة في هولندا وتارة في روما ، وفي نفس السنة التي ولد فيها ابنه قام هتلر بضم النمسا الى المانيا ومن ثم اقتطاع شطر من تشيكوسلوفاكيا ولكن كيرشين تجاهل عن عمد الامور السياسية وانغمس في عمله وعلى الرغم من تعوده على مفاجآت مرضاه ، فقد ادهشه موقف (هملر) منه الذي يقبض على أخطر اسرار الدولة ، ولا يعيش الا بصحبة الجواسيس والجلادين في الاقبية تجده في الحالات العادية يشكك في كل شيء وفي كل الناس ولكن ما ان يرتاح من آلامه بين يدي كيرشين حتى يبدو منفرج الاسارير تماما ويأخذ في الكلام .

تكلم هملر أمام كيرشن عن نفسه بزهو ، ثم عن ألمه . ثم ألقى عليه درسا طويلا حول الدم الجرماني ، والامجاد المنتظرة للمخابرات الالمانية التي تضم نخبة ممتازة من الضباط (حسب قوله) وهو يختارهم أقوياء الاجسام شقرا زرق العيون حتى وصل بالحديث الى (هتلر) وعندها لم يتوقف عن الحديث حتى ولو أدرك شهرزاد الصباح : هتلر عبقري فذ لم تعرف ألوف السنين مثله . رجل ملهم . يعرف كل شيء . يستطيع كل شيء (شبهه بالآلة) وليس على الشعب الالماني الا أن يطيعه طاعة عمياء لكي يصل الى أوج رفعته وعظمته في التاريخ ....

وكان كيرشين يصغي الى هذا التمجيد بهتلر دون أن يجاوب بكلمة . ويحاول أن يغير الحديث السياسي مع هملر ، لأنه ينظر اليه كنظرته الى أي مريض آخر ، وفي احدى جلسات التدليك وبينما كان هملر عاريا وممددا على السرير قال بهدوء : ستقع الحرب قريبا يا دكتور .

صاح كيرشين : دعنا الآن نهتم بعلاجك ثم أردف قائلا : بلا مبالاه .. ؟ وما هو السبب ، ارتفع هملر بمرفقيه وأجاب بحدة ستقع الحرب لان هتلر يريدها أن تقع . ان الحرب تكشف الرجال وتظهر منهم الاشداء . ثم عاد الى الاستلقاء على السرير من جديد وهو يضيف بهدوء : ستكون حربا قصيرة . صغيرة . سهلة . وظافرة لان الدول الديموقراطية متفسخة وممزقة وستركع لنا بسرعة .

بعد أن مضت الايام الاولى بخير وسلام ، أصبح كيرشين في وضع يسمح له بطلب أية خدمة من مريضه (رئيس المخابرات) عند ذلك قرر أن ينتهز أية فرصة للتحدث عن موضوع تأميم (البوتاس) حتى مساء أحد أيام كانون الثاني الباردة ، وبعد أن قام كيرشين بعملية (تدليـك مريضه) سأله بعفوية قـائـلا :

ما معنى تأميم الملكيات الخاصة والصناعات المزدهرة في هـذه الظروف لانها بعد التأميم لاتعطي أية فائدة للقطاع العام ، لان تبديل الادارة والمختصين والورديات يؤدي الى (نقص فادح) في الانتاج عدا عن تقلص (التصـدير) وانكماش السوق الخارجية . والى هذا الحد من الحديث التجاري كـان هملر صاغرا فاغر الفاه نظرا لمفاجئته من كيرشين بهذا الحديث فقاطعه بقوله :
لم أدر أنك يا دكتور خبير فيالشؤون التجارية مثل خبرتك في التدليك وشفائي. على كل حال لندخل في الموضوع رأسا ... ما الـذي تقصد بحديثك عـن الصناعات بالتحديـد .
أجابه كيرشين: صناعة البوتاس بالذات انها تبقى مزدهرة ، لو بقيت في أيدي أصحابها الاصليين ... (وكان هملر قد انتهى من ارتداء ألبسته) فقال له : أنا تعودت بحكم عملي كضابط جستابو ومن ثم رئيس الجستابو أن أكون صريحا وأن يكون عملي وتدخلي يؤديان الى نتيجة ... لذلك آمل منك يا دكتور أن تصارحني لدرجة الدقـة في الصراحة حتى أتمكن مـن خدمتك التي أصبحت أعتبرها واجبا علي (عند ذلك أطمئن كيرشين واستعاد هدوئه) وصارح هملر : بأنه مشغول الفكر عـلى مصير عائلات ألوف العمال الذين يعملون في صناعات (البوتاس) ولم يصارح هملر (بحقيقة) سبب تدخلـه هـذا لكي يحفظ خط الرجوع والامان لصديقه (صاحب معامل البوتاس) .
عند ذلك جلس هملر وراء مكتبه وسحب من تحت يده ملفا أخضر وأخرج منه ورقة مطبوعة باتقان ... وكيرشين يراقبه بفضول وحذر وأعطاه الورقـة قائلا : تفضل يادكتور هذا قرار تأميم البوتاس الذي كان سيوقع قريبا من هتلر أعطيه لك هدية شفائي وتحسن صحتي على يديك وآمل أن يبقى الامر بيننا ... نظرا لاهميته كما ترى .

سر كيرشين بهـذه النتيجة وودع مريضه وهـو يردد لـه عبارات الشكر والمجاملة ....

مضت فترة اقامة كيرشين في برلين ، وشفي هملر من آلامه ، فودع طبيبه وداعا كله اعتراف بالجميل وهو متأثر وعاد كيرشين الى هولندا لمتابعة معالجة مرضاه هناك بالتدليك . وبعد ثلاثة أشهر عاد الألم الشديد الى هملر فاتصل بكيرشين ليحضر لمعالجته وعادت الجلسات العلاجية من جديد ، وعاد الحديث عـن الحـرب التي ينوي هتلر شنهـا وكـان قـد اغتصب البقية الباقية مـن تشيكوسلوفاكيا ، ومن الاقوال المأثورة التي رددها هملر أمام طبيبه كيرشين :

ـ لا يستطيع العالم أن يعرف سلما حقيقيا قبل أن تطهره الحرب ...

ـ أننا بعـد أن جندنـا غالبية الشعب الالماني (كمخبرين) لدينـا حققنا السيطرة على ألمانيا أما الجيش الالماني فنترك له أمر السيطرة على العالم .

وبالتدريج أصبح كيرشين يرد عليه لكي لايعتقد هملر أنه يوافقه في كل ما يقول لانه كان يبدأ بجملة هتلر ـ قال قرر ... الخ .

أخبره هملر أن هتلر سيهاجم بولونيا ... وأن لديه معلومات بـأن فرنسا وانكلترا سوف تدخلان الحرب ضد المانيا ... عند ذلك قرر كيرشين استشارة السفير الفنلندي في برلين لانه لايزال مواطنا فنلنديا وعندمارحب به السفير روى له جميع ماسمع من هملر قائلا:ان هملر عندما يأخذه الالم يروي لطبيبه معلومات عسكرية وسياسية يصعب تصديقها ... فهل ينبغي له متابعة معالجته . ؟

أجابه السفير:طبعا وهذا من واجبك وليس لك أن تتردد لحظة واحدة عليك متابعة معالجته ونقل ما تسمعه منه الينا لان هذه المعلومات تساعدنا كثيرا لان الامر بالغ الخطورة . وودعه السفير بعد أن وعده كيرشين ببذل كل جهده .

في شهر أيار من عام ١٩٤٠ أصبح موقف كيرشين في منتهى التعقيد فبلاده الاصلية ـ أستونيا ـ قد الحقتبالاتحاد السوفييتيالتي حملت السلاح فيوجهها عام ١٩١٩ وهو بذلك أصبح معرضا للخطر ووطنه الثاني هولندا اجتاحته القوات الالمانية الهتلرية وكان النازيونالهولنديون يريدون له الموت انتقاما لانه كان على علاقة بالقصر الملكي ، ووطنه الثالث فنلندا منعت دخوله بسبب كونه الطبيب الخاص لرئيس (المخابرات الالمانية هملر) .

أما في ألمانيا فأخذت حريته في التنقل تتناقص أكثر فأكثر وفي أثناء غـزو هولندا وضع في (الاقامة الجبرية بضواحي برلين) وفي ١٥ أيار يتلقى (أمراً) وليس دعوة بمرافقة هملر الى الجبهة فيقطاره الخاص ، وكـانت القوات الالمانية تتدفق على الاراضي الفرنسية بسرعة مذهلة وكان قطار هملر مقرا حقيقيا متحركا للعمليات • مخابرات ـ جاسوسية ـ مقاومة الجاسوسية ـ مراقبة المناطق المحتلة ولكي يهرب كيرشين من هذا الجو لجأ الى مكتبة هملر فوجد فيها كتباً دينية قيمة مثل ـ الفيدا ـ التوارة ـ القرآن وأبحاث لاهوتية مع تفسيرات وترجمة عن كل منها الى اللغة الالمانية فسأل هملر : لقـد أعلمتني بنفسك أن اشتراكية وطنية حقيقية لا يمكنها أن تكون تابعةلمذهبمن المذاهب ـ أجابه هملر : بالتأكيد•قال كيرشين : اذن ماهذا ـ مشيرا الى الكتب الدينية ضحك هملر وقال : بصراحة أنا لست مؤمنا • هذه الكتب ليست (سوى أدوات عمل) لقد كلفني هتلر بأن أضع توراة الدين الوطني الاشتراكي • فقال كيرشين : لم أفهم • تابع هملر :بعد انتصار الرايخ الثالث سوف يلغي الفوهرور (المسيحية) [1] ويقيم على أنقاضها (المعتقد الجرماني) وسيحافظ على مفهوم (الله) ولكن بشكل غامض جدا ، وهكذا يتحول الوف الناس بصلواتهم الى منشيء الدين الجرماني الجديد هتلر وبعد مائة سنة لايظل أحد يذكر سوى الدين الجديد ••••

كان كيرشين يصغي وهو خافض الرأس لكيلا يبدو التعجب على وجهه من هذا المشروع ، وأكمل هملر قائلا : لذلك أنا بحاجة الى كل هذه الكتب الدينية من أجل وضع مسودة التوراة الجديدة (الدين الجديد) لإلهنا الجديد ••• ؟

في كل مناسبة كان كيرشين يشرب الانخـاب التي تشرب احتفالا بهزيـمة فرنسا والضباط العاملون تحت أمرة هملر في المخابرات كانوا يتهامسون كيـف يدخل هذا الطبيب المدني على هملر ساعة يشاء ونحن ضباطه فالبروتوكول ينفذ معنا بكل صرامة ولكـن ضابطا واحدا كـان يخالفهم الرأي والغيرة انه الملازم رودلف براندیت الذي كان مثل كيرشين ضائعا بين القتلـة الـذين يملؤون القطار •• بالبزات الرسمية •

---

(١) قرار الفوهرر هتلر بالغاء (المسيحية) يذاع لاول مرة ولو تمت له السيطرة على معظم بلدان العالم مثلما خطط لقيام بتنفيذ اطلاق (دينه الجديد) •

انه يحمل اجازة في الحقوق وكان قبل الحرب يشغل منصب الكاتب الاول في لرايخشتاغ وعندما طلب هملر من أجهزته أن يجدوا له شينوغرافا ممتاز ذكر له رودولف برانديت وكان لايحمل أي ود للنازيين ولكنه لم يجرؤ على الرفض وبسرعة وجد نفسه من موظفي المخابرات الالمانية وبعد مدة ونتيجة ذكائه وثقافته وجاذبيته الهادئة اكتسب ثقة هملر شخصيا وأصبح سكرتيره الخاص

وكان يشكو من آلام في معدته أيضاً فطلب هملر من كيرشين الاعتناء به أيضاً وهكذا تم اللقاء بين كيرشين وبرانديت ففي أول الامر أبدى كل منهما حذرا شديدا تجاه الآخر فكيرشين ظن أن هملر يريد أن يختبره بجعله يداوي سكرتيره ، ويستمع منه رأيه به • أما برانديت فكانت خشيته أن هملر طلب من طبيبه الخاص أن يعرف ما يجول بخاطر سكرتيره،ولكن بعد عدة جلسات اكتشفا بعضهما : رجلان معزولان لم يفقدا العاطفة الانسانية •

بعد سقوط فرنسا عاد هملر الى برلين ، وعادت حياة كيرشين إلى طبيعتها عمله ــ عيادته ــ هدوئه وعاد ليتمتع بكل عطلة أسبوع في الحقول وبين الأشجار والطبيعة حتى قطعت نوبة ألم حادة تعرض لها هملر هدوءه فاستدعى على عجل إلى الجستابو واستطاع كالعادة تهدئة آلام (المريض)هملر • ولكن النوبة كانت من الحدة بحيث بقي هملر مستلقيا على السرير ومن أعماق نفسه المريضة نظر الى كيرشين نظرة المعترف بالجميل وقال له : عزيزي الدكتور كيرشين ، ماذا أفعل بدونك أبدا لن اعرف كيف أعبر عن شدة امتناني لك مع أني مقصر جدا تجاهك ، فأنا لم أسدد لك حتى الان شيئا من أتعابك ، وفهم كيرشين بأنه لو قبض من هملر أي مبلغ فسيتحول الى مأجور عادي في خدمة الريخفوهرر ، وسيشعر أنه لم يعد مدينا له بشيء • وكان يعرف أن هملر لا يمكن له أن يهب دفعات كبيرة لانه رغم كونه رئيس المخابرات الالمانية كانت المبالغ التي تصرف على العملاء والجواسيس بموافقة هتلر الذي لم يبقي بين يدي رئيس المخابرات أيا من الموارد السرية ومن مرتبه الشهري / ٢٠٠٠ / مارك كان عليه أن يصرف على زوجته الشرعية وأبنه وكذلك على (عشيقة) ضعيفة البنية رزق منها بولدين فيما بعد ••

ظهر التعجب على وجه كيرشين وقال لهملر : ايها الريخفوهرر لا أريد منك شيئا ، أنا أكثر منك غنى بسواردي المتعددة قال هملر : هذا لايهم فمن واجبي أن أسدد لك أتعابك فأجابه كيرشين : عندما تزداد غنى ثق تماما أني سأقبض منك. وفجأة تذكر أنه يحمل بطاقة من صديقه أوغست روسترج لتذكيره باستخدام نفوذه لدى هملر لاطلاق أحد عماله الذي اعتقلته المخابرات بتهمة انتمائه للحزب الاشتراكي الديموقراطي ، فقدمها الى هملر وقال له : هاك قسم من أتعابي (اطلاق هذا الرجل(وانتفض هملر وقرأ البطاقة وقال:مادمت أنت الذي يطلب هذا الطلب فلابدمن تلبيته وطلب سكر تيره برانديت وأمره أن يعمل على اطلاق سراح الرجل لان طبيبنا يريد ذلك أسرع برانديت بسعادة الى تنفيذ الامر مما أكد لكيرشين أنه صديق وحليف ضد الجستابو ومعسكرات الموت ...

علد هملر الى صحته وقوته وعاد الى تعصبه وقسوته في المعاملة حتى مع كيرشين طبيبه الساحر الذي كان ولا يزال ينقذه من الامه .

فبعد ثلاثة أيام من اطلاق سراح العامل سأل كيرشين بنشافة : هل صحيح ما أبلغني إياهعملائي فيهولندا من أنك تحتفظ الى الان ببيتك فيلاهاي وقد انذرتك أكثر من مرة بأن الحزب النازي في هولندا سينظر اليك نظرة خطورة بسبب العلاقات التي كانت لك مع القصر الملكي والتي لم تزل محافظا عليها ، لذلك أطلب منك تصفية هذا البيت خلال عشرة أيام من الان . كما طلب منه أن يزور فرع المخابرات النازي في لاهاي كل يوم في الساعة الثامنة مساء (لاثبات وجوده) . وفي خلال عشرة أيام التي قضاها كان كل يوم يختفي واحدا من أصادقائه حتى اعتقل صديق عزيز عليه يدعى /بينفيل/ فتوجه فورا الى فرع المخابرات ودخل على رئيسه / روتير / قائلا : أردت أن أقوم هذا الصباح بزيارة لصديقي بنيفيل فمنعوني من دخول منزله لان رجالك كانوا يجرون تفتيشا وقد اعتقلوه ، لذلك أطلب منك العمل على اطلاق سراحه لانه بريء ، ولم يقم بأي شيء ضد المصلحة العامة .

تعجب روتير منهذه الجرأة غريب ومشبوه موضوع تحتمراقبته اليومية.

يعطيه امرا ..؟ ضرب الطاولة بقبضته بغضب : نطلق سراح هذا القذر • مطلقا وخاصة بعد تدخلك وطلبك.؟ سيطر كيرشين على أعصابه وقال لروتير ببرود : هل يمكن أن تتلفن من هنا اطلب لي همل من فضلك • أجابه روتير بعد أن قفز من مقعده : هذا مستحيل حتى بالنسبة لي عندما يوجد ضرورة وأريد الاتصال به يجب أن يكون هذا الاتصال عن طريق هيدريشن نائبه ولكن كيرشين أصر على الاتصال بهلمر وتجاه الحاحه طلب روتير الرقم بتردد ثم تظاهر بأنه غارق في اضباراته لم تمض لحظات حتى كان هلمر على الخط ، فظهر الرعب على وجه روتير وهب واقفا مؤديا التحية الحزبية /هايل هتلر/ وكأن هلمر يراه ثم تابع : سيدي الريخفوهرر الدكتور كيرشين يريد التحدث معكم[1] وسلم سماعة التلفون للدكتور الذي حيا هلمر بأدبه المعروف ثم فاجأه بقوله :

لقد أوقف رويتر واحدا من أحسن أصدقائي ، وأنا أضمن براءته هل تتكرم بالايعاز باطلاق سراحه (رويتر لا يزال واقفا بالاستعداد) تظاهر هلمر بعدم فهم أقوال الدكتور وقال له : متى تعود الى برلين •• انني أشعر بألم شديد •

شعر كيرشين بارتياح عميق • هلمر متألم هلمر يطلب مساعدته ، وهو الذي يشفيه وحده انه أشبه بمدمن المخدرات الذي يطلب المخدر •••

أجاب كيرشين : فترة اقامتي هنا لم تنته بعد واذا ظل صديقي معتقلا فسأعود بائسا محطما فطلب منه أن يعطيه رويتر حالا : أعاد سماعة التلفون الى رويتر وشاهده وهو يضم كعبيه في وقفة استعداد عسكرية وهو يقول : أمرك سيدي الريخفوهرر ــ تحت أمرك سيدي حالا حالا ثم أعاد السماعة الى كيرشين فقال هلمر : انني أثق بك • صديقك سيطلق سراحه ولكن عد الي بأسرع ما يمكن •

وأغلق الخط •

---

(١) من المعروف عن هملر أنه كان يتمسك تمسكا أعمى بتغطية رؤساء فروع المخابرات مهما ارتكبو من أخطاء وكان يطلب منهم في كل اجتماع أن يخبروه بأية مشكلة مهما كانت ليتمكن من تغطيتهم في حال وصولها للفوهرر عن غير طريقه •••

خيم على الاثنين روتير وكيرشين صمت عميق كان كل منهما ينظر الى الآخر وكأنه لا يراه أما كيرشين فكانت سعادته لا توصف ، وهو يخرج من فرع المخابرات ، ومعه صديقه بنيفيل (استطاع أن ينقذ ضحية جديدة من بين مخالب المخابرات الالمانية) •

في أول شهر آذار عام ١٩٤١ وصل كيرشين الى مقر هلمر • ولكنهم أخبروه أنه في اجتماع مهم وكالعادة قرر أن ينتظره في (نادي الجستابو) فأسرع مدير النادي وقدم له (قهوة قوية) مع أحسن ما لديه من الحلويات (كاتو) فهو يعرف ذوق الدكتور ، ويهمه أن يرضيه نظرا لمكانته لدى (الرئيس) • وبعد فترة لمح روتير وهيدريشن يدخلان وقد حياهما الجميع وجلسا في زاوية قريبة منه دون أن يشاهداه ، لشدة انصرافهما للحديث وانكمش كيرشين على نفسه وأدار وجهه لكيلا يرياه ، ولكنه كان يسمع حديثهما من هذه المسافة • قال روتير : أي صداقة لهؤلاء الهولنديين الخنازير القذرين هذا الاسبوع اغتالا اثنين من رجالي • أجابه هيدريشن : لقد تلقيت تعليمات العملية وسوف تنفذها بعد فترة قصيرة وعندها لا يبقى لك يوم تضيعه سدى •

لم يستطع كيرشين أن يسمع غير ذلك لأنهما خفضا صوتيهما (ولكن ما سمعه كان كافيا) وبعد أن سيطر على نفسه خرج من النادي وهو مترنح مما سمع وأبلغ برانديت أنه سيعود لمقابلة هلمر في الساعة الثالثة وطلب منه أن يوافيه مساء الى عيادته ، وهناك أعاد كيرشين على برانديت ما سمعه من الاثنين فانفعل برانديت وأغلق باب العيادة قائلا : اذا جاء أحد فسأقول أنك تعالجني • أما موضوع العملية التي تكلم عنها روتير وهيدريشن فسوف أخبرك به ، ولا تنسى أني لم أقل لك شيئا بحق السماء ، وتوجه الى النافذة وهو يتابع : أمر هتلر الريخفوهرر هنريخ‌هملر رئيس المخابرات بأن‌يعدعميلة ترحيل الهولنديين جماعات جماعات الى بولونيا (مقاطعة لوبلن) لأنهم (حسب رأي الفوهرر) مسؤولون عن المقاومة والاعمال السلبية ، وبالتالي هم (خونة) وسيرحل ثلاثة ملايين رجل سيرا على أقدامهم،أما أسرهم فتلحق بهم بالمراكب والسكك الحديدية (المتوفرة)•

وغادر برانديت العيادة مسرعا عندها تصور كيرشين وهو يرتعش عملية التهجير والشقاء البشري الهائل والغربة والجوع والبرد وما سيتعرض له الهولنديون من ذلك فوجدها لوحة جهنمية ومريعة (شعب كامل في العبودية وتحت سيطرة المخابرات تفعل به ما تشاء) فقرر أن يتحدث الى هلمر بموضوع الترحيل رغم معرفته بالخطر الكبير المترتب على ذلك . وفي اليوم وبينما كان هلمر ممددا أمامه على السرير يقوم بتدليك عضلات معدته وفي منتصف العلاج ، قال له بصوت هادىء رصين : في أي موعد ستقومون بترحيل الهولنديين . وكان هلمر في حالة ارتخاء وتحت كابوس المعالجة فأجابه ببساطة في ٢٠ نيسان لمناسبة عيد ميلاد هتلر . وخيم على القاعة سكون وصمت قطعهما هملر (منتفضا) : ـ وكيف علمت بذلك .

ـ سمعت روتير وهيدريشن يتحدثان عن العملية في النادي بالامس .

ـ يا لهما من غبيين (أشكرك يا دكتور لأنك أعلمتني أنهما ثرثاران لهذه الدرجة وهذا شيء هام) .

واستراح هملر مجددا على السرير وقد علم أن طبيبه بريء وأن ما علمه كان صدفة وعن حسن نية ولكن كيرشين وهو يتابع العلاج قال :

ـ ان هذا الترحيل هو أكبر حماقة يمكن أن ترتكب .

فأجابه هملر محتدا :

ـ أنت لا تفهم شيئا في السياسة . خطة الفوهرر عبقرية لقد احتللنا بولونيا ولكن البولانيين يخونونا . يلزمنا هناك دم جرماني والهولنديون أصلهم جرماني سوف نعطي أرضهم للهولنديين ونرسل فلاحين ألمان شبابا لاستلام أراضي الهولنديين . أليست خطة عبقرية .

أجاب كيرشين ببرود :

ـ هذا ممكن ... ولكني كطبيب لا أفكر الا بصحتك ففضلا عما تعانيه من متاعب أعلمتني أن الفوهرر طلب منك أن تزيد عناصر المخابرات الى المليون بينما عندك الآن منهم /١٠٠٠٠٠/ فقط . وهذا يعني أنه الى حين موعد الترحيل

في ٢٠ نيسان (ثلاثة أشهر) ينبغي لك أن تدرب /٩٠٠ر٠٠٠/ جندي ليتحولوا الى عناصر مخابرات، وبعد هذا العمل الضخم يأتي الترحيل أليس في ذلك من الاجهاد العظيم لك ولديك هذه الآلام فقاطعه هملر :

ــ لا بد من ذلك فهو أمر شخصي من الفوهرر ..

ــ اذن أجبني بصراحة من مريض الى طبيبه من بين أمرين أيهما أهم لك شخصيا زيادة المخابرات التي هي قوتك الى المليون أم عملية الترحيل .

أجابه : زيادة المخابرات بدون ريب .

ــ اذن يجب ارجاء عملية الترحيل الى حين النصر لأني لست قادرا على اعطائك القوة الكافية للقيام بالمهمتين معا ، وأنا أعرف أنك بما أوتيت من ثقة الفوهرر تستطيع التأجيل . فاقتنع هملر برأي كيرشين ، وما زال كيرشين بعد ذلك يستغل لحظات ضعف هملر وتأمله ، فيوحي له بأفكاره وآرائه بتخويفه تارة من مرضه واقناعه بعدم جدوى العملية ، وهملر يستغل صفته ويؤجل العملية حتى تحولت الى عملية ترحيل افرادية بينما كانت الحرب التي شنها الحلفاء على ألمانيا النازية تغير مجرى الامور فانشغل هملر نهائيا عن الخطة الجهنمية وذلك بفضل الجرأة الادبية التي تحلى بها الدكتور كيرشين في هذه الفترة من حكم المخابرات الالمانية أيام النازية ...

المخابرات الالمانية (حاليا) المخابرات الاتحادية

بعد اطلاع القارىء على نوعية المخابرات الالمانية (سابقا) أيام الحكم النازي يحق له التساؤل (والآن كيف تعمل المخابرات الالمانية) :

في عام ١٩٤٩ ــ أعلنت دولة (ألمانيا الغربية) وأنشئت الوزارات المختصة والاجهزة الادارية ومن ضمنها (المخابرات) ولكن هذه المرة (للاستعلام فقط) وتترك التعقبات القضائية فيما بعد للشرطة المدنية والمحاكم العادية ذلك لأن المواطن الالماني سواء كان نازيا سابقا أو لم يكن فلديه عقدة من المخابرات (لا يوجد عائلة ألمانية الا أصيبت في أحد أفرادها منهم) ، وقد أسس هذه

المخابرات الجنرال الالماني (راينهارت غلين) وهدفها الاول التجسس على الاتحاد السوفياتي ، ودول أوربا الشرقية ، وكانت المخابرات الاميركية (وراء تأسيس المخابرات الاتحادية) وتمويلها :

في أواخر عهد هتلر ، والحلفاء يحيطون ببرلين ــ كان الجنرال (راينهارت غلين) يرأس مؤسسة (جيوش الشرق) الاستخبارية / في المخابرات الالمانية واختصاصه الجبهة السوفيتية والمشاكل مع السوفييت • وكان بسبب وظيفتهأوسع الاتصالات مع أوربا الشرقية ، ولديه أضخم /أرشيف/ عن الاتحاد السوفياتي والدول الدائرة في فلكه وقد أحس بالخطر المحدق بألمانيا ، وأن الاحتلال لا مفر منه فقرر انقاذ مؤسسته ، حفظها لما بعد الهزيمة ••

جمع رجاله ، وطلب منهم تحضير ميكروفيلم عن الارشيف وصور/كوبي/ عن جميع المستندات الضرورية ، وقسم رجاله الى ثلاثة أقسام رأس هو أحد هذه الاقسام ، وكل قسم حصل على (نسخة) من موجودات المؤسسة (المصغرة) ــ على الاقل قسم يحتفظ بالتراث الاخباري ــ وحدث ماتوقعه (غلين) فقد عبرت الجيوش السوفياتية ــ الحدود الالمانية ــ فأعطى أمره الى مؤسسته بالاتجاه نحو بافاريا بالجنوب • ولدى وصولهم الى بلدة ميسباخ ــ أصدر أمره بالتفرق واتجاه كل قسم الى المكان المعد له ؛ على أن يبقى بينهم اتصال (دائم) •

انتظار اسره من قبل الاميركيين •

ترك (غلين) ورفاقه سياراتهم على طريق قرب (ميسباخ) ، وتوجهوا الى كوخ كبير يقع على جبل يطل على الطريق الرئيسي ، وحفروا حفرة وضعوا فيها ما يحملونه من الاسرار (وأصبحوا جاهزين بانتظار الاميركيين ليأسروهم) •

مضى يومان ولم يحضر الاميركيون وفي اليوم الثالث شاهدهم (غلين) بالمنظار ، وهم يعبرون الطريق باتجاه النمسا ، وحالا أرسل أحد رجاله الذي ادعى أنه من أهل المنطقة وأنه (علم بوجود ضباط ألمان مختبئين في الكوخ) أرسلت قوة احتلت الكوخ بعد أن أعلنت عن نفسها • أعطى (غلين) وضباطه

أسماءهم ورتبهم ونقلوا الى معسكر للتحقيق معهم لغاية شهر حزيران ١٩٤٥ ونظرا لتعاون (غلين) مع الحلفاء ، كان موضع احترام هو ورجاله . عندما صرح للجنرال الاميركي (وليم دونوفان) « رئيس مكتب العمليات الاستراتيجية » بأنه يملك معلومات عن الاتحاد السوفياتي ودول أوربا الشرقية لا تقدر بثمن ولا يعلى عليها وأن وثائقه السرية المحفوظة أكبر دليل على خطر التغلغل السوفياتي اتصل دونومان بواشنطن حالا ومن ثم سافر وبصحبته الجنرال (غلين) وفي البنتاغون (رئاسة الاركان الاميركية) جرت اجتماعات عديدة بحضور كبار ضباط المخابرات الاميركية .كان غلين يتحدث اليهم باسهاب بأن خطط السوفييت هي متابعة سيطرتهم على أوربا ، ولديه الخطة اللازمة لوقف هذه الخطط ، وما عليهم الا التعاون معه لإحياء مؤسسته وعندما وافق الاميركيون وضع غلين شروطه :

١ ــ تبقى مؤسسته (المانية) الهوية .

٢ ــ كل رجال مؤسسته يبقون تحت أمرته وله حق التعاقد مع من يشاء .

٣ ــ يمول الاميركيون المؤسسة ماديا .

٤ ــ لا يحق لأي عضو في مؤسسته أن يجبر على القيام بأي نشاط يخالف المصلحة الالمانية .

٥ ــ تبقى هذه الشروط على حالها الى حيث تشكيل حكومة ألمانية تؤول هذه المؤسسة اليها (وهذا ما حدث بعد ذلك) .

ومن الواضح أنه وضع الاميركيين تحت الامر الواقع فوافقوا على مضض بسبب ما يلي :

١ ــ الجنرال غلين كان ذا قيمة استخبارية هائلة (ضابط قديم له خبرة) .

٢ ــ مؤسسته (المحفوظة) كاملة العدد والعدة وتعطي النتائج حالا ..

٣ ــ لو لم يقبلوا لكان عليهم إنشاء مثل هذه المؤسسة التي كانت ستكلفهم ضعافا مضاعفة .

٤ ــ ظهور بعض الاحداث جعلت الاميركيين يؤكدون معلوماته عن الخطط التوسعية السوفياتية .

بدأ غلين عمله في بناء تابع لمكتب العمليات الاستراتيجية في فرانكفورت بالاتصال مع عملائه السابقين في أوربا الشرقية ، ولكن هذه المرة كانت ميزانيته مضاعفة (أموال أميركية) بينما كان زملاؤه من ضباط (الجستابو) السابقون يساقون الى المحاكم •••

كان (غلين) عند حسن ظن الاميركيين ، فزال مع الايام الشك نهائيا من أذهان بعض القادة الاميركيين الذين عارضوا اعطاء (جنرال ألماني) مجال تأسيس مؤسسة مخابرات قائمة بذاتها وتحت امرته الشخصية •

في عام ١٩٥٦ انتقل غلين ومؤسسته من فرانكفورت الى بلدة بولاخ ، قرب ميونيخ غاصمة ولاية بافاريا في ثكنة عسكرية ضخمة محاطة بجدار وأسلاك شائكة ، ووضعت تحت تصرفه فرقة المانية خاصة للحراسة واستخدمت الآلات الالكترونية لمنع الانصات من الخارج ، وضعت آلات حساسة تنبىء باقتراب أي شيء من المقر •

زرع غلين العديد من العملاء الجدد في الدول الشيوعية ليعرف كل صغيرة وكبيرة وتمسك بمبدأ عدم تعريف العملاء على بعضهم (العميل لا يعرف سوى من هو أعلى منه) فقط •

افتتاح مكاتب تجارية رسمية لصالح المخابرات الاتحادية :

أوعز غلين بافتتاح فروع وشركات تجارية (من ميزانية المخابرات الاتحاديه)، وتخرج من مؤسسته أشهر رجال الاعمال لاستلام هذه الفروع وادارتها،ولضمان استمرار هذه الشركات وسريتها وانتاجها المغطى فقد نفذت تعليمات غلين الآتية :

١ ــ سجلت هذه الشركات رسميا لدى الدوائر التجارية ، ودفع عنها الرسوم القانونية الى غرف التجارة والصناعة المحلية •

٢ ــ تقديم سجلات تجارية عنها الى مصلحة الضرائب ، وبالتالي ما يترتب عليها من ضرائب •

٣ ــ تسجيل موظفيها في الضمان الاجتماعي والصحي •

٤ ـ الحصول على لوحات سيارات من مصلحة الميكانيك كأية شركات تجارية أخرى .

أما من جهة شروطه مع الاميركيين ، فقد استخدم في مؤسسته الاشخاص الذين كانوا في خدمته (أيام مؤسسة جيوش الشرق) خلال الحرب وذوي الخبرة الفائقة . هؤلاء كانوا أكثر من سعداء لعودتهم لممارسة خبراتهم السابقة بالاضافة الى حصولهم على الصفح والرضى في فتح صفحة جديدة ...

مخابرات المانيا الشرقية تقلد :

أظهرت اتصالات غلين وعملائه في ألمانيا الشرقية أن المخابرات هناك قامت بنفس الشيء من التعاون مع رجال المخابرات النازيين . واطلاق العملاء السابقين باتجاه (ألمانيا الغربية) وحصلت بعض الحوادث التي ثبت منها أن المخابرات الشرقية اعتمدت قدامى رجال الجستابو لكشف زملائهم من الطرف الثاني من برلين .

مؤسسة غلين تصبح : المخابرات الاتحادية لالمانيا الغربية رسميا :

في عام ١٩٥٦ جرى نقاش بين مسؤولي الدول الحليفة حول حل مؤسسة غلين (نظرا لتأسيس المانيا الغربية رسميا) ومن ثم تكليفه بتأسيس جهاز جديد مع من يود . عارض غلين (الحل) قائلا : إن موظفيه سيضعون أمام الاغراء للعمل في أجهزة مخابرات أجنبية ، بالاضافة الى تفكيك الخبرات المجمعة خلال (سنين) . وهكذا سلمت مؤسسة غلين كما هي كاملة الى الدولة وأصبح اسمها (المخابرا تالاتحادية) الالمانية . بدلا من حلها وتأسيسها مجددا عدا عما يضيع على الدولة من أسرار في هذا الفراغ الزمني .

ضخامة المخابرات الاتحادية وتوسيعها :

أنشأت المخابرات الاتحادية شبكات ضخمة للاتصال بالاجواء العليا ، والتقاط ما تبثه الاقمار الصناعية من صور تلتقطها من مختلف مناطق العالم ،

وباستطاعة هذه الاجهزة التقاط مخابرة تجري بين ألمانيا الشرقية وموسكو ـ عبر أحد الاقمار الصناعية بالاضافة الى مقدرتها على معرفة كل قطعة عسكرية ـ جوية أو برية أو بحرية ـ من حلف وارسو •

أدخلت الامخة الالكترونية الى المخابرات الاتحادية لاستعمالها في حل وفك الرموز التي تلتقطها الاجهزة المختلفة •

ووسعت من شبكة العملاء فأدخلت منهم في شركات لها علاقات مع الشرق الاوسط (وخاصة الدول العربية) وأفريقيا وأميركا الجنوبية •

من منجزات المخابرات الاتحادية :

بعد هذا الشرح عن توسيع المخابرا تالاتحادية الالمانية ، والفرق الشاسع بين عملها وعمل الجستابو (سابقا) خصوصا بانتقال الجنرال (راينهارت غلين) نفسه الى جانب الحلفاء ومتابعة عمله بنفس اختصاصه (المخابرات المضادة للشيوعية) • نورد هنا بعض منجزاتها التي كانت حتى الآن خافية عن القارىء :

١ المخابرات الاتحادية تبرعت عام ١٩٦١ الى خصوم (رئيس حكومة الكونغو باتريس لومومبا الذي أغتيل فيما بعد بمساعدتها) بسطبعة وطائرات مدنية لاستعمالها ضد لومومبا •

٢ ـ دعمت المخابرات الاندنوسية بالاموال . وأجهزة اللاسلكي والاسلحة لمقاومة التغلغل اليساري عام ١٩٦٥ (بايعاز من المخابرات الاميركية) ومعها •

٣ ـ قدمت الى مستشار ألمانيا الغربية ـ أديناور خبر وفاة ستالين قبل أن يعرف بذلك أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في موسكو ؟؟ من أوصل لهم خبر الوفاة؟•• أهو عميل سوفياتي•••؟ أم ألماني •••؟ هذا هو سر المخابرات•

٤ ـ حددت المخابرات الاتحادية موعد الهجوم الاسرائيلي في ٥ حزيران ١٩٦٧ على الدول العربية بأدق تفاصيله مما أذهل المخابرات الاميركية بالذات ووزارة الخارجية الاميركية •• من أعلمها بذلك ؟ عملاؤها داخل المخابرات والجيش الاسرائيلي •••

٥ ـ عرفت موعد زحف القوات السوفياتية وقوات حلف وارسو على تشيكوسلوفاكيا قبل الزحف بشهر واحد (خلافا لتقديرات المخابرات الاميركية ومخابرات حلف الاطلسي) •

اما اعمالها اليومية فتبدا بما يلي :

١ ـ في الساعة الثامنة صباحا يقدم تقرير مسهب من عدة صفحات حسب أحداث العالم وخلاصة أعمال المخابرات الاتحادية ، وما نفذ وما يقترح تنفيذه الى مستشار ألمانيا الغربية (طبق الاصل عن المخابرات الاميركية) التي تقدم مثل هذا التقرير يوميا للرئيس الاميركي في البيت الابيض •

٢ ـ يوجد اتصال دائم بالتلكس مع المخابرات المركزية الاميركية في لانغلي (واشنطن) •

٣ ـ تتبادل المعلومات مع (جميع دول حلف شمال الاطلسي) •

٤ ـ تقدم الى مخابرات دول حلف الاطلسي (منهم تركيا) جميع ما يهم عن النشاط في المانيا الشرقية والدول الشيوعية عامة •••

٥ ـ تصلها تقارير (تقدم عوضا عنها) من كل من مخابرات ـ ايران ـ اسرائيل ـ اليابان ـ فورموزا ـ بعض دول افريقيا وأميركا الجنوبية •

٦ ـ تقوم شركات تجارية بتمثيلها في الدول التي لا تتعاون مع مخابراتها مثل : اسبانيا ـ اليونان ـ جنوب افريقيا •

٧ ـ تؤمن الخدمة والمناوبة في مركز مخابرات (ثان) أنشيء على ساحل الاطلسي احتياطا في حال نشوب حرب للانتقال السريع اليه وفيه مطار ضخم ومرفأ ـ وصورة طبق الاصل عن أجهزة المركز الرئيسي في (بولاخ) •

استراحة الجنرال راينهارت غيلين :

بعد خدمة مخلصة مدة (٢٢) عاما رئيسا مطلقا للمخابرات • وهذه خلاصة سريعة تقدمها للقاريء عن أهم منجزات المخابرات في عهده :

١ ــ جعلها غير تابعة لا لوزارة الدفاع ولا لوزارة الداخلية بل تتبع المستشار (رئيس الدولة مباشرة) •

٢ ــ أوصل عدد موظفيها الى ثلاثة عشر ألف موظف موزعين في القيادة بيولاخ وبقية المدن الالمانية وأنحاء العالم (العملاء والمخبرين) •

٣ ــ ميزانية المخابرات الالمانية من ميزانية مجلس الوزراء وهي (سر الدولة) لا يعرفه سوى المستشار وأمين سره • ورئيس المخابرات •

٤ ــ كان لا يسمح لاحد (حتى في قصر الرئاسة) بمطالبته بكشف أسماء عملائه وأين (زرعهم) (في الكرملين ••؟) (في البيت الابيض •• ؟) (في الكنيست الاسرائيلي ••؟) (في المغرب ••؟) •

٥ ــ بقي طيلة خدمته صاحب اختصاص في عمله مخلصا لواجبه ولو أنه خدم العهد النازي القاسي كذلك خدم النظام الديمقراطي المتجدد في المانيا الغربية•

في أواخر عام ١٩٦٧ بدأ البحث عن خليفة له بسبب رغبته في التقاعد والخلود الى الهدوء بعد هذه السنين الطويلة من العمل المسؤول •

قال غلين (خليفتي في رئاسة المخابرات الاتحادية يجب أن يكون رجل اختصاص من الطراز الاول وأن يقع الاختيار عليه وأنا لا أزال في مركزي) •

وتوجه بعد ذلك الى منزله الجديد (فيلا في قرية بيرغ على ضفة بحيرة شتاربزغ) المهدى اليه من المخابرات المركزية الاميركية ، للدلالة على تقديرهم لاخلاصه لهم بالدرجة الاولى ثم المخابرات الاتحادية لينعم بالهدوء والمناظر الطبيعية مع زوجته وأولاده الاربعة •

خليفة (غلين) في رئاسة المخابرات الاتحادية :

أخذت السلطات المسؤولة بنصيحة (غلين) أبي المخابرات الاتحادية.وعينت مكانه الجنرال (جيرهارد فيسيل) الذي كان من كبار مساعدي (غلين) في (مؤسسة جيوش الشرق) وصاحب خبرة واسعة في مجال المخابرات اذ يعتبر شؤون الجيش الاحمر والبلدان الشيوعية من صميم اختصاصه • عدا عن كونه

عضوا في (مكتب بلانك) الذي تولى اعادة تسليح ألمانيا وكونه ضابطا ألمانيا غربيا وفي المخابرات العسكرية وعضوا في لجنة حلف شمال الاطلسي .

استلم الجنرال فيسيل رئاسة المخابرات من صديقه ومعلمه (غلين) ، بعد إجراءات بسيطة في الاول من شهر أيار ١٩٦٨ وكان لاستلامه أسوأ الاثر لدى الجيران (مخابرات المانيا الشرقية) .

من المعروف في البلدان الديمقراطية أن أجهزة الامن فيها (بما في ذلك المخابرات) لا تتبدل بتبديل الاحزاب الحاكمة أو الحكومات ، وذلك لكيلا يضيع على الدولة أسرار ومؤامرات تحاك في الفترة الزمنية التي يخلو الجو فيها ، حتى يكتسب الموظفون الجدد (بعض خبرة القدماء) . وهذا ما جرى في ألمانيا في فترتين من الزمن لكن حين انتقل الحكم الى الديمقراطيين الاشتراكيين في تشرين الاول ١٩٦٩ جعلهم يتطلعون بفضول الى ما يجري في داخل مكاتب المخابرات ، حتى يطمئنوا الى أن أعمالها لا تتعارض مع السياسة التي يتبعونها لذلك عينو (نائبا) للجنرال فيسيل ذي صبغة ديمقراطية اشتراكية .

تشابك مصالح مخابرات الحلفاء مع المخابرات الاتحادية :

يتعرض عمل المخابرات الاتحادية الى عراقيل تتعلق بتنفيذ مهمتها ، فألمانيا الغربية عضو في حلف شمال الاطلسي ، وفوق أراضيها ترابط جيوش أميركية وبريطانية وفرنسية وبموجب القوانين الموضوعة (أيام الاحتلال) ؛ يحق لكل جيش من هذه الجيوش انشاء (فرع مخابرات) خاص به لحماية أسراره وأسلحته.

مقابل ذلك (المانيا الشرقية) عضو في حلف (وارسو) ويوجد أيضا لهذا الحلف عدة فروع مخابرات في (برلين الشرقية) .

وسبب تعدد أجهزة المخابرات في أراضي الدولتين الالمانيتين هو ضخامة التجسس والعمالة لكلا المعسكرين واللغة الالمانية اللغة الرسمية لـ (٩٠٪) من العملاء في الدولتين .

نموذج من اعمال مراقبة المشبوهين :

حين وجود حاجة ماسة الى مراقبة تلفون أو بريد شخص مشبوه (ألماني أو أجنبي) فان الدستور الالماني المؤقت يقر في المادة العاشرة منه على ما يلي :

لأجل السلامة العامة يسمح ضمن القانون والصلاحيات الى موظفين بالاطلاع والانصات على وسائل البريد والبرق والهاتف[٢] .

وهذه المراقبة تتم من قبل السلطات (المحتلة) سابقا (والحليفة حاليا وهذا أمر غريب بالنسبة لدولة مستقلة لكنه الواقع) .

يتوجه موظف مزود باذن مكتوب الى دائرة البريد والبرق والهاتف، وهناك يقوم الفنيون بتركيب أجهزة الاستماع على التلفون بعد اطلاعهم على الامر المتعلق بذلك . أما اذا كانت المراقبة للرسائل فيحول الموظف الى قسم الرسائل ـ حتى اذا انتهت مهمته عاد الى فرعه وكأن شيئا لم يكن حيث لا يوجد مراقبة هاتفية وبريدية مستمرة .

كيفية القاء القبض على الجواسيس في المانيا الاتحادية :

هناك مشكلة في كيفية القاء القبض على الجواسيس في المانيا الغربية ، لافتقار موظفي المخابرات الى الصفة (القانونية) ليتم لهم ذلك. وعملهم هو جمع المعلومات (كما شرحنا) ومراقبة المشبوهين الوافدين ، وحصر نشاطهم وتسجيله أولا بأول . لتقديمه كدليلا لاداتنهم أمام المحاكم المدنية فيما بعد ، ويستحيل على المخابرات الاتحادية اعتقال أي جاسوس بالجرم بسبب ما يلي :

١ ـ عدم حملهم أي سلاح للدفاع عن النفس (عكس الجواسيس) .

٢ اعتقال الاشخاص (حتى ولو كانوا جواسيس) هو من حق الشرطة العادية التي يحق لها وحدها توقيف الاشخاص وبأمر من المدعي العام ...

لذلك سمعنا عن فشل كثير من حالات مطارده الجواسيس والعملاء وتمكنهم من الهرب ، لان التنسيق لم يكن على أتمه بين المخابرات والشرطة التي لا تصل الى مكان المطاردة في الوقت المناسب ، كما لا يمكن لشرطي أن يقوم

(٢) هذا الدستور المؤقت فرضه الحلفاء على المانيا الغربية عام ١٩٤٩ .

بمراقبة أو ملاحقة (مشبوه) ، وهو باللباس العسكري والسبب في عدم السماح لرجال المخابرات الالمان باعتقال الجواسيس هو الروتين أولا . وثانيا لان نفسيه الشعب الالماني معقدة من أيام حكم (الجستابو) ، أيام هتلر عندما كان يسجن الابرياء ، ويحرق ، ويصفي الكثيرين باسم مكافحة التجسس . لذلك رغب المشرعون في مداراة الشعب الالماني وعدم (نبش) ذكرياته المؤلمة ..

اخطاء المخابرات الاتحادية :

هاجمت مجلة (دير شبيغل) عام ١٩٧١ المخابرات الاتحادية بشدة وقدمت تحقيقات وفضائح استغرقت في اعدادها سنتين بعضها سبق للقضاء أن أصدر حكما بها ، وكانت النتيجة احالة بعض موظفي (غلين) على التقاعد المبكر ، واجراء تبديلات هامة في الجهاز وقد علم أن حملة المجلة كانت بموافقة الجنرال (فيسيل) ومباركة (فيلي برانت) رئيس الدولة بنفسه . ومع كل ذلك راعى الجميع مبدأ الجنرال المتقاعد (راينهارت غلين) في عدم افشاء اسم أي عميل..؟

سقوط جاسوس :

في الساعة الثالثة من تاريخ ٢٥/٤/١٩٧٤ أذاعت محطة لندن ــ القسم العربي ــ بأن المخابرات الالمانية اعتقلت المستر /غونتر غيلوم/ أحد مساعدي المستشار الالماني الغربي بتهمة التجسس لصالح المخابرات الالمانية الشرقية .

من هو غونتر غيوم :

التجأ غونتر غيوم من ألمانيا الشرقية الى ألمانيا الغربية في عام ١٩٥٦ ، وكان قبل لجوئه قد اتبع دورة تدريبية في ألمانيا الشرقية (كيباع فتي) والتحق بعدها بالكلية التكنولوجية ثم عمل في دار النشر الحكومية المعروفة باسم (الشعب والمعرفة) ما بين عام ٩٥١ و ١٩٥٥ حتى التجأ الى (بون) ، أما زوجته كريستل غيوم ــ التي ألقي القبض عليها معه فقد تزوجها منذ ٢٢ سنة أي في ١٩٥٢ أثناء عمله في دار النشر الحكومية في ألمانيا الشرقية ، وقد لحقت به فيما بعد الى بون ،

وهي من العاملات في الحزب الاشتراكي الديمقراطي ، ثم موظفة في الحكومة كسكرتيرة لرئيس مستشارية مقاطعة هيس ، ولها ولد عمره (١٦) سنة ويقيم الجميع في ضاحية (بادغودسبرغ) على مسافة خمسة كيلو مترات من مكتب المستشار (برانت) ، وقد عمل غونتز بعد أن أستقر له الامر في ألمانيا الغربية في تجارة الورق ثم مصورا أخذ يتعامل مع العديد من الصحف حتى ورد اسمه في عام ١٩٦٦ في سجل المصورين الصحفيين المتخصصين . وفي السنة التالية للجوء انتسب الى الحزب الاشتراكي الديمقراطي (حزب المستشار برانت) وأظهر في الحزب انضباطا وأخلاقية واعتبر من أنصار الجناح اليميني لانه كان يحبذ (طرد) الشبان الاشتراكيين المتطرفين من الحزب .

الجاسوسية ذات المستوى الرفيع :

حين قررت المخابرات الالمانية الشرقية (زرع) عميل لها فيمكاتب الحكومة الالمانية الغربية لم تتصور أن عميلها غونتر سيصل الى هذه الدرجة (ساعد شخصي للمستشار برانت) .

استدعي غونتر في ٢٠ نيسان عام ١٩٥٦ الى مكتب رئيس المخابرات الالمانيه الشرقية لامر هام ، وهناك أفهم بضرورة اتباعه دورة تجسس مؤقتة لمدة شهرين، درب فيها على بعض أمور التجسس ، وكيفية الاتصال بالعملاء، وارسال المعلومات وبعد انتهاء فترة التدريب قطع علاقته مع دار النشر الحكومية ، ثم قام بتمثيلية هروبه الى المانيا الغربية (١٩٥٦) .

نجاحه في بون :

بعد أن استقر له المقام في ألمانيا الغربية ، لحقت به زوجته وولده ، وأخذ ينتقل في مختلف المناصب الحزبية الرفيعة حتى عين مساعدا موثوقا للمستشار برانت (بمهمة ضابط اتصال بين مكتب رئيس الوزراء وحزبه الاشتراكي الديمقراطي) . وكان يظهر من دماثة الاخلاق وأسلوب عمل رائع ومنظم يوحي بأنه شخص أمين يمكن الاعتماد عليه شهد بذلك وزير الدفاع الالماني الغربي).

وكان يتصل بالمخابرات الالمانية الشرقية بشتى الطرق ، ويزودها بجميع ما يقع تحت يده من المعلومات الهامة (من ذلك أن بعض المفاوضات جرت بين المسؤولين فيالبلدين فوجد الغربيون أن جيرانهم قدهيأوا جوابات مقنعة وجاهزة لبعض الامور التي كانوا يطرحونها على بساط البحث لاول مرة) ولم يستطع أحد من المسؤولين أن يعرف أن المخابرات الالمانية الشرقية قد اخترقت مكتب مستشار ألمانيا الغربية بالذات وزرعت له جاسوسا من أقرب المخلصين له •

مكافاة غونتر :

على أثر النجاح الباهر الذي حققه غونتر في وصوله الى مكتب المستشار ورتبة / مساعد / له تعادل مرتبة أمين عام وزارة • فقد جرى منحه رتبة (مقدم) في الجيش الشعبي الالماني ، كما صدر أمرا وزاريا بتعيينه (وهو في ألمانيا الغربية) موظفا في وزارة الامن في ألمانيا الشرقية وصدر له راتب ضخم يجمع لحين الضرورة •

اخطاء غونتر :

كان المركز الممتاز الذي وصل اليه غونتر يسمح له بالتنقل بحرية تامة بين دول أوروبا لاسباب تتعلق بعمله أو حينما يرغب في تمضية بعض العطل بمناسبة الاعياد •

توجه في عيد ميلاد عام ١٩٧٢ الى باريس لقضاء فترة راحة ، وحضور احتفالات الميلاد هناك • وكانت المخابرات الافرنسية له بالمرصاد حيثوضع تحت المراقبة الدقيقة منذ نزوله من الطائرة الى حين عودته وقد دهش المراقبون عندما وجدوه يخرج من أحد ملاهي الشانزليزيه ، ويركب تكسيا أوصله الى مقر البعثة العسكرية الـ [illegible] العسكري السوفييتي) ومركز المخابرات السوفييتية في باريس [illegible] بروفيجونيف ميروكين[1] ثم رجع الى

---

(١) بروفيجونيف ميروكين ـ من البعثة العسكرية السوفياتية في باريس وطرد منها في الشهر السادس من عام ١٩٧٣ بعد أن حاول الحصول على آلة دقيقة من معرض الطائرات في مطار لوبورجيه (موضوع تجسس) •

فندقه وشوهد في مطار أورلي بعد ذلك (صالون الانتظار) ثم استقبل سيدة جميلة صحبها الى فندقه ، تبين فيما بعد للمخابرات الافرنسية أنها : ماري لويزم ٢٨ سنة ـ سكرتيرة ايفون باهر وزير المستشارية ، والمكلف بالمفاوضات مع ألمانيا الشرقية وغيرها من دول حلف وارسو • واتضح من المراقبة أنها عشيقته ، ولحقت به الى باريس استنادا الى موعد سابق بينهما ، ولا يستبعد اختيارها بالذات /عشيقة/ له نظرا لمركزها الدقيق وما تطلع عليه من المعلومات التي لاتبخل لها على العشيق غوتتر (وهكذا الجاسوسية) •

ترك غوتتر يعود من باريس بدون اتخاذ أي اجراء بحقه نظرا لصفته (الدبلوماسية) ثم أعلمت السلطات الالمانية الغربية نتيجة المراقبة الروتينية التي أجرتها في باريس المخابرات الافرنسية لأخذ العلم ، واتخاذ الاجراءات اللازمة حسب ما جاء في كتاب الاعلام الذي لم يصل قط الى أي مسؤول في المخابرات الالمانية (ألقي القبض على أربعة أشخاص يتعاونون مع غوتتر في التجسس ومنهم سارق تقرير المخابرات الافرنسية) • وبسبب اختفاء هذا التقرير أتيح لغوتتر أن يستمر في مركزه وتجسسه منذ كانون الاول ١٩٧٢ الى ٢٤/٤/١٩٧٤ •

نهاية غونتر كنهاية جميع الجواسيس :

في أوائل عام ١٩٧٤ قامت وحدة مكافحة التجسس في المكتب الاتحادي للمباحث الجنائية ومنظمة الامن (مكتب حماية الدستور) وهو نفسه مكتب المخابرات الالمانية الغربية بمراجعة عامة وتحقيق رسمي مفصل عن جميع العاملين في جهاز الحكومة ومنهم غوتتر غليوم ـ بسبب استفحال الاعمال الجاسوسية في المانيا الغربية(١) وقد ضيق التحقيق على غوتتر ووضع تحت مراقبة شديدة ، وهو لا يشعر بل استمر في لقائه مع مندوبي المخابرات الالمانية الشرقية كعادته ، وتزويدهم بما يجد لديه من التقارير ، فوضعت تحت متناول يده معلومات

---

(١) المانيا الغربية ساحة طيبة ينعم فيها الجواسيس بصيد وفير (تجسس) ويقدر عدد الجواسيس فيها بـ ١٥ الف جاسوس يعتقل منهم سنويا حوالي /١٠٠٠/ جاسوس لا يبقى منهم في السجن سوى حوالي /١٠٠/ والباقي يجري تبادلهم مع جواسيس معتقلين في بلادهم •

جديدة (مزيفة بمعرفة المخابرات الالمانية الغربية) ، سرعان ما ظهرت نتائجها بعد أيام في ألمانيا الشرقية وهكذا أعلم النائب العام في مدينة كارلسروه . ووضعت بين يديه جميع الادلة الدامغة،فأمر باعتقال غونترزوجته وجميع من ثبت التحقيق اشتراكهمعه بالتجسس(تبين أنهم أربعة أشخاص)فاعتقل من منزلهفي بادغودسبرغ مع زوجته ، ووضعا في سجن الانفراد وحضر النائب العام شخصيا بعد ساعة من اعتقاله ، وأجرى معه تحقيقا اعترف فيه بتجسسه ، وأنه ضابط في الجيش الشعبي الاهلي في ألمانيا الشرقية ، وأنه موظف أيضا في وزارة الامن هناك . فطبعت هذه الاعترافات حالا وقدمت الى مستشار ألمانيا الغربية فيلي برانت شخصيا الذي أصيب بالذهول لهذه المفاجأة الغير متوقعة .

بعض نتائج تجسس غونتر :

أدت قضية القاء القبض على الجاسوس غونتر غيوم الى هزة سياسية في ألمانيا الغربية بأسرها ، حيث استغلت المعارضة هذه الحادثة ، وطلبت تبيان نوع المعلومات التي سربها غونتر الى الشيوعيين نتيجة اطلاعه عليها بحكم مركز عمله، أجابت الحكومة بأنها معلومات ليست بذات قيمة (كما يذاع دائما في مثل هذه الحالات) . ولكن المعارضة أكدت أنها معلومات على غاية من الاهمية والسرية، وان جواب الحكومة لا يقنع أحدا . عند ذلك اضطر فيلي برانت الى تقديم استقالته الى رئيس الدولة الالمانية مؤكدا أن هذه الاستقالة لا رجوع عنها ، وتوجه الى منزله للراحة ، بعد أن تحمل مسؤولية الاهمال السياسي فيما يتعلق بغونتر مع العرض بأن فيلي برانت هو صانع سياسة التقرب من ألمانيا الشرقية ، وأنه أحس أنه طعن في نواياه الطيبة (لأنه حائز على جائزة نوبل للسلام نتيجة سياسته هذه) ..

بريجنيف يعتذر عن تجسس غونتر غيوم :

خلال استقبال بريجنيف في الكرملين للمستر فيلي برانت مستشار ألمانيا الغربية السابق بتاريخ الثالث من تموز ١٩٧٥ ، أبلغه أسفه الشديد بخصوص



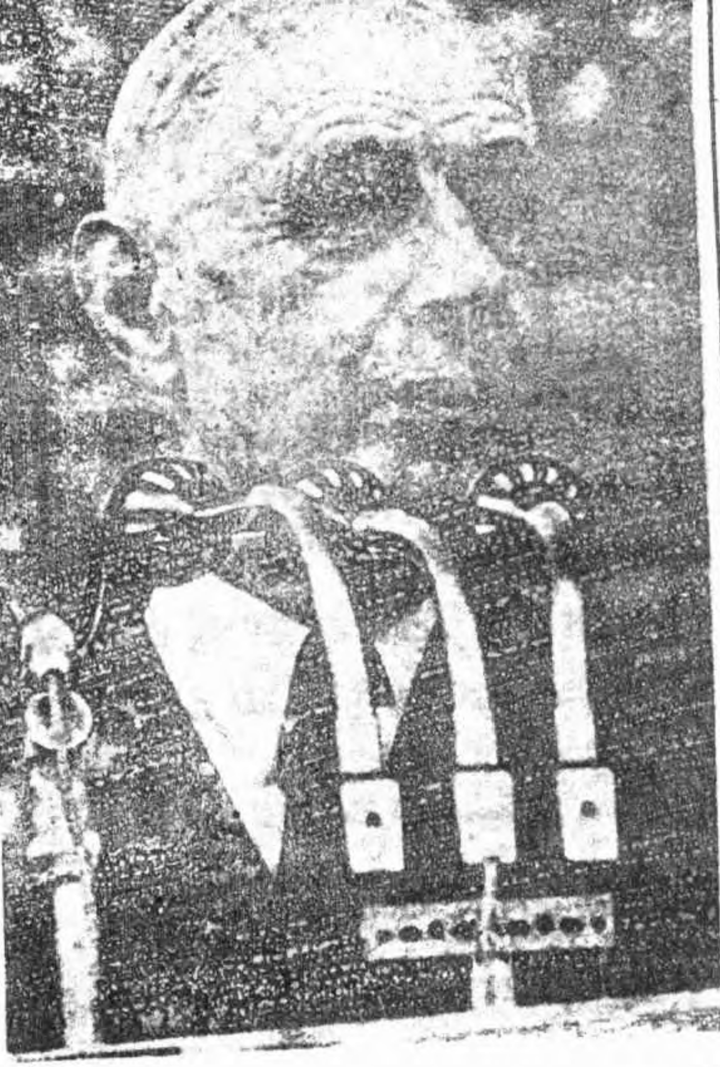
برانت وزوجته وبينهما

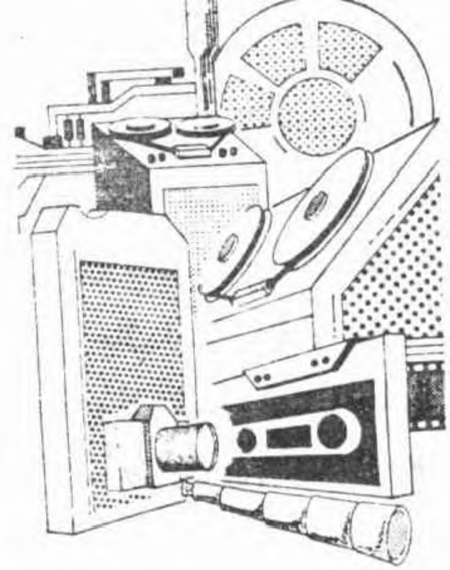
الجاسوس الذي وصل

الى أعلى المراتب الادارية

الجاسوس غونتر غيوم (مساعد فيلي برانت السابق) ، وأكد بريجينيف ، بأنه لا علم له في موضوع التجسس مطلقا لأن غونتر كان يتجسس لالمانيا الشرقية كما هو معلوم وليس للكرملين .

وهذه أول مرة يتعرض شخص مسؤول مثل بريجينيف لموضوع تجسسي، ويعتذر علنا بسبب فداحة الاذى الذي ألحقه الجاسوس بشخصية فيلي برانت ، مما اضطره الى الاستقالة كما هو معروف . رغم أن المحكمة العليا في دوسلدرف أصدرت في حثيثيات حكمها نصا صريحا (يبرىء) فيلي برانت من أي تدخل أو علم في موضوع تجسس غيوم في حينه .





المخابرات الفرنسيّة

المخابرات الفرنسية منذ تاسيسها

لعل المخابرات الفرنسية هي المخابرات الوحيدة التي تكاد تكون من نوعية خاصة بين مخابرات العالم ، لانها منذ تأسيسها تقوم على عمل (اللامعقول) من أجل بقائها ضمن اطار اختصاصها ومهمتها الاساسية • رغم أن غيرها من مخابرات العالم جرّت بعض الحكام الى فضائح وفوضى نتيجة تجاوزاتها ، حتى كادت بعض هذه التجاوزات أن تؤدي الى صدام دولي • ولكن المخابرات الفرنسية بقيت محافظة على مكانتها بالنسبة للدولة • ولكن بعد الحرب العالمية الثانية بدأت تظهر في الأفق علامات استفهام حولها : هل المخابرات الافرنسية مع الحكومة القائمة في فرنسا أم ضدها ؟ هل هي مع فرنسا أم مع أعدائها ؟ وهكذا •

وهكذا وصلت الحال بالمخابرات الفرنسية في فترة مابعد انتهاء الحرب العالمية الثانية الا أنها كانت شكلا من أشكال (الشرطة السرية الداخلية) • ولم تكن في خدمة الدولة ككل بل كانت في خدمة الاحزاب السياسية المتنافسة ، وحتى

في خدمة (المرشحين للنيابة) ، وفي خدمة أوكـار القمار والعصابات ، ولكن الفرنسيين (كشعب) (وكرأي عام) كانوا بالمرصاد لمخابراتهم ، وأظهروا أنهم لا يطيقون تجاوزات مخابراتهم للقانون والتصرف اللامعقول ، فاشتكوا عن طريق نوابهم في المجلس الوطني (النيابي) • ولكن رجال المخابرات دافعوا عن أنفسهم (بأن أي تجاوز ارتكب كان للمصلحة العامة ، وأن طبيعة مهنة المخابرات تجيز بعض التجاوز ٠٠) • ولكن معارضي المخابرات أصروا على أن مثل هذه التجاوزات لم تعد مقبولة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ولم تعد جائزة لا قانونيا ولا أدبيا • فانتصروا في النهاية وجرت بعض التنقلات الهامة في حينه في المخابرات فقضي على الشكوى •

مؤسس المخابرات الفرنسية :

يعتبر جوزف فوشيه ــ وزير الشرطة في عهد نابليون بونابرت عام ١٨١٥ هو مؤسس (المخابرات الفرنسية) ، لأنه أول رئيس للمخابرات لدى الامبراطور (نابليون) •

كان جوزف فوشيه في الاصل (كاهنا) ، لكنه انضم الى الثورة بأقنعة متعددة ، بحيث ينسجم مع الظروف • وفي عام ١٧٩٥ دخل في خدمة الجنرال (باراس) ، وأقنعه بأنه (ذو نفع كبير) لكل شيء ، ولا سيما التجسس على أي كان ، وبث البغضاء بين الحكومة والشعب• فأخذ يتجول في الازقة متنكرا منصتا الى الاحاديث،ويجلس في المقاهي يستمع الى الاقاويل والاشاعات من فم أصحابها• ثم يعود الى (باراس) حاملا ما حصل عليه من الأكاذيب والحقائق • ومع ثقة باراس وتطور العمل اتبع فوشيه نظام (المخبرين) ، فعين منهم العشرات وأخذ يدربهم بفن وذكاء حتى وصل الى ما وصل اليه فيما بعد أيام نابليون ، حيث أخذ ينقل اليه شخصيا ما يجمعه من (مخبريه) ، لأنه يعلم أن الامبراطور كان شديد الحذر والخوف على نفسه ، وبالتالي مستعد لمعرفة جميع ما يجري في فرنسا ضده •

وصل فوشيه الى مرتبة كبيرة في الغنى بسبب أعمال الاستغلال والضغط

والتهديد التي مارسها (مستغلا مركزه) • ومع جميع الاحتياطات التي اتخذها فان ذلك لم يمنع (المخابرات البريطانية) من التغلغل في دوائره من مخابرات وشرطة • فقد توصل الانكليز الى زرع (عميلين) ومن الافرنسيين في أهم الدوائر الرسمية ، وتمكنوا بذلك من الحصول أولا بأول على جميع التعليمات التي يصدرها نابليون بالذات • لكن هذين العميلين لم يتوصلا الى درجةالخدمات التي قدمها (فوشيه) نفسه لأعداء نابليون ، فقد أصبح بعد غناه أسير (المادة) فأغدقت عليه المخابرات العسكرية البروسية الاموال الطائلة حتى قدم الخدمة الجليلة للفلدمارشال (غيبهارت بلوشر) البروسي ، بحيث مكنه من تحطيم سيده (نابليون) • ولكن موضوع (ولاء) فوشيه أو خيانته للامبراطور (وهو رئيس مخابراته) بقي حديث رجال الدولة في أوربا سنين طويلة •

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية واستتباب الامن في فرنسا صدر مرسوم جمهوري في ١٨ كانون الاول ١٩٥٠ بتعيين (بيار بورسيكو) وهو مدير للامن العام سابقا وذو ميول اشتراكية رئيسا للمخابرات الفرنسية وأنهيت خدماته في عام ١٩٥٧ ، وعين مكانه الجنرال غروسان • وقد حافظ على بقاء مديريته خارج الصراعات السياسية ولكن السياسيين زجوا برجاله في الحرب الجزائرية • فكانت المخابرات الفرنسية تقوم (بمراقبة ومباغتة) أعضاء جبهة التحرير الوطنية الجزائرية •

في عام ١٩٦١ عين الجنرال (جاكييه) لرئاسة المخابرات بدلا من غروسان ، فاتبع ولأول مرة نظاما قاسيا جدا في المخابرات • وفي عهده (٥ تموز ١٩٦٢) حصلت الجزائر على استقلالها ، رغم أن منظمة الجيش السري وضعت بين أهدافها تصفية بعض الفرنسيين ، وعلى رأسهم جاكييه لأن المنظمة تعارض منح الجزائر استقلالها •

ومع الهدوء النسبي الذي ساد المخابرات الفرنسية عقب استقلال الجزائر وعدم وجود مهمات لرجال المخابرات الفرنسيين فقد انصرفوا الى حماية بيوت الدعارة والحانات مستغلين مراكزهم ، ويقبضون مقابل ذلك الاموال الطائلة ،

بحيث اذا أوقف (شخص ما) بسبب حيازته سلاحا بدون رخصة كان يجري اخلاء سبيله لمجرد وصول مكالمة هاتفية من (أحدهم) أي المخابرات يقول : ان الموقوف كان يقوم بمهمة وطنية •

كانت هذه التصرفات تصل تباعا الى مجلس الوزراء فقرر في شهر حزيران من عام ١٩٦٥ وضع المخابرات الفرنسية تحت اشراف وزارة الدفاع • وهكذا أصبحت المخابرات الفرنسية تنجز أعمالها بشكل جيد ، وأخذت وزارة الدفاع تقوم بعملية تجديد بين موظفي المخابرات الذين يبلغ عددهم/٢٠٠٠/ موظف منهم حوالي /٨٠٠/ عسكري • وأخذت هذه المخابرات تزود وزارات الدولة بالمعلومات السياسية ذات العلاقة بتطور الانظمة الحاكمة في الدول الشيوعية (والعربية) والافريقية • ثم تركت هذه المعلومات (للبعثات الدبلوماسيه) •

اهتم الجنرال الراحل ديغول شخصيا بالمخابرات وأوعز بوضع المخابرات مجددا تحت اشراف وزارة الداخلية بتاريخ ٢٠ أيار ١٩٦٩ • أما الملحقون العسكريون في السفارات الفرنسية في الخارج فوضعوا تحت تصرف رئيس الحكومة بالذات • لأن عمل الملحق العسكري هو (صوريا) تحت اشراف السفير ، ولكن هنالك حالات خاصة لا تمر فيها تقارير هذا الملحق على السفير ، بل تذهب رأسا الى مكتب خاص في مجلس الوزراء •

المخابرات الفرنسية الآن :

المخابرات الفرنسية الآن تدعى (مديرية الوثائق الخارجية ومكافحة الجاسوسية) • تضم (رسميا) ٢٥٠٠ موظف و (تقديريا) ٦٠٠٠ ما بين عملاء في مختلف الاقطار التي لفرنسا مصالح فيها ومخبرين محليين • ويرأسها (الكولونيل) الكسندر دومارانش وهو من مواليد ١٩٢١ – والده (جنرال سابق في الجيش الافرنسي) ، والدته (أميركية) ، متزوج من (مطلقة اسكوتلندية) وله منها ولدان •

عمل الكولونيل دومارانش أثناء الحرب العالمية الثانية الى جانب الماريشال

(الفونس جوان) معاونا له ثم عمل (مترجما) بين القادة الفرنسيين والبريطانيين والاميركيين بسبب اجادته اللغة الانكليزية من والدته الاميركية. وفيما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عمل في المصالح العسكرية الادارية . وكان يعيش في قصر صغير في الريف الافرنسي متنقلا بين أملاكه وممارسة الحياة الاجتماعية على المستوى الرفيع وفي النوادي الباهظة التكاليف ، حتى استدعي الى قصر الاليزيه في تشرين الاول عام ١٩٧٠ ، وبلغ تعيينه (رئيسا للمخابرات) وهو أصغر ضابط يحمل رتبة (كولونيل).ومنذ أن استلم مهام منصبه الجديد أخذ الهمس في دوائر المخابرات يردد سؤالين :

١ ــ كيفية وصوله الى هذه الرتبة بالرغم من صغر سنه .. ؟

٢ ــ كيف يسمح له وقد أصبح رئيسا للمخابرات (بالزواج من أجنبية)، بينما نفس (المخابرات) تمنع زواج حتى الافراد من (أجنبية) ..؟

والظاهر أن الاجابة عن هذين السؤالين لم (تثر) المسؤولين لا سلبا ولا ايجابا لأن الاقتناع (الرسمي) لدى رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة هو أن (دومارانش) كان ولا يزال فوق الشبهات بالنسبة لنظرته في الولاء الوطني للدولة الفرنسية .

وهكذا تخطى هذا الكولونيل أول عراقيل التشكيك ، وسار بالمخابرات الافرنسية قدما الى الامام ، وهو الذي جعل المخابرات تقلع عن مبدأ حفظ الملفات عن المؤسسات والاشخاص (الارشيف) . فاستعان بالدماغ الالكتروني ماركة (يونيفاك رقم ٩٤٠٠) ، وقسم ميزانية مديريته الى ٢٥ مليون فرنك للعمل الاداري و ١٧ مليون فرنك للتجهيز وشراء أحدث معدات التجسس وكشف التجسس المعادي وأبقى لمديريته ميزانية محترمة ، تقطع من ميزانية مجلس الوزراء وتبلغ /٨٠/ مليون فرنك[1] . واتجه بالمخابرات الى التخفيف من العمل

(١) حوالي ٤٠ مليون ليرة لبنانية هي الميزانية السنوية للمخابرات الفرنسية وهو مبلغ متواضع جدا بالنسبة لدولة كبرى لفرنسا .

الروتيني ، وزاد الاختصاصيين فيها بالقانون والادارة والتخريب ومكافحة التخريب ومكافحة التجسس والارسال والالتقاط اللاسلكي والتحقيق مع المعتقلين (الاستنطاق) • وفي كل ما تتطلبه ظروف المهنة[٢] • كذلك لجأ الى التخفيف من الاستعانة بالعسكريين ، وقوى الاعتماد على المدنيين أصحاب الاختصاص وركز الاهتمام على الحصول على المعلومات العسكرية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية بدرجات متساوية ، لأنها تؤلف مجتمعة العناصر الضرورية للمعلومات التي تريدها الدولة •

أما الفضائح ، المشاكل ، التدخلات في السياسة ، التشابك في الصلاحيات، فإن كل هذه الامور اختفت في عهده • وقد يكون مرده أن الرجل الجديد لم ينقض زمن طويل على ممارسته ادارة المخابرات ومع ذلك من الواضح أن اجتناب الفضائح في عهده هو (نجاح) ، حتى يعود لفرنسا ذلك الدور العالمي الذي تستطيع مخابراتها أن تمارس نشاطها في ضوئه • وقد شعر الافرنسيون تلقائيا بما قدمه لهم دومارانش بتنظيمه للمخابرات ، فأخذوا يقدمون له الاحترام أينما ظهر •

المخابرات الفرنسية تشترك في اغتيال الشهيد المناضل المهدي بن بركة :

يذكر القارىء من سماع الاخبار وقراءة الصحف عام ١٩٦٥ نبأ اختطاف وتصفية المناضل المغربي الشهيد المهدي بن بركة في باريس وما جرى بعد ذلك من محاكمات صورية • وفي هذا الكتاب الوثائقي عن المخابرات وتحريكها للعالم أحببنا أن نقدم مقتطفات رسمية عن جريمة الاغتيال السياسي هذه ، بسبب اشتراك بعض عناصر المخابرات الفرنسية ورجال الامن في هذه الجريمة البشعة مقابل ملايين الفرنكات التي دفعت لهم •

---

(١) كان يتخرج من مدرسة المخابرات الفرنسية الواقعة في احدى ضواحي باريس دفعات متتالية من الاختصاصيين •

الشهيد المناضل المهدي بن بركة في سطور :

ولد بالرباط سنة ١٩٢٠ .

التحق وهو طفل بالكتاتيب القرآنية ، ومن ثم ألحق في مدرسة العلوم حيث حصل على الشهادة الابتدائية ، وأتم دراسته الثانوية بليسي كورو بالرباط أيضا . وكان طوال فترته الدراسية هذه من أنبغ الطلاب في جميع المواد الدراسية وخاصة مادة الرياضيات .

ـ التحق بجامعة الجزائر حيث أتم دراسته الجامعية وكانت الجامعة الجزائرية فرعا لجامعة باريس .

ـ وفي سنة ١٩٤٣ أصبح أستاذا لمادة الرياضيات في ليسي كورو أي نفس الثانوية التي درس فيها المرحلة الثانوية .

ـ وعلى أثر حوادث المطالبة بالاستقلال سنة ١٩٤٤ اعتقل الشهيد المهدي ابن بركة لاول مرة من طرف السلطات الفرنسية .

ـ ويرجع نشاط المهدي بن بركة في الحياة السياسية حينما انضم الى العمال الوطنيين سنة ١٩٤٣ .

ـ وشارك في تأسيس جمعية الرباط الوطنية الثقافية والتي منعتها السلطات الفرنسية سنة ١٩٤٤ .

ـ لقد كان المهدي بن بركة على رأس من حرروا وثيقة ١١ يناير ١٩٤٤ والتي تطالب باستقلال المغرب .

ـ بعد خروج المهدي من السجن تحمل مسؤولية الكتابة الادارية للجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، ومن ثم عضوا في اللجنة التنفيذية . وفي ٢٨ فبراير ١٩٢١ اعتقل الشهيد المهدي مرة أخرى ، ونفي الى الجنوب المغربي حيث بقي منفيا الى اكتوبر ١٩٥٤ .

ـ بعد اطلاق سراحه لعب المهدي دورا بارزا في نشاط الطبقة العاملة بالمغرب . وهذا الدور الذي أسفر عن تأسيس المنظمة العمالية المغربية الاتحاد المغربي للشغل في ٢٠ غشت (آب) ١٩٥٥ .

ـ وفي غشت[1] ١٩٥٥ ، وأثناء مفاوضات ايكس ليبان التي نظمتها حكومة ادغار فور هذه المفاوضات التي أسفرت عن استقلال المغرب شارك المهدي بن بركة في الوفد الذي شكله حزب الاستقلال لهذه المفاوضات بالاضافة الى عبد الرحيم بوعيد ، ومحمد البزيدي وعمر بن عبد الجليل ومحمد بوسته •

ـ وفي نوفمبر ١٩٥٦ انتخب الشهيد المهدي رئيسا للمجلس الوطني الاستشاري ، وظل رئيسا له حتى حل المجلس سنة ١٩٥٩ •

ـ وفي سنة ١٩٥٦ تولى الشهيد المهدي الاشراف على مجلة « الاستقلال » الاسبوعية ، والتي تصدر باللغة الفرنسية حيث عرفت هذه المجلة أنها الصوت الثوري للجناح التقدمي داخل حزب الاستقلال •

ـ وفي سنة ١٩٥٦ أشرف المهدي على بناء طريق « الوحدة » والذي يربط شطري المغرب ويجسد وحدته • ولقد شارك آلاف من الشباب المغربي في انجاز هذا المشروع •

ـ وفي سنة ١٩٥٨ بعث المهدي بن بركة الى المؤتمر الافريقي الاسيوي بالرغم من معارضة قيادة حزب الاستقلال ، برقية عبرت عن الاختيارات التقدمية التي يطمح اليها الجناح اليساري داخل الحزب •

ـ وفي ٢٥ يناير استطاع الجناح اليساري بمشاركة المهدي بن بركة الفعالة تأسيس الجامعات المتحدة لحزب الاستقلال ، والذي أصبح فيما بعد الاتحاد الوطني للقوات الشعبية •

بعد المؤامرة الاولى ضد الاتحاد والمقاومة وجيش تحرير واعتقال المناضل محمد البصري وعبد الرحمن اليوسفي ، اضطر الشهيد المهدي للبقاء خارج المغرب ، وأصبح الناطق الرسمي للحزب في المحافل الدولية ، وأخذ يوثق الصلات بين الحزب والحركات الثورية في العالم •

ـ في خريف ١٩٦٣ حكم عليه بالاعدام من قبل السلطات المغربية •

ـ ١٤ مارس ١٩٦٤ حكم عليه مرة ثانية بالاعدام مما اضطره للبقاء خارج وطنه ، حتى خطف واغتيل في أحد شوارع باريس بتاريخ ٢٩ أكتوبر ١٩٦٥ •

---

(١) شهر غشت في بلاد المغرب هو شهر آب (اغسطس) •

وفيما يلي نقدم هذا الشرح المأخوذ من السجلات الرسمية الفرنسيه عن أدوار المتهمين المغاربة أولا ثم المتهمين من الفرنسيين • وبذلك يصبح لدى القارىء قناعة واطلاع على كيفية تنفيذ خطة الخطف ومن ثم التصفية (القتل) بمباركة السلطات المغربية وأولهم :

١ ـ الجنرال محمد اوفقير :

ضابط سابق في الجيش الفرنسي ومسؤول في أجهزة الدولة المغربيـة ، قتل في القصر الملكي يوم ١٦ آب ١٩٧٢ اثر فشل عملية الانقلاب •

٢ ـ أحمد الديلمي :

كولونيل في الجيش المغربي،متهم رئيسي في قضية اختطاف واغتيال الشهيد المهدي بن بركة التحق بسلك الشرطة المغربية في آب ١٩٥٥ بعد أن تخرج من مدرسة جنود المظلات •

وقد كلف الديلمي بأن يكون المسؤول عن تنظيم التعاون مع المجموعـة الاميركية من أجل انشاء جهاز خاص للاجانب • ويقوم هذا الجهاز بتدريب الكوادر اللازمة لعمليات التسلل الى السفارة الاميركية بالرباط ، ومعرفـة التنظيمات النقابية والسياسية والدبلوماسية في الشرق العربي •

وعلاقة الديلمي بالمخابرات الاميركية تبدأ بعلاقته الشخصية مع المستر « بدوني » الذي كان يعمل لصالح المخابرات الاميركية في المغرب ، ويتكلـم اللغة العربية واللهجة المغربية الدارجة ، ويعرف المغرب شبرا شبرا • وكان يتلقى تعليماته من المستر (هار) الذي يعمل بالسفارة الاميركية بالرباط ، وعرف عنه أنه حلقة وصل بين فرع الوكالة في المغرب والمركز الرئيسي لها ا/س٠ب٠أ في الولايات المتحدة •

وقد زود أحمد الديلمي من المخابرات الاميركية باشهر خبير أميركي في

التسجيلات السرية وأدوات الجاسوسية هو المستر (وينس) • وفي مجال تخطيطاته لعملية اختطاف الشهيد المهدي قدم الى باريس قبل ثمانية أشهر برفقة المدعو الشتوكي لتحضير عملية الاختطاف واجتمع الى بعض أصدقائه الفرنسيين حيث نزل في فندق الاليزيه غرفة رقم ٥٥ ، واتصل بالمتهم « لومارشان »بباريس•

ووصل أحمد الدليمي الى باريس يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٦٥ حيث استقبله في المطار المتهم انطوان لوبيز في مطار أورلي . واستأجر له سيارة يقودها سائق جزائري أوصلته الى ــ فيلا ــ يحتجز فيها المهدي بن بركة •

ــ غادر باريس بعد تصفية الشهيد •

وقبل صدور الاحكام على المتهمين في قضية الاختطاف من طرف المحكمة الفرنسية عاد أحمد الدليمي الى باريس ليسلم نفسه الى القضاء الفرنسي لارجاء صدور الاحكام من جهة ، وتمييع المحاكمة بعد أن رتبت مسرحية تسليم نفسه الى القضاء ــ في الخفاء ــ بين الجهات العليا المغربية والفرنسية •

وأثناء المحاكمة قال الدليمي ان المبلغ الذي قال الغالي الماحي انه أعطاه له لتهريب السيد ياليس كذب . ولكنه قال ان المبلغ عبارة عن تسديد ايجار شقة يملكها الغالي الماحي في المغرب •

وكان الدليمي قد فقد أعصابه . وبدأ يصرخ أمام رئيس المحكمة السيد ــ جان بيريز ــ حين وجه هذا الاخير سؤالا الى المتهم انطوان لوبيز بصدد المكالمة الهاتفية من أحد شوارع باريس يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٦٥ مع مدير الشرطة المغربية وقال له : لقد وصل ضيفكم (يعني الشهيد) ••

وقد أجاب القاضي على صراخ الدليمي (اخرس) • وأحمد الدليمي مشهور بجرائمه ، فقد كان من العناصر النشيطة في تصفية جيش التحرير المغربي الذي كان يخوض الكفاح ضد الاستعمار الاسباني في الصحراء المغربية المحتلة •

كما قام بتعذيب المناضلين الاتحاديين شخصيا ، وعلى رأسهم الشهيد عمر دهكون سنة ١٩٧٣ •

٣ ـ الغالي الماحي :

ينتحل صفة طالب مغربي في باريس مسجل في فرع التجارة بالجامعة الفرنسية ، وقد اتضح دوره كأحد رجال المخابرات المغربية في باريس وذلك لدوره في جريمة اختطاف بن بركة وهو دور الوسيط بين المتهم الكولونيل ــ أحمد الدليمي ــ والمتهم أنطوان لوبيز .

وقد اعتقل بعد اختطاف المهدي بن بركة من قبل البوليس الفرنسي . وفي أثناء المحاكمة قال : ان الكولونيل أحمد الدليمي حول له عشرة آلاف فرنك فرنسي جديد لتسليمها الى رجل العصابات : « ياليس » لمساعدة هذا الاخير على الهروب من فرنسا .

ويقول المتهم الماحي انه تعرف على المتهم المدعو العربي الشتوكي في الرباط حيث كان هذا الاخير يشغل مركزا مهما في الاستخبارات المغربية .

٤ ـ التهامي الازموري :

مغربي الجنسية من مواليد ١٩٣٧ طالب مغربي في فرنسا .

كان يقيم في شارع بيير لوي رقم ٥ باريس متزوج من سيدة نرويجية . وقد كان السيد الازموري يحضر الدراسات العليا في مادة التاريخ في جامعة السربون .

ويعتبر الازموري الشاهد الرئيسي في عملية الاختطاف ، حيث انه كان يرافق بن بركة في شارع الشانز ليزيه عندما أبعده المختطفون عن المهدي بن بركة ، وقادوه في سيارة سوداء من نوع بيجو ــ ٤٠٤ ــ وزوجة التهامي الازموري هي التي أبلغت أصدقاء الشهيد بن بركة من مغاربة وفرنسيين بحادثة الاختطاف حيث أبلغوا المسؤولين في الامن والخارجية الفرنسية بالحادث .

* * *

٥ ـ السيد الحسيني :

عميل الاستخبارات المغربية ، ومساعد الكولونيل الدليمي مدير الامن المغربي وممرض مكلف بالتخدير في الفرق الخاصة التابعة للشرطة المغربية .

والحسيني متهم في قضية اختطاف الشهيد المهدي بن بركة ويقول عنه المتهم الرئيسي انطوان لوبيز ان المتهم الحسيني كان حاضرا حفلة الغداء التي شارك فيها لوبيز ــ وذيباي ــ وليني ــ وباليس ــ يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٦٥ في المكان المعروف ــ باري فياي بوسف . وقد رافقه الدليمي منذ وصوله من جنيف الى فيلا فوتتاي لي فيكونت سجل اسمه أي المتهم ــ الحسيني ــ في فندق هيلتون باورلي تحت اسم الحسيني بوهيب المولود يوم ٢٨ آب ١٩٣٨ ومهنته موظف رفقة الشرطي المغربي عشاشي عبد الحق ليلة ٢ ــ ٣ نوفمبر ١٩٦٥ كما نزل المتهم الحسيني رفقة عشاشي عبد الحق في فندق الاليزيه ستار ليلة ٣ ــ ٤ ــ ١٩٦٥ شارع ليو ٦٣ .

٦ ــ العربي الشتوكي

مسؤول كبير في الاستخبارات المغربية ، ويقال انه (عباس) الذي لم يظهر دوره واسمه في التحقيقات .

اتهمه أنطوان لوبيز بقوله أمام المحكمة انه هو الذي لعب دورا رئيسيا في اعداد خطة الخطف والاغتيال مع الكولونيل أحمد الدليمي .

قدم الى باريس قبل ثمانية أشهر من تنفيذ خطة الاغتيال صحبة الكولونيل أحمد الدليمي ، ولم يسجل اسمه في أي مكان ، ولكن اسمه في سجل فندق الاليزيه ١٠٠ شارع « لابوتي » منذ تاريخ ٣ الى ٧ نوفمبر سنة ١٩٦٥ .

سافر الى القاهرة في ١٢ سبتمبر ١٩٦٥ حيث التقى مع جورج فيغون المتهم في القضية ، والمتهم الصحفي برنييه الذي اعترض على وجود الشتوكي ، حينما رآه في القاهرة وذهب الى جنيف يوم ١٩ سبتمبر تحت اسم الشتوكي أيضا .

وفي يوم ٣٠ إكتوبر في الساعة التاسعة وستة وثلاثين دقيقة غادر باريس

متوجها الى المغرب تحت اسم الشتوكي عمر ، بتذكرة صادرة عن الرباط بتاريخ ٢٢ أكتوبر ١٩٦٥ .

أثناء مقابلة بين المتهمين : لوروا ، ولوبيز يوم ١٤ مارس ١٩٦٥ أكد أنه سرق حقيبة الشتوكي قبل سفره الى القاهرة ، وصور ما بداخلها ولم يستنكر ـ لوروا ـ هذا التصرف .

كما أن المتهم ـ الشتوكي ـ كان برفقة المتهم الغالي الماحي الذي يعرفه جيدا في مطار أورلي يوم ٣٠ أكتوبر١٩٦٥بعد عملية الاختطاف لاستقبال الجنرال أوفقير ويقول الماحي انه تعرف على الشتوكي في الرباط ، حيث كان الشتوكي يشغل مركزا مهما في المخابرات المغربية .

٧ ـ السوطي العربي :

عامل اقليم وجدة نزل أسطور ١١ شارع استورك من ١٤ الى ٢٦ اكتوبر ١٩٦٥ ومن ٣١ أكتوبر الى ٥ نوفمبر ، حضر اجتماعا مشبوها في بيت نبيل في ظرف ٤ أيام قبل اختطاف الشهيد المهدي بن بركة .

٨ ـ عشاشي عبد الحق :

شرطي مغربي من مواليد مدينة وجدة بتاريخ ٢٤ مارس ١٩٣٦ . ويسكن سابقا في زنقة مولاي ادريس رقم ١١ .

وصل الى مطار أورلي قادما من الدار البيضاء يوم ٢ نوفمبر ١٩٦٥ .

نزل في ليلة ٣ نوفمبر مع المتهم العميل الحسيني في غرفة ١٤٦ بفندق الهيلتون . وفي ليلة ٣ ـ ٤ نزلا معا في فندق الاليزيه ستار ٦٣ شارع ليلو .

٩ ـ الصقلي سعيد ويعرف كذلك بالصقلي حميد :

من مواليد مدينة فاس سنة ١٩٢٨ ، ويسكن في مدينة طنجة ٣٠ شارع باستور .

متهم في قضية اختطاف الشهيد المهدي بن بركة ومشاركته .

وقد ظهر هذا الاسم في لائحة طيران أورلي ـ الدار البيضاء تحت رقم ٠٠٧ بتاريخ ٣٠ آكتوبر • وظهر كذلك في لائحة احتياط بنفس الشركة تحت رقم٦٢٥ مع أورلي ـ تولوز ـ الدار البيضاء في٣١اكتوبر الى جانب اسم المتهمالكولونيل أحمد الدليمي والمتهم الحسيني والمتهم الشتوكي ، في حين أن المتهم الصقلي سعيد قد وجد في سجل القادمين من الدار البيضاء الى مطار أورلي بتاريخ ٣١ آكتوبر ١٩٦٥ •

تلقى السيد زولينجر قاضي التحقيق في قضية اختطاف الشهيد بن بركة محاضر حول المتهم الصقلي سعيد تتضمن معلومات من الاوساط المغربية على أساس أنه صديق للجنرال محمد أوفقير المكلف بتمويل العملاء الذين باشروا باختطاف المهدي بن بركة •

١٠ ـ ايلي ترجمان : مساعد الجنرال محمد أوفقير وزير الداخلية للعمليات السرية • وهو يهودي مغربي ويحمل الجنسيتين الاسرائيلية والمغربية

صرح للجنرال محمد أوفقير وزير الداخلية المغربية عند بداية التخطيط لعملية الخطف أنه لا يمكن خطف المهدي بن بركة الا اذا استدرج الى باريس أو مدريد ، حيث يكون البوليس فياحدىهذه الدول متواطئاً معنا ، الى أن يقولايلي ترجمان :

ومن المعلوم أن لدينا أصدقاء كثيرين في باريس سواء في أجهزة البوليس أو المخابرات السرية أو داخل الحكومة نفسها • وايلي ترجمان هو الذي فاتح المتهم لومارشان وجورج فيغون وأنطون لوبيز في موضوع الاختطاف •

والصهيوني ايلي ترجمان يعمل حاليا ضمن سكرتارية الحكومة ومكلف بالعلاقات الخارجية مع باقي العملاء للمخابرات الجاسوسية للولايات المتحدة الاميركية والاسرائيلية •

ويدعى هذا المكتب S.R.P. Service charge des Relations poltiques

المشتركون الذين يحملون جنسيات اجنبية :

١ ــ انطوان لوبيز : فرنسي الجنسية مواليد ١٩١٣ ٠

يعتبر انطوان لوبيز المتهم الاول في قضية اختطاف الشهيد بن بركة وانطوان لوبيز عميل للمخابرات الفرنسية يملك مجموعة من البارات والكبريهات في حي « مونمارتر » في باريس ٠

وقد سبق للمتهم أن شغل منصب مدير مطار طنجة المغربي ٠ وهو الذي أعطى الاشارة للمخابرات الفرنسية بالتنسيق مع المخابرات المغربية ــ بحكم هذا المنصب ــ لكي تختطف طائرة الزعماء الجزائريين ٠ وهم في طريقهم الى تونس (أثناء حرب الاستقلال الجزائرية) ٠

وفي سنة ١٩٦١ رقي الى منصب كبير في شركة اير فرانس في مطار أورلي بباريس وبحكم منصبه في المطار أصبح انطوان لوبيز وكيلا للعديد من وزراء المغرب يقدم لهم التسهيلات والخدمات ٠

وأمام المحكمة التي نظرت في قضية الاختطاف قال لوبيز : إنه استقبل يوم السبت ٣٠ اكتوبر ١٩٦٥ الكولونيل الدليمي في مطار أورلي ، وأعطاه سيارة مستأجرة يقودها سائق جزائري ذهبت به الى بيت في فونتاي لي فيكونت ٠

كما استقبل الجنرال محمد أوفقير في المطار في نفس اليوم في الساعة ١٧ والدقيقة ٣٠ مساء وشخص مغربي آخر يحمل حقائب الجنرال ٠ وقاد هو بنفسه السيارة التي أقلته هو والجنرال أوفقير ومعاونه الى بيت المتهم « شوشون » ٠

كما أكد أمام قاضي التحقيق أنه يعتبر نفسه مرؤوسا في هذه القضية لجهات عليا ــ علما أن البوليس الفرنسي استطاع تحديد مكان التلفون الذي استعمله يوم ٢٩ اكتوبر للاتصال بالجنرال أوفقير في المغرب يُعلمه بنجاح عملية اختطاف ابن بركة ٠ وقد كان انطوان لوبيز قد أخبر شعبة مكافحة الجاسوسية بالامر ٠ وجاء في التقرير المؤرخ في ٣٠ ابريل ١٩٦٥ ٠ « أن الجنرال أوفقير قد كلف من قبل الملك بأن يتصل بالمهدي بن بركة لمحاولة اقناعه بالعودة الى المغرب مع رفاقه » ٠

هذا وكانت الصحافة الفرنسية قد أطلقت على أنطوان لوبيز لقب المتهم المراوغ ٠

ـ صدر عفو عن المتهم أنطوان لوبيز في الاسابيع الاخيرة من سنة ١٩٧١، وقد أعلن ذلك للصحافة محامي لوبيز •

٢ـ جورج بوشيس : فرنسي الجنسية من مواليد ٦ مارس ١٩١٤ معروف في الوسط الصحفي ، ولص معروف ذكر اسمه لاول مرة بعد تحرير فرنسا من النازية ، حيث كان الجيش الفرنسي يبحث عن أعضاء عصابة كانت تتعاون مع ـ الجستابو ـ وقت الاحتلال الالماني حيث كان من بين المتهمين •

صرح المتهم جورج فيغون قبل اغتياله أنه رأى بوشيس في فيلا « فوتتاي لي » • حكم عليه في محكمة السين بالسجن لمدة سبع سنوات ، ثم أطلق سراحه• متزوج من مدام انديو التي تملك فندقا بالمغرب وعاوتته أيام محنته •

والمتهم بوشيس يملك منزلا بضواحي باريس في منطقة تسمى « فوتالي في فيكونت » كما يعتبر من أصدقاء الجنرال أوفقير عندما كان بوشيس يشغل منصب مدير مواخير في المغرب أيام الاحتلال الفرنسي •

وقد اجتمع المتهم بوشيس بعد ثمانٍ وأربعين ساعة من اختطاف المهدي بالجنرال أوفقير في بيته في « فوتتاي لي فيكونت » •

في ١ نوفمبر استقل بوشيس طائرة كارافيل قاصدا المغرب في حالة فرار • وفي الثامن من نوفمبر صدرت مذكرة توقيف بحقه من قبل قاضي التحقيق ، الذي ينظر في قضية اختطاف المهدي ابن بركة • وقد صرح المتهم جورج فيغون قبل اغتياله أنه رأى بوشيس في « فيلا فوتتاي لي فيكونت » ، وكذلك مجموعة من أصدقائه يعذبون المهدي بن بركة بعنف حتى مقدم الجنرال أوفقير الى الفيلا •

وقد كلف جورج بوشيس بعملية الاختطاف من قبل رجل الامن المغربي المدعو الشتوكي •

بعد أن تأكدت السلطات الفرنسية من وجود بوشيس في المغرب قدم سفير الجمهورية الفرنسية في الرباط مذكرة الى السلطات المغربية يطلب تسليم بوشيس الى العدالة الفرنسية •

٣ـ جورج فيغون ـ فرنسي من مواليد ١٩١٦ : المتهم جورج فيغون ابن

أحد كبار موظفي الحكومة ، وشقيق طبيب فشل في دراسته . انخرط مع عصابات اللصوص ، وأثناء حادثة سطو قام بها سنة ١٩٥٥ أطلق النار على أحد رجال الشرطة ، وحكم عليه بالسجن ١٢ سنة مع الاشغال الشاقة . وبعد الافراج عنه بدأ يشتغل في البارات ، وأقام علاقات مشبوهة مع رجال الامن والإستخبارات (مرشدا لهم) ، بالاضافة الى علاقته بالمخابرات الاميركية .

وأخيرا استقر به المقام كصاحب دار للنشر – وهو صديق الصحفي الفرنسي « برنييه » المتهم كذلك في عملية اختطاف المهدي بن بركة .

وعند التقائه يوم ١٠ اكتوبر بالمتهم انطوان لوبيز اعترف له بأن الهدف من استدراج المهدي بن بركة الى باريس قد يكون لغرض التصفية .

وفي السادس من نوفمبر كلف البوليس بالبحث عن المتهم جورج فيغون المتهم في قضية الإختطاف .

وقد قتل جورج فيغون في السابع عشر من شهر ديسمبر ١٩٦٥ ، وأشيع أنه انتحر . ولكن الذي عرف أن قاتل جورج فيغون هو صحفي ألماني غربي له علاقة بالاستخبارات الاميركية .

وحين اقتحم البوليس الفرنسي شقته في باريس وجدت لديه وثيقة تحتوي على ٢٥ سؤالا ، كانت من المفروض أن تطرح على الشهيد بن بركة عقب الاختطاف .

٤ – الكولونيل – فانفيل ويدعى مرلاسيل لوروا – ويدعى أحيانا « دونالد » رئيس لمفرزة مكافحة الجاسوسية ورئيس انطوان لوبيز مباشرة المتهم في قضية الاختطاف .

أعفي من منصبه هذا في الثامن عشر من شهر يناير بعد افتضاح دور أجهزة الامن في تدبير عملية الاختطاف حيث إنه كان قد تلقى معلومات تقول إن الغرض من جر المهدي بن بركة الى باريس هو التصفية الجسدية .

الجنرال جاكييه – صديق الجنرال ديغول رئيس الجمهورية الفرنسية ورئيس ادارة مكافحة الجاسوسية (سيدكو) .

أقاله الجنرال ديغول من منصبه بتهمة الاهمال في قضية اختطاف المهدي ابن بركة في التاسع عشر من شهر (يناير) .

والحق هذا الجهاز بصلاحية وزير الدفاع بعد أن كان تابعا لرئيس الوزراء الفرنسي بعد الحادثة ...

ـ فيليب برنييه ـ صحفي فرنسي ـ.

كان فيليب المتهم في قضية اختطاف المهدي بن بركة رئيس تحرير مجلة ـ انتر ـ التي يملكها الجناح اليساري في الحزب الديغولي . استخدم كطعم لاحضار بن بركة الى باريس . وكان قد اتصل هاتفيا بالمهدي بن بركة في ٢٦ ـ ١٠ ـ ١٩٦٥ عندما كان المهدي في جنيف ٢٢ شارع دوفيفي . والسيد برنييه صديق للمتهم جورج فيغون كما يعتبر فيليب برنييه صحفي مختص في شؤون المغرب حيث كان يتردد على المهدي منذ عدة سنوات ، وله علاقات مع رئيس الاستخبارات المغربية .

وعن طريق الصداقة اتصل المدعو الشتوكي رجل الامن المغربي المفاوض ـ بالسيد فيليب برنييه عارضا عليه مبلغا هاما من المال لكي يساعد شخصيات مغربية متنفذة على ن تتصل بالمهدي بن بركة .

وقد تقدم للسفارة المصرية في باريس يوم ١٠ سبتمبر ١٩٦٥ لطلب (الفيزا) للذهاب الى القاهرة حيث كان يوجد المهدي آنذاك. اعتقل في السادس والعشرين من شهر نوفمبر ١٩٦٥ .

ـ فيليب لومارشان ـ نائب في البرلمان الفرنسي عن دائرة ليون من الحزب الديغولي . وقد لعب وزير الداخلية الفرنسي دورا رئيسيا في سبيل إنجاحه . وهو محام لامع متزوج من السيدة فرانسواز ميران ابنة ـ لوبيرك وزير المالية في حكومة الجنرال ديغول ، التي تشكلت في المنفى .

كما تولى لومارشان الاشراف على تأسيس منظمة مضادة لمنظمة **O.A.S** التي عارضت استقلال الجزائر.والمعروف أن المنظمة التي شكلها السيد لومارشان معظم أفرادها من رجال العصابات ، والمطاردين قانونيا (مرتزقة) .

اتصل ايلي ترجمان بلومارشان وعرض عليه مشروع الاختطاف واستدراج المهدي بن بركة . فوافق لومارشان مقابل عشرة ملايين فرنك جديد ، كمبلغ

للاشخاص الذين سوف يقومون بعملية الخطف ، وعشرة ملايين أخرى لعملية الاستدراج والمصاريف الطارئة التي يجب رصدها لهذه العملية (كل هذه المبالغ من ميزانية المخابرات المغربية) •

وأثناء عملية الاختطاف في شارع سان جرمان يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٦٥ كان السيد لومارشان يقف على الرصيف في هذا الشارع عندما تعرض الشهيد المهدي لعملية الخطف من قبل الضابط سوشون ومعاونه ريمون فواتو والعميل المغربي الغالي الماحي •

ـ روجيه فراي ـ وزير الداخليـة الفرنسي في حكومة السيد جورج بومبيدو ـ ورئيس الشرطة ، وهو صديق للمتهم فيليب لومارشان •

في التاسع من تشرين الثاني قام السيد روجيه فراي بإرجاء محادثات جميع رؤساء مختلف مصالح البوليس بشأن قضية اختطاف الشهيد المهدي بن بركة •

في ٦ ماي ومن على منبر الجمعية الوطنية الفرنسية (البرلمان) تكلم السيد روجيه فراي حول قضية الاختطاف ، وكمحاولة منه للتستر على رجاله من رجال الامن قال « إن موظف البوليس يستطيع بشكل صحيح أن يتذرع بالسر المهني عند رفضه الاجابة أمام قاضي التحقيق •

وكان السيد الوزير قد صرح أنه لا يخفي كرهه لمناضلي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية • (الاتحاد الاشتراكي حاليا) •

وفي يوم ٣ نوفمبر عندما كان الجنرال أوفقير للمرة الاخيرة في باريس • وقد تبين دور أوفقير في الاختطاف عندما استقبله السيد الوزير الفرنسي في حفلة تمت بساحة بوفو حيث أصدر في وقت ما بعد نوفمبر ١٩٦٤ قرارا بطرد محمد اليازغي المسؤول عن تنظيمات الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بفرنسا • إلا أن تدخل نقابة المحامين وعميد كلية الحقوق لدى الجنرال ديغول أدى الى الغاء قرار الوزير •

ـ جوليان لناي ـ أحد زعماء العصابات السابقين متهم في قضية إختطاف الشهيد المهدي بن بركة •

لوني ــ أحد المجرمين المعروفين ، ومتهم في قضية اختطاف الشهيد المهدي بن بركة .

صحب المتهم الرئيسي انطوان لوبيز الى مقهى ليبر حيث تقرر أن يتناول الشهيد المهدي بن بركة يوم ٢٩ اكتوبر١٩٦٥طعام الغذاء عند وصوله من جنيف.

السيدة انطوانيت ديماسانس ــ صاحبة اوبيرج رد ستيكو فيضاحية فوتني لي فيكونت . سمعت انطوان لوبيز يخاطب شخصا على الهاتف يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٦٥ يقول بحدة (لا بد بأي وسيلة من إيجاد مكان لهذا الراكب) .

ــ جورج فرانجو ــ ممول ومخرج الفيلم السينمائي المزعوم « باستا » الذي يصور نضال شعوب العالم الثالث بمناسبة انعقاد مؤتمر القارات الثلاث بهافانا في يناير ١٩٦٦ .

يقول عنه المتهم انطوان لوبيز أنه من بين الاشخاص الذين حضروا في حفلة الغداء يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٦٥ في باري فياي يوسيف ضمن المجموعة التيشاركت في الاختطاف .

ــ جان باليس ــ أحد زعماء العصابات السابقين متهم في قضية اختطاف الشهيد المهدي بن بركة .

باليس فار من وجه العدالة . ولم يعتقل ويقول عنه المتهم انطوان لوبيز : إن باليس حضر حفلة الغداء يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٦٥ في المكان المعروف باراي فياي يوسيف ضمن المجموعة التي قامت باختطاف الشهيد المهدي بن بركة .

ويقول المتهم المغربي الغالي الماحي . إن الكولونيل أحمد الدليمي قد حو ل له مبلغ عشرة آلاف فرنك فرنسي جديد ليسلمها الى المتهم المجرم باليس لمساعدته على الهروب من فرنسا .

وكان من المفروض أن يلتقي جورج فرانجو بالشهيد المهديبن بركة بوصفه السكرتير العام لهذا المؤتمر .

يقول ديهيم ناشر صحيفة (ليتر كونفيد انسيل) في تصريح له عقب الاختطاف إنه حصل على نبأ اختطاف واغتيال المهدي بن بركة من مخبر مجهول.

ـ الان بير يسفت ـ وزير الانباء الفرنسي في حكومة السيد جورج بومبيدو ـ أبلغ الصحفيين في مؤتمر له أن الحكومة الفرنسية أطلعت المغرب على جميع الخطوات التي اتخذتها منذ حادث الاختطاف بعد مضي عدة أسابيع على حادثة اختطاف الشهيد المهدي بن بركة •

ـ جوزيف بول بونكورا ـ رئيس الاتحاد الدولي لحقوق الانسان قال إنه يعتقد أن السلطات المغربية التي قامت باختطاف المهدي بن بركة قامت بنقله الى المغرب بعد الاختطاف •

ـ بتر كوفارشان ـ نائب برلماني ومن نواب الاغلبية الديغولية ، وجهت اليه تهمة المشاركة في قضية اختطاف المناضل الشهيد المهدي بن بركة من طرف اليسار الفرنسي والصحافة الفرنسية عموما • وذلك لانه كان على علم بقضية اختطاف الشهيد المهدي قبل وبعد تنفيذ هذه الجريمة •

ـ جان فينو ـ صديق جورج فيغون المتهم في هذه القضية •

كان البوليس الفرنسي قدأصدر أمرا بتوقيفه وظل متخفيا عقب الاختطاف، وقد تطوع السيد فينو للادلاء بافادته أمام القاضي جان بيريز ـ وقد أكد صدق تصريحاته التي أدلى بها في مقابلة له مع مجلة « مرابو » ، والتي تضمنت أن المتهم جورج فيغون قد أخبره أنه في يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٦٥ رأى الجنرال أوفقير يدخل الى الغرفة التي احتجز فيها الشهيد بن بركة • وفي يده خنجرا • علما أنه رأى المهدي بن بركة في غرفة المستودع في حالة يرثى لها قبل دخول الجنرال أوفقير (مما يدل على ثبوت تعذيبه من قبل العملاء الفرنسيين) •

ـ لويس سوشون ـ رئيس مفرزة مكافحة المخدرات • متهم في قضية اختطاف الشهيد بن بركة اعتقل يوم ٢٣ نوفمبر • وقد اعترف أن المتهم الجنرال أوفقير وزير الداخلية المغربي قد كلفه بادارة فندق للدعارة في « مونبارناس » لاستثماره وليعمل وينطلق منه عملاء الجنرال أوفقير ، في نفس الوقت يكون فخا للبوليس بالنسبة لمهربي المخدرات •

كما اعترف أنه انضم الى عملية اختطاف الشهيد المهدي بن بركة بناء على طلب المتهم انطوان لوبيز •

ـ ريمون فواتو ـ متهم في قضية الاختطاف معاون المتهم سوشون في مفرزة مكافحة المخدرات اعتقل في الثالث والعشرين من شهر نوفمبر اعترف بانضمامه الى جماعة مختطفي الشهيد المهدي بن بركة بطلب من المتهم انطوان لوبز .

ـ بيردجيمس ـ المولود بتاريخ ٩ آب ١٩٣٦ بطريطون في بريطانيا في مدينة لندن ، ويسكن في مدينة طنجة المغربية تحت عنوان ٩ شارع ريبونس ـ الدار البيضاء ـ .

ـ جيمس ـ صديق المتهم الشتوكي رجل الاستخبارات المغربية .

وقد نزل المتهم جيمس برفقة الشتوكي من ٢٥ الى ٣٠ اكتوبر ١٩٦٥ في غرفتين بفندق غاليا ٦٣ شارع بيير شارون (والسفارة المغربية بباريس هي التي حجزت الغرفتين) .

وفي ليلة ٣٠ ـ ٣١ اكتوبر انتقل جيمس والشتوكي الى غرفتين في فندق الهيلتون باورلي (على نفقة السفارة المغربية أيضا) .

ـ جان كاي ـ كمسير (مفوض) في البوليس الفرنسي وأحد المساعدين المباشرين للسيد روجيه فراي وزير الداخلية الفرنسي .

ـ جان كاي ـ متهم في قضية اختطاف المهدي بن بركة . حيث إنه تلقى معلومات تتلخص في أن عددا من الذين شاركوا في عملية الاختطاف اجتمعوا بعد ظهر يوم ٣٠ اكتوبر . وحاولوا اخفاء جثة الشهيد بن بركة في إحدى الغابات . وان الكولونيل أحمد الدليمي كان يريد تنفيذ حكم الاعدام فيه مباشرة . (أي اعدام الشهيد المهدي بن بركة) .

وقد وجهت مذكرة بطلب من المحامين ع. الشهيد بن بركة يطلبون فيها من الكوميسير كاي بالكف عن إخفاء مخبريه . وقد كان السيد كاي يلوذ بالصمت حتى ٢٠ يناير حين مثل أمام قاض التحقيق السيد زولينجير .

ـ جان جارك سير فار شرايبر ـ مد. صحيفة ـ الاكسبريس التي نشرت تفاصيل اختطاف واغتيال الشهيد المهدي بن بركة .

استجوب السيد شرايبر من قبل قاضي لتحقيق في قضية الاختطاف بمفرده . وقد أعلن بعد التحقيق أن القضية تطورت نحو شيء آخر غير الموظفين .

ـ السيدة اندريو بوشيس زوجة المتهم جورج بوشيس .

أعلنت بتاريخ ١٩٧٢/٨/٢٥ فيحديث أدلت به بباريس أن بعض المسؤولين المغاربة أبلغوها يوم مصرع الجنرال أوفقير أن زوجها قتل في أحد السجون المغربية بأمر من الكولونيل أحمد الدليمي . وكان زوجها المتهم في قضية اختطاف الشهيد بن بركة والذي فرّ الى المغرب من وجه العدالة الفرنسية . وقد ألقي عليه القبض في مارس ١٩٧١ بأمر من المتهم أحمد الدليمي علما أن أحمد الدليمي قد أمر بوشيس سنة ١٩٦٧ أن يقيم في فندق كران اتيل بالدار البيضاء . وهذا الفندق هو ملك بوشيس وكان قد اشتراه قبل اختطاف بن بركة بوقت قصير ، كما صادقت السيدة اندريو بوشيس أن أحمد الدليمي قد طلب منها البقاء في فرنسا . ولكنها كانت تتردد على زوجها بوشيس في أحد الفيلات من مجموع الفيلات التي يمتلكها بوشيس في المغرب .

النتيجة :

على أثر اعلان هذه التحقيقات للرأي العام الفرنسي ، ومن ثم الحكم على العناصر الفرنسية التي اشتركت في هذه العملية وايداعهم السجون بغضّ النظر عن انتمائهم للمخابرات أو لأي جهاز أمن وكان لذلك أسوأ الاثر لدى الشعب الفرنسي الذي جدد الثقة على مخابراته .

مقتطفات من اقوال المهدي بن بركة عن فلسطين :

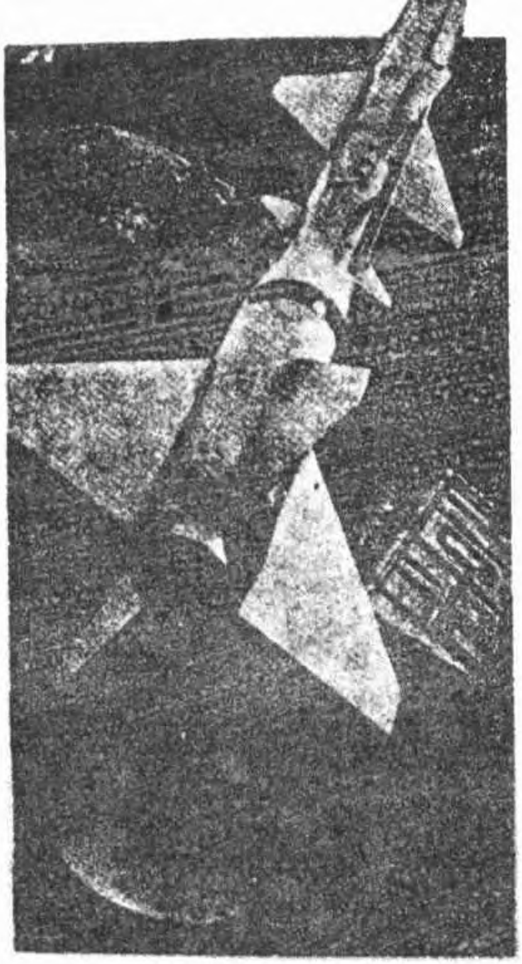
« إن تلك القواعد المادية للثورة العربية في المشرق والمغرب هي التي ستمكننا وتمكن قضية فلسطين من أن تخرج من إطارها العاطفي الى اطارها العملي حتى يتحقق التحرير الفعلي لفلسطين .

إن قضية فلسطين اليوم دخلت في اطار قضية عرب ويهود ، بل حركة عربية ثورية ضد قوى الاستعمار بلا تعصب عنصري » .

« من واجب المناضل إما أن يكون واقفا على قمة جبل ، وإما ممتدا على تبن زنزانة مظلمة » ...

***





المخابرات الاسرائيليّة

تأسست المخابرات الاسرائيلية عام ١٩٣٧ من لقاء جمع بين قادة جيش (الهاغاناه) السري في حينه وقادة الحركة العمالية الاشتراكية ٠ وسميت بالـ (الموساد) وباللغة العبرية (العلياه بت) أي منظمة الهجرة الثانية والامن ، بحيث كان من أول مهامها (تنظيم برنامج الهجرة السرية الى فلسطين) بالرغم من مراقبة السلطات البريطانية٠والمهمة الثانية للموساد:هي الحصول على السلاح[١]وتوزيعه على اليهود ٠ والمهمة الثالثة : جمع المعلومات عن الانكليز والفلسطينيين على حد سواء ، بل ومراقبة المنظمات اليهودية المتطرقة مثل (الأيرغون والليهي) ٠ وكانت وسائل الموساد ضعيفة لذلك ماعدا (الأموال) التي كانت متوفرة ، بحيث أسس

---

(١) خلال زيارتي شخصيا لفلسطين في أواخر عام ١٩٤٧ ـ شاهدت بعض العائلات اليهودية التي وصلت الى القدس تقطن في مخيمات أعدت لها لحين انتقالها الى المستعمرات وكانت هذه العائلات تملك مع الالبسة الضرورية السلاح الذي سلم لها من قبل لجان الموساد ٠٠٠

مركـز قيادة في عام ١٩٣٨ في جنيف (المدينـة التي شهدت أهم المؤتمرات الصهيونية) • ثم أسست شبكات في قلب المانيا النازية فيما بعد ، مهمتها (تسهيل فرار اليهود وارسالهم الى فلسطين) ، فيما بعد اكتشاف معسكرات الموت الرهيبة بقيادة (أيخمن) •

عمل المئات من رجال الموساد ليهيئوا للناجين من معسكرات الاعتقال (الهجرة) الى (أرض الميعاد) • وكان لا بد لهم من شراء بواخر للنقل • وهذا ليس بالامرالهين في أوربا التي اكتسحتها الحرب طوال أربعة أعوام ، مما اضطرهم الى شراء السفن المستعملة من أميركا بأثمان باهظة ، ثم إقامة معسكرات على الشواطىء الايطالية والفرنسية لإيواء الناجين ، وتقديم الطعام والمؤونة لهم في بلاد (قتن) فيها الخبز وأغلب المواد التموينية •

بالاضافة الى كل هذه المهمات أخذت الموساد على عاتقها القيام بشتى العمليات فأنشأت بالقرب من مرسيليا (قرب محطة سان شارل) مركزاً برآسة الدكتور (زفي ديفيشتين)[1] لاعداد كميات من الهويات المزورة •

وقامت الموساد أيضاً بالارتباط مع بعض قناصل أميركا الجنوبية لمساعدتها، ولكن (الثمن غال جداً) بغية تأمين (سمات الهجرة)• وسرقت عشرات السيارات الشاحنة من الجيشين البريطاني والاميركي لنقل آلاف المهاجرين اليهود عبر أوربا • وقد انضم للعمل في فروع الموساد في باريس وجنيف بعض الناجحين من معسكرات الموت • وهؤلاء انصهروا مع زملائهم وأصبحوا (نواة الموساد) الذين سيصبح لهم فيما بعد شأن في دولة اسرائيل •

وخلال تلك الفترة إكتشف قادة الموساد أهمية الاصدقاء ذوي النيات الحسنة في الخارج ، خصوصاً في فرنسا التي كان لهم فيها محطة ارسال كاملة • وفي قصر باريس بمساعدة/مدير مكتب وزير الداخلية المسيو أدريان تكسييه/ واكتسبت الموساد صداقة بعض من هزتهم مشاهد الابادة الجماعية ، ومن هؤلاء

---

(١) أصبح فيما بعد وزيرا للمالية في اسرائيل •••

(ميلفيل مارك) يهودي انكليزي أصله من مانشيستر انضم الى الموساد عند انتهاء الحرب ، وقدم لها خدمات (ثمينة) بالاضافة الى عدد غير قليل من الضباط الانكليز والاميركان الذين عملوا لاجل الموساد •

سارت مهمة شراء وجمع الاسلحة جنباً الى جنبمع الهجرة السرية الجماعية، وكان (يهودا ازاري) المكلف بالاشراف على قسم (ريكيش)، أي قسم الاسلحة هو الذي وفر للجيش الاسرائيلي (نواة أسلحته) • حيث بدأ في ميلانو بايطاليا عند انتهاء الحرب بتشكيل فرقة من الموساد والمتعاونين ، سماها (فرقة النقليات ٤١٢) جمع لها بالسرقة والوسائل الاخرى خمسين شاحنة عسكرية أميركية نقلت من قاعدتها ، وهو مرآب عدة مرات حمولات من مهاجرين ومن أسلحة وذخائر الى مرافىء (خفية) ، تحت أنف السلطات لتنقل فيما بعد الى فلسطين • كان السائقون يرتدون بذات عسكرية تناسب الشاحنات ••

وكانت أول الاسلحة التي اشتراها أزاري وأرسلها لليهود في فلسطين بهذه الطريقة عبارة عن مسدسات ، بنادق خفيفة ، رشاشات مستعملة ، قذائف• ومنها ما سرق من معسكرات الجيش الاميركي (الذي لم يكن مقتصدا في هدر الاسلحة (• وزيادة في الحيطة اتفق ازاري مع مدير (فابريكا مدنتي) وهو معمل لانتاج الاشغال العام والكماليات فأخذ يشحن البضائع الى فلسطين بشكل قانوني ومعاملات جمركية • الا أنها كانت محشوة بالاسلحة والمتفجرات • ومع هذا كانت (الهاجانا) في فلسطين تطلب المزيد من الاسلحة ، وبالحاح لان معلوماتها تفيد : أن الجيوش العربية المجهزة بالطيران والمصفحات والمدفعية ستهجم بالتأكيد (لمجرد اعلان الاستقلال) ، والجالية اليهودية في فلسطين مع كل وسائل الهجرة لا تعد (٦٠٠) ألف نسمة ووسائل دفاعها عبارة عن (ميلشيا) من الهاجانا والارغون •

نشطت الموساد في أوربا بحثاً عن الاسلحة • فالاموال متوفرة مما تجمعه من كبار رجال الاعمال اليهود ، وحتى اليهود الذين اكتسبوا جنسية البلاد التي يقيمون بها كانوا يتبرعون أكثر من الذين احتفظوا بجنسياتهم •

١ ـ توجه (ويلي كاتز) مندوب الموساد الى رومانيا عام ١٩٤٧ . واجتمع بآنا بوكر سكرتيرة الحزب الشيوعي (المرأة القوية بمركزها) ، وأجرى معها مفاوضات انتهت بالفشل ، لان رومانيا أكدت أنه ليس لديها سلاح كاف حتى لجيشها ..

٢ ـ توجه بعد ذلك الى يوغسلافيا وبولونيا وعاد بنفس الفشل ونفس النتيجة .

٣ ـ برز الامل في شراء الاسلحة من تشيكوسلوفاكيا .

٤ ـ أغدق عملاء الموساد الرشاوي على بعض من يمثلون مصالح (الحبشة وذلك لشراء الاسلحة بواسطتهم (للتغطية) .

٥ ـ لم يتمكن من الوصول الى نتيجة في براغ وحصل انقلاب ، واستلم الشيوعيون الحكم بمساعدة السوفييت حيث عاد الامل في الحصول على الاسلحة (تشيكية) .

بعد فترة قصيرة من استلام الشيوعيين الحكم وصل (أيهود أفريل) رئيس الموساد في أوربا الى براغ ودخل في مفاوضات مع شركة (سكودا). وبنفس الوقت كانت هناك مفاوضات يجريها مندبون آخرون مع المجر بخصوص بعض أمور الترانزيت . تكللت مهمة أيهود بالنجاح ، فأسرع لاستئجار طائرة أميركيه من طراز DGA نقلت أول شحنة من براغ ، مؤلفة من الرشاشات والبنادق والمسدسات والذخيرة التابعة لهذه الاصناف .

اشترى (أفرام بليني)[1] في ايطاليا مركباً متوسطاً بمبلغ ٦ملايين لير ايطالي. وسمي هذا المركب (نورا) ، وشحن لاول مرة (بطاطا) من ميناء البندقية متجهاً الى فلسطين . وفي عرض البحر ألقيت البطاطا واتجه المركب نحو مرفأ يوغسلافي ليحمل شحنة من السلاح المعبأ ضمن صناديق أدوات منزلية لم يلبث أن كسر أحد هذه الصناديق فظهرت منه المسدسات عند ذلك (زال) تعجب البحارة الايطاليين من القاء أكياس البطاطا بالبحر . وصلت (نورا) الى يافا في

---

(١) أفرام بلهني ـ الان يملك اكبر معمل لتجميع وصناعة السيارات في اسرائيل وذلك مكافاة على خدماته مع الموساد .

منتصف نيسان١٩٤٧وأفرغت حمولتها التجارية ؟ دون أن تثير شكوك الانكليز .
كانت الموساد في سباق مع الزمن لتأمين أكبر كمية من السلاح بينما كان (دافيد بن غوريون) يراجع مسودة (وثيقة اعلان الاستقلال) التي قرأها فيما بعد في متحف تل أبيب .

بالرغم من تقديم بريطانيا فلسطين (لقمة سائغة) لليهود نتيجة وعد (بلفور) كانت هناك حرب سرية بين الموساد والسلطات البريطانية حتى إن الانكليز صادروا عشية رحيلهم عن فلسطين سفينة محملة بالاسلحة لليهود قادمة من ايطاليا . فاجتمع لبحث هذا الامر كل من (أزرائيل غاليلي) رئيس الهاجانا في حينه (وزير الانباء حاليا في اسرائيل) ليفي أشكول الذي أصبح فيما بعد (رئيس وزراء) وبنحاس سافير (وزير مالية فيما بعد) وأيهود أفريل رئيس الموساد في أوربا . ونتيجة الاجتماع عاد أيهود الى أوربا لمضاعفة شحن الاسلحة . وأشرف بنفسه على تحميل السفينة (البوريا) التي تحمل العلم البانامي والتي استوعبت الاسلحة الآتية : .

١ ـ ٥ مدافع عيار ٧٥ مم جديدة .
٢ ـ ١٥٠٠ قذيفة عيار ٧٥ مم .
٣ ـ ٢٠٠ رشاش ماركة (شاكو) جديد .
٤ ـ ٦٠٠ مخزن اضافي لرشاش (شاكو) بمعدل ٣ مخازن للرشاش .
٥ ـ مليون خرطوشة (طلقة) عيار ٨ مم (أسلحتها سبقت هذه الشحنة).

كل هذه الاسلحة وضعت تحت /٤٥٠/ طن من أكياس البصل على أمل أن تمنع رائحة البصل رجال الجمارك البريطانيين من التفتيش . ومع ذلك تلقت (البوريا) أمرا لدى وصولها الى المياه الاقليمية الفلسطينية بالتوجه الى حيفا (مركز القاعدة الملكية البحرية) . وهناك وبقدرة قادر اكتشف موظفو (الجمارك) أن ما خبىء تحت أكياس البصل (هو علب عصير البندورة) ، فجرى الحكم على القبطان الايطالي بغرامة لتهريبه علب عصير البندورة .

بمثل هذه الطرق امتلات بيوت وأماكن تجمع اليهود في فلسطين بالاسلحة التي كانت توزع فور وصولها على كل قادر على حمل السلاح . عند ذلك طلبت

الهاجانا وزعماء الموساد الموجودين في فلسطين من رئيس الموساد في اوربا البدء في شراء الطائرات ، ولا يهم الثمن طالما المال متوفر فاشتريت طائرات مختلفةحالا:

١ ـ طائرات (كونستليشين) مستعملة من مخلفات الجيش الاميركي •

٢ ـ طائرات (كوريتس) مستعملة من مخلفات الجيش الاميركي أيضا •

٣ ـ قلاع طائرة محولة الى طائرات مدنية ـ أعيدت طائرات عسكرية فور وصولها الى فلسطين عبر أميركا الوسطى ـ ايطاليا •

٤ ـ طائرات (مستر شميت) آتية من تشيكوسلوفاكيا •

٥ ـ طائرات (بوفييترز) بريطانية وقد أقلعت من انكلترا الى فلسطين (عبر كورسيكا) • واتخذت تمويها لها (تصوير فيلم تمجيدا لذكرى الطيارين النيوزيلانديين (طبعا كان منتج الفيلم رئيس الموساد في أوربا) •

٦ ـ طائرات (سبتفاير) و (دوغلاس) و (سكايماستر) اشتريت من مزاد علني حقيقي (بيع مخلفات الحرب) •

وهكذا نجد أن الموساد (المخابرات الاسرائيلية) قد ساهمت بقسط كبير في انشاء اسرائيل بعد ١٤ أيار ١٩٤٨ بما قدمت من الاسلحة وخطط في الخارج وفي فلسطين بالذات •

اول رئيس للموساد بعد اغتصاب فلسطين :

(ايسير هاريل) ولد أصلا في روسيا عام ١٩١٢ من أب صناعي (صهيوني متحمس) ، درس ايسيل حتى عام ١٩٣١ حيث هاجر مع عائلته الى فلسطين(كانت عملية الهجرة في حينه تسمى الصعود الى أرض الميعاد) ، وأقاموا في مستوطنة (شفايم) • عمل في الزراعة وتعرف على الفتاة اليهودية (ريفكا) وتزوجها ، بعد مدة تعلم اللغة العربية بحكم تنقله في القرى المجاورة عند ذلك تطوع (سراً) في الهاجانا (مخبراً) • وأخذ ينقل ما يحصل عليه من أسرار عن المفتي ـ المختار ـ الاعيان ـ والخلافات بين العائلات العربية العريقة ـ الابنية التي تقام ـ تنظيم الاراضي ومعرفة من يرغب في بيع أرضه من الفلسطينيين لان كل هذه المعلومات لها قيمتها بهدف شراء الارض بأي ثمن •

في عام ١٩٣٦ تطوع في الشرطة البريطانية (بناء على أوامر الموساد) لسببين:

١ ـ تدريب بعض أعضاء الموساد على حساب سلطة الانتداب ليكون لديهم خبرة (للمستقبل) •

٢ ـ اطلاع الموساد على أوامر التفتيش الذي كانت تمارسه السلطات البريطانية على المستوطنات اليهودية •

ولكن لم يستمر ايسير في الشرطة كثيراً لانه سجن بعد صفعه لضابط بريطاني تكلم أمامه بألفاظ جارحة عن رجل دين يهودي • ثم طرد فكافأته الهاغانا وعينته رسميا في مخابراتها عام ١٩٣٧ لادارة شبكات مخابرات منطقة (هزليا) • وبرع في مهنته فسرعان ما عين رئيس قسم مخابرات تل ابيب ، أكثر المناطق ازدحاماً بالسكان وأكثرها أهمية للمخابرات في تلك الاثناء تعرف على دافيد بن غوريون ـ ودامت صداقتهما فترة طويلة •

اهم خبر يفخر به ايسير هاريل :

إن بقاء أيسير في مخابرات الهاغاناه مدة كافية من١٩٣٧ الى١٩٤٧ ـ صقلت مواهبه ، حيث برهن عن جديته في استقصاء الاخبار عن الداخل كما نوهنا ، ومن بعض المخبرين في الخارج • وكانت أهم مآثره في عام ١٩٤٧ هي حصوله على وثيقة عسكرية من مصر (أيام حكم الملك السابق فاروق) ، تؤكد الهجوم على فلسطين من قبل الجيوش العربية في ١٥ أيار ١٩٤٨ • وقد أفادت هذه الوثيقة التي لم ينشر عنها أي شيء حتى الآن العصابات الصهيونية والمخابرات في تلافي كثير من عنصر المفاجأة التي كانت الجيوش العربية تظن أنها خبأتها لليهود • كما استفاد اليهود استراتيجياً وسياسياً ومعنوياً • إذ تغلب رأي بن غوريون بالحرب حالاً والمقاومة وفرض الامر الواقع على رأي (موشى شاريت) الذي كان يدعو الى التفاهم مع العرب وكانت مكافأته الثانية ترقيته الى رتبة (عقيد) الرتبة الثانية في الجيش الاسرائيلي حينئذ •

تنظيم المخابرات الاسرائيلية :

تتخطى ما جرى في حرب ١٩٤٨ بينالجيوش العربية والمنظمات الاسرائيلية

واعلان الهدنة بعد محادثات (رودوس) • ومن ثم اعلان دولة اسرائيل رسمياً لنتابع رحلة المخابرات مع أيسير :

عقب انشاء اسرائيل جمعت الموساد مع مخابرات الهاغاناه وبقية المنظمات الارهابية ومصالح الامن في هيئة سميت (مصلحة الامن) ، وكان رئيسها بطبيعة الحال (أيسير) ، الذي احتفظ نظراً لخبرته باليد الطولى على مجموع تلك المنظمات خصوصاً عندما كان يتلقى أوامره من صديقه (بن غوريون) • ثم أخضعته لمراقبة لجنة الدفاع والخارجية البرلمانية بعد تأسيس الكنيست (برلمان اسرائيل) •

وجرى تنظيم المخابرات الاسرائيلية وتقسيمها الى فروع مختلفة نظراً لتعدد مهامها :

١ ــ فرع الاستعلامات (مديره برتبة عقيد) ، ولهذا الفرع تتبع جميع شبكات التجسس والعملاء في جميع أنحاء العالم •

٢ ــ فرع استعلامات وأمن الجيش (مديره برتبة عقيد) ، واختصاصه التجسس على جيوش الدول العربية فقط •

٣ ــ فرع الامن الداخلي (مديره برتبة عقيد أو مقدم) واختصاصه مكافحة التجسس (داخل اسرائيل) •

٤ ــ فرع دائرة الابحاث (مديره عقيد أو صاحب رتبة علمية) ويقع الان في: القدس ، ويتبع وزارة الخارجية ويشغل البناية رقم ٢٤ منها ، واختصاصه جمع الوثائق والصحف والمعلومات الخاصة عن الدول العربية •

كيفية عمل فروع المخابرات في اسرائيل :

في الشرح عن عمل فروع المخابرات في اسرائيل تبين أن أعمال التجسس في البلاد العربية وزرع العملاء مثل كوهين ــ ولوتز ــ وشبكة البصرة ــ وجميل القرح هي من اختصاص فرع الاستعلامات رقم (١) • أما فرع مخابرات الجيش رقم (٢) فمن أعماله التجسس على الجيوش العربية ونوعية أسلحتها (الطائرة الميغ ٢١) وغيرها فرع الامن الداخلي رقم (٣) من أعماله اكتشف عميل سوري (زرعته المخابرات السورية) كشاب تركي يحمل جواز سفر تركي تمكن من

العيش في اسرائيل مدة من الزمن • وكانت مهمته اغتيال شخصيات اسرائيلية • ومن أعمال هذا الفرع أيضا سوق عشرات من (الاسرائيلين العرب) الى السجون غداة حرب حزيران ، بعد أن حصل الاسرائيليون على لوائح المتعاونين مع المخابرات السورية والاردنية بعد حرب حزيران ، واعتقال المصور الارمني (كوبول ياكدفيان) الذي زرعته المخابرات المصرية في تل أبيب (الذي دخل اسرائيل باعتباره يهودياً مصرياً فاراً من ملاحقة المخابرات المصرية) •

فرع دائرة الابحاث رقم (٤) ومن اعماله :

حين تعيين وزير أو مدير للامن العام في أي عاصمة عربية فان فرع دائرة الابحاث يحلل شخصيته وآرائه وجميع ما لديه من معلومات عنه منذ نشأته ، وتلخص هذه المعلومات في تقرير مسهب يوضع تحت تصرف من يعنيهم الآمر مدنيون وعسكريون •

ويوجد فروع مخابرات في كل من حيفا ــ يافا ــ عكا ــ الناصرة ــ تتبع رئاسة المخابرات رأساً بمحطات لاسلكية وخطوط هاتفية مباشرة • ولا تبخل رئاسة المخابرات على هذه الفروع بشيء مما تطلبه • كما أن رئيس المخابرات بنفسه ورؤساء فروع المخابرات كل حسب اختصاصه ، يتوجهون فور أي طلب من هذه الفروع (بواسطة طائرة هيلكوبتر) للاضطلاع بمسؤولياتهم عندما لا تكون هذه المسؤولية على (مستوى) الفرع في تلك المدينة •

وبعد احتلال اسرائيل للضفة الغربية والمرتفعات السورية في حزيران ١٩٦٧ قامت المخابرات بانشاء فروع جديدة في كل من القدس ــ ويرأسه المقدم شالومو عميرا ــ يعاونه الملازم أول (داوود حني) يهودي عراقي معروف بتشدده على الفلسطينيين الذين يزورون أهليهم • ويحاول أن يجعل كلا منهم يبوح له بما يعرفه وشاهده من الامور العسكرية في البلد الذي يعيش فيه ، ولا يتوانى عن طلب التعامل مع بعضهم للمستقبل حيث يمدهم بتسهيلات في تمديد الزيارة وبعض المعاملات الادارية (مع أنها بلدهم) •

فروع في نابلس ــ جنين ــ طولكرم ــ الخليل ــ ويرأس هذه الفروع ضابط برتبة ملازم أول أو نقيب وأعطيت هذه الفروع نفس صلاحية فروع

حيفا ويافا ــ من الاتصال المباشر والاهتمام مع فارق بسيط هو اتصالها مع الحاكم العسكري (المحتل) للضفة في مختلف مسائل التجسس وما يتعلق بالفدائيين ..

وهكذا وجدت المخابرات الاسرائيلية وانطلقت للعمل بالتناسق مع المخابرات المركزية الاميركية وصدرت لها ميزانية ضخمة على مبدأ (اطلب تعط).

الحقد الاسود

من المنجزات التي تفاخر بها المخابرات الاسرائيلية في عهد (ايسير هاريل) (اختطاف أدولف أيخمن) من الارجنتين ونقله الى اسرائيل ومحاكمته واعدامه . ونحن كخبراء في فن المخابرات إذا نظرنا الى قصة اختطاف ايخمن وجدناها قصة لصوصية وقرصنة واعتداء على سيادة دولة الارجنتين ، وأن ظروف الارجنتين وموضوع السماح للطائرات والاجانب أثناء الاحتفالات في أعياد الاستقلال الوطني الارجنتيني بالدخول والخروج (بدون سمات) هي التي ساعدت المخابرات الاسرائيلية.ولولا هذا العامل لما كان باستطاعة اسرائيل اعادة ايخمان، بل كانت تكتفي بقتله . وبصورة عامة نجد أن قصة اختطاف ايخمن التي أقامت اسرائيل الدنيا وأقعدتها قصة عادية استطاعت مخابرات دولة نامية لها من الامكانيات التجسسية ربع ما لاسرائيل تنفيذ عملية اختطاف أبرع منها . ولكن حقد الصهيونية الاسود على رجال هتلر الذين عملوا على الفتك باليهود هو السبب الرئيسي في متابعة ايخمن هذه السنين ، لان ايخمن كان خلال الحرب العالمية الثانية يعمل في ادارة الامن.وقد عهد اليه الفوهرر (هتلر) برئاسة الادارة التي كلفت بالوصول الى الحل النهائي للمشكلة اليهودية بأي طريقة ، لان شر اليهود في المانيا قد استشرى وعداؤهم للنازية أخذ يظهر في حملاتهم العنيفة ضدها . وعندما استقر الرأي النهائي على تصفية اليهود كان (أدولف ايخمن) رئيس ادارة هذه العملية والمسؤول عن معسكرات الموت وغرف الغاز ــ وأفران حرق الجثث وأوامر النفي والاعدام بالجملة . ونتيجة ادارته لهذه العملية بأوامر صريحة من الرايخ لقي ستة ملايين يهودي حتفهم . وقد تعهد أيخمن لرئيسه

المباشر (هنريخ هملر) عام ١٩٤٢ بأنه سوف لن يبقى أي يهودي في أوربا • وبالفعل لولا انتصار الحلفاء على المانيا لكان باستطاعة أيخمن تنفيذ وعده ولكن احتلال الحلفاء برلين كما نعرف بعد مئات الغازات عليها جعل أيخمن يهرب من قيادته وصادف في طريقه بين قتلى الغارات الجوية رقيباً قتيلا فانتزع رداءه العسكري الملوث بالدماء والقاذورات ولبسه ، وحمل أوراقه بعدما أتلف الوثائق التي يحملها والتي تدل على أنه (أدولف ايخمن) • وأخذ يختفي هنا وهناك في الخرائب حتى ألقت القوات الاميركية القبض عليه وسيق الى معسكرات الاعتقال بين مئات الاسرى ••• ولم يلبث أن فر من الاسر واختفى عن الانظار ••

وبعد الانتصار شكلت محكمة (مجرمي الحرب) وأصبح اسم ايخمن على رأس قائمة المطلوبين • وبدأت أميركا وفرنسا وبريطانيا حملة ضخمة للبحث عنه • وعلى مر الزمن فقدت هذه الدول الأمل في العثور عليه • ومع الوقت ومرور السنين نسي العالم (أدولف ايخمن) ما عدا اليهود الذين ظلوا يذكرونه• خصوصا منهم من ذهب الى فلسطين حيث تألفت لجنة صهيونية في يوليو ١٩٤٥ مهمتها البحث عن ايخمن • وبدأت العمل حيث انتشر عشرات من العملاء السريين الذين كلفوا بالبحث عنه في جميع أقطار العالم • وفي عام ١٩٤٨ وبعد اغتصاب فلسطين وانشاء الكيان الصهيوني فيها ، وتأسيس المخابرات الاسرائيلية(الموساد) كان من أول مهامها (استمرار) البحث عن مجرمي الحرب الالمان ، وأولهم (ايخمن) بسبب ما ألحقوا باليهود من أذى في المانيا وغيرها ••

ولكن هذه المرة عن طريق مكتب مركزي خاص لهذه المهمة مقره تل أبيب. وبدأ المختصون فيه بمراجعة حياة أدولف ايخمن من صغره حيث شب في مدينة (لينز) بالنمسا • وكانت زوجته وأطفاله يعيشون هناك ، وأرسل أحد العملاء الى لينز واشترى حانوتا صغيرا يقع مقابل منزل أسرة ايخمن ليواصل مراقبته ليل نهار • وحتى عندما رحل آخر فرد من عائلة أيخمن عن المنزل بقي العميل في الحانوت على أمل بأن ايخمن قد يعود يوما بدافع الحنين الى مسقط رأسه •

ومن هذه النقطة نرى عظم حقد اليهود على أيخمن • وكان المكتب المركزي في تل أبيب يتلقى مختلف الاخباريات عن ظهور أيخمن حيث ترددت أخبار ظهوره

في سورية ــ ومصر ــ وألمانيا الغربية ــ وتركيا ــ واسبانيا ــ وفي كل مرة يرسل الاسرائيليون الى عملائهم باقتفاء الاثر حالا . ولكنهم لا يصلون الى نتيجة . حتى شوهد أيخمن عام ١٩٥٧ في مدينة (بيونس ايرس) . ولكن العميل الذي شاهده لم ينجح بمطاردته . فاتصل بتل أبيب التي بعثت لـه ٣٠ عميلا من المخابرات حالا ، ولكنهم فشلوا جميعا في العثور عليه .

في عام ١٩٥٨ أنشأت حكومة ألمانيا الغربية مكتبا في مدينة (لودفيكجسبرج) سمته « المكتب المركزي للادعاء الخاص بجرائم النازي » برئاسة الدكتور (أورين) من كبار رجال القانون ومعه ثمانية من القضاة الالمان .

والغرض من انشاء هذا المكتب هو جمع الادلة واعداد القضايا ضد النازيين السابقين المتهمين بجرائم الحرب ولم تجر محاكمتهم بعد . وأبلغت حكومة بون السلطات الاسرائيلية بأن هذا المكتب سيتبادل معها المعلومات الخاصة عن مجرمي الحرب النازيين . ومن هذه النقطة نرى تحول المانيا الغربية لمساعدة اسرائيل ، هذا التحول الذي جعل حكومة بون تدفع لاسرائيل ملايين الدولارات مقابل ما أسمته (تعويضات لليهود) .

وفي عام ١٩٥٩ أرسلت مفرزة من المخابرات الاسرائيلية الى المانيا الغربية للمساهمة في نشاط المكتب المركزي وجمع الادلة عن مجرمي الحرب النازيين الذين حصلوا على نسخة من أسمائهم وأولهم أيخمن . وكان من بين أعضاء هذه المفرزة يهودي متعصب ينتحل اسم (ساندرزفيكيت) سبق لايخمان أن قتل أبويه واخوته جميعا ، فأقسم أن ينتقم لهم . وهكذا بقي مع المفرزة الخاصة بتعقب المجرمين النازيين لكي ينال من أيخمن . أما بقية أعضاء المفرزة فكانوا من اليهود المجرمين .

توصل رجال هذه المفرزة وهم في المانيا الغربية الى معلومات تفيد أن أيخمن لا يزال في (بيونس ايرس) ، حيث شوهد عام ١٩٥٧ فقرروا معاودة البحث عنه على نطاق واسع ، حيث أرسل (سلندرز) مع يهودي آخر أصله من المجر ينتحل اسم (لاجوس مولنار) الى الارجنتين ، ثم ألحقوا بأربعة رجال آخرين وفتاة ذهبوا جميعا الى الارجنتين كسواح . وقد انتقت المخابرات الاسرائيلية مولنار

لانه قابل أيخمن عدة مرات في بودابست عام ١٩٤٤ ـ وفي الارجنتين لم يظهر على (لاجوس مولنار) ولا (ساندرز فيكيت) الطابع اليهودي وصدرت اليهما أوامر المخابرات بالظهور بمظهر النازيين السابقين الهاربين • وأن يستدلا على المعسكرات الكبيرة التي تضم النازيين الذين فضلوا البقاء فيها ، ومنهم العشرات الذين لجأوا الى الارجنتين في عهد الجنرال (جوان بيرون) ، وأقاموا في هـذه المعسكرات •

ونجح الرجلان في التسلل الى هذه المعسكرات وأصبحا معروفين لـدى النازيين • وكان هؤلاء يتحدثون أمامهم عن مغامراتهم خلال الحرب • ولكن أحداً منهم لم يتكلم عن أيخمن • ومع ذلك لم يقطع الرجال الامل ، وواصلوا الانصات والاستطلاع حتى عام ١٩٦٠ حيث حضر مولنار حفلة شراب مع النازيين وسمع أحد النازيين يقول « مسكين أيخمن بعد أن كان أقوى الرجال في الرايخ أصبح الآن يصنع أجزاء السيارات » • ولم يحاول مولنار سؤال الرجل عن مكان أيخمن حتى لا يفضح نفسه ومهمته • بل أسرع الى الجماعة حيث ضيقوا البحث على معامل السيارات ، وبدأوا في مراقبة العمال أثناء دخولهم وانصرافهم • وفي أحد الايام شاهد الشخص المكلف بمراقبة عمال مصنع تجميع سيارات مرسيدس بنز في بيونس أيرس رجلا طويلا نحيلا ضامر الوجه بارز الاذنين (تطابق أوصافه أوصاف أيخمن) ، فاقتفى أثره حيث ركب سيارة أوتوبيس الى ناحية أخرى من المدينة ، ولم يجرؤ العميل على اقتفاء أثره ، أكثر من ذلك حتى لا يثير شكوكه • ولدى رجوعه للمركز كان الجميع موافقين على أن رجله هو أيخمن بنفسه،فأبلغوا الخبر بالشيفرة الى تل أبيب فأبلغتهم أن امدادات سوف تصلهم حالا ، وطلبت منهم التأكد من شخصية أيخمن حتى لا يكون هناك أدنى موضع للشك • وفي اليوم التالي اقتفوا أثر الرجل الى منزله • وهناك اتضح أنه يعيش تحت اسم (ريكارد وكليمنت) ، وعرض الاسرائيليو ، صورة زوجة أيخمن على الجيران فقالوا : إننا نعرفها فهي السنيورة ـ كليمنت ـ ولزيادة التأكد دفع الاسرائيليون رشوة كبيرة الى رجل كان من كبار المسؤولين ني البوليس في عهد بيرون ووعده بالمزيد ، فأكد لهم أن كليمنت هو نفسه (أدولف أيخمن) •

أما في اسرائيل فقد بلغت المناقشات ذروتها عندما اجتمع ضباط المخابرات وعلى رأسهم ايسير هاريل رئيس الموساد وبعض قادة الجيش والحكومة لتقرير مصيره . فمنهم من قال بوجوب اغتياله في الارجنتين جزاء ما اقترفه من جرائم بحق اليهود . أما الاغلبية فكان رأيهم وجوب احضاره الى اسرائيل لمحاكمته . ولكن المعارضين بينوا أن أسر ايخمن ونقله الى اسرائيل لا يمكن من جهة قانونية لانه لا يوجد بين اسرائيل والارجنتين معاهدة تبادل مجرمين . ولكن طبيعة القرصنة الصهيونيةتغلبت على الاكثرية الذين قرروا احضارأيخمن لاسرائيل بأية طريقة ومهما كانت النتيجة .

الارجنتين تساعد اسرائيل على نقل ايخمن عن حسن نية :

تعتمد الارجنتين سنويا عادات تجعل السياح يتوافدون اليها خصوصا إبان الاحتفالات بأعياد الاستقلال الوطني . وفي أثناء التحضير لاعتقال أيخمن في الارجنتين من قبل المخابرات الاسرائيلية صادف أن أعلنت الحكومة الارجنتينية عام ١٩٦٠ حسب عاداتها لاجتذاب السياح كل عام (في شهر مايو) عن التغاضي عن الاجراءات الجمركية والادارية بالنسبة للطائرات والاشخاص الذين يصلون للارجنتين خلال مهرجانات الاستقلال . وهكذا استغلت اسرائيل هذه الفترة أحسن استغلال ، حيث تقرر أن يلقى القبض فورا على أيخمن ويوضع في مكان أمين حتى وصول طائرة اسرائيلية خاصة خلال المهرجانات لنقله الى اسرائيل .

أسر ادولف ايخمن :

بعد القرار الذي اتخذ في تل أبيب بنقل أيخمن بعد اختطافه بطائرة خاصة الى اسرائيل ابان احتفالات الاستقلال أرسلت المخابرات الاسرائيلية المقدم (بنيامين) ، ونؤكد للقراء أن هذا الاسم مستعار . أرسلته الى بيونس أيرس مع بعض الضباط ليقود العملية برمتها .

أما أيخمن أو (ريكارد وكليمنت) فكان لا يدري بما يحاك ضده ، وكان مواظبا على العمل في معمل تجميع سيارات مرسيدس بنز . وكانت حياته مرتبة ترتيبا يتكرر كل يوم ؛ ففي الصباح يتوجه الى موقف الاوتوبيس وينزل قرب

المعمل حتى ينتهي من العمل يعود ويستقل الاوتوبيس وينزل في نفس المكان الذي ركب منه صباحا ، ويعود الى منزله • وحين وصول المقدم (بنيامين) الى يونس أيرس واطلاعه على الترتيبات التي اتخذت من قبل الجماعة ومشاهدته أيخمن بالذات تقرر أن تتم العملية حالا • واختار ساندرز وثلاثة من الضباط المرافقين له لتكوين القوة الخاطفة • وقسم بقية الاعضاء لمراقبة الطريق ، وقسم للبقاء في سيارة ثانية تكون جاهزة للعمل فيما لو أصيبت السيارة الاولى بأي خلل ـ أو لتستخدم لسد الطريق على أية سيارة تحاول اللحاق بالسيارة التي يختطف بها أيخمن • وتولى البعض استئجار مزرعة على بعد ١٠ كيلو مترات من يونس أيرس لاخفاء أيخمن ، حتى وصول الطائرة الاسرائيلية وحدد يوم الاربعاء ١٦ مايو ١٩٦٠ لتنفيذ العملية • وتشاء الصدف أن يكون هذا اليوم ممطرا وموحلا والشوارع خالية من الناس الذين لجأوا الى منازلهم خشية الامطار • حيث توقفت الامطار بعد الظهر • وكان كل شيء معدا من قبل الاسرائيليين للعملية •

انتهت نوبة العمل في المصنع وتدفق العمال من بوابة المصنع وكان بينهم (ريكاردو كليمنت) أو أيخمن • الذي وقف بانتظار الاتوبيس حسب عادته •

ولما وصل الاوتوبيس ركب فيه أيخمن وركب معه هذه المرة مرافق من نوع خاص ؛ (عميل اسرائيلي) ، يرتدي ثياب عامل من عمال المصنع بينما توجهت الفتاة الوحيدة المشتركة في العملية الى أقرب هاتف واتصلت مع بنيامين قائلة له : (ان الرجل في الطريق) •

وفي نفس المكان المعتاد نزل أيخمن ونزل وراءه مرافقه •• انطلق يسير في الطريق الموحلة بكل هدوء • وكان مظهره يدل على أنه مجرد عامل منهوك القوى أمضى يوما شاقا في العمل • أما هو شخصيا فكان شديد الحذر كعادته منذ خمسة عشر عاما • ولما لم يشاهد شيئا يثير انتباهه تابع سيره البطيء • وكان هناك متسولا يجلس القرفصاء يستجدي المارة (عميل اسرائيلي) • بينما كانت هناك سيدتان من ربات البيوت في أحد المنعطفات تتحدثان ، بينما تابع الرجل سيره العادي • فلحقت به سيارة سوداء تحمل لوحة محلية لمدينة يونس أيرس حتى أصبحت وراءه بالضبط ، فانحرف بغريزته الى جهة المباني التي تقع على

يساره فاقتربت منه السيارة بسرعة حتى وقفت بمحاذاته تماما • وفتحت أبوابها حيث قفز منها أربعة رجال أحاطوا بأيخمن الذي حاول العدو ولكنهم منعوه بالقوة وقالوا له : اصعد معنا يا رجل الفوهرر ••• عندئذ أدرك أن نهايته اقتربت فحاول الصراخ، ولكن أحدهم ضربه على رأسه بأداة فهوى على الارض، فحملوه الى السيارة وانطلقوا به بسرعة • ومن ثم لحقت بهم السيارة الثانية التي كانت تراقبهم للتدخل وفيها بنيامين ــ ساروا به باتجاه المزرعة ••• وهكذا انتهت المطاردة الكبرى ، وأصبح أدولف أيخمن •• الرجل الذي كان يفاخر أنـه « قاتل اليهود الاول في العالم » أسيرا بين يدي أكثر الناس حقدا عليه ، وعلى رأسهم (ساندرز) الذي سبق أن نوهنا أن ايخمن قتل له عائلته بكاملها ••

عندما عاد أيخمن الى وعيه وجد نفسه في غرفة في مزرعة ومحاطا بعشرين عميلا اسرائيليا ، على رأسهم (بنيامين) عند ذلك عرف أن مصيره أصبح بين يديهم فتوجه الى رئيسهم (بنيامين) قائلا : لا تقتلوني •• لا تقتلوني • فطمأنه بنيامين قائلا : إننا لن نقتلك اذا وقعت لنا على تحرير بأنك مسافر معنا بارادتك الى اسرائيل لنحاكمك • وهناك بامكانك أن تدافع عن نفسك كما تشاء • وفعلا كتب أيخمن التحرير وكتب غيره ••• واعترف على بعض زملائه ، وحسب أن ذلك سيساعده ، ولم يدر أن ذلك سجل على شريط أيضا •

بقي أيخمن ضيفا في المزرعة ثمانية أيام ، حتى وصلت بتاريخ ١٩ مايو طائرة اسرائيلية تابعة لشركة (العال) الاسرائيلية الى مطار بيونس ايرس • وقدمت أوراقها على أنها مستأجرة لرحلة سياحية خاصة • وكانت أعياد الاستقلال قد بدأت ، وفي منتصف الليل حلقت الطائرة مرة ثانية في الجو وهي تحمل أيخمن والاسرائيليون الذين اختطفوه • ولم يحاول أحـد احصاء من في الطائرة أو تفتيشها نظرا لانشغال الجميع ووجود الاوامر بالغاء كلفة الاجراءات حسبما أسلفنـا •

بعد وصول أيخمن الى اسرائيل جرى التحقيق معه لمدة أربعة أيام متواصلة. وفي ٢٣ مايو أعلنت اسرائيل عن بدء محاكمته أمام محكمة خاصة في تل أبيب بمقتضى قانون اسرائيلي بمحاكمة مجرمي الحرب النازيين الذين ارتكبوا جنايات بحق اليهود ، ومن يتعاون معهم ووجهت المحكمة الى أيخمن تهمة ابادة ستة

ملايين يهودي في المانيا . وبدأ يحضر دفاعه على أساس المبدأ العسكري القائل (الاوامر هي الاوامر) ، وأنه لم يفعل شيئا من عنده بل كان منفذاً للاوامر الصادرة اليه من (هنريخ هملر) ومن (هتلر) شخصيا ، وبذلك لم يكن مسؤولا ولكن اليهود لم يكونوا من رأيه حيث أقاموا الدنيا وأقعدوها وملأوا المعمورة بالدعاية بنجاحهم باختطاف أيخمن ، واحتجت الارجنتين على اسرائيل ، وكادت أن تثير هذه القضية مسألة دولية حادة فجندت اسرائيل كعادتها بعض زعماء العالم الذين يقعون تحت سيطرة الصهيونية للضغط على الحكومة الارجنتينية . واستمرت محاكمة أيخمن مدة حكم عليه بعدها بالاعدام ، ونفذ فيه الحكم في تل أبيب . وقد علمنا من مصدر موثوق أن ساندرز وهو الحاقد الاول على أيخمن اقترح على المخابرات الاسرائيلية حرق جثة أيخمن وذر رمادها وذلك للتشفي منه حتى بعد اعدامه . ولا ندري هل نفذت المخابرات ذلك أم لا لان المصادر التي أخذنا منها هذه القصة الكاملة عن كيفية الاختطاف هذه المصادر ميالة الى الصهاينة . ومع ذلك فقد سجلنا الحقيقة فقط عن الاختطاف كعملية قرصنة كلفت اسرائيل حوالي مليون دولار . ولعبت الصدفة في اعفاء الطائرات في الارجنتين من التفتيش دورها في الخطف اذ لولا ذلك لما تمكن الاسرائيليون من العودة بايخمن لاسرائيل ، وكل ما كانوا يستطيعو فعله هو اغتياله في الارجنتين ...

ومع ذلك فقد (قبّل) بن غوريون رئيس الوزراء ايسير هاريل رئيس المخابرات الاسرائيلية (على هذا النجاح) .

ـ استمرت الصداقة بين ـ بن غوريون رئيس الوزراء وايسير هاريل رئيس المخابرات بحيث كان يتغاضى الطرفان عن أخطاء بعضهما الى أن اكتشفت المخابرات أن المستشار العسكري لرئيس الوزراء (ازرائيل بيئير) عميل سوفياتي جند للعمل لصالح المخابرات السوفياتية منذ (صعوده) الى اسرائيل . وأنه فعلا قد نقل وبلغ موسكو بعض المعلومات والمقررات التي اتخذت على مستوى مجلس الوزراء عندها بدأ الجفاف بين الاثنين . الا أن اثارة (ايسير) حملة التخويف المعروفة ضد العلماء الالمان في مصر (بعضهم عمل في مصر بموافقة الحكومة الالمانية) ، بينما تقدم المانيا وعلى رأسها أديناور (بالسر والعلانية)

الاسلحة والتعويضات الضخمة الى اسرائيل • فغضب بن غوريون وهو يرى سياسته معرضة للتصدع مع المانيا فأصدر أمره الى (الموساد) بايقاف جميع عمليات مضايقة العلماء الالمان مما اضطر (ايسير) الى تقديم استقالته ، وعين الجنرال (ماير أميت) عوضا عنه بينما انصرف الى عمل مدني (رئيس شركة مالية للتوظيف) حتى ٣ أيلول ١٩٦٣ عرض عليه (ليفي أشكول) الذي خلف بن غوريون في رئاسة الوزراء منصب مستشار (لقضايا الامن) ، فقبل المنصب في الحال ، ولكنه (ندم) فيما بعد لوضع مكتبه في آخر رواق مجلس الوزراء بينما كان مكتبه السابق بجوار رئيس الوزراء • ومع ذلك سكت على مضض وخلال عشرة أشهر كان يعد تقريرا (مفصلا ضافيا عن أوضاع العرب في اسرائيل حسب خبرته الى ليفي أشكول رئيس الوزراء • ثم قدم استقالته من جديد ، وهو ساخط على ليفي أشكول أكثر من سخطه على بن غوريون وتفرغ لتأليف كتاب استقى مادته من خبرته ، وضمنه فضائح عن شخصيات اسرائيلية • مما دعا مرؤوسيه الى منع نشره بحجة دواعي الامن ، فاضطر الى رفع دعوى أمام المحكمة العليا في ٣ أيار ١٩٦٨ ولم يكسبها قط • وفي أيلول ١٩٦٩ رشح نفسه لانتخابات الكنيست ضمن (قائمة الدولة وفاز بالنيابة ، ولكن لم يستطع الفوز في لجنة الدفاع والخارجية ••• وهكذا طويت أسطورة أيسير هاريل أول رئيس لمخابرات اسرائيل بعد أن قدم لها من الخدمات ما لا يحصى •• واحتفظ باسرارها أكثر من خمس عشرة سنة ••

من منجزات ايسير هاريل :

في حزيران ١٩٦٣ وصلت اسرائيل أول دفعة من طائرات (ميراج ٣) الفرنسية • وبنفس الوقت وصلت دفعات من طائرات (ميغ ٢١) الى مصر وسورية والعراق • ونظرا لاهمية الميغ ٢١ وفعاليتها فقد توجه (ايزر وايزمن) قائد سلاح الجو الاسرائيلي الى مكتب بن غوريون رئيس الوزراء وأقنعه أنه بحاجة الى طائرة ميغ ٢١ للاطلاع عليها (ليأمن) قتالها بعد معرفة مزاياها (التي كانت لغزا من الالغاز لهم وللمخابرات الاميركية بالذات) • وبعد خروجه ضغط بن غوريون على زر ، واستدعى سكرتيره آنذاك (تلفون) وقال لـه : أرسل لي رئيس

المخابرات ... وحضر ـ ايسير . وهنا فاجأه بن غوريون ـ نريد طائرة ميغ ٢١ ـ في أسرع وقت ممكن ، ومهما كانت المتطلبات أنت مفوض .

بدأ ايسير بترتيب الخطة أوفد أحسن ضباطه الى أميركا وأوربا لدراسة ، ومعرفة تواجد طياري الميغ ٢١ هناك بدورات تدريبية حتى سنحت الفرصة لهم ، فوضعوا أربعة من ضباط سلاح الجو العراقي تحت المراقبة أثناء وجودهم في أميركا والمانيا لاتباع دورات (قائد تشكيل) هم :

١ ـ الرائد الطيار : محمد رغلوب عمره في حينه ٣٣ سنة من أهالي بغداد، جرت مراقبته والاتصال به في مدينة فرانكفورت ـ المانيا .

٢ ـ النقيب الطيار : منير روفة ـ من عائلة روفا في بغداد .

٣ ـ النقيب الطيار : شاكر يوسف من بغداد ـ مواليد ١٩٣٦ في محلة حسن جديد ـ باشا .

٤ ـ الملازم الطيار : حامد ضاحي من بغداد ـ عائلة ضاحي .

ولما كانت المهمة ضخمة وهامة جدا فقد اتصلت المخابرات الاسرائيلية مع المخابرات الاميركية وبدأ التنسيق بينهما ، وعين لذلك عدة ضباط ارتباط بحيث تولت المخابرات الاسرائيلية مهمة الاتصال والتعامل مع الطيارين ١ ـ ٢ والمخابرات المركزية الاميركية تولت الاتصال مع الطيارين ٣ ـ ٤ ونهايتهما مذكورة في مآثر المخابرات الاميركية .

نهاية الطيار محمد رغلوب

محمد رغلوب رائد طيار في أحد مطارات الجمهورية العراقية .

سبق له أن عمل كطيار مدني تردد على أوربا ، وقضى ليالي ممتعة في فرانكفورت وميونيخ ـ كان يتذكر تلك الليالي أثناء خدمته في مطار انعدمت فيه وسائل الترفيه وحصل في عام ١٩٦٤ على اذن مرضي بفضل مساعدة بعض أصدقائه في (بغداد) ، لقضاء خمسة أسابيع في أوربا . ووصل في شهر شباط ١٩٦٥ الى فرانكفورت تلك المدينة التي تطيب له الاقامة فيها . وخلال أيام نفذ ما معه مما اقتصده من راتبه كطيار على الملاهي والنساء اللعوبات ومنهن احدى

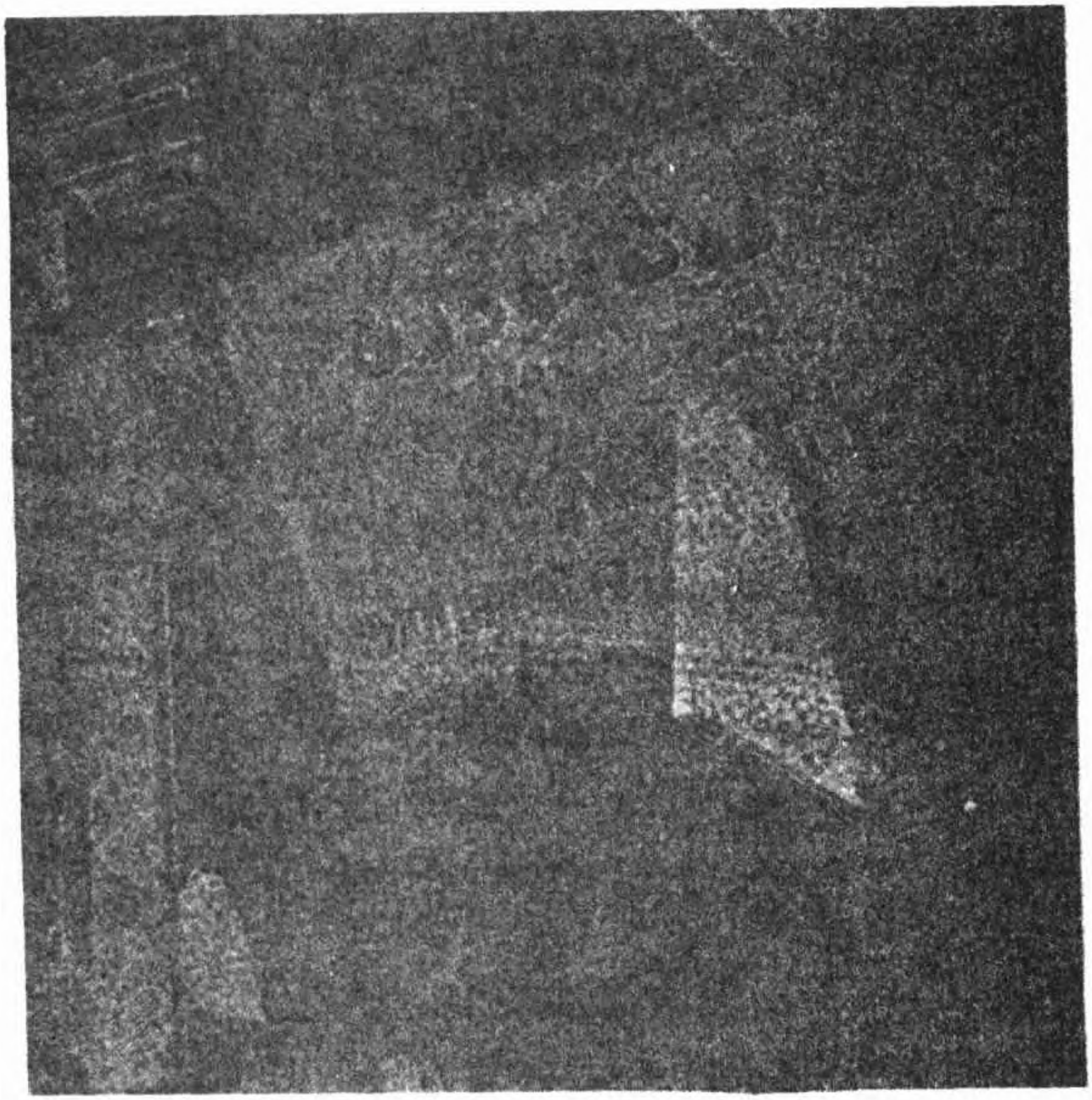
عميلات (الموساد) التي صرح لها عن ضائقته ، فعرفته على شخص يقوم بمضاربات وتعهدات يمكنه أن يساعده . والذي قدم نفسه باسم (هرفراتز) ، وهو من خيرة عملاء (ايسير) ورئيس فرع الموساد في المانيا . سأله هل تكفي (١٠) عشرة آلاف دولار لمصروفك لحين عودتك للعراق ، فوجيء رغلوب بهذا المبلغ الذي قبضه في اليوم التالي من البنك الاتحادي في فرانكفورت وبدأ (هرفراتز)

عمله خلال ثلاثة أيام لم يبق ثغرة من حياة (رغلوب) إلا وسأله عنها (شفهيا وتحريراً وتسجيلاً وصوراً) . وفي النهاية صرح له بأنهم اختاروه ليساعدهم على الحصول على طائرة (ميغ ٢١) ان فر بها هو بنفسه قبض /٢٥٠/ ألف دولار وأمنت حياته مع من يحب الى الابد . وان اتفق مع غيره ونفذ العملية يكون نصيبه /١٠٠/ ألف دولار وتأمينه أيضا بالاضافة الى منفذ العملية .

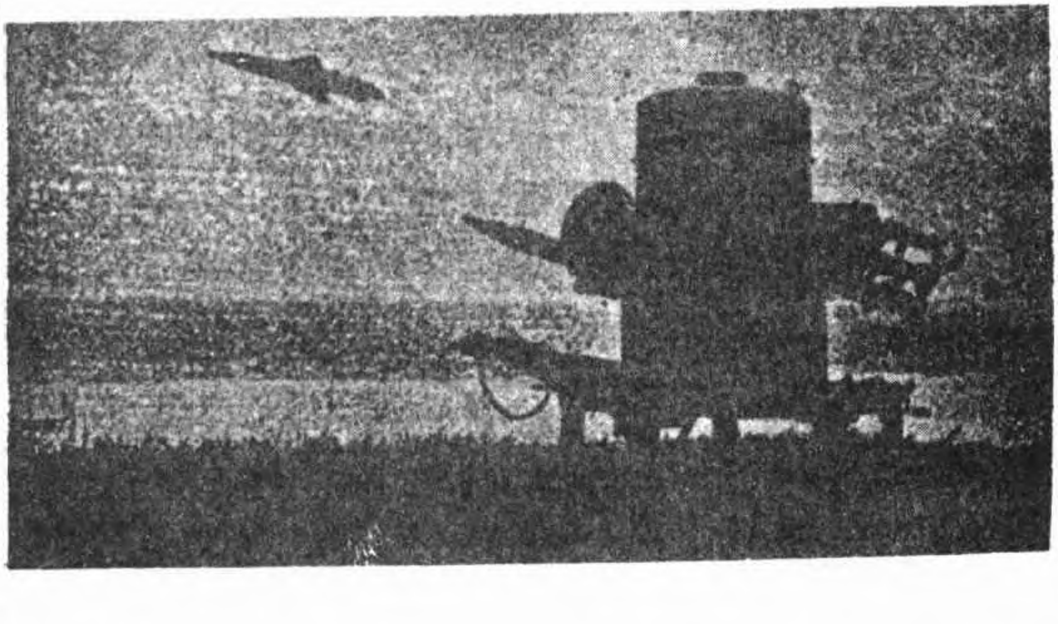
صعق رغلوب للمفاجأة ؟ كان ينتظر منهم أن يسألوه .. كم عدد الطيارين؟ كم طائرة عندكم . أين تقع المطارات السرية ... الخ ومع ذلك لم يوافق ولم يرفض طلب دراسة الامر . طلبوا منه التوجه الى باريس لاتمام المفاوضات سلموه بطاقة طائرة وصل باريس ونزل في منزل مفروش قرب ساحة البراميد ، زاره ضابطين من الموساد لاخذ رأيه النهائي . لقد فكر وهو في الطائرة بكبر العملية وخطرها وافق على الاتصال بزملائه الذين يقودون (ميغ ٢١) ، لكنه طلب باصرار لنفسه سلفا ال /٢٥٠/ ألف دولار توضع في أحد بنوك سويسرا محتجا أن شعبة الاستخبارات في بغداد هي تدفع أيضا مبلغا محترما لمن يعلمها عما تحيكه لها اسرائيل . أغضب كلامه الاسرائيليين ، فانسحبوا مما اضطره للعودة الى المانيا بالقطار .

وفي أثناء سير القطار بسرعة /١٠٠/ كيلومتر سقط رغلوب بتدبير محكم من باب المقطورة وعثرت عليه الشرطة الالمانية مهشما مقطع الاوصال . وأفادت بتقريرها الى السفارة العراقية أنه خلط بين باب الحمام والباب الخارجي، كلفته خطيئته بتخويف الاسرائيليين باعلام المخابرات العراقية حياته[1] ، وهذه طريقتهم

(١) من المفروض في مثل هذه الحالة التظاهر بالموافقة ، ومن ثم اتخاذ ما يراه مناسبا من اعلام القنصلية العراقية او المخابرات العراقية عند عودته . لاتخويف العدو باعلام المخابرات العراقية . لان العدو دائما عندما يشعر بأن العميل يعتمد لفضحه يتخلص منه .

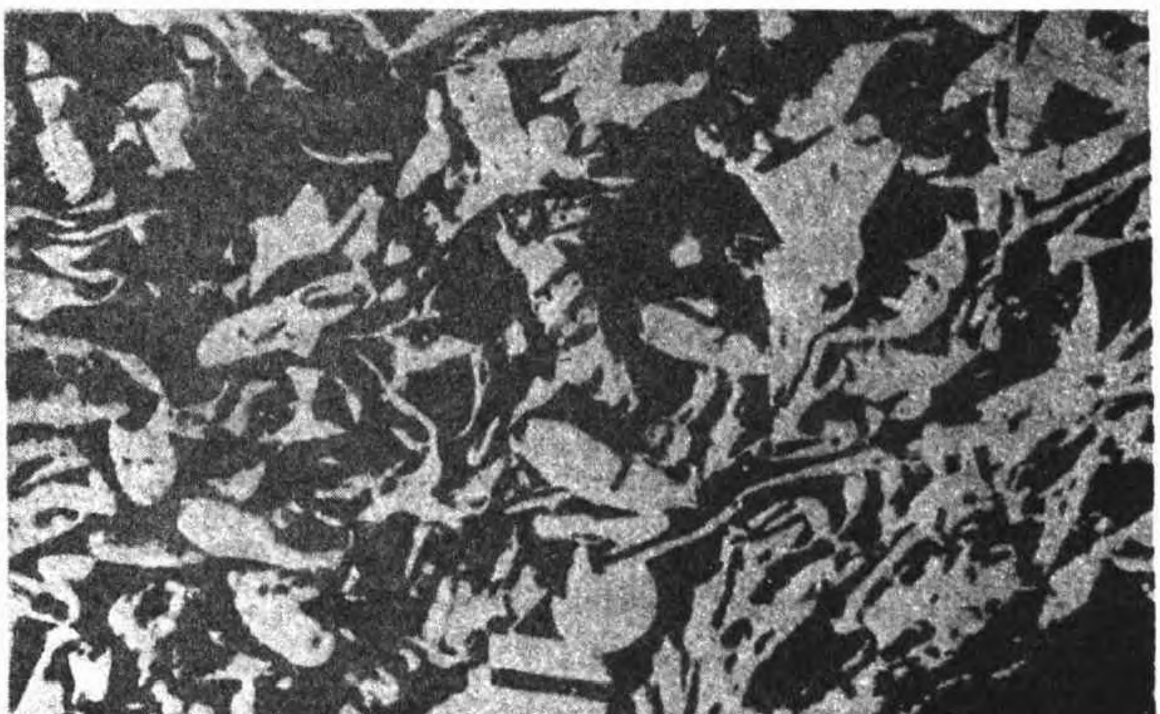


من مراكز التجسس السابقة للعملاء للمخابرات الاسرائيلية في بيروت باب ادريس رقم ١٦١ و ١٦٣





موشيه دايان ومطلقته روث يحمـــل ابنته يانيل في عام ١٩٣٦ وكان لا يزال في حينه بعينين



صورة طريفة لآلاف الأحذية للشبان الذين سيقوا للخدمة العسكرية في المانيا ومع ذلك ادعت اسرائيل أن هذه الأحذيـة لليهود الذيـن أعدموا في الأفران وقبضت من المانيا ملايين الماركات كتعويض ·

بالتخلص ممن يرفض التعاون معهم .

بقي في يد المخابرات الاسرائيلية النقيب منير روفة ؟ اتصلوا به بحذر وكتمان ، فوافق شريطة تأمين سحب عائلته من بغداد مسبقا من بين يدي السلطات وجد أحد أطباء المخابرات الاسرائيلية المخرج ـ سلم منيرروفة حبة طبية أحضرت من تل أبيب خصيصا وعاد الى بغداد بانتهاء دورته التدريبية .

في منزل روفة في احدى ضواحي بغداد يبتلع ابنه الحبة الطبية فيصاب في اليوم التالي بأعراض اصابة (يوليو مينليت) بشكل حاد . وحصل أبوه على اذن فوري من المخابرات العراقية والقيادة الجوية لارساله الى لندن للعلاج[1] برفقة والدته ومعها الابن الثاني ، لان الوالد لا يتمكن بطبيعة الحال من العناية بالطفل.

وصلته برقية بوصول زوجته والاولاد الى لندن ، فأخذ يتحين الفرص للتنفيذ . لانه أرسل مع زوجته خطابا الى صديق في لندن ليساعدهم (ضابط الاتصال وهو اسرائيلي) ، أعلمهم بالخطاب أن حضوره سيكون ما بين ١٦ و٢٤ آب حسب جدول الدوريات التي ينطلق بها وكان الاشخاص الذين يعرفون ذلك لا يتعدون أصابع اليد :

١ ـ ليفي أشكول بالذات الذي أصدر أمره من ثلاث سنوات للحصول على هذه الطائرة .

٢ ـ وزير الدفاع الاسرائيلي .

٣ ـ الجنرال (رابين) رئيس الاركان في حينه .

٤ ـ ايسير هاريل رئيس المخابرات ومنفذ العملية .

٥ ـ رئيس الأمان ـ مخابرات الجيش .

٦ ـ قائد سلاح الجو ـ موتي هود .

وكان الاخير اشدهم حيطة ومسؤولية حيث أمضى حوالي أسبوع قبل هروب منير روفة بالطائرة اليهم ، وهو يراقب في مكتبه ويتدخل في شبكات الرادار واللاسلكي ليتعرف جميع الطيارين على صوته لانه كان يخشى من أن

---

(١) بعد أن استحصل على تصريح من وزارة الصحة العراقية باستحالة علاج ولده في العراق ...؟

يقوم أحد الطيارين الاسرائيليين (المصبين) باطلاق رشة من طائرته على الميغ ٢١ أثناء قدومها فيحطم كل تلك الجهود ..

هروب منير روفة بطائرته الميغ ٢١ الى اسرائيل :

بتاريخ ١٦ آب ١٩٦٦ خرج سرب من طائرات سلاح الجو العراقي (ميغ٢١) للقيام بأعمال الدورية في المجال الجوي العراقي ، ابتدأ من الساعة ٤٥ر٧ وكان من تعداد هذا السرب النقيب الطيار : منير روفة،الذي تأخر بطائرته عن السرب. ولم يلب نداء رئيسه الذي غاب عن نظره مع بقية السرب نظرا لسرعة الميغ . وهنا تحول (منير) الى الحدود الاسرائيلية متخطيا الحدود الاردنية (حاولت طائرتان أردنيتان من نوع (هنتر) اعتراضه فلم تتمكنا بسبب ضعف سرعتهما). وفي الساعة ٥٢ر٧ كان يدخل الاجواء الاسرائيلية .

ثلاث رادارات اكتشفته بوقت واحد ، وتحركت شبكة الانذار أقلع النقيب الاسرائيلي (ران)[1] فورا مع سرب من طائرات الميراج الاسرائيلية ، وبلحظات كان ران أعلى من الطائرة القادمة ، ويحميه سربه عند ذاك تلقى مع سربه أمرا قاطعا باللاسلكي من الجنرال (موتي هود) : لا تطلقوا النار بأي ثمن القضية قضية دولة وبأمر رئيس الوزراء . نفذ ران الامر لان معرفته بصوت موي قائده ساعده على ضبط أعصابه والسيطرة على رد الفعل له (كمطارد) .. تأكد بن (بحة) صوته وهو يقول له : اياك أن تلعب دور البطولة .. هذا الميغ سيتبعك بلطف ، ويرسو عندنا . بعد أن اطمأن (ران) اقترب قليلا من طائرة العدو التي طالما تأمل صورها أو نماذج مصغرة عنها .

انها تحمل على جناحيها (الشارة العراقية) وقائدها لا يبدو عليه أية نية عدائية . وما أن اقترب (ران) بطائرته الميراج منه حتى خفف سرعته بشكل محسوس وترنح على اليمين واليسار ليدلل على نيته بالهبوط ومسالمته ، اقترب ران أكثر حتى شاهد الطيار العراقي (منير) واضحا من خلال القفص البلاستيك،

---

(١) هذا الطيار الاسرائيلي هو بطل الطيران البهلواني في أثناء احتفالات عيد الاستقلال في الكيان الصهيوني .

وهو يرتدي لباس الطيران الازرق وقد أشار له بيده اليمنى وابهامه الى الأسفل معبرا عن عزمه على الهبوط . عند ذلك بادله (ران) الاشارة بأن يتبعه ، ولم يزل (ران) محميا من سربه . اتجه الجميع الى النقب و (موتي ٠ ـرد) بنفسه يضبط عملية الهبوط وما أن خرج منير روفة من طائرته بعد أن استقرت على أرض اسرائيل[1] حتى رحب به الجنرال (موتي هود) قائلا بالانكليزية : (طيران جيد يا سيدي) أجابه الخائن منير روفه : ليس رديئا . بعد أن قدم له قصه : الرئيس منير روفة ، أدخل الى صالون خاص ليتمكن من تبديل ملابس الطيران، ثم أركب بطائرة هيليوكوبتر باتجاه الشمال . أما الطائرة الحزينة فقد /غطيت/ من أعين الفضوليين ، وأحيطت بشريط من الشرطة العسكرية .

وفي نفس اليوم وجهت الدعوة الى الملحقين العسكريين الاجانب لمشاهدة (الميغ ٢١) ، وهي محاطة بجديلة حمراء غليظة وكأنها تحفة في متحف ، بهرت أنظار الملحقين العسكريين . الكولونيل كاترو الفرنسي لم يستطع وصفها لروعتها ، وراح يردد (... مثير ... مثير) ، الكولونيل فدنه ، قهقه فرحا وهو يلمسها لانه أول أميركي في العالم يلمس ويرى بأم عينه هذه الطائرة السوفييتية التي كانت بالامس القريب لغزا محيرا لهم . الانكليزي الميجر : تومبسون ... حاول الدخول الى قربها ، فمنع بأدب من قبل الشرطة العسكرية.

اذاعة وصول الميغ ٢١ الى اسرائيل :

اتفقت المخابرات الاسرائيلية مع قيادة الجيش على اذاعة قصة وصول الميغ ٢١ بالشكل التالي :

بنفس الوقت الذي كان فيه الملحقون العسكريون يتفحصون الميغ ٢١ كان النقيب منير روفة مستسلما لفضول الصحافيين الاسرائيليين الذين ينطقون العربية والاجانب مراسلي وكالات الانباء العالمية . ثم انسحب الى قاعة خلفية بعد أن

---

(١) لا سلمت يداك ان أميركا ومخابراتها وعظمتها لم تحلم بالحصول على مثل هذه الطائرة مع أنها عرضت /مليون دولار/ لاي طيار يفر بها ، ولم تفلح . جئت يا منير وسلمتها لهم لقمة سائغة لتعيش في اسرائيل مع أولادك الذين تعلموا اللغة العبرية .

توترت أعصابه بعد ذلك خرج اليهم الكولونيل (سهيل بن زفي) الناطق الرسمي بلسان الجيش الاسرائيلي ، وقرأ عليهم رسالة كتبت بالانكليزية وعلى ورق أزرق ادعى أنها وصلته عن طريق صندوق بريد خاص في قبرص وان الطيار القادم أخذ رقم الصندوق من مجلة القوات المسلحة الاسرائيلية ؟ ومحتويات الرسالة تقول :

سيدي أرجو أن تصلك هذه الرسالة شخصيا اذ أن ذلك مهم جدا لسلامتي الشخصية ، وأرجو أن تتفضل بتصديقي في كل ما أكتب رغم القلق الذي أشعر به فاني مصمم على التنفيذ .

أنا طيار ميغ ٢١ في السلاح الجوي العراقي قررت الحضور بطائرتي الى بلدكم . لقد توصلت الى ذلك بعد تفكير طويل ، سأحدثكم عنه شفهيا عند حضوري اني أقدر بلدكم ، وأجزم بأنكم لن تعيدوني الى نقطة انطلاقي . وسيكون حضوري من الآن وخلال ثلاثة أسابيع على ارتفاع عال بين الساعة السابعة والعاشرة صباحا قادما من جهة الشرق مجتازا الاراضي الاردنية عند شمال البحر الميت بمشيئة الله . آمل أن أهبط في احدى قواعدكم أرجو أن تعطي الامر الى طياريكم ألا يفتحوا النار علي اذ أني قادم بنوايا مسالمة .

يا سيدي أريد أن أكرر عليكم مرة أخرى ، ان نواياي صادقة وأرجوكم أن تصدروا ، وبالحاح وتأكيد ، أوامركم الى رجال طيرانكم ليضمنوا سلامتي . يمكنكم التأكد أني لن أخيب ظنكم باخلاص ..

التوقيع : طيار ميغ ٢١

ملاحظة : أرجو قبول اعتذاري لاني لم أوقع باسمي الصريح .

بعد انتهاء الناطق بلسان الجيش الاسرائيلي من قراءة (رسالة طيار الميغ ٢١) الذي نفذ ما كتب برسالته (حسب ادعاء السلطات الاسرائيلية) عاد الرئيس منير روفة من القاعة الخلفية بعد أن استعاد هدوءه وأجاب على أسئلة مندوب الاذاعة الاسرائيلية وباقي الصحفيين بأنه : ترك بلاده (العراق) بسبب التمييز المذهبي الذي يشعر به ومعارضته للقمع الوحشي الذي تتبعه السلطات العراقية ضد الاكراد (في حينه) .

انتهى المؤتمر الصحفي ، وانتهت مهمة (منير روفة) استقبل بعد ذلك في مطار اللد زوجته وولديه القادمين من لندن ، وانتقلوا الى مسكن فخم أعد لهم في احدى ضواحي تل أبيب تحت اسم جديد . وفي اليوم التالي قبض / منير روفة/ ثمن خيانته ووضعه في بنك (هاتسوفيه) وعاد الى منزله ليعيش ذليلا بقية حياته . بينما يخرج أولاده للعب مع أولاد اليهود ، وقد تعلموا اللغة العبرية بطلاقة ..

نتائج وصول الميغ ٢١ الى اسرائيل :

بعد المؤتمر الصحفي عن الميغ ٢١ وضعت تحت تصرف ٥٠ خبيرا أميركيا[١] حضروا على متن طائرة خاصة بالاضافة الى مهندسي وتقنيي سلاح الجو الاسرائيلي . فجرى فحص أجزائها بدقة متناهية ..

ان امتلاكها من قبل اسرائيل سهل عملية التدريب العملي عليها ، اذ سمح للطيارين الاسرائيليين أن يتدربوا طويلا ضد أفضل طائرات (عدوهم) .

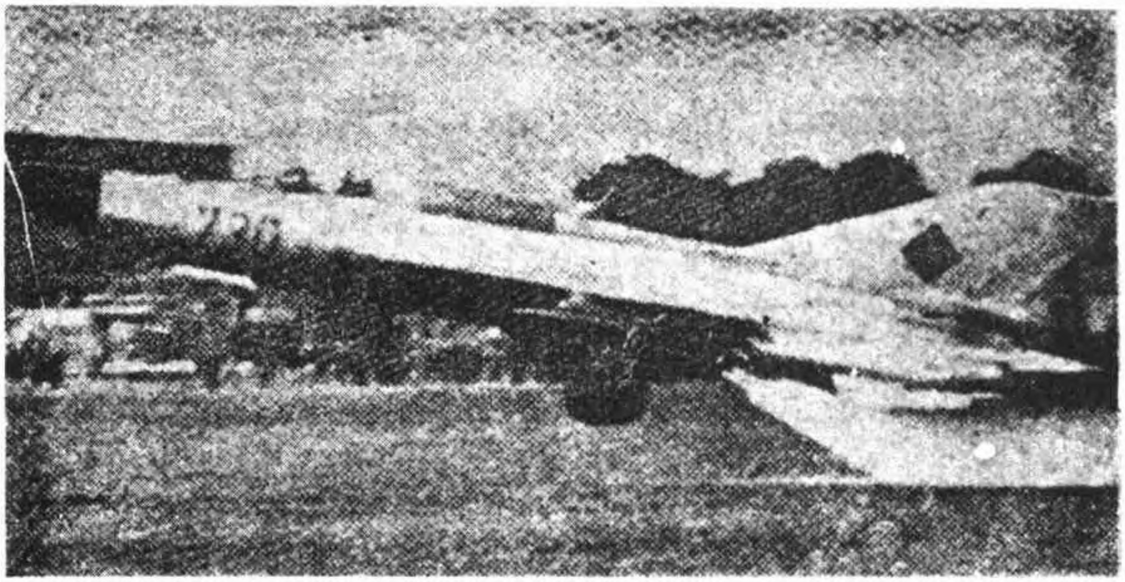
أصبحوا يعرفون أنها أسهل انقيادا على ارتفاع منخفض . عرفوا أنه يجب فرض القتال على الميغ في علو مرتفع علمهم أحد الخبراء الاميركيين أن نظام تشغيل الميغ أساسه (البنزين) ، حيث يزيد هذا النظام من استغلال الطائرة ، ويجعلها قادرة على الاقلاع بدون تدخل مساعدات التشغيل . وغير ذلك من الميزات التي ساعدت الطيارين الاسرائيليين في حزيران ١٩٦٧ (راجع ضحايا المخابرات الاميركية) .

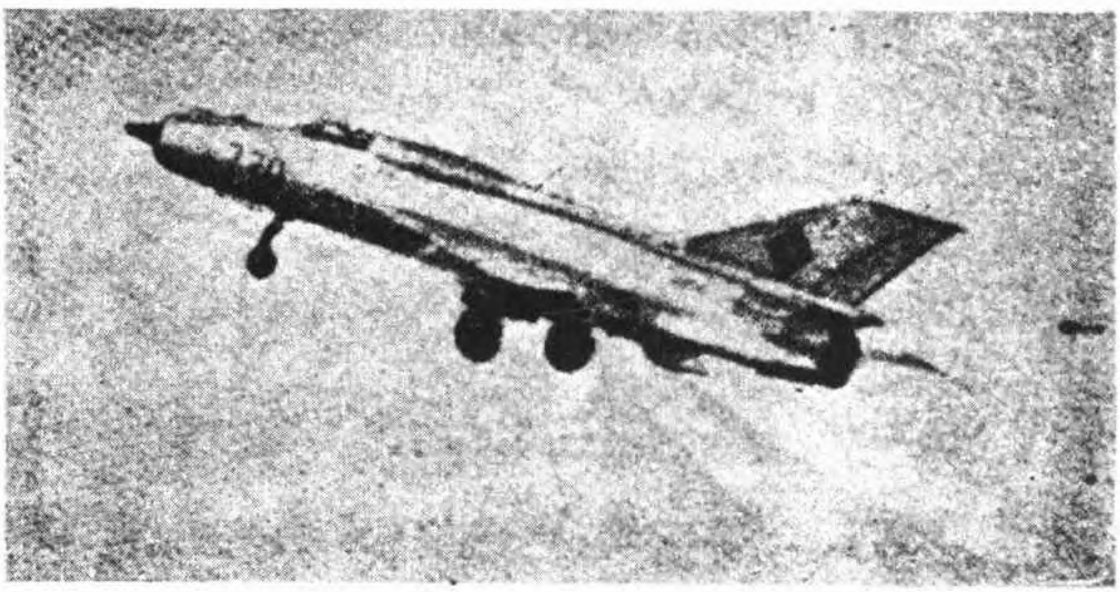
استمرار اسرائيل بتشجيع هروب الطائرات اليها :

منذ مدة غير بعيدة عن وصول الميغ ٢١ الى اسرائيل اتجه طيار مصري برتبة (رئيس) اسمه : عباس حلمي بطائرته ، وكانت من نوع (ياك ١٥) من

---

(١) تكررت هذه الحادثة بفرار الطيار السوفياتي (فيكتور بيلينكو) الى اميركا عن طريق اليابان بطائرة ميغ ٢٥ تعتبر اهم من الطائرة /ميغ ٢١ و ٢٣/ بكثير . وفورا جرى تفكيك هذه الطائرة في قاعدة (هاكوذاتي) اليابانية بحضور الخبراء الاميركيين وعددهم (خمسين خبيرا) والخبراء اليابانيين وعددهم (خمسين خبيرا) ثم جرى نقل هيكل الطائرة الى مطار (هيكوري) بواسطة نقل اميركية ضخمة /س ٥ جالاكس/ ارسلت خصيصا من قبل المخابرات المركزية الاميركية التي خططت لهذه العملية المثيرة ومولتها ..؟







ثلاث لقطات معبرة يعرفهـا خبراء الطيران ولم نبق سرا بعد حصول اسرائيل على طائرة ميغ ٢١ وهـذه للقطات تبين ميزة الطائرة المذكورة

الطائرات القديمة الى قاعدة جوية في النقب وسلم نفسه مع طائرته الى السلطات الاسرائيلية (بدون ترتيب المخابرات هذه المرة) •

ولما كانت طائرته قد مضى عليها الوقت ولا تهم الاسرائيليين بشيء ، ومع ذلك رحبوا بالطيار الهارب وأكرموا وفادته وخيّر بين البقاء في اسرائيل أو السفر لاي بلد أجنبي • فاختار ايطاليا وسافر اليها بجواز سفر أرجنتيني صادر عن السفارة الارجنتينية في تل أبيب تنقل بعد ذلك حتى استقر به الامر في بوينس ايرس ، ونسي ما قدمت يداه وتوجه لزيارة النادي العربي هناك فتعرف عليه بعض المصريين حيث أعيد بمعرفة المخابرات الحربية المصرية الى القاهرة ونال جزاءه العادل •••

ملاحظات على عملية (سرقة الطائرة ميغ ٢١) :

بالرغم من مرور ثلاث سنوات بين تاريخ طلب بن غوريون رئيس الوزراء من ايسير رئيس المخابرات تأمين طائرة ميغ ٢١ هكذا ببساطة (أريد ميغ ٢١) وبين تاريخ وصول هذه الطائرة الى مطار اسرائيلي في النقب وامتلاكها من قبل اسرائيل كان ليفي أشكول قد حل رئيسا للوزراء محل بن غوريون الذي تقاعد في مزرعته وحل الجنرال موتي هود محل الجنرال ايزر وايزمان (أول من فكر بطلب الميغ لدراستها) في سلاح الجو الاسرائيلي وأخيرا حل الجنرال ماير أميت في رئاسة المخابرات الاسرائيلية محل (ايسير هاريل) ومع كل ذلك (استمرت) عملية الميغ في طريقها لآخره ••• ولم تلغ لاي سبب من هذه الاسباب •• ؟

رئيس جديد للمخابرات الاسرائيلية :

عين الجنرال (ماير أميت) رئيسا للمخابرات الاسرائيلية فور استقالة سلفه (ايسير هاريل) وهو رجل خفيف الكلام عكس (ايسير) من مواليد طبريا ١٩٢١ تطوع عام ١٩٣٦ في الهاغاناه ، وبقي حتى عام ١٩٤٨ حيث حارب الجيوش العربية وجرح في جنين ، ثم عاد الى الحرب واستولى مع فصيلة من الهاغاناه على (ايلات) • في عام ١٩٥٠ عين قائدا لكتيبة (غولاني) في عام١٩٥٥ ترأس مكتب العمليات وقاد معركة الجنوب في حرب السويس عام ١٩٥٦ جرح جرحا بليغا بقي في المستشفى ستة عشر شهرا (انتهى على أثرها من الحياة

العسكرية) • سافر الى الولايات المتحدة لمدة سنتين حصل على دبلوم في (ادارة الاعمال) عاد الى اسرائيل فعرضت عليه رئاسة (الامان) مخابرات الجيش فقبل حتى عام ١٩٦٣ انتقل الى رئاسة المخابرات بعد استقالة ايسير هاريل •

يقول عن المخابرات انها لاتشكل سوى جزء تحتي من أبناء البلد • وعلينا أن نلتزم بسلوك الجيش والحكومة ، واذا لم يلتزم موظف مهما علت رتبته بهذا السلوك عليه الاستقالة فورا[1] • آلى (ماير) على نفسه عدم التدخل بالسياسة ولقامة أي علاقات مع السياسيين (عكس ايسير) ، ولكن بتاريخ ٢٧ أيار ١٩٦٧ رجع أبا ايبان وزير الخارجية من واشنطون بعد مقابلــة الرئيس جونسون وشرح للوزارة الاسرائيلية أن الولايات المتحدة حريصة على تجنب أي صدام مع السوفييت ، ولكن رئيس الوزراء لم يقتنع بما جاءه به وزير خارجيته ، فأرسل الجنرال (ماير) بتاريخ ٣٠ أيار الى واشنطون وذلك لتمحيص معلومات أبا ايبان والتأكد بأن أميركا مستعدة لوقف اطلاق النار عند تعرض اسرائيل للخطر •

في ٣ حزيران ١٩٦٧ أرسل (ماير) البرقية التالية الى ليفي أشكول :

حياد مضمون ــ عملية يجب أن تكون سريعة جدا لكنها لن تثير أي تدخل•
ومن بعدها كانت حرب ٥ حزيران ١٩٦٧ الغادرة التي فاجأت اسرائيل فيها الدول العربية ، مستندة على ضمان الولايات المتحدة كما جاء في برقية (رئيس المخابرات الاسرائيلية) التي أرسلها بعد مقابلة المسؤولين الاميركيين في البيت الابيض والبنتغون والمخابرات المركزية والتي اشترطوا فيها (السرعة) أي المباغتة ووضع العالم تحت الامر الواقع •

تقاعد ثاني رئيس للمخابرات الاسرائيلية :

في شهر أيلول ١٩٦٧ (بعد مضي ٣ أشهر على حرب حزيران ١٩٦٧) قدم الجنرال ماير أميت استقالته من رئاسة المخابرات (الموساد) ، وقبلت هــذه

---

(١) كانت هذه الجملة غمزة صريحة لسلفه (ايسير هاريل) ••

الاستقالة نظرا لتأكيده والحاحه محتجا بحالته الصحية وطيلة خدماته (منذ١٩٣٦) وقد تحققت في عهده الامور التالية :

أ ـ زرع (وول لنفانغ لوتز) في القاهرة كمرب وصاحب ناد للخيول ثم القاء القبض عليه من قبل المخابرات الحربية بالقاهرة وتبادله مع الاسرى المصريين (من حرب ٥ حزيران ١٩٦٧) .

٢ ـ أوصل عملية (سرقة الطائرة الميغ ٢١) الى نهايتها .

٣ ـ قام بأعباء التحضير لحرب الايام الستة الغادرة مع المسؤولين في المخابرات المركزية الاميركية أثناء سفرته المشهورة الى واشنطون من ٣٠ أيار الى ٣ حزيران ١٩٦٧ .

وبعد تقاعده انتقل الى مزرعته مع زوجته (لـم ينجب أطفالا كما ترفض زوجته اقتناء خادمة في منزلها)، ويستدعى بين حين وآخر لاستشارته بأمور تتعلق بأمن اسرائيل (نظرا لخبرته السابقة) .

حرب الايام الستة في ٥ حزيران ١٩٦٧ :

جملة حرب الايام الستة أطلقتها أبواق الدعاية الاسرائيلية والتقطناها مع الاسف ، وأصبحت رمزا لمعركة مباغتة غادرة خاضتها الدول العربية مرغمة في وقت استغلت فيه اسرائيل كل شيء ضدنا ، استغلت تفرق الكلمة (في حينه) ، استغلت طبيعتها في (الغدر والمباغتة) . فقامت بهجومها على الدول العربية في ساعات الصباح الاولى في الخامس من حزيران ١٩٦٧ حيث لا يتوقع أحد ماحدث حتى أن القادة ورؤساء الدول العربية لم يتوقعوا من اسرائيل هذا الهجوم المطابق لهجوم سلاح الجو الياباني على قاعدة بيرل هاربر الاميركية في ٧/١٢/١٩٤١ حيث اندفعت ١٨٣ طائرة مقاتلة و ٥١ قاذفة منقضة و ٨٩ قاذفة عالية الارتفاع و ٤٠ طائرة طوربيد في ساعات الصباح الاولى حيث المدافع المضادة

غير معبأة والطيارون غير مستعدين مما مكنها من تدمير هذه القاعدة وما فيها من طائرات وبطاريات مضادة وسفن وحاملات طائرات كل ذلك بسبب (عنصر المفاجأة) ، كما حدث لدينا • والفارق عندنا بأن القادة لم يكونوا يتوقعون نشوب الحرب ، بل كانوا يعتقدون بأن الامر لا يتعدى ايهام اسرائيل كما هي العادة في عدة مناسبات سابقة ثم تعود الامور الى طبيعتها ، كما كان يحدث خلال السنين السابقة ، ولكن اسرائيل التي بنيت على المكر والخداع فاجأتنا بما لا يمكن أن تتصوره أو أن يستوعبه العقل البشري حتى كسبت هذه الجولة، واحتلت نتيجة ذلك سيناء والضفة الغربية ومرتفعات الجولان بما فيها مدينة (القنيطرة) معقل الشركس الابطال مع تدمير ٥٠٪ من الطيران المصري والسوري أغلب الطيران الاردني • ومع كل هذا حصلت بطولات عربية فذة (قدر الامكان) • وقام الطيران المصري والسوري ببعض الطلعات الممكنة ، واستشهد منهم بعض الطيارين الابطال •اما الطيران الاردني الفتي ورغم ماأصابه من التدمير فقد قام الطيار الاردني البطل (فراس عجلوني) بعدة طلعات انتحارية، ثم استشهد بعد أن طاردته عدة طائرات اسرائيلية • وكتب بدمه المجد والخلود لامته •• فكيف حدثت حرب ٥ حزيران ــ وبهذه السرعة ، كيف تمكنت اسرائيل من (غدرنا) ؟ أسئلة سمعتها في البلاد العربية ــ في ايطاليا ــ في فرنسا في سويسرا ــ في تركيا كلهم يتساءلون مثل أبناء البلاد العربية لقد اندفع عشرات الصحفيين ومصوروا السينما والتلفزيون الى مناطق القتال من جميع أنحاء العالم ، أغلبهم موالون لاسرائيل وبعضهم يشفق على العرب صوروا وسألوا •••• تجولوا في مناطق القتال ••• بعضهم عظم وفخم في اسرائيل وجيشها ••• بعضهم رثى لما أصاب العرب وكان منصفا ، فبادر الى البحث عن الحقيقة عن السبب ليقدم للمتسائلين جوابا شافيا يبقى عبرة على مر السنين • السبب الذي أدى الى الهزيمة هو الجواب الذي ينتظره القراء :

١ ــ استغلال اسرائيل لاحدى خطب السيد أحمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية (سابقا) ، والتي قال فيها : بأنه حين الانتصار على اسرائيل

***

فسوف (يلقى باليهود في البحر)[1] فجعلت اسرائيل من هذه الخطبة غير المسؤولة قميص عثمان ، وأخذت تقدمها مترجمة الى مختلف دول العالم قائلة : ان العرب يريدون رمينا في البحر ... مما جعل هذه الدول تقف بجانب اسرائيل ماديا ومعنويا وعسكريا ...

٢ ـ ضمان الولايات المتحدة الاميركية بحماية اسرائيل فيما لو حدثت المضاعفات التي حصلت في حرب تشرين من عام ١٩٧٣ ـ وكان ضمان أميركا لاسرائيل قد أعطي للجنرال (ماير أميت) رئيس مخابرات الاسرائيلية وبموجب برقيته المرسلة الى ليفي اشكول رئيس وزراء اسرائيل بتاريخ ٣ حزيران ١٩٦٧ ـ بأن تكون الحرب خاطفة ...

٣ ـ وجود معلومات موثوقة وخرائط واضحة لدى اسرائيل عن المطارات العربية والاماكن الحساسة حصلت عليها اسرائيل من المخابرات المركزية الاميركية (سلمت الى رئيس المخابرات الاسرائيلية باليد..) وقسم منها من سفينة التجسس الاميركية (ليبرتي) ومن مخابرات حلف شمال الاطلسي الذي يتبادل المعلومات مع اسرائيل وبصورة خاصة عن الاسلحة السوفييتية في البلاد العربية وحصلت اسرائيل على المعلومات أيضا من شبكات التجسس التي كانت منتشرة في الوطن العربي والتي علق أفرادها على المشانق في بغداد وعمان ودمشق والقاهرة ومن اليهود الشرقيين الذين كانوا يعيشون في البلاد العربية ويعرفون الكثير . هؤلاء بمجرد وصولهم الى اسرائيل كانوا يخضعون لاستجواب دقيق من قبل المخابرات الاسرائيلية .

٤ ـ تسليم طائرة ميغ ٢١ الى اسرائيل من قبل الطيار العراقي الخائن ـ منير روفة ـ بعد أن كانت هذه الطائرة هاجس اسرائيل وأميركا بالذات ...

٥ ـ تدريب الطيارين الاسرائيليين والطيارين المرتزقة في اسرائيل على ماقاموا به في ٥ حزيران ١٩٦٧ ـ منذ عام ١٩٥١ حيث كانت جميع الطلعات التدريبية خلال الستة عشر عاما التي سبقت العدوان تتم (بالاغارة على مطارات منشأة في

---

(١) عكس (السيد ياسر عرفات ـ ابو عمار) رئيس منظمة التحرير الفلسطينية حاليا والذي ينادي باقامة دولة فلسطينية علمانية مبنية على العدل والمساواة بين العرب واليهود

اسرائيل تشبه مطارات الدول العربية..) وتكون الاغارة أثناء التدريب على عدة مطارات كما حدث فيما بعد..

٦ ـ تعديل تسليح الطائرات الاسرائيلية الاميركية الصنع ـ فانتوم وسكاي هوك ـ والفرنسية الصنع ميراج وتحميلها قنابل صنعت خصيصا في معامل الاسلحة الافرنسية (مع الاسف) . وميزة هذه القنابل هي اختراق طبقة الاسمنت المسلح أو الاسفلت المضغوط (أرض المطارات) واحداث (فجوة عميقة) في أرضية المطار تعرقل الطيران ، ويصعب اصلاحها في وقت قصير . وهذه القنابل بالذات هي التي دمرت بعض أجزاء المطارات العربية .

٧ ـ اعتماد اسرائيل على (طيارين) أجانب . سبق لهم الخدمة في بلادهم (طياري حرب أو لدى شركات الطيران العالمية) جاؤوا من المانيا الغربية ـ ونيوزيلندا ـ كندا ـ أميركا ـ أوستراليا ـ بعضهم اشترك في حرب كوريا والبعض اشترك في حرب فيتنام .

٨ ـ تواطؤ الدول الغربية بالايحاء الى الاتحاد السوفييتي، ومن ثم الى البلاد العربية مثل مصر وسورية بأن اسرائيل لن تكون البادئة بالحرب . وما على العرب الا أن (يضبطوا) أعصابهم .. مما ساعد اسرائيل على التأكد من أن الدول العربية سوف تؤخذ على حين غرة ، وهذا ما حدث .

٩ ـ اخلاء اسرائيل لمطاراتها العسكرية أثناء وبعد العدوان تحسبا لهجوم الطائرات العربية . واستعملت بدلا عنها الطرق العامة مثل طريق تل أبيب يافا ـ طريق تل أبيب حيفا ـ طريق تل أبيب النقب .. الخ كمدارج للطائرات الحربية.

١٠ ـ استعملت الطائرات الاسرائيلية التي يقود بعضها (مرتزقة) أجانب (خدعة) فنية سبق أن استعملها الحلفاء بنجاح فوق النورماندي أثناء الحرب العالمية الثانية وهي (القاء) رقائق وقطع المنيوم من الطائرات (راجع هذا الفصل في الكتاب) أثناء انطلاقها باتجاه الاجواء الجوية المعادية ، فتظهر هذه القطع على شاشات الرادار مثل ظهور اشارات الطائرات نفسها مما يحدث تشويشا يصعب معه معرفة عدد الطائرات المغيرة، وبالتالي تفسد عمل الرادار من كثر اللغط الذي يظهر به(كانت الطائرة الاسرائيلية تلقي ما بين ٥٠ و ١٠٠ قطعة المنيوم في كل طلعة) فكيف يمكن لموظف الرادار العربي التأكد في هذه الحالة .

١١ ـ قدوم الطيارون الاسرائيليون والمرتزقة لضرب المطارات المصرية على ارتفاع منخفض فوق البحر مارين تحت نطاق التقاط شبكات الرادار المصرية ، وقد كرر الطيارون الاسرائيليون هذه الخدعة في سوريا بعد ذلك عندما أغاروا على قواعد الفدائيين في منطقة الهامة بدمشق ...

كل هذه العوامل ادت الى ما حصل في حزيران ١٩٦٧ ، ولنأخذ مثالا البند رقم /٧/ كيف تحصل اسرائيل على الطيارين الاجانب الذين يتركون العمل في طيران بلادهم ؟.

في واجهة الاعلانات لدى كل سفارة أو قنصليه لاسرائيل في أوربا وأميركا يوجد اعلان عن رغبة سلاح الجو الاسرائيلي في التعاقد مع طيارين قديرين ويحدد الاعلان الراتب المغري الذي يحصل عليه المتعاقد مع حق حصوله على الجنسية الاسرائيلية واحتفاظه بجنسيته الاصلية . ولا يحدد الاعلان أي شروط لقبول الطيار ، فيتدفق الطيارون الراغبون في المغامرة والكسب السريع الى اسرائيل . وأول ما يفكرون به هو حياة الليل والمخدرات . فيجدون كل ذلك في متناول يدهم . وقد علمنا من مصدر موثوق بأن أغلب الطيارين الذين باعوا أنفسهم لاسرائيل من المغضوب عليهم في بلادهم ، وقد فصلوا من وظائفهم بسبب ادمانهم على المشروبات الكحولية والمخدرات مما يؤثر عليهم كطيارين . ومع ذلك تقبلهم اسرائيل وتفتح لهم أبوابها حيث يحصلون وبكثرة على ما حرموا منه أثناء خدمتهم طيران بلادهم . وجميعنا يعرف أن الفتاة الاسرائيلية تؤدي الخدمة الالزامية بجانب الرجل وسلاح الطيران بالذات يضم المئات من المجندات الاسرائيليات اللائي يتم انتقاؤهن خصيصا من مختلف الوحدات العاملة بسبب الحاجة الى خدماتهن المضاعفة في سلاح الطيران ، نظرا لجمالهن حيث يوعز اليهن بالاختلاط بشتى الوسائل بالطيارين الاجانب . وهكذا ينتقي كل طيار مجندة اسرائيلية لمرافقته أولا في الاستدلال على الاماكن العامة في البلدة التي يكون المطار بجانبها أو بالقرب منها . وبعد ذلك تتوطد الصداقة بينهم فتفهم المجندة هذا الطيار أن بامكانه طلبها رسميا لمرافقته حسب هواه فيتقدم الطيار الاجنبي بطلب رسمي ، بعد أن يحصل على اسم ورقم المجندة يطلب فيه فرز هذه المجندة

لمساعدته على حياته الجديدة • وبسرعة تتم الموافقة ، وتعفى المجندة من ارتداء اللباس العسكري لتفريغ نفسها لمساعدة الطيار الذي طلبها • ورؤساؤها بهذه الحالة يسرون كثيرا بها ، ويعتبرونها تؤدي الخدمة الالزامية لاسرائيل ضعفين •

وهكذا يحصل الطيارون المرتزقة على مبتغاهم في اسرائيل ، فيكتبون الى زملائهم ليلحقوا بهم • وعلى هذا الاساس ومنذ عام ١٩٥٣ وحتى الان يتواجد في اسرائيل حوالي ١٥٠ طيارا غير اسرائيلي يقودون مختلف أنواع الطائرات • حيث يخضعون للتدريب على القيام بغارات وهمية على مطارات تشبه مطارات البلاد العربية عدا عن خبرتهم الطويلة في الطيران الجوي ، حيث علمنا من أحد المراسلين الاجانب أن الطيار منهم كان يقوم بضرب مطار القاهرة ثم يعود الى اسرائيل فيتزود بالوقود والذخيرة ، ويعود لضرب مطار عمان أو دمشق وكأنه يقوم بقيادة طائرة ركاب في رحلة عادية نظرا لما يتمتع به من المميزات التي ذكرناها والتي تعتمد فيها اسرائيل على الطرق اللاأخلاقية الثابتة حتى ان اسرائيل وبعلم من مخابراتها بالذات كانت تقدم مثل هؤلاء الفتيات الى ضباط لجان الهدنة ؛ وذلك للحصول بواسطتهم على مختلف المعلومات ونحن في هذا الصدد لا نبخس الطيارين العرب حقهم من الخبرة والتدريب الكافي والجرأة والبطولة والاقدام • ولكن ما جرى من غدر ومباغتة اسرائيل لنا كان أقوى مما كان نسورنا الاشاوس يتوقعونه • وكلمة صريحة نقولها في هذا الصدد : (سبق أن كتبنا الى السيد الفريق أول علي علي عامر قائد القوات العربية الموحدة رحمه الله بخطة حربية مطابقة لما قامت به اسرائيل نحونا ، وذلك عام ١٩٦٥ بالرغم من ابتعادنا عن الحياة العسكرية • وحبذا لو كانت الدول العربية البادئة بضرب الاماكن الحساسة والمطارات الاسرائيلية بواسطة أسلحة الطيران المصري والسوري والعراقي والاردني والسعودي والجزائري ؛ لاعلنت اسرائيل الاستسلام فورا • كما علمنا من مصادر موثوقة داخل اسرائيل أن الاسرائيليين في أول التحشدات في سيناء وسورية والاردن كانوا قد هيئوا في منازلهم الاعلام البيضاء لرفعها حين دخول الجيوش العربية اسرائيل • ولكن جرى ما جرى وبهذه السرعة المذهلة •

ومع ذلك لم تستطع اسرائيل ان تكسب سوى الارض وبقي الخوف والقلق يسيطران عليها من أدناها الى أقصاها ، حيث صرح وزير الدفاع الاسرائيلي بالذات أن حياة التعبئة والاحتياط في اسرائيل تكلفها في كل ساعة (٥٠ ألف جنيه استرليني) ، عدا عن الخوف الدائم من انطلاقة الفدائيين الرائعة واستبسالهم في الفداء حتى النصر ان شاء الله .



استقالة الرئيس جمال عبد الناصر من آثار حرب حزيران :

كان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر أول من تأثر وصدم بنتيجة الحرب الغادرة في ٥ حزيران ، فحاول جهده انقاذ ما يمكن انقاذه حتى مساء ٩ حزيران حيث اعلن راديو القاهرة أن السيد الرئيس سوف يوجه رسالة (هامة) الى الشعب في السادسة مساء وجاءت الرسالة مفاجأة للجميع لانها روت الخطوط العريضة لما حدث بكل صراحه كما عودنا رحمه الله ، واننا نقدم هذه الرسالة للقارىء من قبيل الوفاء :

« أيها الاخوة ،

لقد تعودنا معا في أوقات النصر وفي أوقات المحنة .. في الساعات الحلوة وفي الساعات المرة ، أن نجلس معا وأن نتحدث بقلوب مفتوحة ، وأن نتصارح بالحقائق مؤمنين أنه عن هذا الطريق وحده نستطيع دائما أن نجد اتجاهنا السليم مهما كانت الظروف عصيبة ومهما كان الضوء خافتا .

ولا نستطيع أن نخفي على أنفسنا أننا واجهنا نكسة خطيرة خلال الايام الاخيرة ... لكنني واثق أننا جميعا نستطيع وفي مدة قصيرة أن نجتاز موقفنا الصعب ، وان كنا نحتاج في ذلك الى كثير من الصبر والحكمة والشجاعة الادبية ومقدرة العمل المتضامنة .

لكننا أيها الاخوة نحتاج قبل ذلك الى نظرة على ماوقع لكي نتتبع التطورات وخط سيرها في وصولها الى ما وصلت اليه ..

اننا نعرف جميعا كيف بدأت الازمة في الشرق الاوسط في النصف الاول من أيار الماضي، كانت هناك خطة من العدو لغزو سوريا وكانت تصريحات ساسته وقادته العسكريين كلهم تقول بذلك صراحة وكانت الادلة متوافرة على وجود الكثير من التحشدات .. كانت مصادر اخواننا السوريين قاطعة في ذلك ، وكانت معلوماتنا الوثيقة تؤكده ، بل وقام أصدقاؤنا في الاتحاد السوفياتي باخطار الوفد البرلماني السوري الذي كان يزور موسكو في مطلع الشهر الماضي بأن هناك قصدا مبيتا ضد سورية . ولقد وجدنا واجبا علينا ألا نقبل ذلك ساكتين .

وفضلا عن ان ذلك واجب الاخوة العربية فهوأيضا واجب الامن الوطني بأن البادىء بسورية سوف يثني بمصر .

ولقد تحركت قواتنا المسلحة الى حدودنا بكفاءة يشهدبها العدو قبل الصديق. وتداعت أثر ذلك خطوات عديدة منها انسحاب قوات الطوارىء الدولية ثم عودة قواتنا الى موقع شرم الشيخ المتحكم في مضايق تيران والتي ـ كان العدو الاسرائيلي يستعملها كأثر من آثار العدوان الثلاثي الذي وقع علينا في ١٩٥٦ .

ولقد كان مرور علم العدو أمام قواتنا في هذا الموقع أمرا لايحتمل فضلا من دواع أخرى تتصل بأعز أماني الامة العربية .

ولقد كانت الحسابات الدقيقة لقوة العدو تظهر أمامنا أن قواتنا المسلحة بما بلغته من مستوى في المعدات وفي التدريب ، قادرة على رده وعلى ردعه . وكنا ندرك أن احتمال الصراع بالقوة المسلحة قائم وقبلنا المخاطرة ... وكانت أمامنا عوامل عديدة وطنية وعربية ودولية منها رسالة من الرئيس الامريكي ليندون جونسون سلمت الى سفيرنا في واشنطن يوم ٢٦ آيار تطلب الينا ضبط النفس والا نكون البادئين باطلاق النار ، والا فاننا نواجه نتائج خطيرة .

وفي نفس الليلة فان السفير السوفياتي طلب مقابلتي بصفة عاجلة في الساعة ٣ر٥ من بعد منتصف الليل ، وبلغني الحاح الحكومة السوفياتية الا نكون البادئين باطلاق النار .

وفي صباح يوم الاثنين الماضي الخامس من حزيران جاءت ضربة العدو ، واذا كنا نقول الان بأنها جاءت بأكثر ما توقعناه فلا بد أن نقول في نفس الوقت وبصفة أكيدة أنها جاءت بأكبر مما يملكه ، مما أوضح منذ اللحظة الاولى أن هناك قوى أخرى وراء العدو جاءت لتصفي حساباتها مع حركة القومية العربية.

ولقد كانت هناك مفاجآت تلفت النظر ..

أولا ـ ان العدو الذي كنا نتوقعه من الشرق ومن الشمال جاء من الغرب الامر الذي يقطع بأن تسهيلات تفوق مقدرته وتتعدى المدى المحسوب لقوته قد أعطيت لـه .

ثانيا ــ بأن العدو غطى في وقت واحد جميع المطارات العسكرية والمدنية في الجمهورية العربية المتحدة ، ومعنى ذلك أنه كان يعتمد على قوة أخرى غير قوته العادية لحماية أجوائه من أي ردة فعل من جانبنا ، كما أنه كان يطوق بقية الجبهات العربية بمعونات أخرى استطاع أن يحصل عليها ..

ثالثا ــ فان الدلائل واضحة على وجود تواطؤ استعماري معه يحاول أن يستفيد من عبرة التواطؤ المكشوف السابق سنة ١٩٥٦ ليغطي نفسه هذه المرة بلؤم وخبث، ومع ذلك فالثابت الان أن حاملات الطائرات الاميريكية والبريطانية كانت بقرب شواطىء العدو تساعد مجهوده الحربي .

كما أن طائرات بريطانية أغارت في وضح النهار على بعض المواقع في الجبهة السورية وفي الجبهة المصرية الى جانب قيام عدد من الطائرات الاميركية بعمليات الاستطلاع فوق بعض مواقعنا . ولقد كانت النتيجة المحققة لذلك أن قواتنا البرية كانت تحارب أكثر المعارك عنفا وبسالة،وفي الصحراء المكشوفة وجدت نفسها في الموقف الصعب . لان الغطاء الجوي فوقها لم يكن كافيا ازاء التفوق الحاسم للقوى الجوية المعادية ، بحيث أنه يمكن القول بغير أن يكون في ذلك اي أثر للانفعال أو المبالغة أن العدو كان يعمل بقوة جوية تزيد ثلاث مرات عن قوته العاديــة .

ولقد كــان هذا هو ما واجهته قوات الجيش العربي الاردني التي خاضت معركة باسلــة بقيادة الملك حسين الذي أقول للحق وللامانة أنــه أتخذ موقفا ممتازا ، وأعترف بأن قلبي كان ينزف دما وأنا أتابع معارك جيشه الباسل في القدس وغيرها من مواقع الضفة الغربية في ليلة حشد فيها العدو المتآمر ما لايقل عن ٤٠٠ طائرة للعمل فوق الجبهة الاردنية .

لقد كانت هناك جهود رائعة شريفة .. لقد أعطى الشعب الجزائري وقائده الكبير هواري بومدين بغير تحفظات وبغير حساب للمعركة . وأعطى شعب العراق وقائده المخلص عبد الرحمن عارف بغير تحفظات وبغير حساب للمعركة ، وقاتل الجيش السوري قتالا بطوليا معززا بقوى الشعب السوري العظيم وبقيادة حكومته الوطنية ..

واتخذت شعوب وحكومات السودان والكويت واليمن ولبنان وتونس والمغرب مواقف مشرفة .

ووقفت شعوب الامة العربية جميعا بغير استثناء على طول امتداد الوطن العربي موقف الرجولة والعزة .. موقف التصميم .. موقف الاحرار .. على أن الحق العربي لن يضيع ولن يهون ، وان الحرب دفاعا عنه ممتدة مهما كانت التضحيات والنكسات على طريق النصر الحتمي الاكيد ..

كانت هناك أمم عظيمة خارج العالم العربي قدمت لنا مالا يمكن تقديره من تأييدها المعنوي ، لكن المؤامرة ولا بد أن نقول ذلك بشجاعة الرجال كانت أكبر وأعتى .. ولقد كان تركيز العدو الاساسي على الجبهة المصرية التي وقع عليها بكل قوته الرئيسية من المدرعات والمشاة معززة بتفوق جوي رسمت لكم من قبل صورة لابعاده . ولم تكن طبيعة الصحراء تسمح بدفاع كامل خصوصا مع التفوق المعادي في الجو .

لقد أدركت أن تطور المعركة المسلحة قد لا يكون مواتيا لنا .. وحاولت مع غيري أن نستخدم كل مصادر القوة العربية ..

ولقد دخل البترول العربي ليؤدي دوره ، ودخلت قناة السويس لتؤدي دورها . وما زال هناك دور كبير مطلوب من العمل العربي العام . وكلي ثقة في أنه سوف يستطيع أداءه . ولقد اضطرت قواتنا المسلحة في سيناء الى اخلاء خط الدفاع الاول ، وحاربت معارك رهيبة بالدبابات والطائرات على خط الدفاع الثاني ، ثم استجبنا لقرار وقف اطلاق النار أمام تأكيدات وردت في مشروع القرار السوفياتي الاخير المقدم الى مجلس الامن ، وأمام تصريحات فرنسية بأن أحدا لا يستطيع تحقيق أي توسع اقليمي على أساس العدوان الاخير ، وأمام رأي عام دولي خصوصا في آسيا وافريقيا يرى موقفنا ويشعر ببشاعة قوى السيطرة العالمية التي انقضت علينا .

وأمامنا الان عدة مهام عاجلة :

المهمة الاولى : أن نزيل آثار هذا العدوان علينا ، وان نقف مع الامة

العربية موقف الصلابة والصمود . وبرغم النكسة فان الامة العربية بكل طاقاتها وامكانياتها قادرة على أن تصر على ازالة آثار العدوان .

والمهمة الثانية : أن ندرك درس النكسة وهناك في هذا الصدد ثلاث حقائق حيوية .

١ ــ ان القضاء على الاستعمار في العالم العربي يترك اسرائيل بقواها الذاتية ومهما كانت الظروف ومهما طال المدى فان القوى الذاتية العربية أكبر وأقدر على العمل .

٢ ــ ان اعادة توجيه المصالح العربية في خدمة الحق العربي ضمان أولي ، فان الاسطول الاميركي السادس كان يتحرك ببترول عربي ، وهناك قواعد عربية وضعت قسرا وبرغم ارداة الشعوب في خدمة العدوان .

٣ ــ ان الامر الان يقتضي كلمة موحدة تسمع من الامة العربية كلها ، وذلك ضمان لا بديل له في هذه الظروف .

نصل الان الى نقطة هامة في هذه المكاشفة بسؤال أنفسنا : هل معنى ذلك أننا لا نتحمل مسؤولية من تبعات هذه النكسة .

وأقول لكم بصدق وبرغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفي في الازمة فانني على استعداد لتحمل المسؤولية كلها . ولقد اتخذت قرارا أريدكم جميعا أن تساعدوني عليه . لقد قررت أن أتنحى تماما ونهائيا عن أي منصب رسمي وأي دور سياسي ، وأن أعود الى صفوف الجماهير أودي واجبي معها كأي مواطن آخر .

ان قوى الاستعمار تتصور أن جمال عبد الناصر هو عدوها .. وأريد أن يكون واضحا أمامهم أنها الامة العربية كلها وليس جمال عبد الناصر . والقوى المعادية لحركة القومية العربية تصورها دائما بأنها امبراطورية لعبد الناصر . وليس ذلك صحيحا لان أمل الوحدة العربية بدأ قبل جمال عبد الناصر ،وسوف يبقى بعد جمال عبد الناصر .

ولقد كنت أقول لكم دائما ان الامة هي الباقية وأن أي فرد مهما كان دوره

ومهما بلغ اسهامه في قضايا وطنه ، هو أداة لارادة شعبية . وليس هوصانع هذه الارادة الشعبية .

وتطبيقا لنص المادة ١١٠من الدستور المؤقت الصادرفيشهر آذار(مارس)سنة ١٩٦٤فلقد كلفتزميلي وصديقيوأخيزكريا محيالدينبأنيتولى منصبرئيس الجمهورية ، وأن يعمل بالنصوص الدستورية المقررة . لذلك وبعد هذا القرار فانني أضع كل ما عندي تحت طلبه وفي خدمة الظروف الخطيرة التي يجتازها شعبنـــا .

انني لا أصفي الثورة ، ولكن الثورة ليست حكرا على جيل واحد من الثوار . وان اسهام هذا الجيل من الثوار حقق جلاء الاستعمار البريطاني . وحقق استقلال مصر ، وحدد شخصيتها العربية وحارب سياسة مناطق النفوذ في العالم العربي . وقادالثورة الاجتماعية وأحدث تحولا عميقا في الواقــع المصري . وأكــد تحقيق سيطرة الشعب عــلى موارد ثروته وعلى ناتــج العمل الوطني . واسترد قناة السويس . ووضع أسس الانطلاق الصناعي وانتصر وبنى الــد العالي ليغرس الخضرة الخصبة على الصحراء المجدبة ، ومد شبكات الكهرباء المحركة فوق وادي النيل الشمالي كله . وفجر موارد البترول بعد انتظار طويل . وأهم من ذلك وضع على قيادة العمل السياسي تحالف قوى الشعب العاملة الذي هو المصدر الدائم لقيادات متجددة تحمل أعلام النضال الوطني والقومي مرحلة بعد مرحلة وستبنى الاشتراكية وتنتصر .

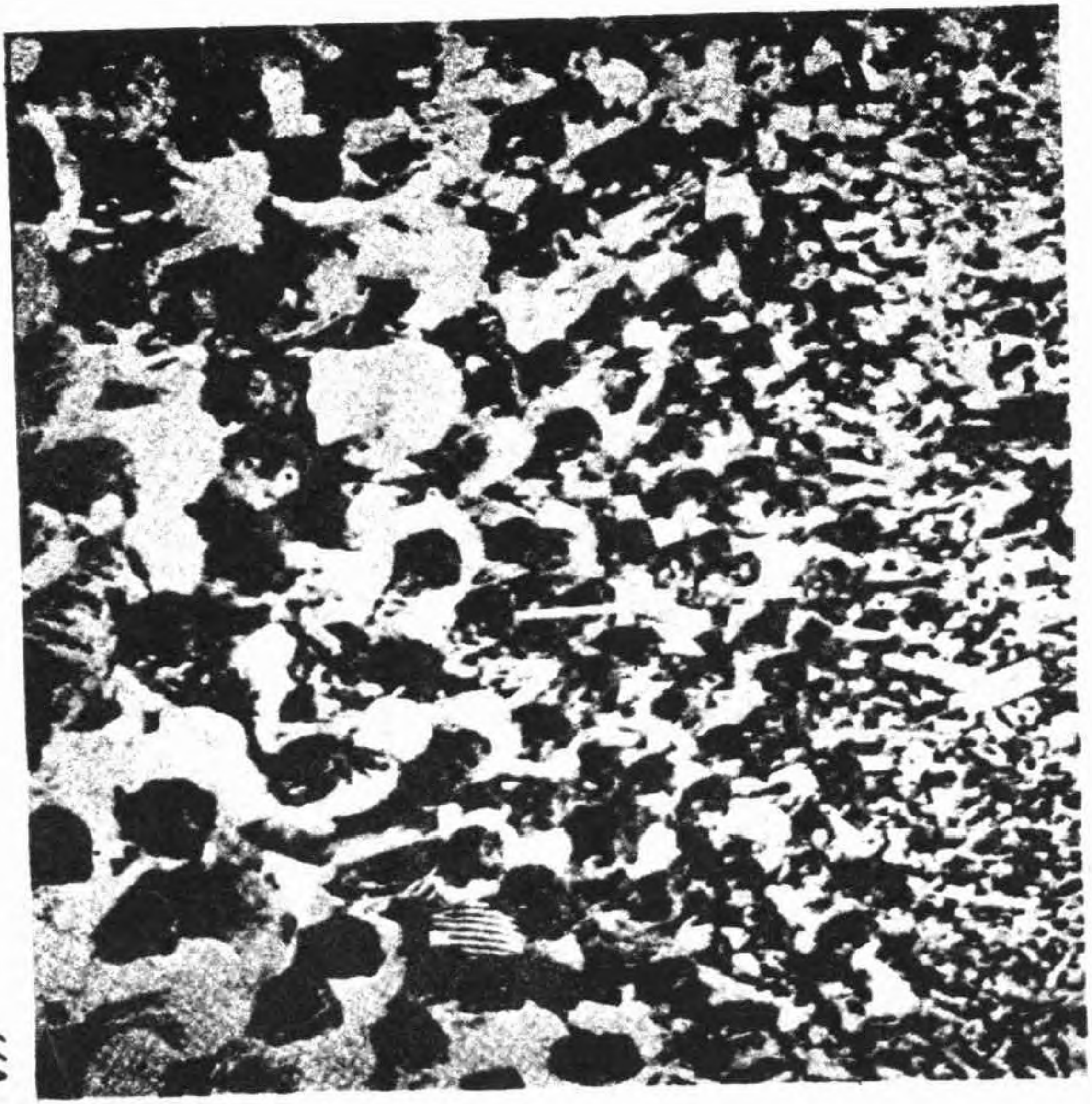
ان ثقتي غير محدودة بهذا التحالف القائد للعمل الوطني الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية .

ان وحدته وتماسكه والتفاعل الخلاق داخل لطار هذه الوحدة ، قادرة على أن يصنع بالعمل والعمل الجاد وبالعمل الشاق كما قلت أكثر من مرة معجزات ضخمة في هذا البلد ليكون قوة لنفسه والامة العربية ولحركة الثورة الوطنية وللسلام العالمي القائم على العدل .

ان التضحيات التي بذلها شعبنا وروحه المتوقدة خلال فترة الازمة ،

مشهد من عشرات المشاهد في الوطن
العربي للجماهير الصاخبة تطالب بعودة
جمال عبد الناصر





والبطولات المجيدة التي كتبها الضباط والجنود من قواتنا المسلحة بدمائهم ، سوف تبقى شعلة ضوء لا تنطفىء في تاريخنا ، والهاما عظيما للمستقبل وآماله الكبار ، لقد كان الشعب واثقا كعادته أصيلا كطبيعته مؤمنا صادقا مخلصا ، وكان أفراد قواتنا المسلحة نموذجا مشرفا للانسان العربي في كل زمان ومكان . لقد دافعوا عن حبات الرمال في الصحراء الى آخر قطرة من دمهم وكانوا في الجو برغم التفوق المعادي أساطير للبذل واللفداء وللاقدام وللاندفاع الشريف الى أداء الواجب أنبل ما يكون عزاؤه . ان هذه ساعة للعمل وليست ساعة للحزن انه موقف للمثل العليا وليس لاية أنانيات أو مشاعر فردية . ان قلبي كله معكم وأريد أن تكون قلوبكم كلها معي .

وليكن الله معنا جميعا أملا في قلوبنا وضياء وهدى والسلام عليكم ورحمة الله . »

مع انتهاء عبد الناصر من كلمته انفجرت المظاهرات في جميع أنحاء الوطن العربي دفعة واحدة رغم الظلام وخطر الغارات ، وفي القاهرة وحدها قدر عدد المتظاهرين بأكثر من مليون شخص .

وانهالت الاف من البرقيات على بيت الرئيس عبد الناصر تطالبه بالعدول عن تنحيه وتطالبه باستمرار قيادته .

ومن بيروت الى الجزائر ، مرورا بكل العواصم العربية ظلت المظاهرات معظم ساعات الليل ، وتجددت في اليوم التالي ــ السبت ــ بصورة لا مثيل لها .

وفي ساعة متأخرة من ليلة الجمعة أذاع الرئيس عبد الناصر بيانا مقتضبا أعلن فيه نزوله عند ارادة الجماهير ، وأعلن أنه سيستمر في تحمل مسؤولياته حتى ازالة آثار العدوان ثم تعرض الامور كلها لاستفتاء شعبي عام .

***

اسرائيل تمضي في تجسسها وعلينا الحذر :

ان اسرائيل التي عرفناها تخطط لتنفيذ حلم الصهيونية الازلي باحتلال الارض العربية من الفرات للنيل تصر على متابعة عدوانها وتجسسها على البلاد العربية جميعها دون استثناء ، حيث تهتم اسرائيل بجميع ما يجري في الوطن العربي من كل كبيرة وصغيرة للاستفادة في المستقبل.وقد علمتنا الايام واكتشاف العديد من شبكات التجسس الاسرائيلية في مختلف البلاد العربية أن لاسرائيل العديد من شبكات التجسس منتشرة في البلاد العربية تغذي المخابرات الاسرائيلية بما تحصل عليه من الاخبار بمختلف الوسائل ، منها ما كشفت عنه التحقيقات التي جرت مع أعضاء الشبكة المكتشفة في العراق بأن أعضاءها كانوا يرسلون الاخبار والتقارير عن طريق البواخر التي تصل (ميناء) البصرة لتفريغ حمولتها، وعن طريق ارسال العملاء يحملون التقارير لايصالها الى عبادان[1] .

حيث يستلمها منهم هناك عملاء اسرائيل الذين يعيشون في الاراضي الايرانية يسرحون ويمرحون على هواهم ...؟

ومنذ عام ١٩٥٥ وحتى الان وشبكات التجسس الاسرائيلية تتساقط الواحدة تلو الاخرى . ومع هذا فانه من الثابت بأن اسرائيل تريد دائما معرفة مجريات الامور في البلاد العربية . بل في الفترة الاخيرة تعدت رغبتها في التجسس ومعرفة دقائق الاخبار الى التخريب وزرع الهلع في النفوس وتسميم المياه ونسف الجسور والمرافق العامة كما جاء في اعترافات أعضاء شبكة التجسس الذين أعدموا فيما بعد ، بأن ضباط المخابرات الاختصاصيين الموجودين في عبادان قد استأجروا مزرعة خاصة في ضواحي المدينة يتم فيها تدريب الشبان الذين من أصل يهودي ، وكانوا يعيشون في العراق مع بعض أعضاء الشبكة

(١) جعفر صادق الحاوي من أعضاء الشبكة ، اعترف بذهابه الى عبادان عدة مرات يحمل تقارير ليوصلها الى شخص يدعى سيد صلوات في فندق الفردوس هناك ويعود ليقبض ٢٠٠ دينار عن كل تقرير يوصله ، وقد حكم عليه بالسجن المؤبد ...؟

الاخرين الذين ماتت فيهم النخوة العربية . وقد تم بالفعل (نسف) جسر المقام في مدينة البصرة من قبل أعضاء الشبكة . والمخابرات الاسرائيلية لا تكتفي بانشاء شبكة واحدة في البلد العربي . وذلك لمعرفتها التامة بيقظة المخابرات العربية لذلك تعمد الى وضع عدة شبكات في كل بلد و وكل شبكة تعمل منفصلة عن الاخرى حتى اذاقبض على شبكة لا تعرف الشبكة الثانية ذلك الا في الصحف والمحاكمات .وهكذا نجد استمرار تجسس اسرائيل علينا .وقد شرحنا في مطلع الكتاب بأسهاب عن الاسباب الداعية الى وجود مثل هذه الشبكات التي تضم مع الاسف بعض أبناء البلاد العربية[1] بقي أن نتوجه في كتابنا هذا الى الشعوب العربية بأن من واجب كل مواطن شريف تعرض أو يتعرض الى أي اغراء مهما كان نوعه للانخراط في هذه الشبكات التي يكون ظاهريا تجاريا أو اداريا ما عليه الا أن يتوجه الى مخابرات بلده رأسا وبالاعلان عما طلب منه ، وان المخابرات العربية والمسؤولين قد وعدوا ولا يزالون عند وعدهم بحماية وانقاذ من تورط في العمل مع هذه الشبكات مهما كان نوع تورطه ، وسيلقى من المسؤولين كل عناية واهتمام . ويعوض عما عرض عليه من مال بالضعف عدا عن خدمته لوطنه وللامة العربية جمعاء ، لان المخابرات الاسرائيلية لا تكتفي عند وصولها على سر أو خبرعن البلاد العربية بالاطلاع عليه فقط بل تبعث بصورة عنه رأسا الى المخابرات المركزية الاميركية (الام) الروحية للمخابرات الاسرائيلية وليس أسهل من اكتشاف العملاء بعد ما شرحنا في هذا الكتاب عن مختلف الطرق التي يتبعها العملاء في الحصول على الاسرار والاخبار وتجنيد عملاء جدد . وما على المواطن العربي الا أن يكون حذرا ويقظا لكل سؤال يوجه له من قبل أشخاص معروفين منهم السياح ـ والوافدون من بلاد أجنبية أو من كانوا في الخارج لسنين عديدة ، وعادوا الى البلاد ـ أو من قبل أشخاص مضى على وجودهم سنين في البلد ، وهم من أصل أجنبي .

---

(١) غالبا ما يكون الشخص المنتمي الى أي شبكة تجسس معادية لا قيمة اجتماعية له أو منحرفا أخلاقيا فيتم اغراؤه بمختلف الاساليب . أما الاشخاص الشرفاء فيخبرون سلطات بلادهم عما يعرض عليهم وبذلك يستحقون شرف المواطنية ويصبحون من الابطال الحقيقيين ..

فاذا وجد أن السؤال يمس أمن وسلامة بلده فيخبر المسؤولين حالا . وهذه نماذج من الاسئلة :

١ ـ ما رأيك في معنويات الجيش ..؟ وهذا السؤال يدس عند الحديث عن الجيش ..

٢ ـ ما رأيك في الحكم (اذا كان حزبي) ـ أو جمهوري ـ أو ملكي الخ).

٣ ـ ما رأيك في الشخصيات السياسية ....؟ يعين السائل شخصا مهما..؟

٤ ـ عرض للعمل في معرفة شؤون عادية عن البلد ـ مقابل مبلغ محترم ثم يتطور هذا العرض الى التجسس في النهاية عندما يتورط المقصود بالتعامل مع السائل الذي غالبا لا يكون وحده بل هناك من يصورهما معا ، ويسجل حديثهما ، حتى اذا حاول الشخص المعين رفض التعامل ـ جرى تهديده بالصور والتسجيلات[1] . وعندما يشعر المواطن العربي بمثل هذه الاسئلة توجه اليه أو غيرها من الاسئلة التي يكون الزمان مجالا لها، فما عليه الا أن يجيب اجابة خاطئة ويعد السائل بالمزيد من المعلومات ويطمنه ويشعره من حيث لا يدري بأنه عثر على الشخص الذي يريده ....؟ وما عليه بعد ذلك سوى الاتصال بالمخابرات التي تتولى توجيهه بعد ذلك..وحمايته وانقاذ البلد من شبكة جديدة للتجسس.

واذا كنا في صدد لفت نظر المواطن العربي الى خطر مخابرات اسرائيل وأعداء الامة العربية وذلك لعلمنا أن هذه المخابرات كانت ولا تزال تعتمد على اليهود الذين سبق أن عاشوا في البلاد العربية ويتقنون اللغة العربية بطلاقــة ، وهؤلاء يسمون في اسرائيل (السفرديم) وهؤلاء تساعدهم المخابرات الاميركية بالذات في الحصول على جنسيات وجوازات [2] مختلفة يتجولون بموجبها في

---

(١) هذا الشخص وعدت المخابرات العربية والمسؤولين على أعلى المستويات بحمايته حالا وانقاذه مما تورط به مهما كان تورطه شريطة التقدم حالا للاعلام عن ملابسات تورطه هذا ...

(٢) في فندق كوزا ـ في اسطنبول ـ شاهد ح ـ ب ـ عميلين للمخابرات الاسرائيلية من هذا الصنف بتاريخ ١٩٧٥/١/٢ يحمل أحدهم جواز سفر لبناني ، والاخر جواز سفر أردني .وقد اتصلوا من نفس الفندق بتل أبيب هاتفيا . وقد تمكن هذا المواطن من تصوير جوازات السفر ثم تقديمها للمسؤولين في المخابرات العربية لدى عودته من تركيا . وهذا العمل يعتبر بطولة لانه لا يتمكن من عمل غير ذلك في بلد كتركيا له علاقات طيبة مع اسرائيل .

البلاد العربية ضمن خطة مدروسة حيث يرسل اليهودي الذي عاش في سورية الى مصر ، الى العراق ، وهكذا ...

ولكي نعلم مدى راحة الضمير والوفاء الكامل بالنسبة للعديد من الذين تقدموا الى المخابرات والمسؤولين في البلاد العربية بالاخبار عن اتصال جواسيس الاعداء بهم حيث تخلصت الامة العربية من هؤلاء الجواسيس وخطرهم بينما بقي مواطنونا الشرفاء يعيشون براحة ضمير ونشوة وطنية لا تقدر بالملايين عدا عن وضعهم في أحسن المراكز والوظائف في بلادهم والتعويض عليهم بكل ما ينقصهم ، وما كان سبب اختيارهم من قبل العملاء ...

الغاية تبرر الوسيلة من شعارات المخابرات الاسرائيلية :

من تعاليم المؤتمرات اليهودية ، ومن الازل بأن يضحي اليهود بنسائهم لاجل غاياتهم . كما أن الكتب اليهودية نفسها تعترف ببعض حالات الزنا وهتك الاعراض ومنها :

١ ــ ان (ثامار) ابنة داوود قالت لاخيها عندما أخذ يراودها عن نفسها : قل للملك (تعني والدها) فانه لا يمنعني منك .

٢ ــ ارتكب (داوود) نفسه الزنا مع المرأة (بتشبع) بعد أن أرسل زوجها الضابط (أوريا الحثي) الى مهمة مميتة .

٣ ــ قال (يهوذا) لثامار بعد أن أصبحت كنته ومن ثم توفي زوجها (ابنه) اقعدي (أرملة) حتى يكبر (شيله) شقيق زوجها . وطال الزمان وماتت ابنة (شوع) زوجة (يهوذا)،فحزن عليها ثم صعد مع صاحبه (الهدلامي) ليجز الغنم فعلمت ثامار وخلعت عنها (ثياب الحزن) . وتغطت ببرقع وتلففت وجلست في طريق يهوذا لتذكره أن ابنه (شيله) قد كبر ولم تعط زوجة لـه ولكن يهوذا نظرها ولم يعرفها لانها غطت وجها حياء فحسبها (زانية) فقال لها : هاتي أدخل عليك . فقالت له : وما تعطيني لتدخل علي . قال أرسل لك جديا من الماعز . فقالت : تعطيني الان رهنا حتى ترسل الجدي قال : ما الرهن الذي

تطلبين . قالت خاتمك وعصاك وعصابتك (غطاء رأسك) . فأعطاها ودخل عليها. فحملت منه (حراما) وهو عمها[1].

٤ ــ عندما دخل ايشا لوم (أورشليم) (القدس) وهو منتصر على أبيه الذي قتل في المعركة فوجيء بكثرة حريم والده (نسائه) فاستشار (اخيطوفال) بما يفعله بهن فأفتى له بالدخول عليهن ، ففعل وأفسد فيهن كلهن جهاراً[2] .

ويوجد في الملفات الصهيونية قرارا صادر عن المؤتمر اليهودي العاشر الذي عقد سنة ١٩١٢ في مدينة (بال) فيسويسرا والذي حضره /٧٠٠ عضو يمثلون ٩٠ جمعية صهيونية وينص هذا القرار على ما يلي :

١ ــ العمل بكافة الوسائل واستغلال جميع الدول والشخصيات لتكون (فلسطين) هي مكان التجمع اليهودي لاقامة دولة (صهيون) .

٢ ــ ربط الجمعيات والجماعات اليهودية مع كافة المنظمات الدولية والسياسية لاستغلالها في سبيل اقامة دولة (صهيون) .

٣ ــ الظهور في المجتمعات التي تحتقر اليهود بالشخصية المسيحية مع الايمان السري بأن (المسيحية) هي عدوة (اليهودية) .

٤ ــ تدعيم التنظيم السري اليهودي في كل بلد من العالم حتى يأتي يوم تسيطر فيه الدولة اليهودية على الدول الاخرى .

٥ ــ السعي الحثيث لاضعاف الدول السياسية القائمة بنقل أسرارها الى أعدائها وبذر بذور التفريق والشقاق بين حكامها بواسطة الجمعيات السرية ونقل أنظمتها الى الاباحية والفوضى .

٦ ــ ان على اليهود اعتبار الجماعات الاخرى قطعانا حقيرة من الماشية ويجب أن يكونوا (لعبا) في أيدي حكام (صهيون) .

٧ ــ اللجوء الى التملق والتهديد والمال في سبيل افساد الحكام والسيطرة عليهم .

---

(١) سفر التكوين .
(٢) سفر الملوك .

٨ ـ يجب أن يكون ذهب الارض في أيدي اليهود حتى يسكن السيطرة على الصحافة والمسرح والمضاربة والعلم والتشريع لاثارة الرأي العام وافساد الاخلاق والتهيج للرذيلة وللاشاة كل ميل الى التهذيب المسيحي ولتشييد عبادة المال والشهوة .

٩ ـ ليس من بأس بأن نضحي بالفتيات في سبيل الوطن القومي . وأن تكون هذه التضحية قاسية ومستنكرة لانها في الوقت نفسه كفيلة بأن توصل لاحسن النتائج . وماذا عسى أن نفعل مع شعب يؤثر البنات ويتهافت عليهن وينقاد لهن ...

وبعد عشر سنوات من صدور هذا القرار طرد معظم الاعضاء الذين وافقوا عليه (كانوا من أنصار هرتزل رائد الصهيونية الاول) .

المؤتمرون ـ تواقيع ٧٠٠ عضو

وفي عام ١٧٨٩ . ألقى الرئيس الاميركي بنجامين فرنكلين خطابا يعتبر وثيقة تاريخية عند وضع دستور الولايات المتحدة جاء فيه ما يلي :

« هناك خطر عظيم يتهدد الولايات المتحدة الاميركية ، وذلك الخطر العظيم هو خطر اليهود .

أيها السادة : في كل أرض حل بها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقي وأفسدوا الذمة التجارية فيها . ولم يزالوا منعزلين لا يندمجون بغيرهم ، وقد أدى بهم الاضطهاد الى العمل على خنق الشعوب ماليا ، كما هو الحال في البرتغال واسبانيا .

منذ أكثر من ١٧٠٠ عام وهم يندبون حظهم الاسيف ، ويعنون بذلك أنهم قد طردوا ، من ديار آبائهم ولكنهم أيها السادة . لن يلبثوا اذا ردت اليهم الدول اليوم فلسطين ، أن يجدوا أسبابا تحملهم على ألا يعودوا اليها ، لماذا ؟ لانهم طفيليات لا يعيش بعضهم على بعض ، ولا بد لهم من العيش بين المسيحيين وغيرهم ممن لا ينتمون الى عرقهم .

اذا لم يبعد هؤلاء عن الولايات المتحدة (بنص دستورها) فان سيلهم سيتدفق الى الولايات المتحدة في غضون مائة سنة الى حد يقدرون معه على أن

يحكموا شعبنا ويدمروه ويغيروا شكل الحكم الذي بذلنـا في سبيله دماءنا وضحينا له بأرواحنا وممتلكاتنا وحرياتنا الفردية .

ولن تمضي مئتا سنة حتى يكون مصير احفادنا أن يعملوا في الحقول لاطعام اليهود على حين يظل اليهود في البيوتات المالية يفركون أيديهم مغتبطين .

واني أحذركم أيها السادة ، انكم الا تبعدوا اليهود نهائيا ، فسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم في قبوركم . ان اليهود لن يتخذوا مثلنا العليا ولو عاشوا بين ظهرانينا عشرة أجيال . فان الفهد لا يستطيع ابدال جلده الارقط .

ان اليهود خطر على هذه البلاد اذا ما سمح لهم بحرية الدخول ، انهم سيقضون على مؤسساتنا وعلى ذلك لا بد من أن يستبعدوا بنص الدستور »

(نص الوثيقة الاصلية باللغة الانكليزية) :

PROPHECY OF BENJAMIN FRANKLIN

IN REGARD OF THE JEWISH RACE

(Excerpt from the Journal of Charles Pirckney of South Calorina of the proceedings of the Constitutional Convention of 1789 regarding the statement of Benjamin Franklin at the Convention concerning JEWISH IMMIGRATION) .

(There is a great danger for the United States of America. This great danger is the JEW , Gentlemen, in which every land the Jews have settled they depressed the moral level and lowered the degree of commercial honesty. They have remained apart and unassimilated, oppressed, they attempt to strangle the nations financialy, as in the case of Portugal and Spain .

(For more than 1700 years thve lamented their sorrowful fate, namely, that they have been driven out of their mother land; but, Gentlemen, if the world should give them back today palestine and their property, they would immediately find pressing reasons for not returning there. Why ? Because they are Vampires — they cannot live among themselves. They must live among Christians and others, who do not belong to their race.

If they are not excluded from the United States by the Constituion, within at least 100 years they will stream into thes Country in such numbers that they will rule and destroy us and chauge our form of Government for which we American shed our blood and sacrificed our lives, property and personal. If the jews are not excluded, within 200 years out children will be working in the fields to feed the jews while they remain in the counting house, gleefully rubbing their hands.

warn you, Gemtlemen, if you do not exclude the jews forever, your children and children's children will curse you in your graves. Their ideals are not those of Americans, even when then have lived among us for ten generations. The leopard cannot change his spots. The jews are a danger to this land if they are allowed to entre. They will imperil our institutions. They should be excluded by the Constitution.)

(١) (Original of thes copy is in the FranKlin Institute, philadelphia, pa.)

اعرف عدوك

وفي اسرائيل تابعت الصهيونية السير بنفس الطريق من استغلال الفتيات فنجد أن وزارة السياحة الاسرائيلية استضافت الغانية البريطانية (ماندي) شريكة (كريستين كيلر) صاحبة الفضيحة المشهورة في بريطانيا مع وزير الحربية وأسست ماندي (ناديا) ليليا في تل أبيب بعد حصولها على الجنسية الاسرائيلية

---

(١) ان الفضل في نشر هذه الوثيقة الخطيرة يعود الى الشاب السعودي الفاضل الاستاذ حسين أبو بكر القاضي المتخصص في الدراسات الاسلامية والحائز الماجستير في العلوم السياسية والقانون الدولي ، فعندما كان هذا الرجل الفاضل طالبا في جامعة الباسفيك بالولايات المتحدة كتب اليه العلامة الشيخ مصطفى الزرقاء بجامعة دمشق سابقا ـ بعد أن اطلع على هذه الوثيقة باللغة العربية ـ كتب اليه ليوافيه بالنص الانجليزي من مصدره . وقد حدثني الاستاذ حسين القاضي فقال : قصدت الى معهد بنيامين فرنكلين في فيلادلفيا (بولاية بنسلفانيا) لنقل النص حرفيا من مصدره . وكم كانت دهشتي حين راجعت خطبة الرئيس الاميركي (بنيامين فرنكلين) اذ وجدت أن القسم الذي يتضمن هذه الوثيقة قد انتزع كاملا من خطبة الرئيس الاميركي فراجعت المسؤولين من المعهد فهالهم الامر اذا اكتشفوا أن في الامر جريمة خطيرة ارتكبها أحد المجرمين اليهود . ثم يقول الا أنه لحسن الحظ تبين ـ بعد البحث ـ أن في المتحف نسخة أخرى من تلك الخطبة كاملة لم يتطرق اليها عبث المفسدين . فنسخت منها باللغة الانكليزية هذا القسم المتعلق بالخطر اليهودي •• ولقد عمد الاستاذ القاضي في حينه فطبع عدة آلاف من هذه الوثيقة باللغة الانكليزية فقام (وهو لا يزال طالبا) فوزعها على الهيئات الدولية والسياسية والعلمية في الولايات المتحدة وغيرها خدمة لامته الاسلامية • وقد نشرت هذه الوثيقة (بسعي الاستاذ القاضي) مجلة (المسلمون) في أحد أعدادها كما نشرتها مجلة التمدن الاسلامي في الجزئين ٢٥ ، و ٢٦ ، وجريدة الندوة بمكة في عددها ٥١١ تاريخ ربيع الاول ١٣٨٠ هـ ـ فشكرا للاستاذ حسين القاضي واكثر الله في شبابنا من أمثاله ليكونوا سفراء خير أينما حلوا •

كما لا يفوتنا أن نذكر الاخ السعودي محمد أحمد باشميل من جدة الذي كان له الفضل في ايصال

هذه الوثيقة الى الاخ صالح الفلزي الذي أرسلها بدوره للمؤلف من قناعة تامة بفائدة نشرها كما نشكر الاستاذ محمد أمين دوغان صاحب ورئيس تحرير جريدة الشعب في بيروت والاستاذ مريد ماكوم مدير التحرير لاهتمامهما بنشر هذه الوثيقة اعلاميا •

(نظرا لزواجها من اسرائيلي) ؛ كان يصرف عليها بسخاء في (اسطنبول) ، وان زواجه منها هو نهاية (مهمته) التي كلف بها من قبل المخابرات الاسرائيلية .

تحول هذا النادي الى (مركز تدريب الغانيات والارتيستات) لصالح المخابرات الاسرائيلية للتجسس بواسطة الجنس . وبعد تخرجهن يتم توزيعهن على علب الليل في باريس ولندن وفيينا وجنيف واسطنبول حيث ينفذن ما يطلب منهن من الاستماع أو السؤال وجمع المعلومات ممن يقع تحت أيديهن من الشخصيات السياسية عرب وغيرهم ، واستخلاص الحقائق منهم أثناء ساعات اللهو والنشوة .

واننا لا نتجنى على السلطات الاسرائيلية بشرح حقيقتها . لان هذه الحقيقة تأخذ طريقها الى النشر تباعا من نفس المصادر التي استقينا منها . وقد صدر أخيرا كتاب بعنوان (الغانية السعيدة) لمؤلفته : كسافيرا هولندر ـ صاحبة أكبر دار للبغاء في أميركا تقول مؤلفته : ان مضيفات شركة الطيران الاسرائيلية (العال) هن أوقح العاهرات حيث يهرعن الى منزلها بمجرد هبوط طائراتهن في نيويورك لكي (ينمن) مع اكبر عدد من الرجال . ويحصلن على أكبر مبلغ مستطاع قبل عودتهن الى اسرائيل .

ومن المعلوم أن هذا الكتاب الجريء بيعت منه ملايين النسخ . ولم تستطع الجمعيات اليهودية في أميركا جمعه من السوق واتلافه كما تفعل عند صدور أي كتب أو نشرات معادية للصهيونية وذلك لمنع وصولها الى الرأي العام .

وأخيرا وزير دفاعهم (موشي ديان) بالذات . بالرغم من أنه متزوج من يهودية محافظة هي السيدة (روث بايلس) منذ ٣٦ سنة كان يخونها باستمرار ويصادق اليهوديات من وراء ظهرها . حتى ان أحداً من ضباطه لا يجرؤ على دعوته الى منزله خشية أن تقع عينه على زوجته .

بتاريخ ١٥/١٢/١٩٧١ علمت زوجته (روث) أنه يقيم علاقات غرامية مع اليهودية (اليشيفاتشاسيس) . وراقبته حتى شاهدته بنفسها . فطلبت الطلاق منه وأصرت على ذلك . ونظرا لمكانته واحترامها وافق فورا على الطلاق الذي



ايضا موشى دايان وهذه صورته بين
يدي عشيقته التي سببت طلاقه من
زوجته بعد زواج استمر حوالي ٣٠سنة

وقعه في ١٩٧١/١٢/٢٨ الطرفان بحضور الحاخام الاكبر بعد أن تأكد أن ادايان كان يقضي الليالي مع عشيقته وبعيدا عن منزله العائلي وواجباته الزوجيه ..

المخابرات الاسرائيلية تطلب من الاسرائيليين تعلم اللغة العربية :

ان الجيش الاسرائيلي قلق لاسباب عسكرية من ضآلة عدد الذين يجيدون اللغة العربية . وقد صدرت جريدة عال همشمار بتاريخ ١٩٧٥/٣/١٤ بعنوان باللغة الاسرائيلية (أيها اليهودي تعلم اللغة العربية) ، وأعقب ذلك تصريحا للواء شلوموغازيت رئيس المخابرات العسكرية الاسرائيلية جاء فيه :

هناك حاجة ملحة الى مئات الذين يعرفون اللغة العربية ، ان الجيش الاسرائيلي يفتش عن هؤلاء في كل مكان . اننا نعيش في الشرق الأوسط ، ويجب أن تندمج فيه لا سيما ، وتعيش بين ظهرانينا (أقلية)[1] تشكل ١٥٪ من السكان . ولا نسمح لانفسنا بأن لا نعرف لغتها . ان تعلم هذه اللغة هو احدى الوسائل اللازمة لسد الهوة القائمة بيننا وبين العرب . وكرئيس لشعبة المخابرات في الجيش الاسرائيلي أوصي بتعليم اللغة العربية كلغة الزامية ، وأوصي بانشاء فصول اسلامية في المدارس الثانوية .

عند ذلك بدأ (٣٥) ضابطا من ضباط المخابرات الاسرائيلية من ٢٠/٣/ ١٩٧٥ الى ٣٠-٣-١٩٧٥ نشاطا واسعا في المدارس لتشجيع تعلم اللغة العربية وتحسين سمعة المخابرات الاسرائيلية لانه لم يعد سرا أن سمعة المخابرات الاسرائيلية بعد حرب تشرين التي يسمونها (حرب يوم الغفران) قد أصيبت بنكسة لدى الاسرائيليين ، وأخذت المخابرات الاسرائيلية تعدد دورات خاصة

---

(١) انكلمة اقلية التي جاءت ضمن تصريح رئيس المخابرات العسكرية الاسرائيلية المقصود منها اظهار الفلسطينيين الباقين في الارض المحتلة بأنهم اقلية ثم ان نسبة الـ ١٥٪ التي ذكرها ايضا هي افتراء . والجميع يعرف النسبة الحقيقية لوجود الفلسطينيين داخل الارض المحتلة رغم جميع عمليات الطرد الجماعي والتهجير والسجن والتعذيب ..

لتعليم اللغة العربية ، تستمر عدة شهور على حساب الخدمة العسكرية . وسوف يستفاد من الناجحين بالدرجة الاولى في المخابرات ، وفي الدرجة الثانية في الارض المحتلة بعد ١٩٦٧ . وستصدر تباعا عن المخابرات الاسرائيلية كتيبات خاصة تشتمل على معلومات عن الشرق العربي ومختلف المواضيع المتعلقة به .

رئيس ثالث للمخابرات الاسرائيلية :

بعد هذه الجولة مع المخابرات الاسرائيلية وحرب الايام الستة وبعض صفات الصهيونية والمخابرات . نعود الى متابعة أعمال هذه المخابرات .

اثر تقاعد رئيسها السابق (ماير أميت) كان الملحق العسكري الاسرائيلي في لندن يقيم حفلة وداعية بمناسبة عودته لاسرائيل، وحسب الاعراف الدبلوماسية حضر الدوق (دوكنت) هذه الحفلة ، ممثلا عن الملكة اليزابيت وانتحى بالجنرال المحتفى بوداعه (زفي زامير) ، وسأله عما سيفعله في اسرائيل ، أجابه : سأدخل في صناعة النسيج . كان يعرف نفسه مذ ثلاثة أسابيع أنه سيصبح الرئيس الثالث للمخابرات الاسرائيلية .

لديه خبرة سياسية ومحنك ، صديق لدايان ولد في بولونيا عام ١٩٢٥ ، ثم حضر مع أبويه الى فلسطين ١٩٢٦ . أنهى دراسته الثانوية وانتسب الى (البالماخ) وعمره سبعة عشر عاما سجن عام ١٩٤٦ من قبل البريطانيين لاشتراكه في تهريب يهود . في عام ١٩٤٨ قاد كتيبة لشق طريق القدس اتبع دورة أركان في لندن ١٩٥٤ . أصبح قائد كتيبة عام ١٩٥٦ وبعدها ترك الجيش وحصل على شهادة جامعية في تاريخ الشرق الاوسط . تعامل ووسع شبكة المخابرات في غزة للقيام بنشاط مضاد للفدائيين ، حتى شغل منصب الملحق العسكري في لندن ،بالاضافة الى كونه ممثلا وزارة الدفاع من أجل شراء الاسلحة البريطانية ، ومنها معمل لتركيب دبابات (تشيفتن) ، ولكن هذه الصفقة ألغيت مع اسرائيل بسبب انذار بعض الدول العربية بمقاطعة بريطانيا اقتصاديا . وأول هذه الدول (ليبيا) شاهد زفي أثناء دراسته الاركان في لندن الفريق سعد الدين الشاذلي الذي أصبح فيما بعد رئيسا للاركان المصرية ، ومن ثم قاد وحدات العبور لخط بارليف

بشجاعة فائقة ، وبعدها ترك الجيش ليلتحق بالعمل السياسي كسفير لجمهورية مصر العربية في لندن .

ويعود السبب في تعيينه رئيسا للمخابرات الاسرائيلية الى صداقته مع ليفي أشكول بالذات ، ولان ليفي أشكول معجب بسجله النظيف وماضيه في خدمة الصهيونية وكتمانه الاسرار ...

بدأ زفي تنظيم المخابرات الاسرائيلية على طريقة المخابرات البريطانية في وضع الجميع تحت المراقبة وضمن امكانية المخابرات تم توسيع ارشيف المخابرات الاسرائيلية وجعله يضاهي أرشيف المخابرات البريطانية أيضا بحيث يجاب طلب أي فرع مخابرات الاستعلام عن أي شخص هاتفيا من الارشيف خلال دقائق فقط .

وسيبقى زفي رئيسا للمخابرات الاسرائيلية مدة من الزمن ثم يستبدل بغيره ، وتسير المخابرات الاسرائيلية في خططها ، وتسير المخابرات العربية في خططها المعاكسة وليس على القارىء سوى اليقظة التامة والاحتفاظ بذاكرته عن طريقة عمل المخابرات العدوة ليتجنبها ويخبر حالا عما يطلب منه ، ليكون بذلك قد أدى واجبا قوميا يعادل واجب الجندي الدي يقف بسلاحه في وجه اسرائيل .

انسانية المخابرات الاسرائيلية :

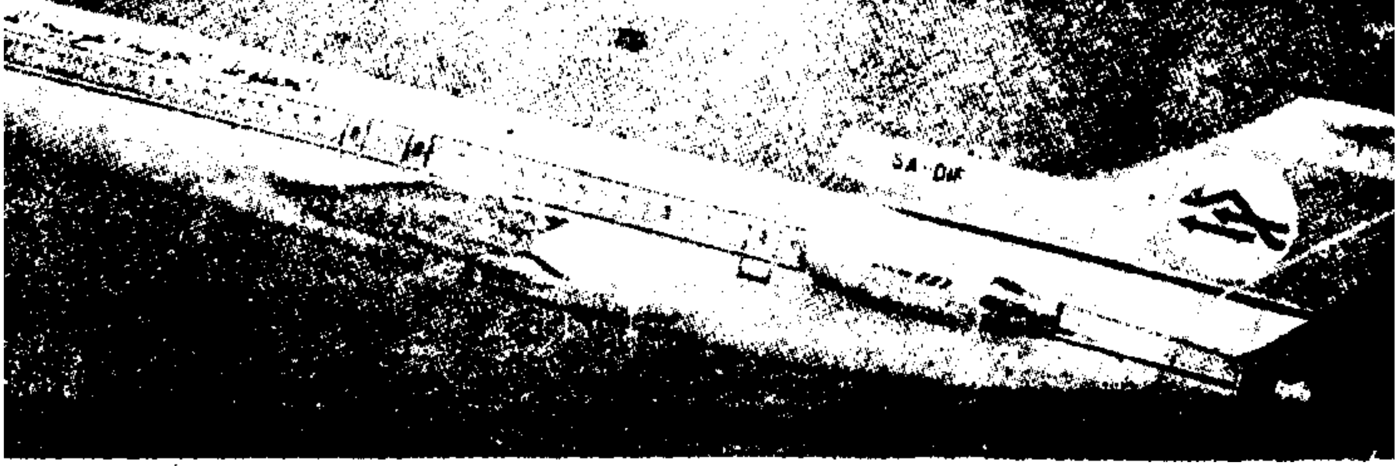
اعتمدت المخابرات الاسرائيلية أحدث طرق التعذيب مع المواطنين العرب أصحاب الارض ، وذلك لاستخلاص المعلومات منهم عن (الفدائيين) ، وقصة الطالب الفلسطيني (مؤيد عثمان الجش) خير دليل على ذلك حيث اعتقلته المخابرات الاسرائيلية في بلدته نابلس ، بعد أن علمت بذكائه ووطنيته . وطلب الرائد (باروخ) رئيس فرع المخابرات الاسرائيلية في نابلس منه شخصيا التعاون معه لمعرفة خلايا الفدائيين وتحركاتهم في الارض المحتلة ، ووعده بأن يضع تحت تصرفه ما يرغب من المال شهريا حتى تخرجه كما وعده باعطائه كافة التسهيلات له ولعائلته . ولكن (مؤيد) رفض كل هذه المغريات . عند ذلك ظهر (باروخ) على حقيقته وهدده بنسف منزله وتشريد أهله ، وحتى الاعتداء على شقيقاته ، ومع ذلك لم يرضخ (مؤيد) . فنقل الى السجن وبدأ تعذيبه لمعرفة أية معلومات منه وكان التعذيب يجري بحضور (باروخ) ومشاركته . فكان (مؤيد) يضرب

بعصي لفّت بالاسلاك الشائكة ، ثم يضرب بعصى بلاستيكية على مختلف أنحاء جسمه (بعد نزع ملابسه) ثم ركزوا الضرب على (رأسه) لكي يتألم ويبوح بما يعرف . وأخيرا بدأت الكهرباء فأخذوا يرسلون صدمات كهرباء في آذانه أولا ثم الاماكن الحساسة منه وهو يصيح صياحا يفتت الاكباد من ألمه ، وكان يغمى عليه فيترك لليوم التالي حيث يستعيد وعيه ، فتعود (حفلة التعذيب) من أولها . ولما لم تستنفد المخابرات من كل ذلك أحضرت أسرته وعذبوها على مرأى منه ، حتى لفظ والده (عثمان الجش) أنفاسه بين يدي جلادي المخابرات الاسرائيلية ، فسلموا جثته الى من بقي من العائلة . ونقل (مؤيد) الى سجن الانفراد ويحمل الرقم (٣٢٠) . وأقيمت له (حفلة تعذيب وداعية) باطلاق الكلاب البوليسية المتوحشة عليه ، وهو مقيد اليدين والقدمين التي نهشت أجزاء من جسمه ، ثم ألقي في زنزانة طولها متر وعرضها ٧٠ سم ولها سقف متحرك وفيه مسامير (كالتي نشاهدها في الافلام) فغاب عن الدنيا ، ولم يشعر بنفسه بعد ذلك الا وهو في مستوصف أردني بعد أن ألقت بــه المخابــرات الاسرائيلية في الاراضي الاردنية (حطام انسان) .

وهذه قصة من عشرات القصص التي تتــم يوميا في سجون المخابرات الاسرائيلية .. ولذلك ترفض اسرائيل دخول أي لجنة تحقيق الى السجون والمعتقلات العرب ..

المخابرات الاسرائيلية وسبب اسقاط طائرة الركاب الليبية في ١٩٧٣/٢/٢١ :

تقدمت المخابرات الاسرائيلية في مطلع عام ١٩٧٣ الى الحكومة الاسرائيلية بتقارير تفيد أنها حصلت على معلومات وثيقة بأن احدى المنظمات الفدائية تنوي القيام بعملية انتحارية فوق اسرائيل ، وذلك باختطاف طائرة ركاب والتوجه بها نحو أحد مراكز تجمع السكان في اسرائيل والتهديد بالسقوط انتحاريا اذا لم تستجب الحكومة الاسرائيلية للانذار الذي سيوجه اليها باطلاق سراح جميع السجناء الفلسطينيين المعتقلين في السجون الاسرائيلية ، وحولت هذه التقارير الى وزير الدفاع لاتخاذ ما يلزم وبدوره حولها الى دافيد اليعازر رئيس أركان جيش الدفاع الاسرائيلي .



رغم وضوح العلامة المميزة لطائرة الخطوط الجوية الليبية للعيان فقد أطلقت الطائرة الاسرائيلية المطاردة النار عليها وأسقطتها بمن فيها من الابرياء متخطيــة ومتحدية جميع الاعراف الدولية ٠

اسقاط الطائرة الليبية :

بتاريخ ٢١/٢/١٩٧٣ ظهرت على شاشات الرادار الاسرائيلية في سيناء المحتلة طائرة اجتازت الحدود من مصر الى الاراضي المحتلة(جنوبي قناة السويس) ثم غيرت خط سيرها الى الشمال في اتجاه وسط سيناء،ومن ثم (وسط اسرائيل)، وعلى الفور انطلقت نحوها طائرتان مقاتلتان من سلاح الجو الاسرائيلي ، وعندما لحقتا بالطائرة (الهدف) ذهل الطيارون عندما شاهدوا طائرة بوينغ ٧٠٧ مدنية وعليها اشارات الخطوط الجوية العربية الليبية ، وهي تطير باطمئنان فوق سيناء، فسبقها أحد الطيارين وطلب من قائدها بواسطة الشارات المتعارف عليها وبواسطة حركات بالايدي الهبوط في مطار ريفيديم العسكري (في بئر جفجافة) ٠ فاعتقد طياروا البوينغ (واحد فرنسي والاخر ليبي) أن هذه الطائرات المقاتلة هي طائرات عربية مصرية فاستعد للهبوط حسب الاشارة (وهما بالاصل ضلا خط سير الطائرة لهبوب عواصف رملية شديدة فوق سيناء) ٠ وهبطا قليلا باتجاه مطار رفيديم وما أن شاهدا العلم الاسرائيلي يرفرف على المطار ، حتى ارتفعا فورا بالطائرة ، وغيرا خط سيرها جنوبا عائدين الى مصر ٠ وقد لحقت بها مجددا الطائرتان الاسرائيليتان ، وعاد الطياران الاسرائيليان لاعطاء اشارات بالهبوط (كانا بنفس الوقت وخلال هذه الدقائق على اتصال بقيادة سلاح الجو ثم برئيس الاركان دافيد اليعازر الذي كان في هذه الدقائق في حمام منزله يحاول الاتصال بموشي دايان وزير الدفاع الذي كان في منزله في ضاحية (تسهالا) مع عشيقته (اليشيفا) ، ومع أن لدى دايان أحد أحدث أجهزة الاتصال المتطورة في العالم

فلم يفلح اليعازر بالاتصال به ، وأعطى أمرا منه وعلى مسؤوليته وهو في الحمام - باسقاط الطائرة الليبية اذا لم تستجيب لطلبات الهبوط) •

عندما استلم الطياران الاسرائيليان الامر لاسلكيا باسقاط الطائرة اذا لم تستجب لطلب الهبوط كانا قد شكلا قناعة بأن الطائرة قد ضلت طريقها وهي الان عائدة الى خط سيرها الاصلي ، فيجب منحها فرصـة الافادة من الشك للانصراف من المجال الجوي الاسرائيلي بسلام • ولكن الامر الصادر اليهما كان واضحا ومكررا : اسقاط الطائرة اذا لم تستجب لطلب الهبوط • وهما يظنان أن دافيد اليعازر عندما أصدر هذا الامر منذ ثوان انما كان يجلس في غرفـة العمليات يراقب هذا الوضع الخطير (بينما كان في الحمام يغتسل من غبار اعتداء قواته على مخيمات اللاجئين شمال بيروت) •

اتخذ الطياران الاسرائيليان وضع الهجوم وأطلقا بعض الطلقات التحذيرية نحو مقدمة الطائرة • وعندما لم يساعد هذا الامر أطلقا نحو مفصل أجنحة الطائرة بهدف اجبارها على الهبوط اضطراريا قبل أن تتمكن من عبور قناة السويس عائدة الى مصر وبالفعل بدا لهما وكأن الطائرة عـلى وشك الهبوط في سهل رملي في سيناء ، وعندها حدث انفجار هائل واشتعلت الطائرة بأكملها ، وهوت الى محاذاة الارض ثم انفجرت وتناثرت الى قطع وشظايا تلفها النيران مع جثث الركاب البالغ عددهم مائة وستة • وغالبيتهم من المصريين والليبيين ، وبينهم نساء وأطفال • ونجا بعض المسافرين بأعجوبة ، ومنهم الطيار المساعد الليبي الذي عولج في أحد مستشفيات اسرائيل فيما بعد •

وعاد الطياران الى قاعدتهما ، بعد أن نفذا جريمة جماعية جديدة من جرائم اسرائيل • بينما عرف العالم بما أقدما عليه بايعاز من دافيد اليعازر الذي ادعى فيما بعد بأنه بعد اعلامه مسبقا من قبل المخابرات الاسرائيلية عن امكانية قيام احدى المنظمات الفدائية بعملية انتحارية • اعتقد عندما أعلمته قيادة القوى الجوية بأن طائرة مدنية تحمل شارات ليبية قد اخترقت المجال الجوي الاسرائيلي آتية من (مصر) ، بأن هذه هي طائرة (الانتحار) التي أعلمته المخابرات عنها لذلك كانت هناك أهمية كبرى للحيلولة دون استمرار توجه الطائرة نحو مراكز

تجمع السكان في اسرائيل • لهذا السبب أصدر رئيس الاركان الاسرائيلي الامر باعتراض الطائرة واسقاطها اذا لم تستجب لاوامر الهبوط في رفيديم • ومع ذلك فقد أسقطت الطائرة وهي في طريقها للخروج من المجال الجوي الاسرائيلي (هاربة) ، بعد أن شاهد طياراها العلم الاسرائيلي على مطار رفيديم وعرفا أنهما ضلا الطريق •

بعد أن سقطت الطائرة واستشهد أكثر من مائة من الركاب المدنيين الابرياء اتضح للمسؤولين الاسرائيليين أنه حدث خطأ مأساوي مروع نتيجة تقويمات خاطئة وحكم غير صحيح وأمر من رئيس الاركان (متهور) وتنفيذ من الطيارين في غير محله • ولم يكن هناك شيء تستطيع اسرائيل عمله أكثر من التعبير عن الندم والاعتراف بالخطأ والاعتذار علنا وعلى مسمع من العالم والتعهد بالتعويض على عائلات الشهداء • أما في داخل اسرائيل حيث الشعب الاسرائيلي مغلوب على أمره ، فقد جندت القيادة العسكرية والسياسية كل قوتها لتبرير العمل • والتغطية على المسؤولين عن الخطأ ابتداء من موشي دايان الذي كان مع عشيقته الى دافيد اليعازر الذي كان يأخذ دوشا الى الطيارين اللذين استخفا بأرواح الناس وكان بامكانهما تلافي الكارثة •••

فقد قيل للرأي العام الاسرائيلي بأن الطائرة لم تستجب لطلب الهبوط لمعرفة سبب وجودها في المجال الجوي الاسرائيلي ، ثم قيل للرأي العام أيضا بأن رئيس الاركان وحده يملك صلاحية اصدار هذا الامر باسقاط الطائرة لانه من المحتمل واستنادا لتقارير المخابرات أن تكون طائرة انتحارية • وهذا يعني أن رئيس الاركان يملك صلاحيات جبارة في تقرير مصير البشر ، فقد اتضح بأن من صلاحية رئيس الاركان أن يصدر أمرا باسقاط طائرة مدنية (مشتبه بها) دون حاجة الى موافقة الحكومة أو حتى (وزير الدفاع) وها هو قد ارتكب خطأ ذهب ضحيته أكثر من مائة نفس بريئة وهذا ليس أمرا بسيطا فاذا كان رئيس الاركان مهيأ لارتكاب خطأ بهذا الحجم فليس هناك أي ضمانة تحول دون ارتكابه أخطاء مماثلة في المستقبل ولو حدث ذلك في دولة ديمقراطية أخرى لاجبر المسؤولون عن الفاجعة الى الاستقالة من مناصبهم بل ومحاكمتهم • لكن

(اسرائيل) ليست (دولة) كسائر الدول وليست المرة الاولى التي يضيع الحق فيها ، فمنذ انشائها في فلسطين المحتلة وحتى الان وهي تنتقل من خطأ الى خطأ وكل أخطائها مذابح واعتداءات وتعذيب معتقلين حتى اسقاط الطائرة وليس من رادع لهـا •••

كذبت اسرائيل ولو صدقت :

كشفت القيادة الاسرائيلية القناع البشع عن وجهها عندما اشترك كل من موشى دايان وغولدا مائير بتغطية مرتكبي الفاجعة الاثمين ، وكان هذا المظهر وقحا لقيادة دولة تدعي أنها اعتمدت تقريرا خاطئا لمخابراتها أدى الى مقتل أناس أبرياء وكانت هذه التغطية عرضا بارزا لبلادة الحس والضمير والتفكير لدى الحكومة (ككل) ورئيس الاركان ومن ورائهم (الكنيست) كل منهم كان مستعدا للتغطية على الاخر لكي يطمسوا خطورة هذا العمل حتى ان كل من انتقد هذا العمل في داخل اسرائيل وطالب بمحاكمة الطيارين أو استقالة موشى دايان ورئيس أركانه وصف (بالخائن) • ولم تمض عدة شهور على الكارثة حتى اختطف شخص (ليبي) يدعى محمد التومي مختل القوى العقلية طائرة ركاب لبنانية من طراز بوينغ ٧٠٧ أيضا كانت في طريقها من بنغازي الى بيروت ، وأجبر قائدها على التوجه الى اسرائيل والهبوط في مطار اللد ، فكيف تم ذلك ولم تعترضه طائرات سلاح الجو الاسرائيلي ، ولم يصدر دافيد اليعازر الامـر باسقاطها (من الحمام) • عندما أسقطت الطائرة الليبية تذرع الليعازر بالتخوف من كونها خاضعة للفدائيين وينوون التوجه بها الى احدى المدن الاسرائيليـة وتفجيرها اذا لم يستجب لمطالبهم وانه أصدر الامر (للحؤول) دون تنفيذ العملية الفدائيـة •

وعندما اختطف (التومي) الطائرة اللبنانية من فوق قبرص وأمر قائدها بالتوجه الى مطار (اللد) مارا بتل أبيب • نجح في تنفيذ ما وصف بأنه غير قابل للتنفيذ فقد حلق بالطائرة ومن فيها فوق عدة مدن اسرائيلية ومنها تل أبيب بدون أن يعلم أحد أن الخاطف شخصية غريبة (محب لاسرائيل) كما ادعى حين

هبوط لطائرة في اللد وصعود أفراد الجيش الاسرائيلي اليها فكيف يكون الامر لو أن هذا المحب لاسرائيل ـ المجنون كـان فدائيا عربيا أو كاميكازاً يابانيا انتحاريا ينوي تفجير الطائرة فوق تل أبيب بالذات • من هنا يتضح لنا كيفية سير الامور في اسرائيل حيث كان يعمل كل على هواه ومسؤوليته وأخيرا يتعاون الجميع لطمس الفضائح والظهور أمام الرأي العام بمظهر الحمل الوديع الذي تحيط به الذئاب •• ويعتبر وزير الشرطة في اسرائيل شلومو هيل ، والقائد العام للشرطة الاسرائيلية شاؤول روزوليو ، ونائبه ايلي ديكل الرجل الثاني في الشرطة الاسرائيلية ، والعميد يعقوب فيدمي المشرف على الامن الجنائي الاسرائيلي، والمقدم يحزقال كدني من قيادة الشرطة، والمقدم رؤوبين فيكوفسكي رئيس التحقيقات ، والمقوم شموئيل تسمي الناطق الرسمي بلسان الشرطـة الاسرائيلية • ورئيس ما يشبه التوجيه المعنوي كل هؤلاء يضعون أنفسهم تلقائيا تحت تصرف المخابرات الاسرائيلية لدى حدوث أي طارىء مفاجىء مثل هجوم الفدائيين اليابانيين على مطار اللد أو اختطاف الطائرة الفرنسية الى أوغندة وغيره وذلك تنفيذا لاوامر (دائمة) وصادرة من أعلى المستويات في اسرائيل •



الجنس والمال احتلو [illegible]

البحث القانوني لارتكاب أعمال التجسس

بعد سبر غور أعمال التجسس ومراجعة بعض الاعمال التجسسية ومنجزات مشاهير الجواسيس وغير ذلك من مكتشفات المخابرات ، نرى أن نقدم الى القارىء الكريم البحث القانوني فيما يتعلق بارتكاب أعمال التجسس، وما يرافقها. وما ينتج عنها من الحاق الاذى العميق في الدول في زمن الحرب والسلم معا ، واختلاف القوانين في مختلف الدول العربية ونصوصها التي وضعها المشرعون في معاقبة الذين يرتكبون أعمال التجسس وان من المعروف والسائد بأن أغلب الجواسيس ما أن تسمع بنبأ اعتقالهم من السلطات المختصة الا ونصبح ننتظر اعدامهم في الساحات العامة ، لان عشرات الجواسيس أعدموا فعلا في البلاد العربية لاداتهم بالتجسس بعد عام ١٩٤٨ وحتى يومنا هذا . غير أن بعض الجواسيس لا يعدمون ولا تجرى لهم أية محاكمة لان في ذلك مصلحة عليا للدولة التي يعتقل فيها هؤلاء الجواسيس (مثل التبادل) ، واذا حوكموا تكون محاكمتهم صورية بالاتفاق مع المخابرات التي يؤول اليها أمر التصرف بهم بعد انتهاء المحاكمة ، وذلك لمساومة دولتهم لتبادلهم مع جواسيس معتقلين في الطرف الاخر ، كقضية تبادل الكابتن (بورز) قائد طائرة التجسس الاميركية يو ٢ مع الكابتن رودلف ايفانوفيتش المعتقل من قبل المخابرات المركزية الاميركية . ونظرا لان القوانين متشابهة في البلاد العربية بالنسبة لارتكاب أعمال التجسس رأينا أن نقدم في هذا الكتاب بحثا قانونيا عن عقوبات التجسس في جمهورية مصر العربية باعتبارها رائدة القوانين ومنها تخرج معظم الحقوقيين في البلاد العربية . كما يضم هذا البحث بعضا من مواد العقوبات في بعض القوانين الدولية والعربية مما يجعل القارىء في نهاية المطاف يعيش لحظات ممتعة مع القانون وعقوبات التجسس بطريقة شيقة مقبولة ومتممة لفصول هذا الكتاب .

أساس البحوث في جرائم التجسس التي وضعها كبار القانونيين لمحاكمة الجواسيس:

ان أساس هذه البحوث المتممة لكتاب المخابرات تحرك العالم • يرجع الى ما كتبه شراح القانون مثل (جارسون) و (جارو) و (دونديبه دي فابر) بالاضافة الى مختصر (داللوز) وبحث المستشار محمود اسماعيل والدكتور القللي وما استقرت عليه أحكام النقض في فرنسا وما ذهب اليه شراح القانون الجنائي ومنهم (بيير كازابيانكا) في تعليقاته على قانون العقوبات الايطالي •

وقد نقلت أصلا جرائم أمن الدولة من جهة الخارج أي الجرائم التي تمس سلامة الدولة في كيانها كوحدة دولية عند وضع قانون العقوبات الفرنسي المواد من ٧٥ والى ٨٥ • وأصبح هذا القانون الذي أخذت بعض الدول العربية قوانينها عنه بحاجة الى تعديل لانه وضع في فرنسا من أجل حماية الجمهورية الفرنسية من أعدائها المهاجرين ، والى تأمينها ضد مؤامراتهم ومكائدهم ، ومناصرة الدول الاخرى لهم • فكانت النصوص منسقة مع هذا الغرض فقط • على أن تطور الظروف الاجتماعية ، وتطور أساليب الصراع بين الدول ، ونشاط الجاسوسية في كل منها ، وبث عيون الدول بعضها على البعض في كل مكان ، والاغداق عليهم بغير حساب للوقوف على الاسرار الحربية والسياسية ، وبذر بذور الهدم في مختلف الميادين ، كل ذلك قد دعا المشرع الفرنسي الى العمل على معالجة هذه الاخطار الجديدة في قانون الجاسوسية الذي صدر في عام ١٨٨٦ • ولما أظهرت الحرب العظمى خطر الجاسوسية أثناء السلم أيضا ، ضيق المشرع من شباك العقاب حتى لا تفلت الافعال الاجرامية الكثيرة • كما أنه لما امتد شرالجاسوسية في أيام السلم الى الميادين الاقتصادية والصناعية والدبلوماسية والميادين المعنوية، وأصبحت الدعايات الخبيثة والاشاعات من أمضى الاسلحة التي تعمل على تفكيك وحدة الامة بشتى الوسائل،واضعاف الروح المعنوية بالوعود والاكاذيب والاختلاق ، وبدأت الدول المعادية تتخذ أعوانا لها من ضمن مئات المتزمتين أو الحاقدين أو المرتزقين أو الخونة أو ذو الغفلة الذين يغرر بهم • بدأ المشرع

الفرنسي يفكر جديا في تعديل نصوص قانون العقوبات فأصدر عام ١٩٣٩ قانونا جديدا معدلا ومن ثم عنيت بهذا التعديل جميع الدول الاجنبية التي تأخذ قوانينها عن القانون الفرنسي ومنها ج.م.ع .

المشرع العربي :

لم يتأخر المشرع العربي في أن يجاري روح العصر ولم يقصر في حماية البلاد العربية من هذه الافكار والاعمال التخريبية ، فأصدر في مصر عام ١٩٤٠ القانون رقم ٤٠ الذي عدل بموجبه أحكام الجرائم المختلفة الخاصة بأمن الدولة مستمدا مواده من القانون الايطالي والتركي والروماني ، ووضعت مذكرة ايضاحية وافية عند فحص واقرار كل مادة من مواد القانون المراد تطبيقها في قضية الاخلال بأمن الدولة والقضايا المماثلة . وتبعته بقية الدول العربية في التعديل بما يتلاءم مع الوقت الذي أصبح فيه التجسس عملا اداريا متمما لباقي أعمال مختلف ادارات كل دولة ... ولذا جاء في المذكرة الايضاحية لهذا القانون ما يلي :

ان الباب الاول من الكتاب الثاني من قانون العقوبات الخاص بالجنايات المضرة بأمن الدولة من جهة الخارج المعمول به اذا قورن بمثله من القوانين الاخرى يجب أن يعتبر نظاما تشريعيا ناقصا لا يتفق مع مقتضيات الاصول الحاضرة في البلاد . اذ أن الباب نفسه لا يتضمن غير تسع مواد تنص الاربعة الاولى منها على الافعال التي ترتكب في سبيل اثارة حرب ضد (مصر) (المادة ٧٨) أو مساعدة العدو أثناء الحرب بالاندماج في صفوفه (المادة ٧٧) أو تسهيل دخوله للبلاد أو تسهيل تقدمه أو العمل على انتصاره بأية طريقة كانت (مادة ٧٩ والمادة ٨٥٥) أو افشاء الموظف الحكومي (سرا خاصا) يعرفه بحكم وظيفته مثل : مخابرة أو نقل معلومات عسكرية أو رسومات الاستحكامات والملاجىء والترسانات المسلحة والموانىء . وعلى تجريم من (يخفي الجواسيس) بنفس عقوبة الجاسوس .

ومفهوم هذه الاحكام كلها من الاول في اشارتها للعدو لان الجرائم ترتكب

في زمن الحرب الا أنه اذا كانت جرائم أمن الدولة يجوز أن ترتكب وقت السلم أو عند التهيؤ واتخاذ العدة للحرب ، فينبغي للحكومة ألا تقف مكتوفة اليدين ازاء (أفعال) من شأنها اضعاف الدفاع عن أراضيها أو الحاق الضرر بها أو أفعال قد يترتب عليها فيما بعد آثار بالغة الخطورة عن سير الاعمال الحربية أو الاعمال الدفاعية فضلا عن أن كثيرا من الجرائم لم ينص عليها أو أن النص عليها (غير كاف) لانها نقلت أصلا عن القانون الفرنسي الصادر عام ١٩١٠ يوم كان لا يتناول الا الجرائم التي كانت معروفة أيام (نابليون) •

ولما كانت الحروب تتخذ صورا وأساليب حديثة لم تكن معروفة في الماضي حين كان القتال قاصرا على قوات تلاقي بعضها البعض • أما اليوم وقد اتخذت الحروب صورا أعقد وأشكل كثيرا من ذوي قبل حتى في ساحات القتال ، لذلك فمن الواجب أن يكون الاستعداد لهذه الحروب شاملا وتعبأ لها كل طاقات الامة ، لانها أصبحت تقع كذلك في الميادين السياسية والاقتصادية والدبلوماسية ولذا فقد استحدثت أنواع من الافعال الجنائية لم تكن تعرف في الماضي وأصبح من المفروض على الدولة أن تتقنها وتدفعها عن نفسها •••

ولهذا فقد عدلت الحكومات أغلب قوانينها ومنها تركيا (تعديل ١٩٢٦) ايطاليا (تعديل ١٩٣١) ورومانيا (تعديل ١٩٣٧) أما البلاد الاخرى ومنها (فرنسا ــ بريطانيا ــ بلجيكا) فقد عدلت قوانينها لهذه الغاية مرارا من قبل • ولذا رأت مصر أن من الاوفق فيما يتعلق بهذا الباب أن تصوغه من جديد بتعديل أشمل وأوفر ، وأن لا تفرق بين الوطني ــ والاجنبي في العقاب أو التسمية لان في السابق كانت هذه الجرائم اذا ارتكبها الوطني (تعتبر خيانة عظمى) واذا ارتكبها الاجنبي (تعتبر تجسسا) وعلى هذا الاساس عدل (المشرع) صياغة المواد القانونية فعبارة (رفع السلاح على مصر) التي هي عبارة ضيقة المدلول ولا تتفق كثيرا مع أحوال الحروب الحديثة ، وكذلك عبارة (الاتصال بصفة غير مشروعة بدولة أجنبية أو أحد مأموريها) رؤى أن يضاف اليها : أو أي شخص يعمل لمصلحتها ، لتكون أوفى وأشمل لانه أصلا كان يجب أن تقع الجريمة لاثبات أن الشخص الذي اتصل به الجاني هو أحد مأموري الدولة الاجنبية •

وكان هذا الاثبات متعذرا في الكثير من الاحوال لان هذه الصفة تترتب على وجود وثائق أو وقائع لا يمكن معرفتها الا بتحقيق في الخارج وكان من الممكن مع وجود هذه القيود أن تفلت من العقاب أعمال اجرامية لا شك في أنها تؤدي قيمة الى إستعداد دولة على دولة ، أو تمكينها من العدوان بسبب عدم اقامة الدليل على ركن من الاركان المكونة للجريمة • كما رؤى أن تحذف عبارة ـ الحرب أو المحاربة نظرا لما دلت عليه الحوادث من جواز وقوع قتال بدون اعلان حرب ما (المادتين ٧٧ و ٧٨ ـ القديمة والمعدلة) •

كما أنه بالنسبة للمادة (٧٩) قديمة وهي الخاصة (بالقاء الدسائس لتسهيل دخول العدو أو تقدم سيره) ، فقد رأى المشرع التوسع فيها لان التخابر مع دولة أجنبية قد يكون له أغراض لا تخلو من المساس بأمن الدولة غير دخول العدو وهذه توجب أن لا تفلت من العقاب فجعل لذلك مادة خاصة أيضا وحدد لها قصد خاص هو الاضرار بالبلاد كما اعتبر التخابر مع دولة معادية دليلا على سوء القصد ، وشدد العقاب بالنسبة للموظف أو الشخص ذي الصفة النيابية العامة ـ أما بالنسبة لاسرار الدولة وافشائها ومنها الدعاية المثيرة (الاشاعات) ، فنظرا لان القانون القديم لم يكن ينص على « افشاء سر مخابرة أو ارسالية عسكرية أو رسومات الاستحكامات أو الموانىء أو الترسانات » ونظرا لقصور هذا النص وعدم كفايته حتى فيما يتعلق بالاسرار الحربية(الصرفة) فقد رؤي تعديله لانه كان من أثر تعقيد الحروب الحديثة أن زاد عدد ونوع الاشياء التي يجب أن تظل مجهولة من الدولة الاجنبية والتي اذا (علمت) أضرت بالاستعدادات الخاصة بالدفاع عن البلاد في زمن السلم وبالدفاع ذاته في زمن الحرب •

كما أن هناك معلومات كثيرة في النواحي السياسية والاقتصادية والعلمية والصناعية يجب أن تظل مكتومة كذلك ، لما قد يترتب على معرفة الدول الاجنبية لها من اضعاف لقوة البلاد ، فمثلا البيانات الخاصة (بحالة التموين) في البلاد فيما يتعلق ببعض الحاصلات أو المحصول الرئيسي ، أو بمقدرة انتاج المصانع الحربية أو بطرق الصناعة أو بالاختراعات العلمية التي ترمي الى تغذية التسليح

هي من الاسرار الهامة التي يجب اخفاؤها عن الدول الاجنبية ، وليست هذه الناحية بأقل من رسومات الاستحكامات أو الخطط التي تقرر (هيئة أركان الحرب لاتخاذها في الاعمال الحربية) ولذا عدلت المواد أخذا بالقوانين الاجنبية الاخرى لتشمل كل ما يعد سرا ، وجعل الحق للحكومات في تقرير أهمية هـذه المعلومات وضرورة حمايتها ولذا سميت (الاسرار الحكومية) . وقد صيغت المادة (٨٠) عقوبات على هذا النحو : وترك أيضا للمحكمة أن تأخذ رأي السلطات ذات الشأن اذ هي أقدر من غيرها على الحكم على أهمية الوثائق أو المعلومات المفشاة التي تجري بشأنها المحاكمة وتقدير مدى سريتها ــ وقد قالت المذكرة الايضاحية في هذا الشأن بما نصه :

«ان المهم في الامر هو الغرض الذي يرمي اليه الجاني فغير ذي بال الصورة التي يجري فيها تحقيق هذا الغرض أو الوسائل التي تستعمل في ذلك بل انه ليس من المحتم أن يكون السر قد عرف بأكمله فان عبارة بأي وجه الواردة في المادة (٨٠) يراد بها أن تطبق العقوبة ولو لم يفش من السر الا (بَعضهُ) وكذلك لو كان السر أفشي على وجه خاطىء أو ناقص » ...

وتوجد الجريمة كذلك ولو لم يتحقق الغرض المقصود منها بل انه ليكفي أن يحصل شخص على سر من هذا القبيل وأن يثبت أنه كان ينوي تسليمه لدولة أجنبية ولم يحصل التسليم فعلا ...

ونظرا لما أظهرته الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ ــ١٩١٨ من أهمية وسائل المخابرات السرية التي تستعمل لجمع المعلومات الحربية أو ارسالها ، ولانه لولا هذه الوسائل لتعذرفيالكثير من الاحوال تسليم هذه الاسرارالى الدولالاجنبية. فرؤى أنه يجب أن يتناول العقاب تنظيم واستعمال هذه الوسائل أيا كانت المخابرات الاجنبية حتى تثبت أن الغرض منها تسليم أسرار النفاع .

وهكذا كان الحال طبقا للقانون ٤٠ لسنة ١٩٤٠ المذكورة آنفا بعد حرب ١٩٥٦ لانه ظهر أن هذا القانون لايفي بالغرض المطلوب ولم يستوعب التعديل

كل الجرائم المضرة والتي تحدث فعلا في البلاد الاخرى • ولاجل أن تكون الصورة تامة ومحافظة على أمن الدولة رؤي مرة أخرى تعديل هذه المواد تعديلا شاملا فصدر القانون رقم /١١٢/ لسنة ١٩٥٧ في ١٩ مايو ١٩٥٧ (بعد قضية الجاسوسية الكبرى في مصر ١٩٥٦والتي جرى الحكم فيها • ولم يحفل القانون الجديد بمتابعة المذاهب المتفرقة بين التجسس والخيانة أو القصد الجنائي فيها ، بل جعل همه بيان الجرائم التي يراها ماسة بأمن الدولة وسلامتها في الخارج وما يجب لقيامها من الناحية المادية والمعنوية ودون أن يفرق بينها اذا ارتكبها أجنبي أو وطني وجعل العقاب لكليهما (سواء) لان النتيجة المترتبة على فعل أي منهما هي واحدة على كل حال •

تفسير القانون ١١٢ لسنة ١٩٥٧ :

استهلت المذكرة الايضاحية بيانها عن الجرائم التي تقع على أمن الدولة من جهة الخارج بأن هذه الجرائم بطبيعتها لا تقع على فرد أو أفراد ، وانما تصيب كل من يقيم على أرض الوطن • ولذا فرضت لها عقوبات خاصة لتكفل كيان الدولة وسلامتها ولتحفظ الامن في ربوعها ، وتحمي أنظمتها وسلطاتها • وأنه مع تعديل هذه المولد خصوصا التعديل الشامل بالقانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٤٠ الذي صدر بعد الحرب العالمية الاخيرة فقد ظل الشعور قويا بأن أحكام قانون العقوبات في هذا الشأن خصوصا بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ يشوبها التخلف عن مسايرة أحوال البلاد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وأنه لما كانت البلاد قد حققت كامل استقلالها وسيادتها كدولة وجمهورية لذلك يتطلب المحافظة على هذه الاوضاع التي بلغتها ضد أي خطر يأتيها من الخارج أو يتألب عليها من الداخل وعلى هذا الاساس وضعت المواد الجديدة وشرحت بالمذكرة الايضاحية •

اهم المواد :

المادة ٧٧ ب عقوبات تنص على ما يلي

« يعاقب بالاعدام كل من سعى لدى دولة أجنبية أو تخابر معها أو مع أحد ممن يعملون لمصلحتها للقيام بأعمال عدائية ضد مصر .. » .

تفسير السعي :

السعي أصلا هو التصرف في كل عمل : فنقول سعى الرجل الى الصدقة أي عمل على جمعها من أربابها (والسعي) لغة ـ سعى ـ يسعى ـ سعيا ـ أي عمل ومشى وعدا الى آخره...فالسعي يكون للدولة أو للشخص الذي يعمل لمصلحتها والمقصود بالسعي هنا هو كل عمل أو نشاط يصدر من الجاني ويقصد منه أي توجيه أو خدمة دولة أجنبية للقيام بعمل عدائي سواء تحقق أو لم يتحقق وقوع العمل العدائي نفسه وقد يكون ذلك عن طريق النميمة أو الوشاية كيفما وقعتا .

وكانت المادة (٨٧) القديمة تنص على أن يكون القاء الدسائس قد حصل للدولة أو المأمور دولة أجنبية مما كان يتعذر اثباته لان صفة (المأمور) هذه هي أمر متعذر الاثبات اذ هي تترتب على وثائق أو وقائع من الصعب عادة معرفتها الا بتحقيق من الخارج فيفلت نتيجة لذلك بعض الجناة من تطبيق النصوص عليهم ولذلك عدلت المادة الجديدة وحذف منها :

« أحد مأموريها » واكتفى بوضع نص شامل لها وهو « أحد ممن يعملون لمصلحتها فقط » فلا حاجة بعدها لاثبات الصفة .

والتعبير بالقاء الدسائس تعبير غير واضح وقد أوجد كثيرا من اللبس عند التطبيق اذ قد تكون الدسائس ألقيت وتم التخابر لغرض آخر . أو ليس لها أية أهمية بالنسبة للحرب وانما في الوقت نفسه لا تخلو من المساس بأمن الدولة أو يقصد بها فقط الاضرار بمركز الدولة الحربي أو السياسي أو الاقتصادي أو الدبلوماسي فحذفت جملة (القاء الدسائس) ووضع بديلها السعي والتخابر ومعناها واضح ومتسع المدلول كما أنه في نفس الوقت حذف من النص السابق جملة (بعد استعدائها أو تمكينها من العدوان عليها ... الخ) أي التحريض على محاربتها ووضع بدل ذلك كله « القيام بأعمال عدائية » أي أيا كانت الاعمال العدائية لانه من الممكن كما تقدم أن يقوم قتال ومناوشات على الحدود كما

يقع عادة بين الحين والحين في هذه الايام بين البلاد العربية واسرائيل دون اعلان الحرب وأصبح لفظ « القيام بأعمال عدائية » يتسع لكافة صور العمل العدائي ولو لم يبلغ في الوصف العام أعمال الحرب أو حتى الاعمال التي لا يسبقها(اعلان حرب) وهذا مستفاد من نص المادة /٢٤٣/ من القانون الايطالي التي أخذت عنها مصر والتي تنص على وجوب العقاب سواء تحقيق الغرض من التخابر أو لم يتحقق من حيث قيام الدولة .

التخابر معها بأعمال عدائية والمادة ٢٤٣ تقرر :

L'auteut du dejit prevu est punissable, meme s'il est etranger, et quelle que soit sa residence. Si l'evenenement prejudiciable se produisait, c'etait une circonstance aggracante, le texte est analogue si la guerre survient, si les hostilite se realisent .

وعلى هذا الاساس أصبح قصد المشرع واضحا في المادة (٧٧) ب من حيث ضرورة العقاب على التخابر سواء تحقق غرض الجاني أو لم يتحقق ، فالنتيجة ووقوعها لا أثر لها على العقاب . كما وأن النص واضح من حيث انطباق المادة سواء في حالتي السلم والحرب ولو أن الغالب دائما أن يكون القيام بالاعمال العدائية هو تمهيد لحالة الحرب الا أنه ليس ما يمنع من تطبيق النص في حالة قيام الحرب بين دولتين حتى ولو كانت احدى الدولتين هي الدولة المتخابر معها ولان سعي الجاني مع أية دولة أجنبية مستهدفا القيام بأعمال عدائية ولو كانت هذه الدولة (محايدة) هو أمر معاقب عليه لان عبارة النص وردت مطلقة ولان القيام العدائي أيا كان هو أمر متروك للدولة المتخابر معها نفسها وسواء أكان التخابر مباشرة أو أحد ممن يعملون لمصلحتها والمهم فقط أن يكون الباعث لدى الجاني وقصده متجها لهذه الاعمال بمعنى أن يدخل في نشاطه الذهني عند التخابر امكان قيام الدولة الاجنبية بالاعمال العدائية .

التجسس خارج البلاد :

من الواضح أن هذه النصوص جميعها تنطبق على الاجانب أو الوطنيين وسواء وقعت هذه الاعمال في البلاد أو في الخارج طبقا للمادة الثانية من قانون

العقوبات اذ ليس من شك في وجوب محاسبة الاجنبي المقيم في البلاد عما يرتكبه من هذه الجرائم سواء أكان تابعا للدولة الاجنبية التي يتخابر معها أو تابعا لدولة أخرى لان نص المادة الثانية واضح اذ أنها تقرر العقاب على :

« كل من ارتكب خارج البلاد جريمة مخلة بأمن الدولة مما نص عليه في البابين الاول والثاني من الكتاب الثاني أي المواد (من : ٧٧ الى ٨٥ عقوبات) ولا يهم أن يبدأ الجاني التخابر من الدولة الاجنبية من جهته أي أن يكون هو

الاصل ، أو تكون الجهة الاخرى هي التي تخابرت معه ، لان الامر في معناه كما تقدم هو تفاهم بين الجانبين على أية كيفية يتم . ولذلك تقع الجريمة حتى اذا كانت الدولة الاجنبية هي التي بدأت أو من يعمل لمصلحتها هو الذي قام من أول الامر بفتح باب التخابر وبذلك أصبح لا ضرورة لاثبات الصفة الرسمية لهذا الشخص الذي يعمل لمصلحة دولة أجنبية في علاقته بتلك الدولة . أما التخابر مع الدولة الاجنبية نفسها فيعتبر أنه تم معها مباشرة اذا حدث بطريق (التفاهم) أو (الاتصال) مع أحد القائمين على الامور فيها من حكومتها المدنية أو من رجالها العسكريين (المخابرات) والتخابر مع الشخص الذي يعمل لمصلحة الدولة الاجنبية فهو الشخص الذي ندبته حكومته رسميا ليمثلها أو الذي يعمل بصفة رسمية أو متطوعا أو يعمل بايعاز خفي من نفس الدولة الاجنبية لتدبير مصلحة لها على حساب البلاد أو اضرارا بالمصلحة القومية أو الوطنية ...

وهذه الجريمة كما يصفها (جايون) بأنها جريمة شكلية أراد بها المشرع العقاب على القصد القائم وقت التخابر في حد ذاته معاقب عليه كجريمة قائمة بذاتها والنتيجة التي يسفر عنها التخابر من تقديم المعلومات تكون جريمة أخرى كجريمة تسليم الاسرار أو تقديم معونة للعدو حسب الاحوال وهكذا ولا شك أن للقاضي السلطة المطلقة في تقدير الافعال المرتكبة التي ينطبق عليها وصف السعي أو التخابر وله أن يهتدي في ذلك بطبيعتها أو بالكيفية التي تمت بها والظروف التي لابستها أما القصد الجنائي الخاص أي توافر الباعث لدى الجاني على امكان قيام الدولة الاجنبية بأعمال عدائية ضد البلاد فيكفي في توافره أن يقوم في ذهن الجاني أن ما فعله قد يمكن أو يساعد الدولة الاجنبية على القيام

بأعمالها العدائية مهما كانت صور هذا العمل العدائي ، وهو الذي يؤثر على المصالح الوطنية أو القومية ولا يشترط تحقيق الغرض من القيام بالاعمال العدائية كما وأن التخابر مع دولة معادية كاسرائيل مثلا أو مندوبيها يدل بذاته على قصد الجاني الاجرامي .

وعلى هذا الاساس سبق أن قضت محكمة النقض الفرنسية في يوليو ١٩٤٨ بأن قبول الشخص للعمل في خدمة الجستابو الالماني ، وتقديم معلومات الى هذه الهيئة من قبيل التخابر . وأن المتهم في هذه القضية قد قام فعلا بأداء بعض الخدمات ومنها الاخبار بالمقالات المناهضة النازية والمنشورة في الصحف الفرنسية والبحث عن الصحف والمطبوعات التي تصدر في فرنسا بصفة سرية « مستترة » وقد أخطر السلطات الالمانية بذلك .

وقضت محكمة النقض الفرنسية أيضا في ١٩٤٩/١٢/٣٠ « بأن المتهم الطاعن (المستأنف) يعد مرتكبا لجريمة تامة لمجرد اتيانه لاعمال تحضيرية اذا كان ثبت في حقه أنه كان أسيرا لدى السلطات الالمانية ، ورضي أن يضع نفسه في خدمة الجاسوسية الالمانية (الجستابو) وقبل الذهاب الى فرنسا لهذا الغرض كما أنه دخل معسكر باريس للقوات الفرنسية لكي يحصل لصالح (الجستابو) على معلومات حربية مثل أمكنة الوحدات الحربية وأسماء القواد الكبار ونقط القاء القنابل على باريس ، وأن مجرد قبول الطاعن (المستأنف) التجسس ومجرد دخوله المعسكر الحربي يكوّن جريمة تامة في التخابر ولا يعد من قبيل الاعمال التحضيرية لهذه الجريمة كما ادعى في استئنافه . (وقضت محكمة النقض بعدها برفض الطعن في الحكم الصادر باعدامه (يراجع في هذا الشأن مجموعة أحكام النقض الفرنسية سنة ١٩٤٩ رقم ٢٨٦ صفحة ٤٦٩) .

على أنه يلاحظ من جهة أخرى أن الجاني اذا كان قد قصد من التخابر مع الدولة الاجنبية التحريض على الغاء معاهدة أو اتفاق سياسي أو جر منفعة مثلا لرعاياها دون أن يكون لديه احتمال قيام الدولة الاجنبية بأعمال عدائية أو الاستفادة من تخابره للقيام بها فلا ينطبق نص المادة ٧٧ ب وانما يمكن في هذه الحالة تطبيق المادة /٧٧ د/ التي تنص على عقاب التخابر أو السعي اذا كان

من شأن أيهما الاضرار بمركزالبلاد الحربيوالسياسي والدبلوماسي والاقتصادي أو امكان تطبيق المادة /٧٧ ج/ ، اذا كان الجاني طرأ في ذهنه أو هدف من وراء عمله سعيا أو تخابرا الى معاونة الدولة في عملياتها الحربية أو الاضرار بالعمليات الحربية للبلاد نفسها .

واذا تحقق الامرأنتطبق المادتان٧٧بو٧٧ج علىحسبالظروف والاحوال. وكذلك من المقرر في فقه القضاء الفرنسي أنه لا يشترط لقيام الجريمة أن تكون الدولة الاجنبية أو المعادية التي تم معها التخابر قد قامت فعلا بأعمال عدائية ضد البلاد ، أو ان يكون تخابر الجاني مع الدولة المعادية أدى الى تقديم معونة فعلية لها . وقصارى القول أن المشرع يعاقب على أفعال التخابر ولو لم تؤد الى النتيجة ما دامت هذه النتيجة أصلا داخلة في قصد الجاني وتحضيره .

Le fait qu'un inilitaire etant prisonaier de guerre en A'llemagne a entretenu Des intelligences avec cette puissanee ennemie Daus Le but de Favoriser ses entreprises, notamment en se mettant a la Disposition des agents du service d'espionnage allemand et en acceptant d'eux. d,s,y livrer a l'espionnage en faveur de L'Allemagne et le fait de s'etre ulterieurement introduit dans le camp de Paris place de guerre pour se trouver dans L'interet de l'qllemagne, puissance ennemie, des renseignements d'ordre 8 militaires tels que points de chute de gros - abus dans Paris, emplacement des unites militaires, noms des chefs militaires, constitue don des actes prepararotoires des crimes d'intelligence avec l'ennemie et d'espionnage mais des actes d'execution des dits crimes et reforme tous ies elements constitufes des infractions qu'ont ete consommees .

(Le cityon charge d'un ministere de service public)

(Les renseignements) e0t

(Fqvipment)

(Secrets professionelles)

(Sous quelque forme, de queaque maniere " ete .)

نص المادة ٧٧ ج :

يعاقب بالاعدام كل من سعى لدى دولة أجنبية معادية ، أو تخابر معها أو مع

أحد ممن يعملون لمصلحتها لمعاونتها في عملياتها الحربية أو للاضرار بالعمليات الحربية [1] .

وهي جريمة أخرى من جرائم الخيانة العظمى وغرض الجاني في هذه الجريمة خلافا للجريمة السابقة بالمادة (٧٧ ب) أن يهدف من وراء سعيه وتخابره الى معاونة الدولة المعادية في عملياتها الحربية او للاضرار بالعمليات الحربية للبلاد ، وهذه المادة تقابل المادة ٧٥/٢ معدلة بالقانون الفرنسي الصادر سنة ١٩٣٩ والمادة / ٢٤٧ / بالقانون الايطالي وهي صريحة في أنها خاصة بالعمليات الحربية القائمة بين البلاد وبين دولة أجنبية ، وأن يكون التخابر والسعي مع الدولة المعادية أو أحد ممن يعملون لمصلحتها لمعاونتها في أعمالها الحربية او للاضرار بالعمليات الحربية للدولة أي الحاق الضرر بالقوات المسلحة ، فهي جريمة من جرائم الحرب أو التي تقع في زمن الحرب أو بين البلاد وبين الدولة المعادية وهي في حالة حرب .

فسعي الجاني من أهل البلاد كان أم أجنبيا لدى العدو أو رجال الدولة المعادية الذين يعملون لمصلحتها وتزويدهم ببعض البيانات عن السلاح والذخيرة ، أو تزيدوهم بالاشارات من أجل احتلال حصن أو موقع أو تمكينهم بأية وسيلة أو أكثر لاستخدام طرق المواصلات أو بيانها أو كشف المواقع الحربية كمواقع المطارات وموانيء الغواصات ليمكن العدو من استخدامها أثناء الحرب أو ليتمكن العدو (أي الدولة الاجنبية المعادية) من معرفة مواقع القوات الحربية أو مواقع واقامة (الجنود) وقادتهم للاستفادة منها عندما تستدعي الظروف ذلك ، كل هذا مما يتوفر فيه القصد الجنائي (لدى الجاني) وهو الجاسوس لانه ليس بلازم أن يتحقق القيام بالعدوان من الدولة الاجنبية نتيجة حصولها على هذه المعلومات من الجاني .

---

(١) حكمت المحكمة العسكرية العليا بالقاهرة برئاسة العقيد عز الدين رياض في اول شهر كانون الثاني ١٩٧٥ على الجاسوس المصري سمير وليم باسيلي بالاعدام شنقا استنادا لهذه المادة .

وهذا أمر يستفاد منه نص المادة المقابلة في القانون القديم لسنة ١٩٤٠ المادة ٧٨ التي تقول :

« كل من دس الدسائس الى دولة أجنبية أو الى أي شخص آخر يعمل لمصلحتها أو تخابر معها أو معه بقصد استعدائها على البلاد أوتمكينها من العدوان عليها يعاقب ... الخ سواء تحقق الغرض من التخابر أو لم يتحقق ...

فاذا كان الغرض الذي قصده الجاني (الجاسوس) بما فعل أو الذي دخل في ظنه وضمن نشاطه الذهني هو معاونة العدو ومده بما يمكنه من المضي في عملياته الحربية ، أو أن يكون غرضه أيضا الاضرار بالعمليات الحربية للدولة نفسها فان فعله يقع تحت حكم المادة /٧٧ د/ اذ أن المشرع قد سوى بين الحالتين سواء تحقق الغرض المطلوب (تتيجة التجسس) أو لم يتحقق وذلك خلافا لنص المادة ٢٤٧ من قانون العقوبات الايطالي الذي جعل من تحقيق الغرض ظرفا مشددا (عقوبته الاعدام) . فاذا لم يتحقق الغرض (تتيجة ذلك التجسس) تكون عقوبته السجن حسب تقدير المحكمة .

الوسيط وقيمته بالنسبة للتجسس :

الوسيط في لغة المخابرات هو (العميل) ، وأول من أطلق اسم (الوسيط) على عميل المخابرات هو (جارسون) . ومع جواز كون الوسيط تابعا لدولة محايدة ولكنه في الواقع ليس الا وسيطا بين الجاني والدولة المعادية .

والقصد الجنائي في هذه المادة يتوافر متى ثبت أن الجاني بما فعل انما قصد معاونة العدو وحده بما يمكنه من المضي في عملياته الحربية أو معاونته فيها أو الاضرار بالعمليات الحربية للدولة . وهذا الامر يعرف من وقائع جرم التجسس .

أما المادة /٧٧/ فتنص على أنه « يعاقب بالسجن اذا ارتكبت الجريمة في زمن السلم وبالاشغال الشاقة المؤقتة اذا ارتكبت الجريمة في زمن الحرب » .

١ ــ كل من سعى لدى دولة أجنبية أو أحد ممن يعملون لمصلحتها أو

تخابر معها أو معه ، وكان من شأن ذلك الاضرار بمركز البـلاد الحربي أو السياسي أو الدبلوماسي أو الاقتصادي •

٢ ـ كل من أتلف عمدا أو أخفى أو اختلس أو زور أوراقا أو وثائق وهو يعلم أنها تتعلق بأمن الدولة أو بأية مصلحة قومية خرى •

فاذا وقعت الجريمة بقصد الاضرار بمركز البلاد الحربي أو السياسي أو الدبلوماسي أو الاقتصادي أو بقصد الاضرار بمصلحة قومية لها كانت العقوبة (الاشغال الشاقة المؤقتة في زمن (السلم) والاشغال الشاقة المؤبدة في زمن الحرب) •

وهذه المادة تماثل المادة /٧٧/ من قانون العقوبات القديم سنة ١٩٠٤ والمادة /٨٠/ من قانون عقوبات سنة ١٩٣٧ والمادة (٣٥٥) من قانون العقوبات الايطالي •

وقد أضاف المشرع على هذه المادة مسألة جديدة هي (الاضرار بمركز البلاد الاقتصادي لما رآه من أنه يجب على الدولة أن تتقي هذه الافعال التي لم تكن معروفة من قبل في الماضي ، وأن تدفع عن نفسها غوائلها وذلك على غرار ما يتناوله النص من الاضرار بمركز البلاد الحربي أو السياسي أو الدبلوماسي ، لانه غير خاف أثر الاحوال الاقتصادية على كيان الدولة وأمنها سواء في الحرب أو السلم على السواء •••

أما الجريمة الاولى وهي السعي والتخابر اذا كان من شأنه الاضرار بمركز البلاد ••• الخ فهي تتضمن تأثيم كل فعل يقوم به الجاني لتحقيق النتيجة التي حرمها المشرع وترك للقاضي حرية التقدير للافعال وما يحكمه النص منها ويكفي في اثبات أن السعي كان مع دولة أجنبية أو مع أحد الذين يعملون لمصلحتها •

وهذه الجريمة أصلا من جرائم (السلم) ، فاذا وقعت أثناء الحرب فيشدد العقاب •••

وجريمة السعي والتخابر هي جريمة مستمرة ، ويبدأ سقوط الدعوى فيها من وقت وقوف السعي أو التخابر نهائيا وفعلا •

أما ركن الجريمة الهام فهو : أن يكون من شأن السعي أو التخابر الاضرار بمركز البلاد الحربي والسياسي والدبلوماسي والاقتصادي فلم يستلزم الشارع وقوع الضرر فعلا فنص على أن يكون السعي والتخابر من شأنه فقط (الاضرار بمصلحة البلاد ومركزها) • فهو انما قصد من تحريم هذه الافعال حماية شخصية الدولة من كل خطر أو ضرر ولو كان محتملا •

وهو يعاقب على الفعل المادي بغض النظر عن النتيجة (من التجسس) ، وعلى ذلك سواء تحقق الضرر أم لم يتحقق ، وكان محتملا فقط (فالعقاب واجب) وانما يجب أن يكون هناك احتمال الضرر وحصوله يكون رافعا لكل شك في طبيعة فعل السعي أو التخابر •

ومن الاضرار بمركز البلاد (الحربي) يكون كالعمل على الغاء تحالف أو الغاء نظام التجنيد أو مهاجمته أو عرقلةسيره أو اضطراب توزيع القوات المسلحة، أو عرقلة استيراد الاسلحة أو الذخيرة أو مهمات الحرب المختلفة •

أما الاضرار بمركز البلاد السياسي فهو كل ما من شأنه أن يسيء اليها ويمس استقلالها في الخارج أو سيادتها آخذا بحقها المطلق في تصريف شؤونها الخارجية فالسعي أو التخابر الذي يفضي الى اساءة علاقة الحكومة بحكومة دولة أجنبية أو يقصد خذلانها في هيئة رسمية دولية يعد مما يضر بمركزها السياسي وسياسة البلاد في زمن السلم ظاهرة سيما في البلاد الدستورية من حرية المناقشات البرلمانية ــ وحرية الصحافة ••• الخ •

والاضرار بمركز البلاد (الدبلوماسي) هو الذي يتصل بالتمثيل الدبلوماسي للدولة ونظامها وأعمال القائمين على العمل الدبلوماسي في الخارج لان الممثل الدبلوماسي هو الذي يعبر عن رغبات دولته ، ويتفاهم باسمها مع غيرها • فكل ما يضر بواجباته من سعي أو تخابر أو دس يعتبر مضرا بمركز البلادالدبلوماسي•

أما الاضرار (بالمصالح الاقتصادية) فان لكل دولة نظامها الاقتصادي الخاص بها ، والذي ترسي هي قواعده ويدخل فيه نظام نقدها وأرصدتها وأموالها التي لها في الخارج وما يتصل بانتاجها الصناعي والزراعي والاعمال التجارية في الاسواق الخارجية • فكل من سعى أو تخابر للاعلام عن ذلك ،

يضر بمصالح البلاد ويدخل في النص ، وهذا كله خاضع لتقدير القاضي .

ومما هو جدير بالملاحظة أن موظفي الدول الاجنبية أيضا أنفسهم مقيدون عند مخابرة دولهم بأنهم عندما يطلعونها على ما يدور في الدولة التي هم فيها فذلك التخابر منهم (مشروط باستعمال الوسائل المعروفة)، وعن طريق الوزارات المختصة (وزارات الاعلام والتجارة .. الخ) . والقانون الدولي لا يبيح لهؤلاء الموظفين استعمال الوسائل الاجرامية (غير المشروعة) . ولذا تعاقب القوانين في كافة الدول على ما يلحق من نتيجة ذلك اضرارا بالدولة (كالتجسس) أو استخدام العملاء لكشف الاسرار وهذا مما يحرمه العرف الدولي .

أما القصد الجنائي في هذه الجريمة فهو (القصد الجنائي العام) الذي يستفاد من اتيان المتهم للفعل المكون للجريمة عن علم واختيار . ولا يشترط فيه أن يكون قصد المتهم الاضرار بالمركز الدبلوماسي أو الاقتصادي ... الخ أو أن يكون مدفوعا بباعث معين (شرح أصل الجواسيس في أول هذا الكتاب)، بل يكفي أن يباشر الجاني السعي أو التخابر الذي من شأنه نتيجة الاضرار بهذه المراكز ، وهو عالم بتجريمه مريدا لما فعل . وذلك يطابق النص الفرنسي للمادة (٨٥/٢ — Ayant pour EFF. et)

أما الفقرة الاخيرة من المادة وهي :

اذا وقعت الجريمة بقصد الاضرار بمركز البلاد الحربي أو السياسي أو الدبلوماسي أو الاقتصادي أو بقصد الاضرار بمصلحة قومية بصورة عامة ، فهذه الفقرة تضمنت غير القصد العام قصدا خاصا هو الاضرار بمركز أوبمصلحة من المصالح القومية وقد جعل المشرع منه (ظرفا مشددا) بني عليه فيما بعد تغليظ العقوبة .

ويستدل على هذه النية أو سوء القصد بنوع العمل الذي يقوم به الجاني ومدى استمراره فيه مثلا ،وبالظروف والملابسات التي تحيط بالسعي والتخابر فيكون القصد واضحا اذا تم السعي والتخابر مع دولة تضمر العداء للبلاد أو بها فطنة الاعتداء عليها أو مع أحد ممن يعملون لمصلحتها أو أن تكون هـــذه

الدولة الاجنبية (معادية) للبلاد ، أو في حرب معها . لان كل هذه الامور شواهد وقرائن تدل (على توافر هذه النية) .

والقصد الجنائي كما هو معروف وتقدير أمره متروك للمحكمة وهو مسألة موضوعية يستقل القاضي المكلف بالدعوى (تقديرها) من الوقائع المعروضة عليه ، ومتى استخلصها استخلاصا سليما فلا رقابة بعدها على حكمه من محكمة النقض أو غيرها (سوى حق الرؤساء والملوك في منح العفو أو تبديل أو تخفيف العقوبة حسبما تقضي دساتير أغلب الدول وعند وجود مصلحة عليا للبلاد في ذلك ...) .

امن الدولة وتفسير معناه :

أما ما هو المقصود (بأمن الدولة) أي La surete de L'Etat فهو تعبير واسع ، ويراد به كل ما يمس أمن الدولة ومركز البلاد وأنظمتها الاساسية باعتبار كل دولة مستقلة (شخصية دولية) في كيان قائم ووحدة دولية متماسكة ويميزها عنصر السيادة في الداخل والخارج ...

المصلحة القومية وتفسير معناها :

وتعبير المصلحة القومية هو (تعبير عام) واسع المدلول ، وقصد المشرع به كل مصلحة تهم البلاد من الناحية السياسية أو تمس سيادتها في الخارج أو الداخل وعناصر الحكم فيها .. كالاتفاقات على الحدود أو الانتفاع بالمياه أو خطوط ووسائل المواصلات وحقوقها في استخدامها أو الانتفاع بها . وهذه العبارة شاملة تتضمن أي عمل يمس مصلحة سياسية أو اقتصادية من مصالح الدولة . فاذا كان الجاني قد تلقى الرشوة أو الوعد بامتيازات لاحقة لقاء تبليغه (تخابره) عن أمور تمس سيادة الدولة الداخلية أو الخارجية أو أحوال سياستها مما يصح أن يكون موضوعا يستخدمه الجاني لصالح الجهة أو الدولة التي يعمل لحسابها .

***

عدم جواز التخفيف طبقا للمادة ٧٧ من قانون العقوبات :

لم يجز المشرع تخفيف العقوبة في أي جريمة من جرائم المادة ٧٧ : اذا كان الجاني موظفا أو شخصا ذا صفة نيابية عامة ، أو مكلفا بخدمة عامة • والسبب في اعتبار صفة الجاني مانعا من استعمال الرأفة هو أن الموظف العام ، ومن في حكمه الذي يرتكب جريمة مما نصت عليه المادة المذكورة انما يخل بالثقة الممنوحة له بحكم الوظيفة • كما أن تلك الصفة قد تكون من الاسباب التي تسهل للجاني (الموظف) ارتكاب الجريمة بما يمتنع عنه موجبات الرأفة •

أما الشخص المكلف بالخدمة :

(Le cityon charge d'un minstere de service public)

فتضم هذه العبارة كل شخص ليس من طائفة المستخدمين ، ولكنه يقوم بنصيب من الاعمال العامة على أنه لا يكفي كذلك لتحقيق المعنى المقصود هنا أن يكون الشخص قد ندب نفسه لعمل من الاعمال العامة • بل يجب أن يكون قد كلف بالعمل ممن يملك التكليف (مثل شخص مكلف طبقا لامر عسكري للقيام بعمل ما) •

والمذكرة الايضاحية للقانون رقم ١١٢ لسنة ١٩٥٧ ـ صريحة فيأنه لاأهمية لان يحصل الموظف ومن في حكمه على المستندات أو الاسرار أثناء قيام الصفة أو بسببها ، بل يعاقب الموظف حتى ولو زالت عنه الصفة قبل ارتكاب الجريمة• وسواء حصل على الاشياء المذكورة أثناء قيام الصفة أو بعد انتهائها • وقد رؤي في هذا الحكم أن بين هذه الفئة أي فئة الموظفين وبين الدولة التي اختارتهم للخدمة العامة ، توجد علاقة أدبية لا تنفصم عُراها بانتهاء العمل أو الخدمة • وهذه العلاقة تستوجب الاخلاص والامانة والكتمان ولو بعد انتهائها[1] •

والمادتان (٨٠ و ٨٥) عقوبات تنص على ما يلي :

---

(١) المادة ١١٢ ـ قانون العقوبات في مصر ١٩٥٧ تشمل ملاحقة جميع موظفي الامن العام والمخابرات والبوليس ، ومن في حكمهم كان مطلعا على أسرار الدولة وسرح لاي سبب ، فيتوجب عليه الكتمان أدبيا وقانونيا ••

« يعاقب بالاعدام كل من سلم لدولة أجنبية أو لاحد ممن يعملون لمصلحتها أو أفشى اليها أو اليه بأية صورة من الصور وعلى أي وجه وبأية وسيلة سرا من أسرار الدفاع عن البلاد أو توصل بأي طريقة الى الحصول على سر من هذه الاسرار ، بقصد تسليمه أو افشائه لدولة أجنبية أو لاحد ممن يعملون لمصلحتها. وكذلك من أتلف لمصحة دولة أجنبية شيئا يعتبر سرا من أسرار الدفاع أو جعله غير صالح لان ينتفع به (خربه) » • وهي تطابق ما ورد في نصوص القانون الفرنسي في المواد (٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ عقوبات) وكذلك في القانون الايطالي المادة (٢٥٦) عقوبات •••

وقد أوردت المادة ٨٥ على سبيل المثال أسرار الدفاع وذكرت غالب مايقصد به ازالة اللبس الذي كان قائما ، وللاحكام المختلفة التي صدرت قبل تعديل هذه المادة •

وقد قررت المادة (٨٥) أنه يعتبر سرا من أسرار الدفاع :

١ ـ المعلومات الحربية والسياسية والدبلوماسية والاقتصادية والصناعية التي بحكم طبيعتها لا يعلمها سوى الاشخاص الذين لهم صفة في ذلك • ويبقى مراعاة مصلحة الدفاع عن البلاد أن تبقى سرا ما عدا هؤلاء الاشخاص ••.

٢ ـ الاشياء والمكاتبات والمحررات والوثائق والرسوم والخرائط والتصميمات والصور وغيرها من الاشياء التي يجب لمصلحة الدفاع عن البلاد أن لا يعلم بها الا من يناط بهم حفظها أو استعمالها ، والتي يجب أن تبقى سرا على من عداهم خشية أن تؤدي الى افشاء معلومات مما أشير اليه في الفقرة السابقة.

٣ ـ الاخبار والمعلومات المتعلقة بالقوات المسلحة وتكتلاتها وتحركاتها وعتادها وتموينها وأفرادها ، وبصفة عامة كل ماله مساس بالشؤون العسكرية والاستراتيجية ولم يكن قد صدر اذن كتابي من القيادة العامة للقوات المسلحة بنشره أو اذاعته •••

٤ ـ الاخبار والمعلومات المتعلقة بالتدابير والاجراءات التي تتخذ لكشف الجرائم المنصوص عنها في هذا الباب أو تحقيقها أو محاكمة مرتكبها • ومع ذلك يجوز للمحكمة التي تتولى المحاكمة أن تأذن باذاعة (ما تراه مناسبا) من مجرياتها (ومثل

ذلك ما سمحت بنشره واذاعته المحكمة العسكرية

وقد سبق أن أوردت المذكرة الايضاحية للقانون رقم (٤٠) لسنة ١٩٤٠ أمثلة من أسرار الدفاع وهي الخاصة مثلا بالتموين في البلاد وبعض المحصولات الرئيسية أو كمية انتاج المصانع الحربية أو بطرق الصناعة أو بالاختراعات التي ترمي الى تقوية تسليح البلاد • وبالجملة كل ما يترتب على معرفته من الدول الاجنبية اضعاف القوة للدولة نفسها •••

كما سبق أن قررت محكمة النقض عن الطعن في قضية حدثت وقائعها قبل صدور القانون الجديد ، بأنه يشترط لتطبيق المادة (٨٠) القديمة توافرشرطين :

١ ــ أن يكون الشيء ذا طبيعة سرية •

٢ ــ أن يكون متعلقا بالدفاع عن البلد •

وتقدير ذلك متروك للمحكمة التي تنظر بالموضوع ولها أن تستعين بمن ترى الاستعانة به ، كما أن لها أن تأخذ برأيه دون معقب على حكمها ، كما أن مجرد الحصول على السر أمر معاقب عليه وافشاؤه كله أو بعضه كذلك ما ينطبق عليه النص • مع العلم أن ترامي أسرار الدفاع الى طائفة من الناس لا يرفع عنها صفة السرية ، ولا يهدر ما يجب لها من الحفظ والكتمان والسرية •••

وأسرار الدفاع على كل حال متنوعة ، فمنها ما هو بطبيعته (سر) لايجوز أن يعلم به الا من أؤتمن عليه ، ومنها ما هو بظروفه وملابساته بما ينبغي أن تسبغ عليه القيادة العامة للقوات المسلحة (السرية التامة) •

والسر هو أمر يتعلق بشيء أو بشخص وخاصيته أن يظل محجوبا أو مخفيا عن كل أحد غير من هو مكلف قانونا بحفظه • أما استخدامه بحيث يكون العلم به غير متجاوز عددا معدودا من الافراد الذين رخص لهم دون سواهم أن يعلموه أو يتناقلوه فيما بينهم فلا يؤثر على كونه سرا •••

كما وأن هناك معلومات كثيرة في النواحي الاقتصادية والعلمية والزراعية والصناعية يجب أن تظل مطوية خصوصا في زمن الحرب لما يترتب عن اذاعتها

أو تسليمها للدول الاجنبية من أضرار أو أخطار تلحق بالبلاد وبعرقلة استعدادها العسكري ومجهودها الحربي كالتموين لبعض الحاصلات أو قدرة الانتاج الحربي أو الاهلي أو بالاجتماعات والمقررات العلمية التي تهدف الى تقوية التسليح •

فالمعلومات Les renseigenements عن سلاح سري أو طريقة الوقاية من هذا السلاح أو عجز الذخيرة أو المؤونة أو وقوع فريق من القوات المحاربة في الاسر أو الاوامر الصادرة الى الضابط أو عن الالات والاسلحة والذخيرة والعدد الميكانيكية والادوات وقطعها المنفصلة والمفرقعات والمواد الكيماوية أو عناصرها والوثائق والصوروأعمال الطبوغرافيا ووسائل النقل والتسليحوالبرامج الاقتصادية والصناعية والمواد الخام والانتاج والاستهلاك الخاص بالمصانع الحربية كلها ، مما يعتبر أسرارا •••

ومما يتبع الاسرار أيضا المعلومات الصناعية التي ترتبط بوحدة النشاط في مؤسسة صناعية أهلية غير تابعة للحكومة متى كانت هذه المؤسسة تقوم بعض المهمات المخصصة للدفاع عن البلاد،لان عادة الدول قد جرت على الانتفاع بمثل هذه المؤسسات في زمن الحرب ، ولان الحرب الحديثة كما تقدم تستدعي تكريس كل القوى لمواجهة العدو والاستمرار في قتاله والمهم في السر أن يكون من أسرار الدفاع مسألة موضوعية للقاضي تقديرها من حيث علاقة السر بالدفاع وتقدير طبيعته •

كما لا يمنع أن يكون الشيء سرا ويحتفظ له بسريته حتى ولو كان ظاهرا للناس ، كالمنشآت العسكرية (الثكنات) والمطارات والمصانع التي تقع عليها أعين كثيرين من الضباط والجنود والعمال ، ولا يمنع ذلك من احتفاظها بأصل سريتها لان عدد هؤلاء الذين يعرفونها وما زال محددا بطائفة من رجال الجيش أو العمال المدنيين الملحقين بهم(١) ولان أولئك هم حفظة هذه الاسرار ، ولهم حق الاطلاع عليها واستعمالها •

---

(١) العمال المدنيون مثل عمال القاعدة البحرية عندنا في الجزائر وعمال المصانع الحربية في EPG وعمال مؤسسة معامل الدفاع في القطر العربي السوري وجميع هؤلاء يجري التاكد من وطنيتهم قبل والثناء استخدامهم في المصالح العسكرية نظرا لما يطلعون عليه من الاسرار موضوع البحث •

وان المشرع ألقى بالتشريع الجديد التفرقة بين الاسرار الحقيقية والاسرار الحكيمة ، كما كان عليها الخلاف قائما من قبل • ولم تستلزم صدور أي قرار من الحكومة يسبغ على أمر أو شيء صفة السرية كما هو الحال في بعض القوانين الاجنبية ، بل جعل (التحريم) هو الاصل في باب أسرار الدفاع ، والاستثناء هو أن يباح النشر فقط باذن كتابي من القيادة العامة كما هو صريح النص وعلى من يتمسك بمثل هذا الاذن أن يثبت صدوره فعبء الاثبات في وجود الاذن يقع على الجاني نفسه ، لان المفروض أنه لم ينشر أو يفش الا بعد الاطلاع على الاذن• أما في وقت الحرب فان العادة جرت أن تنشر القيادة العامة بلاغات على الشعب ومثلما يرد في هذه البلاغات لا يعد من أسرار الدفاع أما ما عداها فلا بد فيه من اذن رسمي •

أما في وقت السلم فكل الاخبار والمعلومات العسكرية لا يجوز نشرها الا بعد أخذ رأي القيادة وصدور الاذن الكتابي منها والا حافظت هذه الاخبار على سريتها محصنة من الافشاء ، وكل ما هو خاص بعبارة الجيش وتشكيلاته وشؤونه العسكرية وعتاده (Equipment) •

وهو كل ما يجهز به الجيش ليقوم بواجبه في وقت السلم والحرب كالسلاح والذخيرة والمهمات والعربات والملبوسات والادوية والاجهزة اللاسلكية وغيرها•

وصلاحينها وكفاية القائمين عليها وامكانيات الدفاع وتشكيل الفرق وتوزيعها والخبراء الاجانب في القوات المسلحة وندب أفراد هذه القوات لاي مهمة خارجية أو داخلية ، وتحركات القوات وعتاد ومهمات القوات والمعلومات الخاصة بالمصانع الحربية ومواقعها ومواقع المطارات السرية[1] والعلنية ، وما ينشأ عنها والمنشآت

---

(١) انشىء مطار سري في مكان ما في جمهورية مصر العربية يمر بالقرب منه طريق ، وبالطبع كان بعض العسكريين التابعين لهذا المطار يلتحقون به بواسطة الأوتوبيسات التي تمر من هذا الطريق • ونتيجة لعدم الحرص في حينه على الهام هؤلاء العسكريين أن يبقوا اسم المطار طي الكتمان ، فأخذوا حين يصلون الى المكان القريب من المطار يصرخون في الكمساري ليوقف لهم الأوتوبيس (عند المطار السري)• وما هو الا اسبوع حتى اصبح اسم هذا الموقف (المطار السري) ، وأخذ الكمسارية يصيحون عنـــد وصولهم لهذه النقطة : فيه حد نازل بالمطار السري •••) •

العسكرية وكيفية اعداد الطائرات الحربية والمطارات وتزويدها بالالات المختلفة (كالرادار) والمدافع المضادة للطائرات ونوعها وتجهيزاتها وأماكن حفظ الوقود فيها وأخبار المناورات البحرية والجوية والرسوم والخرائط وغيرها كل هـذا مما يعتبر من الاسرار .

اخذ راي المخابرات :

كما يجوز للمحكمة في سبيل تحقيق طبيعة السر وعلاقته بشؤون الدفاع وأهمية الالتجاء الى السلطات ذات الشأن (المخابرات) ، لان الامر قد يكون متعلقا بمسألة فنية لا تستطيع المحكمة أن تصل بنفسها الى كشفها . وقد اتبع ذلك القضاء الفرنسي لان الجهات الحكومية المختصة (المخابرات) هي أعرف بمحتويات السر وحقيقته ودرجة خطره والنتيجة المترتبة عن افشائه والاضرار الناتجة عن ذلك (مع خضوع كل ذلك لتقدير القاضي في النهاية) . وسبب استشارة (المخابرات) في شأن الاسرار العسكرية لانها أقدر من غيرها على الحكم على أهمية الوثيقة أو المعلومات التي تجري المحاكمة بشأنها .

سر المهنة وعدم تقديم رجال المخابرات للمحكمة :

كما لا يجوز تقديم رجل المخابرات للشهادة علنا في المحكمة ، ولا يجوز أن تؤدى شهادة أمام المحكمة بسر من أسرار الدفاع وهذا الرأي يتفق عليه عند الكثير من الشراع غير أنه اذا أذنت (قيادة المخابرات) لاحد موظفيها بأن يؤدي الشهادة أمام المحكمة لضرورة ذلك يجب أن يكون هذا الاذن مشروطا بأداء الشهادة في جلسة سرية حتى لا يعلم الجمهوربه ، وكل ذلك يترك لتقدير القاضي .

(راجع جارسون بند ٨٦ م ٣/٨٧ (٤٠) باب افشاء الاسرار) .

على أنه اذا تمسك صاحب السر بأنه لا يريد الافضاء به للمحكمة ، فهذا حقه لان الخطر الخاص بالسر هو خطر مطلق للمبدأ المعمول به عن أسرار المهنة . (Secrets professionsbles) وغني عن البيان أنه لا ينزع عن السر صفته كسر أن يعلم به عدد كبير ممن لهم شأن في حفظه واستخدامه ويظل الامر

مع هذا لا يجوز افشاؤه أو تسليمه . وعلى ذلك فليس بمانع من العقاب على الجريمة كون السر أبلغ الى عدد كبير من ضباط الجيش وجنوده فهذا الابلاغ لا يغير من طبيعته وقيمته .

ونص المادة ٨٠ الجديدة أدلّ وأقطع في ذلك ، اذ أنها تعاقب على مجرد تسليم السر أو الحصول عليه بقصد تسليمه . ولو لم يصاحب التسليم أو الحصول عليه الافضاء بمكنونه .

كما أنها تعاقب أيضا على مجرد افشاء السر بغير حصول تسليم مادي لمكنونه والافعال التي تضمنتها هذه المادة هي : التسليم والحصول والافشاء والاتلاف ولا بد أن تقع هذه الافعال على سر من أسرار الدفاع عن البلاد ، وأن يحصل التسليم الى دولة أجنبية أو أحد ممن يعملون لمصلحتها .

والتسليم هو (الاعطاء) أو تمكين الغير من الحيازة على أي وجه وبأية وسيلة وعلى أية صورة وبأي شكل .

(Sous quelque forme, de quelque maniere " etc.)

وقد يقع ذلك بطريقة تمكين الدولة الاجنبية على أخذ صوره أو نقلها أو أخذ مستند أو باملاء محتويات السر أو مضمونه أو كتابته برموز خاصة متفق عليها . وكل ذلك سواء تم بطريق مشروع أو غير مشروع . وتسليم السر مرة لا يمنع من العقاب على تسليمه مرة ثانية ، لان تكرار التسليم يزيد الالمام به ، وانتقال الجاني من بلد الى بلد وهو يرمي الى الحصول على سر من أسرار الدفاع وقيامه باستقصاء مواقع السر والتحري من الاشخاص الذين لابد أنهم على اتصال به أو بغيره فان ذلك يعتبر بدأ في التنفيذ ونية الجاني هي التي تحدد اعتبار فعله مما يدخل في نطاق الشروع في الجريمة والحصول على السر فعل مستقل عن التسليم . فيكفي لقيام الجريمة حصول الجاني على السر ثم تسليمه بعد ذلك ..

كما أنه يجوز للمحكمة أن تستعين في تقدير طبيعة السر بظروف خارجية عن فحوى السر ذاته مثل ضخامة المبلغ الذي يتقاضاه الجاني ثمنا لتسليم السر والحصول عليه ، ومن الاحتياطات التي بدت منه ومن أن التسليم وقع لدولة أجنبية معادية بصفة مندوبيها مثلا .

كما أن سبق افشاء السر لا يرفع عنه صفته ذلك أن افشاء السر مرة لا يحول دون تبليغه مرة ثانية لغير من أفشى اليهم في المرة الاولى ، ولانه حتى لو فقد السر أهميته أو فائدته بعضها أو كلها فلا يؤثر ذلك في مسؤولية من يفشيه ما دام هو من أسرار الدفاع وأيضا لا يهم أن يكون الجاني مواطنا أو من أتباع دولة أجنبية أو حتى لو كان من رعايا دولة محايدة . ولا يهم أن تكون الدولة المعادية في حالة حرب مع البلاد أو مع دولة حليفة لها لان السر يجب أن يصان عن الجميع حتى عن المواطنين الذين لا شأن لهم بحفظه أو استخدامه .

واذا حصل تسليم السر الى مؤسسة أو جماعة أو منظمة تعمل لحساب دولة معادية فالامر سواء ، لان هذا الامر يحدث عادة في حالة قطع العلاقات السياسية أو على الاخص في وقت الحرب حتى لا تقوم بعض المؤسسات للدولة التي تتبعها بخدمات هي في الواقع صورة من صور التجسس أو التخابر لمصلحتها ضد عدوهـا .

ولكن المهم أن يكون الجاني على علم بأن الشخص الذي سلم اليه السر هو ممن يعملون لمصلحة دولة أجنبية ، لان العقاب مفروض على تسليم السر الى الدولة الاجنبية . فاذا لم يتوافر لدى الجاني هذا العلم فلا يحق عقابه ...

القصد الجنائي :

القصد الجنائي في جريمة تسليم السر هو قصد عام بأن يتعمد الجاني تسليمه ، وأن يعلم أنه سر وأن يعلم بصفة من يتلقى السر منه « أحكام نقض فرنسا ١١/٧/٣٥ رقم ٩١ ويراجع جارسون بند (٥) مادة (٨٠) ، (٨١) ، (٨٢) ، تعليمات » .

L'intention consiste Donc ici Dans La volonte de communiquer a une puissance Etnangére un renseignement. sachant il est secret.

ولنعرض على سبيل المثال حكما آخر من أحكام النقض في فرنسا مضمونه « شخص سلم دولة أجنبية وثائق سرية ودافع بأنه لم يقصد المساس بأمن فرنسا

ولا خيانتها ، بل أراد أن يستبدل بها وثائق (١) أكثر أهمية لشؤون الدفاع وقدم هذه الوثائق البديلة لدى حصوله عليها الى (المخابرات) فعلا . ولكن محكمة النقض الفرنسية حكمت بأن هذا الدفاع لا يجدي الطاعن ، ولا يمحو مسؤوليته متى كان الثابت أنه سلم السر فعلا الى الدولة الاجنبية متعمدا ذلك وعالما به ..

على أنه يكتفي في تسليم سر من أسرار الدفاع عن البلاد لدولة أجنبية مجرد العلم « وهو علم الجاني بأن ما يذيعه سرا ، وأنه خاص بالدفاع عن البلاد ولا ضرورة لان يكون للجاني باعث مخصوص كما أنه لا ضرورة لان يصل السر الى الدولة الاجنبية أو أن يعلم هو أنه وصل اليها أو لم يصل » .

وقد حكمت محكمة النقض في فرنسا أيضا بتاريخ ٧ ـ ٤ ـ ١٩٣٥ « بأنه من الجائز أن تستنتج سرية الوثيقة وأهميتها ومدى علم الجاني وقصده من ظروف خارجة على مدلول السر نفسه كالاهمية التي تعلقها الجاسوسية على الوثائق التي يسلمها الجاني اليها وقيمة المكافأة التي يتلقاها الجاني ، وعليه فان المكافأة التي يتقاضاها الجاني والاحتياطات التي يتخذها عملاء الدولة الاجنبية الذين كانوا على اتصال به واستمرار دفع المرتبات له كل هذا يدل دلالة كافية على أن الاوراق التي سلمها انما كانت تتعلق الى اقصى حد بالدفاع عن البلاد واسرارها ، وبأن فيها ما يمس أمن الدولة الخارجي » .

ويستفاد من ذلك صراحة انه ليس هناك من حاجة الى الاعتماد على طبيعة المعلومات وحدها للاستدلال على سريتها ، بل انه يمكن استنتاج هذه السرية من الظروف الخارجية المتصلة بالقضية نفسها وكذلك تحديد قصد الجاني الخاص منها .

والمهم في جريمة افشاء الأسرار هو الغرض الذي يرمي اليه الجاني فغير ذي بال الصورة التي يجري تحقيق هذا الغرض بها أو الوسائل التي تستعمل لذلك كما أنه ليس من المحتم أن يكون السر قد عُلم بأكمله ، فان عبارة بأي وجه من الوجوه يراد بها أن تطبق العقوبة ولو لم يفشَ من السر الا بعضه ، وكذلك لو كان السر قد أفشي على وجه خاطىء أو ناقص كما تقدم ...

---

(١) في مثل هذه الحالات تعلم المخابرات مقدما لتتمكن من تحضير وثائق (غير ضارة) ليجري تبادلها وإذا كان التبادل لوثائق (معروفة) أيضا يجب اعلام المخابرات ليكون التبادل باشرافها وليعفى مقدم الوثائق من العقاب .

عقوبة الموظف العام والظروف المشدد له :

المادة ٨٠ ب :

تنص على ما يلي : « يعاقب بالسجن كل موظف عام أو شخص ذي صفة عامة مكلف بخدمة عامة أفشى سرا من أسرار الدفاع عن البلاد، وتكون العقوبة بالاشغال الشاقة المؤقتة اذا وقعت الجريمة في زمن الحرب ».

كان هذا النص واردا في المادة ٣/٨٠ من قانون ٤٠ لسنة ١٩٤٠ باعتباره ظرفا مشددا اذا ألحقت اذاعة السر أذى بالاستعدادات الحربية للدفاع وكان النص القديم يعتبر ظرفا مشددا للموظف وغير الموظف متى كانت اذاعة السر تلحق أذى بالاستعدادات الحربية للدفاع عن البلاد الا في سنة ١٩٥٧ ، وعند تعديل القانون أفرد الشارع للموظف مادة مستقلة وجعل صفة الشخص (كموظف) ظرفا مشددا ، ثم شدد العقوبة لظرف آخر أيضا . وهو اذا كانت الجريمة قد وقعت زمن الحرب ولم يشر الى الحاق الضرر بالاستعدادات الحربية على أساس أن اذاعة السر نفسه هي قوام الجريمة ومناط العقاب بغض النظر عن الضرر الذي يلحق بالاستعدادات الحربية اعتبر أن الضرر يلازم الافشاء للسر واحتمال الضرر أمر مفترض أصلا . وهذه الجريمة من حيث أركانها هي نفس الجريمة الخاصة باذاعة الاسرار التي سبق وصفها لانه لا فرق بين الاذاعة والافشاء (لانهما مترادفان) . ولا يشترط القانون أن يكون علم الموظف العام بالسر قد حصل بسبب الوظيفة . فاذا كان قد علم به لسبب آخر فانه يكون مسؤولا متى أفشاه كذلك . وكل جريمة مثل هذه الجريمة قد تقع في زمن السلم ، ولكنها اذا وقعت في زمن الحرب غلظ العقاب وجعل السجن .

كما أنه لا يهم كما هو الحال في فرنسا أن يكون الحصول على السر بطريقة التحايل أو الغش بل جعل التعبير مطلقا ليشمل أية وسيلة . وانما يجب أن يكون الحصول على السر بعمل الجاني نفسه وسعيه فاذا وصل اليه مصادفة فلا عقاب

وهذه الجرائم هي جرائم عمدية تقوم فقط على أساس أن علم الجاني بأن ما يحصل عليه من المعلومات هو (سر) ، وبأن من يتراسل معه أو يفشي اليه أو يذيع له أو يعامله ليس له صفة (حق) في حيازة السر أو العلم به . وتتم جريمة التراسل حتى ولو كان بخطابات عادية ولا تستلزم قصد الخيانة أي أنها لا تتطلب سوى مجرد العلم أي (القصد العام) في الجرائم .

المادة ٨٠ – ٢/١ :
تنص على ما يلي :

« كل من أذاع بأية طريقة سرا من أسرار الدفاع عن البلاد »

ومضمون ذلك أنها جريمة اذاعة أسرار الدفاع عن البلاد بأي صورة أو بأي وسيلة أو افشاؤها لشخص لا صفة له .

ويقابلها في قانون العقوبات الفرنسي :

on le portera sous quelque forme et par quelque Moyen que ce soit, a le connaissance du public ou d'une personne non qualities

الاذاعـــــة : (Le divulgation) :

وكلمة الاذاعة وكلمة الافشاء هما كلمتان مترادفتان في اللغة العربية طبقا لما ورد في (ابن الاثير والمنجد) قول : أفشى فلان السر أي أذاعه .

واذاعة السر هي كشفه ولو كان ذلك لشخص واحد فقط ما دام النقل قد تم لشخص ليس له صفة في حيازة السر أو العلم به وذلك لأن الاسرار موضوع الاذاعة هي من أسرار الدولة التي تتعلق بمصلحتها العليا فيجب الحرص على كتمانها وعدم التسامح في افشائها ولأن الاذاعة على أي صورة لا تقل ضررها عن الاذاعة بطريق النشر ولم يستلزم المشرع حصول نتيجة ضارة بل هو يعاقب على مجرد (الاذاعة) فضلا على أن المشرع في مصر حذف مسألة العلانية من النصوص السابقة المعدلة .

كما يجب أن يلاحظ أيضا أن اذاعة بعض السر معاقب عليه وكذلك اذاعته بصورة خاطئة وخطر اذاعة السر الذي هو من أسرار الدفاع أمر معاقب عليه لأنه خطر مطلق وليس من مقومات الجريمة أن يحصل افشاء السر الى شخص لا تربطه بالجاني صلة ما بل القانون يحتم أن يصان السر عن الغير بلا تمييز فليس لمن له صفة في الاحتفاظ بالسر أن يلقي به لاحد من خاصته – كزوجته أو ولده أو صديقه[١] بل يمتنع عن افشائه بالنسبة للجميع وبصورة مطلقة .

---

(١) ننصح رؤساء المخابرات والمباحث الجنائية بعقد ندوات اسبوعية مع موظفيهم وذلك لالقاء محاضرات مكثفة عليهم بضرورة عدم التحدث بنشاطهم وأعمالهم التي يمارسوها حتى لأقرب الناس لهم .

والاذاعة تحصل بأي طريقة كانت كتابية أو شفهية أو بالتلفون أو بالشيفره أو غيرها لاشخاص أو لشخص واحد في مجلس عام أو خاص أو محل عام أو خاص لان النقص قد ورد مطلقا لا تخصيص فيه .

(التراسل) : (Correspondence) ومعناه القانوني هو كل اتصال بين شخصين أو أكثر بأية وسيلة كالبريد أو غيره أو بالوسائل العلمية الاخرى كالاجهزة اللاسلكية والشيفرة والارسال (ارسال المعلومات لاسلكيا بقصد تبليغها) والاستقبال (تلقي الرسائل والتعليمات) .

وتنظيم التراسل أي (Organisation) هو اعداد الوسيلة لتكون صالحة للاستخدام سواء في الاتصالات المتبادلة من جانب واحد أو من جانبين وان اخفاء التراسل سواء بالاخفاء المادي كالكتابة بالحبر السرى أو غيره فهو دليل على سوء القصد . وكذلك انشاء محطة لاسلكية أو أي وسائل تراسل كالارسال والاستقبال أو انشاء مقر للحمام الزاجل المدرب كل ذلك مما تتوافر به تنظيم التراسل .

القصد الجنائي في جرائم امن الدولة :

وبعد معرفة ما تقدم يتضح أن جرائم أمن الدولة السابق شرحها هي جرائم أصلا عمدية وتحديد القصد منها يتوقف على خطورة الجريمة الا أن المشرع كما سبق قد اكتفى في بعض الجرائم بالقصد العام أي بارادة الجاني ارتكاب الفعل المكون للجريمة مع علمه بالظروف ونص في بعضها على قصد خاص بعبارة (لا لبس فيه) .

فرفع السلاح على البلاد والعمل مع القوات المعادية أو اذاعة أسرار الدفاع وما في حكمها أو نقل أو رسم أو تصوير أو شرح أو وصف المنشآت او ما يماثلها كل هذا لا يتطلب سوى (القصد العام) وهو العلم أما ما مضى عليه صراحة من الاتصال بدولة معادية للقيام بأعمال عدائية فهو يتطلب قصدا خاصا فوق العلم وهو أن يقوم في ذهن الجاني انه يقدم مساعدة للعدو أو لجهوده ضد البلاد او لتعينه هذه الجهود التي يحتفظ بها للاستفادة منها في الوقت المناسب فيما يضر بمركز البلاد وقد يتجه أيضا قصد الجاني وذهنه الى الاضرار

بمركز البلاد الاقتصادي والسياسي أو الحربي أو الدبلوماسي فاذا وقعت الجريمة وقت السلم فان ظروف الحال بملابساتها مما يعين على فهم حقيقة ما يرمي اليه الجاني وسوء القصد يكون واضحا لا شك فيه اذا قامت الاتصالات أو تم التخابر مع دولة تضمر العداء للبلاد ـ كاسرائيل ـ أو بها مظنة الاعتداء عليها أو هي في حالة حرب معها وهناك مسألة أخرى لا يتجه قصد الجاني فيها الى الاضرار وانما يكون من شأنها الاضرار (وتقدير ذلك متروك للقاضي) لأن المشرع كما تقدم القول انما قصد حماية شخصية الدولة بغض النظر عن النتيجة التي ينتجها الفعل أي يكفي احتمال وقوع الضرر .

أما في جريمة انتهاك أسرار الدفاع فهي لا تتطلب سوى مجرد العلم أي القصد العام وتسليم مثل هذه الاسرار أو توصيلها أو الاخبار عنها فيكفي فيه مجرد العلم بأن ما يفعله الجاني انما هو فعلا سر من أسرار الدفاع وقد فصل القانون في مواده مثل هذه الاسرار صراحة فلا يصح بعدها الادعاء بالجهل بها أو الادعاء بأنها ليست من أسرار الدفاع أو انها مما ينشر في الصحف أو يرد في المقالات أو غيرها أما جريمة الحصول على السر فهو أمر معاقب عليه حتى ولو لم يكن الجاني ينوي ابلاغه الى دولة أجنبية أو دولة معادية أو لمن يعملون لمصلحتها .

الاتفاق الجنائي (المادة ٨٢ ب) :

نصت المادة ٨٢ ب على ما يلي : يعاقب بالاشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة كل من اشترك في اتفاق جنائي سواء أكان الغرض منه ارتكاب الجرائم المنصوص عليها في المواد ٧٧ ، ٧٧ أ ، ٧٧ ب ، ٧٧ج ، ٧٧ هـ ، ٧٨ ـ ٧٨ أ ، ٧٨ب ،

٧٨ د ، ٧٨ هـ ٨٠ أو اتخاذها وسيلة للوصول الى الغرض المقصود منه ويعاقب بالاعدام أو الاشغال الشاقة المؤبدة كل من حرض على الاتفاق أو كان له شأن في ادارة حركته ومع ذلك اذا كان الغرض من الاتفاق ارتكاب جريمة واحدة معنية او اتخاذهـا وسيلة الى الغرض المقصود يحكم عليه بالعقوبة المقررة لهذه الجريمة .

وقد ورد بالمذكرة الايضاحية أن هذه المادة هي مادة جديدة روعي

اضافتها لوضع عقوبة على الاتفاق الجنائي على ارتكاب الجنايات المنصوص عليها في هذه المادة أغلظ من العقوبات المقررة للاحكام العامة للاتفاق الجنائي في المادة (٨٤) عقوبات وفقراتها . ومع استحداث جريمة جديدة خاصة لمن دعا آخر اتفاق جنائي ولم تقبل دعوته كانت أصلا غير معاقب عليها . أما جريمة الاتفاق الجنائي المنصوص عليها في هذه المادة فهي من نوع خاص انما هي ككل جرائم الاتفاق الجنائي يجب أن يثبت فيها أولا حصول الاتفاق وغرضه وقصد الجاني منه ....؟

أما حصول الاتفاق فهو يتم كما هو معروف بتقابل ارادة المتفقين واتحادها على ارتكاب جريمة من الجرائم المذكورة آنفا في المـادة السابق شرحها فيما تقدم أو اتخاذها وسيلة للوصول الى الغرض المقصود من الاتفاق .

والاتفاق هنا مقيد بارتكاب جريمة من جرائم (أمن الدولة) والتي اذا وقعت تجعل سلامة الدولة في خطر وتنم عن الخيانة وتخطي الولاء الواجب للدولة . فهذا هو الغرض المقصود منه .

ولا يشترط في هذا الاتفاق جميه (Association)

ولا يشترط استمراره ولا تنظيمه ولذا يعاقب عليه لو كان منه أطراف ولها رآسة وعلاقات تبعية وتعدد أشخاص واذا كان خاليا من هذا كله حتى عند اقتصار العدد الى اثنين أو ما يقرب منهما . وانما يشترط أن يكون جديا دون حاجة الى تنظيم أو استمرار أو مضي فترة زمنية وذلك خلافا لقانون العقوبات الايطالي الذي اشترط أن تكون مدة الاتفاق على الاقل ثلاثة شهور وتشدد العقوبة اذا كان هناك عشرة على الاقل أو أكثر داخلين فيه .

ولا شك أن تبادل الرضا لازم لقيام الاتفاق وهو جريمة مستمرة على كل حال وقد نص فيه خلافا للقانون العام على عقاب الشروع أيضا وذلك في الفقرة الاخيرة وهو الاتفاقالذي لم تقبل الدعوة اليه . والاتفاق على جريمة من الجرائم الواقعة على أمن الدولة يوجب مسؤولية جميع المتفقين بغض النظر عن الغاية البعيدة منه وذلك لأن الباعث لا اعتبار له في قيام المسؤولية الجنائية ولأن الغاية مهما تكن لا تبرر الوسيلة غير المشروعة اذ ان نشر المبادىء أو تجسيدها لا يكون بطريق العنف أو الجريمة .

القصد الجنائي والتحريض :

أما القصد الجنائي في جرائم الاتفاق الجنائي فهو مقصد عام يجب لتوافره أن يكون الجاني على علم بأن القانون يحرم مثل هذا الاتفاق على ارتكب الجريمة أو الجرائم الخاصة بأمن الدولة وهو علم مفترض وأن تتحد ارادة الجاني الى الدخول في الاتفاق مع غيره فاذا كان أحدهما جادا والآخر يعلم الغرض والآخر لا يعلم فلا عقاب لأن الرضا يجب أن لا يكون معيبا بينهما • والتحريض هنا هو أحد الداخلين في الاتفاق على تحقيقه أو بث روح الاتحاد بينهم أما التدخل في حركة الاتفاق فهو التعهد بتنظيمه أو موالاته ــ أدبيا ــ وماديا ــ وللقاضي أن يستخلص التدخل من الوقائع المعروضة أمامه • وتشديد العقوبة يرجع الى نشاط المحرض واستخفافه بالسلطات وقد ينجح مثله في الهرب من المسؤولية لتخفيه وعدم ظهوره مع أن دوره يكون أخطر من غيره •

ويوجد شبه بين هذا الاتفاق وبين الاشتراك بالاتفاق في المادة ٤٠ عقوبات من حيث امكان وقوعه على جريمة معينة ويختلفان في أن المشرع لا يشترط الجريمة في الاتفاق الجنائي بالمادة ٨٢ ب بينما يشترط وقوعها في المادة ٤٠ عقوبات واذا كان الغرض من الاتفاق ارتكاب جريمة أو أكثر مما نص عليه في المادة ٨٢ ب أو اتخاذها وسيلة للغرض المقصود من الاتفاق فقد نص على عقاب المتفقين بعقوبة الجريمة الاصلية لانه من غير المقبول أن يعاقبوا بعقوبه أشد طالما أن الجريمة نفسها لم ترتكب ولو كانت ارتكبت لعوقب الجاني بعقوبتها •

وعلى هذا الاساس ينبغي على القاضي في الاتفاق الجنائي على جريمة واحدة أن يقارن بين عقوبة الاتفاق المقررة في المادة ٨٢ ب وبين عقوبة الجريمة الاصلية وتوقيع أيهما أخف •

أما اذا كان الغرض من الاتفاق ارتكاب عدة جرائم ثم وقعت جريمة أو أكثر منها فتطبق المادة ٢/٣٢ من قانون العقوبات وتوقع عقوبة واحدة وهي المقررة للجريمة الاشد سواء كانت هي المقررة للاتفاق الجنائي أو للجريمة التي دفعت بالفعل ••

المادة ٨٣ الخاصة بالغرامة واسبابها :

تنص المادة ٨٣ على ما يلي : « في الجنايات المنصوص عنها في هذا الباب

يجوز للمحكمة في غير الاحوال المنصوص عليها في المواد ٧٨ ـ ٧٩ ـ أن تحكم فضلا عن العقوبات المقررة لها بغرامة لا تتجاوز العشرة آلاف جنيه ».

وقد أراد المشرع بهذه المادة أن يزيد على العقوبات المفروضة في النصوص التي اشتمل عليها باب الجرائم المضرة بأمن الدولة عقوبة تكميلية جوازية وهي الحكم بالغرامة التي لا حد أدنى لها واستثنت المادة جرائم الاتجار مع الاعداء لأن الغرامة منها وجوبية وقد أراد المشرع أن يشدد أيضا في الجزء الذي يوقع عن هذه الجريمة من جهة لأن المتهمين (العملاء) يكونوا قد استفدوا ماديا من نشاطهم المحرم ولأن الدولة تبذل المال الوفير في سبيل الوصول الى معرفة وكشف هذا النشاط سعيا الى قهر عدوها وكشف أسرار الدفاع فهذا الجزاء الاضافي انما هو وسيلة لحرمان المتهم (العميل) مما عسى أن يكون قد حصل عليه من ثمن الجريمة ولم يكشف أمره ..

والغرامة هنا عقوبة فردية وليست نسبية فتوقع على كل متهم على حدة ولو تعدد المتهمون .

حالة الحرب ومعناها :

لما كان التفريق بين زمن الحرب وزمن السلم أمر له خطورته في حكم مواد القانون وللخلاف الذي كان يقوم دائما في مثل هده القضايا بين الدفاع والاتهام خصوصا ما سبق أن تردد عن العلاقات بين مصر واسرائيل قبل سنة ١٩٥٧ وعن ان حالة الحرب تبدأ كذلك مع زمن الحرب فان المشرع عند تعديل قانون العقوبات عام ١٩٥٧ رؤي أن ينص على هذا الامر صراحة وأن يفسره فاورد في المذكرة الايضاحية حكما جديدا يلحق بحالة الحرب الفترة التي يحدق بها خطر الحرب متى انتهت بوقوعهافعلا باعتبار أن تلك الفترة وان كانت في الواقع ليست من زمن الحرب الا أنها تبلغ بحكم الظروف مبلغ (حالة الحرب) مما يقتضي تسويتها بتلك الحالة وبناء أحكامه عليها فنص في الفقرة جـ من المادة (٨٥ ـ أ) على أنه :

« تعتبر حالة قطع العلاقات السياسية في حكم حالة الحرب وتعتبر من زمن الحرب الفترة التي يحدق فيها خطر الحرب متى انتهت بوقوعها فعلا » .

ونظرا للخلاف الذي كان قائما أصلا بين الشراح في أن الحرب لا تقع من

وجهة نظر القانون الدولي الا بين الدول وأنها تبدأ من وقت اعلانها فقد ضمنت الفقرة (د) من المادة (٨٥ ــ أ) النص أيضا على أنه يعتبر في حكم الدول الجماعات السياسية التي لم تعترف لها البلاد بصفة الدولة متى كانت تعامل معاملة المحاربين ولم يقصد المشرع بذلك الى خلق حكم جديد وانما رؤي التصريح به باعتباره من المبادىء التي استقرت عليها آراء الفقه والقضاء في القانون ويقصد بذلك (اسرائيل) بالنسبة للبلاد العربية التي لا يمكن أن تعترف بها كدولة فأورد في الفقرة (د) ما يلي :

« تعتبر في حكم الدول الجماعات السياسية التي لم تعترف لها البلاد بصفة الدولة وكانت تعامل معاملة المحاربين » .

وعلى هذا الاساس وان كان الاصل في فقه القانون الدولي ان الحرب بمعناها (الحرب) انما هي الصراع المسلح بين دولتين الا أن للامر الواقع أثره في تحديد هذا المعنى في الحالة القائمة بين البلاد العربية واسرائيل مثلا وهي حالة لها كل مظاهر الحرب ومقوماتها وفضلا عن أن المذكرة الايجابية الاخيرة أوضحت كما أوضحت من قبل المذكرة الايضاحية للقانون رقم (٤٠) لسنة ١٩٤٠ أنه في حالة الحرب تطبق العقوبة المغلظة أما العقوبة العادية فلا تطبق الا اذا كانت الدولة في حالة سلام مع سائر الدول أي أن العبرة بالحالة التي عليها البلاد العربية مع اسرائيل لأن واقع الحال يدل عليه منذ أن قامت الحرب بين الدول العربية واسرائيل في مايو ١٩٤٨ فقد سبق اعلان الاحكام العرفيــة في ١٤ مايو ١٩٤٨ وظلت الاحكام العرفية معلقة بالرغم من عقد الهدنة ولما رفعت في بعض البلاد استبقى العمل في بعض المناطق بالاحكام العرفية وحتى الذي حدث من أمر الهدنة وهي خاصة بوقف القتال فقط فلم يمنع اسرائيل من أن تهاجم (مصر) في ١٩٥٦/١٠/٢٩ مع انكلترا وفرنسا بالرغم من هذه الهدنة وبالرغم من أن مصر لم تقم بأي اعتداء قبل ذلك بل أن اسرائيل عبثت بالقواعد الدولية ولا تزال .

الاذاعات والدعايات الكاذبة :

المادة ٨٠ جـ :

تنص المادة (٨٠ جـ) على ما يلي « يعاقب بالسجن كل من أذاع عمدا في

زمن الحرب أخبارا أو بيانات أو اشاعات كاذبة أو مغرضة أو عمد الى دعاية مثيرة وكان من شأن ذلك كله الحاق الضرر بالاستعدادات الحربية للدفاع عن البلاد أو بالعمليات الحربية للقوات المسلحة أو اثارة الفزع بين الناس أو اضعاف الجلد في الامة . وتكون العقوبة الأشغال الشاقة المؤقتة اذا ارتكبت الجريمة نتيجة تخابر مع دولة أجنبية وتكون العقوبة الاشغال الشاقة المؤبدة اذا ارتكبت نتيجة التخابر مع دولة معادية » .

ولقد سبق أن ذكر في البحوث السابقة بأن أفق الحرب الحديثة قد أصبح لا يقتصر بسلاح جديد ولا يزهق النفس وانما يميت القلوب الحائرة ويحطم الاعصاب حتى يضيق أهل البلاد بالحرب فيكرهون المضي فيها (تثبيط الشعور القومي ...) .

وقد لجأت الدول ومنها (المانيا) في الحرب العالمية الثانية الى هز مشاعر الناس باشاعة الاخبار الكاذبة اضعافا لروحهم المعنوية حتى ينحل اتحاد الامة ولا تستطيع التماسك أمام عدوها ولذلك رأى المشرع العربي أسوة بالبلاد الاخرى أن يكافح مثل هذه الدعاية الخطرة التي انما هي دعوة سياسية للهزيمة

أو هي في حقيقتها (حرب الاعصاب) فأنشأت وزارات الاعلام والثقافة في جميع الدول العربية للعمل على تبصير الجماهير بالحقيقة وزيادة الوعي القومي .

وفي فرنسا صدر قانون باعتقال الافراد الذين يسيئون للبلاد والخطرين على الدفاع أو على الامن العام وصدر كذلك بالدول العربية مثل هذه القوانين حتى لا يتمكن مثلهم من اضعاف الروح المعنوية للامة وأركان هذه المادة في مصر ما يلي : اذاعة الاخبار أو البيانات أو اثارة الاشاعات أو نقلها وتداولها وبثها بين الناس بما يفيد مضي التواتر والانتشار وهي تتم بأية كيفية وعلى أية صورة ولم يشترط المشرع لها العلانية أو الطرق المنصوص عليها في المادة(١٧١) عقوبات فالجاني الذي يقوم بنقل الخبر الكاذب الى كل من وجده أو صادفه حتى يشيع ويعرفه عدد ملحوظ من الناس ولو كانوا في بلد واحد أو مكان واحد يعتبر مرتكباً للجريمة ويستوي في ذلك أن تكون الاذاعة بالخطب أو المقالات أو في صورة نقد أو تهديد أو بالكتابة او استخدام محطة سرية لاسلكية أو بالسينما أو بالاشرطة الصوتية أو بالرسم أو بالتصوير التي تنبىء كلها عن

فكرة اثارة من يطلع عليها ولذا عمدت الحكومات الى وضع رقابة على الانباء خصوصا الخارجية منها الامر الذي أصبح متعارفا عليه في فقه القانون وهو حق الدولة في نطاق سيادتها بأن تراقب الاخبار الداخلية والخارجية قبل اذاعتها على الناس وخاصة وقت الحرب .

والاخبار الكاذبة : (Les nouvelles fausses) : هي الاخبار التي لا أصل لها أو التي طرأ عليها تحريف أو تشويه أو اسناد واقعة غير صحيحة تشوه الحقيقة .

والبيانات (informations) فهي المعلومات التي تروى عن أمر عرف الناس وقوعه اجمالا فيتناول البيان تفصيلات لا أساس لها عن سيرة الحرب مثلا أو عجز محصول رئيسي للبلاد ...

والاشاعات الكاذبة : (les rumeurs fausses) فهي رواية الوقائع وترديدها بحيث يظن الناس أنها حقيقة ومنها (النكات الهدامة[1]) التي تطلق من قبل مروجي الاشاعات الكاذبة مما يكون له زعزعة الثقة والاستخفاف بالسلطة. والتمييز بين الخبر الكاذب والصحيح أمر يتصل بالملابسات التي تحيط بالواقع وهو مسألة موضوعية يختص بها القاضي . أما الدعاية المثيرة فهي الحملة المنظمة لاثارة النفوس (propagande) والتي تهيج الجمهور حتى يتبدل رضائه عن حكومته الى سخط كما كان يحدث في المانيا النازية (حرب الاعصاب) .

ومن المعلوم أن المادة (٨٠) وضعت لما يسمى (حرب الاعصاب) والغرض منها الفت في عضد وثبات الامة واضعاف الروح المعنوية في البلاد وهي في عرف علماء النفس (أقوى من أى سلاح) فلو قال شخص للناس مثلا (كيف ترضون أن تعيشوا عدة سنوات بنظام البطاقات التي يصرف لكم بها كل شيء بحساب) وظل يسعى بهذه الدعاية الخبيثة في كل مكان فان ذلك يضر بالحالة النفسية للشعب . بينما يكون نظام البطاقات لمصلحة الشعب وهو راضي قبلا عنه . وهذا قد يحصل من أجنبي خارج البلاد كما يحصل أيضا من وطني

(١) اعترف الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في احدى خطبه السياسية بعد نكسة حزيران ١٩٦٧ بوجود مثل هذه النكات بقوله رحمه الله : ان الشعب المصري شعب بينكت (بيحب النكتة) .

داخلها وكذلك يكون الحال بنشر أخبار كاذبة عن طريق الاذاعة من محطا خفية أو من أفراد يتنقلون بين الشعب ويسممون أفكاره ولنا في هذا المجال وقفة بسيطة بالنسبة للدعاية الاسرائيلية المضادة لنا فاسرائيل دأبت على اشاعة الاقاويل والدسائس ضدنا بمختلف وسائل الاذاعة التي تملكها وان كل وطني يعرف ويميز ما تقوله الدعاية الاسرائيلية وما تقصد منه وهي بأي حال من الاحوال لا يمكن أن تذيع لنا خبرا الا فيه السم الزعاف لانه لا يصل الى اذن أو نظر السامع أو المشاهد الا ويكون قد رتب في دوائر الاعلام الاسرائيلية التي تمتد الى ما وراء حدودها ومن قائل بوجوب الاستماع الى ما تذيعه اذاعة العدو ومشاهد برامجه التلفزيونية التي أصبحت تغطي مع الاسف مساحة شاسعة من سوريا ولبنان وذلك للاطلاع والمعرفة (اعرف عدوك) ونحن نقول ان هذا خطأ لأن قناعة المواطن العربي وضميره يدلانه على أن كل ما يذاع هو مهيء ومدروس لكي يكون أداة تفرقة بين الشعوب العربية وللتشكيك في الزعماء السياسيين وجعل الجماهير العربية تستخف بهم وهذا قصد الدعاية الاسرائيلية لذلك نرى أن يمتنع الجميع عن ذلك من ضميرهم وقناعتهم دون الطلب اليهم ذلك .

أما الركن الثاني من الجريمة : فهو أن يكون من شأن هذه الدعاية المثيرة الحاق الضرر بالاستعدادات الحربية للدفاع عن البلاد أو بالعمليات الحربية للقوات المسلحة أو اثارة الفزع بين الناس وانما أراد الشارع بذلك حماية الرأي العام من خطر الاخبار الكاذبة أو المغرضة ولم يشترط القانون وقوع الضرر فعلا بل احتمال ذلك وللقاضي السلطة المطلقة في تقدير كل هذا لدى العرض عليه .

ويتوافر القصد الجنائي بعلم الجاني بكذب الخبر أو الاشاعة أو علمه بأنها مغرضة ومثيرة وليس في هذه النصوص كلها من تأثير على حرية الرأي التي هي أولى الفضائل والتي أصبحت مبدأ أساسي مقدس من مبادىء الديمقراطية والتي انما ترمي الى الخير وتهيء الاستقرار للمصالح العامه لان الرأي اذا تجاوز الغرض الاسمي من ابدائه وأصبح دعوة الى الفوضى والاستهتار والرذيلة فانه لا يكون عندئذ فضيلة ولا يعد من قبيل الرأي الحر ولا يستحق حماية القانون. فمثلا هناك أناس لا هم لهم سوى الجلوس في المقاهي في الوطن العربي واطلاق

الشائعات (يومياً) حسب مزاجيتهم أو تبديل الحكومات حسبما يتراءى لهم لدرجة اظهار اشاعاتهم أمام الغير مظهر الجد بالاضافة الى انتقادهم الاوضاع مهما تحسنت ويؤكدون أن انتقادهم انما يكون للمصلحة العامة التي هي من وجهة نظرهم الضيقة بينما هم ينفثون ما في صدورهم وغالبا ما يكون لاشاعاتهم صدى مضر في الاوساط الشعبية التي تلتقطها منهم وتضيف اليها (البهارات اللفظية ..) هؤلاء وهم يعرفون أنفسهم من القاهرة الى دمشق الى بيروت الى عمان الى الجزائر .. الخ يجب عليهم بالذات العودة الى الضمير والعقل والمناقشة المجدية في أمور الساعة عوضا عما يطلقونه من اشاعات ونحن نعلم علم اليقين بأن المخابرات العربية ترصد حركاتهم وتعرف أحاديثهم يوميا[1] وقد أسقطتهم من حسابها لان أي منهم يتمنى بحكم بطالته وعالته على المجتمع أن تقبض عليه هذه المخابرات للتحقيق معه والتنبيه عليه باحالته للمحاكم المختصة مستقبلاليخرج بعد ذلك مدعيا (البطولة) ناسجا ما يحلو له من الادعاءات عما لاقاه في المخابرات .

ان الغرض الذى يرمي اليه المشروع من النص على هذه الجرائم هو الكشف عن مرتكبيها والعمل على تجريم من نخفي الجواسيس او يساعدهم أو يقدم لهم الاعانة أو أي وسيلة للتعيش أو السكن أو المأوى أو يعيرهم مكانا للاجتماع او يسهل لهم ذلك أو يحمل رسائل أويخفي الادوات التي استعملوها في ارتكاب جرائمهم وقد جعله المشرع في حكم (الشريك) وأراد أن يضيف بذلك أحكاما جديدة لقواعد الاشتراك ولو لم تكن هذه الافعال مستكملة للاركان والشروط القانونية التي تتطلبها مواد الاشتراك فجاء نص المادة (٨٢) على هذا الاساس كما يلي :

يعاقب باعتباره شريكا في الجرائم المنصوص عنها في هذا الباب :

١ ــ كل من كان عالما بنيه الجاني وقدم لهاعانة أو وسيلة للتعيش أوالسكن او مأوى أو مكانا للاجتماع أو غير ذلك من التسهيلات وكذلك من حمل رسائله او سهل له البحث في موضوع الجريمة أو اخفائه أو نقله أو ابلاغه .

---

(١) وخير دليل على ضعف شخصية هؤلاء ومكانتهم في المجتمع هو وجود (مرشدين اي مخبرين للمخابرات) من بينهم بالذات .

٢ ــ كل من أخفى أشياء استعملت أو أعدت للاستعمال في ارتكاب الجريمة او تحصلت منها وهو عالم بذلك .

٣ ــ كل من آتلف آو اختلس آو آخفى او غيّر عمدا مستندا من شانه تسهيل كشف الجريمة أو ادلتها او عقاب مرتكبيها .
ويجوز للمحكمة في هذه الاحوال من العقوبة معاقبة اقارب الجاني أو أصهاره الى الدرجة الرابعة اذا لم يكونوا معاقبين بنص آخر في القانون .

ومما تقدم يبدو واضحا أن المشرع انما أراد بهذه المادة بالنسبة لجرائم الإعتداء على أمن الدولة الخارجي لما لها من أهمية وخطر ــ أن يسد ما قد يتخلف من تطبيق القواعد العامة للاشتراك ومساعدة الجاني للفرار من وجه القضاء من ثغرات ومسلكه في هذا هو نوع من التحفظ والاحتياط لامكان عقاب كل نشاط يتصل بهذه الجرائم ولو كان الاتصال بعيدا عن الفعل الاصلي بما لا يجعله اشتراكا أواخفاء طبقا للقانون وحدد الجريمة فعاقب على كل المساعدات الادبية والمالية وممالأة الجاني هذا فضلا عن أنه اذا وجدت عنصر الاشتراك تطبق أحكامه .

وانما يجب أن يقع من الجاني فعل ايجابي من الافعال المنصوص عليها سابقا وهو يعلم نية الجاني الاصليه الاجرامية على وجه الترجيح ويستمان باثبات هذا العلم بالظروف والقرائن التي تلابس تقديم المعونة أو التسهيل .. الخ .

ولما كانت الصلات العائلية مما تبعث أصلا على التعاطف على من تورط في أية جريمة فيلتمس له أهله تحت تأثير العاطفة الفطرية (السلامة) وهو شعور طبيعي لانقاذ قريبهم من التهمة والوالد الى جانب ولده والزوجة الى جانب زوجها والجد والحفيدة وكل هؤلاء يسارعون الى التستر بعضهم على بعض الا أن المشرع لخطورة جرائم أمن الدولة على الدولة ترك للقضاء حق تقدير الاعفاء فاجازه ولم يطلقه وللمحكمة أن تستعمله أولا تستعمله طبقا للظروف التي تراها ان لم يكونوا معاقبين بنص آخر أو مساهمين في الفعل وذلك لان مصلحة الدولة تعلو مصلحة الاسرة وحتى يعرف القارىء الكريم من هم الاقارب الذين ينطبق عليهم النص فانهم هم (Parents) والاصهار (Allies) والقريب يكون

من جهة العصب كالاب والجد والابن والصهر في المشهور من القول هو زوج البنت أو زوج الاخت ويدخل في الاصهار الزوجة بطريق الاولى لدخول أقاربها في رتبة المصاهرة وهي أولى منهم والدرجة هي رابطة بين شخصين اثنين صعودا أو نزولا فبين الاب وابنه درجة وبين الجد وحفيده درجتان وهكذا ولا بد أن يجتمع من يراد معرفة درجته بغيره في أصل واحد كالاب والجد على ذلك يكون ابن الاخ في الدرجة الثالثة لان الاخوين يجتمعان في أب واحد وهو الاصل وبين الاب وابنه درجة واحدة بين الاب وابنه الاخر درجة أخرى وبين ابن الاخ والاب درجة ثالثة وابن العم في الدرجة الرابعة بنسبته الى ابن عمه لأن بين الاب وابنه درجة وبينه وبين الابن الاخر أي (الاخ) درجة ثانية وبين كل ابن وأبيه درجة فيكون ابن العم في الدرجة الرابعة وابن أخ الزوجة في الدرجة الثالثة الاصل الاب وبين الأب وابنته درجة وهي (زوجة) وبين الأب وابنه (أخ الزوجة) درجة •• كل ذلك مفسر لأن القاعدة أن كل أصل وفرعه تفصلهما درجة على التوالي ••

الاعفاء من العقاب والمادة ٨٤ ـ أ :

تنص المدة ٨٤ ـ أ على ما يلي :

« يعفى من العقوبات المقررة للجرائم المشار اليها في هذا الباب كل من بادر من الجناة لابلاغ السلطات الادارية أو القضائية قبل البدء في تنفيذ الجريمة وقبل البدء في التحقيق ويحق للمحكمة الاعفاء من العقوبة اذا حصل الابلاغ بعد تمام الجريمة وقبل البدء في التحقيق ويجوز لها ذلك اذا مكّن الجاني في التحقيق السلطات من القبض على مرتكبي الجريمة الاخرين أو على مرتكبي جريمة أخرى مماثلة لها في النوع والخطورة » •

وهذه المادة هي تعديل للمادة (٨٤/٢ ، ٣) من القانون القديم الا أن صياغتها عدلت تعديلات أوفي وهي تقابل كذلك المادة (١٠٥، ١٠٧) من القانون الفرنسي وحكمة الاعفاء المنصوص عليه في هذه المادة هو الكشف عن الجرائم لانزال العقاب بباقي المجرمين الذين لم يكشفهم التحقيق وهو أمر أولى بالاعتبار لأن فيه مصلحة محققة للدولة • ولأن التبليغ يدل على التوبة والندم على ما بدر من المبلغ وعلى نزعة طيبة • فاذا وقع التبليغ قبل بدء تنفيذ الجريمة وقبل البدء في التحقيق كان الاعفاء واجبا قانونا وذلك أسوة بما نص عليه القانون في جرائم

الاتفاق والرشوة والتزوير وتزييف النقود وغيرها . فاذا نفذت الجريمة فلايعفى المبلغ وجوبا بل يترك الامر جوازيا للمحكمة وتقديرها للاستفادة من التبليغ في هذا الوقت .

والاعفاء قبل البدء في التحقيق جوازي للمحكمة وذلك لان الجاني الذى يبلّغ قبل البدء في التحقيق انما يندفع تحت تأثير اتهامه ليتخلص من تبعة الجريمة وهو في ذلك انما يرعى مصلحة نفسه قبل مصلحة الدولة وقبل المصلحة العامة.

ولذا يجب أن يكون التبليغ عن الجناة الاخرين وعن الجريمة مستكملا عناصره من جهة بيان نوع الجريمة وزمان ومكان ارتكابها وأسماء مرتكبيها وعناوينهم وما يعرفه المتهم عنهم ليكون التبليغ مثمرا الثمرة المرجوة ولا يعفى الجاني للتبليغ المبهم أو الغامض .

والاعفاء بعد التحقيق وهو ماورد في الفقرة الثالثة فهو جوازي ايضا للمحكمة ويجب أن يمكن المتهم السلطة من القبض على مرتكبي الجريمة الاخرين أو على غيرها من جرائم تماثلها بالخطورة ومن نوعها ويجب أن يكون تبليغه عن أسماء كل من يعرفهم من الفاعلين أو الشركاء فاذا تستر على البعض منهم دون البعض أو حرّف في الوقائع المسندة اليهم فانه لا يجوز اعفائه لانه يكون عند ئذ مغرضا في تبليغه ومضللا بما أبداه من معلومات .

وكذلك لا يجوز الاعفاء الا اذا كان التبليغ هو السبب في القبض على الجناة فاذا عرف الجناة من قبل التبليغ فان الشرط الذي جعله المشرع مسوغا للاعفاء لا يتوافر وللمحكمة المختصة بالموضوع الفصل النهائي فيما اذا كانت

البيانات التي أدلى بها المبلغ كافية لتسهيل القبض عليهم. أما امر الحكم عليه من عدمه فلا دخل له في الاعفاء لأن الدليل عند تمحيصه أمام المحكمة قد يختلف التقدير في النظر اليه اي أنه لا يشترط للاعفاء من الحكم على المبلغ عنهم والمفهوم كذلك انه لا يمكن أن يستفيد من الاعفاء والتسامح الا لمن درأ عن الدولة بالفعل ضررا محققا أما اذا أبلغ عن أمر لم يعد جديدا أو كان معروف او من أشخاص معلومين للسلطات فانه لا يكون هناك فائدة من التبليغ ولا يمكن اعتبار المبلغ قد أدى أي خدمة للدولة يستحق عليها الاعفاء .

كما يشترط قطعا أن يكون الارشاد هو الذي سهل القبض على باقي المجرمين .

أما اذا كانت السلطات المختصة أو المحقق وفقوا الى معرفتهم واقتفاء آثرهم من غير هذا السبيل فلا محل للاعفاء لان الارشاد لا يكون قد كشف عن الجريمة أو فتح السبيل للمحقق وهي أمور تستقل بها السلطة الحاكمة دون سلطةالاتهام.

ولكي نقدم للقارىء مثالا حيا على تطبيق هذه البحوث القانونية التي شرحناها ليكون لديه القناعة التامة عن تطبيق هذه القوانين تطبيقا عمليا من قبل السلطات القضائية في جمهورية مصر العربية ...

اكتشفت المخابرات العربية في القاهرة عام ١٩٥٩ شبكة تجسس لحساب اسرائيل بحيث أدخلت بعض عناصر المخابرات العربية المدربين الى الجهاز السري للشبكة فاتضح أن لها فروع في روما ــ وجنيف ــ وزيوريخ ــ وامستردام ــ وان هذه الفروع تتبادل الرسائل اللاسلكية.واتضح بعد ذلك أن لاسرائيل ست خلايا تكون في مجموعها شبكات التجسس التي تعمل بين القاهرة والاسكندرية ودمشق فشكلت لها محكمة أمن دولة عليا خاصة بموجب القرار الجمهوري رقم ٧١ لسنة ١٩٦٠ طبقا لقانون الطوارىء ويشمل اختصاصها كل ماحدث من وقائع التجسس في الخارج ــ فرنسا ــ ايطاليا ــ هولندا سويسرا وما حدث في الاقليمين المصري والسورى (أيام قيام الوحدة) وما قام به الجناة من التجسس في بغداد والبصرة ــ وليبيا ـ واستمرت المحاكمة حوالي الخمسة أشهر في حينه وصدرت الاحكام فيها في ٢٥ أكتوبر ١٩٦٠ بعد أن عقدت المحكمة (٨٣) جلسة وبلغ عدد صفحات الدعاوى ومرفقاتها حوالي ستة آلاف صفحة واستمعت المحكمة الى (٩٥) شاهدا منهم الخبراء والاختصاصين . وكان عدد المتهمين سبعة عشر متهما منهم ستة من الاجانب والباقي من المصريين وكان عددالمحامين عن المتهمين (٣٣) محاميا وجرى ندب أربعة خبراء بمعرفة المحكمة عدا خبراء مصلحة التزييف والتحليل بالطب الشرعي وخبراء اللاسلكي وخبراء التخابر بالحبر السري والوسائل الاخرى التي تم بها التجسس بالاضافة الى المترجمين لكل لغة يتكلمها المتهمون الاجانب في هذه القضية وأخيرا صدر حكم المحكمة كما يلي :

١ ــ حكمت بالاعدام على ثلاثة من المصريين (نفذ الحكم فيما بعد) .
٢ ــ حكمت على مصري آخر بالاشغال الشاقة المؤبدة .

٣ ـ حكمت على ستة بالاشغال الشاقة المؤقتة .
٤ ـ حكمت على خمسة بالسجن لمدد متفاوتة .
٥ ـ حكمت على اثنين بالسجن الخفيف .

وكان الحكم في الفقرة ٤ و ٥ بالنسبة للاجانب مشمولا بالرأفة لأنهم لا يحملون بين جوانبهم أي احساس بقيمة الوطن لأنه ليس وطنهم ولأنهم لا يشعرون بحق هذا الوطن عليهم .

وقد عرضت هذه الاحكام على الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في حينه فصدقها جميعا بدون أي تعديل وهكذا نجد في هذا الحكم العادل نهاية للمجرمين الذين انغمسوا في الخيانة وعندما نذكر كلمة (الخيانة) نكون أشد حزنا اذا كانت الخيانة سعيا لنفع العدو أو نظير أمر مادي أو منفعة أو متعة وهذه الاصناف موجودة في كل زمان ومكان ولدى جميع الشعوب وهم بذلك لا يخونون وطنهم فقط بل يتنكرون لآدميتهم أيضا ونتيجة اتهامهم بالاعدام او غيره من الاحكام الرادعة تنطبق عليها الآية الكريمة :
« وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » صدق الله العظيم .

وللعلم نذكر أن في القطر اللبناني توجد عقوبات للتجسس ولكنها عقوبات اذا قيست بالنسبة لغيره من الدول لوجدناها لا تفي بالغرض المطلوب منها وهو الردع القاسي لمرتكبي التجسس او التعامل مع الجهات الاجنبية لان لبنان بلد اقتصادي حر يوجد لديه حرية تامة لالتقاء مختلف التيارات الفكرية والحزبية وأهم سبب لازدياد التجسس في بيروت بالذات حيث أصبحت تشبه (هونغ كونغ) من جهة تكاثر شبكات التجسس وسبب هذا التكاثر هو الحرية في التنقل والاقامة أولا وسرية المصارف ثانيا اذ أن أي دولة أو مؤسسة أجنبية تريد أن تقوم بتنظيم عملية ما في بيروت ـ تجسس ـ مؤامرة ـ تخريب ـ اغتيال أشخاص مناوئين ما عليها سوى تحويل أي مبلغ الى احد المصارف اللبنانية ومن ثم تسحب هذا المبلغ بكل حرية وفي الوقت المناسب (بدون أي رقابة) مثله في ذلك مثل النظام الحر في سويسرا ابان الحرب العالمية الثانية فبينما نفس الجماعات لا تستطيع التحرك في الدول العربية الثانية ذات النظام الاقتصادي (الموجّه) فتضطر الى (اعتماد) بيروت أيضا لانجاز عمليات الدفع والقبض .

والمثال على ذلك مرّ معنا في هذا الكتاب وأخيرا موجة المتفجرات التي روعت أهالي بيروت وقد توزع الضرر الناتج من جراء هذه المتفجرات ما بين مكاتب المنظمات الفدائية وبعض دور السفارات واللبنانيين بعيدون عن الاشتراك في مثل هذه الاعمال والذين ينفذوها جاؤوا من خارج الحدود وهم مدربين لذلك تدريبا دقيقا ويقوموا بادخال متفجراتهم الى الاراضي اللبنانية بأشكال شتى واحترام رجال الجمارك اللبنانيين لشعور ضيوفهم الوافدين للسياحة أو الاصطياف يتيح لهؤلاء الفرصة في تمرير (عدّتهم)وحين القاء القبض على بعضهم يتضح أنهم انما يتمتعوا بالحصانة الدبلوماسية فتعمد السلطات الى ابعادهم الى بلادهم ومن يبقى منهم قيد الاعتقال والتحقيق والادانة ومرتكبي التجسس يجدون أمامهم ما يلي من مواد قانون العقوبات اللبناني ليحاكموا على أساسها :

١ ــ المدة ٢٨١ : كل من دخل أو حاول الدخول الى مكان محظور بقصد الحصول على أشياء أو وثائق أو معلومات يجب أن تبقى مكتومة حرصا على سلامة الدولة عوقب بالحبس سنة على الاقل واذا سعى بقصد التجسس فبالاشغال الشاقة المؤقتة •

٢ ــ المادة ٢٨٢ : من سرق أشياء أو وثائق أو معلومات كالتي ذكرت في المادة السابقة أو استحصل عليها عوقب بالاشغال الشاقة المؤقتة واذا اقترفت الجناية لمنفعة دولة أجنبية كانت العقوبة الاشغال الشاقة المؤبدة •

٣ ــ المادة ٢٨٣ : من كان في حيازته بعض الوثائق أو المعلومات كالتي ذكرت في المادة ٢٨١ فأبلغها أو أفشاها دون سبب مشروع عوقب بالحبس من شهرين الى سنتين •

ــ يعاقب بالاشغال الشاقة المؤقتة خمس سنوات على الاقل اذا أبلغ ذلك لمنفعة دولة أجنبية •

ــ اذا كان المجرم يحتفظ بما ذكر من المعلومات والاشياء بصفة كونه موظفا ، أو عاملا ، أو مستخدما في الدولة فعقوبته الاعتقال المؤقت في الحالة المنصوص عليها في الفقرة الاولى • وبالاشغال الشاقة المؤبدة في الحالة المنصوص عليها في الفقرة الثانية •

ـ اذا لم يؤخذ على أحد الاشخاص السابق ذكرهم الا خطأ غير مقصود كانت العقوبة من شهرين الى سنتين .

٤ ـ المادة ٢٨٤ : اذا اقترفت الجرائم المنصوص عنها في هـذه البنود لمصلحة دولة معادية شددت العقوبات وفقا لاحكام المادة ٢٥٧ عقوبات .

كما وافق مجلس النواب اللبناني في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٩٧٥/١/٢٨ على قانون لتعديل المادة (٢٧٨) من قانون العقوبات بحيث أصبحت :

كل لبناني قدم مسكنا أو طعاما أو لباسا (لجاسوس) أو جندي من جنود الاعداء يعمل للاستكشاف أو لعميل من عملاء الاعداء أو ساعده على الهرب أو أجرى اتصالا مع أحد هؤلاء الجواسيس أو الجنود أو العملاء وهو على بينه من أمره يعاقب بالاشغال الشاقة المؤقتة .

ومن الواضح أن هذه العقوبات تطبق بصورة أشد في باقي الدول العربية وقد أدرجت ليطلع عليها المواطن ويعمل على تجنب الوقوع في براثن العمالة والتجسس ولكي يعرف ذوي الضمائر الضعيفة ما ينتظرهم من عقوبات ونعود الى التذكير بأن السلطات المختصة في الدول العربية مستعدة (تلقائيا) لمساعدة وحماية كل من تورط لسبب من الاسباب خارج ارادته في العمل لحساب مخابرات عدوة وما عليه سوى أن يتقدم حالا وبدون تردد ويعلم المسؤولين عن ذلك ليصار الى انقاذه وحمايته وأهم شيء يحصل عليه هو (راحة الضمير) وتفويت الفرصة على الاعداء .

عقوبة التجسس في الشرع الاسلامي الحنيف :.

وقعت جريمة التجسس في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ففي الحديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال :

بعثني رسول الله أنا والزبير والمقداد بن الاسود قال عليه السلام : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة (أي مسافرة) ومعها كتاب فخذوه منها . فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا الى الروضة فاذا نحن بالظعينة (الامرأة المسافرة فقلنا أخرجي الكتاب فقالت : ما معي من كتاب فقلنا : لتخرجي الكتاب

أو لتلقين الثياب • فاخرجته من عقاصها (شعرها) فاتينا به وبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة الى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليهو سلم ما هذا ؟ قال حاطب يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت ملصقا(تبعا) في قريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات في مكة يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت اذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا ولا رضا بالكفر بعد الاسلام وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : لقد صدقكم وقال عمر بن الخطاب وقد كان حاضرا المجلس يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم : انه شهد بدرا ••••؟

وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم : (رواه البخاري ومسلم وأحمد)

وقد نقل الشوكاني في كتابه نيل الامطار هذا الحديث وقال ظاهر هذا ان العلة في ترك قتله ((كونه ممن شهدوا بدرا) ولولا ذلك لكان مستحقا للقتل ففيه متمسك لمن قال انه يقتل الجاسوس ولو كان من المسلمين •

وأشار ابن القيم في كتابه (زاد المعاد) جزء ٢ ص ١٧٧ الى هذا الحديث وقال : واستدل بالحديث من لا يرى قتل الجاسوس المسلم كالشافعي وأحمد وغيرهما قالوا لانه علّل بعلة مانعة من القتل وهي منتفية في غيره ولو كان الاسلام مانعا من قتله لم يعلل بأخص منه لان الحكم اذا علل بالاعم كان الاخص عديم التأثير • وهذا أقوى •

وقد اتفق المفسرون على أن هذه الحادثة كانت سببا في نزول قوله تعالى في أول سورة الممتنة « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم المودّة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بماأخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل» •

وقد ذكر الفقيه الكبير أبو بكر بن العربي في تفسيره أحكام القرآن الحادثة سببا لنزول هذه الآية الكريمة •

ثم قال المسألة الرابعة من كثر تطلعه على عورات المسلمين وينبه عليهم ويعرّف عدوهم بأخبارهم لم يكن بذلك كافرا إذا فعله لغرض دنيوي واعتقاده على ذلك سليم كما فعل حاطب بن أبي بلتعة قصد بذلك اتخاذ اليد ولم ينوي الردة عن الدين .

اذا قلنا لا يكون به كافرا فاختلف الناس فهل يقتل به حدا أم لا فقال « مالك » و « ابن القاسم » و « أشهب » يجتهد فيه الامام وقال عبد الملك : اذا كانت تلك عادته قتل لأنه جاسوس وقد قاله « مالك » يقتل الجاسوس وهو صحيح لاضراره بالمسلمين وسعيه بالفساد في الارض وجاء في تفسير القرطبي الجامع لاحكام القرآن مثل ذلك تماما وفي الجزء الثاني من كتاب « تبصرة الاحكام لابن فرحون المالكي » ص ١٤٣ « قال المسلم الذي يكتب لأهل الحرب بأخبارنا يقتل ولا يستتاب ولا دية لورثته كالمحارب ...

وفي الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم في الكلام على مقدار التعزير (ص ١٠٦) هل يجوز أن تبلغ بالتعزير القتل . قال فيه قولان أحدهما : يجوز قتل الجاسوس المسلم اذا اقتضت المصلحة قتله وهذا قول « مالك » وبعض أصحاب أحمد واختاره ابن عقيل وقد ذكر بعض أصحاب الشافعي وأحمد نحو ذلك في قتل الداعية الى البدعة والتهجم والرفض وانكار القدر ص ٢٤٥ منه » وأبعد الأئمة عن التعزير بالقتل أبي حنيفة ومع ذلك فيجوز التعزير به للمصلحة كقتل القاتل بالمثل ومالك يرى تعزير الجاسوس المسلم بالقتل ووافقه بعض أصحاب أحمد ويرى هو وجماعته من أصحاب أحمد والشافعي قتل الداعي الى البدعة أيضا .

وفي كتاب الخراج للقاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة (ص٢٦٦) قال: وسألت يا أمير المؤمنين عن الجواسيس يوجدون وهم من أهل الذمة أو هل من أهل الحرب أو من المسلمين ان كانوا من أهل الحرب أوأهل الذمة ممن يؤدون الجزية من اليهود والنصارى والمجوس فاضرب أعناقهم وان كانوا من أهل الاسلام معروفين فأوجعهم عقوبة وأطل حبسهم حتى يحدثوا توبة (أي يتوبوا).

والظاهرة من هذه النصوص أن الفقهاء قد اختلفوا في قتل الجاسوس

المسلم فذهب الامام مالك وابن القاسم وأشهب وبعض أصحاب الامام أحمد الى أنه يقتل لاضراره بالمسلمين وسعيه بالارض الفساد وخالف الشافعي وأحمد واستدل الاولون بحديث حاطب السابق لان عمر قال للنبي صلى اللهعليهوسلم : دعني أضرب عنقه ورد عليه النبي صلى الله عليه وسلم : بأن حاطب شهد بدرا وان الله قد غفر لاهل بدر ما يرتكبون من ذنوب وهذه العلة وان تحققت في حاطب واقتضت درء القتل عنه كعقوبة على جريمة التجسس فانها لا تتحقق فيما عداه ممن يرتكب هذه الجريمة فيجب قتل غيره من الجواسيس لان من القواعد المقررة في الاصول أن الحكم اذا علّل بالاعم كان الاخص عديم التاثير وقد بسط ابن القيم هذه الوجهة واختار هذا الراي وقال انه أقوى وعلّل في بعض ما كتب في قوله « لان المصلحة تقتضي ذلك » ومما تجدر الاشارة اليه ان ابن العربي والقرطبي قد عبرا في صدد بيان الخلاف في عقوبه التجسس بقولهما : « فاختلف الناس هل يقتل به حدا أولا » : « وان ابن العربي أشار الى وجهة القائلين بالقتل بقوله«هل يقتل كما قل عمر من غير تفصيل ولم يرد عليهالنبيصلى الله عليه وسلم الا بأنه من أهل بدر . وهذا يقتضي أن يمنع منه وحده ويبقى قتل غيره حكما شرعيا .. الخ » فانه يفهم من قوله يقتل حدا أو ــ لا وقوله ويبقى قتل غيره حكما شرعيا .. ان الخلاف بين الفقهاء هو في اعتبار القتل العقوبة المقررة من قبل المشرع لجريمة التجسس أما جواز أنه يقتل الجاسوس المسلم منعا لشره وكفا لأذاه عن المسلمين وتطهيرا للمجتمع منه ولا يجوز أن يكون محل خلاف من أحد فقد أجاز الحنفية قتل المبتدع الذي يتوهم انتشار بدعته وان لم يحكم بكفره وقتل الا ـ ني والسارق اذا تكرر منهما ذلك بناء على أن المصلحة تقتضي هذا القتل وأجاز بعض أصحاب الشافعي وأحمد قتل الداعي الى البدعة والتهجم والحجة في ذلك كله منع الشر والفساد وتطهير المجتمع من عناصر الهدم والتخريب . فان الخلاف بين الفقهاء هو في اعتبار قتل الجاسوس حدّا وعقوبته مقررة شرعا في هذه الجريمة كما يفهم من عبارات ابن العربي والقرطبي المشار اليها .

فان قتل الجاسوس تعزيراً لا يمكن ان يكون محل خلاف :

واذا تجاوزنا هذا النطاق الى باب السياسة الشرعية وهو باب واسع في الشريعة نجد أن جميع الفقهاء قد حكموا بوجوب قتل أشخص ارتكبوا بعض

الجرائم التي لها مساس بالمجتمع أو آثار سيئة في محيطه كقتل المبتدع الذي يتوهم انتشار بدعته وقتل اللوطي والسارق اللذين يتكرر منهما هذا الجرم عند الحنفية . وقتل الداعي الى البدعة والتهجم في رأي أصحاب أحمد والشافعي فقد جاء في الجزء الثالث من (ابن عابدين) صفحة ٢٠٣ (وفي القهساني) ان السياسة لا تختص بالزنا بل تجوز في كل جناية والرأي فيها للامام علي كقتل مبتدع يتوهم انتشار بدعته « اذ أنه بعد أن عرف السياسة الشرعية قال » وهذا تعريف للسياسة الصادقة على جميع ما شرعه الله تعالى لعباده من الاحكام الشرعية وتستعمل أمضى من ذلك فيما فيه زجر وتأديب ولو (بالقتل) كما قالوا ذلك في اللوطي والسارق والخناق اذا تكرر منهم الفعل حل قتلهم سياسة . وكما مر في المبتدع ولذا عرفها بعضهم بأنها تغليظ جناية لها حكم شرعي حسما لمادة الفساد وبالتتبع لما عللوه به وجوب اجتثاث هذه العناصر وتطهير المجتمع منها يتضح أن العلة في ذلك هي الاضرار بالمسلمين واشاعة الفساد والشر في البلاد.

ولا شك أن مثل هذه الجرائم مهما قيل في شأن اضرارها بالمجتمع فان هذا الاضرار يبقى دائما في نطاق محصور مهما اتسع مداه. أما جريمة التجسس فان آثارها لا تقتصر على جانب واحد أو جماعة بل انها تعرض البلاد جميعها لافدح الاخطار بل للدمار والضياع فوجوب قتل الجاسوس سياسة شرعية أخذاً مما قرره الفقهاء في جرائم عناصر الشر المشار اليها وهو أمر لا يمكن أن يكون محل تردد واتباعا لقوله تعالى : انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا في الارض . ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم . وقد اختلف الفقهاء والمفسرون في هذه الآية في موضوعين .

الاول : في معنى المحاربة لله ورسوله هل هي المجاهرة بقطع الطريق للمكابرة باللصوصية وغيرها ؟ أو هي المجاهرة بما ذكره أو هي قطع الطريق واخافة الناس واظهار الفساد في الارض وان لم يحدث قتل ولا سلب .

الثاني : في العقوبات الواردة في هذه الاية وهي القتل والصلب والقطع والنفي هل هي على سبيل التخيير يفوّض الامر في ايقاعها الى رأي الامام واجتهاده يوقع في كل حالة (ما يناسبها) أو هي على سبيل الترتيب والتوزيع ــ القتل جزاء القتل والقطع جزاء أخذ المال والقتل والصلب جزاء الجريمتين معا وهكذا .

وقد اختار كثير من العلماء في الموضوع الاول ان المحارب هو الذي يقطع السبيل ويخيف الناس ويظهر في الارض الفساد وان لم يقتل احدا ولم يأخذ مالا واختاروا في الثاني ان الآية نصت على التخيير وان الله تعالى رتب التخيير على المحاربة أشد . وقالوا اذا قبض على هذا المحارب فللامام أن يرى فيه رأيه ويستثير فيه ويوقع عليه عقوبة القتل وانلم يرتكب جريمة القتل أو أخذ المال . واذا كان العلماء اعتبروا الفساد في الارض واشاعة الفتنة والشر صورة من صور المحاربة لله والرسول وجماعة المسلمين وان لم يصاحب ذلك قتل ولا سلب وقدروا انه للامام في هذه الحالة أن يجتهد ويستشير ويوقع عقوبة القتل على مرتكب هذه الجريمة فان جريمة التجسس تكون أولى بايجاب عقوبة (القتل) على مرتكبها نظراً لأثرها في المجتمع وعدم وقوف نتائجها الخيرة عند حد فمثلا الجاسوس الذي يعطي الآن المخابرات الاسرائلية أوصافا لأمكنــة العسكريين وغيرها مما يلحق الاذى والضرر البالغين نتيجة ذلك هل يوجد شك في وجوب اعدامه لذلك سألنا سماحة مفتي جمهورية مصر العربية عن رأيه في عقوبــة التجسس في الشرع الاسلامي واعدام الجاسوس فكان رأيــه : ان الجاسوس الذي تثبت ضده تهمة التجسس والتخابر يستحق القتل شرعا .

وقدطلبنا أيضا من سماحةمفتي الجمهورية اللبنانية الشيخحسنخالدالتفضل بالافتاء عن عقوبة التجسس في الشرع الاسلامي الحنيف وكانت هذه الفتوى من سماحته :

التجسس : هو الاطلاع على عورات المسلمين . وايصال أخبارهم للعدو ويرى الامام مالك . وابن عقيل من أصحاب الامام أحمد ، ان الجاسوس المسلم يقتل اجتهادا اذا عظم ضرره . ويحتجون بأن الرسول صلى الله عليه وسلم أقر عمر على ارادة قتل (حاطب بن أبي بلتعة) لايصاله أخبار المسلمين الى العدو لولا المانع ، وبينه وهو كون حاطب شهد بدرا ، وهذا متعذر في غيره فلو كان الاسلام مانعا من القتل لما علل بأخص منه .

وانفرد من المالكية ابن القاسم وسحنون بالقول بأن الجاسوس المسلم يقتل حدا لأن التجسس ردّة والجاسوس مرتد لقوله تعالى « ومن يتولهم منكم فانه منهم » والى قتل الجاسوس ذهب ابن القيم من متأخري الحنابلة دون التعرض لايمانه أو عدمه .



*

الشيخ حسن خالد
مفتي الجمهورية اللبنانية
وافتاؤه حول عقوبة التجسس

*

أما الائمة الثلاث أبو حنيفة والشافعي وأحمد ، فقد ذهبوا الى أن التجسس لا يزيل أصل الايمان ، لذا منهم يقولون بتعزير الجاسوس على أن لا تبلغ العقوبة حد القتل .

وقد لخص ابن حجر الهيثمي آراء الفقهاء المسلمين في التجسس فقال :
ان ترتب من الدلالة على عورات المسلمين ، وهن للاسلام أو لأهله أو قتل أو سبي أو نهب كان ذلك من أعظم الكبائر وأقبحها لانه سعى في الارض فسادا وأهلك الحرث والنسل فمأواه جهنم وبئس المهاد ، وقال بعضهم يتعين قتل فاعل ذلك .. هذا والله أعلم وأحكم .

وبذلك تنتهي فصول هذا الكتاب التي ختمناها بالبحث القانوني والشرعي عن عقوبات التجسس وانا نرجو أن نكون قدمنا خدمة للقارىء العربي لاطلاعه على بعض الاسرار التي كان يجهلها ونأمل أن تعم الفائدة مما جاء فيه على جميع المستويات من ادارات المخابرات الى المباحث ومصالح الامن في الوطن العربي وحتى الجمارك التي كان لها نصيب في كتابنا والى الجميع نتوجه بالقول :
« اللهم اني قد بلغت فاشهد »

المؤلف
الصحفي سعيد الجزائري



الفهرس

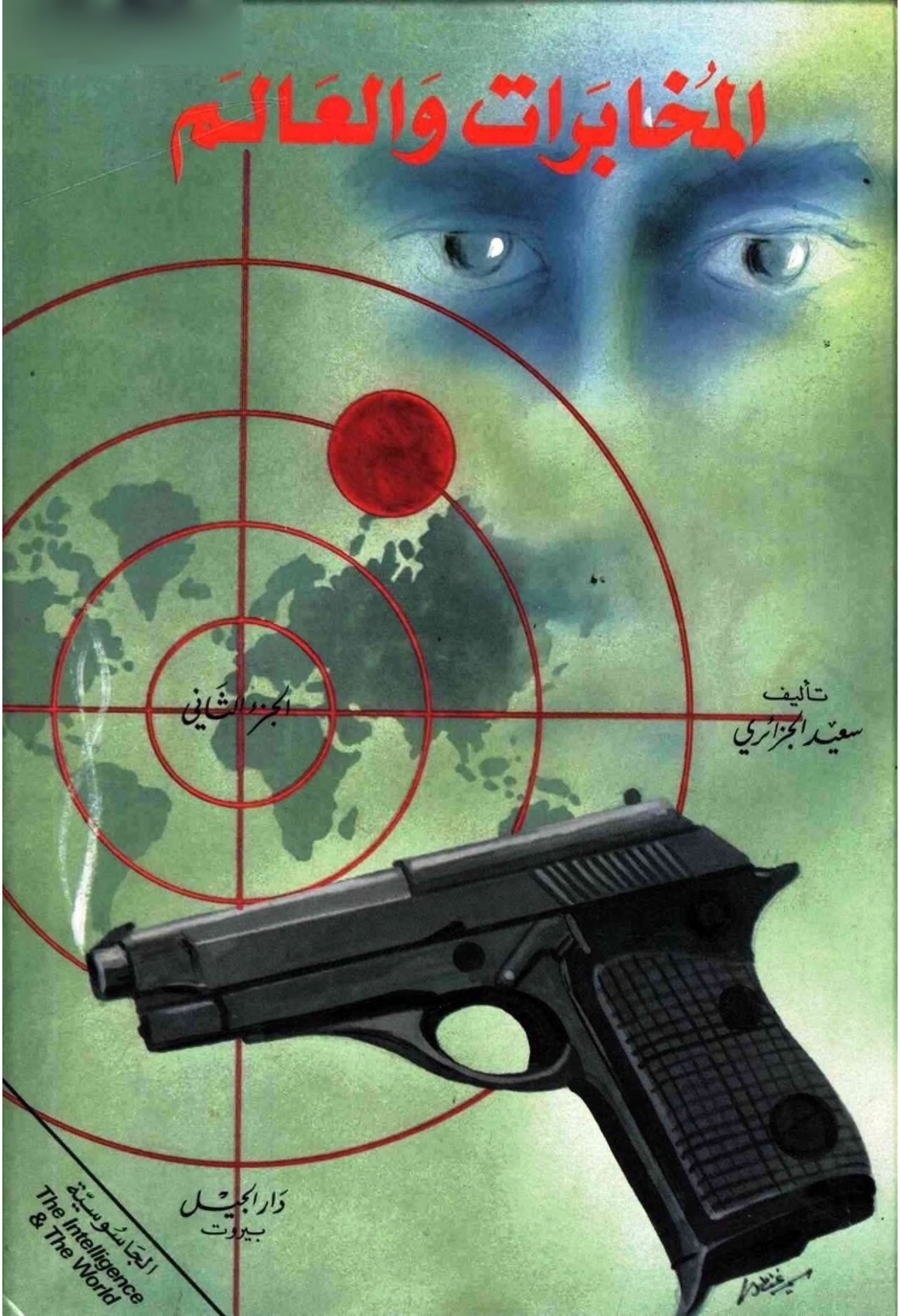
رقم الصفحة	الموضوع

رقم الصفحة | الموضوع

رقم الصفحة	الموضوع

رقم الصفحة	الموضوع

إنَّ نِظَامَ
المخَابَرَاتِ الصَّحيح هُوَ عِبَارَةٌ
عن مَنْشَأةٍ ذَات إمكَانات هَائِلة للخَير
وَالشَّرِّ ، مُسْتَخدِمَةً الرِّجَالَ وَالنِسَاءَ وَجَمِيْع
الوَسَائِل كَافَةً فَهِيَ رَقِيقَةٌ وَشَرِسَةٌ ، تتعَامَلُ
مَعَ الأبْطَالِ وَالخَوَنة ، ترشي وَتفسِدُ وَتَخْتَطِفُ
وَأحيَانًا تَقتلُ . تَقْبضُ على قُوَّة الحيَاةِ
وَالمَوْتِ ... إنَّهَا تستَغِلُّ أسْمَى وَأدنى العَوَاطِف ،
وَتَسْتَخدِمُ الوطَنيَّةَ حتى أعظَمَ مَعَانيهَا
وَالنزوات حتّى أحَطِّ مَدَارِكِهَا ،
وَتُبَرِّرُ الوَسَائِلَ الَّتي تحقّقُ
أغْرَاضَهَا .


المُخابَرات والعَالَم
الجزء الثاني
تأليف
سعيد الجزائري
دار الجيل
بيروت
الجَاسُوسِيَّة
The Intelligence
& The World

المُخابَرات وَالعَالَم

تأليف

سعيد الجزائري

الجزء الثاني

دار الجيل

بيروت

الطبعة الخامسة
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

مقدمـــــة

بعد كل النجاح والازدهار الذي لاقاه الجزء الأول من كتابي (المخابرات والعالم) وبعد التشجيع المنقطع النظير الذي أكرمت به من القراء الذين اقتنوا هذا الكتاب الوثائقي من المكتبات أو بالمراسلة وبعد أن وصل كتابي المتواضع الى أقاصي اليمن السعيد بموجب الموافقة (رقم ٢٦٠٤) والى الكويت بالموافقة رقم ٨١/٥ والى الاردن بموجب الموافقة رقم ٧٧/٦/٥ وفي بلدي ووطني بموجب الموافقة (رقم ٣٦٢١) وموافقة بقية البلاد العربية وطالما أن عمل (المخابرات) مستمر ما استمرت الحياة وطالما أنه يوجد الكثير ــ الكثير عن أعمالها وتخطيطها الدائم لتحريك الدول والشعوب وبناء لطلب القراء وجدت من الواجب عليّ الاستمرار في تقديم كل جديد عن المخابرات وطرق عملها ليكون القاريء على اطلاع دائم على الأمور الخفية والانجازات الكاملة لأعمال المخابرات ومؤآمراتها وليضيف هذه المعلومات الى المعلومات السابقة في الجزء الأول لذلك قمت باصدار هذا الجزء الثاني من كتاب المخابرات والعالم ليضمه القراء الى مكتباتهم وتعم الفائدة منه بالاطلاع على ما يخطط لنا في أقبية المخابرات العالمية مقدماً هذه الجهود الى قراء هذا النوع من الكتب الشيقة لأنهم وحدهم الذين شجعوني باقبالهم على شراء الجزء الأول وسؤالهم عن الجزء الثاني هو خير دليل على استمرار تشجيعهم لي للاستمرار في اصدار هذه الكتب بشكل متسلسل.

المؤلف
سعيد الجزائري

الاهــــداء

إلى رجال الأمن في الوطن العربي دائماً أهدي ما أخطه عن أعمال المخابرات في العالم لأنهم أحق الناس بالاهداء.

سعيد الجزائري

تنويه

تلبية للرسائل العديدة الغالية التي وصلتني من القراء والتي أحتفظ بها بكل فخر فقد قررت الاستمرار في اصدار هذه الكتب عن أعمال المخابرات في العالم طالما أن عمل المخابرات مستمر ما استمرت الحياة.

لذلك سوف يصدر كتاب آخر بعد هذا الكتاب بعنوان (المخابرات والعالم ـــ الجزء الثالث) ليشكل مع الجزئين الأول وهذا موسوعة كاملة عن المخابرات يجد فيها القارىء ما يود معرفته عن تخطيط وأعمال المخابرات في العالم ليضيف هذه الكتب الى مكتبته والأهم من الاعلان عن ذلك هو الاعلان بأني سأقوم بالتعاون مع الناشرين الذين يقدرون هذه الكتب بترجمتها الى الانكليزية لكي تباع في المكتبات الغربية ويعرف القراء الغربيون أن الكتابة والتأليف في هذا المجال ليست حكراً على كتّابهم كما أني سوف أقوم بتحويل هذه الأجزاء الى مجموعات صغيرة تصدر وبالألوان والرسوم الشيقة وهذه المجموعات مخصصة لأطفالنا الأعزاء لكي يشاركوا الأهل في الاطلاع على أعمال الجاسوسية بشكل قصصي ومبسط كل ذلك لتعم الفائدة في اجتناب الوقوع بين يدي العملاء... والله من وراء القصد.

المؤلف

المخابرات تحكم العالم

- لماذا هذه الكتب عن المخابرات...
- كيف تعمل المخابرات...
- ما هو موقف القانون الدولي من أعمال المخابرات...
- استعراض أهم منجزات المخابرات...

لماذا هذه الكتب عن المخابرات:

المخابرات أو الاستخبارات أو المكتب الثاني أو الشعبة الثانية أو أي رمز يطلق على هذه المؤسسات الموجودة في كل دولة من دول العالم وهي التي تحرك العالم بواسطة القوة التي تتمتع بها والأعمال الخارقة التي تنفذها ضد السلطات الحكومات ـــ الدول ـــ لاضعافها واثارة المشاكل لهذه الدول وحتى قلبها أحيانا وخرق نظامها وتبديله بنظام يناسبها لذلك كان من واجب الكتاب أن ينشروا المعلومات التي تصل اليهم عن هذه المخابرات وأعمالها كتباً عديدة بجرأة أدبية ليقدموها للقراء معرفة وخبرة حتى يعرفوا وهم في بيوتهم أو مكاتبهم من يثير الشغب من يضلل الرأي العام في العالم.. من يراقب أجهزة الاعلام والبريد والهاتف بالتنصت على المخابرات وفتح الرسائل وتوجيه الاعلام حتى الحقائب الديبلوماسية من يفتحها بواسطة (فاتحي أقفال محترفين) من يقيم الزعماء ومن يسقطهم عند عدم الرضا عن أعمالهم من يتسلل الى مخادع الكبار ويكشف الأسرار من يزرع الميكرفونات في السفارات من يضع القنابل الموقوتة هنا وهناك من يطلق الاعلانات والنداءات في الاذاعات لبدء تنفيذ المهمات.. من قتل كندي الرئيس النشيط للولايات المتحدة من وضع الجاسوس العقيد (غونتر غيوم) مديراً لمكتب المستشار الألماني الغربي السابق (فيلي برانت) من سرق أسرار القنبلة الذرية الأميركية.. من قتل غيفارا.. من ساعد على تصفية المناضل المغربي الشهيد المهدي بن بركة.. من وضع أجهزة التنصت في مكتب رئيس الدولة البرازيلي.. من أعطى اسرائيل أسماء وعناوين دقيقة عن مكاتب المنظمات في بيروت والمخيمات وأخبار التحركات والامدادات العسكرية بالكلمة والصور والوثائق... من ومن وألف من وكيف ولكن الجواب واحد الى الأزل (إنهم عناصر الجاسوسية والمخابرات) وتبقى الحلقة مفرغة فيقال: مخابرات ـــ وجاسوسية متفوقتان تعطيان سلطة ودولة متفوقتين؟.

وهكذا ينشأ الجواسيس والعملاء فيملأون العالم ضجيجا وأسئلة خوفاً وحذراً مشاكل وتفاصيل معقدة لا أحد يفهم ماذا يجري.

في كل لحظة (حدث جديد) يجعل سابقه من الأحداث في عالم النسيان ويتساءل الناس وتتساءل الأمم..؟ كان الحكام قديماً يستمدون القوة من الله سبحانه وتعالى ليحكموا وكان بعض الحكام يستمدون القوة من السماء باعتبار أن الاله فيها وفق نظرية الحكم الالهي أما اليوم فيستمد البعض القوة من الجواسيس والمخابرات.. ولكن أية قوة توجه هؤلاء.. كيف يعملون وما هي أساليبهم ووسائلهم..؟ ما هي دلائل نشاطهم وظواهره ما هي أهدافهم وكيف يصلون اليها..؟ من هم هؤلاء الرجال الذين يكشفون بجرأة سحرية النيات العدوانية التي يضمرها الأعداء وكيف يلتقون ويدربون ويعملون وكيف تعمل الدول لتتجنب الوقوع في حبالهم كيف تكون العمليات المضادة كل نشاط أو عملية لهم تطرح استفسارات وتخلق ذيولا وذهولا وعجباً يلهب الفضول حيث ترتسم على الوجوه علامات الاستفهام وآلاف الأسئلة ولكن الجواب واحد انها المخابرات التي تعمل وتتحرك بهدف وأساليب سرية وبطرق غير مشروعة قانوناً وتتحرى وتكشف مجهودات وامكانيات الدول والأشخاص وتحولها الى معلومات ومعطيات وتنقلها للمراجع الموجهة أصلا.

ان كل أنواع هذا النشاط يدخل ضمن نطاق التجسس والجاسوسية وهكذا يكون الجاسوس أو العميل الذي يكلف بالقيام بأي نوع أو وجه من أوجه النشاط السابق. ولكن لكل نوع من المهام الجاسوسية طبيعة مختلفة تتطلب شخصية من نوع معين ولهذا السبب تشكل شخصية الجاسوس عنصرا مهما من عناصر (نجاح لعبة المخابرات) وبالتالي يأتي موضوع التعرف على طريقة اختياره والأسس المعتمدة في هذه العملية (يوجد شرح لانتقاء وتدريب الجواسيس في الجزء الأول صفحة ١٥) وعندما يتم اختيار العملاء وتدريبهم ومن ثم توزيعهم في دول العالم حسب متطلبات الخطة العامة للدولة ككل أو للمخابرات بصورة خاصة حيث يوعز للجواسيس بالسفر الى البلاد التي اختيروا للعمل بها ليبدأوا مهام عملهم وان أخطر مشكله تواجه الجاسوس الموفد في الدولة المضيفة تكمن في اتصاله بأحد الأشخاص وكشف رغبته في اختياره للتعاون معه واحتمال رفض هذا الأخير التعاون مما يفشل مهمة المبعوث (وقد يقضي عليه) لذلك توصي المخابرات جواسيسها بدراسة مجمل حياة الشخص المعين السابقة بكل تفاصيلها ومكان الضعف لديه حتى الشذوذ الجنسي والظروف العائلية والمالية والوطنية والعاطفية كما تبحث علاقته بالنظام وموقفه منه وارتباطه بالنساء ومداه وكل ما في حياته

يستحق الدراسة والبحث انطلاقا من الهدف المرجو منه لكيلا يخرج عن الدور المرسوم للعملية فينفرط عقد الترابط التمثيلي ويتعطل البث.

ولدى بعض دوائر المخابرات دراسات خاصة مسبقة عن الاعضاء أو العملاء المختارين للاتصال بهم توفر على العميل الموفد جهداً خطيراً لدى البحث عن ماضي العميل فيتصل به رأسا وهو واثق أنه الشخص المرغوب وهذه الطريقة تتبعها المخابرات السوفاتية التي تجلب المعلومات عن الشخص الذي سيتصل به الجاسوس من دليل موسكو المركزي للمخابرات.

وصعوبة لختيار المتعاون تتباين بين مخابرات واخرى حسب الامكانيات والقدرات ولنأخذ مثلا المخابرات الاسرائيلية كان لها بعض النجاحات بسبب انتشار أعداد كبيرة من اليهود في جميع أرجاء العالم وهم يقدرون على لعب الأدوار المعطية لهم من قبل مخابرات ذكية فاليهودي الأميركي ينجح في تقمص شخصية (الأميركي فقط) وينسى يهوديته أو يتركها جانبا ليظهر بمظهر العربي العراقي أو السوري بعد أن تزوده (المخابرات الاسرائيلية بالجواز المطلوب) للدور الذي سيقوم به ولا مانع من اعادة شرح المواصفات المطلوبة من الجاسوس المنوي استخدامه:

١ ــ أن يكون صاحب شخصية هادئة جدا.
٢ ــ أن يكون قادراً على مواجهة وتحمل الصدمات والمواجهات.
٣ ــ أن يجيد التمثيل بكل أنواعه ويجيد التظاهر بوجه مختلف وشخصية مختلفة يلبسها ساعة الضرورة.
٤ ــ أن يكون صاحب سجل نظيف وسيرة حميدة بحيث لا يثير الشبهات ويلفت الانتباه.
٥ ــ أن يكون متمكنا في المجال أو الوسط الذي اختير له كأن يتمكن العسكري من جمع المعلومات بعد تغلغله في صفوف الجيش ويتمكن السياسي من جمع المعلومات من دوائر الدولة وحسب الطلب.
٦ ــ أن يكون لديه نقطة ضعف في شخصيته مثل حب الشهرة أو المال أو الجنس أو حتى الشذوذ الجنسي لتتمكن المخابرات من استغلال مكامن الضعف هذه.

٧ ـــ يفضل أن لا يكون متزوجا أو أب لأولاد لأن المتزوج والأب تكون عاطفتهما أرق من الأعزب الذي ليس لديه (شيء) يفكر به فينصرف لعمله.

وليس ضروريا مثلا أن يكون عميل المخابرات عضواً في الأحزاب العقائدية المنتشرة في دول العالم لأن ذلك يجعل الجاسوسية مسألة مرتبطة بالايمان العقائدي والالتزام الحزبي وبالتالي فان أغلب نشاط المخابرات يمارس على الحزبيين أنفسهم للتأكد من ولائهم والتزامهم. أما القصد من البحث عن العميل الملائم فله عدة أسباب تقنية منها على سبيل المثال أن المرأة القبيحة ليست مؤهلة وقادرة على اغواء أي هدف من أهداف المخابرات والحصول على أسراره على عكس المرأة الجميلة فهي القادرة على القيام بهذا الدور. وباختصار فان شعار المخابرات هو الفصل بين السلوك والاخلاق الشخصية عند الافعال ومهما كانت هذه الأفعال دنيئة. كما يوجد صنف من الأشخاص ينخرط في أعمال الجاسوسية وهم الأشخاص غير الراضين عن نظام بلدهم هؤلاء يتفانون بالخدمة ويظهرون حقدهم على النظام فيما يقدمونه من خدمات للبلد الآخر عكس المتعاملين بدافع مالي اذ كثيرا ما يتعدون وينغمسون في لعب تجارية تعرضهم للطرد وأحيانا للتصفية الجسدية.

وفي بعض الأحيان تتعاون أي مخابرات مع عميل سابق لمخابرات ليس بينها عدواة فينغمس هذا العميل في اللعبة بصدق وينسى نفسه ليصبح عميلا جيداً ومخلصاً وقد يحدث في بعض حالات العمالة (أي التجسس) على الآخرين بأن يغرم (أي يحب) العميل الفتاة التي يريد الايقاع بها وجعلها مصيدة له وبالعكس قد تغرم (أو تحب) الفتاة العميلة الرجل الذي كلفت بايقاعه ومعرفة أسراره أو (تطبيعه) والأمثلة على هذه الحالة كثيرة اذ أن كثيراً من هذه الحالات التي ابتدأت تجسساً وتحريات انتهت زواجا وصبيانا وبنات وأكثر ما تحدث هذه الحالات مع عملاء مخابرات دول العالم الثالث حيث لا تزال المعاناة من الكبت والضعف لدى العملاء المنفذين موجودة.

وحري بنا أن نعرج مع هذا التوضيح الجديد عن انتقاء الجواسيس والعملاء الى مسألة الفترة التدريبية أو الاختبارية لأنها مسألة مترابطة مع نجاح العمل وقوة الدورة التدريبية ملازمة وتابعة مباشرة لمرحلة الاختبار فلأي نوع من التجارب يخضع العملاء المختارون ومن الطبيعي أن يختلف اختيار العميل باختلاف البلدان

ففي دول العالم الثالث تركز المخابرات على اصطياد العسكريين لأنهم هم الذين يتحكمون بمقدرات البلاد أو هم المؤهلون لذلك وكذلك يكون التركيز على الطلاب الذين يرتقون المناصب الحكومية (فور تخرجهم) ولكن هذا لا يمنع أن تتابع المخابرات اخضاع أي منهم للمراحل التالية لاتمام جدية انخراطهم في العمل التجسسي معها. فبعد اختيار العميل يبلغ قرار الاعتماد عليه ويتم الاتصال به وتفضل المخابرات عادة أن يتصل بالعميل الجديد شخص غير الشخص الذي رشحه للعمل معها ويبلغه (مباشرة العمل) وشكله ونوعيته ونذكر أنه في عملية التعارف بين العميل الجديد ومندوب المخابرات تتخذ تدابير احترازية كفيلة بانقاذ الأول في حال وقوع ما ليس بالحسبان كما أن عملية التعارف الأولى هذه تسجل (سينمائيا وفوتوغرافيا) مع الصوت وذلك كاثبات ضد العميل الجديد الذي لم يعد بامكانه التراجع (التهديد بفضحه عند الضرورة) وعند الاتفاق والالتزام النهائيين يوقع العميل تعهدا للعمل والتقيد بالتعليمات والأوامر وعدم افشاء الأسرار عن كل ما يراه ويسمعه ويعلمه أثناء العمل وفي بعض البلاد يتضمن هذا التعهد بندا ماليا كأن يغرم (المخالف) للتعليمات بمبلغ عشرة آلاف دولار وبعد ذلك يبدأ التدريب وهذا النوع من التدريب يعد للعميل (الواحد) لأن أغلب مخابرات دول العالم أصبح لديها (مدرسة لتخريج الجواسيس) ومدارس لتخريج الموظفين الذين سيعملون لديها.

وهذه نماذج عن التدريبات التي يتعرض لها العميل الجديد:

١ ــ يوضع تحت المراقبة الشديدة لتحديد تحركه وتجوله واقامته.
٢ ــ تسند اليه مهمة جمع معلومات لكي يثبت قدرته التجسسية عن أشخاص أو مرافق حيوية.

٣ ــ يترك العميل الجديد منزله وعائلته بعد أن يختلق الأعذار والأسباب المبررة (لغيابه) ثم يعطي اسما مستعارا ويبدأ في العيش بنمط مغاير لحياته السابقة للتدليل على مقدرته في مواجهة المواقف الفجائية والمتنافرة.

٤ ــ يدخل العميل الى غرفة واسعة ومظلمة تنطلق منها أصوات مختلفة ومخيفة وتتراءى له صور متعددة ومرعبة بألوان وأشكال غريبة وأثناء

ذلك يكون المدرب يقوم بالاطلاع على ردّ الفعل لديه وهو لا يشعر لمعرفة صلابة أعصابه.

٥ ــ يتعرض المتدرب لهجوم عنيف بأن يقوم (زملاء) له باعتداء وهمي عليه ويطلب منه بعد ذلك كشف كل خلفيات الحادث.

٦ ــ يتعرض المتدرب لاستجواب كلامي ضاغط يشتمل على شتائم وتهديد وتمثيلية بسحب الثقة منه لأنهم علموا بأنه يعمل للجهة الأخرى وتسجل النتائج.

٧ ــ يترك المتدرب في غرفة من غرف السجن سكنها لحد الموقوفين سابقا (طبعا يكون موقوف سياسي) له بعض الميزات وقد ترك هذا الموقوف الآثار الآتية في الغرفة:

أ ــ قصاصات صحف.

ب ــ بقايا سجائر.

جـ ــ بعض الملابس.

د ــ بعض العطور.

هـ ــ بعض أشرطة الكاسيت الموسيقية.

و ــ بعض الصور.

ز ــ كتابات بالحفر أو القلم على حائط الغرفة.

حـ ــ شعارات وقصائد معينة.

ويطلب منه بعد ذلك اعطاء تقرير مفصل عن شخصية الموقوف الذي كان بالغرفة وترك هذه البقايا التي يجب على المتمرن أن يستنتج منها صفات ونوعية الموقوف السابق لأن التدريبات الميدانية المترافقة بتدريبات ودروس سيكيلوجية تهدف الى تغيير البنية النفسية والفكرية للمتمرن وهذه العمليات تكلف المخابرات مبالغ باهظة تنفرد تقريبا المخابرات الأميركية بالصرف سنويا بالملايين والمليارات عكس المخابرات الاسرائيلية التي تصرف على العملاء من غير الجنس اليهودي بينما اليهود يجندون أنفسهم لخدمة الدولة الواعدة بل ويدفعون منهم في بعض الأحيان ثمنا لمعلومات أو وثائق وذلك لتبييض الوجه أمام مخابراتهم. أما المخابرات الألمانية في الثمانينات فقد أنشأت مدرسة لتدريب الجواسيس مثلها مثل المخابرات السوفياتية والأميركية والبريطانية والمخابرات الالمانية هي أول مخابرات غربية أوجدت فكرة التضحية بالجاسوس للتمويه ولابعاد الأنظار عن

وكاميرات تصوير الوثائق بالاضافة الى وسائل الاتصال اللاسلكي والكتابة بالحبر السري وبعد الانتهاء من جميع هذه التدريبات يحق لنا أن نتساءل:

لماذا هذه التدريبات والمشقات.. لتنفيذ أي خطة.؟ لا أحد يعلم.. فعندما يعطي المخرج وهو مسؤول المخابرات الضوء الأخضر للعميل فيبدأ عمله..؟

مما لا شك فيه أن مختلف المهام التجسسية تهدف لشيء واحد يخدم في النهاية مخططات الدولة وفق مصالحها وسياستها وهذا الهدف البعيد هو استهداف دولة معينة لاخضاعها بعد اضعاف معنوياتها واضطراب استقرارها الاقتصادي واثارة التوترات السياسية فيها وهذا ما يعرف في قاموس الجاسوسية بـ (انهاك العدو لا انهائه) ولكن هذا الهدف الاساسي لا يمكن تحقيقه ويستحيل الوصول اليه دون حد أدنى من القدرات والأمكانيات حيث تتمثل مسألة تقوية هذه القدرات والأمكانيات بواسطة جمع المعلومات والقيام بالتحريات وهكذا يكون الشق الأكبر من الأعمال الجاسوسية متعلقا بجمع المعلومات عن كل مقومات وطاقات الدولة المستهدفة وتبويب هذه المعلومات واعطائها الى المصدر الموجه في الدولة تمهيداً لتوجيه الضربة النهائية للدولة المستهدفة وبذلك تشكل المخابرات في البلد جهازا مزدوج الصفة اذ أنه من ناحية قام بجمع المعلومات للاحتراز والتحضير الوقائي والشق الثاني أنه رادع من جهة تنفيذ الضربات الهازة للنظام المضاد ولذا من الطبيعي أن نوضح أولا طريقة جميع المعلومات وايصالها الى قيادة المخابرات المركزية العليا وطرق جمع المعلومات ليست حديثة العهد بل هي قديمة ومترابطة ترابطا قويا بفطرة وذكاء الانسان وليس بالتطور العلمي المعاصر ثم يأتي دور نقل المعلومات الى المخابرات وكثيرة هي الأساليب التي تتم بواسطتها كتابة أو اخفاء رسالة سرية موجهة من العميل الى قيادته كخطها بالحبر السري أي الحبر الذي لا يظهر الا بمظهر محدد أو كتابة رسالة بالاصبع الرطب على الزجاج البارد شتاءً اذ تنكشف

> عنصر المخابرات لرئيسه:
>
> سيدي لقد قمت بمراقبة المشبوه جيدا هذا اليوم حيث تعقبته من حين خروجه من منزله وذهابه للمقهى ثم ذهابه للمطعم ثم ذهابه للسينما.
>
> الرئيس وبعد ذلك:
>
> عنصر المخابرات: انتهت مراقبته عند هذا الحد يا سيدي لأنني سبق أن شاهدت الفيلم الذي دخل المشبوه لمشاهدته.......؟

شبكة العاملين الآخرين كما أنها تصدر منشورات توعية توزع على عناصرها ومن هذه النشرات نشرة موجهة للعناصر تشرح شروط النجاح كما يلي:

(الى عنصر المخابرات الألمانية)

(عندما تكون في بلد غير بلدك تخدم المصلحة العامة اتبع ما يلي).

١ ـ عدم التعبير والكشف عن أي فوق أو رأي بلغة مغايرة للغة البلد المقصود (أي أن يكون العميل مقيما في استنبول ويتكلم ويعبر عن رأيه بالألمانية).

٢ ـ عدم الاعتراف بفهم ما يقوله الناس وادراكه وذلك لتشجيعهم على الاستمرار في الكلام.

٣ ـ عدم اظهار الاهتمام بأي معلومات أمام الأخرين بل استيعابها بهدوء.

٤ ـ تسجيل الأرقام والمسافات على أنها مصروف شخصي مثال أن المسافة من احدى قواعد حلف الأطلسي الى أثينا هي /٣٠٠ كيلومتر/ فيسجل العميل الآتي:

يوم السبت /٣٠٠ دراخما (وهي العملة اليونانية) قيمة وجبة الغداء.. الخ

٥ ـ احراق الرسائل وتحويلها الى رماد لأن قطع الرسائل المحروقة (توضع تحت المجهر وتقرأ).

٦ ـ استدراج المتحدث الآخر للكلام بهدوء والاقلال من الحماس والحيوية الملفتين للانتباه.

٧ ـ عدم السؤآل عن التحركات العسكرية أو المدنية لأشخاص أذكياء بشكل ملفت لأنها تكلف كثيرا.

٨ ـ عند التوجه لاستلام المعلومات من عميل آخر يجب التفكير بمخرج للتخلص من منزل أو بناية أو أي مكان آخر.

٩ ـ عدم الغرق في أجواء المودة الكاذبة والابتسامات العابرة الوهمية.

ويصح أن تعم هذه التوصيات في جميع مخابرات العالم لما فيها من الفائدة ولنعود الى العميل الجديد المبتدىء الذي يتبع دورة المخابرات أو التجسس فبعد انتهاء الدورة أو الاختبار يعتنق العميل الجاسوسية بعد أن ألم بقواعدها وخضع للتدريب يبدأ تدريبه على الوسائل التقنية الحديثة المستعملة في التجسس الحديث ومنها الكاميرات الألكترونية التي تصور ليل نهار وقوفا وسيراً قريباً وبعيداً

وتتوضح الكلمات بمجرد أن يعلوها بخار أو لهاث (القارىء المكلف) بالاستلام وتتبخر بتبخر أو مسح الزجاج وطريقة بدائية يمكن استعمالها لايصال المعلومات وهي القيام بحرق ورقة ما من أربعة أطرافها ثم الكتابة عليها بالحبر السري أيضا ورميها مع المهملات القذرة حيث يأتي العميل المنتظر ويلتقطها ومن الممكن أن تستعمل النساء عدة مخابىء في أجسادهن ومن غرائب التجسس أن التاريخ يروي قصة العبد الذي أرسل في أوائل القرن الثالث الى (جنكيزخان) ملك التتركهدية من ابن عمه الذي اطلع على مؤآمرة تحاك ضد جنكيزخان ولم يجد سوى العبد فكتب بقلم ناري بين شعره أسماء الذين يتآمرون عليه وطبعا للتعليمات طلب أن يقص شعر العبد بالموسى وعندما تم ذلك وجد الملك المغولي الرسالة وعرف فحواها واحتاط لنفسه هكذا كانت المخابرات.

أما في هذه الأيام فان كل جاسوس داخل اللعبة يزود بجهاز ارسال (ميني) يستعمل كجهاز مرسل ولاقط بنفس الوقت وبآلة تصوير عادية حديثة وآله اخرى لتصوير المستندات كما ذكر ويعطي الجاسوس أيضاً (بوصلة) لمعرفة اتجاه جهاز الارسال وضبطه ويعطي مظهر للكلمات من على الرسائل المكتوبة بالحبر السري التي تصله بشتى الطرق وفيها تعليمات القيادة لأن تطور الرسائل بالحبر السري ثم بفضل التقدم التكنولوجي كوسيلة من وسائل الاتصال التجسسي أي استغلال الكتابة لمساعدة العملاء في جعل الوثائق بشكل لا يسمح لأجهزة الأمن الثانية باكتشافها وقد تم منذ سنوات العمل بتصغير حجم صفحة (الفولسكاب) الى (النقطة) تقريباً وزرعها في رسالة أو كتاب وذلك بفضل (كاميرا خاصة) يزودّ بها العميل حيث تقوم هذه الكاميرا بتصغير الصفحة الى (نقطة) كل هذه الأعمال يمكن للعميل الجاسوس أن يؤديها وحدة حسب التكليف ولكنه يبقى ضمن اطار الترابط بينه وبين بقية أعضاء الشبكة أو قيادتها اذ أن هؤلاء العملاء يشكلون سلسلة متصلة ومتعاونة تهدد أحياناً بخطر الانكشاف بمجرد اكتشاف حلقة واحدة وخشية من هذا الاحتمال وتلافيا له ولنتائجه الخطرة تقام أحياناً حواجز قوية ومنيعة تحول دون اتصال جميع الأعضاء العملاء بالقيادة العليا حتى اذا اكتشفت حلقة تبقى بقية الحلقات مستمرة في عملها التجسسي.

كل هذه الطاقات المجندة لجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات تشكل التمهيد للأعمال الاهم في اللعبة وهي الأعمال التي تحقق الهدف البعيد الاساسي في الموضوع وهو (هزّ الدولة الهدف) وزعزعتها واحكام السيطرة عليها وهكذا

تكون كل المعلومات والدراسات قد أصبحت متوفرة للقيام بأعمال عدوانية أبرزها:

العمليات السرية ــ العمليات العسكرية والسياسية ــ حرب العصابات.

ويتضح من كل ذلك للمخابرات أنه اذا أريد للعمليات السرية البقاء في عصر الجاسوسية التقنية الحديثة فانه يترتب على الجواسيس توسيع عملياتهم السرية وعلى الأخص في الشؤون الداخلية للبلدان التي يستطيع العملاء العمل فيها بالخفاء لأن تحول أجهزة المخابرات الى العمل السري أصبح واضحا بالنسبة للعاملين الذين راحوا يتخصصون لتدريبات جديدة معدة للتحرك المخفي اكثر منه للتجسس التقليدي وأوجه التدريبات هذه تتناول نشاطات عسكرية كالتسلل والهرب أو أعمال النسف والانزال الليلي وتفجير السيارات المفخخة وزرع أجهزة التنصت واستراق السمع وتصوير الوثائق كما وجهت النشاطات السرية ناحية التغلغل والتسلل في سبيل الهيمنة على الشبان ونقابات العمال والهيئات الثقافية عبر الأساليب التالية:

١ ــ تقدم المشورة السياسية للنظام الهدف..
٢ ــ تقديم معونات مالية للأفراد على شكل مغريات كبيرة..
٣ ــ تأمين الدعم المالي والفني للقوي والأحزاب السياسية.
٤ ــ القيام بالدعاية الخفية والمستترة.
٥ ــ القيام بتدريبات خاصة للأفراد وتبادل الأشخاص.
٦ ــ ممارسة دور اقتصادي ومؤثر.

المخابرات والفنانون:

سبق للممثل الفكاهي الاميركي بوب هوب أن علق بشتى المناسبات على المخابرات الاميركية والسوفياتية فان الممثلين العرب كان لهم ايضا بعض التعليق الابيض البريء فالفنان السوري رفيق السبيعي صاحب شخصية أبو صياح يتندر باستدعائه للمخابرات قبل ساعات من تسجيله أشهر أغانيه فأخذ يضرب أخماسا في أسداس عن سبب هذا الاستدعاء. ولدى مثوله أمام المحقق اتضح بأن أحد معقبي المعاملات يحتفظ (بدفتر خدمة العلم) خاصته حين سلمه له منذ مدة لاجراء معاملة جواز سفره، والفنان محمود جبر يشبه نفسه بالمخابرات في احدى تمثيلياته والفنان زياد مولوي يقولها صراحه في لقطه من فيلم/امرأة من نار/بأنه لا يخاف سوى من الله ومن المخابرات...

٧ ــ تنفيذ مهام شبه عسكرية لزعزعة النظام.
٨ ــ استعمال مواد كيماوية من قبل عملاء محليين.

أما بالنسبة للفقرة الأخيرة فنذكر مثالين لها المثال الأول هو وضع المخابرات الاسرائيلية نسب بسيطة من الزئبق في (البردقان) المصدر من الضفة الغربية لزعزعة الثقة بالمواطنين الفلسطينيين الذين يعيشون تحت الاحتلال الاسرائيلي ثم ما سمعناه عن وضع مواد كيماوية في الحليب والماء في مدارس البنات في الأرض المحتلة لكي يصبن بالعقم وقد سطرت الدول العربية شكوى للأمم المتحدة بهذا الخصوص أما المخابرات الأميركية فليست أقل من ربيبتها المخابرات الاسرائيلية أخلاقا حيث قام رجال المخابرات الأميركية بتلويث كمية ضخمة من السكر الكوبي كانت محملة في باخرة شحن رست في ميناء بورتوريكو لاصلاحها بعد اصابتها بعطل طارىء وبينما أدخلت الباخرة الى الحوض الجاف للاصلاح اقتحم رجال المخابرات الأميركية مستودعات السكر داخل الباخرة ولوثوه بمادة غير سامة ولكنها كريهة المذاق وانسحبوا وكان ذلك العمل من ضمن سياسية تحطيم النظام الكوبي.

والمخابرات الأمبريالية تعرف أن (بلدان) العالم الثالث يتوفر فيها الأهداف الميدانية للنشاط السري باعتبار أن حكومات هذه الدول هي أقل تنظيما وقوة ولهذا فان ادراكها لشؤون وقضايا الأمن والمخابرات قليل وهي تعاني من تزايد الميول لتقاسم السلطة فعليا بين الأحزاب والمنظمات والأفراد خارج نطاق الحكومة المركزية وفي خضم هذا التزاحم والتسابق والصراع على السلطة تبدي جميع الفئات رغبة بكل مساعدة خارجية وتظهر امتنانا لكل تدخل يأتي من الخارج ويمكن لمبالغ ضئيلة من المال تقدم مباشرة أو تودع في مصرف لحساب القوى المحلية المتصارعة أن تؤثر تأثيراً سحرياً على تغيير وتبديل (الولاءآت) السياسية وخريطة التحالف وهكذا يغدو المال محركا رئيسياً وقويا لادارة أنجح وأدق العمليات السرية وغيرها من النشاطات الجاسوسية والأمثلة عما نذكر كثيرة في التاريخ السياسي للعالم الحافل بنماذج مذهلة عن الأدوار التي لعبتها المخابرات في معظم الدول ذات الأرضية الصالحة والمهيأة لمثل هذه الأنواع من النشاطات فالمخابرات الأميركية والسوفياتية ملأت العالم بأخبار التدخل في أفريقيا ودول الشرق الأوسط وفيتنام وفي كل المناطق التي تؤمن امتداداً لنفوذ الدول المتصارعة بواسطة مخابراتها ولعل نشاطات المخابرات الاسرائيلية في العالم العربي عامة

وداخل الكادرات الفلسطينية خاصة تعطي المثال الحي على كون المال هو الوسيلة المتفوقة في مجال التدخل والتجسس والتهيئة لما هو بعد وأهم وسبق أن ذكرنا بالجزء الأول من الكتاب كيف كان الاسرائيليون في كل مرة يدخلون الجنوب أو المخيمات الفلسطينية في عمليات عسكرية خاطفة ينادون المتعاملين مع المنظمات أو مع المخابرات اللبنانية والسورية بواسطة الميكرفونات وبأسماءهم ويتعرفون عليهم بالوجوه وهذا ما فعله الاسرائيليون لدى اجتياح الجنوب وبيروت عام ١٩٨٢ لأن عمل المخابرات هو السعي لايجاد حلفاء (عملاء) محليين يبدون استعدادا للتعاون معهم لأن اسلوب العمل السري في أساسه هو التغلغل الذي لا يأخذ احيانا شكل الاستخبار وانما يأخذ انشاء صلات وثيقة وحميمة يمكن دعمها بالمال عند الضرورة أو الاستغناء عنها حسب الظروف ولكي يكون العمل السري فعالا وناجحاً يجب أن يبقى ضباط المخابرات في حالة تأهب دائم للقيام بواجبهم على الوجه الأكمل لانشاء شبكة من العملاء المنفذين داخل حكومة البلد المستهدف وقواتها المسلحة وصحافتها ونقابات العمال فيها وغيرها من الفئات المهمة وهذا ما يتطلب ايجاد قوة دائمة للمخابرات في مختلف البلدان تؤدي خدمات لها وذلك عن طريق تزويدها بمعلومات يمكن الحصول عليها بفضل التغلغل في (مواقع القرار الرسمية) وقد تكون هذه المعلومات ذات قيمة سواء من حيث تحديدها لمراكز القوى المحلية أو تحديدها المكان الذي يكون فيه العمل السري اكثر فعالية.

ان نشاط المخابرات لا يتحدد في نطاق واحد بل يتشعب بتشعب أهداف الدولة وتنوع سياساتها القابلة للتغيير والتبديل السريعين وفق مجريات الأمور ومن هنا تدخل العمليات السياسية في صلب المهام المبينة على نتاج المخابرات للمعلومات فمثلا تتدخل الولايات المتحدة في الانتخابات التي تجري في مختلف دول العالم كما تتدخل في الأمور السياسية الداخلية للبلد عكس ما تصرح به أجهزتها الاعلامية كتدخلها في قلب حكومة مصدق في ايران واعادة الشاه (راجع فصل السافاك في هذا الكتاب) وتدخلها لاسقاط نظام سلفادور اللندي والتدخل بانتخاب التشيلي بقيادة هنري كيسنجر في أوائل السبعينات وملابسات أزمة الصواريخ في كوبا عام ١٩٦٢ (راجع فصل مقتل الرئيس كندي) ومثل المخابرات الأمريكية تتدخل المخابرات السوفياتية أيضا كأفغانستان وأثيوبيا ثم الصومال من مناطق النفوذ الدولية وجميع ما يجري في هذه الدول من قبل الدولتين العظميين لا يندرج الا في نطاق الأعمال النهائية والتنفيذية كما توصلت اليه المخابرات أي أن

كل هذه الحوادث والنماذج المذكورة ما كانت لتحصل لولا تهيئة الأجواء وتحضير الامكانيات من قبل الجواسيس (سابقاً) الذين يحضرون كل شيء لتجيء الضربة المحكمة وبهذا يقترب العمل الجاسوسي الى مفهوم حرب العصابات داخل الدول أو الحروب غير التقليدية بمعنى عدم اشتراك الجيوش النظامية فيها.

ان قوات العصابات غير النظامية التي تغذيها المخابرات تعد مصدرا مثاليا للمعلومات عدا عن قيام هذه القوات باجتياز خطوط الأعداء وتدمير المنشآت العدوة واعداد الكمائن ومهاجمة القرى واشاعة الفوضى والاضطراب واستخدام أسلحة العدو للتشهير بقدرته وبجهاز حكمه والاخفاء والتمويه والتضليل ولذلك فأن الدور أو الواجب الأساسي لكل رجال من رجال العصابات هو الاستكشاف وتوجيه بعض الضربات التي تربك العدو الذي يكون عادة متمتعا بقوة اكثر تفوقا وأعظم باعتبار أن حرب العصابات هي وسيلة وجدت فيها الدول الأضعف ضالتها في التأثير ومحاولة الانتصار على الخصم الأقوى.

وبالاضافة الى مهمة جنود العصابات في جمع المعلومات فان مهمة أخرى تدخل في دائرة اختصاصهم تتعلق بأعمال التخريب الداخلة في اطار الهدف الأساسي الهدف البعيد القاضي على الدولة (الهدف).

وبذلك نكون قد وضحنا للقارىء حيّزاً من أعمال المخابرات في العالم وكيف تعمل وكيف تتدخل في أمور الدول الأخرى لعله يأتي اليوم الذي تعود المخابرات جميعها الى عملها الروتيني الذي أنشأت من أجله.. متى يأتي هذا اليوم.. الله أعلم.

* * *

التجسس في نظر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب:

كتب الخليفة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه الى قائده سعد بن أبي وقاص وصية هامة تعتبر حتى الآن من أهم وأصدق ما قيل عن التجسس من الأعداء وعلى الأعداء وهذه الوصية:

بسم الله الرحمن الرحيم

من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى القائد سعد بن أبي وقاص أما بعد اذا وطئت أرض العدو فاذك(١) العيون(٢) بينك وبينهم ولا تخف عليك أمرهم وليكن عندك من العرب أو أهل الأرض من تطمئن الى نصحه وصدقه فإن الكذوب لا ينفعك خبرة وان صدقك في بعضه والغاش عين عليك وليس عيناً لك.



الفريق سعد الدين الشاذلي . من أبطال حرب رمضان واستغلال الذكاء العربي في التحضير لمعركة العبور ...



(أعضاء التنظيم السياسي ضد الكيان الصهيوني)

من اليمين : دان فيريد ــ داود تركي ــ سيمون حداد ــ أنيس قرعاوي ــ صبحي نعراني وأهود أديف . أثناء المحاكمة .

---

(١) فاذاك: أرسل، أبعث.

(٢) العيون: بمعنى من ينظرون بالعين أحوال العدو وهم (الجواسيس).

الحرب الاعلامية مع الكيان الصهيوني توازي حرب المخابرات

- كيف نجابه اسرائيل اعلاميا.
- ماذا أعددنا للدفاع عن أنفسنا أمام اسرائيل من وسائل الاعلام والمخابرات.
- بيان المطلوب من الدول العربية للقيام بالتجسس المضاد لاسرائيل.



المظاهرات تعم الكيان الصهيوني رغم تكذيب الإعلام الإسرائيلي ...

نحن نعترف مع الأسف بأن الدعاية الاسرائيلية تغطي ٩٠٪ من الكرة الأرضية وأن اسرائيل تجيد اللعبة الاعلامية كما تجيد اللعبة العسكرية والمخابرات وأن علينا أن نتصدى لها اعلاميا على الاقل قبل أن نتصدى لها عسكريا وبالمخابرات والتصدي الاعلامي يكون بتسليط الأضواء على أخطائها بدون كلل أو ملل نفضحها اعلاميا وبجميع اللغات الحية وبجميع الوسائل الاعلامية على النحو الآتي:

١ ــ طبع لوائح بأسماء وأرقام القرارات التي لم تنفذها اسرائيل والتي صدرت عن الهيئات الدولية كالأمم المتحدة واتحادات البرلمانات والطيران وغيرها وتوزيعها بشكل ضخم في المناسبات الكثيرة كيوم الأمم المتحدة/وحقوق الانسان.

٢ ــ طبع لوائح بأسماء المعتقلين لديها وتنشر صورهم أيضا وتاريخ اعتقالهم والأسباب الكاذبة لاعتقالهم وتوزيع هذه اللوائح أيضا بالمناسبات الدولية كيوم حقوق الانسان ويكون التوزيع مدروس بحيث يغطي العالم وبمختلف اللغات.

٣ ــ طبع ونشر صور المستوطنات التي تنشئها على الأرض المحتلة ضاربة عرض الحائط بجميع النداءات العالمية لوقف بناء المستوطنات وتوزيعها دوليا بمناسبة يوم الأرض.

٤ ــ طبع صور الأراضي المحتلة بعد ١٩٦٧ سواء غزة والضفة الغربية أم الجولان والتعليق على كل منها بمخالفات اسرائيل للقواعد الدولية من جهة الاحتلال أو تغيير المعالم أو بناء المستوطنات عليها مما يتنافى مع أبسط قواعد الحرب والسلم والقانون الدولي.

٥ ــ نشر وطبع دعايات بمختلف اللغات ايضا عن أطماع اسرائيل في الأراضي العربية وأن الدول العربية لا تنوي القاء اليهود في البحر كما

تشيع الدعاية الاسرائيلية ولا مانع من الاعتراف بواقع الحال عن وجود اسرائيل حقيقة واقعة فات الأوان على الادعاء بتصفيتها وان عليها بالمقابل الاعتراف بالشعب الفلسطيني وحقه في العودة الى أرضه التي قررتها له قررات الامم المتحدة من عام ١٩٤٨ وحتى تاريخه وانسحابها الطوعي من الأراضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧ واننا لا نذكر في هذا الفصل احتلالها الحالي عام ١٩٨٣ لـ ٥٠٪ من الأراضي اللبنانية لأن اسرائيل سوف تنسحب من لبنان عاجلا أو آجلا ليعود لبنان موحداً كما كان قبل أحداث عام ١٩٧٥ وما تلاها من الحرب الأهلية والطائفية وعندما يعود لبنان الى عافيته يعود ملاذاً لكل العرب.

تخصيص الميزانية اللازمة لتنفيذ هذه الاقتراحات ووضعها تحت تصرف الجامعة العربية بحيث تصدر هذه المعلومات جميعها وهي تحمل شعار جامعة الدول العربية وهذه الاقتراحات لو نفذت بحذافيرها لاستقطبت الرأي العام العالمي المخدوع بالاعلام الاسرائيلي الذي تصرف عليه الصهيونية بسخاء وللدلالة على سخاء اسرائيل اعلاميا عودة الى حرب رمضان عام ١٩٧٣ وقد كنت في حينه بمدينة ميلانو الايطالية ففي الأيام التالية لحرب رمضان امتلأت جدران ميلانو بصور (موشي دايان) وزير دفاع اسرائيل في حينه وهو يتناول مشروباً معيناً من المشروبات الروحية صحيح أنها دعاية تجارية ولكن لها دلالتها في تلك الظروف وفي المساء عندما كنا نسرع الى أجهزة التلفزيون في الفندق نتسقط أخبار جبهاتنا وبلادنا العربية ومع الأسف كنا لا نسمع شيئاً عن الجانب العربي اعلاميا مطلقا بينما كانت كل نشرة أخبار تلفزيونية تحوي شريطاً سينمائياً عن المعارك من الجانب الاسرائيلي وفي النهاية كانت تظهر علامة التلفزيون الاسرائيلي مما يدل على أن التلفزيون الاسرائيلي كان يصدر الأفلام عن المعارك من جانبه ويرسلها واعتقد أنه كان يرسلها (مجانا) وهنا بيت القصيد كما سمعت من القادمين من المانيا في حينه أنهم أيضا كانوا يتمنون أن يسمعوا أو يروا أي شيء عن المعارك التي خاضها الجيشان السوري والمصري في حينه ضد اسرائيل ولكن مع الأسف كانت اسرائيل السباقة دائما في هذا المجال بحيث جرى تعبئة الرأي العام في أوربا بأن الدول العربية

هاجمت اسرائيل ذلك الحمل الوديع المسالم وأنها تريد محوها من خارطة الوجود وأنها أي اسرائيل قامت لترد العدوان عنها مما دعى الى وقوف دول اوربا وخاصة دول السوق الأوروبية معها بالاضافة الى الولايات المتحدة صانعة اسرائيل وحاميتها بجسرها الجوي حيئذ حتى قام الاسرائيليون باخفاء الأعلام البيضاء التي هيأوها لرفعها على منازلهم بعد اختراق جيش مصر لقناة السويس واختراق ابطال سوريا الخطوط الأمامية وبالتالي التحصينات الاسرائيلية المماثلة لتحصينات خط بارليف الذي حطمه الجيش المصري البطل جيش الفريق الشاذلي قبل كامب ديفيد.

٧ ـ اذا سأل سائل أو قال قائل بأن أغلب ميزانيات الدول العربية تذهب للدفاع بمعنى شراء الأسلحة والذخائر لمجابهة اسرائيل فإننا نقدم لهم مصدراً مالياً ثابتاً استعمل لدى قيام جبهة التحرير الوطني الجزائرية بالثورة ضد فرنسا في أغلب الدول العربية وهذا المصدر هو تولي الجامعة العربية الطلب الى جميع الدول العربية وملايينها والطلب من الدول الاسلامية الصديقة التي تؤيد القضية الفلسطينية وملايينها أيضا باصدار (طابع بريد) بقيمة (٥ قروش أو ٥ فلوس أو ما يعادلها من سائر العملات) يوضع على كل رسالة يرسلها أي مواطن عربي أو مسلم بحيث يعود ريع هذه الطوابع وعن طريق الجامعة العربية ايضا الى دعم الاعلام العربي الموحد ضد اسرائيل كما شرحنا وأنا واثق من أن السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية لو تبنى هذا الاقتراح وطلب من الدول المعنية العمل به لدرّ هذا الاقتراح الملايين التي تكفي للاعلام ولدعم الثورة الفلسطينية كما كانت تدعم الثورة الجزائرية من جميع الدول العربية والصديقة حتى قيض الله لها النصر على الاستعمار الفرنسي والحصول على الاستقلال الوطني عام ١٩٦٢ وان غدا لناظره لقريب.

استمرار الحرب الاعلامية بين العرب والصهيونية:

عقب الحرب بين اليهود والعرب عام ١٩٤٨ وما تلاها من اعلان (الهدنة) وبدء تغلغل الجواسيس في البلاد العربية للاطلاع على أحوالها واستعداداتها ضد اسرائيل حيث رفع في حينه شعار (كل مواطن خفير) وذلك لاعتبار الجميع رجال أمن ومخابرات ومباحث ومواطنين يشتركون في مهمة واحدة هي خفارة الوطن من

الجواسيس بينما أطلق الاسرائيليون بالمقابل شعار مماثل (كل مواطن اسرائيلي بوليس ومخابرات) ولكن مع الاسف فإن الدول العربية سرعان ما نسيت هذا الشعار القومي الأمني الهام كما نسيت غيره من الشعارات التي ترفع في أول الامر براقة ساطعة ولا تلبث عند التطبيق أن تذوب وتذوي وتنسى في حين يزداد العدو الاسرائيلي تمسكا بشعاره بل ويزداد تطبيقا له وتشبثاته ولعل من أهم أسباب هذا التفاوت بين الشعار والتطبيق في دنيا العرب يرجع الى عوامل تتعلق بالحكم والنظام وما يصاحبها من رجات وهزات تصرفهما عن الاهتمام الجدي والقومي بشؤون العدو وعيونه وأعوانه للالتفات الى الشؤون الداخلية أو الحفاظ على أمن النظام ووجوده بالحكم أكثر من الاهتمام بالأمن القومي نفسه من جهة أخرى.

وحكاية التجسس لدى الصهاينة تتعلق بتاريخهم المبني والمؤسس على التجسس وعلى مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ففي سبيل مصالحهم الشوفينية والعنصرية لا يتورعون عن ارتكاب كافة الموبقات في تحليل كل محرم ومكروه فهم عندما يتطلعون الى الوصايا العشر التي تقول مثلا لا تقتل ولا تسرق.. فإنهم يفسرونها بأن لا يقتل اليهودي يهودياً ولا يسرقه ولا يشتهي ما لديه ويبيحون ذلك مع الغير ونفس التفسير يفسرونه في السرقة والكذب والزنى الى آخر لائحة الجرائم التي تحرمها كل الشرائع السماوية والدنيوية.

أما التجسس بحد ذاته فقد وضع الصهاينة أنفسهم كباراً وصغاراً في خدمة كل حاكم لهم مصلحة لديه يتجسسون لحسابه ولو كان في ذلك أذى لبعضهم فالمهنة القذرة في النهاية تعود على صاحبها بحكم الممارسة وموت الضمير.

لقد عرضوا خدماتهم على نابليون وعلى النازية في المانيا والفاشية في ايطاليا كما قدموها للانكليز والفرنسيين ولأميركا بصورة خاصة حتى الآن. ذلك أن التجسس أصبح مع الزمن طبيعة في نفس كل صهيوني لا يستطيع منها فكاكاً وكان هرتزل أبو الصهيونية المثال البارز في تقديم (تجارة الخدمات) وعرض الخبرات التجسسية لكل من يشتري.

أما الأساليب القذرة التي يلجأون اليها فتكاد لا تخطر على بال الانسان الحضاري مهما تكن الغاية والهدف.. انهم يستبيحون كل شيء في سبيل الوصول الى غايتهم الأخطبوطية في التحكم بالعالم أو في خدمة الآخرين افساداً لكل دين ومجتمع وخلق وما يعيشه المجتمع الأميركي اليوم خاصة في أوساط شبابه لأكبر دليل على مدى تغلغل (المعول الصهيوني) في هدم القيم الاخلاقية في اكبر دولة

غريبة لأنه اذا عدنا الى ما قبل مائتي سنة نجد أن الرئيس الأميركي بنيامين فرانكلين قد سجل وصيته الشهيرة عن اليهود في معهد فيلادلفيا وهذه الوصية أوردناها في الصفحة (٤٥٧) من الجزء الأول لكتاب المخابرات والعالم باللغتين العربية والانكليزية ولا مانع الآن من اعادة النشر في هذا الجزء لكي تعم الفائدة ويعرف القراء المزيد عن الصهيونية وقد قال الرئيس الأميركي فرانكلين في خطبته التاريخية عن اليهود بالحرف الواحد:

ان الولايات المتحدة تتعرض لخطر كبير اذا هي سمحت لليهود بالمهاجرة الى أراضيها لأن اليهود طبعوا على قلب نظام البلاد التي يتواجدون فيها والسيطرة على مواردها التجارية والاقتصادية والمالية وبذلك يؤلفون حكومة ضمن حكومة واذا كان السرطان لا ينمو ويعيش الا على ظهر سرطان آخر فاليهود كذلك لا يستطيعون أن يعيشوا ويرتقوا الا على ظهور بعضهم البعض ولهذا يسعون دائماً بدهاء وحيل شيطانية الى العيش على ظهور (المسيحيين) أو سواهم من أصحاب المذاهب الاخرى.

ويتابع الرئيس الأميركي فرانكلين خطابه الشهير عن اليهود:

أحذركم أنكم اذا لم تطردوا اليهود من بلادكم نهائياً فستكون العاقبة وخيمة جداً وتنزل عليكم لعنة أبنائكم وأحفادكم فاليهود هذا شأنهم أينما حلوا وساروا والأفعى لا تتوقف عن اللدغ.. لذلك يجب أن نضع في صلب دستورنا مادة تمنع اليهود من دخول هذه البلاد...»

وبعد مضي مائتي عام على هذه الخطبة (الوصية) الخطيرة التي حفظت في متحف معهد فيلادلفيا قام اليهود بسرقتها مما استدعي اجراء تحقيق رسمي بذلك ومن حسن الحظ أن ادارة المعهد كانت تحتفظ بنسخه ثانية عن الخطبة فوضعت مكانها بعد أن أغلق عليها بالزجاج الغير قابل للكسر أما عن الخطبة ذاتها وعن وصيته الرئيس فرانكلين للشعب الأميركي فكانت النتائج حسبما تكهن الرئيس الأميركي بحدوثه من اليهود كما يلي:

١ ــ نجد أن الرجل الاميركي العظيم الصادق مع نفسه ومع مواطنيه الأميركيين هذا الرجل الذي ساهم في اقامة الولايات المتحدة على دماء عشرات الألوف من الأميركيين الذين ضحوا في سبيل الاستقلال نجده صادقاً في كل كلمة قالها في وصيته عن اليهود فأميركا اليوم بعد مائتي سنة تقريباً أصبحت أكثر مما خمّن فرانكلين أصبحت مستعمرة

للصهيونية بل ركيزة كبرى لها تمارس فيها علانية ما كان الرجل العظيم قد تنبأ به قبل قرنين من الزمن حيث يدفع الابناء والأحفاد الآن الثمن الغالي فيما يعانون اليوم من تسلط الصهيونية على الولايات المتحدة ورئيسها ومجلس نوابها والكونغرس وغالبية الشعب الأميركي تحت سيطرة الرأسمال الصهيوني وليس من دليل أبلغ من اغتيال أي رئيس للولايات المتحدة يعارض خططهم وبالتالي (فشل) أي رئيس مقبل للولايات المتحدة في الانتخابات مما لم ترض عنه وعن ترشيحه الفعاليات الصهيونية.

٢ ـ استقبلت الولايات المتحدة في شخص رئيسها فورد وفي عام الاحتفال بالذكرى المائتين لاعلان الاستقلال اسحق رابين عن الكيان الصهيوني وتم بهذه المناسبة التنسيق بينهما للتعاون بما يصلح للصهيونية وعلى حساب الشعب الأميركي المسكين والمضلل.

٣ ـ دلال اسرائيل على أميركا لاستجرار المزيد من أموال الشعب الأميركي التي يدفعها كضرائب للخزانة الأميركية ثم تحول الى أسلحة فتاكة ومدمرة ترسلها الحكومة الاميركية لاسرائيل الصهيونية بدون مقابل سوى الدلال المبطن بالتهديد وأيضا نسوق الدليل المقنع للقارىء العربي:

لقد حصلت اسرائيل بعد احتياجها لبنان عام ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ على أسلحة سوفياتية الصنع سواء من المنظمات الفدائية أو من الجيش العربي السوري وهذه الأسلحة كانت بالنسبة لأميركا لغزاً لم تحله مخابراتها بعد وبما أن المخابرات الاسرائيلية هي الدولة بالنسبة لاسرائيل والمخابرات الأميركية هي الدولة بالنسبة لأميركا فقد طالبت المخابرات الأميركية (ابنتها) المخابرات الاسرائيلية أن تتقاسم معها المعلومات عن هذه الأسلحة فماذا كان جواب المخابرات الاسرائيلية لمخابرات العم سام.. طبعاً بعض الدلال والتطنيش وحين تكرر الطلب للضرورة صارحت المخابرات الاسرائيلية المخابرات (الوالدة) في أميركا بأن هذه الاسلحة والأسرار قد كلفت اسرائيل كثيراً (متناسية المليارات التي تغدقها عليها) عند ذلك فهمت المخابرات الوالدة قصد المخابرات الابنة وطلبت من المعلم ريغان الموافقة على اعطاء اسرائيل كمية بسيطة من الصواريخ (جو ـ جو) وهي ألفا صاروخ فقط لا غير وهكذا تمت المبادلة (على عينك يا تاجر) ألفا صاروخ جو/جو من التعليق

أحدث ما يستعمله الجيش الأميركي الى اسرائيل مقابل الاطلاع على أسرار الأسلحة السوفياتية من لبنان.

واذا تابعنا الغور في مبادىء ومعتقدات اسرائيل الصهيونية نجد في الاصحاحين ٢٣ و ٢٥ من الكتاب الخامس الفصل الحادي عشر ما يلي:
(ستكون أمم كل الأرض تطأها أقدامكم ومن أجل ذلك تعملون وتسعون)
وهذا القول يبين لنا أهداف الصهيونية بصراحة ما بعدها صراحة ولذلك نجد في يومنا هذا أن المخابرات الاسرائيلية بجميع أقسامها والوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية العالمية يوجد بها مراكز أبحاث ودراسات وأرشيفات كافية عن كل صغيرة وكبيرة في الوطن العربي دولة دولة زعيماً زعيماً حزباً حزباً كاتباً كاتباً صحفياً صحفياً وهم يحصلون على معلومات عن هذا كله عبر أقنية كثيرة نذكر أهمها:

١ ــ الرصد الاذاعي المتواصل والمتكامل لكافة الاذاعات العربية ليل نهار ويكون الرصد للخبر الى التعليق الى الشعار الى الاغنية بحيث تسجل المعلومات على أشرطة حديثة وتحفظ في أرشيف الكمبيوتر لحين الحاجة الى أي مادة منها.

٢ ــ جميع المطبوعات العربية الرسمية والأهلية تصل باستمرار الى اسرائيل من الصحيفة (الجريدة) الى المجلة والكتب المنشورة (نفس هذا الكتاب لا يوجد من يقدر على منع وصوله اليهم من اي بلد عربي) وكذلك يحصلون على المطبوعات الدورية حتى الكتب المدرسية كل ذلك يجري تقييمه وتكثيفه والاستفادة منه عند الحاجة.

٣ ــ المعلومات والتقارير التي تجمعها المخابرات الصهيونية في الداخل وفي الخارج عبر العملاء والجواسيس ــ والاجتهادات الشخصية في تعقب الأشياء مهما تكن تافهة وغير ملفتة للنظر.

٤ ــ المعلومات المشتركة بالتعاون بين المخابرات الاسرائيلية والمخابرات الاجنبية العديدة على أساس تبادل المعلومات وأهم مخابرات كانت المخابرات الاسرائيلية تتبادل معها المعلومات المخابرات الأميركية التي تتعامل معها منذ انشاء اسرائيل المحتلة وحتى تاريخه بدون توقف ثم المخابرات البريطانية (الانتلجانس سرفس) حين الحاجة وقد خف التعاون بينهما بعدما تأكدت هذه المخابرات أن المخابرات الاسرائيلية

تفضل نفسها أولا بالمعلومات ومن ثم تفضل المخابرات الاميركية على أي مخابرات. كما تعاونت المخابرات الاسرائيلية مع المخابرات الفرنسية قبل الرئيس الراحل (ديغول) وأثناء حرب الجزائر ومع المخابرات الالمانية الغربية وجنوبي أفريقيا وهولندا وأخيرا مخابرات شاه ايران ابان حكمه.

٥ ــ السفارات والقنصليات الصهيونية في جميع أنحاء العالم هي أوكار للتجسس والمخابرات قبل أن تكون ممثليات دبلوماسية وتقيم هذه السفارات علاقات خاصة بالكثيرين من رجالات الحكم والأحزاب والصحف بدرجات متفاوتة بين العلاقة الحميمة العلنية وتظهر هذه العلاقات لدى استقبال السفراء والقناصل لتلك الشخصيات في المناسبات وعلاقات سرية خاصة لا تظهر للعلن لعدم احراج أصحابها ولأسباب خاصة يقدرها الطرفان.

٦ ــ استعمال مراكز السياحة في الدول الغربية خاصة كبؤر للتحرك والعمل التجسسي بالاتفاق مع بعض المرتزقة كالفنانات الاسرائيليات والأجنبيات اللواتي يدربن في معهد خاص للارتيستات في تل أبيب ثم يطلقن للعمل.

٧ ــ الدخول الى مؤسسات وهيئات غير سياسية كالجمعيات والمؤسسات الخيرية والانسانية والثقافية التي تدخلها الصهيونية وتتغلغل فيها لاخضاع خدماتها غير المشبوهة لصالح الكيان الصهيوني مباشرة وبالتالي خدمة الامبريالية بطريق غير مباشرة.

وفي جميع ما ذكرناه من الاقنية التي تستقي منها دوائر الأمن والمخابرات الاسرائيلية للمعلومات نجد أن (الشؤون العربية) تأخذ الحيز الأكبر من مجهودهم فلكل بلد عربي قسم مختص وخبراء وفي كل قسم معلومات منتظمة تنهال عليه من المصادر التي ذكرناها وذلك أولاً بأول مما يصبح (كشفا تاريخيا وجغرافيا وبشريا) ولكل شخصية عربية لديهم ملف كامل سواء كانت هذه الشخصية في الحكم أو خارجه وذلك بمدى أهمية الشخصية وقدرتها على صنع الأحداث أو المساهمة فيها بالمستقبل.

ماذا لدينا نحن العرب مقابل كل ذلك:

أولا اقتراحات كاقتراحاتي في هذا الفصل ومن الممكن أن تذهب أدراج الرياح كما ذهبت اقتراحاتي على صفحات مجلة الاسبوع العربي عام ١٩٦٦ والتي

ناديت فيها للقيام بعمل عسكري صامت وموحد ضد اسرائيل أي الهجوم الصاعق عليها من قبل جميع الدول العربية بيوم واحد وساعة صفر واحدة ومن ثم وضع العالم تحت الأمر الواقع لأن العصر الحالي لا يفهم غير (القوة) وبعدها اقترحت بعد الهجوم الصاعق على اسرائيل انهاء احتلالها للأرض الفلسطينية أن تكون الحكومة الفلسطينية مهيأة سياسيا وفي اليوم التالي للهجوم تبدأ الاعترافات بالدولة الفلسطينية من الدول العربية والصديقة ولكن مع الأسف كان اقتراحي صرخة في واد وقد فعلت اسرائيل بهجومها الغادر في ٥ حزيران ١٩٦٧ ما تمنيت أن نفعله نحن بها.

ثانياً بعد عدوان حزيران تنبهت الدول العربية بعد أن وجدت أن اسرائيل تعرف كل كبيرة وصغيرة عنها ومنها أن الطائرات الاسرائيلية كانت في حزيران تضرب الأهداف الحيوية العربية بدقة متناهية مما ألحق أفدح الأضرار بالاقتصاد والمرافق العربية لذلك بدأت معظم الدول العربية بعد هذا العدوان تعيد تنظيم الأساليب الاعلامية والتجسيسة ضد اسرائيل وتجديدها وترتيب الأمور على نحو أفضل من السابق ومع ذلك فإن الأمر يبقى مع الأسف أعجز من الوصول الى مرحلة الوقوف أمام التحدي الاسرائيلي الامبريالي المنظم المتنامي.

صحيح أنه نشأت في العالم العربي والساحة الفلسطينية أجهزة ومؤسسات عديدة للأبحاث والدراسات والمعلومات سواء على الصعيد الرسمي أو الصعيد الوطني الأهلي لكنها في تشرذمها وتبعثرها وعدم التعاون والتنسيق بينها لم تكن مجدية وناجحة على النحو المرجو منها أو المتوخى من وجودها.. واستعاضت عن استنطاق الأرقام والمعلومات بالاكتفاء بالاستقراء والاطلاع فقط استناداً لهذه المعلومات المتوفرة لدينا:

١ ــ الجامعة العربية، رغم انتقال مقرها الى تونس بعد توقيع رئيس النظام المصري أنور السادات الذي لقي مصرعة كنتيجة طبيعية لمن يقدم على ما أقدم عليه من الذهاب لاسرائيل على عينك يا تاجر والتصالح معها وتوقيع معاهدات الذل في (كمب ديفيد) متحدياً أرواح آلاف الشهداء الذين سقطوا خلال ثلاثة حروب مع اسرائيل، هذه الجامعة التي يفترض أنها رمز الدول العربية والتي يفترض أيضا أن تكون فهرساً ومرجعاً للشؤون الصهيونية والعالمية الامبريالية وغيرها ومع ذلك لا نجد في مكاتبها قسما متخصصا لهذه الشؤون وان وجد هذا القسم نراه

مندمجاً مع غيره من الاقسام الأخرى مثل (قسم فلسطين) أو (الدائرة الاوربية) أو (الدائرة الأميركية) ورغم وجود العدد الكبير من الموظفين الذين لا نقول عنهم أنهم بدون عمل ورغم الامكانيات المادية المتوفرة ورغم عدم تسديد بعض الدول العربية لالتزاماتها المالية للجامعة أولا بأول.

٢ ـ مقابل ما تقوم به السفارات الاسرائيلية ماذا تفعل السفارات العربية..؟ انها تهتم بالأمور الروتينية فالقنصليات العربية لمنح تأشيرات الدخول للبلاد العربية والسفارات تهتم بأمور لا علاقة لها بالمهمة القومية المنتدبة لأجلها فهم يكتفون بحفظ البروتوكول والاصول (الايتكيت) في اقامة الحفلات وقبول الدعوات لحفلات السفارات الأخرى باللباس الرسمي (السموكن) وغيره وتكتفي بعض السفارات بارسال (تقارير) روتينية ومنها ما هو منقول من الصحف الصادرة في ذلك البلد ومنها ما هو عن حديث عابر مع شخصية أجنبية في حفلة ساهرة دونما أي تحليل أو استنباط أو تعمق وقد علمنا أنه في بعض السفارات ينظر السفير أو الموظف الى ساعته ليعلم متى يغادر السفارة ليعود مسرعاً الى المنزل ليصطحب زوجته وأطفاله في سيارته الدبلوماسية الى أرقى مطاعم وملاهي البلد الموجود فيه ليعود في المساء الى منزله ويراجع روزنامته لمعرفة جدول الحفلات والسهرات.

٣ ـ في وزارات الخارجية أقسام عديدة عن العالم العربي واذا تطورت احدى هذه الوزارات فتوجد قسماً متواضعاً للشؤون الفلسطينية ضمن الادارة العربية لتلك الوزارة ولكن المجهول الأكبر لتلك الوزارات هو (العدو الصهيوني) حيث تبقي شؤونه التي يجب أن تسمي ضمن قسم مختص (قسم شؤون الوطن المحتل) عبارة عن متفرقات موضوعة هنا

> صحفي اسرائيلي قام بجولة صحفية في البلاد العربية
>
> ادعت صحيفة (معاريف) الاسرائيلية أن صحفياً اسرائيلياً قام بزيارة أربعة بلدان عربية في مهمة صحفية لصالحها وأضافت أن هذا الصحفي قد زار الاردن ولبنان وسوريا ومصر باسم (روبرت جيري) وبقي في هذه البلاد مدة ٢١ يوما يتجول وهو يحمل جواز سفر غير اسرائيلي وعنا لمن يهمه الأمر. (المؤلف)

وهناك من غير متابعة أو تدقيق أو ترتيب.

٤ ـ عدم التعاون الاعلامي والتجسسي بين الدول العربية فيما تحصل عليه من المعلومات مهما تكن أهميتها وفي هذا المجال نقترح في هذا الكتاب المتواضع أن توقع بين الدول العربية معاهدة لتبادل المعلومات المتعلقة بالنشاط التجسسي للصهيونية وغيرها من الدول المعادية تشبه هذه المعاهدة (الأنتربول) أو الشرطة الجنائية العربية (وهذا الطلب نكرره للحاجة اليه).

٥ ـ عدم التعاون بين الدول العربية والجامعة العربية كمركز تجمع رئيسي يفترض فيه أن يكون (البحيرة) التي تصب فيها كل الاقنية العربية ونأسف لكشف (سر) محزن وهو أن بعض الدول العربية حققت مع أشخاص فلسطينيين بل وحاكمتهم بتهمة (التسلل) الى أراضيهم الواقعة تحت قبضة العدو الصهيوني ووضعت نتيجة لذلك قوائم وملفات بينما تخلو ملفات هذه الدول من أسماء العملاء أو المعلومات عن مخابرات العدو الصهيوني ونشاطاته وفي أضعف الأحوال تخلو أرشيفات بعض الدول العربية من المعلومات الضرورية عن الكيان الصهيوني وزعمائه.

٦ ـ المخابرات العربية وأغلبها منصرف مع الأسف للاهتمام بالأمن الداخلي ومراقبة نشاط المعارضة في البعض الآخر بينما أمنها الخارجي يتعرض لعدو شرس يريد القضاء عليها جملة وتفصيلا أي حكومة ومعارضة لا فرق عنده فهدفه القضاء على الناس والأرض والمصير وكثيراً ما تكتشف هذه المخابرات شبكات التجسس الصهيونية والامبريالية هنا وهناك ولكن المخابرات الاسرائيلية ترسل غيرها ما لم يكون غيرها موجود فعلا يتابع عمله التجسسي.

٧ ـ قوائم المشبوهين والمطلوبين الموزعة على رجال الأمن على الحدود والثغور والمرافيء تظل بدون تعديل أو اعادة نظر في أغلب الدول العربية حتى ولو مات المطلوب فيبقي اسمه في اللائحة أو حقق معه وأخلي سبيله لعدم ثبوت شيء ضده ومع ذلك يبقى اسمه في اللائحة وعندما يحاول السفر مرة ثانية من حدود غير التي سافر منها بالمرة الاولى يلقى القبض عليه مجددا او يسجن في نظارة عتيقة ويعاد ثاني يوم أو ثالث يوم اذا كان اليوم الثاني يوم جمعة فيتضح أنه (خالص)

فيخلي سبيله حتى بدون اعتذار ومعنى هذه الأخطاء تقصير في الجهاز الاداري لأن من المفروض بعد انتهاء التحقيق مع كل مشبوه أو بريء واخلاء سبيله يجب على المسؤول ارسال (برقية) يتبعها كتاب رسمي لشطب اسمه من لوائح الحدود (جميعها برا وبحرا وجوا) وثمة أخطاء ثانية تحجز حرية المواطنين بسببها على الحدود وهي تشابه الأسماء وأنا شخصياً تعرضت للتوقيف في مطار احدى الدول العربية واحالتي للتحقيق لأن اسمي يشابه اسم أحد المطلوبين للمخابرات بذلك البلد ولم يقتنع الضابط المحقق الذي ليس لديه لا صورة ولا اسم أب وأم ولا حتى بصمات أو مواليد أو قيد للمطلوب تثبت أنني لست المطلوب رغم تأكيدي له أني كنت في دولة الكويت أثناء ارتكاب (سميّ) مخالفته ولم يخل سبيلي الا بعد أن أضربت عن الطعام لمدة تسعة أيام أشرفت خلالها على الموت لولا تدارك المسؤولين على أعلى المستويات في ذلك البلد واخلاء سبيلي وادخالي للمستشفى. وصديق آخر يشبه اسمه اسم أحد المطلوبين لجرائم ارتكبها ضد أمن الدولة وكلما حاول هذا الصديق السفر يلقي القبض عليه على الحدود ويوضع في زنزانة ضيقة ومخجلة إنسانيا ويعاد مكبل اليدين الى المركز ليخلي سبيله ويزود بكتاب (انهاء منع السفر لأنه غير المقصود) ومع ذلك ورغم حمله الكتاب ألقي القبض عليه مرة أخيرة وأعيد من الحدود ولا يعرف متى يسمح له بالسفر.

٨ ـــ رجال الأمن والمخابرات ـــ سبق أن نوهّنا في الجزء الأول من هذا الكتاب بأن على الدولة (أي دولة) أن تحافظ على منتسبي المخابرات الاختصاصيين ولا تنقلهم عند أول خطأ الى وزارات الزراعة والتموين لكي لا تضيع على الدولة خبرتهم التي اكتسبوها وأن يوضع هؤلاء في الأماكن المناسبة لكل منهم حسب اختصاصه وأن يتبعوا دورات خاصة تدعي دورات (التأهيل والتثقيف) يتعلمون بها التعامل مع المواطنين والتصرف في المواقف التي يتعرضون لها والتخفيف قدر الامكان من التظاهر باظهار المسدسات للجمهور (ارهابا) والركوب في وسائط النقل بكلمة (مصلحة) أو (أبونية) أو (باص) أو (أمن) أو (روح من هون) فكيف تريد المخابرات من عميل أو متورط أو متهور أن يتكلم

عما يرتكبه من أخطاء لصديقه في وسائط النقل(١) بعد أن يرى أن الشخص الراكب أمامه (لم يدفع أو لم يقطع البطاقة الخاصة بالركوب لأنه رجل أمن) كل ذلك لقاء توفير بضعة قروش كان عليه أن يدفعها.. أنها منتهى السذاجة والطفولة والتخلف والصعلكة وحب الظهور ومن التدريب يجب أن يكون رجال الأمن (فوق المادة) أي أنه يجب أن يتقاضى رجل الأمن ضعف الراتب المخصص له ليكون عفيفا لا ينظر الى رشوة أو هدية مبطنة بطلب غض النظر عن مخالفة ما وأن ينصرف كلياً الى ما يكلف به ولا يستغل صفته كرجل مخابرات ويتداخل في أعمال ثانية بينما يهمل وظيفته الأصلية وقد شاهدت رجل مخابرات مهمته التفتيش عن الاسلحة والمتفجرات ووسائل التجسس هذا الرجل قام بعمل رجل الجمرك وأخذ يتصرف كموظف الجمرك بالضبط بينما رجل الجمرك وقف جانبا لا يستطيع الكلام أو الاحتجاج سوى في قلبه.؟ وهذا أقوى الاحتجاجات لأنه يشكل النقمة والقهر من رجل المخابرات المستغل لوظيفته لا سيما وان رجل المخابرات هذا تمادى في عمله وترك عمله الأصلي حتى وصلت به الأمور أن يجبر المواطنين على اعادة هذه الحوائج:

آ ـ خبز (٢) كيلو لكل مواطن ضمن ربطه وقد جرى العرف على أن يحضر كل مواطن معه هذا الخبز لأن أزمة الوقوف على الأفران ما زالت مع الفرق بنوعية الخبز وحرية المواطن بشراء خبزه على الأقل.

ب ـ بعض الليمون (٥) كيلو مع كل مواطن ومن المعلوم أن الليمون ضروري لكل عائلة ولا يتوفر بشكل دائم مما يستدعي أن يجلب المواطن العائد الى بلده الليمون المتوفر مع الأسف في أي وقت في البلد القادم منه.

ج ـ البسكويت للأولاد الرضع ومن العرف ايضا أن كل مواطن يحضر معه

(١) علمنا أن اكثر القضايا التي اكتشفتها المخابرات الاسرائيلية في الوطن المحتل كان قد مضى على حدوثها عام ولكن (مخبري) المخابرات المنتشرين في كل مكان يتسقطون الاخبار من المقاهي العربية وسيارات الاوتوبيس عندما يبدأ اثنان او اكثر في سرد بطولاتهم غير ملتفتين الى ان بين الركاب من يكون (مخبراً) او عنصر مخابرات متنصتاً...

علبة بسكويت لأن بسكويت بلده أقل جودة حتى الآن مع الأسف ومن المفروض لرجل المخابرات العربي الذي نعنيه أن يتشبه برجل المخابرات التركي الذي يتغاضى عن الحوائج لأن قيمتها لا تتعدى مبلغا معينا وهو خمسة آلاف ليرة تركية أي يسمح لكل مواطن عائد الى تركيا بأن يكون معه بضائع بقيمة خمسة آلاف ليرة تركية وما فوق ذلك (يدفع عليه الرسوم المقررة) أي ما يعادل خمسة عشر دينار عربي أو ١٥٠ ليرة عربية يسمح بما قيمته هذا المبلغ وما فوق ذلك برسم ولكن لا يترك موظف الجمرك التركي أي حاجة مغلقة يمكن أن يستغل وضعها ويوضع داخلها أي شيء ممنوع الا ويفتحها ويفتش داخلها حتى علبة البسكويت يسمح بفتحها فقط لا إعادتها أو مصادرتها.

ونحن اذ نذكر ذلك في هذا الكتاب مع غيره من الاقتراحات المفيدة للمصلحة العامة تحدونا رغبة ملحة في أن نضع بصراحة أيدينا على مواضع الخطأ فينا فنغلق الثغرات ونصلح ما فسد لا سيما وجميع الملوك والرؤساء العرب والحمد لله يؤكدون عدم رضاهم عن الأخطاء ولا يرضون السكوت عنها وهنا يأتي واجبنا أن نتعرض لبعض الأخطاء المتعلقة بموضوع هذه الموسوعة عن المخابرات ولن نستطيع الاصلاح الا بعد تقويم الا عوجاج وتقييم الأمور تقييماً علمياً صحيحاً ولا نخجل في أن نطرح هذه النواقص علانية لأن هذه الأخطاء والنواقص غير موجودة لدى الأعداء منذ سنين وحربنا معهم مستمرة وطويلة ومصيرية ولا يربح المعركة الا القوي الواثق من قدرته على النجاح ومن النواقص التي ما زلنا نعاني منها مع الاسف فقدان التعاون والمشاركة في مكافحة التجسس فالحالة فردية اي ان كل جهاز عربي يريد ان الواحد سواء كان مسؤولا كبيرا أو صغيرا لا يهمه بالتالي سوى أن يجير ذلك الكسب لنفسه أي أن يدور الأمر كله في دائرة الذات والانا.. في حين لو وجد التعاون بين مختلف الأجهزة المختصة بالبلد الواحد من جهة ومع البلاد الأخرى لكانت النتائج أحسن وأنجح كما نجد أن التجرد الكامل غير موجود والتجرد هو أن يخرج المسؤول عن نطاق العشائرية والاقليمية والحزبية بل والعواطف الشخصية وقد طالبنا مرارا بأن يعتبر كل ضابط أو صف ضابط أو جندي أو موظف مدني أو مستخدم يوم دخوله الى سلك المخابرات وكأنه ولد من جديد عليه أن ينسى حزازاته الشخصية وعلاقات الصداقة القديمة كما أن على قيادات المخابرات

(حسن اختيار الأشخاص) بحيث يتمتع المنتسب الجديد بالكفاءة ولا يحمل جميلا لأحد، ولا يرهب أحدا، ولا تغريه الأمور المسلكية كالرغبة في الترفيع بالواسطة وعليه أن يخضع نفسه لرقابة عليا غير ظاهرة ولا منظورة وأن تستمر قيادة المخابرات في تحري أحوال منتسبيها بتشجيعهم على عرض ما يطرأ عليهم من حاجتهم لمساعدات مالية بمناسبات عديدة لأنه من الممكن للموظف أن يتداعى ويسقط بسبب سوء حالته المادية لأن كل من يرتبك عائلياً أو مالياً يكون فريسة سهلة للسقوط.

هذا على صعيد المخابرات أما على الصعيد السياسي فاننا نرى أو نسمع عن الوزير الفلاني أو العقيد فلان أو وكيل الوزارة (الأمين العام) يتحدثون في المطاعم الراقية أو في الجلسات العائلية عن أمور سياسية هامة وفي أضعف الحالات يتحدثون ليبرزوا بأنهم مطلعون على الأمور الهامة في الدولة (بمعنى أنهم فاهمين الطبخة) فيأخذون في سرد المقررات السرية أو على الاقل قبل وقوعها أو أوانها وهم لا يعلمون عن الحاضرين شيئاً ولا يتقيدون بالقول الشائع (الحيطان لها آذان) والمعنى يعرفه القارىء وفي معرض التعرض للأخطاء يحق لنا الوقوف عند (بند السياحة) والمقارنة بين السياحة الى اسرائيل والسياحة الى البلاد العربية فالكيان الصهيوني بلد سياحي لما يحوي من المقدسات يأتيه السياح من سائر اقطار العالم لكن بمجرد أن يصل أي سائح أو سائحة أو كليهما معاً الى اسرائيل تبدأ المخابرات وجميع أجهزة الأمن بمراقبتهم مراقبة ذكية وغير ملحوظة فالسائق الذي ينقلهم من المطار الى الفندق (مخبر) وموظفو الفندق كذلك وكرسونات المطاعم أيضاً بينهم مخبرون وهذه المراقبة لا تكلف الدولة شيئاً يذكر كما أنها لا تضطر الى تخصيص اعداد من رجال الأمن لمراقبة السواح وملاحقتهم بشكل ظاهر قد يفطن اليه السواح فيأخذون الحذر والحيطة ومن الممكن اذا شعروا بهذه المراقبة أن يلغوا المهمة التي حضروا لأجلها ويظهروا بمظهر السواح فعلًا وتضيع الفرصة على المخابرات أما لدى البلاد العربية فتقضي المعلومات بوجوب تسهيل مهمة السائح الذي يحمل جواز سفر أجنبي وغالباً ما يكون هذا الجواز (مزوراً) ومع ذلك فيجد السائح منا كل ترحيب ويمنح من التسهيلات ما لم يكن يحلم بها بحجة الانفتاح وتشجيع السياحة لجلب العملة الأجنبية.

من الاخطاء لدينا أيضا (عقدة الجنس):

نحن لا ندعو للتشبه بالعدو وبأي ناحية من نواحي عيشة أو عمله بل انما نذكر عنه من قبيل العلم بالشيء أولا وثانياً لسد الثغرات التي ينفذ منها الى ضعاف النفوس لدينا فالعدو يعرف معنى الكبت الجنسي لدى الشباب العرب ومفهوم الاغراء.. أما بالنسبة لهم فالعقدة محلولة مقدماً ومنعدمة فلكل ضابط اذا لم يكن متزوجاً سكرتيرة أو أكثر كما في الدوائر والوزارات وتغطي المجندات الاسرائيليات بتوجيه من المخابرات هذه النواحي بل وترسل المجندات لضيوف اسرائيل مثل رجال الهدنة والأمم المتحدة والمكاتب الأجنبية وبذلك تضرب المخابرات الاسرائيلية عصفورين بحجر واحد ان لم يكن عصافير.

أما عندنا فتظل عقدة الجنس أو حكايته سيفاً مسلطاً على الرؤوس فلا يستطيع المقاومة الا من حفظه الله وحصنه ضد الاغراءات وكم من رؤوس سقطت واخرى انحنت وركعت أمام الاغراء من قبل حسان الجاسوسية الاسرائيلية والصهيونية وقلما خلا بلد من فضيحة من فضائح التي يحسنها العدو ويقع فريستها الكثيرون والقصص والروايات التي سمعناها كثيرة ومؤلمة كان ضحاياها من الكثرة بما لا يحصر أو يحصى وقد سمي تهافت بعض ضعاف النفوس على الاغراءات النسوية بـ (مرض الفستان) أو (مرض الجينز) مثلما يحصل في اسبانيا عندما يشاهد.. اللون الأحمر.

واذا كانت نواقصنا الاعلامية وغيرها كثيرة فان لدى العدو الاسرائيلي والامبريالي نواقص مماثلة وثغرات أكبر وما علينا سوى استغلالها من الداخل والخارج على حد سواء ويظل (المال) السلاح الأقوى في يد المخابرات العربية لشراء الذمم الكبيرة قبل الصغيرة لديهم فالطبيعة اليهودية تظل هي هي (ضعيفة) أمام المال أمام الدنانير والريالات والليرات لا تلبث أن تنهار وتنحرف أمام المال مهما تكن مناعة غسل الدماغ مؤثرة فيهم والمال العربي متوفر والحمد لله بل أنه (مجمد) في بنوك العالم ومنها بنوك يشارك فيها الصهاينة والامبرياليون وبالامكان شراء هذه البنوك من قبل العرب بالأموال المودعة داخل صناديقها وكدليل على ما نقول تلك الحملة الصحفية عام ١٩٧٤ التي انطلقت من الأبواق الصهيونية لبث الطمأنينة في نفوسهم أثر ما أعلن عن شراء بعض الأمراء (ملوك النفط) لجزيرة في المحيط الأطلسي ولشارع بكامله في قلب لندن ولقصر تاريخي في فرساي

وعقارات هامة في المانيا الغربية وبلجيكا وسويسرا وايطاليا وفرنسا عندها شعرت الصهيونية ومن ورائها الكيان الصهيوني بأن باستطاعة ملوك النفط ومليونيرية العرب شراء كل ما للصهيونية من تسلط عليه وبذلكّ يسحبون السجادة من تحت أقدامهم بما لديهم من مال وفير ولكن عملية الشراء العربية هذه وقفت عند حد معين بعد أن دخلت الصهيونية كمضارب في الشراء لأي عقار يطرح للبيع ولنتابع معا نواقص العدو:

١ ــ أما عن بقية نواقص العدو فتوجد التناقضات الداخلية في الكيان بين اليهود الشرقيين واليهود الأشكناز وهي فجوة كبرى يمكن النفاذ عبرها والتناقض الطبقي الساحق في اسرائيل بين المليونيرية وبين من لا يكفيهم خبزهم أمر يستحق الاهتمام فضلاً عن تزايد قوة فئة من الاسرائيليين لا يهمها أمر الكيان ولا يهوديته ولا صهيونيته بقدر ما يهمها أن تكون ثرية وتملك الوجاهة.

٢ ــ واذا أخذنا المرأة الاسرائيلية بعين الاعتبار بحكم مركزها وسلطتها على الازواج في الغالب تكون فريسة سهلة عندما تجد أن زوجها لا يلبي رغباتها وطلباتها والقصص في هذا المجال كثيرة ومشهورة داخل الكيان الصهيوني وبشكل ظاهر ويمكن استغلالها أيضاً.

٣ ــ الصهاينة الذين يتواجدون في أوربا في عطلة أو عمل كثيراً ما ينفذ ما بين أيديهم وكثيراً ما يقبلون في سبيل المال أية مهمة قد يكلفون بها من مستثمري الفرص من العرب.

٤ ــ (الغباء) ان الاسرائيليين ليسوا أذكياء كما يزعمون أو يدعون وهناك حقيقة مؤكدة عن غبائهم وتعنتهم ويوجد أكثر من واقعة مشهورة بهذا الخصوص ومنها:

أ ــ فضيحة لافون في الخمسينات وهي الفضيحة التي نتجت عن ارسال عملاء للمخابرات الاسرائيلية الى القاهرة والمدن المصرية للقيام بعمليات تفجير وتخريب بعد قيام ثورة يوليو واكتشاف هذه العملية والحكم على العملاء المخربين مما أدى لاستقالة لافون واحراج بن غوريون رئيس وزرائهم في حينه وتعد هذه الفضيحة من اكبر القضايا التي خسرتها المخابرات الاسرائيلية.

ب ـ قضية اغراق باخرة الأبحاث الأميركية (ليبرتي) في حرب حزيران ١٩٦٧ وذلك بالتنسيق بين المخابرات الاسرائيلية والطيران رغم معرفتهم بهويتها الأميركية ولكنهم اعتبروا وجودها في تلك المنطقة (تحد) لهم فقاموا باغراقها ومن ثم أظهروا ندمهم وقاموا بدفع التعويضات السخية عن الباخرة نفسها وعن الضحايا ولو كانت أية دولة من دول العالم أغرقت مثل هذه الباخرة لأميركا لأقامت الدنيا وأقعدتها لحد التهديد بحرب عالمية ثالثة ولكن طالما اسرائيل هي الفاعلة (معليش) وسكتت أميركا وعظمتها (على مضض)...

جـ ـ فشل المخابرات الاسرائيلية في استكشاف نوايا الثورة الفلسطينية وعملياتها ضد اسرائيل والدول التي تساعدها وكان من نتيجة ذلك اختطاف أربع طائرات أوربية مرة واحدة وحرقها في مطار الثورة قرب عمان في عام (١٩٧٠).

د ـ عملية حجز الفريق الرياضي الصهيوني في ميونيخ من قبل الفدائيين الفلسطينيين بقيادة المرحوم أبو حسن سلامة وتعنت المخابرات الاسرائيلية مما استدعى قتل احدى عشر رياضيا اسرائيليا واستشهاد بعض منفذي العملية.

هـ ـ التقريرات الخاطئة لمعركة الكرامة في غور الأردن عام ١٩٦٨ تلك المعركة التي رفعت معنويات العرب والفلسطينيين المنهارة وكسرت من حدة الغطرسة الاسرائيلية الطائشة فقد حسبوها (نزهة) لتأديب الفدائيين ولكنها انقلبت الى معركة مواجهة حتى السلاح الأبيض الذي يجيده الفدائيون مما اضطر العدو الى أن يطلب هدنة لسحب قتلاه وجرحاه بعد أن تكبد خسائر في هذه المعركة زادت عن خسائره في حرب حزيران بالضفة الغربية من الخليل الى جنين...

و ـ عجز المخابرات الاسرائيلية حيال الانتفاضة الجماهيرية الفلسطينية عام ١٩٧٤ ثم في عام ١٩٧٦ فقد ظنوا ان امتلاء السجون بالمعتقلين بذنب أو بدون ذنب وتشديد قبضة الاحتلال وابعاد الزعامات النضالية الوطنية الى الخارج والايعاز بتفجير السيارات برؤساء البلديات وقطع أرجلهم كما هدد ايتان كل هذه الأمور ظنوها تكفي الى كسر شعور

الفلسطينيين بالاحتلال والقهر لكنهم وجدوا أن حساب الحقل لم ينطبق على حساب البيدر.

ز ـــ وأخيرا الفشل الذريع العالمي في اكتشاف تحركات الجيشان العربي السوري والعربي المصري من قبل المخابرات الاسرائيلية العسكرية والمدنية قبل وأثناء حرب رمضان (اكتوبر) ١٩٧٣ مما جعل الكيان الصهيوني يدفع ثمناً ضخماً لهذا الخطأ المميت المسمى غباء استخباري ويكفي أن تصدر لجنة (أغرانات) ادانة صريحة لكل أجهزة المخابرات الاسرائيلية بالتقصير الفاضح في كشف معركة كادت أن تودي باسرائيل نهائياً.

لقد سجل الذكاء العربي سرية مطلقة في التحضير لمعركة تشرين البطولية من تمويه جيد واعداد حسن خفي حتى عن الأقمار التجسسية الأميركية التي تصور بلادنا بشكل دوري وتعطي اسرائيل نسخاً من هذه الصور ومع هذا انتصر الجيشين السوري والمصري على الجيش الاسرائيلي أولا المدعي بأنه جيش لا يقهر وثانيا كان الانتصار على المخابرات الاسرائيلية التي كانوا يزعمون أنها أقدر مخابرات بعد الأميركية وثبت للجميع أن الحرب خدعة تلك النظرية التي ظلت الصهيونية تمارسها قرابة نصف قرن وتحصل من ورائها على الانتصارات المتواصلة ومن يراجع تقرير أغرانات وما كتب من الخيبة والتقصير واستعدادهم للتسليم في أول الحرب لأصبح يقول: والفضل ما شهدت به الأعداء.

العملاء الصهاينة وغيرهم في اسرائيل:

ـ كانت المخابرات الاسرائيلية تدعي أنه مهما اكتشف العرب من جواسيس بين ظهرانيهم فانهم (اي العرب) لن يستطيعوا أن يوجدوا صهيونياً واحداً يقبل أن يكون جاسوساً لهم ضد اسرائيل ونحن ندحض قولهم هذا بعرض بعض النماذج للسقوط الصهيوني ويوجد الكثير من الحالات التي تم فيها تجنيد اسرائيليين للعمل لصالح المخابرات العربية نمسك عن ذكرها وذلك حفاظاً على الطريقة المتبعة في ذلك أولا وثانياً وجود عملاء للمخابرات العربية حتى يومنا هذا وما دامت الحياة في داخل الكيان الصهيوني يستلمون رواتبهم بالشيكلات الاسرائيلية ويرسلون ما يحصلون عليه من المعلومات للمخابرات العربية بطرق أغرب من الخيال ومهما ادعت المخابرات الاسرائيلية فان المياه تجري من تحت أقدامها شاءت أم أبت واننا

في هذا الكتاب وغيره لا نعرض سوى لنشر معلومات مكتشفة ومذاعة من وسائل اعلامهم وفيما يلي بعض هذه النماذج:

١ ــ بتاريخ ٢ كانون الأول عام ١٩٨٢ قدم الاسرائيلي اسحق بن شالوم شور من مواليد ١٩٤٢ الى المحكمة المختصة بجرائم التجسس في تل أبيب بتهمة (التجسس لحساب سوريا) وقد طلب له المدعي العام أشد العقوبات لأنه توجه في الرابع من تشرين الأول ١٩٨٢ الى تركيا حيث اتصل بالسفارة السورية في أنقرة عارضاً الادلاء بما لديه من معلومات شريطة أن يعاد الى بلاده الأصلية عدن في اليمن الجنوبي لأنه يريد اعتناق الاسلام وبناء على طلب السفارة السورية في أنقرة أرسل الى سوريا حيث قدم بيانات هامة عن الجيش الاسرائيلي وخاصة عن الوحدة التي كان يعمل بها. المدعي العام الاسرائيلي يقول/ان المتهم منح جواز سفر سوري باسم (حسن مصطفى سعيد) وكان عليه السفر الى روما للعمل بها لصالح المخابرات السورية ولكن المذكور أخطأ عندما صرح بمهمته لاسرائيلي آخر في روما بقصد جعله يتعاون معه وكانت النتيجة اعادته الى اسرائيل بما للمخابرات الاسرائيلية من نفوذ في ايطاليا والقي القبض عليه رسميا في مطار بن غوريون والمصدر نفس صحيفة معاريف الاسرائيلية عدد: ١٩٨٢/١٢/٣.

٢ ــ اكتشاف التنظيم الاسرائيلي العربي لقلب نظام الحكم:

بتاريخ ١٩٧٣/١/٢٥ بدأت المحكمة المركزية في حيفا بمحاكمة أعضاء تنظيم المقاومة العربية اليهودية وكان ملف هذه الدعوى يقع في ٣٤ صفحة كاملة وقد قدم المدعي العام الاسرائيلي القاضي اسحق جرابلي (لائحة الاتهام) ضد ستة وعشرين عضوا في التنظيم وبتاريخ ١٩٧٣/٣/١١ أحضر بعض المعتقلين الى قاعة المحكمة فأنكروا غالبية التهم الموجهة لهم فأجلت الجلسة الى ١٩٨٣/٢/٢٥ حيث أخذت المحكمة تعقد جلساتها بصورة مستمرة كل يوم أحد واثنين وأربعاء من كل أسبوع وفي تاريخ ١٩٧٣/٣/٦ صدر أول حكم من المحكمة ضد السيد أحمد محمود هواري من مواليد ١٩٣٣ فلسطيني من قرية ترشيحا في شمال فلسطين يقضي

بسجنه لمدة ثلاث سنوات وذلك (لدوره) في التنظيم الذي اقتصر على كونه قد اجتمع الى المدعو داوود تركي قائد التنظيم في الداخل حيث حاول قائد التنظيم اقناعه بالانضمام الى تنظيمه إلا أنه أي هواري رفض العرض ولم يبلغ سلطات الأمن الاسرائيلية بالموضوع.

ثم صدر قرار المحكمة بادانة المدعو: سيمون حداد بتاريخ ١٩٧/٣/٢٦ وهو (نائب) قائد التنظيم داوود تركي بخمس من التهم المنسوبة اليه في مذكرة الاتهام وجاءت الادانة بعد اعتراف محاميه بعدد من الحقائق ومن بين التهم التي وجهت الى سيمون حداد:

١ ــ الانتساب الى منظمة معادية للدولة.
٢ ــ الاتصال مع عميل أجنبي.
٣ ــ اشغال منصب رئيسي في المنظمة المعادية.
٤ ــ قبول الأموال من جهة أجنبية.

وهذه التهم في القانون الاسرائيلي للكيان الصهيوني تحكم المتهم بها من خمس الى خمسة عشر سنة والتغريم حتى حدود المائة ألف ليرة اسرائيلية (قبل صدور الشيكل الاسرائيلي) وبعد ذلك تابعت المحكمة محاكمة الباقين وقدم المدعي العام تفصيلات للائحة الاتهام التي قدمها للمحكمة بتاريخ ١٩٧٣/١/٢٥ وهي أن التنظيم كان في نهاية عام ١٩٧٠ يضم هؤلاء الأعضاء الذين كانوا يعرفون أن ((هدف)) التنظيم هو ممارسة الكفاح المسلح ضد السلطة في دولة اسرائيل ومن أهداف التنظيم أيضا الحاق الضرر وتنفيذ عمليات التخريب ضد المنشآت والقواعد التابعة لجيش الدفاع الاسرائيلي وضد منشآت حيوية أخرى وكل ذلك بقصد اضعاف والحاق الأذى والضرر بهيكل اسرائيل العسكري كخطوة أولى لخلخلة واسقاط السلطة في الدولة)) كما سبق أن ذكر المدعي العام الاسرائيلي نفسه بتاريخ ١٩٨٣/٣/٧ في بداية محاكمة المتهمين الستة الرئيسيين بأنهم يقدمون للمحاكمة ليس بسبب آرائهم وانما بسبب أعمالهم غير القانونية وقد ثبت أن هدف هؤلاء كان تنفيذ أعمال ((تخريبية)) في منشآت عسكرية ومدنية في اسرائيل في الوقت المناسب، وذلك لتثبيط المعنويات والاساءة الى قدرات الجيش الاسرائيلي وبالتالي التسبب في اسقاط النظام واقامة نظام غيره.

اعضاء التنظيم الستة:

١ ــ داوود عثمان تركي من مواليد ١٩٢٨، عربي فلسطيني، صاحب مكتبة تجارية في حيفا، مؤسس التنظيم.
٢ ــ اهود اديف، يهودي من مواليد ١٩٤٧، رقيب في الجيش الاسرائيلي خدم سابقا في سلاح المظلات.
٣ ــ دان فيريد، يهودي من مواليد ١٩٤٥، مدرس.
٤ ــ سيمون حداد، من مواليد ١٩٣٩، عربي فلسطيني مسيحي، مدرس.
٥ ــ صبحي نايف نعراني، من مواليد ١٩٤٥، عربي فلسطيني، يعمل مهندس تلفزيون.
٦ ــ انيس قعراوي، من مواليد ١٩٥٠، عربي فلسطيني، يعمل ميكانيكي.

وقد ذكر أثناء المحاكمة أن داود تركي أسس هذا التنظيم بعد اجتماع عقده في قبرص عام ١٩٦٩ مع عربي كان يقيم في حيفا سابقا هو السيد حبيب قهوجي الذي كان يتعامل في حينه مع المخابرات المصرية ولكنه أي السيد قهوجي عرف داود تركي على المخابرات السورية في قبرص وأنه عاد الى اسرائيل بعد ذلك وأسس التنظيم المذكور.

وقد طلب النائب العام لهؤلاء عقوبة السجن مدى الحياة بموجب التهم الموجهة لهم والتي تشمل نقل معلومات عسكرية هامة الى المخابرات السورية وذلك بسفر خمسة من التنظيم الى دمشق بجوازات سفر سلمت لهم من السفارة السورية في قبرص وفي دمشق تلقوا تدريبا في المخابرات السورية على استعمال الأسلحة والمتفجرات والارسال وفك الرموز والشيفرة وعادوا الى اسرائيل عن طريق قبرص بعد أن استعادوا جوازات سفرهم الاسرائيلية.

وقد أصرت المخابرات الاسرائيلية قبل وأثناء محاكمة التنظيم على تسميته (شبكة التجسس اليهودية ــ العربية) وأخذت الصحف تنقل هذه التسمية لدى نشرها تفاصيل المحاكمة وقد تكرمت صحيفة معاريف الاسرائيلية فسمت التنظيم (شبكة التجسس والتخريب اليهودية العربية) وثم إن المدعي العام الاسرائيلي لم يسميهم بالجواسيس ولا العملاء بل سماهم: أعضاء في التنظم الصهيوني اليهودي ــ العربي الذي يهدف الى الاطاحة بنظام الحكم في اسرائيل باعتماد الكفاح المسلح الذي تمارسه المقاومة الفلسطينية.

وقد صرحت (أسترززهيل ناور) عضو الكنيست الاسرائيلي من حزب حيروت أثناء المحاكمة بأنها تسير وأربعة جزوح في قلبها بعد أن علمت بأن أربعة اسرائيليين ضمن أعضاء الشبكة (وهذه شهادة بألف شهادة تدحض ادعاء المخابرات الاسرائيلية بعدم وجود أي اسرائيلي يتجسس للدول العربية أو المنظمات الفدائية).

وقد تابعت المحكمة محاكمة أعضاء التنظيم وتليت مرافعات عن المتهمين خصوصاً اليهود من بينهم حيث ثبت ثورتهم الصافية وصدقهم التام مع ذاتهم حيث جاءت هذه المرافعات فضحاً لسياسه واهداف الحركة الصهيونية وتأكيداً بأن النتيجة النهائية للصراع التاريخي بين الصهيونية والأمة العربية ستكون حتما بانتصار الحق الذي يقف الى جانب الشعب الفلسطيني.

ونذكر هنا للتاريخ بأن مرافعة المحامي الاسرائيلي باكوف هانجار كانت من أروع المرافعات التي قدمت حتى الآن في محاكم العدو وفيها ما يؤهلها لأن تعتبر دراسة مكثفة واضحة وبسيطة لمجمل (القضية الفلسطينية) والحركة الصهيونية منذ نشأتها حيث ركز المحامي باكوف على أربع نقاط هي:

١ ـ انه منذ نشأت الحركة الصهيونية السياسية اعتبرت نفسها ـ بلسان زعمائها ـ امتداداً واداة تنفيذ لسياسة الاستعمار الأوربي.

٢ ـ ان الدافع لمقاومة الحركة الصهيونية في بداية عام ١٩٤٨ لسلطة الانتداب البريطاني في فلسطين قد جاءت بعد تسلم حزب العمال للحكم في بريطانية ونتيجة لارتباط زعماء الحركة الصهيونية بحزب المحافظين.

٣ ـ ان اسرائيل ليست الا استعماراً استيطانياً لفلسطين.

٤ ـ بعد طرد الفلسطينيين من وطنهم ثم ملاحقتهم في حرب ١٩٦٧ بعدما أصبحوا لاجئين أصبح واضحاً للبعض مهمة الوقوف الى جانب الفلسطينيين ومشاركتهم في العمل الثوري ضد الاستعمار الاستيطاني الاسرائيلي.

صدور الحكم على أعضاء التنظيم:

وبعد انتهاء المرافعات رفعت القضية للتدقيق ثم أعلن أن جلسة

١٩٧٣/٣/٢٦ ستكون لاصدار الأحكام على أعضاء التنظيم وكانت مفاجأة المحكمة المركزية في حيفا أن الأحكام صدرت باسم المتهمين لانتمائهم الى (شبكة تجسس وتخريب) زعم أنها كانت تعمل لصالح سوريا بينما كانت التسمية لهؤلاء المتهمين أثناء المحاكمة كما ذكرنا بالتنظيم وكانت الأحكام على الشكل التالي:

١ ـ الحكم على داوود تركي ـ مؤسس التنظيم بالسجن لمدة ١٧ سنة (تنتهي مدة سجنه في ١٩٩٠/١/٢٥) اذا لم يفرج عنه بعفو خاص أو عام أو يجري تبادله مع الأسرى.

٢ ـ الحكم على الرقيب المظلي الاسرائيلي أهود أديف بالسجن لمدة ١٧ عاما أيضا (تنتهي مدة سجنه في ١٩٩٠/١/٢٥).

٣ ـ الحكم على المدرس الاسرائيلي دان فيريد بالسجن عشر سنوات (تنتهي في ١٩٨٣/١/٢٥) ومن المفروض أن يكون قد أفرج عنه من حينه.

٤ ـ الحكم على سيمون حداد المتهم الوحيد الذي أعلن أنه مذنب بالسجن لمدة سنتين وكفالة ثلاث سنوات أن يبقى حسن السلوك بعد انتهاء عقوبته وهو الوحيد من بين التنظيم الذي لم يذهب الى سوريا عن طريق قبرص للتدريب لدى المخابرات السورية.

٥ ـ الحكم على صبحي نايف نعراني ـ المهندس ـ بالسجن لمدة ١٥ سنة (تنتهي في ١٩٨٨/١/٢٥).

٦ ـ الحكم على أنيس قعراوي ـ الميكانيكي ـ بالسجن ١٥ سنة أيضا (تنتهي في ١٩٨٨/١/٢٥).

وهكذا أسدل الستار على هذا التنظيم ليبدأ التحقيق مع تنظيم آخر أو شبكة ثانية لسوريا أو لغيرها من البلدان العربية.

٣ ـ اعتقال المخابرات الاسرائيلية بطريق الصدفة للجاسوس الاسرائيلي أودي أديب من مواليد ١٩٤٧ والحكم عليه ١٧ سنة لتعامله مع المخابرات العربية.

٤ ـ الصهيوني (داني ساعيل) الذي انضم الى فدائيي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بمحض اختياره وقد زود ثوار الجبهة بأكياس من العتاد الحربي الصهيوني منها قنابل ورشاشات عوزي ومتفجرات متفرقة وقد

ادعت المخابرات الاسرائيلية أنه وقع في فخ الجبهة الشعبية وأجبر على التجسس باعتباره (يهودي عراقي) وأن أهله في العراق كانوا مهددين بينما الحقيقة أنه رغب في العمل العسكري ضد الكيان الصهيوني واتصل بالطبيب العربي الدكتور (هـ) وقد صرخت زوجته (مزال ساعيل) أثناء محاكمته وأمام الصحفيين قائلة أنها تطالب بمحاكمة الكيان الصهيوني وخاصة الجيش والشرطة لأنهم حرموا زوجها من الحياة بكرامة وانسانية.

٥ ــ اكتشاف مخبأ للأسلحة وجهاز ارسال قوي في قرية قلنسوة غرب طولكرم ومحتله منذ عام ١٩٤٨ وهذه الأسلحة اشتراها عربيان تمكنا من الفرار بالوقت المناسب من جنديين اسرائيليين كانا يقومان بسرقة ما تصل اليه أيديهما لقبض الثمن وصرفه في الملاهي وقد حوكم هذان الجنديان في حينه.

٦ ــ في أعقاب حرب تشرين (اكتوبر ١٩٧٣) وفي عمليات تبادل الاسرى بين مصر والكيان الصهيوني فوجيء المصريون باطلاق سراح أحد أبناء عائلة (قرمان) من حيفا كجاسوس لمصر ثبت أنه قدم للمخابرات المصرية معلومات هامة بحكم اقامته علاقات وثيقة مع الضباط الصهاينة وزوجاتهم بصفة خاصة..

٧ ــ في ربيع عام ١٩٧٥ القي القبض على الصهيوني شلومود اريان من مستعمرة بات يام الكائنة في احدى ضواحي تل أبيب بتهمة العمل لحساب المخابرات الاردنية...

٨ ــ في آذار (مارس ١٩٧٥) أصدرت المحكمة المركزية في حيفا حكمها ضد شاب اسرائيلي يدعي (يلان غرنسفجت) من مواليد ١٩٤٦ بالسجن ست سنوات بسبب اتصاله بقنصل ليبيا في سويسرا وموافقته على القيام بتفجير سيارة ملغومة في قلب تل أبيب لكنه ألقي القبض عليه قبل أن ينفذ العملية.

٩ ــ صدر في أيار (مايو ١٩٧٤) أمر بابعاد الأمريكي المتطوع دافيد البرت بوهاس من مواليد ١٩٤٤ في كولورادو وهو من الأمريكيين الذين خدعوا بالدعاية الصهيونية وحضر مع العديد من الأمريكيين للدفاع عن الكيان الصهيوني وعندما اكتشف الحقيقة قرر أن ينتقم لخداعه فتسلل

الى لبنان واتصل بمنظمة فتح وأعطاهم معلومات عن مستعمرة (مسكاف عام) ولدى عودته حقق معه واعتقل وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات ونظراً لظروف مجيئه وجنسيته الأميركية فقد منح الأسباب المخففة واكتفت المحاكمة بطرده من الكيان.

أيضا. شبكة تجسس لسوريا داخل اسرائيل:

بتاريخ ١٩٧٣/٢/١ صرح ناطق عسكري اسرائيلي في تل أبيب بأن المخابرات الاسرائيلية تحقق مع شبكة تجسس تعمل لصالح سوريا داخل الكيان الصهيوني وأن هذه الشبكة قد شكلت قبل عامين وأن سوريا هي التي ترعى هذه الشبكة وأنها الشبكة الثانية التي تكتشف خلال شهرين ويتضح أن سوريا تقف ورائها وأن أعضاء الشبكة هم من عائلة (أبو جاما) في قرية مجدل شمس الواقعة في سفوح جبل الشيخ بمرتفعات الجولان المحتلة ومضى الناطق العسكري يقول في تصريحه:

ان الشبكة اكتشفت عندما أطلقت دورية اسرائيلية النار على أحد سكان مجدل شمس وهو يحاول عبور الحدود الى سوريا فقتلته وعثرت معه على قنابل يدوية ووثائق تتضمن معلومات عن المراكز العسكرية الاسرائيلية في مرتفعات الجولان المحتلة وكمية كبيرة من الصحف الاسرائيلية اليومية والمجلات الاسبوعية وقد جرى اعتقال أفراد عائلة القتيل بعد ذلك وجرى استجوابهم في المخابرات الاسرائيلية بالطرق النازية فاعترفوا بأن المخابرات السورية قد جندتهم وطلبت منهم جمع المعلومات ونقلها الى سوريا كما اعترفوا بأنهم أرسلوا من اسرائيل رسائل بريدية ملفوفة الى الرئيس الأميركي نيكسون والى وزير الخارجية وليام روجرز ووزير الدفاع ملفين لرد وأنهم اعترفوا بأنهم أرسلوا رسائل ملغومة ضمن اسرائيل الى بعض العناوين التي أعطتها لهم المخابرات السورية وقد أدى انفجار أحدى هذه الرسائل الى جرح ثلاثة أشخاص في مبنى المفاعل الذري في ديمونا.

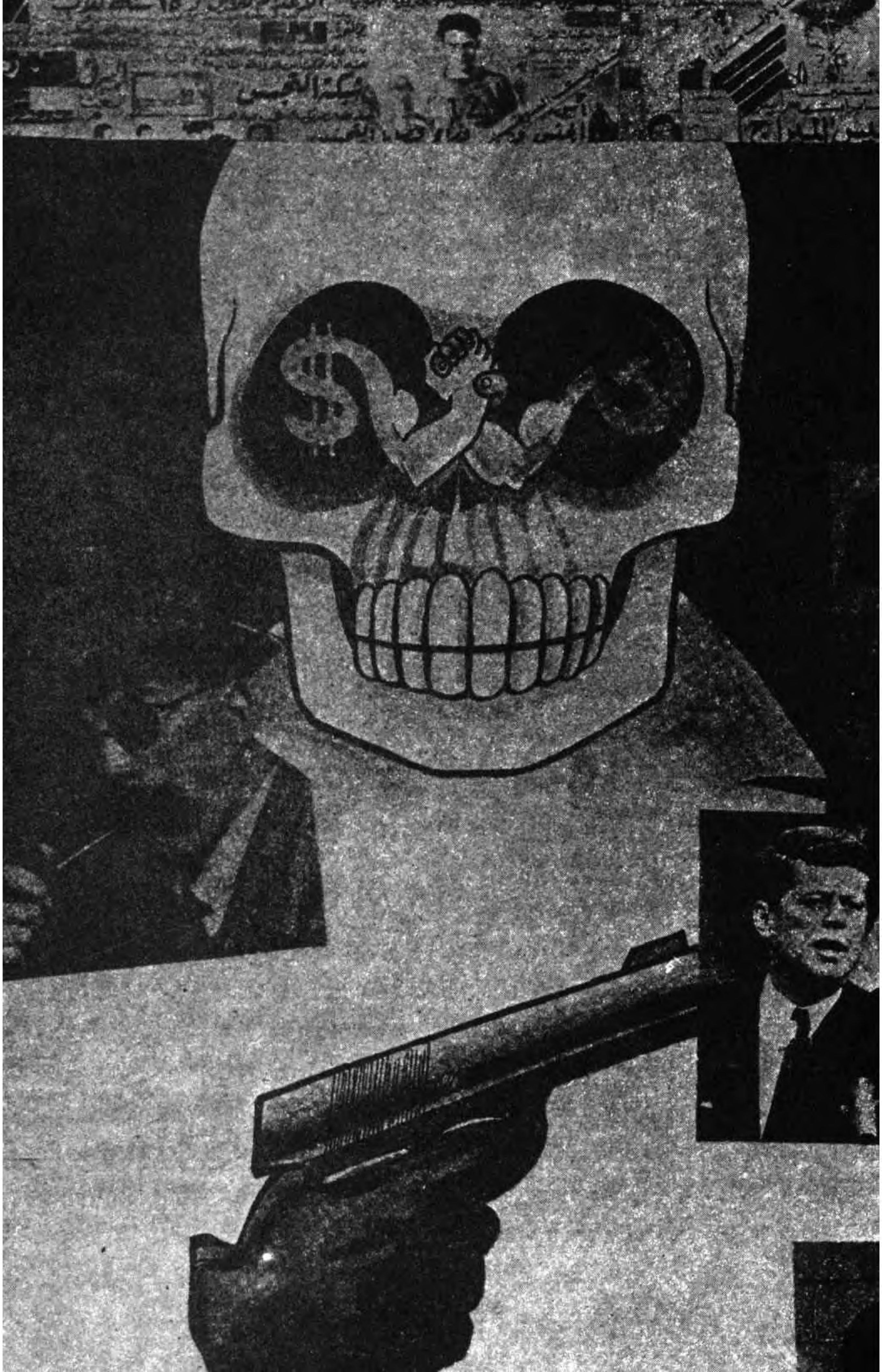
بعد هذا العرض الموجز عن تورط عملاء اسرائيليين للعمل لدى المخابرات والدول العربية ونظراً لاستمرار المخابرات الاسرائيلية ومن ورائها المخابرات الاميركية في محاولاتها النفوذ الى أسرارنا والتربص بالأمة العربية وبعد أن أخذنا دروساً صعبة دفعنا ثمنها غالياً علينا أن نستخلص النتائج والعظة فنحن لا تنقصنا

الكفاءآت ولا الدرايات والامكانيات البشرية والمادية بل على العكس قد نصبح أقدر منهم اذا عملنا بسرعة على ايجاد (دائرة مخابرات مركزية عربية) لا تتبع قطراً معيناً وتكون لديها صلاحيات واسعة وتوضع تحت تصرفها جميع الأجهزة القطرية باسم الأمن القومي العربي الشامل الكبير على أن يكون هناك تنسيق أمين وصادق بينها.

أما مهمة هذه الدائرة المركزية العليا فهي ليست في موقف الدفاع ضد مخابرات العدو وعيونه وعملائه فقط بل عليها أخذ زمام المبادرة في أن تكون هجومية تحسن الهجوم وتحسمه لصالح الأمة العربية فعصرنا الحاضر لا يفهم سوى القوة وتظل معركة المخابرات من أهم المعارك المعاصرة كما كانت على طول التاريخ.

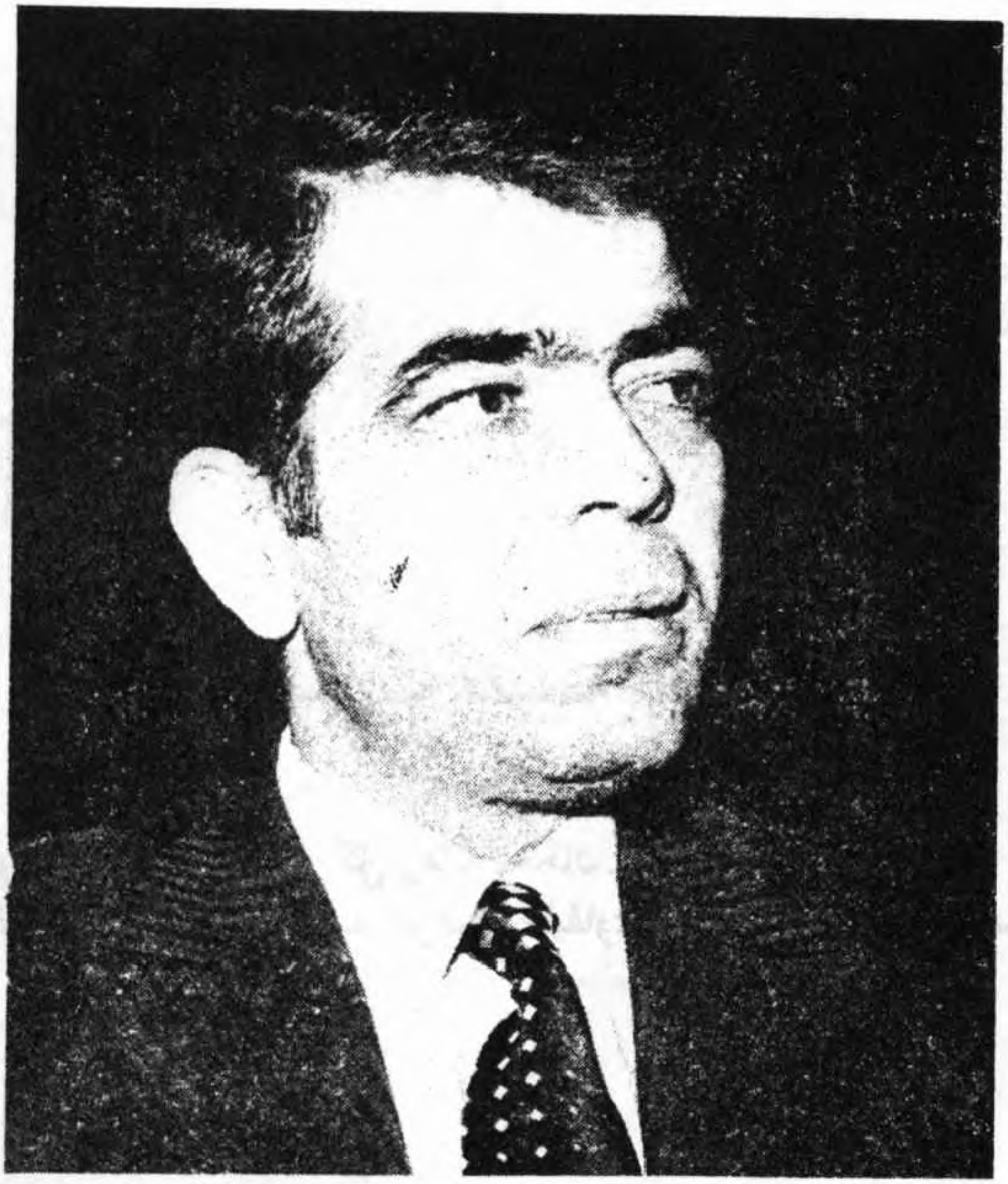
لقد آن الأوان أن نساير العصر فندخله بزخم جديد يرفع الرأس عالياً للدفاع عن الأمة العربية والزود عن كرامتها مهما تكن الوسائل ومهما تكن التضحيات ونكرر النداء من على صفحات هذا الكتاب المتواضع بتوحيد المخابرات العربية أو على الأقل تبادل المعلومات والوثائق المتعلقة بجميع المشبوهين والجواسيس لأن أغلب الجواسيس الذين يلقي القبض عليهم في بلد ما ويحكمون بالسجن ثم ينهون مدة سجنهم ويرحلون خارج هذا البلد أو يجري تبادلهم فانهم يعودون لعملهم في بلد ثان ووجه جديد لأن بقية البلاد لا تعلم عنهم شيئاً فلو جرى أو يجري تبادل المعلومات عنهم لوفرنا على المخابرات العربية الكثير الكثير ولنبق وراء العدو في كل مكان وأينما كان......

• • •



المخابـــرات مهنـــة الضميـــر

- الوشايات الكاذبة في كل زمان ومكان.
- مقابلة جريئة مع اللواء عبد الرحمن خليفاوي رئيس وزراء سوريا الأسبق.



اللواء عبد الرحمن خليفاوي ورأيه في المخابرات ...

من المتعارف عليه دولياً أن عمل المخابرات هو استقصاء المعلومات عما يخطط ضد سلامة البلد وأمنه واستقصاء المعلومات يكون اما بعمل الجواسيس والعملاء كما هو معروف ومفسر في هذا الجزء والجزء الأول واما عن طريق (المخبرين) وهم اناس تتعامل معهم المخابرات ويسموا في مصر (المرشدين) لكي يكشفوا لها بعض خفايا الأعمال التي ترتكب ضد أمن الدولة وسيادتها وهؤلاء يقومون بتقديم ما يصل اليهم من المعلومات للمخابرات بشكل تقارير يزيلونها باسم (مستعار) أو رقم رمزي يتفق عليه عند بدء التعامل معهم حيث يفتح لكل عميل ملف في مقر المخابرات توضع فيه تقاريره بعد أخذ ما فيها من معلومات واتخاذ الاجراءات المناسبة وقد اتفق على مدى السنين أن لا يقدم المخبر الى محكمة أو يدلي بشهادة وأن تبقى المعلومات التي يقدمها سرية وأن يبقى هو نفسه مجهول أي أن لا يعلن عنه أنه يتعامل مع المخابرات لأي سبب وذلك حفظاً لحياته من التهديد من قبل الذين يخبر عنهم(١) ومكان عمل المخبر غالبا هو منطقة عمل قيادة المخابرات أو مكان عمل فروع هذه المخابرات في المحافظات والأقاليم اذ يحق لكل رئيس فرع مخابرات أن يكون له مخبرين (محليين) كما أنه يحق للسفراء أو الملحقين العسكريين أن يكون لهم (مخبرين) في الدول التي يعملون بها وتكون رواتبهم من مخصصات تلك السفارات ولكن الصفة الرئيسية التي يجب أن يتمتع بها هؤلاء المخبرين هي (الضمير الحي) فلا يبلغون عن أشياء وهمية أو يكتبون وشايات كاذبة لالحاق الأذى ببعض المواطنين نتيجة عداء شخصي ويحدث في بعض بلدان العالم أن الدولة تفتح مجالاً واسعا للمواطنين ليقدموا شكاواهم عن طريق مكتب يخصص لهذا الغرض ويسمى مكتب الشكاوى أو

(١) في الستينات هاجمني بعض الشبان العقائديين وحاولوا اغتيالي حيث اضطررت للدفاع عن النفس وجرحت أثناء ذلك وتمكنت من إلقاء القبض على احدهم بمساعدة الحارس الليلي كل ذلك لأنهم اكتشفوا أني تسببت في منعهم من الانتساب للكلية العسكرية في حينه.

مكتب المظالم وغالبا ما يكون هذا المكتب ملحقاً بالقصر الملكي أو الجمهوري أو يتم انشاؤه بأوامر (عليا) ومن الماضي القريب وفي سوريا وبعد أن قام الزعيم حسني الزعيم بانقلابه المشهور وهو أول انقلاب في الدول العربية بتاريخ ٣٠ آذار (مارس) عام ١٩٤٩ أمر باحداث ديوان لسماع شكاوي المواطنين ومظالمهم سمي بديوان (المظالم) فانهالت على هذا الديوان الالوف المؤلفة من الشكاوى ولما نظر فيها أعضاء الديوان المعينون لهذه الغاية وكلهم من خيرة القضاه وموظفي الدولة وجدوا أن أكثر هذه الشكاوي لا حل لها سوى عن طريق القضاء على مختلف درجاته وبقيت الشكاوي عبارة عن دسائس ووشايات مغرضة قدمها المواطنون ضد بعضهم البعض للتشفي والأذى وليس حباً في اظهار حق أو منفعة للمصلحة العامة وحتى لو كانت هذه الوشايات صحيحة فان حلها من اختصاص المخابرات وكان اسمها في حينه (الشعبة الثانية) لذلك قدم مدير هذا الديوان اقتراحا الى القصر الجمهوري بالغائه فألغي فعلا لأن سبب انشاء الديوان أساساً أنه بعد نجاح الانقلاب وتنفس المواطنون الصعداء كثرت الظلامات والشكاوي واتهم الكثيرون من موظفي الدولة في أمانتهم ونزاهتهم مما اضطر قائد الانقلاب حسني الزعيم أن ينشيء (ديوان المظالم) وأخذت الشكاوي تنهمر عليه كالسيل بعضها على حق وأكثرها باطل وافتراء الأمر الذي ضاق به الديوان فأغلق كما شرحنا وقد ذكرني هذا الديوان بالوزير ابن الفرات أشهر وزراء الدولة العباسية في عهد الخليفة (المقتدر) فقد مرت حياة هذا الوزير بألوان من التيارات السياسية العارمة حيث كثرت الوشايات في عهد (المقتدر) وكان ابن الفرات من أشهر وزرائه ويكره السعاية والسعاة (المخبرين) لشدة ما عاني زمنه منها ولكثرة من ذهب ضحية لها فقد اتخذ القوم السعاية حرفة حتى كانت هي الأصل والجوهر في حياة كثير من الناس وما عداها من الأعمال على هامشها وهي دأبهم في النهار وسمرهم في الليل وتدبيرهم اذا خلوا الى شياطينهم فأراد ابن الفرات أن يقضي على هذه العادة السيئة وهو المسؤول عن التحقيق في السعايات (أي الاخباريات) فكانت اذا رفعت اليه سعايه (اخباريه) خرج من عنده منادي ينادي في الناس المحتشدة أمام ديوانه:

أين فلان ابن فلان (الساعي) أي المخبر فيشهر سعايته ويفضحه بأن يجمع بينه وبين من سعى به...؟ فلما عرف الناس منه ذلك كفوا عن سعايتهم.

وحين عاد ابن الفرات الى الحكم كرئيس للوزراء أي حين ألف وزارته الثانية حمل اليه صندوقان فيهما أسماء من يعاديه ومن يكيد له ومن يعمل لخصومته ومن

بجاريه ويعمل معه فقال لا تفتحوهما وأمر بنار مستعرة وطرح الصندوقين فيها فلما احترقا قال:

لو فتحتهما وقرأت ما فيهما لفسدت نيات الناس بأجمعها علينا واستشعروا بالخوف منا وبما فعلنا من احراق الصندوقين هدأت القلوب وسكنت النفوس وعاد الناس الى أعمالهم مطمئنين.

حقاً ان الوشايات المغرضة تكون أفتك بالوطن من المؤامرآت الخارجية ومرد ذلك ميوعة الأخلاق التي هي جزء من ضعف الوطنية فلو أن أي شخص علم أو سمع بما يمس أمن الوطن حقاً وأخبر بما علم وسمع بالطرق السليمة لاستحق شكر الوطن على ذلك أما المواطن الذي يرسل الاخباريات المغرضة بحق مواطنين أبرياء بقصد الحاق الأذى بهم كأن يوصم فلان بالعمالة أو بالانتساب الى الجماعات الهدامة أو يوصمه بالتجسس ثم يوقع السعاية أو الاخبارية باسم مستعارا أو اسم (مخبر صادق) هذا الواشي يستحق الكشف عنه بشتى الطرق وتقديمه للمحاكمة بتهمة الافتراء واشغال السلطات.

اللواء عبد الرحمن خليفاوي رئيس وزراء سوريا الأسبق يتكلم عن المخابرات:

السيد اللواء عبد الرحمن خليفاوي رئيس وزراء سوريا مرتين بعد الحركة التصحيحية التي قادها الرئيس حافظ الأسد له موقف خاص من المخابرات والأجهزة البوليسية وقد لمست هذا الموقف أنا شخصياً منه عندما كنت موظفاً في المخابرات وقد كلف في حينه بتصفية حوادث حماة عام ١٩٦٤ حيث كان لا يقبل أن يدان أي مواطن قبل التأكد من أنه أرتكب مخالفة ويطلب من المحققين عدم الأخذ بالتقارير الوهمية التي يرسلها بعض من لا ضمير لهم لالحاق الأذى والتشفي واستغلال المواقف وقد صرح اللواء خليفاوي نفسه لموفد مجلة الصياد اللبنانية طلال سلمان إبان تسلمه رئاسة مجلس الوزراء بأنه كان يعمل لتحقيق عدة أمور تثبيتا للحركة التصحيحية:

١ ـــ منع التسلط والغاء تحكم الأجهزة البوليسية التي كانت تتوالد كالفطر..
٢ ـــ الغاء تصنيف المواطنين والتأكيد العملي لزوال منطق تخوين الآخرين.
٣ ـــ النجاح في اقامة الجبهة الوطنية التقدمية.

٤ ــ اثبات جدية القيادة فما تقوله (تفعله) منطلقة من أن الانسان هو (الأساس) في المجتمع.

وأضاف اللواء عبد الرحمن خليفاوي رئيس الوزراء السوري: ان عمل أجهزة المخابرات والمباحث ينحصر فيما هو ضروري لأمن القطر وكلها تعمل بتوجيه من الرئيس. وقد زالت الأجهزة التي كانت قبل الحركة التصحيحية تشتغل على المواطن وفي المواطن وبقيت الأجهزة التي تشتغل للوطن...

* * *

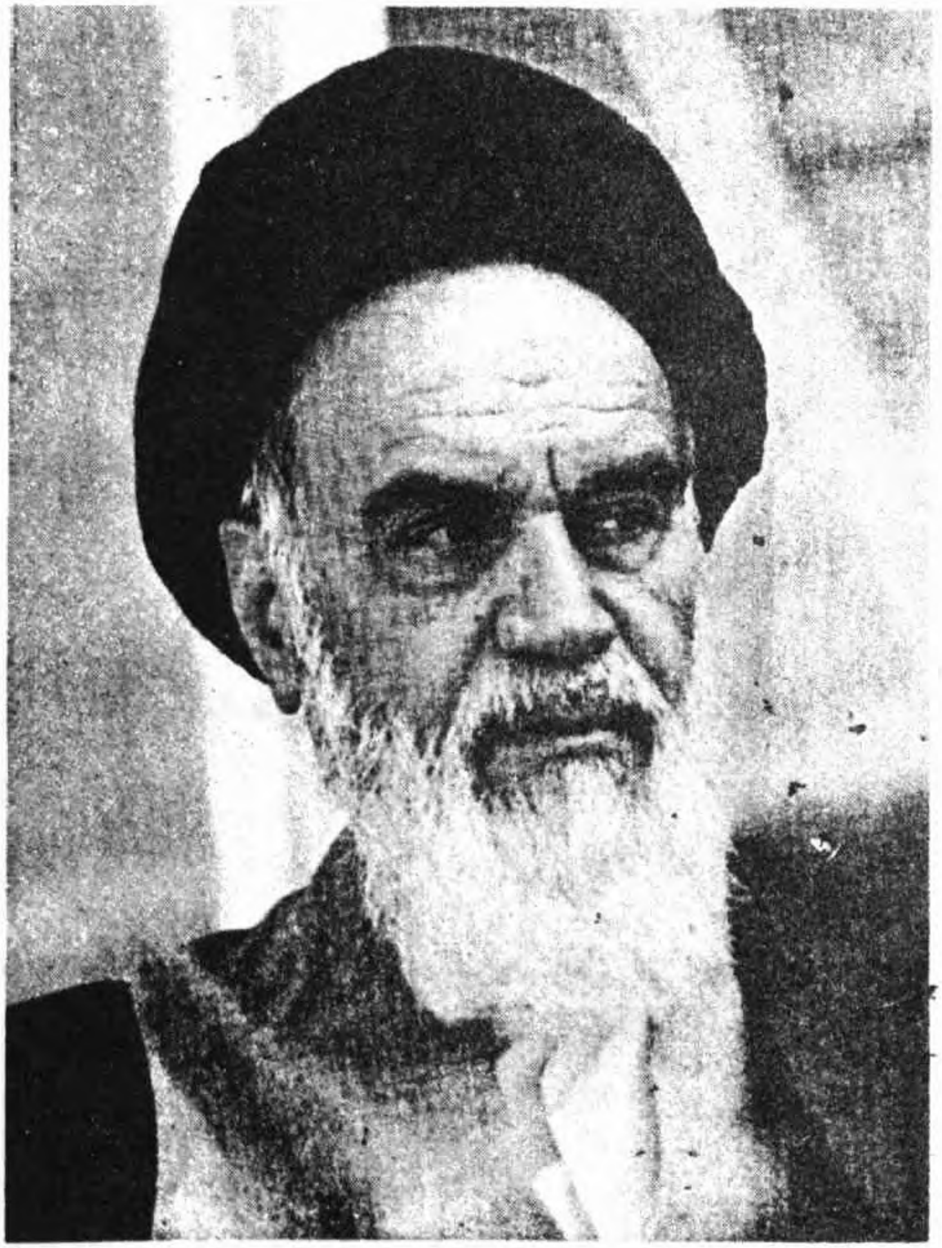


حسني الزعيم ــ ١٩٤٩ ــ انشأ ديوان للشكاوي فتحول هذا الديوان للإفتراء ...

المخابـــرات فــي العَالــــم

السافاك.............. ما هي...؟

- تأسيسها.
- كيف كانت تعمل.
- نهايتها.
- معلومات عامة عن ايران خلال تحكم السافاك في عهد الشاه.



آية الله السيد الخميني روح الله الموسوي قائد الثورة الإسلامية الإيرانية
صلى في الطائرة الجمبو التي أعادته إلى إيران صلاة الاستشهاد ...

• برز اسم السافاك بعد نجاح الثورة الاسلامية في ايران بزعامة آية الله الخميني الزعيم الديني الايراني الذي بقي منفيا في عهد شاه ايران محمد رضا بهلوي لمدة ١٤ عاما في باريس ونظراً لأن بعض القراء لا يعرفون ما هي السافاك فقد وجدنا أنه من واجبنا تقديم فصل في هذا الكتاب عنها منذ تأسيسها حتى نهايتها.

ميلاد السافاك (المخابرات الايرانية):

بتاريخ ١٥ آب أغسطس عام ١٩٥٣ هرب شاه ايران على أثر ثورة مصدق ضد شركات البترول العملاقة مطالبا بتأميم هذه الشركات وكان على رأس حكومة وطنية تدعمها الجماهير الايرانية في هذا التاريخ اختفى اثنان من جنرالات الشاه وهما الجنرال نعمة الله نصيري والجنرال زاهدي في السفارة الأميركية بطهران وأخذا ينسقان مع الجنرال شوار تزكوف للقيام بانقلاب مضاد لمصدق لاعادة الشاه الهارب وكان الجنرال شوار تزكوف من جهاز المخابرات الأميركية ويعمل في ايران من عام ١٩٤٢ الى عام ١٩٤٨ كمؤسس ومدرب لقوات بوليس الشاه وكانت عودته في عام ١٩٥٣ الى السفارة الأميركية لانقاذ الشاه صديق أميركا.

أقيمت غرفة للعمليات في مبنى السفارة الأميركية في طهران وتم الانقلاب الأميركي ضد مصدق وحكومته الوطنية بقيادة الجنرالات الثلاث وتخطيط المخابرات الأميركية وفي ذلك اليوم ولدت السافاك فقد قامت المخابرات الأميركية بوضع برنامج شامل لاعادة تنظيم جهاز المخابرات الايراني وتحديثه واعادة تجهيزه وهكذا ولدت السافاك في أحضان المخابرات الأميركية وكبرت ونمت في رعايتها واستطاعت السافاك أن تحمي الشاه الذي عاد الى طهران حتى نهايته المعروفة وكانت العلاقة بين السافاك والمخابرات الأميركية واضحة للعيان وليست بحاجة الى دليل حتى أنه بعد نشر فضائح عن المخابرات الأميركية عام ١٩٧٥ وتقرر اقالة مديرها (ريتشارد هيلمز) فوجئنا بتعيينه (سفيراً للولايات

المتحدة في طهران) هكذا بدون لف أو دوران ليتابع مهمة الاشراف على السافاك ودعمها.

وعندما ولدت السافاك كما أسلفنا عام ١٩٥٣ أثر الانقلاب ضد مصدق الذي أعاد الشاه الى عرشه كان (ألن دالاس) مديراً للمخابرات المركزية الأميركية وهو الذي عرف بصداقاته للمؤسسات الاميركية خاصة البترولية واستعداده لحمايتها وحماية مصالحها في طهران فكانت السافاك موضع اهتمامه الخاص وكان يوجه قادتها ويزودها بأحدث الأجهزة والمعدات وأكثرها تطوراً.

واذا كانت السافاك قد ولدت على يد المخابرات الأميركية فقد كانت المخابرات الاسرائيلية هي مرضعتها وحاضنتها اذا قامت بتقديم المساعدات لها فور ولادتها بتدريب ضباط السافاك وتبادل المعلومات معها بحيث تحصل المخابرات الاسرائيلية من السافاك على معلومات عن البلاد العربية وخاصة المعلومات الخاصة بالعراق وسوريا واليمن الديمقراطية.

أول رئيس للسافاك:

بعد تأسيس السافاك أصبح الجنرال (تيمور بختيار) أول رئيس لها والذي رشحه لهذا المنصب الدور القذر الذي لعبه عندما كان قائدا لقوات النظام الايرانية التي أخمدت انتفاضة آذربيجان الثورية بين عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٦ بارتكابها مجازر رهيبة ثم الدور البارز الذي لعبه بعد ذلك عندما كان قائداً لفرقة المدرعات غربيّ ايران خلال الانقلاب الأميركي الذي أعاد الشاه للسلطة عام ١٩٥٣.

كان الجنرال بختيار من قبائل بختيار وعلى علاقة وثيقة بزعماء هذه القبائل والعائلات الكبيرة فنمت سلطته وبدأ بمعارضة برنامج الشاه الاصلاحي بعد عودته للسلطة فخلعه الشاه ورغم ذلك استمر في معارضة فنفي اختيارياً الى أوربا حيث قامت السافاك باغتياله بعد ذلك بأمر من الشاه نفسه.

أقسام السافاك:

تتألف المخابرات الايرانية (السافاك) من ثلاثة أقسام رئيسية وهي:

١ ــ رئاسة السافاك والمكاتب الرئيسية في طهران.

٢ ــ سجن السافاك في بناء منفصل عن الرئاسة.
٣ ــ فروع السافاك في الاقاليم الايرانية.
أما المكاتب فهي تضم:

المكتب الأول: ويرأسه ضابط برتبة عقيد وهو مسؤول عن التخطيط والادارة والاشراف على جميع عمليات السافاك وله عشرة أقسام بينها مكتب العلاقات مع الولايات المتحدة وبريطانيا ودائرة التدريب (مدرسة المخابرات الايرانية).

المكتب الثاني: ويرأسه ضابط برتبة عقيد أيضا وبه خمس دوائر هي:
أ ــ دائرة اطلاع الخارج (الفرع الخارجي).
بـ ــ دائرة الشيوعية الدولية (مكافحة الشيوعية).
جـ ــ دائرة افغانستان.
د ــ دائرة العراق.
هـ ــ دائرة اليمن الديمقراطية.

المكتب الثالث: ويضم أهم المراكز في السافاك وهو يضم ستة مكاتب وأمانة عامة منها مثلا المكتب الأول يضم دائرة حزب تودة الشيوعي الايراني ودائرة الجبهة الوطنية ودائرة الطلبة الايرانيين في الخارج أما الأمانة العامة فهي مسؤولة عن تمويل العمليات السرية.

المكتب الرابع: وهو مسؤول عن جميع المعلومات وحماية عملاء السافاك.

المكتب الخامس: وهو المكتب الفني ويضم المطابع والاستوديوهات الخاصة لأعمال السافاك.

المكتب السادس: وهو مكتب الادارة العامة.

المكتب السابع: مسؤول عن تنظيم وحفظ المعلومات الواردة وهو يشرف على قسم الأحلاف ــ حلف السنتو ــ وحلف الأمن الثلاثي:
(ايران ــ تركيا ــ اسرائيل) وحلف الثنائي (ايران ــ باكستان) ومثله حلف (ايران تركيا).
ب ــ قسم تبادل المعلومات مع مخابرات كل من اسرائيل

وأميركا وبريطانيا والمانيا الغربية وفرنسا وايطاليا ولكل دولة من هذه الدول ضابط اتصال في سفارتها بطهران.

المكتب الثامن: متخصص لمكافحة الجاسوسية ومراقبة السفارات الايرانية في الخارج.

هكذا كان الجسم الأخطبوطي الرهيب للسافاك التي قامت بحماية الشاه ونظامه أكثر من (ربع قرن) وهناك نقطة هامة يجب ادراكها وهي أن هناك كثيراً من الأنظمة الديكتاتورية التي اعتمدت على مثل جهاز السافاك غير أن السافاك فاقتها جميعاً واستطاع الشاه أن يظل هذه السنين بعد مصدق رغم موجات الاستياء والتذمر والفساد حتى أصبح اسم السافاك بشعاً وسيء السمعة ليس في ايران وحدها بل في العالم أجمع وفي كل مكان كانت تطأه أقدام الوطنيين الايرانيين المعارضين للشاه في قارات العالم الخمس لأنها باسم حماية الشاه قتلت الالاف وشوهت وشردت الالآف غيرهم واشترت وافسدت الالآف واقامت دولة مستقلة داخل الدولة الايرانية لحماية النظام الشاهنشاهي وحماية الشاه وسلطته الأوتوقراطية.

ان كبار الجواسيس وعملاء المخابرات في الغرب كانوا ينظرون باعجاب غير مألوف الى السافاك نظراً لقدرتها الفائقة على جمع المعلومات في الشرق الأوسط بالذات وعلى وجه الخصوص في الخليج ومصر ولبنان.

وبطبيعة الحال لم يقتصر نشاط السافاك على هذه البلاد بل امتد الى بقية القارات وخاصة في أوربا والولايات المتحدة الأميركية أما في داخل ايران فقد استطاعت أن تبسط نفوذها على جميع الأراضي الايرانية وتسيطر على السلطتين القضائية والتنفيذية ولا تقتصر رقابتها الارهابية على المواطنين العاديين فحسب بل شملت أيضا الوزراء وأعضاء المجلس النيابي لان اسمها كان يبعث على الرعب كاسم (الغستابو ــ المخابرات الالمانية) أيام هتلر.

الرئيس الثاني للسافاك:

بعد طرد الجنرال بختيار من رئاسة السافاك من قبل الشاه ومن ثم الايعاز بتصفيته في أوربا وهو يتزلج على الثلج جرى تعيين الجنرال باكروان رئيساً للسافاك وهو الذي تلقى تدريباً على قيادة الحروب النفسية في ادارة المخابرات الأميركية وقد حاول تطبيق ما تعلمه على الشعب الايراني فاختلف مع ضباط السافاك القدماء لأنهم وجدوا أن أساليبه لا تنفع في حماية الشاه ونظامه وكان الجنرال نعمة الله

نصيري يقود هذه المعارضة ضد باكروان فجرى الاستغناء عن خدماته في رئاسة السافاك وعين سفيراً لايران في باريس كما عين الجنرال نعمة الله نصيري رئيساً (ثالثاً) للسافاك وكان الجنرال نصيري من المقربين للشاه وقد لعب دوراً بارزاً مع المخابرات الاميركية في اعادته للعرش كما ارتبط اسمه بممارسة الأساليب الوحشية ومنها التعذيب الجسدي المروع (الذي منعته أغلب دول العالم الراقية) حتى أصبح اسمه (المكروه الأول في ايران) ووصف بالسادي والمفسد وأصبحت أرصدته بالملايين في البنوك الأجنبية وقد قدر عدد العاملين في السافاك في عهده بأربعين ألف يعملون بصورة دائمة مع أجهزته المختلفة إلا أن هذا العدد رغم ضخامتهلا يشكل سوى العمود الفقري لجهاز السافاك اذ قدر بعض خبراء المخابرات الغربيين بأن عدد معاوني السافاك لا يقل عن ثلاثة ملايين موزعون في المدارس والجامعات وسيارات الاجرة (التكسي) والفنادق والمؤسسات والشركات والسفارات الايرانية والدوائر الرسمية وحتى بين الأطباء بل وحتى في المطاعم المتواضعة التي يرتادها الطلبة الايرانيون بالخارج.

وكانت سجون السافاك ممتلئة حيث قررت منظمة العفو الدولية عام ١٩٧٦ عدد المسجونيين السياسيين في ايران بحوالي ٦٠,٠٠٠ ألفاً ولكن التقديرات الرسمية التي سمعتها بنفسي أثناء احدى زياراتي لمدينة عبدان القريبة من البصرة /٤٥ ك م/ بأن عدد المسجونين السياسيين في سجون (ناصري) بلغ في حينه /١٠٠ مائة ألف سجين/ ولم يعترف الشاه نفسه بأكثر من ثلاثة آلاف سجين وفي عام ١٩٧٥ بلغ عدد أعضاء عصابات المدن من الذكور والاناث الذين قتلوا رميا بالرصاص بعد محاكمات سرية ١٧٤ حسب تصريح وزارة الداخلية وكان من المعروف أن فعالية السافاك تستند الى القتل والتعذيب الى حد كبير جداً(١) وقد سيطرت السافاك أيضا على شركة كانت تحتكر صناعة الاقفال والمفاتيح وعندما قام مهدي بازرجان أول رئيس وزراء بعد الثورة الاسلامية بزيارة استطلاع الى مقر السافاك اطلعوه على مجموعة من المفاتيح تصلح لفتح ابواب كل السفارات الاجنبية في طهران والخزائن الموجودة بها أيضا وهذه نفس طريقة المخابرات الاسرائيلية التي نفذتها في السويد عندما فتحت أبواب عدة سفارات عربية (راجع فصل حياد السويد) في هذا الكتاب.

(١) اصبح المكان الذي كانت تجري فيه السافاك عمليات التعذيب معرض دائم في طهران يؤخذ اليه الزوار الاجانب بما في ذلك لجان الامم المتحدة...

دهش بازرجان لكمية الأجهزة الألكترونية المتنوعة المخزونة في مقر السافاك لقد كان المشهد كما قال بازرجان فيما بعد للصحفيين كأنه مشهد من قصة (أليس) في مدينة العجائب مسدسات صامتة ــ مسدسات لاطلاق الغاز ــ أجهزة تجسس أميركية حديثة جداً وآخر التكنولوجيا التي اخترعت (لتعذيب الانسان) ومن الاشياء التي عرضت على بازرجان عن أعمال السافاك ابان حكم الشاه (فيلم) يبين طريقة استجواب فتاة شابة ١٨ سنة من معارضي الشاه يبين الفيلم في أوله طريقة تعرية الفتاة من ملابسها بوحشيتوأبقي على جسدها السروال الذي يستر عورتها فقط ثم بدأ أحد الضباط بحرق (حلمة ثديها اليمين ثم اليسار بسيجارة مشعلة) كان يشعلها بأنفاسه عندما تطفأ أو يخف وهجها عند الضغط بها على (حلمة الثدي) والفتاة تصرخ بصوت يهتز له المكان كما يظهر من الفيلم حتى انهارت وبدأت تعترف لهم وتعطيهم المعلومات التي يريدونها واذا سأل أحد منكم لماذا صور هذا الفيلم وقد اعترفت لهم وانتهى الموضوع وكان جواب خبراء المخابرات أن نفسية جميع ضباط السافاك في حينه كانت من عجينة واحدة لذلك التقط هذا الفيلم للمساعدة في تدريب ضباط السافاك الآخرين وقد علمنا أنه أرسلت نسخة من هذا الفيلم للمخابرات المركزية الأميركية التي (طبعت) عدة نسخ منه ووزعتها على بلاد صديقة مثل الصين الوطنية والفلبين ــ وأندونيسيا كجزء من المساعدة المخابراتية الفنية في (فن استجواب النساء من الثوار).

كان التعاون بين السافاك ومخابرات البلدان الاخرى كما ذكرنا بما في ذلك المخابرات الفرنسية والاسرائيلية والأميركية يكلف الشاه مبالغ طائلة لكن العائد كان مرتفعا جداً ومن بين الأشياء التي وجدت بعد الثورة في مقر قيادة السافاك وفي القصر وفي بعض السفارات بالخارج وجد تقرير سرى جداً عن حالة الجيش العراقي وأوضاعه فقدم للرئيس الراحل أحمد حسن البكر أعده رئيس الأركان العراقي وذلك قبل سقوط الشاه بثلاثة أشهر كيف وصل هذا التقرير أو نسخة منه الى السافاك (الله أعلم) كما وجد في أرشيف السافاك (شريط كاسيت) مسجل عليه (مناقشة) تمت بين العقيد معمر القذافي والدكتور جورج حبش عن خطط الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين للعمل في مرحلة معينة وقدتم النقاش بين الرجلين في خيمة بالصحراء ومن المؤكد أن اختيار هذا المكان النائي في الصحراء ليتم فيه اللقاء حتى يمكن التأكد بشكل مطلق أنه مكان آمن ومع هذا وصلت نسخة من النقاش للسافاك (؟) وقد عثر كذلك في مقر السافاك على قوائم عملاء سريين من العالم العربي ينتمون لمختلف وكالات المخابرات تقريباً اذ يبدو أن السافاك كانت

تسجل كل لقاءآت العملاء مع زملائهم الذين يعملون في وكالات ثانية لذا كانت كنوز المعلومات والفضائح لدى السافاك كثيرة.

أما ميزانية السافاك فكان يحيط بها الفوضى فقد أعلن مرة رسمياً بأن ميزانية السافاك في العام التالي ١٩٧٢/١٩٧٣ بلغت/٢٥٥ مليون دولار وبعد ذلك امتنعت السلطات الادارية عن الكشف عن قيمة الميزانية لكن على القارىء أن يتوقع انها ازدادت بطبيعة الحال في السنوات التالية وأنه حتى الميزانية التي أعلنت سابقا كانت متواضعة وأقل من الرقم الحقيقي كثيراً.

الحرس الامبراطوري أقوى من السافاك:

كان الشاه لا يثق مائة بالمائة بالسافاك أو بأي جهاز أو انسان لذلك فقد أنشأ ((ادارة التفتيش الامبراطوري)) وأناط بها مهمة الاشراف على جميع المؤسسات الحكومية بما فيها السافاك نفسها وهذه الادارة تضم حوالي خمس وعشرين جنرالا من جنرالات الحرس الامبراطوري الخاص وكان رئيس هذه الادارة هو الجنرال (حسين فاردوست) وهو صديق الصبا للشاه ويتضح الدور الرئيسي الذي كان فاردوست يلعبه وهو المسؤول الأول عن حماية الشاه بحكم اشرافه على الجيش الايراني المكون من/ ٣٢٠ ألف جندي/ بما فيهم سلاح البحرية والطيران وعلى الرغم من أن قيادة الجيش تابعة للسافاك إلا أن الحرس الامبراطوري مستقل في قيادته وتتكون من ٨٠/ ألف جندي/ جيء بهم من جميع الاسلحة أو جرى تطويعهم رأساً في الحرس الامبراطوري ويشكل الحرس الامبراطوري الدعامة الأساسية للشاه عسكرياً ولكي يتمكن الحرس من اكتساب خبرات قتالية على الطبيعة فإن قيادته كانت ترسل فرقة كاملة بصورة دورية الى سلطنة عمان للقتال مع قوات السلطان قابوس ضد ثوار ظفار باشراف الجنرال فارودست شخصياً ومن المعلوم أن هذا الجنرال هو الوحيد في هرم السلطة المستثنى من المبدأ الذي كان يعتمده الشاه في دعم سلطته والذي يقوم على أساس اسناد المناصب الهامة الى أشخاص يكمن أحدهم العداء للآخر وتقوم بينهم علاقات سيئة وقد استثنى أيضاً من النقل المفاجىء من منصب هام الى منصب متواضع، لأنه من المعلوم أيام الشاه أنه لا يحق لأحد أي كان أن يرفع صوته قائلا أنه الوحيد القادر على شغل هذا المنصب أو ذاك.

حقائق وأرقام عن المجتمع الايراني أيام الشاه:

يبلغ عدد سكان ايران اكثر من ثلاثين مليون نسمة كانوا يعيشون في ظل حكم الشاهنشاه في بؤس وشقاء وفقر حتى أن ٢٣٪ من الأطفال الرضع يموتون في السنة الأولى بسبب سوء التغذية وعدم توفر العناية الطبية وكان متوسط العمر لا يتجاوز /٤٠ عاما/ والسبب انه لا يوجد في ايران سوى /٧٥٠ مستشفى/ نصفها في طهران كما تبلغ نسبة الأمية ٧٠٪ من السكان ويتراوح أجر العامل الذي غالباً ما يكون رب عائلة مؤلفة من خمس أشخاص بين ٣٠٠ و ٣٥٠ ليرة لبنانية معدلة مع (التومان الايراني) وهو العملة الايرانية الرسمية وذلك في بلد يبلغ فيه التضخم سنوياً من ٣٠٪ الى ٤٠٪ وتقيم ٤٠٪ من العائلات الايرانية في مساكن مكونة من غرفة واحدة تبتلع اكثر من نصف أجر رب الأسرة حيث يصل أجرة الغرفة في طهران من ١٨٥ الى ٢٠٠ ليرة لبنانية.

حتى الثورة البيضاء التي قام بها الشاه فرحاً بعودته للعرش عام ١٩٥٣ والأصلاح الزراعي الذي أدخله خدم طبقة الاقطاعيين وكبار الملاك أكبر خدمة لا سيما وان الشاه نفسه هو أكبر اقطاعي إذ كان يملك /٢٠٠٠ قرية/ بمن عليها من بشر وحيوان وزرع ومثلها من المراعي وقد قامت وزارة الزراعة بتأسيس بنك يقوم بشراء الأراضي المخصصة للتوزيع على الفلاحين والتي سلمها الاقطاعيون بموجب الاصلاح الزراعي بدفع ثمنها لهم خلال عشر سنوات وبيعها للفلاحين بعد ذلك بالتقسيط ولمدة /١٥ سنة/ بفائدة ١٠٪ وتشكل هذه القروض عبئاً على الفلاحين وغالباً كان لا يتبقى لهم سوى خمس المحصول أضف الى هذا أنه لم يتم توزيع أكثر من ١٥ الى ٢٠٪ من الأراضي القابلة للزراعة وكانت النتيجة أن بقي ٥٦٪ من الأراضي في أيدي الاقطاعيين.

نتيجة لهذه الظروف لم تتوقف المعارك بين نظام الشاه وجماهير الشعب الايراني ولم يكن هناك أي (متنفس) ديموقراطي لبخار الغضب فحتى أتباع الشاه جرى توزيعهم الى ثلاثة أحزاب قامت الحكومة الايرانية بانشائها وتمويلها حتى عام ١٩٧٥ ورغم ذلك أعلن الشاه عن حل هذه الأحزاب مع أنه كان يسمح لأحد هذه الأحزاب أحياناً بنقد بعض نواحي الحياة الاجتماعية في ايران ثم اعطى الشاه تعليماته بانشاء تنظيم سياسي جديد (أوحد) عليه أن يتقبل النظام كما هو والدستور كما هو والثورة البيضاء كما هي وهكذا أسفرت الفاشية الاوتوقراطية لنظام الشاه عن وجهها كنظام ديكتاتوري ذي بنيان اقتصادي واجتماعي موروث وحاكم لا

يتقبل أيّ شكل من آشكال النقد تدعمه السافاك والحرس الامبراطوري وحزبه الأوحد الذي سمي بحزب (نعم) في حينه.

وايران في عهد الشاه لم تكن تختلف عن غيرها من البلدان الفاشية لأن النظام كان يخلق الاقليات القومية التي تشكل جزءاً لا يستهان به من المعارضة الايرانية فالايرانيون الاصليون لا يشكلون سوى ٥١٪ من مجموع السكان بينما يشكل الاذربيجانيون ٢٠٪ والأكراد ١٠٪ من مجموع السكان وعلى الرغم من أن الشاه كان يمول تحركات الأكراد في العراق ضد حكومة بغداد فإنه لم يسمح لهم حتى باستعمال لغتهم ناهيك عن منعهم من الحصول على أي حق من حقوقهم كالاستقلال أو الحكم الذاتي.

وتشكل الاقليات احدى مجالات نشاط السافاك التي عملت على نشر عملائها في المستوطنات الشبيهة بمعسكرات الاعتقال النازية التي أجبر الأكراد على العيش بها وذلك لكي تتمكن السافاك من اكتشاف جميع عناصر المقاومة في وقت مبكر ومن ثم القضاء عليها.

عودة الى نشاط السافاك:

برآسة الجنرال نعمة الله نصيري للسافاك حصر النشاط الرئيسي للسافاك في طهران حيث ثبت أن ((الجماهير هناك قادرة على التأثير على القرارات السياسية التي تتخذها السلطة)) كما حدث في صيف عام ١٩٥٢ (على سبيل المثال) عندما استقال مصدق لأنه لم يتمكن من الحصول على الصلاحيات المطلوبة فقام شعب طهران بمظاهرات صاخبة أجبرت الشاه والمجلس النيابي بالنزول عند رغبته وأعاد مصدق للحكم.

وحدث أن هبت طهران في مظاهرات لاجبار كبار الملاكين وأعوان الشاه الممثلين في المجلس النيابي على الموافقة على مشاريع القرارات التي كان يتقدم بها مصدق في حينه.

فالمعارك السياسية الشعبية ليست بالأمر الجديد على جماهير طهران وربما كانت هي السبب الأول في خوف الشاه ويفسر دور السافاك فجماهير الثورة الايرانية هم (سكان المدن) وليس سكان الريف أي الفلاحين فالأراضي الزراعية مبعثرة بطريقة لا تمكن الفلاحين من التجمع ومع ذلك استمرت المعارك التي خاضها العمال والفلاحون والمثقفون والطلبة رغم جبروت السافاك التي كانت تأمر

الجيش الايراني والشرطة بقمعها (بقوة السلاح).

ففي شهر (يونيه) حزيران ١٩٥٩ أضرب (٣٠ ألف عامل) في مصانع الطوب من أجل حصولهم على شروط عمل أفضل فتصدت لهم السافاك وأطلقت عليهم النار فقتل خمسون عاملا وأصيب المئات.

وفي (ديسمبر) كانون الأول ١٩٥٩ أضرب تلاميذ المدارس المتوسطة بسبب القيود السياسية ولم يقدر عددهم في حينه لكثرتهم وأيضاً أطلقت السافاك النار على الطلاب وجهاً لوجه فقتلت ثمانين طالباً وجرحت العشرات واعتقلت (٢٦٠ طالباً) عذبوا في أقبية السافاك.

وفي (أبريل) نيسان ١٩٦١ قتل مدرس وجرح ثلاثة في اضراب للمدرسين للمطالبة بزيادة رواتبهم فهل المطالبة بزيادة الرواتب تستدعي مقاومتها باطلاق النار على المدرسين.

وفي (يناير) كانون الثاني ١٩٦٢ أضرب طلبة (جامعة طهران) لرفع قيمة المنح الدراسية واعتصموا بالحرم الجامعي لكن السافاك اقتحمت الجامعة واعتقلت العشرات منهم وعذبتهم لماذا لأنهم طالبوا بزيادة قيمة المنح الدراسية بسبب غلاء المعيشة.

وفي أول (فبراير) شباط ١٩٦٢ جرت مظاهرة طلابية للتضامن مع الطلبة المعتقلين فأطلقت السافاك النار على الطلاب وقتل طالب وجرح خمسماية.

وفي عام ١٩٦٣ كانت هناك هبة سياسية بدأت بتحويل الطلبة لموكب ديني الى مظاهرة سياسية ضد النظام فأطلقت السافاك النار عليهم فتحدى المتظاهرون السافاك وتجمعوا وازداد عددهم وانتقلت المظاهرات الى باقي الأقاليم الايرانية واستمرت فترة طويلة كانت السافاك تطلق النار عليها جميعاً بلا رحمة وتحصد المواطنين والطلاب حتى بلغ عدد القتلى (الشهداء) أربعة آلاف شهيد.

وفي (يوليو) تموز ١٩٦٥ قامت القبائل الايرانية في اقليم فارس بانتفاضة للمطالبة لتحسين أوضاعهم فقام الطيران الايراني بغارات على قراهم وهدم المنازل فوق رؤوس أصحابها كما أصدرت المحاكم الميدانية التي شكلت في حينه حكمها بالاعدام على العديد من زعماء هذه القبائل ولم تنتشر اية تقديرات للضحايا في حينه.

وفي (مارس) آذار ١٩٧١ حدثت أول مجابهة بين النظام ومجموعة من المسلمين المعارضين في شمال ايران فقتلت السافاك اثنين واعتقلت سبعة عشر

منهم جرى تعذيبهم بصورة وحشية حتى أن السافاك قامت بقطع ساق أحدهم وهو على قيد الحياة.

وفي (أبريل) نيسان ١٩٧٤ أضرب ألفا عامل في مصنع للنسيج لزيادة الأجور فأطلقت السافاك النار عليهم وقتلت عشرين عاملا منهم.

وفي (أغسطس) آب ١٩٧٤ أضرب عمال مصنع (لباد) احتجاجا على طرد أربعة من زملائهم ففتحت السافاك عليهم النار ولما أضربت جامعة طهران تضامناً معهم أوعزت السافاك الى المسؤولين الاداريين في الجامعة لطرد ١٥٠ طالبا.

وأخذ الهجوم المضاد لقوى الشاه والسافاك أشكالا عديدة ويجب أن نذكر حادثة بشعة قامت بها السافاك فخلال الرقابة على الصحف وممارسة الحذف والاضافة وفي شهر نوفمبر ١٩٧٧ تسلم (فاردها مسعودي) رئيس تحرير جريدة اطلاعات اليومية الايرانية مقالا عدوائياً يتضمن هجوماً شخصياً على الامام الخميني وكان لا يزال في فرنسا ويتهمه بالفساد وجمع الأموال من المريدين وتكديسها لديه وأقوى وأبشع تهمة جاءت في هذا المقال هي اتهام الامام بالشذوذ الجنسي وما الى ذلك.

وكان رئيس التحرير يعرف أنه من عادة السلطة أن ترسل له مقالات جاهزة للنشر تتفق مع اسلوب الصحيفة وكتابها لكنه صدم للغاية عندما قرأ هذه المقالة بالذات حتى أنه اتصل بوزير الاعلام واشتكى له من ذلك وقال للوزير بالحرف الواحد (اننا لو نشرنا هذه المقالة فسوف تحرق مكاتبنا) وقد رد وزير الاعلام بنفسه للسيد مسعودي بأنه لم يقرأ أو يطلع على المقال الذي أثار ملاحظته فقد تسلم مظروفاً من القصر وعليه الختم الملكي ومؤشر عليه بتحويله الى جريدة اطلاعات ووعد الوزير رئيس التحرير بالاتصال بالقصر وقد فعل ذلك ولكنهم أخبروه بضرورة نشر المقال كما هو وحين احتج مسعودي للوزير بأن هذا الاستفزاز سيؤدي حتماً الى رد فعل عنيف. أجابه وزير الاعلام: لا تقلق سوف أخبر وزير الداخلية ليرسل لك الحماية اللازمة ولكنه لم يفعل وعندما صدرت الجريدة الى القراء في عز عهد الشاه وهي تحمل هجوماً بذيئاً على الخميني قامت الجماهير المحبة للخميني التي اجتاحها الغضب بتحطيم كل نوافذ جريدة اطلاعات وحاولت حرقها لولا حضور الجيش الايراني وقد علم مسعودي فيما بعد بأن قسم الاعلام

والمطبعة الخاصة بالسافاك هما المسؤولان عن اعداد مثل هذه المقالات.

سجون السافاك:

كنتيجة لما ذكر من القمع والتعذيب والاعتقال الكيفي كان لا بد للسافاك من سجون تتسع للالآف من الايرانيين فامتلكت السافاك العديد من السجون في جميع أنحاء ايران مارست فيها على المعتقلين جميع أنواع التعذيب البربرية التي يمكن تصورها:

فقد اجتمع بعض الناجين من جحيم السافاك والذين تمكنوا من الهروب خارج ايران الى أعضاء من لجنة العفو الدولية وتحدثوا اليهم عن أساليب التعذيب التي كانت تستعمل مع المعتقلين السياسيين وحيها أنها أي السافاك لا تستعمل الصدمات الكهربائية والضرب فحسب بل أنها تلجأ الى ممارسات أخرى ابتدعتها هي نفسها مثل ادخال الزجاجات المكسورة في مؤخرة المعتقل أو ربط الأوزان الحديدية بالخصيتين أو وضع خوذة صنعت خصيصاً على رأس المعتقل لتجعله يسمع صراخه بصورة مضاعفة عند تعذيبه كما تحدث هؤلاء الناجين عن بعض عمليات (اغتصاب) فتيات ايرانيات في مختلف مراكز السافاك وقد قدرت لجنة العفو الدولية بأنه كان يوجد في حينه بالسجون المتفرقة للسافاك حوالي ستين ألف معتقل.

أعمال السافاك في أوربا:

في الأول من (يونيه) حزيران ١٩٧٦ قامت مجموعة من الطلبة الايرانيين باحتلال السفارة الايرانية في جنيف احتجاجاً على الأحوال السائدة في بلدهم ولدى مكوثهم بضع ساعات في السفارة عثروا على ما مجموعه (٢٨٠٠ وثيقة) من وثائق السافاك بشكل أو امر وطلبات موجهة من السافاك الى السفارة وغيرها من سفارات الشاه وهمل تشمل الأمور الآتية:

١ ــ استمرار مراقبة الطلاب المعارضين.
٢ ــ قطع مبالغ المنح الدراسية عن الطلاب الذين يثبت قيامهم بأعمال عدائية لنظام الشاه.
٣ ــ عدم تجديد جوازات سفر عدد لا بأس من الطلاب (يوجد لوائح بأسمائهم) وعند عدم التجديد يضطر الطالب للعودة الى طهران فيلقي

القبض عليه من قبل السافاك.

٤ ــ موافقات السافاك على التخلص من بعض المعارضين الذين يشكلون خطراً على النظام (باشراف السفير شخصياً).

وقد كشفت هذه الوثائق عن وجود كثيف للسافاك في السفارات والقنصليات الايرانية في أوربا فغالباً ما يكون السفير نفسه (عميلًا للسافاك) يعاونه عدد من رجال السافاك يتخفون في زي الدبلوماسيين وكثيراً ما ترسل فرق كاملة من السافاك للقيام باغتيال بعض المعارضين (موضوع الفقرة ــ ٤) المقيمين في تلك البلاد.

وكان جنيف هي المركز الأوربي للسافاك وقد تبين من الوثائق التي صادرها الطلاب أن السافاك جعلت من فروع شركة الطيران الايرانية والبنوك مراكزاً لها في بعض البلدان وتقوم جميع هذه الشبكات بعمليات كثيرة للمساهمة في تدعيم نظام الشاه وحمايته ومنها القيام بالرعاية للشاه ونظامه والحيلولة دون قيام وسائل الاعلام بتوجيه النقد اليه بالاضافة الى حماية السفارة وحماية الشاه نفسه خلال رحلاته الى الخارج لكن تبقى أهم هذه الواجبات هي القيام بالتجسس (موضوع الفقرة ــ ١) على الايرانيين المقيمين بالخارج.

وقد استطذاعت السافاك أن تقيم شبكة تجسس واسعة امتدت الى جميع التنظيمات الطلابية المعارضة في الخارج ونجحت في تحقيق ذلك بوسائل مختلفة منها اجتذاب الطلبة بالتهديد والترغيب والذين يعانون مشاكل مالية.

ومن المجالات الاخرى التي نشطت فيها السافاك في أوربا هو ما يتعلق بالأكراد الفارين من العراق من اتباع الزعيم الكردي مصطفى البرازاني بعد مصالحة ايران والعراق عام ١٩٧٥ (برعاية الحكومة الجزائرية) حيث ثبت أن السافاك بالتعاون مع المخابرات الأميركية خططت لاشعال نيران الفتنة في منطقة الأكراد بالعراق وجاء في احدى الوثائق (ان الأكراد ربما كان من الممكن أن يتوصلوا الى اتفاق مع حكومة بغداد والحصول على حد أدنى من الحكم الذاتي دون سفك مزيد من الدماء) لو أنهم لم يسمحوا للسافاك بالدرجة الأولى أن تجرهم الى مغامرة القتال حتى آخر رجل وكان الهدف دائماً من هذا الدور للسافاك على ذلك المستوى من الروح العدائية هو ضمان اضعاف العراق لحساب ايران.

وعلى أيّ حال فإن دور المراكز الأوربية للسافاك مكشوفة قبل سقوط الشاه بسنوات ومن أعمال السافاك على سبيل المثال هذه الحادثة التي فضحت السافاك

في فرنسا فعندما كان الامام آية الله خميني يقيم في فرنسا أيام حكم الشاه كان قطب زاده مساعده الأيمن فقررت السافاك تصفية قطب زادة لاضعاف وارهاب الامام خميني فاتفقت السافاك مع عميل ايراني له تاريخ عريق في الجاسوسية والعمالة المزدوجة والتزوير وارتياده السجن عدة مرات لهذه الأسباب يدعي (جوليس خان بيرا) على أن تدفع له (٥٠٠ الف فرنك فرنسي) لاغتيال قطب زاده يدفع له مبلغ (٢٠٠ الف مقدماً) و (٣٠٠ الف بعد التنفيذ) فغرّه المبلغ الكبير الذي كان بالطبع من أموال الشعب الايراني.

اتصل جوليس بقطب زادة وعرض عليه أن يقوم بمحاولة (غير جدية) لاغتياله يقوم بعد ذلك قطب زاده بالاختفاء عدة أيام كدليل على أنه أصيب ثم يقتسما المبلغ مناصفة ولكن قطب زاده رفض هذا العرض وطلب منه تسليم نفسه للبوليس الفرنسي ليضمن حياته من انتقام السافاك فتوجه العميل الى البوليس الفرنسي (القسم السياسي) وسلمهم خطاباً مطبوعاً عن مهمته في باريس بالتصفية واسمه (فيروزي)(١) وطلب منحه حق اللجوء السياسي استنادا لذلك وهكذا تمت فضيحة السافاك في باريس.

نهاية السافاك:

أثر نجاح الثورة الاسلامية في ايران وعودة الامام آية الله خميني الى طهران على رأس معاونيه (المعارضين سابقا لحكم الشاه) وهرب الشاه الى أميركا ثم بناما ثم مصر صدر قرارا بحل السافاك وطلب هذا القرار من جميع منتسبي جهاز السافاك تسليم أنفسهم للمحاكم الثورية الاسلامية فبرأت هذه المحاكم من برأت وأعدمت من أعدمت من منتسبي الجهاز الذين ثبت عليهم القيام بتعذيب المواطنين (سابقاً) حتى الموت والشلل والتسبب بعاهات مستديمة أما مدير جهاز السافاك الجنرال نعمت الله نصيري فقد حاول الهرب ولكن الحرس الثوري ألقي القبض عليه فكادت الجماهير أن تفتك به لولا حمايته من قبل الحرس الثوري وقد عقد مؤتمراً صحفياً ظهر به وهو معصوب الرأس بعصابة فيها آثار دماء مما يدل على الاعتداء عليه بالضرب وقد ظهر معه في المؤتمر الصحفي (عباس هويدا) رئيس وزراء ايران لفترة طويلة من حكم الشاه حيث أخذ كل منهم يلقي المسؤولية على

(١) المؤلف: هنا ننبه على عناصر المخابرات العربية لعدم الوقوع في الخطأ الذي وقع به (فيروزي) بعدم انتباهه لتسجيل صوته من قبل العميل واستعماله فيما بعد للايقاع به وبمخابراته....؟

الآخر فقال الجنرال نصيري أنه كان يتلقى الأوامر من رئيس الوزراء فأجاب هويدا بأن السافاك كانت مستقلة تفعل ما تريد ثم أنكر نصيري أن يكون قد أمر بتعذيب المعتقلين السياسيين (رغم مئات الوثائق التي نشرت وهي تدين السافاك ورغم عشرات التقارير التي أصدرتها منظمات دولية تفضح ما كانت تقوم به السافاك مثل (منظمة العفو الدولية) و (لجنة حقوق الانسان) و (اتحاد الحقوقيين العالمي) وغيرها.

وقد ثبت لدى المحكمة الثورية الاسلامية التي حاكمت الجنرال نصيري بعد ذلك بأنه المسؤول عن قتل وتعذيب وتشريد الألوف من الايرانيين فأصدرت حكمها باعدامه رمياً بالرصاص ونفذ الحرس الثوري هذا الحكم باعدام الجنرال نصيري مدير السافاك عقاباً على ما اقترفت يداه بحق الشعب الايراني وجرى التنفيذ فوق سطح مقر الخميني وهكذا انتهت اسطورة السافاك كما ستنتهي اسطورة كل سافاك ظالمة في العالم.

ماذا بعد السافاك:

بعد نجاح الثورة الاسلامية في ايران وتصفية السافاك تصفية دموية قام الطلاب الايرانيون باحتلال السفارة الأميركية في طهران وأسروا جميع العاملين فيها من الدبلوماسيين ونقلوهم الى سجن الثورة ثم قاموا بتفريقهم على عدة سجون في ايران بعد محاولة المخابرات الأميركية انقاذهم بعملية جوية باءت بالفشل وقد استولى الطلاب على وثائق السفارة الأميركية الدبلوماسية والمتعلقة بجميع أعمال الجاسوسية الأميركية في ايران منذ عهد الشاه وحتى في عهد الثورة الاسلامية وكان هذا الاحتلال تخطياً للأعراف الدبلوماسية في العالم ولكن كان يوجد لدى الطلاب والثورة ما يبرر لهم هذا الاحتلال لا سيما وقد استعادت الثورة الاسلامية ملايين الدولارات التي كانت قد سرقت أو هربت من ايران قبل الثورة ووضعت في البنوك الأميركية مقابل اعادة الأسرى الدبلوماسيين الى واشنطون بضمانة وتعهد وجهود الحكومة الجزائرية.

أهم محتويات وثائق السفارة الأميركية في طهران:

ان وقوع الوثائق السرية التي كانت موجودة في السفارة الاميركية في طهران

بأيدي الايرانيين عند احتلالهم السفارة قد أضرّ بعمليات التجسس الأميركية ليس في ايران بل في العالم وهذا ما اعترفت به السلطات الأميركية لأنه بعد الكشف على هذه الوثائق أصبحت عمليات المخابرات الاميركية معرضة للشبهات في جميع انحاء العالم وقد صرح (جوزيف سوبيك) الذي كان يعمل في مكتب الملحقية العسكرية في السفارة الأميركية عند احتلال السفارة ان الايرانيين صادروا وثائق تحوي معلومات مفصلة عن عمليات المخابرات الأميركية وهذه المعلومات تشمل تقارير المخابرات الاميركية عن عامي ١٩٧٨ و ١٩٧٩ بالاضافة الى جهاز (كمبيوتر) يحوي الأسماء الحقيقية لعملاء المخابرات العسكرية في ايران وفي عدد من الدول الموالية للولايات المتحدة كما تحتوي هذه الوثائق على تقارير القيادة الأميركية في المحيط الهادي والتي تساهم في كشف قدرات الولايات المتحدة في مجال السلاح المضاد للغواصات.

وقال سوبيك ان هذه الوثائق تبين أولويات أهداف المخابرات الأميركية في جميع أنحاء العالم وتتضمن اسماء العملاء الايرانيين الذين كانوا يساعدون المخابرات الاميركية في الحصول على المعلومات العسكرية عن بعض صنوف الأسلحة (غير الأميركية) التي كان يستخدمها الجيش الايراني وقد ترتب عن معرفة أسماء عملاء المخابرات الاميركية في ايران وغيرها أن تسبب الكشف عنهم الى موت عدد كبير منهم.

والوثيقة المهمة التي صادرها الطلاب من السفارة الأميركية هي ملف (أبو الحسن بني صدر) الذي وجد فيه أن جاسوساً أميركياً يدعي (وليام كيسين) جاء الى ايران عام ١٩٧٩ وكانت مهمته (تجنيد) أبو الحسن بني صدر الذي كان حينذاك (عضواً) في مجلس الثورة ولم يصبح رئيساً للجمهورية الاسلامية الايرانية.

كعادة عملاء المخابرات ادعى كيسين أنه مندوب شركة (كارفير أسوشيتس) وقد أقام مع بني صدر صداقة شخصية متينة وأطلق عليه اسم (اس ـــ دي ـــ ال) كما وجد في الملف وقد اقترح على بني صدر أن يكون مستشاراً للشركة التي يمثلها وأن يقدم له المعلومات المتعلقة بالوضع المالي والاقتصادي ولكن لا يوجد في الملف أي مستند يحمل خط أو موافقة بني صدر على قبول أي نوع من أنواع التعامل معهم.

استقالة رئيس قسم (ايران) في المخابرات الأميركية:

أيضاً بعد أن فوجيء الرئيس كارتر بنجاح الثورة الايرانية وجه نقداً شديداً للمخابرات الاميركية واتهمها بتقديم بيانات مضللة له عن الأوضاع في ايران فقدم رئيس قسم ايران ومساعدوه في المخابرات الاميركية استقالاتهم احتجاجاً على نقد كارتر وتصريحاته وهذه الاستقالة تدل على الفشل والاعتراف به لأن نقد كارتر ليس أول اتهام للمخابرات الأميركية (بالعجز) فقد اتهمت المخابرات الأميركية بتجاوز عملها واساءة استغلال نفوذها في الماضي والآن تتهم وعلى لسان الرئيس كارتر بالذات لأول مرة بالتقصير والعجز في ايران وافغانستان أيضاً وسبب اتهام المخابرات الأميركية هو تقديمها تقرير مفصل عن ايران تؤكد أن (الشاه) سيبقى في منصبه طوال الثمانينات وذكر التقرير أن ايران ليست في حالة ثورية أو شبيهة بالثورية ولما وقعت الثورة الاسلامية وانتقد كارتر هذا التقرير قدم رئيس قسم ايران المختص ومساعدوه استقالاتهم.

دفاع المخابرات الأميركية عن نفسها:

دافعت المخابرات الاميركية عن نفسها ضد نقد كارتر لها بأن اتهمت الادارة الأميركية بأنها أصرت على مساندة الشاه وعرقلت عمل المخابرات الأميركية بادخال (عملاء) الى المعارضة الايرانية لذا رفضت المخابرات الاميركية تحذيرات مباشرة جاءتها من المخابرات الاسرائيلية تفيد أن الشاه سيتعرض لاضطرابات ثورية كما اتهمت المخابرات الاميركية بعض لجان الكونغرس بتسريب معلومات هامة وكذلك اتهمت المخابرات الاميركية بعض موظفيها السابقين بنشر كتب تتضمن أسراراً داخلية عنها وأخيراً أذاعت بأن ملفات هامة سرقت من مكاتبها وليتصور القارىء أن المخابرات الاميركية وعظمتها تدعي بسرقة ملفات من مكاتبها وهي التي تسرق العالم بأسره.

أما دفاع مدير المخابرات الاميركية في حينه (ستانفيلد تيرنر) فقد اتهم أنه منذ تولية الادارة عمد الى تسريح العديد من الموظفين القدامى ليعطي الفرصة للموظفين الصغار ولكن هذا القرار ساعد على تسريب الأسرار عن المخابرات مع الموظفين المفصولين.

ويرى بعض النقاد أن أخطاء المخابرات الاميركية كانت نتيجة اعتمادها

بشكل مكثف على المعدات الحديثة كالأقمار الصناعية ومحطات الاستقبال الاذاعية وعدم اعتمادها على الانطباعات الشخصية من جانب موظفيها القدماء. فلم تستطع العقول الالكترونية التنبوء بثورة ايران ولا أحداث أفغانستان كما أن المخابرات الاخرى كانت تتعاون معها وتشاركها المعلومات ولكن الحال تبدل بسبب السياسة الأميركية نفسها لأن المخابرات الثانية أصبحت تتخوف من التعاون مع المخابرات الاميركية بسبب مشاركة لجان الكونغرس في عملها الذي ينتج عنه تسرب المعلومات.

كما أن السلطات الاميركية العليا كانت لا تعتقد أو تصدق ما جرى في ايران وان السفير الاميركي (ريشارد هيلمز) في طهران وهو مدير سابق للمخابرات الاميركية كان يقول في تصريحاته قبل الثورة الايرانية بأن الأزمة الايرانية كانت تقزم أي اعتبارات سياسية في أذهان المسؤولين الغربيين بما في ذلك اتفاقيات كمب ديفيد والسلام المصري الاسرائيلي وهو نفسه كان يقول ان ايران (خطرة) لأنها تعني النفط عصب الحياة الصناعية ولأن سقوط ايران يغرق الشرق الأوسط بأكمله في حمى الفوضى ويؤدي الى مواجهة بين الدول الكبرى.

وكان هيلمز يصرح بأنه ليس هنالك أي بديل للشاه في حينه لذلك ينبغي على الولايات المتحدة ان تفعل ما في وسعها لانقاذه كما دعى اسرائيل التي تقضي مصلحتها أن يبقى الشاه أن ترى سبيلا لمساعدته لأن الشاه كما يقول هيلمز بحاجة الى كل مساعدة يمكن تقديمها له.

ويتابع هيلمز قوله: اننا اذا تركنا الشاه وحده قد يسقط ولكن علينا أن لا نذيع وقائع علينا أن نصمت ونعمل حيث يجب أن نعمل واذا لم تكن الحكومة الاميركية مشغولة حالياً بعملية اعادة تقييم دقيقة لكافة القوى المتورطة في الصراع ينبغي عليها أن تفعل ذلك ومن الغباء أن نقول أنه ليس هنالك أي دليل على التدخل السوفياتي في ايران فالمخابرات السوفياتية موجودة وينبغي أن نطلق يد (المخابرات الاميركية) لكي تتمكن من مواجهتها وأن الحكومة الاميركية لم تسمع منذ مدة طويلة الا عن أعمال الشاه والسافاك القمعية وانتهاكهم لحقوق الانسان ولم يستوعب المسؤولون الاميركيون صعوبة حكم بلد مثل ايران كما أنهم لم يستوعبوا مدى ولاء الشاه للولايات المتحدة.

ويقول هيلمز: أنه أثناء حظر النفط بعد حرب ١٩٧٣ أرسل الشاه مبعوثه الى مصر والسعودية يطالبهما برفع الحظر كما زود اسرائيل بحاجتها من النفط في ذلك

الحين وفي احدى المراتّ أرسل الشاه سراً ناقلة نفط لتزويد ناقلة اميركية تحمل (عسكريين ينفذون مهمة) نفذ منها النفط في المحيط الهندي وفي أواخر الحرب الفيتامية أرسل الشاه بناء لطلب الولايات المتحدة سرباً من طائرات (ف ـــ ٥) الى سايغون وكانت طائراته وقطعه البحرية تقوم بدوريات في مضيق هرمز لحماية ناقلات النفط المتجهة نحو الدول الغربية.

وختم هيلمز قوله أن الأخطاء التي أدت الى المشاكل الحالية (في حينه) التي تعاني منها ايران كثيرة وقد تراكمت عبر السنون الماضية وحتى قبل أن يتقلص نشاط المخابرات الاميركية لم يكن لديها العدد الكافي من العملاء الذين يتكلمون اللغة الفارسية وقد لخص حديثه بقوله: ان على الولايات المتحدة أن تفعل كل ما بوسعها لانقاذ الشاه وأن تشعر العالم بأسره بأن ايران مهتمة لمصالحها وأن ترسل للشاه رسالة تأييد علنية وأن تثبت أنها ما تزال تجيد لعبة الأمم.

ولكنه سكت على مضض وهو يعرف أن بلاده لن تفعل شيئاً لانقاذ الشاه بعد أن بدأ العد العكسي للثورة الاسلامية فاكتفى بقوله: إننا عاجزون. بقدر ما نظن أننا كذلك..

وهكذا نكون قد قدمنا لقارئنا جميع ما يجب أن يطلع عليه ويعرفه عن المخابرات الايرانية (السافاك) وأحدث المعلومات عن احتلال السفارة الأميركية بعد نهاية الشاه والسافاك.



كارتر يراجع ملف إيران بعد السقوط في صحراء لوط.

المخابـــرات فـــي العالـــم
نماذج عن تعاون المخابرات الغربية
ضد
الدول العربية



جمال عبد الناصر كان هدف المخابرات الغربية... أيام حكمه...

نماذج من تعاون المخابرات الغربية ضد الدول العربية

• المخابرات البريطانية طلبت من المخابرات الاميركية اغتيال جمال عبد الناصر.

• المخابرات الفرنسية تنسق مع المخابرات الاميركية لاغتيال الرئيس معمر القذافي.

• عندما تحققت الوحدة بين القطرين السوري والمصري بقيادة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وبدا للامبريالية والصهيونية وحلفائها بأن الوحدة العربية الكبرى اصبحت قريبة التحقيق اذا بقي عبد الناصر يتبوأ زعامة الأمة العربية فانهالت المؤامرات عليه من الذين يخافون الوحدة ومعهم بعض الرجعيين ولم يكف ان تكون المخابرات الاميركية تخطط وحدها لتتخلص منه بل ظهرت بجانبها المخابرات البريطانية التي لا تزال تطلع على كل شاردة وواردة في الوطن العربي ولكن بأوجه مقنعة ومن وراء حجاب اما حين عظم أمر المارد وأمر بتأميم قناة السويس وتضررت بريطانيا من التأميم ومن ثم جلائها عن مصر فطلبت حينئذ المخابرات البريطانية (الانتلجانس سرفيس) من المخابرات الاميركية اغتيال الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وقدم هذا الطلب الى المستر (مايلز كوبلاند) الذي كان يمثل المخابرات الاميركية في القاهرة في الفترة ما بين تأميم قناة السويس والغزو الثلاثي لمصر عام ١٩٥٦ وقيل للمستر كوبلاند في حينه ان طلب اغتيال عبد الناصر صدر عن (انوطوني ايدن) رئيس وزراء بريطانيا بالذات وقد اعترف كوبلاند بذلك مؤخرا في مقابلة تلفزيونية اجريت معه في واشنطون بأن ايدن طلب منه ان يغتال عبد الناصر ابان أزمة السويس حيث قال بالحرف الواحد (أرادني إيدن ان اطلق النار على ناصر...؟ وأضاف كوبلاند: ان ايدن كان يكره عبد الناصر وقد جس نبضنا اكثر من مرة حول اغتياله وسبق لكوبلاند ان اطلع المحققين في لجنة من الكونغرس الاميركي تنظر في نشاطات المخابرات الاميركية على اهتمام ايدن الكبير بعملية اغتيال عبد الناصر حتى ان كل امرىء تحدث عن هذه الأمور وأشار كوبلاند الى الوسائل التي درست لاغتيال عبد الناصر وكان من بينها (دس السم في فنجان قهوة) ولكن الله حماه منهم حتى توفي بعد ان أدى واجبه رحمه الله.

التاريخ يعيد نفسه والآن العقيد معمر القذافي:

في أواخر عام ١٩٨٠ أكدت الاخبار وجود مؤامرة رسمتها القيادة الفرنسية السابقة برآسة مدعي صداقة العرب الرئيس الفرنسي السابق فاليري جيسكار ديستان للاطاحة بالعقيد معمر القذافي قائد ثورة الفاتح في الجماهيرية الليبية واغتياله للتخلص منه وذلك بمباركة ودعم المخابرات الاميركية وقد تأكدت هذه المؤامرة بعدما عقد مسؤول كبير من حكومة ديستان السابقة اجتماعا مع خبراء أميركيين في شؤون آسيا وأفريقيا برئاسة ريتشارد ألن مستشار الرئيس الاميركي لشؤون الأمن الذي عرض عليهم خيوط المؤامرة بتاريخ الأول من شهر شباط ١٩٨٠ وهذه المؤامرة تقضي بالهجوم على الجماهيرية واغلاق موانيئها من قبل الاسطول السادس الاميركي وانزال المئات من المرتزقة يقودهم بعض الليبيين المنشقين على ثورة الفاتح والذين يعيشون ويتدربون في معسكرات خاصة تمولها المخابرات الاميركية وبعد عزل الجماهيرية (حسب الخطة) عن العالم الخارجي يقوم العملاء الليبيون بقيادة الجماهيرية (حسب منطق المخططين للمؤامرة) بعد الأطاحة بالقيادة الليبية الوطنية(١).

وبعد دراسة تفصيلات هذه الخطة صودق عليها من المجتمعين ووضعت اللمسات الاخيرة لها وحفظت على أن تنفذ فور فوز الرئيس ديستان باعادة انتخابه للرئاسة الفرنسية ولكن فشل ديستان بالعودة الى الرئاسة وفوز ميتران أفشل المخطط بأكمله لأن ديستان هو الذي كان سيتحمل اعطاء اشارة الضوء الاخضر للعملية كما انه كان من الجرأة اثناء رآسته بحيث اعطى الاوامر الى الطيران الفرنسي بالقاء قنبلة نووية على طهران وكاد ان يتسبب باندلاع نار الحرب العالمية الثالثة.

وقد عرف من الذين حضروا الاجتماع الخاص بهذه المؤامرة مع الرئيس ديستان شخصيا كل من نيكولاس فيليوتس السكرتير المساعد في وزارة الخارجية الاميركية لشؤون جنوب آسيا والشرق الادنى وشبستر كروكر السكرتير المساعد ايضا في وزارة الخارجية الاميركية للشؤون الافريقية وقد اعترف نيكولاس وشبستر فيما بعد بأنهما

(١) أكد المسؤول الفرنسي للمسؤولين الاميركيين اثناء مباحثات التآمر على العقيد القذافي ان على الولايات المتحدة وحلفائها الاعتراف فورا بالحكم الجديد وخليفة القذافي في حالة نجاح الانقلاب ومن هنا نعرف اهمية عمل المخابرات المعادية للامة العربية.

حضرا الاجتماع المذكور وانه كان مخصصاً لبحث (الشؤون الليبية) وبعد صدور هذه المعلومات عن المؤامرة التي لو حاول المنفذون القيام بها لفشلت، اسرع مدير المكتب الصحفي في القصر الجمهوري (الاليزيه) وصرح للصحفيين بانه تلقى امراً من الرئيس فرانسوا ميتران بأن ينفي ان تكون حكومته منذ توليه الرئاسة متورطة في مثل هذه المؤامرة وان الرئيس ميتران لا علم له بها مطلقا.

من الاسباب الداعية لحقد المخابرات الغربية على الجماهيرية:

من المعروف ان تبادلا للمعلومات والمؤامرات يجري بين المخابرات الاسرائيلية والمخابرات الغربية لذلك فان المخابرات الاسرائيلية عندما لا تقدر على عمل اي شيء ضد الجماهيرية فانها توغر صدر زميلاتها بالحقد والكراهية ضد الجماهيرية ولاسرائيل عدة اسباب لذلك واولها اتهامها العقيد معمر القذافي بأنه اعطى الباكستان منذ سنوات مائة مليون دولار اشترت بهم مفاعلا نوويا فرنسيا اصبح الان مصدر قلق كبير لاسرائيل ويخشى من ان تقوم بأي اعتداء مجنون عليه كما فعلت عندما ضربت مفاعل تموز في العراق ثانيا تتهم المخابرات الاسرائيلية العقيد القذافي بانه وراء مقتل الكولونيل يوسف آلون الملحق العسكري الاسرائيلي في السفارة الاسرائيلية في واشنطون وذلك ضمن المخطط الذي رسمه القذافي للانتقام لضحايا اسقاط الطائرة الليبية المدنية (راجع صفحة ٤٦٤ من الجزء الاول لهذا الكتاب) من قبل طائرات سلاح الجو الاسرائيلي. ومن اسباب الحقد على الجماهيرية العداء الظاهر بين الجماهيرية والولايات المتحدة. وتحرش طائرات الاسطول السادس بالطائرات الليبية واسقاطه طائرة اميركية زاد الامور تعقيدا بين البلدين.

وايضا طرد الجماهيرية ٢٥ دبلوماسيا اميركيا من اراضيها بعد ان ثبت انهم يقومون باعمال التجسس ضد ليبيا وان لبعضهم علاقات مباشرة بمنظمات ارهابية بالاضافة الى تهديد العقيد معمر القذافي باغراق حاملة الطائرات الاميركية المتواجدة امام المياه الاقليمية للجماهيرية ومنها تنطلق الطائرات لمراقبة السواحل الليبية ومختلف المرافق الحيوية والقواعد العسكرية الليبية.

وهكذا أوجزنا بعض الأسباب التي تجعل المخابرات وبالتالي بعض الدول الغربية تتآمر على الجماهيرية ونضيف حسب خبرتنا أن أهم هذه الأسباب هو مساندة الجماهيرية باهتمام شخصي من الأخ معمر القذافي بالثورة الفلسطينية ومساعدتها بلا قيد أو شرط ولذلك نادينا سابقا وننادي الآن من على صفحات هذا الكتاب المتواضع بأن على الجماهيرية اليقظة خاصة في مجال مراقبة العملاء وسائر الأمور التي قد ينشأ عنها

أي ضرر لثورة الفاتح التي ما زال قائدها يعمل بوحي وروح ثورة ٢٣ يوليو وزعيمها الخالد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الذي لم يسلم كما ذكرنا في أول هذا الفصل من المؤامرات.



العقيد معمر القذافي وقطار التحدي على خطى جمال عبد الناصر...



الراحلين الكبيرين جمال عبد الناصر وفيصل خسرتهما الأمة العربية.

المخابـــرات العربيـــة

ـ المخابرات المصرية أيام زمان أين رجالها وانجازاتها

ـ المخابرات المصرية بعد كامب ديفيد



اللواء محمد عبد العليم مخلوف المدعي العام العسكري المصري في
قضية الجاسوس فايز عبد الله ...؟

المخابرات المصرية أيام زمان المخابرات الحربية في جمهورية مصر العربية.
التي كنا نعتز بانجازاتها العالمية. أين هي الآن.. أين رجالها الأبطال...

شرحنا في الجزء الأول من كتاب (المخابرات والعالم) بأن الضرر الذي يلحق بالدولة وبأمنها نتيجة نقل منتسبي (جهاز المخابرات) الى مصالح (ثانوية كالزراعة والاصلاح الزراعي والتجنيد) هو ضرر بليغ بحيث تحرم الدولة من الخبرة التي اكتسبها هؤلاء الرجال طيلة مدة السنوات التي قضوها في عملهم ومثال على ذلك من الماضي القريب أن الضابط الذي اكتشف صورة الجاسوس الاسرائيلي كوهين وهو برتبة (مقدم) سبق أن حقق معه ابان حوادث المتفجرات بالقاهرة والتي سميت باسم قضية (لافون) كان في حينه برتبة (ملازم) كل ذلك في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ولو أن هذا الملازم قد نقل من المخابرات لضاعت فرصة اكتشاف كوهين الذي أقض أعدامه في سوريا التي لا تعرف التهاون مع الجواسيس مضجع اسرائيل بكاملها كما شرحنا بأن بعض ضباط المخابرات السوفيات استمروا في الخدمة بنفس مراكز عملهم التي كانوا فيها منذ أيام (القيصر) أما في جمهورية مصر العربية التي كنا نعتز ونفاخر بمخابراتها التي ألحقت بالمخابرات الاسرائيلية المعادية أقوى الضربات حتى أنها كانت تلاحق العملاء الاسرائيلين والمصريين في أوربا بشكل ناجح جداً.

أما مخابرات مصر ما بعد كمب ديفيد فأصبحت غير المخابرات التي عرفناها فقد تحول جهدها الى التجسس على المواطنين المعارضين للكمب ونقلت جميع عناصرها الى دوائر مدنية أولا ثم جرى تسريحهم على دفعات ووضع الضباط البارزين منهم تحت المراقبة والاقامة الجبرية وقد حاول بعضهم الحصول على (جوازات سفر) لمغادرة مصر للعمل في بلاد الله الواسعة لكنهم منعوا وأعيد اعتقال بعضهم بدون مستند قانوني وبحجج واهية كالادعاء باشتراكهم في تعذيب أو اعتقال مغاير للقانون ابان خدمتهم السابقة ومعروف أن الآمر بالاعتقال حاليا هو نفس الآمر بتلك الاعتقالات التي يجري اعتقالهم بسببها.

وبعد المفاجأة المذهلة للعالمين العربي والاسلامي بسفر السادات إلى اسرائيل والصلح معها بتوقيعه معاهدات كمب ديفيد فقد انتفت الحاجة بعد ذلك الى كل

جهد وعمل المخابرات المصرية ضد (اسرائيل بمخابراتها) وأسقطت تباعاً جميع الملاحقات التي كانت قائمة ضد العملاء لاسرائيل سواء كانوا أجانب أم مصريين يتعاملوا لضعف في نفوسهم مع المخابرات الأسرائيلية.

طلب اعادة الاعتبار للجواسيس بعد كمب ديفيد:

وقد دعت الحركة الوطنية المصرية مجموعة من رجال القانون المصريين تضم عددا لا بأس به من المحامين الذين ينتمون الى المعارضة: أن تتقدم الى القضاء المصري بمذكرة قانونية يطلبون فيها (رد الأعتبار) الى بعض المواطنين المصريين الذين سبق وأدانتهم المحاكم العسكرية ومحاكم أمن الدولة والجنايات بتهمة التخابر مع العدو الاسرائيلي أو الاتصال به والتجسس لصالحه (قبل كمب ديفيد).

وقد عكف هؤلاء المحامون على دراسة ملفات القضايا التجسسية والتي كان من أهمها:

١ ــ قضية الجاسوسة الحسناء (هبة عبد الرحمن سليم عامر) التي أعدمت شنقا في أحد سجون القاهرة مع خطيبها المقدم (فاروق عبد الحميد الفقي) الذي أعدم أيضاً رمياً بالرصاص لكونه ضابطاً وثبت تجسسهما لاسرائيل.

٢ ــ قضية المواطن (ابراهيم شاهين) الذي كان أيضاً يحمل رتبة مقدم ولكن في الجيش الاسرائيلي وقد أدين بجرم التجسس وحكم بالاعدام مع زوجته التي كانت تحمل (رتبة ملازم أول أيضاً في الجيش الاسرائيلي) حيث نفذ فيهما الحكم كما سيذكر في هذا الفصل.

٣ ــ قضية الجاسوس (رجب عبد المعطي) من مواليد ١٩٣٧/١٠/١ قسم القباري بالاسكندرية وصاحب شركة الخدمات البحرية) الذي منحته أيضا المخابرات الاسرائيلية رتبة (رائد.. أي صاغ) لتضمن اشباع رغبته في الرتب العسكرية ومن ثم القي القبض عليه من قبل المخابرات الحربية المصرية الوطنية في حينه وحكم عليه بالاعدام وانتحر في

سجنه قبل أن ينفذ فيه الحكم كما جاء في الصفحة (٥ من المخابرات والعالم الجزء الأول).

٤ ــ قضية الجاسوس (فؤاد علي جمعة).

٥ ــ قضية الجاسوس (بهجت يوسف حمدان).

٦ ــ قضية المهندس محمد متولي مندور الذي يعمل في شركة المقاولون العرب التي يملكها (عثمان أحمد عثمان).

٧ ــ قضية الجاسوس (محمد ابراهيم فهمي كامل) الملقب بـ (ماريو) والذي تجسس للمخابرات الاسرائيلية على المصريين في ايطاليا وألقي القبض عليه وثبت تجسسه وحكم بالاعدام وأعدم في أحد سجون القاهرة.

٨ ــ قضية الجاسوس جمال حسين يوسف الذي حكم عليه بالسجن المؤبد (٢٥ سنة) لتخابره مع العدو الاسرائيلي وقد تضمنت المذكرة طلب اعفائه من قضاء بقية العقوبة المحكوم بها لعدم وجود مبرر لاستمرار (سجنه) بعد أن زالت الأسباب التي دعت للحكم عليه بعد الصلح الذي وقعه السادات مع اسرائيل.

٩ ــ طلب اعفاء (١٣ مصريا محكومين بالسجن لمدد متفاوتة) لنفس الأسباب وهي التخابر مع اسرائيل.

١٠ ــ طلب اعفاء (٣) محكومين بالاعدام لنفس جرم التجسس من العقوبة والعمل على اخلاء سبيلهم فورا. وعلم في حينه أن مذكرة هؤلاء المحامين سترتكز على زيارة أنور السادات لاسرائيل هذه الزيارة التي تحدي بها أنور السادات شعور ملايين العرب والمسلمين والتي قام بها بتاريخ ١٩ تشرين ثاني ١٩٧٧ وتوقيعه معاهدات الكمب بعدها بما أوجب اسقاط جميع الحجج والبراهين التي استندت اليها المحاكم المصرية في اصدار أحكامها كما تضمنت المذكرة سرداً لاتهام السادات نفسه في قضية اغتيال وزير المالية المصري أمين عثمان بعد التصريحات التي أطلقها في حينه والتي دعا فيها الى زيادة التعاون والصداقة مع بريطانيا (ابان الاحتلال البريطاني) لمصر نفس الموقف الذي وقفه السادات بدعوته للصلح والتعاون مع العدو الاسرائيلي ولدى البحث عن نتيجة تقديم هذه المذكرة للقضاء وهل سيحكم القضاء

المصري باعادة الاعتبار قضائياً للذين أعدموا وإعفاء باقي المحكومين من قضاء باقي مدة عقوبتهم ظهر أن السبب الرئيسي لتقديم هذه المذكرة هي أن تكون محاكمة السادات (في حينه) اذا تجرأ القضاء المصري علي قبولها (شكلا) والسير بها (أصولا) بحيث اطلعت الجماهير المصرية المغلوبة على أمرها على قضية أغرب من الخيال من أقدس المنابر التي بقيت في مصر (كمب ديفيد) ألا وهو منبر القضاء..

كيف كانت المخابرات المصرية تعمل قبل كمب ديفيد:

لا يحق لي كمؤلف أن أطلق اسم (جاسوس) على أي شخص قبل التأكيد من قيامه بأعمال التجسس لصالح دولة معادية لبلدة عند ذلك يحق للمخابرات والنيابة العامة والمحكمة وأخيراً الصحفي أو المؤلف أن يطلق اسم (جاسوس) والجاسوس الذي نذكره الآن شاب متعلم من سيناء المحتلة كان يقيم في جمهورية مصر شبرا شارع محمود أحمد داوود شقة ٤ الأميرية ــ اسمه الكامل: فايز عبد الله المطري تاريخ ومحل الميلاد: العريش ١٩٤٦. العمل حين القاء القبض عليه (مدرس بمدرسة الهاشمية الاعدادية في شبرا) الحالة الاجتماعية: متزوج من مدرسة مصرية وله منها طفلة.

آخر العملاء:

الجاسوس فايز عبد الله المطري آخر العملاء الذين كشفت عنهم هيئة الأمن القومي في مصر والذي استطاعت المخابرات الاسرائيلية تجنيده للتجسس على بلده مصر ولد في العريش بسيناء من أب يدعى الشيخ عبد الله المطري التاجر الذي لم يكن يعرف أن الأيام سوف تجعل من ولده فايز جاسوسا يرتمي في أحضان اسرائيل وهو الذي لم يدخر شيئاً في سبيل تربيته التربية الحسنة وتعليمه وحتى عندما رأى أن المحتلين الاسرائيليين قد أوعزوا بتغيير المناهج الدراسية لاستبدالها بمناهج اسرائيلية أضربت المدارس وأغلق بعضها قرر ارسال ولده فايز لاستكمال تعليمه في مصر وعلى أيدي المدرسين المصريين وبالفعل أرسله الى مصر عقب عدوان حزيران ١٩٦٧ مباشرة والتحق بمعهد فني واستقبل في مصر بالأحضان والعطف المعروف عن المصريين تجاه أبناء سيناء وكما تستقبل مصر دائماً الطلاب

العرب فأكمل دراسته الفنية والتحق بالقوات المسلحة لاداء الخدمة العسكرية وقامت حرب اكتوبر ١٩٧٣ وهو لا يزال في الخدمة العسكرية ولكنه لم يشارك كمحارب لأنه كان في أحد فروع الخدمات بالجيش المصري وانتهت الحرب فعاد مرة أخرى الى سيناء عام ١٩٧٤ (عن طريق الصليب الأحمر) بعد أن رأت القيادة في مصر عدم منع زيارة أبناء سيناء لأرضهم وأهلهم وكانت موافقة الرئيس أنور السادات بالذات (في حينه) على زيارة أبناء سيناء المقيمين أو الدارسين بمصر ولأسباب انسانية وقد تقبلت هذه الموافقة رغم ما فيها من أذى وضرر لأمن الدولة في مصر.. وهكذا رجع فايز المطري الى أهله وأرضه ومعه مؤهلة الدراسي الجديد من المعهد الفني بالاضافة الى شهادة تأدية الخدمة العسكرية وثقافة لا بأس بها.

اكتسبها من مصر زودته بمعلومات عسكرية اكتسبها أثناء تأديته الخدمة ومعلومات سياسية من احتكاكه بالمواطنين واقتصادية من اطلاعه على الحالة الاقتصادية العامة ومناقشة زملائه وبقي في بلدة العريش عدة شهور لم يتمكن من ايجاد أي عمل يتناسب مع مؤهله الجديد فقرر العودة الى مصر للعمل بها وكان لا بد له من مراجعة مكتب الحاكم العسكري للحصول على تصريح بالخروج من الأرض المحتلة.

تطويعه بسهولة لخدمة المخابرات الاسرائيلية:

كانت المخابرات الاسرائيلية (فرع العريش) قد جمعت عنه كل ما يلزمها من معلومات خاصة ما كان يرويه ويتبجح به عن اشتراكه بالحرب في اكتوبر والأسلحة الحديثة الموجودة في الجيش المصري وحديثه عن التكنولوجيا المصرية ومن هذه المعلومات عرفت المخابرات الاسرائيلية أنها عثرت على (صيدلمين) فأخذت تنتظره بفارغ الصبر وهي تعرف أنه آت اليها وعندما توجه الى مكتب الحاكم العسكري للحصول على تصريح الخروج من سيناء وجد الترحاب والتلطف من الضابط الاسرائيلي المختص الذي طلب منه أن يملىء استمارة مطبوعة عن حياته منذ نشأته حتى الآن ففعل وطلب منه أن يعود في اليوم التالي.

وبعد ذهابه استخرج الضابط ملفة المحفوظ لديهم واستخلص منه تقريراً مفصلاً ضم الاستمارة المملوءة بخط يده عن امكانية التعاون معه فحصل على الضوء الأخضر للقيام بعملية جس النبض الأولية. عندما رجع في اليوم التالي وحسب طلب

الضابط المسؤول عن التصاريح أحيل الى ضابط المخابرات الاسرائيلية الذي رحب به وجعل أحد الجنود الاسرائيليين يقدم له فنجاناً من الشاي وأثناء تناول الشاي سأله الضابط: ما هو رأيك لو تتعاون معنا ونحن نفيدك ونساعدك في الحصول على كل ما تطلبه منا من مال وفير وتصاريح لك ولمن تحب من الأهل.. فلم يتردد فايز في الموافقة حالا على عرض المخابرات الاسرائيلية خلال دقائق معدودة وقبل أن ينتهي من شرب الشاي وهكذا نجد بعض ضعاف النفوس والذين لديهم نقاط ضعف معينة أمثاله يقعون فريسة سهلة بين يدي المخابرات المعادية لأنهم بالأصل لديهم استعداد فطري للخيانة أولاً وثانيا لم يطلعوا أو ينبهوا عن نتيجة تجسس من سبقهم من الجواسيس.

تدريب الجاسوس الجديد:

سرت المخابرات الاسرائيلية بهذا الصيد الثمين ورتبت له أمر تأخير منحه التصريح بالسفر الى (مصر) التي ستكون مركز عمله التجسسي وذلك لاتباعه دورة على أعمال التجسس والتخابر وقد بدأ بالحصول على الدروس الاولى في (التجسس) على يد ضابط المخابرات الاسرائيلي (موشي مزارحي) في بئر السبع وفي منزله الكائن بالشارع الرئيسي مقابل الاطفاء ومقابل ذلك كانت (عيون) المخابرات المصرية ترصد حركات فايز منذ أول ضوء شمس في أول كانون الثاني ١٩٧٦ وترصد البدايات الأولى لعملية (تدريب جاسوس) ثم تابعت المخابرات المصرية تدريبه يوماً بيوم طيلة أشهر كانون ثاني (يناير) وشباط وآذار ١٩٧٦ حيث علم (منه فيما بعد) أنه تدرب خلال هذه المدة على الأمور التجسسية الآتية:

١ ــ الكتابة السرية بالحبر السري والكربون السري وهو أحدث من الحبر السري.
٢ ــ تمييز الأسلحة المصرية والتعلم على أسمائها لدى مشاهدتها في مصر فيما بعد وقد عرض عليه أثناء التدريب (بالفانوس السحري) صورا لجميع أنواع الأسلحة الموجودة في مصر.
٣ ــ استقبال الرسائل (الأوامر) البرقية عن طريق الراديو (لاسلكي محسن) ومن ثم استخدام شيفرة المخابرات الاسرائيلية لحل هذه البرقيات فيما بعد وأثناء عمله.

نظرا للتعاون الجيد الذي أبداه أثناء التمرين وحفظه الدروس ونجاحه بدرجة جيد في مدرسة الجاسوسية الاسرائيلية فقد منح اجازة (١٥ يوماً) يقضيها بين ذويه في العريش كماً منح مبلغ رمزي لكيلا يظهر عليه (الترف) وهو مبلغ خمسون جنيهاً.

أمضى الجاسوس مدة أجازته في منزله حتى ١٦ نيسان (ابريل) ١٩٧٦ غادر الي مصر عن طريق الأردن هذه المرة وتوجه الى مدينة (شبرا) حيث له بعض الأصدقاء الذين ساعدوه حتى حصل على أن يعمل (مدرسا) في المدرسة الأعدادية الهاشمية وليبدأ عمله (الآخر) وهو (جمع المعلومات) التي كلف بجمعها استنادا لقائمة سلمت له من استاذه ومدربه في المخابرات الاسرائيلية (موشي مزراحي) وتحوي هذه القائمة طلب معلومات عسكرية وسياسية واقتصادية وأخيرا الاشاعات العامة المتداولة بين أفراد الشعب.

ولم ينس مدربه أن يسلمه مع هذه القائمة مبلغ /٣٠٠ جنيه مصري/ ليستعين بهم على بدء حياته الجديدة بشكل لائق كما سلم حقيبة (سامسونايت) وضع في غطائها المموه الأدوات التي سيستخدمها في التجسس وهي: الكربون السري والكتاب الذي يستعمل في حل شيفرة البرقيات التي ستصله وراديو ترانزيستور له حساسية معينة لاستقبال البرقيات بالضغط على زر معين وما عدا ذلك فهو راديو عادي حتى ولو نسيه بين يدي الغير (وهذا الراديو أحدث هدية للمخابرات الاسرائيلية من الوالدة الأم المخابرات الأميركية).

المخابرات المصرية (العين الساهرة):

منذ ابتداء فايز بالتدريب على التجسس وعين المخابرات المصرية لا تغفل عنه حتى انتهاء الدورة وقضائه الاجازة مع أهله ثم توجهه الى مصر عن طريق الاردن والمخابرات المصرية ترصد عنه كل شيء وهو لا يدري حتى بدأ بجمع المعلومات في شبرا فتمكنت هذه المخابرات من الحصول على العنوان الذي يرسل له المعلومات في ألمانيا الغربية.

وقامت المخابرات المصرية أيضا بتصوير جمع الرسائل التي أرسلها الى هذا العنوان وسمحت بارسالها لأنها وجدت أنها لا تشكل ضرراً للمصلحة العامة باعتبار الجاسوس في أول الطريق وان ما يرسله من معلومات لا يتعدى المعلومات العامة والاشاعات وبعض المقاطع من التحليلات الاخبارية التي كان ينقلها حرفياً

من الصحف المصرية ــ الاهرام ــ الجمهورية ــ آخر ساعة وغيرها وهو لا يدري أن (المخابرات الاسرائيلية تحصل على صحف جميع الدول العربية وبصورة يومية وخير دليل على ذلك هو تعليق الاذاعة الاسرائيلية على صحف نفس اليوم).

وعندما وجدت المخابرات المصرية بالاتفاق مع النيابة العامة العسكرية أن الجاسوس بدأ ينخرط في المجتمع ويحصل على معلومات تضر المصلحة العامة والأمن القومي للبلد فيما لو أرسلت الى المخابرات الاسرائيلية فتقرر أن تنتهي العملية عند هذا الحد.

نهاية جميع الجواسيس:

في صباح ١٩٧٦/١٠/٢٧ توجهت دورية من المخابرات المصرية الى منزل الجاسوس مزودة (في حينه) بأوامر من النيابة العامة العسكرية وموقّعة من السيد اللواء محمد عبد العليم مخلوف المدعي العام العسكري وقامت باعتقاله واعتقال زوجته معه (أخلي سبيلها بعد ثبوت عدم تدخلها أو علمها بعمل زوجها) وسيق الى مركز التحقيق في المخابرات الحربية بالقاهرة وهناك واجهته المخابرات بكل التفاصيل بل وأدقّها عن انخراطه بالتجسس منذ أول لحظة وحتى تاريخ القاء القبض عليه فانهار تماما ولم يملك سوى الاعتراف الكامل بجميع الوقائع تحت اشراف العميد الدكتور سمير فاضل نائب المدعي العام العسكري والمقدم فاروق سلطان وبعد الانتهاء من التحقيق معه قدم الى المحكمة العسكرية بالتهم الآتية:

١ــ التخابر مع مندوبي دولة أجنبية معادية هي (اسرائيل) بقصد امدادها بمعلومات عن القوات المسلحة المصرية يكون من نتيجتها الحاق الضرر بهذه القوات.

٢ ــ تقاضي رشوة من دولة أجنبية معادية (اسرائيل) بقصد امدادها بمعلومات عسكرية (زمن الحرب وانتهت المحكمة بصدور الحكم عليه بالحبس المطلق ليكون عبرة لمن يتبع هذه الطريق ونعرض بأن معنى الحكم بالحبس المطلق كالسجن المؤبد لأن المحكوم لا يستحق العيش طليقا لأنه يلحق الأذى ببلده...

أصيبت المخابرات الاسرائيلية بضربه قاصمه بكشف عميلها الجديد الذي

لم تفرح بعد بانتاجه. وافتضاح أمر الجاسوس (فايز عبد الله) آخر من جندتهم اسرائيل للعمل لحسابها كما أن هذه هي أسرع قضية يتم ضبطها لأن أعمال تجسس فايز التي كانت محل رصد ومراقبة المخابرات المصرية منذ اليوم الأول حتى رأت المخابرات المصرية انهاء العملية لترد على المخابرات الاسرائيلية بأن مخابرات مصر قادرة دائما على كشف عملاء اسرائيل خصوصا بعد أن نشرت الصحف الاسرائيلية (معاريف) و (عازولام) و (هارتس) مقالات تشكك بالقضايا التي نشرتها الصحف المصرية عن اكتشاف العديد من العملاء أمثال (فايز) وهكذا أرادت مخابرات مصر أن تقزم أقصر عملية تجسس كما أنها سبق أن استمرت مع المخابرات الاسرائيلية طيلة سنوات عديدة وختمت العملية في حينه ببرقية مرسلة من المخابرات المصرية الى المخابرات الاسرائيلية... عمليكم انتهى بانتظار عميل آخر...

وقد لا تقتصر أهمية الكشف على عميل بسيط بحجم فايز على ما سبقها.. فالحرب في هذا المجال كانت دائرة بين مخابرات مصر ومخابرات اسرائيل وما اشاعتها ونشرها في الصحف والكتب سوى تحذير للمواطن المصري أولا والعربي ثانيا وعموما من الوقوع في براثن المخابرات الاسرائيلية ولكيلا يقعوا في نفس الخطأ ولو أن (فايز) تظاهر بقبول التعامل مع المخابرات الاسرائيلية واتبع الدورة التجسسية (ارضاء لهم) ولدى حضوره الى مصر كان يجب عليه المبادرة حالا باعلام المخابرات المصرية عن كل ما تعرض له وهي المخابرات التي لديها كل الامكانيات لحمايته ومساعدته واعفاءه من أي تبعات وبالعكس كان سيستفيد من مخابرات بلده معنويا وماديا ووطنيا فيما لو أخبرها بما عرض عليه أليس هذه النهاية أفضل من السجن المطلق...

كيف اكتشفت المخابرات المصرية الجاسوس المقدم ابراهيم شاهين:

كشفت المخابرات الحربية بالقاهرة بعض حوادث التجسس التي جرت عقب احتلال سيناء والتي كانت الجواسيس فيها من ابناء سيناء المحتلة قامت المخابرات الاسرائيلية المتواجدة في مدن سيناء بتجنيدهم في اوقات متفاوتة للعمل لصالحها مستعملة معه نفس اساليبها في ايقاع ذوي النفوس الضعيفة خاصة وان ظروف الاحتلال كانت قاسية على الاهالي الذين حرم معظمهم من مصادر رزقه وعيشه واصبح بحاجة ماسة لأي عمل يسدّ به رمق عائلته وهذا هو ابراهيم سعيد شاهين من سكان مدينة

العريش ويعمل موظفاً قبل الاحتلال في (مديرية العمل بسيناء) وجد نفسه وزوجته انشراح بدون عمل وولداه في القاهرة يتابعون تعليمهم حتى وصل به الأمر الى زيارة مكتب الحاكم العسكري حيث استقبله الضابط (نعيم) فطلب منه أن يوظفه لديهم في أي عمل أو أن يعطيه (بعض الطحين) فأمهله الضابط نعيم لليوم التالي (أي لتكوين دراسة عنه حسب العادة) وفي اليوم التالي (منحه) كيس طحين وطلب منه التردد اليهم لعل وعسى أن يجدوا له عملا وليحصل على الطحين مرة ثانية وثالثة...

تكررت زيارات ابراهيم للضابط نعيم في الحاكمية العسكرية وفي احدى المقابلات عرض عليه نعيم أن يعطيه تصريحا للسفر الى القاهرة بعد أن أطمأن له فوافق ابراهيم فورا عند ذلك أكمل الضابط نعيم كلامه: علمنا أن لك شقيقاً في لندن يملك مكتبا للتصدير والاستيراد وأنت سيكون عملك بالقاهرة ارسال أسعار الفواكه والخضراوات والكماليات المتوفرة للتصدير لشقيقك هذا فوافق ايضا وهنا اصطحبه نعيم معه الى (بئر السبع) وعرفه على الضابط (ابو يعقوب) الذي رحب به وقال له مباشرة: ما رأيك تشتغل معنا..؟

فلم يتردد ابراهيم بل وافق فورا وتدارس معه تفاصيل العمل والراتب وهنا انسحب (نعيم بعد أن سلم الجاسوس الجديد للضابط أبو يعقوب باعتباره أكبر منه رتبة وهو المختص في بئر السبع عن تدريب الجواسيس الجدد).

دورة جاسوسية:

اتبع ابراهيم كعادة المخابرات الاسرائيلية لدورة تدريبية على أعمال التجسس وتعلم كيفية استخدام الكتابة بالحبر السري واظهارها ووسائل جمع المعلومات وكتابتها وتدرب على التمييز بين مختلف الأسلحة عندما يراها وحتى الطائرات عرض عليه صور جميع الطائرات ليستطيع معرفتها وبعد نجاحه التام في هذه الدورة عاد الى بيته في العريش وأفهم زوجته كل شيء فرحبت أيضا، جرى. وداع الجاسوس الجديد من قبل الضابط نعيم الذي أعطاه مظروفا تبين أن يحوي مبلغ ١٠٠٠ دولار وعلى بعض العناوين في أوربا للكتابة لها عندما يبدأ عمله ونشاطه.

وصل الى القاهرة مع زوجته والتحق بالسكن مؤقتا مع أولاده وقدم طلبا الى الجهات المسؤولة فاستفاد من التسهيلات الممنوحة للمهجرين واستلم منزلا في

حي ــ المطرية الشعبي ــ ومنحته محافظة سيناء (مكتبها بالقاهرة) المساعدات المالية التي تمنح عادة لضحايا العدوان أضافها ابراهيم الى الدولارات التي يحملها من اسرائيل وأخذ يصلح من شأن عائلته التي سعدت بجمع الشمل بعد طول شتات.

عندما استقربهم المقام بدأ العمل مع زوجته فقط في جمع المعلومات وارسالها الى العناوين التي يحملها ويستلم عوضا عنها تعليمات بالحبر السري يحللها وينفذها حتى طلبوا منه السفر الى روما مع زوجته لصالح العمل وفي روما أخذت السفارة الاسرائيلية منهم جوازات سفرهم المصرية وأعطتهم جوازات سفر اسرائيلية باسم (موسى عمر وزوجته دنيا عمر) واصطحبهما مندوب السفارة الى مطار (روما) وأركبهما الطائرة الاسرائيلية (العال) المتوجهة الى (اللد) وفي اللد انتقلا الى بئر السبع حيث استقبلهما مجدداً الضابط (أبو يعقوب) الذي رحب بالزوجة دنيا كما عتب على ابراهيم لقلة نشاطه وفي اليوم التالي للزيارة عرف ابراهيم سبب طلبه وهو (عرضه على جهاز أميركي حديث جدا لكشف الكذب) لأنهم يخافوا من أن تكون المخابرات المصرية قد كشفته وتوجهه. لكنه كان عند حسن ظنهم واثقاً من اخلاصه لهم فاعتذر منه أبو يعقوب قائلا: نحن نتأكد من رجالنا بين الفينة والفينة وان نتيجة الجهاز تؤكد اخلاصك لنا ثم أعطي تدريباً جديداً مع زوجته مع التأكيد بأن عملهما سيكون محصورا بالنواحي العسكرية وعلى الروح المعنوية للشعب المصري ثم عادا الى روما حيث استلما الجوازات المصرية للعودة الى القاهرة.

عاد الزوجان الجاسوسان الى منزلهما واستخدما عدداً من المواطنين تغلغلوا في جميع الأوساط التي تعيش في الحي الشعبي في المطرية واستخدما كل مهارة وذكاء في جمع المعلومات وتصنيفها وارسالها وقد حققا نجاحا وانتاجا وفيرا وخاصة خلال حرب الاستنزاف...

وكانت نتيجة هذا الجهد زيادة المخصصات من المخابرات الاسرائيلية وقاما برحلة الى روما بدون طلب هذه المرة وفي روما طلبا من ضابط المخابرات في السفارة أن يساعدهم في السفر الى أسمرة لوضع بعض الأموال التي جمعوها هناك (كان سفرهم من مصر بحجة زيارة شقيقته أفراج التي تقيم بالخرطوم وفعلا زارا الخرطوم قبل روما) ولدى عودتهم الى مقرهم يحملون الهدايا الثمينة وقد قررا أن يوسعا نشاطهما بادخال ولديهما معهما وهكذا جندا ولديهما (نبيل) و(محمد)

وأوكلا اليهما بعض أنواع التقاط المعلومات وبذلك أصبحت العائلة بكاملها (متورطة) في التجسس والخيانة حتى الرأس.

في كل مصلحة يجري التطوير والتحسين والمراجعة والمخابرات كمصلحة يجري فيها في كل مدة مراجعات لاطلاع العملاء أو الجواسيس على الأشياء الجديدة التي أدخلت الى عالم التجسس وهكذا قامت المخابرات الاسرائيلية بطلب سفر الزوجين الى روما ومنها حولا الى اسرائيل (اللد) بعد أخذ جوازات السفر المصرية منهم ومنها حولا الى بئر السبع حيث اتبعا دورة متقدمة في أعمال التجسس فقد تدربا على أعمال التصوير وفنونه وحصلا على أنواع من الكاميرات تلتقط الصور تباعا وبدون حاجة الى ضبط ويمكن تشغيلها بخفة ودون أن يلحظ أحد كما تقرر زيادة الراتب (وليس المكافأة) الى ٣٥٠ دولاراً شهرياً للزوجين ونظرا للانضباط الذي أظهره ابراهيم في جميع مراحل تدريبه وتعامله والدقة في الارسال والعمل فقد قررت المخابرات الاسرائيلية منحه رتبة مقدم في جيش الدفاع الاسرائيلي ومنح زوجته رتبة ملازم أول أيضا وكنا قد ذكرنا في الصفحة ٧٣ من الجزء الأول من كتاب (المخابرات والعالم) بأن المخابرات الاسرائيلية منحت الجاسوس (رجب عبد المعطي) أيضا رتبة رائد في مخابرات جيش الدفاع الاسرائيلي اشباعا لرغبته وتشجيعاً له لتقديم المزيد من الخيانة لوطنه ولكن هذه الرتبة كلفته حياته على حبل المشنقة نتيجة اكتشافه من قبل المخابرات المصرية في حينه وهذا هو جاسوس جديد شعرت المخابرات الاسرائيلية بأنه يحب التظاهر ولديه زوجه جميلة تشاطره السراء والضراء فليكن الاثنين معا ذوي رتب في عملهما الخياني لأن المخابرات الاسرائيلية تعمل المستحيل لحصولها على المعلومات من عملائها وهي تقدم لهم (لبن العصفور اذا طلبوا).

وقد رجعا الى مصر بعد أن طلب منهما أبو يعقوب التحرك في كل مكان وأن يلتقطا صورا لكل شيء عملا بنصيحة أبو يعقوب ضاعفا الجهد وقاما بتصوير مئات الصور وجمعا عشرات التقارير والرسائل وأصبح عملهما روتيني فالطلبات تصلهما بالراديو محددة نوعية الطلبات والاحتياجات والمعلومات والرسائل ترسل الى المخابرات الاسرائيلية بالحبر السري الى العناوين العديدة في أوربا وتكررت سفريات الزوجين بأعذار سياحية ومرضية أحيانا كان يسافر الزوج وحده وأحيانا تسافر الزوجة وحدها للالتقاء بضباط المخابرات الاسرائيلية في روما أو أسمرة وحسب قول المثل (كل شيء هين بعد الخيانة) وما هو المانع الذي يمنعها من السفر

وحدها وقد أعطاها السيد المقدم زوجها الحرية التامة واستمر العمل هكذا بارسال الرسائل أو السفر حاملين الأفلام ضمن طيات الملابس أو في الحقائب السرية المعدة لهذه الأمور حتى عام ١٩٧٣.

حرب ٦ تشرين ١٩٧٣:

في الأول من اكتوبر ١٩٧٣ سافرت الزوجة انشراح وحدها الى (روما) وهي تحمل الكثير من الصور والمعلومات وفي اليوم التالي لوصولها أي في ٧ اكتوبر قابلها الضابط أبو يعقوب (لنتصور اهتمام المخابرات الاسرائيلية بعملائها لأن الضابط أبو يعقوب يحضر من بئر السبع الى اللد ثم الى روما ليستلم المعلومات من عميلته بالذات) وكان شاحب الوجه ممتقع اللون متهدج الصوت وأخذ يسألها عن الحرب فأجابته أنها لا تعرف شيئاً نهائياً فأخذ يحدثها عن هجوم الجيشين المصري والسوري على اسرائيل وانتصار المصريين باجتيازهم قناة السويس رغم ضخامة المواقع كما أعلمها أن القوات السورية اجتازت القنيطرة وهي متجهة الى طبريا وأخذ يبكي وبكت معه انشراح وأخذت تواسيه فاستعاد رباطة جأشه وقام باستلام ما تحمله من المعلومات والأفلام ثم سلمها بعض المال الحرام لقاء حضورها وطلب منها العودة بسرعة الى مصر وأوصاها بمواصلة العمل وجمع المعلومات عن (رد الفعل) مع التشديد على التزام الحذر واليقظة التامة.

وعادت انشراح الى القاهرة لتروي لزوجها الجاسوس تفاصيل ما حصل ولتجده يعيش جو الحرب فتابعا عملهما بامداد المخابرات الاسرائيلية بالجديد والمفيد من المعلومات.

أهمية المقدم الجاسوس لدى اسرائيل:

وصله طلب رؤسائه بحضوره الى تل أبيب عن طريق أثينا هذه المرة وكعادتهم (لأنهم عائلة جواسيس) اتفقوا على السفر الى تركيا هذه المرة للترويح عن النفس الزوج والزوجة وابنهما نبيل فتوجهوا في الأول من ابريل نيسان ١٩٧٤ الى استانبول وهناك تركهم ابراهيم وتوجه الى أثينا حسب التعليمات ليجد أبو يعقوب بانتظاره فتوجها فورا الى اللد ثم تل أبيب حيث حضر اجتماعا على مستوى عال لرجال المخابرات الاسرائيليين وأغلبهم من الضباط الجدد بعد أن طوت حرب تشرين الوجوه القديمة من المخابرات الاسرائيلية وقد بادره أكثر من ضابط بالسؤال

الملحق التالي (كيف لم تتبين الاستعدادات للحرب في مصر أو بالاصح كيف لم تعلم بأن مصر ستحارب اسرائيل) وكان رده (أنه لم يشاهد ما يدل على نية مصر بالحرب مطلقا بالعكس كان العسكريون ومنهم بعض أقربائه، قد تقدموا بطلبات للسفر الى الحج وليس هناك أية ظواهر على نية مصر أو سوريا بالحرب) ثم أردف بأنه حتى لو علم بوقوع الحرب فليس لديه الوسيلة السريعة ليعلمهم لأن الراديو يستلم الرسائل ولا يرسل والبرقيات تخضع للمراقبة أما الرسائل فيلزمها وقت طويل مما يتعذر معه اخطارهم بالوقت المناسب على أثر هذا الاجتماع تقرر تسليمه أرقى جهاز ارسال في العالم خاص بعمليات التجسس العالمي وثمنه للدولة (١٠٠ مائة ألف دولار). وأبقي في تل أبيب مدة ليتعلم على الجهاز الجديد وهو عبارة عن جزئين الجزء الأول مطبعة وهي كمبيوتر له أزرار عليها حروف أبجدية انكليزية تشبه الآلة الكاتبة وجهاز الارسال هو الجزء الثاني من الجهاز الذي يقوم بالارسال حسب الموجه المحددة والتردد المحدد والوقت المحدد وكل ذلك يتم ضبطه تلقائياً فور تشغيل الجهاز ورغم كون الجهاز مرتفع الثمن وظاهره التعقيد إلا أنه سهل الاستعمال ويلزم للانسان العادي الذكاء أن يتمرن عليه ثلاثة أيام فقط كونه يرسل الجملة التجسسية المكونة من خمس كلمات في ثانية واحدة بمعنى أنه يرسل رسالة تجسسية مؤلفة من ستين كلمة بـ ١٢ ثانية وأيضا برهن المقدم الجاسوس أنه عند حسن الظن فتعلم كل ذلك بمدة ثلاثة أيام بالضبط ولكنه وقف واجما ليستفسر من زميله أبو يعقوب عن كيفية نقل الجهاز الى مصر فقدمه أبو يعقوب الى نائب مدير المخابرات الاسرائيلية أي نائب (أهارون ياريف) الذي سلم عليه وظهر له أنه يعرف كل شيء عنه فقال له: اسمع يا موسى (اسمه لديهم المقدم موسى) نحن نعتمد عليك ونحرص عليك ولذلك سوف لا ندعك تخاطر بحمل أي شيء وأنت عائد الى بلدك كل ما عليك عندما تعود الى مصر توجه الى الكيلو ١٠٨ (كان الاسرائيليون قد وصلوا الى هذه المنطقة أثناء ثغرة الدفرسوار) على الطريق الصحراوي بين القاهرة والسويس هناك ستجد فنطاس مياه كبير مثقوب وغير صالح للاستعمال وخلفه حائط اسمنتي مهدم في منتصف هذا الحائط تماما احفر الأرض الى عمق نصف متر ستجد الجهاز هناك وهنا قاطعة موسى (أي ابراهيم) ومن سيحمل الجهاز الى هناك الشياطين فأجابه نائب مدير المخابرات الاسرائيلية: نعم ان الشياطين ستنقله لك الى هناك (وهذه المخابرات) وتابع حديثه قائلا: اسمع يا موسى لولا ثقتنا الكبيرة بك لما سلمناك مثل هذا الجهاذ ونحن لا نزال نحسب في

حسابنا بأن مصر سوف تشن حربا ثانية علينا طالما أن الفريق سعد الدين الشاذلي على رأس قوات القناة لذلك عليك أن تنصت وتراقبه جيدا حيث لا نريد أن تتكرر المأساة ولا نريد أن تحدث مفاجأة جديدة جهز نفسك لترسل لنا موعد الحرب وقد أوعزت الى رفع راتبك منذ الآن الى ألف دولار شهرياً أما اذا وفقت وأعلمتنا عن موعد اعلان المخابرات مسبقا فانك ستقبض مكافأة نقدية فورية مبلغ مليون دولار صعق ابراهيم ولكنه يعرف المخابرات الاسرائيلية وكرمها وهي التي يعرف الجميع مصادر ميزانيتها الحرام.

عاد ابراهيم الى تركيا واصطحب زوجته وولده نبيل ليعود الى القاهرة كمن عادوا من رحلة سياحية فعلا وبعد أيام توجه الجميع بسيارة خاصة استعارها الابن محمد الى طريق القاهرة السويس حتى وصلوا الى نقطة الكيلو (١٠٨) وعند الحائط بالضبط توجهت انشراح ذات القلب الجامد وتظاهرت بأنها تقضي حاجة وحفرت بمعول صغير حتى لمست لفة في بطن الأرض استدعت ابنها مخمد من السيارة وحملا معا الجهاز الملفوف بالنايلون القوي وعادوا جميعا للسيارة وانطلقوا عائدين للقاهرة فرحين وما أن وصلوا الى البيت حتى جردوا الجهاز من أغلفته المحكمة وتحلقوا حول ابراهيم وهم مندهشين لأنه سيعمل عليه وفعلا رتب برقية تجربة مؤلفة من عشرين كلمة أرسلها خلال أربع ثوان ولكن التجربة لم تنجح لتعطل مفاجيء في مفتاح كمبيوتر الجهاز حزن الجميع وحاول ابراهيم اصلاحه ولكن العطل ظاهر وهو بحاجة لمفتاح جديد وهناك تطوعت انشراح من نفسها بالسفر الى اسرائيل لجلب المفتاح وكأن السفر الى اسرائيل من مصر أصبح عندها السفر من مصر الى بلد آخر وبنفس البساطة.

سافرت انشراح وحدها يوم ٢٦ يوليو ١٩٧٤ الى روما ومنها الى اللد فبئر السبع فوجيء الضابط أبو يعقوب بحضورها ولكن ما ان علم السبب حتى فرح كثيراً بنشاطها واخلاصها وطلب منها أن تتبع دوره على الجهاز وأثناء الليل أقيمت على شرفها الحفلات الماجنة للترفيه عنها وعنهم ولم لا أليست برتبة الملازم الأول وزوجها موافق على كل تصرفاتها حتى الانغماس في حفلات جنس مع زملائها في المخابرات الاسرائيلية.

انتهت أيام الدورة التدريبية والترفيهية نالت انشراح أثناءها ما أرادت المجيء لأجله وهو مفتاحين للجهاز عوضاً عن مفتاح واحد وزيادة في الراتب للمرة الثالثة تكريماً لمجيئها وفوق كل ذلك منحها أبو يعقوب مبلغ /٢٥٠٠ دولار / تشجيعاً

منه ووفاء لها على منحه أشياء ثانية لا تدخل في الأعمال الجاسوسية وأمن عودتها الى مصر كما جاءت منها وهي تحمل المفاتيح في جيوب سرية في الحقيبة التي أهدوها لها... وفي روما بقيت بعض الأيام أيضا قبل عودتها الى مصر...

نهاية عائلة الجواسيس:

لم تعرف المخابرات الاسرائيلية وأمها المخابرات الأميركية بأن العقل البشري يعمل ويتطور كل يوم بل كل لحظة وأن جهازهم الذي اعتقدوا أنه الوحيد القادر على الارسال والاستقبال بدرجة عالية لأن ثمنه ١٠٠ ألف دولار وسهى عن بالهم بأن العقول الهندسية في الاتحاد السوفياتي ابتكرت جهازاً اسمه (صائد الموجات) كانت المخابرات المصرية تستخدمه في حينها كما استخدمته المخابرات السورية وما ان أطلق ابراهيم (برقيته التجريبية) من الجهاز قبل كسر المفتاح حتى كانت المخابرات المصرية تلتقطها وتحللها وتعرف مصدرها حالًا فوضع منزل (ابراهيم سعيد شاهين) الجاسوس تحت المراقبة الدقيقة وقامت المخابرات بمسح كامل في المنطقة التي يعيش بها فعرفت كل شيء عن سفره مع زوجته مرات عديدة الى أوربا ثم تكلم الجيران عن (كثرة أسفار العائلة جميعها) وعن الغنى الفاحش الذي ظهر عليهم خلال فترة بسيطة وكل ذلك يعتبر دليلا على انخراط هذه العائلة بأعمال التجسس عند ذلك استأذنت النيابة العامة باعتقال رب الاسرة (ابراهيم) بعد أن أتضح أن زوجته مسافرة فجرى اعتقاله في الساعة السادسة من صباح ٥ آب ١٩٧٤ من بين ولديه نبيل ومحمد ولدى افهامه الاتهام قبل وضع القيود الحديدية بيديه أخذ يبكي ويقول: ده قدري... أنا غلطان أنا ندمان.. أنا عارف من زمان أن الحديد سيوضع في أيدي. والدليل على أنه كان يعيش حالة خوف وترقب القاء القبض عليه ككل الجواسيس هو أنه عندما دخل رجال المخابرات لمنزله وأيقظوه من نومه لم ينكر ولم يسألهم من أنتم وأين السماح من النيابة.. حتى ولم يسألهم ماذا يريدون وسيق ابراهيم الى سجن المخابرات بينما بقيت مفرزة من المخابرات في منزله ومع أولاده تأكل وتشرب وتنام معهم انتظاراً لعودة (الأم الجاسوسة) وهذا الاجراء متبع في جميع حالات القاء القبض على جواسيس وانتظار عودة آخرين (كما حصل معنا بالذات عندما ذهبنا لالقاء القبض على جاسوس لاسرائيل في مدينة صيدا فوجدنا ابنته وحدها بالمنزل فصرفنا السيارات وبقينا مع الابنة في المنزل حتى حضر والدها الجاسوس فاعتقلناه) أما

السيدة انشراح فقد استمر غيابها بعد اعتقال زوجها في ١٩٧٤/٨/٥/ لغاية ١٩٧٤/٨/٢٦ وعند عودتها الى مطار القاهرة الدولي على متن طائرة (اليطاليا) القادمة من روما في الرحلة رقم (٧٩١) فوجئت بعدم وجود زوجها بانتظارها كالعادة (كانت هناك عيون رجال المخابرات الحربية بانتظارها) حيث جرت مراقبتها من حين خروجها من أمن عام المطار حتى تسليمها الى زملائهم المقيمين مع أولادها بالمنزل.

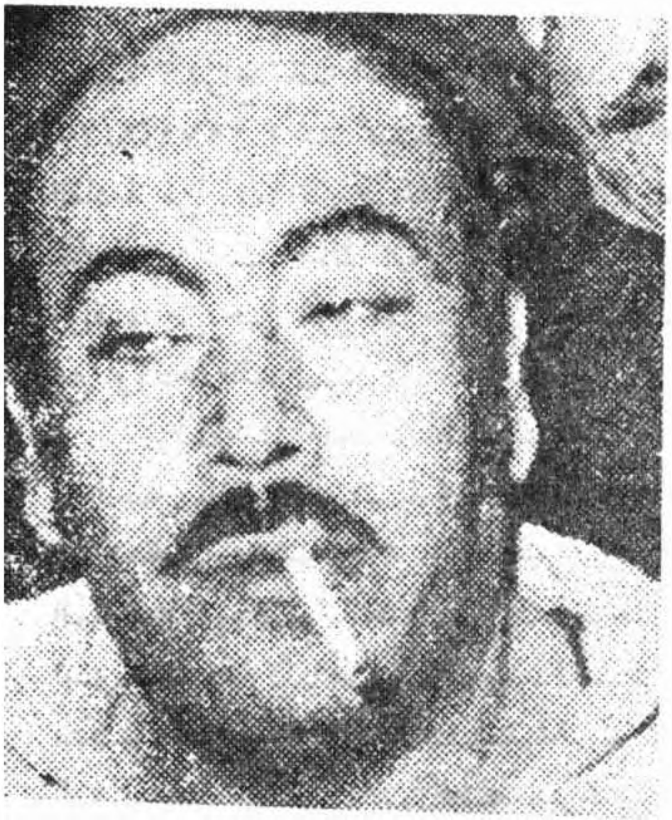
نزلت انشراح من التكسي التي ركبتها من المطار وأسرعت الى المنزل بدون أن تحمل حقائبها من السيارة دخلت المنزل فوجدت أولادها نبيل ومحمد واجمين فسألتهم في خوف وفزع أين أبوكم... ابراهيم فين... عند ذلك ظهر لها رجال المخابرات ووضعوا الحديد في يدها فأخذت تصيح أنتم مين بتحطوا الحديد في ايدي ليه.. لا لا.. أنا بريئة يا بيه.. لكن دعوى البراءة انهارت عندما أحضر سائق التكسي الشنط وجرى تفتيشها وأخراج (مفاتيح) جهاز الارسال منها وآلاف الدولارات والهدايا كانت افصح اعتراف.

سيقت انشراح وأولادها الى سجن المخابرات وأغلق المنزل بالشمع الأحمر وبدأ التحقيق مع الجميع كل حسب دوره في القيام بأعمال التجسس بعد اعترافهم الكامل.

وجرى توكيل محامي للدفاع عنهم حسب الاصول القانونية وانتهت المحاكمة بتاريخ ١٩٧٤/١١/٢٥ واصدر الحكم الآتي: (باسم الشعب العربي في جمهورية مصر العربية):

١ ـ الحكم بالاعدام شنقا على ابراهيم سعيد شاهين...
٢ ـ الحكم باعدام الزوجة انشراح علي موسى مواليد المينا ١٩٣٧ شنقا...
٣ ـ الحكم على الابن نبيل شاهين مواليد ١٩٥٢ وهو طالب ثانوي بالسجن خمس سنوات.
٤ ـ تحويل محاكمة الابن محمد شاهين مواليد ١٩٥٧ الى محكمة الأحداث.

وجرى تصديق هذه الأحكام من قبل رئاسة الجمهورية وسيق ابراهيم شاهين يوم الأحد الأخير من شهر كانون الأول ١٩٧٧ الى سجن استئناف القاهرة حيث مثل أمام لجنة التنفيذ قبل اعدامه بدقائق وهو يضحك ضحكات هستيرية مكتومة ثم



الجاسوس إبراهيم سعيد شاهين يحمل رتبة مقدم باسم (موسى) وآخر سيجارة في حياته. أعدم لتجسسه لاسرائيل مع زوجته انشراح.



الجاسوسة انشراح موسى تحمل رتبة ملازم باسم دنيا عمر أعدمت لتجسسها.

أخذ يقرأ ما يرد على لسانه من آيات القرآن الكريم ثم أخذ مأمور السجن يتلو عليه نص الحكم ثم تقدم منه واعظ السجن وطلب منه أن يتلو الشهادتين ففعل عند ذلك منح آخر طلب له قبل الاعدام فطلب أن يسمح له بتدخين سيجارة فسمح له حسب الاصول بعد كل ذلك اقتاده (عشماوي) ألتنفيذ الى غرفة الاعدام حيث جرى اعدامه شنقا ثم تقدم منه طبيب السجن فتبين له أن نبضه استمر ثلاثة دقائق وعشر ثوان بعد التنفيذ... بينما أعدمت زوجته في سجن النساء بالقاهرة وختمت بذلك قصة هذه العائلة التي احترفت التجسس بجرأة ومهارة لحساب اسرائيل حيث قاموا بعمليات جمع المعلومات وارسالها والتخابر بصورة دقيقة وحذر ومتقنة تفوق كل خيال.

النهاية بين المخابرات المصرية والمخابرات الاسرائيلية:

انتظرت المخابرات الاسرائيلية عدة أيام بعد بسفر انشراح من بئر السبع وأخذت تبث على الموجة المخصصة للجهاز المسلم الى ابراهيم شاهين ـ اشارات للاستفسار باعتبار أن انشراح تكون وصلت وجرى تركيب (المفتاح) للجهاز أما انشراح فقد وصلت فعلا وجرى تركيب المفتاح ولكن من قبل المخابرات المصرية فاستقبلوا برقيات المخابرات الاسرائيلية وعندما عرفوا (الموجة) التي تستقبل المخابرات الاسرائيلية الأجوبة عليها قام المسؤولون بالمخابرات المصرية بارسال البرقية الآتية:

أوقفوا رسائلكم مساء كل أحد ـ أوقفوا كل رسائلكم لقد سقط جاسوسكم وزوجته وأولاده كما ضبطت كل الأدوات وقد وصلتنا آخر رسائلكم بالجهاز في الساعة السابعة من مساء الأربعاء الماضي التي طلبتم فيها من الجاسوسين أن يطمئنوكم.

عند ذلك تأكدت المخابرات الاسرائيلية أن المقدم موسى والملازم الأول دينا وأولادها قد سقطوا جميعاً بيد المخابرات المصرية فاعلم حالا (أهارون ياريف) مدير المخابرات السابق والمستشار الأمني الخاص لجولدا مائير الذي كان يضع الخطط لرئيسة الوزراء على ضوء ما يرده من الجاسوس ابراهيم شاهين وعلم بالطبع الضابط أبو يعقوب الذي أصبح مدير مخابرات بئر السبع وأعلم الضابط الحي ضابط مخابرات السفارة الاسرائيلية في روما الذي كان يبدل جوازات السفر ليكون على علم كما جرى اعلام الضابط ابو ابراهيم ـ مندوب المخابرات الاسرائيلية في

أسمرة ليعلم أيضا وآخر من أعلم بنهاية ابراهيم هو الضابط (نعيم) في مكتب الحاكم العسكري في العريش ليقوم بالبحث عن (ابراهيم من جديد... وهكذا المخابرات الاسرائيلية...)

المخابرات المصرية ايام زمان:

من الماضي القريب تمكنت المخابرات المصرية من تجنيد عالم من علماء الذرة الاسرائيليين للتعاون معها ومدها بالمعلومات عن المفاعلات الاسرائيلية النووية فكيف تم ذلك...

من المعروف في علم المخابرات والجاسوسية أن المخابرات تختار عملاءها من مختلف أنواع البشر ولكن لا تختارهم من المشبوهين الا لعمليات محدودة ينفذونها وينتهي الأمر واذا استمروا ففي اطار معين كالشخصية المدمنة المقامرة التي يمنع التعامل معها لأنه اذا تعرضت لاغراء أكبر سقطت وانهارت.

أما الرجل الذي يختار لعملية معقدة وعلى مستوى من الدقة فان رجل المخابرات الذي يختاره يكون على نفس المستوى من الأهمية وأسباب تعامل أغلب العملاء مع مخابرات الدول وحتى تاريخنا هذا لا تزال معروفة وأهمها المال والانحراف ووجود (نقطة ضعف موجودة لكل انسان) يستغلها رجل المخابرات في ايقاع الشخص المراد التعامل معه وهناك حالات خاصة دعت للانخراط في أعمال الجاسوسية مدة طويلة من الزمن ومنها (العقيدة) أو الاقتناع بأن نظام بلد العميل يعمل عكس ما يعتقد العميل به مثل الجاسوس كيم فيلبي الذي خدم المخابرات السوفياتية حوالي ثلاثين سنة وهو يعمل رئيس قسم في المخابرات البريطانية.

وفي حديثنا عن قصة التعامل بين المخابرات المصرية وعالم الذرة الاسرائيلي (جان بير) نعرض كيف تم التعرف عليه من قبل رجل المخابرات المصري الذي قاد مع العالم الاسرائيلي في أوربا نقاشاً علمياً عقلانياً وامتد الحوار وتفرع بين الاثنين حتى أصبح معرفة ولا حاجة للقول بأن رجل المخابرات المصري كان متخفياً تحت ستار مهنة أخرى وهذه المهنة التي أجادها رجل المخابرات المصري جعلت استاذ معهد التقنية البروفسور جان بير عميلًا للمخابرات المصرية وكما شرحنا أن هناك بديهة خالدة هي أن لكل انسان نقطة ضعف تكون (ثغرة) يمكن

النفاد منها... قد تكون نقطة ضعف نسائية أي يضعف الانسان أمام النساء الجميلات فتوفر المخابرات المعاديه له طلبه حتى ينقاد لها وينفذ مآربها... أو تكون نقطة الضعف تجاه المادة فتغدق عليه المخابرات المعادية الأموال الطائلة حتى يقبل التعامل معها ويطيعها.. أو تكون نقطة الضعف معنوية فيعطي العميل ما يطلبه لرفع روحه المعنوية كالرتب العسكرية مثلا وهناك نقطة ضعف فكرية أيضا وليس معنى هذا أن كل الناس يمكن أن يتحولوا الى جواسيس ذلك أن نقطة الضعف ليست هي وحدها التي تقود.. الى التعامل انها مفتاح يكشف اسرار الشخصية ومن هذه الأسرار ما يمكن استثماره.

البروفسور جان بيير الاستاذ في معهد التقنية الاسرائيلي (تكينيون) حيفا:

البروفسور جان بيير كان أبعد ما يكون عن أي شك لولائه لدولة اسرائيل فهو في العقد الخامس من عمره هاجر الى اسرائيل برغبته الكاملة ترك عمله في معاهد أوربا التي درس وتعلم بها سافر الى أرض الميعاد كما يقولون حاملا طموحاته وشهاداته العملية وخبراته لينضم الى الطبقة الممتازة في اسرائيل سواء بحكم كونه يهوديا غربياً من الأشكناز أو باعتباره عالماً بارزاً من العلماء الذين تحتضنهم اسرائيل وتزهو بهم وتدفعهم الى معاهد العلم للتدريس والمشاركة في مشاريعها العلمية وارتقاء مجتمع التكنولوجيا واستنادا لذلك حصل جان على وظيفته وعاش في بحبوحة خصوصا وأنه غير متزوج ولا يتحمل سوى أعباء نفسه.. خاصة وهو كما عرفه زملاؤه غير مقامر. دمث الأخلاق. رحب الصدر. مريح الوجه. هاديء التصرفات ليست له علاقات نسائية الا في حدود المعقول كوجود صديقه تزوره بشكل روتيني ولا تشكل علاقته بها أي احراج وهذه العلاقة تعتبر أقل من العلاقة العادية لرجل مثله... ناضج وميسور الحال مادياً.

لقد كان جان بذلك كله بعيداً عن دائرة الشك التي تحوم حولها الشبهات فهو لا يشكو مثلا من اضطهاد عنصري أو أنه يشكو من اجباره على العمل في غير مجال تخصصه أو يشكو من ضعف الراتب رغم شهاداته العليا التي يحملها كما لا يوجد في حياته (نزوات أو شذوذ) تغترس تفكيره وهكذا كانت جميع هذه الصفات تجعل التعامل معه صعبا اذا ما فكر أحد في تحويله الى (عميل) في حرب المخابرات لأنه رجل بكل معنى الكلمة (لا ينقصه شيء وليس لديه نقطة ضعف).

كيف أصبح جان عميلا للمخابرات:

المخابرات الاسرائيلية عندما ترغب في اعتراض عميل عربي وايقاعه بين براثنها تجند كل امكانياتها المتوفرة في أوربا بحكم علاقاتها بعدد ضخم من أجهزة الاعلام والشركات والهيئات الأوربية والأميركية وان عملاءها يدعون أنهم صحفيون أو ممثلون لشركات... وهمية أو الادعاء أنهم أي عملاء المخابرات الاسرائيلية يعملون لحساب منظمات تدعو للسلام أو تناهض الشيوعية وبهذا يستدرجون الفريسة للعمل معهم حتى يتم التوريط وهنا يمكن البوح له بالسر كاملا أي كشف الوجه عن المخابرات الاسرائيلية وأغراضها.. أما المخابرات المصرية فانها تلاقي بعض الصعوبات في ايقاع العملاء سواء من الاسرائيليين أو من الأوربيين حتى ولو كان لبعض المصريين ملامح أوربية فإنه من الصعب ادعاء العمل بالشركات أو المؤسسات أو المنظمات لعدم وجود رأسمال مصري في أوربا أو عدم وجود مؤسسات اعلامية مصرية على الأقل يجري التستر وراءها. عكس الاسرائيليين الذين تجد لهم العديد من المكاتب في جميع دول اوربا تقريباً وفي وسط هذه الصعوبات تمكن ضابط من المخابرات المصرية تجنيد البروفسور جان الاسرائيلي وهنا لا يفوت الدارسين المطلعين بأن هذا العميل (استاذ أكاديمي) وليس عميلًا أو غير متعلم أو بلا منصب رفيع بل كان استاذاً وعالماً ومن الطبقة الممتازة في اسرائيل. أصبح جان عميلا للمخابرات المصرية بكل قناعة وكانت مهمته من أدق المهام... وهي مهمة توازي حجمه كعالم بل أهم مهمة للمخابرات المصرية وهي إختراق الستار الحديدي للمنشآت النووية الاسرائيلية والمجال الذري.. وكان بحكم كونه عالما واستاذا متعدد الصلات والصداقات بالعاملين في هذا النوع من النشاط في اسرائيل وبالذات في مفاعلاتها الذرية في (ديمونا) وقد ظهر اهتمام اسرائيل بمفاعل ديمونا بأن اختطفت العالم الألماني المعروف (كروغ) من مطار باريس بعملية خيالية سينمائية تشبه عمليتها في اختطاف أيخمن من بونيس أيرس واعدامه في اسرائيل أما العالم كروغ فقد قامت أجهزة المخابرات الاسرائيلية برصد حركاته حتى عرفت أنه في باريس وكانت علاقات اسرائيل مع الجمهورية الفرنسية الرابعة (قبل ديغول) جيدة جداً فقد أرسلت طائرة عسكرية اسرائيلية خاصة تحت ستار (زيارة صداقة ونزل طاقم الطائرة الى باريس للتفرج على مفاتنها وسهروا بها وعادوا ليلا للعودة الى اسرائيل وهم يسندون (زميلا) لهم فقد وعيه من

شدة الويسكي، التي تجرعها (ولم يكن هذا الزميل سوى كروغ العالم الذري نفسه حيث اختطفوه وافقدوه الوعي وألبسوه زي طيار ثم عادوا به الى الطائرة) التي أقلعت متوجهة الى اسرائيل حيث أخذ يعمل في مفاعل ديمونا...

أما جان بيير وبعد عمله للمخابرات المصرية فقد أعطى حصيلة وفيرة من المعلومات، الهامة والدقيقة عن النشاط النووي الاسرائيلي وهكذا أصبح (لغز الذرة في اسرائيل) مع غيرها من المعلومات النووية في تناول المخابرات المصرية وهذا أهم انجازات للمخابرات المصرية التي كانت تتلقى المعلومات من جان بعدة طرق ومنها:

١ ــ رسائل يكتبها بالحبر السري ويرسلها الى عناوين مختلفة.

٢ ــ تقارير مفصلة كان يسلمها يدا بيد لمندوبي المخابرات المصرية في أي دولة كان يزورها سواء في بعثة دراسية أو سياحية.

وأكثر من هذا كان جان بارعاً في أبحاث هندسة المعادن وكان كجاسوس دقيقاً جداً يوظف براعته في خدمة مهمته السرية.. يجمع المعلومات ويضيفها ويحللها ويرسلها جميعاً بحيث تشمل النشاط الذري والتعديني بل والعمليات الجيولوجية مما جعله يصنف في المخابرات المصرية برتبة (عميل ممتاز جداً) حيث حصلت بواسطته على أدق الأسرار عن المفاعلات الاسرائيلية وما لديها من الاورانيوم وعن استطاعتها في صنع القنبلة الذرية لتهديد الدول العربية بها واستطاعت بواسطته معرفة القدرة النووية الاسرائيلية وكيف أن ما أذيع بعد حرب رمضان من أن اسرائيل لو تعرضت لهجوم عسكري أوسع من هجوم الجيش المصري والسوري لكانت استعملت القنبلة الذرية وأن هذه الدعاية من اخراج المخابرات الاسرائيلية بموجب خطة مدروسة هدفها بث الوهم في الدول العربية وجعلها تعتقد أن اسرائيل تملك ثلاث عشرة قنبلة ذرية كما أشيع والحقيقة أنها لا تملك سوى المفاعلات في ديمونا وناحال سوريك وبضع مئات من كيلوات اليورانيوم التي سرقتها بعملية قرصنة بحرية من بلجيكا وغيرها من اليورانيوم الذي يصلها بمختلف الطرق خاصة من جنوب أفريقيا وأن الاعمال التي قام ويقوم بها خبراء الذرة الاسرائيليون والغرباء ومنهم المختطفين لا تتعدى التحضر لصنع قنبلة ذرية وتهيئة نماذج منها تنقصها اللمسات الأخيرة من الخبرة ويوجد بعض مصادر محايدة تدعى أن اسرائيل (صنعت) بعد ذلك قنبلتها الذرية الأولى.

نهاية جاسوس الذرة:

استمر تعامل جان بيير عالم الذرة الاسرائيلي مع المخابرات المصرية من أول عام ١٩٧٠ حتى آخره وكما هي نهاية الجواسيس معروفة مهما أوتوا من ذكاء بأنهم سيقعون في قبضة المخابرات ولو أن الجاسوس جان يتجسس على مصر وسجلنا القاء القبض عليه لكان ذلك (فخرا) للمخابرات المصرية أما وانه يعمل لها أي للمخابرات المصرية وألقت المخابرات الاسرائيلية القبض عليه فليس لنا الا أن نعترف بأن الملايين التي تصرفها هذه المخابرات وسيرها على خطى الوالدة الروحية لها وهي المخابرات الأميركية تجعلها تكشف بعض حالات التجسس ورغم ذلك فإن الصدف أيضا هي التي تخدم المخابرات الاسرائيلية كما هو الحال مع جان حيث (نسي) أحد عملاء المخابرات المصرية في أوروبا أن يسدد اجرة صندوق بريده في الوقت المحدد فأغلق الصندوق بانتظار الدفع من تاريخ ١٩٧٠/١١/١ لغاية ١٩٧١/١٠/٣٠ وفي هذه الحالة تعاد الرسائل الواردة لهذا الصندوق الى (المرسل) وهكذا عادت احدى رسائل جان المملوءة معلومات ذرية الى بريد اسرائيل بالصدفة المحضة فاستلمها الموظف المسؤول وعرضها على المخابرات الاسرائيلية التي وضعتها تحت المجهر فظهرت المعلومات التي سطرها جان بالحبر السري الى المخابرات المصرية وهكذا ألقي القبض عليه في مركز الأبحاث الذرية وسار مع المخابرات بهدوئه المعروف وقدم للمحاكمة في مطلع عام ١٩٧١ ونظراً لاعترافه الصريح ومساعدته التحقيق (مما يعتبر أسباباً مخففة) حكم عليه بالأشغال الشاقة لمدة عشر سنوات.

محاولة تهريبه من السجن اعترافا بخدماته:

المخابرات المصرية وفية لعملائها ولذلك لم تستطيع السكوت عن اعتقال جاسوسها في اسرائيل بالاضافة الى وجود غيره من الجواسيس المعتقلين في اسرائيل فأخذت تعد الخطط مع عملائها داخل اسرائيل من أجل تهريب البروفسور جان واثنين من العملاء المحكومين أيضا بنفس تهمته (التعامل مع المخابرات المصرية).

في الساعة العاشرة من صباح يوم ٢ كانون الأول ١٩٧٣ خرج (السجين جان بيير رقم ١١٤) من زنزانته رقم (٥) في الطابق الثاني من سجن الرملة في

فلسطين المحتلة ونزل الى (ساحة السجن) للانضمام الى بقية المساجين في قضاء ساعتين في الهواء الطلق يقال لهذه الفترة الزمنية (التنفس) أي أن السجين يخرج من زنزانته الى فضاء السجن للتنفس من هوائه النقي وفعلا أخذ جان يمشي في خط مستقيم من الفناء وهو يستنشق هواء كانون الأول البارد وكان غيره من المساجين أيضا يقضون هذه الفترة بالسير فاقترب منه اثنان من المساجين هما أيضا عملاء القاهرة وطلبا منه الانضمام اليهم في المسير وأخبراه بأن هناك خطة لاخراجهم من السجن وتهريبهم الى القاهرة وأنه معني بهذه الخطة بصورة رئيسية تردد في باديء الأمر وطلب مهلة للتفكير حتى نهاية الفسحة وقبل عودته الى زنزانته أخبر زميلاه بأنه بحكم طبيعته الهادئة لا يريد هذه المغامرة وأنه قدم طلبا الى رئيس الدولة في اسرائيل للعفو عنه وأنهم وعدوه بذلك وأنه ينوي بعد حصوله على العفو مغادرة اسرائيل نهائياً بكل ما فيها من تناقضات وخيبة أمل للمهاجرين اليها وخنق الحريات لفئة يهودية دون الأخرى واستفحال العنصرية المحددة لأحلام الانسان وانه سيبقى صامتا في زنزانته حتى يفرج عليه وعندما يستقر في أوربا مجددا سوف يقوم بكتابة مذكراته.

مضت الأيام بطيئة على جان في سجن الرملة حتى صحا صباح يوم مارس (آذار) ١٩٧٤ على ضجة في السجن وحضور اعداد غفيرة من الشرطة العسكرية والكلاب البوليسية الى السجن ثم انطلاقهم منه عند ذلك علم أن العميلين قد هربا من السجن فعلا بمساعدة المخابرات المصرية وقد وصلا الى القاهرة بعد رحلة مضنية كلفت المخابرات المصرية آلاف الدولارات وقدما تقريراً بأن جان رفض الهرب وأنه ينتظر العفو.

المؤلف: لدى مراجعة ترجمة الصحف الاسرائيلية لبقية عام ١٩٧٤ وعام ١٩٧٥ لم نعثر على أي خبر يشير الى العفو عنه والممكن أن يكون طلب العفو عنه قد رفض وبذلك يتعين عليه أن يبقى في سجنه حتى عام ١٩٨١ المنصرم لأن الرأي في منحه العفو يعود للمخابرات الاسرائيلية فان وجدت أي سبب يدعو لمنحه العفو حصلت له على العفو حالاً.

عميل جديد داخل اسرائيل للمخابرات المصرية:

في مدينة حيفا المطلة على البحر الأبيض المتوسط وفي أحد المقاهي المسمى (مقهى الميناء) المقابل لسينما (آرمون) يجلس مختلف الرواد من

الاسرائيليين أفراداً وعائلات وكان هذا المقهى يمتلىء تماما نظرا لتفوقه على غيره من المقاهي بثلاث صفات وهي:

١ ـــ انه مقهى قريب جدا من (الميناء) ومسمى باسمه وهذه الميزة تجعل الوافدين عبر مياه البحر الأبيض المتوسط والمغادرين حيفا يجلسون فيه.
٢ ـــ انه مقابل للسينما مما يجعله (محطة) انتظار ولقاء وفرجة.
٣ ـــ انه يستخدم عدد من الفتيات لتقديم المآكل والمشروبات للزبائن في ملابس قصيرة لا تستر شيئا عدا عن الابتسامة العريضة لا يباريها في الاتساع سوى اتساع فتحة الصدر فوق الثديين...

كل ذلك جعله يكتظ بالرواد حتى تسلطت عليه فئة العسكريين من أفراد وضباط صف فقط مما جعل صاحبه يتضايق كثيرا نظرا لعنجهية العسكريين الذين كانوا يدخلون في مشاحنات وعراك بعد تناول المسكرات وبعد أن تلعب برؤوسهم وهؤلاء العسكريون يتصورون أن كل شيء مباح لهم طالما أنهم (حراس الدولة).

اصطياد عميل في المقهى:

مساء أحد أيام شهر نيسان عام ١٩٦٦ توقفت سيارة جيب بشكل فجائي أمام المقهى بعد أن فرمل سائقها بشدة جعلت صوت الفرامل يسمع من آخر الشارع ونزل منها اثنان من مباحث الشرطة الاسرائيلية التابعين لقسم المهمات الخاصة.. والغضب يلفح وجهيهما وكان يبدو على أحدهما أنه الأقدم رغم أن الاثنين برتبة ضابط صف (رقيب) وبعد دخولهما المقهى وجلوسهما عاودوا شجاراً كان بينهما بالسيارة ومن خلال الشجار عرف الحاضرون أنهما كانا في مهمة (تفتيش) منزل عربي مشتبه به فلم يجدا شيئا يذكر وأثناء خروجهما لمح الرقيب الأقدم واسمه الياهو صفحة من جريدة معاريف تنشر ضمن خبر صحفي صورتين احداهما للرئيس (الراحل) جمال عبد الناصر والصورة الثانية لبن غوريون فقام الرقيب بفصل صورة عبد الناصر عن صورة بن غوريون وطلب من العربي المتهم أن يدوس بحذائه صورة عبد الناصر وأن يقبل صورة بن غوريون فرفض العربي باءباء وشمم رغم التهديد وعندما وجد الرقيب الياهو اصرار العربي على الرفض غير

مباشرة قام بضربه ضرباً مبرحاً بكعب مسدسه كما بدأ بعد ذلك في حالة هستيرية عجيبة حيث أخذ يكسر كل ما تصل اليه يده من أثاث المنزل ومحتوياته وكادت الأمور تتطور لولا تدخل زميله الرقيب (فيكتور بوهاب) الذي رجاه الهدوء وبعد أن توقف صاحبه الى المقهى ليدخلا وبعيدا صياحهما بأنه وصم الياهو زميله بأنه من طبقة وضيعة لأنه منعه من اتمام تكسير محتويات منزل العربي واجباره على أن يدوس صورة جمال عبد الناصر ووصف الياهو لزميله بالوضيع لأنه دافع عن العربي باعتباره يهودياً شرقياً(١) كما وصفه بالغباء لدفاعه عن العربي عند ذلك نهض مساعد من الجيش الاسرائيلي وتوجه الى طاولتهما ووجه حديثه مؤنبا الياهو: أيها الرقيب كفى ثرثرة.. وكن مهذباً.

عند ذلك سكت الياهو بالفعل بل ونهض مع زميله ورحلا بسيارتهما فعاد المساعد الى مكانه وهو منتفخ الأوداج أولًا لأنه احتسى الكثير من الويسكي وثانياً لانه فرض هيبته على يهودي وخصوصا أمام صديقته (تسيبا زاباري) التي تعمل مضيفة بنفس المقهى واتسعت عيناه بالاحمرار بينما أخذت تسيبا تعبث له بشعره الأشقر معجبة فخورة به لأنه أوقف المشاجرة وأعاد الهدوء للمقهى.

اعتقد المساعد مازن الحلبي أن الحكاية انتهت عند هذا الحد ولكن يظهر أن أحد الحاضرين من اليهود وبطبيعة الحال وان يكن مرتديا اللباس المدني فظهره بدل على أنه ضابط تقدم من مازن وقال له مؤنبا: كيف تهين زميلك لحساب واحد من السفرديم.

لم يجب مازن. تقلص وجهه غضباً ثم نهض وبصق على الأرض للدلالة على امتعاضه وانصرف من المقهى غير ملتفت الى أحد وحتى تسيبا التي ركضت بعض الخطوات وراءه بدون فائدة فأخذ الموجودين بالمقهى يهمهمون فيما بينهم فرحين لانصرافه وما إن ابتعد قليلا حتى نهض أحد الموجودين ولحق به بفاصل خطوات معدودة وهذا الزبون الذي لحق بالمساعد مازن هو وحده الذي يعرف لماذا نهض مازن وترك المقهى بعد أن تلقى ملاحظة الشخص المدني وحاول بحركته وبصقه

(١) الرقيب الياهو من اليهود الفرنسيين الذين وفدوا الى فلسطين المحتلة من أوربا وهؤلاء اليهود يسمون (الاشكناز) لتمثيلهم الطبقة الراقية في الوطن المحتل برغم أقليتهم في حين أن الرقيب بوهاب من اليهود الشرقيين (مما جعله يدافع عن العربي) وهؤلاء يسمون (السفرديم) ويمثلون أكثرية اليهود ولكنهم يعتبروا من الدرجة الثانية أي أنه يحق وصفه بالوضاعة والغباء...

على الأرض أن يجعله يتحداه أو يجيبه ولكن المدني اكتفى بما فعله مما دعى مازن الى الانصراف ويعرف هذا الزبون أن المساعد مازن الحلبي رغم أنه من يهود فلسطين فان المجتمع الاسرائيلي لم يحترم جهودهم واعتبرهم من (السفرديم) أي اليهود الشرقيين مواطني الدرجة الثانية الذين تتحدد نسبة دخول أبنائهم الى الجامعات والمدارس العالية وتقلد المناصب الكبرى والترقي في الجيش.

ويعلم هذا الشخص أيضا أن هذه التفرقة الى جانب عوامل شخصية أخرى جعلت مازن معقدا ومغروراً الى أبعد حد يعاقر الخمر بادمان ومقامراً لدرجة الاستدانة في منتصف الشهر بالاضافة الى كونه زير نساء يمارس عليهم التسلط والسيادة بالسلوك الشاذ والضرب وبكلمة بسيطة كان مازن ابنا شرعيا لتناقضات المجتمع الاسرائيلي.

وصل مازن الى شارع حداد وحاول الانعطاف لكن الزبون كان قد ساواه بالمسير ووضع يده على كتفه برفق وقال له:

ــ لا تغضب أيها المساعد مازن لقد كان موقفك على حق.

أجابه مازن: لكن من أنت حتى توقفني وأنت تعرف اسمي أيضا.

ــ تستطيع أن تعتبرني من هذه اللحظة ((صديقا)) وقد كنت قبل ذلك زميلا لك وضحك وتابع حديثه أقصد كنت زميلا لك في مقهى الميناء وقد كنت أراك دائما.

أجابه مازن: ولكن لماذا تعرض عليّ صداقتك... ما شأنك بيّ.

ــ انها الصدفة.. كنت في طريقي الى منزلي والحق أقول لك أني عندما لمحتك أمامي تمنيت أن نتحدث قليلا أو ربما نتسامر بعض الوقت فنحن لا نزال في بداية الليل والليل هنا طويل جدا كما تعلم.

أجابه مازن: لا زلت أفكر كيف تجرأ هذا الكلب عليّ.

ــ يا رجل انس الأمر.

مازن: وأنت ألست مثله.

ــ لا.. لا.. لا.. أنا مثلك أنت جاء أبي الى أرض الميعاد من المغرب.. وها أنذا أعيش مثلك. أنت من هنا وأصلا من جبل الدروز في سوريا وصديقتك تسيا من يهود اليمن أليس كذلك.

مازن: يبدو أنك تعرف كل شيء عني.

ــ ها قد وصلنا الى منزلك.

مازن: وأيضا تعرف منزلي.

ـ اسمع اسبقني أنت وسوف اشتري من هذا المحل زجاجة ويسكي وبعض المأكولات لنسهر ونتسامر.. ما رأيك..

طبعا وافق مازن الذي صعد الى منزله بدون أن يتكلم بينما أسرع الآخر ليشتري الويسكي ولوازم السهرة ويلحق بمازن الذي استقبله كمن يعرفه منذ مدة لا سيما وان مازن قد ارتاح الى حديثه أثناء الطريق وما إن جلس الصديق الجديد حتى بادره مازن بقوله:

لقد حدثتك واستأنست لك ولكنك حتى الآن لم تحدثني عن اسمك أجابه أسمي (شاكي) (يعمل شاكي للمخابرات المصرية داخل اسرائيل).

أخذ الاثنان ((يسكران)) ويمرحان وكانت الحقيقة أن مازن الحلبي هو الذي يتحدث ويسكر بعد أن اطمأن الى الصديق الجديد الذي اشترى له الخمر والطعام حيث أرضى ادمانه على المشروب وهذا مهم جداً.

ثم أخذ يتحدث عن اسرته المنحدرة من جبل الدروز ولقب حلبي الذي يحمله لا علاقة له بمدينة حلب في سوريا.. ثم تكلم بطلاقة وحقد عن عمله في قوات الحدود بالجيش الاسرائيلي وكيف أن الترقية حجبت عنه وعن مغامراته النسائية وبينما هما كذلك وصلت (تسيبا) التي كانت قد فتحت الباب بمفتاح كان معها وقد أنهت عملها فركضت الى مازن وقبلته في فمه قبلة العشاق ثم سلمت على (شاكي) مقدمة نفسها: تسيبا زاباري... فأجابها شاكي بسرعة (لست في حاجة الى تعريف نفسك أنت أشهر من في مدينة حيفا من الجميلات..) فارتاحت تسيبا للمديح وشاركتهم الشراب وبالطبع تغير موضوع الحديث ثم صاحت: ما لكم ساكتين هكذا... أجابها مازن: ماذا تريدين أجابته: نلعب الورق فوافق مازن قائلا لها أنت تجلبين لي الحظ ونظر الى شاكي بينما ذهبت تسيبا تجلب الورق وقال له: عليك أن تعد نقودك من الآن.. لأنك ستخسرها كلها.. وغرق الثلاثة بالضحك.. ولعبوا حتى ساعات الصباح وخسر مازن ولعبوا... وازدادت خسارته.. ولعبوا.. وازدادت خسارته حتى أفلس ولعبوا فأصبحوا مدينين لشاكي.. وعندما انتهت السهرة وهمّ شاكي بالانصراف وقفت تسيبا لتودعه فوضع لها مبلغا من المال في صدرها وبين ثديها فقبلتهم بحركة اغراء وأيضاً لف مبلغاً آخر ووضعه في يد مازن وقال له (نحنا اخوه) ثم استدار خارجاً ولم ينس أن يغمز تسيبا ويقول لها (ميرسي على الحظ) وتكررت السهرات وفي كل مرة كان (مازن) يفرغ

معلومات أكثر أمام شاكي ويخسر نقوداً أكثر الى حد أنه في ذات مرة وبعد تضخم ديونه لشاكي قال له أمام تسيبا: سوف أراهنك على تسيبا فاذا كسبت خذها لك واذا خسرت أصبح أنا غير مدين لك بشيء... موافق... أجاب شاكي: موافق ولعب الاثنان أطول برتية في التاريخ شخص يلعب على صديقته وحبيبته والآخر يلعب ليحصل على امرأة مثل طبق القشطة وخسر مازن وذهب طبق القشطة مع شاكي وكان لها ثلثي الخاطر كما يقول المثل الشامي وقالت له الخائنة أنا ملكك فماذا تفعل بي..

وضع شاكي أصبعه بين حاجبيها وهو يوجه لها نظرات تمتزج فيها الحدة بالرقة وهبط باصبعه مدغدغاً أنفها وشفتيها وعنقها وصدرها و... ثم قال لها: انتظريني في الداخل..

قامت تسيبا مترنحة وخلعت فستانها بنفس المكان وألقته على مازن وبقيت بالمايوه البكيني وانسابت الى الغرفة بناء لطلب شاكي الذي حزن على مازن لهذا الموقف فقطع مازن حبل الصمت بينهما وقال لشاكي: لماذا لا تلحق بها لقد أصبحت لك.

فقال شاكي: وأنت...

قال مازن: لا شأن لأحد بي وصرخ هل تفهمني.

حضرت تسيبا مسرعة وهي عارية وقالت هل تشاجرتما من أجلي فنهرها مازن قائلا: ابعدي أنت الأخرى عني.. ابعدوا كلكم وبكي متشنجاً. نتيجة الموقف وما تناوله من المشروب فوضعه شاكي في فراشه ليستسلم لنوم عميق.

في الصباح استيقظ مازن وهو يشعر بصداع فوجد شاكي جالساً أمامه فتباطأت الكلمات في فمه قائلا:

ألا تزال هنا.. كم الساعة الآن..

أجابه شاكي: الساعة الآن التاسعة صباحاً قم الآن واغسل وجهك واستعد حيث لي معك حديث هام.

تعجب مازن ونهض من فراشه بسرعة حيث غسل وجهه وأعد قدحين من القهوة بعد أن علم أن تسيبا صحيت قبل شاكي وذهبت الى عملها.

أثناء تناول القهوة بادره شاكي بقوله: اسمع يا مازن أنا لست غبياً ولذلك اخترتك من بين عشرات ضباط الصف الذين يرتادون المقهى وبدأت معك صداقة انتهت ليلة أمس بأنه لشدة ادمانك على (القمار) راهنت على حبيبتك وصديقتك

تسيبا وأنت تأمل أن أخسر حتى تتخلص من ديونك ولكني ربحت مالي وربحت تسيبا التي أصبحت (ملكي) ولكني أحفظ لك صداقتك ولذلك يجب أن تعرف أن تسيبا لا تزال حبيبتك وصديقتك وأني ليلة أمس بعد أن شاهدتك تنام ذهبت اليها فوجدتها أيضاً نائمة فغطيتها وأغلقت عليها الغرفة ونمت في الصالون ثانياً أني كصديق حضرت الى بيتك وتناولت من طعامك فإني أسامحك بكل ديونك لأنها ديون قمار لا يعتدّ بها، فوق كل ذلك هذه مائة دولار تستعين بها على تدبير أمورك حتى نهاية الشهر لأنك ستقبض مثلها أيضا.

صعق مازن لهذه الأخلاق من صديقه وهذا الموقف وترقرقت دمعة فرح من عيونه لاستعادة تسيبا بعد أن علم أن شاكي لم يمسها تلك الليلة فقال لشاكي هل كل ذلك لي ولماذا..

أجابه شاكي: انني أريدك أن تتعاون معي.. ولا أطلب منك المستحيل فالمعلومات التي حدثتنى عنها أثناء لقاءآتنا كانت كافية لي وقد دلت هذه المعلومات التي حدثتني بها بدون أن تشعر على أنك عنصر ممتاز لنا وأنا من الآن أتعهد بحل جميع مشاكلك المالية مهما كانت. مازن راضياً: الآن فهمت الموقف.. وأنا موافق وسوف أقدم لك ما باستطاعتي تقديمه.

شاكي: طبعا نحن أصبحنا نعتمد عليك منذ الآن..

مازن: اتفقنا...

وخرج الأثنين من المنزل فتوجه مازن الى عمله كمساعد في قوات الحدود بينما توجه شاكي الى عمله في خدمة المخابرات المصرية بعد أن جند لها عميلًا جديداً من الجيش الاسرائيلي.

منذ هذه اللحظة أصبح (المساعد مازن الحلبي) نموذجا لجاسوس ناتج عن مجتمع التناقضات الذي تتصادم فيه أكثر من فئة وطبقه حيث يتصادم العرب (مسلمين ومسيحين) مع اليهود ويتصادم اليهود غربيين مع الشرقيين ويتصادم العسكريين من جميع الأجناس مع المدنيين بل ويتصادم العسكريين مع بعضهم البعض كل ذلك أدّى الى وجود أشخاص مثل (مازن) مات حلم دولة الميعاد في صدره وتلاش ولاءه للوطن الموعود فأصبح ترتيباً على هذا سكيراً مقامراً طموحه أكبر من امكانياته ونزواته خصوصا مع النساء أضخم مما يطيق وما تمكنه حالته المادية لذلك أصبح عديم الاحساس بالوطن والدولة مستعدة لأي شيء يسد حاجته وهنا برزت براعة شاكي في اختياره وبراعة الشخص الذي اختار شاكي بالأصل في

اختيار العملاء ورسم الأدوار لهم وتحريكهم في اطارها ولهذا فإن مازن بكل ملامح الجد في شخصيته سقط من أول اتصال معه ولعب دوره بالضبط كما رسم له وقد أعطاه شاكي فيما بعد تلقينا بكيف يتم الاتصال به سواء لأخذ معلومات أو لتحديد مهام ودفع له ما وعده به سواء الراتب الشهري أو الاكراميات وبذلك بدأ مازن دوره واختفى شاكي تماما على الأقل من أمام (العميل الجديد) الذي لم يعرف أين ذهب ولا كيف بل أنه عندما افتقده تذكر أنه لم يعرف عنه شيئاً اين يعمل.. أين يقيم.. بل ولم يعرف أسمه كاملًا وهكذا عمل المخابرات.

ان المخابرات (أي مخابرات في العالم) ليست ساذجة وهي عندما تنفق الأموال الموضوعة تحت تصرفها للمصلحة العامة مهما بلغت هذه الاموال فإنها تحصل على عائد يساوي ما دفعته أو ربما أكثر بكثير لذلك فإن الدفع للعملاء (مثل مازن الحلبي) بعد استدراجه يكون ثمناً لما قاله من معلومات (سلفاً) ولا ننسى أنه (مساعد) والمساعدين في الجيوش هم (عصب) الحياة العسكرية فكم من ضابط كبير يوقع البريد لمساعد يكون رئيس ديوان وحدته بدون أن يتأكد من هذا البريد لأنه (يثق) بالمساعد مع العرض بأن قانون ضباط الصف في كل جيوش العالم لا يمنح رتبة المساعد إلا بعد حوالي عشرين سنة يقضيها متدرجا من جندي الى عريف الى رقيب الى رقيب أول الى مساعد وأخير نهاية السلم (رتبة مساعد أول) وهؤلاء يستلم أكثرهم مراكز حساسة جداً حتى (التقاعد) وأن مازن كان مساعد وكان من عصب قوات الحدود الاسرائيلية ولا ننسى أنه في ليالي السهر مع شاكي كان يتحدث اليه بطلاقة لسان ناتجة عن عاملين:

١ ـ ابراز شخصيته وهو رجل مغرور يحب لفت الأنظار الى أهميته.
٢ ـ أن يجعل من نفسه نديماً مسلياً ورفيقاً ممتعاً لذلك الذي جاءه ويجيئه بالخمر والطعام ويلاعبه القمار فيخسر أحياناً له لكنه يتنازل له عما كسبه منه.

حتى أنه أثبت له أنه لا يطمع في صديقة تسيبا رغم جمالها الآخاذ بل أنه امتدحها لصالحة وامتدح مازن في احتواءه لها وهنأه عليها.

ولا ننسى أن العملاء... أي عملاء أي مخابرات لا يكون مطلوباً منهم دائماً الحصول على الأسرار العسكرية والسياسية والاقتصادية على المستوى الاستراتيجي أو حتى التكتيكي أبدا فان هناك نوعية من العملاء لا تطالبها المخابرات سوى بمهمات خاصة محدودة تتساوى مع قدراتهم صحيح أن هؤلاء

يمكن لهم أن يجمعوا أي معلومات يصلون اليها أو تقع تحت أيديهم لكن عليهم أولا الواجب الاساسي المكلفين به بينما يكلف غيرهم بالباقي.

ولقد كانت مهمة مازن منبثقة من عمله في قوات الحدود كان عليه باعتباره حارسا لبوابة ما في خطوط الجيش الاسرائيلي أن يفتح هذه البوابة لمرور شخص أو أشخاص.. أو تمرير أدوات ما... علاوة على مطالبته بمعلومات عن الحدود ونظام حراستها وطريقة توزيع كلمة السر يوميا.. هذه مهمته وكان ينفذها حرفيا باسلوب مثير حقا ومدهش حتى أن المخابرات المصرية كلفته وأكثر من مرة بتمرير أدوات تفجير ومعدات تجسس لعملائها داخل اسرائيل سواء الى حيفا أو الى مدن أخرى فكان يسلمها بدون أن يعرف من هو الشخص المستلم كان عليه أن يذهب حسب التعليمات الى نقطة ما على الساحل فيجد المعدات مخبأة تحت اشارة معينة أو مع شخص يبادله كلمة السر فيخفيها في سيارته ويسرع الى المكان المحدد له في المدينة فيضعها في حفرة معينة أو داخل صندوق معين. أو يجيئه شخص يتسلمها منه بكلمة السر ثم يختفي ولم يحاول مرة أن يستفسر أو يسأل من يتعامل معهم أي سؤال وبهذه الطريقة أدخل مازن الى اسرائيل مجموعات من الفدائيين وكمية كبيرة من المعدات وأدوات التفجير (لذلك يستغرب القارىء عندما يسمع يوميا عن عمليات فدائية داخل اسرائيل) لأنه في كل زمان ومكان يوجد من أمثال المساعد مازن عشرة وعوضاً عن المخابرات المصرية جميع مخابرات الدول العربية أما مازن فكان همه كما أسلفنا أن يقبض راتبه الذي أصبح فيما بعد مائتي دولار والدفعات الثانية بالمناسبات كانت تزيد لتشجيعه رغم أنه انتهز فرصة ظهور نتيجة تجسسه وعمالته إذ لمس بنفسه عمليات التفجير التي كانت تذاع يوميا والتي كانت تحدث في أماكن حيوية فشعر بأن حجم ما أدخله من المعدات والأشخاص كثير فطلب بنفسه زيادة مخصصاته فأجابته المخابرات المصرية لطلبه حالًا ولم تبخل عليه فكانت النتيجة (زيادة حجم عمله). كان يتفانى في تأمين ما يطلب منه لأنه كان يطمع في الحصول على المزيد من الدولارات من المخابرات المصرية وليرضي غروره أمام تسيبا ويغرق بالمتعة معها...

النهاية:

دائما تكون نهاية الجواسيس (الاعتقال) ولكن نهاية مازن كانت مغايرة لذلك تماما فلدى عودته من اللد الى القدس بعد تنفيذ احدى مهماته وهو يقود

سيارة جيب عسكرية ينهب الأرض بسرعة جنونية وهو يحدث نفسه بسهرة ممتعة مع تسيبا بناء على موعد بأنها ستكون بانتظاره وفجأة ظهر تراكتور زراعي أمامه فحاول أن ينحرف عنه ليتجاوزه لكنه لم يستطع انحرف بعجلة القيادة فوقعت الكارثة بانقلاب سيارته الجيب الخفيفة ولقي مازن حتفه...

في اليوم التالي نشرت جريدة ها آرتس الخبر في ثلاث أسطر فاشترى شاكي نسخة من الجريدة ليبحث عن (مازن جديد) بينما اشترت تسيبا الجريدة لنفس الغرض.

أغرب قصص الجاسوسية التي اكتشفتها المخابرات المصرية:

أغلب قصص التجسس تبدأ بالنقص في المال ـــ الفقر ـــ الحاجة ـــ الديون وبعضها يبدأ بالتجسس وبعضها بالعقائد وهذه القصة التي نرويها لتكون عبرة لمن يبيع نفسه لشيطان المخابرات الاسرائيلية سواء كانت المخابرات المصرية له بالمرصاد أو أنها تخلت عن أعمالها ضده وأصبحت مخابرات على أعداء كمب ديفيد وإن هدفنا هو التوعية ولفت النظر ليكون كل مواطن على بنية من الأمر قبل التورط مهما بلغت حالته المادية من السوء.

والجاسوس المعني في هذه القصة هو (المصري: فؤاد حسن علي حمودة...) موظف في مطحنة حكومية للأرز بالاسكندرية متزوج من سيدة محترمة رزق منها ثلاث أولاد يقطن معهم في شقة متواضعة في شارع محرم بك بالاسكندرية وفجأة ترك زوجته وأولاده وانطلق يقتل لياليه في تناول المخدرات ولعب القمار ومصاحبة الفتيات كان ذلك من بعض المال الذي جمعه من راتبه ولما نفد ما ادخره ولم يكفه راتبه لمتابعة حياة الليل أخذ يستدين من هنا وهناك حتى غرق بالديون حاول أن يحصل على أموال بأية طريقة ولكنه فشل حتى المخدرات التي يتناولها حاول العمل بها وتهريبها ففشل فضاقت الدنيا في وجهه فقرر الهروب من البلد فجمع بعض الجنيهات واتجه الى مدينة كولون في ألمانيا الغربية ونزل هناك في (بنسيون) يدعى (فارسبورجر) تملكه سيدة ألمانية.

أول ليلة من لياليه في ألمانيا توجه من البنسيون الى ملهى ليلي قريب وما ان دخل الملهى حتى ذهل من المناظر الخلابة وفتح شهيته يستنشق رائحة النساء الألمانيات.. فشرب.. ورقص حتى صرف آخر مارك معه فعاد الى البنسيون ونام حتى مساء اليوم التالي وعوضاً من أن يستيقظ باكرا ويبحث عن عمل بواسطة

المصريين الموجودين لكنه توجه رأسا الى الملهى بدون أن يملك شيئا سوى أنه فقد وعيه فجلس على طاولة ودعا احدى الفتيات لمجالسته (أنكاجيه وفتح لها زجاجات الشمبانيا وانطلق يلهو ويضحك حتى جاء وقت الحساب ونظر طويلا في الفاتورة حتى علم أن الرقم (٥٦٠ مارك) وهذا مبلغ بسيط بالنسبة لشاب يجالس فتاة ألمانية تعتبر ملكة جمال بالنسبة لفتيات الأنكاجية في دول ثانية.. تحسس جيوبه فخرجت يداه خاويتين ومع ذلك حاول أن يوهم الكرسون بأنه سوف يحضر له المبلغ من البنسيون ولكن الكرسون رفض وقامت مشاده تدخل فيها المشرف على الملهى بينما كان فؤاد يصرخ بأعلى صوته وهو فاقد الوعي واكتشف مدير الملهى أنه (مصري الجنسية) فأخذه الى مكتبه الفخم داخل الملهى وهدأ من روعه وقال له ولا يهمك سوف أدفع عنك الحساب واعتبر نفسك (ضيفا على الملهى) لا تحمل هماً (وهنا بدأت مسيرة التجسس مع فؤاد لأن هذا المدير هو اسرائيلي الجنسية) أبدا طالما أنت مصري وأنا لي أصدقاء مصريون فقط أريد الاطمئنان على مصر ما هي الأخبار هناك.. عندئذ تمالك فؤاد نفسه وقد صحا جيداً لما يدور حوله صحا لخلاصه من ورطة الشرطة الألمانية وغسل الصحون والأرض في الملهى لو لم يبادر المدير لأنقاذه وأجابه على سؤآله عن مصر مسرعا: زي الزفت (وهو يعني حالته وفشله) لقد جئت الى هنا هرباً من الديون.

ففرك مدير الملهى يديه فرحاً وقال له طالما وصلت الى هنا لماذا لاتبحث عن عمل.

أجابه فؤاد: أنا على استعداد بأن أقوم بأي عمل...

أجابه مدير الملهى: حتى التهريب..

أجابه فؤاد: أوافق على أي عمل المهم أحصل على الفلوس...

وهنا طلب مدير الملهى له كأسا من الويسكي وطلب له الفتاة التي كانت تجلس معه على الطاولة وقال له خذ صديقتك الآن الى البنسيون لقد كلمتهم أن يؤمنوا لك غرفة مريحة وغدا لي حديث معك.

لم يصدق فؤاد ما سمعه ولم يصحو من المفاجأة الا حين جذبته الفتاة من يده وقالت للجميع (باي. باي).

في اليوم التالي توجه رأسا الى الملهى ليجد المدير بانتظاره فأمر له بفطور وأثناء تناول القهوة قال له وقد قرب فمه من أذنه: نريد منك معلومات عن مصر.. هل ستحارب.. ان الشرق الاوسط منطقة ملغومة ونحن نريد أن نمنع الحرب.. فاذا

عرفنا بواسطتك ان مصر ستحارب.. فسنعطيك نصف مليون مارك فور التأكد من الخبر ثم نبلغ الدول الكبرى وعلى رأسها (أميركا) لتمنع مصر من دخول الحرب... هل أنت مستعد للتعاون معنا في ذلك..

أنهى فؤاد رشف قهوته وقال للمدير انني موافق على أي طلب لك ولا أنسى معروفك معي بانقاذي في الملهى بالأمس ثم المعروف الأكبر وهو حصولي على صديقتي الألمانية فقال له المدير:

سوف أرسلك الى الأصدقاء وآمل أن تتعاون معهم مثل التعاون معي فأجابه:

انني على استعداد للتعاون مع الشيطان لأحصل على الفلوس.

وهنا اعطاه المدير رسالة الى السفارة الاسرائيلية في بون وطلب منه السفر اليهم بعد يومين ليؤمن له الاتصال المسبق بهم وليكونوا على معرفة به وبحضوره.

في السفارة الاسرائيلية في بون استقبله ضابط من المخابرات الاسرائيلية وقدم نفسه باسم (ابراهيم) وجلس معه على انفراد في غرفة مكتب موثقة جيدا وأخذ يسأله عن ماضيه وحاضره وعن أقربائه ومعارفه وأعمالهم... الخ وكان الضابط ابراهيم يسجل كل ذلك ثم أعطاه نشرة ليسجل عليها تاريخ حياته بكل التفاصيل ويوجد بهذه النشرة حقول لأسماء المعارف والأهل وهذه الطريقة خدعة من المخابرات الاسرائيلية لانها تكشف الشخص الذي يكذب عليها بالمعلومات وبعد انتهائه أحضر ابراهيم خريطة عربية لمدينة الاسكندرية طلب من فؤاد أن يبين مكان منزله في الخريطة ففعل ثم أحضر له خريطة عربية أيضا لميناء الاسكندرية وطلب منه تحديد بعض المواقع في الميناء ففعل..

انتهى اليوم الأول في مكتب ضابط المخابرات في السفارة الاسرائيلية في بون فطلب منه المبيت في فندق ماجستيك الذي تتعامل معه السفارة وأعطاه خمسون دولاراً للمصاريف لأنه سيتبع دورة تدريبية خاصة.

كانت مواد الدورة التدريبية عرض صنوف الأسلحة عليه بالصور والأفلام ثم عرضها عليه بدون أسماء ليتمكن من التمييز.. ثم درب على كيفية الحصول على مختلف المعلومات ثم أعطاه ورقة مشبعة بمواد كيماوية وطلب منه أن يكتب عليها خطاباً عادياً جداً لا يحوي على أي أمر هام ثم قلب الصفحة وطلب منه أن يضع عليها ورقة الكربون المعدة خصيصا للكتابة السرية ويكتب الرسالة المطلوبة أي المعلومات السرية بين أسطر الخطاب العادي.. وبعد ذلك أخذ منه الرسالة ومررها على بخار ابريق شاي لمدة ثلاث دقائق فتلاشت آثار الضغط ثم وضع الرسالة

داخل كتاب سميك لمدة خمس دقائق ومن ثم أخرجها فاذا بها رسالة عادية لا يستطيع أحد أن يكشفها ثم دربه على استعمال الشيفرة بالراديو فأعطاه جهاز راديو وطلب منه أن يضغطه على موجة معينة في ساعة معينة وحين يفتح الراديو في تلك الساعة فإنه يسمع اشارات معينة مؤلفة من حروف ما عليه سوى التقاطها ثم مطابقتها على كتابهم (الشيفرة) الذي أعطاه له لتخرج الرسالة التي تحتوي على طلباتهم ثم دربوه على استعمال (الميكروفيلم) في تلقي المعلومات فضابط المخابرات يكتب طلباته على صفحة فولسكاب ثم يقوم بتصغيرها الى حجم رأس الدبوس ليعود فؤاد بتكبيرها الى حجمها الأصلي وبعد انتهاء دورته الناجحة أعلمه ابراهيم أن راتبه الشهري سيكون ٣٠٠ دولار عدا عن المبالغ التي وعده بها باسم رئاسة المخابرات الاسرائيلية ومنها أنه اذا أعلمهم عن موعد قيام مصر بالحرب فسوف يدفعوا له مبلغ نصف مليون مارك اذا ثبت اعلامه وعدوه بمبلغ ٥٠ الف دولار اذا أعلمهم عن أي عميل للمخابرات المصرية داخل اسرائيل ويقبض عليه فعلا وفوق كل ذلك سلمه ابراهيم مبلغ الف دولار للبدء بها بعد وصوله في خلق صداقات مع أشخاص في أماكن حساسه.. للحصول منهم على معلومات أثناء جلسات اللهو. ثم طلب منه التردد كثيراً على ميناء الاسكندرية لمشاهدة الأسلحة التي تأتي بها السفن السوفيلتية والتركيز في معلوماته على الاتفاقيات التي تبرمها مصر مع الدول وخاصة الدول العربية.

عاد فؤاد الى بلده ومنزله محملا الهدايا الحرام بعد أن أوهم زوجته ومعارفه بأن يعمل في ألمانيا بالترجمة وبيع السيارات وما أن استراح حتى بدأ عمله فورا فحقق صداقات مع بعض الموظفين ونفذ لهم جميع طلباتهم وأرسل لهم المعلومات حسب طلبهم الى عنوان: لندن — ص.ب. (٣٢٩) مستر تومبسون.

في لندن —

بتاريخ أول يناير عام ١٩٧٢ وصلته معلومات لسفره الى لندن وهناك وجد ضابط مخابرات سفارة (بون) ابراهيم بانتظاره ومعه ضابط آخر يدعى بوب من السفارة الاسرائيلية في لندن وطلبا منه أن يبذل جهده للتعرف على بعض المصريين الموجودين في لندن لعله يصلح في تجنيد بعضهم وقد وجد ابراهيم أن تلميذه بحاجة لدورة جديدة فأعاد تدريبه بمعرفة الضابط بوب على كيفية العيش في لندن والتعرف على أماكن وجود المصريين فيها وأعطي اسم فندق ليعيش فيه وهذا الفندق ملتقى العرب في لندن ونظرا للجوا الكئيب في لندن لم يستطع فؤاد العمل

بها مطلقا طلب من بوب أن يعلم ابراهيم بأنه يود العودة الى مصر لأنه مجال عمله هناك أكثر وأنفع للمخابرات الاسرائيلية.

حضر ابراهيم وكعادته وافق على عودة فؤاد الى مصر وأعطاه أيضا الف دولار ومجموع ماله من راتب متراكم معه ولكن فؤاد وهو الذي عرف قيمته عندهم أخذ يتغالي ويطلب المزيد وقد أثار نقطة هامة مع الضابط ابراهيم وهي صعوبة مباشرة عملية التجسس في شقته وبين زوجته وأولاده لا سيما وان أحد أولاده أصبح مراهقاً وفي شهادة الاعدادية ومن الممكن أن يلاحظ أي شيء فوافقه ابراهيم على اقتراحه باستئجار شقة (خاصة للعمل) ودفع له جميع المصاريف (عندما تتأكد أي مخابرات من أن عميلها يخدمها باخلاص وأن خيانته لبلده أصبحت مؤكدة بتسليمها معلومات هامة فإنها لا تبخل عليه بالمال مهماطلب)وفي بعض الأحيان يعرف الضابط المسؤول أن العميل يستغل عمله في طلب زيادة ومع ذلك يوافق له ويدفع له نقدا حتى يستمر بالخيانة وتستمر المخابرات في حصولها على ما تريده.

نقل عدة التجسس الى شقة جديدة:

عاد الجاسوس فؤاد الى القاهرة وانتقل الى مدينته الاسكندرية متظاهرا عودته من العمل في لندن واستأجر شقة مفروشة في شارع خالد بن الوليد في ميامي بالاسكندرية ونقل عدة التجسس اليها وأصبح يمارس عمله التجسسي من هذه الشقة وتحولت الشقة الى (وكر) توافد اليه الأصدقاء من كل حدب وصوب وما على فؤاد سوى تقديم واجب الضيافة لهم حتى النساء والحشيش وبعد ذلك يستمع ويشتم الأخبار منهم ويسجلها ثم يرسلها الى المخابرات الاسرائيلية حيث ازداد نشاطه وازدادت الدولارات بالتدفق عليه حتى ذاع صيت الشقة وأصبح عدد المترددين اليها كثيرين كان من بينهم أحد مخبري (المخابرات المصرية) والتي برعت في وضع مخبريها المناسبين في الأمكنة المناسبة كان هذا المخبر يعمل في شركة الملاحة البحرية التي كانت تتولى بعض أعمال مرفأ الاسكندرية وكان فؤاد يسأله في السهرات الأولى عن أحوال الميناء وعن السفن السوفياتية التي تحضر وهل تفرغ أسلحة أم.. ماذا.. مما جعل المخبر الذكي أن يجيبه جوابات عادية فيها بعض المعلومات التي قدرها بأنها لا تضر ولا تنفع فأعجب فؤاد به وأخذ يغدق عليه الهدايا بمناسبة وبدون مناسبة ـــ

المخبر ينقل المعلومات لرؤسائه:

توجه المخبر (ممدوح) الى مركز المخابرات في الاسكندرية وطلب مقابلة السيد العميد حسن واصف حيث وضعه في الصورة بالنسبة للشقة وفؤاد وما طلب منه وبما أجابه (على مسؤوليته) فسر العميد حسن واصف من المخبر سروراً عظيماً وطلب منه الاستمرار في عمله ونقل الأخبار لهم أولا ومن تلك اللحظة وضع بريد وتلفون وتنقلات فؤاد تحت المراقبة الدقيقة من قبل المخابرات المصرية بينما تابع فؤاد تجسسه وهو لا يدري أن جميع تحركاته أصبحت مرصودة.

أول انذار للجاسوس:

تشاء الصدف أن يكبر ولده ويسافر الى ايطاليا للبحث عن مقعد شاغر في احدى جامعاتها ولما رجع من رحلته أخذ يقص على والده بعض ذكرياته ومنها أن أحد الطلبة الدارسين هناك يختفي عدة أيام ثم يعود ومعه نقود كثيرة وأنه يخشى أن يكون هذا الطالب قد وقع في براثن المخابرات الاسرائيلية وخان وطنه وختم حديثه (لوالده الجاسوس) أليس من الواجب يا بابا أن أخبر المخابرات المصرية عنه. وهنا قاطعه والده بحدّة قائلًا: احنا مالنا وما له سيب الحكاية دي وما تودينا في سين وجيم (وأقنعه بعدم الابلاغ عنه).

استغل فؤاد أول فرصة وسافر الى روما وتوجه رأسا الى السفارة الاسرائيلية وطلب مقابلة الضابط دانيال (اسم مستعار) لضابط مخابرات السفارة وقصَّ عليه ما جرى مع ابنه وأعطاه اسم الطالب ليأخذوا حذرهم اذا كانوا يتعاملوا معه حقيقة.. سر دانيال كثيرا وقام الى خزنته وفتحها ليعطي فؤاد ١٥٠٠ دولار تشجيعا له على هذه المبادرة الطيبة ثم تكفل بحساب الفندق حتى سافر فؤاد عائدا الى مصر بعد أن قدم خدمة للمخابرات الاسرائيلية لا تقدر بثمن.

النهاية:

استنفذت المخابرات المصرية كل الاجراءات الضرورية وثبت من مراقبة البريد ومراقبته أثناء سفرته الأخيرة الى روما بما لا يدع مجالا للشك بتعامله مع المخابرات الاسرائيلية فوضعت جميع تلك المعلومات في ملف كامل قدم للنيابة العسكرية التي سمحت بالقاء القبض عليه فتوجهت قوة من المخابرات الى شقته في

مبامي شارع خالد بن الوليد وداهمتها في الساعة السابعة صباحا ليجدوه مستغرقا في النوم بعد أن سطر على مسودة ورقيه جميع ما التقطه أو سمعه أثناء سهرة الأمس من زواره ليقوم في اليوم التالي بتبييض المعلومات وارسالها للأعداء.

سيق الى سجن المخابرات ووجهت النيابة العامة العسكرية اليه التهم الآتية:

١ ــ سعيه لدى دولة معادية (في حينه) اسرائيل لمعاونتها في عملياتها الحربية.

٢ ــ قبض من ممثلي دولة أجنبية معادية نقودا بقصد ارتكاب عمل ضار بالمصلحة القومية وهو افشاء اسرار الدفاع عن البلاد.

٣ ــ حصل بمختلف الطرق على أسرار الدفاع عن البلاد وسلمها لدولة أجنبية معادية وهي اسرائيل.

اعترف الجاسوس بكل شيء وبدون اكراه أو ضغط وقدمت جميع هذه الاعترافات مع أدوات التجسس المصادرة الى المحكمة العسكرية العليا المشكلة لمحاكمة أمثاله.

سمحت له المحكمة بتوكيل محامي للدفاع عنه حسب القوانين المرعية الاجراء فقابله المحامي واستمع منه عن قصته وقدم أثناء المحاكمة دفاعا عن موكله أخذته المحكمة بعين الاعتبار ولكن نظرا لثبوت الأدلة وقناعة المحكمة فقد صدر الحكم عليه بالاعدام شنقا وتم تصديق رئيس الجمهورية على الحكم وأحيل للتنفيذ في سجن القاهرة الرسمي وتقرر التنفيذ فعلا صباح ١٧ يناير ١٩٧٣ وسيق المتهم الى المشنقة يصاحبه إمام السجن وعشماوي ومأمور التنفيذ وقبل وصولهم الى المكان الذي نصبت فيه المشنقة لأمثاله من الجواسيس فوجيء الجميع بحضور محامي المتهم مسرعا وهو يلوح بوثيقة في يده وهو يصيح أوقفوا تنفيذ الحكم ان موكلي (مجنون) وهو غير مسؤول عما ارتكبه فكيف تنفذون حكم الاعدام بمجنون.

قام مأمور التنفيذ والعميد بدر الدين الماحي مدير السجن بالاطلاع على الوثيقة فثبت أنها صحيحة وهي تطلب وقف التنفيذ لغاية دراسة عريضة مقدمة من المحامي ومرفقة بتقرير طبي يثبت أنه مختل القوى العقلية ويقول التقرير أن المتهم أدخل للعلاج في مستشفى الأمراض العقلية عدة مرات وهكذا أفلت الجاسوس من حبل المشنقة ولكن لمدة اسبوعين فقط حيث نظرت المحكمة في الأشكال القانوني الذي قدمه المحامي ولكنها حكمت برفضه والاستمرار في التنفيذ حيث سيق الجاسوس مجددا بتاريخ ٣٠ يناير الى حبل المشنقة ونفذ فيه حكم العدالة.

مع المخابـــرات المصريـــة ايام زمـــان

المخابرات المصرية تكتشف شبكة تجسس برأسها ألماني من أصل مصري

المخابرات المصرية قبل كامب ديفد كانت أقوى جهاز مخابرات في الشرق الأوسط اكتشفت العديد من شبكات التجسس لصالح اسرائيل ليس في مصر فقط بل كانت يداها القويتان تصلان الى أقاصي أوربا لملاحقة العملاء ضعيفي النفوس وحماية العملاء الابطال الذين كانوا يعملون مع هذه المخابرات لدى أول طلب منهم وقصتنا الآن هي عن عميل مصري الأصل فاشل في حياته العامة انساق في الخيانة والتجسس فكانت له المخابرات المصرية بالمرصاد من أول الطريق:

الجاسوس العميل بهجت يوسف حمدان ومنتهى الخيانة:

عقدت المخابرات المصرية مؤتمراً صحفياً ظهر يوم ٢ حزيران عام ١٩٦٩ أعلنت اكتشاف شبكة تجسس برأسها العميل الخائن بهجت يوسف حمدان (الماني غربي) من أصل مصري ومن مواليد ٢٤ كانون الأول عام ١٩٣٢ في مدينة الاسماعيلية وقد أمضى هذا العميل طفولته على أرض القنال وانتقل الى القاهرة حيث اكمل دراسته الثانوية بمدرسة الخديوي اسماعيل وحصل على شهادة التوجيهية عام ١٩٥٠ والتحق بكلية الفنون الجميلة ولكنه فشل في دراسته بها مما دفع والده لارساله الى المانيا الغربية لدراسة الهندسة ووضع والده كل امكانياته المادية المتواضعة ليؤمن نجاح ولده وتحقيق حلمه في أن يكون له ولد صالح يعود الى بلاده ويشترك بمجهوده وعمله في خدمة الوطن ولكن مع الأسف خابت آماله لأن ولده بهجت ما أن تواجد في الوسط الاوربي حتى اندمج في الأوساط الطلابية المنحرفة وجذبه تيار الفتنة والاغراء مما أثر على دراسته ودعا ادارة البعثات برفع الاشراف عنه نتيجة لسوء سلوكه وفشله في دراسته وبالتالي فإن والده قطع عنه ما كان يرسله له من المال بعد أن علم بنتيجة دراسته مما اضطره للعمل في بعض الشركات بغية الحصول على المال لمتابعة دراسته حراً بعد رسوبه مع متابعة انحرافه مع عناصر فاسدة معظمهم من الطلبة والفتيات اليهود واستمر في دراساته حتى عام ١٩٥٨ حيث انتهى به المطاف بعد حصوله على (المؤهل العلمي) الذي كان ينشده. لكنه تمكن بوسائله الخاصة من الحصول على شهادة تثبت تأديته لامتحان المشروع العلمي لاحدى دبلومات الهندسة وفي خلال ذلك تعرف على احدى الفتيات الالمانيات وتدعى (أنجرد شوالم) فتزوجها وحمل ما حصل عليه ويعادل ٢٥٪ من المؤهل العلمي وعاد الى القاهرة للاقامة والبحث عن عمل.

لم تبخل عليه الدولة بالوظيفة اللائقة حيث عين بالهيئة العامة لمشروع الخمس سنوات (في حينه) ولكنه قابل ذلك بالنكران لأنه كان مثالا سيئاً للموظف المرتشي والمستهتر ووصل به الأمر الى أن تعرف على بعض أصحاب الشركات الألمانية المقيمين بالقاهرة وأخذ يطلعهم على بعض خبايا أعماله في المشروع

خاصة ما يتعلق بالعروض والعطاءات التجارية لقاء مبالغ ضئيلة وانتهى به الأمر الى فصله من العمل لعدم كفاءته وكثرة تغيبه بدون اذن ولعدم اعطائه الاهتمام للعمل وتأخره في تنفيذ ما يطلب منه فضلا عن عدم نجاحه في تأدية أي عمل نافع.

سفره الى لبنان ثم الى اوربا:

كان لاقامته في المانيا وتعوده على الحياة الاوربية وطريقة تعامله بها علاوة على تزوجه من (ألمانية) وفشله في عمله بالقاهرة الأثر الفعال في بقاء فكرة الهجرة مجدداً الى أوربا والاقامة بها فسافر الى لبنان مصطحباً معه بعض المستندات الخاصة بمشروع الخمس سنوات ليستغلها فيما بعد حسب مقتضيات الظروف ولم يتمكن من العمل في لبنان فسافر الى باريس ونزل في فندق ((ستار)) وتعرف على موظف الاستقبال اليهودي باعتباره كان يقيم في بور سعيد ورحل عن مصر عقب عدوان ١٩٥٦ وهو بنفس الوقت يعمل مع المخابرات الاسرائيلية وبعد مناقشة معه طلب منه البحث له عن عمل وقص عليه قصة حياته حتى تاريخه فاكتشف الأخير أنه صيد سهل.

اهتم موظف الاستقبال اليهودي به وتولاه برعايته وأخذ يصطحبه معه الى بعض الحفلات خاصة بعد أن أعاد زوجته الى المانيا بحجة بحثه عن عمل ولما علم موظف الاستقبال أن لديه بعض المستندات ذات القيمة الاقتصادية عرفه على المدعو جورج سيمون وهو ضابط في المخابرات الاسرائيلية وكانت بداية التعارف على أنه رجل أعمال ويمكنه ايجاد عمل له واستمر في اصطحابه الى أماكن اللهو والصرف عليه ثم أخذ منه المستندات التي كانت بحوزته بحجة الاطلاع عليها لتقييم امكانياته وتحديد الوظيفة المناسبة له ثم أعادها له وسلمه مبلغ ١٠/٠٠٠/ عشرة آلاف فرنك فرنسي (بالطبع قام جورج بتصوير الوثائق وارسالها الى رؤسائه) كدفعة لبينما يجد له عملا ونتيجة لما لمسه جورج من أخلاق بهجت حمدان وطباعه وعاداته وآماله خاصة أنه يبحث عن المادة حتى ولو كانت عن طريق الشيطان صرح له رأساً بعد أن اطمأن اليه بأنه ضابط في المخابرات الاسرائيلية فما كان من بهجت الا أن وافق فوراً على التعامل معه على هذا الأساس.

لم ينجح جورج في ايجاد عمل له في باريس نظراً لأنه لا يجيد اللغة الفرنسية ولا يوجد له رصيد من المعارف في باريس وأخيراً بسبب زواجه من المانية فتقرر استغلاله في المانيا الغربية وتم ارساله الى مدينة فرانكفورت وأقام في

احد فنادق الدرجة الاولى فيها حتى حضر اليه ضابط من المخابرات الاسرائيلية يدعى صموئيل الذي أعاد استجوابه وأخذ كل ما لديه من معلومات ودرس امكانياته للعمل معهم في المانيا وسلمه ايضا مبلغ ١٠/٠٠٠ عشرة آلاف مارك وجعله يوقع على ايصال باستلام هذا المبلغ.

من المعروف عن المخابرات الاسرائيلية أنها لا تدفع الى أي عميل مقدماً الا بعد أن تتأكد أنه أصبح تحت سيطرتها وفي حالة بهجت اتضح لها أنه يتمتع بالمقومات والعناصر المطلوبة من الجاسوس المثالي فرسمت خططها في تعاملها معه على المدى البعيد حتى تستغله الاستغلال المفيد في الوقت المناسب وقد بدأت أولى خطواتها عندما صرح له صموئيل بأن امكانيته للعمل في المانيا ضعيفة ولن يتمكن من ايجاد عمل له بهذه الحالة وعليه فقد عرفه على أحد عملائهم ويدعى بوتا وهو من كبار تجار البورصة في مدينة (بريمن) بحجة مساعدته في ايجاد العمل في المجال التجاري والاقتصادي والاختلاط برجال الأعمال ودراسة الأسواق التجارية.

ابتدأ بوتا عمله بتعريف بهجت على بعض رجال الأعمال والتجار واصطحبه معه الى سوق الأوراق المالية (البورصة) لدراسة السوق وأمن له بعض الصفقات المحلية للتدريب واستمر في ذلك مدة عامين تأكد للمخابرات الاسرائيلية أنه أصبح ذو دراية وعلم وان له (اسماً) بين رجال الاعمال واستمراراً للخطة الموضوعة طلب منه أن يقدم طلباً الى وزارة الداخلية الألمانية للحصول على الجنسية الألمانية وقد ذكر بهذا الطلب اسم زوجته الألمانية وعنوانها بالاضافة الى عنوانه التجاري وقام بوتا بمساعدته وبذل جهده لتذليل كافة الصعوبات والعقبات التي واجهته حتى حصل على الجنسية الألمانية عام ١٩٦٧ (بعد أن تنازل عن الجنسية المصرية).

وبهذا اصبح بهجت حمدان يتمتع بمزايا جديدة علاوة على ميزاته السابقة فهو الآن (في حينه) أصبح من رجال الأعمال وفي مجال السمسرة (الكمسيون) التي يستطيع عن طريقها الدخول في مختلف الأعمال التجارية بالاضافة الى أنه أصبح مواطناً المانيا يستطيع عن طريق ذلك التنقل بين البلدان المختلفة بدون وجود عقبات تعترض طريقة خاصة بلدان الشرق الأوسط.

بدأت المخابرات الاسرائيلية في توجيه عملها للبدء في تنفيذ مخططها البعيد المدى واتخذت في سبيل ذلك خطوات مدروسة يتم تنفيذها بتؤدة حتى تصل الى هدفها فتم تعريفه بواسطة (بوتا) على بعض اصحاب شركات البترول الألمانية

(تحت ستار العطف عليه وايجاد الفرصة له للحصول على المكاسب المادية التي يبتغيها) وبعد أن أصبحت له دراية في أعمال شركات البترول قام بارسال خطابات الى مؤسسة البترول في مصر يعرض عليها القيام بشراء بعض المنتجات البترولية بصفته مندوباً للشركات الالمانية التي أصبح ينطق باسمها وسافر الى القاهرة وكان ذلك في اعقاب الحرب الاسرائيلية الغادرة في حزيران ١٩٦٧ وقابل المسؤولين المصريين وتدارسوا في تفصيلات عروضه التي تقدم بها ثم رجع الى المانيا وعاد الى القاهرة ومعه (وفد الماني) من رجال الأعمال لدراسة العرض مع الجهات المصرية وتحت هذا الستار كثرت ترددات الجاسوس بهجت الى مصر بحيث كان يقيم في فنادق الدرجة الأولى بالقاهرة ويصرف عن بذخ في الوقت الذي كانت عائلته تقيم فيها ومعظم أهله مهاجرين من مدينة الاسماعيلية ولم يتردد عليهم ولو مرة واحدة ولكنه عوضاً عن ذلك أخذ يكون علاقات جديدة مع مختلف الأوساط المصرية ويجدد علاقاته مع معارفه وأصدقائه القدامى واتبع معهم اسلوب تقديم الهدايا الثمينة من الخارج كلما سافر ورجع الى القاهرة وذلك لتوطيد علاقاته بهم والتعرف على آخرين عن طريقهم.

تحسنت حالة الجاسوس المادية وتعدى نشاطه مصر الى لبنان ولكنه لم يستفد شيئاً ولم ينجح فى عقد أي صفقة بترولية مع مصر وكان مرجع ذلك هو طمعه الشديد في الحصول على اكبر قدر ممكن من الربح مما أثر في أسعار العروض التي تقدم بها وهنا تدخل مرة اخرى (بوتا) وعرفه على بعض تجار الأسلحة الذين يعملون في المجالات العسكرية في ألمانيا بتوجيه من المخابرات الاسرائيلية أيضا وأعجبته فكرة التجارة بالأسلحة فقام بدراسة مستفيضه لهذا السوق واتضح له ان جميع تجار الأسلحة في ألمانيا من اليهود وانهم يحتكرون هذه التجارة في أوربا وهداه تفكيره وتوجيه بوتاله الى تقديم عرض للدول العربية لبيعها صفقات اسلحة نظرا للظروف الراهنة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وابتدأ تجربته مع الاردن ولكنه لم ينجح لأن الاردن يحصر استيراد السلاح بواسطة اخصائيين لا يلتف الى أمثاله وهكذا أخذ درساً من تجربته الأولى فعاد الى القاهرة وطنه الأم وعرض على المسؤولين فيها امكانياته بخصوص توريد بعض المهمات والمعدات التي تحتاجها بعض قطاعات الدولة الهامة لكي يتخذ من ذلك ستاراً لتنفيذ احتياجات المخابرات الاسرائيلية كل ذلك والمخابرات المصرية ترصد حركاته خطوة بخطوة بالتسجيل والصور والوقائع وكانت خطتها السير معه للآخر.

وأبدى له المسؤولون موافقتهم المبدئية على العروض التي تقدم بها وطلب منه أن يثبت امكانيته في هذا المجال واعتقد أنه قد بدأ أولى خطواته على سلم النجاح والربح المادي الذي كان يحلم به طول حياته وعاد مسرعاً الى بوتا يبلغه النتائج فسهل له بوتا التعرف على أشخاص آخرين كونّ معهم (شركة) للتعامل مع الشرق الأوسط في الأعمال الانشائية وحدد له النصيب الاكبر من الربح وسجلت رسميا في المانيا باسم (شركة نوردهاو) للأعمال الانشائية والتعهيدات العسكرية لصاحباها (ألبرت فيزر) و (رولف درابر) بعد أن أقنعهما بامكانياته في اتمام عروضه التي حصل على موافقة مصر عليها وتناقشوا بالأسعار وتبين لهم مدى ما سيحصلون عليه من الأرباح الطائلة من جراء عقد مثل هذه الصفقات وتعاونوا مع تجار آخرين حصلوا منهم على البيانات والرسومات التي تؤيد مركزهم أمام المسؤولين في مصر وتوجه مع الشركاء الى القاهرة حيث قابلوا المسؤولين الذين طلبوا منهم (مجاراة لهم في لعبتهم) أن يودعوا مبلغ عشرين ألف جنيه مصري بالدولار كتأمين وضمان لجديتهم في تنفيذ عروضهم التي تم الاتفاق عليها فعادوا الى المانيا لتجهيز المبلغ المطلوب واحضار عينات من الصفقات المطلوبة.

وفي أواخر عام ١٩٦٨ توقف دور بوتا عند هذا الحد حيث زار بهجت في منزله بمدينة بريمن ومعه الكولونيل دافيد سابي من المخابرات الاسرائيلية في تل أبيب وجورج سيمون ضابط المخابرات الاسرائيلية في باريس وأبلغوه أنهم حضروا خصيصاً لمناقشته في تطورات العروض المقدمة الى مصر واتفقوا على أن تقوم المخابرات الاسرائيلية بتقديم كافة المساعدات والامكانيات لانجاح هذه الصفقات خاصة (موضوع دفع التأمين للسلطات المصرية) وفي نفس الجلسة لم يضيع الكولونيل دافيد الوقت مع بهجت فطلب منه الاجابة على بعض الأسئلة المتعلقة ببعض النواحي الاقتصادية والاستراتيجية واحتياجات القوات المسلحة وأماكن الاستحكامات الجديدة كما طلب منه العمل على اختيار بعض العناصر الصالحة لمعاونته سواء من العسكريين أو المدنيين.

عاد الثالوث الألماني برآسة الجاسوس بهجت الى القاهرة حيث قدموا الى المسؤولين مبلغ/ربع مليون مارك الماني/ كتأمين واثبات لجديتهم في تنفيذ العرض وهذا المبلغ يساوي اضعاف المبلغ الذي طلبته السلطات المصرية منهم وقد تأكد للسلطات المصرية أن هذا المبلغ هو من أموال المخابرات الاسرائيلية (الحرام) فتابعوا الموضوع معهم حسب الخطة الموضوعة لهذه الغاية أما بهجت الجاسوس فقد بدأ بعد

تثبيت أقدامه حسب ظنه بتنفيذ مخطط المخابرات الاسرائيلية فاتصل بزوج شقيقته المهندس محمد متولي مندور الذي يعمل في شركة المقاولين العرب بمنطقة القنال والذي سبق أن سمع أنه يود تحسين حالته المادية بايجاد عمل له في الخارج فأخبره بهجت بأنه في صدد تنفيذ بعض الأعمال الهندسية في مصر مع شركة المانية غربية ووعده بأنه سوف يؤمن له العمل معهم في حال نجاح المفاوضات واستلام المشاريع ثم عرفه على شركائه فيزر ودراير فأقام لهم احتفالا خاصا ثم تكررت اللقاءآت وكان المهندس مندور يعمل من جانبه على كسب رضاهم عنه بأية طريقة حتى يضمن اشراكه في العمل نتيجة المشاريع المرتقبة ونتج عن ذلك أن تعددت المناقشات معه في مجال العمل لمعرفة امكانياته وكفاءته وتمكن بذلك كل من فيزر ودراير من الحصول منه على معلومات عسكرية سرية اعجبوا بها وبه وكلفوا بهجت الاستمرار معه لتطبيعه للعمل لصالح المخابرات الاسرائيلية.

تعمد الجاسوس بهجت أن يترك صهره فترة من الوقت دون أن يفاتحه في موضوع عمله معهم وكان في كل مرة يقابله بها يختلق له شتى الأعذار ومنها أن شركاءه (غير مطمئنين) الى كفاءته في العمل وأن عليه أن يقدم ما يثبت لهم ذلك ليجعله على استعداد نفسي لتقديم ما يطلب منه بعد ذلك لقاء عمله معهم وبعد ذلك سافر بهجت الى المانيا.

بتاريخ يوم الجمعة ١٩٦٩/٥/٢٢ عاد بهجت من المانيا وتقابل مع صهره مندور وبشره بأنه في سبيل الحصول على موافقة الشركة للعمل معهم براتب/ ٢٠٠ جنيه شهرياً/ وهذا المبلغ يغري كثيراً في مصر اذا عرف القاريء أن راتب المهندس لا يتعدى ٥٠ جنيهاً شهرياً وطلب منه أن يحضر له بعض الرسومات الهندسية الخاصة ببعض الاستحكامات العسكرية التي تعمل شركة المقاولون العرب على تنفيذها والتي يشترك نفسه بها وذلك لتقديمها للألمان للحكم على كفاءته من واقع الاعمال التي يشترك بتنفيذها فوافق المهندس مندور على الفور وسلمه مجموعه من هذه الرسومات والخرائط التي تعتبر من الأسرار العسكرية الهامة وبمجرد أن استلم بهجت الرسومات تطرق في حديثه من موقف القوات المسلحة في منطقة القنال فأدلى له صهره بكافة المعلومات العسكرية التي اطلع عليها وشاهدها أو علم بها بحكم عمله في المشاريع العسكرية.

قام الجاسوس بهجت بايداع الرسوم والخرائط وما سجله من معلومات لدى

شقيقة ثانية له (غير زوجة مندور) على أمل أخذها معه لدى سفره الى المانيا لتقديمها للمخابرات الاسرائيلية حسب طلبها.

استمرار تجسسه تحت مراقبة المخابرات المصرية:

لم يكتف بهجت بالمهندس مندور صهره بل توجه الى المحامي جمعة خليفة الذي تربطه به صلة قديمة من أيام والده وطلب منه أن يتولى شؤونه القضائية والقانونية لمشروعاته في البلاد وأغراه بارسال ولده الذي لم يحصل على معلومات مناسبة في الثانوية العامة لدراسة الهندسة في المانيا باشرافه فوافق المحامي على الفور ثم قدمه الى كل من فيزر ودراير اللذان وافقا على أن يتولى المحامي الشؤون القانونية لمشروعات شركة نوردباو وفي القاهرة مقابل عمولة مغرية وقام بهجت بعد ذلك بتسهيل سفر المحامي الى المانيا الغربية لدراسة النواحي القانونية مع الشركة وزيارة ولده الذي التحق فعلا بكلية الهندسة هناك وتقابل مع المسؤولين في الشركات التي اتفق معها على توريد المعدات والمهمات الى مصر واتضح له أن الموضوع لا زال في بدايته علاوة على وجود عقبات قانونية من جانب شركة نوردباو توحي بوجود تلاعب منها.

عاد المحامي جمعة الى القاهرة وقابله الجاسوس بهجت وطلب منه البحث عن أشخاص في بعض المراكز الهامة في الشؤون السياسية ليقوموا باجراء مباحثات جانبية مع بعض المسؤولين الأميركيين لاحلال السلام في الشرق الاوسط فوافقه على ذلك وسهل له الاتصال بالعسكريين الذين خرجوا من الخدمة العسكرية لاستخدامهم كمستشارين فنيين وكان غرض بهجت من ذلك هو اختيار العناصر المناسبة لتقديمها للمخابرات الاسرائيلية ثم كلفه بالحصول على بعض المعلومات الاقتصادية تحت ستار التعامل مع بعض المؤسسات في المانيا الغربية.

حتى فؤاد المهندس:

الممثل الكوميدي المصري فؤاد المهندس له برنامج شيق يذاع يوميا من اذاعة القاهرة صباحاً في الساعة السابعة وخمسين دقيقة بعنوان (كلمتين وبس) وبتاريخ ١٩٨٣/٤/٢٠ كان موضوع البرنامج (السرية) حيث قدم فؤاد المهندس لجميع المواطنين العرب أغلى النصائح والتوصيات بالكتمان والسرية وعدم التباهي في الحديث عن الأعمال الهامة الموكلة للموظفين سواء كانوا مدنيين أو عسكريين لكيلا يستفيد العدو..

وختم برنامجه بقوله: مين العدو مفيش دولة ما لها عدو..؟

أخذ بهجت يستعد لانهاء الخطوات النهائية للمشاريع التي اتفق عليها ودفع لأجلها مع شريكيه مبلغ ربع مليون مارك وحضر فيزر لنفس الغرض ونزل بنفس الفندق مع بهجت الذي يشغل غرفة منه يجمع بها المعلومات في صيغتها النهائية ثم سافر فيزر فجأة الى ألمانيا.

النهاية المحتومة للجواسيس:

تجمعت لدى المخابرات المصرية المعلومات الكاملة عن تحركات الجميع وانغماسهم في التجسس مما استوجب القاء القبض عليهم خشية هروبهم خارج البلاد فأعلنت النيابة العامة بذلك التي حددت الساعة الثامنة من مساء ١٩٦٩/٦/٢ لالقاء القبض على الجميع حيث توجهت مفارز المخابرات المصرية واعتقلت كلًا من بهجت يوسف حمدان ــ الجاسوس الرئيسي والمهندس محمد منذور والمحامي جمعة خليفة وفي المخابرات المصرية العامة جرت مواجهة بهجت بكل ما لديها من مستندات اكدت أنها كانت تتابع خطواته وأنها على علم تام بتفصيلات مقابلاته وعلاقاته مع المخابرات الاسرائيلية ونشاطه في مصر ولبنان وفرنسا والمانيا الغربية ثم واجهت المخابرات المصرية المهندس محمد منذور بدوره كاملًا مع قريبة بهجت فاعترف اعترافاً كاملًا والمحامي جمعة خليفة أيضاً اعترف بما أقدم عليه مع الجميع وهكذا اصبح لدى المخابرات المصرية اعترافاً عن دور كل منهم بالحاق الضرر بأمن وسلامة البلاد وقد تبين بعد التحقيق أن المتهم الرئيسي بهجت يوسف حمدان غادر مصر ١٢ مرة الى أوربا وكانت المخابرات المصرية ترصد كل تحركاته وعلى علم بكل ما يقوم به أما الجاسوس الألماني ألبرت فيزر فقد رغبت المخابرات المصرية في القاء القبض عليه لأنه لم يكن موجوداً في مصر حين القاء القبض على بقية الشبكة فطلبت من المتهم الرئيسي أن يطلب منه الحضور لأن الاتفاق على العروض التي تقدموا بها أصبح جاهزاً للتوقيع فقام بهجت على الفور بالاتصال بالبرت فيزر (شريكه) وطلب منه الحضور للقاهرة وقد حضر فيزر فعلا بأسرع ما يمكن حيث كانت المخابرات المصرية بانتظاره هذه المرة وهذا يثبت غباء المخابرات الاسرائيلية التي لم تنتبه لطلب عميلها للقاهرة بهذه السرعة وبعد أيام من سفره وبذلك تكون قد أرسلته الى قدره المحتوم بين يدي المخابرات المصرية.

قام بالتحقيق مع الشبكة العميد اسماعيل مكي ممثلا الادعاء العام العسكري

والمقدم سمير البحيري رئيس النيابة العسكرية وقد علم عن محفوظات المخابرات المصرية ان المدعو (بوتا) الذي سهل لبهجت الحصول على الجنسية الالمانية وعرفه على عملاء المخابرات الاسرائيلية بشكل (رجال اعمال) هذا الرجل يهودي كان يعمل سمساراً للقطن في بورصة الاسكندرية وهاجر من مصر عقب اغلاق البورصة لذلك كان يجيد اللغة العربية باللهجة المصرية (زيهم).

انتهى التحقيق مع الجميع وأحيلوا الى المحكمة العسكرية الخاصة التي أصدرت حكمها بعد حوالي سنة من اعتقالهم كما يلي:

١ ــ الحكم على بهجت يوسف حمدان ــ المصري الأصل ــ الالماني الجنسية بالأشغال الشاقة المؤبدة ومصادرة امواله التي هي اصلا من أموال المخابرات الاسرائيلية.

٢ ــ الحكم على ألبرت فيزر ــ الماني الجنسية ــ عميل للمخابرات الاسرائيلية في أوربا بالسجن لمدة خمس سنوات.

٣ ــ الحكم على المهندس محمد منذور ــ مصري الجنسية بالسجن لمدة خمس سنوات تخفيفاً للأسباب التي وجدتها المحكمة.

٤ ــ الحكم على المحامي جمعة خليفة ــ مصري الجنسية ــ بالسجن لمدة خمس سنوات تخفيفاً للأسباب التي وجدتها المحكمة.

وبذلك تنتهي قصة اخرى من قصص بطولة المخابرات المصرية.... قبل كامب ديفيد..؟

المخابـــرات المصريـــة.. أيــام زمــان

عملية تجسس لاسرائيل من قبل شقيقين مصريين.

الاستعداد لقبول التجسس أو رفضه:

كان أسعد أيام المخابرات المصرية عندما أعلنت في ١٠/١٠/١٩٧٤ على لسان مسؤول كبير فيها بأن أي مواطن مصري تورط تحت أي ظرف من الظروف مع جهاز مخابرات معاد لمصر فإنه في حالة قيامه بالتبليغ عن ذلك فور وصوله للبلاد أو لأي سفارة من سفارات مصر اذا تعذر حضوره للقاهرة وسوف يعفى نهائياً من أية مسؤولية جنائية ولا توجه له أي تهمة.

وأضاف المسؤول ان المخابرات المصرية تعلم الأساليب التي تتبعها المخابرات المعادية والظروف التي يقع تحتها المواطن مرغماً مما يغفر له ما وقع فيه ما دام قد قام بالابلاغ وان مكاتب المخابرات مفتوحة لأي مواطن يخاف على بلده ويحب أن يؤدي خدمة لوطنه وهو حريص على سلامة بلاده.

وأكد نفس المسؤول: أنه رغم تطور أجهزة الاستطلاع والتجسس الالكترونية سواء كانت بالأقمار الصناعية و الطائرات الحديثة فإن أجهزة المخابرات ما زالت وتظل (تعتمد) في جمع المعلومات وفي تفسيرها ودقتها على العميل الذي يمكن تجنيده باعتبار أنه يستطيع كشف ما لا تستطيع الأقمار الصناعية والأجهزة الأخرى معرفته الا عن طريق العنصر البشري وفي نهاية البيان أعلن المتحدث بلسان المخابرات المصرية أنها اعتقلت جاسوسين شقيقين يقومان بالتجسس لصالح المخابرات الاسرائيلية وأنهما بين يدي المحققين وسوف يحالان للمحكمة المختصة بعد انتهاء التحقيق معهما لينالا جزائهما العادل.

العميل الأول الشقيق يدعى السيد محمود محمود محمد:

ولد الجاسوس السيد محمد محمود محمد في ١٢ آذار ١٩٢٦ في مدينة الاسكندرية وترك الدراسة قبل الاعدادية وانصرف للأعمال البحرية حتى أصبح يملك ٤٠٪ من الباخرة التجارية اللبنانية (م ــ باهي) ويعمل بنفس الوقت مساعداً للقبطان فيها متزوج من سيدتين ويقيم في حي (سيدى جابر) بالاسكندرية وأثناء سفره التقى في روما بصديق قديم من يهود الاسكندرية يدعى فيتورا وهو ضابط

اداري يعمل في شركة للسفن التجارية في ايطاليا واستعرضا مراحل حياتهما الماضية ودعا الجاسوس صديقه فيتورا لزيارته في الاسكندرية.

بعد مدة فوجيء الجاسوس بصديقه فيتورا يلبي دعوته ويحضر للاسكندرية بجواز سفر ايطالي فقام بضيافته على أحسن وجه لفترة عشرة أيام كان يحدثه خلالها عن همومه وحاجته لزيادة دخله بأي شكل نظراً لزواجه من سيدتين فاكتشف الضيف أن مضيفه على استعداد لعمل أي شيء حتى ولو كان ضد بلاده فطلب منه جمع معلومات عن مصر بصورة عامة لأنه سيقدمه الى صحفي بريطاني يعمل في منظمة (حلف شمال الأطلسي) ويقيم في امستردام بهولندا.

هيأ السيد محمد بعض المعلومات الهامة وسافر مع صديقه فيتورا الى امستردام رأساً وقيمة بطاقة الطائرة البالغة اكثر من خمسين جنيها دفعها الضيف الذي لم ينس أيضا مقابل كرم الجاسوس أن يدفع له خمسين جنيها ثانية أبقاها كمصروف مشترك للزوجتين وعندما وصلا الى امستردام أنزله في فندق (أميركا) الفخم وعرفه على شخص يدعى ميشيل غاي طومسون على أنه الصحفي البريطاني (المزعوم) والذي لم يكن سوى ضابط في المخابرات الاسرائيلية فعرض عليه العمل معهم لصالح حلف شمال الأطلسي ضد السوفيات فوافق على الفور وبدأ يجتمع معه استعداداً لتوضيح عمله وقد اعترف له (كذباً) بأنه يعمل للمخابرات الأميركية اضافة لعمله في حلف الأطلسي ثم اعترف له مرة ثانية بأنه يعمل للمخابرات الاسرائيلية وهذه الحقيقة ومع هذا استمر السيد محمد في قبوله التعاون معه حتى ولو كان يعمل للشياطين وعندما وجد ميشيل أن العميل الجديد مندفع للعمل قام بالتردد عليه في فندق أميركا حيث دربه على جمع المعلومات عن طريق المشاهدة وتحديد أماكن المنشآت العسكرية بالنسبة للطرق الرئيسية داخل مصر كما دربه على استخدام اسلوب الاثارة مع معارفه في مصر للحصول منهم على معلومات عسكرية واقتصادية وسياسية وبعد انتهاء التدريب دفع عنه حساب الفندق والطعام وحجز له على الطائرة المصرية العائدة للقاهرة ولم ينس أن يدفع له /٥٠٠ دولار/ هي على الحساب من كرم المخابرات الاسرائيلية...

عاد الجاسوس الى الاسكندرية حيث زاول نشاطه الهدام وجمع معلومات جديدة سافر مرة ثانية الى امستردام حيث سلمها الى ميشيل الذي هنأه على نجاحه في عمله وبدأ يدربه تدريباً جديداً على استعمال الراديو لاستقبال تعليمات المخابرات الاسرائيلية بالشيفرة وكيفية حلها وتنفيذها ثم دربه على كيفية (تمييز

الأسلحة بالنظر) وطريقة الكتابة بالحبر السري ثم طلب منه العودة الى مصر لاستئناف نشاطه على أن يرسل المعلومات التي يجمعها عن مصر بالحبر السري ضمن رسائل عادية يرسلها الى عنوان لهم في لندن.

وعاد الجاسوس الى الاسكندرية ومعه الراديو وأدوات التجسس الجديدة حيث انضم اليه بالعمل التجسسي شقيقه (أمين محمود محمد) المجند بالقوات المسلحة حيث زوده ببعض المعلومات العسكرية عن الوحدة التي يؤدي خدمة العلم فيها مقابل بعض الجنيهات الحرام وتكررت سفرياته الى أوربا لتسليم المعلومات وكان يلتقي ضباط المخابرات الاسرائيلية في عدة أماكن للتمويه ومنها فندق الليدو في فنيسيا وفندق بيكاديلي في لندن وفندق بان أوتيل في أثينا بالاضافة الى فندق أميركا في أمستردام وكان يتقاضى راتباً شهرياً منهم مبلغ ١٠٠ دولار بالاضافة الى تغطية جميع مصاريف السفر بالطائرة ذهابا وايابا والاقامة بهذه الفنادق الفخمة وكانت طريقة تسليمه الراتب تتم سواء دفعات نقدية حين حضوره اليهم أو ارسال حوالات تصله الى الاسكندرية بوسائل الاخفاء عليها.

نهاية الجاسوسين:

أخطأ هذا الجاسوس الذكي بتوريط شقيقه المجند بالعمل معه وبما أن المجند راتبه محدود وضئيل فقد ظهرت عليه علامات الغنى وتبذير الأموال ودعوة أصدقائه الى حفلات ليست من مستواه بالاضافة الى تقديمه هدايا الى رؤسائه وهي من الهدايا التي يحملها شقيقه الجاسوس في كل مرة من أوربا وذلك ليكسب رضاهم أولا ثم ليحصل على اجازات يقضيها في اللهو وكانت النتيجة بأن وضع تحت المراقبة لهذه الأسباب وشملت المراقبة شقيقه الجاسوس ثم قامت المخابرات المصرية بدراسة وافية عنهما تبين لها بما لا يدع الشك بأنهما يقومان بالتجسس فأعلمت النيابة العامة العسكرية التي فوضت المخابرات المصرية بمتابعة الموضوع حتى تجمعت كامل المعلومات عنهما حيث جرى القاء القبض عليهما بتاريخ ٢٨ آذار ١٩٧٤ كما تم ضبط أجهزة التجسس التي كانا يستعملانها في نشاطهما وقدما للمحكمة العسكرية التي استمرت في التحقيق معهما حتى شهر تشرين الأول ١٩٧٤ حيث أصدرت حكمها الآتي:

١ ــ الحكم على السيد محمد محمود محمد بجريمة التجسس لاسرائيل

والحاق الأذى بالمنشآت الصناعية والعسكرية بالأشغال الشاقة المؤبدة.

٢ ــ الحكم على المجند أمين محمود محمد بالأشغال الشاقة لمدة خمسة عشر سنة.

وسيق الجاسوسان الى السجن لينالا جزاء تجسسهما لاسرائيل (في حينه)...

* * *

المخابـــرات المصريـــة قبـــل كامـــب ديفيـــد

(قصة الشاب المصري الشريف الذي خدع المخابرات الاسرائيلية ٨ سنوات).



المواطن المصري الشريف أحمد عبد الرحمن الذي خدع المخابرات الاسرائيلية.

المخابرات الاسرائيلية تبحث عن عميل جديد والطريقة واحدة:

بعد حرب حزيران ١٩٦٧ الغادرة والدمار الذي أصاب مدن القنال من جراء القصف الوحشي بآلاف القذائف للمدن المصرية الواقعة على قناة السويس ومن المعروف أن هذه المدن جميعها لا تحوي أي أهداف (عسكرية) مما نتج عنه هروب جماعي للسكان الذين بقوا على قيد الحياة باتجاه القاهرة وبطل قصتنا هذه واحد من الالاف الذين تركوا منازلهم وهربوا الى القاهرة مع زوجته وولديه ليبدأ حياة جديدة فيها انه المواطن المصري الشريف أحمد محمد عبد الرحمن من مواليد (٦ آب – أغسطس ١٩٣٩) من سكان السويس – حي الغريب ويعمل (قبل الهجرة) موظفا في شركة سمبل للسياحة في السويس متزوج وله ولدين حمادة ومها وحين وصل الى القاهرة استقر مؤقتا لدى أقرباء له شاركوه المنزل والمأكل والمشرب ولم يستطع أن يجد عملا يناسبه وهو المواطن الذي يرغب كما يقولون من كسب خبزه بعرق جبينه فقرر السفر الى اليونان وودع زوجته وأولاده وأوصى بهم أقرباءهم وسافر الى أثينا حيث تمكن من ايجاد عمل على الباخرة (آرتا) التي تتجول في موانىء أوربا حتى وصلت الى ميناء بريستون لانكشير في انكلترا فوقفت لافراغ ما بها من البضائع للتجار البريطانيين ولما انتهى أحمد من عمله نزل الى البلدة لارسال بطاقة بريدية لزوجته وبعد ذلك جلس في أحد مقاهي الرصيف لشرب الشاي الانكليزي فتعرف على فتاة جميلة جدا ادعت أنها انكليزية وابنة مليونير وربطت بينهما علاقة عاطفية بعد أن تمكن من أخذ اجازة من الباخرة التي يعمل عليها لقضاء الليل في أحد الفنادق معها ثم سافر في اليوم التالي وكانت صديقته التي أدعت أن اسمها (جوجو) واقفة على رصيف الميناء لوداعه ثم بدأت تلاحقه من ميناء الى ميناء وأحيانا تنتقل بالطائرة لتلقاه في البلاد التي يتواجد فيها كما كانت ترسل له الخطابات الغرامية وعرضت عليه ترك العمل في البحر وستجد له العمل المناسب عند ذلك بدأ يشك في نواياها ورفض عرضها قائلا أنه يفضل البقاء في البحر.

لقاء مكشوف للمخابرات الاسرائيلية:

وصلت الباخرة الى ميناء (كيل كانال) في المانيا الغربية ونزل منها كالعادة

بعد انتهاء عمله للتجول في المدينة فتعرف على اثنين ادعيا أنهما من رجال الأعمال أحدهما يدعى جاك والآخر ابراهام وحاولا التقرب منه ووجها الدعوة له لقضاء الليل في المدينة فوافق وهو الواثق من نفسه وأثناء السهرة (كررا) نفس طلب صديقته جوجو(١) التي اختفت من على المسرح بعد أن أرشدتهما اليه — بضرورة ترك العمل على الباخرة وسيجدا له العمل المناسب وأخبره جاك أن والده مليونير وأنه سيتوسط له للعمل معه ويترك المركب وفي اليوم تظاهر جاك بأن والده وافق على أن يعمل أحمد لديهم بعد جهد كبير وعليه أن يترك العمل حالاً لكن أحمد الصادق مع نفسه أجابهما: كيف لي أن أترك العمل مع كابتن يحترمني ويساعدني قالا له افتعل مشاجرة في الباخرة فأجابهم بأنه ليس من أخلاقه المشاجرة ولكي يضعاه تحت الأمر الواقع أحضرا له (خطاباً أي رسالة) باللغة العربية ضمن مظروف عليه طابع مصري مرسلة اليه من والدته المريضة.. جداً حتى يوافق الكابتن على تركه العمل وفعلاً نجحت حيلة جاك وزميله ووافق القبطان على محاسبة أحمد الذي قبض جميع ما ادخره من رواتب طيلة الأشهر الماضية وأعطاه فوق ذلك مبلغ ١٠٠ دولار مكافأة له وطلب منه أن يلتحق بهم عندما يطمئن على والدته وودعه وتوجه الى الفندق فحضر جاك وزميله واصطحبوه معهم للسهر احتفالا بهذه المناسبة وفي أثناء السهرة أعلمه جاك بأن والده (المليونير المزعوم) قد وافق على أن يكون أحمد (وكيلا) لشركته في القاهرة وأن عمله سيكون الاستعلام عن المراكب الغارقة في قناة السويس وحجم الغاطس وطول المركب وعرضه (هذه معلومات وهمية وبسيطة تستعمل لجر رجل العميل ليستهين بالعمل المكلف به) وسلمه مبلغ /٥٠٠/ دولار دفعه على الحساب وبطاقة الطائرة أيضا وعنوانهما في المانيا لارسال الرسائل والبرقيات بعد استقراره بالقاهرة.

العودة الى مصر:

ودع جاك وابراهام عميلهما الجديد أحمد في المطار وتمنيا له سفرا سعيدا وهما يعتقدان انه أصبح عميلا لهما بين ليلة وضحاها لا سيما وقد وعداه باعادة المياه الى مجاريها بينه وبين جوجو حين يفكر بزيارتهما في ألمانيا.

(١) تأكد أحمد أنها يهودية من خلال لقاءه بها لأنها كانت تدافع عن اسرائيل وتقول: اسرائيل تريد أن تعيش والعرب يريدون أن يلقوا بها في البحر.

حين هبطت الطائرة في مطار القاهرة الدولي وخرج منها وهو غير مصدق عودته هكذا ولنترك رواية القصة له ليتكلم ويحدث القراء عن شعوره بنفسه:

يقول أحمد عبد الرحمن عدت الى بلدي مصر ورأسي يكاد ينفجر لم أنم ليلة وصولي الى القاهرة ضممت ولديّ حمادة ومها وأنا أبكي بدموع لم تنزل رأيت فيهما أطفال بلدي الصغار الذين فتكت بهم القنابل الاسرائيلية في وحشيته همجية رأيت في أمي وزوجتي مصر العزيزة بكل شموخها وأصالتها رأيت في أهلي جميعا ذكريات بلدي السويس وتذكرت جاك وابراهام.. ماذا يريدان مني هل يظنان بهذه السذاجة. أنا ابن السويس.. يأكلونني(١) هكذا ببساطة.. هل تخيلوا لحظة واحدة أنني بلعت (الطعم) لقد قرأت كثيراً عن طرق اصطيادهم للمصريين في الخارج قرأت كثيراً عن أسلحتهم المعهودة ـــ المال ـــ الجنس ـــ ايجاد العمل واستثمار حالات الضياع.. ولكنني لن أضيع ما دامت تلتصق أقدامي بأرضي الحبيبة ما دمت أتذكر اخوتي وأصدقائي وجيراني الذين صرعوا برصاصهم ما دام يتحرك في كياني كبرياء مصر فلن اكون لهم ولن أخون بلدي مثل بعض ضعاف النفوس الذين انتهوا على حبل المشنقة ويتابع أحمد عبد الرحمن كلامه للقراء:

نمت في الفجر ساعات قليلة وقد عزمت على أمر ما وفي الساعة العاشرة خرجت من المنزل وتوجهت الى مبنى (المخابرات المصرية).. لم أتردد وأنا أدخله وفي مكتب السيد اللواء ع ـــ ف ـــ ارتميت على المقعد أمامه وشرحت له كل شيء شرحت له القصة كاملة منذ مغادرتي القاهرة حتى عودتي.. لم أخبىء أي تفصيلات كنت أتكلم وكأنما أزيح عن صدري شبحاً مخيفاً جثم على أنفاسي وبعد أن انتهيت استرحت وبعد ذلك عرض علي رجال المخابرات صوراً للعديد من عملاء المخابرات الاسرائيلية في أوربا فتعرفت على صورتي جاك وابراهام.

على اثر اجتماع ضم كبار ضباط المخابرات المصرية جرت الموافقة على استمرار احمد عبد الرحمن بتمثيل دور العميل حيث أرسل لهما رسائل تتضمن معلومات مدروسة وضعت باشراف المخابرات حتى وصلته رسالة يطلب فيها جاك حضوره الى ايطاليا وأيضا سمحت له المخابرات بالسفر فسافر الى جنوا بايطاليا وأرسل من فندقه برقية الى جاك على العنوان الموجود معه فجاءه الجواب من جاك

(١) المؤلف: كلمة يأكلونني معناها في مصر يمررون علي أمراً أو بمعنى يضحكون علي ويعتقدون أني صدقتهم.

بأنه موجود في نابولي فسافر اليه وتم اللقاء بينهما حيث أعطاه أحمد المعلومات التي حملها معه وهنا كشف جاك النقاب عن شخصيته وطلب من أحمد التعاون مباشرة مع المخابرات الاسرائيلية وتزويدها بالمعلومات العسكرية والاقتصادية والاجتماعية في مصر وأعطاه اسماً رمزياً هو (جورج سايكو) وأخبره بأن المخابرات الاسرائيلية سوف تحميه وقام بتدريبه على جميع المعلومات وطريقة ارسالها وأعطاه مبلغ ألف دولار وطلب اليه العودة للقاهرة لتنفيذ التعليمات الجديدة.

عاد أحمد الى القاهرة وأعلم المخابرات بما جرى معه ولا ننسى أن تذكر أن المخابرات المصرية أرسلت ضابطا برتبة رائد بدون علم أحمد ليكون على اطلاع باتصاله بالمخابرات الاسرائيلية في ايطاليا ولما رجع أحمد الى القاهرة كان ضابط المخابرات يتبعه كظله.

وثقت المخابرات المصرية بأحمد وسلمته معلومات جديدة ليرسلها الى المخابرات الاسرائيلية وبذلك استطاع أحمد أن يحوز على ثقة المخابرات الاسرائيلية التامة حيث تكررت زياراته لأوربا لتسليم المعلومات التي لا يمكن ارسالها بالرسائل وقد سلمته المخابرات الاسرائيلية جهاز اتصال حديث ليبث عليه الرسائل الضرورية الى ان جاءته برقية يطلبوا منه السفر للقائهم في روما حيث تسلم جواز سفر اسرائيلي باسم (يعقوب منصور) وسافر الى تل أبيب على احدى طائرات شركة العال الاسرائيلية حيث التقى بمجموعة من ضباط المخابرات الاسرائيلية الذين رحبوا به ترحيباً حاراً وأنزل في فيلا ضخمة في بئر السبع تحوى جميع متع الحياة ومنها النساء وجرى تدريبه أثناء ذلك على كيفية التصوير السري وتحميض الأفلام وقراءة الميكرو فيلم وقضى هناك ٢٢ يوما ثم عاد للقاهرة عن طريق روما حيث التقى برجال المخابرات المصرية وشرح لهم ما جرى معه وما درب عليه وأيضا أعطي معلومات مدروسة ليرسلها لاسرائيل وبعد مدة طلبوا منه الحضور ايضا الى أوربا حيث سلموه جواز سفر اسرائيلي وأرسلوه الى تل أبيب ليبحث معه كبار ضباط المخابرات الاسرائيلية الأمور الهامة في مصر على الطبيعة وتعرض خلال ذلك للعديد من الاختبارات النفسية والعرض على (جهاز كشف الكذب) فنجح في جميع هذه الاختبارات ولم يفطن رجال المخابرات الاسرائيلية الى حقيقته ولم يتطرق اليهم الشك في اخلاصه (بسبب توجيه المخابرات المصرية له مع مراعاة كافة الاحتمالات) وفي شهر ايلول سبتمبر ١٩٧٣ أرسلت له المخابرات الاسرائيلية

برقية تستفسر فيها عن الموقف العسكري في مصر خاصة على الجبهة وهل هناك احتمال للحرب مع اسرائيل وكان الرد ضمن خطة الخداع الاستراتيجية الكبرى حيث اشارت برقيته الجوابية الى أن ما يجري على الجبهة ليس الا أحد تدريبات الجيش المصري وأن احتمالات الحرب ليست قائمة على الاطلاق وصدقت المخابرات الاسرائيلية البرقية ونقلتها الى رئيسة الوزراء على أنها برقية من أحد عملائها المخلصين وكانت بعد ذلك حرب رمضان اكتوبر ١٩٧٣ وغسلنا العار وبرزت الكبرياء المصرية السورية من الأعماق وذلك كدليل على خداع المخابرات المصرية للعدو الاسرائيلي واستدعي أحمد عبد الرحمن في أعقاب الهزيمة القاسية ليسافر الى تل أبيب فسافر هذه المرة عن طريق زوريخ وكان قد تم اعداده من قبل المخابرات المصرية لهذه الرحلة بعد الحرب للتعرف على الوضع الداخلي في اسرائيل وما تركته الحرب من بصمات على المجتمع والمواطن الاسرائيلي.

في مطار اللد كان كل شيء هذه المرة مختلفا.. الوجوم يسود الوجوه الحزن في كل مكان ووجد أحمد عبد الرحمن وجوها جديدة في المخابرات الاسرائيلية الوجوه القديمة اختفت بعدما اعتبرت مسؤولة عن الهزيمة وقوبل بترحاب شديد ونقلته سيارة من المخابرات الى شقة فاخرة في شارع (ديز نفوت) وهو أفخم شارع في تل أبيب.وأعيد بعد استراحة قصيرة لمقابلة مدير المخابرات الاسرائيلية الجديد الذي سمي نفسه تمويها (داني) وكانت تقوم على خدمته ضابطة برتبة ملازم أول جميلة جداً وبعد أن رحب به المدير أحاله الى لجنة من ضباط المخابرات الاسرائيلية تضم حوالي ١٨ ضابطاً أخذوا يكيلون له الأسئلة والاختبارات عن مصر وعن الأحوال العامة بعد حرب رمضان وكان أحمد يجيبهم بما دُرِّبَ عليه من الاجابة في المخابرات المصرية وأخيراً وبعد أن اطمأنوا اليه جرى تسليمه أحدث جهاز الكتروني في العالم للارسال والاستقبال لكي يستخدمه في ارسال المعلومات لهم وقد قدر ثمن هذا الجهاز بمائتي الف دولار ويقوم بارسال البرقية في حوالي الثانية ولا يمكن التشويش عليه أو اكتشاف موجاته الالكترونية ومن المعروف أن المخابرات الاسرائيلية لا تعطي مثل هذا الجهاز الا للعميل الذي تثق به تماما وكلفوه باليقظة التامة وابلاغهم أولا بأول عن الاستعدادات العسكرية في مصر وانذارهم بأي حالة من حالات الاستعداد العسكري مهما كانت وهذا يعكس حالة الرعب والفزع التي عاشتها اسرائيل في أعقاب حرب رمضان والتي زلزلت كيان المجتمع الاسرائيلي كما طلبوا منه

استئجار شقة في القاهرة لتكون مسرحاً لنشاطه خشية اكتشاف أمره من قبل أهله أو أصدقائه وأعطي مبلغ ألفا دولار لهذا الغرض مع أنه كان يستلم منهم دفعات شهرية مغرية وعاد الى مصر ليقدم الجهاز الالكتروني (هدية للمخابرات المصرية) وقد أبقي معه الجهاز وأعطي شقة مفروشة حسب طلب المخابرات الاسرائيلية واستأنف ارسال البرقيات على الجهاز وكان مجموع البرقيات التي ارسلها ٢٠٠ برقية اشتملت على معلومات مدروسة بدقة متناهية حتى لا تكشف المخابرات الاسرائيلية اي خداع فيها او أية هفوة تدعوها للشك بعميلها لحظة واحدة.

سافر بعد ذلك مرات عديدة الى أوربا تحت حماية المخابرات المصرية واشرافها على كل الاتصالات حتى لا تتعرض لأي خطر أو ينكشف أمره كما كانت تدرس كافة الاحتمالات قبل سفره الى أوربا أو تل أبيب وتعدّله الاجابات المسبقة على كافة الأسئلة التي قد تطرحها المخابرات الاسرائيلية ونظراً لتكرار سفره الى اوربا واسرائيل خلال سنوات فقد زودوه خلال هذه المدة بأحدث ما لديهم من الوسائل اللازمة للتجسس ومنها:

١ ــ كتب محفورة لتهريب الرسائل والنقود بداخلها ومن هذه الكتب ــ المرايا ــ بائعة الخبز ــ أول الطريق.
٢ ــ عروس لعبة مجوفة وعلبة شيكولاته تهرب فيها النقود.
٣ ــ علبة مسح أحذية تفرغ ويوضع داخلها كريستالات.
٤ ــ جهاز الراديو العادي أول الأمر.
٥ ــ الجهاز الالكتروني.
٦ ــ كتب الشيفرة.
٧ ــ الكاميرا التي تصور في الظلام (لم يستعملها).

استمرت العملية طوال ثمانية سنوات دون أن يتطرق الشك أو تتزعزع ثقة المخابرات الاسرائيلية في العميل واستمرت عملية الاتصالات والسفر الى تل أبيب وكانت آخر سفره له بتاريخ حزيران ١٩٧٦ حيث نقل الى المخابرات المصرية كافة المعلومات المطلوبة بدقة متناهية عند ذلك قررت المخابرات المصرية انهاء هذه العملية مع المخابرات الاسرائيلية بعد أن حققت أهدافها وبعد جهد شاق وخارق للعادة بذلته المخابرات المصرية الى جانب المواطن المصري الشريف الذي ضرب مثلًا رائعاً في الوطنية والفداء والاخلاص لوطنه.

انهاء المخابرات المصرية للعملية:

كان الاتفاق تاماً بين المخابرات المصرية والمواطن الشريف أحمد عبد الرحمن على انهاء العملية لاستحالة السير بها اكثر من ذلك بعد أن استنفذت المخابرات المصرية المخابرات الاسرائيلية لآخر قطرة فقد أعطيت البرقية الآتية لأحمد ليرسلها على الجهاز الالكتروني الى المخابرات الاسرائيلية:

من المخابرات المصرية الى المخابرات الاسرائيلية نشكركم على امدادنا بأدق وأخطر اسراركم التي كشفت لنا المزيد من عملائكم داخليا وخارجيا على مدى ثمانية سنوات والى اللقاء في معارك ذهنية اخرى.

وهكذا أسدل الستار على معركة من حرب الدهاء بين المخابرات المصرية والمخابرات الاسرائيلية التي كان بطلها المواطن المصري أحمد عبد الرحمن الذي استحق اعجاب وتكريم كل مصري وكل مواطن عربي شريف...

• • •

المخابـــرات البريطانيـــة

«أشهر الجواسيس»
توماس ادوارد لورنس



لورنس (الحرباء)
ضابط بريطاني وعقال عربي...؟



لورنس مع الشيخ عبده أبو طاية زعيم قبيلة الحويطات... وقد تناول الطعام معه باليدين...

الجاسوس البريطاني (توماس ادوارد لورنس) مؤلف كتاب (أعمدة الحكمة السبعة):

شغلت دنيا الصحافة والأدب في الأربعينات بعدة كتب صدرت وراء بعضها وأغلبها محوّل من المخابرات البريطانية وقد بلغ عدد هذه الكتب حوالي ثلاثين كتابا كلها تتحدث عن (لورنس) شاغل البلاد العربية منذ الحرب العالمية الأولى وحتى ما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى جعلته هذه الكتب اسطورة من أساطير تلك الحقبة من الزمن ولكن الذين عرفوه عن كثب وعايشوه واطّلعوا على أعماله ومؤآمراته وصفوه بما يلي:

«كان لورنس مجرد عميل للمخابرات البريطانية شاذ جنسيا يعمل ضمن خطة وضعتها المخابرات البريطانية لتفتيت العالم العربي».

ونحن لا بد أن نضع النقاط على الحروف ونعرف القارىء على حقيقة (لورنس).

من هو لورنس العربي:

ولد توماس ادوارد لورنس في ١٦ آب (أغطس) عام ١٨٨٨ في بلاد الغال بانكلترا ــ والده ارلندي الأصل هجر زوجته لسوء طباعها وأقام مع مربية أولاده سارة التي عاشرها معاشرة الزوجات فرزق منها خمسة أولاد ذكور منهم (توماس لورنس) وهكذا فان لورنس (ابن غير شرعي) في أيام كانت فيها الولادة اللاشرعية مدعاة للخجل والعار (في بريطانيا) ويقال أن الولادة غير شرعية قد أثرت في تكوين شخصيته وكانت حافذا له للسعي الى التفوق لمحو عار الولادة الغير شرعية ومنذ صغره ظهرت عليه نزعة السيطرة والتفوق والقيادة والشجاعة في لعبتي السلم والحرب ــ كما بدت عليه سيماء الذكاء الحاد والمخيلة الوثابة والاحساس المرهف.

ومما أثر في لورنس صغيراً كونه عاش في بيئة رجال لا يخفف من خشونتها سوى حنان الأم وفي كبره ظل يتفادى مجالس النساء ولا يرتاح اليهن حتى أشيع عنه الشذوذ وعندما أنهى دراسته الثانوية التحق بجامعة اكسفورد قسم الآثار ــ فرع البحث العلمي.

لقاء لورنس الصبي مع المخابرات البريطانية:

للقدر تدخلات عجيبة في حياة الناس، فعندما انتقلت عائلة توماس الى اكسفورد لتكون بالقرب من الجامعة لأجله كان في هذه البلدة الجامعية رجل اسمه الدكتور هيمس هوجارت وهو القيم على متحف اكسفورد باعتباره كاتباً وعالماً بالاثار ومستشرقاً معروفا وبنفس الوقت كان عضوا بارزا في المخابرات البريطانية وقد لاحظ هذا الرجل ميول لورنس الصغير للعلوم الأثرية فاهتم به ورعاه في شتى مراحل الدراسة فيما بعد ولا نبالغ اذا قلنا أن المخابرات البريطانية.

كانت في تلك الأيام تعيش عصرها الذهبي وفي أوج ازدهارها وسلطاتها — وكانت تطل من وجه عالم آثار أو بائع خضار أو سائق تكسي أو حتى بائعة هوى وفي هذه القصة تطل على لورنس بشكل عالم آثار رعاه باسمها ولم يكن في امكان الصبي أن يدرك من أمرها شيئاً.

وكما كان لقاء المخابرات مع لورنس بغير موعد كان لقاء لورنس مع العرب صدفة أيضا وعن طريق كتاب اسمه (الصحراء العربية) بقلم شارل دوني، حيث كان يطالع هذا الكتاب وهو طريح الفراش لكسر في رجله وقد ألهب الكتاب مخيلته وأيقظ في نفسه رغبة ملحة تدعوه الى تعلم اللغة العربية والانطلاق الى حياة الصحراء البدوية وانطلاقا من هذه المشاعر العربية نشأ حلم لورنس بالشرق الأوسط والصحراء مجذوباً بسحر مخفي لا يدرك سره.

شفي لورنس من كسر رجله وغادر الفراش مرهق نفسيا لأنه علم نبأ ولادته غير الشرعية أثناء مكوثه بالفراش فازداد هماً على هم وأصيب جهاز الغدد في جسمه فتوقف نموه وظل صغير القامة مدى العمر وجميع هذه المصائب نزلت عليه ولم يبلغ الواحدة والعشرين من عمره.

قرر انهاء دراسته الجامعية في اكسفورد بتقديم اطروحة في الدكتوراه موضوعها «تأثير الصليبيين على فن النحت في الأجيال الوسطى» وشجعه الدكتور هوجارت عميل المخابرات البريطانية واقترح عليه السفر الى الشرق لتحضير هذه الاطروحة فسافر الى بيروت في حزيران (يونيو) ١٩٠٩ ومن بيروت توجه الى صيدا ثم الى الجليل ثم الى الناصرة ثم جبل الكرمل ثم عكا وكان يبحث وينقب عن الآثار التي تساعده في جمع المعلومات لاطروحته وكأن أشباح الصليبيين كانت ترافقه ثم عاد الى صور ومنها الى دمشق ثم الصحراء فتعرف على البدو

وحياتهم وأحب حضارتهم المتحررة من أثقال المدينة حتى وصل الى قرية (أورفا) على الحدود التركية ثم عاد الى حلب حيث أصيب بالملاريا مما اضطره للعودة الى بيروت ومنها بحراً الى بريطانيا.

بعد عودته الى بريطانيا قدم اطروحته عن (تأثير الصليبيين في فن النحت في الأجيال الوسطى) فقبلت بدرجة (تفوق) ونسخت المخابرات البريطانية صورة عن اطروحته وشهادته الجامعية لتضمها الى ملفه لديها ذو الرقم (٣١٧٤/س) وبعد الاستراحة توجه الى العراق ملتحقاً بالبعثة البريطانية التي تقوم بتنقيبات أثرية وهناك ازدادت معرفته بالصحراء وأهلها هناك عرف أكثر وأكثر كيف يحيا انسان الصحراء مع الله ومع نفسه ومع الصحراء القاسية فاذا به يجد لذة في الحرمان والقسوة والزهد وهكذا اصبح لورنس يعرف طباع الشرقيين ولا سيما طباع البدو وأكثر من هذا صار يتكلم اللغة العربية كأهلها بل أصبح يجيد اللهجة البدوية وكأنه من أهل الصحراء يجوع ويعطش ويسير أياما تحت الشمس المحرقة دون أن يشكو أو يمرض وقد أدت قدرته على التحمل الى اعجاب البدو به وكان لورنس بكل ذلك يعد نفسه لعمل سياسي في البلاد العربية لم يسبقه أحد اليه.

انهاء الدراسة الجامعية وبدء العمل الجاد:

عاد لورنس الى لندن وقد تغيرت حياته وأخذ يتحين الفرص للعمل الذي خطط له وقد حالفه الحظ عندما أطلق شاب النار بتاريخ ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩١٤ على الأرشيدوق النمساوي فقتله وبذلك بدأت الحرب العالمية الأولى فعين لورنس برتبة ضابط احتياط في فرع الخرائط لدى القيادة العامة للقوات البريطانية (المحتلة للقاهرة في حينه) وبعد ذلك ظهر لورنس على حقيقته حيث التحق في مقر المخابرات البريطانية بالقاهرة ثم نقل نشاطه الى منظمة سرية أنشئت في القاهرة تحت اسم مستعار لتغطية نشاطها باسم (المكتب العربي) وهذا المكتب عبارة عن فرع من فروع المخابرات البريطانية لممارسة النشاط التخريبي في مصر والأقطار العربية وبعض البلدان التابعة للسلطة العثمانية في حينه.

وبتاريخ ١٢ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٦ توجه السيرستور البريطاني الى السعودية وكان اسمها في حينه (الحجاز) أو (الجزيرة العربية) يرافقه (لورنس) وبعض الضباط البريطانيين كانت تلك الرحلة تاريخية بالنسبة الى لورنس اذ أنه

بدأت معها اسطورة (لورنس العرب) بل بدأت معها أكبر ملحمة عرفتها حياة انسان انها قصة رجل تشبه اخبار الخرافات وهناك استطاع التسلل الى القبائل العربية التي كانت ثائرة على الاستعمار العثماني وراغبة في التخلص من حكم (الأتراك) فاستطاع أن يقنعهم بالثورة على العثمانيين والتحالف مع بريطانية مقابل التعهد لهم باقامة دولة عربية واحدة مستقلة وأصدرت السلطات البريطانية ما يثبت للقبائل العربية أنها سوف تنفذ ما تعهد به لورنس باسمها ولكن ما إن انتهت الحرب العالمية الأولى حتى تنكرت بريطانيا لوعودها هذه وجزأت البلاد العربية كما هو معروف وذهبت وعود (لورنس العميل) أدراج الرياح الذي ظهر أنه مجرد عميل مهمته الأساسية هي تفتيت البلاد العربية وعدم السماح لها بتوحيد قواها لأن وعد لورنس لشريف مكة باسم بريطانيا كان ينص على قيام القبائل السعودية بالثورة ضد الأتراك وقال في وعده أنه مقابل ذلك فان الحكومة البريطانية التي يمثلها سوف تضمن قيام دولة عربية تمتد من البحر الأحمر حتى الخليج العربي وتشمل الجزيرة العربية بأسرها بما فيها الساحل السوري الذي يضم سوريا ولبنان وفلسطين وقام لورنس في حينه بتسليم شريف مكة رسائل موقعة من مكماهون المندوب السامي البريطاني في مصر وهذه الرسائل تتعهد باسم الحكومة البريطانية بتنفيذ التعهدات المذكورة أعلاه وسميت هذه الرسائل بـ ((مذكرات مكماهون)) وقد خدع زعماء القبائل وشريف مكة وأعلنوا الثورة على الأتراك وعندما هزمت تركيا بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى اتضح أن البريطانيين لم يخلوا بوعودهم للعرب فقط بل أنهم عقدوا اتفاقا سريا مع فرنسا بتاريخ ١٦ آيار ١٩١٧ عرف هذا الاتفاق فيما بعد باسم (معاهدة سايكس بيكو) التي وقعها عن الجانب البريطاني مارك سايكس وجورج بيكو عن فرنسا وبموجب هذه المعاهدة تعود سوريا ولبنان لفرنسا وتعود العراق والأردن وفلسطين لبريطانيا.

عدا عن ذلك فقد سافر بلفور وزير خارجية بريطانيا الى الولايات المتحدة في صيف ١٩١٧ راجياً تدخلها في الحرب الى جانب الحلفاء ولكن الرئيس الأميركي (في حينه) ولسن وعد بلفور بالتدخل شريطة تأمين وطن قومي لليهود في فلسطين التي كانت من حصة بريطانيا لدى القسمة الاستعمارية المعروفة سايكس بيكو وقد طلب ولسن هذا الطلب من بلفور بتأثير من رجل اسرائيلي من أصل تشيكي يدعى لويس براندييس كان ولسن قد عينه رئيسا للمحكمة العليا وهكذا أعطى بلفور وعده (المشؤوم) لليهود استنادا الى طلب والحاح الرئيس ولسن

ومعنى ذلك أن الرؤساء الاميركيين من ولسن الى كارتر وريغان كلهم نفس واحدة مع اقامة اسرائيل وبالتالي دعمها الغير محدود.

ان جميع هذه المعاهدات جعلت العهود المقطوعة للعرب من قبل لورنس باطلة وقد اعترف لورنس بنفسه فيما بعد بقوله:

ان أخبار هذه المعاهدات من وراء ظهري قد وصلت الى آذان بعض العرب عن طريق تركيا حينئذ طلب مني الاصدقاء العرب أن أضمن لهم تعهدات بريطانيا التي أنتمي اليها ولكني لم أكن قد أبلغت رسميا لا بتعهدات مكماهون ولا بمعاهدة سايكس بيكو لأن هذه المعاهدات وضعتها وزراة الخارجية البريطانية ولكنني (أي لورنس) لست غبياً الى درجة الجهل بأنه اذا ربحنا الحرب ستكون تعهدات المسؤولين البريطانيين حبراً على ورق فلو كنت مستشاراً مخلصاً لكان علي تسريح جميع رجالي من المقاتلين العرب ولا أدعهم يعرضون حياتهم للخطر بسبب تعهدات مشبوهة ولكن الحماس العربي معنا كان خير ورقة بيدنا في حرب الشرق الأوسط ضد تركيا حليفة ألمانيا وهكذا أكدت لرفاقي في القتال أن انكلترا ستحترم تعهداتها. اذا ربحنا الحرب ولدى تأكيدي هذا استمر المقاتلون العرب في القتال بشجاعة أما من جهتي (أيضاً لورنس) فلم أكن فخورا بما فعلت لأني لم أزل أحس بمرارة الخجل.

أما الحكومة البريطانية فقد اعتبرت أن لورنس يقوم بخداع العرب لمصلحتها فقامت بمنحه (وسام الحرب) ولكن لورنس عندما شعر بما يبيت للعرب رفض الوسام فاعتبر الملك البريطاني هذا الرفض اهانة له كما سبق له أن رفض استلام معاشه من الجيش البريطاني ليظل حرا في تصرفاته.

وعندما ذهب الشريف فيصل الى باريس للاعداد لمؤتمر السلم في فرساي رافقه لورنس ودعمه بقوة وفي باريس حامت الشبهات حول لورنس وكان نوري السعيد يحرض الملك فيصل عليه وزادت الشبهات عندما نصح لورنس الملك فيصل بأن يعترف بقيام وطن قومي لليهود في فلسطين.

وهكذا كشف نفسه ومن المعروف أن الملك فيصل لم ينل شيئاً من باريس فعاد الى دمشق وقد عين ملكا لسوريا حتى اضطر الى مغادرتها بتاريخ ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩١٩ بعد معركة ميسلون المعروفة.

عودة لورنس الى بريطانيا:

بعد كل ذلك وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى انتهت مهمة لورنس تقريباً في البلاد العربية فعاد الى بريطانيا وبتوصية من رؤساء في المخابرات عين مستشاراً للسيرونستون تشرشل (كان وزيرا للمستعمرات في حينه) وبقي في هذه الوظيفة يمارس اختصاص الشؤون العربية حتى عام ١٩٢٢ حيث استقال فجأة من عمله وكان قد بلغ من العمر حينئذ (٣٤) عاماً وقد صرح لأحد الصحفيين عن سبب استقالته انه ترك العمل حتى في وزراة.. المستعمرات لأنه أصبح يخجل من نفسه لأنه لم يستطع تحقيق الآمال التي علقها عليه أصدقاؤه العرب(١) وبعد هذه الاستقالة انطوى على نفسه مبتعداً عن الجميع وأصبح لا يتحمل حياة المجتمع وكعادته يتجنب النساء بشكل خاص.

وبعد انقضاء عدة أشهر على هذه الحال قرر أن يشغل نفسه لينسى ما هو فيه فانضم الى القوات الجوية البريطانية كجندي عادي وتحت اسم مستعار هو (روس) وبما أن بريطانيا كانت تستعمر أفغانستان فقد حصل تمرد من قبل القبائل الأفغانية مما اضطر المسؤولين في المخابرات البريطانية الى البحث عن لورنس واخراجه من الجندية وارساله الى أفغانستان باعتباره خبيراً في حرب القبائل عن طريق العراق الذي كان تحت الاستعمار البريطاني أيضا. وقد منح رتبة (كولونيل) وسمي في حينه رسول بريطانيا الى الشرق وقد حاول منذ وصوله اخماد التمرد بالقوة فأحتجت الحكومة الأفغانية مما دعا الحكومة البريطانية الى استدعاء لورنس من الحدود الأفغانية فعاد مجدداً الى لندن وبعد عدة أيام أطيح بالحكومة الأفغانية.

في لندن انطوى على نفسه حتى لم يعد أحد يراه مطلقا فأخذت الاشاعات تنطلق هنا وهناك حول اختفائه ومنها من قال أنه أصيب بالجنون وعاد الى الصحراء العربية التي أحبها ليقضي بقية حياته فيها تكفيراً عن خداعه للعرب واشاعة ثانية تقول انه توجه الى (التيبت) وانتسب الى أحد الأديرة البوذية وحلق شعر رأسه على

(١) عندما هاجم الانكليز بالفرقة الاسترالية درعا ومن ثم دمشق تراجعت القوات التركية هاربة.... فطلب لورنس من الفرقة الاسترالية التراجع ودخل دمشق مع القوات العربية وعلى رأسها الملك فيصل وبجانبه لورنس في سيارة (رولز رويس) وسط حماس شعبي كبير وبعد ثلاثة ايام قدم لورنس استقالته الى الجنرال اللبي القائد العام....

لماذا؟...... انها المخابرات.

الصفر وأصبح راهبا بوذيا هناك تأديبا لنفسه.

لكن لورنس كان قد شغل نفسه بشيء آخر ولم يعد للصحراء ولا الى التيبت فقد ظهر في عام ١٩٢٦ حيث تبين أنه كان معتكفاً في منزل ريفي صغير يؤلف كتابه الشهير...الذي سماه (أعمدة الحكمة السبعة) الذي شرح به جميع ما جرى معه خلال الأعوام التي قضاها في البلاد العربية ــ مصر ــ السعودية ــ العراق ــ سوريا ــ وفي هذا الكتاب قال لورنس كل شيء بصراحة متناهية فلا رحم أحداً من قلمه ولا رحم نفسه أيضا حيث نشر أن بريطانيا خانت القضية العربية بمفهوم تلك الأيام وقد جاء الكتاب تحفة أدبية حوى كل شيء عن مغامراته وما ان صدر هذا الكتاب الى الأسواق حتى عادت أسهم لورنس الى الارتفاع لدى الشعب البريطاني حتى وصل الى مرتبة التقديس والاحترام من قبل البريطانيين الذين سمعوا بما قدم لبلاده من الخدمات فوصفوه بأنه جسد أفضل سمات الانسان الشريف الحكيم العادل الشجاع الذي يتعامل مع الملوك والشعراء ومنهم من سماه (هذا العربي) الأبيض وملك دمشق غير المتوج وأنه أشهر بريطاني في القرن العشرين بعد ونستون تشرشل ونتيجة تعلق البريطانيين به أقيم له تمثال في كاتدرائية القديس بولس الى جانب تمثالي نلسون وولنفتون وقد وصفه أيضا أحد الصحفيين بقوله:

ان لورنس استطاع أن يلهم ويتزعم أكبر حركة عربية وطنية وقاد هذه الحركة حتى نهايتها الظافرة ورغم انه كان يتمتع بشهرة واسعة وسلطة تكفيه لجعله امبراطور في أي مكان يختاره دون أن يعتنق ديناً غير دينه (ويقصد الصحفي دين الاسلام) ولكنه مضى الى أبعد من ذلك بالعيش مع العرب البدو والأكل على طريقتهم باليد من المنسف رأساً كل ذلك لكي يتيح الفرصة أمامهم للاعجاب به والانقياد له وهذا ما حصل.

وفاة جاسوس بريطاني

توفي في ٦ آذار ١٩٨٣ في موسكو الجاسوس البريطاني دونالد ماكلين الذي قام بالتجسس سنوات للاتحاد السوفياتي ثم هرب اليه عام ١٩٥١ وهو من زملاء الجاسوسين كيم فيلبي الذي ما زال في موسكو حياً حتى الآن أما الجاسوس الآخر وهو جي برجس الذي هرب أيضاً بايعاز من فيلبي فقد توفي في موسكو ودفن فيها....

ما لم يعرف عن لورنس العرب:

استمرت الهالة التي أحيطت بها حياة لورنس سنين طويلة بسبب حفظ وثائقه في ملفات وزارة الخارجية ورسائله في جامعة اكسفورد ومن المعروف أن الحكومة البريطانية كانت تمنع نشر الوثائق المتعلقة برعاياها وخاصة ما كان له علاقة بمؤامرات المخابرات البريطانية قبل انقضاء أربعين سنة عليها ويعاقب من يغش أو يسرق أو يصور هذه الوثائق بقصد اعطائها للغير بالسجن من خمس سنوات الى عشرين سنة ولكن عام ١٩٨٢ صدر تعديل بحيث أصبح يسمح برفع غطاء السرية عن الوثائق بعد مرور ثلاثين سنة فقط وهكذا كشف النقاب عن وثائق ورسائل لورنس واستطاعت الصحافة الحصول على أسرار حياة لورنس حتى تاريخ وفاته عام ١٩٣٥ بحادث سيارة فتبين أن لورنس لم يكن متعلقاً بالعرب كشعب بل انه كان يمقتهم ويكرههم وانه لم يحاول توحيد قبائلهم المشتتة عندما كان الأمر بيده بهدف تكوين دولة عربية موحدة بل كان على النقيض من ذلك تماماً كان يسعى لتفتيت العالم العربي وتجزئته لأن مصلحة بريطانيا تحتم ذلك وعلاوة على ذلك لم يكن يساعد قضية حرية العرب واستقلالهم كما ادعى وزعم حين عودته الى لندن بل كان يبذل كل جهده لضم البلاد العربية الى الامبراطورية البريطانية وانه وعد العرب بالحرية والاستقلال (بناء لتعليمات المخابرات البريطانية) كما وعدهم بتشكيل دولة عربية واحدة لأنه كان يعلم أنه من الأسهل بمثل هذه الطريقة دفعهم للقتال ضد الأتراك ولكنه كان يعلم طيلة الوقت أن حكومته لن تسمح للعرب بالاستقلال والحرية على الاطلاق لكي تستمر باستعمار هذه البلاد ونهب خيراتها وجاء بتقرير سري أرسله لورنس الى المخابرات البريطانية عام ١٩١٦ قوله:

اننا كبريطانيين اذا تصرفنا مع العرب كما يجب فإننا سنتمكن من تفتيتهم وتجزئتهم الى امارات صغيرة شبيهة بالموزاييك السياسي تغار من بعضها وتحارب بعضها وتبقى عاجزة عن التكاتف والوحدة وفوق ذلك كله كان لورنس عالماً باتفاقية سايكس بيكو ولكنه يخفي معلوماته عن العرب ولكنه اختلف مع المخابرات البريطانية فيما بعد ليس لأنها غدرت بالعربِ وحنثت بوعودها لهم بل لأنها لم تقبل (خطته) في الغدر والحنث بالوعود لأنه كان يريد أن يصبح حاكماً غير علني على احدى الدول العربية الدائرة في فلك الاستعمار البريطاني ولكن لندن رفضت رغبته هذه في حينها ومن خلاصة الوثائق والرسائل التي خلفها لورنس

وراءه يتبين أنه كان يكذب طول الوقت وكان يتخذ لنفسه صورة مأساوية كالتشبه بالشاعر الانكليزي اللورد بايرون ولكنه لم يستطع أن يكون سوى أفاك واسع الحيلة وان كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) نصفه اختلاقات وان لورنس كان في أفضل الظروف نصف محتال وان المخابرات البريطانية تعرفه على حقيقته ومع ذلك سمحت لبعض موظفيها بأن يسموه (رجل المخابرات البريطانية الأول في حينه).

ولما أصبحت في غنى عن خدماته تخلت عنه وألقته جانبا بل وداسته كما يدوس المدخن عقب سيجارته بعد الانتهاء منها.

ومع ذلك لم يكن من الصعب عليه أن يصبح بين ليلة وضحاها (كاتباً) ويعتكف في منزله الريفي عدة سنوات ليخرج بعدها ويطبع كتابه الشهير (أعمدة الحكمة السبعة) الذي أحدث ضجة كما ذكرنا حتى أن تشرشل بعد الاطلاع على هذا الكتاب الذي أهداه له لورنس وصفه بأنه من أعظم الكتب التي وضعت في كل زمان ومكان ووصف الجاسوس البريطاني بأنه يتميز بعبقرية أدبية هائلة.... ثم اتضح فيما بعد أن الكاتب البريطاني الساخر (برنادشو) قد ساعده في تحرير هذا الكتاب.

ميول لورنس الهتلرية:

بعد تعرضه لحادث السيارة أرسل الى صديقه وليامسون يدعوه لمقابلته قبل أن يلفظ أنفاسه بسبب خطورة الحادث الذي تعرض له فهرع وليامسون الى المستشفى الذي يرقد فيه لورنس فأفضى له باعتراف سياسي ثم فارق الحياة ولدى سؤال وليامسون عن فحوى الاعتراف أجاب بأن لورنس كان يحلم بتعزيز الصداقة مع ألمانيا وأنه يموت حزيناً لأنه لم يتمكن من مقابلة هتلر.....

وبعد وفاته بفترة وجيزة اعترف الكاتب البريطاني المعروف ليدل هارت وعلى لسان لورنس قبل وفاته بأن الفاشيست البريطانيين اقترحوا عليه أن يصبح زعيماً لهم وهذا يعني فيما لو لم يمت لورنس بحادثة السيارة لأصبح (دكتاتورا للفاشيست البريطانيين). كما أنه كاد أن يصبح (دكتاتوراً) للصحافة البريطانية بعد الانقلاب الفاشيستي. ولولا موقف الحكومة البريطانية المتشدد في حينه لأصبح لورنس (غوبلز بريطانيا).....

ومن المعروف أيضا أنه على الرغم من أن لورنس كان بعد الحرب العالمية الثانية يبدو بعيداً عن السياسة وينفي مشاركته فيها الا أنه كان على صلة بتجمع

سياسي معين في بريطانيا وهو التجمع الموالي لألمانيا وكان من بين أصدقائه ليدي آستور المعروفة بلقب (حامية صالون كليدن) الذي يضم البريطانيين المنادين بالنزعة الهتلرية أو تواطؤ بريطانيا مع ألمانيا النازية ضد الاتحاد السوفياتي وكانت هذه المجموعة تضم كذلك نيفيل تشمبرلن واللورد هاليفاكس وامتدت خيوطها فيما بعد الى روبنتروب سفير هتلر في البلاط البريطاني... ولكن موت لورنس جعل هذه الجماعة الفاشيستية تنكمش على نفسها حتى تلاشت تماما.

لورنس الشاذ:

وأيضا بعد كشف وثائق لورنس وجدت رسالة بخط يده مرسلة الى أحد موظفي المخابرات في أول عهده بالتجسس والعمالة يشكو فيها حاله (أي لورنس) ومن كلام الرسالة يقول لصديقه:

ـ تصور انني أصبحت أشبه ما أكون بعاهرة وتخيل انني أصبحت أضع نفسي تحت تصرف (الجنس الأسمر) أبيع نفسي.

ولدى التأكد من الموظف الذي أرسلت اليه الرسالة اعترف بها وأضاف أن لورنس سبق أن أعلمه بأنه وقع مرة في أسر الأتراك حيث تعرض للتعذيب المضني واعتدي عليه الجنود الأتراك اعتداء جنسياً. ولكنه تمكن من الفرار والعودة الى حماية القبائل العربية التي استطاعت أن تهجم على الأتراك في الشمال وتقضي عليهم.

النهاية:

بتاريخ ١٣ آيار (مايو ١٩٣٥) بينما كان لورنس يسير على دراجة بسرعة جنونية، كما كان شأنه دوماً في أحد شوارع لندن اعترضه فجأة صبيان يركبان دراجة هوائية (بسكليت) فحاول تجنبهما وتحاشي صدمهما بدراجته النارية فاختل توازنه وانقلب على الأرض فاصطدم رأسه بأحجار الرصيف السوداء بقوة ففقد وعيه ونقل الى المستشفى حيث توفي بعد خمسة أيام.

وبعد اجراءات الدفن ظهرت علامات استفهام كبيرة حيث تحدث الناس عن سيارة رويس سوداء كانت تطارد لورنس وان قصة الصبيين مختلقة من المخابرات البريطانية فهل كان كل شيء مدبراً لاسكات لورنس ومنعه من تأليف كتاب آخر

باسم (أعمدة الحكمة الثمانية) وهل أصبح موته لغزاً محيراً كما كانت حياته.

وأنا ككاتب استخلص العبر من بين السطور وجدت أن لورنس يجب أن لا يعتبر خائنا للقضية العربية وأنه كان يعني بعض وعوده للعرب ويتمنى تحقيقها ولكنه كان ضحية ظروف وسياسات دولية أكبر منه ربما كان ذلك صحيحاً لأن الخلفيات التي كانت وراء أهداف لورنس بدأت تتوضح وهي تؤكد أن لورنس كان انكليزياً قبل أن يعمل للقضية العربية وقد بقي انكليزياً ومهما كتب عنه ومهما صورت السينما من أفلام خيالية....... عنه[1] يبقى كما وصفناه في هذه الصفحات القليلة وصفاً حياً لكي يعرف القارىء حقيقة هذا العميل البريطاني عندما يسمع به ونضيف أنه حين توفي بكاه تشرشل بحرقة ولوعة ـــ كما بكته الليدي آستور وصدرت الصحف البريطانية تقول أن بوفاته اختفى أحد أبرز الأشخاص الذين اعتمدت عليهم بريطانيا في تركيز استعمارها بالعالم العربي وسرقة خيراته ونفطه.

لقد ذهب لورنس وبعده غلوب ولكن العالم العربي باق ما بقيت الحياة وحصلت الدول العربية على استقلالها تباعا بعد خروج بريطانيا مرغمة يجللها الخزى والعار...



توماس لورنس بالزي العربي هل كان يحب العرب...؟

(١) من جملة الأفلام التي صورت عن حياته فيلم (ثعلب الصحراء) تمثيل الممثل العربي (عمر الشريف) الذي قام بدور لورنس وقد در هذا الفيلم على اصحابه ملايين الدولارات....

المخابـرات البريطانيـة

أضواء جديدة على حادث مصرع أسمهان



أسمهان... أيام المجد السينمائي في مصر.

أدق التفاصيل عن نهاية المطربة اسمهان:

نشر في الصفحة ١٢٦ من الجزء الأول من هذا الكتاب بأن المطربة اسمهان كانت تعمل لصالح المخابرات البريطانية (الأنتلجانس سرفيس) وأنهم تخلصوا منها عندما خافوا أن تقع بين أيدي القوات الالمانية وكنت أنوى التوسع في شرح قصتها مع التجسس ولكن الصديق المرحوم فريد الأطرش منعني بأدبه المعروف عندما قبل دعوتي له لزيارة الكويت قائلا: ما تسيبها يا أخي دي ماتت خلاص الله يرحمها وترقرت دمعة حزينة في عيني الموسيقار الراحل فامتنعت احتراماً لرغبته ومات فريد الأطرش ومات السر معه.

وبناء لرغبة بعض قراء موسوعة المخابرات فإنني أجد نفسي ملزماً بنشر ما أطلعت عليه من أسرار مقتل هذه المطربة العظيمة التي لا يزال صوتها ملء الأسماع رغم مرور حوالي ٤٠ عاما على وفاتها ولم يعوضها الفن ولم يقدم بديلا عنها وبقيت اسمهان خالدة بما يتردد من أغانيها ومن المطربات من يحفظ هذه الروائع فتتقدم بها الى الجماهير لتكسب من نبع الحب لأسمهان وتبدأ رحلة الصعود والفنانة المغربية (عزيزة جلال) خير دليل لأنها بدأت رحلتها الفنية بتسجيل أغنية أسمهان الخالدة (ليالي الأنس في فينيا) ونحن نستمع الى اذاعة الكيان الصهيوني من قبل معرفة أخبارهم وتصرفاتهم بالنسبة للساحة العربية ومن برامجهم برنامج اسمه (لقاء الأحد) وكان برنامج يوم ١٩٨٣/١/٢ عن المطربة اسمهان حيث اذيع أن المخابرات البريطانية هي التي قتلت اسمهان للتخلص منها نظراً لما كان لأسمهان من مكانة مرموقة في عالم المخابرات وخشية أن تبوح للألمان اذا اعتقلوها بما عرفته عنهم تخلصوا منها وأكد معد البرنامج أن أسمهان نفسها اعترفت بتعاملها مع المخابرات البريطانية التي طلبت منها مفاوضة زوجها حسن الأطرش وزعماء سوريين آخرين للانضمام الى الحلفاء ضد المانيا مقابل اعطاء سورية استقلالها ومن الوعد تظهر لنا مكانة اسمهان في حينه وكدليل على تخلص المخابرات البريطانية من أسمهان قالت اذاعة الكيان الصهيونية بأن نهاية اسمهان كانت مثل نهاية المهندس المصري الذي بنى لأحد ملوك الفراعنة قصراً عظيماً فيه سراديب سرية

خاصة لكي يستعملها الملك عند تعرضه لأي خطر وهذه السراديب لا يعرف طريقها سوى الملك والمهندس وبعد انتهاء البناء قام الملك بقتل المهندس ودفنه في القصر ليضمن عدم افشاء سر السراديب لأحد وهذه قاعدة عامة تسير عليها المخابرات البريطانية خاصة وان اسمهان كانت تؤمن بالقضاء والقدر لأنها قد تعرضت لعدة حوادث قاتلة ولم تمت الا في حادث الترعة ومن هذه الحوادث التي بقي بين أسمهان وبين الموت خطوة واحدة ونجت منها لأن ساعتها لم تأت كما كانت تقول وهي:

١ ــ الحادثة الأولى: عندما كانت تنتقل من دمشق الى بيروت والى القدس لصالح المخابرات البريطانية وبينما كانت تقيم في بيروت حي الزيتونة رن جرس تلفونها فأسرعت للرد لأنها كانت تنتظر مخابرة هامة وكان جهاز التلفون موضوعاً بجانب النافذة ويظهر أن تحركاتها كانت مرصودة لأنها عندما رفعت السماعة وأجابت بكلمة (ألو) أرجعت رأسها بحركة عفوية للخلف فانطلقت بهذه اللحظة رصاصة اخترقت النافذة ومرت من نفس المكان الذي تقف عليه اسمهان ولولا تحريكها رأسها للخلف لقتلت على الفور (من حاول قتلها..) يقال أن المخابرات الفرنسية لأن في صدر اسمهان الكثير من أسرارها وخير دليل على تعاملها مع المخابرات الافرنسية هي صورتها مع الجنرال الراحل ديغول (في حينه) في احدى حفلات الاستقبال الراقية في بيروت.

٢ ــ الحادثة الثانية: تعرف عليها أحد الصحفيين الأميركيين في بيروت وكان في الحقيقة يتعامل مع الألمان ودول المحور ومكلف من قبل سفير المانيا في أنقرة في حينه ــ فون بابن ــ باحضارها الى تركيا ليتم تصفيتها باعتبارها محكومة بالاعدام من قبل الألمان وقبلت اسمهان بالسفر معه وركبت القطار المتجه الى تركيا ولكن المخابرات البريطانية التي كانت اسمهان تتعامل معها أفشلت الخطة حيث أوقف القطار وأنزلت منه اسمهان بالقوة واعتقلت الصحفي الأميركي.

٣ ــ الحادثة الثالثة: كانت اسمهان تركب بجانب شقيقها الموسيقار المرحوم فريد الأطرش في سيارته وعندما وصل الى ميدان التوفيقية بالقاهرة فوجيء بجواد جامح يسير بسرعة جنونية باتجاههما فأغمضت

اسمهان عينيها استسلاماً للقدر ولكن فريد أمكنه أن ينحرف بسيارته من وجه الجواد الذي قفز من فوق مقدمة السيارة فحطم زجاجها فقط، ولم يصابا بأذى.

٤ ــ الحادثة الرابعة: كانت اسمهان متوجهة الى الاسكندرية عبر الطريق الصحراوي مع شقيقها الأكبر فؤاد الأطرش وفي سيارته ايضا وفي الطريق انشغل فؤاد بالحديث عن مراقبة الطريق فاقترب بسرعة من حاجز حديدي متحرك يغلق مدخل ثكنة عسكرية ممنوع الاقتراب منها ولولا سرعة خاطر الحارس الذي بادر برفع الحاجز على مسؤوليته لقطع عنق الاثنين اسمهان وفؤاد بالحاجز.

٥ ــ الحادثة الخامسة: عندما تزوجت الممثل الطيار أحمد سالم اسكنها في فيللا بالهرم وذات ليلة قررت أسمهان الخروج وحدها لتنشق الهواء (حسب زعمها في حينه) فمنعها زوجها أحمد سالم لأنه كان (يشك) بأنه لا يزال لها علاقة مع أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي في عهد فاروق والذي قطع علاقته بها بناء على أمر الملك فاروق نفسه ولكنها أصرت على الخروج بعنادها المعروف عند ذلك كبلها أحمد سالم بالحبال وربطها بالسرير وشهر مسدسه في وجهها مهدداً بقتلها عند ذلك هربت سكرتيرتها اللبنانية (ماري قلادة) من الفيللا واتصلت باللواء امام ابراهيم من شرطة القاهرة فحضر حالًا على رأس قوة من رجاله لانقاذ اسمهان ولما حاول اقتحام الفيللا بادره أحمد سالم باطلاق النار عليه وعلى رجاله وعلى اسمهان أيضاً فأخطأها وأصاب اللواء امام برصاصة سطحية وحاول اطلاق النار على نفسه بقصد الانتحار فعصاه المسدس واقتيد للتحقيق ونجت اسمهان بأعجوبة وكان بعدها الطلاق.

حياتها بالقاهرة:

واذا عدنا الى حياة اسمهان في القاهرة قبل مصرعها لوجدناها أنها اعتلت سلم المجد بفنها وصوتها الأصيل وكان شقيقها المرحوم فريد الأطرش يقف الى جانبها ويشجعها ويلحن لها بل وشاركها في بطولة فيلمين غنائيين هما فيلم (انتصار الشباب) وفيلم (أحلام الشباب) لأن العنصر النسائي كان نادراً في حينه وتزوجت

من المخرج أحمد بدرخان ثم طلقها ليتزوجها أحمد سالم ويطلقها أيضا بينما كانت اصلا زوجة للأمير حسن الأطرش ولها منه ابنة محترمة هي السيدة كاميليا الأطرش ولكنها افترقت عنه بالطلاق عام ١٩٣٩ وقد عاشت حياتها بالقاهرة بالطول والعرض عاشرت الأميرات والأمراء أصبحت أميرة القصور والقلوب مع عملها مع المخابرات البريطانية حيث وصفت في حينه بأنها أنجح من أهم ضابط مخابرات كما قيل عنها أنها كانت جاسوسة مزدوجة تعب من أموال المخابرات البريطانية باليمين ومن أموال المخابرات الفرنسية باليسار وكانت هذه التصرفات لا ترضي شقيقها فؤاد الذي لم يكن راضياً عن زواجها في القاهرة (من غير الدروز) بينما كانت تتصرف حسب ما تمليه عليها الظروف فعندما تدخل الملك فاروق بالذات في فصم عرى العلاقة بينها وبين أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي وحاول اقامة علاقة معها رفضته فأوعز الى وزير الداخلية لطردها من مصر[1] وقد علمت اسمهان بنية الملك بما لها من معجبين في الحاشية الملكية وكانت في حينه تمثل فيلم (انتصار الشباب) مع شقيقها فريد ومن اخراج المخرج الهادىء أحمد بدرخان وقد روت لأحمد بدرخان ما سمعته عن الملك فاروق وايعازه بطردها من مصر ونظراً لخشية أحمد بدرخان على الفيلم الذي نجح نجاحاً باهراً فيما بعد ووجود حب دفين في صدر بدرخان لأسمهان ولكونه انسان متعقل فقد عرض عليها الزواج ليخلصها من هذا المأزق ويطمئن بنفس الوقت على فيلمه وممثلة فيلمه الاولى فوافقت بلا تردد وحتى أنها لم تتشاور مع شقيقها فريد الذي يعمل معهم بنفس الفيلم وبعد الزواج لدى المأذون الشرعي دعي فريد من قبلهم الى عشاء فاخر في أحد مطاعم جاردن سيتي ووضع تحت الأمر الواقع فقبل بذلك الزواج حماية لمصالحه أيضا وفعلا شاع خبر زواج بدرخان من أسمهان ووصل الى الملك فاروق الذي صدم بهذا الزواج لأنه يمنح قانونيا اسمهان الجنسية المصرية وبذلك لن يستطيع اتخاذ أي اجراء ضدها وفعلا لم يستطع الملك اتخاذ أي اجراء لقانونية الزواج أولا ولخشيته من فضيحة عارمة لأن أي اجراء ضد اسمهان وبدرخان سيكون له ردة فعل شعبية عارمة لأن الشعب المصري في غالبيته كان معجباً باسمهان التي غنت له (دخلت مرة في جنينه) وأغنية (يا طيور)

(١) كانت عائلتها في جبل العرب سوريا تتمنى بل وتخطط لأجل أن تقوم الحكومة المصرية بطردها لأنها خرجت عن تقاليدهم في عملها بالفن الذي كان يعتبر وصمة عار في حينه ولزواجها من غير أهلها.

وأوبريت (قيس وليلى) في فيلم يوم سعيد مع الموسيقار محمد عبد الوهاب وفاتن حمامة.

وبذلك أتم المخرج بدرخان فيلم انتصار الشباب ووراءه فيلم أحلام الشباب ولكن حياته الزوجية لم تستمر مع أسمهان أكثر من أشهر فقد كان كل منهما صاحب طبع مختلف عن الآخر تماماً فطلقت منه وعادت الى حياة السهر مع المجتمعات الراقية والمخابرات وسافرت في مهمة الى القدس ونزلت في فندق الملك داوود وكان معها مرافقها الرقيب (سيرجنت) ميخائيل طحان الذي انتدبته المخابرات البريطانية لمرافقتها وحراستها وقد أشرنا اليه بحرفي م ـ ط في الجزء الأول من الكتاب وفي الفندق تشاء الصدق أن يكون موجوداً فيه الممثل أحمد سالم وكان من نتيجة لقائهما الزواج وكانت نهايته اطلاق النار عليها ومحاولة قتلها نظراً لغيرته عليها.

محاولة عائلتها اعادتها الى جبل العرب:

كان شقيقها الأكبر فؤاد يعتبر حارساً على شجرة العائلة وكان يتسقط أخبارها سواء بسفره الى القاهرة أو مما تنشره الصحف عنها فتوجه الى عبد الغفار الأطرش وزير الدفاع السوري في حينه وقال له:

جئت اشتكي لك عمي عن اسمهان لقد عذبتنا كثيراً بعد طلاقها من الأمير حسن الأطرش وبقائها ثلاث سنوات في القاهرة تزوجت مرتين عدا عن تورطها في مشاكل جلبت العار لتقاليدنا..

أجابه العم جاداً:

وماذا تريد مني..؟

أجابه فؤاد الأطرش:

أرجو اعطائي رسالة من يدكم للمسؤولين في مصر للعمل على تسفير اسمهان منها لنعيدها الى الجبل. وأعطاه العم رسالة حسب طلبه فعاد فؤاد مسرعاً الى السويداء وطلب من زوجها الأمير حسن الأطرش أن يتوسط له مع سلطان باشا الأطرش وهو من زعماء الثورة السورية المعروفين ضد الأفرنسيين فحصل له على الرسالة المطلوبة منه وهنا عاد فؤاد الى دمشق وطلب مقابلة رئيس الجمهورية في حينه الشيخ تاج الدين الحسيني وانتظر يومين حتى تمكن من الحصول على موعد لمقابلة رئيس الجمهورية بتاريخ السبت ١٥ تموز ١٩٤٤ فعاد الى السويداء فرحاً

فوجد ابنتها كاميليا تستعد لعمل حفلة عيد ميلادها في ١٤ تموز وكان يوم جمعة وكانت كاميليا فرحة مسرورة وقد حضر والدها الأمير حسن الأطرش ليشاركها عيد ميلادها حتى يدخل السرور على قلبها أما خالها فؤاد الذي كان يعد العدة لارجاع اسمهان بالقوة من مصر حتى ولو اضطره الأمر لقتلها بنفسه اذا رفضت العودة معه وقد سأل كاميليا ابنة اسمهان قائلا:

ــ كاميليا هل تبكين اذا ماتت أمك..؟

ــ أجابته كاميليا وقد صعقت من السؤآل:

طبعا أبكي..؟

فاستطرد في خياله القاتل وهو يتصور بيده سكيناً يغمدها في صدر اسمهان قائلا لكاميليا:

ــ هل تلبسين السواد عليها وتقيمين الحداد...

ــ اجابته كاميليا:

أجل يا خالي أليست أمي..

وكان والدها الأمير حسن الأطرش يستمع الى هذا الحوار القاتل فشق عليه أن يقال لابنته ما يبكيها في عيد ميلادها فقال لفؤاد معاتباً:

ــ هل يوجد في الدنيا خال يستقبل عيد ميلاد بنت اخته بهذه الطريقة. فصحي فؤاد وأدرك أنه تمادى فاعتذر ولاذ بالصمت..

تناول الجميع الطعام وشبح الموت الذي أوحي به فؤاد يحلق فوقهم وفي الصدر بوادر حزن خفي وفي الأعين صمت يشي بالتوجس من طرق اي باب للحديث حتى لا تهب عليهم ريح التشاؤم مرة ثانية وقطع الصمت الأمير حسن قائلا لفؤاد هل تريد السفر الى القاهرة بعد حصولك على رسالة رئيس الجمهورية فأجابه فؤاد: وهل في ذلك شك.

في المساء لبست كاميليا ثوباً كانت أمها اسمهان قد اشترته لها من تل أبيب وامتلأ المنزل بصديقات وجيران كاميليا وأحضرت الشموع وبدأ الغناء والرقص وأطفأت كاميليا شموع عيد ميلادها بين زغاريد وتصفيق الحاضرين وبدأو بتقطيع تورتة الكاتو الكبيرة والتهامها وفجأة رن جرس التلفون فأمسك فؤاد بالسماعة فسمع متحدثاً يقول له من يتكلم (فؤاد أم حسن) أجابه أنا فؤاد عند ذلك قال له المتحدث وكان هايل الأطرش مدير الأمن العام في السويداء:

ــ العوض بسلامتك والبقية في حياتك.

عند ذلك سقطت سماعة التلفون من يد فؤاد وامتقع وجهه فاستعاد السماعة وقد سكت الجميع ووقفوا مذهولين بانتظار معرفة نوع المخابرة فتابع هايل الاطرش قائلا: اسمهان ماتت يا فؤاد.

فاستجمع فؤاد شجاعته وقال لمحدثه:

ـ هذه دعاية سخيفة لفيلمها الذي تمثل فيه مع يوسف وهبي لأن من واقع القصة أن تموت البطلة ولا بد أن استوديو مصر أراد أن يجذب المشاهدين الى الفيلم بهذه الدعاية.

أجابه هايل الأطرش: كلامك غلط وأنا سمعت الخبر من اذاعة لندن بأن أسمهان ماتت في حادث غرق سيارتها في ترعة عند بلدة طلخا الكائنة على طريق متفرع من دمياط مقابل المنصورة وقد ماتت معها سكرتيرتها ماري قلادة ولكن السائق نجا من الموت بعد أن قفز من السيارة وهي تهوي الى الترعة.

لم يستطع فؤاد أن يبقى واقفاً فارتمى على أقرب كرسي وأخذ الأمير حسن سماعة التلفون وتحدث مع هايل الأطرش بضع كلمات ثم وضع السماعة على التلفون وصرف البنات بأدب حتى لا ينقلب عيد الميلاد الى (مناحة) واحتوى ابنته كاميليا التي عرفت الخبر من حديث خالها فأخذت تصرخ وأخذ والدها يبكي ويخفف من صراخها وفؤاد في غيبوبة من الخبر المفجع.

النهاية:

كانت أسمهان تمثل فعلًا فيلم (غرام وانتقام) مع عميد المسرح العربي المرحوم يوسف وهبي وكان فؤاد في القاهرة يحاول اقناعها بالتخلي عن أمجادها والعودة معه الى جبل العرب ولكنه فشل فسافر الى سورية بدون أن يودعها أو يودع شقيقه فريد الذي كان منهمكاً في تلحين أغنية (ليالي الأنس في فينيا) لأسمهان لتنشدها في الفيلم هذه الأغنية التي خلدت اسمهان وقد حزنت اسمهان لسفر شقيقها فؤاد على هذا الشكل وقد أيقنت أنه عاد الى الجبل ليحرك عليها مشاعر العشيرة فغضبت غضباً شديداً كما أن في تلك الفترة كانت حادثة اطلاق احمد سالم النار عليها والتحقيق معها ضغط على أعصابها وأخذت تعاني من انحراف في المزاج وشعرت بوعكة صحية ألزمتها الفراش وكانت الى جانبها صديقتها وسكرتيرتها اللبنانية ماري قلادة التي كانت تهون عليها الأمور ووعدتها بأن تبقى

الى جانبها لافساد جميع خطط شقيقها فؤاد وقررت اسمهان أن تخرج الى الشاطىء الهادىء قرب الأمواج لتريح أعصابها وتعود قوية لتتم فيلم غرام وانتقام واستأذنت يوسف وهبي (أبو حجاج) بطل ومخرج الفيلم وطلبت أن يأذن لها بيومين للراحة في رأس البر فوافق بعد أن لاحظ أنها بحاجة ماسة لمثل هذه الاجازة وقررت ادارة استوديو مصر وضع السيارة الملاكي التي كانت تحضر اسمهان الى الاستوديو تحت تصرفها وخاصة ان أسمهان تثق بالسائق كل الثقة وهي لا تدري بأنه سيصبح قاتلها.

ركبت اسمهان سيارة استوديو مصر في الساعة الثامنة من صباح يوم الجمعة ١٩٤٤/٧/١٤ في المقعد الخلفي مع صديقتها ماري قلادة وطلبت من السائق املاء الخزان والاتجاه الى رأس البر فنفذ أمرها وتوجه بهما حسب الطلب وما إن وصلت السيارة الى المنطقة الكائنة بين طلخا والمنصورية وحسب روايات الناس اعترض السيارة هبوط ثم ارتفاع جعل السائق لا يتمكن من السيطرة على السيارة فاتجهت بسرعة جنونية ساقطة الى يمين الطريق حيث (الترعة) المشؤومة وهي عبارة عن نهر ماء عمقه حوالي المترين وهنا فتح السائق الباب وألقي بنفسه الى اليسار على الرمل فتدحرج قليلاً ولم يصب بأذى بينما سقطت السيارة بأسمهان وماري قلادة في الترعة وغاصت في الماء حتى غمرتها تماماً حيث اختنقت اسمهان وماري بدون أن يتمكن أحد من انقاذهما وكأن السائق مدرب تدريباً على انهاء حياة اسمهان بهذا الشكل المفجع كما دربت المخابرات الأميركية سائق سيارة الدكتورة سميرة موسى عالمة الذرة المصرية على القاء السيارة بالدكتورة سميرة في أحد الوديان والقفز من السيارة سالماً وهكذا تخلصت المخابرات الأميركية من عالمة من علماء الذرة بينما بقي علينا أن نعرف من تخلص من أسمهان فقد اشارت اصابع الاتهام في حينه الى كل من:

١ ـــ شقيقها فؤاد الذي كان غاضباً منها ومن تصرفاتها وصداقاتها وحتى عملها مع المخابرات الانكليزية والفرنسية وزواجها من غير طائفتها خاصة وأنه حدث ابنتها اسمهان عن مقتل أمها ـــ أسمهان ـــ في نفس ليلة مقتلها وكأنه كان واثقاً من أن سائق كاميليا الذي اشتراه مسبقاً ليتخلص منها بالطريقة التي تمت ونجى السائق القاتل.

٢ ـــ الملك فاروق الذي رفضت أسمهان اقامة علاقة معه بعد أن حرم هذه

العلاقة على رئيس ديوانه أحمد حسنين باشا وايضا عصت أمره بالابعاد بزواجها من أحمد بدرخان لحصولها على الجنسية المصرية وأخيراً من المحتمل أن يكون الملك قد أوعز بقتلها اضافة لما ذكر لأنها تعرف الكثير من أسرار والدته عندما كانت في فندق الملك داوود في فلسطين ليطوي بموتها فضائح والدته.

٣ ــ أم كلثوم وقد أشيع انها كلفت السائق بالتخلص من أسمهان لأنها أضحت تزاحمها على عرش الغناء بعد أن غنت اسمهان قصيدة (هل تيم البان) المسجلة في القسم العربي من اذاعة لندن وقد نجحت هذه القصيدة نجاحاً باهراً ولكن من يعرف أم كلثوم رحمها الله على حقيقتها الطيبة السمحة يتأكد بأنها لن تقدم على مثل هذه الأمور نظراً لنشأتها الدينية ولوجد أي تفكير منها للتخلص من أسمهان لكان قد عرف حتى الآن بعد ارتحال الاثنتين عن هذه الدنيا.

٤ ــ زوجها السابق احمد سالم الذي كانت له اليد العليا في استوديو مصر وليس عسيراً عليه أن يطلب من سائق اسمهان التخلص منها بطريقة جهنمية (كما حصل) لا سيما وأحمد سالم كان من الأغنياء ويستطيع شراء السائق بمئات الجنيهات والسبب الجوهري لاتهامه بتدبير قتلها هو غيرته عليها أولا لأنه كان يحبها ولولا محبته لها لما أوثقها بالحبال ومنعها من الخروج وحدها ثانيا تأكده بعد حضور اللواء امام ابراهيم لانقاذها بأنها ما زالت على علاقة مع باشاوات القصر وكبار ضباط الشرطة.

٥ ــ المخابرات البريطانية لأنها كانت تتعامل معها وتحمل رتبة ضابط فخري بريطاني وقد نفذت لهم عدداً من المؤآمرات والطلبات وعرفت الكثير من أسرارهم وعملياتهم السرية في دمشق وبيروت والقدس وعندما طرق الألمان بقيادة رومل أبواب العلمين وبات احتلالهم مصر وشيكاً في حينه قررت هذه المخابرات وهذا من صلب أعمالها التخلص من أسمهان خشية زلة اللسان فاشتروا سائقها ليتخلص منها كما جرى وهذه الطريقة ليست غريبة عن المخابرات البريطانية والأميركية.

ونحن في هذا الكتاب والجزء الأول أكدنا أن المخابرات البريطانية هي التي

تخلصت من أسمهان لأنها صاحبة الأولوية في ضمان سكوتها الى الأبد وقد كتب كثيراً عن نهاية اسمهان ورفض الصديق المرحوم فريد الأطرش التحدث عنها ولو أنه الوحيد الذي حزن كثيراً عليها وبقي وفياً لها وللأيام العصيبة التي قضاها معها في القاهرة وهما يشقان طريقهما الفني واستمر وفاؤه لها حباً وتكريماً حتى آخر لحظة في حياته حيث أوصى رحمه الله بأن يدفن الى جانبها عوضاً عن دفنه آخر مقابر العائلة في جبل العرب وهذا أعظم الوفاء ورد الاعتبار لها حتى بعد وفاتها ووفاته وبقي سائق اسمهان الذي قفز من السيارة وتركها تهوي بها لتلقي مصرعها وقد اتهم بأنه ربما قبض أو اتفق مع أحدى العناصر المتهمة بقتلها وقد بحثنا في جميع المحفوظات الصحفية لدينا عما كتب عن أسمهان ونهايتها في الصحف المصرية واللبنانية وغيرها ولكن لم يتطرق أي صحفي أو كاتب الى مصير (سائق الموت) أو كشف هويته... هل مات هذا السائق أم لا يزال يعيش وقد بلغ من العمر عتياً.. أين هذا السائق اللغز لأنه مفتاح حل لغز مقتل اسمهان....؟



الممثل الطيار احمد سالم زوج أسمهان والمتهم باطلاق النار عليها.



أسمهان في لقطة تذكارية مع الجنرال ديغول ....؟



فريد الأطرش بقي إلى جانب أسمهان في الحياة والممات.

المخابـــرات البريطانيـــة

جاسوس بريطاني للمخابرات السوفياتية



رونا برايم الزوجة التي سلمت زوجها الجاسوس للمخابرات البريطانية على مبدأ: الوطن اولاً.

أكثر موظفي المخابرات البريطانية اخلاصا يعملون للسوفيات:

ابتلت المخابرات البريطانية بعدد لا بأس به من موظفيها المختارين الذي يشغلون مراكز حساسة فيها بكونهم يعملون لصالح المخابرات السوفياتية فمنذ سنوات هرب بليك وبعده بيرجس وبعدهم فيلبي وهرب معهم عملاء للسوفيات لم يكشف النقاب عن هروبهم الى موسكو وفي كلٍ مرة تعيد المخابرات البريطانية النظر في القائمة الطويلة لمنتسبيها وتضعهم واحداً واحداً تحت المجهر ومع هذا يبقى من بين موظفيها أحد لم يكشف النقاب عنه الا بطريق الصدفة أو بعد حين من الزمن.

جاسوس بريطاني للمخابرات السوفياتية:

البريطاني جيوفري برايم من مواليد لندن ١٩٣٨ يعمل في القوات الملكية البريطانية الموجودة في برلين الغربية منذ عام ١٩٦٧ وفي عام ١٩٦٨ أرتكب عدة حوادث شذوذ مع فتيات صغيرات وتشاء الصدف أن يكون أحد عملاء المخابرات السوفياتية شاهداً لأحدى تلك الحوادث التي قام فيها برايم بالتحرش ومداعبة طفلة لا تتجاوز العشر سنوات فهدده العميل السوفياتي باعلام والد الطفلة اذا لم يرافقه الى القطاع السوفياتي من برلين فوافق برايم مرغماً وسار معه الى مركز للمخابرات السوفياتية حيث قدمه الى رئيسه وقص عليه ما شاهده من شذوذه فتم تجنيده للعمل لصالح المخابرات السوفياتية مقابل السكوت على جريمته الأخلاقية التي كانت تهدد مستقبله وهو لا يدري الفرق الكبير بين عقوبة مداعبة البنات وعقوبة التجسس في بريطانيا.

بعد هذه الحادثة جرى تدريبه على استعمال الرموز السرية والشيفرة وكاميرات وأفلام التجسس الخاصة والحبر السري ومنح لقباً رمزياً باسم (رولاندرز) كما أعلم بأن كلمة السر لدى لقائه مع أي جاسوس آخر هي أن يقول له الجاسوس: أعتقد أننا تقابلنا في بطسبرج عام ١٩٦٨، فيجيبه برايم: كلا ففي

ذلك الوقت كنت في برلين وهكذا يتم التعرف على زميله ويسلمه المعلومات أو يستلم منه الأوامر والراتب.. الخ وقد منح خلال مدة عمله مع المخابرات السوفياتية رتبة (عقيد ــ أي جنرال) في المخابرات السوفياتية (ك ــ ج ــ ب) أما بالنسبة لعمله في بلده بريطانيا فقد كان يشغل منصباً ممتازاً في مخابرات القوات الجوية البريطانية ثم شق طريقه للعمل في مركز الاتصالات الحكومية في شيليتنهام حيث نقل للمخابرات السوفياتية معلومات ألحقت الضرر بأمن ومصالح بريطانيا وحلفائها فقد استطاع السوفيات خلال برايم وطيلة سنوات معرفة أهم قنوات الاتصال الغربية مما يمكنهم في حالات الطوارىء التشويش عليها وعرقلة الاتصال بين بريطانيا والحلفاء وفي نفس الوقت استطاعوا أن يعرفوا حجم ومدى أجهزة المراقبة الغربية وبالتالي العمل على تجنبها وهكذا عمل برايم خلال ١٤ عاما على تسريب الكثير من المعلومات المتعلقة بأجهزة الاتصالات والاستطلاع الغربية بحكم عمله في مركز الاتصالات الحكومية في شيليتنهام وهو واحد من أهم مركزين للاتصالات ومراقبة الاتصالات في الغرب.

خلال العشر سنوات السابقة لاكتشافه حيث إرتكب معظم جرائمه التجسسية كانت هذه الجرائم مثاراً وتأمل المخابرات البريطانية أن يكون تسرب المعلومات قد انتهى بالقاء القبض على برايم ولكن المخابرات الأميركية لا تزال تعتقد بوجود آخرين غيره يقومون بتسريب المعلومات من مركز الاتصالات الحكومية للمخابرات السوفياتية.

الصدفة أيضا سبب القاء القبض عليه:

في عام ١٩٧٧ ترك برايم العمل في مركز الاتصالات الحكومية وبقي يتعامل مع المخابرات السوفياتية باعطائهم معلومات عامة أو بجيبهم على أسئلتهم عن بعض المواضيع التي يهمهم معرفتها أو معرفة بعض التفاصيل عنها ومع تقدمه في العمر لم يتخل عن شذوذه بحيث استمر في ارتكاب جرائم اعتداء جنسي على بنات صغيرات السن حتى عام ١٩٨٢ صحا ضميره أو بالأصح لم يعد يتمكن من الايقاع بالفتيات الصغيرات فقرر أن يبدأ حياة جديدة عندما اعترف الى زوجته رونا بأنه (هو) الذي تبحث عنه الشرطة البريطانية لارتكابه جرائم اغتصاب البنات الصغيرات وفي نفس الوقت ولكي يؤكد لزوجته (توبته) اعترف لها بأنه يعمل جاسوساً لدولة أجنبية وفي اليوم التالي قام بتسليم نفسه للبوليس واعترف بجرائم

الاعتداء على الفتيات ولكنه لم يذكر أي شيء عن عمليات التجسس التي قام بها لصالح المخابرات السوفياتية.

الزوجة تفضح زوجها الجاسوس:

بعد تسليم برايم نفسه للشرطة قامت زوجته بالبحث في مكتبه من قبيل الفضول النسائي فوجدت جميع أدوات التجسس حيث كان يحتفظ بها زوجها في حقيبة دبلوماسية وهي عبارة عن أجهزة ارسال لاسلكية وجهاز تصوير ودفاتر الشيفرة وبعد هذا الاكتشاف أخبرت أهلها وأحد الأطباء وأحد المحامين وجميعهم نصحوها بابلاغ البوليس فوراً فتوجهت الى مركز الشرطة الذي يجري التحقيق مع زوجها بجرائم الاغتصاب وأخبرتهم بأن الشخص الموجود تحت أيديهم بجريمة أخلاقية هو (اكبر عميل للمخابرات السوفياتية خلال عقدين من الزمن) وهكذا أعطتهم أول خيط في عملية التجسس التي لم تكن تخطر على بالهم.

وانتقل المختصون من المخابرات البريطانية الى منزل برايم وصادروا أدوات التجسس التي وصفها القاضي فيما بعد (بأنها الأدوات التي لا بد منها لعمليات التجسس العصرية) وانتهى التحقيق معه في موضوع الجرائم الأخلاقية التي حكم عليه لأجلها وبسبب اعترافه بالسجن لمدة ثلاث سنوات وبدأت محاكمته بتهمة (الخيانة العظمى) وبمواجهته بالحقيقة اعترف بالجريمة المنسوبة اليه مدعياً أنه وقع ضحية للدعاية السوفياتية حول حتمية التحدي للاشتراكية والاحلام الكبيرة التي طرحوها في العالم خلال الستينات والسبعينات فاستمعت المحكمة اليه للنهاية ثم صدر الحكم بسجنه ٣٥ سنة لجريمة التجسس (هذا الحكم الشديد عوضا عن الاعدام لعدم وجود حكم بالاعدام في بريطانيا) لأن حكم الأشغال الشاقة المؤبدة في مصر وغيرها من البلاد العربية هو معناه قضاء المحكوم ٢٥ سنة فاذا كان طويل العمر خرج من السجن والا..؟ ولكن برايم دخل السجن عام ١٩٨٢ وعمره ٤٤ سنة وحكم عليه بالسجن ٣٥ سنة معناها أن يخرج من السجن وعمره ٧٩ سنة اذا بقي حياً الى عام (٢٠١٧) حين تنتهي مدة سجنه بعد دغم عقوبة الاغتصاب.

المؤلف: قد تكون هذه القضية قد انتهت كجريمة مزدوجة أخلاقية وجاسوسية بمجرد صدور الحكم عليه إلّا أن جذورها السياسية والأمنية ستبقى مدة طويلة الشغل الشاغل للحكومة البريطانية وخلفائها الغربيين خاصة الولايات المتحدة

التي اعتبرت مخابراتها قضية برايم كأخطر جريمة تجسس تتعرض لها أجهزة حلف الناتو الأمنية (المخابرات) في الفترة الأخيرة.

• • •

تدخل المخابرات الفرنسية في الاغتيال السياسي



الشهيد المناضل المهدي بن بركة قتلته المخابرات الفرنسية...

أضواء على عملية تصفية المناضل المغربي: المهدي بن بركة

نشر في الجزء الأول من المخابرات والعالم موضوع قضية المهدي بن بركة المناضل المغربي الذي أصبح يوما ما شوكة في فم النظام الملكي فجرى الايعاز الى الجنرال محمد أوفقير وزير داخلية المغرب في حينه بترتيب موضوع التخلص منه ووضعت ملايين الفرنكات الفرنسية تحت تصرفه واستدرج بن بركة بمعرفة وتواطؤ المخابرات الفرنسية وجرت تصفيته في باريس ١٩٦٥م ولكن بقيت قصة طويلة لم تنتهي حتى هذه الساعة ففي كل يوم أو كل سنة تظهر معلومات جديدة كانت خافية عن هذه المؤآمرة وتتناقل وكالات الأنباء والصحف هذه المعلومات التي تكون بمثابة وثائق حقيقية صادرة عن أشخاص اما شاركوا في عملية التصفية أو كانوا في الصورة بحكم عملهم ومن هذه المعلومات الجديدة أنه ما ان ظهرت في الصحف الفرنسية أنباء اختطاف المهدي حتى ملأت الاشاعات وأخذت تهز باريس فالسياسيون في غليان والمعارضة اجتمعت للتشاور والرسميون مرعوبون والهواتف بين الوزارات لا تتوقف عن العمل وبدأت حملة تسميم واسعة للرأي العام فالمغاربة (المسؤولون) ضالعون في العملية والمخابرات الفرنسية وقعت في الفخ والجميع يتكهنون عن دور البلطجية والبوليس مع المخابرات.

أما ادارة البوليس (قوى الأمن) فكانت بريئة نوعاً من التورط في عملية التصفية ولذلك كلفت خيرة ضباطها في التحقيق فاتضح لهم انغماس المخابرات في القضية فطلبوا من ادارة المخابرات تزويدهم بما لديهم من معلومات عن ذلك جمع جاكيير مدير مخابرات باريس في مكتبه كل من المسؤولين الرئيسيين المعنيين في المخابرات وهم برمونت وموروفان والعقيد مارسيل فانفيل وقال لهم:

ان ادارتنا مشتبه بها فهي كما سمعت (ضالعة) في عملية اختطاف وتصفية المهدي بن بركة ولا بد أن ندافع عن أنفسنا ان مديرية البوليس تطلب منا ايضاحات.

أجابه العقيد مارسيل: ليس لنا كمخابرات أن ندخل في لعبة الآخين وليس لنا كدائرة ما نؤآخذ عليه.

فأجابه المدير العام: اذا اذهب اليهم وقل لهم ذلك واني أصرّ على ذلك لأني قد وعدت مدير مكتب قائد الشرطة بأنك ستذهب اليه بعد الظهر وأرجو منك أن تمر مروراً عابراً على مكتب (غودار رئيس مكتب مدير الأمن القومي) لنفس الغاية.

عند ذلك قال العقيد مارسيل: سيدي انك بذلك تعرضنا ونحن الدائرة الأكثر سرية للخطر.

فأجابه المدير العام سترى انهم لطفاء جداً ومتكتمون كما أنه سيصحبك بعض المعاونين من دائرة مكافحة التجسس.

أجاب مارسيل وأي مساهمة يفترض أن أقدمها للبوليس عدا توضيح (عدم مسؤولية الدائرة كجهاز مخابرات رسمي).

قال المدير: قدم لهم كل ما تحوز عليه من معلومات عن بن بركة تقاريرك والعناصر التي يمكن جمعها من مراقبته سابقا ومن الأرشيف ومن الأقسام الأخرى

التفت مارسيل حوله ليجد من يساعده على ثني المدير العام عن خطته فلم يجد سوى ظلال رجل متعب محطم أحناه المرض وتناول الأدوية هومورفان أما برمونت فلم يكترث كعادته طالما أنه ليس المعني شخصياً وطالما أنه يحب الهروب الى الأمام والحق أن الجو كان في ذلك الاجتماع كما يقال (كل عليه بنفسه) فبادر مارسيل المدير العام بقوله:

اتركني على الأقل أقوم بتحقيق خاص حول هذه القضية فنحن نملك أحد أفضل الأقنية[1] في المغرب ونستطيع أن نقدم الكلمة الفصل في هذا الموضوع خلال أيام.

فانتفض المدير العام وقال له إني أمنعك من ذلك بصورة قاطعة فليس الوقت الآن وقت استجرار متاعب جديدة.

خرج الجميع من مكتب مدير المخابرات واتجه مارسيل الى مكتبه فوجد سكرتيرته بانتظاره لتخبره بأنه على موعد للغداء مع صديقه (كاي بيتي جان) في نادي (فيوديلاتيباي) ذهل للمفاجأة وجلس في مقعده يستعرض شريط بعض الذكريات مع المفوض كاي عندما اصطادوا معا في الالزاس ثم يتذكر أن كاي يدير عصبة من البلطجية والمخبرين المحليين وبعض الجواسيس يرسلهم في

(١) الأقنية ـــ دلالة على وجود عملاء للمخابرات الفرنسية في المغرب كما في بقية بلدان العالم التي لها فيها مصالح (الفرنسية...)

مهمات متفرقة بالاضافة الى كونه معروفا بمرونته وتكتمه وبروده أيام الصراع ضد منظمة الجيش السري التي قامت لمنع منح الجزائر المجاهدة استقلالها وهو يشغل الآن منصب نائب مدير المخابرات العامة في مديرية البوليس ويحظى بثقة وزير الداخلية (روجيه فراي) الذي كان راضيا كل الرضى عن خدمات هذا المفوض (المسيّس) الذي يعرف كيف يخنق الفضائح والمكائد في مهدها ويعرف كيف يحمي سمعة شخصية (ما) مثلما يعرف كيف يسحقها حين يطلب اليه ذلك. واستذكر مارسيل أيضا أن كاي يحتل مكانة القلب في شبكة التخابرات (الديغولية) التي تنتهي عندها كافة نشاطات الشبكات الموازية ومخابرات الشرطة بالذات...

توجه مارسيل للنادي حسب الموعد فوجد المفوض كاي ينتظره مع صديقهم المشترك كاركاسون وبدلوا الغداء بصورة عادية وبالرغم من المعلومات التي كان يحملها (كاي) والتي كانت تحرقه إلّا أنه بدأ مع مارسيل بالحديث عن الطقس ورغبته بالاجازات وجاراه مارسيل بالحديث عن رحلة صيد مرتقبة سوف يقوم بها الى أفريقيا وكان كاركاسون منصتاً وفجأة ظهرت على وجه كاي ملامح التفكير وبدأ يقول:

قضية بن بركة.. انها ضربة للحكومة وهي قضية ضخمة تنبعث منها رائحة مشبوهة للغاية فما كان من كاركاسون الا أنه نهض من فوره ثم تذرع بحجة واهية وتوارى عن الأنظار ليترك مارسيل وكاي وحدهما كأنما اتفق مع كاي على ذلك مسبقا ومع ذلك تابع كاي حديثه قائلا لمارسيل:

تصور أن بن بركة وقع في كمين نصبه له بلطجية المخابرات والبوليس (هكذا قالها له) وسلموه الى (أوفقير) وكل شيء له ثمن ثم أشار له بيده (كمن يطعن شخصاً بخنجر) اشارة الى أن (أوفقير) طعن المهدي بنفسه بالخنجر وهنا انتصبت آذان مارسيل لالتقاط هذه الأخبار المثيرة والموضحة عن هذا الاغتيال السياسي فتابع كاي حديثه قائلا: أصيب فيفون(١) بالرعب بعد اختفاء بن بركة رغم علمي باشتراكه في العملية وانهارت أعصابه بالكامل مع أنه استلم نصيبه من المال

(١) جورج فيفون — فرنسي من مواليد ١٩١٦ مجرم سابق (عميل للمخابرات العسكرية والمدنية) اشترك في عملية التصفية ثم قتل بتاريخ ١٧/ كانون الأول ١٩٦٥ من قبل المخابرات الأمريكية.

/المغربي/ وذلك لأنه شعر أن المغاربة (أوفقير والدليمي) طرحوه نهائياً كما شعر باهتزاز الحماية التي وعد فيها من قبل انطوان لوبيز المتهم الأول بالقضية وعرف أنه سيتلقى الضربة الأولى وحاول اتخاذ الحيطة والهروب الى المانيا الغربية فلم يتمكن فأخذ يعمل على مبدأ علي وعلى أعدائي وصرح بعد الحادثة بثلاثة أيام أن التصفية اشترك بها جماعة من مخابرات البوليس اعتاد انطوان لوبيز بالتعامل معهم وهنا سر مارسيل أكثر لمعرفته بانغماس البوليسيون في العملية مع المخابرات ولكن كاي كان يعرف مخابرات البوليس كما يعرف جيب سرواله وضمن حالا أن يكون لويس سوشون رئيس مفرزة مكافحة المخدرات ومدير فندق للدعارة في موبنارناس يملكه (أوفقير) في باريس وزميله ومعاونه: ريمون فواتو هما المتواطئان في عملية الاختطاف وعلى هذا فإن مديرية البوليس قد تلطخت بالقضية مثلها مثل مديرية المخابرات وأعلمه بأنه (أي كاي) أعلم روجيه فراي وزير الداخلية بكل هذه المعلومات. وأعلم كاي ضيفه مارسيل بآخر وأهم الأنباء عن قضية الاختطاف وهي إنه استناداً للصخب الذي أثارته قضية التصفية في الصحافة والاذاعة والتلفزيون وفي خارج فرنسا وخاصة لدى الدول التي لها علاقة طيبة مع فرنسا وتتعاطف مع المناضلين أمثال المهدي بن بركة وعلى هذا كان المسؤولون الحقيقيون يقومون بعملية اطلاق قذائف دخانية ويبحثون عن (كبش فداء للمحرقة) بحيث يبقي أزلام وبلطجية المخابرات والمباحث الجنائية بمنأى عن القضية بأي ثمن.

ثم أعاد كاي للحديث وجهته باتهام المخابرات كليا بالخطف على لسان الدوائر العليا التي أعلمته بأن بعض العاملين في المخابرات متورطون في العملية وخاصة (أنطوان لوبيز) وهنا ابتدى مارسيل للدفاع عن لوبيز بقوله: أن لوبيز كان في اجازة يقضيها في الريف مع زوجته وأولاده وهنا أجابه كاي اني أؤكد لك أنه كان في مكان الاختطاف وقد تنكر بوضعه شاربين ونظارة مستعارين ومع هذا الاثبات أجاب مارسيل بأن لوبيز لم يعد له علاقة مع المخابرات وأنه أي لوبيز نقل نشاطه للبوليس. عند ذلك اكفهر وجه كاي وقال لمارسيل هل أنت متيقن من أنه ليس للمخابرات علاقة بالحادثة فأجابه مارسيل (طبعا وفقا لما أعلمه فإنه لا يدلنا في هذه القضية اطلاقا) فأجابه كاي: أن ذلك خير لكم. وتابع حديثه يزرع الشك في نفس مارسيل. قد تكون هذه العملية من صنع شعبة العمليات لأن اسم بن بركة ظل لعدة سنوات على رأس لائحة أهداف منظمة محاربة الشخصيات المرتبطة بالثورة الجزائرية فأجابه مارسيل: لا يمكن أن يكون لوبيز قد أخفي علي الحقيقة على كل

حال ستتوضح الحقيقة لأني سأرى لوبيز قبل ذهابي الى ادارة البوليس.

وبالفعل فقد قابل مارسيل لوبيز وسأله مستعجلا: ليس لدي وقت لكي أتناقش معك حول قضية بن بركة من قريب أو بعيد.. لكن أجبني هل شاركت فيها.

أجابه لوبيز: ماذا تظن.. بالطبع لا.

قال له مارسيل: ان الأمر جدي وخطير فهل صدقا ليس لك أي قدر من المسؤولية..

أجاب لوبيز: كلا...

مارسيل: هل تستطيع أن تقسم بشرفك على ذلك..

لوبيز: أقسم لك..

فشكره مارسيل وانطلق الى مكتب غودار في الأمن القومي ليجد لديه كل المعلومات عن القضية فتوجه الى مكتب معاون مدير البوليس سومفاي وهو يعرف أن البوليس مستعجلا لمعرفة ما لديه من معلومات إلّا أنه وجد العكس فقد انتظر حوالي نصف ساعة في صالون الانتظار وهو يستغرب هذا التأخير ولكن الاستغراب زال عندما شاهد باب مكتب سومفاي يفتح ويخرج منه صديقه (كاي) وهو يدخن سيكارا وعندما رآه توجه اليه وصافحه بحرارة كمن لم يشاهده منذ مدة طويلة (وليس من ساعة فقط) وبدأه بالكلام بقوله: لقد قادتني الصدفة الى هنا فسلمت على الصديق سومفاي وها أنا ذاهب... وتركه وانصرف.

سمح لمارسيل بالدخول الى مكتب سومفاي فاستقبله بالترحاب ولكن (كاي) عاد فدخل المكتب عند ذلك بادر سومفاي مارسيل قائلا: اذا كان الأمر لا يزعجكم فإن كاي سيبقى معنا لأنني أريد أن أعرف رأيه بالموضوع بالرغم من أنه لا يهتم بهذه القضية(١) ومن نظرة مارسيل الفاحصة الخبيرة الى منفضة سجائر سومفاي وجدها مملوءة وهنا عرف بحس رجل المخابرات المرهف الذي يفحص كل شيء بأن (كاي) حضر الى مكتب سومفاي فور تركه في نادي (فيوديلا) ودليل ثالث شاهده مارسيل هو (سيكار) سومفاي الذي يكاد يحترق للنهاية عند كل ذلك

(١) يقول مارسيل: نسي سومفاي أنه قال لي في أول الحديث أنه أوكل قضية بن بركة الى افضل مفوض عندهم وهو كاي لذلك ينبه الى حرص رجل المخابرات على عدم الوقوع في مثل هذه الاخطاء...

تأكد مارسيل بأن كاي كان مجتمعا على انفراد معه وهو ينتظر خارج المكتب (وهذه الناحية من الانتظار يتعمدها بعض رجال المخابرات من جهة ترك ضيوفهم ينتظرون بعض الوقت للدلالة على أنهم مشغولون بمصالح عليا.. الخ)

أما مارسيل فأخذ يقلب أفكاره.. ماذا تكلم الاثنان طبعا عن قضية بن بركة وتورط المخابرات والبوليس فيها معاً ولا بد أن كاي كشف لسومفاي عما عرفه من فيفون ولهذا أصبح سومفاي على معرفة بجميع أمور وجوانب القضية حين استقبلنا وهكذا مرت المظاهر الاحتفالية السخيفة وقدم مارسيل تقريراً مقتضباً الى سومفاي أمام كاي ثم قال فيما بعد عن نفسه: دخلنا الى مديرية مخابرات البوليس كالحمقى لانفقه شيئاً وقدمنا معلومات الى اناس يعرفون القضية برمتها قبلنا... تناول سومفاي التقرير من مارسيل ثم قدمه بدوره الى كاي ولم تظهر على الاثنين أية ردود فعل لكن سومفاي قال لمارسيل هل ممكن أن أعرف مصدر معلوماتكم.. وبما أن مدير المخابرات طلب من مارسيل التعاون مع البوليس لأقصى الحدود ونوى مارسيل أن يضرب (عصفورين) بحجر واحد فأجاب سومفاي: ان مصدر معلوماتنا هو (المخبر انطوان لوبيز) المفتش في طيران ايرفرانس.. وعميل السلطات المغربية فقال سومفاي: أليس له عنوان. وهنا فكر مارسيل بأن يجيبه: اسأل معاونيك سوشون وفواتو لأنه يعمل لادارتكم أكثر مما يعمل لادارتنا (بمعنى عميل مزدوج) وهذا النوع من العملاء يخشى منه وهو متوفر مع الأسف كثيرا لكن مارسيل سكت على مضض وهنا تدخل كاي وقال: واذا ثبت أن لوبيز لم يشترك في هذه العملية فأجابه مارسيل فورا: فعلا لوبيز سينكر اشتراكه في العملية لأني شاهدته منذ فترة وأقسم لي (بشرفه) أنه لم يشترك بها.

كل هذه الأمور تجري وقضية الاختطاف تتفاعل ومصير بن بركة غامض وباريس غارقة في الاشاعات ووزير الداخلية المغربي محمد أوفقير موجود فيها لحضور حفلة تخريج دورة تدريب الحكام المغاربة ووصلت المعلومات الى وزير الداخلية الفرنسية الذي سيحضر الاحتفال جنبا الى جنب مع أوفقير ولكنه تعمد أن يجعل موريس غريمو (مدير الأمن الوطني) يحضر الحفل نيابة عنه.

أصدق المعلومات عن هروب أوفقير بعد أن أشارت اليه أصابع الاتهام:

أقيم حفل عشاء فاخر في السفارة المغربية احتفالا بتخريج دورة الحكام المغاربة حضرها السفير ومعاونوه والمحتفى بهم والدليمي وموريس غراي نيابه عن

وزير الداخلية بالاضافة للجنرال محمد أوفقير الذي امتعض كثيرا لغياب. وزير الداخلية الفرنسي وشعر بما يجري في باريس وأشاع بامتعاضه جوا كئيبا بالاحتفال أدى لاستئذان المدعوين بالانصراف وأغلقت السفارة أبوابها وراءهم فاختلى أوفقير مع السفير المغربي وطلب منه تأمين سفره في اليوم التالي الى المغرب بأي شكل.

في صباح ٤ تشرين الثاني ١٩٦٥ كانت الطائرة المغربية (كارافيل) ملأى بالركاب المتوجهين من باريس الى المغرب ولكن اتصال السفير المغربي مع مدير وزارة الخارجية (لابولاي) جعله يتوسط مع سلطات المطار وتم انزال راكبين وأعطي مكانهما لأوفقير والدليمي بسرعة مذهلة حيث غادرت الطائرة في الساعة العاشرة إلا خمس دقائق بدون ان يتمكن أوفقير من جلب امتعته وهو يسرع للطائرة.

استمر التحقيق الذي طال جميع المشاركين في العملية حتى ١٣ تشرين الثاني حيث عقد مجلس الوزراء الفرنسي اجتماعاً برئاسة الجنرال الراحل ديغول تقرر على أثرها توقيف جميع المشاركين (مهما كانت صفاتهم سواء من المخابرات أو المباحث الداخلية) وحاول وزير الداخلية حماية منتسبي وزارته بعدم توقيفهم (الصاق العملية بالمخابرات فقط) ولكن الجنرال ديغول أصر على توقيف الجميع مهما كانت مراكزهم ولكن أحد المشاركين في الاختطاف (جورج فيغون) توارى عن الأنظار بعلم بعض المسؤولين الذين وعدوه بالحماية ثم تخلوا عنه فطوقت الشرطة منزله لاعتقاله بتاريخ ١٧ تشرين الثاني ليجدوه جثة هامدة لاصابته بطلقة مسدس في رأسه حيث أشيع أنه انتحر (كما جاء في الجزء الأول من الكتاب) ولكنه قتل بينما كان يستعد للهرب الى مدينة دوسلدروف في المانيا الغربية لكي يلحق بالمجرمين فان باليس ودوبيل وليني الذين فروا الى المانيا بعد أن قبضوا ثمن جريمتهم ملايين الفرنكات السويسرية من مصرف سويسري بعد أن حولت هذه الملايين من الأموال المغربية وبما أن فيغون لم يقبض حصته بعد فقد قرر اللحاق بالمجرمين الى المانيا فإما أن يقبض واما (فانه سيعقد مؤتمراً صحفياً) ولكن منفذي عملية التصفية كانوا له بالمرصاد.

النهاية: تأكيد تصفية المجاهد المناضل المهدي بن بركة جدياً على يد الجنرال محمد أوفقير بالذات ودارت الأيام لتثبت قول المثل العربي (بشر القاتل بالقتل) فقد قتل محمد أوفقير نفسه في القصر الملكي المغربي أثر محاولة انقلاب فاشلة قادها ضد مولاه وسيبقى دم الشهيد بن بركة لعنة على كل من شارك في اغتياله...

بعد التصفية كيف كانت المخابرات الفرنسية تختار عملائها:

رئيس الشعبة السابعة في المخابرات الفرنسية أثناء عملية تصفية المهدي بن بركة هو العقيد (مارسيل لروافانفيل) الذي شرحنا في الصفحات السابقة دوره في التصفيه هو بنفسه الذي سبق أن أختار (أنطوان لوبيز) ليعمل في الشعبة السابعة لديهم كعميل وذلك في عام ١٩٥٦ حيث يقول العقيد فانفيل في مذكراته التي نشرتها له مجلة الكفاح العربي اللبنانية المشهورة في عدد ١٩٨٠/١٢/٢٢:

كنت أبحث في عام ١٩٥٦ عن عميل لنا نزرعه في مطار أورلي يكون حسن الصلات ويستطيع أن يبلغنا عن وصول الشخصيات الهامة ومرور الحقائب الدبلوماسية وما يستجد من أمور طارئة في مطار أورلي تستدعي وجود (عين وأذن للمخابرات الفرنسية) ويومها اقترح علي صديق وهو مفوض في الأمن العام التابع للمطار التعرف على المدعو (أنطوان لوبيز) رئيس مهبط طيران في مطار أورلي وقد وصفه لي بأنه (شاطر) وحسن الصلات ويحسن التصرف يخاطب الجميع وكأنه يعرفهم من زمان ويستقبله المسؤولون في المطار في مكاتبهم بكل ما يمكن تصوره من البشاشة والترحاب.

اقتنعت بفكرة صديقي وأوعزت الى (صبيانيي) (أي موظفي الشعبة السابعة التي يرأسها) باجراء تحقيق أمني حول انطوان لوبيز دون أن يعلم (بطبيعة الحال) فتبين لنا أنه يستجيب للمتطلبات التي نرغبها بشكل مثالي فهو ماهر أديب. فصيح العبارة وسجله في شركة الخطوط الجوية الفرنسية (ايرفرانس) ممتاز. لا يعاقر الخمرة مطلقا.. وعلمت فيما بعد أن نفوره من الخمرة يعود الى مأساة شخصية بحيث شاهد أباه وقد تعرض للتحقير والاهانة بسبب الخمرة فأقسم لوبيز أن يتجنبها تركت هذه النتائج في نفسي أثراً طيباً مع أن الأيام اثبتت لي أن التحقيق كان ناقصاً وأن الصبيان لم يتمكنوا من معرفة أن لوبيز ارتبط منذ اقامته في طنجة مع بعض رجال العصابات أمثال جورج بوشيس الذي كان يشغل مدير مواخير في طنجة وجان باليس (من المجموعة التي اختطفت المهدي) وزعيم عصابة ونوتيني الأعرج رجل عصابات وسواهم من اللصوص والمشردين.

التحق انطوان لوبيز بمصلحتنا وقد أدى فيما بعد الخدمات التي كنا نرجوها منه فبفضله عمل جهازنا في مطار أورلي أحسن من أي وقت مضى واتصالاته وغنائمه كانت لا تحصى وكان لوبيز نشيطا ينصحنا ويرشدنا أما على صعيد السلوك

فلم يكن ثمة ما يشكي منه فلوبيز بحب أن يؤدي الخدمة للناس كافة ومجاملاته ولياقته باتت اسطورية في أورلي حتى أن آخر مدير عام للمطار كان يقدره كثيرا وعندما كان مدير المخابرات (جاكيير) يركب الطائرة أو يعود من رحلة أو مهمه فان لوبيز كان يحيطه بكامل الرعاية والاحترام ويفتح له صالون الاستقبال في المطار وكأنه رئيس دولة أجنبية ولم ينس أن يُرضي زوجة جاكيير بتقديم الهدايا الى بناتها ومع هذا تجاهله جاكيير فيما بعد (ابان قضية التصفية) وهذه الصفات والأفعال التي تصدر عنه بالذات كانت هي بالضبط ما يزعجني في لوبيز فهو لامع زكي ولكنه متقلب متملص يصعب النفاذ الى باطنه وضميره أو معرفة حقيقته مما دعا الى أن مساعدي سموه (الصابونة) لأنه يفلت من بين أصابعك ويعصى على رقابتك حين تلحق به لتكشف شيئاً عن حركاته.

وقد كان لوبيز طموحا الى حد الجنون ومقتنعاً بأنه بفضل لباقته وعلاقاته سوف يصل الى أرفع الدرجات وذات يوم جاءني يقول بشكل احتفالي وبشيء من التزلف الذي أصبح عادة ثابتة فيه: مسيو جنرال فانفيل: لقد أصبحت قاب قوسين من تحقيق حلم حياتي وهو أن أصبح مديرا للخطوط الجوية المغربية وقد حصلت على مباركة الملك الحسن نفسه وعلى مباركة الجنرال أوفقير.

صعقت لهذه المفاجأة وأنا أعرفه يقيم علاقة على أحسن ما يرام مع المغاربة فهو ينزل ضيفا على الجنرال أوفقير وزير الداخلية وصفي الملك الحسن الثاني في كل مرة يزور الرباط كما أنه سبق له أن أدى خدمات كثيرة للقادة المغاربة عندما كان رئيس مهبط طيران في طنجة بحيث أنهم لا يستطيعون أن يرفضوا له طلبا.

ثم تابع حديثه: تصور لو تم تعييني في الرباط **فسوف أقدم لك المغرب على طبق** وكان ذلك أمراً مغرياً جداً بالنسبة للمخابرات الفرنسية أن تحصل على مثل هذه الفرصة لتقوم بعملياتها في المغرب ومعناها أيضاً نفاذنا الى المغرب كله (الجزائر وتونس وليبيا) قطع لوبيز علي حبل تفكيري حيث استطرد يقول:

إن الأمور مهيأة كما شرحت لك لكني بحاجة الى (دفشه) منكم (أي الادارة الفرنسية) وباختصار كان لوبيز يرغب في أن نحصل له على موافقة المدير العام للخطوط الجوية الفرنسية بانتدابه الى الرباط حيث يجمع بين عمله في ادارة الخطوط المغربية وانتدابه عن (ايرافرانس) حتى اذا ساءت الاحوال مع المغاربة أمكنه أن يستمر في شركته الأصلية بدون أن يفقد شيئاً من سنوات خدمته...

قلت له اني لا أستطيع وحدي أن أساعدك على بلوغ ذلك ولكني سأكلم

المدير العام لعله يجد الحل وعندما استشرت (جاكيير) وافق على مساعدته بل وأثنى على هذا النشاط وهذه المعنويات ووعد بالاهتمام شخصياً بقضيته وبدأ بالحديث عن انتداب لوبيز مع مدير الخطوط الفرنسية في حفلة استقبال العام الجديد وقد كان هذا المدير (عميلا) للمخابرات الفرنسية في (الهند) وقد وعده خيرا ونظرا لتأكيدات جاكيير بوجوب سفر لوبيز للمغرب بدأت بالبحث عن (بديل) يخلفه في تأمين طلباتنا من مطار أورلي وعثرت على السيدة جان كيرود التي كانت تدير المحطة الجوية في الانفاليد التي وافقت على العمل معنا فتم نقلها الى أورلي وأصبحت من الناحية الرسمية (معاونة لوبيز) وبهذا أمنا لها (الخلافة) واصبح بامكان لوبيز أن يسير في طريقه.

ولكن مساعينا لدى شركة الخطوط الفرنسية فشلت (بصراحة) ولسوء الحظ ورفضت الشركة انتداب لوبيز لأنه كما جاء الجواب (مفتش من الدرجة الرابعة) في أن الوظيفة التي يطلبها تحتاج الى مفتش من الدرجة السادسة صحيح أنه رئيس مهبط ممتاز إلّا أنه يفتقد الى معرفة القانون الدولي والادارة باختصار ليس خريج كلية الهندسة ولا خريج المعهد الوطني للادارة والشركة لا تستطيع أن تخاطر بانتدابه لبلد سياحي كالمغرب بوظيفة أعلى من وظيفته.

وجدت أن الحق مع الشركة وأن رجلنا قد تطلع الى الأعلى كثيراً حتى أنه لم يكن الرجل الذي يعترف بأي حدود ولهذا حين أبلغته بفشل مساعينا (بحضور مساعدي ميشيل بولان) شعرت فضلا عن خيبة أمله ببعض الخشونة والفظاظة ازائي فقد اتهمني بأني السبب في الفشل ولم يعد يكن لمخابراتنا سوى الاحتقار (لأنها لم تستطع أن تؤمن من ترقية أحد عملائها) ومنذ ذلك الحين لاحظت تغيرا في موقفه تجاهنا وبما أنه لم يحصل على شيء ينفعه بواسطتنا فانه بات مستعدا للذهاب الى (أي مخابرات أو مباحث) تعده بالمن والسلوى وكانت مخابراتنا تقدم الكثير لمن يلعبون اللعبة وبما أن لوبيز لم يتخل عن طموحاته فقد ألقي بنفسه على الجنرال أوفقير الذي يجسد في نظر لوبيز القوة الحقيقية بالرباط ولم يكن ينقطع عن زيارته ولا عن حمل الهدايا الباريسية له مقدما الولاء له وللملك الحسن معه.

انتقال أنطوان لوبيز الى البوليس:

يقول العقيد فانفيل: استدعاني مدير المخابرات الفرنسية (جاكيير) وقال لي

ان رئيس الوزراء قرر تكثيف حملة مكافحة المخدرات فأجبته ما تقصد من ذلك وما دخل المخابرات بالمخدرات مع العلم بأن لدي البوليس جهاز كامل لمكافحة المخدرات فاجابني جاكيير ان مطار أورلي هو أهم مركز من مراكز (مرور) المخدرات وان البوليس بمباركة شخصية من رئيس الوزراء يريد أحد عملائنا لمساعدتهم في المكافحة.

عند ذلك انفعل فانفيل وقال لمدير المخابرات:

ان هذا الطلب لا يعقل ولا سابقة له ولم يحدث أن نقل عميل من المخابرات الى ادارة أو مصلحة ثانية.

غير أن جاكيير ألح بسحنه جدية وقال اني أفهمك فهذا الأمر مزعج غير أن (السراي) ويقصد رئيس مجلس الوزراء تستحث وتلح بالطلب فهات واستعرض جماعتك في أورلي واختار لي أحدهم لنرسله للبوليس برسم الاعارة.

أجبته بعناد استعرضت عملائي الآن.. لا أحد فأنا لا أملك في الأساس كفايتي وعملائي يعملون ٢٤ ساعة في اليوم ولا أستطيع الاستغناء عن أخذ منهم دون أن يظهر (ثغرة) في مكان عمله فقال جاكيير تستطيع ان تضع مكانه فيما بعد فبدا لي أن شاغل جاكيير الأول هو أن يرضي الطالب الملح بأقصى سرعة حتى ولو اضطرب عملنا.

في اليوم التالي حل مدير مكتبه مكانه في ملاحقتي لارسال أحد عملائي للبوليس عندها فهمت أنني أمام ارادة أقوى من ارادتي ولكن لدي وقت لاستعمال الحيلة. وكسب الوقت لعلهم يعودون عن الأمر من أساسه ولدى التدقيق بين طاقم العملاء في أورلي وجدت أن لدى رجلين يمكن أن يكونا موضوعا لهذه الاعارة.

١ ــ ريمون دوة ــ يعمل كمفتش رئيسي في المطار ــ هادىء متحفظ فعال ومتكتم لكنه بلغ من العمر الخمسين ولديه ستة أطفال فلم يكن بوسعي أن أقبل نقله وهو رائد من رواد الملاحة الجوية بحيث أجعله ينهي حياته المهنية (كمخبر بوليس) وأن أضطره لارتياد الأماكن المشبوهة والخطرة التي يغشاها مهربو المخدرات فهو لا يستحق التعرض لمثل هذه المخاطر ولا جاكيير يقبل ذلك.

٢ ــ انطوان لوبيز ــ الذي ندين له بنصف عملياتنا الناجحة في أورلي رغم عيوبه.

في اليوم الثالث راجعت جاكيير بناء لطلبه لمعرفة ما جرى معي فقلت له: لدى ريمون دوة ولكن... لدى أسباب بعدم نقله للبوليس ثم أقفلت الحديث دون الاشارة الى (لوبيز) بأنه ليس لدى أحد أعيره للبوليس.

أجابني جاكيير: بالنسبة لريمون دوه فاني اشاركك الرأي.. لكن لن تقول لي أنك لم تجد أي حل آخر. قلت له: هذا من سوء الحظ يا سيدي المدير العام.

عند ذلك تظاهر جاكيير بالتفكير وبعد لحظات (بدالي كالحاوي الذي يخرج أرنبا أبيض من كمه) وقال لي لكن بالمناسبة أظن أن لديك شخصاً يدعى لوبيز وحسب علمي أنه خدوم وخلوق وجريء وخارق أفلا يستطيع القيام بهذه المهمة...

بدا لي كأني في حلم مزعج انتابني شعور غريب في تلك اللحظة بأن كل هذه الحكاية مدبرة وان كل هذه الحركات والمماحكات حول فصل واحد من عملائنا ونقله الى البوليس كانت تفضي حتما وجبرا الى (لوبيز) لأن الأمر كان مقضيا سلفا فثمة طرف في الدوائر العليا قد اختار لوبيز ولم يبق سوى (تبليغي) القرار... فقلت على الفور: آسف.. جدا سيدي المدير العام فأنا لا أستطيع الاستغناء عن لوبيز مطلقا فرحيله يعني كارثة لفريقي في أورلي.

أجاب جاكيير: هون عليك.. فنحن أمام أمر حكومي.. ثم قل لي من يقدر أن يمنعك من مواصلة استخدام لوبيز.

فشرحت له مخاطر ادارة عميل من قبل جهازين للأمن عدا عن كونها مخالفة لأصول المهنة ومن الممكن أن البوليس أو بعض عناصره يضللونا ذات يوم عبر لوبيز.

أكد جاكيير طلبه وقال لي بامكانك تدبير الأمور في أورلي فهذه مشكلتك فسكت على مضض وقلت في نفسي ليكن ما يكن وحسبت أنني انتهيت من هذه القضية المغيظة ولكن جاكيير طلبني بعد أيام ليقول لي أن أذهب الى البوليس ولم تكن علاقاتي حسنة معهم منذ مطاردة منظمة الجيش السري وغيرها كما أني لا أطمئن الى عقيلة بعض رجال الشرطة ولا إلى ذهنيتهم الميكافيلية ولا إلى الاعيبهم فقلت لجاكيير وماذا يفعل ضابط مثلي في مديرية البوليس.

أجاب جاكيير: ستذهب الى هناك لتقدم لهم لوبيز رسمياً.

قلت: كنت اعتقد أن لوبيز نقل وانتهى أمره.

قال جاكيير: لقد تم نقله فعلًا وسيكون تحت تصرف شرطة الأخلاق ومكافحة المخدرات.

وقد اصطحبت لوبيز فعلا الى مديرية البوليس وأبلغتهم نقله للتعرف عليه وقلت لهم منذ هذه اللحظة يمنع أي اتصال بين موظفينا وبينه ورجعت مهموماً الى دائرتي فطلبني جاكيير وقال لي: هل رأيت كان الأمر أيسر مما كنت تخشى..

أما أنا بقي علي أن أبرر عملي أمام لوبيز فهو المعني الرئيسي بما تم وقد تم نقله دون استشارته ومن حقه أن يغضب وأن يستاء من نقله ومن الخفة التي نتلاعب بها بالرجال ولكن حين قابلته للمرة الأولى بعد التحاقه بعمله الجديد فوجئت بأن الرجل تقبل الأمر تقبلا حسناً كما لو كان ينتظره وقال أنه يوافق بالتأكيد على العمل مع شرطة الأخلاق ومكافحة المخدرات ألا أنه أضاف قائلًا: لكنني أود أن أطلب منك خدمة هي أن تسمح لي باستمراري بالتعاون معكم..

فأجبته بجفاء: مستحيل وأنت تعرف القواعد...

حين ذلك ظهرت عليه علامات التضرع وبدا كاليتيم وقال دعني على الأقل اتصل بكم من حين لآخر كلما وجدت معلومات جديدة أجبته: ننظر في ذلك.. وعندما اجتمعت مع فريق العمل في أورلي قالوا لي أن لوبيز مكانه شاغراً فقلت لهم أنه نقل للقيام بأعمال لا تعنينا ولهذا وحفظا على المصلحة العامة فإنه يجب عدم الاتصال به مطلقا.

كان ثمة حدس يدفعني الى الاعتقاد بأن (فصل) لوبيز لم يكن واضحاً تماماً وانني انما شهدت الفصل الأول من مسرحية غريبة بقي مؤلفوها داخل الكواليس.

ويتساءل فانفيل.. هل هي مسرحية أم مأساة.

بعد حين من هذه الاحداث دخل علي في مكتبي ميشيل بوللان رئيس تشكيلنا في أورلي وصديق العمر ورفيقي في أيام التحرير ليقول لي أن ثمة امكانية للعمل على فتح محفظة المهدي بن بركة وتصوير ما فيها من وثائق.

ومنذ انشاء فرقة مكافحة انصار الثورة الجزائرية عام ١٩٥٦ وزعيم المعارضة المغربية يشكل بالنسبة الينا هدفاً دائماً لم يكن شخصه هو الذي يهمنا ولكن الصلات التي كان يقيمها مع ثوريّ العالم الثالث وكنا مكلفين بمعرفة المزيد حول مؤتمر القارات الثلاث الذي يجري الاعداد له في هافانا وفي كل مرة كان المهدي بن بركة الذي لا يكف عن التجول بين كوبا ومصر والجزائر وسويسرا يمر فيها بباريس فاننا كنا نحاول أن ننظر في اوراقه.

سالت بوللان: من ذا الذي امدك بهذه المعلومات...

فتردد لحظة ثم اعترف وقال: لوبيز.

وقلت: لكني اعطيت الامر بتجنبه.

فأجاب: اعرف ايها الرئيس لكن قل لي بصراحة.. هل يعقل أن نترك سانحة كهذه تمر. ان لوبيز يعرب بن بركة وهو على صلة حسنة به ويستطيع تحييده بعض الوقت ريثما نفتح نحن محفظته.

وبديهة الحال. فاني لم اكن سأرفض ذلك لمجرد أن الاخبارية جاءت من لوبيز. فهو حتى ولو كان تابعا لشرطة الاخلاق. فانه لا يزال يفكر بنا.. فهل يمكن أن نأخذ عليه ذلك.

ووافقت على العملية. كان ينبغي أن نتحرك بسرعة استثنائية فنحن لا نملك الوقت الكافي لاستخدام مختبرنا النقال بتحريكه عبر منطقة أورلي كلها. بل ينبغي لنا أن نكسب الحد الاعلى الممكن من الدقائق بتقصير المسافة بين منطقة الترانزيت والشحن وبين مكان معالجة المحفظة. واعتمدنا أن نعمل في مكتب قريب من مكاتب الشرطة وبينما تمكن لوبيز بهدوءه المعتاد ان يسحب بن بركة الى (سماء أورلي) ليشربا هناك كأساً كانت المحفظة في طريقها الى مختبرنا المرتجل. وبدأنا بفتحها وبتصوير كمية مذهلة من الوثائق.

وعندما هبط بن بركة ولوبيز. كانت محفظة الزعيم المغربي تنتظر صاحبها في غرفة الامتعة انتظار (الصبي العاقل) بحيث أن أحداً لم يكن يتصور أن اللعبة كلها تمت خلال اقل من نصف ساعة.

وبعد تحليل الوثائق. اعرب لي مدير التحقيقات عن ارتياحه ورضاه التامين. فقد نالت غنيمتنا تقديراً استثنائياً. ولهذا فإنه بالرغم من ترددي ازاء لوبيز الا أني لم أكن أستطيع أن ألومه أو آخذ عليه أي مأخذ.

وسألني ميشيل بوللان: لكن ماذا لو عاود الاتصال بنا.

فأجبته: تصغي اليه وتكتب تقريراً مع العلم أن لوبيز لن يكن سوى مخبر محترم عارض. وأنه ليس ثمة مصلحة في التردد عليه.

أفكان بوسعي أن أرتاب في أنه رمى لنا طعما وأن الفخ بدأ يصير محكما من حولنا.

في ١٩ ايار (مايو) خلال استعراضنا اليومي للعمل ــ والذي يعلن فيه كل رئيس للشعبة السابعة ما أمكنه الحصول عليه ــ ابلغني ميشيل بوللان أن لوبيز عاد

من رحلة الى المغرب وابلغه ببعض المعلومات التي حصل عليها حول محاولات تقارب بين الملك وبين بن بركة.

كان لوبيز يقوم بمبادرة شخصية محضة. فهو لم يكن مكلفا حتى في الفترة التي كان يعمل فيها لحسابنا بجمع معلومات عن المغرب. كان يعمل لمصلحتنا في أورلي. ويؤمن بعض الاتصالات الجوية مع افريقيا من أجل نقل الوثائق والاخباريات. بمعنى أن تعاونه معنا كان تقنيا وليس سياسيا. لكن ها هو ذا يستيقظ ليقول لنا ماذا يجري في البلاط المغربي. ولم يكن في وسعي أن أشك ـــ وأنا اعلم حسن صلاته بأوفقير وحتى بالملك نفسه ـــ بقيمة مصادره ولذا فقد قررت ان اجري محادثة معمقة مع لوبيز تبين لي بنتيجتها أن الملك الحسن يرغب في ملاقاة استاذه الجامعي القديم (بن بركة) ليتغلب على بعض الصعوبات الداخلية وأنه يعتزم أن يسند اليه منصباً وزارياً على أمل استرضاء المعارضة. وعلى هذا فان الملك يكون قد كلف وزير داخليته وموضع ثقته الجنرال أوفقير. بعملية الاتصال بالزعيم المنفي في مكان من أوروبا.. كما أن شقيق الملك ـــ الذي كان حينذاك في المانيا الغربية ـــ كان مؤهلا ايضا للتفاوض مع بن بركة حول الموضوع نفسه.

وقد راح لوبيز يصف لي بفظاظة وخشونته المعتادة رغبة المغاربة الجامحة في وضع يدهم على بن بركة بالعبارات التالية: إن حاجتهم اليه هي من الشدة والالحاح بحيث انهم مستعدون لدس بريجيت باردو في فراشه اذا كان من شأن ذلك أن يحثه على العودة الى البلاد.

وكان هذا كله يستحق في رأيي أن يبلغ بأقصى سرعة ممكنة الى المسؤولين السياسيين الفرنسيين ولهذا فأنني ابلغت هذه المعلومات كلها الى أحد المحررين في دائرتي ليملأ بها استمارة نشرة اخباريات لتنقل بعد هذا الى الدوائر المختصة وأذكر هنا أن كل محرر من محرري الشعبة يكون في العادة متخصصا في ميدان ما: موشون مثلا كان متخصصا بافريقيا السوداء وشوسه بالشرق الأوسط والمسائل العربية وسواهما باميركا وآخر بالشرق الأقصى الخ. وقد كان شوسه وهو من «زلم» مورفان هو الذي سيكتب أول استمارة أو بطاقة عن بن بركة.

ولما كانت هذه السلسلة من المناورات الهادفة الى اعادة زعيم المعارضة المغربية تبدو لي ـــ برغم كل شيء ـــ غريبة بعض الغرابة فانني لفت نظر اخصائيي المخابرات في نشرة «الاخباريات» التي أرسلتها يوم ١٩ ـــ ٥ ـــ ١٩٦٥ الى

احتمال استخدام أوفقير ووسطه لوسائل «غير مستقيمة» من أجل استرداد بن بركة أو تحييده.

وبالنظر الى انفصال الدوائر داخل المخابرات وعزلتها عن بعضها بعضا ونتيجة لتخصيص دوائرها وشعبها فان دوري كان ينتهي عند هذا الحد. فلم يكن لي أن استخلص خلاصات بل أن أقدم المواد الخام واترك لآخرين مهمة استخلاص النتائج واقترح الوسائل والتدابير التي يرونها مناسبة. المهم أن نشرتي ذهبت مباشرة الى الدائرة الجغرافية وبالضبط الى الكولونيل ريتشارد رئيس القسم ١/٣ (الشؤون العربية). وهذه النشرة لا تلقي في سلة المهملات بل تسجل وتصور وتحفظ في ارشيف «ميكروفيلم» وقد حظيت نشرتي بالعلامة «ب ا» وهي أحسن علامة تمكن ان تحظى بها معلومات يقدمها «مخبر محترم عابر».. لكن ماذا سيفعل الكولونيل ريتشارد بهذه الرسالة التي أرسلت في اليوم نفسه الذي تلقينا فيه المعلومات.. اذا رآها مفيدة فله أن يستخلص منها ملاحظة ويرسلها الى الحكومة. كما أنه يستطيع اذا بدا له أن «الاخبارية» على قدر كاف من الأهمية أن يطلب البدء بعمل تنفيذ مباشر فيطلب اليّ مثلا أن اقوم وبالسرعة القصوى بتحريات اوسع حول هذه القضية وأن اتابع الاطراف الرئيسيين فيها ثم وبخاصة أن اتحرى ما اذا كان بن بركة معرضا لأي خطر.

اما اذا اعتبر أنه لا طائل في نشرة اخبارياتنا فانه يستطيع الاكتفاء بتصنيفها دون أن يتبع ذلك بشيء. الا أنه لا بد له حتى في هذه الحالة أن يبلغني باستلامه لها.

لكن ما الذي حدث...

خلافاً للقواعد والاصول المعمول بها فأنني لم أتلق أي تقييم أو أي توصية ولا حدثت اي ردة فعل في الدوائر العليا من المخابرات ولا بد ان احداً لا يريد ان يسلط النور على هذه القضية. ولا اهتم احد بالتحذير الذي وجهته حين تحدثت عن وسائل «غير مستقيمة» في الاتصال ببن بركة. والحال هو أن العد العكسي كان قد بدأ بالنسبة الى الزعيم المغربي المنفي. فبين ايار (مايو) وآب (اغسطس) قام لوبيز باربع رحلات الى المغرب وتشاور مع أوفقير دون الرجوع الينا بالرغم من أنه يصادف معاوني ميشيل بوللان يومياً في أورلي وقد اقتضى الامر مرور أربعة أشهر على التقرير الاول. (٢٢ ايلول ــ سبتمبر ١٩٦٥) لكي يحذرني ميشيل بوللان بان لوبيز عاود الكلام عن بن بركة وقد افضى اليّ بأن الجنرال أوفقير عهد الى فريق

خاص للقيام بمحاولة «اقتراب» من زعيم المعارضة المغربية. ووفقا للوبيز فإنه جرت محاولتان مماثلتان من هذا النوع وفشلتا: واحدة في القاهرة والاخرى في جنيف. وقد عدد لوبيز في مذكرة كتبها عن الموضوع اسماء اعضاء هذا الفريق.

كانت غالبية الاشخاص الذين سيضلعون في اختطاف بن بركة واردة في تقرير لوبيز الذي يتحدث عن الدليمي رئيس الامن المغربي الذي يشرف على نشاطات من قبل حكومة الرباط وفرنسيين بينهم فيليب برنيه-وهو صحفي نزيه وجورج فيغون «الكيماوي»..

بل إن لوبيز حدد لنا الذريعة التي سيتذرع بها «الفريق الخاص» ليتصل بين بركة. فبرنيه سيقدم فيغون الى بن بركة كسينمائي يريد أن ينتج فيلماً حول الحركات الثورية بمعونة ونصح وتوجيه زعيم منظمة القارات الثلاث. وهو مشروع من شأنه أن يكون «طعماً» او شركاً يقع بن بركة فيه لا بل اننا كنا نحوز نتيجة لما افضى به لوبيز اسما آخر سيتضح فيما بعد أنه هام جداً هو اسم ليمرشان الذي سهل شكليات سفر برنيه وفيغون الى جنيف أحد أمكنة اللقاء مع بن بركة.

ولم أكن أعرف شخصياً من هو ليمرشان ولا كان معاونيَ بوللان يعرفه كما أن لوبيز لم يفض بالكثير عنه فلم يقل لنا أنه محام ديغولي قاد شبكات التجسس ضد منظمة الجيش السري في نهاية حرب الجزائر وبالرغم من أن المعلومات الاولى التي قدمتها في ١٩ ايار (مايو) حول المحاولات المغربية ازاء بن بركة لم تحظ بأي ردة فعل وبالرغم من أنني استنتجت من ذلك أن ادارتي لا تولي هذه القضية أي اهتمام الا أنني مع هذا كتبت لفوري يوم ٢٣ ايلول (سبتمبر) «نشرة اخباريات» جديدة تشمل على كافة الاسماء والمعلومات التي قدمها لوبيز. بل أننا كنا نملك عناوين برنيه وفيغون في باريس. كان من المستحيل أن يقال عن المذكرة التي قدمتها انها تقرير من وحي الخيال ــ كما قيل مؤخراً عام ١٩٨٠ في حالة اخرى مماثلة (يقصد الحادثة التي قضى فيها الوزير الديغولي دوبروغلي واتهم فيها وزير الداخلية السابق بونيا توفسكي بالاهمال) وأنه بالتالي لا يستحق أن يعار ادنى اهتمام... فقد كان في هذا التقرير لحمة المأساة التي تعد وتحدد هوية بعض المسؤولين اذ حتى اذا كان لوبيز اخفى عنا الجانب الاساسي وحتى اذا كان قد زور معلوماته وحتى لو كان قد باح بنصف مما لديه ليغطي نفسه كما سيتبين فيما بعد الا أنه كان بين يدينا ما يكفي من المعلومات لكي نتحرك.

في هذه المرة وصلت نشرة اخبارياتي تاريخ ٢٢ ايلول (سبتمبر) بعد

تحريرها بنصف ساعة الى مكتب مدير الابحاث الكولونيل بومونت ذلك أن بومونت كان قد اصبح الرجل القوي في المخابرات نتيجة ضعف جاكيير كان بومونت يطلب أن يقرأ التقارير قبل جميع العاملين وأن يرى كل شيء بنفسه قبل أن يحيل التقارير الى الدوائر المختصة او يقرر التوسع في المعلومات. وعلى هذا فان بومونت كان يمسك بين يديه نشرة يوم ٢٢ ايلول (سبتمبر) الشهيرة التي تشير الى نشاطات مشبوهة «لفريق خاص» يتألف من مغاربة وفرنسيين ويسعى للاتصال بين بركة والحق كانت لدى بومونت أوراق أخرى من غير الشعبة السابعة ليعرف حقيقة الاشخاص الذين يشير اليهم التقرير: برنيه فيغون ليمرشان وهو يستطيع العودة الى بطاقاته وان يطلب المزيد من المعلومات وأن يبدأ تحقيقاً...

وعلى أي حال فان بومونت ثعلب عتيق وهو أدهى من أن يجهل قيمة معلوماتنا.. والواقع أن القضية اثارت بومونت فقد حول النشرة الى الدائرة الجغرافية للتحليل لا أنه أرسل في الحين ذاته نسخة مصورة عنها الى رئيس شعبة مكافحة التجسس الكولونيل دلسيني.

والواقع أن الفكرة كانت ممتازة ذلك أن دلسيني كان على صلة بمختلف دوائر البوليس: الأمن الوطني الأمن العسكري الشرطة.. الخ. وكان بامكانه الوصول الى محفوظاتهم وبطاقاتهم ويستطيع أن يعرف الكثير عن نسب الاشخاص المدرجة اسماؤهم في النشرة وبالتالي أن يعد نبذة عن سيرتهم وتاريخ حياتهم ويقدمها لمدير الابحاث الامر الذي لم أكن استطيعه أنا.

ولو جرى ذلك لتبين أن الدليمي رئيس البوليس السياسي المغربي هو روح أوفقير المتفانية وأن برنيه مهتم باليسار الثوري في العالم الثالث وأن ليمرشان حرك جواسيس وقطاع طرق ابان حرب الجزائر ثم لتبين بخاصة أن فيغون الذي يحميه ليمرشان ليس كيماويا كما يقول لوبيز وأنما مجرم محكوم بعشرين سنة لاطلاقه النار على البوليس وأنه تعلق بعد خروجه من السجن بعصابة جو عطيه الذي نراه غالباً مع بوشيش وني ودوبيل وباليس وكافة اللصوص الذين سنراهم يعملون في قضية بن بركة. وسيظهر أن فيغون قام معهم بعمليات نصب واحتيال ذهب ضحيتها معمرون فرنسيون في المغرب والجزائر كانوا يسعون لترحيل ارزاقهم الى فرنسا. في تلك الفترة قام هؤلاء باللعبة التقليدية. كانوا يقدمون انفسهم للمعمرين على أنهم يستطيعون تهريب المال سراً الى فرنسا مؤكدين انهم يعملون لقاء عمولة نزيهة تتراوح بين ١٠ و ٢٠ بالمئة وكانت الامور تجري على هذا النحو مرة أو مرتين الى

أن يطمئن المعمر اليهم ويقدم معظم ما لديه فيقسم هؤلاء اللصوص بشرفهم أن المحفظة سرقت وقد يعود البائس اليهم مرة أخرى فيتبخر المال مرة اخرى.

أن رؤية أناس كهؤلاء في سباق محاولات المغاربة الاقتراب من بن بركة كانت تكفي للوصول بسرعة الى بوشيش وعصابته ثم يا له من تواطؤ مدهش بين البوليس المغربي وبين اللصوص الفرنسيين.

لكن ماذا فعل من كان في وسعهم عندنا أن يقوموا بالتحقيق.

كان ثمة ثلاثة رجال داخل المخابرات الفرنسية يوم ٢٢ ايلول (سبتمبر) — أي قبل اختطاف بن بركة بشهر — يملكون القدرة على استغلال «نشرة اخبارياتي»: مدير التحقيق الكولونيل بومونت ورئيس مكافحة التجسس دلسيني ورئيس قسم الشؤون العربية العقيد ريشارد الذي كان يستطيع هو الآخر أن يطلب فتح تحقيق.. لكن ماذا فعلوا.. لا شيء للمرة الثانية ولم تأتني منهم تعليمات ولا توجيه ولا تعليق. فبومونت لم يكن يلح الا ليعلم المزيد. اما دلسيني فسيقول فيما بعد: أن الامر غامض لكنه لم يستطع ابان العطلة أن يمضي في القضية الى آخرها نتيجة لقلة العاملين. والحق أنه لم يحاول أن يعرف من هو ليمرشان ذلك الفرنسي الغامض الذي يدير الفرنسيين الذين يلاحقون بن بركة غير أن رئيس الوزراء آنذاك جورج بومبيدو سيقول متباهيا أمام الجمعية الوطنية بعد خطف بن بركة أنه أمر باجراء تحقيق مفصل.

وكانت النتيجة أنه: «جرى امتحان كافة الوثائق واحدة واحدة منذ شهر ايار (مايو) ١٩٦٥ — تاريخ وصول أول معلومات من لوبيز — الى حين الاعتداء على بن بركة واستطيع أن أؤكد هنا أنه لم تظهر في أي وثيقة في أي لحظة ولا بأي شكل ادنى اشارة تظهر وجود خطر ما مخيم على بن بركة. ولقد لوحق جان دو بروغلي مدة ستة اشهر من قبل فريق من القتلة والجواسيس القدامى.. وكانت ثمة معلومات تتيح لو استغلت تجنب مقتله إلا انها لم تستغل ولم تحمل محمل الجد. لكن وزير الداخلية الحالي كريستيان بونيه راح يحلف بشرفه أن سلفه (بونيا توفسكي صديق الرئيس جيسكار ديستان) لم يكن يعلم شيئا عما يحاك.

من بن بركة الى دوبروغلي ومن بولفارسان جرمان الى شارع الدردانيل: أنه التاريخ يعيد نفسه وتبقى المخابرات هي المخابرات سر من أسرار الحياة..

التحقيق مع المهدي قبل تصفيته:

لأول مرة تنشر الأسئلة التي عثر عليها في منزل جورج فيغون وهي عبارة عن ٢٤ سؤآلا كان من المفروض أن تطرح على المهدي بعد اختطافه ليجيب عليها ولو استدعي الأمر لاستعمال القوة معه خصوصا للحصول على اجابة منه على الأسئلة رقم (١٥) ورقم (١٩) ورقم (٢٢) و ٢٣ و ٢٤) ولكن خوف أوفقير في حينه جعله يستعجل تصفيته قبل توجيه أي سؤآل له من هذه الأسئلة:

١ ـ لم تعلن الحكومة المغربية ابدا أن التظاهرات التي جرت في الدار البيضاء كانت بوحي من جهات اجنبية فهل جرت تلك التظاهرات بوحي من الجهات المذكورة فعلا أم أن الاتحاد الوطني للقوات الشعبية هو الذي نظمها ودفع الاساتذة والطلاب الى خط النار.

٢ ـ انك تعرف أن الاتحاد المغربي للشغل نظم سلسلة من الاضرابات بعد تظاهرات مارس مباشرة فهل كان الغرض من هذه الاضرابات دعم التظاهرات أم انها كانت ستاراً لتغطية موقف الاتحاد المغربي للشغل امام الجماهير.

٣ ـ صحيح أن المدن الأخرى لم تستطع تنظيم تظاهرات مماثلة ربما نتيجة للاجراءات الصارمة التي استخدمت في الدار البيضاء ولكن النزاع المغربي الجزائري على الحدود في الوقت نفسه كان من الممكن أن يخيب آمال القوات الملكية الامر الذي ربما ادى الى قلب النظام القائم في المغرب.

وكان من الممكن للقوات المغربية في الجزائر أن تتدخل على الاقل لحماية الاتحاد الوطني للقوات الشعبية والتظاهرات فالى أي حد في رأيك دعم بن بلة هذه القوات.

٤ ـ ما هي آخر اوضاع الجيش المغربي في الجزائر وهل تعتقد أن الرئيس بومدين سيؤيد هذا الجيش كما ايده بن بيلا.

٥ ـ هل الجزائر وحدها هي التي تزود هذا الجيش بالاموال اللازمة. وكيف يجري تدريب الجيش المذكور وما هي اسماء قادته.

٦ ـ اذا قطع الرئيس بومدين مخصصات هذا الجيش فالى أين سيتوجه. وما هو البلد الذي سيلعب دور الجزائر.

٧ ـ هل صحيح أن الجمهورية العربية المتحدة تزود الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بمساعدات غير مشروطة.

٨ ـ بالاضافة الى الصحافة والاذاعة من أين تحصلون على معلوماتكم عن اوضاع المغرب واحواله.

٩ ـ هناك اشاعة تقول أن تقاربا حدث في الشهر الأخير بين الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وإن من الممكن أن يشترك الحزب في حكومة ائتلافية فما رأيك في ذلك.

١٠ـ من جهة اخرى هل أنت على اتفاق تام مع الزعماء الآخرين للاتحاد الوطني للقوات الشعبية حول ضرورة سحق النظام الملكي وهل تحافظ على الاتصال المستمر معهم.

١١ـ ما هو على وجه الدقة وضع الاتحاد المغربي للشغل في رأي حزبك. وهل باستطاعة المحجوب بن الصديق الموافقة الكاملة على اسقاط النظام المغربي.

١٢ـ هل انشأت منظمات عسكرية سرية خارج الحزب لاضعاف النظام الملكي ومن يدير هذه المنظمات ويدعمها.

١٣ـ من يقود هذه المنظمات ومن يصدر الاوامر لها. واذا كانت قائمة فعلا فلماذا لا تمارس نشاطاتها وهل تتمتع هذه المنظمات بتأييد الشخصيات المدنية والعسكرية البارزة في المغرب.

١٤ـ هل تآمرت ذات مرة لاغتيال الملك الحسن الثاني وفي أية مناسبة. هل توافق على مثل هذه المحاولة في الوقت الحاضر.

١٥ـ هل خزنت اسلحة في المغرب لمساعدتك في تنظيم ثورة مسلحة.

١٦ـ ما هي أنواع المساعدات التي تحصل عليها من الدول الاشتراكية العربية الأخرى.

١٧ـ ما هي على وجه التحديد طبيعة علاقتك الأخيرة بالرئيس الجزائري بومدين. هل ما يزال على استعداد لتزويدك بنفس التأييد الذي كنت تتلقاه من بن بله.

١٨ـ هل تعتقد بوجود امكانية للاتفاق مع الحسن الثاني. واذا كان هذا الاتفاق ممكناً فعلى أية شروط.

١٩ـ هل حصلت على تأييد بعض ضباط الجيش الملكي الذين يستطيعون

بناء على أوامرك القيام بانقلاب عسكري في المغرب.
٢٠ـ هل حصلت أيضا على تأييد بعض ضباط الشرطة.
٢١ـ ما هي مشاريعك السياسية للمستقبل.
٢٢ـ هل تعتقد أن الزعماء الآخرين للاتحاد الوطني للقوات الشعبية قادرون على تنظيم الجماهير وحشدها ضد النظام الملكي.
٢٣ـ ماذا فعل هؤلاء الزعماء في الخارج.
٢٤ـ عدد اسماء رؤساء الدول الذين يؤيدون حركتك الثورية.

وبعد الاطلاع على هذه الاسئلة التي أعدت في مبنى وزارة الداخلية المغربية وانتقلت مع فريق التنفيذ الذي رأسه أوفقير بنفسه الى باريس وسلمت الى فيغون وبقيت معه حتى قتل بعد تنفيذ التصفية وهذه الأسئلة خير دليل على ضلوع المسؤولين المغاربة في تصفية الشهيد المهدي بن بركة...



عبد القادر بن بركة ـ شقيق المهدي بن بركة وزوجته يدخلان قصر العدل في باريس.

المخابــرات الفرنسية

من أعمال المخابرات الفرنسية برئاسة الكولونيل اليكساندر دومارانش



رئيس المخابرات الفرنسية الكسندر دومارانش أقاله الرئيس ميتران.

من أعمال المخابرات الفرنسية:

جاء في الجزء الأول من كتاب المخابرات والعالم أن الكولونيل اليكسندر دومارنش أصغر رئيس مخابرات عامة في دول أوربا هو رئيس المخابرات الفرنسية كان قد تعرض لبعض الهزات من السياسيين لنقله من مركزه ولكنه تخطى جميع هذه الهزات بثبات من عهد الرئيس الراحل ديغول الى عهد بومبيدو ثم عهد جيسكار ديستان وكان بعض مثيري هذه الحوادث ضده يريدون أن يقدم استقالته من رئاسة المخابرات الفرنسية ولكن يظهر أنه لا ينوي تقديم استقالته طالما أنه يقف على أرض ثابته أو على الأقل فإنه ينوي البقاء في مركزه حتى التقاعد.

عودة الى المنظمة السرية (O A S):

منذ انشاء (الشعبة الثانية) أي المخابرات في فرنسا عام ١٩٣٦ كان من أهدافها مراقبة اليمين واليمين المتطرف وبشكل عام القضايا السياسية الرئيسية حتى عام ١٩٦٠ حيث أصبحت المخابرات الفرنسية باشراف المفوض جان كاي والكسندر سانفينيتي وروجيه فراي الذي كان (وزيرا للداخلية) أما رئاستها فللكولونيل اليكسندر دومارنش كما أسلفنا وقد أنيط بالمخابرات الفرنسية ابان الحرب الجزائرية مهمة تكليف عملائها ومخبريها بالتسلسل الى صفوف المنظمة السرية الارهابية التي كانت (تعارض) منح الجزائر استقلالها وذلك لمعرفة ورصد المعلومات عن تحركات أعضاء المنظمة وأسماء وعناوين أعضائها ومن بين هؤلاء المخبرين شخص يدعى بيار دوفارغا أعطيت له هوية (لاجيء بلغاري) استعملها (كارت بلانش) لدى زعماء اليمين المتطرف لكونه من أعداء الشيوعية وتعرف أثناء عمله مع الشعبة على المفتش الاقليمي ريمون بوشي (المتقاعد حاليا).

ويعترف بوشي بأنه على معرفة بدوفارغا منذ ما قبل عام ١٩٦٣ بحيث كان يتعاون معه بالتحقيقات الادارية في معاملات الاقامة العائدة للأجانب ثم توقف عن

الالتقاء به حتى اتهم بالتزوير عام ١٩٧٣ ولم يعد يراه بعد ذلك.

أما الوثائق فتقول أن العلاقة بين بوشي ودوفارغا كانت أوثق مما يدعي بوشي وتعود هذه العلاقة الى عام ١٩٥٦ عندما كانا لا يفترقان في السهرات نظرا لموقفهما المعادي للمنظمة السرية وبقية العلاقة بين الأثنين وطيدة حتى وقت قريب وفي مجالات البناء والأراضي...

اغتيال الأمير جان دوبرولي بمعرفة المخابرات الفرنسية:

الأمير جان دوبرولي أحد أبرز شخصيات النظام الديغولي وكان بنفس الوقت مليونيرا كثير المال كثير الأسرار يملك شركة الاستثمارات الصناعية والتجارية التي أسسها في عام ١٩٦٩ وأطلق عليها اسم (شركة برنكوم) وكان عمل هذه الشركة ينحصر في التوسط بين الشركات الغربية الكبرى وعدد من الدول العربية أبرزها (الجزائر) وكان دوبرولي يتقاضى الملايين عن الصفقات المعقودة بين الجانبين وقد أشيع أن شركته تقوم بالوساطة السياسية أيضا حيث عرضت احدى الدول العربية مبلغ ٧ ملايين فرنك لدعم الحملة الانتخابية لصالح الرئيس جيسكار ديستان وأن هذا المبلغ دفع بالفعل بواسطة شركة برنكوم أي الأمير دوبرولي ولكن المرسل اليه لم يستلم المبلغ حيث رفض المبلغ من قبل الرئيس ديستان فاختفى المبلغ وأن الحكومة العربية المعنية انزعجت كثيرا من عدم اعادة المبلغ.. وهذه علامة استفهام أولى

الاغتيال:

نتيجة ما وصل اليه الأمير دوبرولي من نجاح حيث تألق نجمه في المجتمعات المالية والاجتماعية والسياسية كان الكولونيل اليكسندر دومارنش يرصد حركاته وصعوده المذهل منذ أيام الرئيس الفرنسي الراحل جورج بومبيدو حيث قدم الكولونيل دومارنش توصية شخصية للرئيس بعدم تسليم الأمير دوبرولي أي منصب سياسي ونفس التوصية قدمها الى الرئيس السابق جيسكار ديستان فلم يحظ دوبرولي بأي منصب سياسي يرضي طموحه ولكن أعداءه كانوا له بالمرصاد تمكنوا من اغتياله في الفيللا التي يملكها فثارت جميع أجهزة الأمن الفرنسية وعلى رأسها المخابرات الفرنسية برئاسة دومارنش الذي كان يحسب لهذه النهاية ألف

حساب أما التحقيق القضائي الرسمي فقد اتهم اثنين من شركائه بتدبير مؤآمرة الاغتيال كما اعتقل شرطي بتهمة المساهمة بالقتل.

ورغم الضجة التي أثيرت حول عملية الاغتيال بحد ذاتها والأسئلة التي طرحت حول أسباب السكوت الرسمي عن ارتباطات الأمير ومشاكله الخاصة فإن الكولونيل دومارنش رئيس المخابرات الفرنسية الذي نبه الرؤساء عن الأمير كان من المفروض اطلاع السلطات الأخرى على الخطر المحتمل لتأمين الحماية الشخصية للأمير ولكنه لم يفعل مما عرض مركزه للاهتزاز لأول مرة.

وهكذا طفت قضيتان عن الاغتيال الأولى مهددة بالضياع والاختفاء في مجاهل التحقيقات الرسمية تماما كما حدث في الفضائح السياسية البوليسية السابقة كاغتيال الزعيم المغربي المهدي بن بركة وعملية التجسس على مجلة (لوكانارانشيني) المعارضة وباختصار القضية الاولى تلخص بسوآلين:

١ ـ من أمر بقتل الأمير جان دوبرولي.

٢ ـ ما هي الغاية من قتله ولماذا..

أما القضية الثانية فتشبه قنبلة موقوته يحترق فتيلها رويداً رويداً منذ اغتيال الأمير وتكاد تنفجر تاركة المزيد من الجثث في الشارع.

فمنذ اغتيال دوبرولي والذعر يسود دوائر المخابرات الفرنسية نفس الدوائر التي كانت تعج بالأمس بالحركة تحت حماية دومارنش وكبار ضباطه أما اليوم فإن الجميع لجأوا للهرب أو للعمل تحت الأرض وبعضهم سافر الى لندن وبروكسل أو الى الريف بحجة قضاء الاجازات المتراكمة والكل يخشون شيئاً واحداً: رصاصة في الظهر من قبل قدماء المنظمة السرية (O A S) الذين كانوا يطاردونهم ابان حرب الجزائر وبعدها.

بعد اغتيال الأمير دوبرولي بساعتين أمر الكولونيل دومارنش رجاله باعتقال (دوفارغا) ولدى اعتقاله وتفتيش منزله عثروا على مستندات ولائحة تضم عدة أسماء من بينها اسم المفتش (بوشي) والأسماء الثلاثة الآتية:

١ ـ روبرت دفيورم أوروبرت ألفييت الذي ورد اسمه على هذه اللائحة وهو مرتبط بقضية السندات المزورة عام ١٩٧٤ التي كان من ضحاياها شركة داسو وشوارتز هومون وسونييه دوفال وفي صيف نفس العام ورد اسمه مع أحد أصدقائه الموظف في الشعبة الثانية خلال التحقيق بصفته من تايلاند لشراء معدات عسكرية أميركية لحساب

رجل معروف برأس شركة تجارية (صاحبها الأمير دوبرولي) نفسه.

٢ ـــ جوزف لاسكورز الذي حكم عليه بالسجن ثلاثة أعوام عام (١٩٧٠) بتهمة ادارة شركة احتيال وابتزاز ضد الشخصيات الكبرى.

٣ ـــ برنييه أحد أعضاء عائلة من المهاجرين الفرنسيين العائدين من الجزائر ومهمته كانت (منع) الجالية اليهودية من الانخراط في المنظمة السرية وكان عمله لحساب الديغوليين.

وكان هؤلاء قد أفلتوا من المنظمة السرية ومن أجهزة الأمن لعدم الاشتباه في عملهم.. أما منذ مصرع دوبرولي والتحقيقات التي أمكن التوصل اليها فإن دورهم انكشف وأصبحوا معرضين لخطر الموت من قبل قدماء المنظمة السرية الذين يعتبرونهم (خونه) يجب تصفيتهم لما قاموا ضد القضية (أي قضية خروج فرنسا من الجزائر) التي كانت منظمة الجيش السري (O A S) تعارضها ومن المعروف عن فرنسا أنها بلد المتناقضات ولذلك فإن المؤآمرات والاغتيالات سهلة بوجود المال يحول بجميع من جاء اسمه في لائحة دوفارغا الى جثث متحركة بانتظار ساعة الانتقام أو كما يقول أحد المطلعين على تحركات اليمين المتطرف قبل عشر سنوات كان الانتقام متوقعاً ومعروفاً من أية جهة أما اليوم فإن كل شيء مرشح للذوبان نتيجة عدم معرفة الدافع وأن كل ما قيل يبدو مبالغاً فيه لكن الواقع يفرض الحيطة ولعل هذا ما دفع موظفي المخابرات الى الاختباء مؤقتاً عن الأنظار وهم يعرفون أن وزيرهم بويناتوسكي لا يجهل أوضاعهم خاصة منذ أصبح الحكم بين يدي حزب الجمهوريين المستقلين وخلافهم (أي ضباط المخابرات) مع الديغوليين الذين لا يزالون يسيطرون على مختلف أجهزة الحكم منذ أيام الرئيس الراحل الجنرال ديغول.

ومشكلة العاملين في جهاز المخابرات سواء كانوا عسكريين أم مدنيين تشبه مشاكل جميع العاملين في قطاعات الشرطة السرية (وأسمها في البلاد العربية المباحث الجنائية) في العالم لكونهم محط أنظار الناس نظرا للمعلومات التي يملكونها والسلطة الموضوعة بين أيديهم وهي (سلطة اعتقال الناس نتيجة تقارير المخبرين).

ولا شك أن عملية تطهير محدودة في المخابرات الفرنسية قد تكون مفيدة وتخفف من وطأة اغتيال الأمير دوبرولي بحيث يتخطى التطهير (الرأس دومارنش) ومما يزيد في صعوبة ايجاد حل لعملية الاغتيال كون الأمير دوبرولي كثير

الأسرار على الصعيدين السياسي والمالي نتيجة اشرافه على عدة شركات لا تعرف هي نفسها نشاطاتها سواء في الداخل أو الخارج.

وأخيراً التغطية على الاغتيال:

بعد المداخلات الرسمية والقضائية تقرر حسم موضوع اغتيال الأمير دوبرولي بأن تصدر وزارة الداخلية اعلانا عن الاغتيال وفعلا صدر الاعلان يقول إن الاغتيال يعود لخلاف بين الشركاء وبخصوص تصفية ديون بين دوبرولي وشريكيه السابقين (والمعتقلين) تحت التحقيق.

ونحن نقول أن الأمير كان يملك الكثير من الأسرار غير موضوع شريكيه ولا سيما موضوع الملايين العربية التي أرسلت ابان انتخابات ديستان وضاعت لذلك تمت تصفيته وأغلق ملف قضيته...



لرئيس فرانسوا متيران منع تنصت المخابرات على التلفونات إلا باذن قضائي معلل.

— أذاعت محطة لندن بتاريخ ١٩٨١/٥/٣٠ أن الرئيس فرانسوا ميتران أصدر أوامره الى المخابرات الفرنسية بحصر التنصت على المخابرات الهاتفية للعملاء والجواسيس وبأذن قضائي لأنه نفسه كان ضحية المخابرات الفرنسية عندما كان يرأس الحزب الاشتراكي المعارض التي كانت تستمع الى مخابراته الهاتفية وتسجلها وتقدمها للرئيس ديستان صباح كل يوم على طبق من مخابرات...

المخابـرات الفرنسيـة تدافـع عـن نفسهـا:

إعلان الحرب
بين المخابرات الأميركية والمخابرات الفرنسية؟



المخابرات الفرنسية وجهاً لوجه مع المخابرات الأميركية:

من المعروف أن لكل مخابرات في العالم مصالح في مختلف الدول الأخرى فيوضع في هذه الدولة أو تلك عملاء أو جواسيس أو ضباط مقيمين حسبما لها من أعمال تود الاطلاع عليها أو تسييرها والمخابرات الفرنسية لها العديد من المصالح في الولايات المتحدة استدعت تعيين الكولونيل (بول فورير) حيث أعطي أسماً حركياً هو اسم (الكولونيل بول فورنييه) وكانت مهمته تنسيق أعمال المخابرات الفرنسية في أميركا بالاتفاق مع المخابرات الأميركية مع احتفاظه بالاشراف على نشاط الجواسيس والعملاء الفرنسيين في مختلف أنحاء العالم ومن أعماله قيامه بفضح السفير الأميركي في مالاغاسي بالتآمر والتجسس على هذه الدولة الأفريقية الصغيرة التي تتمتع فرنسا بنفوذ كبير فيها مما أدى الى طرد السفير الأميركي منها وجعل المخابرات الأميركية تنقم على الكولونيل فورنييه وتتحين الفرص للايقاع به ولم تعدم المخابرات الأميركية الوسيلة في مثل هذا الأمور حيث لها الباع الطويل منذ تأسيسها في تلفيق التهم لكل من تود الانتقام منه وحتى القضاء الأميركي فإن المخابرات تسيره لتنفيذ مخططاتها لكي تظهر المؤآمرات على الأشخاص وكأنها قانونية.

عملية تهريب: وصلت السفينة التجارية الفرنسية (كونياك) الى مرفأ (بورت اليزابيث) الأميركي وأخذت الضابطة الجمركية (لين بيليتيه) تقوم بتفتيش سيارة (فولكسفاكن) أنزلت من على ظهر الباخرة حيث عثرت في مخابيء خاصة وسرية في هذه السيارة على كمية كبيرة من الهيروين قدرت فيما بعد قيمتها بـ ١٢ مليون دولار.

وعندما تقدم صاحب السيارة وهو فرنسي يدعى (روجر ديلوويت — ٤٨ سنة) للمطالبة باستلامها ألقي القبض عليه وأحيل حسب القانون الأميركي للتحقيق من قبل المدعي العام لولاية نيوجرسي وقد بدأ المدعي العام (هربرت ستيرن) باستجوابه فانهار بسرعة واعترف بأن الكولونيل (فورنييه) ممثل المخابرات الفرنسية في الولايات المتحدة هو الذي طلب منه أن يقوم بتهريب الهيروين الى

الولايات المتحدة مقابل أجر قدره (٦٠ ألف دولار) وقال أيضا في اعترافه بأن الكولونيل فورنييه سبق أن طرده من المخابرات الفرنسية منذ عدة سنوات ولكنه عاد للاتصال به في العام الماضي للحادثة ولكن ليس لاعادته الى الخدمة بل لتكليفه بمهمات جديدة وبعد ذلك عرفه على عدد من مهربي المخدرات وبناء لتعليماته قال المتهم طرت الى نيويورك حيث كان من المقرر أن أتسلم سيارة فولكسفاكن سترسل الى هناك بطريق البحر وكانت هذه السيارة لأشخاص معينين في القنصلية الفرنسية وبعد ذلك أصدر النائب العام أمراً بتوقيفه رهن المحاكمة واستكمال التحقيق.

اتهام الكولونيل فورنييه وطلبه للمثول أمام النائب العام:

بعد توقيفه واعترافه اختفى الكولونيل فورنييه من الولايات المتحدة فأصدر النائب العام أمرا للمباحث العامة والمخابرات باعتقاله اذا وجد في الولايات المتحدة ولكن تأكد أنه غادر البلاد بطريقة غير مشروعة (رئيس فرع مخابرات يزود عملاءه بالجوازات المزورة من المفروض أنه غادر الولايات المتحدة باحدى هذه الجوازات المزورة) وقد انتقلت القضية للصحف الأميركية التي نشرت الحادثة ونشرت أيضا أن القضاء الأميركي سيطلب من الأنتربول (البوليس الدولي) استدعاء فورنييه باسمه الحقيقي من فرنسا للتحقيق معه وهكذا انفجرت الحرب ولكن بشكل خفي بين المخابرات الأميركية التي دفعت القضاء لطلب استدعاء فورنييه وبين المخابرات الفرنسية التي أوعزت الى الحكومة الفرنسية بتجاهل جميع التهم الموجهة الى فورنييه ورفض تسليمه الى الولايات المتحدة لمحاكمته أمام القضاء الأميركي.

في بادىء الأمر ساد الاعتقاد بأن العملية لا تعدو كونها أن رجل المخابرات الفرنسية (فورنييه) قام بالعملية التي ينسبها اليه الأميركيون لتحقيق ربح شخصي مستغلًا وضعه كرجل مخابرات ولكن ما لبث أن تبين أن الوضع أخطر من ذلك بكثير.

فقد اتضح أن الكولونيل فورنييه هو الشخص المسؤول عن عمليات التجسس الفرنسية في أميركا وغيرها وأن المخابرات الأميركية قد قررت الانتقام منه لتشويه سمعته من جهة وسمعة المخابرات الفرنسية (وقد أكدت السلطات

الفرنسية ذلك بالفعل) لأعمال اقترفها ولم ترض عنها المخابرات الأميركية ومنها كما ذكرنا فضحه لسفير أميركا في مالاغاسي لذلك قررت المخابرات الأميركية الايقاع به عن طريق اتهامه بتهريب المخدرات.

وقد رفضت السلطات الفرنسية كل المحاولات التي بذلتها الولايات المتحدة لتسليمها فورنييه وقالت بكل صراحة أنها تعتبر رجل مخابراتها (بريئاً) من كل التهم التي وجهت اليه وهي لا ترى داعياً أو مبرراً لتسليمه للقضاء الأميركي بل هي تؤكد أن المخابرات الأميركية هي التي نسجت المؤآمرة ضده وضد المخابرات الفرنسية.

وبالمقابل ردت المصادر الأميركية على ذلك فقالت أن لديها من الأدلة والبراهين ما يكفي لادانة فورنييه وهي تتحداه بأن يتوجه الى الولايات المتحدة ويمثل أمام القضاء الأميركي اذا كان بريئاً حقاً وثمة رواية أخرى رددتها المصادر الأميركية ومنها الصحف تقول أن الصراع الداخلي داخل المخابرات الفرنسية هو المسؤول عن هذه الفضيحة وأنه من المحتمل كثيراً أن يكون بعض الموظفين الذين قرر الرئيس بومبيدو و (في حينه) ابعادهم عن المخابرات الفرنسية هم الذين دبروا هذه القضية ضد فورنييه لتشويه سمعة المخابرات الفرنسية في عهد بومبيدو. وأمام هذه الروايات المتضاربة خرج خبراء المخابرات بنتيجة واحدة وهي حدة الحرب بين المخابرات الأميركية والمخابرات الفرنسية.

ومن المعروف أن المخابرات الفرنسية خلال السنوات العديدة التي انقضت على تشكيلها تعرضت الى حملات واتهامات عديدة شرحناها في الجزء الأول من الكتاب وكان أهم الذين وجهوا اليها اصابع الاتهام الرئيس الراحل الجنرال ديغول وعلى كثرة هذه الحملات فان المخابرات الفرنسية لم تتعرض الى حملة أقسى وأعنف وأشد تأثيراً من هذه الحملة التي تقودها ضدها المخابرات الاميركية وان عدة مخابرات تعرضت لحملات مماثلة من المخابرات الأميركية ولكن الحملة ضد المخابرات الفرنسية كانت أعنفها جميعاً.

عودة الى التحقيق مع ديلوديت مسبب الفضيحة:

بعد اعتراف ديلوديت بأنه نقل الهيروين لصالح فورنييه جرت ادانته قضائياً وللتثبت أكثر أجرى المدعى العام هربرت ستيرن عليه اختبارين بواسطة جهاز

كشف الكذب لمعرفة مدى روايته من الصحة وقد اجتاز ديلوديت الاختبارين بنجاح وأثبت أنه صادق في اعترافاته وعلى الأثر اتصل ستيرن بوزارة العدل الفرنسية وحضر الى باريس بجرأة نادرة وطلب مقابلة بعض المسؤولين الفرنسيين ومقابلة المتهم فورنييه نفسه في عقر داره ولكنه أجيب في باريس بأن فورنييه (بريء) وأنه موظف كبير في المخابرات الفرنسية وأنه ليس هناك أي مبرر لعقد مقابلة معه فعاد ستيرن الى أميركا بخفي حنين. أما فورنييه (فوربر) فقد خرج من المكان الذي ظل مختفياً فيه عن الأنظار طوال عدة شهور بعد هربه من أميركا وتوجه الى قصر العدل في باريس ومثل أمام أحد قضاة الصلح الفرنسيين لمدة خمس ساعات حيث أدلى بشهادة (سرية) وفيما كان يغادر قصر العدل تمكن أحد المصورين من التقاط صورة له ولكن رجل المخابرات المرافق لفورنييه تمكن من اقناع المصور بأن يعطيه الفيلم على أساس أن هوية الرجل (س) يمس المصلحة العليا للدولة وأمنها القومي وبعد ذلك تأكد فورنييه من دعم الدولة له فأدلى بتصريح قال فيه: اذا كنت مذنباً فإني أطالب المدعي العام الأميركي باثبات ذلك وليأخذ العدل مجراه. ومن وراء المحيط الأطلسي رد المدعي العام ستيرن عليه قائلا: اذا كنت بريئاً يا فورنييه كما تدعي فتعال الى هذه البلاد وقف أمام القضاء. ومع أن الموافقة على سفر فورنييه الى الولايات المتحدة أمر مستبعد فإن المدعي العام الأميركي لم ييأس فتوجه الى الصحافة الفرنسية محاولا حملها على نشر نداءآت تطالب السلطات الفرنسية بتسليم فورنييه للقضاء الأميركي فأثمرت هذه النداءآت عن تحرك المعارضين من فرنسا ضد مخابراتهم فقد أدلى الكولونيل (بيريومانت) أحد رؤساء المخابرات الفرنسية السابقين بتصريح شن فيه هجوماً عنيفاً شديداً على قسم مكافحة الجاسوسية في هذه المخابرات وأعرب عن اعتقاده بأن رئيسها فورنييه (متورط) فعلا في عملية تهريب المخدرات الى الولايات المتحدة وأضاف بيومانت في تصريحه ان المخابرات الفرنسية كلها موبوءة وملأى بعملاء يعملون ضد بعضهم البعض واستشهد بيومانت بأقوال الرئيس الراحل ديغول: طالما ظل الفساد الحالي مستشرياً في صفوف المخابرات وما دام كل مسؤول فيها يحاول طعن الآخر في الظهر فلا فائدة ترتجى منها. وبعد فترة أدلى (روجر بار بيرو) سفير فرنسا السابق في الأرغواي بتصريح اتهم فيه مخابرات بلاده وبعض العاملين فيها بالتواطؤ في عملية تهريب الهيروين.

وقد تضمن تصريح كل من بيومانت وباربيرو أن المشكلة كلها ناجمة عن



محاولات التطهير التي يقوم بها رئيس المخابرات الفرنسية الكولونيل دي مارانش لأن الرئيس الفرنسي بومبيدو قد اختاره للقيام بهذه المهمة ثم انتقلت حرب التصاريح بين الاثنين المعارضين للمخابرات بيومانت وباربيرو فاتهم الكولونيل باربيرو الكولونيل بيومانت بالخيانة العظمى فتقدم بيومانت بدعوى ضد باربيرو يطالبه بتعويض قدره مليون فرنك على ما ألحقه تصريحه به من أذى معنوي وعندما علم بذلك باربيرو صرح أيضا: انني لم ألق كلامي جزافاً فأنا أعرف ما قلت وأتمسك بكل كلمة قلتها. ولما سئل الكولونيل باربيرو وهو من أبطال المقاومة ضد النازي عن رأيه بمشكلة تهريب المخدرات أجاب: ان بعض الناقمين على بعضهم البعض من موظفي المخابرات الفرنسية قد (زرعوا) الهيروين في سيارة (الفولكسفاكن) وهم يعرفون مسبقاً أن ديلود الرجل الساذج سيعتقل ويتكلم أما الكولونيل بيومانت فقد صرح بأن الصراع الداخلي بين رجال المخابرات الفرنسية هو المسؤول عن القضية برمتها.

وقد ذكر بعد ذلك الكولونيل روجرباربيرو في مقابلة اذاعية مع راديو لوكسمبورغ ان عملية التهريب دبرت فعلاً من قبل أشخاص يعملون في المخابرات الفرنسية ولكن حوافزه كانت مشكوكا فيها لأنه من المعروف أن هذا الرجل كان من أكثر الضباط تعصباً للجنرال ديغول كما أنه لم يخف كراهيته للاميركيين وعندما قام فورنييه بطرد ديلوديت من المخابرات أقدم باربيرو على استخدامه فوراً لديه في مصالح الجيش الفرنسي الأخرى كمدني.

النهاية:

عندما حمي وطيس المعركة الاعلامية بين الفرنسيين أنفسهم عن عملية التهريب بتحريض من المدعي العام الأميركي والمخابرات الأميركية حسمت المخابرات الفرنسية القضية بالايعاز الى المصادر الفرنسية بالعودة الى الاعلان بل والتأكيد بأن الفضيحة كلها من تدبير المخابرات الأميركية لأن هذه المخابرات تريد الانتقام من فورنييه أولا ومن المخابرات الفرنسية ثانيا ومن فرنسا ثالثا لأنها تعتبر أن فورنييه مسؤول عن فضح بعض أعمالها ضد شعوب العالم ومنها طرد السفير الأميركي في مالاغاسي بعد اثبات التجسس عليه من قبل الفرنسيين بالاضافة الى ذلك فإن فورنييه كان مسؤولا عن شبكات التجسس الفرنسية في الولايات المتحدة وان العاملين معه كثيراً ما اصطدموا بعملاء المخابرات الأميركية. وكان

رد المصادر الأميركية على ذلك نهاية الصراع بأن ادعت بأن الكولونيل اذا كان متورطاً في عملية التهريب فإنه كان يريد من ورائها اما حشو جيوبه بالمال أو تمويل عمليات الجاسوسية الفرنسية في أميركا.

وهكذا طويت هذه القضية المثيرة لتستمر أعمال المخابرات في كل زمان ومكان ليظهر منها قضايا وقضايا نجمعها ونقدمها للقارىء ليكون على اطلاع على ما ترتكبه بعض المخابرات في العالم.

المخابــرات الأميركيــة

تقرير سري

عن استمرار أعمال المخابرات الأميركية ضد الشرق الأوسط

المخابرات الأميركية لا تستطيع أن تترك دولاً ثانية تتصرف في الشرق الأوسط لوحدها حتى ولو كان هذا التصرف كمعاهدات صداقة أو حتى تدخل مباشر أو غير مباشر وقد جاء في نصوص اتفاقيات (كمب ديفيد) السرية التي تم التوصل اليها بنود تثير الاهتمام من هذه البنود بند يقول بالحرف الواحد (سوف يتطور التعاون بين أجهزة المخابرات في كل من الولايات المتحدة ومصر).

وهذا يعني أن السادات قد وافق على وثيقة ذكر فيها التزام مصر بتطوير العلاقات والصلات مع أجهزة المخابرات المركزية الأميركية التي اكتسبت سمعة سيئة بنشاطها التخريبي في جميع أنحاء العالم.



الرئيس هاري ترومان طلب عودة

المخابرات الاميركية إلى عملها الأصلي...

مجلس الشيوخ يطلع على أعمال المخابرات الأميركية:

كلفت لجنة خاصة من قبل مجلس الشيوخ الأميركي عام ١٩٧٥ بالتحقيق في نشاط المخابرات الأميركية فثبت لهذه اللجنة بأن هذه المخابرات قد خططت فعلياً وفي أعوام ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ ـ لقتل الزعماء السياسيين لكل من الكونغو ـ تشيلي ـ كوبا ـ وطبعاً في بعض البلدان الأخرى التي لم يكشف التحقيق عنها وليست منطقة الشرق الأوسط بعيدة عن اهتمام المخابرات الأميركية منذ انشائها عام ١٩٤٧(١) حيث نعود للماضي القريب أي الى عام ١٩٥١ حيث شكلت المخابرات الأميركية ما سمي (جمعية الأصدقاء الأميركيين للشرقين الأدنى والأوسط) وكان لها فروع في مصر والأردن وليبيا وسوريا والمغرب وتونس ومنذ الأيام الأولى لتأسيسها ترأس هذه (المنظمة) ضباط من المخابرات الأميركية مجربون أما ممثلوها فباسم تعزيز العلاقات والروابط العلمية والثقافية للولايات المتحدة مع هذه البلدان العربية المذكورة عملوا بنشاط جمع معلومات ذات طابع (استخباري) وبعد مضي عدة سنوات ظهرت منظمة خاصة باسم (انترناشيونال أرمانت) كانت تمارس المخابرات الأميركية من ورائها نشاطا تخريبيا وكان من أبرز نشاطات هذه المنظمة عدة محاولات فاشلة لاغتيال الرئيس الراحل جمال عبد الناصر من قبل أعضائها وأيضاً كان لاقتراح رئيس فرع لبنان لهذه المنظمة الفضل في الموافقة السريعة لانزال مشاة البحرية الأميركية في لبنان ١٩٥٨ بناء لطلب الرئيس كميل شمعون في حينه.

---

(١) عندما علم الرئيس الراحل هاري ترومان بما أصبحت عليه المخابرات الأميركية قال عنها بالحرف الواحد: لم أفكر مطلقاً عندما وافقت على تأسيس المخابرات المركزية بأنها ستزج نفسها في أيام السلم بمؤآمرات إن هذه الدائرة خرجت عن الهدف الحقيقي الذي من أجله وجدت إن ما نريده في الولايات المتحدة ألا تتدخل هذه الدائرة في الشؤون الداخلية لأية دولة وأن تبتعد عن الحرب الباردة وضجيج دعايتها لذلك فإنني أرغب في أن أرى هذه الدائرة تعود إلى المهمة الأصلية التي من أجلها وجدت. لقد خطيت الولايات المتحدة باحترام الدول نتيجة الحريات التي تتمتع مؤسساتنا ولمقدرتنا على المحافظة على أي مجتمع حر ومنفتح. هناك شيء حول الطريقة التي تتصرف بها هذه الدائرة الأمر الذي خلق ظلا غير محمود على موقفنا التاريخي.

هاري ترومان

أميركا ومخابراتها تعطي اسرائيل المعلومات عن الدول العربية:

المجلات الأميركية بما لها من حرية في اختيار وطرح المواضيع الدقيقة تختار دائماً الرجال البارزين الذين عاشوا أحداثاً معينة أو اشتركوا بها شخصياً لكي يتحدثوا الى قرائها الملايين وقد اختارت مجلة (التايمز) واسعة الانتشار القائم بأعمال سفارة الولايات المتحدة في القاهرة قبيل عام ١٩٦٧ المستر نوس بادون وأجرت معه مقابلة صحيفة اعترف فيها بأنه في الأشهر التي سبقت حرب ١٩٦٧ كانت جميع المهام في السفارة الأميركية بالقاهرة في مجال المخابرات العسكرية المعطاة للعاملين في فرع المخابرات الأميركية لديها بالاضافة الى مخابرات الملحق العسكري الأميركي كانت تملي بصورة رئيسية انطلاقاً من حاجة اسرائيل لمعرفة كل شيء عن مصر وكأن السفارة في حينه ١٩٦٧ سفارة اسرائيل وليست سفارة أميركية يرتفع عليها العلم الأميركي بطول ثلاثة أمتار وما نجاح الضربة الجوية التي وجهتها القوات الجوية الاسرائيلية الى مصر الا نتيجة للمعلومات التي تم تأمينها بواسطة جمع المعلومات السياسية والاقتصادية فإن وزارة الخارجية الأميركية كانت تزود السفارة الإسرائيلية في واشنطون بنسخ (طبق الأصل) عن جميع تقارير السفارات الأميركية في الشرق الأوسط وهكذا يتضح لكل عربي دعم أميركا الغير المحدود لاسرائيل بجميع الوسائل وان دعم المخابرات الأمركية هو على رأس المساهمة الأميركية في استمرار اسرائيل في عدوانيتها على الدول العربية وحتى من أجل تأمين المصالح الأميركية في الشرق الأوسط فإن المخابرات الأميركية لا تقتصر على القيام بعملياتها السرية هنا فحسب بل تدافع عن الوجود العسكري الأميركي العلني في المنطقة وتطالب باقامة قواعد عسكرية جديدة لها وهذه الطلبات قدمها وفد أميركي رفيع المستوى زار الشرق الأوسط قبل أحداث لبنان ١٩٨٢ بتكليف من الكونغرس وقد جاء في هذه الطلبات صراحة أن على الولايات المتحدة أن تنشيء وتحتفظ بوجود عسكري في الشرق الأوسط يكون كفأ وسريع الحركة سمي فيما بعد (قوات التدخل السريع) وذلك من أجل حماية مصالحها في هذه المنطقة..

من يفيد الآخر أكثر المخابرات الأميركية أم المخابرات الاسرائيلية:

هناك جانب خفي في العلاقات الأميركية الاسرائيلية تحرص واشنطون وتل

أبيب على احاطته بالكتمان ويتعلق هذا الجانب بالتعاون الوثيق بين المخابرات الأميركية والمخابرات الاسرائيلية وكتاب (تاريخ اسرائيل) الذي صدر منذ مدة في باريس من تأليف (جاك ديروجي) في مجلة الاكسبرس الفرنسية والمعروف بعلاقاته الوثيقة الصلة مع المسؤولين الاسرائيليين (وهيسي كارمل) الديبلوماسي الاسرائيلي السابق ومراسل الاكسبرس في تل أبيب ويروي هذا الكتاب بالتفصيل قصة التعاون بين أجهزة الأمن الأميركية والاسرائيلية كما يكشف هذا الكتاب استنادا الى مصادر أميركية واسرائيلية بأن السياسة التقليدية بينهما معرضة للفشل مما أغاظ في حينه (النائب مناحيم بيغن) (رئيس الوزراء فيما بعد) الى درجة كبيرة فالرئيس السابق لمنظمة (الأرغون) الذي استعاد منذ صيف عام ١٩٧٠ قيادة (المعارضة الاسرائيلية) في حينه والذي كان يستعمل كلماته كما توضع القنابل الناسفة وبيغن عندما كان برأس المعارضة يقول دائما إن منطق العرب غير منطقنا (حتى في الكنيست ذكر هذا الكلام) وكان يقول أمام الكنيست انني لا أعرف ما يضمره لنا العرب على أي أساس يقررون شن الحرب علينا أو عدم شن الحرب وظل يردد هذا الكلام حتى ٦ تشرين الأول ١٩٧٣ وكان يصادف يوم الغفران المقدس الذي يسوى فيه كل يهودي حساباته مع الله...

كيف بدأت المخابرات الاسرائيلية تشعر بالهجوم المصري السوري:

الجنرال ايلي زيرا رئيس المكتب الثاني الاسرائيلي (المخابرات) في حينه استنتج في شهر أيار عندما وردته معلومات من مصادر يثق بها تفيد للمرة الأولى بأن هناك هجوم وشيك يقع ضمن مخطط حربي سوري مصري فأحال هذه المعلومات لرئيس قسم المعلومات في الجيش الاسرائيلي وناقشه بها ولكن رئيس قسم المعلومات أجابه: إن الاحتمال ضئيل في أن يتحقق هذا التهديد (لأن لديهم في اسرائيل في حينه فكرة بأنه لا سوريا ولا مصر قادرتان على دخول أي حرب مع اسرائيل)... رئيس الاركان دافيد اليعازر علم بهذه المعلومات فأطلق أول تحذير جدي له وتمكن من اقناع الحكومة بالتحرك (عشية الاحتفال بمرور ٢٥ سنة على اعلان دولة اسرائيل) ولكن تحذيره ذهب مع الريح وحلت محله (الخيبة) نتيجة لاضطراب الأجواء في اسرائيل لأن الحرب لم تقع وأخذ على دافيد اليعازر الملقب (دادو) هذا الخطأ في التقدير الذي كلف الحكومة فيما بعد ملايين الدولارات.

مراقبة المخابرات الاسرائيلية:

المخابرات الأميركية كان لديها (بعض المعلومات) بتاريخ ٢٥ ايلول عن قرب وقوع هجوم متواز على الجبهتين الشمالية والجنوبية فهل أحاطت المخابرات الاسرائيلية علما بهذه المعلومات أبداً لأن المخابرات الأميركية أيضاً غير متأكدة من المعلومات لأنها من جهتها كانت قلقة يومها من الصور التي التقطها وأرسلها لهم قمرهم التجسيس (سيكلاب) من الشرق الأوسط وظهر في هذه الصور (شيء) لم يتمكنوا من تحديده (كان أحد أقمار التجسس السوفياتية) فأرسلوا للاسرائيليين لكي يستفسروا عن وجود تحركات مريبة ولكن الاسرائيليين (طمأنوهم) بعدم وجود ما يقلق وكان الليوتنان بنجامين سيمان توف أحد كبار ضباط المخابرات في القيادة الجنوبية قدم في تشرين الأول الى قيادة المخابرات الاسرائيلية (تقريرا) بعنوان (التحضيرات للحرب في الجيش المصري) ولكن بما أن معلوماته وتقديراته كانت متناقضة مع التقديرات الرسمية في القيادة فإن الكولونيل **دافيد غواد البالم** يرفع التقرير الى المراجع العليا وفي ١٢ تشرين الأول على مرأى من مراسلي الصحف الاسرائيلية وسمعهم كانت الجيوش العربية محتشدة على الحدود مستعدة لشن الهجوم لكن متحدثا باسم (الجيش الاسرائيلي) أوجز لهم الوضع في المناطق بأن الجيشين السوري والمصري لا رغبة لهم في شن الحرب ولكن هذه التحشدات هي لتسخين المنطقة كرغبة سياسية. لرئيسيّ الدولتين الرئيس حافظ الأسد في سوريا والرئيس أنور السادات في مصر.

أما المخابرات الاسرائيلية فقد صرح الجنرال (أربيه شاليف) مساعد زيرا رئيس المخابرات بأنه لا يعتبر هذا التهديد جديا حتى المستقبل القريب وان المخابرات تأخذ على عاتقها انذار الحكومة الاسرائيلية عن أي هجوم قبل ٤٨ ساعة على الأقل وقد تحملت المخابرات الاسرائيلية مسؤولية عدم معرفة موعد وزمان ومكان الهجوم السوري والمصري على اسرائيل.. وفي ليلة ٤/٥/ ابلغ رئيس الأركان دافيد اليعازر بأن عائلات المستشارين السوفيات لدى الحكومة المصرية قد نقلت جوا من مصر الى الاتحاد السوفياتي بصورة مفاجئة فأمر بوضع الجيش الاسرائيلي في حالة تأهب كاملة غير أن الجنرال زيرا رئيس المخابرات ظل مصرا على اعتقاده بأن وقوع الحرب ضئيل الاحتمال وفي الساعة الحادية عشر من صباح يوم ٥ أرسل الكولونيل يونا بيندمان رئيس القسم المصري في المخابرات الاسرائيلية تقريراً الى القيادة يتضمن الخلاصة الاتية: رغم وجود تشكيل عسكري

من حالة تأهب على جبهة القناة يعطي بوجود رغبة هجومية في أقصى تقديراتنا ونحن نعرف (المخابرات الاسرائيلية) أنه ليس هناك أي تغيير في تقديرات المصريين لميزان القوى بينهم وبين جيش الدفاع الاسرائيلي وبالتالي يبدو الاحتمال ضعيلا بأن تكون عندهم نيات حربية. وأفاد الجنرال زيرا (أثناء استجوابه في جلسة مجلس الوزراء التي عقدت في تل أبيب) بأن كان أضعف احتمال هو محاولة لعبور قناة السويس والاحتمال الأقوى (في حينه) هو قيام مصر بغارات وقصف مدفعي على الجبهتين.. في الساعة الرابعة من صباح ٦ اتصل الضابط المناوب في قيادة المخابرات بالجنرال موشي دايان وزير الدفاع وأوقظه من نومه وأعلمه أنه تلقى معلومات بأن ثمة هجوماً مشتركاً مصرياً وسورياً سوف يبدأ قبل غياب شمس ذلك اليوم وفي الساعة الخامسة والنصف استدعى دايان الجنرال زيرا رئيس المخابرات الذي بقي مصرا على موقفه الذي التزمه سابقا من ضعف احتمال اي هجوم على اسرائيل وذكر دايان بأن المعلومات السابقة التي وردت سابقا اتضح عدم صحتها وقال ايضا ان المعلومات الاميركية التي اعتقدت قبل عشرة ايام بأن الحرب ممكنة الوقوع لم تتحقق وهكذا تغير رأي الاثنين في النهاية بعد أن أقنعا بعضهما بأن عملية (عبور القناة) هي عملية تقنية تفوق قدرات الجيش المصري (بينما كان الجيش المصري ينفذ عملية العبور بأدق ما عرف في التاريخ من العمليات الحربية الفذة).

ولكن عدم تصديق السلطات الاسرائيلية أن الجيشين المصري والسوري يستطيعان القيام بأي هجوم عليها سبب تأخير استدعاء الاحتياط الاسرائيلي حتى الساعة العاشرة صباحا.

وهكذا تبين أنه لا المخابرات الأميركية ولا الاسرائيلية علمت بموعد الهجوم المصري والسوري على اسرائيل في ٦ رمضان رغم أن المخابرات الاسرائيلية قدمت للأم الوالدة المخابرات الأميركية خدمات سابقة لا تحصى أهمها تسليمها الطائرة (الميغ ٢١) التي حصلت عليها من الطيار العراقي الخائن منير روفا الذي أغرته المخابرات الاسرائيلية حتى هرب بالطائرة العراقية الى اسرائيل ولكن المخابرات الاسرائيلية لا تكشف عن هذه الأمور الا حسب حاجتها أو على الأمور الماضية التي نسيها الناس انما الأضواء لا تسلط على الماضي بينما حاضر المخابرات الاسرائيلية يستمر على ظلامه وانغلاقه وسريته والله وحده يعلم بما تخطط المخابرات الاسرائيلية في أقبيتها وسراديبها المتفرقة في تل أبيب والقدس وبعد حدوث الحرب دافع رئيس المخابرات الاسرائيلية عن نفسه أمام دايان بأنه

استلم رئاسة المخابرات (الموساد) قبل سنة فقط من تاريخ حرب رمضان خلفا لأهارون ياريف وبالتالي لم يكن زيرا قد حصل على الخبرة الكافية على صعيد تجمع المعطيات والعوامل والملاحظات واختيار المهم منها وأنه كان لا يملك الحسم في القضايا التي تتشكل نتيجة التحليلات التي يدخل فيها أحيانا أشياء عقلانية وخيالية وبالتالي لم يكن قد حصل على الوقت الكافي ليكيف جهازه (المخابرات مع طريقة عمله الخاصة المختلفة كليا عن طريقة عمل سلفه).

يوم الغفران والحرب السورية والمصرية:

بعد أربع ساعات من الهجوم المصري السوري الكاسح على اسرائيل من الجبهتين الشمالية والجنوبية أي في الساعة العاشرة أطلقت صفارات الانذار بأصوات محزنة في صمت يوم الغفران المقدس لدى اليهود عند ذلك ظهر للاسرائيليين الطارىء وغير المتوقع وخداع حكوماتهم لهم حيث بدأوا يكتشفون ليس فقط أن الجيوش العربية قادرة على شن الحرب على اسرائيل بل إن أياً من الدول العربية تستطيع الصمود في الحرب أكثر من ستة وان لدى الدول العربية عقلا وتفكيراً عسكرياً كافياً يؤهلها لدخول الحرب مع اسرائيل حتى ولو لم تكن واثقة من كسبها عسكرياً بصورة كاملة.

بعد انتهاء الحرب بما عرفه القارىء شكلت في أول نيسان ١٩٧٤ لجنة تحقيق برئاسة القاضي (شيمون أغرانات) والتي سميت (بلجنة أغرانات) وذلك لتقصي اسباب التقصير والضعف الذي ظهر في بداية هذه الحرب وقد أعلنت هذه اللجنة نتيجة التحقيق بموجب تقرير مؤلف من (٢٢) صفحة وفي هذا التقرير اتهمت اللجنة مخابرات الجيش بأنها متمسكة تمسكاً عنيداً بمفاهيم خاطئة وتبرىء في الوقت ذاته القادة السياسيين الذين كانوا في المراكز الحساسة من أية مسؤولية كبيرة أمثال (غولدامائير ــ موشي دايان). وركزت اللجنة في هذا التقرير على التمييز بين مسؤولية السلطات العسكرية ــ المخابرات والقيادة التي كان بيدها الحسم في الموضوع وبين مسؤولية السلطات السياسية البعيدة عن هذه الامور المهمة وطالبت اللجنة باعفاء الجنرال /ايلي زيرا/ من رئاسة المخابرات وكذلك اعفاء معاونيه الجنرال أربيه شاليف والجنرال يونا بيندمان والجنرال دافيد غوادالبا من كبار ضباط المخابرات الاسرائيلية وجعلت الجنرال دافيد اليعازر يدفع غالياً ثمن أخطائه وذلك بتحويله كبش للمحرقة وبذلك أضيف اسم الجنرال زيرا الى

اللائحة الطويلة لأسماء رؤساء المخابرات الاسرائيلية الذين أعفوا من مناصبهم على أثر خلاف مع قادتهم ونحن نعلم أنه من بين سبعة رؤساء مخابرات عينوا واحتلوا هذا المركز المرموق في اسرائيل ولكن لم يكمل مدته القانونية منهم سوى اثنين فقط.



الفشل:

كان فشل المخابرات الاسرائيلية واضحاً في عدم الاعلام عن موعد هجوم الجيشين المصري والسوري على اسرائيل صباح ٦ رمضان ١٩٧٣ رغم عشرات التقارير التي تنبه الى احتمال افتعال حرب وخاصة التقارير الواردة من الضباط والجنود ولقد وجدت لجنة التحقيق حوالي /٤٠٠/ وثيقة واردة الى المخابرات عشية يوم الحرب وكلها تنذر بما حدث لكن اليعازر يقول أنه لم يطلع على محتوى كل هذه الوثائق (والا لكان تصرف بشكل آخر) وهنا اتضح للجنة أن المشكلة أنه لم يطلع على هذه المجموعة من الانذارات (قبل أن تجمعها لجنة التحقيق) والسبب هو غياب التعاون بين الأجهزة الذي أدى الى انعدام التنسيق هذا هو المفهوم الذي استخلصته اللجنة والذي ساد تلك المرحلة والقائل (بثبات الوضع السياسي والعسكري عشية الحرب) وأحد الذين أثروا في تأكيد هذا المفهوم هو موشي دايان الذي كان يقول أن العرب لن يستفيقوا من ضربة (١٩٧٦) حزيران قبل عشر سنين على الأقل ثم كان دايان يضيف عبارة أرقى وهي ليست جيدة بحقنا نحن العرب لأنه كان يقول (العرب يبقوا عرب) وهي احدى عباراته الاساسية وعلى عكس بيغن المعارض في حينه كان دايان يصل في تحليلاته الى نتائج اخرى من نوع كلامه السابق اذ أنه كان يقول: يكفي أن نقرع على الطناجر حتى يهرب السوريون كما كنت أفعل في طفولتي في الكيبوتز لأهرب الجياد. ثم شاهد بعينه الوحيدة ما فعله السوريون به حين اخترقوا الحدود المنيعة حتى وصلوا الى قلب اسرائيل.. لولا أميركا وجسرها الجوي الذي أنقذ اسرائيل في آخر رمق وكان دايان يزعم أن خطة الحرب السورية ــ المصرية كانت معروفة لديهم قبل أشهر من تنفيذها ويزعم أيضا بوجود وثائق تحت نظر القادة الذين كان يرفضون تصديقها حتى صباح يوم الحرب إلا أن الاقرار بذلك كان يعني تشكيك في القيادة ولا أحد يجرؤ عليه سواه أي موشي دايان.

أميركا اطلعت على الأسلحة الروسية من اسرائيل:

نتيجة الفشل الذريع للتعاون بين المخابرات الأميركية والاسرائيلية بالنسبة لحرب رمضان /اكتوبر/ قام مناحيم بيغن الذي وصل الى رئاسة الوزارة الاسرائيلية بزيارته الاولى الى واشنطن في تموز (يوليو) ١٩٧٧ تحت حراسة مشددة لأنه كان مهدداً بالاغتيال في حينه قدم الى الرئيس كارتر ملفاً سرياً للغاية يتضمن لائحة بالمواضيع التي ساعدت اسرائيل فيها على الحفاظ على الأمن الأميركي ولقد قال كارتر لضيفه بيغن بعد أن اطلع على مضمون الملف (هذا لا يصدق كنت أجهل كل هذه المواضيع) ومن هذه المواضيع التي عرضها بيغن على كارتر الهجوم على سيناء ١٩٥٢ حتى تاريخ صد الهجوم السوري المصري وأنهم أي الاسرائيليين وضعوا تحت تصرف أميركا كميات ضخمة من الأسلحة السوفياتية التي غنموها في المعارك وأغلبها من مصر مع الأسف وهي تحوي دبابات سوفياتية (ت ٣٤) و(ت ٦٤) و(ت ٦٥) وطائرات ميغ ١٧ و١٩ و٢١ والطائرة الميغ ٢١ سبق أن نوهنا على سرقتها الى اسرائيل في الجزء الأول من كتاب (المخابرات والعالم كما قدم الاسرائيليون الى اميركا أيضا صواريخ سام ٢ و٣ و٦ و٧ ومحطات رادار ومدافع مضادة للطائرات ونحن نعرف أن كل الغنائم من الأسلحة السوفياتية كانت اسرائيل تضعها تحت تصرف أميركا ولا شك أن بيغن ذكرها بالتفصيل في تقريره (من نوع التعالي ولفت النظر الى أن اسرائيل ستبقى عند حسن ظن أميركا) لكن المجال الذي قدمت فيه اسرائيل اكبر النفع هو مجال التجربة فاسرائيل قذفت عام ١٩٧٣ بحوالي ٥٠٠٠ خمسة آلاف مدرعة في معاركها البرية وان هذه الكمية من المدرعات توازي المدرعات الموجودة لدى حلف شمال الأطلسي في خط مواجهته الأول مع قوات حلف وارسو. واسرائيل هي البلد الغربي الذي اشتبكت طائراته مع طائرات سوفياتية والذي اعتمد تدابير اليكترونية في حرب الصواريخ ويبدو أن الدبابات الاسرائيلية المزودة بنظام دفاع مغناطيسي لم تتكبد خسارة تذكر عند اقتحامها جنوب لبنان ١٩٧٨ لأننا نذكر أن الجنرال براون رئيس أركان جيش الولايات المتحدة أرسل برقية تهنئة في نيسان (أبريل) ١٩٧٨ الى الجنرال رافائيل ايتان يهنئه فيها بنتائج الهجوم الاسرائيلي على لبنان في حينه.

استمرت العلاقات بين جهازي المخابرات الاسرائيلية الموساد والمخابرات الأميركية بعد تصحيح أخطاء عام ١٩٧٣ وكان المشرف على العلاقات الأميركية الاسرائيلية هو جيمس جيروز أونفلتون رئيس قسم الحماية من التجسس وكان

أونفلتون قد بدأ علاقاته مع المخابرات الاسرائيلية عام ١٩٥٦ اثناء المهمة السرية التي أداها روبيرت أندرسون مبعوث أميركا الى القدس والقاهرة في حينه والتي فشل فيها في جمع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وبن غوريون ضمن اطار سري ومنذ ذلك الوقت توطدت علاقات المخابرات الاسرائيلية مع أونفلتون بالذات عندما أرسلت اليه شخصياً النسخة الاولى التي لم تكن معروفة ولم يطلع عليها سوى الاسرائيليين من تقرير (خروشوف) الشهير أمام المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي وهذا التقرير حصلت عليه المخابرات الاسرائيلية بطرقها التجسسية وبواسطة عملائها في الاتحاد السوفياتي وذلك بتاريخ شباط ١٩٥٦.

وكلما حاول أونفلتون الظهور بمظهر الحمل والبراءة فجرت في وجهه فضيحة هزته وهزت المخابرات الأميركية من ورائه ففي عام ١٩٧٤ وجهت الصحافة الأميركية التي تتمتع بحرية النشر تهمة المشاركة في قلب نظام حكم الليندي في ايلول ١٩٧٢ ونحن نعلم ايضا ومن الوثائق انها ليست بتهمة بل انه ضالع في قلب نظام الليندي حتى أذنيه. ثم بعد أسابيع وبتاريخ ٢٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٤ فجرت النيويورك تايمس فضيحة أخرى في وجهه عندما كشفت أنه يطلع بحكم عمله ومركزه في المخابرات الأميركية على البريد الشخصي لبعض وزراء الولايات المتحدة وكبار المسؤولين فيها قبل وصول هذا البريد اليهم ثم يعيد الموظفين التابعين له ختم هذه الرسائل واعادتها الى مسارها وكأن شيئاً لم يكن ومن المعروف أن الشعب الأميركي لا يهمه ما تعمله المخابرات الأميركية في الدنيا كلها بقدر ما يهمه عدم الاطلاع على أموره الشخصية فكيف يرضى باطلاع مخابراته على بريد وزرائه ومسؤوليه؟

واتهم أيضاً بأن لدى الجهاز الذي يرأسه في المخابرات الأميركية (أرشيف) لعشرة آلاف أميركي متهمين بأن لهم أفكار تخريبية وكان هؤلاء يمنعوا من السفر خارج الولايات المتحدة كلما تقدم أحدهم بطلب جواز سفر وبدون ذكر المبرر لمنعهم مع أنهم أميركيون حتى استلم رئاسة المخابرات الأميركية وليام كولبي الذي كان يتناقض مع أونفلتون (رئيس قسم الحماية من التجسس) في طريقة عمله فأعفاه فوراً من منصبه رغم تدخل المخابرات الاسرائيلية لاعادته بدون فائدة ومع ذلك فان الرئيس الجديد للمخابرات الاميركية وليم كولبي (عوّض) على المخابرات الاسرائيلية خيراً من تعاملها مع أونفلتون بأن وسع شخصياً نطاق التعاون معها في

الوقت الذي كان نشاطها يصل الى مختلف مناطق الشرق الاوسط ففي مصر مثلا وحتى في سنوات شهر العسل التي مرت بينها وبين موسكو فان المخابرات الأميركية ظلت على علاقة ببعض المسؤولين والصحفيين ابان حكم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ومن المعلوم أن المخابرات الأميركية دعمت الرئيس عبد الناصر في أول سنوات حكمه ولكن مواقفه الوطنية الثابتة جعلت المخابرات الأميركية تتعقد منه بل وتبتعد عنه بعد أن ألقي بعملائها في السجون وكشفهم للجماهير وبعد وفاة الرئيس عبد الناصر دلت المخابرات الأميركية بدلوها مع أنور السادات الذي استلم الرئاسة وظفرت منه بما كانت قد هيأته له خلال ثمانية عشر عاماً من وقوفه وراء عبد الناصر وأول الغيث كما يقول المثل كان اعلام السادات عن المؤامرة التي كان يعدها بعض وزرائه (المقربين من السوفيات) في أيار (مايو) ١٩٧١...

استعداد المخابرات الأميركية لقلب أنظمة الحكم:

هنري كيسنجر ـــ الشخصية القوية في مجلس الأمن القومي الأميركي وحتى في داخل المخابرات الاميركية صرّح في مقابلة أجرتها معه مجلة (بيزنس ويك) في عدد كانون الثاني (يناير) ١٩٧٥ بأن الولايات المتحدة أقدمت وهي مستعدة للاقدام على تغيير الحكومات (في بعض الظروف) بواسطة الضغط السياسي من عملائها ولكنها عجزت عن تغيير حكومة (مناحيم بيغن) في اسرائيل عندما كانت مصلحة وسياسة أميركا تقتضي هذا التغيير لأنه سد عليهم جميع المنافذ وسارع الى (تثبيت اقدامه) في رئاسة الوزراة بالتعاون مع بعض النواب الذين كان لا يقيم لهم وزناً ولما شعر بما تبيته له السياسة الأميركية من مصادره الخاصة ضمن المخابرات الاميركية كان لها بالمرصاد وفوت عليها الفرصة مع استمرار التعاون (الحذر) وقد علمنا أنه من أسباب محاولة المخابرات الاميركية الاطاحة بحكومة بيغن أن السفارة الأميركية في تل أبيب وقنصليتها في القدس قبل أن تجعلها اسرائيل عاصمة لها قاموا بدراسة حول شعبية (بيغن) والاحتمالات الممكنة لتطور الرأي العام الاسرائيلي تجاه بيغن وعن حالته الصحية (بيغن مريض جدا حتى تاريخ كتابة هذه السطور) ولا يداوم في مكتبه سوى (ساعة واحدة) يعود بعدها لمنزله ليبقى تحت تصرف الأطباء وليتناول الأدوية والمسكنات وحتى حين يضطر للظهور أمام الكنيست لدقائق معدودة يكون أطباؤه خلف الكواليس على أهبة

الاستعداد لأي عارض صحي. أو انهيار متوقع.. ومع ذلك فهذه اسرائيل بلد العجائب وبعد هذه الدراسة تبين للسفارة الأميركية انخفاض شعبية (بيغن) وارتفاع أسهم (عزرا وايزمن) عند ذلك بدأ الغد العسكري للاطاحة بحكومة بيغن التي لم تتم للأسباب المذكورة آنفاً ومع ذلك سجلت نتيجة هذه الدراسة تقرير قدمته المخابرات الأميركية (هدية) للسادات باعتبار أن هذا التقرير يرجح احتمال خلافة وايزمن — بيغن وهذا يفسر لدينا منتهب سؤال انور السادات لدى وصوله الى مطار اللد وأثناء استقباله من المسؤولين الاسرائيليين (أين هو وايزمن) بلهجة من الألفة والمودة المقصودة من السادات بحكم اطلاعه على وضعه الشعبي...

فاذا كانت المخابرات الأميركية لم تقدر على تنظيم عمل سياسي انقلابي مباشر ضد (بيغن) فهي قادرة على زرع طريقه بالصعوبات تماما كما فعلت مع رئيس الوزراء السابق رابين عندما حولت زيارته الى الولايات المتحدة في آذار (مارس) ١٩٧٧ الى كارثة حقيقية جعلته يفقد القدرة على منافسة وزير الدفاع آنذاك شمعون بيريز في قيادة حزب العمال الاسرائيلي الى الانتخابات والمخابرات الأميركية لم تحجم بالماضي اطلاقاً عن الدخول الى سفارة اسرائيل في واشنطن والتقاط جميع ما تريد الحصول عليه من معلومات من قلب السفارة الاسرائيلية وبواسطة عملائها من الاسرائيليين أنفسهم كما أنها أولت وبصورة خاصة العناية الفائقة لتسجيل جميع المكالمات الهاتفية التي تبودلت في ايلول (سبتمبر) عام ١٩٧٠ بين غولدامائير ورابين الذي كان مهتما في حينه بتنظيم العملية المشتركة مع هنري كيسنجر التي كانت تهدف لانقاذ الملك حسين من الاتجاه الانقلابي الذي كان يتهدده في حينه وحسب منطوق المخابرات الأميركية من سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية بدعم من موسكو فكيسنجر كان يريد التأكد بكل الوسائل الممكنة من مدى المشاركة الاسرائيلية في المخطط الأميركي المقابل.

وللدلالة على نجاح المصريين في الاستفادة من مكالمات العدو فقد قتل الجنرال ابراهام البيرمان قائد اللواء الأول الاسرائيلي في سيناء أثر اصابة مباشرة من الجنود المصريين تلقتها آليته بعد لحظات معدودة من قيامه بابلاغ موقعه الى قائد الجبهة الجنوبية الجنرال شاموال غونين بواسطة الراديو اللاسلكي الذي كان يحلق في طائرة مروحية فوق طريق ممر الجدى وموقع الجنرال ماندلر الذي دموته

القوات المصرية لم يكن سوى مرتفع صغير يحمل الرقم (٢١) في خريطة سيريوس بالاضافة الى معرفة مكان قيادة الجنرال أدان برين قائد القوات المدرعة فأصبح هذا المقر خاضعاً لقصف المدفعية المصرية مما فرض على الضباط الانتقال باستمرار من مكان لآخر لتفادي القذائف المصرية التي كانت تتساقط عليهم كذلك لاحظ الكولونيل داني مات وهو أول من عبر القناة في ١٥ تشرين الأول في الساعة الخامسة مساءا باتجاه القوات المصرية في المكان الذي سمي (بالثغرة) لاحظ هذا الجنرال بأنه عقب كل مكالمة لاسلكية مع قيادته كانت تنهمر عليه القذائف الكاتيوشا وقذائف الهاون ٨٠ التي كانت تستهدفه (مباشرة) مما يدل على حسن استغلال المصريين للالتقاط والترجمة الفورية وتعيين المكان على خريطة سيريوس ومن ثم قصفه فوراً.

- وفي ١٦/ تشرين الأول الساعة ٦ و٥٠ دقيقة صباحا بدأ الجنرال أريل شارون بنقل دباباته الى الضفة الأخرى ومن القناة باتجاه المصريين بواسطة الناقلات العائمة بدون أن ينتظر اقامة الجسور وبذلك (خالف) أوامر الجنرال بارليف المسمى الخط باسمه لأنه حين دعاه الى مقر قيادته ليبلغه ارسال ثلاث دبابات الى الضفة الثانية وكانوا يسمونها (الضفة الأفريقية) وذلك لحماية ٢٠٠ مظلي سيهبطون خلف الخطوط المصرية وفي تلك اللحظة كان شارون قد نقل ٢٠ دبابة عوضاً عن الثلاث وهنا وقع المصريون بالخطأ لأنهم التقطوا المكالمة أو الأمر بنقل الثلاث دبابات فقط مما جعلهم يعتقدون أن العملية محدودة جداً وعلى الأقل لحماية فرقة كوماندوس اسرائيلية خلف الخطوط المصرية.

وفي نفس تاريخ ١٦/تشرين الأول حين أدخل شارون دباباته العشرين مخالفاً أمر بارليف في الساعة السابعة صباحا توجهت رئيسة الوزراء غولدامئير في الساعة الرابعة بعد الظهر الى الكنيسيت الذي انعقد بصورة استثنائية للاطلاع على مصير الدولة حسب زعمهم وأعلنت من على منبر الكنيست أن الآن (في حينه الساعة الرابعة مساء ١٦/١٠/١٩٧٣) في هذه اللحظة لناقوه اسرائيلية تعمل في

أين المخابرات السوفياتية من كل ذلك:

واذا رجعنا لأحداث حرب رمضان ١٩٧٣ ونحن نعرف أن الجيشين المصري والسوري دخلاها بأسلحة سوفياتية جديدة نوعا ما بالنسبة لعام ١٩٧٣

وبالنسبة لأسلحة ١٩٦٧ وخلافاً للظواهر التي كانت تشير الى أن الروس لا يعلمون شيئاً عن الهجوم على اسرائيل الذي موهته السلطات العليا في البلدين ومنعت معلوماته حتى عن أقرب المقربين من الدول الصديقة ومع ذلك فقد كانت المخابرات السوفياتية اكثر اطلاعاً على الأرجح من بقية المخابرات في الشرق الاوسط أثناء حرب تشرين الأول ١٩٧٣ فالسوفيات كانوا قد اطلعوا على النيات السورية والمصرية قبل عشرة أيام على الأقل بواسطة مصادرهم في دمشق حسب ادعائهم لاحقاً وكانوا مطمئنين الى قدرات الجيش السوري نتيجة التدريب الممتاز الذي وصل اليه ونتيجة الاطلاع أيضا من قبل الخبراء السوفيات على (البيانات العملية) التي تشبه المعارك الحقيقية باشراف الرئيس حافظ الأسد والتي كان ينيب عنه السيد العماد مصطفى طلاس لحضرها في أماكن تنفيذها .

وقد قررت الحكومة السوفياتية في ضوء التجارب السابقة بالفشل بالنسبة للجيش المصري أن توفر للسادات كل العتاد اللازم لنجاح أي هجوم يقوم به أو يرد أي هجوم اسرائيلي ومن التناقضات الملفتة أن يكون الرئيس المصري قد حصل على الحد الأقصى من العتاد العسكري السوفياتي فقط (بعد طرده الخبراء السوفيات بمباركة الولايات المتحدة في تموز ١٩٧٢(١)) بما في ذلك تقنيات اعتراض المواصلات اللاسلكية فعندما اجتاز الجنود المصريون قناة السويس بعد ظهر ٦ تشرين الأول ١٩٧٣ كانت في حوزتهم خريطة الاشارات والاصطلاحات المسماة (سيريوس) التي يستعملها الاسرائيليون في جهازهم الدفاعي في سيناء مترجمة الى اللغة العربية وكان باستطاعتهم أن يصغوا الى المحادثات والاتصالات التكتيكية بين الوحدات الاسرائيلية وأن يفكوا رموزها فورا وأن يوجهوا رمايتهم المدفعية وفقاً لذلك بكثير من الدقة نحو مصادر الاتصالات (أي مراكز القيادة والمراكز الأساسية لقيادة الفرق والالوية والوحدات العسكرية الاسرائيلية).

⊗ ⊗ ⊗

(١) زود الاتحاد السوفياتي مصر في الفترة ما بين تموز ١٩٨٢ وتموز ١٩٧٣ بالطائرات والصواريخ والدبابات من كل نوع وبدون حساب بينما كانت مصر خالية من الخبراء السوفيات في تلك الفترة وذلك للدلالة على أن صداقة الشعوب لا تتعلق بعشرات الخبراء...



الرئيس. حافظ الأسد أوعز بتدريب الجيش السوري بمعارك حقيقية...



العماد مصطفى طلاس قاد تدريب الجيش السوري بمناورات تشبه المعارك الحقيقية...

الضفة الغربية للقناة لتطمئن أعضاء الكنيست بينما كان السادات يتلقى برقية من وزير دفاعه يطمئنه بأن الأمر لا يتعدى ثلاث دبابات تسربت خلف خطوط الضفة الغربية (لأنه لم يكن قد تأكد من مخابرات القطعات الموجودة في المنطقة من كمية الدبابات هل هي ثلاث أم عشرين والى أي مدى وصلت) أما ألكسي كوسيغين رئيس وزراء الأتحاد السوفياتي الذي ألغي مساء ١٦ لقاءه مع رئيس الحكومة الدانمركية ليتابع التطورات في مصر وسوريا مباشرة وقد نام السادات يومها لبضع ساعات على أمل أن يصحوا صباح ١٧/ على سماع البيان (٤٥) الذي تأمل أن يحوي ابادة الوحدة الاسرائيلية التي أعلم عن تسربها الى الضفة الغربية ولكن ما حدث كان العكس فقد اتصل ممثل المخابرات السوفياتية في مصر برئيس الوزراء كوسيغين بأن القمر الاصطناعي كوزموس (١٩٥٧) الذي أطلق في ٢ تشرين الأول في مدار ارتفاعه ٢٠٠ كم وزاوية (٦٥/٤) درجة ليمسح ميدان المعركة عند الحدود الإسرائيلية قد التقط صوراً مثيرة للغاية فهناك عملية اسرائيلية واسعة يجري تنفيذها غربي قناة السويس وهكذا كان السوفيات أول من أدرك ما يجري خلف الخطوط المصرية مما سمي (بعملية شارون) حيث قام كوسيغين فوراً بابلاغ السادات في ١٨ تشرين الأول شخصياً عن الابعاد الحقيقية لعملية شارون وقد اتصل كوسيغين بالبيت الأبيض بواسطة (الخط الأحمر) يومها وبعدها حوالي عشرين مرة حتى انتهت الحرب كما نعرف.

أخطاء المخابرات السوفياتية أيضاً:

ارتكبت المخابرات السوفياتية أخطاء عديدة منذ دخول السوفيات الى المنطقة العربية فقد اساءت التقدير عندما بنت الأستراتيجية السوفياتية في الشرق الاوسط على قدرة عبد الناصر على فتح جميع الأبواب ابتداء من باب اليمن الذي عجز الجيش المصري عن السيطرة عليه كما ان المخابرات الروسية قد عجزت عن ادراك نفسية الاسرائيليين وانهم يمكن ان يقدموا على مجازفة عسكرية تضعهم وجها لوجه مع الطيارين السوفيات عام ١٩٧٠ كما ان المخابرات السوفياتية فوجئت سابقاً بقرار الرئيس الراحل عبد الناصر بوقف اطلاق النار كما لم تقدر هذه المخابرات ردة الفعل الاميركية تجاه التدخل السوري في الاردن (ايلول ١٩٧٠) واخيرا رغم اطلاع المخابرات السوفياتية على التحضير من قبل الجيشين السوري والمصري

لغزو اسرائيل عام ١٩٧٣ فانها لم تحسن تقييم ميزان القوى الفعلي عندما انطلقت سوريا ومصر في الحرب ولم تلحظ المخابرات السوفياتية اي شيء عن اقدام السادات على طرد الخبراء السوفيات من مصر حتى عام ١٩٧٤ قرر الكرملين تغيير محور سياسته الشرق اوسطية في ضوء تقرير مفصل للمخابرات السوفياتية عرض في احد اجتماعات المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي وينصح هذا التقرير بالاعتماد من حينه فصاعدا على دعم العناصر المتطرفة من جهة كالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (جناح وديع حداد) وشبكة كازلوس للارهاب الدولي وحتى جبهة ابو نضال المقربة من العراق ويقول تقرير المخابرات السوفياتية ان مثل هذه المنظمات بامكانها زرع الاضطرابات في اسرائيل وحتى في الدول العربية ونصح التقرير ايضا بتركيز الجهود لمد التوغل السوفياتي اكثر فاكثر في منطقة الخليج وفي القرن الافريقي واعتمد السوفيات على الفور وفقا لذلك على سياسة جذيدة في البحر الابيض المتوسط خاصة تجاه (ليبيا القذافي) المعادية للشيوعية في حينه فمدت جسور المودة معها وتم استقبال كوسيغين رسميا بعد اشهر ثم زار القذافي الاتحاد السوفياتي فيما بعد واصبحت ليبيا تملك احدث الاسلحة السوفياتية المتطورة التي تحتفظ روسيا لنفسها بها وقد سارت القيادة السوفياتية بعد ذلك على خطة تقضي بنسف كل محاولات التفاوض المباشر بين اليهود والعرب حتى ولو اضطروا لاستعمال سلاح الرعب اذا دعت الحاجة وهنا نذكر القراء بحادثة اغتيال الصحفي البريطاني دايفيد هولدن في القاهرة قبل افتتاح المؤتمر الاسرائيلي المصري ونذكر بقتل الكاتب المصري يوسف السباعي في نيقوسيا قبرص وهو صديق شخصي للسادات وسعيد حمامي ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في لندن ومهما طرحنا من اعمال يمكن ان يكون منشأها دفع من المخابرات السوفياتية فان هذه المخابرات قد ارتكبت خطأها الاكبر في ٢٤ تشرين الاول ١٩٧٢ بالتصعيد اللفظي الذي لجأ اليه السوفيات لمحاولة وقف اطلاق النار اعطى هنري كيسنجر

(دائما اميركا)

١ في شهر ايار (مايو) ١٩٧٨ توجه نائب القنصل الاميركي في اسرائيل الى قاعدة كاريز العسكرية قرب طول كرم ومنها انتقل الى مكان تقام عليه (مستعمرة) اسرائيلية حيث اشرف على البناء بشكل احتفالي.. وهذه اميركا...

(الذريعة) التي كان يحلم بها لانقاذ الجيش المصري من الحصار الاسرائيلي حين اطلق الانذار النووي لأن كيسنجر قد بدأ بتحويل السياسة الاميركية في الشرق الاوسط عن مجراها السابق في اليوم الرابع من حرب تشرين الاول وفقا للمعادلة الاتية:

— صرح كيسنجر لاحدى الشخصيات الاسرائيلية: بما انكم لم تستطيعوا تنفيذ التحدي الذي اقدمتم عليه بتحطيم المبادرة العسكرية العربية (بسرعة) فالدور الآن دوري في الملعب (اي الملعب السياسي) وقد استفاد فعلا كيسنجر من الظرف ليلعب ورقته الثالثة في عملية (السيطرة على مصر) بعد طرد الخبراء السوفيات من مصر عام ١٩٧٢ وفي نهاية تلك السنة الفاصلة بين مرحلة واخرى بادر وزير الخارجية الاميركي الى تنظيم لقاء مع حافظ اسماعيل نظيره لدى الرئاسة المصرية وقد ارسل لأجل ذلك الى الاستاذ محمد حسنين هيكل (مستشار الرئيس الراحل عبد الناصر) مدير عام شركة بيبسي كولا دونالد كنيدل الذي كان الرئيس نيكسون بالذات (محامي اعماله) والذي بقي على علاقة وثيقة به بعد ان اصبح نيكسون رئيسا لاميركا.

كان حافظ اسماعيل قد اتفق مع الرئيس السادات على الخطوط العريضة للتقارب الاميركي المصري (هذه المعلومات تنشر لأول مرة) فارسله في مهمة رسمية الى الولايات المتحدة حيث استقبله الرئيس نيكسون استقبالًا بروتوكولياً (اي استقبال شخص يمثل رئيس دولة) واستمر الاجتماع ٧٠ دقيقة طرح خلالها نيكسون النظرية الجديدة للولايات المتحدة والتي تقضي بتقليص النزاع العربي الاسرائيلي خصوصا في المعادلة بين السيادة المصرية والأمن الاسرائيلي ثم اقترح الرئيس نيسكون على ضيفه متابعة المفاوضات السرية بادارة كيسنجر من دون علم وزارة الخارجية الاميركية (اي بشكل شخصي) فقبل حافظ اسماعيل مبدئيا على ان يعود الى مصر لوضع الرئيس السادات في الصورة وعاد الى مصر وعرض على الرئيس السادات ما توصل اليه في واشنطون فقبل السادات واعاده الى واشنطون في ٢٤ شباط ١٩٧٢ حيث استقبله نيكسون ثم انتقل الى البيت الريفي لدونالد كيندل حيث اجرى في ٢٥ شباط ثلاث مقابلات سرية طويلة مع كيسنجر حيث وضعا (في حينه) عمليا الخطوط العريضة للعلاقات الاميركية — المصرية — المقبلة:

١ — ثقة متبادلة بعيدة عن عمليات الغش.

٢ ــ ابقاء العلاقات في اطار السريه الكامله حتى يحين الوقت المناسب.
٣ ــ عدم اطلاع اميركا لحليفتها اسرائيل على هذه العلاقات.
٤ ــ عرض كيسنجر سلاما اميركيا بشكل حلول منفصلة تتم المفاوضة حولها خطوة خطوة تحت اشرافه شخصيا.

وقد برزت عبارة رئيسية لكيسنجر وسط المحادثات كعنوان لطبيعة العمل وحدوده:

ــ لا تستطيع الولايات المتحدة فرض الحل على اسرائيل بصراحة لكن في وسعها الضغط عليها انطلاقا من قاعدة معنوية ما.

وعندما تأكد حافظ اسماعيل ان بامكان اميركا وهذا معروف ان تفرض او تضغط على اسرائيل قام بنقل هذه العبارة بالذات الى السادات فاطمأن الى توفر مثل هذه القاعدة المعنوية وهذا ما اكد له القيام بالهجوم الذي كان مقررا له شهر ايار (مايو) فأجل الى تشرين الاول (اكتوبر) خشية اتاحة المجال لعملية (تحذير) سابقة وهكذا قام كيسنجر انطلاقا من توجهه الجديد باللعب خمس مرات على التوالي في اقل من ثلاثة اشهر ضد مصالح اسرائيل ففي اليوم الرابع من حرب ١٩٧٣ استغل الوزير الاميركي القلق المفاجيء الذي سيطر على دايان الذي كان قد قاده خطأ الكتروني الى سوء تقدير احتياطي السلاح والذخيرة في حال نشوب نزاع عسكري شامل استغل كيسنجر ذلك ليؤخر اقامة الجسر الجوي الذي طالبت به اسرائيل انقاذا لها من ضغط الجيشين المصري والسوري وهكذا بعد ما بدأ العمل بالجسر الجوي بين الاتحاد السوفياتي وسوريا كانت الاعتدة العسكرية التي تحملها طائرات الفالاكسي الضخمة الى اسرائيل قد بدأت تصل في وقت لم يعد استعمالها ممكنا في المعركة.

البرازاني يدلي بدلوه في حرب رمضان:

كنا نسمع اثناء ثورة البرازاني في العراق بان له علاقة مع اسرائيل او كنا نسمع ان اسرائيل كانت تمده بالخبراء والسلاح كل ذلك في الصحف ونشرات الاخبار وكنا نشك في هذه الاخبار لأن الفضل الاول لوقوف ثورة البرازاني مدة في وجه الحكومة العراقية في حينه كان للسلاح والدعم السوفياتي ولكن البرازاني كان

مع الزمن كان قد بدأ بالاتصال بالمخابرات الاسرائيلية التي اعطته بعض الدعم بالمال والسلاح وهنا تأكدت لنا المعلومات التي كنا نسمعها منذ سنين وبذلك اصبح البرازاني بحكم تعامله مع المخابرات الاسرائيلية تابعا لها ولاسرائيل ككل مع الاسف وفي ١٤ تشرين الاول ١٩٧٣ اصبحت اسرائيل تحت رحمة العلميات العسكرية التي كان ينفذها الجيشان المصري والسوري بعد هجوم ٦ رمضان بحالة من اليأس والذعر وتحضير الاعلام البيضاء للاستسلام حسب ما رواه بعض الذين كانوا في داخل اسرائيل اثناء الهجوم المصري والسوري المفاجيء لذلك اتخذت اجراءات لانقاذها ومن هذه الاجراءات الجسر الجوي الاميركي والاتصال مع البرازاني في مقره للقيام بهجوم على مؤخرة الجيش العراقي الذي كان قد بدأ يشارك في المعارك الى جانب الجيش السوري وكان من شأن هذا الهجوم ان يعرقل تقدم القوات العراقية الى الجولان(١) بالاضافة الى ان مثل هذا الهجوم من قبل الاكراد في ذلك الظرف لم يكن من شأنه التخفيف من ضغط الجبهة الشمالية (العراق) على الجيش الاسرائيلي بل كان من شأنه ايضا اعطاء الاكراد فرصة مهمة لانقاذ وتثبيت وجودهم القومي الذي ضحى به كيسنجر بعد ذلك بسنتين مما سمي بالمأساة الكردية لأن المخابرات الاميركية وبتخطيط من كيسنجر قامت للرد على التغلغل السوفياتي في العراق بتزويد البرازاني وبواسطة (ايران الشاه في حينه) بأسلحة سوفياتية كانت قد وقعت في يد القوات الاسرائيلية اثناء حرب حزيران عام ١٩٦٧ وكان رئيس فرع المخابرات في طهران قد استطاع بسهولة تأمين المساهمة الايرانية لأن ايران كانت تنافس العراق في الاشراف على منطقة شط العرب (والان عادت نفس هذه المنافسة بعد استلام آية الله الخميني الحكم وعزل الشاه ووفاته لاجئا في مصر السادات مما سبب حربا ضروسا بين البلدين دامت حتى تحرير هذه السطور..)

انتهاء ثورة البرازاني:

في شباط (فبراير) ١٩٧٥ توصل العراقيون والايرانيون الى اتفاق ينهي الثورة الكردية وينص احد بنود هذا الاتفاق على وقف كل مساعدة ايرانية للثوار الاكراد

(١) كانت مدرعات شارون قد عبرت القناة واخترقت الخطوط المصرية وكانت الثغرة في الدفرسوار وكانت هذه العملية من الاجراءات التي اتخذت لانقاذ اسرائيل.

وقبل التوقيع على هذا الاتفاق وبتاريخ ١٠ اذار ٩٧٥ بالذات توسل رئيس فرع المخابرات الاميركية في طهران من كيسنجر بعدم توقيع حكم الموت على الشعب الكردي لكن توسلاته لم تلق أذنا صاغية فكيسنجر قد سمح بعمليات الابادة ضد الاكراد بعد ان كان قد افهمهم بان عليهم مساعدة اسرائيل ليضمنوا انقاذ انفسهم ولكن الحلف الكردي الاسرائيلي لم يحظ برضى كيسنجر الذي سارع بالسفر الى موسكو بعد ما ادرك فعالية ردة الفعل العسكرية الاسرائيلية على الجبهة الجنوبية وكان بامكانه مثلا ان يترك الوقت يفعل فعله وان يطيل امد المفاوضات مع الكرملين لكنه قام في اقل من ٤٨ ساعة بعقد اتفاق وقف النار حتى بدون استشارة المسؤولين الاسرائيليين ثم القى مسؤولية غياب التنسيق هذا على عاتق المواصلات التلغرافية السيئة بين موسكو وواشنطون ولكي يفرض على اسرائيل احترام وقف اطلاق النار الذي لم يدخل حيز التنفيذ سوى في الساعة السادسة من مساء ٢٢ تشرين الاول (اكتوبر) بدأ تجميد الضغط العسكري على ابواب السويس من جهة بينما كان الحصار الاسرائيلي الذي نتج عن ادخال شارون لدباباته يهدد نظام السادات بكارثة عسكرية وسياسية بينما استغل كيسنجر هذه الظروف واوحى لوكالات الانباء بان هناك ازمة عالمية وشيكة الحدوث وقد وضع فعلا في ٢٤ تشرين الاول الاحتياطي الاستراتيجي الاميركي في حالة الاستنفار من الدرجة الثالثة في وجه التهديد السوفياتي لصالح العرب بالتدخل عسكريا ضد اسرائيل وكان جيمس شالينجر قد عارض الاقدام على هذا الاجراء الذي لم يكن له ما يبرره في نظره وفي الواقع لم يقم السوفيات بالرد على استغاثة مصر حسب طلبها واشتركت موسكو بارسال ٧٠ مراقبا لوقف اطلاق النار والوثيقة التي استند اليها كيسنجر في ٢٤/و٢٥/١٠/١٩٧٣ ليبرر (التأهب النووي) ليست سوى التلكس الذي تبودل بين السيد الرئيس حافظ الاسد والسادات والذي يستشف منه على أبعد تقدير ان الرئيس الاسد طلب من جهته (مساعدة) سوفياتية ومن بعدها قام بريجنيف بارسال رسالة الى نيكسون هدد بها بأخذ الامور على عاتقه اذا لم يتوصل الطرفان الاميركي والسوفياتي الى عمل مشترك.

بعد ذلك غلبت (حجة) كيسنجر على شالينجر ومن غير المستبعد ان كيسنجر قد ضغط على نيكسون لهذه الغاية نظرا للظروف التي كان يمر بها الرئيس الاميركي الذي كان قد اقدم في نفس الشهر وفي ٢٠ منه على اقالة وزير العدل بسبب التطورات القضائية لأزمة (ووترغيت) فالازمة جاءت في وقتها وكان

من الطبيعي ان يستغلها كيسنجر لصرف الانتباه عن الاخرى.

ان حالة التأهب التي سبب كيسنجر في اعلانها اعطته القاعدة المعنوية ايضا للضغط على اسرائيل وفي ٢٦ تشرين الاول في منتصف الليل اجاب الوزير الاميركي غولدا مائير ـــ رئيسة وزراء اسرائيل التي طلبت منه في مكالمة هاتفية ان يربط بين السماح بتزويد الجيش المصري الثالث بالمؤن وتبادل اسرى الحرب مع العرب اجابها كيسنجر ولأول مرة قائلا: اذا اردت ان تحضر الطائرات الهليكوبتر السوفياتية لتموين الجيش الثالث فاستمري ولكن بدوننا..

ولعب كيسنجر للمرة الخامسة ضد اسرائيل وهو واثق من نفسه بما اتاحته له الظروف فقبل ايام من افتتاح مؤتمر جنيف في ٢١ كانون الاول ديسمبر وقد سمع بالتقدم الذي طرأ اعلى المفاوضات المصرية ـــ الاسرائيلية تحت خيمة الكيلومتر (١٠١) بين الجنرالين الجمصي ـــ وياريف لأجل فك الارتباط بين القوات المسلحة في الجبهة فكان له وقع المفاجأة عليه مما حداه للاتصال بغولدا مائير قائلا: سمعت عن تقديم تنازلات الى مصر الان فماذا يبقى لكم للتفاوض حوله في جنيف... وعندما سمعت غولدا مائير من كيسنجر هذا الكلام الجاف للمرة الثانية وهي التي كانت مهتمة في حينه بتحقيق مكسب ديلوماسي قبل اسبوع واحد من الانتخابات الاسرائيلية العامة (كانت هذه الانتخابات قد تأجلت بسبب الحرب من ٢١ تشرين الاول الى ٣٠ كانون الاول) اصدرت اوامرها الى ياريف بوضع حد للمفاوضات مع الجانب المصري... وبعد ذلك بعدة اسابيع حصل كيسنجر نفسه على توقيع الاتفاق الاول لفك الارتباط الذي كان بالامكان التوصل اليه في محادثات الجمصي ـــ ياريف وقد صرح ياريف بعد ذلك بمرارة بأن هذا الاتفاق كان ممكنا عقده مباشرة في الكيلومتر (١٠١) وبقيت عقدة التقصير تلازم المسؤولين الاسرائيليين من مدنيين وعسكريين حتى جاءت عملية (عنيتبي) في اوغندا عام ١٩٧٦ لتجعلها تتخطى الخوف والتقصير الذي اصابها في حرب رمضان ولتستعيد ثقتها بجيشها.



كيسنجر والقواعد الاميركية في تركيا:

عندما قامت الحكومة التركية (قبل الحكومة الحالية) باغلاق القواعد العسكرية الاميركية في اراضيها وجمدت عضويتها في حلف شمال الاطلسي تقدم هنري كيسنجر فورا بطلب الى الكونغرس الاميركي بوقف تسليم تركيا السلاح او

المعونات المادية ولدى مناقشة ذلك الطلب في الكونغرس اختلف بعض اعضاء الكونغرس حول هذا الطلب وهنا حذر كيسنجر الكونغرس بان قطع السلاح والمعونات المالية عن تركيا يجعلها تعيد النظر في موضوع اغلاق القواعد الاميركية في اراضيها وتقرر وقف اعطاء تركيا اي شيء وبدأ العد العكسي لدى ضباط القيادة في البنتاغون (وزارة الدفاع الاميركية) فاعتبروا ان اغلاق القواعد الاميركية (الهامة) في الاراضي التركية يعتبر ضربة موجهة للاستراتيجية الاميركية لأنه من بين القواعد الست والعشرون المقامة على الاراضي التركية توجد اربع قواعد سرية لانها تحتوي على محطات التجسس الاكتروني ومهمتها مراقبة اطلاق الصواريخ والتجارب النووية التي تجري في الاراض السوفياتية ولدى اغلاق هذه القواعد ولو بصورة مؤقتة فقد اخذت تظهر (بقع عمياء) في خارطة شبكة التجسس الاميركية.

اما المحطات الاربع الالكترونية والتي تهم كبار المسؤولين في المخابرات الاميركية فهي:

١ ـ المحطة الاولى وتقع في منطقة (سينوب) ومهمتها مراقبة تحركات الاسطول السوفياتي والنشاط الجوي في الاتحاد السوفياتي.

٢ ـ المحطة الثانية في منطقة (كارامورسيل) ومهمتها مراقبة مرور الاسطول السوفياتي من مضيق البوسفور والتنصت على مخابراته اللاسلكية.

٣ ـ المحطة الثالثة في منطقة (برينجي ليك) ومهمتها مراقبة اطلاق الصواريخ.

٤ ـ المحطة الرابعة في منطقة (بلباسي) ومهمتها مراقبة اطلاق الصواريخ أيضا.

وتحيط بهذه المحطات اسوار عالية من الاسلاك الشائكة وتحرسها قوات محمولة اما الاجهزة التي تحتويها هذه المحطات فتتميز بشبكة رادار واسعة جدا مزروعة بعشرات الانتينات وبامكان الرادار في هذه المحطات ان يلتقط ادق الاشياء في قواعد اطلاق الصواريخ في الاتحاد السوفياتي خلال ثوان وقوعها وبواسطة هذه القواعد كان بامكان القوات الاميركية ان تعرف عن اطلاق اي صاروخ بعد ارتفاعه عن الارض بمسافة مائة قدم فقط كما ان الخبراء المسؤولين في هذه القواعد والذين كانوا يديرون اجهزة التنصت والتجسس صرحوا فيما بعد سفرهم من تركيا بانهم كانوا يتجسسون على المحادثات التلفونية الشخصية

للطيارين وقادة الدبابات السوفيات حتى اصبح الخبراء الاميركيين يعرفون الطيارين السوفيات من اصواتهم وكانوا يقولون انهم كانوا يستمعون الى الطيارين الروس في قواعدهم وهم ينظفون اسنانهم صباحا وكانت جميع المحادثات التي تلتقط ترسل الى واشنطون لانها على درجة كبيرة من الاهمية بالنسبة لمحللي المعلومات هناك. لقد كانت طلبات قادة سلاح المدرعات مثل طلب (٥٠٠ زوج) من الاحذية وبعض المؤن في آسيا الوسطى يساعد المحللين الاميركيين على الخروج باستنتاجات حول قوة هذه الوحدات العسكرية ومن المعروف ان هذه القواعد هي التي كشفت ولأول مرة عن الجسر الجوي الذي اقامه الاتحاد السوفياتي الى مصر وسوريا اثناء حرب ١٩٧٣.

عندما عزمت تركيا على تصفية الوجود الاميركي من على اراضيها وامرت باغلاق القواعد الاميركية على اراضيها اعطيت الاوامر الى القوات التركية بالتحرك لاحتلال هذه القواعد واعطاء المجال البسيط للخبراء والطيارين الاميركيين للسفر من تركيا فلم يبذل الجنود الاتراك اي جهد للسيطرة على ٢٤ قاعدة من ٢٦ قاعدة وتحوي هذه القواعد على مخازن ذخيرة الارسال والاستقبال وكانت الاوامر قد اعطيت للجنود الاتراك بعدم استعمال العنف مع الاميركيين وعدم تدمير الاجهزة الموجودة في القواعد اما قواعد اطلاق الصواريخ فد بقيت بالاتفاق تحت الادارة الاميركية كذلك قاعدة انجيرليك الجوية التي تحوي سرباً من طائرات الفانتوم (ف ٤) المعدة لحمل القنابل الذرية في حالة التأهب القصوى التي بقيت تحت الادارة الاميركة ايضا لاشتراكها في المظلة النووية التابعة لحلف شمال الاطلسي وبقي المسؤولون الاميركيون في خوف وترقب خشية ان تعمد السلطات التركية على السيطرة على هذه القواعد الهامة لأن الاميركيين لا يستطيعون تعويض هذه القواعد مطلقا ولكن الاتراك كانوا عند حسن الظن الاميركي بهم وأبقوا القواعد الاميركية بادارة أميركية واشراف تركي حتى عادت تركيا في العهد الجديد الى حلف شمال الأطلسي وعادت القواعد الأميركية الى أيدي اصحابها بعد ان دفعت اميركا للاتراك ملايين الدولارات التي انعشت الخزينة التركية التي كان لسان حالها قبل رجوع الاميركيين (يوك باره) وهكذا عاد خبراء المخابرات الاميركية الى اجهزتهم في تركيا للاطلاع ومعرفة ما يجري في الاتحاد السوفياتي حتى (التنصت على صوت غسل الاسنان) وهذه المخابرات الاميركية.

الاتحاد السوفياتي يرد على التجسس الاميركي:

ليس وجود القواعد التجسسية في تركيا وغيرها من البلدان التي تدور في فلك الولايات المتحدة بذي اهمية للاتحاد السوفياتي الذي يعرف ادق الامور عن هذه الواعد ولكي يكون المسؤولون في الاتحاد السوفياتي على بينة من الامور التي تجري في الطرف المقابل فقد نشطوا لاقامة قواعد (مماثلة) تحيط المعسكر الغربي ككل وزودوا هذه القواعد باجهزة تماثل الاجهزة الاميركية خاصة والغربية عامة حيث اصبح باستطاعتهم ايضا الاطلاع على كل صغيرة وكبيرة في القارة الاميركية وحليفاتها فانتقلت عمليات التجسس بين الدولتين العظميين الى الاقمار الصناعية التي صنعت خصيصا لعمليات التقاط الصور وحتى الاصوات بين المعسكرين ولكن الاتحاد السوفياتي (سبق) الولايات المتحدة في اطلاق اقمار التجسس لانهم اطلقوا فيما بين عام ١٩٦٨ وعام ١٩٧٣ حوالي ثلاثين قمرا في كل عام وبالمقابل كانت الولايات المتحدة تطلق اربعة اقمار في العام لكن اقمار التجسس الاميركية كانت اكثر تعقيدا وتمكث في الفضاء مدة اطول من الاقمار التي يطلقها الاتحاد السوفياتي.

وخلال الشهور الستة الاولى من عام ١٩٧٣ اطلقت كل من الدولتين العدد الاقصى مما درجت على اطلاقه طوال عام كامل وكان ذلك استعدادا للقاء القمة بين نيكسون وبريجنيف في حزيران ١٩٧٣ حيث وصل كل من الزعيمين الى مكان الاجتماع مسلحا بكل الحقائق المكشوفة عن القوة العسكرية للدولة الثانية... وهكذا يستمر الاتحاد السوفياتي بالتجسس على الولايات المتحدة والعكس بالعكس حتى يومنا هذا مع تطور وسائل التجسس خاصة الاقمار الصناعية مع كل ما يقال عن العلاقات الحارة بينهما وسياسة الوفاق وربما يكثر الطرفان من التجسس على بعضهما ايام هذا الوفاق اكثر من ايام الحرب الباردة.

وعمليات التجسس الفضائي هذه تصاعدت خلال السنوات الاخيرة وتقوم بها الاجرام الصناعية حيث تعرى الاسرار العسكرية لكل دولة ولم يعد بالامكان اجراء مناورات حربية او اختبار سلاح جديد او اطلاق مركبة فضائية او تصدير شحنة سلاح دون ان تعرف الدولة الاخرى ذلك فورا وفي الحال.

وهناك اجرام ترصد مخابيء الصواريخ وتسجل الاتصالات العسكرية والانجارات الذرية في الجو. تحصي الاسلحة وتتبع تجارب ومسار الصواريخ عابرة

القارات وتقدم تقارير عن الطقس ويوجد اجرام اخرى مهمتها تقييم مدى جودة المحاصيل الزراعية او القيام بجردة وقد وصلت عمليات التجسس الفضائي الى حد ان اجرام التجسس اصبح بامكانها السيطرة على بعضها البعض ويوجه احدها رسالة للجرم الاخر يتلقاها العقل الالكتروني في الجرم ثم يوعز بتنفيذ ما جاء فيها.

ومن احدث الاقمار الاميركية التي تقوم بمسح فوق اراضي الدول الاشتراكية ويلتقط الصور تلقائيا ويجمعها ويلقيها في مكان حدد له حيث يلتقط الخبراء هذه الافلام ويرسلوها الى واشنطون حالا وفي حال وصول هذا القمر الى منطقة مغطاة بالسحب ويصبح من المتعذر عليه التقاط الصور فان الكاميرات العاملة به تغلق اوتوماتيكيا لعدم استهلاك الافلام بدون جدوى وبعض الاجرام يبث الصور التي يلتقطها تلفزيونيا للارض واصبح من الممكن ارسال (اوامر جديدة) من الارض الى الجرم وهو معلقا لينقلها الى جرم اخر من اجل تغيير موقعه في المدار او القيام برصد اقرب لنشاطات غير اعتيادية او مفاجئة كمثل نشوب حرب..؟ ان كواكب التجسس يمكنها رصد اي شيء (ما عدا التجارب النووية التي تجري تحت الارض) كما لا يمكنها رصد تجارب الغواصات ولكن العلم والتكنولوجيا لا تقف عند حد حيث لا يستبعد ان تفقد الغواصات النووية (حصانتها) امام عيون كاميرات الاقمار الصناعية خلال الثمانينات واذا صحت النظرية التي جرت بموجبها تجارب على اجرام زودت بشحنات من اشعة (ليزر) ذات التوتر العالي فانه سوف يصبح بالامكان تعيين مكان الغواصات عن طريق قياس مقدار الازاحة المائية التي تخلفها الغواصة ابان مسيرها وراءها. ومن المحتمل ايضا ان تكون اشعة (ليزر) ضمن طيف ملون قريب من سطح البحر وبذلك يمكن رصد اعماق المحيطات والكشف عن نشاطات الانسان والحيوان في ذلك العالم المجهول (عالم ما تحت الماء)... ولكن الدولتين اتفقتا عام ١٩٧٢ على ان لا يتدخلا في شؤون اجرام كل منها وان يمتنع الطرفان عن محاولات اخفاء النشاطات العسكرية لانه لا قيمة لهذه المحاولات ما دامت كاميرات الاقمار الصناعية باستطاعتها التفريق بين مناطق الهدف الحقيقية والمناطق المموهة من خلال كمية الضوء المنعكس.

مخابيء الصواريخ تحت الارض يمكن رصدها بواسطة معدات تعمل بالاشعة فوق الحمراء حساسة لدرجة انها ترصد درجة الحرارة داخل المخبأ بالمقارنة مع برودة الارض حوله.

أول التجارب على اطلاق اقمار التجسس:

بدأت عمليات اطلاق الاقمار الصناعية في الجو للتجسس خلال الخمسينات عندما اجريت اولى التجارب على هذا النوع من الاجرام من قبل القوات البحرية الاميركية واعطي اسم شيفرة له هو (ساموس) اي (نظام رصد الصواريخ والاجرام) وعمليات التجسس من الجو قطعت شوطا كبيرا حتى اجري اول اختبار حقيقي لكفاءة هذا النظام حدث ابان الازمة الكوبية عام ١٩٦٢ عندما ظهر ان الدولتين الجبارتين تتوجهان نحو مجابهة نووية بسبب وضع صواريخ بعيدة المدى (١٥٠٠ ميل) في كوبا واحتاج الرئيس جون كنيدي الى معرفة الحجم الحقيقي لترسانة موسكو من الصواريخ عابرة القارات ليصار الى تقييم المخاطرة التي قد تتعرض لها الولايات المتحدة من احتمال قيام هجوم سوفياتي مفاجيء عليها.

وكانت المخابرات الاميركية قد قدرت ان موسكو تملك اكثر من (٤٠٠ صاروخ) عابر للقارات فتنشره في طول البلاد السوفياتية وعرضها ولكن اجرام التجسس لم ترصد سوى ١٢ منها فقط ومع ذلك فقد تسلح كنيدي بهذه المعلومات الحقيقية عن القوة السوفياتية واصر على سحب الصواريخ السوفياتية من كوبا وهكذا كان. وفيما تقوم الاقمار الصناعية السوفياتية والاميركية بنفس العمل ونفس المهمات الاساسية الا ان كل دولة تعتمد تقنية خاصة فاجرام التجسس السوفياتية تظل في مدارها حول الارض من ٣ ايام الى ١٧ يوماً ثم تعود الى الارض بواسطة المظلات وهكذا تستعاد الافلام من هذه الاجرام والمشكلة التي تزعج العلماء السوفيات هي ان اقمارهم لا تستجيب دائما لاشارات الارض ويبقى هناك احتمال دائم بامكانية سقوط هذه الاجرام خارج حدود الاتحاد السوفياتي لذلك صَمم العلماء السوفيات هذه الاجرام على اساس امكانية تفجيرها من الارض عندما لا تستجيب لهم او عند حصول اي عطل طاريء عليها يهدد بسقوطها في اراضي الاعداء وهكذا حمل كل جرم سوفياتي بكمية من الشحنات المتفجرة والدليل على ذلك حصل في نسان ١٩٧٣ عندما تجاهل (كوزموس ٥٥) اوامر علماء المخابرات السوفياتية قاموا بتفجيره في الجو... كما ان معظم اجرام التجسس الاميركية مصمم على اساس الاحتراق في جو الارض بعد انتهاء مهماته وبهذا يمكن تفادي وقوع هذه الاجرام في ايدي غير صديقة...

ويعتمد نظام الاقمار الاصطناعية التجسسية في اميركا على خمسة انواع

على الاقل تطير على ارتفاعات بين ٩٨ و٢٢ ميلا ومعظمها يطلق من قاعدة فندبرغ الجوية بالقرب من سانتا بربارا بكاليفورنيا.

وجرم تجسسي اميركي يزن/٣٥٠٠/طل/ يستطيع ان يرصد سطح الكرة الارضية كاملا كل ٢٤ ساعة يفتش عن نشاطات مشبوهة كمركز بناء ضخم او تمركز كثيف للطائرات والسفن الحربية ويقوم هذا الجرم بنقل الصور التي يلتقطها الى احدى سبع محطات ارضية موزعة حول العالم ومقامه في اراضي الدول الصديقة للولايات المتحدة واذا ما ظهر ان احدى هذه الصور جديرة بالملاحظة الدقيقة والتأكد منها فانه يطلق جرم ثان بضعف الجرم الاول يستطيع بواسطة كاميراته الاكثر دقة رصد اجسام على الارض طول اكبرها قدمان ومن على ارتفاع ١٠٠ ميل ويقوم بارسال صوره الى الارض في علبة خاصة تطلق من الجرم بشكل قذيفة عندما يمر فوق منطقة الايسكا التابعة لاميركا فتتبع العلبة مسار القذيفة لتسقط بالقرب من هاواي الاميركية ايضا وعلى ارتفاع ٥٠ الف قدم يؤدي الضغط الجوي الى فتح مظلات متصلة بالعلبة عندما تقوم طائرات الشحن المزودة بملاقط خاصة بسحب العلبة من الجو ونقلها الى داخل الطائرة واذا لم تتمكن الطائرات من التقاط العلبة فان هذه العلبة مصممة على ان تطفو على سطح الماء مدة ٢٤ ساعة وهذا الوقت يكفي لانزال سباحين مهرة والتقاط العلبة من البحر.

اما اذا افترض جدلا انه لم يمكن الوصول للعلبة فانها تنفجر تلقائيا بعد الـ ٢٤ ساعة وتغرق بعد ان يتلف ما فيها من المعلومات ومن المعروف ان اجرام التجسس هذه تعمل من ثلاثة الى اربعة اسابيع في الفضاء وهناك نوع اخر من اجرام التجسس الاميركية يزن ٢٠ الف رطل هذا الجرم يقوم بوظيفة (جرمين اثنين) يستطيع ان يلتقط الصور وينقلها الى الارض بواسطة الراديو او بواسطة المظلة بعد ان يقوم بمهمة رصد دقيقة ويستمر هذا النوع من الاجرام في عمله في الفضاء الخارجي مدة شهرين وهناك نوع اخر مهمته رصد وتسجيل الاتصالات العسكرية ومن ثم يقوم ببث ما يراه الى المحطات الارضية لتصل الى الخبراء اولا بأول.

واخيرا هناك اجرام الانذار هذه يجري اطلاقها في الفضاء حيث تبقى في مدار ثابت فوق منطقة معينة من الارض مهمتها ارسال تحذير فوري عند اطلاق اي صاروخ وهذا النوع موجود منه فوق المحيط الهندي من عام ١٩٧٣ لمراقبة اطلاق الاتحاد السوفياتي والصين معا للصواريخ الجديدة...

النهايـــة:

يتضح من كل ما شرحنا للقارىء عن اقمار التجسس التي تجوب السماء ليلا نهارا وحتى في هذه اللحظة وفوق رؤوسنا صنعت لتشاهد وتلتقط كل جديد على الارض ولأي دولة لكن في النهاية تستفيد من هذه المعلومات الدولة المطلقة لهذا القمر الصناعي.

وبما ان الدولتين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة بذلتا جهودا مكثفة من اجل وقف سباق التسلح النووي وكانت الولايات المتحدة تصر على ان يكون لها الحق في تفتيش الترسانة السوفياتية ولكن السوفيات رفضوا ذلك فتخلت الولايات المتحدة عن هذا الطلب في اجتماعات ١٩٧٢ واتفق البلدان على ترك مهمة التفتيش للاقمار الصناعية بما سمي بالاجواء المفتوحة التي بشر بها الرئيس الاميركي دوايت ايزنهاور في الخمسينات كطريقة لاحلال السلام بين الدولتين الاعظم فهل يحقق المسؤولون الان في الدولتين ما بشر به ايزنهاور ويتفقا على احلال السلام في ربوع العالم.؟

العودة لتدعيم حلفي وارسو والناتو:

مالبث الاميركيون ومعهم قادة حلف الناتو (شمال الاطلي) يعلنون في كل يوم ان حلف وارسو اقوى بكثير من حلف الناتو (سبق ان نشرنا جدولا باسلحة حلف الناتو في الجزء الاول من المخابرات والعالم) وان الاتحاد السوفياتي يتفوق عسكريا على الولايات المتحدة الاميركية وفي حين يفضح السوفيات الطبيعة الديماغوغية المضللة لهذه التصريحات والهادفة اساسا لتبرير تسليح حلف الناتو بالمزيد من الصواريخ النووية فانهم لا ينكرون ما يسمونه بـ (توازن القوى النسبي) سواء بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة او بين حلف وارسو وحلف الناتو بل ان (بريجنيف قبل وفاته) اعلن اكثر من مرة انه سوف لا يسمح للغرب في اي وقت من الاوقات بالوصول الى التفوق العسكري او الاستراتيجي وترد تظاهرات السلام الضخمة التي اشترك فيها الملايين من الناس على سياسة ريغان المتطرفة بالقول انه اذا كان الاتحاد السوفياتي وحلف وارسو متفوقين بعدة مرات على اميركا وحلف الناتو كما يشير ويؤكد كتاب صدر عن وزارة الدفاع الاميركية عام ١٩٨١ تحت اسم (القوة العسكرية السوفياتية) فلماذا تحاول ادارة ريغان عسكرة

مناطق جديدة وبعيدة في العالم واثارة حروب الردة ضد الدول التقدمية في امريكا اللاتينية وافريقيا والشرق الاوسط ومنها دفع اسرائيل لاحتلال لبنان والتحرش بسوريا التي ترتبط مع الاتحاد السوفياتي بمعاهدة صداقة. إلا يمكن لهذه الاعمال العدوانية ان تثير الاتحاد السوفياتي الذي قد يلجأ الى الرد على النطاق العالمي وفي مقابل ذلك يصرح القادة الاميركيون الان انهم قد لا يتوانون عن استخدام القوة المسلحة حيثما يتطلب الامر ذلك والاكثر من ذلك ان الاستراتيجية الاميركية تضع الان في حسابها امكانية خوض حرب نووية (محدودة) ويذهب استراتيجيو واشنطون الى ان (المصالح الاميركية) تقتضي الهجوم على كل المواقع الثورية التي تشكل تهديدا مباشرا او غير مباشر لما تسميه (بأمنها القومي) وأمن الدول المتحالفة معها وفي ضوء هذه المنطلقات الاستراتيجية يمكن فهم الغزو الاسرائيلي الى لبنان والهيمنة الاميركية على مصر وبعض الدول الشرق اوسطية ومحاولة ضرب القوى الثورية في الشرق الاوسط وبذلك تظهر امريكا في المنطقة وكأنها هي القوة العظمى الوحيدة القادرة على حسم الامور بالشكل الذي ترتأيه والطريقة التي تقررها وهنا يطالب التقدميون اصدقاء الاتحاد السوفياتي بالتشدد تجاه هذه الافعال الاميركية الرامية الى اجتياح مناطق واسعة من العالم فيجيب المختصون في الاتحاد السوفياتي اصدقاءه بالقول ان القضية اصبحت الان مختلفة فاذا تشدد السوفيات في اي مكان تجاه الاميركيين فانه من الممكن ان يتشدد الاميركيون اكثر وعندها تقع الحرب العالمية الثالثة التي قد لا تبقي ولا تذر ولذلك يقول السوفيات لاصدقائهم ان الرابح في اي حرب عالمية مقبلة سيكون خاسرا هو الاخر لان النصر النووي سوف يفقد العالم قدراته على مواصلة البقاء واذا كان الاشتراكيون يفكرون في مستقبل البشرية فان الاحتكارات التي تهيمن على تسيير السياسة الاميركية قد لا تتورع حتى عن تدمير كل شيء فيما اذا شعرت بان الارض تفلت من تحت اقدامها في خضم معارك محدودة كما ان اية مواجهة مع السوفيات سوف تعني بالتأكيد اتساع رقعة الصراع وانتقاله من القتال بالاسلحة التقليدية الى اطلاق الوحوش النووية من كلا الطرفين بالضغط على ازرار وبعد ذلك لا احد يتصور نتيجة العالم...

لأول مرة يعرف اسباب النزاع الصيني ـ السوفياتي:

ولأول مرة تذاع الاسباب الكاملة وراء النزاع الصيني ـ السوفياتي بعد

رحيل خروشوف ورحيل ماوتسي تونغ وبعد مضي هذه السنين علمنا ان اسباب النزاع الصيني ـ السوفياتي بدأت عندما طلب ماوتسي تونغ من خروشوف وكانا في قمة شهر العسل الصيني السوفياتي طلب منه ان يقوم العملاقين السوفياتي والصيني بضربة نووية خاطفة للولايات المتحدة الاميركية ودول حلف الناتو ووضع العالم تحت الامر الواقع من أجل انهاء الرأسمالية واقامة الاشتراكية على الكرة الارضية كلها وكان ماو يستند في طلبه على القوة الهائلة التي كان المعسكر الاشتراكي يملكها والتي كان بامكانها فعلا محو الولايات المتحدة وحليفاتها من خارطة الكرة الارضية ولكن خروشوف ومن ورائه القيادة السوفياتية في حينه رفضوا الطلب الصيني ليس فقط لانهم وضعوا في حسبانهم ان النمر الامبريالي (اميركا) يمتلك اسنانا ذرية ولكن ايضا لان الاشتراكية تحتاج الى المنجزات العلمية للرأسمالية ولن تغامر بتعريضها لخطر الزوال ووقعت الواقعة بين الصين والاتحاد السوفياتي الى يومنا هذا ولا يزال السوفيات يوافقون ماو على انهاء الرأسمالية ولكن بدون حرب مدمرة بل بالسياسة وعن طريق الاحزاب الشيوعية في مختلف دول العالم حتى ولو تطلب ذلك (قرنا) اخر من الزمن...

ومع كل ذلك فان السوفيات يتبعون سياسة التهدئة ويتبعون قضية الحسم على النطاق العالمي للمستقبل وهذا لا يعني بنظرهم الغاء خطر نشوب حرب عالمية ثالثة فثمة حدود يعرف السوفيات ان تخطيها سوف يعني المجابهة الذرية وهناك حدود يعرف الاميركيون ان تجاوزها يعني الحرب ايضا ولكن من الصعب معرفة كل الحدود بوضوح واذا كان خط المواجهة الذي يفصل بين المعسكرين يعني الخطر واذا كان هناك ثمة اتفاق حول عدم تعرض كوبا (مثلا) للعدوان فان ثمة مواقع اخرى تتداخل فيها الحدود ويمكن ان يخطيء اي طرف فيها في حساباته بطريقة تؤدي الى المجابهة.

فالاميركيون يعتبرون الوجود السوفياتي في افغانستان والوجود الفيتنامي في كمبوديا تجاوزا للحدود فيما يعتبر السوفيات السيطرة الاميركية على منطقة الخليج العربي وبلدان عديدة في الشرق الاوسط وافريقيا واميركا اللاتينية بما في ذلك اقامة القواعد العسكرية في هذه البلدان انتهاكا للأمن في العالم.

ويقول المراقبون السياسيون الغربيون ان خطر نشوب حرب عالمية في ظل ادارة ريغان قد لا يأتي من اي خرق للحدود القائمة بين المعسكرين وانما يأتي من مواقع اخرى مثل الشرق الاوسط حيث يعتبره الاميركيون (ارضا مباحة لهم) وهم

يشيرون الى ان السياسة الاميركية قد تؤدي في النتيجة الى اخلال بالتوازن العسكري القائم بين الطرفين واذا علمنا ان هذا الشعور قد ترسخ لدى السوفيات فان الاتحاد السوفياتي سوف لا يتوانى عن كسر هذا الخلل وقذف الاميركيين الى الخارج وهم يعتقدون ان القوة العسكرية هي التي تعرض النهج السياسي في اخر المطاف ومهما يكن من امر فان علاقة القوة العسكرية القائمة بين المعسكرين الدوليين تأتي في الاعتبارات الاستراتيجية قبل اي شيء اخر ومن اجل معرفة خطوط التطور المقبلة في السياسة الدولية لا بد من معرفة القوى العسكرية والاستراتيجية التي يتملكها حلفا وارسو والناتو وهي معرفة تقوم على اساسها السياسة الدولية برمتها بغض النظر عن الانهيارات والتصدعات التي قد تحدث هنا او هناك وهنا يجيء دور المخابرات في مراقبة ورصد حجم قوة كل من الفريق الاخر ونتيجة للمعلومات التي يجمعها كل فريق عن الاخر قام البنتاغون (وزارة الدفاع الاميركية) باصدار كتاب بعنوان (الناتو وحلف وارسو ـ علاقات القوى) يشير في هذا الكتاب واضعوه وهم من خبراء المخابرات الى ان الاتحاد السوفياتي وحلف وارسو يتفوقان عسكريا بنسبة (٢ الى ١) ولكن المخابرات السوفياتية قامت باصدار كتاب بعنوان (من اين ينطلق الخطر على السلام) ردت فيه على الاميركيين بأن ما جاء في الكتاب المذكور اكاذيب وضعتها المخابرات الاميركية ومما جاء في الرد السوفياتي ان الاتحاد السوفياتي يعلن على مستوى اعلى قياداته من انه لم يعمل ولا يعمل للوصول الى مستوى القمة العسكرية الاولى المهيمنة على العالم ولكنه لن يسمح في الوقت ذاته لأحد (يقصدون اميركا) ان يحقق مثل هذا الامر وهو سوف يستخدم كل ما هو ضروري لاعاقة ذلك ومنعه...

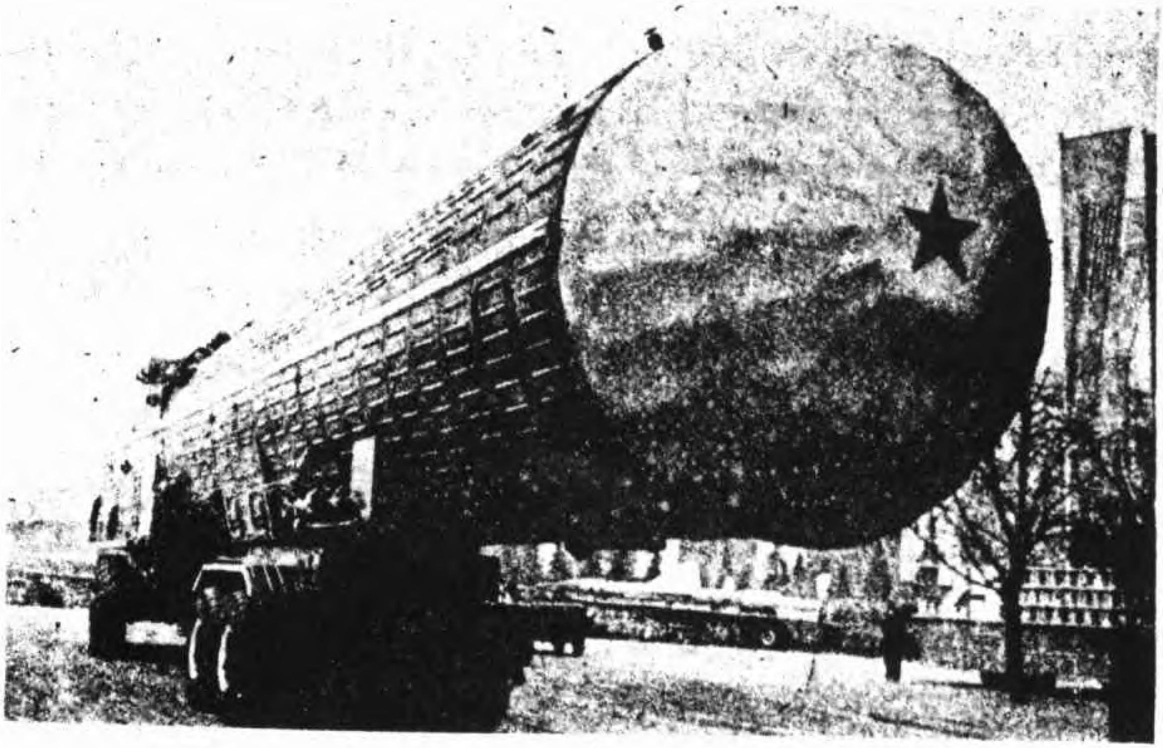
ويؤكد السوفيات ان ثمة توازنا عسكريا قائم تقريبا منذ عدة سنوات بين الاتحاد السوفياتي واميركا من جهة والحلفين الشرقي وارسو والغربي الناتو من جهة اخرى لأنه في تشرين الثاني ٩٨١ اعلن المارشال دف اوستينوف وزير الدفاع السوفياتي بقوله: استطيع ان أؤكد بكل مسؤولية ان ثمة تعادلا تقريبا يقوم بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية وبين حلف وارسو وحلف الناتو فيما يتعلق بالاسلحة النووية والاستراتيجية وفي الاسلحة النووية متوسطة المدى وفي الاسلحة التقليدية.

وهنا يمثل قول وزير الدفاع السوفياتي وجهة النظر السوفياتية التي تقول يكفي للدفاع الوصول الى حالة التعادل.

اما الولايات المتحدة التي لا تكف عن الحديث عن قوة الاتحاد السوفياتي وتفوقه في المجالات العسكرية فانها لا تخفي بنفس الوقت سعيها للوصول الى التفوق وقد اعتبرت ادارة الرئيس ريغان هذه السياسة الرامية الى الوصول الى التفوق باعتباره هدفا اساسيا لا يمكن التخلي عنه ومن اجل الوصول الى هذا الهدف رصدت مبالغ تكاد تكون خيالية لم يشهد لها التاريخ مثيلا وهذه السياسة وهذا الهدف يعتبره السوفيات خطرا لأن وصول اميركا الى التفوق سوف يعني (الحرب) فهل سيوقف الاتحاد السوفياتي هذا الخطر القادم قبل ان يحقق اهدافه او على الاقل في منتصف الطريق..؟ وكيف ذلك..؟ وقبل الاجابة على السؤال يجب ان نلقي نظرة على توازن القوى القائم بين المعسكرين ايهما اكثر قوة في الحقيقة..؟ وهل يستطيع احد المعسكرين حسم الصراع (اي صراع محتمل ان يقع في اي بقعة من بقاع العالم) لصالحه بواسطة هجوم خاطف يقوم به ويكون هذا الهجوم مفاجأة للمعسكر الاخر...

اتفاقية (سالت ــ ٢) بين المعسكرين:

يقول الخبراء العسكريون المطلعون على بواطن الامور من جهة اسلحة الفريقين السوفياتي والاميركي انه في السبعينات كان ثمة توازن تقريبي للقوة بين المعسكرين فيما يتعلق بعدد ونوعية الاسلحة النووية الاستراتيجية وقد تمت بكل عناية دراسة هذا التوازن اثناء العمل لتوقيع اتفاقية (سالت ــ ٢) من قبل كبار الخبراء المختصين من الجانبين وقد توصل هؤلاء الخبراء الى ان التوازن بين الجانبين يتطلب ان يملك جانب (٢٥٠٠ صاروخ) مقابل (٢٣٠٠ صاروخ) للجانب الاخر وقد حصلت الولايات المتحدة على عدد اكبر من الرؤوس النووية باعتبار ان الرؤوس النووية السوفياتية تتفوق على الرؤوس النووية الاميركية في بعض الجوانب الفنية وقد نصت الاتفاقية على التزام الطرفين بعدم تجاوز حدود (٢٤٠٠ وحدة صاروخية) وان ينخفض الرقم ابتداء من الاول من كانون الثاني يناير ــ ١٩٨١ الى (٢٢٥٠ وحدة) وكان هذا يعني ان يقوم الاتحاد السوفياتي بتدمير (٢٥٠ حاملة صواريخ) مقابل ان تقوم اميركا بتدمير (٣٠ وحدة منها) ومن المعروف انه تم التوقيع على الاتفاقية (سالت ــ ٢) في صيف عام ١٩٧٩ ولكن جيمي كارتر الرئيس الاميركي السابق اعلن بعد فترة قصيرة من ذلك ان الاتفاقية لم تحقق التوازن المطلوب وان الاتحاد السوفياتي قد حقق تفوقا كبيرا على



صاروخ (غولاش) السوفيتي ــ عابر القارات وعنا لأمر العم سام...؟



الرئيس السابق كارتر والرئيس الراحل بريجنيف وطلب المزيد من معاهدات (سالت ــ ٢)

الاستراتيجية تمنح هذا الطرف او ذاك تفوقا معينا ولكن هذا السعي سوف يرغم الطرف الاخر لمضاعفة انتاجه العسكري الاستراتيجي ايضا للوصل الى التوازن فعلا وليس دعاية كما تشيع الولايات المتحدة وهكذا تصبح العملية ايضا بدون معنى اذ ما من طرف يمكن ان يسمح للطرف الاخر ان يطور اسلحته بدون ان يلحق به وقد ذكر بريجنيف قبل وفاته في المقابلة التي اجرتها معه مجلة (دير شبيجل) الالمانية الغربية قبل عدة اشهر:

من الافضل بالنسبة لاؤلئك الذين يحلمون بتحقيق تفوق عسكري على الاتحاد السوفياتي ان يتخلوا عن هذه الاوهام فاذا كان لا بد من الامر فان الشعب السوفياتي سوف يبذل كل ما في وسعه ويقدم على كل شيء من اجل تأمين ما يتطلبه الدفاع الناجع عن بلاده.

ويرى السوفيات ايضا انه من الافضل بل من الواقعية التحدث عن التوازن القائم حاليا بين (المعسكرين) وهو توازن ساعد على ضمان السلم في العالم طيلة (الفترة السابقة) من الزمن اما السير باتجاه سباق التسلح النووي فانه سوف يعني تطوير انواع جديدة من الاسلحة النووية ويجعل عملية السيطرة عليها او حتى تحديدها اكثر صعوبة (بل مستحيلة) كما ان الدخول في هذه المرحلة الجديدة من الاسلحة النووية المتطورة سوف يخل بالاستقرار الدولي ويضاعف من احتمال نشوب حرب نووية صاعقة.

ومن ناحية اخرى يحاول حلف الناتو ــ الاطلسي التلاعب بالارقام فهذه المصادر تحذف وبعكس الارقام التي اعطيت اثناء توقيع (معاهدة سالت ــ ٢) ١٦٠ صاروخا اميركيا ذريا ينطلق من الغواصات و(٢٣٠ قنبلة ذرية) من المجموع العام للاسلحة التي يملكها حلف الناتو ــ وفي الوقت ذاته ترفع عدد القاذفات السوفياتية الاستراتيجية المتفق عليها من ١٥٦ قاذفة الى ٣٥٦ كما يقترح الناتو ان يقوم الاتحاد السوفياتي بالقاء ٧٠٪ من الرؤوس النووية التي يملكها نظامه السلاحي (اى. سي. ب. م) مقابل حذف ٢٠٪ من قبل الناتو ولكن السوفيات يردون ان الوضع الحالي القائم لا يخل بالتوازن ما دامت الولايات المتحدة تختزن حوالي ٨٠٪ من الرؤوس النووية المنطلقة من الغواصات بالاضافة الى القنابل الثقيلة وهذا يتجاوز ما يملكه الاتحاد السوفياتي من هذه الاسلحة بينما يقول الاميركيون انهم متخلفون عن السوفيات فيما يتعلق بوحدات ذخيرة القوى النووية بما لا يقل عن ١٥٠٠ وحدة وهذا يعني من وجهة النظر الاميركية ان السوفيات يستطيعون

مباشرة من مضاعفة قوتهم النووية عدة مرات عن طريق تركيب هذه الوحدات على نظامهم السلاحي (اى. سي. ب. م) القادر على حمل عدة رؤوس نووية موجهة وعلى انفراد اما فيما يتعلق بالصواريخ النووية متوسطة المدى والموجودة في اوروبا تحاول اوساط حلف الناتو تصوير الوضع بصورة دراماتيكية للغاية:

ان اوروبا الغربية تكاد تقف عزلاء تحت رحمة الصواريخ السوفياتية ولكن السوفيات يردون على ذلك بالقول انه ابعد ما يكون عن (الحقيقة) فمنذ عدة اعوام يوجد توازن قائم يعتمد على امتلاك كل طرف لحوالي ١٠٠٠ وحدة نووية متوسطة المدى فلو احتسب المرء بالاضافة الى الصواريخ متوسطة المدى الانواع الرئيسية من الصواريخ الذرية والاسلحة النووية التي تحملها الاجسام الطائرة التابعة لبلدان الناتو والتي تستطيع منطلقة من قواعد داخل اراضي اوروبا الغربية او من المياه الاوروبية اصابة اهداف داخل الاتحاد السوفياتي اي تلك الصواريخ التي تبلغ مداها اكثر من الف كيلو متر والتي تقابلها صواريخ سوفياتية مماثلة فان ثمة توازنا تقريبيا بين الاتحاد السوفياتي وبلدان الناتو يظهر للعيان وبالطبع لا يشمل هذا الصواريخ العابرة للقارات والتي يمتلكها كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي.

ومنذ بداية عام ١٩٨٢ وضعت بلدان الناتو ٩٨٦ حاملة ذرية تحت تصرف الحلف ومن بينها (٧٢٠) ــ طائرة ف ٣) و(ف ب ــ ٣ أ ي) و(ف ــ ٤) و(ف ــ ١٦) اميركية موضوعة في حاملات طائرات جاثمة على مقربة من سواحل المياه الاوروبية اما الانكليز فيملكون ٦٤ صاروخا ذريا و٥٥ قاذفة ذرية بالاضافة الى ١٤٤ وحدة (٩٨ صاروخا و٤٦ قاذفة) تمتلكها فرنسا اما الاتحاد السوفياتي فيمتلك ٩٧٥ وحدة ذرية مشابهة.

حساب الغرب لصواريخ (اس ــ اس ٢٠) السوفياتية:

والان يدور جدل هام بين الغرب والشرق حول صواريخ (اس ــ اس ٢٠) السوفياتية فحلف الناتو يدعي ان هذه الصواريخ تمنح الاتحاد السوفياتي تفوقا كبيرا في مجال الصواريخ النووية متوسطة المدى ويرد السوفيات قائلين: صحيح انهم قاموا بتغيير صواريخ (اس ــ اس ٥) العتيقة واستبدلوها بصواريخ (س ــ س ٢٠) الجديدة الا ان الموقف لم يتغير فقد ظل العدد ثابتا فيما تغير نوع الصواريخ وهم يقولون ان هذا التغيير ادى الى تخفيض قوتهم الذرية لا زيادتها وجدلهم حول ذلك يتركز في ان كل صاروخ قديم كان قادراً على حمل رأس نووي واحد فيما

تستطيع الصواريخ الجديدة حمل ثلاثة رؤوس نووية دفعة واحدة ولكن قوة كل واحد من الرؤوس النووية القديمة هي اقوى من كل واحد على حدة من الرؤوس الثلاثية الحالية وقد ادى هذا التغير الى تخفيض عدد الحاملات الذرية في الجانب السوفياتي.

وحين ينتقل الجدل من الخبراء ووزراء الدفاع والمختصين في الحلفين الى الصحافة فان الجدل يأخذ في هذه الحالة منحى متطرفا في الغالب فالغربيون يحاولون تقديم صورة مرعبة عن صواريخ (اس ـ اس ٢٠) التي يقولون انها تمتلك قدرة كبيرة على التحطيم والمناورة والحركة في الوقت ذاته ولكنهم يصمتون فيما يتعلق بالانظمة السلاحية الاميركية ومميزاتها التقنية الحديثة كما لا يتحدثون عن الصواريخ البريطانية والفرنسية التي تحملها الغواصات الذرية وهم لا يقارنون الا بين تلك الاسلحة التي تنطلق من الارض وبمعزل عن المجموع العام لكل الاسلحة وهي مقارنة غير صحيحة ذلك لأن حوالي ٧٠٪ من الانظمة السلاحية السوفياتية هي اسلحة ارضية والعكس هو الصحيح بالنسبة للاسلحة الاميركية متوسطة المدى ويستند السوفيات في جدلهم عن طريق صحافتهم الميزة البرافدا ـ ازفستيا ـ الى تصريحات سابقة لهيلوت شميدت مستشار المانيا الغربية (السابق) والجنرال الكسندر هيغ وزير الخارجية الاميركية (السابق) فقد سبق لهما واشارا الى وجود توازن ذري بين طرفي اوروبا وهم يشيرون الى انه اذا كان الناتو يعترض على قيامهم بتحديث صواريخهم فان دول الناتو قامت عدة مرات بتحديث اسلحتها الذرية بل ان هذه العملية قائمة حتى يومنا هذا فقد طورت بريطانيا مثلا صواريخ (بولاريس) التي تحملها الغواصات واصبح لكل صاروخ (ستة رؤوس) نووية عوضا عن (ثلاثة) وان البريطانيين سوف يستخدمون في التسعينات صواريخ (ترايدانت ـ ٢) التي سوف يحمل كل صاروخ منها ١٤ رأساً نوويا مع بلوغ مدى أبعد. ويفكر الفرنسيون باستخدام صواريخ ارضية وبحرية ذات سبعة رؤوس نووية وسوف ترفع البحرية الفرنسية في عام ١٩٩٠ عدد غواصاتها المحملة بالصواريخ الذرية من خمسة الى سبعة غواصات.

وفي حين يشير الاتحاد السوفياتي الى ضرورة الابقاء على التوازن الحالي فانهم يرفضون بصورة قاطعة (المشروع الغربي) الرامي الى نصب ٥٧٢ صاروخا نوويا اميركيا في اوروبا الغربية لان ذلك يعني في نظرهم تفوق الناتو على حلف وارسو (بمرة ونصف) وهذا يعني الاخلال بالتوازن القائم بين المعسكرين فيما

يتعلق بالقوة الاستراتيجية للطرفين لأن هذه الصواريخ الجديدة الموجهة ضد الاتحاد السوفياتي لا يمكن النظر اليها إلا باعتبارها اسلحة استراتيجية رغم اعلان الولايات المتحدة ان هذه الاسلحة لها طابع دفاعي ولكن الحقيقة هي ان هذه الاسلحة موجهة ضد الصواريخ السوفياتية العابرة للقارات (منها من له مهمة اعتراض الصواريخ السوفياتية العابرة للقارات وتحطيمه في الجو قبل الوصول الى هدفه) وضد الاهداف الاستراتيجية الحيوية في القسم الغربي من الاتحاد السوفياتي وهذا امر يخرج عن مفهوم التوازن في اوروبا كما ان صواريخ (بيرشينغ ٢) والتي يبلغ مداها ٢٥٠٠ كيلو متر تقطعها ما بين (٥ او ٦ دقائق) تعني تغييرا كاملا في التوازن الاستراتيجي في اوروبا وتصبح المسألة موضوع توازن على المستوى العالمي والحقيقة هي ان الولايات المتحدة الاميركية لا تريد عن طريق نصب هذه الصواريخ الدفاع عن اوروبا او ضمان امنها بقدر ما تطمح الى اضعاف الرد النووي السوفياتي الذي سيوجه الى الولايات المتحدة فيما اذا اندلعت الحرب فجأة بين الطرفين وهذا يعني حصول اميركا على تفوق واضح في موقفها العسكري الاستراتيجي الكوني على الاتحاد السوفياتي وهذا ما تحاول واشنطون اخفاءه عن الرأي العام الاوروبي الغربي رغم ان جميع الدوائر السياسية الاميركية تدرك مغزاه جيدا.

ومن اجل تضليل الرأي العام الاوروبي الغربي تحاول دوائر الناتو اللعب بالارقام فهي تضيف الى قوة حلف وارسو جميع الطائرات التكتيكية التي يبلغ مداها بين ٣٠٠ ــ ٥٠٠ كيلو ميتر والتي لا يمكن احتسابها ضمن القوة النووية (متوسطة المدى) في حين انها تسقط من قوة حلف الناتو الالاف من الطائرات الحاملة للرؤوس النووية ذات المدى المتوسط مثل (الميراج ــ ١٤) و(سوبر اتندارد) و(تورنادو) و(ف ــ ١٦) و(الجاكوار) و(بوكانير) ويتركز الموقف السوفياتي في ضرورة اضافة كل هذه القاذفات الى القوة النووية الكلية لحلف الناتو لأن هذه الطائرات فعلا مجهزة بل وتحمل رؤوس نووية ولها طلعات نظامية حول دول الاتحاد السوفياتي (حلف وارسو).

قوة الحلفين ــ العسكرية الشاملة:

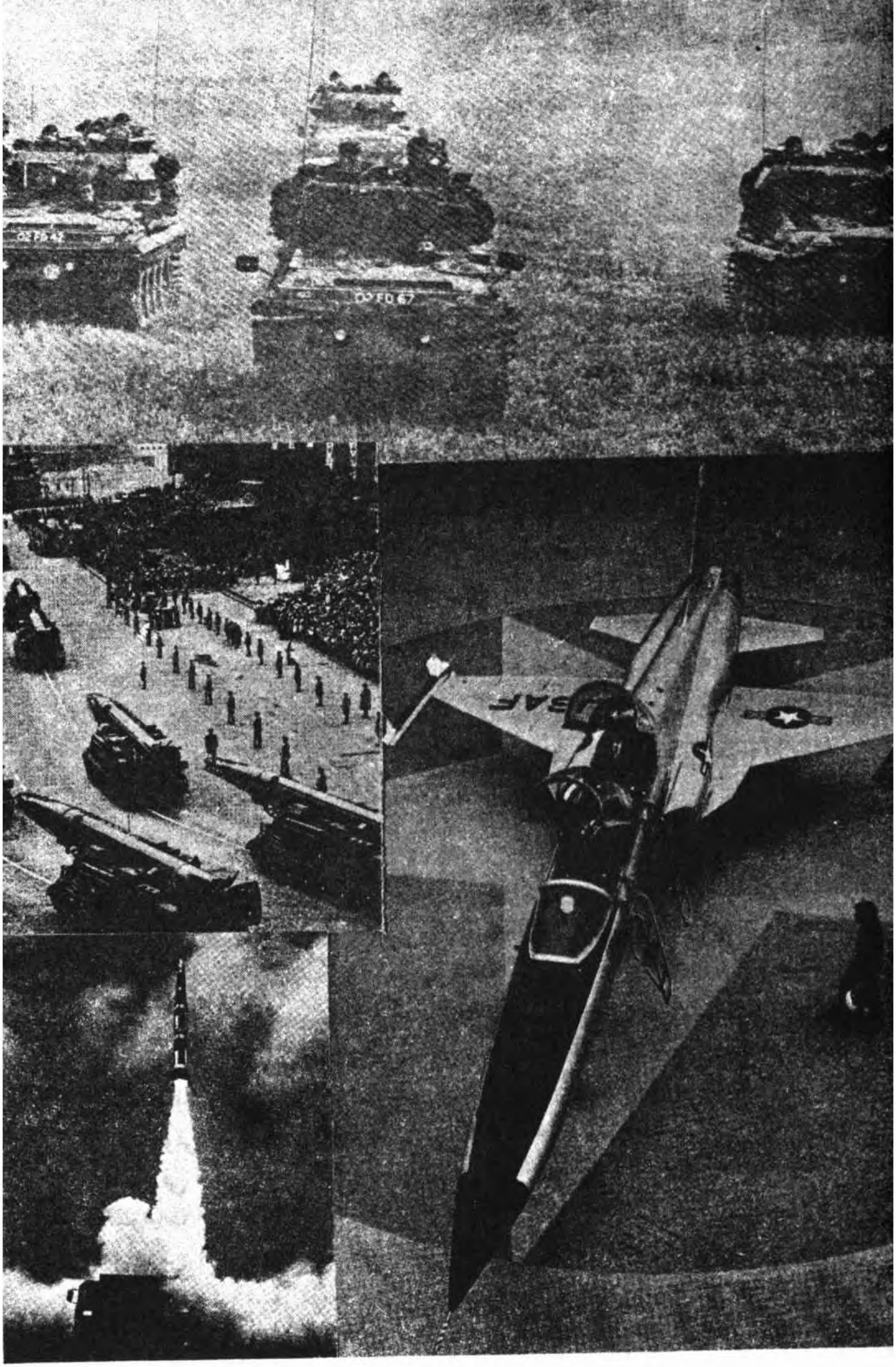
عندما يتنادى الخبراء للمقارنة بين قوتي حلفي وارسو والناتو فانه من الصعب تحديد ذلك تماما حتى بالنسبة لكبار الخبراء العسكريين وخبراء المخابرات وسبب

هذه الصعوبة واحد من اثنين:

١ ــ العدد الكبير من الانظمة السلاحية المختلفة التي يمتلكها كل طرف والتفوق الذي يمتلكه المعسكران في مجالات تختلف عن بعضها الاخر وفي حين تؤكد اوساط حلف وارسو على وجود توازن تقريبي في الاسلحة التقليدية بين الطرفين تشير اوساط حلف الناتو الى ان حلف وارسو يتفوق على الناتو بصورة كبيرة في هذا المجال ولكن مفهوم التفوق هنا يعتمد على الطريقة التي يقيم فيها المرء قوة هذا الطرف او ذاك فثمة فارق في عدد الفرق العسكرية بين الطرفين وكذلك في الاسلحة.

٢ ــ الاختلاف في التركيبات والتشكيلات العسكرية وثمة فوارق في احتساب القوة العسكرية بين الفرق الثابتة المعدة للهجوم والقوة الاحتياطية من ورائها التي يمكن زجها في المعركة.

فمثلا يمتلك حلف الناتو في اوروبا (٩٤ فرقة ــ وهذا يشمل اسبانيا ايضا) مقابل ٧٨ فرقة يمتلكها حلف وارسو (وهي لا تشمل بالطبع كل القوة السوفياتية وانما فقط تلك الموضوعة ضمن تشكيلات حلف وارسو) وضمن هذا التقييم يكون عدد الجنود الجاهزين للقتال ضمن حلف الناتو اكبر مما هو عليه في حلف وارسو ذلك لأن (الفرقة) ضمن المفهوم الاميركي تتكون من (١٦ الف الى ١٩ الف جندي) اما الفرقة ضمن المفهوم العسكري السوفياتي فتتكون عادة من (١١ الف جندي) على الاغلب وان عدد القوات السوفياتية ككل اكثر بكثير من عدد القوات الاميركية الكلية ولكن هذا امر طبيعي كما يقول السوفيات بسبب الوضع الجغرافي الذي يرغمهم على الدفاع لا عن حدودهم في اوروبا فحسب وانما في اسيا ايضا حيث تبلغ حدود الاتحاد السوفياتي (٦٧٠٠٠ كيلو متر من بينها اكثر من ٢٠٠٠٠ كيلومتر ارض ثابتة ومن ناحية اخرى يمتلك الاتحاد السوفياتي تفوقا واضحا في قوات الدروع ولكن شليسنجر عندما كان لا يزال وزيرا للدفاع في اميركا كتب تقريرا الى الكونغرس يقول فيه: ان فرق الدبابات الحديثة التي نملكها في اوروبا وعلى حدود الاتحاد السوفياتي تنافس الدبابات السوفياتية رغم تفوقها العددي اذ انه ليس بالضرورة امتلاك نفس العدد من الدبابات ويمثل هذا الرأي ايضا (مكنمارا ــ احد وزراء الدفاع السابقين) ووانبرغر وزير الدفاع الحالي ومع ذلك فان الناتو في دعايته يقدم الأمور في صورة مختلفة تماما.



لا ينكر حلف وارسو حتى في دعايته الرسمية انه يمتلك عدداً اكبر من الدبابات ولكن بعد انضمام اسبانيا الى حلف الناتو تقلص الفارق ولكن ثمة حقيقة اخرى وهي ان الناتو يضع في حسابه فقط القوات الموضوعة تحت تصرف القيادة العليا في اوروبا وبصورة عامة لا يعترف الناتو الا بـ (١٢) الف دبابة ولكن فيما اذا تم احتساب العدد الكامل للدبابات التي تملكها دول حلف الناتو (بما فيها اسبانيا) فان العدد يرتفع الى (١٧) الف دبابة وبالاضافة لذلك توجد في المخازن الاوروبية (١٥٠٠) دبابة اميركية و(٦٥٠٠) دبابة اوروبية غربية متنوعة وهذا يعني ان حلف الناتو يمتلك في الحقيقة (٢٥) الف دبابة وهو رقم لا يقل كثيرا عما يملكه حلف وارسو من الدبابات.

واذا عدنا الى تصريح (ج ـ براون) وزير دفاع اميركي سابق في عام ١٩٨١ ان الحلفاء الغربيين يمتلكون (٣) ملايين جندي ضمن القوات النظامية فيما تمتلك الولايات المتحدة الاميركية مليوني جندي نظامي واذا ما اضفنا الى هذين الرقمين الاحتياطي يبلغ عدد قوات الحلفاء الغربيين (٦) ملايين جندي بالاضافة الى (٣) ملايين جندي اميركي اي ان حلف الناتو قادر على زج (٩) ملايين جندي في الحرب.

وبالعكس فان خبراء حلف الناتو يقدرون قوة حلف وارسو الضاربة مع الاحتياطي بـ (٢٠) مليون جندي وهو رقم لا يعترف به السوفيات ويعتبرونه مبالغا فيه كالعادة من قبل حلف الناتو ذلك لتبرير المزيد من التسلح.

الاساطيل البحرية للحلفين:

البحرية السوفياتية استطاعت ان تطور نفسها وتتحول الى اساطيل تجوب البحار كلها كقوة عسكرية محيطية تشمل بحار العالم كله (هكذا يصرح المسؤولون في البنتاغون) اما السوفيات فانهم لا يخفون حقيقة التطور التكتيكي والقتالي شهدته اساطيلهم خلال الاعوام العشرين الماضية ولكنهم يضيفون الى ان هذا التطور يشمل الاساطيل الغربية ايضا.

وفي الحقيقة ان القوة الاساسية الضاربة للناتو والولايات المتحدة الاميركية تكمن في قواتها البحرية التي تضم (٢٦) حاملة طائرات (٢١ منها اميركية) ويقول السوفيات ان اساطيل الناتو والاميركان تملك ثلاثة اضعاف ما يملكه حلف وارسو من سفن القتال والطرادات والمدمرات والفرقاطات مما يقلل من تفوق حلف

وارسو في عدد الغواصات التي يملكها وهي غواصات صغيرة وذات مدى محدود مخصصة للاغراض الدفاعية كما تشير مصادر حلف وارسو كما تؤكد هذه المصادر نفسها على ان سفن الانزال الاميركية اكثر تطورا وتقدما من سفن الانزال السوفياتية ذات الكفاءة القتالية المحدودة على القرب من الشواطيء ويبلغ مجموع وزن السفن الاميركية (٤٥٥) مليون طن فيما يبلغ وزن السفن السوفياتية بالمقابل (٢٠٦) مليون طن ويعترف السوفيات بان الاميركيين يتفوقون عليهم في عدد الطائرات التابعة للقوات البحرية بنسبة (١٥٠٪) وباكثر من ذلك في قدرتها القتالية وفي الوقت الذي تملك فيه الولايات المتحدة الاميركية اكثر من (٥٢٠) قاذفة ذرية تنطلق من حاملات الطائرات الى اهداف داخل الاتحاد السوفياتي فان الطائرات السوفياتية مخصصة للهجوم ضد السفن لا لتوجيه ضربات ضد القارة الاميركية.

وفي حين ان القوة البحرية الاميركية قائمة على اساس الهجوم فان القوة البحرية السوفياتية ذات طابع دفاعي.

ويقول السوفيات انفسهم ان القوة البشرية التابعة لمدفعية (المارينز) الاميركية هي اقوى واكبر من قوتهم بـ (١٦) مرة (الولايات المتحدة الاميركية — ١٩٠) الف رجل الاتحاد السوفياتي (١٢) الف رجل ولكن خبراء الناتو يقولون ان الاتحاد السوفياتي وحده يملك حوالي (٤٠) سفينة حربية عائمة (من بينها حاملات طائرات وطرادات) اما السوفيات فيردون على ذلك بالقول بانهم لا يملكون ولا حاملة طائرات واحدة اما عدد طراداتهم (ومنها سفينتان لاطلاق الطائرات) فلا تتجاوز الثلاثين وهم يقولون ايضا ان اميركا تمتلك (٢١ حاملة طائرات) و(٩ طرادات عاملة بالقوة النووية).

ومن جهة اخرى يقدر حلف الناتو عدد المدمرات والفرقاطات التابعة لاساطيل حلف وارسو في المحيط الاطلسي وفي ساحات القتال الاوروبية والمستعدة لمواجهة اساطيل حلف الناتو بضعف القوة التي يعترف بها (حلف وارسو) اما السوفيات فيقولون ان الاميركيين يحاولون حذف (٤٥٠ طائرة مقاتلة وهليكوبتر) موجودة في اسطولهم الاطلسي بكل بساطة من (القائمة) كما انهم يصمتون عن (١٤٠ سفينة مقاتلة مجهزة بصواريخ هاربسون التي يبلغ مداها ١٢٠ كيلومترا).

وأخيراً..؟ من هو الأقــوى:

والان يستغرب القارىء طول هذا الشرح عن القوتين العظميين اللتين تحكمان العالم ونحن كخبراء في المخابرات كان من الواجب علينا اطلاع قارئنا على هذه القوى وتعدادها وحتى اماكنها لكي يتبين موقعه من الاحداث ويعرف ان تناطح الجبارين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية من وراء حلفيهما كله على حسابنا نحن دول الشرق الاوسط وعلى حساب الدول الاخرى المستضعفة المسماة الدول النامية لانه نتيجة زيادة قوة هذا الطرف او ذلك (يعني) زيادة سيطرته على مناطق جديدة في العالم واذا عدنا الى بحثنا عن قوة الجبارين نقف عند سؤال من وراء البحث (من هو الاكثر قوة هل هو حلف وارسو ومن ورائه الاتحاد السوفياتي) ام الاقوى هو حلف الناتو من ورائه الولايات المتحدة الاميركية) يقول السوفيات ردا على هذا السؤال ان هناك تعادل تقريبي في جميع المجالات سواء في الاسلحة النووية الاستراتيجية والصواريخ متوسطة المدى والاسلحة التقليدية وهم لا يردون ان الاميركيين متخلفون عنهم ولذلك يدعون الى الابقاء على التوازن القائم حاليا ولكن ادارة ريغان ومن ورائها الخبراء من دول الناتو تعتقد ان هناك تخلفا لاميركا وحلف الناتو عن السوفيات وحلف وارسو في جميع هذه المجالات ولذلك يتنادون الى تبني سياسة المزيد من الاسلحة من اجل الوصول للتعادل اما الرئيس ريغان فهو الوحيد من الحلفاء الغربيين في حلف الناتو الذي كسر قاعدة طلب التعادل وطلع على العالم بهدف يسعى اليه وهو (التفوق) فقد ذكر (هيلموت شميدت) في مقابلة تلفزيونية اجريت معه بتاريخ ١٩٨١/٢/٢١: ان السياسة الاميركية تحاول دائما تقديم انطباع بانها تسعى للوصول الى التوازن ولكنني شخصيا لا ادري اي اخلال مبدئي بالتوازن القائم في الواقع. ويشاطر شميدت الرأي ايضا سياسيون اميركيون كبار مثل مكنمارا وهو وزير دفاع سابق وباندي مستشار الامن القومي السابق لكندي ومن بعده جونسون وكينان سفير اميركا السابق في موسكو ورئيس البعثة الاميركية لمباحثات سالت ـــ ١ كل هؤلاء يؤكدون ان القوتين للطرفين متعادلتين تماما في اي وقت من الاوقات السابقة لمجيء ريغان للحكم. ولعلم القارىء ايضا ان الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية قد استأنفتا مفاوضات (الحد) من الاسلحة الاستراتيجية اعتبارا من ٦ تشرين الاول اكتوبر ١٩٨٢ في جنيف بعد انقطاع عدة اشهر وسط علاقات سوفياتية ـــ اميركية ـــ متردية ومع ذلك فان المراقبين السياسيين يتوقعون ان يلتقي

ريغان بالزعيم السوفياتي الجديد خلال فترة قادمة وفيما اذ تم التقاء الزعيمين فان الارقام التي يحملها الخبراء مع كل منهم عن قوة كل من المعسكرين سوف تكون موضوعة على طاولة المفاوضات وهي ارقام تكشف عن قوة تدميرية هائلة مهيئة ربما يصعب على المرء ان يتخيلها تخيلا لا ان يعرف كميتها او يتصورها.. فهل تنادى الطرفان لاحلال السلام عوضا عن التسابق بالتسلح المدمر لافناء العالم اذا خرج الامر من يد احدهما يوما ما... اننا كمفكرين وكتاب ننادي ونطلب من المعنيين في المعسكرين لدى التقاء الزعيمين ان يكون هدفهما احلال السلام في العالم بتوقيع المعاهدات المتلاحقة للحد من التسلح وتخفيض الاسلحة النووية الاستراتيجية الى الحد الادنى ونرجو ان لا يكون طلبنا كصرخة في واد وان طلبنا هو اضعف الايمان ولكنه سيكون لبنة من لبنات السلام مع دعاة السلام في العالم وانا لمنتظرون(١).

الجديد من الاسلحة الاميركيـة:

صاروخ اميركي جديد دخل الخدمة كما يقال في النهج العسكري وهو صاروخ (ام ـــ اكس) وكان لا بد للادارة الاميركية من اختيار اسم لهذا الصاروخ العابر للقارات فسمي (صانع السلام) اي ان قوته ومداه العملي يضغطان على السوفياتي لتحقيق السلام ومن ثم تغير هذا الاسم فاصبح (حارس السلام) وقد اذاعت النشرات التي تصدر عن المؤسسات العسكرية مواصفات هذا الصاروخ الضخمة حارس السلام كما يلي:

الطول ٢١ متراً، الوزن ٩٠ طناً، المدى: ١٣ الف كيلو متر

يحمل ١٠ رؤوس نووية.

ملاحظة: صاروخ (ام ـــ اكس) لا يحيد عن هدفه رغم قطعه الاف الكيلومترات سوى مسافة ١٥٠ مترا واذا عدنا الى اسم حارس السلام للصاروخ المذكور فان التسمية تبدو بحد ذاتها تحديا لدعاة السلام فهي الاكثر منطقية

(١) من مصادر هذا البحث:
١ ـــ السفن المقاتلة ٢ ـــ آلة الحرب الأميركية ٣ ـــ الصواريخ والقاذفات ٤ ـــ القوة العسكرية السوفياتية ٥ ـــ من أين ينطلق الخطر على السلام ٦ ـــ الناتو وحلف وارسو ٧ ـــ علاقات القوى.

بالنسبة لدعاة (الردع) لا السلام للذين يريدون في القوة سبيلا للسلام ففي ٢٢ تشرين الثاني ١٩٨٢ اعلن الرئيس الاميركي (ريغان) برنامج نشر صواريخ (أم أكس) هذا القرار الذي ظل ريغان يؤجله من شهر لاخر منذ توليه الرئاسة باعلان ريغان لبرنامج نشر صواريخ ام اكس سكن مخاوف الكثيرين من حلفائه الغربيين الذين كانوا يخشون حصول هجوم سوفياتي مفاجيء يمحو المراكز النووية الاميركية والغربية حيث لا يبقى مجال للرد اما مسألة توزيع هذه الصواريخ فقد بقيت تشغل بال الخبراء لعدة سنوات منهم من طلب بحملها على طائرات عملاقة وآخرون فضلوا جعل مراكز اطلاقها داخل انفاق جبلية أو تحت مياه البحيرات الرئيس السابق كارتر اقترح من جهته حلا ولكنه باهظ التكاليف يقضي بتنقيل دائم لحوالي (٢٠٠ صاروخ) على (٤٦٠٠ مركز اطلاق) اما الرئيس ريغان وادراكا بان اي نمط لنشر هذه الصواريخ لن يخلو من الثغرات فقد ارتأى جعل عدة مئات منها في خنادق خاصة شديدة الحماية وذلك بالاتفاق على نشر نظام مضاد للصواريخ في المستقبل حولها في حال فشل مفاوضات الحد من الاسلحة الاستراتيجية. ولعل قرار الرئيس ريغان بنشر صواريخ ام ــ اكس في هذا الوقت بالذات ليس الا رسالة غير مباشرة لزعيم الكرملين الجديد يمكن ان نقرأ بين سطورها جملة (نعم للمفاوضات.. لكن من مركز قوة) يبقى السؤال الاهم وهو انه حتى تاريخ تسطير هذه السطور من الكتاب ومن هذا البحث بالذات فان الكونغرس الاميركي من الممكن ان لا يوافق للرئيس ريغان على توزيع صورايخ أم أكس وحتى تاريخ ان يحصل ريغان على الضوء الاخضر فانه دعا من جهة ثانية الى زيادة تبادل المعلومات الاستراتيجية بين موسكو وواشنطون ونظرا لحاجة ريغان الى بقاء شعرة معاوية مع الاتحاد السوفياتي طلب زيادة الاعتماد على الخط الاحمر بين العاصمتين لكن الاتحاد السوفياتي اعطى رده التقليدي برفض الاحتكار الاميركي للسيطرة النووية مطالبا بارجاع ما كانت عليه الحال في عام ١٩٧٢ ومن المعروف سابقا وفي هذا البحث ان ريغان لا يكتفي بالحد الادنى او الكافي او الموازي من القوة الاستراتيجية الرادعة بل انه يسعى الى قلب الوضع الحالي الذي كان سيفضي في المستقبل القريب الى تفوق استراتيجي سوفياتي واضح.

وفي عرض اضافي للمعضلات الاميركية فقد نجحت الادارة الاميركية بتاريخ ١٩/تشرين الثاني ١٩٨٢ في اطلاق الصاروخ (بيرشينغ ــ ٢) بنجاح بعد تجربتين فاشلتين وهذا الصاروخ قادر في حال اطلاقه من اراضي المانيا الغربية

لاصابة اي هدف داخل روسيا ويعتبر هذا الصاروخ السلاح الرئيسي في نظام الردع الفردي في المظلة النووية الاميركية والدفاع الاوروبي بمواجهة عملية نشر صواريخ (اس ــ اس ــ ٢٠) السوفياتية سابقا.

واذا رفض السوفيات العرض الاميركي بتفكيك صواريخ (اس ــ اس ــ ٢٠) مقابل عدم قيام الولايات المتحدة بنشر اسلحة استراتيجية جديدة فان حوالي ١٠ صواريخ بيرشينغ ــ ٢ (من اصل ١٠٨) ستنشر في المانيا الغربية قبل كانون الثاني ١٩٨٣ بالاضافة الى بضع مئات من الصواريخ الجوالة من اصل (٤٦٤) في بريطانيا وايطاليا وبلجيكا وهولندا.

ويرى الكثيرون انه من الصعب قبول الاتحاد السوفياتي بهذا العرض الاميركي المتشدد لذلك فانه من المتوقع حصول تنازلات اميركية والقبول ببقاء وجود رمزي لحوالي ٢٠ من صواريخ (اس ــ اس ــ ٢٠) التي نشرتها السوفيات حتى الان (٣٠٠ وحدة).

وتعتبر اوساط حلف الاطلسي عملية نشر الصواريخ الجديدة مرحلة اولى في المفاوضات للحد من انتشار الاسلحة الاستراتيجية.

والسؤال المطروح الان هو حول مدى استطاعة يوري اندروبوف وقادة الكرملين على استغلال المواقف في نشر صواريخ ام اكس وتهديد وزير الدفاع السوفياتي بتاريخ ٩٨٢/١٢/٧ بان الاتحاد السوفياتي سينشر صواريخ مماثلة لصواريخ ام اكس اذا وافق الكونغرس الاميركي لريغان على نشر صواريخه ام اكس ومعروف ان السوفيات قاموا باجراء تجارب على صواريخ عابرة للقارات بتواريخ حديثة اي خلال شهر تشرين الثاني والاسبوع الاول من كانون الاول ١٩٨٢ ويعرف الاميركيون ذلك جيدا ويعرفون ايضا ان الاتحاد السوفياتي سوف يقوم بنشر صواريخ احدث من صواريخه (اس ــ اس ــ ٢٠) و(ام اكس ــ الاميركي) بنفس الوقت وهو يعني ما يقول وسوف يحضر قادة الكرملين الى اجتماع وهم واثقون من تفوقهم الاستراتيجي شاء ريغان ام ابى...

الى من يهمه الامر..؟

صواريخ (بيرشينغ)

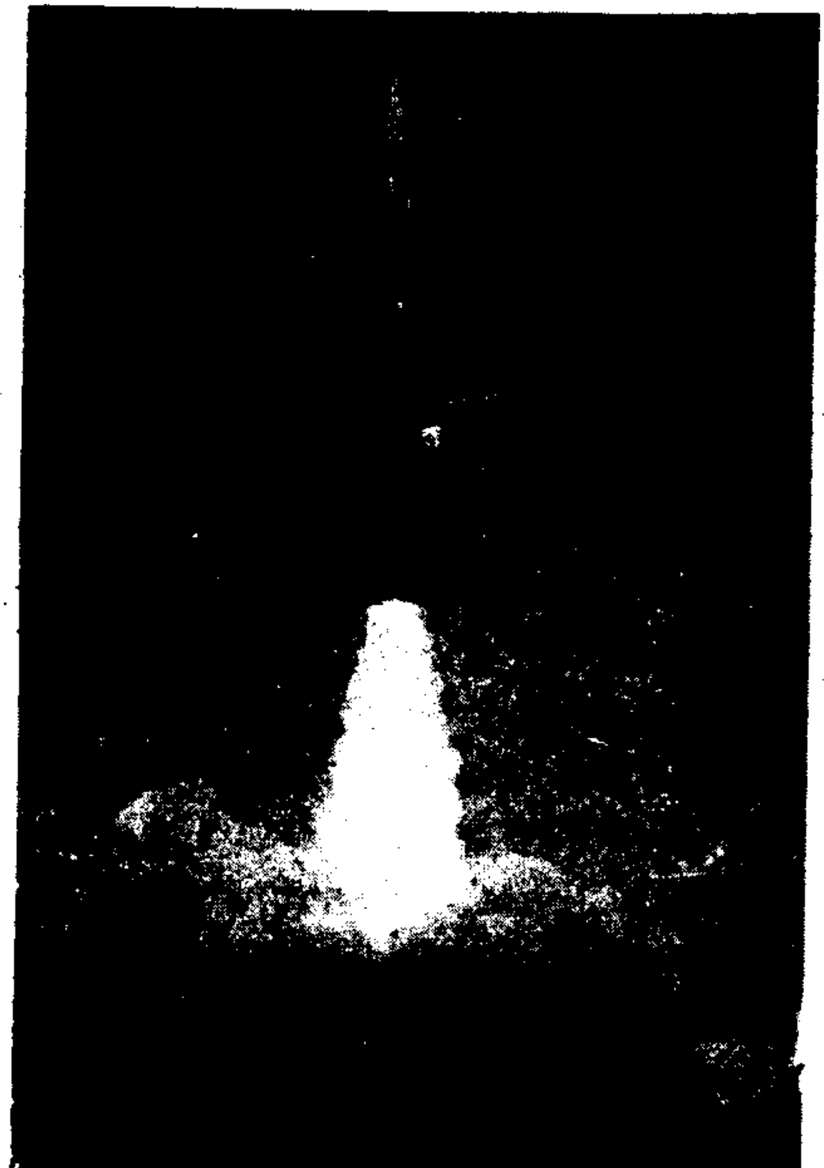
في اسرائيل:

اكدت صحيفة (النجم الاحمر) الناطقة باسم وزارة الدفاع السوفياتية ان تل ابيب وواشنطن ارفقتا ملحقا سريا بالمذكرة التي اعدتاها حول (التعاون

الاستراتيجي) تسمح بنشر صواريخ (بيرشينغ ـ ٢) وصواريخ (كروز) المزودة برؤوس نووية في اسرائيل.

وندددت الصحيفة بما اعتبرته تحالفا استراتيجيا بين اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية من اجل الاستيلاء على البترول العربي وفرض سيطرتهما على دول المنطقة. واضافت الصحيفة: ان المؤامرة الاميركية في الشرق الاوسط تهدف الى تقوية رأس الجسر الذي تستخدمه الولايات المتحدة الاميركية للوصول الى المنطقة وهو اسرائيل وتصفية المقاومة الفلسطينية وتجريد الدول العربية من اهم ثرواتها الطبيعية.

المصدر: جريدة الانباء الكويتية ١٩٨٢/١٢/٩.

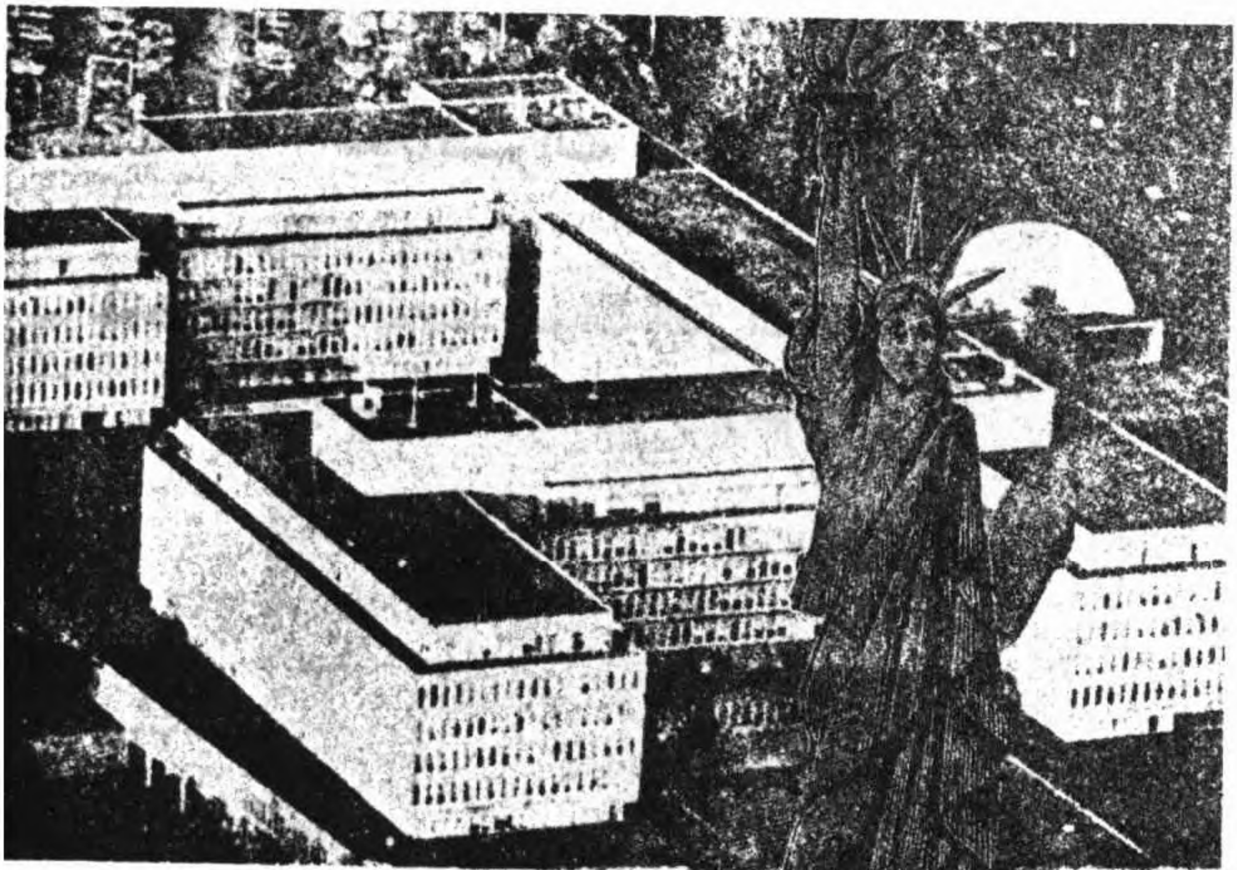


الصاروخ الأميركي (بيرشينغ ٢) المرشح للنشر في أوروبا.

المخابـــرات الاميركيـــة:

المخابرات الاميركية تنفذ عمليات القتل الجماعي في جونستاون.

ـ السيطرة على المعات وأمرهم بالانتحار.



المخابرات الأميركية أداة قمع وإرهاب وتخريب .

المخابرات الأميركية تنفذ عمليات القتل الجماعي

* حقائق تفضح اعمال المخابرات الاميركية الاجرامية.
* المخابرات الاميركية ارتكبت ابشع الجرائم الوحشية في العالم.
* اكثر من صفحة سوداء في تاريخ هذه المخابرات.

صدر العديد من الكتب عن اعمال المخابرات الاميركية التخريبية في الولايات المتحدة وخارجها ولكن حادثة الانتحار الجماعي الموجه في (معهد الشعب) كانت من ابشع ما خططت له ونفذته المخابرات الاميركية.

مئات الضحايا نتيجة تجارب دموية للمخابرات الاميركية:

ان تاريخ المخابرات الاميركية السيء الصيت مليء بالعديد من الاعمال اللاأخلاقية التي لا تعد ولا تحصى واخر صفحة سوداء في تاريخها وليست الاخيرة كانت عملية قتل (٩١٤ انسانا) من اعضاء معبد الشعب الديني نتيجة تخطيط مسبق وكانت عملية القتل الجماعي هذه والتي تمت بتاريخ ١٨/كانون الاول ١٩٧٨ ما بين الساعة التاسعة مساءً والتاسعة صباحا في منطقة جونستاون (غويانا) نتيجة للعملية السرية المخططة من قبل المخابرات الاميركية والمسماة (عملية م ك ــ اولترا) هذا ما أكده جورج هيلنسينفر مساعد عضو الكونغرس المستر راين الذي سافر في تلك الايام الى (غويانا) بناء لطلب عشرات العائلات التي غرر بأحد ابنائها ووقع ضحية طقوس معبد الشعب الجهنمية بعد ان استدرج الى هناك باغراءات الماريجوانا والحشيش وجميع المحرمات وقد حاول راين البحث والتحقيق في العمليات الاجرامية التي سمع عنها من اهالي المغرر بهم الموجودين في حونستاون فتم قتله معهم في ١٨/كانون الاول ايضا وذلك لكي يبقى سر عملية اولترا في مكانه.

وبالاعتماد على الوثائق الرسمية الخاصة بالكونغرس الاميركي والخاصة

بتلك الجريمة التراجيدية او الانتحار الجماعي الذي اطلقته المخابرات وهذا لا يعقل باي شكل من الاشكال مهما قدمت المخابرات من مبررات لأن انتحار انسان واحد في بلد ما يقيم الدنيا ويقعدها فمن يصدق ان ٩١٤ انسانا انتحروا بشكل جماعي وعن طيبة خاطر.

الحقيقة دائما مطلب القراء وحقيقة هذه المذبحة الدينية المتعصبة جاءت على لسان (جون هيلسينغر) مساعد عضو الكونغرس راين الذي قتل ايضا في هذه المذبحة حيث تبين له ان القتل الجماعي في معبد الشعب قد تم بكل برودة اعصاب لاخفاء الحقيقة التي قامت بها المخابرات الاميركية وهي التجارب على البشر او كما يقولون على الطبيعة ويعتبر الكونغرس الاميركي مشاركا في هذه الجريمة النكراء لانه اخفى الحقائق عن الموضوع ونتيجة للبحث والتحقيق المستمر الذي قام به هيلسينغر تبين له بان ما حدث في ١٨/كانون الاول ١٩٧٨ في تلك القرية الصغيرة البعيدة في اعماق غابات غويانا كان مجرد عملية مدبرة لاخفاء الحقائق التي حاولت السلطات الرسمية الاميركية ان تخفيها. لقد حصل هيلسينغر على حقيقة مفادها ان المشرف على ادارة معبد الشعب الديني (جيم جونس) كان عميلا للمخابرات الاميركية وقد كلفته المخابرات باجراء تجارب في إطار البرنامج الخاص المسمى (اولترا) لتغيير طبيعة الانسان وتصرفاته ومبادئه وصبها في قالب خاص وقد بدأت المخابرات الاميركية بتنفيذ هذا الرنامج منذ ربع قرن ولكن بعض اعضاء الكونغرس اثاروا الموضوع عام ١٩٦٣ فادعت المخابرات انها اوقفته ولكن هذا الادعاء لا يتطابق مع الواقع العملي لأن برنامج اولترا بقي ساري المفعول وكل ما في الامر ان طريقة العمل قد تغيرت نسبيا حيث سلمت المخابرات هذه التجارب الى جماعات خاصة تأتمر بامرها بقيادة جونس.

استخدم جونس في جونستاون جميع الاساليب التي استخدمتها المخابرات الاميركية سابقا لتغيير شخصية الانسان بما في ذلك المخدرات بشتى انواعها التي وفرتها له المخابرات وبعد ذلك الاعمال الشاقة والحرمان من النوم والامتناع عن الطعام بالاضافة الى اجراء عمليات (غسل الادمغة) والصدمات الكهربائية وفي اخر المطاف وبعد ان سيطر جونس على المئات من اتباعه توصل الى هدف المخابرات وهو ان لا يبقى عند الانسان اية مبادىء او افكار خاصة ه بما في ذلك التخلي عن الاخلاق نهائيا ويصبح كالرجل الآلي (الروبوت) يعمل كل ما يأمره به (الزعيم) بما في ذلك الاعمال الاجرامية تجاه الاخرين واخيرا (الانتحار) وقد تبين فيما بعد ان

علاقة جونس مع المخابرات الاميركية كانت دقيقة وسرية جدا ولكن هذه الاسرار كانت تنشر بطرق ما بعد الجريمة ومنها ان جماعة جونس اختفوا في مرحلة ما في البرازيل لممارسة نشاطهم في ولاية (بيلا اريزونت) وكانت تصله اسبوعيا افضل الالبسة والاطعمة والاغراض الكمالية عن طريق القنصلية الاميركية ولكن نشاط جونس في غويانا كان مخططا ومنظما وقد اخبره صديقه ريتشارد ماكويم بان اقارب بعض اتباعه الذين سلبهم ارادتهم بالمخدرات يحاولون انقاذهم من العمليات الاجرامية التي يدربون عليها الى ان وصلت معلومات معبده الى عضو الكونغرس راين فقرر ان يسافر بنفسه الى هناك حيث اجرى تحقيقات بخصوص هذه الاعمال الاجرامية في معبد الشعب ولكن المخابرات الاميركية خشيت ان يعود راين بالحقائق عن هذه العملية فاوعزت الى عميلها جونس الذي اوعز الى حراسه بقتل عضو الكونغرس راين وهو على مدرج المطار المقرر عودته منه وبعد مقتل راين تقرر ان تنفذ العملية الضخمة التي اقيم معبد الشعب لاجلها وهي الاثبات ان المئات الذين سيطر عليهم جونس يمكن ان يوعز اليهم بالانتحار فينتحروا وكان من الممكن ان تطمس الحقيقة بعد مقتل راين لكن جونس اصدره امره لجماعته بالانتحار فبدأوا ينتحرون وهم مسلوبوا العقل تماما من كثرة التجارب عليهم وتعاطيهم المخدرات اما الذين لم يتمكنوا من الانتحار لجبنهم او لسبب اخر كتعلقهم بالحياة فقد بدأ حراسه باعطائهم ابر طبية تحوي مواد زئبقية خاصة للانتحار او القتل سيان وقد شاهد الدكتور (ليسلي موتو) اثر هذه الابر في اجسام القتلى الذين لم يتمكنوا من نزعها من جلودهم قبل مفارقتهم الحياة.

نهاية جيم جونس:

بعد مقتل او انتحار جميع اعضاء معبد الشعب البالغ عددهم ٩١٤ انساناً بينهم النساء والاطفال جهز جيم جونس نفسه للهرب لانه لم يخطر على باله انه سيقتل مع جماعته فهناك بالقرب من جونستاون وعلى ضفاف النهر كان ينتظره قارب كهربائي للهرب به الى مكان اخر في العالم خصوصا وانه قد هرب الى سويسرا مبالغ طائلة من اموال المخابرات الاميركية بلغت حوالي ١٠ ملايين دولار ولكن مصلحة المخابرات الاميركية تقضي بان يقتل جونس ويدفن السر معه وهكذا قام (معاونه) (لاري ليكون) بقتله على الفور في مكان وقوع الجريمة وهو الوحيد الذي غادر جونستاون حيا بعد المذبحة الشنيعة وكأن شيئا لم يحصل لسببين

اولهما انه المكلف شخصيا بتصفية جونس بعد تنفيذه عملية اولترا ثانيا ان لاري ابن المدير العام للتحضير للحرب الكيمائية في الجيش الاميركي

ولعلم القارىء انه بعد انقضاء عدة اشهر على هذه المذبحة ارسلت المخابرات الاميركية المدعو (جون بيرك) الذي نقله من قريب الرئيس ريغان الى احد المراكز الكبرى في المخابرات وهو يحمل شيكا بمبلغ/٦٠٠ ألف دولار سلمه للمدعو (فيليب بليكي) وهو عميل اخر لها استأجر بالقرب من جونستان ارضا اقيم عليها معسكر لتدريب العملاء المأجورين لارسالهم الى انغولا للقيام بأعمال الشغب والتخريب ضد ثورتها.

واخيرا تقدم هيلسنغر بنتائج تحقيقاته الى لجنة التحقيق الخاصة التي شكلها الكونغرس لبحث هذه الجريمة الجماعية وبعد الاستماع الى هذا التقرير حفظ في الارشيف السري للكونغرس حتى تمكن هيلسنغر من ايصال الحقيقة الى جريدة (دايلي وارلو) ومنها عرف الشعب الاميركي حقيقة ما جرى في غويانا... انها المخابرات.

المخابــرات الاميركيــة

اشتراك المخابرات الاميركية والمافيا وتجار الاسلحة في جريمة اغتيال الرئيس كندي.

(الجريمة التي لا تنسى)



الرئيس جون كندي... الضحية.

المخابرات الاميركية:

اشتراك المخابرات الاميركية والمافيا وتجار الاسلحة في جريمة اغتيال الرئيس جون كندي.

الجريمة التي لا تنسى حكام اميركا الحقيقيون قتلوا كندي:

ان الحكومة الرسمية للولايات المتحدة في عهد الرئيس الراحل جون كندي الذي مضى على مصرعه في ٢٢/تشرين نوفمبر/١٩٦٣ حوالي عشرين عاما كانت حكومة (واجهة فقط واجهة يتوارى خلفها ويحركها الحكام الحقيقيون في اميركا وهم اصحاب الاحتكارات وقادة مجمع الصناعات الحربية (تجار الاسلحة) والمخابرات المركزية الاميركية ومكتب التحقيقات الفيدرالي والمافيا هؤلاء انفسهم الذين دبروا المؤامرة ضد الرئيس كندي وهم من الناحية العملية قاموا بتنفيذ المؤامرة بأيدي قتلة محترفين من (المافيا) وقد قادت المخابرات الاميركية العملية من اولها حتى نهايتها حيث تم اغتيال الرئيس كندي في احد شوارع مدينة دالاس.

القصة من اولها والمافيا تأخذ بالثأر:

عصابة المافيا معروفة لدى القراء بأعمالها الاجرامية غير المشروعة من تهريب المخدرات الى ادارة نوادي القمار والدعارة وقد استجمعت المافيا قوتها في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن وضربت بجذورها في اغوار حياة المجتمع الاميركي لكنها كانت منقسمة الى فروع متعددة في مدن متعددة وكان كل فرع يناصب الاخر العداء وكثيرا ما كان رجال المافيا المسلحين يتخلصون من منافسيهم كما شاهدنا ذلك على شاشة السينما وظل حال المافيا هكذا حتى ظهر (ميسيرلا نسكي) ذو القبضة الحديدية حيث استطاع توحيد كل فروع المافيا واصبح (ملكا)

متوجا على عرشها حتى منتصف الاربعينات عندما وقع اختيار (ملك المافيا لانسكي) على (كوبا) التي كانت في ذلك الحين جنة بالنسبة لسائحي الولايات المتحدة لاثرياء اميركا الجنوبية فاختار لانسكي ان يمارس نشاطه الاجرامي هناك فاستأجر واشترى النوادي العديدة وجعلها ملاذا لطالبي المتعة الحرام كالقمار والدعارة وبيع المخدرات فجمع من وراء ذلك الاموال الطائلة وبعده وصل الى كوبا صديقه القديم (لاكي لوتشيانو) الذي طردته اميركا الى خارج الحدود لنشاطه الاجرامي ووصل بعده (كارلوس مورتشيلو) الى كوبا كذلك ويعتبر كارلوس من ناحية النفوذ هو الشخصية التي تلي لانسكي في الاهمية داخل المافيا الاميركية ثم انضم (سانتوس ترافيكانتي) الى لوتشيانوا ومورتشيلو وقد اشتهر سانتوس في عالم الجريمة بتخصصه وتدبيره جرائم القتل لصالح المافيا او (القتل المأجور).

وفي عام ١٩٥٥ اصبحت مجموعة لانسكي تحتكر ملكية كازنيوهات هافانا كما غدت الموزع الوحيد الذي يعتمد عليه في بيع المخدرات المنقولة من غرب اوروبا الى اميركا وكوبا وازدهرت اعمالهم ازدهارا كبيرا.

ثورة فيديل كاسترو تعطل اعمال المافيا في كوبا:

نجحت ثورة فيديل كاسترو الاشتراكية في كوبا بتاريخ الاول من كانون الثاني يناير — ١٩٥٩ وهرب الطاغية الكوبي (باتيستا) وهذا ما كانت المافيا تتوجس منه خيفة فهرب لانسكي عائدا الى اميركا وترك في كوبا شقيقه (جيك لانسكي) مع ترافيكانتي كأصحاب للنوادي والمحلات التي تمتلكها (المافيا) ولكن السلطات الكوبية الجديدة ما لبثت ان ألقت القبض على الاثنين وسجنا بعد ان صودرت النوادي والمحلات التي كانا يديرانها ثم ابعدا عن كوبا حيث عادا الى الولايات المتحدة واخذا يقصان على لانسكي ما قد جرى في كوبا من التحولات والتغييرات والمصادرات مما أشعل في نفس لانسكي مزيدا من نار الحقد على الثورة الكوبية فقام بجمع زعماء نقابات المافيا السرية في اميركا واعلن لهم عن مكافأة قدرها مليون دولار لمن يتمكن من اغتيال (كاسترو) وبعد ذلك وضعت المافيا رجالها واموالها تحت تصرف المخابرات الاميركية التي دربت بعض المهاجرين الكوبيين المناوئين لكاسترو الذين قاموا بالاعتداء الفاشل على كوبا.

في صيف عام ١٩٦٠ شرعت حكومة كاسترو في تأميم الشركات الاميركية في كوبا فانتقلت الى ملكية الدولة ممتلكات شركة (كوكاكولا) وشركة

(جوديير) وشركة (يونايتدس فروتز) وشكرة (جنرال فودزو) وغيرهم من كبريات الشركات التي كانت تقوم بتوريد المنتجات الغذائية للقوات المسلحة الاميركية ومجمع الصناعات الحربية ولكن مهما بلغت الاضرار الناتجة عن تأميم هذه الشركات فلا يمكن مقارنتها بالاضرار الناتجة عن فقدان (النقابة السرية للمافيا) التي انشأها لا نسكي ملك المافيا الاميركية فقد كانت ارباحها خلال حكم باتيستا من بيوت القمار وحدها تبلغ (مائة مليون دولار سنويا) ناهيك عما كانوا يحققونه من ارباح تجارتهم بالدعارة والمخدرات خاصة (الهيروين) لأن استيلاء كاسترو على الحكم منعهم من استخدام كوبا لنقل وشحن (الهيروين) الى اميركا.

الأمل الكاذب في اسقاط كاسترو:

اعلن المرشحان لرئاسة الولايات المتحدة في عام ١٩٦٠ ريتشارد نيكسون وجون كندي اثناء حملتهما الانتخابية بان شعارهما سيكون التعهد باسقاط نظام حكم فيديل كاسترو وهنا عاد الأمل للمافيا واخذ زعماؤها يحسبون حساباتهم على اساس ان وصول اي من الاثنين الى الحكم سيمكن من اعداد العدة للهجوم على كوبا واستعادة ما فقدوه فيها ولكن حساباتهم جاءت بغير ما كانوا ينتظرون فقد خابت امالهم وجاء الى الرئاسة جون كندي الذي قبل بتردد تنفيذ عملية الهجوم على كوبا التي اعدتها المخابرات الاميركية وساعدت في تنفيذها المافيا كما ذكرنا وعندما فشلت هذه العملية القت المخابرات الاميركية والبنتاغون (وزارة الدفاع) والمافيا تبعة الفشل على الرئيس كندي وبعد ذلك لم تتوقف المافيا عن مناصبة الرئيس كندي العداء السافر ذلك لأن حكومته بدأت تمارس مناهضتها لنقابات المافيا السرية وكان يتولى شن الحملات ضد المافيا (روبرت كندي) شقيق الرئيس الذي كان يشغل منصب وزير العدل حينذاك عندما امر بأن يطرد من البلاد (كارلوس مورتشيلو) ثاني ملوك الجريمة من جهة النفوذ والقوة فتم القاء القبض عليه في احد شوارع (نيوأورلينز) وقامت المباحث العامة بوضعه على متن احدى الطائرات المتوجهة الى (غواتيمالا) وقد اثار هذا الاجراء الذي اتخذه روبرت كندي نقد رجال القانون الاميركيين واعلنوا ادانتهم للوزير بتهمة خرق قانون الحقوق والحريات.

ما لبث مورتشيلو بعد انقضاء شهرين على ابعاده ان عاد سرا الى البلاد تقله طائرة خاصة يقودها عميل المخابرات الاميركية (دافيد فيري) وللقارىء ان يستنتج

كيف ان شخصا عريقا في الاجرام ومبعد بأمر من وزير العدل بالذات تعيده المخابرات الاميركية (متحدية) الوزير وشقيق الوزير الذي هو الرئيس كندي... انها المخابرات الاميركية.

بتاريخ ٤ ايلول سبتمبر ١٩٦٠ رفع مورتشيلو دعوى قضائية ضد وزير العدل وباعتبار ان القضاء لديهم محصنا وفوق الجميع فقد اعتبرت المحكمة ان الاجراءات التي اتخذها وزير العدل (مخالفة) للقانون واصدرت حكمها بالغاء امر الوزير وبقاء مورتشيلو في اميركا طالما لم يصدر حكم قضائي بابعاده.

أول تفكير بالاغتيال:

ارتفع حقد المافيا وخاصة مورتشيلو على الاخوين كندي حتى بلغ هذا الحقد ذروته عام ١٩٦١ وكان هذا الحقد يفوق كل حد حيث وصل الى علم وزارة العدل بواسطة احد المخبرين التابعين لمكتب التحقيقات الفيدرالي ان مورتشيلو اجتمع سرا بزعماء نقابات المافيا السرية واطلعهم على خطة لاغتيال (جون وروبرت كندي) وقد اتهم مورتشيلو الاخوين كندي بهذا الأجتماع بانهما قد (ذهبا الى بعيد جدا) في ملاحقتهما للمافيا والتضييق عليها وقد انهى اجتماعه بزعماء المافيا مرددا باللغة الايطالية (انزعوا هذا الحجر من حذائي) وهي جملة جرت العادة ان يقولها زعماء المافيا الصقلية قبل شروعهم في ارتكاب الجرائم(١)

اما سانتوس ترافيكانتي فلم يكن اقل حقدا من صديقه مورتشيلو فقد تحدث مع احد المهاجرين الكوبيين ويدعى (خوسي ارمان) عن فكرة لقتل الرئيس كندي.

(١) المافيا تنتهي عام ٢٠٠٠؟؟

أبلغ ايمانويل دي فرانشسكو رئيس قسم مكافحة المافيا في البوليس الايطالي بتاريخ ١٩٨٣/٨/٢٠ ان المافيا لن تهزم قبل عام ٢٠٠٠ كأقرب موعد وقال ايضا أن السلطات الايطالية وجهت ضربات قاسية للمافيا التي تتخذ من صقليا مقرا لها ألا أنها لا تزال تتخذ موقفا دفاعيا قويا وتستفيذ من صلات سياسية قوية.

وأضاف أن ضرب المافيا سيستغرق بين ٢٠ و٢٥ عاما وسيكون عام ٢٠٠٠ هدفا أدنى اذا كنا كلنا نتمسك ونخلص لالتزامنا وكان فرانشسكو قد كلف بمعالجة مسألة المافيا الايطالية في أعقاب مقتل الجنرال كارلو البرتود لاشيزا في سبتمبر ١٩٨٣ وهو المسؤول السابق عن مطاردة عصابات المافيا...

وقال سانتوس لأرمان بالحرف الواحد (ان كندي يلعب لعبة خطيرة) فاجاب أرمان ان الرئيس كندي قد ازدادت شعبيته بين الاميركيين واعرب عن اقتناعه بانه سيعاد انتخابه للرئاسة عند ذلك اجابه سانتوس (لا. انه من الضروري قتل هذا الطراز من الرؤساء) بعد ذلك سارع أرمان لابلاغ المباحث العامة عما دار بينه وبين سانتوس من حديث غير انهم لم يعيروا (بلاغه) اي اهتمام.. بل فوق ذلك طلب منه المحققون ان (ينسى مضمون حديثه مع سانتوس).

بعد ذلك بمدة حاصر الاخوان كندي شخصا اخر من عتاة عصابات المافيا في شيكاغو وهو (سام جانكانا) ففي تاريخ اول حزيران يونيو ١٩٦٣ ضرب رجال مكتب التحقيقات الفدرالية حصارا حول منزله لمدة تزيد عن عشرين يوما ظلوا خلالها يراقبونه مراقبة شديدة مستمرة مع اقاربه واصحابه وقد حرمه ذلك حرية الحركة ولم تكن هذه الرقابة المفروضة على (جانكانا) سوى جزء من حملة موسعة اعدها روبرت كندي ضد المافيا.

وكانت هذه الخطة تقضي بشكل عام بتعبئة اجهزة الحكومة الفيدرالية للهجوم الشامل على معقل نقابات المافيا في لاس فيجاس وهكذا انزل الاخوان كندي ضربات موجعة بهذه العصابات وخلال الفترة التي تولى فيها روبرت كندي وزارة العدل في عهد شقيقه زاد عدد رجال المباحث العامة (فرع العمليات) وادى نشاطهم الى تقديم اكثر من ألفين وثلاثمائة من اعضاء المافيا الى المحاكمة ويعتبر هذا رقما لا يمكن مقارنته بما قابله خلال حكم الرؤساء السابقين للولايات المتحدة كذلك زاد من سخط زعماء المافيا ما أعلنه كندي الرئيس عن استدعاء المستشارين العسكريين من فيتنام الجنوبية وكان هذا الامر بشكل تهديدا للمافيا بفقدانها مراكز نقل وشحن الهيروين من اسيا الى الولايات المتحدة وكذلك بفقدانها قلاعها او رؤوس الشواطيء الخاصة بها (في جنوب شرق اسيا) وكان زعماء المافيا على استعداد لدفع اي ثمن للمحافظة على (مصدر) الهيروين الذي لا ينضب..؟

اعضاء مؤامرة الاغتيال (الاتحاد الثلاثي):

درس زعماء المافيا الامر من جميع جوانبه فوجدوا انه رغم قوتهم وجبروتهم لا يستطيعون القيام وحدهم بمهمة (التخلص) من الرئيس كندي ذلك لانه لو اقدمت المافيا وحدها على تلك الخطوة لكان من المحتم ان تنفضح خصوصا بعد ان اصبح معروفا ما تضمره المافيا من كراهية للرئيس لذلك رأت انه من الافضل ان

تستند الى تنظيم اخر تعادل قوته قوتها اذا لم تفقها وتزد عليها (سبقت الاشارة) في مقدمة الموضوع الى انه كان يحكم الولايات المتحدة في تلك الفترة (جناح بارز في النظام السياسي الاقتصادي للولايات المتحدة وهو مجمع (الصناعات الحربية) الذي كان يناصب الرئيس كندي ايضا العداء القاتل وذلك بسبب سياسته الخارجية في تخفيف حدة التوتر في العالم التي تعتبر تهديدا لمصالحهم وازدهار مجتمعهم بالاضافة الى ان الرئيس كندي كان قد بدأ في (تقويض) نفوذ وسيطرة المخابرات الاميركية التي كانت تسيطر على الرؤساء قبله بالاضافة الى سيطرتها على سياسة البلاد الخارجية على نحو يلائم مصالحها.

ـ وهكذا اجتمعت مصالح المافيا والصناعات الحربية والمخابرات الاميركية على التخلص من الرئيس كندي وقد اجتمعت طغمة هؤلاء واتفقت على رأي موحد هو اسناد مهمة التخلص منه الى المخابرات لاختيار انسب الطرق والوسائل لتحقيق هذه المهمة.

بدأ التنسيق للتنفيذ بين المخابرات الاميركية والمافيا بعقد اجتماعاً سرياً مبدئيا وافقت المافيا على تقديم العدد الكافي الذي يتطلبه التنفيذ من القتلة المحترفين لأن اهداف ومصالح المخابرات والمافيا كانت متشابهة فيما يتصل بمسألة كوبا وفيتنام ايضا ولذلك اسرع زعماء المافيا لاستغلال هذه الفرصة الذهبية النادرة للتخلص من (رئيس الجمهورية بالذات) خاصة بعد ان رأي زعماء المافيا ان مخابرات الرئيس هي التي تخطط لقتله ولم تكن هذه المناسبة هي المرة الاولى التي تشترك فيها المافيا مع المخابرات في اعداد خطط للاغتيالات السياسية فقد اشتركتا على سبيل المثال في اعداد خطة اغتيال فيديل كاسترو في اب (اغسطس ١٩٦٠).

على اثر اطلاق يد المخابرات في التصرف للاعداد للاغتيال فقد استدعت المدعو روزيلي من مافيا لاس فيجاس وجانكانا زعيم قطاع الطرق بشيكاغو وترافيكانتي المعروف من فلوريدا وهو الخبير في تنظيم عمليات القتل وعرضت عليهم فكرة الاغتيال فوافقوا عليها لأنهم اعتبروا استدعاءهم من قبل المخابرات بمعرفة وموافقة زعمائهم ما هو الا الضوء الاخضر لعملية (قتل كندي) ولم يغب عن بال عتاة الجريمة هؤلاء ان يفرضوا شروطهم المحددة على المخابرات وهي:

١ ـــ ان يقوم باطلاق الرصاص على الرئيس قتلة محترفون من المافيا سواء كانوا بينهم ام غيرهم.

٢ ـــ ان تشترك المخابرات الاميركية بشكل مباشر في التنفيذ.

٣ ــ ان تتخذ المخابرات بعد ذلك كل التدابير الضرورية لطمس الجريمة.
٤ ــ ان تتعهد المخابرات بتقديم (كبش فداء) امام الرأي العام.
٥ ــ ان يتولى رجال المخابرات الحراسة في مكان تنفيذ الجريمة حتى تتم (تغطية) القتلة ومعاونتهم على الهرب.

وهكذا قبلت بل (تعهدت) المخابرات لهم بتنفيذ ما ارادوا واعلمتهم ان (كبش الفداء) جاهز وهو عميلها (لي هارفي اوزوالد) ولكن المشكلة كانت هي كيفية صرف البوليس الفيدرالي لمدينة دالاس التي اختيرت حسب استقصاءات المخابرات لتكون مسرحا للجريمة لدى زيارة الرئيس كندي لها فيما بعد ويدرس موضوع تولي التحقيق بعد قتل كندي وقد وجد المجتمعون انه ليس من المنطق بل يكون ذلك مخاطرة ان تكشف المخابرات عن خطتها هذه حتى تحقق صرف انظار البوليس عن تعقب المجرمين لذلك قررت المخابرات ان تطلع على خطتها بعض الموثوقين من البوليس وفي اضيق نطاق.

توجه احد كبار المسؤولين في المخابرات الاميركية الى مدينة دالاس لعرض الخطة التي اتفق مع المافيا على تنفيذها على جوفير مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي شخصيا لأن المخابرات الاميركية كانت تعلم شدة الكراهية التي يكنها جوفير للاخوين كندي وكان منشأ هذه الكراهية يعود الى الظروف التالية:

تولى جوفير منذ عام ١٩٤٢ منصب مدير مكتب التحقيقات وبهذا اصبح يسيطر على كافة اعمال التحقيقات والتحريات في اميركا باسرها وامسى الرؤساء واعضاء الكونغرس يحسبون له الف حساب ذلك لأنه صار على المام ومعرفة بالمعلومات الوافية عن كل منهم وكان باستطاعته ان يستخدم تلك المعلومات ضد اي منهم اذا ما دعت الضرورة ولم يجرؤ اي وزير عدل سابق بالمس به بالرغم من ان جوفير يتبع وظيفيا وزير العدل ولكن ما ان تولى روبرت كندي منصب وزير العدل عام ١٩٦١ حتى قوض من ديكتاتورية جوفير ومنذ اللحظة التي اصبح فيها روبرت كندي وزيرا للعدل لم يجرؤ مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي على دخول البيت الابيض (قصر الرئاسة) اذا ما اراد ذلك واذا حصل ان احتاج جوفير لمقابلة الرئيس كندي فعليه ان يحصل على تصريح خاص من شقيقه روبرت وزير العدل هذا بالاضافة الى ان جوفير لم يكن مرتاحا للحملة التي شنها روبرت كندي بدعم من شقيقه (الرئيس) ضد المافيا وفي عام ١٩٦٢ تضاعفت كراهية جوفير للاخوين كندي وكان واضحا انها (متبادلة) حيث فكر الاخوان كندي بتعيين مدير غيره

لمكتب التحقيقات الفيدرالي وكان روبرت قد ترك انطباعا لدى مرؤوسيه في وزارة العدل يوحي بانه في حالة تجديد انتخاب شقيقه للرئاسة فانه سيتخذ قرارا باقالة جوفير الذي علم بذلك وهنا يجب ان نؤكد بان جوفير والمخابرات الاميركية منذ الوهلة الاولى قد وجدا بينهم لغة تفاهم مشتركة فيما يتعلق او يتصل بخطة التخلص من كندي وقد تعهد جوفير لمندوب المخابرات الاميركية بان يواصل العمل حيث ينتهي كل شيء ومن المعلوم ان مكتب التحقيقات الفيدرالي بوسعه ان يجري اي تحقيق بصورة محكمة وقانونية تجمع كل التفاصيل وان يجري (نفس التحقيق) بصورة تطمس معالمه حيث يختلط الابيض بالاسود وقد قرر جوفير ان يسلك الطريق الثانية. لذلك قرر ان يطلب مكتب التحقيقات (اقصاء البوليس) عن مهمة التحقيق في الجريمة وان تسند هذه المهمة الى المكتب.

الرئيس كندي يساعد المجرمين باختياره زيارة ولاية تكساس:

في الاول من شهر حزيران يونيو ــ ١٩٦٣ اجتمع الرئيس كندي مع نائبه (جونسون) وركونيللي) محافظ ولاية تكساس حيث تقرر في هذا الاجتماع ان يقوم الرئيس كندي بزيارة تكساس في ٢٢/تشرين الثاني نوفمبر ١٩٦٣ والرئيس لا يدري انه بهذا القرار سوف تكون نهاية حياته وحين علم مدبرو المؤامرة بقراره شرعوا على الفور في الاعداد الفعلي للمؤامرة وبدأت المخابرات بتجهيز اوزوالد للقيام بدور (كبش الفداء) واستعد كل من دافيد فيري وكلاي شو وجاي بانيستر لدفع المؤامرة للتنفيذ حسب تعليمات قادتها. وقد تقرر ان يلعب فيها اوزوالد دور مناصر لكاسترو ولهذا الغرض وبناء لتعليمات سادته اخذ اوزوالد يتردد كثيرا على السفارة الكوبية ليترك انطباعا بانه يريد الحصول على تأشيرة دخول الى كوبا وبدأ يتمم تنفيذ خطوات المؤامرة بسهولة.. ولكن ظهرت مشكلة هامة وهي كيفية التصرف مع اوزوالد اذ عرف انه سوف يسقط في الفخ وبانه سيصبح ضحية للمؤامرة ذاتها فلو انه اعتقل بعد الاغتيال وذكر على سبيل المثال اسم فيري فان ذلك الاعتراف سيؤدي الى كشف دورهم في المؤامرة وفضح امرهم وهنا اقترحت المافيا على المخابرات بان يتم التخلص من اوزوالد على يد قاطع طريق مجرم ممن يذعنون لاوامر المافيا وفعلا سدت هذه الثغرة وجرى تعيين جيك روبي لقتل اوزوالد بعد قتله الرئيس وقد تكلم ترافيكانتي وميسيرلا نسكي مع جيك روبي بهذا الشأن. لأن خطة القتل كانت تمثل اهمية كبرى للمافيا وكان نجاح الخطة يتوقف

الى حد كبير على دور جيك روبي ولذلك اطلعوه على الحقيقة واخبروه ان المخابرات وقيادات الحكومة والصناعات الحربية مشتركون في هذه المؤامرة واقنعوه بانه سوف يصدر العفو الشامل عنه ويطلق سراحه بعد ان يمضي عدة اعوام مأجورة في السجن(١).

لم يجد جيك روبي مفرا من القبول فهو اما ان يستجيب لما ارادوا واما ان يرفض وفي هذه الحالة ستقوم المافيا بقتله واختيار غيره لهذا الدور الاجرامي وادرك روبي ان سجنه لا مفر منه ولكنه رأى انه مقابل ذلك سيكون له قيمة وشأن في النقابات السرية للمافيا وهذا حلم كان يراوده طيلة حياته.

عمل منظمو الاغتيال على توفير الظروف المناسبة لتنفيذ الجريمة فقرروا تغيير خط سير موكب الرئيس فاوعزوا للجنرال كيبيل الذي اتصل بشقيقه عمدة مدينة دالاس في ذلك الحين فاصدر الاخير اوامره لبوليس دالاس بتنظيم مرور الموكب عبر هيوستن والم ستريت ولم يتبق سوى انتظار مخططي المؤامرة للضحية (الرئيس) لتسقط في شباكهم.

كان من تخطيط المتآمرين ان يظهر اوزوالد بعد الجريمة كشيوعي متحمس لكاسترو فاوعزوا اليه للحصول على (تأشيرة دخول الى كوبا) من سفارتها بالمكسيك وفعلا ساعده مكتب التحقيقات وحصل على جواز سفر فورا وبدون اي ممانعة وفي يوم ٢٤ سبتمبر (ايلول) عام ١٩٦٣ سافر الى المكسيك بواسطة الاوتوبيس بعد ان حصل من سفارة المكسيك على تأشيرة دخول في ذلك اليوم وكان اول عمل قام به اوزوالد بعد وصوله للمكسيك مباشرة هو مقابلته للسيد (هوفارد هانت) حيث تلقي منه التعليمات الدورية باعتباره رئيس فرع المخابرات الاميركية في المكسيك وتوجه اوزوالد بعد ذلك الى سفارة كوبا في المكسيك حسب الخطة طالبا منحه تأشيرة دخول الى كوبا وفي السفارة الكوبية اخرج قصاصة من احدى الصحف وقدمها الى احد المسؤولين في السفارة وقد نشر في تلك القصاصة وهي من الصحف الاميركية ان اوزوالد يعتبر احد انصار كاسترو وتتحدث سطور القصاصة عن نشاط اوزوالد الموالي للزعيم الكوبي ومع هذا فان القنصل الكوبي اخبره بوجوب انتظاره بعض الوقت للحصول على تأشيرة الدخول ولكن المواعيد المتعاقبة التي كان موظفو السفارة يحددونها له كانت لا ترضي

(١) من المعروف أن أقصى عقوبة في ولاية تكساس هي الاشغال الشاقة المؤبدة وليس الاعدام لأن عقوبة الاعدام ملغية في هذه الولاية.

رؤسائه الذين كانوا لا يستطيعون الانتظار طويلا خاصة وان موعد الزيارة الذي حدده كندي لزيارة دالاس قد اقترب عند ذلك اصدر هانت امره الى اوزوالد بالعودة الى دالاس حالا.

عاد اوزوالد الى دالاس وقابل مورتشيلد احد مخططي المؤامرة وحصل منه على التعليمات التفصيلية بخصوص العمليات اللاحقة وكان من المفروض ضمن هذه العمليات ان تقوم سيدة تدعى (روت بيين) كانت صديقة له ولمورتشيلد بنفس الوقت بمساعدته في الحصول على عمل فتوجه اليها حسب الخطة باعتبارها عميلة للمخابرات الاميركية فاتصلت بشخص يدعى روى ترولي وكان يعمل مديرا لمخازن الكتب المدرسية في تكساس وطلبت منه ان يساعد اوزوالد بالحاقه باي عمل فاصدر امره بتعيين اوزوالد موظفا بمخازن الكتب المدرسية.

استلم اوزوالد عمله في الكتب المدرسية واقام بمفرده في غرفة مفروشة وسط المدينة بعيدا عن اسرته كما قضت بذلك التعليمات التي صدرت اليه من مورتشيلد وبعد ان تم ترتيب امور السكن استقر اوزوالد في مكانه اصدر مورتشيلد تعليماته النهائية لأوزوالد وطلب منه مراعاة الدقة في تنفيذها وكانت تلك التعليمات تتلخص فيما يلي:

١ ـ التوجه يوم ٢٢/تشرين الثاني نوفمبر الى عمله كالمعتاد في مخزن الكتب المدرسية والبقاء في مكانه خلال مرور موكب الرئيس كندي.

٢ ـ مغادرة مكان عمله في الساعة ١٢/٣٠ والوصول بأقصى سرعة الى مسكنه واخذه البندقية ثم الانطلاق جريا على الاقدام حتى بلوغ اقرب دار للسينما وهي سينما (تكساس) ودخولها بدون بطاقة دخول والجلوس مع المتفرجين حتى وصول الشرطة لاعتقاله بعد ان يعلمها عنه موظف السينما.

اما فيما يتعلق بالتعليمات الاخرى فيجب ان ينتظر تلقيها من رئاسته العليا ويظهر ان احدا لم يفصح لأوزوالد عن الهدف الحقيقي لهذه العملية وقد شرع هو دون تردد في تنفيذ التعليمات الصادرة اليه من مورتشيلد حرفيا وكأنه (مسير) بالمغناطيس.

اعداد ترتيبات الاغتيال:

كان من جملة خطة التضليل في الاغتيال وفرض اوزوالد (كبش الفداء) ان

يكون هناك شخص اخر (شبيها) به وهكذا جهز الشخص الشبيه باوزوالد وتوجه بتاريخ ١٩٦٣/١١/٩ الى معرض لبيع السيارات في الحي التجاري وقام بمشاهدة عدة سيارات زاعما انه يريد شراء سيارة مقدما نفسه باسم (اوزوالد) بينما كان اوزوالد الحقيقي في مسكنه وفي نفس اليوم توجه (شبيهه) الى ساحة التيرو للرماية واخذ يرمي على الاهداف الصعبة ويصيبها بدقة متناهية مما اثار اعجاب الحاضرين وكان يستعمل بندقية ايطالية الصنع (ويتضح من هذا ان اوزوالد الحقيقي كان لا يتقن الرماية) وهكذا اعدت الجريمة بدقة وتنظيم محكم وان اوزوالد (المستعار) هو الذي قام بالدور الرئيسي واغتال الرئيس كندي في مأساة ٢٢/تشرين الثاني. نوفمبر ١٩٦٣ التاريخية وهذا التأكيد لم يتمكن احد من التصريح به حتى الان.

قتل الرئيس:

بعد ان اصدر عمدة دالاس امره بجعل خط سير موكب الرئيس كندي يمر عبر شارعي هيوستن والم ستريت صدرت اوامر مخططي الاغتيال الى الزمرة المكلفة بالاغتيال حسب الخطة الاتية:

١ — يذهب اوزوالد الحقيقي الى عمله حسب الخطة.
٢ — يحتل القتلة المحترفون مواقعهم التي حددت لهم من قبل وهي ان يحتل احدهم مكانا فوق تل بالقرب من شارع ألم ستريت لتنفيذ الاغتيال (احتياطا) اذا لم يتم التنفيذ من قبل الاخرين ثم احتل اثنان من القتلة مكانا في الطابق السادس من بناية مخزن الكتب المدرسية (مكان عمل اوزوالد الحقيقي) وصعد قاتل اخر الى الطابق السادس من بناية (دال تكس بيلينغ) وجميع هؤلاء القتلة يحملون بنادق حديثة ذات المنظار المكبر.

وصل الرئيس كندي وزوجته جاكلين على الطائرة الرئاسية الى ولاية تكساس حيث استقبل بالحفاوة البالغة ثم انطلق موكبه من المطار الى مدينة دالاس تحف به الدراجات النارية والجماهير الاميركية تصفق له وقد اصطفت على جانبي الطريق وهي لا تدري انها تلقي النظرة الاخيرة على الرئيس (نظرة الوداع) حتى وصل الموكب الى شارع هيوستن عندها انطلقت الرصاصات الغادرة عليه من بناية الكتب المدرسية فأصيب في رأسه اصابة قاتلة انكفأ على اثرها داخل السيارة الرئاسية وصرخت جاكلين من هول الصدمة لانها لم تكن تتوقع بأي حال من

الاحوال ان يقتل زوجها بهذا الشكل المفجع وامام الجماهير وبين حرسه وزوجته حيث تم نقله الى المستشفى ولكنه فارق الحياة على الطريق وفي اليوم التالي تم نقل جثمانه الى واشنطون بنفس الطائرة الرئاسية التي حضر بها ليعود ضمن نعش تنفيذا لحقد المخابرات الاميركية والمافيا وشركات الاسلحة المتضررين من توليه الرئاسة والحد من نشاطاتهم الغير مشروعة.

بعد اطلاق النار على الرئيس كندي وقتله في شارع هيوستن انطلقت الشرطة والحراس في جميع الاتجاهات المتوقعة ان يكون اطلاق النار قد تم منها على الرئيس بينما القتلة اختفوا وهم امنين مطمئنين الى ان كل شيء تم حسب الخطة ومنهم (اوزوالد) المستعار القاتل وفي اثناء ذلك ولدى تنفيذ الجريمة تحرك اوزوالد الحقيقي حسب الخطة من مخزن الكتب المدرسية في الساعة ١٢/٣٠ وتوجه مسرعا الى منزله حيث حمل البندقية المسلمة له لهذه الغاية وهي بندقية مزودة بمنظار مقرب جدا ثم انطلق مسرعا من مسكنه الى دار سينما تكساس فدخلها بدون تذكرة وهو يظهر الهلع والخوف فلم يتمكن احد من اعتراضه او مطالبته بالثمن نظرا لحمله البندقية ودخوله للسينما بهذا الشكل بل ترك ينسل بين المتفرجين وجرى الاتصال بالشرطة التي حضرت فورا واعتقلته (على انه قاتل كندي) كما اعتقل معه تسعة اشخاص وقد فوجيء الجميع بتولي مكتب التحقيقات الفدرالية التحقيق في مقتل الرئيس كندي رغم ان التحقيق بحد ذاته لا يدخل في اختصاصات المكتب ومع ذلك فقد قام رجال المكتب باستبعاد البوليس فورا من القيام بالتحقيق وبذلك لم يستجوب البوليس التسعة المعتقلين ولم يحصل على بصماتهم حسب اصول التحقيق واطلقوا سراح الجميع ما عدا اوزوالد الذي نقل تحت حراسة مشددة الى مكتب التحقيقات الفيدرالية بينما اوزوالد القاتل يسرح ويمرح) وقد اتضح فيما بعد ان احد التسعة الذين اطلق مكتب التحقيقيات سراحهم كان شخصا من ارباب السوابق اسمه (جيم بريدون) اعتقل من مبنى (دال تكساس بيلدينغ) المطلة على مسرح الجريمة ولكنه اجاب البوليس بانه وصل الى دالاس قادما من لوس انجلوس وانه بعد سماعه الطلقات القاتلة توجه الى مبنى دال تكساس بيلدينغ ليجري مخابرة هاتفية فاعتقل وقد اعتبر تفسير وجوده (مقنعا) فاطلق سراحه بعد ساعتين خاصة بعد انتقال التحقيق الى مكتب التحقيقات الفيدرالي ولكن ظهر ان الاسم الحقيقي لهذا الشخص هو (هيل بريدينغ) المعروف والمشهور في عالم الاجرام ويوجد له ملف جنائي منذ عام ١٩٣٤ عقب ارتكابه جريمة سرقة في ولاية

كانزاس وقدّ ورد على ألسنة مسؤولي المكتب ممن بادروا التحقيق في هذه الجريمة المنظمة ان بريدينغ كان السكرتير الخاص لملك المافيا ــ ميسير لانسكي وهذا كافٍ لوجوده في مسرح الجريمة خاصة وان التحقيق قد اثبت انه قام بتاريخ ١٩٦٣/١١/٢١ (قبل مصرع كندي بيوم واحد بزيارة (هانت) في مكتبه لصناعة البترول في دالاس ومن المعروف ان هانت يعتبر ثاني اغنياء العالم ويعد من الناحية السياسية محافظا متطرفا ويقوم بمساعدة المنظمات اليمينية المتطرفة ماديا وكان من الذين اطلعوا مسبقا من المخططين لمقتل كندي على جميع التفاصيل وبمعنى اخر كان هانت الملهم الرئيسي لمؤامرة التخلص من الرئيس كندي.

مقتل قاتل كندي:

تمشيا مع الخطة المقررة لقتل الرئيس كندي والتي سارت سيرا حسنا باستلام مكتب التحقيقات الفيدرالية التحقيق لطمسه فقد تقرر التخلص من (كبش الفداء) اوزوالد الحقيقي الذي ألصقت به تهمة قتل الرئيس امام الرأي العام أن يقوم بتنفيذ الجريمة من المكان الذي يفترض ان النار اطلقت منه على الرئيس وهكذا كبلت يداه بالاغلال وأحيط بقوة من رجال مكتب التحقيقات الأشداء واخرج من المكتب للتوجه الى مكان الجريمة وفي مدخل المكتب اندفع شخص يدعى جاك روبي واطلق النار على اوزوالد من مسافة قريبة جدا وهو بين يدي رجال مكتب التحقيقات فقتله على الفور (حسب الخطة) ثم جرى توقيفه ليدخل السجن ويكمل الاتفاق اما مكتب التحقيقات الفيدرالي (الشريك) في جريمة قتل كندي فقد انهى التحقيق بنفسه بان حمل اوزوالد مسؤولية قتل الرئيس كندي باعتباره يساريا مدفوعا من السلطات الكوبية وان قاتل اوزوالد قام بقتله (شفقة ورحمة) على جاكلين كندي ارملة الرئيس ولكن الكونغرس الاميركي لم يقتنع بنتيجة التحقيق التي (ظن) مخططو الجريمة انه سيمر مرور الكرام ولكن خاب املهم فقد صدر قرار من رئاسة الجمهورية بتشكيل لجنة تحقيق سميت (لجنة وورين) لاعادة التحقيق في ظروف وملابسات مقتل كندي واتخذت هذه اللجنة مقرا لها في الكونغرس الاميركي نفسه نظرا للحصانة المتوفرة والحماية الكافية للجنة وللشهود حين حضورهم وقد بدأت اللجنة اعمالها بتنظيم قائمة باسماء الشهود الذين سوف تستدعيهم للاستماع لشهاداتهم وهنا اسقط في يد المخابرات الاميركية ومكتب التحقيقات والمافيا والقى الزعر في قلوبهم ولكن محترفي الاجرام لا يقفون عند حد فمن خطط ونفذ

وقتل أعلى سلطة في اميركا بلد الحرية كما يدعون وهو رئيس الجمهورية سوف لا يتوانى عن قتل اي انسان اخر بسهولة شرب كأس الماء وهكذا بدأ أخطبوط التآمر في استطلاع ومعرفة اسماء الشهود الذين تقرر استدعاءهم ثم وقعوا (مزيدا) من العقود الجديدة مع النقابات السرية الدائرة في فلكهم للتخلص من الشهود مهما كان عددهم وقد اختفى مبدئيا اثني عشر شخصا ممن لهم علاقة او اخرى بمقتل كندي وكان اختفاؤهم بالانتحار او القتل او نتيجة حوادث سيارات وهؤلاء هم:

١ ـ لي بوويرس ـ استدعى للشهادة لانه صرح بانه رأى قبل مقتل كندي مباشرة سيارات تثير الريبة عند تل في شارع ألم ستريت كما انه رأى رجلين يحملان اشياء طويلة ومغطاة كالبنادق يقفان عند نفس التل لحظة وقوع الجريمة وقبل ان يمثل امام اللجنة اصطدمت سيارته بأحد الجسور واحترق بداخلها حيث لم يتمكن ذووه من استلام حتى رماده(١).

٢ ـ البيرت جاي بوجارد ـ وكيل تسويق سيارات طلب ليدلي بشهادته بأن اوزوالد الذي قتل بين يدي رجال مكتب التحقيقات الفيدرالية ليس اوزوالد الذي زاره مرتين في مكتبه لشراء سيارة قبل مقتل كندي وقد ـ انتحر البيرت لاسباب غير معروفة.. او هكذا يقولون.

٣ ـ (شاهد لم يقتل لعدوله عن شهادته): والين رينولدر. أدلى بشهادته امام مكتب التحقيقات الفيدرالية وكانت تلك الشهادة تتضمن ان المجرم الذي اطلق النار على كندي لم يكن اوزوالد بل كان شخصا اخر ولم يمر يومان حتى قام شخص مجهول باطلاق الرصاص على الشاهد والين فاصاب رأسه غير انه ظل على قيد الحياة. وبعد شفائه اعاد رجال مكتب التحقيقات الفيدرالية عرض صورة اوزوالد عليه فانكر شهادته السابقة واعلن ان اوزوالد هو المجرم بلا ادنى ريب. وهكذا يتضح ان الرصاص الذي اطلق عليه قد اعاده الى صوابه (نجا من الموت).

٤ ـ رينا ماكدونالد ـ راقصة ستربتيز كانت تعمل في ملهى يملكه (جاك روبي) قاتل اوزوالد شهدت بانها لا تعرف الشخص الذي اطلق الرصاص على اوزوالد فأفرج عنها ولكنها عندما حاولت الحصول على

(١) كانت المخابرات الالمانية ايام هتلر (الغستابو) تقوم بحرق المعارضين في افران غازية خاصة ولكنها كانت تسلم (الرماد) على الاقل لذوي الضحايا ضمن أوعية لدفنها...؟

مكاسب نتيجة شهادتها (وجدت منتحرة في منزلها) والاسباب مجهولة...؟

٥ ـ هانت كيليم ـ زوج راقصة الستربتيز ـ صديق سابق للرئيس كندي كان يسكن في منزل يقع بنفس العمارة التي كان يقطن بها اوزوالد حاول الثأر لزوجته وطلب الادلاء بشهادة امام لجنة (وورين) وقبل توجهه لاداء شهادته بـ ٢٤ ساعة فقط قتل بقطع رقبته نعم قطعوا رقبته بوحشية من الوريد للوريد كما يقال..

٦ ـ جيمس واريل ـ شاهد الشخص الذي اطلق الرصاص على الرئيس من مخزن تكساس للكتب كما شاهد نفس الشخص وهو يولي الفرار بعد اطلاق الرصاص وقد قتل في حادث سيارة قبل شهادته...؟

٧ ـ وليام وايلي ـ سائق سيارة اجرة (تكسي) نقل اوزوالد القاتل من قرب مخزن الكتب (عقب الجريمة) الى منزله قتل ايضا في حادث سيارة.

٨ ـ جارولد راسيل ـ شاهد قاتل رجل الشرطة تيبيت الذي قتل في حادث اثناء تغطية قتلة الرئيس ـ اطلق عليه الرصاص ايضا قبل شهادته فقتل.

٩ ـ جيل هانتير ـ صحفي كان يعمل في مدينة لونغ بيتش في ولاية كاليفورنيا تمكن من الوصول الى شقة جاك روبي ليقدم سبقا صحفيا وقد استدعي بعد ذلك الى احد اقسام مكتب التحقيقات الفيدرالية وبعد ذلك قيل انه اصيب برصاصة اطلقت عن طريق الخطأ فأودت بحياته وقد افرج فيما بعد عن رجل الامن الذي اطلقت النار من مسدسه (خطأ) كما قيل..؟

١٠ ـ جيم كوسير ـ مراسل صحيفة (دالاس تانمر جيرالد) حاول دخول شقة جاك روبي ايضا بحكم مهنته الصحفية فقتل في منزله قبل ان يتمكن من نشر أي معلومات تتعلق بالجريمة.

١١ ـ دافيد فيري ـ الشاهد المعروف جيدا انتحر ايضا في شقته.

١٢ ـ اراديو ديل باري ـ من اثرياء المهاجرين الكوبيين صديق مقرب لدافيد فيري وجد مقتولا بعد ساعات من انتحار دافيد.

وهكذا نجد ان قتل هؤلاء الشهود الواحد تلو الاخر يجعل الوصول الى الحقيقة صعبا لأن منفذي جريمة قتل الرئيس كندي كانوا يعملون على اساس ان الشهود يلوذون بالصمت في حالة موتهم فقط وقد غيرت اللجنة خطة سيرها في التحقيق ورأت ان تحقق مع الرؤوس المعروفين لنقابات المافيا وقد ظنت اللجنة ان

استدعاء هؤلاء سيلقي الضوء باعتبار ان قناعة اللجنة هي ان هؤلاء هم رأس الافعى فاستدعي اولًا (سام جانكانا) المسؤول عن فرع شيكاغو للمافيا للشهادة في جرائم الاغتيالات السياسية محاولة اغتيال كاسترو — مقتل الرئيس كندي — نشاطه الاجرامي فلم يكن حظ جانكانا اوفرمن غيره من الشهود المطلوب ان يلوذوا بالصمت فأطلق الرصاص عليه في شقته وطبعا من قبل منفذي الجريمة فثار الكونغرس عند ذلك وكلفت اللجنة بالتحقيق ايضا بمقتل الشاهد — المجرم — جانكانا — فطلب من كوللي مدير مكتب التحقيقات بالقيام بهذه المهمة فرفض تنفيذها متذرعا بانها لا تدخل في إختصاصات مكتب التحقيقات

القطة تأكل اولادها:

بعد مقتل الزعيم المافي /سام جانكانا/ قبل استدعائه للشهادة من قبل زملائه الذين قتلوا الرئيس اصبحت لجنة التحقيق تعد للألف قبل استدعاء اي شاهد ولم تعد تصدر اي بيانات عن مجرى التحقيق ولا عن اي احتمال او اكتشاف يؤدي لاظهار الحقيقة بعد ان وجدت ان الشهود يقتلون سواء كانوا — شهودا عاديين ام من الكبار في عالم الجريمة وجمدت اللجنة اعمالها بانتظار اي شاهد يكون محصنا ضد القتل باشكاله اما منفذي الجريمة فقد كان لهم رأي اخر وهو استباق الحوادث والتخمين من قبلهم عمن ستطلبه اللجنة للشهادة فيسرعون (لقتله) قبل ان يصدر اي طلب او تلميح لطلبه للشهادة وهكذا حصل مع الزعيم المافي (روزيللي) المسؤول عن فرع لاس فيجاس للمافيا حيث عثر على جثته في منزله مقتولا (سلفا) وقد علم ان المذكور قد ادلى قبل مقتله بأربعة اشهر باعترافات (سرية) عن تفاصيل مؤامرة اغتيال فيدل كاسترو امام لجنة مجلس الشيوخ نفسها وكان من الضروري حجب هذه الاعترافات لتوفير الامان للشاهد حتى ولو كان من زعماء المافيا ولكن كيف عرفت هذه الاعترافات رغم انها قدمت في جلسة سرية فاذا افترضنا ان احدا من اعضاء اللجنة المحلفين لم يبح بالاعترافات فانه من المتبع ان تمر هذه المعلومات بشكل روتيني على المخابرات الاميركية ومكتب التحقيقات الفيدرالية (اي ان هذه الاعترافات السرية وقعت في ايدي اولئك الذين قاموا بتدبير الجريمة) وهنا يصبح من السهل عليهم تكليف القتلة المحترفين الذين قتلوا اكبر عدد من الشهود في تاريخ الجريمة بمهمة (التخلص من شاهد اخر) وايضا شكلت لجنة جديدة اثر مقتل روزيللي للتحقيق في سر هذه الجرائم الغامضة ولكن اللجنة بلدت

سبعة اشهر بدون طائل في جدال عقيم حول من يتولى الاشراف على اعمالها وما كادت اللجنة تعتزم الشروع بالفعل في التحقيق حتى قتل شاهدها الرئيسي (جورج دي موتشيلد) احد مخططي جريمة قتل الرئيس كندي وهكذا نجد ان منفذي الجريمة تخلصوا خلال مدة قصيرة من اهم الشهود الذين كانوا يملكون مفاتيح ازالة الغموض الذي يكتنف اسرار مقتل الرئيس حتى بات مؤكدا ان الكونغرس لو شرع في استخدام سلطاته لتشكيل لجان اخرى للتحقيق فان منفذي الجريمة بما لهم من سطوة ونفوذ يلاحقون الشهود ويقتلونهم الواحد بعد الاخر مهما كان شأنهم هذا بالاضافة الى امر اخر غاية في الاهمية وهو ان التحقيق الجاد في ظروف مقتل كندي يعني الاصطدام بجبروت وقوة منفذي الجريمة المسيطرين على كل شيء في اميركا وهم كما ذكرنا المخابرات الاميركية + مكتب التحقيقات الفيدرالية + المافيا + مجمع الصناعات الحربية...

نتيجة التحقيق:

رغم جو الارهاب والقتل الذي شاع اثناء قيام لجنة (وورين) بتحقيقاتها فقد استطاعت سماع افادات عدد لا بأس به من الشهود وبطرق اغرب من الخيال لكي تجنبهم النتيجة التي وقع بها الشهود الذين سبقوهم حيث كان يستدعي الشاهد ليلا وتستمع اللجنة اليه في اي مكان خفي تراه مناسبا لحمايته كما ان اللجنة حصرت تحقيقاتها بين اعضائها فقط ولم تعد تعطي صورة عن التحقيقات الى المخابرات او مكتب التحقيقات لأنها عرفت ان اسماء الشهود كانت تتسرب عبر هذين الجهازين وبعد كل الجهود التي بذلتها اللجنة اصدرت مطالعتها في ستة وعشرين مجلدا كاملا تتضمن شهادات واعترافات وخبرات خبراء الاسلحة والقتل وخلاصة هذه المجلدات الستة والعشرين تقول (ان الرئيس كندي لم يقتله شخص واحد بل لم يستطع شخص واحد ان يقتله كما تأكدت اللجنة بان اوزوالد الذي قتل لم يكن وحده القاتل باعتبار ان السر دفن معه ولو لم يقتله جاك روبي حسب الخطة لكان بالامكان معرفة اي شيء منه او على الاقل كان قد اعترف بانه كان مكلفا بتمثيل دور القاتل بهروبه من مخزن الكتب الى دار السينما ومن ثم اطلاقه عدة طلقات بالخلاء لدى اختلاط الحابل بالنابل اثناء قتل الرئيس وذلك لكي تثبت عليه التهمة (وهذا ما حدث فعلا) فقد خضعت بندقيته للفحص من قبل خبراء الاسلحة وكانت من نفس فصيلة البندقية التي قتلت الرئيس كندي وثبت انها استعملت في نفس

اللحظة التي قتل فيها الرئيس وهكذا ادركت اللجنة ان اوزوالد ليس هو الوحيد الذي اطلق النار على كندي.

استغرق التحقيق عدة سنوات وكان تحقيقا دمويا بالاول ثم تمكنت اللجنة من اتمام التحقيق اما النائب العام لمدينة (نيوأورليانز) جيمس غاريسون فقد قام بتحقيقات منفردة حول ظروف اغتيال كندي بعد ان اطلع على تقرير لجنة وورين الذي لم يتضمن ادانة لأحد فتعهد ان يواصل التحقيق في الجريمة على مسؤوليته الشخصية بعد ان انقضت مدة رئاسة جونسون للولايات المتحدة الذي نصب رئيسا واقسم اليمين الدستوري عقب مقتل كندي مباشرة وهنا ظهرت علامة استفهام رددها البعض وهي اعطاء جونسون الضوء الاخضر لمنفذي الجريمة لقتل معلمه وولي نعمته ليصبح هو رئيسا حسب الدستور الاميركي وقد صرح جونسون لبعض المقربين اليه بانه لم يكن (يحلم) برئاسة الولايات المتحدة لولا مقتل كندي.

المدعي العام يتحـدى:

بدأ المدعي العام جيمس غاريسون تحقيقاته باعتقال كلاي شوفي في مارس (اذار ١٩٦٧) ولم يكن يمني النفس بأي مساعدة من جانب السلطات ولكنه تعجب حين بدأت جميع السلطات تساند المتهم واولهم وزير العدل رامي كلارك الذي طلب منه اخلاء سبيل الموقوف على اساس ان مكتب التحقيقات الفيدرالية تأكد من عدم ثبوت الاتهام عليه وحتى الرئيس نيكسون الذي انتخب بعد انتهاء ولاية جونسون اعلن انه لا يرى ضرورة لتجديد التحقيق الذي اجرته لجنة (وورين) ومع ذلك فقد تابع المدعي العام تحقيقه حسب امكانياته ولكن منفذي الجريمة كانوا له بالمرصاد فاخذوا يرسلون له شهودا ملفقين يدعون انهم شاهدوا الحادثة فيتضح له انهم مدعين وكاذبين ثم حاولوا ارهابه لوقف التحقيقات فاتصل به احد رجال صناعة النفط في تكساس واخبره انه يتحتم عليه وقف هذه التحقيقات اذا كان مستقبله يهمه وزاره شخص مجهول ادعى انه من رجال الاعمال وعرض عليه وظيفة قاض فيدرالي وعندئذ ادرك المدعي العام انهم يريدون عقد صفقة معه ثم اعلن وزير العدل رامي كلارك بانه سيقدمه للمحاكمة امام الصحف التي تشرب من نبع المخابرات الاميركية وذلك بتهمة الاتصال بالمافيا وحين رشح نفسه لانتخابات المدعي العام ــ عام ١٩٧٠ وعد الناخبين بانه سيسير الى اخر الطريق لظروف مقتل الرئيس كندي.

وقد ادلى معظم الناخبين باصواتهم لصالحه رغم ان الصحف الموالية لمنفذي الجريمة نشرت اخبارا مفادها بان غاريسون سوف لا يتمكن من القيام بواجب المدعي العام لانشغاله الى اقصى حد بالتحقيقات في مقتل كندي وعدم توجيه اهتمامه للشؤون الاخرى.

وقد احتفظ غاريسون بمنصب المدعي العام وتابع التحقيقات بنشاط مجدد ولكن وزارة العدل اقامت دعوى افتراء ضده في يوليو ١٩٧١ ووافق وزير العدل على تخطي الحصانة التي يتمتع غاريسون بها واقتحم رجال مكتب التحقيقات الفيدرالي والمخابرات المركزية منزله صباحا حيث كبلوه بالحديد وساقوه امام زوجته واطفاله وهو الذي كان يأمر بتكبيل وسوق المجرمين امام القضاء حيث تعرض غاريسون للحظات عصيبة ومحرجة امام زوجته واطفاله ولما دخل المحكمة فوجيء بان التهمة الملفقة له هي (تقاضي رشوة من اصحاب الالعاب الاوتوماتيكية الفليبرز وغيرها) وقد اخلى القاضي سبيله حالا ولكنه اضطر للحضور الى المحكمة مرارا حتى اثبت براءته وقد اضطر نتيجة لذلك ان يهمل القيام بعمله كمدعي عام طوال تلك الفترة العصيبة وما ان وجد منفذو الجريمة ان غاريسون قد انتهى من الدعوى الاولى بالبراءة اوعزوا لوزارة العدل برفع دعوى جديدة كانت التهمة فيها (التهرب من دفع الضرائب على الرشاوى التي تقاضاها من أصحاب محلات الالعاب الكهربائية) وطالما ان المحكمة برأته من تهمة تقاضي الرشاوى فقد برأته ايضا من هذه التهمة الجديدة.. ولكن سمعة المدعي العام كانت قد ساءت الى حد كبير خصوصا بعد ان رشح نفسه للمرة الثانية لمنصب المدعي العام حيث قطع عنه الدعم المادي بأوامر عليا وامتنع الكثير من اصدقائه عن مساعدته ماديا (خوفا من الحكومة) وهكذا لم ينجح في المحافظة على منصبه (اي انهم تمكنوا من حرمانه المنصب الذي كان يجري التحقيق من خلاله) لكي لا يبقى له اي سلطة يتحداهم بها كما انهم (شردوا عائلته) فانفصلت عنه زوجته بعد كل ما تعرض له وما وصل اليه وارغموه على ان يعمل في مكتب للمحاماة براتب قليل كل ذلك جعله يرى بشاعة وقسوة وجبروت منفذي جريمة قتل الرئيس كندي وهم المخابرات الاميركية والمافيا واتخاد مجمعات صناعة الاسلحة وانضم اليهم اثناء وبعد تنفيذ الجريمة مكتب التحقيقات الفيدرالية كشريك متضامن في طمس المعلومات واخفاء الحقائق وتسريب اسماء الشهود الى منفذي الجريمة ليجري التخلص منهم كما ان الشاهدة السيدة (جولي ان ميسير) كانت من طويلي الاعمار لانهم لم يقتلوها رغم انها ابلغت مكتب التحقيقات الفيدرالية في اليوم التالي لمقتل

الرئيس انها قبل مرور موكب كندي بساعة تقريبا وبينما كانت تمر بسيارتها من شارع ستريت لفت نظرها سيارة نقل كانت على مقربة من نفق السكك الحديدية وحدث من قبيل الصدفة وبسبب الحواجز الموضوعة في الطريق ان توقفت هذه السيدة بسيارتها بجوار سيارة النقل ذات اللون الاخضر وشاهدت شابا يخرج من العربة ويصعد الى التل المحاط باشجار صغيرة وهو يحمل بيده (شيئا طويلا ملفوفا بورقة بنية اللون) وتأكدت السيدة ميسير ان هذا الشيء كان بندقية وقد خطر ببالها انه من المحتمل ان يكون هذا الشاب هو احد رجال الشرطة السريين وانه وضع في هذا المكان الاستراتيجي لحراسة موكب الرئيس ولاحظت السيدة ان سائق العربة عندما شاهدها تنظر الى زميله (القاتل) نظر اليها نظرة ملؤها الغضب.

وبعد ذلك بيومين فوجئت وهي تشاهد التلفزيون بصورة الشخص الذي قتل (اوزوالد) وهو يشبهه تمام الشبه تذكرت ملامح وجهه جيدا وبعد انتهائها من تقديم اقوالها في مكتب التحقيقات الفيدرالية قدم لها احد المسؤولين عن التحقيق عشرين صورة لأشخاص مختلفين وطلب منها ان تتعرف على صورة السائق من بينهم فتعرفت عليه فورا.

نعم..؟ لقد تعرفت على جاك روبي (نفسه) ولكن مكتب التحقيقات الفيدرالية لم يتخذ اي اجراء ضده ومع ذلك قام جاك روبي كما ذكر في اليوم التالي بقتل اوزوالد (الضحية) امام سمع وبصر رجال مكتب التحقيقات ولكي يضمن المكتب التغطية القانونية لنفسه نتيجة ابلاغ السيدة ميسير له فقد حرر محضرا باقوالها (كشاهدة) وقد ورد بالمحضر ان الشاهدة لم تتمكن من التعرف على صورة سائق اللوري جاك روبي. هكذا ارادوا التحقيق والاغرب من ذلك ان المحضر يحمل توقيع الشاهدة عليه في حين انها لم توقع على اية اوراق خلال مقابلتها للمحققين وادلائها بأقوالها كذلك لم تستدعي هذه السيدة للادلاء بشهادتها القيمة امام لجنة وورين ولذلك بقيت على قيد الحياة.

وهناك سيدة اخرى تدعى كارولين وورسيز سلمت من القتل رغم تصريحها لمكتب التحقيقات بانها شاهدت قبل مرور موكب الرئيس كندي من شارع ألم ستريت شخصين في نافذة الطابق السادس لمخزن الكتب المدرسية وكان احدهما يحمل بندقية ظاهرة للعيان ولكنها اعتقدت انهما من رجال الشرطة السرية المخصصين لحماية الرئيس كندي كما انها شاهدت شخصا اخر يدخل الى مبنى في الناحية الاخرى لهيوسين ستريت اي مبنى (دال بيلدينغ) وقد تعرفت على

صورته وكان (يوجين هيسيل) وكانت مهمته ان يجذب انتباه الشرطة الاميركية حتى يتمكن القناص الحقيقي من الهرب.

وهكذا طويت اغرب جريمة في التاريخ الحديث رغم الحربة التي تزعم الولايات المتحدة وجودها وبقي سؤال مطروح على مر الزمن: هل سيوجد في وقت من الاوقات الرئيس القادرِ على حسم هذه القضية ويكون له من القوة كشف القتلة الحقيقيين.

الجواب: لا يوجد في الوقت الراهن وحتى كتابة هذه السطور لا يوجد اي امل بظهور رئيس قادر على الحسم طالما كان الرئيس مثل (ريغان) فان احتمال كشف الحقيقة للشعب الاميركي امر يعادل (الصفر) طالما كان منفذو الجريمة على قيد الحياة.

* * *



كندي. مشرقاً قبل مصرعه بلحظات...؟



(كبش الفداء) أوزوالد يقتل بين أيدي رجال مكتب التحقيقات الفدرالية ...؟



لجنة وورين للتحقيق ويظهر دالاس في اليسار
٢٦ مجلداً والنتيجة أكثر من قاتل ...؟

المخابـــرات الاميركيـــة

المخابرات الاميركية بتكلم عربي..؟

CENTRAL INTELLIGENCE AGENCY

UNITED STATES OF AMERICA

المخابرات الاميركية

المخابرات الاميركية بتتكلم عربي....؟

المخابرات الاميركية تحدث شهادة بكالوريوس بالمعلومات:

استطاعت المخابرات الاميركية ان تقلد المخابرات السوفياتية في استحداث شهادة بكالوريوس للمعلومات تمنح من الجامعات الاميركية للخريجين التابعين لهذه المخابرات للاستفادة من خبرتهم في العمل لديها وقد بدأت القصة عندما وقف نائب رئيس المخابرات الاميركية (بوبي انمان) امام احدى لجان الكونغرس الفرعية ليدلي بشهادته حول مشروع قانون اعدته الادارة الاميركية لتطوير تعليم اللغات في الولايات المتحدة الاميركية. وبدا الامر غريبا ان تستدعى المخابرات المركزية لتدلي بشهادة لغوية غير ان هذه الغرابة زالت عندما تكلم بوبي انمان فقد قال وبوضوح شديد: ان التدهور في القدرة الاميركية على التعامل مع اللغات الاجنبية يترك تأثيرا مدمرا على جهاز المخابرات خاصة عندما يتعلق الامر بلغة غريبة كالعربية والفارسية والاوردية واللغة الاخيرة يتكلمونها في افغانستان وباكستان والهند. وبعد شهادة نائب رئيس المخابرات الاميركية اقرت لجنة التعليم في الكونغرس تخصيص مبلغ ٨٧ مليون دولار في السنة لتعليم اللغات الاجنبية في المدارس والجامعات الاميركية رغم ان تعليم اللغات الاجنبية ومنها (العربية) صار تقليدا في الكليات العسكرية الاميركية خاصة كلية (وست بونيت) العسكرية التي ينتسب اليها الكثير من ابناء البلاد العربية ولكن المخابرات الاميركية تفضل ان تحتفظ باستقلالها بعيدا عن الجيش الاميركي لأن الجيش الاميركي يختص بالقمع في الخارج بينما المخابرات الاميركية تختص بالقمع من الداخل وبالتالي فهي تفضل تطويع عناصر اكاديمية تعمل وتدرس على حسابها اي ان الطلاب الذي تختارهم المخابرات للحصول على بكالوريوس المعلومات وتدفع بهم الى الجامعات

الاميركية يبدأ تعاملهم معها منذ اللحظة الاولى لانتسابهم لهذه الجامعات وحتى تخريجهم حيث ينضمون للعمل فيها-وهذه العناصر تتراوح بين الطالب الثانوي والطالب الجامعي وحتى عمداء الكليات.

ومن المعروف ان المخابرات الاميركية على اتصال وثيق بالجامعات الاميركية وخاصة جامعة (واشنطون) بالذات التي اقر فيها تدريس اللغات الاجنبية لصالح المخابرات حيث اقر (آرنست غريفس) عميد مدرسة الخدمات الدولية في جامعة واشنطون احداث شهادة جديدة في الجامعة هي (بكالوريوس تحليل المعلومات) وبدء التنسيب للطلاب لنيل هذه الشهادة عام ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٧٩ تخريج ٢٥ طالبا يحملون هذه الشهادة التحقوا بالمخابرات الاميركية وقسم منهم نقل للمخابرات العسكرية الاميركية وقد صرح عميد الجامعة غريفس نفسه قائلا: لقد اقنعت المخابرات الاميركية بتبني برنامج تدريس هذه الشهادة وتمويله مما دعى رئيس المخابرات في حينه للاتصال شخصيا باحدى الشركات التي تعمل كواجهة للمخابرات وطلب منها التبرع بتمويل المشروع وهذا ما حصل فعلا اما بقية اساتذة المعهد فكانوا يعرفون المواصفات المطلوبة للطالب واهمها عمله للمخابرات كما ذكرنا منذ اليوم الاول لبدء دراسته الاكاديمية وكان اهتمام المخابرات باللغة العربية اكثر من بقية اللغات كما ان الخريجين الذين يحملون هذه الشهادة يجري نقلهم الى قسم مخابرات قوات التدخل السريع هذه القوات التي انشأت اصلا لقمع الانتفاضات الداخلية التي تحتمل السلطات الاميركية حدوثها في الشرق الاوسط وخاصة في دول الخليج لكي لا يهدر المصدر الرئيسي لامدادات النفط الغربية من الخليج وهكذا لم نعد نستغرب وجود عملاء للمخابرات الاميركية سواء مع قوات التدخل التي وصل منها الى لبنان او في فروع المخابرات الاميركية في السفارات الاميركية المنتشرة في مختلف دول العالم العربي يتكلمون اللغة العربية كأهلها... انها المخابرات الاميركية...

ــ جاء في الانباء يوم ١٩٨٣/٤/٢٠ بان مسؤولا كبيرا في المخابرات المركزية الاميركية هو (روبرت كليتون بامز) مدير مكتب التحليلات للشرق الاوسط وجنوب اسيا كان قد توجه الى بيروت لاجراء مشاورات في السفارة قد قتل اثناء تفجير السفارة الاميركية في بيروت واعتبر شهيد المخابرات الاميركية.

• • •

المخابـــرات الاميركيـــة

ماذا وراء دعوة كبار الضباط
لزيارة الولايات المتحدة الاميركية..؟



قبعات كبار زوار وزارة الدفاع الأميركية.

المخابـرات الاميركيـة

- اظهار عظمة اميركا كدولة مضيفة.
- الدخول الى اعماق الشخصيات الزائرة.
- الترويج للاسلحة الاميركية في بلاد الزوار.

بعد ان كانت المخابرات المركزية الاميركية تتصرف بالملايين في تحريك دول العالم دون رقيب او حسيب طالب الكونغرس الاميركي منذ عام ١٩٨٠ بالاشراف على ميزانية هذه المخابرات وهكذا اصبح مسؤول الحسابات (ضابط المحاسبة) في المخابرات الاميركية يقدم في كل سنة كشفا موقعا من رئيس المخابرات يتضمن ميزانية هذه المخابرات واوجه الصرف فيها ومع ذلك فان هذه المخابرات لا زالت تأخذ ما تريد من ملايين الشعب الاميركي التي يدفعها كضرائب باشكال مختلفة وباسماء (مشاريع وهمية) حتى يصدق القول المعروف انه لا سلطة لأحد على المخابرات الاميركية (بعد اغتيال كندي).

اما وزارة الدفاع الاميركية (البنتاغون) فان ميزانيتها تقرر مع الميزانية العامة للدولة سنويا وهذه الميزانية الضخمة التي تزيد عن ميزانية المخابرات ولكنها تخضع لاشراف الكونغرس حسب الاصول ورغم ضخامتها فان الكونغرس يوافق عليها منذ عشرات السنين بلا معارضة حتى اخذ بعض اعضاء الكونغرس (يرفعون الاصبع) لمراجعة بعض بنود (الصرف) في ميزانية وزارة الدفاع اسوة باخضاع المخابرات للمراجعة (وما حدا احسن من حدا) ولدى مراجعة بنود صرف اموال ميزانية وزارة الدفاع الاميركية وجد فيها (بند) يوافق على صرف آلاف الدولارات من ميزانية وزارة الدفاع على الزوار المهمين من ضباط دول العالم للولايات المتحدة وكان الكونغرس يقرر هذه الميزانية سنة بعد سنة حتى طرح هذا الموضوع على بساط البحث فتبين ان اغلب اعضاء الكونغرس لا يعرفون شيئا عن هذه الزيارات.

من المعلوم ان لوزارة الدفاع الاميركية / وزير الدفاع/ او معاونوه وحتى

الملحقين العسكريين الاميركيين في مختلف دول العالم بحق لهم دعوة / ضباط ذوو رتب كبيرة/ استنادا لوجود هؤلاء الضباط المدعوون في مراكز حساسة في دولهم/ لزيارة الولايات المتحدة الاميركية/ وهكذا تجد بين فترة واخرى بعض القادة العسكريين الاجانب وزوجاتهم يقومون بزيارة للولايات المتحدة فيستمتعون بالجولات السياحية في مرافق البلاد المهمة على نفقة وزارة الدفاع وبالتالي على نفقة/ دافعي الضرائب/ الاميركيين الذين يوجد اكثر من لجنة او مدافع عنهم وقد بدأت زيارات هؤلاء الضباط الذين يصطحبون معهم زوجاتهم كضيوف على البنتاغون منذ الخمسينات للقيام برحلة تمزج بين الاطلاع والمتعة وهؤلاء الضيوف يأكلون ويشربون في احسن المطاعم وينزلون في افخم الفنادق وينتقلون في طائرات خاصة ويركبون سيارات الليموزين الفخمة وينتهي بهم الامر مساء في افخم اماكن اللهو المعروفة في اميركا بما في ذلك (ملاهي لاس فيجاس او (ديزني لاند) ونظرا لأن لكل شيء نهاية في الولايات المتحدة (كنهاية نيكسون) فقد اخذ الاعضاء في الكونغرس يحققون في البند الخاص بالميزانية الخاصة لزوار او ضيوف وزارة الدفاع فتبين لهم ان بعض هؤلاء الزوار يكلف (دافع الضرائب الاميركي) مبالغ باهظة وهذه نسبة بسيطة اطلع عليها احد اعضاء الكونغرس وقدمها الى اللجنة التي كلفت بالمراجعة والتحقيق وهي كما يلي:

١ ــ دفع مبلغ /٥٠٠/ دولار قيمة وجبة طعام (زائر وزوجته) في احد مطاعم نيويورك الفخمة.

٢ ــ ١٥٠/ دولاراً قيمة تذاكر لأحد مسارح (برودواي) وهو شارع المسارح.

٣ ــ ١٠٠/ دولار نفقات قص شعر (زوجة الضابط الزائر).

٤ ــ ١٥٠/ دولاراً لشراء علبة سيكار (بارتكاس) كوبي اصلي لأحد الزوار من الضباط.

٥ ــ ١٠٠/ دولار تأمين تبديل المشروبات التي يشرب منها الزوار في الفندق وليست متوفرة فيه.

٦ ــ ٥٠/ دولاراً زهور وهدايا للزوجة في الفندق.

٧ ــ لم تدخل فاتورة الفندق مع هذه المصاريف الباهظة.

وقد قدرت اللجنة المكلفة بالتحقيق في الكونغرس الاميركي بانّ مبلغ /٣٠٠ الف دولار/ الذي صرف على زوار وزارة الدفاع خلال ١٨ شهرا هو

(تبذير) وقد انضم عضو مجلس النواب فرتين ستارك ممثل كالفورينا الى المنادين بمراجعة وكشف هذه الامور حيث صرح لمراسل مجلة (يو. اس ـ نيوز اندوور لدريبورت) بانه لم يكن يعرف شيئا عن هذه الامور لكنني لست مندهشا لأن مؤسستنا العسكرية تستضيف النخبة من ضباط العالم.

اما النائب جون كونييرز فقد صرح لنفس المجلة قائلا: عندهم اناس طيبون كثيرون في البنتاغون لكنني لم اسمع بهذا الامر قبلا ان احضار الضباط الاجانب لزوجاتهم لا مبرر له. ولا بد من وضع حد لهذا الامر.

وقال النائب لوك ماكنزي: انني لم سامع بهذه الامور من قبل ولا بد من اقامة التحقيق. وهكذا سار التحقيق سير ابطيئا لأن المخابرات المركزية تدخلت في الوقت المناسب لعدم لفت الانظار خاصة وان الهدف الرئيسي لهذه الزيارات والنشاطات هو لكي يتعرف المسؤولون الاميركيون على الشخصيات العسكرية الاجنبية المهمة وان ابسط نتيجة ستحصل عليها البلاد من هذه الضيافة هي الترويج للاسلحة الاميركية في بلدان الضباط الزائرين ومع ذلك فقد عرف المواطنون الاميركيون ببعض تفصيلات حفلات كبار الزوار العسكريين ونزهاتهم التي اصبحت الان معروفة للشعب الاميركي في جو الانفتاح الذي اوجده قانون حرية المعلومات فقد جرى الاطلاع على سجلات الرحلات التي تمت بين اول كانون اول ١٩٧٧ واول تموز ١٩٧٨ لمعرفة كيف تتصرف وزارة الدفاع مع كبار ضباط الدول الصديقة فقد استضاف البنتاعون خلال فترة الثانية عشر شهرا هذه ٢١ ضابطا كبيرا من ١٨ بلدا ويتألف الوفد الزائر عادة من /وزير الدفاع/ او /قائد الجيش/ او قائد البحرية او قائد الطيران/ من البلد الاجنبي مع زوجته واثنين او ثلاثة من المرافقين يكون احدهم ابن الضيف او ابن زوجته وغالبا ما يتولى الضباط الزائرون دفع قيمة بطاقة الطائرة من بلدهم الى الولايات المتحدة وعودتهم منها لكن خلال اقامتهم وهي عادة حوالي عشرة ايام تتولى السلطات العسكرية/المرافقين للزائر/ نقل الزوار في طائرات سلاح الجو الاميركي النفاثة وتدفع قيمة التنقلات الاخرى وزارة الدفاع بالشيكات السياحية وعادة يتوقف هؤلاء الزوار في واشنطون لتحية اندادهم العسكريين الاميركيين والتباحث معهم وبعد ذلك تنوع البرامج ولكنها تلتقي كلها على زيارة القواعد العسكرية لالقاء نظرة على وسائل التدريب او المعدات العسكرية الاميركية الا ان هذا جزء فقط من الصورة... اذاان القواعد التي يزورونها لا تبعد سوى رمية حجر من اماكن اللهو المعروفة للجميع ولذلك فان رحلات ونزهات جانبية تدرج عادة في البرنامج.

والرحلات التي ينظمها سلاح الطيران مثلا تضم عادة زيارة الى قاعدة ادواردزالجوية في كاليفورنيا او قاعدة نيليس الجوية في نيفادا هما قريتان من مدينة ملاهي (ديزني لاند) و(لاس فيغاس) ومعظم الزوار العسكريين يذهبون الى احداهما او كليتهما.

ونفس الامر ينطبق على العسكريين التابعين للقوات البرية (المشاة) او البحرية فان القواعد التي يزورونها قريبة ايضا من اماكن للهو والتسلية والمنتجعات. وفي جميع هذه الزيارات يتولى المرافقون الاميركيون دفع النفقات وفي بعض الاحيان تكون فاتورة الحساب كبيرة فيجري الدفع بكل طيبة خاطر.

وقد عرض على اللجنة نموذج للصرف فمثلا عندما قام اللفتنانت جنرال هكتور اغنيلوز قائد سلاح الجو المكسيكي بزيارة مدينة لاس فيغاس مع زوجته وثلاثة مرافقين دفع مضيفوه الاميركيون ١٤٥ دولار لحضور الاستعراض الفني في الفندق وحوالي ٥٠٠ دولار في احد الاندية الليلية الاخرى التي اكمل بها الضيف امسيته.

وعلم انه عندما يكون الزوار العسكريون في مدينة نيويورك فان سلطات البنتاغون تزودهم عادة ببطاقات الى افضل مسارح برودواي وبعضهم يذهب الى مسرحين او اكثر وعندما كان اميرال برازيلي يزور نيويورك مع مرافقيه قدمت له السلطات بطاقات بقيمة ١٥٠ دولاراً لحضور مسرحية غنائية في برودواي مع زوجته ومرافقيه.

واينما ذهب الزوار العسكريون سواء في واشنطن او نيويورك فانهم ينزلون في افخم الفنادق مثل فندق والدورف استوريا ذو خمس نجوم في نيويورك وفندق ووترغيت في واشنطون وفندق بيفرلي هيلتون في لوس انجيلوس وفندق فيرمونت في سان فرنسيسكو وفي اثناء ذلك تكون وجبات الطعام ايضا من الدرجة الاولى حيث اصبح من المألوف ان يدفع المرافقون الاميركيون عدة مئات من الدولارات لتغطية فواتير طعام الزوار ومن الفواتير التي وضعت تحت تصرف اللجنة فاتورة طعام في احد مطاعم نيويروك الفخمة بقيمة /٥١٠/ دولارات ثمنا لوجبة طعام وفد عسكري زائر برئاسة رئيس العمليات البحرية في كوريا الجنوبية بالاضافة الى النفقات العامة فان السجلات الرسمية للمحاسبة تتضمن نفقات نثرية مثل قص الشعر للزوجين وشراء علب السيكار (كما اسلفنا).

وهناك اهتمام كبير بزوجات كبار الزوار العسكريين حيث لا تخلو غرفهن من باقات الورد التي يتراوح ثمنها بين ٢٠ دولاراً و٣٠ دولاراً على الاقل.

وقد دافع المسؤولون في البنتاغون عن انفسهم بان هذه الزيارات لها فوائدها بعد ان اتهموا بان لا فائدة من هذه الزيارات واضاف المسؤولون بان هذه الزيارات لها ما يبررها وانها تخدم اهداف المخابرات الاميركية والبنتاغون بنفس الوقت ومن الفوائد التي اعطيت مثلا:

١ ــ ان زيارات كبار العسكريين للولايات المتحدة الاميركية واكرامهم تعطي حسن النية نحو اميركا لأن مخططي هذه الزيارات يضعون في حسابهم بان بعض هؤلاء الزوار من كبار القادة قد يصبحون رؤساء دول في يوم من الايام.

٢ ــ تترك هذه الزيارات انطباعات لدى الدول الاخرى عن عظمة المؤسسة العسكرية الاميركية وقيمة الولايات المتحدة كحليف.

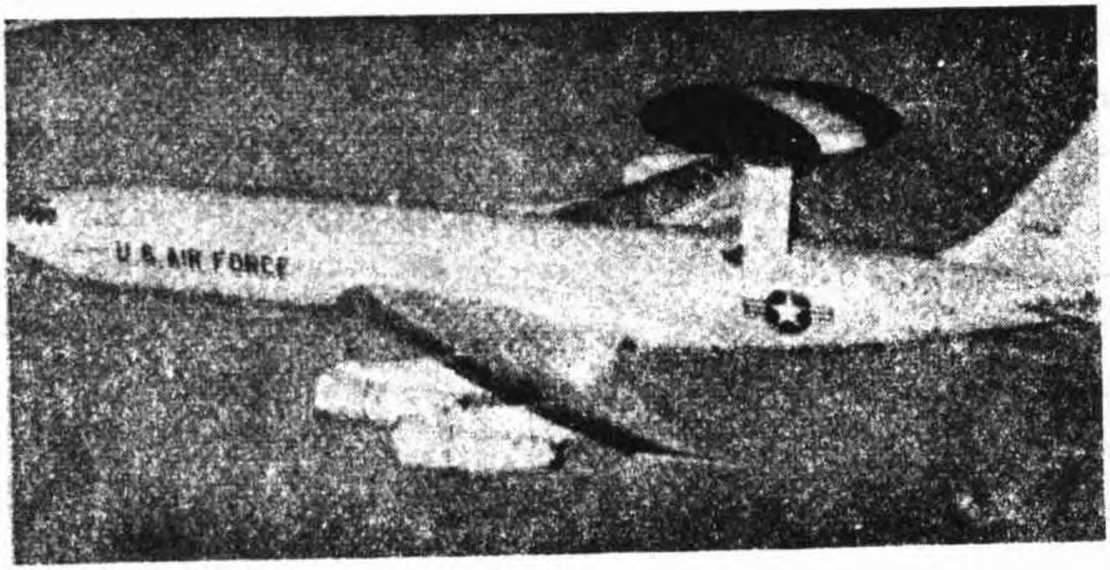
٣ ــ يتوفر للمسؤولين الاميركيين القاء نظرة عن كثب على الرجال المسؤولين عن القوات العسكرين الاجنبية مما يفتح مجالاً احيانا لتدفق المعلومات (خصوصا وان المخابرات الاميركية تراقب وتتنصت وتصور جميع مراحل الزيارة حتى في سرير الزوجين الزائرين).

٤ ــ الترويج لمبيعات الاسلحة الاميركية المتطورة بعد ان يشاهدها هؤلاء الزوار ويعودوا الى بلادهم فيعرضوا شراء ما اعجبوا به على حكوماتهم مع التوصية بالشراء نتيجة كرم الضيافة الاميركية.

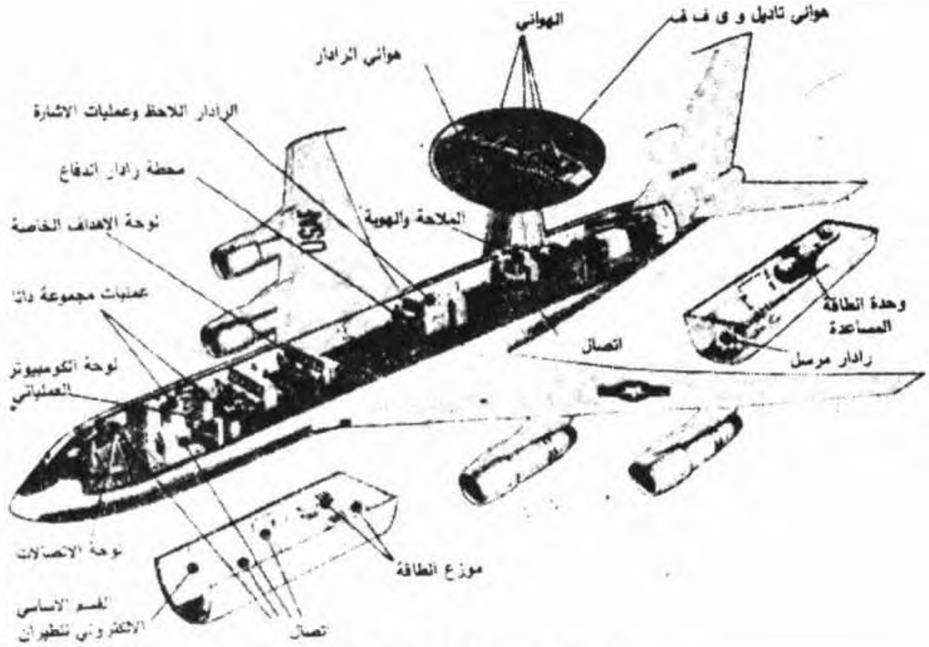
وخير دليل على صدق القول في هذا المقال هو موضوع طائرات (اواكس) للانذار المبكر التي ما ان شاهدها كبار الضباط السعوديين اثناء زياراتهم للولايات المتحدة وشاهدوا عظمتها وفعاليتها حتى عادوا الى المملكة وهم مصممون على جعل بلادهم تقتني منها لأن مجال عمل ودقة طائرة واحدة يغني عن ٤٠ مركز رادار ومراقبة بما فيهم العسكريون عدا استطاعتها الاعلام عن اقلاع وهبوط طائرات (العدو) لمسافات بعيدة خارج حدود البلد الذي تعمل منه وكانت النتيجة ان وافقت المملكة على ان تعيرها اميركا بعضا من هذه الطائرات وهذه حيلة تجارية قديمة ولدى اطلاع البقية من المسؤولين تمت الموافقة على الشراء لا الاعارة رغم المليارات التي ستدفع ثمنا لهذه الطائرات كل ذلك بسبب زيارات العسكريين للولايات المتحدة وكانت هذه الصفقة اهم نقطة دفاعية لوزارة الدفاع امام الكونغرس.

ويضيف المدافعون عن هذه الزيارات بانها دعوات متبادلة وان قادة القوات الاميركية يتلقون بالمقابل دعوات لزيارة بلدان الوفود الزائرة وينزلون ضيوفا على

وزارات دفاع هذه البلدان وان أحد القادة العسكريين الأميركيين عاد بهدايا تقدر بعشرة اضعاف ما صرف بالسابق على وفد البلد الذي زاره وكانت النتيجة ان طوى التحقيق لتستمر هذه الزيارات الى يومنا هذا.



طائرة الانذار المبكر (أواكس) تعرض على الزوار.



رسم تفصيلي لطائرة (أواكس).

مـع المخابــرات الاميركيــة

عندما تحقق الصحافة مع رئيس المخابرات الاميركية تظهر المخابرات الاميركية على حقيقتها.

- صحفية ايطالية تكشف اوراق رئيس المخابرات الاميركية.
- اوريانا فالاشي الصحفية التي ارعبت كيسنجر.
- وغيره من كبار السياسيين تجابه وليم كولبي.

ابتليت المخابرات الاميركية رغم عظمتها وفخامتها بصحافة اميركية حرة هذه الصحافة التي انزلت نيكسون عن كرسي الرئاسة عقب فضيحة ووترغيت هذه الصحافة تضع دائما المخابرات الاميركية واعمالها تحت المجهر وتكشف للشعب الاميركي تجاوزات مخابراته بل وتدفع هذه الصحافة شيوخ الكونغرس لمحاسبة رؤساء المخابرات الذين يتحاشون دائما الصحافة الاميركية ولكن وليم كولبي رئيس المخابرات الاميركية عام ١٩٧٦ ابتلي بأمر من الصحافة الاميركية ابتلي بالصحفية الايطالية الشهيرة اوريانا فالاشي التي اجرت مقابلات صحفية جريئة مع ساسة العالم ومنهم على سبيل المثال لا الحصر انديرا غاندي رئيسة وزراء الهند الرئيس الراحل بوتو الامبراطور (في حينه) هيلا سيلاسي امبراطور (الحبشة) اثيوبيا الان روبرت كندي وزير العدل الاميركي وشقيق (ضحية المخابرات الاميركية) جون كندي شاه ايران (عندما كان شاه) واخيرا كيسنجر وزير الخارجية الاميركي في عهد نيكسون الطاير وقد صرح كيسنجر عقب مقابلتها بان موافقته على ان تقوم اوريانا فالاشي باستجوابه كصحفية كان اغبى خطأ ارتكبه طوال حياته لأنها ابقته على اعصابه طوال فترة مقابلتها متحفزا للرد على استفزازاتها (وليس اسئلتها) دون ان يتمكن من الرد تماما مثل غيره من السياسيين الذين قابلتهم هذه الصحفية الجريئة ورغم المعلومات الكاملة التي جمعتها له المخابرات الاميركية عن الصحفية اوريانا فالاشي ومنها انها ذات مرة ارسلت جواز سفرها الى القنصلية السوفياتية في روما للحصول على تأشيرة دخول (فيزة) الى الاتحاد السوفياتي فأعيد الجواز لها بدون فيزة بسبب رفض القنصل منحها اياها فتوجهت غاضبة الى القنصلية السوفياتية وأبقت اصبعها على الجرس مدة ساعتين حتى تحطمت اعصاب القنصل ففتح لها الباب ومنحها الفيزة التي سبق ان رفض منحها لها من قبل واعلم كولبي ايضا انها سبق ان صرخت في وجه الزعيم الشيوعي البرتغالي كونهال اثناء مقابلته قائلة: ألا تحس بالخجل من أعمالك...

كما اعلم كولبي مسبقا ان اوريانا صحفية شرسة ومع كل ذلك وافق رئيس

المخابرات الاميركية (في حينه) على مقابلتها وجرت المقابلة في واشنطن وفي مكتب رئيس المخابرات في ضاحية (لانغلي) وقد بدأت اوريانا الاسئلة بطريقة هجومية وشرسة فعلا رغم انها في حضرة رئيس مخابرات اقوى دولة في العالم.

السؤال الاول: **أريد منك يا مستر كولبي اسماء اولاد العاهرة الذين استلموا نقودا من المخابرات الاميركية في بلادي لأن ايطاليا ليست احدى جمهوريات الموز التابعة لشركة الفواكه المتحدة[1] الا تعتقد ان من حق السيد برتيني رئيس البرلمان الايطالي الحصول على هذه الاسماء.**

جواب كولبي: كلا. لأن مجلس الشيوخ لدينا قرر نتيجة اقتراع انه يجب ابقاء اعمال المخابرات الاميركية سرية كما ينبغي علينا وهي قاعدة عملنا حماية عملاءنا وكل من يعمل لحسابنا.

السؤال الثاني: **قل لي رجاء اذا جئت للولايات المتحدة كأجنبية وقمت بتمويل حزب من الاحزاب السياسية الاميركية بالاضافة الى (٢١) من سياسيكم وبعض الصحفيين فماذا تفعلون...**

جواب كولبي: انك بذلك تكونين قد ارتكبت عملا مخالفا للقانون واذا اكتشفت ذلك فسأبلغ عنك مكتب التحريات الفيدرالية الذي يقوم باعتقالك نتيجة ذلك.

اوريانا: **حسنا في هذه الحالة ينبغي علي ان ابلغ عنك وعن عملائك السفراء الاميركيين للرئيس الايطالي لكي يقوم باعتقالكم جميعا.**

كولبي: لا اعتقد ذلك.

اوريانا: **ولم لا. اذا كان محظورا علي ان اجيء الى هنا لافساد سياستكم فمن المحظور عليكم ايضا ان تذهبوا الى بلادي لافساد سياستنا.**

كولبي: انا لا اقول لك انك ستقومين بافسادهم وانما اقول ان عملك هذا يشكل خرقا للقانون.

(١) شركة الفواكه المتحدة هي احدى الشركات التابعة للمخابرات الأميركية والتي تمولها بالرأسمال لتكون غطاء لعمل المخابرات في جميع البلاد التي تصدر اليها الفواكه.

اوريانا: **ولكن ذلك يشكل خرقا لقوانيننا ايضا ودعني اقول لك شيئا اخر: ان المفسد (تعني اكمخابرات) هو اكثر اثارة للامتعاض من الفاسد.**

كولبي: اننا لا نقوم بافساد احد في المخابرات الاميركية.
قد تكون هناك مشكلة اسمها الفساد في ايطالي ولكنها كانت موجودة في مجتمعك قبل مجيء المخابرات الاميركية بزمن طويل.

اوريانا: **زبائنك كما تسمونهم بتقاريركم ماذا تعني بتعبير (زبائن) يا مستر كولبي.**

كولبي: ماذا يفعل المحامي لزبونه. انه يساعده.

أوريانا: **سنتحدث فيما بعد عن محامي المسيحيين الديمقراطيين والاشتراكيين الديمقراطيين في ايطاليا.**

كولبي: صحيح بل كلا لن اعلق على وصع من هذا النوع.

اوريانا: **لماذا. هل كذبت عندما تسرعت وقلت (صحيح)**

كولبي: انا لا اكذب بل اتألم عندما يتهمونني بالكذب انني ارفض احيانا ان ابوح بمعلومات ولكنني لا اكذب ابدا. وعلى اية حال اريد ان اوجه لك سؤالا:
ترى هل كان صوابا ام خطأ ان تساعد اميركا الاحزاب الديمقراطية ضد هتلر.

أوريانا: **هاك اجابتي يا مستر كولبي:**
لا يوجد لدينا في ايطاليا (هتلر) وان مبلغ الـ ٨٠٠,٠٠٠ دولار التي اراد ان يدفعها سفيركم مارتين لرئيس الامن العام الايطالي السابق الجنرال فيتو ميتشيلي لم تصل في نهاية المطاف الى الاحزاب الديمقراطية. وانما انتهت في ايدي اتباع هتلر من الفاشيين الجدد.

كولبي: **انني لست على استعداد لمناقشة اي عملية محددة من عملياتنا اولا انا اكن احتراما كبيرا للسفير غراهام مارتين سفير الولايات في ايطاليا من سنة ١٩٦٩ الى ١٩٧٢ لقد كنا سوية في انحاء مختلفة من العالم وقد وجدت فيه على الدوام سفيرا قويا وثانيا**

اعتقد انه في مثل هذه العمليات تكون للمخابرات وجهة نظر اخرى ومسؤولية الحكومة ان تقرر اما نحن (فليس علينا سوى التنفيذ).

أوريانا: **حسنا. حسنا اذا كان نيكسون بموافقة كيسنجر بالطبع هو الذي أراد تسليم هذه الأموال لميتشيلي. فاذا رأيتهما بلغهما رجاء شكرنا على القنابل التي اشتراها الفاشيون الجدد بهذه الأموال.**

كولبي: لا أستطيع التحدث في ذلك. لست أدري ولكن أعرف أن الفاشيين الجدد في بلادكم لا يشكلون سوى ٨٪ وان التهديد الحقيقي في ايطاليا مصدره الشيوعيون لقد ساعدناكم منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ضد التهديد الشيوعي.

أوريانا: **وكان من نتيجة هذه المساعدة يا مستر كولبي أن الشيوعيون أصبحوا الآن على بعد شعرة من السلطة ففي كل انتخابات يكسبون المزيد والمزيد من الأصوات دعنا نتحدث بصدق: هل تعتقد أنك أنفقت هذه الأموال الضخمة في الأوجه الصحيحة وهل تعتقد أن مخابراتكم كانت تتصرف بحكمة وذكاء.**

كولبي: نحن لا ننفق الأموال عادة على الحماقات ربما كانت النشاطات الأميركية في ايطاليا غير كاملة منذ الحرب العالمية الثانية ولكنها كانت مفيدة أجل وايجابية فهي تتضمن من بين ما تتضمنه حلف الأطلسي ومشروع مارشال والمخابرات وعندما كنت في روما عام ١٩٥٣ كان الناس يركبون الفسبا (دراجة آلية مشهورة) أما الآن فانهم يركبون السيارات وقد اختفت الفسبا. انكم تعيشون اليوم في مستوى أفضل مما لو سيطر الشيوعيون عليكم منذ عام ١٩٤٨ أو عام ١٩٦٠ ان أي ايطالي يعيش اليوم في مستوى أفضل بكثير من المستوى الذي يعيش فيه أي بولندي ولهذا يمكن القول أن السياسات الأميركية لم تكن في بلادكم لقد قمنا بعمل جيد ولكنكم في ايطاليا تنظرون دائماً للأمور من زاوية

مظلمة في عام ١٩٥٥ قال الايطاليون ان ايطاليا على وشك الانهيار ولكنها لم تنهر والآن أسمع نفس الكلمات التي كنت أسمعها في عام ١٩٥٥ ولكنكم لم تنهاروا حينئذ ولن تنهاروا الآن لأن هنالك ايطاليين جيدين.

أوريانا: **الايطاليون الطيبون لا يمكن أن يكونوا بحال من الأحوال أولئك الذين يقدمون خدماتهم لك ولمخابراتك كزبائن.**

كولبي: أنا أعني الناس العاديين.

أوريانا: **لقد قلت مما يناقض القانون التجسس ولكن أمن مشاريعكم أن تتجسسوا علينا في بلادنا حتى ولو من خلال أجهزة الأمن.**

كولبي: هذا يعتمد على سياسة البلاد أحيانا يكون من مصلحة بلدين أن يتعاونا في المجال الاستخباري الشيء نفسه ينطبق على المخابرات السوفياتية في ايطاليا ومع ذلك لا يوجه أحد انتقاده للسوفيات.

أوريانا: **انك مخطىء يا مستر كولبي فنحن لا نريد أيا منكم لقد قرفنا وتعبنا من كليكما ولكن قل لي بربك ماذا ستفعلون لو كسب الشيوعيون الانتخابات في ايطاليا ترى هل ستعاقبوننا بانقلاب مثل انقلاب التشيلي.**

كولبي: يجب أن تفرضي أنه قد لا تحدث انتخابات جديدة في ايطاليا كما حدث مع هتلر على سبيل المثال وموسوليني ألا تفهمين أنهم كانوا يلعبون اللعبة الديمقراطية طوال هذه السنين لأنهم كانوا ضمن الأقلية وهل تعتقدين حقاً أنهم سيظلون على ديموقراطيتهم عندما يتسلمون السلطة.

أوريانا: **قد لا تكون محقا ومع ذلك فلا بد من أن أذكرك أنكم أنتم الأميركيون الذين تلقون بالبلاد في أحضان الشيوعية انكم أنتم الذين تشترون وتفسدون وتحمون جميع الفاشيين في العالم أن اميركا يا مستر كولبي (هي أكبر صانع للشيوعين في العالم).**

كولبي: لا أقبل بذلك انك تقولين هذا لأنك متميزة من الناحية الايديولوجية.

أوريانا: **ولكنك لم تجبني على سؤالي: ماذا ستفعلون بنا اذا حكم**

الشيوعيون ايطاليا.

كولبي: لا أدري ان هذا يتعلق بسياسة الولايات المتحدة.

أوريانا: **كلا انك تخفي الجواب: تشيلي ثانية. أليس كذلك.**

كولبي: ليس بالضرورة هذه مسألة افتراضية ولا أستطيع الاجابة فالأمر يتوقف على مجموعة من العوامل.

أوريانا: **هيا هيا يا مستر كولبي هل تعتقد أن من المشروع للولايات المتحدة أن تتدخل في ايطاليا عن طريق بينوشيت كما حدث في التشيلي اذا استولى الشيوعيون على السلطة.**

كولبي: لا أعتقد أن بوسعي الاجابة وبينو شيتكم ليس موجوداً في الولايات المتحدة الأميركية على أية حال انه موجود في ايطاليا نفسها.

أوريانا: **أنا أعرف ذلك ولكنه يحتاج اليكم فبدونكم لا يستطيع أن يحرك ساكناً اني أحاول أن أقودك للاعتراف يا مستر كولبي بأن ايطاليا دولة مستقلة وليست جمهورية من جمهوريات الموز وليست مستعمرة من مستعمراتكم ولكنك لا تريد الاعتراف بذلك.**

كولبي: دعيني أوضح لقد نشأ نوع من الانطواء في هذه البلاد بعد الحرب العالمية الأولى وكذلك بعد الحرب العالمية الثانية وكنا نظهر بأننا لن نعود الى التدخل في الشؤون الخارجية ولكن المشكلات بدأت تبرز في أوربا ومع ذلك لم نتدخل ولكن حيادنا لم يكن فعالا خصوصاً بعد نشوب الحرب الباردة حيث أصبح ستالين يشكل تهديداً لليونان وتركيا وايران فغيرنا موقفنا واحتوينا التوسع السوفياتي من خلال حلف شمال الأطلسي ومشروع مارشال والمخابرات وكان الليبراليون والمحافظون على اتفاق في ذلك وقد كنت شخصياً واحداً من الليبراليين بل كنت واحدا من الراديكاليين أيام الشباب.

أوريانا: **يا للمسيح. كيف استطعت أن تتغير بهذا الشكل.**

كولبي: لقد سبق لكلمنصو أن قال: ان الذي لا يكون راديكالياً في شبابه لا يكون له قلب والذي لا يكون محافظاً في شيخوخته لا يكون

له عقل ولكن دعيني أكمل لقد نجح حلف الأطلسي ونجحت سياسة احتواء التوسع السوفياتي كما جرى احباط النشاطات الهدامة للشيوعيون لقد كنا دائما على استعداد لعمل أي شيء من أجل قضية الحرية.

أوريانا: **من الجنرال فرانكو الى كاتيانو ومن ديم الى ليو ومن بابا دوبلوس الى بنوشيت الى جميع الدكتاتوريين الفاشيست في أميركا اللاتينية أو التعذيب في البرازيل على سبيل المثال أي أنكم باسم الحرية اصبحتم مؤيدين لجميع أولئك الذين يغتالون الحرية في بلادهم.**

كولبي: كما حدث في الحرب العالمية الثانية عندما أصبحت روسيا ستالين ضد الخطر الأكبر بنفس الطريقة التي تعاونا معه كذلك نتعاون معهم الآن. بينوشيت على سبيل المثال ان حكومتي تعترف بحكومته كسلطة شرعية للتشيلي ومع ذلك فان بينوشيت لا يقلق أحدا في العالم.

أوريانا: **دعني أقول لك من الذي يقلقه بينوشيت اولا: انهم التشيليون يا مستر كولبي الذين سجنوا ولوحقوا وعذبوا وقتلوا على أيدي بينوشيت طوال سنتين وثانياً انهم أولئك الذين تهمهم قضية الحرية فعلا وليس أولئك الذين يستخدمونها ككلمة فقط مثلما تستخدمها أنت وثالثا: البلدان التي تخشى أن تصبح تشيلي ثانية مثلا.**

كولبي: انك مخطئة بالنسبة لتشيلي لقد قدمنا بعض الأموال هذا صحيح ولكن الانقلاب وقع لأن ـــ الليندي ـــ كان يدمر المجتمع والاقتصاد التشيلي ولم يكن يتصرف وفقا للديموقراطية وقد اتفقت محكمة العدل العليا ومجلس الشيوخ في التشيلي أن الليندي كان يعمل خارج نطاق الدستور وحتى الصحافة الحرة جرى خنقها من قبل الليندي.

أوريانا: **ماذا هل فقدت عقلك يا مستر كولبي انك لا تستطيع أن تزور التاريخ بهذه الصورة فمن المعروف أن الصحافة المعارضة**

ظلت تلاحق الليندي بسياطها اللاهبة حتى النهاية.

كولبي: لقد واجهت صحف المعارضة مصاعب جمة في ظل حكمه أن القول بأن الليندي كان ديموقراطياً... حسناً هذا رأيك لقد قال مرة أنه يريد القضاء على المعارضة. لقد كان متطرفاً ومستبداً.

أوريانا: **ان كانت معلوماتك كلها مثل معلوماتك عن التشيلي فانني أفهم الآن يا مستر كولبي لماذا أصبحت المخابرات الأميركية موضع سخرية واستهزاء ومع ذلك تصور المخابرات الأميركية وكأنها فرقة كشافة لا تهتم الا بقراءة الكتب في المكتبات لنكن أكثر جدية يا مستر كولبي ولنقل بصراحة انكم لستم سوى مجموعة من الجواسيس.**

كولبي: لحظة واحدة رجاء. ان المخابرات اليوم هي عبارة عن عملية ثقافية تستهدف جمع المعلومات من الصحف والاذاعة والكتب والخطابات.

أوريانا: **قد تكون المخابرات الأميركية جزئيا كذلك ولكنها في الوقت نفسه أسوأ من ذلك وأقذر من ذلك بكثير أعني أنها قوة سياسية تقوم سراً بتنظيم الانقلابات والمؤامرات والاغتيالات أو حكومة ثانية مهمتها معاقبة كل من يعارض الولايات المتحدة.**

كولبي: كل هذه النشاطات التي ذكرتيها لا تأخذ سوى أكثر من ٥٪ من موازنتنا.

أوريانا: **أنا أعني اغتيالات الزعماء الأجانب يا مستر كولبي.**

كولبي: ان الاغتيالات لم تبدأ في أميركا يوم أمس بل كانت على الدوام سياسة والا كيف مات أمراء الولايات الايطالية المختلفة. وكيف مات قيصر أرجوك أن لا تحاولي كايطالية تلقيني دروساً في الأخلاق بالنسبة لهذا الموضوع.

أوريانا: **ولكن قيصر لم يقتله أميركي بل قتله روماني مثله.**

كولبي: لقد قلت لك أن من العسير على أي بلد أن يعطي دروساً في الأخلاق لبلد آخر.

أوريانا: **بحق الله. يا مستر كولبي، انك آخر من يحق له أن ينسب**

الأخلاق لنفسه انك تصور نفسك وكأنك الملاك جبريل تضحي بنفسك من أجل أن تعيش الحرية والديموقراطية فهل أنت متدين يا مستر كولبي.

كولبي: بالتأكيد أنا كاثوليكي ومتعصب.

أوريانا: **واحد من أولئك الذين يذهبون الى الكنيسة كل يوم أحد.**

كولبي: أجل بالتأكيد.

أوريانا: **واحد من الذين يؤمنون بالجنة والنار.**

كولبي: أجل بالتأكيد أنا أؤمن بكل ما تبشر به الكنيسة.

أوريانا: **واحد من أولئك الذين يحبون الناس كما أراد لهم السيد المسيح ذلك.**

كولبي: أجل بالتأكيد أنا محب للناس.

أوريانا: **هكذا اذا حدثني عن المافيا أعني استخدام المخابرات الأميركية للمافيا في عملياتها.**

كولبي: حالة واحدة فقط. حالة واحدة فقط فبعد تسلم كاسترو للسلطة في كوبا جرى تفكير بالاستعانة ببعض أولئك الناس الذين كان أقرباؤهم لا زالوا يعيشون في كوبا أناس كانت لهم علاقة بالمافيا وجرى التفكير باستخدامهم لقتل كاسترو.

أوريانا: **هل سبق أن وصفك أبناؤك بالرجعي أو بأسوأ من ذلك.**

كولبي: كلا لدينا وجهات نظر متضاربة لقد كان أولادي ضد الحرب الفيتنامية.

أوريانا: **هل تحب نيكسون.**

كولبي: لقد صوتت له وكان هو الذي عينني رئيساً للمخابرات وأعتقد أنه كان بارعاً في السياسة الخارجية وللتأكد من ذلك يكفي التفكير في الصين ومحادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية.

أوريانا: **بل يكفي التفكير في التشيلي وقبرص لقد تعبت من حديثك يا مستر كولبي تماما كما تعبت عندما قابلت (كونهال)(١).**

(١) كونهال ــ زعيم شيوعي في البرتغال سبق أن شتمته أوريانا حين مقابلته.

كولبي: مدارياً أوريانا: قولي لي أي نوع من الرجال هو.

أوريانا: انه في النهاية من طرازك.

كولبي: ماذا.

أوريانا: أجل راهب مثلك آه يا مستر كولبي انك لا تعرف الى أي مدى تتشابهان أقسم أنك لو ولدت على الطرف الآخر من الاستحكام لكنت ستالينيا نموذجياً.

كولبي: انني أرفض هذا التصريح ولكن حسنا قد لا يكون ذلك وأنا بالاضافة لذلك لست راهباً كما تقولين فأكثر ما يمكن أن أكون.. زاهداً مثلا.. (بدون جواب).

كولبي: هل لديك أسئلة أخرى.

أوريانا: سؤآل واحد فقط هل أستطيع أن أطلع على الملف الذي تحتفظون به (عني).

كولبي: بموجب القانون الأميركي تستطيعين الكتابة الى المخابرات الأميركية وتطلبين الاطلاع على أي شيء يحتفظون به عنك وقد يطلبون منك أن تدفعي بعض الرسوم ولكنهم في النهاية يعطونك ما تطلبين ما لم يكن لديهم سبب لابقاء المعلومات طي الكتمان.

أوريانا: أعتقد أن حديثك كان مملًا وكل شيء قلته يا مستر كولبي كان مضجراً للغاية ومحزناً.. محزناً الى أبعد حد..

وهنا انتهت هذه المقابلة الجريئة مع رئيس المخابرات الأميركية وليام كولبي وأحسن دليل على جرأة الصحفية أوريانا فالاشي هو نهاية المقابلة حيث وصفت مقابلته بأنها مملة ومضجرة ومحزنة بينما العديد بل كبار الصحفيين يخشون كولبي الذي صرّح بعد المقابلة بأنه كان يلاحظ أثناء حديثها معه كان صوتها يرتعش من الغضب وأنه كان يحاول المحافظة على برودة اعصابه.



الصحفية أوريانا فالاشي التي يتهرب منها كبار السياسيون؟



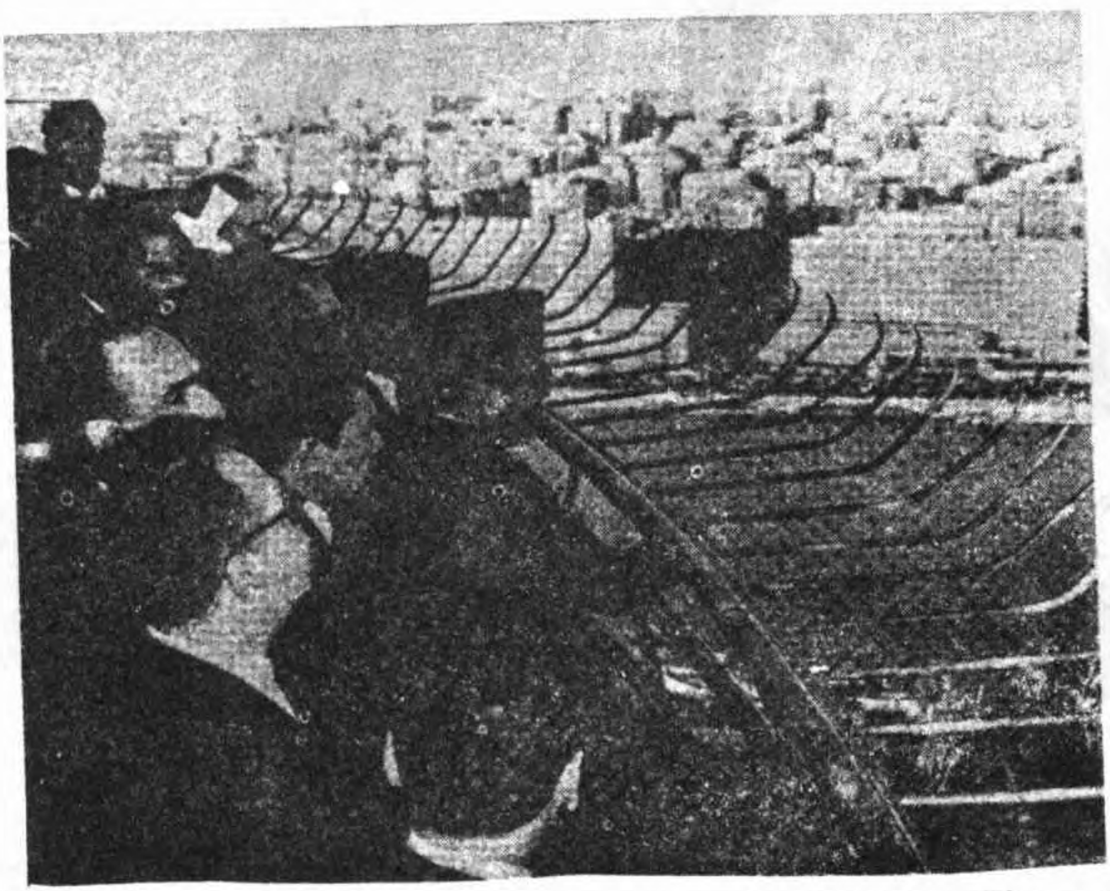
بنوشيت وشهادة وليم كولبي به.

هــذه هي المخابــرات الأميركيــة

* رؤساء الولايات المتحدة تسيطر عليهم المخابرات الاميركية باحتفاظها بأسرار بعضهم المثيرة للخجل.

* رغم شكاوي الشعب الأميركي لا تزال المخابرات تراقب الهواتف والرسائل

* المخابرات الأميركية انتجت فيلماً جنسياً عن الرئيس الراحل سوكارنو.



الرئيس سوكارنو وخلفه صلاح نصر (السهم) رئيس المخابرات المصرية السابق الذي استلم فيلماً جنسياً مزوراً عنه...

أول ما يتبادر الى ذهن القارىء سؤال داخلي فكري هو: من أين يأتي المؤلف بهذه المعلومات الوفيرة والدقيقة عن أعمال وتجاوزات ومؤآمرات المخابرات في العالم والجواب بديهي وبسيط اننا نأتي بالمعلومات من وثائق نفس المخابرات أولا وثانيا من الكتب التي ينشرها منتسبي هذه المخابرات (بعد تركهم العمل أو تقاعدهم) وليس أخبر أو أعرف بالمخابرات وأعمالها من رجالها الذين عاشوا سنين طويلة يعملون لها ويشاهدون المؤآمرات تحاك أمام أعينهم على هذه الدولة أو على هذه الشخصية.. الخ أي أنهم كانوا يعيشون داخل الصورة المرعبة للمخابرات وتركوها ليعيشوا حياتهم العادية عند ذلك يخطر على بال بعضهم أن يؤرخ ما عمله وشاهده في المخابرات وهنا تكون معلوماتنا دقيقة نوعاً ما لأنها تصلنا من أهل البيت (بيت المخابرات المغلق) وقد ذكرنا في الجزء الأول من هذا الكتاب (صفحة ٣١٢) أن المخابرات الأميركية ابتكرت طريقة لاستنفاذ الميول الأدبية لمنتسبيها الذين يقبلون على التقاعد وهي ابقائهم تحت تصرفها مدة اضافية ليكتبوا ما يشاؤوا عن المخابرات وبالتالي فهي تقوم بتمويل كتاباتهم وحتى شراء حق النشر منهم لكي تضمن أن ماسينشر لا يشكل (فضحا لها) ولكن بعض الكتاب المتخصصين بالكتابة عن المخابرات وليسوا من أتباعها يقومون باصدار كتباً عن أعمالها وحتى عن فضحائها بشكل خاص ولدى طلب هؤلاء المؤلفين الموافقة تقع الواقعة بينهم وبين المخابرات الأميركية التي تحاول بشتى الطرق القانونية والغير قانونية منعهم من نشر تلك الكتب والكاتب الأميركي (دافيد وايز) هو أحد أشهر الكتاب الأميركيين الذين تخصصوا بفضح الجرائم التي ترتكبها المخابرات الأميركية سواء بحق المواطنين الأميركيين أنفسهم أو بحق الزعماء الأميركيين أو الزعماء السياسيين لدول اخرى اكثر تعتبر (صديقاً) للولايات المتحدة ــ ففي عام ١٩٧٤ نشر وايز كتابه الشهير بعنوان (الحكومة السرية) أي الحكومة الغير مرئية وهي (المخابرات) وواجه المتاعب عندما كان الكتاب على وشك الصدور فقد اتصلت المخابرات الأميركية بدار النشر واقترحت عليها شراء (كافة نسخ الكتاب)

لكي لا يصل الى أيدي الجمهور لكن الناشر رفض اقتراح المخابرات فقررت المخابرات عند ذلك ملاحقة المؤلف وشريكه في النشر (توماس روس) بموجب قوانين التجسس ولكن القضاء الأميركي أحبط ملاحقتها هذه فقررت محاربة الكتاب بشكل آخر وهو شراء نقاد الكتب في كبريات الصحف والمجلات ليكتبوا (تعليقات) تقلل من أهمية الكتاب وتشكك بالمعلومات الواردة به. ورغم ذلك لم تنجح المخابرات في الحد من النجاح الذي حققه الكتاب بل أنها بتصرفها هذا جعلت المؤلف يركب رأسه ويجعل بعد ذلك من نشاطات المخابرات الأميركية شغله الشاغل فأتبع كتابه الأول (الحكومة السرية) بكتابين آخرين هما (مؤسسة التجسس) و (سياسة الكذب) ثم أتبعهما بكتاب رابع هو (دولة المخابرات الأميركية) يفضح فيه الممارسات غير القانونية التي تقوم بها المخابرات الأميركية والتي ساهم الرؤساء المتتابعون للولايات المتحدة في التستر عليها. وقد ركز وايز في كتابه الجديد على الوسائل غير القانونية التي تستخدمها المخابرات الاميركية والتي كشفت فيما بعد فضيحة (ووترغيت) بعضا منها مثل التنصت على المكالمات الهاتفية وتسجيلها والملاحقات الشخصية واقتحام المساكن والمكاتب الخاصة ومؤامرات الاغتيال والابتزاز السياسي ويرفق الكاتب عرضه لكل هذه الأمور بوثائق ثبوتية لا مجال للطعن فيها أو نكرانها.

وبعد أن أصبح المؤلف اختصاصياً في هذه الأمور أخذ يشرح في كتابه الجديد بالصيغة الأدبية المشوقة للقارىء كيف تعمل المخابرات الأميركية فهو يبدأ الكتاب بوصف رجل قصير القامة رمادي الشعر يصعد عمود التلفون خلف مسكن الصحفي المعروف (جوزيف كرافت) لتركيب جهاز تنصت على جهاز الهاتف الخاص به ذو الرقم (٦١٨٧٥٣٢) رغم أن هذا الصحفي قد أخبر وايز بنفسه أنه على علاقة ممتازة بادارة الرئيس نيكسون في حينه ومع هذا فان الأمر بالتجسس عليه قد صدر من (جون أرلخمان) أحد كبار مستشاري نيكسون الذي أطيح به بعد ذلك نتيجة ووترغيت. وقد أبرز وايز مهارته في توضيح طبيعة النزاعات حول مناطق النفوذ لكل من المخابرات الأميركية وبقية أجهزة الأمن الاخرى وحدود هذه المناطق التي يدافع كل جهاز عن نفوذه فيها دفاع المستميت ومنها النزاع الدائم بين المخابرات ومكتب التحقيقات الاتحادي (أي. بي. آي) والاتهامات المتبادلة بينهما حول الجهة التي سربت أنباء عن عدد من المشاكل التي ما زالت بلا حل حتى الآن ومنها اختفاء استاذ اللغة الروسية في جامعة كولورادو بشكل غامض

واعتقال شابة أميركية تدعى (لسلي بيكون) معروفة بانتمائها للجماعات المناهضة للحروب بتهمة القاء قنابل في واشنطن ونيويورك من قبل مكتب التحقيقات الاتحادي رغم أن الأدلة ضعيفة ضدها وهذه الأدلة في نظر القانون الأميركي لا تبرر الاعتقال في أغلب الأحوال.

المخابرات تنتج فيلم جنسي مزور عن سوكارنو:

يقول الكاتب وايز أن المخابرات الأميركية ومكتب التحقيقات الاتحادي لا يتمتعان بأي صلاحيات دستورية وقانونية تبرر تصرفاتهما ولكنهما يرعيان المحافظة على القوانين بخرقها ومن تجاوزات المخابرات الأميركية أنها قامت عام ١٩٥٧ بتمويل تصوير فيلم (سكس) جنسي اباحي جدا قام بتمثيله رجل يشبه تمام الشبه الرئيس الاندونيسي الراحل (سوكارنو) مع بعض عميلات المخابرات الأميركية من الدول الأسيوية حتى يظهر الفيلم وكأنه حقيقة حيث قامت بعد ذلك بتوزيع نسخ منه الى فروعها في مختلف دول العالم كما روجت لهذا الفيلم في بعض أقطار العالم الثالث وأرسلت نسخا منه الى الهند ومصر ويوغسلافيا بقصد الابتزاز السياسي وتشويه سمعة (سوكارنو) الذي أسقطته فيما بعد المخابرات الأميركية نفسها (راجع صفحة ٢٤٦ من الجزء الأول)... ورغم شكاوى الأميركيين الى نوابهم فقد استمرت المخابرات الأميركية بوضع ملفات كاملة لالآف الأميركيين الذين يشك في ميولهم السياسية بالاضافة الى مراقبة مراسلاتهم الخاصة واتصالاتهم الهاتفية كما أنها أجرت تجارب عديدة لترويج المخدرات وخاصة الـ (ال.اس.دي) الذي يؤدي الى الهلوسة أو أن يقوم من يشرب هذا المخدر بالقاء نفسه من الطوابق العليا وهو لا يشعر كل ذلك منفصلا عن التجارب التي كانت المخابرات الأميركية تجربها في مستعمرة غويانا والتي ذهب ضحيتها اكثر من ٩١٤ انسان كما سيعرف القارىء من فصول هذا الكتاب.

كما علم الكاتب وايز من مصادر وثيقة الاطلاع على أعمال المخابرات الأميركية ذات المستوى العالي أن رئيس المخابرات الأميركية في كل زمان يرتكب أخطاء غير قانونية وهي ليست أخطاء غير مقصودة أو أخطاء حديثة العهد أبداً بل هي أخطاء مدروسة بعناية ودقة والذي يشجع رئيس المخابرات على الاستمرار في أعماله غير القانونية هذه هم (رؤساء الولايات المتحدة) المتعاقبون

على الرئاسة بالذات اذ أن كل رئيس مخابرات يقيم مع الرئيس علاقات مبنية على أساس ما يملك من معلومات عنه وتكون هذه المعلومات أحياناً (مثيرة) وأحياناً اخرى تدعو للاحراج والخجل. وكان الرئيس الأميركي (فرانكلين روزفلت) الذي بقي في منصب الرئاسة من عام ١٩٣٣ حتى عام ١٩٤٥ هو أول من استخدم مكتب التحقيقات الاتحادي (اف. بي. اي) قبل انشاء وكالة المخابرات الأميركية عام ١٩٤٧ في جمع المعلومات عن المواطنين والسياسيين المعارضين لقانون الاعارة والتأجير الذي أعطت أميركا (في حينه) بموجبه كميات ضخمة من الأسلحة لحلفائها في الحرب العالمية الثانية وخاصة الاتحاد السوفياتي. أما الرئيس (ليندون جونسون) الذي نصب بعد اغتيال الرئيس كندي من قبل نفس المخابرات فقد استخدم المخابرات للتجسس على المؤتمر العام للحزب الديموقراطي لمعرفة ما يجري داخله من نقاشات ومداولات (سرية) رغم أن جونسون نفسه كان يخشى المخابرات لسببين. أولا علمه الأكيد بأنها قضت على سلفه عندما تطاول عليها وثانياً معرفته بأنها قد تجسست عليه وسجلت مكالماته الهاتفية في مكتبه عندما كان عضوا في مجلس الشيوخ (الكونغرس) قبل أن يصبح بقدرة قادر رئيساً للولايات المتحدة. وعندما كان (روبرت كندي) يشغل منصب المدعي العام للولايات المتحدة (سمح) للمخابرات بأن تتجسس على كافة اتصالات الزعيم الزنجي الراحل (مارتن لوثر كينغ) الهاتفية حتى أنها (زرعت) الميكرفونات اللاقطة في مكتبه للتنصت على أحاديثه مع زائريه استنادا الى اعتقاد روبرت كندي وادغار هوفر رئيس المخابرات الأميركية (في حينه) بأن علاقات (كينغ) بالشيوعيين أصبحت محرجة للرئيس جون كندي ولكن الحقيقة غير ذلك فقد كان هوفر رئيس المخابرات يكره الزنوج ولذلك أنفق ألوف الدولارات على مراقبة (كينغ) والتجسس عليه اضافة لما يكلفه ذلك من نفقات باهظة للتجهيزات المستخدمة في المراقبة والطاقة البشرية المعطلة لتحقيق هذا العرض وبعد اغتيال مارتن كينغ اطمأن هوفر بأن أحدا لم يعد يتزعم حركة المطالبة بالحقوق المدنية التي تزعمها وقادها كينغ أيام رئاسة (جون كندي).

المطالبة بالحد من نشاط المخابرات الأميركية:

ومن مطالعة كتاب (الحكومة السرية) نجد أن وايز يطلب باسم الشعب الأميركي وجوب تشديد مراقبة لجان الكونغرس على التصرفات المشينة والاجرامية

لأجهزة الأمن والتجسس عامة مع اصدار قوانين أكثر دقة وتشدداً في الحد من نشاطات المخابرات الاميركية بالذات وزيادة التشهير صحفياً واعلامياً بمرتكبي جرائم الخروج اللامحدود عن القوانين الأميركية ونحن نعلم أن وايز ليس أول من طالب بذلك وليست اقتراحاته هي الأولى بل سبقه اليها العديدون من المهتمين بهذا الموضوع مباشرة ولذلك بدأت هذه المطالب تصبح تدريجياً في الولايات المتحدة وخاصة لدى كبار السياسيين الذين يعتبرون أنفسهم الضحايا الأبرز (لدولة المخابرات الاميركية) وتمر الأيام وتشكل اللجان تلو اللجان وتصدر توصياتها بالحد من تدخل المخابرات الأميركية وتجاوزاتها وتصنف هذه التوصيات بالسجل الوارد للمخابرات في بند قيد الدرس وتستمر المخابرات الاميركية حتى يومنا هذا في عملها دون وادع وتعود كل مرة وبعد تعرضها لأي تحقيق من أي لجنة من لجان الكونغرس على مبدأ المثل العامي (عادت حليمة) انها المخابرات...

* * *

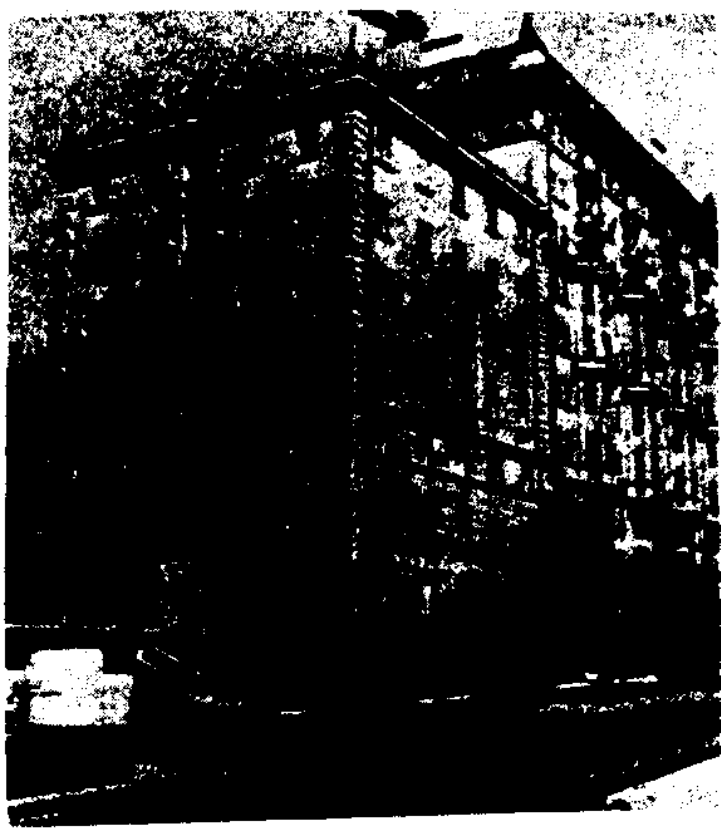


ــ ادغار هوفر ــ رئيس المخابرات الأميركية السابق وهو يجرب بنفسه سلاحاً جديداً.

المخابـــرات الأميركيـــة

اعلان طلب جواسيس للمخابرات الأميركية

- تسلل المخابرات السوفياتية الى السفارة الاميركية.
- اعلان طلب جواسيس للمخابرات الأميركية.
- الاصابة بالشلل نتيجة الاصابة بالاشعاعات الروسية.
- المخابرات الأميركية وجها لوجه مع المخابرات السوفياتية في سرداب.



السفارة الأميركية في موسكو دخلها (الخلد) من المدخنة ومن السرداب...

تتسابق المخابرات السوفياتية والمخابرات الأميركية في كشف أسرار كل منهما للأخرى بشتى الوسائل والطرق فالمخابرات السوفياتية وصلت الى حد تعرية واشنطن من أسرارها على الأرض الأميركية في الداخل وفي السفارات الأميركية في الخارج فلم يبق (سر) من أسرار المخابرات الأميركية الا ونقل الى المخابرات السوفياتية حتى أصبحت الأجهزة الأميركية المضادة في أزمة بلغت حد (الشلل).

في شهر حزيران (يونيو) ١٩٧٨ احتجت الولايات المتحدة لدى الاتحاد السوفياتي بالطرق الدبلوماسية لأنها اكتشفت أجهزة تجسس الكترونية سوفياتية في السفارة الأميركية في موسكو.

وقد أطلقت الولايات المتحدة احتجاجها في الوقت الذي غادر فيه أندريه غروميكو وزير الخارجية السوفياتي نيويورك عائداً الى بلاده قائلة على لسان كوماس رستون الناطق باسم الخارجية الأميركية بأن أجهزة الكترونية ومن النوع الخاص بالتجسس اكتشفت في السفارة الأميركية في موسكو وامتنع رستون عن الافضاء بتفاصيل عن أجهزة التجسس لكن خبيرا أميركياً كشف فيما بعد بأن أجهزة التجسس وضعها تقنيون سوفيات بدخولهم نفقا تحت السفارة وتسلقهم مدخنة المدفأة في السفارة وقال الخبير أن التقنيين السوفيات تسللوا مرارا الى السفارة في غفلة عن قوات الحراسة لصيانة أجهزة التجسس المزروعة في السفارة وبعد شعور موظفي السفارة الأميركية بما يشبه الصدمات الكهربائية الخفيفة فأحضروا أجهزة وخبراء من واشنطن وقاموا بجولة تفتيشية دقيقة للسفارة اكتشفوا فيها الأجهزة الالكترونية التجسسية في نفق سري يمتد تحت السفارة حتى يتصل بمكتب سوفياتي للتنصت وقد حاول أحد موظفي أمن السفارة السير بهذا النفق فاصطدم بشخص سوفياتي لاذ بالفرار فعاد الأميركي الى السفارة وتم سحب الأجهزة التي تبين أنها تتضمن جهاز للارسال والاستقبال من النوع الذي يستخدم لالتقاط الأصوات في المؤسسات المشابهة للسفارة وحتى أصوات الآلة الكاتبة تلتقط به وقد عمد الخبراء الأميركيون على دراسة المعدات والأجهزة السوفياتية

لمعرفة الطريقة التي تعمل بها.. فمنذ أعوام قدمت الخارجية السوفياتية الى السفارة الأميركية في موسكو هدية بمناسبة العيد القومي للولايات المتحدة وهذه الهدية عبارة عن قطعة فنية رائعة تمثل النسر الأميركي وكانت القطعة من الجمال والابداع الفني بحيث قرر السفير الأميركي (والترستوسيل) تعليقها على الجدار الرئيسي في مكتبه داخل السفارة معتبراً أنها هدية تعبر عن حسن نية.

ومضت ثلاث سنوات تبين بعدها أن جميع أحاديث السفير مع زواره أو مع موظفي السفارة كانت تنقل كاملة الى أجهزة التنصت في المخابرات السوفياتية فأرسلت المخابرات الأميركية اخصائيين الى السفارة لدراسة الامر عن كثب ومعرفة مركز زرع الميكرفونات الناقلة بعد حادث اكتشاف أجهزة النفق السري فتبين للاخصائيين القادمين من واشنطن أن (النسر الأميركي) الخشبي هدية حسن النية من السوفيات كان مسؤولا عن نقل هذه الأحاديث والأسرار الى المخابرات السوفياتية عن طريق ميكرفونات صغيرة جداً كانت تبث عن طريق أجهزة ارسال ميكروسوبيه. قامت المخابرات الأميركية بنقل النسر الخشبي المحشو بالميكرفونات الى الأمم المتحدة حيث عرضه السفير الأميركي آنذاك في جلسة ساخنة عقدها مجلس الأمن واطلع جميع اعضاء الأمم المتحدة على هذا الانجاز السوفياتي (بشكل فضيحة) وكانت مركز اهتمام العالم كله. ولكن المخابرات السوفياتية لم ترتدع بهذه الفضيحة وأنها عمدت وستعمد الى وسائل جديدة لاستراق السمع من السفارة لذلك قام الخبراء الأميركيون ببناء غرفة خاصة داخل السفارة مزودة بجدران صنعت من مواد عازلة للصوت صنعت في الولايات المتحدة وأصبح كل سر يتفوه به السفير أو معاونوه خاضعاً لاجتماع يعقد داخل هذه الغرفة وحدها.

وقبل بدء الاجتماع يتخلى السفير ومساعدوه عن الثياب التي يعتقد أنها (ملغومة) حسب تعبير المخابرات ويرتدون ثياباً خاصة مصنوعة ايضا في معامل المخابرات المركزية الأميركية هذا من جهة الحفاظ على أسرار السفارة أما بصورة عامة فقد خيل للأميركيين أن الأبينة المحيطة بالسفارة الأميركية في موسكو أصبحت كلها مراكز للتجسس بالأشعة على السفارة وتطورت الأمور لدرجة اعتقد معها السفير الأميركي بعد أن لاحظ وجود ظواهر مرضية على بعض أعضاء السفارة أن هذه الظواهر المرضية ناتجة عن (التطويق الشعاعي) للسفارة وان خطراً حقيقياً على صحة الموظفين وحياتهم مما استوجب على وزارة الخارجية الأميركية اثارة

الموضوع مع نظيرتها السوفياتية.

وقد حصر الأميركيون أخطار الأشعة بالطوابق الثلاثة العليا من السفارة حيث يعمل السفير وكبار أعضاء السفارة كالملحق العسكري والملحق التجاري وفرع المخابرات الأميركية في موسكو حيث يعتقد أن الأسرار منحصرة في هذه الطوابق بينما أبعدت الطوابق السبعة الدنيا عن الموضوع.

وكان من الممكن أن لا يثار أي جدل علني عن الموضوع لولا أن السفير والترستوسيل جمع كبار موظفيه وحذرهم من الاشعاع المحيط بهم وتبع هذا التحذير وصول خبراء بالاشعاعات من واشنطن بدأوا فوراً في تجميع نماذج من دماء الموظفين لفحصها بالطرق المستحدثة لقياس مدى تلوثها بالأشعة. ويقول الخبراء الأميركيون أن الأشعة التي يسلطها الروس على السفارة في موسكو يمكنها أن تحرق خلايا الجسم البشرية بنفس السهولة التي يطبخ فيها اللحم فوق النار وقد اثبتت تجارب قامت بها مؤسسات الصحة العامة والمخابرات في الولايات المتحدة أن التعرض لهذه الاشعة باستمرار يؤدي الى النيل من الطاقات الدماغية لدى اعضاء السفارة.

وكانت الخارجية الأميركية قد اشتكت باستمرار من أن موجات اشعاعية متناهية الحس توجه نحو السفارة من أبنية تقع مقابل السفارة مما اضطر خبراء المخابرات الأميركية الى وضع شاشات مضادة للاشعاع في المكاتب المقابلة للشارع الذي تقع به بناية المخابرات السوفياتية مطلقة الاشعاعات.

واذا رجعنا الى واشنطن وجدنا أن المخابرات الأميركية عادت اليوم على ما يبدو الى الاحتراق بعقدة التجسس السوفياتي حيث نشرت الصحف الموالية لها صورة (الخلد) وهو من القواضم ويعيش تحت الأرض في أنفاق يحفرها بخفة وسرعة مدللة أن أعداد من الخلد تتزايد بالتسلل الى المخابرات الأميركية ونشرت احدى هذه الصحف رسما لمخبر يخرج من أحد المجارير.

وفي الكونغرس الأميركي ازدادت الأصوات المطالبة بكشف التجسس السوفياتي على المخابرات والولايات المتحدة وحتى الرئيس كارتر نفسه وبرجنسكي مستشاره للامن القومي لم يخفيا قلقهما من أن تبدو أجهزة المخابرات الأميركية وكأنها عاجزة عن مواجهة الخطر باستثناء اكتشاف عملية السفارة الاميركية في موسكو لم تنجح الأجهزة الأميركية لمكافحة التجسس في اعتقال أي

جاسوس (بارز) منذ عام ١٩٥٧ مع أن الجواسيس السوفيات موجودون ويواجهون خصمين لهما المخابرات الأميركية ومكتب التحقيقات الفيدرالية هذين الجهازين اللذين لا يزالان يتخبطان في أزمتهما منذ أن توالت الاتهامات والتحقيقات واكتشاف النشاط غير الشرعي مما اضطر الكونغرس الى اتخاذ اجراءآت بحق هذين الجهازين كعقوبات ومنها تخفيض ميزانيتهما وتسريح المئات من عناصر الجهازين (سرح ٨٢٠ عنصراً من المخابرات الأميركية وحدها) خلال أشهر.

واذا سألنا خبيراً هذا السؤآل: ما هو عدد الأميركيين الذي استطاعت المخابرات السوفياتية تشغيلهم لحسابها داخل الولايات المتحدة وخارجها يجيبك هذا الخبير: انها عملية حسابية صعبة والأمر الأكيد الذي تكشفه المخابرات الأميركية هو اجمالها القول بأن أسراراً جديدة انتهت بين يديّ المخابرات السوفياتية ابتداءاً من أسرار القنبلة الذرية ١٩٥٧ وانتهاءاً بصور ومخططات صاروخ (بيرشينغ ٢) عام ١٩٨٣ بفضل (الخلد) ومقابل هذه النجاحات السوفياتية لم تحقق المخابرات الأميركية سوى القليل حوالي ٢٠ سوفياتيا طردوا وحوالي ٢٠ أميركيا أكثرهم من الجواسيس الصغار قبض عليهم اذاً فالمخابرات الأميركية لم تستطع خلال السنوات الأخيرة من الايقاع بأي (خلد) مهم في شراكها حتى قال الرئيس السابق جيرالد فورد (انها نتائج تعيسة) ولكي تمحو المخابرات الأميركية (التعاسة) وتسد الفراغ الذي أحدثه تسريح ٨٢٠ عنصراً (ما عدا العملاء) لجأت هذه المخابرات الى صرعة (الاعلانات المبوبة) ويوم ظهر الاعلان الاول في الصحف كان رد فعل الأميركي المتوسط: هذا غير معقول أنها تركيبة.. أي صرعة.. لأن الاعلان كان الأول من نوعه في تاريخ المخابرات الأميركية..؟

ببساطة متناهية يقول الاعلان (مطلوب عملاء سريين يحملون شهادات جامعية عندهم اهتمام عميق بالقضايا الدولية والرغبة والامكانات لخدمة بلادهم في الخارج وسهولة تعلم اللغات وعندهم خصوصاً تجربة الاقامة خارج الولايات المتحدة.. الراتب الأساسي بين (١٣٦٦٢ دولار و ١٦٦١٨ سنوياً) اضافة الى مكاسب مادية ثانية لم يذكرها الاعلان وتفسير هذه الظاهرة الاعلانية هو أن المخابرات الاميركية منعت من قبل الكونغرس من البحث عن رجالها في صفوف طلاب الجامعات والصحافيين والنقابيين وغير ذلك من المؤسسات الأميركية مثلما كانت تفعل سابقا.

وقد علق أحد الخبراء على ذلك بقوله: ان المخابرات الاميركية أرادت من

وراء هذا التدبير أن تعلن عن نفسها أنها بدلت في طرق تجنيد عملائها بطرق جديدة وقانونية وهي بذلك تبحث عن موظفيها خارج المؤسسات التي يمولها المستهلك.. وخبير اخر قال عن هذه العملية: ان جهاز المخابرات الاميركية يعاني فعلا من نقص في العناصر الجديدة لذلك تقرر أن (يجدد شباب) الجهاز لحمايته من الانتقادات مرة ثانية لأن المخابرات التي تبلغ ميزانيتها ثلاثة مليارات ونصف أو أكثر حسب الحاجة من الدولارات وتسرح /٤٠٠٠/ شخص من عملاء وموظفين بما فيهم موظفي العمليات الخاصة.. السرية تصبح بحاجة الى دم جديد من جيل الشباب يجري في عروقها ليجدد في أعمالها[١] وقد لقي تسريح الأربعة آلاف من المخابرات الأميركية تأييداً شعبياً لكنه أثار غضب واحتجاج المسرحين الأربعة آلاف فقال أحدهم محتجاً: لقد رمونا خارجاً حتى بدون ورقة حسن سلوك أو تعويض مادي وحتى معنوي عن جميع الخدمات التي قدمناها للبلاد. وقال آخر من المسرحين: انها اهانة واذلال.. وحصلت ردة فعل فورية للاعلان فقد كان المسرحين ينتظرون هذه البادرة أو هذا الاعلان فانهالوا كتابة في الصحف ونادوا لمحاضرات ودعايات نشروا أعمال المخابرات الأميركية على السطوح ومنها أن المخابرات الاميركية الغيزوفيّة تخلت للشيوعيين عن آلاف الفيتناميين الذين تعاونوا معها في فيتنام بعد سقوط (سايغون). ومع هذا سارت المخابرات في تجنيد العملاء الجدد نتيجة الاعلان وهم شباب متحمسين للعمل.. ولكن يبقى السؤال ما هو واقع هذه الأزمة..؟ هل المسألة مسألة.../ رجال ويجيب أحد خبراء مركز دراسات الأمن القومي بقوله: انها مسألة رجال فعلا في نوعيتهم ومستواهم فحتى الآن كان ٩٠/ من معلومات المخابرات يجمع عبر جهازيّ (سينيت) و (كومينت) وهما جهازين يجمعان المعلومات بالوسائل التقنية غير شبكة أقمار صناعية وطائرات تجسس والرسائل المذاعة بالراديو والمحادثات التلفونية وآلات التقاط الكترونية ولكن المخابرات الأميركية أدركت أخيراً أن الخطأ الكبير الذي اقترفته هو الاعتماد على التجسس التكنولوجي ومن أسباب هذا الخطأ ان الأقمار وطائرات التجسس قد يكون سهلا عليها كشف (الأسرار العسكرية) لكنها عاجزة عن فهم المعلومات السياسية والاقتصادية التي اجتهد (السوفيات) في فهمها حتى الآن.

(١) من أهم أعمالها عدة محاولات لقتل فيديل كاسترو مره بالفاصولية السامة ومره بالسيجار المتفجر ومره بالبازوكا.

وهكذا رمى مخطط المخابرات الاميركية الى تعزيزها بمشروع سمي باسم (هومنيت) أي (تجسس انساني) وذلك بمدها بنوعية جديدة وذات مستوى جيد من الرجال اللازمين.. يجيدون فوق كل شيء اللغات والاقامة خارج الولايات المتحدة مثلما هو مطلوب بالاعلان..

أمراض العمل بالسفارة الأميركية في موسكو:

على أثر ثبوت تعرض بناء السفارة الاميركية في موسكو للاشعاعات المختلفة وشعور موظفي السفارة بهذه الاشعاعات أقام المدعو: دوايت روني ـــ ٤٥ سنة من موظفي السفارة الاميركية في موسكو السابقين دعوى على الحكومة الاميركية يطالبها بعطل وضرر عن فترة عمله في السفارة بموسكو بقيمة مليون دولار وقد قدم هذا الموظف اثباتا في دعواه بأن زوجته أنجبت ولداً (مشوهاً) بسبب تعرضه هو للاشعاعات الموجهة الى السفارة من المخابرات السوفياتية وقد أصيب طفله بعد الولادة بمرض استسقاء الدماغ وهو مرض نتج عنه حالة (شلل دائم) ويستند هذا الوالد الى تقرير طبي يؤكدّ أن مثل هذه الاشعاعات تؤدي الى أمراض وراثية كما دعم دعواه أمام المحكمة العليا في واشنطن بأن: الحكومة الاميركية تعلم بامكانية اصابة موظفيها في السفارة بهذا المرض الوراثي ولكنها لا تنبههم الى ذلك.

وبالاضافة الى دوايت تبين أن هناك خمسة موظفين آخرين سبق أن خدموا بالسفارة الاميركية في واشنطن أنجبوا أطفالا مشوهين أيضاً.. انها ضريبة العمل في المخابرات.

* * *



النسر الأميركي الذي سرق أسرار دولته وسرّبها للمخابرات السوفياتية.

المخابـــرات الأميركيـــة

المخابرات الأميركية تقتل مارلين مونرو

• تهديد مارلين بفضح كندي كان السبب في اسكاتها.
• كان السناتور روبرت كندي ينوي هجرها ليطرح للترشيح لرئاسة الجمهورية.
• المخابرات الأميركية أسكتت مارلين لتضمن ولاء روبرت عند فوزه برئاسة الولايات المتحدة.



الممثلة السينمائية الأميركية مارلين مونرو من ضحايا المخابرات.

عندما ترى المخابرات ضرورة للتخلص من أي انسان في العالم تتخذ الاجراءآت اللازمة لتنفيذ حكم الاعدام ولا يهمها أن يكون المحكوم رئيساً أو وزيراً أم فناناً أو فنانة.

والفنانة الاميركية المثيرة مارلين مونرو التي توجت (رمزا للجنس) في الستينات كانت ترتبط بعلاقة غرامية مع السناتور روبرت كندي الذي قتله الشاب الفلسطيني سرحان بشارة سرحان(١) لتحيزه لاسرائيل كغيره من الرؤساء الاميركيين وعندما قرر روبرت كندي خوض المعركة الانتخابية كمرشح لرئاسة الولايات المتحدة رأي من الاحسن قطع علاقته معها لكي يتفرغ لمعركة الرئاسة فابتعد عنها عدة أيام شعرت مارلين كأنثى بأنه ينوي قطع العلاقة معها.

كانت مارلين مونرو تخص الصحفي الاميركي روبرت سلاتزر بأخبارها الفنية والخاصة حتى تمكن من تجميع هذه الأخبار والمعلومات في كتاب أصدره بمناسبة مرور ٢٠ عاما على مقتلها بعنوان (حياة مارلين مونرو وموتها المحير).

اتصلت مارلين بعد ما تأكدت بأن عشيقها روبرت كندي (كان يشغل منصب المحامي العام للولايات المتحدة في حينه) ينوي تركها بالصحفي روبرت سلاتزر وأعلمته بنيتها في عقد (مؤتمر صحفي) لكشف كل شيء عن السناتور كندي اذا لم يتصل بها (أي يعود اليها) ومع الأسف وهذه نصيحة لكل من يقيم علاقة مع أي انسانة أن لا يتسرع في اعلامها عن كل أموره وأعماله نتيجة الجو الذي ينشأ بينهما وأن يحسب حساب ترك هذه الانسانة لأي سبب وهنا تعمد الى تهديده أولا ثم فضحه ثانيا وكان السناتور كندي من النوع الأول الذي يحب التباهي بنفسه ومركزه كمدعي عام فأخذ يقص على مارلين أهم أعماله ومنها على

(١) سرحان بشارة سرحان حكم عليه بالاعدام وخفض الحكم الى المؤبد ويقضي حكمه الآن بالسجن وقد تقدم للحصول على عفو نظرا لحسن سلوكه بالسجن ولكن طلبه رفض ويحق له تجديد طلب العفو بعد سنة اخرى...

سبيل المثال أنه علم في حينه من أصدقائه في المخابرات الاميركية بأنهم سوف يقضون على (فيديل كاسترو) وأن مارلين قامت بتسجيل هذه المعلومات في مفكرتها على الشكل الآتي: أعلمني روبرت في هذا اليوم بعد العشاء بأن أصدقاءه في المخابرات المركزية الاميركية يعدون مؤامرة لقتل الزعيم الكوبي فيديل كاسترو.

وعندما وصل خبر تهديدها الى أصدقاء روبرت كندي في المخابرات الاميركية تحركوا بسرعة مذهلة لاسكاتها وذلك خدمة لسيد البيت الابيض القادم (حسب تخمينهم) فأعدت خطة لاختطاف مارلين واحتجازها في مبنى المخابرات الاميركية الكائن في لانغلي باعتباره (مكان أمين) لكي يشيعوا فيما بعد أن مارلين عانت من انهيار عصبي حتى لا يصدق أحد ما تقوله عندما تنقل الى احدى المصحات العقلية ولكن هذه الخطة وضعت على الرف عندما نوقش موضوع ظهور مدافعين عن مارلين خاصة وان المخابرات تعلم علاقتها مع الصحافة التي كانت تلاحق أخبارها يوما بيوم فتقرر الاستعجال بتصفيتها (أي اسكاتها للأبد) فأوعز الى الفرع المختص بتنفيذ الأحكام للتخلص منها وهكذا تم قتلها خلال ٢٤ ساعة فقط بعد تهديدها بفضح السناتور روبرت كندي وأشيع أنها انتحرت كما هي عادة المخابرات الاميركية وتدخلت المخابرات في التحقيق كالمثل العامي (يقتل القتيل ويمشي في جنازته) ولكن ثبت أن تدخلها كان لسبب آخر فقد اختفت المفكرة التي سجلت فيها مارلين كل المعلومات السياسية والأمنية عن عشيقها روبرت كندي من شقتها أثناء التحقيق وهكذا كانت هذه الاسباب كفيلة بالقضاء عليها في رأي المخابرات الأميركية:

١ ــ كانت مارلين مونرو واثقة من جمالها ومن أنوثتها عندما أصبحت رمزاً للجنس في الولايات المتحدة بكاملها ولا يرد لها طلب.
٢ ــ كانت معتدة بنفسها كثيراً.
٣ ــ كانت امرأة نارية لا تقبل أن ترفض.
٤ ــ تدخلها في حياة عشيقها السياسية وتسجيلها الملاحظات القاتلة على مفكرتها.

وقد جاءت أدلة مقتل مارلين على يد المخابرات دامغة ولكن بعد فوات الأوان فقد عقد الصحفي روبرت سلاتزر مؤتمراً صحفياً عام ١٩٨٢ أكد فيه أن

المخابرات الاميركية هي التي قتلت مارلين وسرقت مفكرتها لطمس الحقيقة وأن الدكتور ليونيل جراندبسون مساعد الطبيب الشرعي السابق حين مقتلها كان مترددا في توقيع شهادة الوفاة تحت ضغط التحقيق الموجه من المخابرات لعدم تشريح الجثة وعدم وجود تقرير أولي من المحققين في مكتب الطبيب الشرعي حول الانتحار وهكذا تبين بعد مرور أكثر من عشرين عاماً على وفاة مارلين مونرو التي أشاعوا بأنها انتحرت لأسباب عاطفية بأنها قتلت أو نحرت وليس انتحرت... وهكذا طويت صفحة ملكة الجنس المثيرة مارلين مونروا على يد المخابرات الاميركية.

• • •



مارلين مونرو وهي تهبط من الطائرة بالبزة العسكرية عندما ذهبت إلى كوريا للترفيه عن الجنود الأمريكيين . . ثم انتحرت في ١٥ آب (أغسطس) ١٩٦٢ . أو قتلتها المخابرات .

كل جديـد عـن المخابـرات السوفياتيـة

نمـاذج

عن أعمالهـا في مختلـف دول العالـم

ك ـ ج ـ ب K—G—B

ذكرنا في الجزء الأول من هذا الكتاب نشوء المخابرات السوفياتية وكيف ينتسب اليها الموظفين والعملاء وكيف يتم تدريب الجواسيس السوفيات الذين سيزرعون في بلدان العالم لتأمين ما تطلبه منهم هذه المخابرات في المستقبل وكما أن المخابرات العالمية مستمرة في العمل والتجسس على بعضها البعض فان المخابرات السوفياتية أيضاً مستمرة في عملها ليلا نهارا وقد حصنت نفسها ضد الدخلاء والعملاء لا سيما ضد المخابرات المركزية الأميركية وكنا قد ذكرنا أيضا أن المخابرات السوفياتية لا تستند في عملياتها على الأموال بل ان العقيدة الشيوعية تفرض على كل شيوعي ملتزم أن يقدم الى رئيسه المباشر ما يسمعه أو يشاهده أو يعلمه عن أي أمر يهم المخابرات السوفياتية معرفته ومع هذا فقد تأكد لنا أن المخابرات السوفياتية قد طورت أعمالها وأصبحت ترصد وتصرف الأموال الطائلة وبالملايين على أعمالها ومخططاتها المقابلة لأعمال وخطط المخابرات الأميركية بصورة خاصة والمخابرات الغربية بصورة عامة وقد بلغت ميزانية المخابرات السوفياتية أخيراً مبلغ عشرة بلايين دولار وبذلك سبقت المخابرات الأميركية في الانفاق والسخاء على أعمالها وعملائها ومشاريعها لأن من المعروف أن ميزانية المخابرات الأميركية المقابلة هي سبعة بلايين دولار أما عن موظفي المخابرات السوفياتية فحدث ولا حرج فقد بلغ عددهم في أوائل عام ١٩٨٠ (نصف مليون موظف) كما قدر خبراء المخابرات ان عدد العملاء والأشخاص المتورطين في العمل لصالح هذه المخابرات يفوق بخمسة أضعاف مثلهم في المخابرات الأميركية والغربية مجتمعة.

نماذج عن أعمال المخابرات السوفياتية:

• الرقيب ولتربيركنز من سلاح الجو الأميركي توجه وهو يحمل حقيبة رجل أعمال كبيرة الى الطائرة المتوجهة من مطار مدينة (بانما في ولاية فلوريدا بالولايات المتحدة الأميركية) الى مدينة المكسيك يقوم رجال المخابرات الأميركية باعتقال هذا الرقيب ومصادرة الحقيبة التي كان ينوى السفر بها الى المكسيك ليجدوا بها مخططات أميركية سرية جدا معدة للتنفيذ ضد هجوم جوي سوفياتي حيث اعترف فيما بعد أنه كان ينوى تسليمها الى عميل للمخابرات السوفياتية في المكسيك لقاء مبلغ مائتين وخمسين ألف دولار وبواسطة المدعو أولينغ شيفشينكو الذي كان

ينتظره في مطار المكسيك كهمزة وصل بينه وبين عميل المخابرات السوفياتية ولما حضرت الطائرة ولم يحضر على متنها الرقيب الأميركي بيركتز تأكد لأولينغ أنه ألقي القبض عليه فغادر المكسيك حالا وفي أول طائرة متجهة الى هافانا لأنه يعرف أن (يد) المخابرات الأميركية ستطاله في المكسيك.

• تسلل عميل للمخابرات السوفياتية في دمشق الى أحد الحمامات المشهورة وسجل حواراً رقيقاً بين دبلوماسي عربي وعشيقته وفي اليوم التالي اتصل هذا العميل بالدبلوماسي العربي وطلب منه التعامل مع المخابرات السوفياتية وتسليمها معلومات تتعلق بعمله الدبلوماسي وخطط بلده فتردد ولكن عندما جوبه بالتسجيل الفاضح عنه قبل العمل...

• خبر مضى عليه الوقت الكافي لاعلانه:

قطع الاتحاد السوفياتي كما هو معروف علاقته الدبلوماسية باسرائيل عقب حرب حزيران ١٩٦٧ وسمحت اسرائيل ببقاء الكنيسة الارثوذكسية الروسية في القدس برعاية البطريرك فلاديمير ريباكوف فعاد البطريرك من موسكو للاشراف على الكنيسة ومعه بعض رجال الدين الذين تبين فيما بعد أنهم من رجال المخابرات السوفياتية يحملون أدوات الارسال وألوف الليرات من العملة الاسرائيلية لتوزيعها على العملاء المحليين في اسرائيل بالاضافة الى أن البطريرك نفسه كان كبير عملاء موسكو في اسرائيل.

• في استانبول حيث تقع القنصلية السوفياتية في شارع تقسيم دخل شخص مسرعا بشكل مثير للانتباه فلحق به رجال الشرطة الأتراك الذين يحرسون القنصلية واعتقلوه قبل وصوله الى داخل البناء ولدى محاولتهم اخراجه بالقوة وقيامه بالصراخ بأعلى صوته مما جعل القنصل السوفياتي والحرس الخاص بالقنصلية يهرعون اليه وينتزعونه بالقوة من الشرطة التركية ويدخلونه القنصلية باعتبارها تحظى بالحصانة الدبلوماسية وقد تبين أنه عميل مزدوج ومن الجنسية المصرية وكان ملاحقا من قبل اثنين من عملاء القنصلية الأميركية ففضل تسليم نفسه للسوفيات على أن يقع بين يدي المخابرات الأميركية...

وهذه النماذج ليست بذات أهمية بالنسبة لألوف الحوادث التي تقع في مختلف أنحاء الأرض على مدى اتساع نشاطات المخابرات السوفياتية والدول الغربية ككل تنظر الى هذه المخابرات بوصفها عدوا حقيقيا مهما وقويا وقد وصفت المخابرات السوفياتية من قبل موظف كبير سابق في المخابرات الأميركية

بقوله انهم أفضل بكثير مما كنا نظن أعتقد أنهم أصبحوا بمنتهى الجودة في أعمالهم.

ومن المعروف لخبراء المخابرات أن حوالي ٢٤٪ من الدبلوماسيين السوفيات الملحقين في سفارات أوربا الغربية هم من العملاء وقد قدر هؤلاء الخبراء أنه يوجد (٨٧) عميلا يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية في المانيا الغربية و٥٣ في ايطاليا و٩٨ في فنلندا وأن ٣٥٪ من الـ ١٣٦ دبلوماسيا الملحقين في السفارة السوفياتية في واشنطن هم عملاء للمخابرات السوفياتية وأن المخابرات الأمريكية تستنفذ من وقت موظفيها الكثير لمراقبة هؤلاء وحصر نشاطهم.

ويوجد أيضا عملاء من السوفيات يقومون بعمل مراسلين لوكالة (تاس) وممثلين تجاريين وموظفين في مؤسسة ومكاتب الخطوط الجوية السوفياتية (ايرفلوت) والوكالات الدولية خير غطاء لتحرك المخابرات السوفياتية مثل الأمم المتحدة حيث تضم ممثلية الاتحاد السوفياتي ١٣٥ موظفا ويقدر الخبراء أن ١٠٠ موظفا من أصلهم عملاء للمخابرات السوفياتية ومنهم على سبيل المثال الكساندر بنيامينوف الذي عين في قسم فرز المعلومات التابع لوكالة الطاقة الذرية الدولية وهو منصب يمكنه من الاتصال بجميع الذين يملكون اسرار نووية ونعود للتذكير بأنه غالبا ما يكون السفير السوفياتي نفسه من عملاء هذه المخابرات مثل السفير في اليونان ايغان أود التسوف الذي اتهم عام ١٩٧٦ بعد تقديم أوراق اعتماده في أثينا بثلاثة أشهر أنه قام بتسليم الحزب الشيوعي اليوناني مبلغ ٢٥ مليون دولار مقدمة من الحكومة والحزب في الاتحاد السوفياتي.

المراكز الجديدة للمخابرات السوفياتية في موسكو:

جاء في الجزء الأول بعض المعلومات عن مكاتب المخابرات السوفياتية والآن أصبحت تضم مجمعاً من المباني قرب الكرملين في (٢) ساحة دزيرجنسكي وتطل مبانيها على مسرح بولشوي ومدخل الساحة الحمراء والمخابرات السوفياتية تضم في خارج مبانيها شبكة ضخمة من المخبرين يعدون بالالآف يسألون أو يحققون في كل صغيرة وكبيرة لذلك لا يتعجب السوفياتيون عندما ترفض لأحدهم تأشيرة خروج من الاتحاد السوفياتي أو رفض دخول بعضهم جامعات معينة.

ويوجد للمخابرات السوفياتية معسكرات وسجون ومستشفيات عقلية تتسع

لجميع المنشقين والمتهمين بأعمال عدائية للاتحاد السوفياتي وأهم هذه المعتقلات هو سجن (لوبيانكا) حيث جرى اعدام ضحايا حملات التطهير الستالينية.

وفي عام ١٩٧٣ عين الحزب الشيوعي السوفياتي عضو القيادة (يوري أندروبوف ٦٣ سنة) رئيسا للمخابرات السوفياتية والذي أصبح حين كتابة هذا الفصل من الكتاب رئيسا للاتحاد السوفياتي بعد وفاة بريجنيف عام ١٩٨٢ الذي كان يشغل منصب السفير في المجر ابان انتفاضه عام ١٩٥٦ وهو ذكي ومتحدث بارع يجيد اللغة الانكليزية كأهلها ومعجب بالفن الحديث ويقال أن جميع الميزات الادارية والمالية التي حصلت عليها هذه المخابرات كانت في عهد أندروبوف الذي أطلق الحزب الشيوعي يده لاصلاح المخابرات السوفياتية بكل ما يراه مناسبا وهكذا كان.

وكنا قد نوهنا أن المخابرات السوفياتية لا تفصل أو تنقل أحداً من متنسبيها لكيلا تخسر ما اكتسبه من خبرة خلال سنوات عمله في هذه المخابرات وتستمر المخابرات السوفياتية بادخال العناصر الجديدة اليها من العناصر المنتقاة من الحزب والطبقة الادارية بتزكية من شعب الحزب ويتم هذا الاختيار ايضا بواسطة عدد من قدامى العاملين فيها ويتم اختيارهم ايضا على أساس الولاء المطلق للحزب والذكاء والهيبة بالاضافة الى مكانة العائلة في البنية الشيوعية وبعد كل ذلك يرسل المختارون لدخول المخابرات السوفياتية في دورات الى (أكاديمية التجسس) (يرجى مراجعة الشرح في الجزء الأول من الكتاب) وبعد النجاح وحصولهم على شهادة تعادل الشهادة الجامعية يطلقون في شتى أنحاء العالم والعملاء الذين يكون نصيبهم العمل في أوربا ينفق عليهم بسخاء ويقومون بارتداء البذلات الغربية الدارجة ويظهرون كما خطط لهم سواء كدبلوماسيين أو تجار أو صحفيين فيقومون بدعوة أمثالهم في أوربا لتناول الغذاء أو العشاء أو حضور حفلات اجتماعية بوسائل مستورة ويقومون بجمع المعلومات العالمية والتقنية والعسكرية والسياسية ومنهم من يفضل حسب مقدرته الابتزاز عن طريق المخدرات والجنس لايقاع العملاء مع بعض الضغط يستعمل عند الحاجة مثلما جرى مع الجنرال أحمد مغربي في ايران عندما هدد من قبل عملاء المخابرات السوفياتية في طهران بكشف عضويته السابقة في حزب توده الشيوعي المنحل فقبل العمل معهم وجند لهذه الغاية عددا من الايرانيين شكلوا حلقة تجسس يرأسها بعد الجنرال أحمد مغربي المدعو علي ناغي رباني الذي اتخذ من منزله مقرا للحلقة وقد تسلم رباني من

السفارة السوفياتية في طهران جهاز اتصال عالي الجودة والتعقيد لاستقبال الرسائل التي يبثها قمر اصطناعي تجسسي سوفياتي بالاضافة الى القنصل السوفياتي في طهران بوريس كابانوف وعندما اكتشفت هذه الحلقة من قبل الحرس الثوري الايراني إبّان الثورة الاسلامية طرد القنصل السوفياتي من طهران وحكم على الجنرال المغربي بالأعدام ونفذ الحكم رميا بالرصاص.

متفرقات عن المخابرات السوفياتية:

١ ــ تعقد اجتماعات دورية على مستوى رؤساء فروع المخابرات السوفياتية وتدرس في هذه الاجتماعات أمور المخابرات وتوضع خطط عن عدد المتعاونين الذين سيجندون في العام القادم لسد حاجتها وبذلك تستمر هذه المخابرات في ابتكار كل ما هو جديد ومفيد للحزب والدولة طالما أنهما لا يبخلان عليها بشيء...

٢ ــ تكون المخابرات السوفياتية بدأت تشك في أحد الدبلوماسيين أو الصحفيين الاجانب ولا تجد المبرر لطرده من البلاد فتضع له شركا يقع فيه عندها تعمد الى طرده وانهاء حالة الشك به وقد حاولت هذه المخابرات الايقاع بالمستر كريستوفر أوغدن مراسل وكالة يونايتدبريس أنترناشيونال فدعي بالهاتف الى لقاء ضروري مع شخص روسي عند منعطف أحد الشوارع في موسكو وعندما قابله عرض عليه خططا سرية لعبور قوات سوفياتية الى الصين ولكن أوغدن شعر بالفخ الذي نصب له فرفض هذا العرض وانسحب حالا مما فوت الفرصة (للتشهير به وطرده) ولكنه طلب نقله من موسكو على مبدأ (ليس كل مرة تسلم الجرة) وها هو الآن يشترك في تحرير مجلة (تايم) واسعة الانتشار...

٣ ــ تستهدف المخابرات السوفياتية العثور على عملاء لها من المجتمعات الغربية (على الأرض) عوضاً عن الاهتمام بجمع المعلومات الالكترونية بواسطة الأقمار الصناعية التي تتفوق فيها الولايات المتحدة الأميركية وتمتاز هذه المخابرات باحتوائها دائماً على عملاء (جدد) وقد صرّح أحد خبراء مخابرات المانية الغربية بقوله: نحن متأكدون أنه لا يوجد

مكان في العالم الا ويوجد فيه عميل للمخابرات السوفياتية.

٤ ـ المخابرات السوفياتية تتولى اسكات النقاد الداخليين سواء كان انتقادهم للدولة أو للمخابرات نفسها.

٥ ـ أسست المخابرات السوفياتية شبكة تجسس في باريس وأمدتها بالأموال الطائلة حتى تمكنت بمساعدة بعض العملاء الفرنسيين من الحصول على جميع أسرار طائرة الميراج /٢٠٠٠/ المقاتلة المتقدمة والتي تستطيع حمل رؤوس نووية كما حصلت هذه الشبكة على أهم أسرار حلف الأطلسي الى أن اعتقلتها المخابرات الفرنسية عام ١٩٧٧ ولكن بعد أن أصبحت جميع الأسرار الفرنسية في (موسكو)...

٦ ـ رفعت السرية عن وجود فرع قيادة للمخابرات السوفياتية في قبرص وهذا الفرع مزود بأحدث أجهزة الالتقاط والتنصت العالمية بحيث يبقي العين الساهرة لهذه المخابرات وقد صعقت المخابرات الاسرائيلية التي تلتقط (بالمقابل) بعض مخابرات الفرع الموجهة الى موسكو وتحللها كأي مخابرات ولكن الصدمة كانت لهم عندما اكتشفوا نتيجة التحليل أن المخابرات السوفياتية قد حصلت على التفاصيل الكاملة لغارة انتقامية تعتزم اسرائيل القيام بها على سوريا وقد أعلمت دمشق قبل الغارة بأربع ساعات مما كان له الاثر البالغ في افشال الغارة...

٧ ـ كان الملحق العسكري السوفياتي الكولونيل ناسيلي دنسينكو في سويسرا يرأس فرع المخابرات في سفارة بلاده وكان فرع المخابرات يتعامل مع الجنرال السويسري جان لويس جانمير بتقديم الوثائق والمعلومات منذ ١٣ سنة الى أن جاء الكولونيل ناسيلي فأحب أن يكسب ود وصداقة الجنرال السويسري جانمير أكثر من أسلافه فأهداه أزراراً من الذهب الخالص عيار ٢١ تحمل علامة المطرقة والمنجل وهما كما هو معروف رمز الاتحاد السوفياتي في علمه الوطني ذي اللون الأحمر وقام الجنرال السويسري بخياطة الازرار على بذلته العسكرية دون أن ينتبه لعلامة المطرقة والمنجل على هذه الأزرار ولكن رجال المخابرات في سويسرا كانوا من الذكاء بحيث اكتشفوا أول أدلة خيانة هذا الجنرال وكانت النتيجة الحكم عليه بالسجن مدى

الحياة ثم انزال هذه العقوبة الى (١٨) سنة...

٨ ــ لم تستطع المخابرات السوفياتية وحتى القمر التجسسي التابع لها اكتشاف عبور القوات الاسرائيلية لقناة السويس في حرب تشرين ١٩٧٣ وحتى بعد العبور في الدفرسوار واطلاع المخابرات السوفياتية على الأمر قلل من أهميته...

٩ ــ ان المخابرات السوفياتية تقوم بجمع معلومات هائلة وتغرق مكاتبها بها حتى تعجز هذه المكاتب أو المختصين بها عن فرز هذه المعلومات بفعالية لمعرفة وتمييز المهم من التافه منها.

١٠ ــ والمخابرات السوفياتية هي وحدها التي تسيطر على شبكة الأدلاء السياحيين في الاتحاد السوفياتي (هذا الخبر سوف يقلل من السياحة للاتحاد السوفياتي) وهؤلاء الأدلاء يقودون السياح الأجانب المختارين الى مطاعم مجهزة بميكرفونات مخبأة تحت الطاولات تقوم بنقل كل همسة أو كلمة من السياح الى مراكز التنصت في المخابرات.

١١ ــ اكتشاف تجسس المواطن السوفياتي فلاديمير كالهنين لصالح المخابرات المركزية الأميركية مع سبعة آخرين من السوفيات جندهم فلاديمير للعمل معه فقد اتصلت(١) والدة فلاديمير وهي الشيوعية المخلصة بالمخابرات السوفياتية وأعلمتهم أنها تأكدت أن ولدها يقوم بالتجسس مع آخرين يحضرون له أوراقاً وصوراً وهي لا ترضى بالخيانة لوطنها السوفياتي حتى من قبل ولدها وفلذة كبدها فجرى تكريمها من أعلى المستويات لأنها أدت واجبها الوطني.

قامت المخابرات السوفياتية بعد ذلك بمراقبة فلاديمير وأصدقائه مراقبة دقيقة حتى ألقت القبض عليهم متلبسين بالتجسس وقد اعترفوا جميعا وعلى رأسهم فلاديمير بارتكابهم أعمال التجسس بنقل معلومات عن الوحدات التي يستخدمها الجيش السوفياتي وعن أسماء القادة وعناوينهم ونقاط الضعف عندهم ومعلومات أخرى سرية عن القدرة الدفاعية للاتحاد السوفياتي وعن الأهداف التي يفكر البنتاغون (وزارة

(١) مثلما نوهنا في الجزء الأول من الكتاب بأن أي مخابرات في العالم ومهما أوتيت من القوة لا تكشف الجواسيس المحترفين ولكن الاعلام عنهم يؤدي الى كشفهم.:.

الدفاع الأميركية) في مهاجمتها بالقنابل النووية بالاضافة الى نقلهم معلومات عامة لا تقدر بثمن وان الجميع كانوا يجمعون المعلومات ويقدموها الى رئيسهم فلاديمير وهو الذي كان ينسقها ويقدمها الى عملاء أميركيين (جرى ابعادهم من موسكو بعد ذلك حسب الاعراف المتبعة لأنهم يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية) وكان اعتراف فلاديمير أهم الاعترافات لأنه الرأس المدبر لهذه الشبكة وقد اعترف بأن الأميركيين قد اتصلوا به عام ١٩٧٦ في موسكو وعرضوا عليه الثراء السريع فيما لو تعاون معهم فتردد ولكنهم قدموا له هدية تذكارية (حسب ادعائهم أنها مقدمة من رئيس الولايات المتحدة) وهي عبارة عن قلم من الذهب الخالص فوافق بعد ذلك وبدأ العمل معهم وقبض مئات الدولارات حتى طلب منه تجنيد غيره ففعل واستلم منهم أدوات تجسس حديثة منها جهاز تصوير مصغر يستعمل لتصوير المستندات كان يستعمله أثناء عمله في شركة لصناعة الأسلحة في لينينغراد حتى انتهى بين يدي المخابرات السوفياتية حيث أدين بأخطر جريمة يمكن أن يرتكبها انسان في حق بلاده وهي الخيانة وقد حوكم بعد انتهاء التحقيق معه وصدر حكم باعدامه وبالسجن مددا متفاوتة لبقية زملائه اعضاء الشبكة.

١٢ـ اسست المخابرات السوفياتية عدة شركات نقل في أوربا الغربية في الأعوام الأخيرة يكون ظاهرها الربح المادي والنقل التجاري وباطنها نشاطات للاطلاع على تكنولوجيا العصر ومنها:

أ ـ شركة ترانسورلد مارين ايجنسي ـ للنقل الدولي تأسست عام ١٩٦٩ في انتويرب ويملك السوفيات ٩٠٪ من أسهمها.

ب ـ أسست هذه الشركة فروعاً لها في بلجيكا وهولندا وألمانيا الغربية والنمسا وكانت تملك هذه الفروع (كليا).

ج ـ في عام ١٩٦٣ أسست في المانيا الغربية (شركة ترانسنوتيك) التي يشرف عليها بلوشينكوف برأسمال سوفياتي طبعا.

د ـ في نفس عام ١٩٦٣ أسست في مدينة (هامبورغ) شركة: (ترانسغلوب كونتيزسيرفس) باشراك شركة (ترانسنوتيك) وقد سيطرت هذه الشركة على الكونتينرز المختومة في جميع أنحاء أوربا الشمالية.

وقد أقلق نشاط هذه الشركات الحكومات الغربية بعض الوقت لأسباب تجارية وفوق ذلك فان البحرية السوفياتية التجارية تنافس بأسعارها التعرفات الغربية وذلك ضمن خطة موضوعة ومنسقة لاقتطاع حصة أكبر من الأرباح والجميع يعرفون أن هذه الشركات جميعها تؤمن واجهة ممتازة لنشاطات المخابرات السوفياتية وغطاءاً جيدا لاستخدام تكنولوجيا التجسس العالمية التعقيد.

١٣ـ التعزيزات السوفياتية العسكرية في بحر البطليق:

بعد دراسة تقارير مرفوعة من المخابرات السوفياتية تطلب فيها من القيادة السوفياتية أن يكون لها في بحر البطليق وجود ظاهر يهدد جناح حلف الناتو أبحرت منت غواصات سوفياتية من طراز (فئة غولف) من الاتحاد السوفياتي وتمركزت في مرفأ (ليبايا ملاتفايا) في مهمة خفر الجزء الجنوبي من بحر البطليق وتتحرك في شكل مثلث يقودها من الجنوب الشرقي الى جزيرة بورنهولم وهذه الغواصات مجهزة بصواريخ (س. س. ن.) ذات الرؤوس النووية والتي يكفي مداها للوصول الى باريس..

وعندما ظهرت هذه الغواصات لأول مرة في بحر البطليق اعتقدت المخابرات العسكرية السكندينافية أنها أرسلت الى لينينغراد لاجراء كشوفات عليها إلا إنه اتضح فيما بعد أنها ستبقى في بحر البطليق فأخذ السويديون يراقبون تجولها في المياه الاقليمية المقابلة لشواطئهم وعنما طفح الكيل قدمت السويد احتجاجا رسميا فقد استدعي السفير السوفياتي في ستوكهلم (تاكوفليف) الى وزراة الخارجية وهناك أعلمه ليف ليفلاند وكيل وزارة الخارجية بأن السويد قد أجزعها ظهور الغواصات السوفياتية في البطليق فأجابه السفير بأن وجود الغواصات السوفياتية هو لاجراء تدريبات ليس الا.. ومع ذلك فمنذ عام ١٩٧٦ وحتى عام ١٩٨٢ حدثت عدة حوادث دخول غواصات سوفياتية الى المياه الأقليمية السويدية ولدى احتجاز الغواصة بالقوة من قبل البحرية السويدية في أحد هذه الاختراقات اعتذر قائد الغواصة للضابط السويدي بقوله: ان خللا فنيا طرأ على الأجهزة جعلنا

نرتكب هذه الخطيئة.

١٤ــ ثبت لخبراء المخابرات الغربية أن ٤٠٪ من الدبلوماسيين السوفيات هم من المخابرات السوفياتية المتفرغون أما باقي الدبلوماسيين فهم دائماً جاهزون لتقديم العون في المناسبات الخاصة.

ولـلتأكد من هذه النسبة فقد طردت بريطانيا وحدها في عام ١٩٧١ (١٠٥ أعضاء من الهيئة الدبلوماسية السوفياتية بسبب التجسس).

١٥ــ بلغ عدد الدبلوماسيين السوفيات المطرودين من عام ١٩٦٠ الى السبعينات حوالي ثلاثمائة دبلوماسي طردوا من ٤٠ بلدا في قارات الأرض الستة وهؤلاء هم الذين ألقي القبض عليهم بالجرم المشهود فقط.

١٦ــ يصعب تقدير عدد العاملين في مخابرات الاتحاد السوفياتي ففي عهد ستالين قيل أنه يوجد بين كل خمسة موظفين في المكاتب والمؤسسات والقطاع العام شخص تحت الادارة المباشرة للمخابرات السوفياتية وهذا يعني أن العدد وصل الى عشرة ملايين شخص كانوا يتعاملون مع المخابرات ابان عهد ستالين ولكن هذا العدد انخفض بعد وفاة ستالين وعملية التطهير التي جرت من بعده ويمكن تقدير منتسبي المخابرات السوفياتية الآن بالآلاف وهناك مسائل تتعلق بالشرطة لا يدخل في نطاقها موضوع الأمن بالاتحاد السوفياتي وهذه المسائل يعالجها وزير الداخلية فمثلا لدى تنقل أي شخص(١) في البلاد السوفياتية عليه أن يسجل حركاته لدى الشرطة وهذا لا يدخل في عمل المخابرات ولكنها تقدم العون والمساعدة.

١٧ــ ثبت بشكل قاطع أن المخابرات الغربية وعملائها لا يستطيعون العمل في الاتحاد السوفياتي لأن جميع الأجانب في الاتحاد السوفياتي مراقبون وان المواطن السوفياتي لا يستطيع القيام بأي اتصال مع الأجانب حتى ولو وجد من السوفيات من اتصل وعمل مع الغرب لفترة

(١) في الجزء الأول من الكتاب شرحنا أن بعض الأميركيين يشتكون الى أعضاء مجلس النواب والكونغرس بسبب مراقبتهم وفتح ملفات لهم لدى المخابرات الأميركية أما في روسيا فهناك ملف لكل شخص تقريباً...؟

وجيزة مثل (الكولونيل أوليغ بنكوفسكي) فان نهايته الاعدام رميا بالرصاص.

ومعنى ذلك ان المخابرات السوفياتية تمتاز بالقوة البشرية واجادة توزيعها عدا عن اتسام الجميع (بالعقلية الاستخبارية).

١٨ــ ان نجاح المخابرات السوفياتية في العمل ضمن البلاد الثانية يعتبر سراً من الاسرار فالعمل والنجاح الحقيقي للمخابرات السوفياتية لا يتم اكتشافه أو على الأقل يكون للمسؤولين في هذه المخابرات ورؤسائهم هدفاً بعدم اذاعة أي شيء عن نجاح المخابرات في أي عملية لكي لا ينعكس ذلك على المصالح السوفياتية العليا فهناك قضية الجاسوس (سورج) المفصلة في الجزء الأول من الكتاب فقد كانت شبكته التي أقامها في طوكيو من أدق وأعظم وأنجح الشبكات الجاسوسية السوفياتية في العالم في حينه حيث استطاع أن يقول (للكرملين) أنه لا داعي للمخاوف من هجوم اليابان على سيبريا ومع ذلك عندما اكتشفت السلطات اليابانية شبكته (صدفة) وألقي القبض عليه وحوكم وأعدم في السجن المركزي في طوكيو ومع ذلك كانت المصلحة العيا للمخابرات السوفياتية في حينه وعلى رأسها ستالين بعدم الاعتراف بأن هناك جاسوس اسمه (سورج) بل الأدهى من ذلك أنهم نشروا في الصحف أن العملية كلها مدبرة من المخابرات اليابانية ولكن بعد زوال الأسباب التي دعت المخابرات السوفياتية الى عدم الاعتراف بجاسوسها الأول (سورج) عادت واعترفت به ورفعته الى مصافي الأبطال ومنحته وسام والعلم الأحمر واطلق اسمه على أحد شوارع موسكو وعلى حاملة بترول كما صدر طابع بريد يحمل صورته كل ذلك يدعو للتعجب ولكنها المخابرات...؟

١٩ــ ايضا الكشف عن فيلبي وقبله ماكلين وبرجس هؤلاء العملاء للمخابرات السوفياتة أصابوا الأمن البريطاني في الصميم لأن أحدهم وهو فيلبي كاد أن يصبح رئيسا للمخابرات البريطانية وها هو الآن ونحن في عام ١٩٨٣ يقيم في ضيافة المخابرات السوفياتية في موسكو بعد تهريبه من بيروت بطرق أغرب من الخيال.

٢٠ــ ان المدراء الذين ظهروا على مسرح الأحداث وعرفوا بأنهم مدراء

للمخابرات السوفياتية هم اثنين فقط بيريا في عام ١٩٥٣ ويوري أندربوف عام ١٩٨٢ وهو الرئيس الحالي للحزب الشيوعي السوفياتي وخلال هذه الفترة كانت المخابرات تتبع للمكتب السياسي للحزب الشيوعي ومع ذلك فانها قامت بعمليات لم يوافق عليها المكتب السياسي وليس من حقّ أحد من أعضاء (البرلمان) انتقاد نشاطها مهما كان السبب فالأمور والأخطاء الملحة تصفّى في المكتب السياسي للحزب على مبدأ (عدم نشر الغسيل المتسخ على الحبال).

وهكذا قدمنا هذه المقتطفات من مئات الأحداث عن المخابرات السوفياتية لنعود الى قصص العملاء السوفيات الذين زرعوا في الغرب ومنهم:

جاسوس سوفياتي في أميركا:

المواطن السوفياتي (يوري أوزيبوفتش كاراكوف) المولود في مدينة سيبا ستوبول عام ١٩١٧) قدر له أن تتحول حياته الى الجاسوسية وينتقل الى عالمها الغريب الشيق بين ليلة وضحاها فعندما انتقل يوري الى العام الثاني في دراسة الموسيقى في أكاديمية موسكو رشح من قبل شعبة الحزب الشيوعي التي يتبع لها للعمل في المخابرات السوفياتية استناداً للميول الاستخبارية التي ظهرت عليه أثناء انتظامه في الدوام الحزبي وتنفيذه المهمات التي أوكلت اليه بدقة متناهية كل ذلك جعل المسؤولين في شعبته يقترحون نقله للمخابرات وتمت الأمور ببساطة لكونه حزبياً ملتزماً وفي قرارة نفسه يتمنى هذا العمل الذي يرتفع بصاحبه في الاتحاد السوفياتي الى الأعالي لكثرة الميزات التي يحصل عليها منتسبي المخابرات.

أرسل يوري مع كتاب توصية من الحزب الشيوعي الى معهد ماركس أنجلز لتدريب الجواسيس السوفيات الذين سيزرعون في أوربا (نشرنا برنامج التدريس في هذه المدرسة في الجزء الأول من الكتاب صفحة ١٤٦) وفي المعهد أجريت عليه

دراسة ميدانية من قبل خبراء أكاديمية التجسس فظهر أن يوري (صالح) للعمل في الولايات المتحدة فتقرر اتباعه دورة تجسس خاصة وسجل تحت رقم (س ــ ١١٢/٤٣٠٩٠١ ــ ج وأعطي اسم (وليام آرثرمورتيمر)(١) لأن هذا الاسم المتوفر له كل لوازم الدخول الى الولايات المتحدة بواسطة الفرع الثالث بالمخابرات السوفياتية وأمضى يوري ثلاثة عشر شهراً يتدرب على مختلف الأعمال الجاسوسية التي سيتطلبها عمله الجديد وقد حظي أثناء فترة التدريب باعجاب مرؤسية (لطاقاته الضخمة وطواعيته) وبعد تخرجه سلم من قبل الضابط المسؤول في الفرع الثالث جواز سفر أميركي وعليه صورته باسم (وليام آرثرمورتيمر) من مواليد مدينة واشنطن وقد ذيلت معلومات الجواز بجملة: منح في السفارة الأميركية في بروكسل.. كما ختم بالأختام التالية:

١ ــ ختم السفارة الأميركية في بروكسل لا يوجد عليه أي شائبة.
٢ ــ ختم خروج (مغادرا مطار بروكسل) طبق الأصل.
٣ ــ ختم سلطات الأمن في مطار استانبول الدولي في تركيا بجملة (قادما استانبول) طبق الأصل عن ختم وتوقيع سلطات المطار التركية على أي جواز سفر.

وقد رتبت المخابرات السوفياتية قدومه الى استانبول ومن ثم انطلق من استانبول بالجواز الأميركي أي أنه أصبح الآن وليام الأميركي وأنه سيعود الى بلاده أميركا بعد اقامته في استانبول عدة أيام للتفرج على الآثار التركية وشرب مادة الأفيون بالشاي ولم يخلي الأمر تجوله في أماكن اللهوا الشهيرة في منطقة تقسيم حيث كان ينضم الى حلقات الرقص الجماعية ثم يختار بعض الفنانات لمراقصتهن فتنجح رقصاته نجاحا باهرا حتى أن صاحب كبارية (أولمبيا) عرض عليه العمل لديه ضمن فريق المحل الذي كان يحوي أضخم عرض شخصي وستربتيز في استانبول ولكنه اعتذر بعودته للولايات المتحدة قريبا.

(١) اسم (وليام آرثرمورتيمر) لا أحد في الدنيا يعلم سره أو سرّ صاحبه سوى الفرع الثالث في المخابرات السوفياتية لأن هذا الفرع هو الفرع المختص بكل أعمال الجوازات المزورة وبقيت متطلبات المهنة من التهريب والتزوير...؟

دخول الجاسوس أميركا:

حين أصبح وليام في استانبول أميركيا صرفا باعتباره أصبح جاسوس رئيسي مستقل وتصرف كأميركي تأكد أنه قد بدأ عمله الفعلي وهو الذي يحمل الأموال الطائلة فبعد انتهاء فترة اسبوع على اقامته في فندق ويسلوم باستانبول توجه الى مكتب شركة الطيران الأميركية بأن أميركان وحجز على الطائرة المتوجهة الى نيويورك وما إن استقربه المقام في مقعده بالطائرة حتى طلب من المضيفة الأميركية كأس ويسكي سكوتش واستسلم بعد احتسائه الويسكي للنوم في الطائرة ولم يصحو الا على صوت المضيفة نفسها وهي تدعو الركاب لربط الأحزمة استعداداً للهبوط في مطار نيويورك الدولي وما هي الا دقائق حتى وصل الى أمام موظف الأمن في المطار الذي استلم منه جواز السفر وختمه له خلال ثواني اشعاراً بعودته الى الولايات المتحدة ولدى خروجه من المطار تنفس الصعداء لأن أهم مرحلة من مراحل عمله الجديد قد نجحت وها هو الآن كأي أميركي يعود الى (وطنه) واستقل تكسيا طلب منه ايصاله الى أحد المطاعم الفخمة في نيويورك ولم ينسى أن يزيد له في الاجرة (مثل الأميركيين)..

بعد تناوله الطعام توجه مباشرة الى شركة طيران داخلية وحجز مكانا في الطائرة المتوجهة الى (بوسطن وما ان وصلها حتى توجه الى فندق ذوي أربعة نجوم وحجز غرفة ولم ينسى أن يعطي عامل الفندق الذي أوصل له الشنطة مبلغ دولارين (بخشيش) أيضاً وأغلق على نفسه الباب واستسلم للنوم طيلة عشر ساعات كاملة صحى بعدها وهو نشيطاً وكان الوقت مساءاً فسأل عن مربع ليلي قريب توجه اليه وتناول مشروباً خفيفاً وأمضى سهرته ثم عاد الى الفندق وقد بقي عدة أيام على هذه الحال وأشاع في الفندق أنه جاء الى بوسطن ليبحث عن عمل له كعازف بيانو(١) ولكي يدعم خبرته أخذ يتردد الى المراقص والملاهي ويراقب ويسجل ويتعلم الأساليب المختلفة التي يؤدي بها المطربون الأميركيون أغانيهم فحفظ عن ظهر قلب معظم هذه الأغاني وبعد أن تأكد أنه سوف يلاقي نجاحا فيما لو عاد الى

(١) كان يوري أو (وليام) الآن عازفا ماهرا على البيانو لأنه اصلا كان يدرس الموسيقى في موسكو وكان يحي الحفلات العديدة أثناء تدريبه في مدرسة الجاسوسية السوفياتية...

نيويورك فكتب الى المخابرات في موسكو يقول أنه لا يريد أن يضيع مزيداً من الوقت الثمين وأخبرهم أنه تأقلم بما فيه الكفاية وطلب السماح له بالانتقال الى نيويورك وهي المدينة المحددة في مهمته مكانا لعمله ولكنه تلقى أمرا بالبقاء في بوسطن حتى اشعار آخر وعليه أن يجد التغطية الكاملة لبقائه فيها.

رغم أن وليام يحمل مبلغاً كبيراً من المال فقد قرر أن أفضل تغطية لبقائه هي أن يبحث عن عمل باعتباره عازفاً ماهراً على البيانو فهو لم يقتنع بأنه أصبح بمستوى أي مطرب وعازف بيانو في أميركا فحسب بل أنه محبوب من النساء الأميركيات اللواتي يراقصهن في المرابع الليلية وهن كثيرات.

وجد وليام الوظيفة التي يبحث عنها فقد عرض نادي ليلي من الدرجة الثانية أن يعمل لديهم عازفا على البيانو على أن يتقاضى مبلغ خمسون دولاراً اسبوعياً يضاف اليها نسبة من مبيع المشروبات والمأكولات لأن عليه كما ينص العقد أن يعمل عازف بيانو مساعد وأن يراقص النساء الوحيدات ويقنعهن أن ينفقن في هذا النادي.

أرسل الى رؤسائه يعلمهم بنجاحه في العمل لدرجة أن صاحب النادي كان راضيا مما دعاه الى زيادة راتبه عشر دولارات اسبوعيا وأضاف أن الزبائن كانوا يطربون لعزفه وغنائه واستمر في عمله الناجح الى أن تلقي أمرا من موسكو بالانتقال الى نيويورك فودع زملائه الفنانين وقام صاحب النادي بمنحه مبلغ مائة دولار كمكافأة له ليستعين بها كنفقات سفر مما كان له أطيب الأثر لدى وليام وزوده صاحب النادي برسالة توصية الى صديق له في منطقة (غرينش فيلاج) في نيويورك حيث ساعده هذا الصديق بايجاد شقة ملائمة لسكنه وبعد اسبوعين من قدومه الى نيويورك وجد عملًا في نادي ليلي كعازف على البيانو ولكنه لم يمكث طويلا في تلك الوظيفة لأنه اكتشف أن عناصر مشبوهة تتردد الى ذلك النادي مما يجعل الشرطة تتردد كثيرا الى هذا النادي ولم يكن وليام يريد أن تتعرف الشرطة عليه بأي حال خلال مداهماتها لهذا النادي المشبوه فترك العمل...

الانطلاق:

أثناء تجوله على الملاهي الليلية في نيويورك وجد عملا كمطرب مع أوركسترا في نادي ليلي من الدرجة الأولى في منطقة الترفيه والملاهي في نيويورك

وكان عمله الجديد يفسح له المجال للقيام بالنشاط التجسسي وبعد مضي خمسة اسابيع على استلامه عمله الجديد واستقراره نفسيا ومهنيا بدأ البحث عن مساعدين لشبكة التجسس المكلف بتأسيسها.

خلال فترة اقامته في نيويورك تأقلم جيدا بالحياة الأميركية ١٠٠٪ واستطاع أن يتعرف على المدينة الصاخبة ويتصل بالأشخاص الذين زودته موسكو بأسمائهم وعناوينهم بواسطة التقارير التي كانت تصله كرسائل عادية ولكنها تحوي رموزاً بالشيفرة وقرر بعد وثوقه من نفسه أن تزداد معرفته بهؤلاء الأصدقاء قبل أن يدعو أحدا منهم للعمل معه وأول عميل جاء في طريقه خلال احدى جولاته الاستطلاعية في بروكلين كان ضابطاً أميركياً شاباً يدعى باتريك جونز قبل دعوته الى البار حيث قدم له الشراب وبعد بضعة كؤوس عرف وليام أن جليسه يقضي اجازة قصيرة في نيويورك وأنه متزوج وله طفل ويعمل في مركز تجارب الأسلحة الذرية ورغم أن وليام شعر أن الرجل صالح جدا ليصبح أهم مخبر في شبكته فقد قرر ألا يفاتحه بالأمر الا بعد أن تزداد معرفته به وبكلام أصح وحسب طبيعة عمل المخابرات السوفياتية وهي الحصول على مستمسك يدين الضابط ويمنعه من التراجع أو الرفض فيسهل عمل الجاسوس في الوقت المناسب. اقترح وليام على صديقه الجديد أن ينتقلا الى مرقص يعرفه ليمضيا السهرة هناك فوافق باتريك وهو المتعطش لمثل هذه السهرات بعد قضائه أشهراً عديدة في مركز الأبحاث الذرية وتوجها معا الى مرقص في أحد ضواحي المدينة وما إن جلسا حتى تقدمت منهما فتاتين سمراوين فرحبا بهما وازدادت السهرة صخبا وجمالا حيث تابع باتريك الشرب ولما وجده وليام جاهزاً للعمل أي نصف سكران اقترح عليه أن ينتقلوا مع الفتاتان الى شقته لاكمال السهرة فرحب باتريك بالفكرة حالاً وهنا ظهر أنه بعيد كل البعد أن يكون زوجا مخلصا.

في شقة وليام اختار باتريك احدى الفتاتين وانفصل عن وليام وصديقته الثانية وما إن دخل باتريك غرفة النوم الخاصة حتى كانت جميع الأجهزة الألكترونية تعمل من تصوير فيديو الى تصوير صامت الى تسجيل صوت مهما كان خفيفا وما إن انتهى باتريك من فتاته السمراء الا وكانت الكاميرات قد صورته عشرات الصور الفاضحة وهكذا حصل وليام على دليل خيانة باتريك الزوج المخلص لزوجته وهذا الدليل يستعمل لايقاعه في التحقيق المسلكي العسكري بالاضافة الى ما يصدر عن زوجته فيما لو استلمت نسخا من هذا الدليل.

يبدو أن باتريك لم يشك بشيء وقد أعجب بمضيفه الكريم واللطيف وهو لا يدري ما وراء هذا الكرم واللطف واستمر في صداقته معه حتى تمكن منه وعرف أنه أصبح طوع بنانه فجربه بأول طلب منه وهو أن قلة المعلومات الألكترونية تعيقه في عمله وأخبره أنه يعرف أن الجيش يملك كتباً قيمة ومفيدة عن هذا الموضوع وطلب منه أن يأتي له بأي كتاب برسم الاعارة فاعتذر باتريك عن ذلك ولكنه لطيبة قلبه قال له أنه سيساعده ويزوده بدفاتره الخاصة عن الموضوع التي كتب فيها ملاحظاته عن دروس الجيش وبعد اسبوعين حافظ باتريك على وعده فأحضر معه الدفاتر التي وعده بها عندما حضر باجازة الى نيويورك ففرح وليام كثيرا بهذه البداية وقام بتصوير كل حرف فيها أثناء قضاء السهرة ليلة الأحد في شقته المفخخة ثم استعادها باتريك بعد اسبوعين آخرين.

في زيارته القادمة قدم باتريك وهو مستعجلا الوصول الى شقة صديقة وليام لقضاء الساعات اللذيذة فأمضى ليلة الأحد مع صديقته السمراء التي ثابر على صداقته معها منذ أول عهد صداقته مع وليام وعندما صفي ذهنه يوم الأحد بعد الظهر بعد ذهاب صديقته جاءته الصدمة فقد فاجأه وليام بحاجته الى معلومات ووثائق عن الاسلحة النووية التي تستعملها فرقته في الجيش وأوضح له أنه سيدفع له ثمناً محترماً عند ذلك صعق باتريك لهذه المفاجأة ورفض طلب وليام ولكن وليام الواثق من نفسه قال له: اسمع يا عزيزي باتريك انني بحاجة ماسة الى ما اطلبه منك بدافع الأمل بصداقتنا ولا تجعلني اضطر لاستعمال التهديد معك وقدم له صورَهُ الماجنة الفاضحة مع سمرائه ثم صور دفاتره السرية التي تحمل اسمه الصريح ومكانه ورتبته في الجيش وقال له انني كصديق لا يمكنني ارسال نسخة من صورك السكسية مع صديقتك السمراء الى زوجتك وهنا يكمن التهديد المبطن أي أنه اذا لم تعطيني ما أطلبه منك فسوف أنفذ تهديدي فانصاع له باتريك كليا(١) ولكن استنادا الى وعد بأن لا يلحق الأذى لوعده وليام وما أكثر مثل هذه الوعود.

عاد باتريك بعد أن انغمس بالتجسس الى شقة وليام في عطلة الاسبوع الثاني يوم السبت وهو يحمل معه ملفا سريا مؤلف من أربع صفحات تتعلق بالاسلحة التي

(١) في هذا الموقف كان يجب على باتريك المتورط في هذا المأزق أن يتحمل نتيجة تورطه ويتوجه الى رئيسه المباشر أو الى المخابرات الأميركية ليقضي على هذا الجاسوس ومهما كانت النتيجة فانها ستكون أحسن من نتيجته كجاسوس...

تستعملها فرقته فقام وليام بتصويرها ومن ثم أعادها له ونقده مبلغ ألف دولار قبضه باتريك فرحا ووقع ايصالاً باستلامها وهذه منتهى الادانة له ثم تابع قضاء "الليالي الحمراء في شقة وليام بعد أن أصبح بامكانه تغطية مصروف وهاء صاحبته السمراء وغيرها من الحسناوات اللواتي يغدقهن وليام بحكم عمله في الملاهي الليلية على الضابط الشاب.

ايقاع العديد من الأميركيين في مصيدة وليام:

خلال الأشهر التالية تمكن وليام من تشغيل عدد من الأميركيين كمساعدين له في شبكته الجاسوسية وذلك باتباع نفس الطريقة التي اتبعها مع باتريك فمنهم من كان يعمل في معامل محروسة تضع المشاريع والخطط السرية للجيش الأميركي وسلاح الطيران والبحرية ومنهم من كان له نشاط سري في تجمع المعلومات الاقتصادية التي تطلبها المخابرات السوفياتية كطلبها للمعلومات العسكرية.

صنفت المخابرات السوفياتية عميلها الناجح عازف الجاز والمطرب والراقص وليام بالجاسوس من الدرجة الأولى وأصبح بمستوى الكولونيل ايفانوفتش آبل الذي يعمل بنجاح أيضاً وفي نيويورك بالذات على جمع المعلومات المتعلقة بالأسلحة النووية ورغم أن الجاسوسين كانا في مدينة واحدة وبشكل مستقل ولم يتصلا ببعضهما مطلقاً والواقع أن أياً منهما لم يستطع معرفة الآخر أو مجال عمله لأن كان منهما جاسوساً مستقلا عليه أن يبقى مجهولاً من الآخر كما تقضي قوانين الجاسوسية السوفياتية والعالمية.

أخذ وليام في توسيع نشاطه يوما بعد يوم فوجد أنه من السهولة تشغيل عدداً كبيراً من الاميركيين من كلا الجنسين وكان يقوم بدراسة ماضي كل شخص يريد التعامل معه فيعرف بالتالي اذا كان صالحاً للعمل معه أم لا وبمجرد أن يجد الأحوال ملائمة تصبح القضية مجرد الاتفاق على نوعية الطلب وتحديد السعر ولا بد من التأكد أنه ليس الرجال فقط (في وطن البحبوحة أميركا) طامعون بالمال بل النساء ايضا وبالتالي فمن السهل التعامل مع النساء في أميركا أكثر مما هو في أي بلد آخر.

كان وليام اكثر الجواسيس كرماً وبقي وفياً لتعاليم مدرسة المخابرات القائلة انه اذا ما دفع للمخبرين والعملاء المساعدين مبالغ محترمة من المال فسوف يجدون ذلك حافزاً لزيادة نشاطهم وغالباً ما كان يدفع ١٠٠٠ دولار أو ٢٥٠٠

دولار ثمن خريطة أو وثيقة سرية أو معلومات ذات أهمية يعود تقديرها له.

ورغم أن مصروفه كان يزيد عن المخصصات العادية فان رئاسة المخابرات كانت راضية بأن تضع تحت تصرّفه عشرات الالآف من الدولارات من ميزانية المخابرات بعد أن صنف أنه جاسوس من الدرجة الأولى نظرا لتقديمه نتائج عملية رائعة.

عندما كثرت أعماله وبالتالي كثر اتصاله بموسكو أدرك أنه لم يعد مأموناً أن يصدر الأفلام السرية أو ارسال الرسائل المكتوبة بالشيفرة أو استلام البريد في شقته الكائنة في (غرينتش فيلاج) فقرر البحث عن مقر آخر يستوفي شروط التغطية لعمله فاستهدى الى رجل يملك محلا لبيع آلات التصوير في (برونكس) وكان عمله غير ميسوراً ولا مربحاً فعرض عليه وليام استئجار محله بمبلغ /٢٥٠/ دولار شهريا مع تحمله كافة نفقات الكهرباء والماء والبريد وضريبة الدخل فوافق فرحا واستطاع وليام تشغيل المحل بسهولة بعد أن وجد أفضل مركز لعمله لأنه من الطبيعي جدا في محل لأدوات التصوير أن تستعمل جميع آلات التصوير وأدوات التصوير الأخرى الخاصة ولم تمض مدة وجيزة حتى أصبح المحل الصغير أهم مصنع للأفلام السرية وتصوير المستندات والوثائق والرسائل وحتى يستطيع استعماله كصندوق بريد تصل اليه رسائل (بريئة) من أوربا بأعداد كبيرة دون اثارة الشبهات قام وليام بالاعلان في الجرائد والمجلات الأميركية وحتى المجلات الألمانية عن توسيع عمله الى استيراد وتصدير المواد الفوتوغرافية وارسال صور السواح الى بلادهم بعد سفرهم وأنفق مبالغ طائلة على الدعاية ولكن خطته نجحت نجاحاً باهراً فبدأت تصله الرسائل من جميع أنحاء الكرة الأرضية ولم يتوسع العمل فحسب بل مهدت له هذه الخطوة استلام أعداد هائلة من الرسائل والبطاقات البريدية وأعطته الجواب المنطقي المقنع في حال حصول أي تحقيق حوله وحول عمله.؟

في تلك الاثناء كان الحظ ما يزال حليفة فالجميع في النادي يحبوه حيث أنشأ صداقات مع المدير والموظفين والعديد من الزبائن الذين يرتادون النادي باستمرار ولكن بازدياد نشاط شبكته الجاسوسية التي يديرها صعب عليه الابقاء على اتصال دوري بضابط المعلومات النووية وبقية اعضاء شبكته من المخبرين والعملاء الذين جندهم للعمل معه وكان اجتماعه معهم يتم في الساعة الثامنة مسلماً موعد بدء عمل دور السينما في الشارع ٤٢ بين تايمز سكوير والجادة الثامنة وكان

يعتبر هذا المكان مثاليا للالتقاء بأفراد شبكته ولكن بمرور الزمن بدأ يخشى أن تؤدي مقابلته لجماعته من رجال ونساء مختلفين في نفس المكان الى اثارة الشبهات أو الظن به من قبل رجل مخابرات ذكي حذر فأخذ يقابل البعض من عملائه في المسرح والبعض الآخر في الميترو أو في المطاعم أو في ردهات الفنادق او في الحدائق العامة والمتنزهات أو في أمكنه ملائمة أخرى ولكن رغم أنه كان يأخذ الاحتياطات اللازمة فقد كان في خوف دائم كأي جاسوس ومن هذه الإحتياطات:

١ ـ خوفه من أن يصادف وجود رجل مخابرات مدرب يستمع لمقطع من حديث مع عميل له يدينه.
٢ ـ خوفه من أن يعثر أي رجل مخابرات على مستند أو وثيقة من المستندات والوثائق التي كانت تعطى له في الجرائد والمجلات والكتب.
٣ ـ تخوفه من حصول أي خطأ من عملائه أثناء تناولهم المسكرات بأن يفضوا مثلاً بما يطلبه منهم بدون وعي فأخذ يبحث عن مكان يلائم وكان على وشك أن يفاوض لشراء شركة تجارية أفلس أصحابها تصلح مركزاً للاجتماع عندما سمع أن صاحب النادي الذي يعمل به يبحث عن مدير للنادي وأدرك بسرعة مؤهلات النادي بأن يصبح مركز اجتماع بمساعديه فتوجه حالا لمقابلة (رئيسة صاحب النادي) وعرض عليه أن يصبح مديراً للنادي ولكن صاحب النادي بدا قليل الاكتراث بعرض وليام أول الأمر وقال له أنه فعلا معجب بنجاحه وأنه مقتنع بأن يستطيع ادارة النادي بنجاح أيضاً ولكنه لا يستطيع جعله مديراً للنادي لأنه يبحث عن رجل يستطيع تقديم مبلغ من المال كشريك في العمل وكان وليام حاضر الذهن والبديهية فابتكر حالا قصة مقنعة وهي أنه ورث بعض المال منذ مدة وهو على استعداد للمساهمة كشريك حسب الطلب وسأل صاحب النادي عن المبلغ الذي سيطلبه فقال له خمسة عشر ألف دولار وهنا فرح وليام بطلب هذا المبلغ البسيط (من مال المخابرات السوفياتية) ووعده بالدفع غداً.

رضيت المخابرات عن الخطوات التي خطاها وليام بحيث أصبح مديرا للنادي وأصبح يقابل مساعديه بدون أدنى الشبهات وبذلك توفر له تنظيم رائع

متابعة عمله كالآتي:

١ ــ في شقته الفخمة في (غرينتش فيلاج) كان يقابل بضع أصدقاء فقط من بينهم أول مخبر هو الضابط باتريك الذي استمر بتزويده بالمعلومات السرية الهامة وقد ربح هذا الضابط خلال هذه العملية مبالغ طائلة من المال.

ــ كانت هناك (ايزريكا) وهي من أصل هنغاري مخطوبة الى موظف في الحكومة الأميركية والتي كانت معجبة بوليام (كمشيق) وتتقي لقاء الأموال التي كان يمنحها اياها لقاء المعلومات الهامة منها.

٣ ــ كان من عملائه سكرتير أحد أعضاء مجلس الشيوخ الذي كان يتقاضى مبالغ ضخمة لقاء تزويد وليام بالمعلومات الهامة من ملفات مجلس الشيوخ.

ــ ومن عملائه ايضا سيرجنت (رقيب) من نفس جهاز المخابرات الأميركية كان يزوده بمعلومات تتعلق باجراءآت المخابرات ضد الشيوعيين والجواسيس الروس.

وكانت شقته تخدم هدفا آخر فعلاوة عن كونها مكاناً أميناً للاجتماع ببعض الجواسيس المختارين كما ذكرنا أعلاه فقد كانت مجهزة بأجهزة تصوير وسينما وفيديو وأضواء بالأشعة تحت الحمراء لاستعمالها كما ذكرنا كلما كان بحاجة الى اثباتات دافعة أو القيام بعملية (شانتاج).

أما محل التصوير فنادراً ما يجتمع بعملائه فيه لأنه كان يستعمله للأغراض التقنية فقط لأنه من الأهمية القصوى بالنسبة اليه أن يبقى المحل الفوتوغرافي الذي ازدادت وارداته وصادراته مركزا أمينا لاستلام البريد.

ظل وليام يدير النادي ثلاث سنوات بحكمة وخبرة ومنع من دخوله كل من يسيء اليه أو الى سمعته وعمل جهده ليجعله ناديا راقيا نظيفا تستطيع الشرطة أن تزوره متى شاءت دون أن تجد فيه أي شيء مخل بالقانون ورغم أنه أصبح مديرا للنادي فقد كان من وقت لآخر يجالس النساء الوحيدات ويتمم السهرة معهن في شقته ولكن بدون أن يصور نفسه بكاميراته السرية وبذلك اعتبر وليام مثال المد المضيف الذي يسعى دائما لاسعاد الجميع.

الخطيبة الجاسوسة باميلا:

سار وليام على خطة اسعاد جميع الزبائن خصوصاً النساء الوحيدات أو المهجورات من أصدقائهن وقد لاحظ ذات ليلة امرأة في غاية الجمال والجاذبية ذات شعر أسود قاتم مثل الليل وعينين زرقاوين تجلس وحيدة في زاوية من زوايا النادي فتوجه اليها بكل احترام وعرفها على نفسه فسرت به كثيرا ورقص معها طوال الليل بعد أن عرف أن اسمها (باميلا) وأنها في الثلاثين من العمر تعمل موظفة في وزاة الخارجية الأميركية.

كانت هذه المعلومات تكفي وليام لكي يعتبرها صالحة للعمل معه ولذلك أظهر لها الاعجاب الشديد بها (بعد أن قرر أن ينشيء علاقة غرامية معها) فبادلته الاعجاب حتى توطدت أواصر الصداقة بينهما واذابه يكتشف أن اختياره لها كان في محله لأنها تعمل سكرتيرة في مكتب مدير عام وزراة الخارجية وبعد ذلك علم من حديثه معها أن الأسرار التي تمر بين يديها يوميا لا تقدر بثمن فكتب ذلك الى رؤسائه فأجابوه بأن يستعمل جميع الأساليب لاقناعها بالعمل معه ولكنه خشي أن يفاجئها بطلبه فتصده أو تخبر عنه لأن المال لا يهمها مطلقا وهكذا أصبح في حيرة من أمره ووجد أن التهديد هو الوسيلة الوحيدة لارغامها على العمل ولكنه لا يملك مستندات تدينها وفي نهاية الأمر وضع خطة تقضي في أن يجعلها تحمل منه ويعدها بالزواج ثم يطلب منها الاجهاض هذه المرة لكي يتمكن من الحصول على الطلاق من زوجته المغتربة فاذا وافقت على الاجهاض وهو مقتنع بأنها ستوافق عند ذلك يستطيع تهديدها بالفضيحة لأنها أجرت عملية غير مشروعة (يعاقب عليها القانون الأميركي) فطلب من رؤسائه في موسكو تزويده بواسطة الفرع الثالث بوثائق زواج أرسلت له فيما بعد وهي لا تفرق عن الوثائق الأصلية بل انها تعتبر وثائق زواج أصلية لأن الدولة هي التي أصدرتها.

سارت خطته على ما يرام وقام وليام بدور الخطيب العاشق خير قيام وتكررت اللقاءآت الغرامية في شقته الى أن أسرت اليه باميلا بأنها حامل منه وهنا اتخذ وليام موقفا لينا معها بحيث تمنى أنه لو لم يكن مرتبطا بالزواج لسمح لها بالاحتفاظ بالولد وأظهر لها رخصة زواجه (التي وصلته من المخابرات) وكانت دليلا مساعدا على دعم خطته حيث طلب منها الاجهاض هذه المرة لكي يتمكن من الحصول على الطلاق فوافقت والدموع تملأ عينيها وبحث وليام عن طبيب

يجري عمليات الاجهاض بصورة سرية فوجده وحدد معه موعدا لاجراء العملية وهكذا حصل على أول دليل يدينها ويمكن تهديدها به.

لم يطلب منها العمل معه رأسا بعد اجهاضها بل تركها على مزاجها والى أن تستعيد صحتها لأنها حصلت على اجازة من وزارة الخارجية بحجة الارهاق وعندما عادت الى عملها كانت نشيطة كعادتها ونظرا لأنها تقطن مع زميلات لها كن يزعجنها عندما تجلب البريد السري معها لتطبعه في غرفتها فقد قررت أن شقة خطيبها تصلح لهذا الغرض فاستأذنته بذلك وقالت له أن لديها وثائق ومعاملات سرية لم تستطع انجازها نهاراً فجلبتها معها لطبعها قبل ارسالها الى الوزير فرح وليام بهذه الفرصة التي جاءته صدفة ورحب ها ولكنه صمم على تصوير هذه الوثائق قبل أن تعيدها باميلا فطلب منها أن تعد له عشاءا خفيفا قبل ذهابه للعمل في النادي وكان وقت اعدادها للطعام (كافيا) لكي يفتح حقيبتها بسرعة ويقوم بتصوير جميع الوثائق التي جلبتها معها بينما كانت مشغولة في المطبخ وبعد ذلك سارت الأمور على ما يرام هي تحضر الوثائق وهو يصورها الى أن قرر مكاشفتها بالأمر ليتمكن من طلب ما يحلوله من الوثائق ففعل ولكنها في البداية غضبت وهددت بفضحه أمام المخابرات ولكنه تمكن من تحطيم مقاومتها بأن أبرز لها وثائق تحليل الدم والبول التي جرى الاجهاض على أساسها وهي تحمل اسمها الصريح من المخبر الجرثومي ثم أبرز لها صورا عن الوثائق التي جلبتها بمحضى ارادتها الى شقته وأخيراً بعض الصور الجنسية معه شخصياً ولكن بدون أن يظهر (وجهه) وهنا أسقط في يدها وانضمت الى الشبكة ومع ذلك ولكي يضمن استمرار العلاقة الغرامية معها وبرضائها استمر في تمثيل دور العاشق والخطيب وكان يبلغها أخبار الطلاق من زوجته وآخر خبر كان هو موافقة زوجته على الطلاق وأنه سوف يصبح في القريب العاجل حراً ليتمكن من الزواج منها ثم أخبرها فيما بعد أن زوجته قد بدلت رأيها وأنها تضع العراقيل في وجهه ومع ذلك لم تعد باميلا تهتم للأمر بعد أن سقطت فيما هو أهم من ذلك وهو التجسس.

حققت شبكة وليام للمخابرات السوفياتية نجاحاً باهراً ولكن عندما أعلن عن اعتقال الجاسوس الروسي (رودلف ايفانوفتش) من قبل المخابرات الأميركية راجت اشاعات تناقلتها الصحف التي يقرأها وليام بأن المخابرات الاميركية تراقب جواسيس روس آخرين وأنها في صدد اعتقالهم في وقت قريب ففعلت الهواجس فعلها مع وليام وجهز نفسه لحالة طارئة فقد كان يملك وثائقاً ثانية تخوله تغيير

هويته بل والسفر بأمان الى بيت عمه (خروشوف).

ولكنه رغم ذلك انتظر تعليمات رؤسائه بعد أن وضعهم في صورة الموقف بأن أرسل لهم تفصيلات كل شيء مع الاحتمالات ولكنه بعد أيام لم يعد باستطاعته الانتظار على أعصابه ورغم أنه كان مدركاً لخطورة استعمال جهاز الارسال المتنقل فقد كان عليه أن يسرع فقرر المجازفة باجراء اتصال لاسلكي مع موسكو بالجهاز الذي خبأه في سيارته الشفرولية التي يملكها وهذا الجهاز كان بحجم آلة كاتبة صغيرة وأقنع باميلا بمرافقته في السيارة حتى يبدو كأنه عاشق يصطحب عشيقته في نزهة الى الريف اذا ما اضطر للوقوف أمام حواجز الشرطة على الطريق خصوصا وأنه لم يعد يرى في باميلا أي تهديد لعمله لأنها قد تورطت معه وغرقت في أعماله الجاسوسية حتى أذنيها وليس من صالحها أن تفشي عنه أي سر لأنها ستقع في قبضة المخابرات الأميركية قبله.

وصل وليام الى المكان المناسب خارج المدينة وتمكن من ارسال رسالته اللاسلكية المستعجلة والتقاط الجواب عليها في الوقت المحدد ولما حلل رموز الشيفرة وجد أن جواب موسكو يؤكد له أن لا خطر عليه لأن موسكو علمت من مصادرها الأخرى أن الملاحقة تشمل شبكة رودلف ايفانوفتش فقط وجاءه الأمر في هذه الرسالة بالاستمرار في عمله حتى اشعار آخر فعاد مع باميلا الى النادي وبالتالي عاد الى نشاطه التجسسي مزوداً بشعور متجدد بالثقة والعزيمة.

انهيار أول عميل في شبكة وليام:

بعد أيام من اكتشاف شبكة رودلف جاء باتريك الضابط وأول عميل في الشبكة الى شقة وليام وأخبره أن اكتشاف شبكة الكولونيل رودلف جعل المخابرات العسكرية الأميركية تجري تحقيقاً في فرقته العسكرية وان هذا التحقيق سوف يطال الجميع من أفراد وضباط صف وضباط وأضاف باتريك ان المخابرات تدقق في الحالة المادية لكل منهم واعترف له بأنه قد جمع من الأموال التي قبضها منه مبلغ خمسون الف دولار وفتح بها حسابا في البنك وانه قبل مجيئه اليه سحب معظم المبلغ من البنك ويطلب مساعدته في مغادرة الولايات المتحدة حالا لأنه حصل من فرقته على اجازة ٤٨ ساعة.

عند ذلك أيقن وليام أن باتريك قد فقد عقله من الخوف لأن مجرد أن

باتريك ادخر مالا يفوق راتبه في البنك وسحبه أثناء التحقيق في فرقته هو دليل كاف لكي يفتح رجال المخابرات تحقيقا معه عن كيفية حصوله على هذا المبلغ الضخم وسوف يعتقل رهن التحقيق بلا شك.

ثار وليام على باتريك لأنه أتى رأساً اليه فان هذا وحده قد يقود المخابرات الى شقته فاتخذ الاحتياطات الضرورية وألبسه لباسا مدنيا ثم أخرجه من باب خلفي بعد أن تأكد أن شقته غير مراقبة وأوصله الى مخبأ سري كان قد جهزه للحالات الطارئة واستدعى مساعدين له ليتأكد ما اذا كان رجال المخابرات يراقبون المنطقة فقاموا بالتفتيش في المنطقة المحيطة بشقته حتى تأكدوا من عدم وجود أي مراقبة أصبح باتريك العصبي في مأمن فاتصل وليام بموسكو لاسلكياً طالباً تسهيلات نقل عاجلة لاخراج عميله من الولايات المتحدة وبعد فترة جاءه الجواب أن دائرة النقل في المخابرات السوفياتية لا تستطيع في هذه الظروف أن تتولى أي عملية نقل لأنها تعمل فوق طاقتها في نقل بعض العملاء الذين يخشى عليهم من شبكة رودلف واقترحت موسكو أن يبقى باتريك في المخبأ حتى تتمكن دائرة النقل تولي اخراجه من الولايات المتحدة بطرقها الخاصة وتركت موسكو الخيار لوليام حول التخلص من باتريك بالقضاء عليه اذا كان يعتبر انتظار اخراجه مجازفة هكذا ببساطة قالت موسكو لوليام (تخلص منه اذا كان وجوده يضايقك) وهذه المخابرات وهذه مخاطرها ومخاطر الانزلاق في أعمالها.

كان باتريك هو الذي قرر مصيرة بيده فقد قرر وليام غض النظر عن موضوع التخلص منه وانتظار وعد دائرة النقل لاخراجه من الولايات المتحدة مفترضا أن انتقال باتريك الى روسيا سوف يكون ذا فائدة للمخابرات السوفياتية لما يملكه من المؤهلات ولكن باتريك أصابه الذعر عندما أخبره وليام بأن التحضير لنقله الى موسكو يحتاج الى أسبوع أو عشرة أيام فصاح لأول مرة في وجه وليام قائلا أنه في حال عدم تمكنه من تسهيل خروجه في الحال فان الأمر يفوته لأن المخابرات لا بد أن تجده ثم هدد وليام بأنه لن يكون وحده اذا ما هدد بالكرسي الكهربائي أو السجن المؤبد (عقوبتا التجسس) فأكد له وليام أنه سيجري الترتيبات اللازمة في اليوم ذاته لابعاده عن قبضة رجال المخابرات (وقد ضمر في نفسه التخلص منه) وبالفعل فقد وفى وليام بوعده ففي اليوم التالي وجدت دورية من الشرطة الأميركية باتريك مقتولا في سيارته في طريق فرعيه قرب ثكنته وكانت الحقيبة التي وضع بها المال عندما سحبه من البنك فارغة وقد تعرف اليها موظف الصندوق في البنك وبدا

للتحقيق أن دافع الجريمة هو السرقة وهكذا عاد المال الحرام لأصحابه ولكن بعد أن قدم باتريك حياته ببلاش.

النتيجة: اتصل وليام برؤسائه بكل برودة أعصاب وأخبرهم أن خطر باتريك قد زال ولا داعي لاشغال دائرة النقل به.

انهيار خطيبة رئيس الشبكة أيضاً:

أخذ الحظ يخون وليام فبعد خسارته لأهم مصدر معلومات نووية بقتله الضابط باتريك أخذت المخابرات تجري تحقيقاً في مكاتب وزارة الخارجية للتأكد من أن المعلومات التي ظهرت نتائجها في موسكو قد تسربت من المكتب الذي تعمل به باميلا أم من غيره وعندما شعرت باميلا بالخطر يتهددها وان يد المخابرات الأميركية تقترب من يدها لم تأت الى (خطيبها) وليام طالبة المساعدة بل قررت أن تجد الحل لمشكلتها بنفسها لأنها منذ اليوم الذي أصبحت فيه من أهم مساعدي وليام وضميرها يؤنبها لكنها كانت قد أحبته فعلا والمحب يتغاضى عن أعمال حبيبه وكانت تدرك أنها قد تورطت معه الى درجة لم تعد تسمح لها بالتخلي عنه فظلت لآخر لحظة تزوده بالوثائق السرية ليصورها ثم تعيدها الى وزراة الخارجية.

وجدت باميلا ميتة في غرفتها ولدى اجراء التحقيق تبين أنها قد تناولت كميات كبيرة من الحبوب المنومة ولم يكن هناك من شك في أنها انتحرت رغم أنها لم تترك أي رسالة وظهر في حسابها بالبنك أنها تملك مبلغا متواضعا من المال هو ما كانت تدخره من راتبها ولدى التحقيق مع زميلاتها في المنزل قلن أن باميلا كانت تعاني حالة من القلق واضطراب الأعصاب لبعدها عن أهلها هذا الأمر الذي أكدته زميلاتها في الوظيفة جعل الشرطة تقفل التحقيق وتعتبر أن القضية منتيهة.

كانت هاتين الحادثتين اشارة خطر بالنسبة لوليام وانذاراً له بأن يوقف نشاطه ولو لمدة حتى لا تصل اليه المخابرات من خلال قضيتي باتريك وباميلا فاقترح على موسكو خطة وافقت عليها ووضعت الترتيبات اللازمة لسلامته.

أصدر وليام أوامره الى جميع أفراد الشبكة من عملاء ضباط أو مخبرين أو جواسيس مساعدين ((بتجميد نشاطهم كليا وحتى اشعار آخر) وأغدق عليهم الأموال التي تكفي لمدة انقطاعهم عن العمل ولكيلا يفكر من كان منهم بحاجة

للمال باستمرار باللجوء الى غيره (وهكذا يجب على الجاسوس أن يفكر بكل شيء محتمل) ولكن محل بيع أدوات التصوير الفوتوغرافية استمر في عمله التجاري العادي يستورد آلات التصوير ويصدرها لكنه توقف عن استلام أو ارسال الأفلام السرية والرسائل المكتوبة بالشيفرة وخبيء جهاز اللاسلكي في مكان أمين وهكذا هيأ وليام نفسه لأخذ عطلة طويلة يقضيها قرب شلالات نياغارا خاصة وانه لم يحصل على أي اجازة خلال السنوات السابقة التي قضاها في ادارة النادي لذلك لم يثر أي تساؤل عندما قرر فعلا الذهاب في عطلة لشهور أكثر بعد أن ترك النادي في يد مدير مساعد من موظفيه الموثوقين وقد وافق صاحب النادي أيضا على هذا الاجراء.

كانت أوامر رؤسائه صريحة تقضي بعدم مغادرته الولايات المتحدة وعليه أن يقضي اجازته حتى تهدأ الأمور ويتمكن من العودة الى نشاطه.

عندما تأكد لوليام أنه وشبكته لا يزالوا في مأمن عاد الى نشاطه واستمرت الشبكة في اداء عملها مثل ذي قبل وتكررت أوامر موسكو له بالبقاء في عمله والاستمرار فيه حتى تحول الظروف دون امكانية متابعة العمل.

استمر وليام في العمل بنجاح تام حتى استنفذ ما يمكن استنفاذه من المعلومات ومن الأشخاص الذين تمكن من تجنيدهم فكتب لرؤسائه طالبا انهاء مهمته واعادته الى موسكو فطلبوا منه افتعال حادث مع صاحب النادي لفك الشراكة معه ففعل واستعاد مبلغ عشرون ألف دولار عوضا عن ١٥٠٠٠ التي دفعها وقام بتوزيع هذا المبلغ على أعضاء الشبكة مودعاً لأنه (حسب ادعائه) سوف يتوجه الى كندا لأن رسالة جاءته من صاحب نادي كبير يطلب منه الحضور لتولي ادارته ثم فاوض صاحب محل التصوير على استعادة محله وتساهل معه كثيراً ثم ودعه مدعيا نفس الحجة التي سردها لزملائه أعضاء الشبكة وهي سَفَرِهِ الى كندا وهكذا قطع كل صلة له بالولايات المتحدة وبدون أن يثير أي علامات استفهام توجه في ١٢ شباط ١٩٦١ الى مكتب شركة الطيران وحجز محلا في الطائرة المتوجهة الى استانبول وأيضا أغمض عينيه بعد تناوله الويسكي ولم يصحو خلال ثماني ساعات من السفر بالطائرة الا وصوت المضيفة تطلب من الركاب ربط الأحزمة استعدادا للهبوط في استانبول ولما خرج من مطار استانبول الدولي واستقل تكسياً متجها الى نفس الفندق الذي نزل فيه منذ ثماني سنوات عندما بدء رحلته الكبرى من هذه المدينة بالذات وها هو في طريق عودته بعد أن قدم للمخابرات السوفياتية أعظم

الخدمات ولم تتمكن المخابرات الأميركية من اكتشافه رغم عظمتها ولو أنها اكتشفت بعض زملائه في مدن ثانية وبطريق الصدفة...

من غرائب المخابرات:

• دبلوماسي سوفياتي يعمل للمخابرات الأميركية

• في ربيع عام ١٩٦٧ غادر فلاديمير نيقولا بيفتش زاخاروف من مواليد ١٩٤٣ موسكو متجها الى اليمن تاركا وراءه زوجته وهي حامل وكان الاتحاد السوفياتي قد أقام علاقات وطيدة مع الرئيس عبد الله السلال رئيس الجمهورية العربية اليمنية[1] الذي أطاح بحكم الامامية في اليمن وذلك بمساعدة من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وقد وصلت هذه المساعدة الى حد ارسال الجيش المصري للقتال في اليمن ضد القبائل التي بقيت تدين بالولاء للامام البدر وكان الرئيس عبد الله السلال قد منع الدبلوماسيين السوفيات من الوصول الى صنعاء العاصمة بصورة مستمرة فاستأجرت السفارة عمارة في مدينة الحديدة جعلتها مقرا للقنصلية السوفياتية وبطبيعة الحال كانت مقر فرع المخابرات السوفياتي في اليمن.

وصل فلاديمير الى الحديدة والتحق بالقنصلية السوفياتية وكان فلاديمير شاباً رياضياً طوله ١٨٥ سم ووزنه ١١٠ كليو غرام مفتول العضلات وذو شعر كستنائي مسدل وعيون لوزية كان بحق شاباً جميلا يتمتع بالذكاء الحاد وينتمي بنفس الوقت الى عائلة معروفة بعلاقاتها الوطيدة مع الحزب الشيوعي وغناها أيضاً وعندما كان في موسكو كان له أصدقاء أوفياء مثل ايجور أندربوف (ابن رئيس المخابرات السوفياتية في حينه) وميخائيل تسفيسجون ابن نائب مدير المخابرات وفيكتور يافتسيق ابن كودر يافتسيف أحد المتخصصين القدامى في أعمال القمع. وبسبب تخصصه باللغة العربية أعطي منصباً دبلوماسياً وكان عليه أن يقضي ستة أشهر على الأقل كفترة تدريب في احدى القنصليات السوفياتية وهكذا اختيرت القنصلية السوفياتية في الحديدة باليمن لتكون مقراً لتدريبه.

في صباح أحد أيام نيسان ١٩٦٧ حضر السفير ميرزو رحمانوف الى القنصلية في الحديدة والتقى جانبا بفلاديمير وأخبره بعد المجاملة أن عمه هو من

(١) الرئيس عبد الله السلال أو المشير عبد الله السلال كما لقب نفسه ابان رئاسته للجمهورية اليمنية يقيم الآن في مدينة استانبول في تركيا لاجئا سياسيا.

أصدقاءه القدامى وقال أن القنصل السوفياتي في الحديدة ايفان سكاريوفنكو يقضي اجازة في موسكو وأنه (لن يعود) وأضاف: أنت أيها الرفيق ستقوم بأعمال القنصل لقد أعلمني القنصل نفسه بأنك قادر على أن تحل محله ولما كنت أعرف عمك معرفة جيدة فانني مقتنع بما قاله القنصل.

صمت فلاديمير ولم يقل شيئاً نتيجة المفاجأة وغادر السفير دون أن يضيف شيئاً الى ما قاله فتوجه فلاديمير الى مكتب القنصل في الطابق الأول من البناء الذي تشغله القنصلية فوجد أن السكرتيرة قد هيأت له كل الأوراق الضرورية لتوقيعها وكأنه القنصل من مدة طويلة.

في اليوم التالي وجد فلاديمير على مكتبه بطاقة كتب عليها ((ارجو مقابلتي)) وتحمل اسم فلاديمير ايفنشكوف المهندس الذي يرأس لجنة العلاقات الاقتصادية بين البلدين ويرأس في الوقت نفسه فرع المخابرات السوفياتية في اليمن وعندما توجه لمقابلته كانت هذه المقابلة جدية ومباشرة فقد بدأه بالقول: انك يا رفيق فلاديمير لا تجهل مهنتي الحقيقية هنا وأنا لا أحب الطرق الملتوية والطويلة انك سوف تعمل معنا من الآن وصاعداً لأن تدريبك وأتقانك للغة العربية مفيدان لنا أريد منك تقريراً عن جميع السوفيات الذين يزورونك والسوفيات الذين يقابلون العرب أو ينشئون علاقات معهم أو السوفيات الذين يهربون العملة أو يقيمون علاقات جنس سواء يمني مع سوفياتية أو سوفياتي مع يمنية وخاصة أريد تقارير عن الذين يشكون لك بأن الحياة لا تعجبهم هنا. أريد معرفة كل شيء منك.

أجابه فلاديمير (حاضر) فقام ايفنشكوف بتقديم كأس من الويسكي لفلاديمير بنفسه فرفض فلاديمير بأدب عند ذلك تابع ايفنشكوف حديثه مع فلاديمير قائلا:

اذا صادفتك أي متاعب مع العرب فقدم لهم الويسكي لأنه يفعل فعل السحر معهم بسبب (منعه في بلادهم الاسلامية) وبذلك تحصل على ما تريد.

استمع فلاديمير بانصات ثم انصرف بعد ذلك الى عمله بهمة ونشاط وخلال فترة قصيرة أصبح معروفاً في أوساط السوفيات بأناقته وشبابه وكثف من علاقاته مع جميع انواع السوفيات الموجودين باليمن وأخذ يقدم التقارير عن مشاكلهم الى ايفنشكوف بصورة منتظمة الذي أخذ يكلفه بمهمات أصعب ومنها التعرف على اليمنيين ذوو الميول الصينية وتجنيد بعض الضباط المصريين باليمن لخدمة المخابرات السوفياتية فقام بمهمته أحسن قيام وأصبح يراه يوميا ويتحدث اليه مساءاً

بعد أن كسب ثقته وثقة العديد من السوفيات في اليمن.

قيام فلاديمير بأعمال خارقة باليمن:

بعد حرب حزيران الغادرة عام ١٩٦٧ أخذت المخابرات الصينية تنشيء مراكز لها في الدول العربية ومنها اليمن حيث حركت هذه المخابرات الدعاية ضد السوفيات واتهمتهم بأنهم مسؤولين عن هزيمة العرب في هذه الحرب فكتب فلاديمير الى رئيسه بذلك مما دعا الى تكليفه بالعمل بنشاط وقيادة حملة دعائية في اليمن ضد الدعاية الصينية مما دعاه الى اهمال واجباته الادارية حتى تراكمت على مكتبه الملفات.

في العاشر من تموز ١٩٦٧ وفي الساعة العاشرة تلقى فلاديمير أنباء عن مظاهرة تتجه الى القنصلية السوفياتية في الحديدة وقد دبرها الصينيون وكان وحيداً في القنصلية ينجز الملفات المتراكمة وقد فكر فلاديمير بالهرب ولكن لا يوجد طريق سوى الطريق الوحيدة التي تتجه عليها المظاهرة عند ذلك أغلق عليه أبواب ونوافذ القنصلية وأشعل الأضواء لكي يظن المتظاهرون أنه ليس وحيدا في القنصلية.

وصلت المظاهرة الى الباب الخارجي للقنصلية وأحاط حوالي ١٥٠٠ متظاهر يمني مدفوعين وهم يهتفون هتافات عدائية ضد الاتحاد السوفياتي ويتهمونه بالخيانة والضحك على ذقون العرب ثم أخذوا يقذفون القنصلية بالحجارة فتحطمت بعض النوافذ ورغم أن فلاديمير يحمل سلاحاً فردياً للدفاع عن النفس ولكنه لم يفكر باستعماله لأنه لم يصل الى مرحلة الدفاع عن النفس لأن القوات المصرية المرابطة في الحديدة قد حضرت لنجدة القنصلية وأخذت تطلق النار فوق رؤوس المتظاهرين ارهابا فتفرقوا حالا وعندما دخل آمر القوات المصرية الى القنصلية ليطلع على حالة الموظفين لم يجد أمامه سوى فلاديمير الذي شكره على حضوره لانقاذ القنصلية ونقلت هذه الواقعة الى السفير الذي هنأه على شجاعته ومنحه لقب بطل شفهياً مما زاد في معنوياته واندفاعه للعمل.

مضى الصيف الحار في اليمن وكانت لدى فلاديمير رغبة قوية لرؤية ابنته التي ولدت في أيار فاستأذن رئيسه السفير ايفنشكوف للسفر ولما اقترب موعد سفره الى موسكو في ايلول أقام السفير حفلة وداع على شرفه ولما انتهى الحفل وخرج المدعون بقي فلاديمير مع السفير الذي قال له لديّ ما أقوله لك فقد هيئت

لك تقريراً دبلوماسياً جاء فيه أنك شاب موهوب جداً يتمتع بجميع مؤهلات ضابط مخابرات ودبلوماسي ناجح. فهل تريد مني أن أضيف شيئاً آخر فأجابه فلاديمير: أيها الرفيق السفير هذا مديح لا أستحقه. فأجابه السفير: بل انك أيها الرفيق القنصل تستحق أكثر من ذلك وان ما ذكرته عنك هو الحقيقة بعينها وانهم في موسكو سوف يقبلوك بطبيعة الحال (اي المخابرات).

عاد فلاديمير الى موسكو وأمضى اجازة طيبة مع زوجته وابنته حتى شهر تشرين الثاني حيث اتصل به مدير الموظفين في معهد العلاقات الدولية في موسكو وأعطاه رقم هاتف ليتصل به ولما اتصل أجيب بأن يأتي في اليوم التالي الى مكتب في شارع نجلينانا ويطلب مقابلة الرفيق فاسيلي ايفانوفيتش.

في اليوم التالي التقى فلاديمير بضابط قوي الشخصية فضي الشعر هو (فاسيلي ايفانوفيتش) الذي قال له: انني أقدم لك عملا في لجنة الأمن في مجلس الوزراء وقد طلبت منك المجيء الى هنا لأشرح لك كيف تعمل هذه المنظمة التي ستعمل فيها.

اننا تتبعنا سلوكك وتصرفاتك خلال سنوات دراستك ونحن نعرف أنك تتقن اللغة العربية والانكليزية ولقد أوصى بك معهد المخابرات أولا ثم السفير في اليمن ثانيا لأن عملك في اليمن كان ممتازاً ونحن بحاجة للشباب أمثالك.

ثم شرح له ايفانوفيتش الفوائد التي سوف يجنيها من العمل في صفوف المخابرات السوفياتية وهي:

١ ـ حصوله على شقة جميلة في موسكو وفي أرقى الشوارع.
٢ ـ بذله عدد /٢/ سنويا من القماش الأوربي مع زوجان من الأحذية الايطالية.
٣ ـ بطاقة تحصل بموجبها على ما تريده من المجمعات من الويسكي والحوائج الضرورية.
٤ ـ نفوذ واسع في جميع الأوساط السياسية.
٥ ـ تسهيلات وموارد مالية أكثر من الدبلوماسيين.

بقي فلاديمير لدى ايفانوفيتش اكثر من ساعتين وهو يحدثه عن مزايا العمل في المخابرات ثم قال له:

بعد عامين من التدريب العملي في هذا المركز قد تلتحق بواشنطن أو

نيويورك (بينما كان فلاديمير يعتقد أن اتقانه للغة العربية سوف يؤخذ بعين الاعتبار) وتابع ايفانوفيتش: وأخيرا أيها الرفيق فلاديمير يمكنك بحث الموضوع مع والدك فقط وليس مع أي شخص آخر ولا حتى مع زوجتك أو والدتك سنتركك عدة أيام لتفكر جيداً وان كنت أفضل أن أعرف وجهة نظرك الآن:

أجابه فلاديمير انكم أيها الرفيق تمنحوني شرفا عظيما باعطائي هذه الفرصة لخدمة الشعب السوفياتي ولهذا فاني أقبل اقتراحك منذ الآن وسوف التزم بكل ما من شأنه أن يجعلني استحق هذا الشرف.

رفض العمل في المخابرات السوفياتية:

توجه فلاديمير الى منزل والده ليعلمه باختياره للعمل في المخابرات وفي لجنة الأمن التابعة لمجلس الوزراء بالذات فكانت ردة فعل الوالد (الرفض) قائلا له:

ــ لا أريد لأبني أن يعمل في المخابرات.

ــ فأجابه فلاديمير: ولكنك ايها الوالد المحترم سبق أن أعلمتني أنك عملت معهم.

ــ فأجابه والده: ولكني كنت في حينه أريد أن أعيش أما أنت فباستطاعتك اختيار المهنة التي تريد ثم أردف والده: هناك رجال اخيار في المخابرات ولا أنكر ذلك لذا فانني لا أستطيع منعك من العمل معهم ولكني أعطيتك رأي كوالد.

ــ أجابه فلاديمير: لقد فات الأوان يا والدي لقد وافقت على العمل معهم وسوف أتقدم للفحص الطبي غدا فماذا أفعل.

ــ أجابه والده: لا شيء لا تذهب لرؤيتهم وسوف أعمل الباقي عنك.

أخذ فلاديمير رفض والده بعين الاعتبار ولم يذهب في اليوم التالي للفحص الطبي فتلقى هاتفاً بأن عليه أن يتصل بالرفيق ايفانوفيتش فلم يعر ذلك اهتماما وبعد ثلاثة أيام لم تتصل به المخابرات فعرف أن والده قد أنهى الأمر لأن له نفوذ واسع.

في آخر شهر تشرين الثاني أعلم فلاديمير من قبل وزارة الخارجية أنه عيّن ملحقاً متدرباً في القنصلية السوفياتية في الاسكندرية فسافر اليها مع زوجته وابنته بالباخرة وما ان رست الباخرة في ميناء الاسكندرية ونزل منها حتى وجد على رصيف الميناء باستقباله رجلا في الأربعين من عمره اسود الشعر مدور الوجه منتفخ البطن قليلا وقدم نفسه:

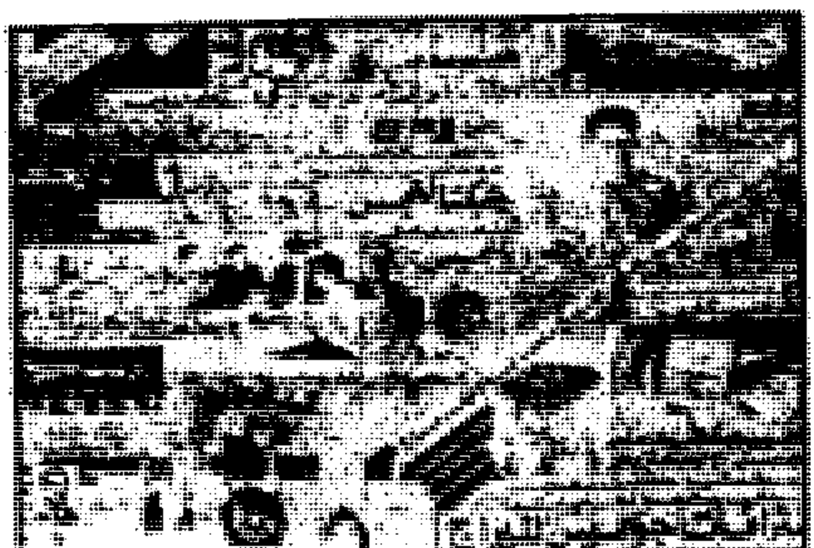
ـــ فيكتور سبيرونوف نائب القنصل السوفياتي في الاسكندرية أرحب بكم وقد استأجرت لكم شقة في العمارة التي أقطنها فأرجو أن ترافقوني أولًا الى منزلي لأن زوجتي قد أعدت لكم عشاءاً بمناسبة وصولكم هذه الليلة.

بعد العشاء انفرد فلاديمير بمضيفه سبيرونوف وتحدث معه بقية الليل فأدرك من خلال الحديث أن سبيرونوف هو المسؤول عن فرع المخابرات السوفياتية بالاسكندرية فأكد له مضيفه ذلك وقال له: لقد حاولت التخلص منا في موسكو ولكن لا يمكن لأحد أن يتخلص منا ثم قدم له التعليمات الخاصة بعمله الجديد.

خلال فترة وجيزة تكيف فلاديمير وزوجته ناتاليا مع مجموعة الموظفين السوفيات في الاسكندرية وكانا مجال افتخار الجميع بانضمام هذين الزوجين الجميلين الى السلك الدبلوماسي.

اقتصر عمل فلاديمير في القنصلية على قراءة التقارير السرية العربية وترجمتها الى الروسية وقد تعرف بحكم عمله على الضابط فهمي حسن من المخابرات المصرية المسؤول عن حماية ومراقبة القنصليات الأجنبية في الاسكندرية ولما علم سبيرونوف بهذه العلاقة أمره بقطعها لعدم الجدوى منها ففعل وبالمقابل شجعه على التعرف على الموظفين المصريين في ميدان الصناعة.

اتصل به الصحفي المصري الشيوعي (محمد قريطم) وهو رئيس تحرير احدى المجلات في الاسكندرية وأخبره بأنه ينوى اصدار عدد خاص من مجلته بمناسبة ذكرى ميلاد لينين واشترط عليه أن تقوم القنصلية بشراء خمسمائة نسخة منها فوافق فلاديمير لأنه لم يكن له دراية في هذه الأمور ولما علم القنصل العام أوليغ شوميلوف بذلك رفض قبول الأعداد بحجة عدم وجود ميزانية لذلك النوع من المناسبات ولكن الصحفي جلب أعداد المجلة ووضعهم أمام القنصلية ولما علم



فلاديمير بذلك من الحارس سارع وعلى مسؤوليته الخاصة باستلام الأعداد واتصل بالصحفي قريطم ودفع له القيمة من ماله الخاص وهكذا تخلص من هذا الاحراج.

تضارب العمل الدبلوماسي والمخابرات:

بعد انطلاق فلاديمير في العمل وتأقلمه مع جو الاسكندرية أصبح محط أنظار الجميع في القنصلية.

في أحد أيام حزيرأن استدعاه القنصل العام أوليغ شومهلوف الى مكتبه وقال له لقد علمت أنك كنت بصحبة أحد المصريين في ناد ليلي ولم تعلمنا بذلك أني أنتظر ايضاحاً منك.

أجابه فلاديمير: انني قمت بذلك بناء على أوامر من سبيرونوف.

أجابه السفير: ولكن لمن تعمل انت هل للمخابرات ام لوزارة الخارجية.

أجابه فلاديمير: انني اعمل لصالح الاتحاد السوفياتي.

قال السفير: ولكن يجب حصر عملك في السلك الدبلوماسي.

أجابه فلاديمير: انني أبقى منفذا للأوامر سواء أتت منك ام من سبيرونوف ذو الصلاحيات وانت تعرف ذلك.

قال السفير: اريد ان أعرف من أنت ومن هو والدك لقد ارسلتك وزارة الخارجية لتعمل دبلوماسيا تحت اوامري فاذا قمت بأي عمل اخر دون ان تبلغني عنه مقدما فسأطلب اعادتك الى موسكو.

انتهت المقابلة عند ذلك الحد من تهديد ا لقنصل فتوجه فلاديمير الى مكتب سبيرونوف وأعلمه بالامر وفي اليوم التالي استقبله القنصل واعتذر له عما حدث وهكذا انتصرت المخابرات على وزارة الخارجية واصبح فلاديمير يتمتع بحصانة استثنائية وحرية في العمل.

في شهر نيسان ١٩٦٩ وبعد مضي سنتين على حرب حزيران الغادرة وبينما كان يتبادل الحديث مع رئيسه سبيرونوف اعرب له عن دهشته لعدم معرفة المخابرات السوفياتية بالاستعدادات الاسرائيلية لحرب ٥ حزيران ١٩٦٧ فأجابه سبيرونوف بان كل الناس كانت تعرف ان اسرائيل تستعد للحرب وكنا نعرف موعد الهجوم وساعته وقد ابلغنا القيادة ولكنها شكت في مصدر المعلومات مع ان لديهم مقدرة على الحصول على معلومات رئيسية وهامة وبعد هذا الاجتماع باسبوع اجتمع فلاديمير مع القنصل العام شوميلوف وسبيرونوف وممثل عن اللجنة

المركزية للحزب الشيوعي يزور الاسكندرية وفي هذا الاجتماع تساءل فلاديمير امام المجتمعين.

هل التأثير المتزايد للاستاذ محمد حسنين هيكل في اوساط الدولة لا يخلق المتاعب للاتحاد السوفياتي.

أجابه سبيرونوف: لا... ما دام شرف في مركزه.

ــ ولكن من هو شرف.

سبيرونوف: انه مستشار الرئيس عبد الناصر لشؤون المخابرات وهو الشخص الذي يصغي اليه الرئيس. وقبل انتهاء الاجتماع اعلم فلاديمير انه تم نقله الى السفارة السوفياتية في القاهرة بناء على طلب السفيرالروسي سيرج فيلوغرادوف.

وبعد يومين اقيمت له ولزوجته حفلة وداعية ثم سافر الى القاهرة ليجد شقة مفروشة بانتظاره وما ان استقربه المقام في القاهرة حتى تلقى مخابرة هاتفية من والدته في موسكو باركت له بالتعيين الجديد فاجابها ان السفير قد استدعاه ولكنها اجابته انك لن تبقّى كثيرا في القاهرة لأن والدك هنا (موسكو) قد رتب امر نقلك الى بلاد الذهب (بلاد الذهب هي الكويت) فشكرها فلاديمير محاولا اخفاء عدم رضاه بعد ما اعجب بجو القاهرة الاخاذ ولكن الامر خرج من يده فقد ابلغ بالاستعداد للسفر الى الكويت.

عندما وصل فلاديمير الى الكويت وبدأ العمل في السفارة السوفياتية الكائنة في شارع الاستقلال (يسمى شارع السفارات وجد ان عليه ان يراقب السفير نيقولا كوسميتش توبتسين الذي اعتاد ان يشرب الويسكي طول الوقت وان يكتب للمخابرات عن تصرفات هذا السفير السكير (في دولة الكويت الكحول ممنوعة ومحرمة ما عدا السفارات التي تصلها الكحول مع الطرود الدبلوماسية) وكان العقيد فلاديسلاف لوبانوف في المخابرات السوفياتية بالكويت يجمع التقارير المتلاحقة عن السفير ويحفظها لديه بعد ان انهكته عمليات القمع التي قام بها خلال عمله بالمخابرات لمدة خمس وعشرون سنة وهو لا يريد الاساءة للسفير ويتمنى ان يعود الى روسيا ويستقر بقية حياته وبذلك لم يعد لعمل فلاديمير اية قيمة فكلفة العقيد لوبانوف بترجمة التقارير المتراكمة في مكتبه من العربية الى الروسية.

كان فلاديمير قد شعر بان عمله الروتيني اصبح مملا فاخذ يصطحب زوجته وابنته يوميا الى منطقة السالمية وهي منطقة سكنية حديثة بالكويت تطل على البحر وفيها العديد من الملاعي حيث كان يتناول السمك في كازينو الشاطيء الذهبي

وقد عرض عليه لوبانوف النفوذ الى اعضاء المقاومة الفلسطينية في الكويت سواء مكتب فتح او مكتب منظمة التحرير (وهو عبارة عن سفارة فلسطينية) او انشاء صداقة مع المدعو ابو ربحي وهو من الفلسطينيين المتنفذين بالكويت ولكن فلاديمير اعتذر عن هذه المهمة لأن اية علاقة مع الفلسطينيين او غيرهم ستلفت انتباه سلطات الأمن اليه وصارحه القول بان الكويت هي الدولة الوحيدة التي يصعب فيها القيام باي نشاط للمخابرات السوفياتية او غيرها لأن جميع العاملين فيها يدينون بالولاء لدولة الكويت اعترافا بجميلها في استقبالهم واتاحة الفرصة لهم للعمل فيها وتقاسم خيراتها مع المواطنين الكويتيين سواء بسواء فكيف يضمن ان اي مواطن يتحدث معه عن طلب معلومات او تجسس لا يظهر له الموافقة ثم يتصل بسلطات الأمن التي تغدق العطاء في مثل هذه الحالات لا سيما ويرأس وزارتي الدفاع والداخلية المكلفتان بحفظ الأمن سمو الشيخ سعد العبدالله الصباح مع نخبة من الضباط الاكفاء امثال اللواء عبد اللطيف الثويني والعميد محمد الحمد(١) والعميد يوسف الخرافي وغيرهم.

صعق لوبانوف لهذا الجواب من فلاديمير وقال له ان عليه ان يكتفي بالترجمة بالوقت الحاضر.

المفاجأة الكبرى (فلاديمير) عميل للمخابرات الاميركية:

بتاريخ العاشر من تموز ١٩٧١ توجه فلاديمير كعادته بسيارته الى السفارة وما ان وصل الى قرب السفارة حتى تغير لونه واخذت يداه ترتجفان فقد رأى باقة من الزهور على غطاء سيارة فولكسفاكن بجانب مدخل السفارة وهي الاشارة التي اتفق عليها مع عملاء (المخابرات المركزية الاميركية) التي يعمل فلاديمير لها منذ سنوات وها هي تطلب منه الهروب اليها.

وهنا تظهر علامة استفهام كبيرة.. لماذا تطلب المخابرات الاميركية منه الهروب هل علمت من احد مصادرها ان لوبانوف رئيس المخابرات السوفياتية بالكويت طلب ارجاعه الى موسكو لعدم الحاجة اليه بالكويت ام هل هي بحاجة اليه لتستغله في عملية من عملياتها الدعائية ضد الاتحاد السوفياتي ام لماذا طلبته في هذا الوقت بالذات... علم ذلك عند واشنطن.

(١) العميد محمد الحمد انتقل الى رحمته تعالى وهو بعمر الشباب رحمه الله.

كان فلاديمير من الشبان الرافضين للفكرة الشيوعية وللمخابرات بجميع اشكالها ومع ذلك فقد وجد ابان دراسته وعندما اختير للعمل في المخابرات بان احسن وسيلة للثورة والتهرد وان مقاومة هذا النظام لا تأتي الا بالعمل السري بعد ان اصبح يرفض جميع القيم عند ذلك قرر الاتصال بالاميركيين بمبادرة منه وفي موسكو بالذات واثناء دراسته ولكن الاميركيين كانوا حذرين منه ولكن عندما اثبت لهم نواياه وقصده وأفهمهم انه لا يريد منهم مالا وان كل ما يريده (مجرد المساهمة في القضاء على النظام السوفياتي من الداخل بالتخريب حتى داخل المخابرات) قبلوا التعامل معه وكان له معهم لقاءات عديدة في موسكو سلمهم خلالها معلومات ونسخا عن مواد التدريس في المخابرات وغيرها مما وصل الى يده وتابع عمله معهم في جميع الامكنة التي عمل بها بشكل اغرب من الخيال ويعلم الله ما هو نوع الخدمات التي قدمها لهم حتى قرروا تهريبه من الكويت وكان الاتفاق ان يضعوا له (باقة الزهور) امام السفارة.

نجاح الهروب من الكويت:

بعد مشاهدته باقة الزهور علم أنها النهاية فدخل الى السفارة رابط الجأش وتظاهر بعمله كالعادة ولكنه استغل الساعات الباقية لهروبه فجمع ما تمكن من جمعه من التقارير السرية وفي الساعة ١١/٢٠ ظهرا غادر السفارة الى منزله وبقي فيه حتى الساعة ٢/١٠ من صباح ١٩٧١/٧/١ حيث خرج من منزله مع زوجته وابنته وركبوا السيارة التي تحمل الرقم الدبلوماسي (كويت هـ ــ س ــ ١٢٥) وسار بعائلته باتجاه منطقة الشويخ وهي قرية كويتية تقع على طريق البصرة وهناك ترك سيارته وحمل معه حقيبة خفيفة ضمنها اخف الاشياء خاصة الاموال التي جمعها من راتبه كدبلوماسي والمستندات والتقارير التي جاء بها من السفارة قبل مغادرتها نهائيا مع مسدس اوتوماتيكي والصليب الذي يحتفظ به منذ ان عمدته والدته وهناك اختفى مع عائلته ولكن الى اين توجه كيف خرج من الكويت لا احد يعلم لأنه (سر المهنة) ولو اننا نرجع لخروجه من الكويت مع عائلته هذه الاحتمالات:

١ ــ احتمال نقلهم بسيارة من سيارات السفارة الاميركية من الكويت الى البصرة بأوراق مزورة.

٢ ــ احتمال نقلهم بطائرة مروحية باتجاه الحدود السعودية.

٣ ــ احتمال نقلهم بطائرة مروحية الى (غواصة) اميركية كانت تنتظرهم خارج المياه الاقليمية لدولة الكويت.

٤ ــ احتمال ترك سيارته في منطقة الشويخ لتضليل المسؤولين والسفارة بينما يكون قد عاد الى الكويت مع مرافقيه من المخابرات الاميركية الذين يؤمنون له سفرا مريحا بعد ذلك وبكافة الوسائل.

وهكذا اختفى فلاديمير نيقولا بيفتش ضابط المخابرات السوفياتية بعد ان نجح في تحطيم الاستراتيجية السوفياتية في منطقة الشرق الاوسط خلال مدة عمله في هذه المنطقة وقد شغل اختفائه رؤسائه كثيرا حتى شاهدوا صورة في مجلة (تايم) الاميركية.. انها حياة المخابرات...



سمو الشيخ سعد العبد السالم الصباح ورعايته الشخصية لأجهزة الأمن في دولة الكويت.

المخابـــرات السوفياتيـــة:

ارشيف المخابرات السوفياتية
«الدليل المركزي»



معلومات عن ملايين الروس والاجانب:

من المعروف عالميا ان لكل مخابرات في العالم ارشيف يحوي ملفات عن الاشخاص المشبوهين ومرتكبي اعمال التجسس وجميع موظفي هذه المخابرات ووزارة الدفاع بكاملها للرجوع اليها في حال ارتكاب اعمال التجسس من جديد اما لدى المخابرات السوفياتية فلا يمكن مقارنة ارشيف بقية الدول بدليل موسكو المركزي الذي يعتبر قمة في حفظ المعلومات عن الملايين قبل ادخال الكمبيوترات والعقول الالكترونية هذا الدليل البالغ من العمر حوالي ستين عاماهي عمر المخابرات السوفياتية نفسها والذي يحوي على ملفات تتضمن معلومات عن الملايين من الروس والاجانب سواء وقد يتعجب الكثيرين حتى من ابناء الاقطار العربية اذا عرفوا ان اسمائهم واردة في دليل مخابرات موسكو، وان لكل شخص يوجد اسمه في الدليل ملفا يحوي على اوصاف مفصلة لأطباع ووظيفة كل من شغل سابقا مركزا حكوميا والذي يكون على معرفة ولو ضئيلة بمعلومات سرية رسمية وان يكون عمل في حقل الاسلحة وصناعتها او في احدى المهن السرية التي ينتج عن العمل بها الاطلاع على معلومات هامة ويحوي هذا الملف ايضا كل المعلومات عن الاشخاص الذين قد اتصلوا في وقت من الاوقات مع اشخاص ينتمون للمخابرات السوفياتية او الاشخاص الذين قد سمعهم احد العملاء الشيوعيين يعربون عن ميولهم الى الاتحاد السوفياتي.

تتبع المخابرات السوفياتية النظرية القائلة بامكانية انتقاء الاشخاص الصالحين للعمل التجسسي والعمل بنجاح في اي بلد شرط ان تكون لديهم كل المعلومات المتعلقة بهؤلاء الاشخاص بالذات لذلك تؤكد المخابرات السوفياتية في كل الأوامر الصادرة عنها الى عملائها بالخارج لدى طلب الموافقة على تجنيد اي شخص يجب الحصول على (التفاصيل الكاملة عن حياة الشخص) وللحصول على صورة كاملة عن كل شخص يراد تجنيده فان موسكو لا تكتفي بالوقائع فحسب بل انها تجمع وتسجل ما يقال حوله من الاخرين وبالاضافة الى الاسماء والالقاب ومحل وتاريخ الولادة والعائلة والاقارب والسكن والوظيفة ويحوي الدليل على صور

(فوتوستات) للرسائل الشخصية مع تسجيلات للمكالمات الهاتفية وحتى التقارير عن ملاحقة اي انسان وعلاوة على ذلك فيشمل الدليل اسماء الاساتذة ورفاق الدراسة واسماء الاقارب البعيدين والاصدقاء والزملاء من غير جنس وكذلك اسماء المطاعم والمقاهي والنوادي التي يزورها الرفاق خلال عطلهم وكثيرا ما تستعمل بنجاح المعلومات الموجودة في الدليل المركزي من اجل تجنيد مخبرين وغيرهم من العملاء وهناك قضايا عديدة لأشخاص اتوا الى الاتحاد السوفياتي لقضاء عطل او لبعض الاعمال فوجدوا انفسهم يتعاملون مع المخابرات السوفياتية ولو لمرة واحدة وذلك بعد ان وجدوا انفسهم مهددين بالشانتاج والفضائح بواسطة ما عليهم من معلومات ووثائق في دليل المخابرات السوفياتية.

من الصعب على المخابرات الغربية ان تصدق اموراً كهذه رغم اطلاع المخابرات الكندية على الوثيقة التالية حين اعتقالهم الجاسوس السوفياتي غوزنكو:

(تطلب الادارة الثانية في المخابرات السوفياتية من اعضاء الشبكة الجاسوسية في اوتاوا انه يتوجب.... ان يكون هناك صفة شخصية في الحديث مع كل موظفي الحكومة وضباط الجيش او غيرهم ممن تتعاملون معهم وذلك في مختلف المواضيع ابتداء من حياة العميل الخاصة مع عماله وحياته اليومية كما يتخللها بعض الاسئلة يوجهها العملاء الى معارفهم الجدد لمعرفة كل شيء عنهم....)

ومنذ ادخال الكمبيوتر والعقل الالكتروني في عمليات التذليل وللمحافظة على دليل مركزي يعطي احدث المعلومات فان ادارة المخابرات تطلب من الجميع تزويدها بالتفاصيل الاتية:

١ ـــ يطلب من الجميع سفارات ورؤساء فروع وعملاء مقيمين ومفتشي المخابرات توضيح النقاط الآتية لدى الاتفاق مع أي شخص جديد للتعامل معه:

أ ـــ وضعه الحاضر وعمله السابق.

ب ـــ امكانية بقائه في الخدمة (الجيش ـــ الطيران ـــ البحرية ـــ..... الخ وأين؟

جـ ـــ منذ متى في الخدمة وهل يحب عمله وينوي البقاء به.....؟

د ـــ علاقاته مع رؤسائه المباشرين ـــ الثقة ـــ الاهتمام...... الخ.

٢ ـــ تدقيق بعض النواحي عن حياته الخاصة:

أ ـ السن ـ الأقارب ـ الوضع العائلي.
ب ـ ثقافته وما هي المرحلة التي وصل اليها قبل الوظيفة؟
جـ ـ اختصاصه الرئيسي معلوماته الفنية الخاصة؟
د ـ آراؤه السياسية. الحزب الذي هو عضو فيه؟
هـ ـ آراؤه بالملكية اذا كانت البلاد التي ينتمي اليها ملكية ونفس الطلب بالنسبة لبقية الأنظمة؟
و ـ وضعه المالي ميله نحو تأمين الضمان المادي لعائلته مثلا (تأسيس مكتب تجاري) أو الحصول على سيارة اذا كان محروماً منها أو شراء منزل والتخلص من دفع الايجار.
وما هي الأمور التي تقف في وجهه.
ز ـ رأيه في الاتحاد السوفياتي وسياسته؟
جـ ـ أين يجد ازدهار بلده مثلا (في صداقته مع أميركا أم بريطانيا).
٣ ـ صفاته الشخصية الايجابية منها والسلبية:
أ ـ ميوله للمشروبات الروحية بادمان أم عادي (نورمال).
ب ـ ميله الى النساء كصديق أم أنه رجل عائلة؟
جـ ـ هل يهوى الأشياء الحسنة. أم أنه يفضل الانزواء والهدوء؟
د ـ هل تسيطر زوجته عليه وعلى أعماله بالتالي أم له الاستقلال التام في اتخاذ القرارات؟
هـ ـ محيطه الاجتماعي بصورة عامة.
و ـ وصف موجز لكل شخص يعرفه مهما كان شأنه.

هذه الأسئلة وضعها خبراء الدليل المركزي خصيصاً من أجل تجنيد العملاء وهي تظهر اهتمامهم الدقيق بالتفاصيل ونقاط الضعف في الشخص لاستغلالها اذا ما اقتضى الأمر وعندما تجمع هذه المعلومات ترسل الى الادارة العامة للمخابرات السوفياتية لتحفظ في الدليل المركزي وبالتالي يتم جمع مواد الدليل المركزي من جميع أنحاء العالم وأحيانا تطلب الادارة العامة معلومات اضافية للضرورة اليها فمثلا كلف فلاديمير بتروف مسؤول ـ المخابرات في السفارة السوفياتية في اوستراليا بتسجيل نقاط الضعف عند الأشخاص الذين يمكنهم الحصول على معلومات حكومية بالاضافة الى عقائدهم الدينية والعلاقات الخارجية وعن علاقاتهم الزوجية أم لديهم (شذوذ جنسي) وما هي تصرفاتهم تحت تأثير الكحول ومن المعروف أن

جميع الجواسيس والعملاء وغيرهم من أعضاء شبكات الجاسوسية السوفياتية في جميع أنحاء العالم المعروفين منهم وغير المعروفين قد جندوا للعمل في المخابرات السوفياتية لأن العملاء المقيمين وغيرهم قد تسلموا تفاصيل من الدليل المركزي عن هؤلاء وبعدها تلقوا الأوامر بالاتصال بهم وتجنيدهم في حلقاتهم الجاسوسية.

ومن العملاء الموظفين السوفيات الذي انحازوا للغرب أو ألقي القبض عليهم وصرحوا عن الدليل المركزي بأنه حقيقة ثابتة وأنهم قد زودوا المسؤولين بمعلومات كثيرة عنهم وعن أسرهم وأصدقائهم قبل التحاقهم بالعمل لصالح المخابرات السوفياتية ومنهم:

١) ــايغور غوزنكو ـــ كاتب الشيفرة في السفارة السوفياتية في أوتاوا.
٢) ــفلاديمير بتروف مسؤول المخابرات في السفارة السوفياتية في كانبرا.
٣) ــنيكولاي خوخلوف عميل خاص لدى المخابرات السوفياتية.
٤) ــالكسندر خازنا شايف من موظفي السفارة السوفياتية في روما.

وغيرهم من موظفي المخابرات السوفياتية في بلدان العالم الحر كما يسمونه والذين لجأوا للغرب وكشفوا النقاب عن تفاصيل عديدة عن الجاسوسية السوفياتية وخاصة الدليل المركزي وقد أكدوا أنهم أعطوا الدليل مستندات صحيحة عن حياتهم بصورة عامة.

ويمكن معرفة حجم استيعاب الدليل المركزي في موسكو وضخامته من عمل مائتين وخمسين موظفا كي يدخلوا المعلومات التي تصلهم تباعاً وان معظم الموظفين فيه من النساء المثقفات اللواتي يمكنهن التصرف بهذه المعلومات دون أن يستلزم ذلك مترجمين اضافيين.

أما طريقة وصول المعلومات المطلوبة للدليل المركزي فتتضح لنا عندما نعرف أنه بطبيعة الحال تصل معظم هذه المعلومات عن طريق الحزب الشيوعي ويقوم بهذه المهمات عادة رفاق مسافرون يوثق بهم من الكادر المستتر للمخابرات السوفياتية ولكن هذه المعلومات لا تصنف رأساً بالدليل المركزي قبل التدقيق بها مرتين حيث يقوم بهذا التدقيق عملاء ومخبرون عديدون حسب الطريق الآتية:

١ ـــ تعاد هذه المعلومات من موسكو الى عملاء آخرين للتأكد منها ومطابقتها.
٢ ـــ عندما تكون المعلومات قد أخذت باشراف السفارة فانها تعطي الى عملاء عديدين يجهل كل منهم هوية الآخر ويعمل باستقلال تام وعند مقارنة التقارير وبعد التثبت من أنها مطابقة للواقع أو أنها تحوي على تفاصيل مشابهة

على الأقل عند ذلك ترسل المعلومات الى الدليل المركزي. لحفظها وبذلك تصبح المخابرات السوفياتية بوضع يمكنها من ارسال التفاصيل عن ((اي انسان ينوون التعامل معه)) الى جميع سفاراتها وشبكاتها وهكذا يجد كل جاسوس سوفياتي جديد في جعبته عدة أسماء للاتصال بهم وطلب معاونتهم وبالطبع سيكونوا عند حسن الظن لأن اسمهم موجود في ((الدليل المركزي)).

* * *

المخابـــرات السوفياتيـــة

تجسس النساء

نجحت المرأة في أعمال التجسس مثلما نجح الرجل ولكن ليس كل النساء لهن قدرة على الانخراط في أعمال الجاسوسية بل يوجد هناك فئة من النساء أوتين قوة القلب والجرأة الأدبية اضافة للقناعة الداخلية في المرأة بقبولها العمل في التجسس.

جاسوسة روسية في لندن:

كل القصص التي أوردناها تثبت أن المخابرات هي علم قائم بذاته وعمل متواصل ومعنى ذلك أن المخابرات السوفياتية عندما تريد أن تزرع عميلا أو عميلة في أي بلد أوربي فانها تفعل ذلك والعكس صحيح فانه يوجد في موسكو العديد من العملاء الغربيين دخلوها بشتى الأعذار وعندما قدرت المخابرات السوفياتية أن المواطنة السوفياتية (تانياراديونسكا) وهي ابنة عقيد في الشرطة السرية (المباحث) السوفياتية ومن مواليد ١٩٢٤ أهلتها بيئتها لأن ترشح للعمل في المخابرات عندما بلغت الواحدة والعشرين أرسلت الى معهد التدريب على الجاسوسية ثم انتقلت الى مدرسة (غاكزينا) لتنهي تدريبها الأكاديمي على أعمال الجاسوسية العالمية حيث تم اختيارها للتدريب على الدخول الى بريطانيا والاقامة فيها فأعطيت اسم (آيلين وندسور) وبدأت دراستها تحت رقم ٣٩/٤٨٠٨٢٢.ج وحصلت على تدريب أكاديمي جيد يجعلها مثل النساء البريطانيات ثم منحت جواز سفر بريطاني باسمها الجديد وعليه تأشيرة دخول الى هونغ كونغ وقام الفرع الثالث بالمخابرات السوفياتية بتأمين ادخالها الى هونغ كونغ لتخرج منها (سيدة بريطانية) تحمل جواز السفر رقم ٣٥٢٨٧٤/ن الصادر عن السفارة البريطانية في طوكيو حيث حجزت محلا على طائرة الخطوط الجوية البريطانية المتوجهة الى لندن في ١٢ آيار ١٩٦٨ وبعد وصولها الى لندن انتقلت حسب التعليمات الى منطقة كاربيل واستأجرت غرفة مفروشة مع آخرين بعد أن ادعت أنها تبحث عن عمل وبعد أن مكثت تسعة أيام في كاربيل عادت الى لندن بعد أن تعودت على ظروف الحياة في المملكة المتحدة وفي لندن سكنت منطقة (كنفر كروس) مع آخرين أيضا مدعية انها تبحث عن عمل في متجر ورغم أنها تبدو وكأنها تفعل المستحيل لتحصل على وظيفة ملائمة كانت تعود كل يوم الى مسكنها قائلة انها تستطيع الحصول على عمل.

كان كل هذا مجرد استعداد لمشاريعها في المستقبل فقد أرسلت لها القيادة من موسكو أوامر بالبقاء في لندن دون القيام بأي نشاط تجسسي والتحضير للسفر الى كندا فادعت للجيران أنها فشلت في ايجاد وظيفة تلائمها في لندن لتبرر عزمها

على السفر الى كندا ففي مناسبات عديدة كانت تقول لصاحبة المنزل واللذين يشاركونها السكن أنها قد ضجرت من البقاء عاطلة عن العمل وأنها لا تستطيع انفاق جميع ما ادخرته وعندما أعربت عن عزمها على الهجرة الى كندا شجعها البعض على تحقيق ذلك بما فيهم صاحبة المنزل قائلين ان الحياة هناك أحسن مما هي في انكلترا.

ساعدها مكوثها بدون عمل في لندن من عدة نواح فخلال أشهر أقامتها في عاصمة الضباب كما يسمونها أصبحت أكثر (انكليزية) من أية فتاة مولودة في انكلترا وأنشأت صداقات مع فتيات يعملن في المخازن والمكاتب وكانت هذه الفتيات يشفقن عليها ويدعونها الى منازلهن لكن هذه الدعوات لم تتكرر من أي منهن لأن ايلين كانت مزعجة وأفسدت أكثر هذه الدعوات.

كانت كل تصرفاتها عبارة عن مجموعة تمثيليات تلعبها وتؤديها باتقان شديد يحسدها على هذه الموهبة كبار الممثلين.

وأثناء ذلك كانت تتخذ الخطوات اللازمة للسفر الى كندا فقد وصلها خطاب من الفرع الثالث في المخابرات السوفياتية يتضمن أسماء (أقارب) و(أصدقاء) كنديين فاحتفظت بها وتركت الأمور تأخذ مجراها الطبيعي طالما أن موسكو مصرة على عدم التسرع حتى لا تثير من حولها الشبهات حتى جاء اليوم الذي وصلتها فيه تعليمات السفر فتركت (مسقط رأسها الوهمي) وأبحرت الى كندا في آذار ١٩٥٩.

في مونتريال وبعد وصولها كمهاجرة لم تكن بحاجة لكي تتأقلم فكونها مهاجرة الى كندا يفترض فيها أن تكون غريبة عن الحياة الكندية فاستأجرت لنفسها غرفة مفروشة ومكثت ستة أسابيع تنتظر التعليمات عملت خلالها كبائعة في مخبز لتعطي الانطباع عن نفسها أنها مهاجرة عادية.

وصلتها الأوامر الجديدة بالانتقال من مونتريال الى أوتاوا وعندما علمت صاحبة المخبز بعزمها على السفر الى اوتاوا حاولت اقناعها بالبقاء في مخبزها وهي على استعداد لزيادة معاشها ولكنها ادعت أن عمتها في أوتاوا قد أصيبت بمرض مفاجيء وهي بحاجة اليها وهكذا سافرت الى أوتاوا وكعادتها استأجرت شقة مفروشة ولكن في أرقى أحياء أوتاوا مدعية أن عمتها قد توفيت وأورثتها مبلغا كبيرا من المال.

بدء العمل:

بعد استقرارها في أوتاو أخذت تتناول الطعام في مطعم مجاور لسكناها فتعرفت على شاب اكتشفت بعد أول كلمات تبادلتها معه أنه يحب الاجتماع مع الناس قدموا حديثاً من انكلترا فقررت أن تستغله فطلبت منه أن تستقبل رسائلها في عنوانه فلم يجد الشاب أي شيء غريب في طلبها فوافق فوراً ومنذ ذلك الوقت أخذت الرسائل تصلها من موسكو أو غيرها من عناوين المخابرات السوفياتية في صندوق البريد وذلك بعد أن حصلت على موافقتهم على هذه الخطوة.

أخذت ايلين تغدق الهدايا على الشاب بدون أن تطلب منه أي نشاط جاسوسي لأنها بعد مراقبته وجدت أنه لا يستطيع أن يأتي بأية معلومات سرية من مؤسسته وهي لا تستطيع أن تكلفه بمهام اتصال لأن ذلك عملاً انتحارياً لأنه ساذج للغاية ولا بد من أن يثير المخابرات الكندية اذا كلف بأية مهمة لذلك فضلت ابقائه ((كصندوق بريد)) فقط دون أن يعلم أنه أصبح حلقة الوصل بينها وبين رؤسائها في المخابرات السوفياتية.

اختارت ايلين أن تلعب دور امرأة في منتصف سني عمرها الثلاثين وخلال أربعة أشهر من اقامتها في أوتاوا استطاعت هذه السيدة الانكليزية الهادئة التي أحبها الجميع أن تصبح ((جاسوسة رئيسية)) أضيفت الى أعمالها الجاسوسية أعمال اجرامية سنأتي على ذكرها. أما ظاهرها فكان أنها سيدة كثيرة الاهتمام بالأعمال الخيرية وهي على استعداد دائماً لمساعدة أي محتاج.

تعرفت ايلين على مهندس الكتروني من أصل ألماني يعمل في مصنع لتجميع الطائرات في كندا وبعد عدة مقابلات كتبت الى رؤسائها عنه فاعتبروه صالحا للعمل معها كمخبر لاطلاعه الوثيق على انتاج وتطور المصنع الذي يعمل به ولما طلبت منه الحصول على بعض الأسرار عن عمله لقاء آلاف الدولارات الا أنه رفض طلبها وهددها باطلاع السلطات على نشاطها رغم تهديدها اياه بأن أقاربه الذين ما زالوا في ألمانيا الشرقية سوف (يعتني بهم) اذ هو رفض التعاون معها.

عند ذلك أظهرت له مزيداً من الود بعد أن قررت التخلص منه فقد دبرت عملية تخديره أثناء تناول الغداء معها ثم قامت بنقله الى خارج المدينة بمساعدة من العملاء السوفيات وهناك أوقفت سيارته ووضع بها ومسحت البصمات باتقان تام من على جميع الأشياء التي لمست وأطلقت عليه النار من مسدسه نفسه ومن مسافة

قريبة جدا من رقبته فظهرت الوفاة وكأنها (انتحار) كما جاء في صحف أوتاوا في اليوم التالي.

استمرت في عملها كجاسوسة وامرأة ناعمة تقيم علاقات اجتماعية وغرامية ومن جهة ثانية تكون كالدكتور (جيكل) قاتلة محترفة تقتل كل من يقف في طريقها أو يهددها.

فقد استطاعت أن تتعرف الى مهاجر سلافي يعمل في نفس مصنع الطائرات كرسام في مكتب تصاميم الطائرات ــ وما ان طلبت منه تزويدها بصور عن نماذج الطائرات التي يقرر المصنع انتاجها حتى هددها بأنه سيبلغ السلطات عنها وقد اختطف من قبل العملاء السوفيات ونقل الى منزل مهجور في ريف أوتاوا مستأجر لمزرعة دواجن (ولمثل هذه الحالات) وعندما توفرت أساليب اخراجه من كندا بواسطة الفرع الخاص في المخابرات السوفياتية جرى حقنه بالمخدر وجرى تهريبه بواسطة سفينة روسية وبأوراق تدل على مرضه.

لم يمضي العام الأول لوجود ايلين في أوتاوا حتى كانت ارتكبت العديد من أعمال القتل والخطف لكل من يشكل خطراً على الشبكة مما اضطر موسكو الى الطلب اليها بوقف نشاطها الارهابي لأن هذه الطريقة ستكشفها عاجلا أم آجلا وبالتالي ستفضح نشاطها ولكي تتأكد المخابرات السوفياتية أن ايلين أوقفت نشاطها ونفذت الأوامر المرسلة اليها أوكلت الى عميل آخر يقيم في أوتاوا بمراقبة أعمالها وارسال تقارير دورية عنها.

أطاعت ايلين الأوامر كما درّبت في معهد الجاسوسية وامتنعت عن القيام بأي نشاط رغم جهلها بأن العملاء السوفيات يراقبونها.

وبعد مضي وقت ليس بقصير عادت الى نشاطها في استعمال التهديد بالفضح لمن تحتفظ لهم بوسائل تدينهم واستعمال القوة مع من لا يرضخ لعملها من المخبرين والعملاء ولم تتدخل موسكو في هذا النشاط لأنها كانت ترسل تقارير ومعلومات بالشيفرة تفوق قيمتها أي تقارير أخرى يرسلها الجواسيس الآخرون المقيمون في أوتاوا فوافق رؤسائها على اعادة اطلاق يدها بالعمل خدمة للمصلحة العامة.

كل هذه الأعمال والنشاطات وايلين تعمل كبائعة في متجر للألبسة النسائية في أوتاوا ومع الأيام وجدت أن التزامها بهذا العمل لا يترك لها وقتا كافيا للانصراف الى نشاط الجاسوسية المتزايد باستمرار فتركت عملها وهي تدرك انها

بحاجة الى واجهة تخفي وراءها عملها التجسس الحقيقي فقررت أن تفتح متجراً بنفسها لتزاول فيه بيع الألبسة النسائية الذي تعلمته خلال عملها السابق.

وجدت ايلين متجرا بمساعدة أحد العملاء المقيمين في أوتاوا وبدأت العمل به ولكنها خلافا لأغلب الجواسيس الروس الآخرين لم تستعمل (متجرها) كمركز التقاء لعملائها فقد كانت تعمل على ملاقاتهم في الأماكن العامة.

وقوع الجاسوسة بالحب:

في عطلة ميلاد عام ١٩٥٩ ــ ١٩٦٠ وأثناء مكوثها في المتجر لصف وتجهيز الألبسة الحديثة دخل الى متجرها شاب وسيم باحثاً عن هدية لوالدته فقدتها أثناء شرائها بعض الألبسة من محلها فأعجب بايلين السيدة الناضجة المهذبة واستطاع أن يقنعها بالخروج معه وللمرة الأولى بعملها كجاسوسة يقبل قلبها أن تتخلى عن الانطباع الذي أعطته عن نفسها بأنها لا تخرج مع أحد رغم أنها كانت أذكى الجواسيس السوفيات وأكثرهم حزماً فقد وقعت بالحب وأقامت علاقة مع هذا الشاب استمرت حتى أواخر عام ١٩٦٠ حيث اكتشفت انه ضابط في الشرطة الكندية فأبلغت موسكو بالأمر لأن الضابط عرض عليها الزواج فتلقت الجواب بالاستمرار بصداقتها للضابط الشاب طالما لم يحاول معرفة عملها الحقيقي ومحاولة المعرفة منه عن المعلومات المتوفرة لدى البوليس الكندي عن الجاسوسية الروسية وذهب رؤساؤها الى أبعد من ذلك فقد اقترحوا عليها أن تقبل عرض الزواج اذا وجدت أن ذلك يناسبها.

استطاعت ايلين بأنوثتها وطرقها الخاصة أن تحصل من خطيبها الضابط على معلومات مفيدة عن الأوضاع العامة كما حدثها تلقائياً عن اللاجىء السياسي السوفياتي ايغور غوزنكو موظف الشيفرة (السابق) في السفارة السوفياتية القائمة في شارع شارلوت في أوتاوا الذي (فضل الحرية) كما يدعون وسلم نفسه للسلطات الكندية ويعتبر في هذه الحالة تلقائياً من أهداف أي جاسوس سوفياتي لمعاقبته بالتصفية وهذا العمل معروف عن المخابرات السوفياتية.

كيف هرب غوزنكو من السفارة السوفياتية:

كان ايغور غوزنكو من الأرمن السوفيات يعمل موظفاً على الشيفرة في

السفارة الروسية في أوتاوا وكان بينه وبين نفسه قد قرر الهرب الى الغرب لأسباب كامنة في نفسه وأخذت هذه الفكرة تراوده منذ مدة فأخذ يجري احتياطات كثيرة وبعيدة المدى لقطع علاقته نهائياً مع السوفيات من أجل ذلك اختار مجموعة كاملة من وثائق السفارة تثبت أن عشرات من الدبلوماسيين الروس في أوتاوا وغيرها من المدن الكندية الأخرى يقومون بنشاط هو أبعد ما يكون عن العمل الدبلوماسي مع أنه شخصياً كان قد تلقى تدريباً قصيراً ومفيداً في المخابرات السوفياتية قبل التحاقه بالعمل الدبلوماسي وكان عليه ان يثبت حسن نيته للكنديين للحصول على حق اللجوء السياسي لديهم فترك وثائق السفارة البالغة الأهمية في مكانها خشية تعرضها للتفتيش من قبل المسؤولين في السفارة وبينما هو يقوم بالتحضير للهرب وضع اشارة على كل وثيقة يحتاجها ليسهل عليه أخذها في اللحظة الأخيرة قبل هربه.

في ساعات الدوام الأولى من صباح ٥ تشرين الأول ١٩٥٤ قرر غوزنكو أن «ساعة الصفر» قد حانت فترك السفارة حاملاً معه الوثائق التي اختارها منذ مدة وفيها معلومات كافية لوضع اثني عشر جاسوساً ودبلوماسياً في السجن وتوجه الى مكاتب جريدة (نيوزكندا) وعرض ما يحمل على رئيس التحرير لكنه لم يقتنع بأن الوثائق التي يحملها حقيقية فتخلص منه بطريقة لبقة مدعياً أنه بحاجة الى التفكير بالأمر وعرض عليه أن يصورها ويترك لديه صورها ويعود اليه فيما بعد.

أدرك غوزنكو أن عليه أن يتصرف بسرعة قبل أن يشعر به موظفوا السفارة فيعيدوه وتكون النهاية فتوجه الى وزارة الداخلية وكان جوابهم مثل الجريدة وفي النهاية ساعدت السفارة السوفياتية غوزنكو من حيث لا تدري فقد علم ضابط أمن السفارة باختفاء موظف الشيفرة غوزنكو وقرر اتخاذ الخطوات اللازمة لاعادته فاصطحب عدداً من موظفي السفارة وتوجهوا الى منزل غوزنكو حيث كسروا الباب وقلبوا حوائج البيت رأساً على عقب أمام الجيران الذين اتصلوا بالشرطة عند ذلك تأكد المسؤولين بأن غوزنكو هارب حقيقي فاستقبلوه ومنحوه الحماية فوراً وعندما روى للمخابرات الكندية قصته وأثبتت صحة أقواله بتسليمه الوثائق الهامة تغيرت معاملته وصدقوه وفي اليوم التالي منح حق اللجوء السياسي في كندا أما السفارة السوفياتية فقد أرسلت تطلب استرداده بواسطة وزارة الخارجية الكندية مدعية أنه سيحاكم بتهم خطيرة نظراً لسرقته أموال السفارة وطبعا رفض هذا الطلب لأن السلطات الكندية تعرف أن هذه التهم ملفقة ضد غوزنكو.

عندما سمعت ايلين هذه القصة من خطيبها الضابط قالت له أنها تستغرب

كيف يصدقون الروس الفارين وانتقدت المخابرات الكندية لقلة يقظتها وقالت ذلك لتعرف من خطيبها أي شيء عن تعقب الجواسيس السوفيات وهل هي من المشكوك فيهم مثلا وكانت النتيجة أن خطيبها لا يعرف شيئا عن هذا الأمر وهو حذر جداً بجواباته لها.

من المفروض أن ايلين تكتب كل ذلك الى رؤسائها وتترك تقدير النتائج لهم وقد استمرت في عملها الى نهاية عام ١٩٦١، حيث تلقت أوامر من رؤسائها بمغادرة كندا وقد أرسل لها الفرع الثالث في المخابرات السوفياتية وهو كما ذكرنا فرع التزوير الرسمي رسائل (حقيقية) من انكلترا تقول هذه الرسائل أن عمها على فراش الموت ويطلب مجيئها فوراً.

وقد كانت قصتها مع الرسائل مقنعة جداً الى درجة أن خطيبها الضابط لم يشك بشيء بل شجعها على السفر بأسرع وقت.

غادرت أوتاوا ثم كندا كما دخلتها بعد أن قدمت للمخابرات السوفياتية الخدمات الجليلة في كندا ونحن نعرف أن (تانيا ماركوفنا راديونسكا) قد عادت الى موسكو لتستريح بعض الوقت ثم تزرع في بلد آخر وباسم جديد يمكن أن يكون بربارة أو بريجيت أو صوفيا أو حتى فتحية وهذه المخابرات.

* * *

المخابــــرات السوفياتيــــة

أخطاء الجواسيس عبرة لغيرهم..

جميع مخابرات العالم توصي جواسيسها وعملائها بالحرص من تصرفاتهم وعدم التباهي بأعمالهم حتى أمام أقرب الناس لهم وعدم الادمان على المشروبات الكحولية أثناء الاقامة في بلد غريب وأهم ما يدرب عليه هؤلاء هو عدم الظهور بمظهر الموسرين الذين تهبط عليهم الثروة فجأة فيتبدل حالهم وتتبدل سياراتهم وعند ذلك تكون الأعين الفضولية ترصدهم حيث توصلهم في النهاية للاعتقال من قبل المخابرات.

المخابرات السوفياتية تزرع أحد عملائها:

في عام ١٩٢٢ ولد فاسيللي فاسيلليفتش فتولت والدته تربيته نظراً لمقتل والده قبل ولادته بستة أشهر حتى كبر فانخرط في صفوف الكومسول (منظمات الشبيبة) وبعد تخرجه من المدرسة دخل كلية للعمال حيث كان يدرس الهندسة بالليل ويعمل بالنهار في ورشات البناء وفي كانون الأول ١٩٤٠ اعتبر صالحاً (للعمل في المخابرات) لأنه كان رفيقاً شيوعياً مخلصاً وذو اندفاع زائد في خدمة الحزب والحكومة السوفياتية فاختارته القيادة الحزبية ليلتحق بالمخابرات وأرسل الى (أكاديمية المخابرات) وبسبب الظروف التي فرضها هتلر على روسيا ابان الحرب العالمية الثانية اضطرت قيادة المخابرات الى وقف دراسة العديد من الجواسيس والحاقهم بالعمل حالا لتعقب الجواسيس النازيين ومنهم فاسيللي الذي جرى اختياره للنشاط الداخلي بالرغم من أنه لم يتجاوز العشرين من عمره ولم يحصل على التدريب الكافي ولكن الزعيم الروسي ستالين الذي يعرف تدرج فاسيللي واندفاعه أوحى بمنحه رتبة ضابط في أمن الدولة وكلف بمراقبة الأشخاص المشكوك بأنهم جواسيس نازيون أو أشخاص مخربين وكان مقر عمله في موسكو وتحت تصرف الكولونيل نيكيت مارتينوفتش ومساعداً للكابتن روديو نوفتش فأعجب الاثنين بضابط أمن الدولة الشاب النشيط وكانا يمتدحانه باستمرار.

وبعد شهر واحد من بدء عمله في أمن الدولة ثبت فاسيلي في رتبة الملازم

الثاني وبسبب حذره والنتائج الرائعة التي قدمها في تعقب الجواسيس والنازيين والقبض عليهم نقل الى أوكرانيا (ساحة القتال) حينئذ ومنها الى ليننغراد فمنطقة البحر الأسود وأخيراً نقل الى فلاديفوستوك مركز قيادة الشرق الأقصى وهنا كانت مهمته مراقبة البحارة والأجانب وقد اعتقل الكثيرين منهم كعملاء.

وفي عام ١٩٤٢ علمت المخابرات السوفياتية عن وجود اتجاهات غربية عند عدد كبير من ضباط وأنفار البحرية الحمراء فنقلت فاسيللي الى مركز قيادة البحرية الحمراء في بحر البطليق في ليننغراد حيث تمكن بصفته ضابطاً في المخابرات البحرية من القيام بتحريات أدت الى اعتقال عدد من العملاء والأجانب في قاعدة العمليات لبحر البطليق.

عندما هدأت الأحوال في نهاية عام ١٩٤٣ تذكرت المخابرات السوفياتية الرجال والنساء من منتسبيها الذين أعارتهم الى وزارة أمن الدولة فقررت من ضمن برامجها للعمل أيام السلم أن تستدعي هؤلاء لمواصلة تدريبهم حيث أعيد فاسيللي الى مدرسة المخابرات الأكاديمية حيث تخرج بدرجة (شرف).

عمل فاسيللي بعد تخرجه في الادارة الخارجية للمخابرات بموسكو مدة عشرة أشهر تحت إمرة الكولونيل برنغارد دمشنكو وسرعان ما حظي بثقة وتقدير رؤسائه لبعد نظره ولتفهمه التام لمجالات العمل المعقدة فأرسل الى معهد (غاكزينا) في كانون الأول عام ١٩٤٤ وهناك جرى تسجيله برقم (١٢٦٤/٤٤٢٨١٢٢/ج) وأعطي الاسم الذي سينتحله في عمله وهو (غوردون لونسديل) وهناك قابل الفتاة غالينا بتروفنا الموظفة في دائرة التموين ولم يطل بهم الوقت حتى تزوجا وهذه المرة الأولى التي تسمح فيها المخابرات السوفياتية بمثل هذا الزواج بين منتسبيها.

استمر فاسيللي بدراسته الأكاديمية للتجسس بينما أنجبت له غالينا ثلاثة أولاد فجرى نقلها الى موسكو لأسباب صحية، حيث عملت في دائرة التموين التابعة للقيادة العامة للمخابرات. وأعطيت شقة في احدى البنايات التابعة للمخابرات.

بعد أن تخرج فاسيللي الذي أصبح يحمل اسم (غوردون لونسديل) من غاكزينا استبقي فيها للتدريس باعتباره حصل على علامات جيدة جداً بعد أن منح شهادة ولقب (جاسوس).

في عام ١٩٥٤ اختارت له المخابرات أن يتمم عمله وهو السفر للحصول

على وثائق باسمه من كندا وأن يكيّف نفسه هناك على اسلوب الحياة الكندية ولكنه علم أنه سوف يرسل في النهاية للزرع في انكلترا وقد رتبت المخابرات دخوله الى كندا بأن أنزلته سفينة تجارية روسية لنقل الحبوب بالقرب من الشاطىء الكندي فاتجه بما يحمله من الوسائل الخاصة والعملة من الدولار الكندي الى مدينة فانكوفر وأقام فيها أربعة أشهر لم يقم بأي نشاط تجسسي بل اكتفى بأن يتكيّف مع محيط الرجل الذي يحمل هويته....

من هو صاحب الاسم الذي حمله الجاسوس فاسيللي:

ولد صاحب الاسم الذي حمله فاسيللي وهو: غوردون لونسديل بتاريخ ٢٧ آب عام ١٩٢٤ في كندا من آب كندي بالجنسية من أصل هندي يدعى عمانوئيل لونسديل وأم فنلندية مهاجرة تدعى آلفابوسو وبعد سنتين من ولادته افترق والده عن والدته فبقي مع والدته التي عادت به الى فنلندا وبعد ثماني سنوات ١٩٣٤ اختفت آثارها وابتلعتها الحرب الروسية الفنلندية وانقطعت أخبارها بعد ما ضمت روسيا ذلك القسم من فنلندا ولكن المخابرات السوفياتية احتفظت بأوراق غوردون لونسديل الى أن أعطتها الى فاسيللي لدى دراسته التجسس الخارجي في غاكزينا.

وبالحساب العادي يتضح أن صاحب الاسم يجب أن يكون قد بلغ من العمر في عام ١٩٥٤ ثلاثون عاما باعتباره من مواليد ١٩٢٤ وهذا العمر التقريبي لفاسيللي لأن المخابرات تحسب لكل شيء حسابه فبعد أن أمضى أربعة أشهر كانت كافية لتأقلمه صدرت اليه الأوامر بالانتقال الى انكلترا وأرسلت له أسماء عملاء تابعين للمخابرات الروسية في انكلترا والذين سيتعاون معهم ومن هؤلاء موريس ولوناكوهين اللذين يحملان أسماء بيتروهيلين كدوغر قام فاسيللي والذي أصبح لونسديل بشراء تذكرة سفر وأبحر على ظهر الباخرة (أميركا) وعندما وصل الى لندن كان عليه أن يتقيد بالقاعدة للجواسيس وهي ايجاد تغطية مقنعة كادعائه أنه رجل أعمال أو ما شابه ذلك وكانت مهمته تتلخص في الحصول على المعلومات عن الأسرار البحرية البريطانية وبسبب خبرته السابقة كضابط اعتبر نفسه مؤهلا للعمل بشكل فردي دون حاجة للتقيد الحرفي بقوانين الجاسوسية أو حتى قوانين معهد المخابرات في غاكزينا التي توصي كل الجواسيس بالحذر الشديد وبعد النظر مهما أوتوا من ذكاء وخبرة.

تخلى لونسديل عن الحرص واختلط بأشخاص مشبوهين ويتعاطون الأعمال

المشبوهة وكان مدعياً ومكابراً يستأثر باستماع الناس الى كلامه الكثير عن رحلاته الى أوربا وكان مقامراً يحشو محفظته بأموال المخابرات ويجالس النساء الجميلات في النوادي في وستْ أندو وقد تورط ذات مرة في شراكة مع أحد الأشخاص كان نتيجتها أن تعقبه رجال المباحث التابعين لاحدى شركات التسليف لتحصيل مبلغ ألف جنيه منه.

كان من نتيجة تهوره وأخطائه التي لا يحق له أن يرتكبها كجاسوس معرض لخطر الاعتقال أن لاحظ هذه الأخطاء ضابط التفتيش التابع للمخابرات الروسية والذي يراقب نشاط الجواسيس المقيمين في بريطانيا فكتب بحقه الى قيادة المخابرات في موسكو وكانت النتيجة أن استدعي لونسديل لمقابلة مدير الشبكات الجاسوسية السوفياتية في أوربا فغادر لندن وكان لم يمض على وصوله الشهر الأول.

أثناء مقابلته للعقيد يوري فيغاتوفتش وبخه على انحرافه عن تدريب معهد المخابرات وهدده في حال عدم تمسكه بحرفية العمل التجسسي في المستقبل فانه سوف يعاد الى موسكو ليقدم الى مجالس التحقيق والتأديب وطلب منه ايجاد مبرر لسفرة الى أوربا بالقيام بجولة سياحية لمدة (شهر) ولم يعلمه أنهم سيضعونه تحت المراقبة والتأكد أنه قد فهم الانذار.

لم يقم خلال هذه الجولة بأي عمل يستدعي الشك وفي نهاية العطلة عاد الى مقر عمله في لندن وليس الى موسكو.

في لندن عاد الى العمل فاتصل بكروغر الذي قرر جعله العضو الأول في شبكته وراح يبحث عن بقية الأسماء التي زودوه بها ويتحرى المعلومات عنهم وقد أثر به التوبيخ فاتخذ لنفسه غطاء رجل أعمال جاد ورغم ذلك لم ينقطع عن ارتياد النوادي وأمكنة اللهو الأخرى ولكنه لم يتصرف بشكل يلفت الأنظار اليه وكان العمل الثاني له هو الاتصال بالكولونيل الانكليزي هاري هوتون.

كيف تمكنت المخابرات السوفياتية من تطبيع الكولونيل هوتون:

الكولونيل هاري هوتون من سلاح البحرية الملكية البريطانية كان يفاخر أقرانه الضباط بأنه كان زميلا للأمير فيليب أيام الحرب وقد سرح بعد خدمة ثلاثين سنة في البحرية وبعد ست سنوات من احالته للتقاعد تذكره المسؤولون فألحق

بالسلك الخارجي وعين في السفارة البريطانية في وارسو معاوناً للملحق البحري.

أثناء عمله في السفارة البريطانية كدبلوماسي لعب في النار كثيراً فكان يتعاطى شرب الويسكي بشراهة ويقوم بصفقات في السوق السوداء ومنها أنه كان يبيع الويسكي السكوتلاندي الذي تستورده السفارة وكان يبيع الدولارات ويجلب في الحقيبة الدبلوماسية أي شيء يطلب منه لقاء أجر وبصراحة فانه استغل وضعه كدبلوماسي معفى من التفتيش أبشع استغلال وكانت المخابرات البولونية كأي مخابرات في العالم قد علمت عن أعماله نتيجة مراقبته السرية فجرى اعتقاله (سراً) وبعيداً عن السفارة وكان هذا الاعتقال مهيئاً له سلفاً لوضعه تحت الأمر الواقع حيث وضعت أمامه جميع الجرائم التي ارتكبها من تهريب الى بيع عملة أجنبية بشكل يتعارض مع أنظمة البلد حتى ادخال الويسكي ومع ذلك قال له ضابط المخابرات الذي حقق معه.

نحن على استعداد للتغاضي عن جميع أخطائك اذا قبلت التعاون معنا وفوق ذلك ستكافأ بسخاء ويبقى الأمر بيننا والا.......؟ فأنت تعرف في حال الرفض ما يترتب عليك من العقاب عدا عن التشهير والطرد من البلاد..... الخ.

من المعروف عملياً أن الانسان الذي ينساق وراء شهواته أو وراء أخطاء معينة أو شذوذ يكون لديه استعداد فطري بقبول أي طلب يطلب منه لقاء المال لكي يستمر في أخطائه وهكذا حصل مع الكولونيل هوتون، حيث قبل عرض المخابرات البولونية بدون تردد وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة عندما سلمه الضابط مبلغ /٢٠٠ جنيه استرليني/ كدلالة على حسن النية ووقع حالا على ايصال قدم له (بدون أن ينظر ما كتب به) وهذا منتهى الغباء رجل دبلوماسي ومن القوات المسلحة ويوقع ايصالا للمخابرات بدون أن يقرأه....؟

ما كتب في الايصال (الاعتراف):

أنا الموقع أدناه الكولونيل هاري هوتون الملحق البحري المساعد في السفارة البريطانية لدى بولونيا.

أصرح وأنا بكامل قواي العقلية والمعنوية وبدون أي ضغط أو اكراه انني قبضت من المخابرات البولونية ــ أمن الدولة ــ مبلغ (مائتي جنيه استرليني) وذلك لقاء معلومات سرية عن البحرية الملكية البريطانية التي أنتمي اليها وعلى ذلك أوقع.

المستلم

هاري هوتون

خرج هوتون من مكتب المخابرات البولونية وهو غير مصدق ما جرى معه وعوضا عن اعلام السفير بذلك....... تابع تعامله مع المخابرات البولونية والسفارة لا تدري من أمره شيئا سوى علمها أنه مدمن على الشراب وصفقاته في السوق السوداء فقررت اعادته الى الوطن بالطرق الدبلوماسية وفعلا أعيد الى انكلترا ووظف في (مؤسسة الأسلحة البحرية) في بورتلاند وأيضا تابع تعامله من بلده مع المخابرات البولونية بحيث تعتبر أي مخابرات في الدول الاشتراكية مشتركة فعلياً مع جميع مخابرات الكتلة الشيوعية بتبادل المعلومات والتعامل مع الأشخاص وقد هرب في هذه الأثناء جاسوسين هامين من انكلترا الى الاتحاد السوفياتي وهما برجس وماكلين مما استدعي أن تقوّم المخابرات البريطانية أعمالها وبالتالي التحقيق في الحالات المشابهة للهاربين فجرى تحقيق مع هوتون قررت المخابرات أن ينقل من أي وظيفة ذات معلومات سرية فنقل الى عمل بالمرفأ لا علاقة له بالسرية مطلقاً.

هذا الشرح يكفي للقارىء عن كيفية تطبيع الكولونيل البحري البريطاني للعمل مع المخابرات الشرقية (مخابرات بولونيا) واذا عدنا الى الجاسوس لونسديل الذي زوّد باسم الكولونيل من قبل المخابرات السوفياتية فقد توجه اليه ولم يكن بحاجة الى الضغط عليه فقد رضي هوتون بالتعاون معه حالا وعقله الباطن يقول (جاء الفرج) لأن دخله من عمله وتقاعده يبلغ (٧٠٠) جنيه سنوياً كان يقبضهم من عملية واحدة أيام تعامله مع المخابرات الشرقية وكونه ليس له علاقة مباشرة بالمعلومات السرية التي طلبها لونسديل اضطر للبحث عن (مساعد) فاختار (أثل جي) وهي سيدة عانس في منتصف العمر فقدم لها العطف والحنان اللذين تتشوق اليهما مع الوعد لها بالزواج.

كانت أثل جي تعمل في مؤسسة الأسلحة البحرية منذ سبع سنوات ويؤهلها عملها للوصول الى المعلومات السرية المطلوبة فتورطت معه وقدمت له المعلومات التي طلبها وكانت معلومات على غاية من الأهمية والسرية حيث نقلها بدوره الى لونسديل لقاء مبالغ جيدة وايصالات صالحة للادانة في أي لحظة ومع ذلك فقد قرر لونسديل عدم الاعتماد كلياً على هوتون لتزويده بالمعلومات فاتصل بباقي الأسماء المزوّد بها من المخابرات ليرى من هو صالح منهم لتشغيلهم لحسابه وبالتالي زيادة انتاجه ليقنع مدير شبكات أوربا ورؤسائه في موسكو بأنه أصبح جاسوساً من الدرجة الأولى وكان من بين الأشخاص الذين اتصل بهم مساعدان قطع اتصاله بهما بعد توظيفهما حتى يتفادى الاجتماعات الكثيرة مع الجواسيس المساعدين ولكنه

استمر بالاتصال بهما بواسطة ضباط الارتباط.

استمر عمل لونسديل (ستة سنوات) وكانت التغطية لعمله قريبة من الكمال وكان رضاء رؤسائه عن أعماله كاملا فقد سكن في شقة مستقلة مكونة من غرفة واحدة في بناية حديثة قرب ((ريجنت بارك)) ولم يفتح مكتباً فخماً لأعماله في أي من البنايات الفخمة في المدينة وكان يستعمل جهاز اللاسلكي المرسل والفعال من منزل عائلة كروغر في ضاحية رويسليب في مدلكس.

ولكي يجد مكاناً أميناً وهادئاً يجتمع فيه بالمخبرين والعملاء دون اثارة الشكوك افتتح مكتبة لبيع الكتب (في سراند) سلم ادارتها الى الملازم الأول بيتركروغر ورغم أن كروغر كان يعمل بكل جهد ويعلن في الصحف المحلية عن المكتبة فقد فشل في انجاح هذا العمل وقد لاحظ لونسديل وهو الممول للمشروع أن الأشخاص الوحيدين الذين يرتادون المكتبة هم من عملائه فقرر اغلاقها ونقل عمله الى منزل في رويسليب اشتراه بمبلغ (٥٠٠٠) جنيه من أموال المخابرات الروسية وبعد مدة وجيزة أصبح هذا المنزل الريفي مكاناً ممتازاً لتشغيل اللاسلكي ولإرسال البرقيات بالشيفرة ولتصوير الأفلام السرية وتحميضها وطبعها لكنه لم يكن يصلح كمركز يلتقي فيه بالمخبرين الآخرين لأن تردد الزائرين بكثرة الى منزل واحد في تلك المنطقة سوف يؤدي الى اثارة شكوك الجيران الفضوليين فعمد لونسديل الى خطة أخرى وهي استعمال المقاهي الصغيرة في اكسفورد للالتقاء بمعاونيه وبعد مدة أخذ يتصل بهم في دور السينما والمطاعم ولكنه انقطع فجأة عن مقابلة معاونيه لأسباب تتعلق بالسلامة وحباً في استنباط طرق جديدة للأعمال الجاسوسية فقام بتدريب جميع أعضاء شبكته بوضع معلوماتهم في أمكنة معينة من زاوية المدينة واستلام اجورهم بنفس الطريقة ما عدا الكولونيل هوتون وخطيبته أثل حيث استمر بالاجتماع بهما في أماكن عامة تحدد بموعد سابق.

منذ أن سكنت عائلة كروغر في المنزل الريفي الذي اشتراه لونسديل من أموال المخابرات تحول هذا المنزل الى وكر للنشاط التجسسي ورغم أن جيرانهم كانوا لا يعلمون بما يجري في منطقتهم الهادئة لأنهم لم يلاحظوا الأعداد التي لا تحصى من الرسائل المكتوبة بالشيفرة ترسل وتستلم باستمرار من هناك وأن الوثائق والخرائط البالغة السرية فتصور على أفلام خاصة وتخبأ بمهارة في مكتب يعيد كروغر تجليدها ويرسلها ((من ضمن عمله)) الى أوربا بواسطة البريد ولم يدر الجيران أيضا أنه في حال الحاجة الماسة الى اتصال سريع ترسل البرقيات اللاسلكية

بالشيفرة الى موسكو وتستقبل منها وأن المنزل الذي في شارعهم يحتوي بالاضافة الى جميع الأدوات اللازمة للجاسوسية الحديثة على مبالغ ضخمة من العملات الضرورية لعمل الشبكة.

وكانت هيلين كروغر تساعد زوجها على لعب الأدوار بمهارة فقد عرف الجيران عنها أنها امرأة كريمة تُحب الأطفال وتقيم لهم الحفلات ويناديها الجيران باسمها الأول، وقد نجح مجهودها في اقناع الجيران بأن منزلها هو مجرد منزل ريفي بسيط لعائلة مضيافة كما اعتاد الجيران أن يشاهدوا لونسديل يتردد باستمرار في سيارة (ستوديباكر).

اكتشاف الشبكة نتيجة الأخطاء:

أهمل العقيد المتقاعد هذنون أبسط واجبات الحرص في عمله التجسسي وقد وثق من نفسه أكثر من اللازم ونسي أن مدينة بورتلاند مدينة واعية لقضايا الأمن وأن أهلها لهم حاسة سادسة يلاحظوا بوادر الثراء السريع عند أحدهم ولم يعلم هوتون أن الناس من حوله كانوا يتساءلون كيف يمكن لموظف راتبه السنوي لا يتجاوز (٧٠٠ جنيه استرليني) أن يجهز منزله بأفخم الأثاث بما ذلك بار مملوء من أنواع الشراب المتعددة ولم يصدق الجيران أعينهم عندما اشترى هوتون سيارة جديدة لأنهم كانوا يحسدونه حتى على سيارته القديمة وبذلك يمكننا القول أن المخابرات أو منظمة أمن الدولة لم يكن لهما أي فضل في اكتشاف الشبكة وإنهما لم يفلحا في مصادرة رسالة سرية من مئات الرسائل ولم يفلحا في التقاط موجة سرية لاسلكية أرسلت الى موسكو بل ان اكتشاف شبكة لونسديل حدث صدفة وبسبب اهمال العقيد هوتون وتخطيه التعليمات والعرف الجاسوسي فقد تقدم أحد جيران هوتون الى الشرطة وأخبرها بشكوكه (كان زميله في العمل) حول هوتون بأنه يقوم بأي عمل مضر بالمصلحة العامة نظراً للثراء الفاحش الذي ظهر عليه وبنفس الوقت كان أحد رجال الأمن في المرفأ يشعر بنفس شعور الجار فقدم تقريراً الى رؤسائه ففتحت الشرطة تحقيقاً أوليا بما تجمع لديها من معلومات ثم قامت بتسليم ملف التحقيق الى المخابرات بعد أن اتفق الجميع على عدم اظهار أي شيء يشعر هوتون بما يجري حوله من التحقيق.

بدأت المخابرات بتعقب أثر هوتون وخطيته أثل خطوة بخطوة وتنكر رجال

المخابرات بأشكال مختلفة وهم يراقبون ويجمعون المعلومات عنه وعن خطيبته لمدة تزيد عن ستة أشهر فكانوا يسافرون معهما في رحلات القطار ووضعوا تلفونهم تحت المراقبة وأخذوا يفتحون رسائلهما ويصورون ما بهـا ثم يعيدونها مثلما كانت ويرسلونها لهما كأن شيئا لم يكن وبعد أن تأكدت المخابرات من قيام هوتون وخطيبته بالتجسس قررت اعتقالهما وتم ذلك حسب الطرق القانونية وبعد الاعتقال اعترف هومرن بما أقدم عليه من أعمال التجسس سابقاً ولاحقاً وقاد هوتون المخابرات الى غوردون لونسديل الذي قادهم الى عائلة كروغر حيث صادروا من منزلهم جميع أدوات التجسس وآلاف الدولارات والعملات الضرورية وباعتقال الجميع تكون الشبكة قد حطمت بكاملها (ما عدا بعض العملاء) الذين ليس لهم أي اسم أو مشاركة أو دليل لدى لونسديل هؤلاء يبقون خارج الاعتقالات لحرص المخابرات السوفياتية عليهم ولحاجتها اليهم لمعاونة الشبكات اللاحقة التي لا تكل المخابرات السوفياتية عن انشائها لاستكمال عملها التجسسي في كل زمان ومكان.

رد الفعل لدى المخابرات السوفياتية:

بعد تقديم أعضاء الشبكة للمحاكمة والحكم عليهم بما يتناسب مع ما اقترفوه من جرائم التجسس أسقط في يد المخابرات السوفياتية التي استخلصت من أسباب اكتشاف هذه الشبكة ما يلي:

١ ــ كانت موسكو تعتبر أن هوية (لونسديل) كاملة لا يتطرق اليها الشك وأن عودة لونسديل لمسقط رأسه كما شرحنا ونجاحه في تقمص الشخصية (لونسديل) مع أنه سوفياتي لدليل على أن عمل الفرع الثالث في المخابرات السوفياتية جيداً لأن اكتشاف الشبكة لم يكن نتيجة شخصية لونسديل.

٢ ــ اعتبرت المخابرات السوفياتية أن اكتشاف شبكة لونسديل هو ضربة موجعة لها لأن دولة غربية قد تمكنت لأول مرة من أن تثبت أن المخابرات السوفياتية تستخدم أوراق هويات وجوازات سفر مزورة لجواسيسها في البلاد الأجنبية.

٣ ـ كانت المخابرات السوفياتية تعتبر لونسديل (فاسيللي) رجلا مشؤوماً وهي لا تغفر له رسالته بالشيفرة الى زوجته في موسكو (أثناء مراقبة المخابرات البريطانية له) هذه الرسالة التي ساعدت المخابرات البريطانية على التأكيد أنه من أصل روسي وليس من أصل كندي.

٤ ـ تأكدت المخابرات السوفياتية من احتفاظ فاسيللي لأسباب عاطفية بصورة لأطفاله ويعتبر الاحتفاظ بمثل هذه الصورة التي ساعدت المخابرات البريطانية في التحقيق ((خرقا خطيرا للأوامر الصارمة)) ايضا.

٥ ـ ناحية واحدة فاتت المخابرات السوفياتية وهي وجود علامة مميزة على جسم الطفل لونسديل عند ولادته التي تذكرها الطبيب المولد ولم تكن هذه العلامة موجودة على لونسديل الجاسوس لدى اعتقاله وهكذا نجد أن المخابرات البريطانية تفكر بكل شيء لدى التحقيق للاثبات ولا تكفي الشبهة أو التهمة أو الأخبارية المبهمة للايقاع بأي انسان كما أن المخابرات السوفياتية أصرت أنه لولا أخطاء هوتون لما فكرت المخابرات البريطانية بالتحقيق في أصل رجل لا شكوك على هويته.

٦ ـ أوعزت المخابرات السوفياتية الى عملائها الباقين في بريطانيا لمعرفة ما اذا كان لونسديل /فاسيللي/ قد تعاون مع المخابرات البريطانية حين التحقيق معه لأن على ذلك يتوقف ما اذا كانت المخابرات السوفياتية ستقرر اعادة استعمال مساعديه المبعثرين أو اهمالهم الى الأبد حتى لا يكشفوا غيرهم في المستقبل.

وهكذا ختم التحقيق وسيق أعضاء شبكة لونسديل الى السجون البريطانية لقضاء المدة التي حكموا بها بينما تحضر المخابرات السوفياتية جواسيس آخرون ليواصلوا العمل الذي بدأه لونسديل/فاسيللي وشبكته ومن المحتمل أن يكون غيره قد هيأ فعلا للسفر الى بريطانيا....... وهذه المخابرات.

• • •

المخابـــرات الاسرائيليــة



رؤوساء مخابرات اسرائيل.

أحدث المعلومات عن المخابرات الاسرائيلية ماضيها وحاضرها

المخابرات الاسرائيلية والجاسوسية الصهيونية ككل كالجرح المتقيح كثيرا ما ينزف صديدا فهي أكثر المخابرات في العالم غناً بالفضائح والفشل وفي كل يوم يمر تتكشف لنا أمور وفضائح عن الجاسوسية الصهيونية كان لا بد من اطلاع القارىء عليها وعندما أرادت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ايهام العالم بالكيان الذي لا يقهر وبالانسان اليهودي المتفوق كانت أجهزة المخابرات الاسرائيلية تحاول اجتراح المعجزات فلا تنتهي إلا الى كبوات وعندما يتعمق الدارسين في البحث يجدون الخداع الذي ساد عن مدى كفاية الجاسوسية الصهيونية التي كثيرا ما تلجأ الى حماقة العنف للوصول الى أهدافها وقد شهد بهم خبير في المخابرات الغربية قائلا: لم يترك الجواسيس الصهاينة اسلوبا عقيماً الا واستعملوه وكأني بهم انفعاليون حمقى أكثر منهم استخباريين محترفين فماذا ترك العملاء الاسرائيلين للمجرمين العاديين......؟

تنفيذ تهديد رؤساء بلديات الضفة الغربية المحتلة:

عندما أطلق رافائيل إيتان تهديده بقطع أرجل رؤساء البلديات والمخاتير الذين يناوؤن الاحتلال الاسرائيلي بل ويتحدونه بالتصريحات الوطنية كان هذا التهديد مبني على موافقة (معلمه) بيغن مسبقاً وقد جرى تنفيذ هذا التهديد بغباء وكأن البشر ينسون التصريحات والتهديدات فأصيب اثنان هما السيد بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس والسيد كريم خلف. رئيس بلدية رام الله بحوادث تفجير سياراتيهما بعد أن جرى وضع عبوات ناسفة في محركات السيارات من قبل عملاء المخابرات الاسرائيلية وهذه العبوات تنفجر عندما يشعل صاحب السيارة محرك السيارة والأدهى من ذلك أن مفعول هذه المتفجرات قد جرى تعديله أو تخفيفه بحيث يكفي الانفجار الذي يحدث نتيجته باصابة الأرجل فقط مما يستدعي. بالتالي بعد الاسعاف (قطعها) كما هدد إيتان بينما نجا السيد ابراهيم الطويل رئيس بلدية

البيرة وعندما شاع خبر هذا الاعتداء البشع ودعي السيدين بسام الشكعة وكريم خلف من قبل بعض رؤساء الجمهورية في أوربا للتداوي وكان الرئيس الفرنسي السابق فاليري جيسكار ديستان أول المتأثرين بالحادث وكانت دعوته الانسانية للسيد بسام الشكعة للتداوي في فرنسا خير دليل على بشاعة الجريمة وبذلك خسرت اسرائيل كثيراً من العطف والتأييد الغربي عندما خرجت الصحف الأوربية تحمل صور الشكعة وخلف وقد بترت أرجلهما.

من هو رئيس المخابرات الاسرائيلية المسؤول عن الحادث: (الشبح المجهول):

جرت العادة في اسرائيل على ابقاء اسم رئيس المخابرات مجهولا عكس رئيس مخابرات الجيش الاسرائيلي الذي يعرف فور تعيينه في هذا المركز ومع أن هذا الاخفاء لا يدوم طويلا مثلما جرى مع رؤساء المخابرات السابقين من عهد بن غوريون حتى غولدامائير وبيغن وتعتقد الدولة ان اخفاء اسم رئيس المخابرات وابقائه طي الكتمان أصلح لأمور السرية في المخابرات فهو الشبح الذي يحرك جيوش الظلام ويزهق الأرواح ويقطع الأرجل ويقتنص الأسرار ولكن الشبح الاسرائيلي المجهول سرعان ما يصبح معلوما وكان السبيل الى كشف هويته هو محاولة تجهيله المعتمدة فالمراقبون يعمدون الى كشف من يشغل منصب الشبح بعد التدقيق في أسماء الشخصيات المعروفة التي يختفي أحدها فجأة من الصحف وغيرها من وسائل الاعلام ومن الحياة الاجتماعية العريضة وهكذا كشفت مجلة نيوأولينز الأميركية المعروفة بقوة مصادرها الاسرائيلية عن اسم رئيس المخابرات الاسرائيلية المسؤول عن تفجير السيارات برؤساء البلديات وهو ابراهام أهيتوف وذلك عندما أعلن عن استقالته أو طرده من منصبه بسبب مهاجمة زبانيته لرؤساء البلديات في الضفة الغربية وبدأت الأخبار تهتك بعض الحجب وتبين أن الجاسوسية في اسرائيل قد غدت هاجساً رسمياً وهواية حكومية على كل صعيد وكأن طبائع أهل الحكم وميلهم الى التآمر قد حبب اليهم منافسة أجهزة المخابرات التي ما برحت تأتمر بأمرهم.

وهكذا انفجر التساؤل من الذي دبر ونفذ محاولة اغتيال رؤساء البلديات وهذا السؤآل ليس بذي صبغة انسانية على كل حال ولكن القضية على ما يبدو تدور حول التنافس بين جهازين هائلين عمن يكن منها اكثر جدارة بالقتل والغدر

وحبك المؤآمرات ولأن المخابرات حاولت اماطة اللثام عن دور رئيس الوزراء الاسرائيلي (بيغن) المتعود على الأعمال الاجرامية منذ مجازر (دير ياسين) المعروفة هذا الدور التجسسي الاجرامي بموافقته بل واعطائه الضوء الأخضر لعملية ارهاب واغتيال رؤساء البلديات وعندما انتقلت العملية الفضيحة للرأي العام الاسرائيلي والدولي بات لزاماً على واحد من الاثنين أن ينسحب أمام الآخر ولأن رئيس الوزراء مركز ثقل كبير في الدولة الصهيونية كان الخيار الوحيد لرئيس المخابرات أن يتنحى وأن يخرج وان كان في حقيقة الأمر قد كسرت شوكته وطرد طرداً حسب أدق المعلومات المتوفرة وبعد خروجه بقي الجرح ينزف صديد الفضائح فالرئيس المنكوب المغلوب على أمره كان يحاول أن يكشف سراً مكشوفاً بأن يهتك أسرار مكتب المخابرات الملحق برئاسة مجلس الوزراء وأن يفند دور رئيس الوزراء شخصياً في عمليات الغدر الأحمق ضد رؤساء البلديات الفلسطينيين.

المعارضة الاسرائيلية تدلي بدلوها:

قدم النائب الاسرائيلي المعارض شمويل توليدانو استجواباً في الكنيست الاسرائيلي (البرلمان) يتضمن أن الشائعات ملأت تل أبيب ومفادها أن رئيس الوزراء عزل رئيس المخابرات لأنه أصر على (الصدق والدقة والاستمرار) في التحقيق في محاولة قتل رؤساء البلديات بتفجير سياراتهم المنوه عنه في ٢ حزيران ١٩٨٠ وقد تحدى توليدانو الحكومة أن تنفي هذه الشائعات ولكنه طلبه ذهب كصرخة في واد لأنه كان يسعى لاحراج الحكومة ووضع رئيسها بيغن على المحك ويبدو أن المعارضة الاسرائيلية قد نجحت في استمالة رئيس المخابرات الذي أصر على نزاهة التحقيق في حوادث التفجير ففجر له (بيغن) كرسيه من تحته وأطاح به... فالتحقيق لم يكن لاظهار حق والنزاهة لم تكن ذات دوافع انسانية متجردة وانما كانت هذه كلها أساليب سياسية تقمص فيها الشيطان دور الملاك بينما تنكر الجلاد في مسوح كاهن عطوف كما قيل أن ثمة علاقة بين حوادث التفجير وجماعة (غوش ايمونيم) الدينية المتطرفة خاصة وان أعضاء هذه الجماعة يقطنون في مستعمرة بيت ايل بالقرب من رام الله كما تضاربت التقارير حول الاقالة والاستقالة والدوافع الحزبية والأهداف الشخصية وفي النهاية سقط رئيس المخابرات الشبح ليحل محله شبح جديد مجهول الأمر الذي لن يدوم طويلا لأن المراقبين يعرفون من هو كما ذكرنا بمعرفة الشخصية التي تنزوي اجتماعياً واعلامياً اكثر من سواها تكون (هي الشبح

الجديد) وأي كان الشبح فهو واحد من الجزارين الذين يؤلفون مجموعة تهيمن على الأسرار والتجسس داخل الكيان الصهيوني وخارجه وهيكل تلك المجموعة لا يقل اثارة عن عثراتها في تاريخها الحافل منذ أن قامت اسرائيل مكان الدولة العربية (فلسطين).

استعمال الصهيونية للتجسس قديما:

استعمل اليهود منذ القدم طرقاً ملتوية في أساليب الربا والصرافة والمال هي ذاتها التي اكسبتهم ولعهم بالانكماش والتقوقع من أجل البقاء والاستمرار وهي ذات الأسباب التي غلفت مجتمع الغيتو داخل أطر الغموض والانعزال والسرية التي من أجلها كان حرصهم على جمع المعلومات ونشر الشائعات وخلق البلبلة بأساليب جهنمية لا يعرفها أهل المجتمعات السوية الراسخة التي عرفت الطمأنينة والاستمرار على مر الأزمان ومن هنا يتفق خبراء الدراسات الصهيونية على أن المؤتمر الأول للحركة الصهيونية في بال عام ١٨٩٧ رافقه قيام حركات الجاسوسية تحت أسماء ظاهرها البراءة وباطنها الشر المستطير ومن هذه الحركات (المنظمة الصهيونية العالمية) (الشركة اليهودية للأراضي) ثم (الوكالة اليهودية) (ومنظمة بيلو) وغيرها وهذه في مجملها كانت المحاولة الأولى لارساء اساس وكالة تجسس على صعيد عالمي وجاءت المحاولة الثانية عام ١٩١٤ في شكل (منظمة نيلي) وهي اختصار مكون من الأحرف الأولى لعبارة من العهد القديم تعريبها: اسرائيل لا يكذب.

وكانت هذه المنظمة برئاسة عميل مخضرم هو أهرون أهرونسون هذه المنظمة عملت بنشاط وراء الخطوط التركية ابان الحرب العالمية الأولى ثم نسقت نشاطاتها مع المخابرات البريطانية في مجالات شتى ولكن المحاولة الثانية سقطت عام ١٩١٧ عندما انفرط عقد المنظمة وتمت تصفية معظم قادتها على يد عملاء جدد لمنظمة يهودية جديدة ثم ولدت الوكالة اليهودية من جديد في عام ١٩٢٠ لتنظيم الهجرة الى فلسطين والحق بها قسم خاص كانت مهمته تكوين شبكات تجسس في البلدان العربية وأوربا وأميركا وكان على رأس القسم الخاص ((المكتب السياسي)) ضابط بريطاني يهودي الأصل يدعى الكولونيل ((كيس)) ثم تفرغ عن المكتب السياسي جهاز (شين ــ يود) وهو الذي اشتهر فيما بعد باسم (عصابة

شتيرن برئاسة موشي شاريت وكلف هذا الجهاز بالتجسس على الحركات والمنظمات الثورية الفلسطينية وكانت شتيرن تتخفى وراء أستار عديدة كالأندية الرياضية والجمعيات الخيرية وقد امتد تجسسها على اليهود أنفسهم وشعارها (اضرب بسلاح عدوك ومن منطقته) وأهم عمل قامت به عصابة شتيرن وكشف النقاب عنه في عام ١٩٧٧ هو اغتيال الكونت فولكه برنادوت وسيط الأمم المتحدة في القدس عام ١٩٤٨.

أول تفصيل عن اغتيال الكونت برنادوت:

كلف الكونت فولكه برنادوت عام ١٩٤٨ وأثناء الحرب العربية ضد الكيان الصهيوني من قبل الأمم المتحدة كوسيط بين العرب واليهود لاجراء مباحثات وقف اطلاق النار وقد كان الكونت برنادوت يقوم بعمله بضمير حي حيث شعر بأن اليهود يبيتون ما يبيتون لاغتصاب فلسطين فتعاطف مع العرب حتى فوجىء العالم باغتياله في فلسطين على يد مجهولين في حينه ولكن سرعان ما تأكد للعالم وللأمم المتحدة بأن الجناة هم اليهود لأنه ليس للعرب أي مصلحة في اغتياله بالعكس فقد حزن العالم العربي عليه وهو يعرفه منصفاً له ولقضيته أما الكيان الصهيوني الذي يعيش على عدة مبادىء مناوئة للأعراف الدولية ومنها القول السائد (يقتل القتيل ويمشي في جنازته) وهذه منتهى الخسة والغدر فقد أصدر (بن غوريون) أمراً بالتحقيق في حادثة الاغتيال ومرت الأيام وقامت المخابرات الاسرائيلية بتحقيق شكلي بالبحث عن القتلة ولكن لم يقدم أحد للمحاكمة حتى صدر في عام ١٩٧٧ كتاب عن سيرة بن غوريون للصحفي مايكل بارزوهار يضع النقاط على الحروف ويثبت بما لا يدع مجالا للشك بأن بن غوريون الذي كان رئيساً للوزراء حين الاغتيال (عرف) قاتلي الكونت برنادوت وأمر شخصياً باصدار (تعتيم) على الحادث.

أحد القتلة يتحدث عن الجريمة:

بعد انقضاء ٢٩ عاما (في عام ١٩٧٧) على اغتيال الكونت برنادوت وسيط الأمم المتحدة في القدس في عام ١٩٤٨ تكلم أحد القتلة الذين نفذوا عملية الكونت ويدعى يهوشوازيلتغر الذي يعيش في نفس المستوطنة الجماعية التي قضى

فيها بن غوريون سنوات تقاعده تكلم الى مراسل جريدة يديعوت أحرونوت الاسرائيلية عن عملية الاغتيال بأن شتيرن وصلتها أخبار من صحفي أجنبي أن الكونت سيتوجه على طريق القدس فشكلت فريقاً من أربعة من القتلة المحترفين ومنهم المتحدث زيلتغر أرتدوا لباس الجيش البريطاني وأقاموا حاجزاً على الطريق وأخذوا يوقفون السيارات بحجة التفتيش عن الأسلحة حتى وصلت سيارة الكونت برنادوت فأحاط بها القتلة وقام أحدهم باطلاق النار عليه من رشاش صغير فتوفي بعد دقائق وان القتلة لاذوا بالفرار بسيارة كانت تنتظرهم وقال زيلتغر:

لقد أعدمنا الكونت لأننا في شتيرن كنا نعتبره مؤيداً للعرب وعقبة أمام استقلال اسرائيل وكان مؤسسة في حد ذاته وعرض للخطر كيان القدس حتى أنه أعلن أنه ينوي تدويلها وبذلك اعتبر برنادوت معادياً لاسرائيل منذ تأسيسها كدولة ووضع بالفعل أساس تأييد الأمم المتحدة للعرب وأضاف زيلتغر: أنه في كل مرة كان يعلن اتفاقاً على وقف اطلاق النار في حرب ١٩٤٨ بين العرب واليهود كان يفعل ذلك عندما يكون الاتفاق ملائماً للعرب وكنا متأكدون أنه في حال استمرار هذه السياسة فإن دولة اسرائيل ستزول من الوجود وبذلك اعتبرناه (عقبة أمام قيام دولة اسرائيل).

أثر اعلان الدولة الصهيونية في فلسطين بعد انسحاب آخر جندي بريطاني واستيلاء ((الهاغاناة)) على السلطة تم تشكيل جهاز مركزي للتجسس بتاريخ ٣٠ حزيران ١٩٤٨ وتفرع هذا الجهاز الى ثلاثة أجهزة مخابرات هي:

١ ـ المخابرات العسكرية تحت أمرة المقدم ايسربيئيري.

٢ ـ المخابرات السياسية في وزارة الخارجية برئاسة المقدم بوريس غوريال.

٣ ـ مخابرات الأمن الداخلي (شيت بيت) لملاحقة الجواسيس وحفظ الأمن الداخلي ويرأسه (ايسير هاريل).

حظيت هذه الأجهزة بنجاح واسع ثم فشل أوسع فبعدما أرست أسس قوية في الداخل وجمعت أسرار من الخارج انهارت هذه المخابرات أمام السرية المطلقة التي صاحبت صفقة الأسلحة السوفياتية الاولى لمصر وسوريا والتي سميت باسم (الصفقة التشيكية) وفي عام ١٩٥٣ أعاد ديفيد بن غوريون رئيس الوزراء في حينه تنظيم جهاز المخابرات في اطار لجنة تنسيق اناط مسؤوليتها بايسيرهاريل مع

احتفاظه برئاسة (شيت بيت).

حاول هاريل تركيز السلطة المطلقة للمخابرات بالموساد الأمر الذي وضعه على طريق صدام مع رئيس المخابرات العسكرية ولكن الصراع لم يدم فقد وقعت بعض الفضائح التي أطاحت برؤساء بقية الفروع فأحكم هاريل قبضته على المخابرات ككل ثم اصطدم برئيس الوزراء بن غوريون نفسه بسبب فضيحة اسلوب ملاحقة العلماء الألمان في مصر فقام بن غوريون بطرد هاريل من رئاسة المخابرات الاسرائيلية بتاريخ ٢٥ آذار ١٩٦٣ ثم سطع نجم أهارون ياريف كرئيس للمخابرات العسكرية كما ظهر اسم تسفي زامير في عام ١٩٦٨ حتى السبعينات.

وجاءت حرب تشرين اكتوبر ١٩٧٣ صاعقة لأجهزة المخابرات وشكلت لجنة التحقيق التي عرفت كما ذكرنا باسم لجنة (أغرانات) لتقصي الحقائق وكشف تقصير المخابرات الاسرائيلية فألقت اللوم كله على المخابرات العسكرية التي كانت برئاسة العميد الياهوزعيرا وغيره من ضباط المخابرات ثم عمدت رئيسة الوزراء غولدامائير الى اعادة تنظيم هذه الأجهزة والتنسيق بينها بهدف تجنب الأخطاء الاستراتيجية مستقبلاً.

كشف تعاون الصهيونية مع الغستابو:

مع الأيام تتكشف أمور وأسرار كانت خافية عنا وهذه الأمور تقلب المفاهيم السائدة رأساً على عقب فبينما كان من المعروف أن الصهيونية عدوة النازية الأولى خصوصاً (المخابرات الالمانية الهتلرية ــ الغستابو) تبين أن هناك اتصالات جرت بين الحركة الصهيونية والمخابرات الالمانية وقد تركزت هذه الاتصالات على تسهيل هجرة اليهود الألمان الى (فلسطين) كما أن هناك وثيقة خطيرة تنم عن صفقة بين ايخمان والدكتور رودولف كاستنر رئيس الوكالة اليهودية في هنغاريا وتقضي هذه الصفقة بالافراج عن اليهود (الأغنياء) من معسكرات النازيين مقابل تقديم سيارات نقل ومواد تموينية وأموال قدرت بمليوني دولار قدمت الى جيوش المانيا النازية في روسيا وفعلاً خرج قطار في شهر حزيران ١٩٤٤ يحمل ١٦٤٨ يهودياً من الأغنياء من هنغاريا الى سويسرا بحراسة عسكرية ألمانية ومن سويسرا تم نقلهم بواسطة الوكالة اليهودية الى فلسطين وبقيت هذه الصفقة طي الكتمان الا أن أزيح الستار عنها في عام ١٩٥٧ فاتهمت المخابرات الاسرائيلية الدكتور كاستنر

رئيس الوكالة اليهودية في هنغاريا الذي وقع الصفقة بأنه الذي أفشى سرها بعد ثلاثة عشر عاماً فجرت تصفيته باطلاق الرصاص عليه لدى خروجه من منزله في تل أبيب وبقي الشاهد الثاني (أيخمان) وهو الذي كان يرأس المكتب المركزي لتصفية اليهود بأمر شخصي من (هتلر) فأضيف سبب وجيه للبحث عن أيخمان لتصفيته اضافة للحقد الأسود وقد ذكرنا قصة العثور على ايخمان ونقله الى اسرائيل في الصفحات (٤١٥ الى ٤٢٢) في الجزء الأول من هذا الكتاب ولكننا نضيف أن المخابرات الاسرائيلية وفقت الى حد بعيد في دفن هذا السر فترة غير قصيرة كما أنها حركت المشاعر ضد بشاعة الرعب النازي ضد اليهود بحرقهم في أفران الغاز بالمئات ولكن العالم وحتى الشعب اليهودي نفسه أغفل حقيقة مهمة وهي أن زعماء الصهيونية السابقين كانوا على اتصال بالنازية وأنهم ساعدوا هتلر في حربه ضد روسيا وأنهم افتدوا دم اليهود الأغنياء على حساب مئات بل آلاف اليهود الآخرين.

أيخمان يصفع اسرائيل قبل اعدامه:

اطمأنت المخابرات الاسرائيلية بأن السر سيدفن مع أيخمان بعد اعدامه وهكذا رتبت له محاكمة صورية كان من نتيجتها الحكم عليه بالاعدام ثم حرقه كما أحرق آلاف اليهود في ألمانيا ولكنه دافع عن نفسه بأنه كان ينفذ أوامر هتلر أي أنه (عبد مأمور) ولكن هذا الدفاع لم يفده ضد حكم مهيأ له مسبقا فما كان منه الا أن تقدم الى سجانيه بطلب غريب وهو أن يسمح له باعتناق الديانة اليهودية قبل تنفيذ حكم الاعدام به وعندما سئل عن سبب طلبه الدخول في الديانة اليهودية في هذا الوقت الحرج من نهاية عمره أجاب: أريد أن أهتف لنفسي أن كلباً يهودياً قد أعدم بالاضافة الى من سبقه من الكلاب...

وهكذا عاد أيخمان الى طبيعته النازية بعد سنين طويلة من الهروب والتخفي وقالها صريحة في وجه الصهيونية وفي عقر دارها (أنه أعدم الكلاب ومفهوم أعدام الكلاب في الحياة العامة هو اعدام الكلاب عندما يشتد شرها ويخشى من شراستها وأحيانا ما تحمله من أمراض) وقد شبه من أعدمهم من اليهود بالكلاب لما قاموا به من شرور ومكائد وشراء للضمائر واستباحت كل المحرمات من أجل هدفهم ولا يحسب القارىء اننا نتجنى على الصهيونية أبداً فنحن نتحرى تاريخ الجاسوسيا الصهيونية ونسبرغورها ومع ذلك فالمجال لا يتسع وقصارى القول أن الجرح الذي

فتح في حينه بطرد رئيس المخابرات الاسرائيلية من قبل بيغن قد أثار في النفوس كوامن قديمة تتصل بأعمال الجاسوسية الاسرائيلية وأساليبها التي نراها صورة صادقة لطبيعة الدولة الصهيونية على صعيد الأفراد.

لا شك في أن الجاسوسية في العالم كله تتشابه فهي وان كانت قد بدأت تتسلح بالتكنولوجيا المتاحة تظل على طبيعتها الاولى (الغاية تبرر الوسيلة) بما في ذلك الغدر والوفاء والانسانية والوحشية والحب والحقد مجرد أساليب متساوية لا تختلف في أهميتها الا بالقياس الى أهمية المراد أو الغاية من ورائها والطبائع الدنيوية عند الجواسيس تنحصر عند عتبات (القادة السياسيين) في دول العالم الحر باستثناء اسرائيل فهناك تتساوى طبائع الناس جميعا في اللحظة الحرجة فمن رئيس الوزراء الى رئيس المخابرات هبوطا الى عامل النظافة في الشارع لا تزال طبائع الحقد تسيطر عليهم وتملي لهم طريقة حياة أقرب ما تكون الى حياة وحوش الغاب.

المخابرات البريطانية لا تأمن الجواسيس اليهود:

اتصف العملاء والجواسيس اليهود منذ الأزل بروح الغدر والخسة والخيانة واللاأخلاقية من أجل اصابة المرمى بأي ثمن وهم كما ذكرنا يقدمون خدماتهم للجميع ومثال على ذلك أن المخابرات البريطانية كانت وما زالت لا تأمن للجواسيس اليهود وكثيراً ما كانت تضطر الى تأكيد المعلومات التي يقدمها العملاء اليهود من مصادر أخرى لتضمن صدقها وهذا يكلف جهداً ومثال على ذلك أن المخابرات البريطانية كانت قد كلفت ألمانياً من أصل يهودي ابان الحرب العالمية الثانية بمهمة سرية خطيرة واضطرت هذه المخابرات لتكليف جاسوساً آخر (موضع ثقتهم) ليلازم الجاسوس اليهودي كظله ويعمل المستحيل على تجربته بافشاء السر أم كتمانه وما زال الجاسوس وراء اليهودي حتى أوقعه فأفصح له عن سره وشرح له تفاصيل المهمة الخطيرة التي كلف بها من قبل المخابرات البريطانية عند ذلك أبرق الجاسوس الى قيادة المخابرات في لندن بما اكتشف وبقي ينتظر التعليمات الى أن جاءه الجواب برقية بالشيفرة هذا نصها حرفياً: عد الى زميلك اليهودي الذي باح بسره لك واقتله ثم اتصل بنا لتتلقى تعليمات جديدة.

ذهب الجاسوس وقتل اليهودي ثم أبرق لهم بأن القتل قد تم بهدوء ثم سأل عن التعليمات فجاءه الجواب الآتي: ان المعلومات التي أفشى بها لك اليهودي

صحيحة وهي ثلخص (مهمته) الحقيقية في ألمانيا عليك أنت أن تقوم بهذه المهمة الآن ورجاؤنا اليك أن لا تفشي أسرارك لأحد كاليهودي.

وهكذا نجد أن طبيعة اليهود مثل طبيعة الجاسوسية (الغدر) غير أن الجاسوسية تبدأ بمنتهى الحذر وتنتهي وقد غدرت بذاتها.

* * *



رئيس وزراء اسرائيل السابق (بن غوريون) أخفى قاتل برنادوت في مزرعته..



الكونت فولكه برنادوت قتل بأمر من بن غوروين.

المخابـــرات الاسرائيليـــة

لهام اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن على (الجاسوسية) والمؤامرات

٤٢٤



... الكيان الصهيوني يخطب في الكنيست عام ١٩٤٩.

قيام اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن على الجاسوسية:

فاتنا أن نذكر في الجزء الأول من المخابرات والعالم موضوعاً هاماً وهو أن دولة اسرائيل المقامة في الارض المحتلة من فلسطين منذ اغتصاب الأرض عام ١٩٤٨ وحتى تاريخه لم تقم لها قائمة أو تعتد بعمل من اعمالها العدوانية الا وكانت المخابرات الاسرائيلية من ورائها حيث يظهر من جميع الوجوه اهتمام الكيان الاسرائيلي بالجاسوسية وهو اهتمام ليس بالأمر الجديد لأنه نما وترعرع مع هذا الكيان وان الانسان العربي قد مارس صراع الجاسوسية مع هذا الكيان جنبا الى جنب مع صراع الحروب العسكرية وكيفما كانت اسرائيل تخادع وتغدر في حروبها كانت ايضا مخابراتها من ورائها تقوم بنفس المراوغة والمخادعة لدرجة أن أي خبر صغير أو كبير يذاع أو ينشر في الأرض المحتلة يجب أن تعلمه المخابرات ان لم تكن هي قد أوعزت بنشره أو صاغته وقدمته الى وسائل الاعلام ولكن الانسان العربي أصبحت لديه قدرة كافية لتكوين مناعة ضد هذا المرض بدلالة الايجابيات التي ظهرت وتظهر كل يوم في الدول العربية وداخل الأرض المحتلة هذا من جهة الانسان أما المخابرات العربية المضادة فأصبحت من القوة بحيث تتحطم على صخرتها أغلب مؤآمرات المخابرات الاسرائيلية لأن قصة الجاسوسية الصهيونية وتحديات الانسان العربي لها قصة قديمة حيث تذكر كتب التاريخ أن أول جاسوسة هي (رحاب) اليهودية:

فقد كانت مدينة أريحا في فلسطين مغلقة على العبرانيين اليهود وذلك في عام ١٢٥١ قبل الميلاد وقد أراد (يشوع بن نون) نبي اليهود بعد موسى عليه السلام استطلاع أمور هذه المدينة بغية غزوها واحتلالها فأقام دراسة حولها وعن نقاط الضعف فيها وفي حكومته وحاكمها فتبين له أن ملك أريحا في ذلك الوقت ضعيف أمام النساء فكلف اثنين من أعوانه المخلصين بمهمة التسلل الى أريحا لاشباع نقطة الضعف لدى الملك ومن ثم الانقضاض عليه من الداخل فوقع خيارهما على (رحاب) اليهودية رائعة الجمال والحسن حيث تجاوبت معهما حالا وقبلت المهمة بصدر رحب لأنها كانت أصلا على استعداد فطري لمثل هذه المهمة فانطلقت

معهما الى أريحا وتجولت حول قصر الملك فأعجب بها ودعاها الى قصره فطلبت أعوانها بحجة أنهم أقربائها وأولياء أمرها فلبي طلبها وأقاما الى جانبها في القصر يدبران المكيدة وكان ملك أريحا في ذلك الوقت لا يملك من وسائل مكافحة التجسس ما يساعده على اكتشاف أمرهم فوقع في الفخ واستفاد العملاء من الحماية التي حصلوا عليها نتيجة وجود رحاب محظية للملك حتى تمكنوا من ادخال العشرات من اليهود الى أريحا وفي النهاية تمكنوا من قتل الملك والمناداة بـ (يشوع) ملكا على أريحا فدخلها منتصرا وأصبح الجواسيس الثلاثة رحاب وصديقيها من المقربين من يشوع حيث كانت رحاب أول جاسوسية يهودية على ما تذكره المصادر العبرية واستمر الحال مع اليهود بالاتكال على النساء الجميلات في الوصول الى اغراضهم ومطامعهم المالية والسياسية حتى إن أهم المؤتمرات الصهيونية التي كانت تعقد في سويسرا كان لها بعض المقررات والتوصيات (باستعمال النساء) في تحقيق وتنفيذ أغراض الصهيونية حتى جاء اليهود الى فلسطين.

استغلال بريطانيا لليهود في أعمال الجاسوسية:

قبل وصول اليهود الى فلسطين شاركوا عالمياً تقريباً في جميع أعمال الجاسوسية وعندما وضع البريطانيون مخططاتهم لقيام الكيان الاسرائيلي استنادا لوعد (بلفور) سخروا اليهود لأعمال الجاسوسية حيث لم يكن دورهم مقتصرا على التغلغل في التنظيمات السرية فقط بل انما تجاوزه الى ممارسة الحرب النفسية واطلاق الشائعات خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية واشركتهم بريطانيا منذ ذلك التاريخ بمطاردة عملاء (المحور) أي المانيا وحلفائها واغتيالهم والعمل بنفس الوقت على جمع المعلومات عن المحيط العربي في جميع المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية حيث كان التنسيق متكاملا بين المخابرات البريطانية (الانتلجانس سرفيس) وفصائل الجاسوسية اليهودية الى أبعد الحدود حتى كافأتهم بريطانا بمنحهم الأرض الفلسطينية لقمة سائغة بعد جلائها عنها حتى تمكنوا من اقامة كيانهم.

انصرفت اسرائيل بعد اقامتها الى متابعة العمل على تثبيت كيانها بتوسيع شبكاتها التجسسية ونشرها في العالم من أقصاه الى أقصاه مستخدمة من سفاراتها (غطاءاً رسمياً) لحماية أفراد المخابرات الاسرائيلية وعملائها وقامت بعمليات كبيرة

في اطار (المخطط الصهيوني) سواء من أجل (لم شمل اليهود في الأرض المحتلة) أو من أجل ملاحقة واغتيال زعماء النازية القدامى الذين أسهموا في مطاردة وتصفية وحرق اليهود وعلى رأسهم (أدولف أيخمان) المسمى (حارق اليهود) والذي عثرت عليه المخابرات الاسرائيلية في مدينة (بيونس آيرس) عاصمة الأرجنتين وقد انتحل أسما جديدا وعمل في شركة مرسيدس هناك (راجع الصفحة ٤١٥ من الجزء الأول من كتاب المخابرات والعالم) فقاموا بخطفه الى اسرائيل ومحاكمته واحراقه نتيجة حقدهم الاسود.

وعندما استنفذت المخابرات الاسرائيلية ملاحقاتها لزعماء النازيين حولت نشاطها لملاحقة واغتيال قادة المقاومة الفلسطينية سواء داخل الأرض المحتلة أو خارجها كاغتيال قادة المقاومة في بيروت عام (١٩٧٢). وتابعت اسرائيل استخدام مخابراتها الى أبعد حدود حتى تاريخه وهذه المخابرات اعتمدت في تجسسها على مصادر رئيسية ثلاث:

١ ــ الشبكات التي تنظمها وزارة الخارجية من خلال أجهزتها الديبلوماسية حيث علمنا أن لها شبكة تجسس داخل هيئة الأمم المتحدة.
٢ ــ الشبكات اليهودية المنظمة في دول العالم والتي تعمل على جمع المعلومات من المصادر الرسمية وغير الرسمية لارسالها الى اسرائيل.
٣ ــ أجهزة وزارتي الدفاع والداخلية.

وكنتيجة لذلك فان المخابرات الاسرائيلية تحصل في كثير من الأحيان على معلومات (دقيقة) نتيجة ألوف الدولارات التي تغدقها على هذه المصادر مع تنظيم وصول هذه المعلومات بالسرعة المطلوبة الى الحكومة الاسرائيلية لاستغلالها وقد استغلت هذه المعلومات بالفعل في حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ وبعد نهاية هذه الحرب الغادرة أفادت اسرائيل ومخابراتها من النكسة فاستخدمت جميع وسائل الاعلام الاسرائيلي والغربي في اطار الحرب النفسية ضد الدول العربية بهدف ترسيخ قناعة (التفوق النوعي) وأغرقت بعض الدول العربية بكتب عن المخابرات الاسرائيلية تشبهها بالسحر أو أغرب من ذلك ومن هذه الكتب التي بيعت في بيروت ــ تحطمت الطائرات عند الفجر ــ عين تل أبيب ــ المحاربون الصامتون.

ولم يكن باستطاعة الاعلام العربي في حينه مجابهة تلك الحملة الاعلامية

المركزة وسكتنا نحن أيضا كاعلاميين ولكن على مضض حتى جاءت حرب السادس من تشرين التحريرية في عام ١٩٧٣ التي ردت المعنويات وأسقطت اسطورة التفوق الاسرائيلي وخاصة المخابرات الاسرائيلية التي لم تستطيع رغم كل المغريات التي تملكها اكتشاف موعد وزمان ومكان الهجوم المصري السوري وخير دليل على أن المخابرات الاسرائيلية تحملت الكثير هو الاطلاع على كتاب (التقصير ــ أو المحدال) ومذكرات موشي دايان.

وأخيرا تقرير لجنة التحقيق بالتقصير المسماة (لجنة أغرانات) الذي طلب من وزارة الدفاع اعادة تنظيم المخابرات الاسرائيلية.

• • •

المخابـــرات الاسرائيليـــة

الجاسوسة أمينة المفتي....؟

أخطر عميلة عربية لاسرائيل

أمينة المفتي. علم وعقوق وخيانة:

الآنسة أمينة داوود المفتي من مواليد عمان الاردن ١٩٣٦ حصلت على الثانوية العامة بدرجة جيدة وكانت أثناء دراستها تميل الى علم النفس فسافرت الى النمسا ودرست في جامعتها تخصص علم النفس حتى تخرجت وهي تحمل دكتوراه في علم النفس حيث عادت الى عمان بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وعملت على استئجار بناء جعلته مستشفى للمعاقين جسدياً وعقلياً ثم ما لبثت أن اختلفت مع وزير الصحة في حينه الذي اتهمها بالاختلاس وفسخ عقدها مع الوزارة بعدما تبين له أن شهادة الطب النفسي التي تحملها مشكوك بها وبعد تصفية مستشفاها حقدت على وزير الصحة وعلى جميع العرب (حسب ادعائها فيما بعد) وعادت الى النمسا للعمل هناك فتعرفت الى طيار نمساوي يهودي سرعان ما تزوجت منه برضاء أهله ومعارضة أهلها وبقيت معه في النمسا كزوجة حتى اندلعت حرب عام ١٩٧٣ وانطلاقاً من حقدها على العرب شجعت زوجها على الالتحاق بطيران الكيان الصهيوني.

كانت اسرائيل قد فتحت باب التطوع والتعاقد للكثير من الطيارين خاصة اليهود منهم فحضرت أمينة مع زوجها اليهودي الى اسرائيل وقد أصبح اسمها بعد زواجها من يهودي (آني داوود) وقد ألحق زوجها فوراً بالطيران الاسرائيلي برتبة نقيب طيار حيث أدخل الى الخدمة الفعلية باستلامه طائرة قتال سكاي هوك توجه بها في أول غارة على الجبهة السورية فأسقطته وسائل الدفاع الجوي السورية التي كانت له ولأمثاله بالمرصاد واعتبر مفقوداً أما زوجته الخائنة آني فقد اعتبرته أسيراً لدى الجيش العربي السوري فاستأذنت السلطات الاسرائيلية بالسفر الى بيروت للبحث عن زوجها وتسقط اخباره هناك فسمح لها وخرجت بجوازها النمساوي الى قبرص وهناك أخرجت جوازها الاردني وكان صالحاً للاستعمال بسبب تجديدها له في السفارة الاردنية في فينيا لوقت الحاجة.

وصلت أمينة الى بيروت ونزلت في أحد فنادق شارع الحمراء وتعرفت على

سيدة لبنانية تدير محلا لبيع الألبسة النسائية في شارع الحمراء اشترت منها بمبلغ كبير لتغريها على التحدث عما سمعته عن أخبار الطيارين الاسرائيليين الاسري في سوريا ولم تنس أن تسألها عن وجود بعض الصحف السورية لديها من تاريخ فقدان زوجها ولكنها لم تحصل على نتيجة فقررت العودة الى النمسا بعد أن قطعت الأمل من وجود زوجها الطيار الاسرائيلي على قيد الحياة وذلك للمطالبة بميراث زوجها هناك الذي خلف ورائه تركة تقدر بنصف مليون دولار تعود اليها وحدها حسب القوانين النمساوية.

وصلت الى فينيا فاستقبلها ذوو زوجها بالترحاب وقدموا لها العزاء بزوجها وأحاطوها بالرعاية والعطف ثم عرفوها على ثلاثة أشخاص (ضباط في المخابرات الاسرائيلية) أظهروا لها اهتماما خاصاً بقضية الارث وأبدوا استعدادهم من أول اجتماع معها أن يقنعوا أهل زوجها بعدم اقامة العراقيل في وجهها على هذا الصعيد (لقاء) تعاملها معهم لصالح المخابرات الاسرائيلية فوافقت على ذلك انسياقاً مع حافزها الأساسي في عدوانها للعرب وحافزها الثاني وهو حصولها على الميراث.

التدريب على التجسس والعودة لبيروت:

أقام الضباط الثلاثة لها دورة تدريبية مكثفة في نفس منزل عائلة زوجها وهي عائلة يهودية نمساوية جرى تدريبها في مدة شهر على ما يلي:

١ ــ اساليب التجسس الأولية.
٢ ــ المراقبة وتشمل مراقبة اشخاص مع تحديد أماكن اقامتهم ورسم أماكن الأشخاص المراقبين لمعرفة ورصد عناوينهم.
٣ ــ التصوير ويشمل التصوير عن بعد والتصوير بالليل.
٤ ــ الشيفرة والكتابة بالحبر السري.

وباعتبارها دكتورة في علم النفس فقد نجحت في هذه الدورة نجاحاً جعل مدربيها يوعزوا لها بالسفر حالا الى بيروت لتنفيذ مهمات حددوها لها وقد دفعوا لها مبلغ /٥٠٠٠ خمسة آلاف دولار تحت الحساب وطلبوا منها ارسال عنوانها عندما تصل الى بيروت لكي يحولوا لها ما تحتاجه من أجل نجاحها في تنفيذ مهمتها.

وصلت الى بيروت وقررت الاقامة في منطقة عين الرمانة السكنية فاستأجرت شقة مفروشة فيها بمبلغ /٢٠٠٠ ألفي ليرة لبنانية شهرياً: وقد قامت بصرف

الخمسة آلاف دولار التي تحملها من أمو ال المخابرات الاسرائيلية بمبلغ ٢٠٪ عشرون الف ليرة لبنانية/ وهو مبلغ جيد في بيروت ثم تقدمت بطلب للحصول على خط هاتفي للشقة فسجل الطلب تحت رقم /٣٤٥١/ ووعدت خيراً ولكن الجيران أفادوها بأن تركيب الهاتف يلزمه (واسطة) عند ذلك تذكرت صديقتها التي تدير محلًا تجارياً في شارع الحمراء فذهبت اليها ورجتها باعتبارها لبنانية (بنت البلد) أن تدلها على (واسطة قوية) للحصول على الخط الهاتفي المنشود فعرفتها على الموظف في ادارة التلفونات اللبنانية (مانويل عساف) الذي أوضح لها أن الخطوط قليلة في منطقة عين الرمانة ولكنه سيبذل جهده لتأمين خط لها بأقرب وقت خصوصاً بعد أن حدثته صديقتها اللبنانية عن أحوال (الخانم) المادية وأنها على استعداد (للدفع) ولم ينس مانويل عساف أن يقدم لها بطاقته (كرت الفيزيت) التي تحمل عنوانه ورقم هاتفه للاتصال به عند حاجتها.

شكرت أمينة صديقتها وعادت الى شقتها وهي تفكر في مانويل فوجدت فيه صيداً لمعاونتها في عملها التجسسي تستعمله كنافذة يمكنها الاطلالة منها على المجتمعات فضلا عما يمكنها أن تحصل عليه من معلومات عبره نظراً لكونه موظفاً في مصلحة التلفونات فلم تترك الوقت يمضي وقد أصبحت نفسيتها نفسية جواسيس اسرائيل من حيث التضحية بكل شيء (حتى الشرف) مقابل الحصول على المطلوب فاتصلت بمانويل من محل بقال وطلبت منه الحضور الى شقتها للتباحث في موضوع الهاتف فحضر مسرعا وهو اللبناني الذي يرحب بل ويسعى جهده لاقامة مثل هذه العلاقات من وراء عمله في الهاتف أما أمينة فقد أكرمت وفادته ومن ضمن هذا الأكرام تناول الويسكي بعد الطعام مما جعله يتحدث اليها كالعندليب متباهياً بأعماله وجولاته ولم ينس أن يلعب لها حواجبه فاستجابت له فوراً وأقامت معه علاقة غرامية عربوناً لايصال الخدمة الهاتفية لها.

سر مانويل كثيراً بهذا الصيد (امرأة في ريعان الشباب تقدم له نفسها على طبق من الويسكي) كل ذلك لأجل (التلفون) فقام باحضار صديقه (مارون الحايك) وعرفها عليه على أساس أنه يساعده في تأمين التلفون فقبلت انشاء علاقة مع الثاني وهي تضمر في نفسها أن تستدرجه للعمل معها في نطاق خلية جاسوسية لصالح المخابرات الاسرائيلية فكتبت بذلك كله الى المخابرات الاسرائيلية في فينيا مع ذكر عنوانها حسب طلبهم فجاءها الجواب أن تترك موضوع الخلية الجاسوسية جانباً وتنفذ المهمة التي جاءت من أجلها بمفردها (وهي وضع تقرير ومخطط

شامل ومصور عن منازل ثلاثة من قادة المقاومة الفلسطينية وهم الشهيد (زهير محسن) وأبو الزعيم والثالث من آل (بسيسو) كما جاء في اعترافها لاحقاً.

كانت أولى خطواتها أن استعلمت عن منزل أبو الزعيم في الريحانية على وجه التقريب لكنها لم تقدر أن تستعلم عن مدخل المنزل وعن القوى التي تحرسه فقررت الذهاب بنفسها الى الريحانية ووضعت الكاميرا على كتفها لتبدو كسائحة أجنبية فاكتشفت مستشفى بالقرب من منزله فدخلته (كمريضة) لاجراء فحوصات عامة ليتسنى لها الاقامة فيه ومراقبة وتصوير المنزل ولكنها وجدت أن شقق المستشفى لا تطل على المنزل بالشكل المطلوب فخرجت منه بنفس اليوم بعد أن دفعت مبلغاً لا بأس به وتوجهت الى بناية تقع أمام بناية أبو الزعيم مباشرة فاستقبلها الناطور وكان من الجنسية المصرية فسألته عن وجود شقة فارغة للايجار فأجابها بالنفي ولكي لا تقطع الحوار معه تحدثت معه بكلمات معسولة ومظهر حسن وسألته اذا كان لديه أولاد فأجابها بنعم وقد أوهمته أنها تحب الأولاد وتهوى تصويرهم وطلبت منه أن يأتي بأولاده وزوجته المقيمين معه بنفس البناية (القبو) لكي تتصور معهم.

ذهب الناطور مسرعا وجاء بزوجته وأولاده للسلام على الست الطيبة فرحبت أمينة بهم وأعطت الزوجة خمسين ليرة لبنانية والأولاد كل واحد عشر ليرات لبنانية ثم طلبت الصعود الى سطح البناية لالتقاط الصور فأسرع الجميع حيث التقطت الجاسوسة من خلالهم بعض الصور لبناية أبو الزعيم المقابلة وبعد انتهاء التصوير قدمت زوجة الناطور لها الشاي فسألتها أمينة ان كانت تطبخ الملوخية لأنها تحب الملوخية فاعتذرت زوجة الناطو ر وصرحت لها بأنها لم تذق الملوخية منذ وقت طويل (بسبب ضعف راتب زوجها) فقامت أمينة باخراج مئتي ليرة لبنانية أعطتهم للناطور ليعدّ لها الملوخية وأنها ستحضر غداً لتناول الملوخية التي تحبها معهم وفي منزلهم المتواضع.

نهاية أمينة الجاسوسة:

وعلى مبدأ اذكروا الفضل فيما بينكم فقد تحدث ناطور البناية الى أحد حراس الأمن في بناية أبو الزعيم عن السيدة الأنيقة الطيبة هاوية التصوير والملوخية

فشك هذا الحارس بالأمر(١) وأعلم رئيسه بالأمر فوراً فتقرر كشف حقيقة هذه السيدة وعندما حضرت في اليوم التالي جرى اعتقالها ثم تسليمها لأجهزة الأمن اللبنانية المختصة التي حققت معها فأنكرت أن تكون قد قامت بأي عمل يمس الأمن وأنها مواطنة اردنية صالحة ودكتورة في الطب تحاول انشاء مستشفى أو عيادة لها في بيروت لمساعدة اللبنانيين المعاقين عقلياً وجسدياً فجرى اطلاق سراحها فبادرت أجهزة أمن الثورة الفلسطينية باعتقالها في أول شهر أيلول ١٩٧٥ واخضعت للتحقيق حيث اعترفت بكل ما ذكر من أعمال التجسس لصالح المخابرات الاسرائيلية وصودرت من شقتها أدوات التجسس والفيلم الذي قامت بتصوير بناية أبو الزعيم خلال أولاد الناطور أما المخابرات الاسرائيلية التي كانت تنتظر منها المعلومات التي أوفدت لأجلها فقد انتظرت كثيراً ولدى اطلاعها من الصحف اللبنانية على نبأ اعتقالها جن جنونها وبدأت باجراء اتصالات ومفاوضات من خلال الصليب الأحمر الدولي من أجل استعادتها ونجح الصليب الاحمر بعد مفاوضات مع الثورة الفلسطينية على اعادة أمينة الى اسرائيل مقابلة اطلاق اسيرين فلسطينيين هما:

١ ــ وليم نصار من مواليد القدس ١٩٤٢ معتقل في سجون اسرائيل منذ عام ١٩٦٨ على اثر صدامات مع الصهاينة في القدس حيث حكم عليه بالسجن المؤبد.

٢ ــ محمد مهدي بسيسو ــ من مواليد غزة ١٩٤١ معتقل في سجون اسرائيل منذ عام ١٩٧١ على أثر القبض عليه في زورق لتنفيذ عملية فدائية وحكم عليه بالسجن المؤبد ايضا.

بقي على الصليب الأحمر تأمين مكان التبادل حيث جرى الاتصال مع الدكتور ليساريدس رئيس الحزب الاشتراكي القبرصي الذي قبل القيام بترتيب عملية التبادل على أرض مطار لارنكا الدولي في قبرص بالتعاون مع وزير الداخلية القبرصي بنيامين والمخابرات القبرصية وقد تحدد يوم ١٣ شباط ١٩٨٠ موعداً لاجراء التبادل فقامت السلطات القبرصية باجراءآت أمن مشددة في مطار لارنكا الدولي منها انتشار المصفحات والدبابات حول المطار واخلاء المطار من السواتر

(١) هذا الحارس يجب أن يمنح مكافأة ولو بعد فوات الأوان اذا لم يكن قد منح هذه المكافأة من ابو الزعيم في حينه لأن ذكاءه وحاسته السادسة التي يتمتع بها رجل الأمن هي التي ادت لاكتشاف الجاسوسة وبالتالي منع ضررها...؟

أو ما يمكن استعماله كساتر لأي عملية عسكرية محتملة تعكر عملية التبادل كما سحبت جميع السيارات التابعة للخطوط الجوية المختلفة والسلالم وأبعدت جميع الطائرات المتواجدة في المطار عن المكان المخصص لوقوف الطائرة الاسرائيلية ومنعت الحركة تماماً في المطار والمباني المحيط به منذ وصول الطائرة الاسرائيلية المقلة للأسيرين وحتى اقلاعها(١) وقدم التبادل بالتعاون مع السلطات القبرصية التي سهلت العملية فقد حطت في المطار الطائرة الاسرائيلية المقلة للأسيرين بعد أن أذن لها برج المراقبة وبقيت في المدرج المعد لها مدة عشر دقائق بدون أن تفتح الأبواب خشية أن يكون هناك أي كمين أو تغيير في الخطة ثم فتح باب الطائرة ونزل منها ضابط مخابرات اسرائيلي باللباس المدني ومندوب الصليب الأحمر الدولي حيث تقدما باتجاه سيارة للأمن العام القبرصي كان بداخلها الجاسوسة أمينة وضابط من قوات أمن الثورة الفلسطينية ومندوب الصليب الأحمر وقد بقي ضابطا للمخابرات الاسرائيلية وأمن الثورة الفلسطينية بعيدين عن بعضهما بينما تصافح مندوبا الصليب الاحمر ونقلت رغبة الضابط الاسرائيلي بالتعرف على أمينة أي مشاهدتها للتأكد فتشاور مندوب الصليب الأحمر مع ضابط أمن الثورة ووافق ضابط أمن الثورة عند ذلك تقدم ضابط المخابرات الاسرائيلي من السيارة وهو يحمل صورة أمينة المفتي بيده فتأكد أنها هي نفسها عند ذلك عاد الى الطائرة وأنزل منها الأسيرين الذين تبعاه حتى مكان وقوف مندوبي الصليب الأحمر فوقفا بجانبهما ثم توجه مندوب الصليب الأحمر مع ضابط المخابرات الاسرائيلي الى السيارة حيث نزلت منها أمينة وتوجهت معهما الى الطائرة الاسرائيلية التي عادت بهم الى اسرائيل.

ركب الأسيرين في سيارة الأمن العام ومعهما مندوب الصليب الأحمر وضابط أمن الثورة الفلسطينية وتوجهوا الى مدينة لارنكا وفي مكان متفق عليه في الطريق كانت سيارة مدنية تقف بانتظارهم حيث ركب بها الأسيرين والضابط وعادوا الى مطار لارنكا كمسافرين عاديين واستقلوا الطائرة الى بيروت وفي اليوم التالي أصدرت وكالة الأنباء الفلسطينية وفا بياناً شكرت فيه تعاون الصليب الأحمر الدولي وجهوده الانسانية كما شكرت الحكومة القبرصية على موافقتها على أن يتم التبادل على أراضيها.

(١) هذه التفصيلات نقلت هاتفياً من السيدة جورج بابا كرياكو رئيس القسم العربي في مكتب الاستعلامات القبرصي للزميل خليل التقي مراسل جريدة القبس الكويتية في دمشق.

تعليق المؤلف: ان الثورة الفلسطينية عندما قبلت التفاوض لأجل تبادل الجاسوسة أمينة المفتي مع الأسيرين الفلسطينين كانت تفعل ذلك لأن الأسيرين أغلى من أمينة المفتي بملايين المرات ثانياً لأن الجاسوسة لم تقم بنشاط هدام خلال الأيام الاولى من وصولها لبيروت والا لكانت الثورة الفلسطينية حاكمتها وأصدرت عليها الحكم المناسب.

موقف السلطات اللبنانية بعد اعتراف أمينة المفتي:

بعد أن اعترفت أمينة المفتي لدى مخابرات الثورة الفلسطينية بكيفية تجنيدها من قبل المخابرات الاسرائيلية وبالتالي حضورها الى بيروت كما ذكر وتكليفها أشخاصاً لبنانيين للعمل في جمع المعلومات عن الثورة الفلسطينية وقادتها ونشر ذلك في الصحف ادعت النيابة العامة العسكرية اللبنانية عليها وعلى زميليها اللبنانيين مارون الحايك ومانويل عساف كما شمل الادعاء صديقتها خديجة زهران صاحبة محل النوفوتية التي عرفتها على مارون ومانويل وأحيلوا الى قاضي التحقيق العسكري الاستاذ الياس عساف ما عدا (أمينة) التي بقيت لدى مخابرات الثورة الفلسطينية حتى تم تبادلها مع الأسيرين الفلسطينيين في قبرص.

وقد جاء في ادعاء النيابة العسكرية اللبنانية أن (آني داوود) أي (أمينة المفتي) هي زعيمة لشبكة تجسس أسستها في بيروت ومركزها شقة في عين الرمانة وأنها تتصل بالمخابرات الاسرائيلية في العواصم الأوربية وخاصة مدريد وفيّنا وأنها اردنية الجنسية وكانت متزوجة من ضابط طيار يهودي فقدت طائرته فوق الأراضي السورية واعتبر (مفقوداً) فانجرفت في تيار المخابرات الاسرائيلية بحيث كان لديها استعداد كامل لذلك بسبب اضطهاد ذويها لها أثر ارتكابها حادثة (سرقة) وهذه الحادثة لم تذكرها في التحقيق لدى مخابرات الثورة الفلسطينية واتضح للسلطات اللبنانية أن أمينة كانت مكلفة بالتحري عن مراكز اقامة قادة المقاومة في لبنان وتقصّي بعض المنافذ الخاصة الى المخيمات والمعسكرات والطرق التي يعتمدها رجال المقاومة في تسللهم الى داخل الأراضي المحتلة. وكانت تتلقى مبالغ ضخمة تسهيلا لمهمتها. وقد جندت أمينة صديقتها خديجة زهران وهي اردنية الأصل استحصلت على الجنسية اللبنانية بعد زواجها من شخص لبناني طلقته لتتزوج من غيره ثم تطلق منه. ثم عرفتها خديجة على مانويل عساف وهو موظف في مديرية الهاتف وأقامت معه علاقات غرامية خاصة وصارت تستغله وعن طريقه تعرفت على

مارون الحايك وهو موظف سابق وأخذت تغريه للعمل معها. وتمكنت من تجنيد شخص آخر لا يزال متوارياً عن الأنظار وقد تم التحقيق معهم كما تقول مصادر النيابة العسكرية اللبنانية بالتعاون مع جهاز رصد منظمة التحرير الفلسطينية (المخابرات الفلسطينية) والجدير بالذكر ان المادة (٥٨٠) من قانون العقوبات اللبناني تعاقب بالحبس حتى سنتين كل موظف ملحق بمصلحة الهاتف يفشي أسرار مخابرة هاتفية اطلع عليها بحكم الوظيفة. وتنص المادة (٣٥٢) من قانون العقوبات اللبناني أيضا على وضع كل موظف قام بعمل مخل بوظيفته لقاء منفعه خاصة بالاشغال الشاقة الموقتة.

• • •

المخابـــرات الاسرائيليـــة

تقرير من داخل الكيان الصهيوني
اعدته المخابرات الاسرائيلية بعنوان:

كيف اصبحت الدولة بعد ٣٤ سنة

تقرير من داخل الكيان الصهيوني
أعدته المخابرات
كيف اصبحت الدولة بعد ٣٤ سنة...؟

- استهتار الضباط الكبار وعدم اطاعتهم الاوامر اثناء الحرب..؟
- تجاوزات الجنرالات... وكسبهم الغير مشروع...؟
- تدني المستوى الخلقي والانضباطي داخل الجيش..؟
- وضع المجندات الاخلاقي في الجيش الاسرائيلي..؟

ان اسرائيل من الخارج تظهر بمظهر الدولة المتقدمة الديمقراطية التي يتمتع فيها الانسان بحقوقه التي ضمنها له القانون المحلي والدولي وقد ضغطت هذه الدولة على نفسها اكثر فاكثر لتظهر للعالم بمظهر الدولة العلمانية الراقية التي لا يضيع فيها حق فشكلت لجنة (اغرانات) عقب حرب رمضان اكتوبر ١٩٧٣ وشكلت لجنة (للتحقيق) عقب مجازر مخيمي صبرا وشاتيلا في بيروت عام ١٩٨٢ وان اي مراقب حيادي بمعنى ان لا يكون مع اسرائيل ولا مع العرب ليستطيع ان يؤكد ان تشكيل مثل هذه اللجان ما هو الا مهزلة لذر الرماد في العيون وها هي نتائج التحقيق والتوصيات المتخذه في لجنة (التحقيق) خير دليل على التدجيل والتمثيل الاسرائيلي على أعلى المستويات وعندما تصل الأمور داخل الكيان الصهيوني الى حد الخطر يهرع المسؤولون عن المخابرات ويدلون بدلوهم الاستخباري لينبهوا المسؤولين إلى ما وصلت اليه الامور من الانحلال من اصغر موظف حتى الاشخاص الثانيين في الدولة كنائب رئيس الوزراء ونائب رئيس الاركان ومعاون الوزير وحتى الوزير نفسه كلهم من تحت الغربال في الكيان الصهيوني حسبما جاء في تقرير اعدته رئاسة المخابرات الاسرائيلية ورفعته الى رئيس الوزراء (بيغن) وكأنه لا يعلم سلوك اهل البيت والجيران معا ويقول التقرير:

دولة اسرائيل.
ادارة المخابرات العامة

ترجمة طبق الاصل للغة العبرية

المدير العام.
رقم: ٧٤٣٣٢/غ سري جدا
تاريخ: ١٩٨٣/٣/١٤.

السيد رئيس مجلس الوزراء مناحيم بيغن المحترم.

في هذه الاوقات الحرجة التي نمر بها والتي تعتبر من اصعب الاوقات التي مرت بها بلادنا منذ عام ١٩٤٨ حيث وصلت الامور الادارية الى حدود الانقلاب التام من اكثر المسؤولين المدنيين والعسكريين لذلك نرى من واجبنا ان نطلعكم على حقيقة الامور بحذافيرها لتتخذوا الاجراءات التي ترونها مناسبة ونكون بذلك قد أدينا الواجب الذي يفرضه علينا وجودنا في هذه المؤسسة متمتعين بثقتكم الغالية والامر لكم:

١ ـ استهتار الضباط الكبار وعدم اطاعتهم الاوامر حتى اثناء الحرب:

تعاني القوات الاسرائيلية من ظاهرة انعدام الطاعة داخل الهرم القيادي على مستوى القطعات الكبرى.

وتتمثل هذه الظاهرة في ان قادة المجموعات (الالوية ـ الفرق) الاحتياطية التي تدعى اثناء الحرب يرفضون الخضوع لأوامر قادة المناطق او الاعتراف بسلطتهم وترجع هذه المسألة الى ان قادة الالوية الاحتياطية كانوا سابقا قادرة في الجيش العامل وتسلموا خلال خدمتهم الفعلية مراكز عالية وكان تحت امرتهم عدد من الضباط الذي بقوا في الخدمة ووصلوا الان الى مناصب قيادية وعندما تجري التعبئة العامة ويستدعي الاحتياط يضطر قادة الالوية الاحتياطية للعمل تحت قيادة ضباط كانوا قبل عدة سنوات في عداد مرؤوسيهم ويقفون امامهم باحترام حسب الاقدمية في حينه اما الان فهم يجدون غضاضة في ذلك بل ويرفضون اوامر رؤساء اليوم مرؤوسي الامس ويحدث من جراء ذلك احتكاكات ومصادمات تعرقل سير العمل وتفقد قادة المناطق السيطرة العملية على القوات اثناء المراحل الحاسمة من المعركة.

وأثناء هذا نقدم مثالا مضى عليه الوقت لكن نفس الامور تتكرر الان في حرب (سلامة الجليل) والمثال يا سيادة رئيس الوزراء هو انه في حرب ١٩٧٣ استدعي (اللواء اريل شارون) (وزير الدولة) الى الخدمة الاحتياطية

وسلم قيادة ألوية في المنطقة الجنوبية (سيناء) وكان شارون قد عمل كقائد لتلك المنطقة في فترة ١٩٦٩ ـــ ١٩٧١ وكان من بين الضباط العاملين تحت امرته انذاك (العقيد شموئيل غونين) وتشاء الصدف ان يرقى العقيد غونين الى رتبة لواء ويغدو في عام ١٩٧٣ قائدا للمنطقة الجنوبية لذا فقد كان على شارون رئيسه السابق ان يعمل تحت امرته مما اضطره الى رفض ذلك وبرر شارون رفضه بثلاثة اسباب هي:

١ ـــ ان اللواء غونين كان مرؤوسه ولهذا فهو يرى ان العمل تحت امرته يسيء الى كرامته...

٢ ـــ انه اقدم من اللواء غونين نظرا لانه وصل الى رتبة (لواء) قبله بخمس سنوات.

٣ ـــ انه اكثر منه كفاءة واقدر منه على العمل وتقييم الموقف والتصرف في عمليات سيناء...

ولم يقتصر هذا الوضع على شارون وحده بل شمل مجموع الالوية التي خصصت للقتال على الجبهة المصرية فقد كان جميع رؤسائها (قادتها) يحملون رتبة (لواء) وسبق لهم ان تولوا مناصب عالية في المنطقة الجنوبية عندما كان (غونين) لا يزال برتبة (رائد او مقدم) لذا فانهم نظروا اليه باستعلاء ورفضوا الانصياع لأوامره ونشأ عن هذا الموقف غير الانضباطي وضع خطير اذ اخذ كل قائد لواء يعمل على هواه وبقي قائد المنطقة غونين في مقر قيادته عاجزا عن تنفيذ خطته او تحريك القطعات الموضوعة تحت تصرفه وتحول من قائد الى شاهد يتابع ما يفعله مرؤوسيه دون ان يملك سلطة تنفيذ اوامره وقراراته وكان من الممكن ان يؤدي هذا الوضع الى عواقب وخيمة لو ان القيادة المصرية كان لها مقدرة ملاحظة الخلل الناجم عن انعدام السيطرة المركزية داخل القوات الاسرائيلية في المنطقة وعملت على استغلاله.

وبعد اتصالات غونين ادركت القيادة الاسرائيلية بسرعة خطورة الوضع فقرر رئيس الاركان دافيد اليعازر اصدار امره بعزل شارون واعتقاله حسب الانظمة العسكرية بتهمة رفض اوامر قائد الجبهة ولكنه لم يستطع كما تعلمون تنفيذ امره في حينه وفي تلك الفترة الحرجة من القتال خاصة وان مجموعة شارون كانت على وشك العبور الى الضفة الغربية لقناة السويس

حيث تدخلت المرحومة غولداماثير(١) ورأت ان الحل الامثل هو تعيين قائد من الاحتياط اعلى رتبة من غونين وجميع قادة الالوية ليتولى قيادة الجبهة الجنوبية وفرض السلطة على الجنرالات الخمسة الذين يعتبرون انفسهم اعلى من غونين بما فيهم شارون..؟

وعلى هذا الاساس طلبت مائير من وزير التجارة والصناعة اللواء الاحتياط (حاييم بارليف) الذي رفع الى أول رتبة (فريق) في اسرائيل لدى احالته للتقاعد كما تعلمون وطلبت منه التخلي عن وزارته والالتحاق بالجبهة الجنوبية (كرئيس اركان خاص) وقد التحق بارليف فورا وفي اول زيارة لغونين اعلمه انه لم يأت ليحل محله بل لمساعدته في ضبط الامور وحل معضلات الانضباط ومساعدته للسيطرة على قادة الالوية ومع ذلك فان وجود بارليف مع غونين افقد هذا الاخير سلطته القيادية وحوله الى ضابط اركان لدى بارليف...

٢ ـ تجاوزات الجنرالات... وكسبهم الغير مشروع...؟

تعلمون ان شعبنا الاسرائيلي اصبح يقدس القوة ويعتبرها اساس قيامه ومبرر وجوده والضمانة الاولى لبقائه في بحر العداء العربي وتتجسد القوة في نظره بالقوات المسلحة التي استطاعت احتلال فلسطين (بالقوة) ثم حافظت على الاراضي رغم المحاولات العربية لاستردادها ولذلك فان للعسكريين والضباط (بشكل خاص) وضعا اجتماعيا متميزا داخل المجتمع الاسرائيلي ويستغل الضباط هذا الوضع المتميز لتحقيق المكاسب الشخصية خلال وجودهم في الخدمة ثم يتابعون الاستغلال بعد ترك الخدمة والالتحاق بالوظائف المدنية او حين اشغالهم المناصب السياسية وقد اثبتت التحقيقات مثلا ان جزءا كبيرا من الاموال المخصصة لبناء خط (بارليف) قد تسرب الى جيوب المقاولين المدنيين والضباط المتواطئين معهم لقاء عمولات معينة وجاء سقوط خط بارليف عام ١٩٧٣ ليثير هذا الموضوع من جديد وليدفع شعبنا الاسرائيلي الى التحدث عن منفعة خط بارليف في بناء الفيلات الفخمة للمقاولين والضباط في اسرائيل فقط.

(١) رغم أن للمتوفي احترامه لكن كلمة (المرحومة) هنا جاءت على لسان معد التقرير رئيس المخابرات الاسرائيلية وليس المؤلف...

ومن اشهر الاسماء اللامعة في مجال التجاوزات:

١ ـ الجنرال الراحل موشي دايان فقد استغل منصبه كوزير دفاع والسمعة التي اكتسبها في حرب ١٩٦٧ وبعدها وقام باستخدام عمال وخبراء الدولة لمساعدته في التنقيب عن الاثار واستخراجها لا ليقدمها هدية للدولة او للمتاحف بل انه باعها باسعار خيالية الى تجار ومهربي الاثار.

٢ ـ نفس أريل شارون وزير الدفاع قبل اعادته للخدمة واثناء تركه الخدمة العسكرية قام بشراء أرض في النقب بأموال لم يكشف مصدرها وزرعها (بطيخ المسمى جبس) واستغل منصبه عندما كان وزيرا للزراعة فاستخدم موظفي ومعدات الوزارة في مزرعته فاطلق عليه اسم (جنرال البطيخ) كما انه استخدم الاحداث من سكان غزة العرب للعمل في مزرعته مخالفا بذلك القوانين التي تمنع تشغيل الاحداث الذين يقل عمرهم عن ١٦ سنة ووجد (الهستدووت) (اتحاد نقابات العمال) الذي يسيطر عليه حزب العمال المعارض الفرصة المناسبة لتفجير ازمة للاطاحة بجنرال البطيخ والاساءة الى تكتل (ليكود) اليميني الحاكم لذلك طلبت وزارة العمل من وزارة الزراعة (شارون نفسه) ايقاف استخدام الأحداث ولما رفض ذلك قامت وزارة العمل باستصدار امر من المحكمة العليا الاسرائيلية بمنع الاحداث من مغادرة قطاع غزة بسيارات العمال المتجهة الى النقب وهددت اهالي الاحداث باحالتهم للمحاكمة في حال السماح لابنائهم بالعمل قبل بلوغ السن القانونية.

٣ ـ المستشار العسكري الخاص لرئيس الوزراء السابق اسحاق رابين لشؤون مكافحة الارهاب رحبعام زئيفي فقد تمثلت تجاوزاته في تهريب الاسلحة الاسرائيلية وتسويقها في بعض دول امريكا اللاتينية وافريقيا ولقد كشفت الشرطة الاسرائيلية العلاقة بين هذا الجنرال و(مافيا) تهريب الاسلحة التي جندها الجنرال رحبعام للقيام بعمليات جمع الاسلحة وتسويقها وشحنها ومن ثم تدريب الزبائن عليها.

وبعد ذلك حل الجنرال غونين مكان رحبعام في هذا المجال فقامت الشرطة بتفتيش منزله حيث عثرت على كميات كبيرة من الاسلحة وكان للجنرال (ييغال يادين الذي شغل منصب نائب مجلس

الوزراء دور في كشف تعامل غونين بتهريب الاسلحة مستغلا مركزه العسكري فأمر بتفتيش منزله بعد ان تأكد من وجود الاسلحة المعدة للتهريب فيه وقد صودرت كمية كبيرة من الاسلحة فعلا ويبدو ان للعلاقات الشخصية المتوفرة بين يادين وغونين دورا في عملية الكشف نظرا لأن يادين كان عضوا في (لجنة اغرانات) التي ادانت غونين بعد حرب ١٩٧٣ فهاجمه غونين بشدة وكال له الاتهامات ووجد يادين الفرصة قد حانت للانتقام فانتهزها وقد وجدت الشرطة العسكرية في منزل غونين بالاضافة للاسلحة عددا من الوثائق السرية والتقارير الميدانية الخاصة بحرب ١٩٧٣ كما وجدت الصفحات الضائعة من السجلات العسكرية التي لم يقدمها غونين الى (لجنة اغرانات) عندما حققت هذه اللجنة معه.

ويظهر من كل ذلك مدى استهتار القادة الاسرائيليين بالتعليمات العسكرية واستغلالهم الكبير لوضعهم الخاص المتميز خاصة اذا كانوا مثلما ذكرنا من الضباط الذين حققوا بعض الانجازات العسكرية خلال الحرب مع العرب وحصلوا على سمعة شعبية يحتمون بها لخدمة مصالحهم الخاصة كما تبين.

٣ ـ تدني المستوى الخلقي والانضباطي داخل الجيش...؟

نعرض لكم ايضا ان المستوى الانضباطي في القوات المسلحة دائما في مستوى ادنى من المستويات العالمية ولكن التدقيق في اختيار القيادة لأعضاء الجيش العامل (المتطوعون) ووضع الشروط الاخلاقية المتشددة خلال دعوة المجندين كانت تخفف من شدة هذه الظاهرة الى حد ما. وبعد حرب يوم الغفران ظهرت الحاجة الى توسيع القوات المسلحة بغية موازنة التفوق العددي (عند العرب) ولكن الواقع الديموغرافي في اسرائيل لم يكن يسمح باجراء توسع طبيعي لذا خففت القيادة الشروط النفسية والاخلاقية المفروضة عند اختيار الجنود المتطوعين للاحتراف وحتى عند سوق المجندين للخدمة ونجم عن هذا التساهل الذي ساهمت به مخابراتنا زيادة عدد القوات المسلحة (١٥٠ الف فرد) لم يكن بالامكان ضمهم للقوات المسلحة قبل حرب ١٩٧٣.

ومن المؤكد ان أغلب هؤلاء الجنود كانوا معفيين لاسباب دينية او جسدية والقسم الاكبر كان معفيا لاسباب نفسية او اخلاقية او لارتكابهم جرائم مختلفة كالسرقة والتهريب والقواده (اي تسهيل الدعـــارة) والمخدرات... الخ..

وبسبب هذا السيل الكبير من المرضى النفسيين او الشاذين او المنحرفين (تدنى المستوى الاخلاقي) في القوات المسلحة وتدني معه بالتالي المستوى الانضباطي وظهر وضع جديد اقلقنا واقلق القيادة مما دفع رئيس الاركان السابق الجنرال مورد خاي غور الى الاحتجاج والمطالبة بتغيير هذا الوضع الذي يصعب على قادة الوحدات التغلب عليه ونذكر لسيادتكم انه لوحظ منذ تطبيق سياسة التوسع في عام ١٩٧٤ انتشار عدد من المظاهر غير الانضباطية على الشكل الاتي:

أ ــ عدم احترام الضباط ذوي الرتب العالية.
ب ــعدم ارتداء الضباط الصغار وحتى الكبار (واقية الرأس) المسماة (القبعة او السيداره) وترك الحبل لشعرهم على الغارب كالهبيين.
جـ ــتكاثر حالات الغياب من الثكنات.
د ــ عجز الشرطة العكسرية عن فرض هيبتها السابقة وضبط المخالفين.
هـ ــسرقة الاسلحة من المستودعات وبيعها بالاضافة الى سرقة معدات وتجهيزات الزملاء.
و ــ تعاطي المخدرات داخل الثكنات وخارجها.
ذ ــ اغتصاب النساء سواء من جوار الثكنات وخارجها.
حـ ــتعاطي الشذوذ الجنسي بين مختلف الرتب.

ولقد احتج قادة الوحدات على هذا الوضع وطالبوا باتخاذ التدابير التي تضمن حماية الانضباط في القوات المسلحة ولكن رئاسة الاركان كانت ترد على التقارير التي تردها من الوحدات بالتأكيد على ان التخلص من هذا الوضع الشاذ يتطلب العودة الى تطبيق قوانين التجنيد (السابقة) التي تمنع المنحرفين من دخول القوات المسلحة وان هذه العودة متعذرة بسبب الحاجة الماسة لاعداد كبيرة من الجنود لأسباب تتعلق بالمصلحة العامة لاسرائيل وان المجتمع الاسرائيلي ليس له قدرة على تأمين العدد الكافي من الجنود الاسوياء ونحن نعلم انه في عام ١٩٧٥ اتخذت تدابير في حصر خدمة الجنود

المنحرفين بالوحدات الادارية وعدم ضمهم الى الوحدات المقاتلة حتى لا ينقلوا اليها عاداتهم السيئة ومع هذا فقد انتشرت ظواهر الاجرام وتعاطي المخدرات في وسط الوحدات الادارية وخاصة بين سائقي سيارات الضباط وعمال المصانع العسكرية والورشات وحراسات المستودعات الخلفية.

وقد أدى انتشار تعاطي المخدرات بين القوات المسلحة الى بروز ظاهرة (الانتحار) بين العسكريين ولدينا تقرير يفيد ان نسبة المنتحرين من العسكريين قد زادت بنسبة ٦٥٪ عن السابق وان الدوافع الى الانتحار هي اليأس والقنوط الذي يصيب العسكريين ويدفعهم الى تعاطي المخدرات وفي حال فشل المخدرات في حل مسألة اليأس والقنوط يلجأون الى (الخيار) الأخير المتمثل بالهروب من الحياة الى الموت انتحارا.

ولا زالت مشلكة الانتحار تقلقنا حتى الان رغم تعيين مئات الباحثين النفسيين والاطباء في مختلف وحدات القوات المسلحة لدراسة ظاهرة الانتحار ووضع الدراسات اللازمة لمعالجتها ويدل ما اطلعنا عليه حتى الان ان اليأس قد تغلغل في نفوس اغلب العسكريين لعدة اسباب اهمها:

أ ــ فقدان الثقة بالزعماء السياسيين لاسرائيل.

ب ــ اهتزاز الثقة بامكانية بقاء دولة اسرائيل.

ج ــ الشكوك التي تحيط بتصرفات الحكومات المتعاقبة.

د ــ خيبة الأمل الناجمة عن عدم قدرة الجيش الاسرائيلي على تحقيق انتصار حاسم ونهائي على العرب.

هـ ــ شعور العسكريين الاسرائيليين بان الانتصار التاريخي على العرب متعذر لأسباب ديموغرافية واستراتيجية خاصة بعد تنامي الثورة العربية ويقظة القومية العربية والدعم العسكري والمعنوي والسياسي الذي يقدمه الاتحاد السوفياتي للعرب.

ــ الشعور بان جميع التضحيات السابقة قد ذهبت ادراج الرياح وان كل حرب جديدة ستكون اقسى من سابقتها وتتطلب تضحيات اكثر.

ــ التجاوزات المالية لكبار العسكريين والسياسيين التي يلمسها العسكري الاسرائيلي مما يدعوه للتساؤل: هل أقاتل من أجل هؤلاء الذين يختلسون ويسرقون ويصبحون من الاثرياء على حساب دمي وحياتي...

وتقول هذه الدراسات في نهايتها بان رفع المستوى المعنوي والاخلاقي للجندي الاسرائيلي يتطلب تبديلا جذريا في المجتمع نظرا لأعتماد الجيش الاسرائيلي على المجندين الذين يفدون اليه من المجتمع رأسا على ان يشمل هذا التبديل تطهير اجهزة الدولة من القاعدة الى القمة والعمل على ان يستعيد الشعب الاسرائيلي ثقته بالقوات المسلحة من خلال انتصار باهر على العرب.

المؤلف: هكذا تقترح المخابرات الاسرائيلية على رئيس الوزراء بعض بكل بساطة وضمن تقرير عن الاوضاع بان تقوم اسرائيل بهجوم وتحقق انتصار على العرب لتستعيد القوات المسلحة الأسرائيلية ثقة الشعب الاسرائيلي... فهل نبقي هذا الطلب في ذاكرتنا ونحسب لهم ونعد العدة استنادا لقوله تعالى: واعدوا لهم ما استطعتم.

بقية التقرير بعد ملاحظة المؤلف:

وطمأنة المواطنين الاسرائيليين الى مستقبلهم ولفت نظرهم الى فضل الصلح التعاقدي الذي عقد مع مصر اقوى دولة عربية والأمل بان يؤدي هذا الصلح الى اجبار الدول العربية الى التصالح معنا.

٤ ــ وضع المجندات الاخلاقي في الجيش الاسرائيلي:

السيد رئيس الوزراء لاحقا لما ذكر فان قضية خدمة الفتيات(١) الاسرائيليات في الجيش تشكل مشكلة بحد ذاتها نظرا لأن الاحزاب الدينية تعارض تطبيق الخدمة الالزامية على الفتيات ولكن حاجة القوات المسلحة الاسرائيلية للقوة البشرية وعدم كفاية الرجال لاشغال كل الخدمات جعل حكوماتنا المتعاقبة ترفض الانصياع لمطالب الاحزاب الدينية وتكتفي بحل وسط يتمثل في تجند الفتيات غير المتدينات وبوسع كل فتاة التخلص من الخدمة الالزامية بعد حصولها على وثيقة من الحاخامية اليهودية تثبت انها متدينة ونظرا لأن الحاخامية تسهل الحصول على هذه الوثيقة بحكم تعاطفها

(١) المؤلف: تخضع الفتيات في اسرائيل لخدمة الزامية مثل الشباب مدتها ٢٤ شهراً وبعد انتهاء الخدمة يتم استدعاؤهن للخدمة الاحتياطية بمعدل شهر في السنة حتى تبلغ الفتاة سن الـ ٢٥......

مع الاحزاب الدينية فان من الممكن القول ان مجنداتنا عبارة عن متطوعات باختيارهن تقريبا.

وليس وجود الفتيات في الجيش بحد ذاته امرا مقلقا لو كان المجتمع الاسرائيلي متمسكا باهداف الفضيلة ولكن وجود المجندات مع الانهيار الخلقي العام في اسرائيل الذي نتحدث عنه واختلاط الجنسين في ظروف غير طبيعية يؤدي الى نشوء علاقات جنسية لا تخضع للضوابط الاجتماعية ولا يحرم القانون العسكري الاسرائيلي على المجندة اقامة مثل هذه العلاقات مع اي جندي او ضابط شريطة ان يتم اللقاء الجنسي خارج القواعد العسكرية وعلى بعد لا يقل عن ستة امتار منها ولكن القانون نفسه يحرم على المجندة الحمل الغير شرعي وتكون عقوبة المجندة الحامل (الطرد من الخدمة) ولعلمكم فقد ذكر عزراوايزمان عندما كان وزيرا للدفاع ردا على سؤال عضو الكنيست (غينولا كوهين) بان عدد المجندات اللواتي يطردن من الخدمة سنويا بسبب الحمل غير المشروع يصل الى ١٥٠٠ مجندة.

ومن المعلوم ان المجندات لا يخدمن في جميع الاسلحة بل تقتصر خدمتهن على الخدمات الادارية ولقد حاولت القيادة استخدامهن في الوحدات الادارية التابعة لقطعات المدفعية والمدرعات ولكن وجود قواعد هذه القطعات في اماكن بعيدة عن المدن جعلت الجنود المعزولين عن الجنس الاخر يلاحقون مجندات الشؤون الادارية بشكل مفضوح بل ويعتدون عليهن بالقوة أحيانا الأمر الذي زاد من معضلة الانضباط داخل الوحدات ويشغل قادة هذه الوحدات بمشاغل يومية اضافية لذلك تم استبعاد الفتيات من سلاحي المدفعية والمدرعات واقتصر عملهن على الخدمة في الوحدات الادارية الخلفية وسلاح البحرية.

ومع ذلك فقد تزامن وصول الفتيات باعداد كبيرة الى الوحدات الادارية مع تجميع المنحرفين في هذه الوحدات ايضا بعد ابعادهم عن القطعات المحاربة كما ذكرنا ونجم عن ذلك وضع غير طبيعي تمثل في انتشار الفساد على نطاق واسع بل والى اقامة حفلات دعارة داخل الثكنات نفسها وانتقال تعاطي المخدرات الى المجندات الامر الذي اثار اهالي المجندات ودفعهم الى الاحتجاج واعطى الاحزاب الدينية (مبررا) للضغط اكثر فاكثر لالغاء تجنيد الفتيات.



وكانت خدمة المجندات في سلاح البحرية بعيدة عن الاضواء وكانت المعلومات تؤكد نجاح المجندات في هذا السلاح الى ان انفجرت فضيحة (ميخائيل بركائي) القائد السابق للبحرية الاسرائيلية الذي استغل وظيفته ورتبته وقام باغتصاب مجندتين من سلاح البحرية ولكن المجندتين المغتصبتين لم تبلغا عن حادثة الاغتصاب في حينها وكان من الممكن اخفاء هذه القضية لولا ان عضو الكنيست السيدة شولا ميت الوني علمت بها واثارتها داخل الكنيست في ١٨ تشرين الثاني ١٩٧٨ ولقد اثبتت التحقيقات ان الجنرال اغتصب المجندتين خلال خدمتهما الرسمية تحت امرته وقد تجرأت فتاتان غيرهما كانتا من عداد المجندات لدى الجنرال ميخائيل واعترفتا بانه مارس معهما الجنس في مكتبه لدى مقابلته لاسباب تتعلق بوضعهن في الخدمة فتقرر تجميد خدمته فورا واحيل الى المحكمة العسكرية الخاصة بتاريخ ١٩٧٨/١١/١٩ ورغم تبرئته لعدم ثبوت الدليل (لأن الاربع فتيات لم يستطعن الحضور والظهور امام المحكمة خشية الفضيحة والصحافة) فان القضاة كانت لديهم قناعة تامة بانه (مذنب) مما دعاهم الى تقديم توصية بتجميده الى ان يقرر الزعماء السياسيين مصيره (سرح من الجيش فعلا فيما بعد بقرار سياسي) وهناك اشاعات بانه اغتصب الكثيرات وانه ليس الضابط الوحيد الذي اقدم على مثل هذا العمل وان عدم انكشاف هؤلاء يعود الى ان المجندات المغتصبات يلجأن للصمت خوفا من الفضائح ومن هنا جاء التحرك المستمر من الاحزاب الدينية ضد خدمة المجندات في القوات المسلحة(١).

وبعد اننا اذا نعرض هذه الظواهر الاربعة بالاضافة الى انعدام الانضباط الخارجي (كالتحية التي اختفت منذ سنين. اللباس العسكري. التصرف في الشارع والمحلات العامة) تدل على وجود ازمة معنوية حقيقية داخل الجيش الذي يتصرف افراده بعد ٣٤ سنة من الاستقلال وانشاء الدولة وقواتها

(١) تأكيداً لما ذكرناه عن حوادث الاغتصاب في هذا التقرير فقد اصدر وزير دفاع الكيان الصهيوني بتاريخ ١٩٨٣/٩/٢٠ أمره بتزويد المجندات الاسرائيلية بعلب رش صغيرة تحوي غاز مسيل للدموع للدفاع عن أنفسهن ضد الاغتصاب الجنسي بعد أن كثرت الشكاوي من العائلات الاسرائيلية التي تتعرض بناتها للاغتصاب...

المسلحة النظامية وفق التقاليد والمفاهيم الانضباطية التي كانت سائدة ايام (الهاغاناه) و(شيترن) و(ارغون) التي سبقت ظهور الدولة مع فارق نذكره بالاحترام وهو ان رجال الهاغاناه وشتيرن والارغون كانوا يملكون نفسية الرواد في حين ان غالبية الشبيبة الاسرائيلية الحالية مصابة بامراض المجتمع الرأسمالي وفي مقدمتها الضياع والانحلال الخلقي وعدم الاحساس بالضوابط والروابط الاجتماعية.

الاقتراح:

نقترح الاخذ بما جاء في هذا التقرير والدعوة الى اجتماع يحضره السيد وزير الدفاع والسيد رئيس الاركان والسيد وزير الشرطة والقضاة العسكريون لتدارس ما يمكن اجتنابه بشكل جذري وخدمة للمصلحة العامة للشعب الاسرائيلي.

يرفع مع الاحترام

رئيس المخابرات الاسرائيلية
الخاتم الرسمي والتوقيع



مناحيم بيغين ــ التقرير حمله مسؤولية
اصلاح الكيان الصهيوني داخليا.



شارون... جنرال البطيح...؟

المخابـــرات الاسرائيليـــة

المخابرات الاسرائيلية تستغل حياد دولة السويد..؟



رئيس وزراء السويد ... (أين الحياد) ...؟

- المخابرات السويدية تسيّرها المخابرات الاسرائيلية.
- انتهاك حرمة وحصانة السفارات العربية في السويد.
- مجلس الشعب السويدي آخر من يعلم بأعمال المخابرات السويدية.

صدر في السويد كتابا عن الجاسوسية بعنوان (الاستعلامات تهديد لامننا) وهو من تأليف الصحافيان السويديان (بيتربرات وجان جييو) ونظرا لخطورة هذا الكتاب فقد حوى تفصيلات مذهلة عن اشتراك المخابرات السويدية مع المخابرات الاسرائيلية في نشاطات هدامة منها عمليات اقتحام وتجسس على السفارات العربية في السويد وارسال عملاء سويديين بمهمات تجسسية الى البلاد العربية، وبما ان السويد بلد راقي ويتمتع بحرية الكلمة والرأي فقد بيع من هذا الكتاب الاف النسخ حتى تنبهت الحكومة السويدية الى خطورته فقامت بالايعاز الى وزير الداخلية السويدي لجمع نسخ الكتاب من المكتبات والاسواق وهذه سابقة خطيرة تتخذها الحكومة السويدية لأول مرة وتبع ذلك اعتقال مؤلفي الكتاب والتحقيق معهما لفترة طويلة بشكل لم يسبق له مثيل بالنسبة للدولة تشتهر بالحياد المطلق منذ عشرات السنين ونحن في البلدان العربية نسمع ونعرف هذا الحياد ولكن لا ندري ان المخابرات السويدية تتعاون مع المخابرات الاسرائيلية منذ سنوات بل وتزودها بما تحصل عليه من المعلومات عن الدول العربية (بحجة الحياد) ويرأس جهاز المخابرات السويدي الكابتن (جوستاف بيرجر المير) واسم المخابرات لديهم في السويد اسم حضاري جدا وهو (مكتب الاستعلامات) عوضا عن المخابرات وقد نظم هذا المكتب على الطريقة الاميركية بالنسبة للتدخل في شؤون الدول الاخرى والاطلاع على اسرارها داخل وخارج السويد حيث اتضح ان مكتب الاستعلامات يعمل ضد (حياد) السويد الذي نص عليه الدستور والقانون السويدي واقره مجلس الشعب واعترفت وعملت بموجبه جميع الحكومات المتعاقبة حتى الان والاغرب من هذا كله ان مجلس الشعب السويدي كان لا يدري بوجود جهاز مخابرات في بلده (المحايد) وقد تبين ان عملاء المخابرات الاسرائيلية اخترقوا المخابرات

السويدية وتغلغلوا بها في السبعينات ومن اعمالهم الخطيرة التي نفذوها معا عملية سرقة وتصوير وثائق السفارة المصرية في السويد.

المخابرات السويدية والاسرائيلية تسرق السفارات العربية:

في منتصف عام ١٩٧٣ طلبت المخابرات الاسرائيلية من المخابرات السويدية مساعدتها في اقتحام السفارة المصرية في السويد للاطلاع على المعلومات والوثائق المحفوظة لديها بناء على التعليمات التي وصلتها من (تل ابيب) فوضعت المخابرات السويدية كل من:

بوانسترين — ماريان بيرج غرين — ايفان كرامر — فرانزين — بيرسييك — وماريل نيكل بيغاد — والاخير هو خبير (فتح الاقفال) المشترك بين المخابرات السويدية والمباحث السويدية ولقبه (سيبو) — تحت تصرف اثنين من ضباط المخابرات الاسرائيلية هما: سيمون اديف — وداوود بشاي في عملية اقتحام السفارة المصرية في استوكهلم.

وقد جرت عملية اقتحام السفارة بان قامت حسناء اسرائيلية من المخابرات وتجيد اللغة العربية باستدراج حارس السفارة الى مطعم (امبسادور) حيث وضعت له مخدرا في الطعام وقد تكفل زملائها بالباقي حيث القي الحارس في احدى الحدائق البعيدة وهو فاقد الوعي وهنا اتصل ضابط من المخابرات السويدية (وهو متآمر معهم) بالشرطة السويدية وطلب منهم عدم ارسال اي دوريات شرطة الى منطقة (ستراند فيجن) حيث موقع السفارة المصرية وذلك بداعي وجود ما يستعدي ذلك (اي بحجة دواعي الامن) وهكذا خلا الجو تماما فتقدم سيبو وعالج الاقفال ففتحت ودخلوا السفارة وكأنهم موظفيها وساعدهم على ذلك معرفتهم بان السفير المصري وعميلته يحضران حفلة دبلوماسية فقاموا باخراج جميع ملفات السفارة ووثائقها (وصوروها) ثم أعادوها الى مكانها ثم نزلوا الى الطابق الارضي حيث القسم القنصلي فقاموا بختم العديد من الجوازات المختلفة التي تحتفظ بها المخابرات الاسرائيلية لاستعمالها فيما بعد، وانتهت العملية لتشترك المخابرات السويدية والاسرائيلية بهذه المعلومات القيمة، وقد علم ان هذه المجموعة قامت باقتحام حوالي عشر سفارات عربية قبل وبعد ذلك بنفس الطريقة...

التجسس على الدول العربية:

كلفت المخابرات السويدية الكابتن (جيلبرت ايريكسون)-وهو قائد باخرة تجارية تسافر الى البلاد القريبة بتصوير ميناء الاسكندرية المصري والتجول فيه والاطلاع على نقاط الضعف ففعل ذلك ثم قدم تقريره اليهم شرح لهم فيه نقلط الضعف في حراسة المرفأ وكيفية تمكن اي جاسوس من دخول المرفأ متخطيا الحراسة بسهولة كما قام نفس الكابتن بنفس المهمة في تصوير ودراسة ميناء وهران الجزائري لنفس الغاية وبالطبع كانت نسخة من المعلومات تسلم للمخابرات الاسرائيلية وعندما نشر الكتاب عن المخابرات السويدية والاسرائيلية قامت السلطات السويدية بسحب هذا القبطان من قيادة البواخر واخفته بحجة الخوف عليه من المخابرات المصرية والمخابرات الجزائرية وقد ظهر في برنامج تلفويوني خاص يكشف اخطاء المخابرات السويدية للشعب السويدي بحرية وصراحة فاجاب معد البرنامج بانه كان يعتقد نفسه انه يعمل لبلده (اي لمخابرات بلده) ولا يعلم بان نسخة من المعلومات التي كان يحضرها للمخابرات السويدية كانت تسلم للمخابرات الاسرائيلية وهو اسف لذلك كما اضاف القبطان بان تفشي الرشوة في ميناء الاسكندرية هو الذي ساعده بالحصول على اسرار قيمة عن الاستعدادات العسكرية وحالة الطوارىء ايضا، وعندما تأكدت المخابرات الاسرائيلية انها سيطرت على المخابرات السويدية اخذت تسخرها لتحقيق مآربها التجسسية التي لا تقدر عليها ومن ذلك انها طلبت منها تأمين سيدة ليتم ارسالها بمهمة تجسسية الى القاهرة في حينه فاختارت لها (السيدة ماري ليبك) الهنغارية الاصل والمقيمة في السويد كلاجئة سياسية منذ عام ١٩٥١ ومن اعضاء الحزب الاشتراكي الديمقراطي السويدي الذي حكم السويد اكثر من (٤٠ سنة) وهذه السيدة كانت تتجسس على الدول الاشتراكية (الشيوعية) حتى عام ١٩٧٠.

وصلت ماري ليبك الى القاهرة وبدأت مهمتها التجسسية في الاختلاط بالمجتمع المصري وجرى الترحيب بها كسيدة مجتمع سويدية تستغل ما للسويد من مركز وقيمة دولية نتيجة الحياد ثم بدأت تتعامل مع ضعاف النفوس من المصريين الذين امدوها بمعلومات عن المطارات العسكرية (السرية) وعن اماكن تمركز وحدات الصواريخ الروسية والقواعد المدرعة واهم عمل قامت به هذه الجاسوسة هو حصولها على خرائط تبين مناطق تخزين البترول وطرق امداد الجيش

المصري به (وهذه المناطق ضربت فعلا فيما بعد من قبل الطيران الاسرائيلي بدقة متناهية حيث كانت الطائرات تضرب خزان البنزين وتترك خزان المازوت الذي يجاوره..) وكانت ماري ترسل المعلومات بوسائل تكتبها بالحبر السري الى المخابرات السويدية ثم تحول هذه التقارير الى المخابرات الاسرائيلية وبهذا اثبتت المخابرات الاسرائيلية عدم تركها اي وسيلة للنفاذ بواسطتها الى اسرارنا ولم يبق علينا سوى ان نحسن الانتباه والمكافحة خاصة مراقبة حملة الكاميرات والغرباء الوافدين بشتى الحجج والاعذار لأن عملية مكافحة التجسس تشمل الانتباه لكل الغرباء خاصة السياح منهم ولا نطلب ان يعين لكل سائح او سائحة مرافق من المخابرات ابدا لأنه يوجد عدة طرق للمراقبة بشكل فعال وعملي ومنها على سبيل المثال لا الحصر الاكثار من المرشدين (المخبرين) بحيث يكون سائق التكسي للضرورة (مخبر) وموظف الفندق مخبر ودليل السياح مخبر والاهم من هذا ان يكون كل مواطن مخبر لكن ليس لالحاق الاذى بالآخرين لأن ذلك يعاقب عليه القانون بل يجب أن يكون كل مواطن مخبر للمصلحة العامة وحماية الوطن وعندما يشاهد سائحا يلتقط صورا تذكاريا بالقرب من منطقة حساسة يظهر من خلال ما يأخذه من صور (مركزا عسكريا او اقتصاديا هاما) فما على المواطن الا ان يخبر السلطات باية وسيلة لأن ما يشاهده هو التجسس.

عودة للمخابرات السويدية والتجسس على الفدائيين:

بدأ جونتارايكبرغ عمله مع المخابرات السويدية منذ عام ١٩٦٩ براتب شهري يعادل /٢٠٠٠ ليرة لبنانية/ وكانت مهمته تقديم تقارير عن نشاط المنظمات التي تدعم القضية الفلسطينية وفي عام ١٩٦٩ ذاته انضم ايكبرغ الى فرع (المنظمة الفلسطينية) في مدينة جوتبرغ السويدية وترأس هذا الفرع وارسلت تقاريره للمخابرات السويدية التي ترجمتها وارسلت نسخا منها للمخابرات الاسرائيلية.

ونتيجة لعمل ايكبرغ المزدوج حاول ان يشوه العلاقات بين المنظمات الفدائية والاتحاد السوفياتي وايضا اتصل هاتفيا مع مطار فرانكفورت وابلغ عن وجود قنبلة على احدى طائرات العال الاسرائيلية.

وفي ١٤ ايلول ١٩٧٢ القي القبض على المواطن السويدي الفلسطيني الاصل داوود الكالوتي ونقل الى اسرائيل وسجن فيها نتيجة اعلام ايكبرغ المخابرات السويدية ان الكالوتي كان وراء عملية مطار فرانكفورت.

كما طلب الجاسوس ايكبرغ ان يقوم ببعض الاعمال المسلحة (المدروسة) ضد المصالح الاسرائيلية كتغطية لعمله المزدوج اولا ولالصاق مسؤولية هذه العمليات بالمنظمات الفلسطينية ولكن فرع مخابرات ستوكهلم رفض ذلك وقرر ابقائه ظاهريا لكي يقوم بشرح القضية الفلسطينية ومع الاسف صدقت بعض المنظمات ايكبرغ وقد نشرت له صورة في صحيفة المساء السويدية وبايعاز من المخابرات السويدية وهو يدرب الفلسطينيين على استعمال مسدس سويدي ونتيجة تغلغله في العمل الفدائي زار بتاريخ ١ حزيران ١٩٦٩ موقع للفدائيين في مخيم البقعة الذي يبعد ٢٠ كيلو متر عن عمان وبعد ذلك هاجمت اسرائيل المخيم وقتلت خمسة فدائيين وقد اعترف ايكبرغ فيما بعد انه زار عدة مواقع للفدائيين وتمكن من التقاط صور على افلام ميكرو فيلم كما استخدم اجهزة الكترونية اخرى في عمله للاستماع الى المخابرات الهاتفية بالاضافة الى ايجهزة اتصال مكتة من الاتصال بالمخابرات السويدية وانه قام بتسجيل اجتماع مع الكاتب السويدي ستيفن بيكمان في احد فنادق ستوكهلم وهذا الكاتب له نشاط كبير في السويد لمصلحة القضية الفلسطينية وقد زار الشرق الاوسط اكثر من مرة وقد استخدم نفس طريقة التسجيل مع داوود الكالوتي قبل اعتقاله وكان عائدا من زيارة لسورية ولبنان وقد نقل هذه المقابلة المسجلة الى المخابرات الاسرائيلية.

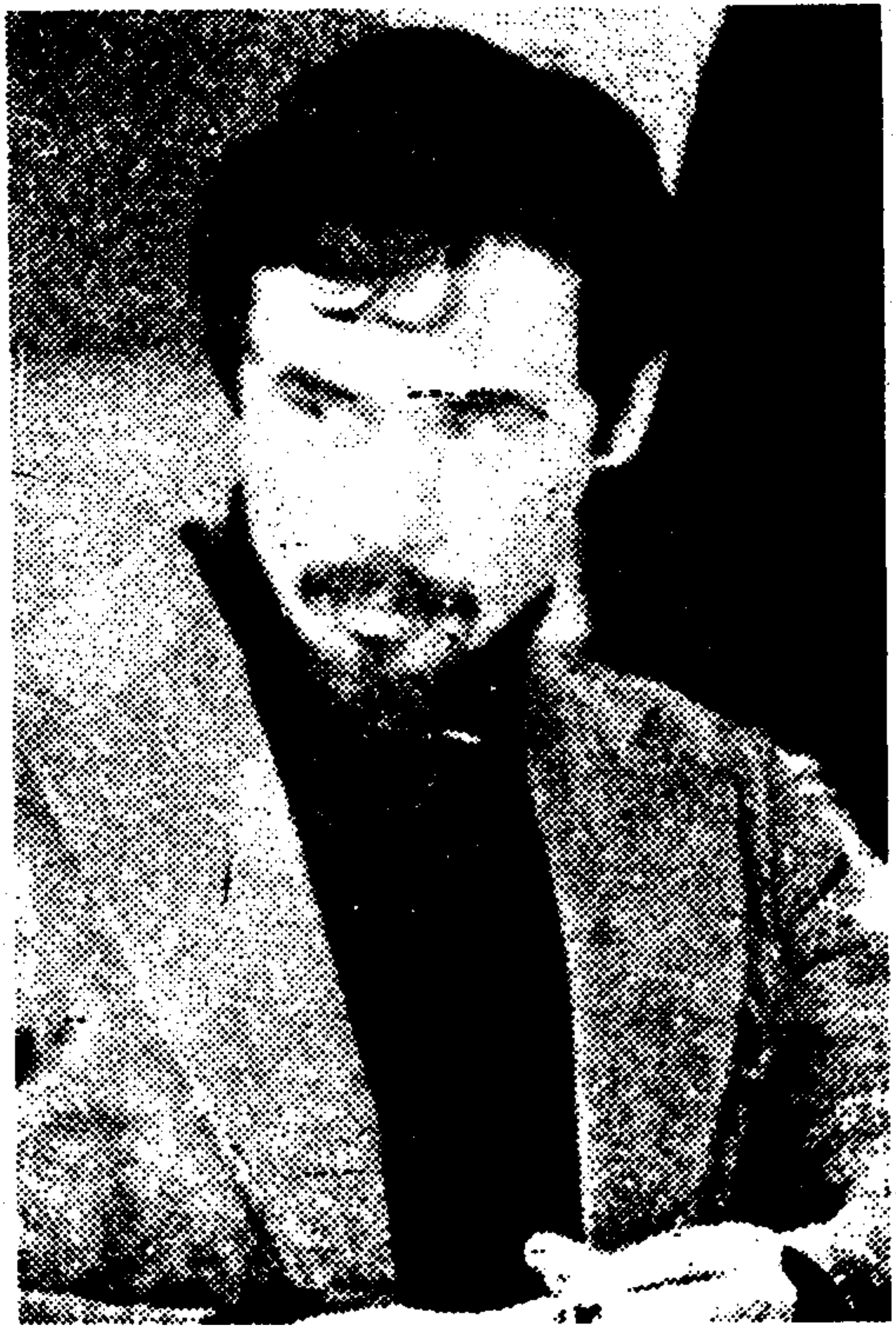
وحادث تسجيل ثالث قام به الجاسوس ايكبرغ مع الشهيد غسان كنفاني اثناء زيارته للسويد عام١٩٧٢ وارسل التسجيل ايضا للمخابرات الاسرائيلية وقد توارى ايكبرغ عن الانظار بعد افتضاح امره.

اما الحكومة السويدية فلم تحرك ساكنا لدى معرفتها بنشاط مخابراتها لصالح المخابرات الاسرائيلية بعد ان اوهمتها مخابراتها ان هذه الاعمال كانت لملاحقة الارهابيين العرب في السويد بل زادت على ذلك بان اقدمت على اعمال مكشوفة لارهاب المواطنين العرب المقيمين في السويد فالصحافة واجهزة الاعلام السويدية شنت حربا نفسية تشعر المواطن العربي بانه مراقب في كل مكان ومعرض للطرد من السويد من اية لحظة وزيادة على ذلك فقد سن مجلس النواب السويدي قانونا سماه (قانون الارهاب) وهذا القانون نددت به القوى الاشتراكية والحرة في السويد ويتلخص هذا بما يلي:

١ ـ اعطاء الحق لرجال الامن بالتنصت على تلفونات الاجانب (بحجة المشبوهين).

٢ ــ فتح الرسائل البريدية والاطلاع على محتوياتها.
٣ ــ طرد اي اجنبي يشتبه به في السويد حتى ولو كان يحمل الاقامة او انه حصل على الجنسية السويدية.
٤ ــ مراقبة السويديين وتطبيق هذه الاحكام الشديدة عليهم اذا ثبت تعاملهم مع منظمات ارهابية.

وهكذا ثبت بـ الحكومة السويدية وافقت على اعمال المخابرات وكبت الحريات اما مجلس النواب فقد اضطر للموافقة على اصدار هذا القانون بعد ان خدعته الحكومة واعلمته بان هذا القانون ضروري لحماية امن السويد بعد ان قام بعض المهاجرين الكرواتيين بقتل السفير اليوغوسلافي في ستوكهلم وقام البعض الاخر بخطف طائرة تابعة للخطوط الجوية السكندنافية الى اسبانيا وبعد صدور هذا القانون اصبحت اوضاع المواطنين العرب صعبة في السويد واخيرا اعتقلت المخابرات السويدية احد ضباطها البارزين لانه اعترف في رسالة بعثها الى صحيفة (اخبار المساء) السويدية بانه اشترك في عملية اقتحام السفارات العربية لصالح المخابرات الاسرائيلية... اذا اين اصبح الحياد المشهور... الله اعلم.



الجاسوس السويدي (جوفنار إيكبرغ) الذي تجسس على الفدائيين .

أخـطـر
جاسوس للمخابـرات الاسرائيلية
فـي الـقـاهـرة

ليفـي مـزراحـي

أخطر جاسوس للمخابرات الاسرائيلية

لعل قضية زرع المخابرات الاسرائيلية للجاسوس (ليفي مزراحي) من عام ١٩٦١ إلى عام ١٩٦٥ قد شغلت الرأي العام مدة طويلة وقد كتب عنها مئات الصفحات في الصحف والمجلات ونشر عنها العديد من الكتب في أوربا بشكل خاص وبدعم من المخابرات الاسرائيلية وفي البلاد العربية ووصل الأمر أن بعض هذه المطبوعات جعلت من ليفي بطلاً وبعضها وصفه بالأسطورة والبعض الآخر استدر له الرأفة والعطف ونحن في هذا الكتاب نعرض للقارئ (قصة ليفي الحقيقية) لأن من حقه يعرف مستوى تفكير المخابرات الاسرائيلية ويعرف بنفس الوقت أنه مهما أوتي أي (ليفي) من ذكاء ومقدرة ومهما برع وبأي شخصية (زرع) فإنه عاجلاً أم آجلاً سوف يقع في قبضة المخابرات العربية لينال عقابه.

من هو ...؟ ليفي الجاسوس

ولد ليفي بتاريخ ٢٦ شباط عام ١٩٢٤ في مدينة الاسكندرية والده: شاؤول مزراحي والدته سونا، والده من يهود العراق هاجر إلى الاسكندرية لدى ابتداء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ وعمل في معمل للكرافات، ثم استقل لنفسه بالعمل وتزوج زوجته سونا التي وضعت له أولاً ابنة سماها أوديت ثم ليفي وحين بلغ ليفي الثالثة عشر

أخذ والده يأخذه معه إلى الكنيس اليهودي وبنفس الوقت كان يتلقى العلم في الكلية الافرنسية وعندها ظهرت عليه أول إشارات التجسس عندما كان يجمع صور الطائرات التي تنشر بالصحف ويزين بها غرفته بالإضافة إلى صور مختلف الأسلحة التي جمعها في دفتر خاص وكان التمييز بين أنواع السيارات من الهوايات المفضلة لديه أيضاً كلما شاهد سيارة من شرفة منزلهم حدث أخاه عن تاريخ صنعها وجميع مايتعلق بخصائصها . . .

ثم تابع دراسته في جامعة فاروق الأول بالاسكندرية (الصف الأول التحضيري ــ كلية الهندسية العام ١٩٤٦) وكان مع طالب آخر يدعى (مراد سيماخ) الطالبين اليهوديين الوحيدين اللذين قبلا في الجامعة (في حينه) وفي عام ١٩٤٧ حاول الانتساب للجيش لتأدية الخدمة الالزامية (كان اليهود المصريين يدفعون البدلات النقدية)، ولكنه آثر تقديم نفسه للجندية فرفض وحين (زرع) الاستعمار البريطاني اسرائيل في فلسطين تنفيذاً (لوعد بلفور الجائر) هاجر أشقاء ليفي إلى اسرائيل وبقي في الاسكندرية لمتابعة دراسته الجامعية وفي هذه الأثناء قامت ثورة ٢٣ تموز في مصر وكان ليفي من ضمن الآلاف من سكان الاسكندرية الذين شاهدوا خروج الملك فاروق وهو يرتدي بذة أميرال بحري على ظهر الباخرة الملكية المحروسة وقد حمل معه كنوزه التي لا تقدر بثمن إلى منفاه بينما اعتقل ليفي فيما بعد مع عشرات من اليهود بعد تشديد إجراءات الأمن من قبل الحكام الجدد لمصر، محمد نجيب وجمال عبد الناصر وكانت التهمة التي وجهها إليه المحققون (القيام بنشاطات صهيونية) ولكن لم يثبت ضده شيء فأخلي سبيله ولكن عودته إلى الجامعة بعد أن شاع خبر توقيفه كانت محرجة جداً وأصبح يحمل وصمة مثيري الشغب بعد أن كان يعتقد نفسه مواطناً مصرياً صالحاً وبالرغم من استعداده لدخول الامتحانات النهائية في الجامعة لكن لم يحصل على العلامات المطلوبة فاعتبر ذلك تمييزاً ضده من أساتذته الذين علموا بتوقيفه بالإضافة إلى أنه أصبح مكروهاً من قبل الطلاب لدرجة الاعتداء عليه عدة مرات حتى انسحب من الجامعة نهائياً وأخذ يعمل في المحلات التجارية وفي هذه الأثناء انتسب رسمياً إلى وكالة الهجرة لاسرائيل التي تنظم النقل غير المشروع إلى فلسطين كساعي بريد، ثم دعم مركزه في هذه المنظمة، بأن فتح باب منزله لضباط الشرطة والجمارك وموظفي الأمن العام ــ شعبة الجوازات ليقضوا فيه الساعات بين

الخمر والمجون والطعام والشراب بالإضافة إلى الرشوة ليتغاضوا عن المراحل القانونية لسفر اليهود، كما أقام ليفي علاقات طيبة لنفس الغاية مع قناصل ألمانيا وفرنسا وايطاليا وبريطانيا وبذلك استطاع تأمين سفر جميع أفراد عائلته إلى اسرائيل بالإضافة إلى عمله الرسمي.

عملية لافون

عندما قررت المخابرات الاسرائيلية القيام بعمليات تخريب في مصر للمنشآت البريطانية والأميركية وإلصاق هذه العمليات بالعناصر الشيوعية أو الوطنية أو الاخوان المسلمين طلبت موافقة وزير الدفاع الاسرائيلي في (حينه) بنحاس لافون ورئيس أركان الجيش الاسرائيلي في (حينه) موشي دايان فوافقا وأرسلت الأوامر تحت رقم (١٣١) إلى شبكة التجسس التي كانت موزعة وتتخذ بين القاهرة والاسكندرية ويرأسها (الدكتور فيكتور سعادة) ويعاونه في عمليات التجسس هذه يهودي تونسي هو الدكتور موييز مرزوق وإيلي جاكوب نعيم، ويعمل كاتباً في شركة جقارتس وقيصر جوزيف من موظفي بنك زلخا ومايير صموئيل ميواس عميل تجاري ومايير جوزيف زعفران سندس وفيكتور موييز (رئيس شعبة الاسكندرية للتجسس) فيليب هرمان ناتانسون وروبرت نسيم داسا (من شعبة الاسكندرية)[1]، وأخيراً صموئيل عازار (صديق ليفي).

قامت هذه العناصر بالأعمال التخريبية الآتية تنفيذاً للأوامر:

١ــ وضع ثلاث قنابل ضمن رزم بريدية حيث انفجرت في مركز توزيع البريد في قصر اسماعيل بالاسكندرية وجرح عدد من الموظفين.

٢ــ وضع متفجرة بتوقيت في المكتبة العمومية في ساحة التحرير بالقاهرة واقتصرت الأضرار على الأثاث والكتب لأن الوقت مساء...

٣ــ وضع متفجرات بتوقيت في قسم الأمتعة في محطة السكك الحديدية بالقاهرة والأضرار مادية فقط.

---

(١) جميع هؤلاء من يهود مصر وقد جندوا في شبكات التجسس لصالح المخابرات الاسرائيلية وأرسلوا من مصر إلى اسرائيل عن طريق فرنسا واتبعوا دورات تجسس في مدرسة المخابرات في يافا وعادوا إلى مصر وهم يحملون أجهزة الإرسال اللاسلكية والمتفجرات ومع ذلك لم تشعر بهم السلطات المصرية في حينه.

٤ـ وضع متفجرة بتوقيت في مكتبة (مكتب المعلومات الأميركي) في ساحة الرملة بالاسكندرية والأضرار مادية أيضاً ...

٥ـ وضع متفجرة بتوقيت في دار سينما الريفولي بالاسكندرية /اكتشفت وأبطل مفعولها ...

٦ـ وضع متفجرة بتوقيت في دار سينما ريو بالاسكندرية /اكتشفت وأبطل مفعولها ...

٧ـ وضع متفجرة في دار الليدو بالاسكندرية أشعلت حريق اطفىء فيما بعد ...

٨ـ وضع متفجرة بتوقيت في دار سينما القاهرة بالاسكندرية / انفجرت بعد خروج المتفرجين .

أحدثت هذه الأعمال التخريبية ردة فعل قوية لدى السلطات المصرية فاستنفرت كافة أجهزة الأمن فيها ومع ذلك فإن المصادفة وحدها وخطأ أفراد هذه الشبكة أدى إلى اكتشافها ذلك أن فيليب ناتانسون أحد أعضاء الشبكة كان يحمل متفجرة لوضعها في مكان عام وكان لديه متسع من الوقت فدخل إلى سينما ليشاهد فيلم انتصار الشباب للمرحوم فريد الأطرش وكان أحد زملائه قد وضع قنبلة حارقة بنفس دار السينما بل وعلى مقربة من زميله فيليب وعندما اشتعلت النيران امتدت إلى معطف فيليب الذي خرج مسرعاً من السينما وهو يصرخ من الخوف مرتين مرة الخوف من النار التي لحقت به والخوف مرة أخرى من النار التي يحملها في جيبه وهنا تدخل الصدفة حيث أشفق عليه النقيب (في حينه) حسن زكي المناوي وحاول نجدته بإلقاءه أرضاً لاطفاء معطفه المحترق فسقطت منه المتفجرة وانتشر قسماً من المسحوق المتفجر الذي تحويه على الأرض فحاول الهرب ولكن النقيب المناوي ألقى القبض عليه وساقه إلى قسم شرطة المنشية ثم إلى المخابرات العامة فأنكر أثناء التحقيق علاقته بالمتفجرات ولكن تفتيش منزله والعثور فيه على متفجرات (مماثلة) وتعليمات لصنع القنابل البلاستيكية فانهار واعترف بكل شيء وبعده ألقي القبض على جميع هذه العناصر وجرى الحكم عليها كالآتي :

- حكم على الدكتور مويز مرزوق بالاعدام شنقاً / نفذ الحكم في سجن باب الخلق في ٣١ / ١٢ / ١٩٥٥
- حكم على المدعو صموئيل عازار بالاعدام شنقاً / نفذ الحكم في سجن باب الخلق في ٣١ / ١٢ / ١٩٥٥
- فيكتور مويز: رئيس شعبة تجسس الاسكندرية / حكم بالسجن مدى الحياة (المؤبد).
- فيليب ناتانسون (الذي كشف الشبكة) حكم عليه بالسجن مدى الحياة (المؤبد).
- روبرت نسيم داسا / ١٥ / سنة أشغال شاقة في أبو زعبل.
- فيكتورين نينوا (انضمت مؤخراً للشبكة) / ١٥ / سنة في سجن النساء.
- ماير جوزيف زعفران وماير صموئيل ميواس: / ٧ / سنوات أشغال شاقة.
- إيلي جاكوب ونعيم وقيصر جوزيف كوهين (براءة).

ونظراً لأن مصر كانت في حالة تنفيذ المشاريع التي جاءت بها ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ وكان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قد قفز إلى الرئاسة ولقطع الطريق على المزايدات والمداخلات المعروفة عن اسرائيل ومن ورائها الصهيونية العالمية فقد اقترن هذا الحكم بموافقة الرئيس جمال عبد الناصر حالاً ....

ماهو دور ليفي في عملية لافون

عندما طلب صموئيل عازار من صديقه ليفي أن ينضم إلى شبكة التخريب والتجسس رفض ليفي بلياقة مدعياً عدم استطاعته القيام بمثل هذه الأعمال لأن طبيعته كطالب جامعي في حينه تجعله غير أهل لتنفيذ أية مهمة لأنه معروف من قبل عشرات الطلاب الجامعيين (حسب قوله) ولم يقل لصديقه صموئيل أنه غارق حتى أذنيه في خدمة الصهيونية ومخابراتها (كان كتوماً ودقيقاً في تصريحاته منذ صغره) فنقل صموئيل عنه ذلك إلى الدكتور مرزوق وبقية أعضاء الشبكة فاتهموه بالجبن وغضوا النظر عن دعوته

وهذه الناحية بالذات هي التي جعلت النائب العام العسكري يطلق سراحه في حينه فبالإضافة إلى اعتقال أعضاء الشبكة ومن ثم الحكم عليهم جرى اعتقال حوالي (١٥٠) يهودياً من حي اليهود في القاهرة والاسكندرية. وكان ليفي من بينهم وبالطبع جرى تصوير الجميع في إدارة المخابرات. ولدى وصول المحقق إلى نقطة سؤال صموئيل عازار عن أصدقائه اليهود ذكر له اسم صديقه ليفي.

ولدى البحث عنه وجد موقوفاً مع الـ ١٥٠ يهودي الموقوفين فاستدعي للتحقيق وجوبه بصديقه صموئيل فتهجم عليه أمام المحققين وشتمه بالعبرية بشكل جاد مؤكداً للمحققين أنه رفض التعامل معه بأي نوع من أنواع الخيانة لأنه (أي ليفي) يعتبر نفسه مواطناً مصرياً صالحاً...

ولما تأكد للمحققين ذلك أخلوا سبيله فخرج من المحكمة وهو غير مصدق... وخشية أن يكون قد وضع تحت المراقبة فإنه ابتعد كلياً عن أعمال وكالة الهجرة لاسرائيل. ولما تأكد له عدم مراقبته عاد إلى نشاطه السابق إلى أن حصل العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ حيث تعرض اليهود في مصر إلى بعض المضايقات وأعيد اعتقال بعض المشبوهين ومنهم ليفي حيث اعتقل صباح ٥ / تشرين الثاني / ١٩٥٦ وأعيد التحقيق معه عن نشاطه فنفى قيامه بأي نشاط معاد لمصر فأفرج عنه وأعلم هذه المرة بأنه سيتلقى أوراق (هجرة) أي مغادرة مصر.

خروج ليفي من مصر

تلقى ليفي بالبريد المضمون أمراً بوجوب مراجعة الأمن العام في الاسكندرية فتوجه حالاً وهناك أعلم بوجوب مغادرة مصر (كان ليفي يشعر بأنه لا لزوم له عقب العدوان الثلاثي وترحيل أغلب اليهود من مصر بما فيهم أهله).

صعق ليفي للطلب ومع ذلك تمالك نفسه وتقدم بطلب إلى الرائد محمد شعبان رئيس دائرة الجوازات يرجو تأجيل سفره مدة شهرين ليتمكن من تصفية أعماله التجارية ولحصوله على بعض مستندات الدراسة فأحيل طلبه إلى رئاسة الأمن العام في القاهرة وبعد عشرين يومكا استدعى إلى الأمن العام وأبلغ بأن مدة إبعاده أجلت / ٢٠ / يوماً فقط

ففرح ليفي ولكن موظف الأمن قطع عليه فرحه بقوله : إن العشرين يوما التي مددت له تنتهي هذا اليوم . (أي من تاريخ تقديمه طلب التمديد) وأرسل مع شرطي إلى منزله حيث جمع أمتعته ضمن شنطة ووزنها عشرين كيلو فقط بعد أن تمكن من بيع جميع أثاث منزله وفي دائرة الأمن العام في ميناء الاسكندرية ختم على جوازه جملة (غير صالح للعودة إلى مصر) واستقل الباخرة (نصر) التي استأجرها الصليب الأحمر مع (٩٠٠) يهوديا آخرين أبعدوا مثله ...

وصلت الباخرة إلى ميناء نابولي في ايطاليا فاستقبله مندوب عن الوكالة اليهودية وأنزله في فندق صغير وبعد أيام نقل مع زملائه إلى جنوا بالقطار ومن جنوا استقلوا الباخرة (فيليب) إلى اسرائيل حيث وصلها بتاريخ ٢١ / ٣ / ١٩٥٧ .

استعان ليفي بأحد رجال شرطة المرور للحصول على عنوان أخيه في مستعمرة رامات مان قرب تل أبيب ثم عنوان والده في مستعمرة بات يام واجتمع شمل الأسرة مجدداً وأخذ ليفي مجدداً دور الأخ الأكبر في العائلة وأخذ يدير شؤونها وسجل نفسه في المدرسة العليا للبلدية لاتقان اللغة العبرية لأن لغته لم تكن كافية وبنفس الوقت كان يبحث عن عمل لكي لا يكون عالة على أهله وطلب من صديقه (أبراهام سيرمانو) مساعدته بذلك فأرشده إلى شركة للاستيراد والتصدير في شارع اللنبي لأنها [illegible] متحـ[1]

ابتداء عمله في المخابرات الاسرائيلية رسمياً

تقدم بطلب عمل إلى شركة الاستيراد والتصدير وقيل له أن يراجع بعد أسبوع وخلال هذا الأسبوع أجريت دراسة دقيقة عنه. ولما كانت أعماله السابقة في الاسكندرية لخدمة الصهيونية معروفة فقد جرت الموافقة له واستلم عمله في مركز الأبحاث التابع للمخابرات العسكرية الاسرائيلية وفي نهاية أول شهر من دوامه قبض راتبه البالغ (١٧٠) ليرة اسرائيلية (٥٥ دولاراً) وبعد شهور ترك العمل في المخابرات والتحق بمؤسسة (هاما شبيرهامر) التي تملك عدداً من التعاونيات لبيع المواد الغذائية .

---

(١) المخابرات الاسرائيلية — هي — هي — في داخل اسرائيل أو خارجها لأن شركة الاستيراد والتصدير هذه ان هي إلا أحد فروع المخابرات داخل اسرائيل .

استند إلى معونة الأب والاخوة واشترى منزلاً من غرفتين في مستعمرة بات يام بالقرب من منزل والديه. حملت زوجته فاضطر للعمل ساعات إضافية وفي هذه الأثناء زاره في مقر عمله النقيب زلمان من الفرع الخارجي في المخابرات الاسرائيلية وعرض عليه العودة للعمل في المخابرات ولكن هذه المرة في الفرع الخارجي لأنه عليه أن يكون على استعداد للقيام برحلات عمل طويلة إلى أوربا وأميركا الجنوبية والبلاد العربية ولم يخفي عليه النقيب أن صديقه أبراهام سيرمانو أيضاً هو الذي أرشدهم إليه وأقنعهم بأنه من أصلح المرشحين للعمل لصالح المخابرات وخارج اسرائيل بسبب إجادته اللغة العربية كأهلها بالإضافة إلى الانكليزية والافرنسية والعبرية بطبيعة الحالة ولكن ليفي رفض طلب المخابرات بأدب محتجاً بأنه تزوج حديثاً وسيصبح قريباً أب وهو بحاجة إلى الاستقرار فتركه النقيب زلمان وقد ضمر بنفسه شيئاً وقد زاره مرة أخرى مكرراً طلبه مؤكداً أن راتبه سيكون / ٥٠٠ / ليرة اسرائيلية أيْ / ١٦٥ / دولاراً وأنه سيتدرب مدة (ستة أشهر) فإذا لم يعجبه العمل يستقيل فكرر ليفي رفضه وهنا قررت المخابرات الاسرائيلية وضعه تحت الأمر الواقع وبعد أربعة أسابيع تلقى مذكرة من رئيسه المباشر في مؤسسة هاما شبير باستغناء المؤسسة عنه وعن بعض زملائه (لكي لا يشعر بضغط المخابرات الاسرائيلية عليه وحده..) وأن عليه أن يسلم جميع مابعهدته خلال شهر ويقبض جميع ما له من حقوق على المؤسسة وعندما عاد إلى منزله في آخر الأمر بعد أن أصبح عاطلاً عن العمل صعب عليه أن يرى زوجته وقد عادت لتعمل فقرر قبول عرض زلمان وهكذا عاد ليفي للعمل في المخابرات الاسرائيلية وبدأت فترة تدريبه في منزل استأجرته المخابرات الاسرائيلية ويقع بالقرب من المنطقة الصناعية في تل أبيب وأعلم زوجته بأنه تعاقد للعمل مع وزارة الدفاع قسم المبيعات وأن عليه أن يقضي أوقات طويلة خارج اسرائيل وأن من دواعي الأمن عدم السؤال عنه بالهاتف أو سؤاله عن عمله فصدقت زوجته ذلك واهتمت بالمنزل.

بدأ دورته بالمناقشة السياسية مع بعض مدربيه عن مواضيع متعلقة بالشرق الأوسط ثم حصرت المناقشة بالجمهورية العربية المتحدة ثم تدريبه على استعمال أجهزة اللاسلكي الحديثة وأبجدية المورس حتى أتقن الارسال لدرجة أنه أصبح يرسل من أربعين إلى ستين حرفاً بالدقيقة. ثم تعلم صنع المتفجرات من مواد أولية متوفرة في الصيدليات ونقل إلى

معسكر للجيش الاسرائيلي حيث درب على عمليات التدمير ونسف القطارات والجسور والمنشآت فنجح وعاد إلى مركز التدريب ليتسع برنامجه ويشمل التدريب على فنون المخابرات والطبوغرافيا وتسجيل وتحليل الأخبار ثم تمرينه على استخدام المسدس (الذي لم يتمكن من استعماله فيما بعد...) وتعلم التمييز بين الأسلحة الروسية والغربية وتعلم عدة طرق لخلع وكسر الأقفال عند الحاجة ومن جملة ماتدرب عليه استعمال الحبر السري في الكتابة وأخيراً كانت فترة التدريب العملي في المطاردة واقتفاء أثر شخص بدون أن يشعر ثم التنكر باسم شخص آخر وتقمص شخصيته فأرسل إلى القدس بجواز سفر افرنسي ليدعي بأنه يهودي مصري هاجر إلى أفريقيا وهو الآن يعيش في فرنسا وهناك ظهر بشخصيته وتكلم الافرنسية وقام باتصالات عديدة مع أشخاص مهمين في القدس منهم رئيس دائرة في وزارة العدل الاسرائيلية الذي تباحث معه بشأن نقل أمواله من فرنسا وإيداعها في مصرف محلي ليستعملها في إنشاء المشاريع في اسرائيل.

عاد ليفي إلى تل أبيب ومنح إجازة وهو لا يدري أن سفره إلى القدس وجميع تحركاته هناك كانت تحت مراقبة فريق من موظفي المخابرات الاسرائيلية وبعد انتهاء إجازته أبلغ بأنه نجح في جميع مواد التجسس التي درب عليها وأن مدربوه واثقون منه وأن باستطاعته الراحة انتظاراً لما سيكلف به من مهمات.

اختيار ليفي للعمل في القاهرة

كانت القاهرة منذ قيام اسرائيل في فلسطين المحتلة الشغل الشاغل لرجال اسرائيل وبالأخص مخابراتها التي تعتبر القاهرة من أكثر البلدان العربية غموضاً وخطراً لذلك قررت زرع ليفي فيها ليكون عيناً وأذناً لها وهنا نشأ فراغ في تدريبه السابق وهو عدم معرفته الشيء الكثير عن القاهرة فقررت المخابرات اتباعه لدورة خاصة ليتعلم مايجب معرفته عنها بينما بدأ رئيس الفرع الخارجي يبحث له عن (شخصية مصرية) ليتقمصها واستدعي ليفي إلى المقر وأبلغ بقرار إيفاده إلى القاهرة فأذعن للأمر وليس بيده حيلة وهنا بدأ التدريب على ماينقصه من المعلومات عن القاهرة وخاصة شعائر الدين الإسلامي فأعدت له المخابرات إقامة في الناصرة بالقرب من أحد المساجد وطلب من الإمام الشيخ محمد

سليمان أن يساعده في الإلمام بأصول الدين الإسلامي لأنه يدرس العلوم الشرقية في جامعة القدس وقام الشيخ سليمان بتدريبه أصول الدين وعرفه على عادات وتقاليد الإسلام بالإضافة إلى الصلوات الخمس والجمعة ومواقيت الأعياد (ومع ذلك لم يستطع رغم ذكائه حفظ سورة الفاتحة فقط) وفي مركز المخابرات تابع الاطلاع على عشرات الأفلام والصور عن القاهرة[1]. وحفظ العديد من أسماء رجال القاهرة البارزين عند ذلك كله أجمع مدربوه وعلى رأسهم ضابط يدعى (جدعون) وملقب بالدرويش على انتهاء تدريبه وأنه على استعداد للسفر إلى القاهرة ولم يبق على المخابرات سوى ترتيب التغطية التي سيدخل بها إلى مصر.

وفي أواخر عام ١٩٦٠ رتبت له المخابرات الاسرائيلية مهمته كما يلي:

١ــ يدعي أن اسمه (وحيد السعداوي) مسلم أصله مصري ولد في الاسكندرية في عام ١٩٣٠ والدته عزة ابراهيم لبنانية تزوجها أبوه أثناء إقامته في بيروت لطلب الرزق. ولما تأثرت تجارة والده في بيروت هاجر مع العائلة و (وحيد ووالدته المزيفة وشقيقة مزيفة له سموها تفاحة) إلى الأرجنتين وأثروا هناك (وبالضبط في العاصمة بيونس آيرس كما رتب له) أقاموا في شارع ليغازي وكان ذلك عام ١٩٤٧ حيث اشترك والده أمين مع تاجر آخر هناك ثم أفلسوا مما أثر على والده فتوفي عام ١٩٥٦ أما والدته عزة فتوفيت أيضاً بعد ستة أشهر من وفاة والده فأخذ (ليفي) يعمل مع عمه ثم انفصل عنه وعمل في وكالة مارادي للسياحة أعجب ليفي بهذه القصة وأعلم بأن عليه الاقتناع أولاً بأنه وحيد السعداوي ليتمكن من إقناع غيره وهكذا كان...

السفـر

ودع ليفي زوجته ووالده وأخوته ووضع نفسه تحت تصرف الفرع الخارجي في المخابرات الاسرائيلية وصدر الأمر بسفره بعد أن تأكد لهم بأنه أصبح جاهزاً للزرع في

(١) هذه الأفلام والصور هي جزء مما يحصل عليه (بعض السواح حين حضورهم إلى البلاد العربية وبالطبع فإن المسؤولين لا يستطيعون منعهم من التقاط الصور وكل ماهنالك يوجد منع تصوير للأماكن الحساسة)...

القاهرة ودعه مدربه جدعون في مطار اللد وأقلعت به الطائرة إلى زيوريخ وكان باستقباله فيها المدعو اسرائيل سالينغر (صاحب مكتب تجاري) للاستيراد والتصدير في شارع هارد لتغطية عمله التجسسي في سويسرا وصحبه إلى فندق آستور حيث استراح من السفر ثم صحبه إلى أحد المصارف السويسرية وفتح له حساباً جارياً باسم (وحيد السعداوي) واستلم دفتر الشيكات ووقع الاثنان اتفاقاً تجارياً صدقاه لدى الكاتب بالعدل في زيوريخ. يقضي بأنه يكون (وحيد السعداوي) ممثل مكتبه التجاري في الأرجنتين (المكتب لا يحمل أي إشارة تدل على كون صاحبه اسرائيلي) واشترى له سالينغر بعض الملابس الأنيقة التي لا يوجد منها باسرائيل ثم صحبه إلى المطار مودعاً وأعلمه أن زميلاً له سينتظره في (بيونس آيرس) وفعلاً كان العميل الاسرائيلي (أبراهام ليفي) ينتظره في مطار بيونس آيرس وصحبه إلى فندق فخم وزوده بلائحة عن أغلب الشخصيات العربية الموجودة في بيونس آيرس مع العناوين اللازمة بالإضافة إلى أسماء النوادي والمطاعم التي يتردد عليها هؤلاء ونصحه أبراهام أن يتعلم اللغة الاسبانية الدارجة هناك حتى لا يشك أحد في (هجرته) أو إقامته في الأرجنتين (حسبما خطط له) وفعلاً استقدم مدرسة أرجنتينية علمته اللغة الاسبانية وكان يغدق عليها أموال المخابرات الاسرائيلية بعد أن استأجر غرفة مفروشة بمبلغ / ٤٠ / بيزوس يومياً في جوار الحي الذي يقطنه العرب الكائن في كال توكوراي رقم ١٤٨٥ وأعلم صاحبة الغرفة بأنه يعمل في شركة للنقليات وأخذ يتردد على الأندية والأماكن التي يتواجد فيها العرب واشترك في صحيفة عربية تصدر هناك. (الاشتراك السنوي في جريدة العالم العربي كان مبلغ / ٤٥٠ / بيزوس) ووطد صداقته مع صاحب الجريدة الذي أخذ يدعوه إلى جميع الحفلات التي تقام في السفارات وإلى السهرات العربية وكان يشيع بين الجميع بأنه يود الرجوع إلى الوطن ... إلى القاهرة ....

وكان ليفي يبعث بتقارير مفصلة من جميع مراحل إقامته وتقدمه في مجال الانخراط بين الجالية العربية خاصة المصرية واللبنانية في بيونس آيرس وبعد مضي سبعة أشهر على إقامته قررت المخابرات الاسرائيلية أن هذه المدة تكفي فأوعزت إلى مندوبها أبراهام ليفي ليخبره بالاستعداد للسفر وفعلاً أخذ يتجول على الذين تعرف عليهم ويودعهم قائلاً بأنه

سوف يسافر ليتولى شؤون ميراث له في بيروت ولم ينس أن يزور صديقه الصحفي ويجدد اشتراكه بجريدته ويودعه بنفس الوقت .

قدم وحيد السعداوي (ليفي) جواز سفره الأرجنتيني المذهب إلى موظف سفارة ج . ع . م فمنح تأشيرة ترانزيت ثم توجه إلى السفارة اللبنانية فحصل على تأشيرة دخول صالحة لستة أشهر وفي ١٦ /أيار / ١٩٦١ غادر بيونس آيرس متوجهاً إلى لندن ... ومنها إلى زيوريخ على طائرة اللوفتهانزا فاستقبله سالينغر رئيس فرع المخابرات الاسرائيلية فيها وأنزله في فندق كونتيننتال .

كان سالينغر يسأل ليفي عن المراحل التي مّر بها ويدّون ذلك ثم استلم منه كل مايتعلق بشخصية وحيد السعداوي وسلمه جواز سفر افرنسي (مزيف) وبعض الهدايا وودعه في المطار ليستقل طائرة إيرفرانس المتوجهة إلى اللد وهناك كان في استقباله معلمه الدرويش (جدعون) الذي استلم منه الرسائل التي حصل عليها في بيونس آيرس ليوصلها لأصحابها فسر جدعون بها كثيراً ووعده بإعادتها له ليوصلها بأمانة (بعد تصويرها) ثم سمح له بالذهاب إلى منزله ...

بعد استراحة مدتها يومان توجه ليفي إلى مركز المخابرات فوجد معلمه جدعون بانتظاره وأخبره بأن عليه أن يمر بدورة تدريبية مكثفة أثناء وجوده بينهم وأعيد إلى نفس البناء الذي تدرب فيه لأول مرة وعرضت عليه صور ومعلومات جديدة بينها صور لطائرات ميغ ١٧ و ١٩ و ٢١ وتدرب على ماوصل إلى المخابرات من أجهزة إرسال حديثة أثناء سفره وازدادت سرعة إرساله بالمورس إلى مائة كلمة بالدقيقة ولما انتهى من التدريب عاد إلى منزله وهو ينتظر صدور الأمر بالسفر ولكن حدوث الانفصال بين سوريا ومصر قلب البرنامج الذي اتبعه رأساً على عقب واجتمع المسؤولين في المخابرات الاسرائيلية وقرروا جعل صفته السياسية التي كان مخططاً له الدخول بها إلى القاهرة هي صفة : الناصري المتحمس إلى الرئيس جمال عبد الناصر ...

ولكي يحصل ليفي على هذه الصفة كان عليه الاستماع إلى جميع مايذاع من محطات القاهرة ودمشق وصوت العرب وبيروت ويشاهد برامج التلفزيون في مبنى المخابرات ...

مضى على وجود ليفي في اسرائيل خمسة أشهر وكان غطاؤه فيما لو سأله أحد الذين يحمل لهم رسائل:

أنه كان مشغولاً بموضوع إرثه في بيروت، وصدرت الأوامر إليه بالاستعداد للسفر فودع عائلته وودع رئيس المخابرات الاسرائيلية (في حينه) إيسير هاريل الذي هنأه على ماوصل إليه ورافقه كالعادة معلمه الدرويش إلى المطار متوجهاً إلى زوريخ وهناك كان سالينغر في استقباله حيث جرى تبادل جوازات السفر وعاد ليفي (وحيد السعداوي) ورتب معه موضوع فتح حساب في أحد مصارف بيروت ليجري تحويل بعض الأموال له باسم المؤسسة التجارية السويسرية المختصة بشراء التحف الشرقية وسافر ليفي-بالقطار السريع إلى جنوا حيث استقل الباخرة أوزونيا التي أبحرت من ميناء جنوا في ٢ /كانون الثاني / عام ١٩٦١ متجهة إلى الاسكندرية.

أمضى ليفي الساعات الأولى على ظهر الباخرة وهو يفكر بالمجهول الذي تقوده له هذه الرحلة حتى وصلت الباخرة إلى الاسكندرية فتحركت الذكريات في نفسه ونزل إليها مع المسافرين لأنه يحمل رسالة إلى ابن عم صاحب جريدة العالم العربي الأرجنتينية وثانياً ليكسب تأشيرة أمن عام من مرفأ الاسكندرية... على جوازه الأرجنتيني وهكذا كان ولو أن موظفي جمارك الاسكندرية في حينه (كان الخفراء يقومون بالتفتيش في حينه بينما الآن يقوم ضباط الجمارك بالتفتيش...) قاموا بواجبهم وأجروا التفتيش المطلوب لكان بالإمكان اكتشاف بعض أدوات التجسس التي وزعها ليفي بين أمتعته... وإننا ننصح في هذا المجال السادة مدراء الجمارك العربية أن يوعزوا باتباع موظفيهم ضباط وخفراء لدورات مكثفة تدرس فيها مواد من نوع جديد مواد لم يتلقوها في الكليات أو المدارس مواد نابعة من صميم عملهم اليومي في تفتيش حقائب وأمتعة القادمين براً وبحراً وجواً بصورة ودية وبدون إزعاج ولأسباب تتعلق بالأمن يجرى تفتيش جميع الحقائب والطرود مهما طال الوقت وأن لا يؤخذوا بالعاطفة لأنه مع الأسف تجرى الآن نفس الأمور التي جرت مع ليفي حيث يشاهد ضباط ومسؤولون على مستويات عليا يحضرون إلى المطارات ولا نخصص بلد لأني كصحفي أتجول في الأقطار المختلفة شاهدت هذه الحالة في مطار الجزائر وبغداد ودمشق وبيروت والقاهرة ولم أشاهدها في أي بلد آخر ابتداء من تركيا. يتوسطون علناً

للقادمين بحيث تمر أمتعتهم مرور الكرام وأنا لست ضد ذلك لأن طبيعة الحياة تفرض ذلك ولكني إذا صدف واستقبلت في الجزائر من قبل صديق عزيز له من السلطة مايمكنني من حمل حقائبي من الطائرة رأساً إلى التكسي ومع ذلك لا ألاقي أي حرج عندما يطلب مني موظف الجمرك بأدب ولباقة (بعد الترحيب) أن يشاهد (فقط) مابداخل الشنطة وهذا من حقه رغم وجود الصديق المسؤول الذي يستقبلني وبالعكس فإن صديقي يشعر بطمأنينة عندما يشاهد الموظف مامعي ويمرر لي (بعض الهدايا الزائدة).

فإذا كان موظفي الجمارك العرب على درجة من الثقافة والخبرة والاكتفاء بمعنى أن تضاف لهم (علاوات) مماثلة لعلاوات رجال المخابرات لكي لاتغريهم (رشوة) أو هدية يطلبها بعضهم بنفسه من القادمين وقد سمعت في بعض البلاد العربية من سائقي التكسي بأن (السائق فلان يدفع كذا ليرة على الحدود عن سيارته فلاتفتيش وإن الركاب الذين يحملون الممنوعات ينتظرونه أيام حتى ينقلهم بهذه الطريقة ...).

ونحن في هذا الكتاب ننصح موظفي الجمارك العرب بأن يكونوا متواضعين ويتحلون بروح الوظيفة والقانون فإذا وجدوا صحبة الراكب القادم إلى الجزائر بعض الملابس الجديدة وعدد من اللفات أحضرها معه هدايا إلى أهله ووجدوا مع الراكب القادم إلى الخليج بعض الحلوى (تفتش) ووجدوا مع الراكب القادم إلى العراق بعض الهدايا من الكويت ومن الرطبة ومع الراكب القادم إلى سوريا من لبنان كيلو شاي أنطون باش وستة كاسات وفرشة اسفنج ومع الراكب القادم إلى القاهرة بعض الأقمشة وعدة بلوزات (مونتاغو) وبعض الألعاب... الخ. بالإضافة إلى عشرات الحالات التي يمر بها موظفي الجمارك يومياً يجب أن ينظر إليها نظرة تسامح وتقدير (حسب الظروف) لأنه لو سمح رجال الجمارك العرب عن طيبة خاطر لمثل هؤلاء بالمرور يومياً (غالباً مايصادف عودة أحدهم مرة ثانية خلال شهر..) فإن ضررهم لا يعادل جزء بسيط من ضرر جاسوس واحد يدخل البلاد العربية ومعه أدوات التجسس وحتى أن بعض الجواسيس تمكنوا من إدخال صواريخ كاملة مع قواعد ضمن شنط صنعت خصيصاً لذلك. وبهذا يتضح للقارئ أن عمل رجال الجمارك لا يقل عن عمل المخابرات في حفظ الأمن وكشف الجواسيس.

تجول ليفي في بعض الأحياء التي كان يتردد عليها في صباه ومنها ساحة محمد علي فلم يتعرف أحد عليه لأنه أرخى شاربيه وغير ملامحه ثم اشترى بعض ثمار المانجة وركب التكسي باتجاه القاهرة وفي الطريق تجاذب الحديث مع السائق فصرح له برغبته بالإقامة في شقة مفروشة ليأخذ راحته وقد أمن له السائق على شقة مفروشة في الطابق الرابع من بناء يقع في شارع الجمهورية وفيها هاتف واتفق مع صاحب الشقة على استعجارها سنوياً ودفع له حسب الاتفاق مبلغ (٦٠٠ جنيه مصري) مقدماً إيجار السنة الأولى ووضع ليفي أمتعته في الشقة وبعد أن استقر فيها واطمئن إلى وضعه قام بتركيب جهاز اللاسلكي ومدد له الأنتين باتجاه تل أبيب وبعث لرؤسائه أول برقية من القاهرة (وجدت المنزل بدأ العمل)...

الاستقرار في القاهرة

بعد أن استقر به المقام في القاهرة اتصل هاتفياً بكمال حسين ليسلمه رسالة من والده (كان والده أعلمه عن إرسال رسالة له) عندما كان هذا يتابع تدريبه في تل أبيب... رحب كمال حسين به ودعاه إلى منزله وهناك تعرف على الملازم عبد المنعم الصاوي الذي سهل له فيما بعد زيارة جبهة السويس وكتب ليفي رسائل تجارية إلى العديد من المؤسسات التجارية التي تعمل في استيراد التحف الشرقية ومن هذه المؤسسات بالطبع فروع المخابرات الاسرائيلية في زيوريخ وميونيخ بعد أن قام بطبع أوراق عمل تجارية باسم: وحيد للاستيراد والتصدير كما لصق على باب شقته نفس الاسم التجاري وجاءه الجواب مشجعاً وطلب منه المستوردون (عينات) من الصناعة المصرية فشحن لهم هذه العينات بشكل طرود وكان أول طرد يحوي (طاولة زهر — أي نرد صنع خان الخليلي) وفي أحد جوانبها فيلماً مصغراً عن بعض الأماكن الحساسة في القاهرة.

وقد عرفه فيما بعد صديقه كمال حسين على مسؤول في وزارة الاعلام (إذاعة المغتربين) يدعى سيد الشناوي. وعمل معه مقابلة إذاعية من راديو القاهرة باعتباره مغترباً عائد للوطن وسماعه يشجع غيره على العودة أيضاً ثم توسعت معرفته بالشناوي ودعاه إلى مكتبه في وزارة الاعلام ثم عرض عليه التعاون معه في تحضير وإذاعة البرنامج الموجه لأميركا

اللاتينية فوافق وحيد مسروراً وقد تمكن فيما بعد من الاطلاع على الكثير من الأسرار... وتعددت زياراته وصداقاته في القاهرة فتعرف على العديد من الأصدقـــاء من مختلف الفعاليات.

وتعرف على الطيار سالم الشرقاوي وموظف في وزارة الشؤون الاجتماعية يدعى محسن والمقدم بدر رياض والمحامي حسن الزنتاوي والفني عباس هويدي الموظف في برج مراقبة مطار القاهرة الدولي وعلى النائب السابق في البرلمان (عطيه السيد) وقد ثبت فيما بعد للمحكمة وللتحقيق والتاريخ أن جميع هؤلاء الذين تعرف عليهم قد خدعوا به فعلاً ولم يثبت بأن أي منهم كان يعلم بأنه جاسوس وأن جميع ماسمعه منهم لا يتعدى مايعرفه (رواد مقهى البارزيانا في القاهرة) من الأمور السياسية العامة.

طلبه لزيارة تل أبيب

بعد مضي حوالي ستة أشهر على وجود ليفي بالقاهرة وتثبيت وجوده بالعمل التجاري والنشاط الاجتماعي والثقافي تلقى أمراً بالرموز بواسطة (اللاسلكي) بالسفر إلى تل أبيب واغتنم هذه الفرصة فقام بجمع عينات جديدة من المصنوعات الشرقية واشترى من أحد الباعة (قرب قلعة محمد علي) عدداً من الأوسمة والرتب العسكرية المصرية وخبأها مع ملابسه الخاصة ثم أعلم أصدقائه (الجدد) في القاهرة بعزمه على السفر وحجز بطاقة طائرة إلى زيوريخ.

وصل إلى زيوريخ وتوجه إلى مكتب سالينغر التجاري الذي رحب به كثيراً وشاهد لديه في المكتب جميع المصنوعات الشرقية التي شحنها له ومنها طاولة الزهر ولما سأله عن الطاولة الثانية التي شحنها له أجابه سالينغر أنها في تل أبيب وتحت الدرس ...؟

استراح ليفي في فندقه المعهود فندق آستور ونزل في التالي مع سالينغر إلى السوق حيث اشترى بعض الهدايا لزوجته وأولاده وتوجه بعد أن استلم جواز السفر الاسرائيلي إلى المطار متوجهاً إلى (اللد).

وحين هبط من الطائرة توجه إلى الجمرك الاسرائيلي وعرض مايحمله من أمتعة وهدايا فتعجب من دقة تفتيش الجمرك الاسرائيلي. وبعد الانتهاء من الجمارك والأمن العام خرج

من باب مطار اللد ليجد شخصاً يتقدم لمساعدته ويحمل إحدى شنطه فتبعه ليفي ليجد سيارة بداخلها معلمه وأستاذه (الدرويش) فسلم عليه باحترام وقدم له هدية (قميص أنيق من زيوريخ) فقال له (الدرويش) أنت باليفي أحسن هدية لي وللمخابرات الاسرائيلية ثم صحبه إلى منزله وطلب منه الالتحاق به في المخابرات بعد ثلاثة أيام.

قضى ليفي الأيام الثلاثة مع زوجته وأولاده ثم توجه إلى المخابرات الاسرائيلية وهناك خضع لمراقبة عامة لجميع ماأرسله من القاهرة بحضور رؤساء فروع المخابرات وكبار ضباطها وطبعاً كان أستاذه (الدرويش) يجلس إلى جانبه وفي النهاية طلب أستاذه أن يكتب تقريراً مفصلاً عن انجازاته ويختمه باقتراحاته.

قدم ليفي التقرير المطلوب طالباً إطلاق يده في التصرف بكل مايراه مناسباً لعمله التجسسي في القاهرة ولكن رؤسائه عارضوه وأوصوه بالاهتمام بالنواحي السياسية والاقتصادية وترك الحصول على معلومات عسكرية وفنية لوقت آخر (ربما كان هناك ليفي آخر ينقل المعلومات العسكرية لهم ...) وتم الاتفاق معه على الاستمرار في إرسال التقارير ضمن رسائل الحبر السري داخل المستودعات الشرقية إلى أوربا وهناك تحول إلى اسرائيل بواسطة البريد الدبلوماسي كما هو معروف ...

كان ليفي يعود يومياً من المخابرات إلى منزله متعباً من الاستجوابات والتحقيقات وحتى التدريب على بعض الأمور التجسسية الجديدة وكانت زوجته تحاول التخفيف عنه ثم سألته ذات مرة لماذا لا يأخذها معه طالما يعمل في الأمور التجارية متنقلاً في أوربا وأميركا الجنوبية (كان يرسل لها بطاقات من مختلف مدن أوربا وهو قابع في شقته في بيونس آيرس بحيث كان يكتبها بدون تاريخ ويرسلها إلى مختلف فروع المخابرات الاسرائيلية وهي تتولى إرسالها إلى زوجته بحيث اقتنعت أنه يتجول من بلد لآخر وكل بلد يصل إليه، يبعث لها منه بطاقة بريدية) أجابها بأنه لا يستطيع اصطحابها معه لأن الأمور التجارية التي يعمل بها لها صبغة عسكرية وممنوع على غيره الإطلاع عليها ولو كانت (الزوجة) عندها اقتنعت زوجته بجوابه وسكتت على مضض ...

انتهت زيارته لاسرائيل فودع ومن ثم أوصله أستاذه الدرويش إلى المطار حيث نقلته طائرة (سويسر اير) إلى زيوريخ فاستعاد من سالينغر جوازه وبالتالي شخصية (وحيد

السعداوي) ثم ركب الطائرة عائداً إلى القاهرة وكان يحمل معه أحدث جهاز استقبال (لاسلكي) بشكل راديو وكاميرا حديثة جداً تستعمل لأغراض التصوير البعيد المدى ولمختلف الأجواء بينما شكلها ظاهرياً كأي كاميرا عادية يحملها المسافرين... العاديين...

وصل إلى شقته واستراح من عناء السفر وأول شخص اتصل به هو سيد الشناوي الذي اطمأن عليه (الحمد لله على السلامة) وتواعدا على اللقاء مساء في مبنى الإذاعة والتلفزيون بالقاهرة.

حضر ليفي إلى الموعد بكامل أناقته فقدمه سيد الشناوي إلى مدير الإذاعة والتلفزيون (في حينه).

أما على الصعيد التجاري فقد صدَّر ليفي من المصنوعات الشرقية كالطاولات الموزاييك والبروكار والأواني النحاسية ماسكنه من الحصول على مبالغ ضخمة مكنته من الاستمرار في حياته كمغترب عائد يصرف الأموال بدون حساب وبدون أن يشك أحد به.. ومن جهة ثانية كان ليفي يتابع عمله الإعلامي في برنامج إذاعي موجه ويتردد إلى وزارة الاعلام ويجلس الساعات بجانب زميله سيد الشناوي، (الذي فصل من وظيفته) بعد أن أنهى المدة التي حكم بها بعد كشف ليفي.

وكان يقرأ بعض مايوجد على طاولة سيد من الكتب الرسمية. وصدف أن دخل رئيس ديوان وزارة الاعلام إلى مكتب سيد فوجد ليفي يقرأ بعض الأوراق فانزعج من ذلك وعاتب سيد بعد ذلك على السماح (للأغراب) بالاطلاع على أوراق وزارة الاعلام ولكن سيد رد عليه بقوله: إن ضيفي وصديقي من أهل الدار (أي يعمل في الاعلام) وهو من أخلص الناس (كما كان يعتقد سيد في حينه..) وكان ليفي يدعى إلى جميع الحفلات التي تقام بالمناسبات الوطنية وحفلات السفارات في القاهرة بل ويرافق الوفود التي تأم العاصمة المصرية وحتى حمام السقايين المعروف في القاهرة تردد عليه ليفي مع سيد الشناوي وصديق له يدعى حاج محمود[1] صاحب دكاكين بالقرب من خان الخليلي في سوق

---

(١) أشيع أن حاج محمود هذا له ابنة في العشرين من عمرها في حينه خطبها بعد أن تردد إلى منزلهم حتى أنه اضطر إلى مرافقة حاج محمود لأداء الصلاة في مسجد الحسين (سبق أن تدرب على الصلاة على يد الشيخ سليمان في الناصرة من الأرض المحتلة...) وقد علمنا أن غير هذه الفتاة أيضاً رشح للزواج منه كان يتخلص من هذه الزيجات المحتملة بلباقته المعروفة....؟.

العطارين وهو سوق قديم لا يزال حتى الآن محافظاً على طابعه وتباع به جميع لوازم الدكاكين الأخرىٌ بالجملة من السكاكر المصنوعة والفواكه المجففة والعطورات المختلفة .

عودته للمرة الثانية إلى اسرائيل

في إذاعة للمخابرات الاسرائيلية له طلبت منه حضوره للضرورة إلى تل أبيب ولما كان ينتظر هذه الفرصة بلهفة لزيارة عائلته وزوجته التي وضعت له ولد أثناء غيابه فأخبر أصدقائه أنه مضطر للسفر إلى أوربا لمراجعة المؤسسات التجارية التي يتعامل معها والمرور بالأرجنتين لقضاء بعض أعماله .

ولما سأله هؤلاء الأصدقاء : أين ستترك لنا مفتاح الشقة أجابهم : تجدوه دوماً لدى سيد الشناوي وكان واثقاً بأن أحداً لن يفكر في البحث عن شيء لأن الجميع مقصدهم معروف مع أن ليفي اصطحب معه جهاز اللاسلكي الأول وترك الثاني الذي لا يمكن أن يعرف إلا من قبل جهابذة الاختصاصيين (راديو عادي) ثم توجه بطائرة إيرفرانس إلى باريس عن طريق زيوريخ حيث استبدل جواز سفره كالعادة ومن باريس إلى اللد بطائرة العال فوصل منزله بدون أي استقبال هذه المرة وفوجئت زوجته بحضوره لأنها استلمت منه عدة بطاقات كعادته ومن عدة بلدان يخبرها بأنه لا يستطيع تحديد موعد عودته .

رحب الأهل به وتنادوا إلى حفلة عائلية حضرها والداه وأخوته وأولادهم وشربوا وغنوا حتى الصباح وفي اليوم التالي توجه إلى مكتب المخابرات معلناً عن وصوله فاستقبله مديره (الدرويش) الذي دعا المسؤولين إلى اجتماع طارئ كان ليفي فيه ضيف الشرف وكالعاده شرح لهم طريقة عمله في القاهرة ومدى ماوصل إليه من نجاح وخير دليل قدمه لهم هو حضوره إليهم للمرة الثانية دون أن يفطن أحد لحركاته أو يرتاب به وناقشه الضباط في بعض نقاط عمله فمنهم من اقترح أن يمتنع ليفي من العمل الاذاعي مع المسؤولين ، وهذا معناه عمله لجهة سياسية معينة فإذا تغير شيء في السياسة خسر كل شيء ، ولكن ليفي وبدعم من مديره دحض هذا الرأي بأنه من الصعب أن يتغير شيء في السياسة المصرية وبالتالي فإن عمله لاغبار عليه وأضيف إلى عمله الاتفاق معه على بعض الجمل أو الكلمات يذيعها فيعرف المستمعون المختصون في المخابرات الاسرائيلية معناها .. وأنهى ليفي تقييم

رؤوسائه لأعماله ثم تقرر سفره إلى الأرجنتين لأنه أعلن أمام أصدقائه في القاهرة أنه مسافر إليها فودع زوجته وعائلته ثم ودع مدربه في مكتبه بالمخابرات وتوجه مع أخيه إلى المطار ...

وصل ليفي إلى بيونس آيرس وتوجه إلى الفندق الذي نزل به أول مرة حين حضوره إلى الأرجنتين ثم زار أغلب الأماكن والأشخاص الذين يعرفهم شارحاً للجميع حلاوة الرجوع إلى الوطن وماوصل إليه ولما عرض عليه البعض العودة مثله إلى الوطن رحب بحرارة وشجعهم واضعاً نفسه تحت تصرفهم وطلب منه البعض الآخر معرفة طريقة استيراد المصنوعات الشرقية من القاهرة فأوصاهم بالاتصال بوزارة الصناعة وذكر اسمه هناك ...

العودة الأخيرة إلى القاهـرة

في منتصف كانون الثاني ١٩٦٥ عاد ليفي إلى القاهرة حاملاً مبالغ جديدة حصل عليها وهدايا لأصدقائه وما أن استقر في منزله المفروش حتى عادت حياته السابقة إلى عهدها حفلات ــ دعوات ــ تقديم هدايا حضور حفلات إعلامية .. ثم امتصاص كل مايسمعه وإرساله إلى اسرائيل .. وهو لا يدري أن نهايته أصبحت قريبة وكشفه أصبح محققاً مهما أوتي من براعة وذكاء .

ليفي الجاسوس الماكر

كان ليفي في الواقع شخصية مزدوجة وكان مضطراً إلى التقمص بشخصية (وحيد السعداوي) في القاهرة وتقمص شخصية (ليفي) الموظف في وزارة الدفاع ــ قسم المبيعات المختص بالشراء من أوربا وأميركا الجنوبية بين أهله وذويه فلأنه نجح إلى حد ما في مصر نتيجة تدريبه واتقانه دوره والظروف التي أتيحت له في بدء مهمته فإنه تعرض للكشف عن عمله بين أهله ثلاث مرات :

الأولى : عندما قدم لابنته صوفي هدية تحمل اسم (غالدي لافايت) بحضور عمها (شقيقه) الذي سأله بعفوية هل أحضرت هذه الهدية من باريس فأجابه ليفي : كلا وهنا انتبه لنفسه فقال لأخيه بعصبية : هل تنتظر مني أن أتذكر جميع

البلدان التي أمر بها ومع ذلك ماسبب سؤالك لي هل تختبرني وخرج غاضباً من المنزل .

الثانية : في عودته الأولى لاسرائيل قدم لأخيه (أفرام) حذاء كهدية ولما هم أخيه بتجربة الحذاء وجد بداخله رقماً عربياً ومع اعتقاد أخيه بأنه يستحيل على ليفي كاسرائيلي السفر إلى أي بلد عربي سأله : هل يبيعون في أوربا أحذية من صنع عربي فوجئ ليفي بهذا السؤال (أخطأ كجاسوس حين لم ينزع الرقم العربي من داخل الحذاء..) فأجابه : نزلت بنا الطائرة بطريق الترانزيت في تركيا فاشتريته .. ولزم أخيه الصمت حياءاً منه لأنه يعرف أن تركيا تستعمل الحروف الأجنبية منذ استلام أتاتورك الحكم . أي من حوالي (٥٠) عاماً .

الثالثة : أحبت والدته أن تكرمه في عودته الثالثة لاسرائيل فصنعت له (حمام محشي) كان يحبها ليفي ولكنه أخطأ عند جلوسه على طاولة الطعام بين أهله عندما سألته والدته عن جودة الطعام وهل أعجبته فقال لها : إني أتناول منها بكثرة أثناء سفري ... وطبعاً تعرف والدته بأن المطاعم الأوربية ... لا تعرف ولا تصنع الحمام .

النهاية

من المعروف أن جميع السفارات تملك أجهزة إرسال (لاسلكي للاتصال ببلادها) وهذه الأجهزة مسموح بها رسمياً وتدخل ضمن الحوائج المعفية من الجمارك للسلك الدبلوماسي والسفارة الهندية في القاهرة تملك جهازاً حديثاً يقوم بالبث عليه أحد موظفي السفارة ويطابق موعد اتصال السفارة الهندية بوزارة خارجيتها في نيودلهي حوالي الساعة الثانية صباحاً بتوقيت القاهرة وقد لاحظ هذا الموظف إشارات لاسلكية (بالشيفرة) تدخل ضمن الاشارات اللاسلكية التي يتصل بها ونظراً لخبرته بالأجهزة اللاسلكية فقد عرف بأن هذه الإشارات بالشيفرة صادرة عن جاسوس في القاهرة يرسلها إلى بلاده فأعلم مسؤولي السفارة بذلك الذين أعلموا بدورهم وزارة الخارجية المصرية حسب الأصول (لا تتصل السفارات) بأي دائرة إلا عن طريق وزارة الخارجية وأحيل الأمر إلى المخابرات

الحربية التي من اختصاصها هذه الأمور وكان يرأسها (في حينه) العقيد محمد دسوقي وانطلقت فرق الالتقاط اللاسلكي المزودة بأجهزة لاسلكية حديثة لكشف أجهزة التجسس في الشوارع المحيطة بالسفارة الهندية بحثاً عن الجهاز الغريب وبالتالي عن جاسوس فلم توفق في الأيام الأولى نظراً لوجود عشرات أجهزة الإرسال في المنطقة (منطقة السفارات) وأيضاً أجهزة مقر الأمم المتحدة القريب من الشارع وأجهزة القيادة العامة نفسها عند ذلك قررت المخابرات الحربية بذل كافة الجهود لكشف هذا الجاسوس بعد أن أكدت لهم السفارة الهندية مرة ثانية صدور إشارات لاسلكية غريبة فطلبت عن طريق وزارة الخارجية من جميع السفارات وكل من يملك جهازاً لاسلكياً مرخصاً التوقف عن استعمال أجهزتهم اعتباراً من الساعة الثانية عشر من مساء يوم ٢٠ / ١٠ / ١٩٦٥ إلى الساعة الثانية عشر من ظهر اليوم التالي كما طلبت المخابرات الحربية باسم وزارة الدفاع من شركة كهرباء القاهرة قطع التيار الكهربائي عن شارع الجمهورية مساء ذلك اليوم وبذلك أصبح جو المنطقة المشبوهة خالياً من أي إشارات لاسلكية ومن التيار الكهربائي وأعطيت الأوامر إلى مفارز المخابرات بالتمركز في العديد من زوايا منطقة الرصد وبدأ الانتظار وفتحت جميع الأجهزة بانتظار صدور أي إشارة لاسلكية لتحديد مكان صدورها وفي الساعة الثانية والربع صباحاً التقطت إشارات ليفي بالذات ومن نفس المنطقة. وبما أن هذه الأجهزة تغطي المكان الذي صدرت منه الاشارات اللاسلكية[1] بطريقة تكعيبية وعلى الخرائط الموجودة، على لوائح فنية فقد ثبت لجميع المفارز بأن الاشارة صدرت من العمارة التي يقطن (وحيد السعداوي) في الطابق الرابع منها فصدرت الأوامر بمحاصرة العمارة أولاً ثم شقة (وحيد السعداوي) ثانياً وهنا تأكد للعقيد دسوقي ماسبق أن أعلمته به المخابرات العامة في القاهرة ...؟

---

(١) لكي لا يوجد ثغرة في مواضيع المخابرات والتجسس هذه يمكن للقارئ أن يكون إشارة استفهام أو شك فإننا نوضح بهذه الملاحق بعض ماينقص المادة المروية ليكون القارئ على إطلاع تام وعلى قناعة بصدق مصادرنا وهنا يتساءل القارئ إذا كانت السلطات قد طلبت من الجميع عدم استعمال أجهزتهم اللاسلكية وطلبت من مؤسسة الكهرباء قطع التيار الكهربائي من الشارع فكيف التقطت إشارات ليفي والجواب بسيط جداً وهو أن العلماء الذين قدموا لأمثال ليفي هذا الجهاز المعقد لم يفتهم أن يحسبوا حساباً لانقطاع التيار الكهربائي المفاجئ فصمموا الجهاز ليعمل على الكهرباء والبطارية معاً. أما ليفي فإنه مرّ عدة مرات قبل هذه المرة الماضية بانقطاع التيار الكهربائي فكان يحول الجهاز رأساً على البطارية ويتابع إرساله.

المخابرات العامة في القاهرة تساهم في كشف ليفي

سبق أن نوهنا بأن جميع مخابرات العالم لديها قسم خاص للصحافة مهمته الاطلاع على مايهم المخابرات من الصحف والمخابرات الحربية بالقاهرة لها قسم للصحافة مزود بطاقة بشرية ضخمة مؤلفة من عدد من ضباط المخابرات ذوي الاختصاص ومنهم ضابط قديم ومعروف عنه حفظه مئات الصور والأسماء بالذاكرة فقط نظراً للسنين التي أمضاها في هذا القسم وحين كان يتصفح هذا الضابط جريدة الأخبار القاهرية التي نشر في الصفحة الأولى منها صورة أخذت للفريق الأول (المرحوم) علي علي عامر عندما كان في زيارة تفقدية لجبهة السويس المصرية فوضع هذه الصورة تحت المجهر ليسجل أسماء من ظهروا بها مع الفريق الأول علي عامر ومن ثم وضعها في الأرشيف فظهرت له صورة شخص معروف لديه منذ مدة طويلة ولكنه لم يتذكر بالضبط ولكي يكون الأرشيف كاملاً كتبت المخابرات الحربية المصرية إلى المخابرات العامة تسألها عن الشخص المدني الذي يظهر مع قائد القوات العربية الموحدة (في حينه) ومع شخصيات عسكرية أخرى فأجابتها المخابرات العامة بأنه المهاجر وحيد السعداوي من أصل مصري هاجر مع أبوه وأمه اللبنانية إلى بيروت ومن ثم إلى الأرجنتين ... الخ وعندما اطلع الضابط على جواب المخابرات العامة تذكر وجه الشخص المستفسر عنه وعاد إلى الأرشيف المحفوظ لديه عن حوادث الاسكندرية والأعمال التخريبية (قضية لافون) فظهر أن وحيد السعداوي هو اليهودي ليفي الذي اعتقل وأخلي سبيله (في حينه) ولم يمنع وجود شارب ضخم في شخصيته الجديدة ضابط المخابرات من التأكد بأنه هو نفسه (ليفي مزراحي) فكتبت المخابرات الحربية المصرية إلى المخابرات العامة بذلك. وما أن أحيط العقيد دسوقي علماً بذلك حتى أوعز بمراقبة وحيد السعداوي مراقبة دقيقة.

زيارة المخابرات الحربية لمنزل وحيد السعداوي (ليفي)

بعد التأكد من وجود جهاز لاسلكي في منزل (وحيد السعداوي) ومطابقة معلومات المخابرات عنه أصدر العقيد دسوقي أوامره إلى بعض الضباط المرافقين له بكسر الباب ومفاجأته قبل أن يتمكن من إخفاء أو إتلاف أي مستند تجسسي وخشية أن يلحق الأذى بنفسه ويفوت فرصة كشفه فاقتحم اثنين من الضباط الباب وأسرعا بالوصول إلى ليفي شاهرين مسدساتهم. أما ليفي (وحيد) فقد ذهل من المفاجأة التي كانت في محلها فعلاً وتسمر في فراشه (كان ينتظر جواب محطة تل أبيب) وقد وضع جهاز اللاسلكي على الطاولة الموضوعة بجانب السرير ووضع القيد البوليسي في يديه من الخلف وأجلس على كرسي من عفش منزله الذي طالما شهد الليالي الحمراء وسأله العقيد دسوقي: والآن وبعد أن اتضح كل شيء أفدنا من أنت فأجابه: ألا تعرفني أنا المغترب وحيد السعداوي فأجابه العقيد: كنت بالماضي كذلك والآن قل لنا من أنت... فأطرق ليفي برأسه وقد عرف أن نهايته دنت ولا يجديه الانكار. تابع العقيد دسوقي في كلامه قائلاً: وماهو موضوع البرقية التي أرسلتها إلى رؤسائك فأجابه ليفي: أخبرتهم بعزم الحكومة المصرية على توحيد المنظمات الفدائية ودعمها ولما سأله عن مصدر هذه المعلومات أجابه: من أصدقائي. وهنا خطرت للعقيد دسوقي فكرة فطلب من ليفي أن يرسل برقية إلى تل أبيب بحضوره وأملا عليه مايلي:

علمت الآن أن الجيش المصري في حالة تأهب (قصوى) وطلب من مرافقيه فك القيد عن يديه.. قام ليفي بإرسال البرقية حرفياً بالشيفرة وتحت مراقبة خبير في الشيفرة من المخابرات المصرية.

الحزن الكبير في المخابرات الاسرائيلية

أخطأ العقيد دسوقي بجعل ليفي يتصل برؤسائه أمامه ومن المفروض ولدواعي الأمن في مثل هذه الحالات عدم إتيان المقبوض عليه بأي حركة مهما كانت واتباع إجراءات صارمة للحيلولة دون إقدامه على أي عمل متهور كالانتحار بالسم أو إلقاء نفسه من النافذة (حين راجع ليفي مع رؤسائه لدى زيارته لاسرائيل احتمالات كشفه قال لمديره الدرويش إذا علمت بأن المخابرات المصرية قادمة لاعتقالي فسوف ألقي نفسي من النافذة بالطابق الرابع وأنهي الأمر ...) وخطأ العقيد دسوقي هو الذي جعل المخابرات الاسرائيلية تعرف أن جاسوسها ألقي القبض عليه في القاهرة بينما كان يستطيع كسب الوقت لصالح التحقيق وتأخير إعلام المخابرات الاسرائيلية بالقبض عليه... لأن ليفي ورؤسائه اتفقوا على كل شيء أثناء تكليفه بالمهمة وأثناء عودته إلى اسرائيل وكان الاتفاق ينص على أنه إذا ألقي القبض عليه وأجبر على الاتصال بهم يجري الاتصال كما يوعز وحرفياً دون زيادة أو نقصان وهنا يعرفوا في الطرف الآخر أنه معتقل. أما بالحالات العادية فكان يرسل لهم المعلومات ويتبعها بجملة مغلوطة ومتفق عليها وحين اتصل برؤسائه ناقلاً إليهم ماأمره بنقله العقيد دسوقي عرفوا فوراً باعتقاله وللتأكيد اتصلوا به وقالوا له: أعد الاتصال لم نسمعك جيداً فسمح له العقيد دسوقي بإعادة الاتصال عندها تأكدوا من اعتقاله فصمتوا ولم يجيبوه بشيء كعادتهم وطال انتظار المخابرات المصرية للجواب وعند ذلك عرف العقيد دسوقي أنهم عرفوا الأمر فكتب البرقية الآتية وطلب من ليفي إرسالها إلى رؤسائه: إلى رئيس وزراء اسرائيل أشكول وإلى رئيس المخابرات الاسرائيلية قبضنا على ليفي وأصدقائه وهم ضيوفنا الآن. لا تحاولوا إرسال غيرهم سنعلمكم بمصيرهم قريباً. «المخابرات الحربية ــ القاهرة».

أشرف العقيد دسوقي بنفسه على التحقيق مع ليفي ونقلت محطة إذاعة وتلفزيون القاهرة وقائع جلسات المحكمة العسكرية التي حاكمته إلى حين صدور الحكم الآتي عليه من قبلها :

باسم الشعب العربي في مصر حكم على ليفي مزراحي بالموت بعد أن اتهم بدخوله إلى المناطق العسكرية وإفشاء بعض المعلومات السرية وإلحاق الضرر بالأماكن العامة بعد كشفها للعدو .

إعلان الحزن في المخابرات الاسرائيلية

أسرع الضابط المناوب في المخابرات الاسرائيلية والذي استلم إشارة توقيف ليفي من موظفي اللاسلكي بالاتصال بالجنرال آميت رئيس المخابرات وأعلمه بذلك فاتصل آميت حالاً بمنزل رئيس الوزراء ليفي أشكول وأعلمه بالخبر والبرقية الموجهة إليه من المخابرات المصرية ومن ثم اتجه آميت إلى مركز المخابرات التي استنفرت جميع أقسامها بعد شيوع النبأ وتأكد للمخابرات الاسرائيلية صحة النبأ عندما أذاعته القاهرة في اليوم التالي ولمعرفة المخابرات الاسرائيلية بأن قضية من هذا الوزن تؤثر على الحكومة الاسرائيلية وحتى على الكنيست (البرلمان) حين نشرها في الصحف وبعناوين مثيرة فأوعز آميت إلى سكرتيره بدعوة محرري الصحف الاسرائيلية حيث قدم لهم تقريراً مختصراً عن موضوع ليفي وطلب منهم إبقاء الرأي العام الاسرائيلي بعيداً عن معرفة الحقائق لتجنب الضجة والارتباك وختم طلبه بالجملة المعروفة (ولدواعي الأمن) فوافق المحررون بالإجماع على إسدال ستار الكتمان على القضية طوال المدة التي تراها المخابرات ضرورية .

انصرفت الحكومة الاسرائيلية برمتها في أول اجتماع لها بعد إلقاء القبض على ليفي لدراسة أنجع السبل لانقاذه وقررت الموافقة وبحالة استثنائية على أي إجراء أو اتصال أو مفاوضات أو وعود مهما كانت وتؤدي إلى إنقاذه من الإعدام وبدأ سيل الاتصالات الاسرائيلية لمساعدة ليفي كما يلي :

١ـــ اتصل الزعيم الاسرائيلي الشيوعي /موشي سينه/ بالأقطاب الشيوعيين في

موسكو وبوخارست وبودابست وصوفيا وبراغ لإقناع حكوماتهم بالتدخل مع مصر لمساعدة ليفي.

٢ــ نائب رئيس المجلس الدولي للأحزاب الاشتراكية الدكتور برونو بيترمان اتصل بالسفير المصري في فيينا طالباً منه الرأفة لليفي الذي يحاكم في القاهرة.

٣ــ رئيس جمهورية النمسا والرئيس الأرجنتيني السابق أرتور وفرنديزي أبرقا للسلطات المسؤولة في مصر يطلبان إجراء محاكمة عادلة...

٤ــ رئيس بلدية فلورنسا / جيور جيولا بيرا/ الذي كان وسيطاً للسلام في الشرق الأوسط أبرق مسترحماً.

٥ــ تقدم أربعون سياسياً سويسرياً بكتاب إلى القاهرة يطلبون الرحمة له.

٦ــ تقدم زعيم الحزب العمالي الهولندي /بيترد انكرت/ بكتاب إلى المسؤولين يطلب فيه الرأفة له.

٧ــ أرسل رئيس اتحاد نقابات العمال في السويد /آرن جيفر/ برقية إلى القاهرة لنفس الغرض.

٨ــ وقع رجال العلم في استكهولم عريضة أرسلت إلى القاهرة تطلب الرأفة له.

٩ــ أبرق وكتب إلى القاهرة السفير كميل هويسمان /رئيس وزراء سابق في بلجيكا/ وعرض سفره شخصياً إلى مصر للوساطة.

١٠ــ استقبلت الملكة إليزابيت الأم في بلجيكا /موشي دايان/ الذي وصل إلى بلجيكا لهذا الغرض وفي اليوم التالي أبرق القصر الملكي إلى القاهرة؟ طالباً الرأفة.

١١ــ ساهمت الملكة إليزابيت /ملكة بريطانيا/ في الضغط على مصر بعد أن رفع إليها استرحام من قبل ليفي أشكول رئيس وزراء اسرائيل بالذات وبدعم من رئيس الوزراء البريطاني (في حينه) هارولد ويلسون /ووزير خارجيته جون براون/.

١٢ــ كتب إلى القاهرة لنفس المعنى اللورد براتراند رسل وميكائيل فونت واثنان وعشرون من أعضاء البرلمان البريطاني.

١٣ـ كتب إلى القاهرة الزعيم العمالي جورج دودكوك ـ رئيس اتحاد نقابات العمال في بريطانيا.

١٤ـ أوفد السفير الاسرائيلي يهود افربيل في ايطاليا إلى حاضرة الفاتيكان فاستقبله نيافة الكاردينال سيكونيا رئيس حكومة الفاتيكان وأصغى إلى طلبه باهتمام بالغ ثم رفع الأمر إلى قداسة البابا بولس الرابع الذي طلب إلى اثنين من العرب رفعاً مؤخراً إلى مرتبة الكاردينال بالتدخل كما أرسل رسولاً إلى القاهرة واتصل برئيس الأساقفة فيها وطالبه بالمساعدة الممكنة.

١٥ـ لم تتمكن الولايات المتحدة من التدخل لأنها كانت في عداء متحكم مع مصر «جمال عبد الناصر»...

١٦ـ كتب الأستاذ الأميركي لينوس بولينغ الذي فاز بجائزة نوبل إلى القاهرة.

١٧ـ الكنيسة والأبرشية اللبنانية في نيويورك ناشدتا المسؤولين ومشاعرهم العربية الأصيلة...

١٨ـ اتصال السفير الاسرائيلي في واشنطن بالسفير السوفياتي نيكولاي فيدرينكو طالباً مساعدته الممكنة فأجابه بأن طلبه غير ممكن في مثل هذه الأمور.

١٩ـ اتصل السفير الاسرائيلي نفسه بأغلب السفراء الإفريقيين فلم يجد منهم آذاناً صاغية.

٢٠ـ تطوع سفراء بريطانيا وفرنسا لتقديم خدماتهم أيضاً وحثوا السفراء العرب على التعاون معهم.

٢١ـ بإيعاز من الحكومة الاسرائيلية قام ـ يوسف تكواه ـ بزيارة يوثانت الأمين العام للأمم المتحدة في مكتبه بالطابق (٣٨) الذي استمع إليه بأدبه المعروف ثم أخبره بأن لمنصبه كأمين عام للأمم المتحدة حدود. وأن الموضوع حين يكون يتعلق بالتجسس فإنه لا يستطيع شيئاً.

٢٢ـ اتصل الدبلوماسيين الاسرائيليين في واشنطن أيضاً بالوسيط الدولي رالف بانش / سكرتير الأمين العام للأمم المتحدة لشؤون الشرق الأوسط / في منزله وأجابهم بعدم استطاعته خدمتهم بشيء لأن الموضوع يتعلق بالتجسس...

٢٣ـ طلب وزير الخارجية الأرجنتيني أمجيل زابالا من الحكومة المصرية أن تبقي على حياة ليفي لأسباب انسانية. وهو لا يزال يعتقد أن ليفي (وحيد السعداوي) أرجنتيني بالتجنس.

٢٤ـ أبرق نائب رئيس جمهورية الأرجنتين كارلوس بيرتيه إلى القاهرة أيضاً طالباً الرحمة.

٢٥ـ أبرق الكاردينال ألفريد بالاشيوس في بيونس.آيرس ومن على فراش المرض إلى القاهرة معتقداً بأنه أي ليفي مزراحي من الأرجنتين.

٢٦ـ زار السفير الاسرائيلي في فرنسا ولترايتان كل من الرئيس الفرنسي السابق ادغارفور والرئيس السابق أنطوان بيني طالباً منهم التوسط فوعدوه بذلك...

٢٧ـ اتصل وزير الخارجية الافرنسية (في حينه) موريس كوف دومورفيل بالسيد محمد المسعودي المبعوث التونسي وطلب منه أن يطلب من حكومته الاتصال بمصر لنفس الغاية..

٢٨ـ تعاونت في الكتابة أو الإبراق إلى مصر من باريس كل من حركة السلام الفرنسية ـ اتحادات العمل رجال الأعمال الفرنسيين ـ القادة الكاثوليك ـ المحامين القوى الاشتراكية العاملة...

٢٩ـ الدكتور موريس كوسى ـ كتب طالباً له الرأفة.

٣٠ـ أبرق إلى المسؤولين في القاهرة رئيس اللجنة الدولية لرجال القانون في سويسرا /سيبان باكبرايد/.

٣١ـ أبرق إلى القاهرة منديس فرانس رئيس وزراء سابق في فرنسا...

٣٢ـ أبرق إلى القاهرة رئيس وزراء كندا (جان ديفنباكر).

٣٣ـ عرضت اسرائيل تسليم مصر عشرة جواسيس عرب معتقلين لديها مقابل الإبقاء فقط على حياة ليفي...

٣٤ـ عرضت اسرائيل تقديم مواد طبية.

٣٥ـ عرضت اسرائيل تقديم تراكتورات زراعية وبلدوزرات.

٣٦ـ عرضت اسرائيل تقديم سيارات مستشفى.

٣٧ــ وضع مبلغ / ٢٥٠ / مائتين وخمسين ألف دولار في مصرف سويسري بموجب شيك مفتوح لمن يستطيع تقديم أية خدمة أو فكرة ناجحة لانقاذ ليفي ولم تترك المخابرات الاسرائيلية ومن ورائها الحكومة إمكانية مهما كانت بعيدة وضعيفة إلا وجرى الإقدام عليها في الحيلة اليائسة لانقاذه.

٣٨ــ أرسلت المخابرات الاسرائيلية زوجته إلى باريس على نفقتها لعلها تستدر عطف الفرنسيين للتدخل كما وكلت المخابرات الاسرائيلية باسم زوجته المحامي الفرنسي الشهير الاستاذ جاك ثالاندبه الذي سافر إلى القاهرة ليجرب حظه. بينما قدمت زوجته في مؤتمر صحفي في باريس ــ فندق آستور ومعها ابنتها الصغيرة ورجت الصحافيين رجال الإعلام بشكل مؤثر أن يستصرخوا الرأي العام لانقاذ حياة زوجها... وحاولت زوجته الاتصال بالسفارة المصرية في باريس فطردت وكان تغلق خطوط الهاتف في وجهها... فيأست وعادت إلى اسرائيل...

٣٩ــ وكلت السفارة الاسرائيلية في باريس أيضاً المحامي الفرنسي الشهير بول ليفي ــ الرئيس السابق لنقابة المحامين الافرنسيين والمحامي جاك موسيه من أبطال فرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية وسبق له أن قام بالدفاع عن بعض أعضاء جبهة التحرير الوطني الجزائرية إبان الثورة الجزائرية.

٤ــ لدى فشل المحامين بول ليفي وجاك موسيه ــ وجان ثالاندبه ــ في الدفاع عن ليفي في القاهرة كتبوا إلى الجمعية الدولية لحقوق الانسان في جنيف. فانتدبت جمعية حقوق الانسان المحامي البلجيكي أدريان ولترز رئيس جمعية حقوق الانسان في بلجيكا وحضر إلى القاهرة وقابل نقيب المحامين ووزير العدل (في حينه) اللذين اعتذرا منه لأن محاكمة ليفي تجري في محكمة عسكرية خاصة. ثم قابل وزير الدفاع الذي اعتذر منه أيضاً لأن الدفاع عن ليفي من اختصاص نفس المحكمة العسكرية ولما طلب مقابلة رئيس المحكمة العسكرية رفض طلبه فعاد إلى مقر عمله... خائباً.

٤١ــ حاولت السفارة الاسرائيلية في باريس استغلال وجود الرئيس شارل حلو فيها

فأوعزت إلى بعض الشخصيات الفرنسية للاتصال به ولكن بدون جدوى ...

٤٢ــ أرسلت السفارة الاسرائيلية في باريس أيضاً ضابطاً فرنسياً متزوج من سيدة مصرية إلى القاهرة للتوسط وعرض مبادلة ليفي بما تشاء الحكومة المصرية وأيضاً عاد بخفي حنين .

٤٣ــ عندما أدركت المخابرات الاسرائيلية ومن ورائها الحكومة أن جميع هذه الاتصالات باءت بالفشل قررت القيام بغارة على جبهة السويس بواسطة الفرقة (١٠١) الخاصة لمثل هذه الأعمال لاختطاف بعض المصريين والضغط على القاهرة بعدها لمبادلتهم بليفي ولكن ليفي أشكول رئيس الوزراء رفض الموافقة على هذه الخطة وطلب استمرار العمل الديلوماسي للانقاذ ...

تنفيذ الحكم

لكل دولة الحق في تطبيق القوانين التي تراها مناسبة لحماية أمنها من عبث العابثين خصوصاً الجواسيس الذين يلحقون أفدح الأضرار بما يقدمونه لبلادهم من الأسرار التي عرفوها عن البلاد التي يعملوا بها فبينما تجد قانون العقوبات في بلد مثل لبنان يحكم على الجاسوس بالسجن سنتين أو خمس سنوات عندما يثبت عليه حصوله على وثائق سرية ودخوله أماكن ممنوعة الخ... نجد نفس القانون في مصر يحكم الجاسوس بالإعدام لأقل من ذلك وليس بغريب أن تكون بيروت مع الأسف مرتعاً للجواسيس الذين يسرحون بها وهم أكثر اطمئناناً من عملهم السابق في هونغ كونغ .

وحين حكم على ليفي بالاعدام لثبوت تجسسه وإلحاقه الأذى بالمواقع العسكرية التي كشف عن بعضها ولما قدمه للمخابرات الاسرائيلية من أخبار توقع الجميع وحسب طبيعة كره المصريين لكافة أعمال الجاسوسية أن ينفذ الحكم به لأنه مامن جاسوس أفلت من المخابرات العربية مهما طال أمد اكتشافه ومهما أوتي من براعة التمويه حتى ولو اعتمر طاقية الإخفاء وأن الجاسوس إذا كان عربياً ومهما كان ذو شأن يعدم فكيف الجاسوس الأجنبي أو بالأحرى الاسرائيلي ....

لقد أنكرت روسيا جاسوسها ريشارد سورج الذي حكم عليه بالإعدام في طوكيو

بل وادعت بأن المخابرات اليابانية تحيك قصته للاساءة إلى الاتحاد السوفييتي ولكن اسرائيل عملت العكس ملأت الدنيا ضجيجاً. وأعلنت للجميع أن مصر ألقت القبض على جاسوس لها وأوعزت إلى الديبلوماسية الاسرائيلية بالاتصال بكل من له علاقة أو صداقة مع مصر للتوسط لأجل ليفي وكان هذا السيل من الرسائل والبرقيات والحضور شخصياً إلى القاهرة.

مساء ١٧ أيار عام ١٩٦٥ استدعي خاخام اليهود في القاهرة إلى وزارة الداخلية وأعلم بأن يحضر صباح الغد (١٨) منه ليحضر شنق ليفي وأوصي بعدم البوح بذلك وتحت المسؤولية وحتى لأقرب الناس إليه.

وفي الصباح انتقل المسؤولين ومعهم الخاخام إلى سجن القاهرة حيث اختلى الخاخام مع ليفي بعض الوقت ثم أخرج ليفي مع حراسه ونقل إلى مكتب إدارة السجن وأجلس إلى طاولة وأعطي قلماً وورقة ليكتب مايشاء ولمن يشاء بحضور الخاخام.

يكتب ليفي رسالة إلى زوجته وطلب من الخاخام أن يعمل جهده لكي تصل هذه الرسالة لزوجته (استلمتها فيما بعد من الصليب الأحمر).

زوجتي الغالية: لاأريدك أن تضيعي وقتك بالبكاء والحداد على أمور مضت بل انظري دائماً إلى المستقبل. تزوجي حتى لا يبقى الأولاد بدون أب.. وأضاف ليفي إلى الرسالة بعض السلامات إلى الأهل والقبلات للجميع.

قام الخاخام بتلقين ليفي الصلاة الثانية ثم نقل إلى ساحة السجن وهي المكان المخصص لتنفيذ أحكام الإعدام بالشنق على الجواسيس والمجرمين وأصعد إلى منصة المشنقة بحضور مصوري الصحف ووكالات الأنباء الأجنبية والعربية.. حيث نفذ به حكم الإعدام شنقاً.. وأعلن عن وفاته في الساعة الرابعة صباحاً بتوقيت القاهرة. وبذلك خسرت المخابرات الاسرائيلية أهم مصدر من مصادر أخبارها....

الى هنا وتنتهي مواد الجزء الثاني من كتاب المخابرات والعالم والى اللقاء مع طيب التمنيات لقراء هذه الموسوعة في الجزء الثالث الذي سيحوي اغرب قصص واعمال المخابرات والجاسوسية العالمية مع ريبورتاج مصور عن كيفية اعتقال عميلة مخابرات حقيقية.

المؤلـف
سعيد الجزائري

ن مراحل تأليف الجزء الاول من كتاب المخابرات والعالم

حاولت في بيروت التعاون مع دار الحياة للنشر لصاحبها الاستاذ يحيى الخليل لطبع الجزء الاول من كتابي (المخابرات والعالم) وقد اعطى الاستاذ الخليل نسخة الكتاب وكانت بخط يدي في حينه الى مستشار دار الحياة الثقافي الاستاذ محمد وجيه عياش للاطلاع عليها وابداء رأيه في صلاحيتها للطبع والنشر وقد اعطى المستشار رأيه الاتي في الكتاب:

مع الاحترام، ارفع هذا التقرير الى مدير دار الحياة للنشر.

بعد الاطلاع الشامل على كتاب (المخابرات والعالم) خرجت منه بالنتائج التالية:

١ ـ ان الكتاب من حيث موضوعه قيم جدا وفريد من نوعه وقد جاء في الوقت المناسب فشعوبنا في مسيس الحاجة للاطلاع على الادوار التي لعبتها وتلعبها المخابرات سواء في عالمنا العربي او العوالم الاخرى اذ ان شعوبنا عاشت وما زالت تعيش في جو غامض مبهم من امر الاستخبارات وهذا الكتاب يعتبر يقظة جديدة وثقافة حديثة لجيلنا الصاعد الذي يتطلع الى حياة كريمة، ويسير قدما في طريق الفلاح والاستقرار ومثل هذا الكتاب يجتث من طريقه كثيرا من العقبات التي تعوق سيره ويفتح امامه افاقا جديدة في تحقيق اهدافه ومثله.

٢ ـ ان الكتاب بحاجة الي اخراج جديد يعهد به الى شخص فني من ذوي الاختصاص.

٣ ـ ان لغة الكتاب بحاجة الى تقوية ويجب عرضه على كاتب اديب لأن حسن الاسلوب يزيد في رواج الكتاب.

٤ ـ يدل الكتاب على ان المؤلف بحالة كثير التجوال في البلاد ولا اذهب بعيدا اذا اشبهته بالمؤرخ العربي الكبير (ابن بطوطة) وانا ارمي من وراء هذا التشبيه الى هدف هو في مصلحة دار النشر وهو أن المؤلف بحكم بحثه وتجواله قد تعرف على العديد من الشخصيات البارزة والعادية في العالمين العربي والأجنبي. لهذا فيجب أن تشترط دار النشر على المؤلف القيام بنشاط واسع لبيع النسخ بعد الطبع وذلك برحلات يقوم بها لهذه الغاية في جميع الاقطار العربية.

وأنا ارى ان تحدد له او تفرض عليه الكمية التي يجب عليه

تصريفها وبيعها واعتقد انه تتوفر لديه القدرة على ذلك للسبب الذي اسلفت ذكره في المؤلف.

خلاصة الرأي: الكتاب ناجح وضامن للربح الوفير بعد مراعاة الملاحظات المذكورة آنفا.

بيروت

المستشار محمد وجيه عياش

رد المؤلف: اشكر للاستاذ محمد وجيه عياش كل كلمة قالها في تقريره عن الكتاب حتى نقده في الفقرة (٣) فقد تقبلته بصدر رحب لأني لا ادعي حمل الشهادات العليا بل اني كاتب متواضع اكتسبت خبرة الكتابة وخاصة عن المخابرات من الحياة لذلك فقد قدمت الكتاب حسب نصيحته الى الدكتور العلامة محمد التونجي فقام مشكورا بمراجعة الكتاب مراجعة لغوية ومن ثم قدمت الكتاب للاستاذ سهيل خليل فأخرجه اخراجا جيدا وقدم له جهداً مشكورا.

اما بالنسبة لطبع الكتاب في بيروت في حينه فقد اضطرتني الاحداث الى العودة الى دمشق بخفي حنين كما يقال بعد ان اصيب مكتبي في بيروت ونهبت محتوياته التي تحوي ارشيفا وصورا عزيزة علي وقمت بطبعه في دمشق وايضا في دار الحياة الدمشقية لاصحابها محمود واحمد كنفاني وقد تحملت الكثير من الضرر بسبب اخطاء المطبعة في الطبعات الاولى والثانية.

اما عن اعتقاده بامكانيتي توزيع الكتاب في الدول العربية فأيضا في محله ولكن الظروف لم تتاح لي حتى الان للقيام بجولة لتسويق الكتاب رغم انه عرض علي السفر الى الجماهيرية واليمن لالقاء محاضرات عن الكتاب ولكن ظروفي لم تسمح لي بذلك وقد اليت على نفسي ان شاء الله لدى صدور (الجزء الثاني) من الكتاب القيام بالجولة التي اقترحها الاستاذ عياش لتقديم نسخ من الكتاب الى الملوك والرؤساء ووزراء الدفاع والداخلية ورؤساء المخابرات والمباحث في الدول العربية وذلك تعميما للفائدة من الكتاب بجزئيه الاول والثاني والله من وراء القصد.

المؤلف

سعيد الجزائري

عضو اتحاد الصحفيين العرب

المحتوى

الموضوع	الصفحة

مسابقة الكتاب السياسية

نذكر فيما يلي اسماء بعض زعماء وسياسيي العالم الذين اغتيلوا على مراحل متعددة خلال السنين الماضية منهم من اغتالته المخابرات ومنهم من اغتيل لاسباب سياسية اخرى والمطلوب من القارىء معرفة تاريخ الاغتيال وارسال الجواب الى بيروت ص.ب. (٥١٤٠) ونحن سنقوم باجراء قرعة بين مرسلي الجواب الصحيح والفائز الاول سوف يحصل على جائزة نقدية تشجيعية لمعلوماته قيمتها /٥٠ دولارا/ والفائز الثاني /٣٠/دولارا/ والفائز الثالث والرابع والخامس سوف يحصلون على نسخ من الكتاب باهداء المؤلف شخصيا وهذه الاسماء:

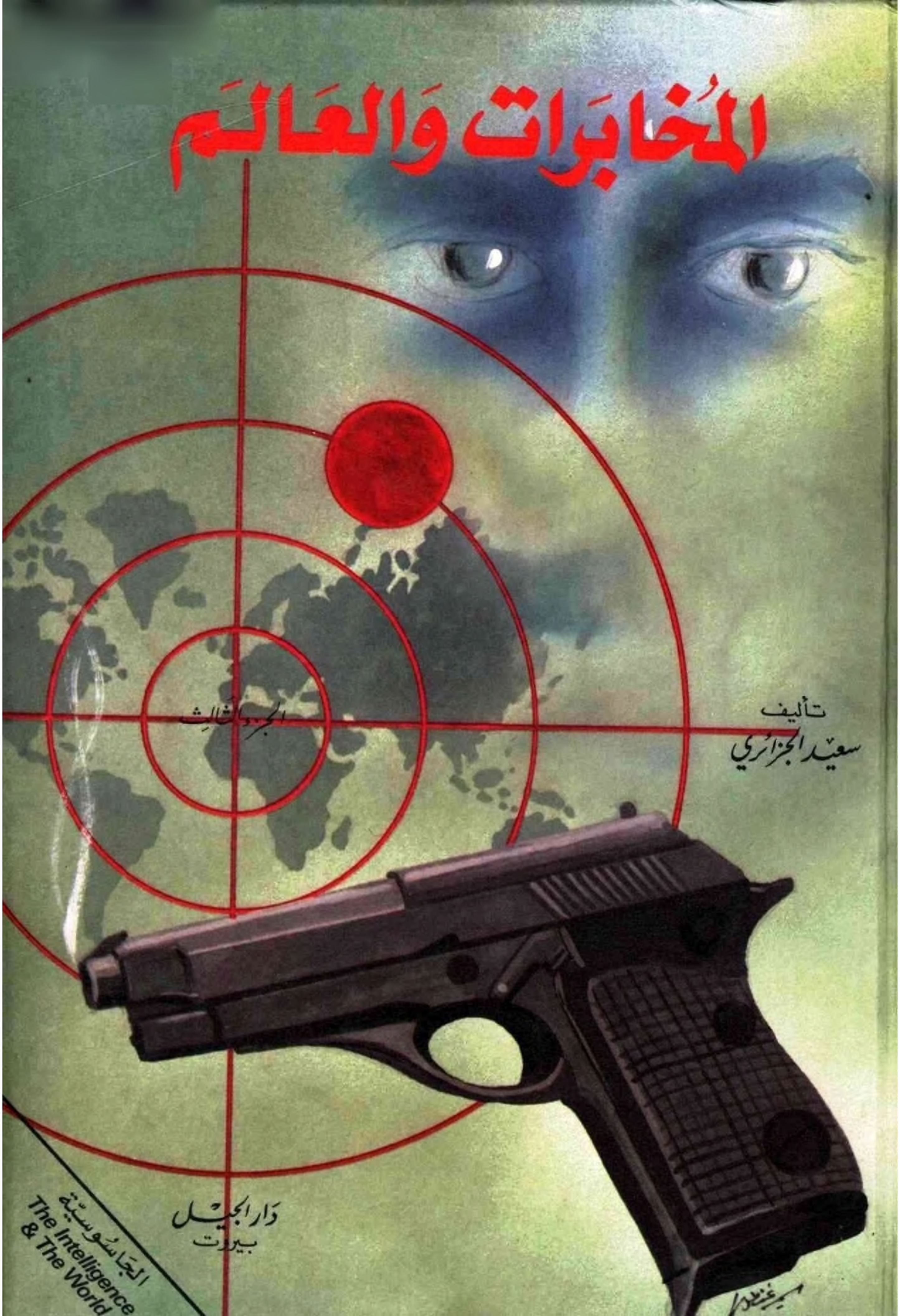
اسم السياسي	تاريخ الاغتيال
١ ــ احمد ماهر باشا ــ رئيس وزراء مصر ــ في حينه.	
٢ ــ أماندا هيبول ــ ملك افغانستان.	
٣ ــ اوريج سان ــ رئيس وزراء بورما.	
٤ ــ المهاتماغاندي ــ رائد استقلال الهند.	
٥ ــ الملك عبد الله ملك الاردن.	
٦ ــ لياقات علي خان ــ رئيس وزراء الباكستان في حينه.	
٧ ــ جوزيف ريمو ــ رئيس بناما.	
٨ ــ اناستاسيو سوموزا ــ رئيس نيكاراغوا.	
٩ ــ كارلوس ارماس ــ رئيس غواتيمالا.	
١٠ ــ الملك فيصل ملك العراق.	
١١ ــ نوري السعيد ــ رئيس وزراء العراق في حينه.	
١٢ ــ باندرا انيكا ــ رئيس وزراء سيلان في حينه.	
١٣ ــ رافائيل تروجيلو ــ رئيس الدومينيكان.	
١٤ ــ تشي جيفارا ــ مساعد فيديل كاسترو.	
١٥ ــ عبد الكريم قاسم ــ رئيس العراق بعد الملكية.	

١٦ ـ سيلفانوس اوليمبيو ـ رئيس توغو.
١٧ ـ نغوديم ديم ـ رئيس فيتنام الجنوبية.
١٨ ـ جون كندي ـ رئيس الولايات المتحدة الاميركية.
١٩ ـ حسن علي منصور ـ رئيس وزراء ايران في حينه.
٢٠ ـ هنوريك فيرورد ـ رئيس وزراء جنوب افريقيا في حينه.
٢١ ـ وصفي التل ـ رئيس وزراء الاردن في حينه.
٢٢ ـ كارميروبلانكو ـ رئيس وزراء اسبانيا في حينه.
٢٣ ـ رياض الصلح ـ رئيس وزراء لبنان في حينه.
٢٤ ـ حسني الزعيم ـ رئيس سوريا العسكري الاول.
٢٥ ـ محسن البرازي ـ رئيس وزراء سوريا في حينه.
٢٦ ـ سامي الحناوي ـ ثاني رئيس عسكري لسوريا.
٢٧ ـ الكولونيل ريتشارد راشماندر ـ مدغشقر.
٢٨ ـ باتريس لومومبا ـ رئيس الكونغو.
٢٩ ـ الملك فيصل آل السعود ـ ملك السعودية.
٣٠ ـ بنينوس اكوّنيو ـ زعيم المعارضة.
٣١ ـ انديرا غاندي ـ رئيسة وزراء الهند لدى اغتيالها.

ومن الملاحظ ان هذه المسابقة فكرية سياسية فقط وليست موجهة ضد احد مطلقا لأنها معلومات عامة اشيعت واعلنت في حينه بكل وسائل الاعلان ومن يود الحصول على هذه التواريخ للاطلاع عليها ما عليه سوى الكتابة الينا ونحن نرسلها له مجانا اما الجوائز فسوف ترسل لاصحابها بالبريد المضمون وهكذا نكون أوّل من قدم هذه الفرصة الفكرية للقراء بعنوان (اقرأ واربح).

* * *

كَانَ ٱلحكَّامُ
فِي قَدِيمِ ٱلزَّمَانِ يَسْتَمِدُّونَ
ٱلقُوَّةَ وَطَلَبَ ٱلنَّصرِ مِنَ ٱللَّهِ
سُبْحَانَهُ وَتعَالى . وَكَانَ ٱلبَعضُ
الآخَرُ مِنَ ٱلحكَّامِ يَسْتَمِدُّونَ ٱلقُوَّةَ مِنَ
السَّمَاءِ ، باعتِبَارِ أنَّ ٱلالٰهَ مَوجُودٌ فيهَا
وِفْقَ نظَرِيَّةِ ٱلحكْمِ الإلٰهيّ . أمَّا ٱلآنَ
فَأَصْبَحَ بَعضُ ٱلحكَّامُ يَسْتَمِدُّونَ
ٱلقُوَّةَ مِنَ ٱلعُمَلاءِ وَالجواسِيسِ
وَٱلمُخَابَرات .


المُخابَرات وَالعَالَم
الجزء الثالث
تأليف
سعيد الجزائري
دار الجيل
بيروت
الجاسوسية
The Intelligence
& The World

المُخابَرات وَالعَالَم

تأليف

سَعيد الجزائري

الجزء الثَالِث

دار الجيل

بَيروت

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

تنويه

□ ها هو « الجزء الثالث من سلسلة كتب المخابرات والعالم » أقدمه حسب وعدي للقراء الكرام واستناداً لطلباتهم ورسائلهم الغالية إليّ من جميع الذين قرأوا لي الجزئين الأول والثاني، حيث وعدتهم بالصفحة السابعة من الجزء الثاني وفي مثل هذا التنويه بأني سوف أقوم بترجمة هذه الكتب الى اللغة الانكليزية لتصل إلى أقاصي أوروبا. ولكن عدم التنفيذ من الناشر منعني من الترجمة وسوف أبقى بانتظار الفرصة الجديدة من الناشر اللبناني المعروف عبود خيرالله عبود، صاحب مؤسسة دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع الذي قدم لي التشجيع وقام باصدار الجزئين الأول والثاني بشكل رائع وإخراج متقن.

أما وعدي بتحويل هذه الكتب إلى كتيبات صغيرة مخصصة لأطفالنا لكي يشاركوا في التعرف والاطلاع على مؤآمرات العملاء والجاسوسية بشكل قصصي ومبسط فأيضاً متروك للناشر الجديد لكي تعم الفائدة من هذه الكتب للكبار والصغار.

المؤلف

الاهداء

□ لا بد في كل كتاب من هذه الكتب المسلسلة عن أعمال المخابرات والجاسوسية العالمية من إهداء. وإهدائي يكون دائماً إلى قرائي الكرام وأخص منهم المئات من رجال الأمن الأبطال في الوطن العربي ضباطاً وضباط صف وجنود ومتطوعين وحتى المجندين، الذين علمت أن بعضهم يقتطع من راتبه المتواضع ليشتري نسخة من هذه الكتب. ويعلم الله أني ككاتب ليس لي أي دخل في ارتفاع الأسعار لأن ارتفاع الأسعار عم كل شيء، الورق، الطباعة، التجليد، اليد العاملة. وأعدهم بأني سوف أعمل جهدي مع الناشر الجديد لكي يكون بيع هذه الكتب إلى رجال الأمن خاصة بحسم خاص شريطة اثبات الشاري كونه من رجال الأمن. كما أني سوف أرجو المسؤولين المحترمين في وزارات الدفاع والداخلية لشراء كميات من هذه الكتب لمنتسبيها وبحسم اكبر، بعد إصدار تعميم يسمح بذلك، لكي تعم الفائدة المرجوة من هذه الكتب، لأن رجل الأمن عندما يقرأ هذه النوعية من الكتب « يضاعف » معلوماته عن العملاء والجواسيس الذين يهددون وطننا العربي الكبير ويعمل على المشاركة في اكتشافهم وتخليصنا من شرورهم.

وهكذا يشرفني أن أكرر الاهداء لهم جميعاً.

المؤلف الكاتب

سعيد الجزائري

عضو منظمة الصحافيين العالمية

عمليات التجسس في العالم وأسلحة الجواسيس واستعمالها

المخابرات في القاموس السياسي

ما هو التجسس وما هي أسلحته؟

١ ـــ المخابرات من التعابير الاصطلاحية التي برزت خلال الحرب العالمية الأولى عندما جرَّت الدول الأوروبية كثيراً من دول العالم إلى الاشتراك فيها والوقوف منها موقف الحياد. ويقصد بالمخابرات نشر الأنباء والبيانات الرسمية والدعاية للمجهود الوطني والحربي ومحاربة دعاية العدو في الدول المحايدة، ومن ناحية أخرى، جمع المعلومات ذات الأهمية من المصادر الأجنبية للصالح الوطني. وفي ضوء هذا النشاط كان الغرض من إنشاء أجهزة المخابرات، حماية الأمن الداخلي ونظم الحكم القائمة إبان السلم ومساندة المجهود العسكري ابان الحروب. وكانت الحركات الاشتراكية اكبر خطر على نظم الحكم واجهته الدول الأوروبية ابان القرن التاسع عشر، لهذا قامت في هذه الدول ـــ لا سيما في المانيا وروسياـــ أجهزة للمخابرات كانت تابعة لوزارة الداخلية وكان عليها متابعة هذا النشاط السياسي في الداخل والخارج.

أُنشِئَت وزارة للمخابرات في بريطانيا في السنوات الأخيرة للحرب العظمى وقد بدأت في عام ١٩١٤ بصورة إدارة تابعة لوزارة الخارجية، تحولت في عام ١٩١٦ إلى إدارة مستقلة تابعة لمجلس الوزراء تحت

اشراف سير هنري كارسون أحد أعضاء وزارة الحرب، وانقسم نشاطها إلى إدارات برزت منها إدارة الدعاية (البروباجندة) وكان يشرف عليها اللورد نورثكليف صاحب دور الصحف العديدة. وفي شهر شباط (فبراير) ١٩١٨ تحولت إلى وزارة، وعيّن وزيراً لها صحافي آخر هو اللورد بيفربروك.

وفي الحرب العالمية الثانية أصبحت المخابرات عنصراً هاماً في النشاط الحربي، فأعيد إنشاء وزارة المخابرات البريطانية التي استمر وجودها حتى عام ١٩٤٦. وأنشأت المانيا جهازاً ضخماً لهذا الغرض عرف بوزارة البروباجندة كان يشرف عليها غويلز كوزير للاعلام. كما أنشأت إيطاليا الفاشية جهازاً مماثلاً، ونشبت خلال الحرب ما عرف بحرب الدعاية أو حرب الأعصاب وكانت وزارات وإدارات المخابرات مركزاً لها.

٢ ــ يرتبط نشاط المخابرات بأجهزة الاعلام المختلفة كالصحافة والنشر والاذاعة فضلاً عن وسائلها الخاصة كنشر الشائعات لغرض إثارة الخواطر أو القضاء عليها. وتستعين أجهزة المخابرات مباشرة في نشاطها بالأشخاص والهيئات الرسمية كما تستعين بالمتطوعين من الأشخاص والهيئات الوطنية والأجنبية. فمن ثم كانت العلاقة بين المخابرات والجاسوسية، ولكن الجاسوسية التقليدية أخذت تتراجع منذ نهاية الحرب العالمية الثانية لتحل محلها هيئات أكثر حرصاً وتستراً على أعمالها تشمل جمعيات الصداقة والروابط الأدبية والمراكز الثقافية مما لا يثير الشكوك حول نواياها. وكانت بريطانيا من أسبق الدول في استخدام هذه الهيئات ففي خلال الحرب العظمى انشأت في القاهرة « المكتب العربي » وعهدت بإدارته الى المستشرق هوجارث ومن أعوانه « لورانس المعروف بثعلب الصحراء » ومؤلف كتاب الربع الخالي عن المملكة العربية السعودية. وقصة لورانس هذا نشرت في الصفحات ١٥٦ الى ١٦٧ من

الجزء الثاني لهذه الموسوعة عن المخابرات. ثم تحوّل هذا المكتب بعد الحرب العظمى إلى مكتب السكرتير الشرقي بدار المندوب السامي البريطاني.

٣ ــ تعرف المخابرات بالمعنى السابق بالمخابرات العامة تمييزاً لها عن المخابرات العسكرية. ونعيد أن اسمها في فرنسا وايطاليا ولبنان « الشعبة الثانية » وكان اسمها في سوريا أيضاً الشعبة الثانية ثم أصبحت الآن « شعبة المخابرات » وفي العراق اسمها « شعبة الاستخبارات » وفي جمهورية مصر العربية قبل كامب ديفيد كان اسمها « المخابرات الحربية » ومعها المخابرات العامة. والمخابرات العسكرية أو شعب المخابرات والاستخبارات هي أجهزة تتبع القوات المسلحة ووزارات الدفاع وتقوم بجمع المعلومات والبيانات المتصلة بالمجهود الحربي وكل ما يكون مفيداً بالنسبة لهذه القوات. بينما تتبع المخابرات العامة وزارة الداخلية عادة وتتابع كل نشاط سياسي يكون له أثر على الأمن الداخلي كالأحزاب والجمعيات والمنظمات التي تناوئ الحكم القائم وقد أصبحت المخابرات الآن في جميع دول العالم من القوة بحيث يستلزم لشرح أعمالها ونشاطها وتحريكها للعالم عشرات المجلدات وليس هذه الكتب المتواضعة التي نقدمها لقرائنا الكرام.

* * *

التجسس وأسلحة الجواسيس في العالم

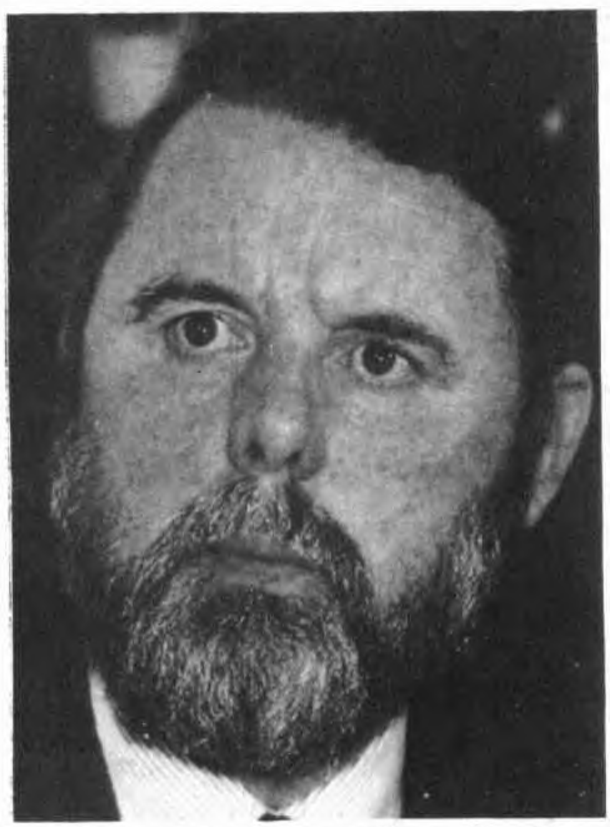
○ كنا قد كتبنا وشرحنا في الكتب والأجزاء السابقة عن تدريب الجواسيس وايفادهم « أي زرعهم » في الدول والمراد التجسس عليها. وقد ألمحنا عن جواسيس السفارات أو الجواسيس الذين ينطلقون منها وهم يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية وفي هذا الجزء من موسوعة المخابرات والعالم نقدم هذا البحث عن جواسيس السفارات وهم نوعان : الجواسيس الشرعيون وغير الشرعيين. فالشرعيون هم أعضاء السفارة المحميين بالحصانة الدبلوماسية. وهم في الغالب الذين يوجهون نشاطات الجواسيس اللاشرعيين. ولكنهم هم أيضاً يقومون بنشاطات هامة، أبرزها الاصغاء والتقاط الأخبار والأسرار ونقلها لدولتهم. وسواء ظهروا بالبزَات البراقة أو البزات العسكرية، أو بزي السهرة القاتم السموكن، فالملحقون العسكريون والتجاريون والثقافيون والقائمون بأعمال السفارات والقنصليات.. ألخ. هؤلاء جميعاً يفتحون آذانهم جيداً في الحفلات الرسمية والخاصة والكوكتيلات والدعوات التي يتلقونها بمناسبة أعياد الاستقلال وأعياد الميلاد لأصحاب الجلالة والسيادة والسمو رؤساء الدول وأعياد الجيوش فيلبون هذه الدعوات بامتنان بالغ. فهذه المناسبات تفتح أمامهم مجال الاحتكاك بمختلف أنواع البشر ومن مختلف الدول لتبادل الآراء والنقاش والمراقبة. وتمكنهم بالتالي من جمع

المعلومات التي قد تبدو عادية وفي أكثر الأحيان تكون مجزأة ولكنها بالغة الأهمية بالنسبة للمحلل التابع في مركز المخابرات، حيث يجمع ويقارن ويقطع ويلصق، فيستوعب ويصحح أو يعدل ما لديه من معلومات. ولا يغفل الجواسيس « الشرعيون » عن وضع مسجل صغير في أحد جيوبهم، فلعلهم يحتاجونه صدفة. أو لعل توقعهم يصح، فيلتقون بالشخص الذي يهمهم أمره. وغالباً ما يكون حساساً تجاه الكحول والأجواء الاجتماعية المترفة والسكرتيرات الجميلات فينطلق لسانه.

والجواسيس غير الشرعيين يلجأون أيضاً إلى هذه الأساليب « الأنيقة ». وما نقوله عن الجواسيس الشرعيين أمر معروف. ولا يخفى على أحد انهم موجودون خارج بلادهم، ليفتحوا عيونهم وآذانهم جيداً. ولا خطر عليهم ولا ملامة. وكل ما يصيبهم لدى افتضاح أمرهم هو « إبعادهم إلى بلادهم أو خارج الحدود ». وبما أن الاذن البشرية محدودة الطاقات فقد جهز الجواسيس « بآذان » تتفوق طاقتها على الأذن البشرية عشرات المرات. وجهزوا بأدمغة تسجل حرفياً وبلا خطأ ولا نقصان جميع الأصوات. وبوجود المسجل والمسجل البثاث وسواهما، لم يعد بالامكان اخفاء أي صوت عمن يصرّ على سماعه، ويبذل في سبيل ذلك المجهود اللازم.

وأدوات الاستماع والتسجيل اكثر تطوراً من آلات التصوير ويمكن تصغيرها الي الحد الأقصى بفضل تقدم علم الالكترون. ولا بد من ملاحظة وهي أن الفرق شاسع بين الآلة التي تصدر صوتاً فتمكن المراقب من تتبع « تنقلات » حاملها، وبين ناقل الصوت الذي يرسله عبر أسلاك خاصة إلى مكبر، وبين المسجل البسيط وبين المسجل البثاث، وهذا الأخير بمثابة محطة إذاعة مصغرة. وأولى هذه الأدوات أي الآلة التي يصدر عنها صوت هي بسيطة الصنع، ويمكن تصغيرها حتى تصبح بحجم رأس الدبوس. لكن الحجم الأفضل هو حجم « حبة الأسبرين »

لكونه يحوي بطارية قوية تدوم فترة طويلة. ويمكن صنع هذه الآلة بشكل « زر » وتثبيتها في ثياب الشخص المراد مراقبته. وهناك محترفات في أعمال الجاسوسية يضعن هذه الآلة عند الحاجة في مكان ما من جسدهن، وبعض الناس يبتلعها للدلالة على مكانه حين الاختطاف. ويروى أن القس تيري وايت مندوب الكنيسة الانكليكانية المختطف من قبل جهات سياسية في لبنان قد عثر معه أو في جسمه على مثل هذه الآلة وقال خاطفوه فيما بعد أن المخابرات الاميركية هي التي وضعت له هذه الآلة واسمها « باليز » لتتبع خطواته أثناء مباحثاته التي جاء بحجتها لاطلاق سبيل رهائن غيره. فاكتشف الخاطفون جهاز الباليز في جسمه وأضيف إلى الرهائن حتى الآن ونحن في شهر آب (أغسطس) ١٩٨٨ أثناء تحرير هذا الفصل عن أسلحة الجواسيس ولا يزال محتجزاً لدى خاطفيه.



رجل الدين المسيحي — تيري وايت يحمل في جسمه جهاز « الباليز ».

وقد علمنا أن آلة « الباليز » هذه أرسل منها كمية كهدية للمخابرات التركية باعتبار تركيا من أعضاء حلف شمال الأطلسي وقد لاحظت المخابرات التركية أن الموظف « آمري نابيت » في حلف شمال الأطلسي وهو بالأصل « منتدب » كخبير مالي للحلف من وزارة المالية التركية، يسافر باستمرار الى خارج « أنقرة » العاصمة التركية فوضع تحت مراقبة جهاز مكافحة التجسس فلوحظ أنه « خبير » في التهرب من

مراقبيه دون أن يشعرهم، أو يبدو عليه أن أحس بوجودهم. وعندما عجزوا عن تتبع أثره، وضعوا له جهاز « باليز » في حقيبته فتمكنوا من اكتشاف تنقلاته والأشخاص الذين كان يتصل بهم وهم من المخابرات السوفياتية الذين كان ينقل إليهم وثائق سرية جداً عن حلف شمال الأطلسي. كما أن هذه الآلة الصغيرة الحجم الكبيرة الفعل أصبحت تستعمل أيضاً من قبل المباحث الجنائية وشرطة مكافحة التهريب في بعض البلدان.

ومن عادة رجال المخابرات استعمال المسجل بشكله العادي المصغر، شرط أن يتقنوا اخفاءه في غرفة أو سيارة أو أي مكان مناسب لتشغيله. والجواسيس المحترفون لا يتحدثون عادة عن أعمالهم السرية في أماكن عامة كوسائط النقل، المترو، أو الباص، أو في التكسي لأنه ولعلم القارئ يوجد الآن من بين سائقي التكسي في أغلب دول العالم « مخبرون » للمخابرات أو للمباحث الجنائية ونحن نؤيد ونطلب المزيد لأن سائق التكسي فعلاً هو « محور » كل عمليات التجسس والتهريب بجميع أنواعه وحتى الأمور المخلة بالأمن كنقل السارقين والمسروقات والمخلة بالأخلاق كنقل المومسات. وقد علمنا مجدداً في عام ١٩٨٨ أثناء تحرير هذا الكتاب أن بعض المخابرات العربية قد اشترت عدداً من السيارات وحولتها الى تكسيات يعمل عليها عناصر من نفس المخابرات وجميع هذه الأمور من محتّمات عمل المخابرات والمباحث الجنائية لكشف العملاء والمخلين بالقوانين. ونعود الى عمل الجواسيس المحترفون الذين يمكن أن يحصلوا على سيارات خاصة من سيارات المخابرات الكثيرة فهؤلاء إذا غابوا عن سياراتهم وعادوا إلى استعمالها، فانهم يفتشونها جيداً، وعندما أصبح التجسس على ضيوف الدول أمراً « طبيعياً » لدرجة أن بعض الضيوف الأجانب يفضلون النزول في مبنى سفارة بلاده أو في منزل صديق على أن يقيم في القصر المخصص لكبار

الضيوف. وحين زار مستشار المانيا الغربية آديناور موسكو سافر إليها في قطار الماني، ورفض عرض مضيفيه إنزاله في مسكن مريح، وأقام في « قطاره » طوال فترة الزيارة . ولا تفكر أية دولة في الاعتراض على مثل هذا التصرف، ولا هي تستغربه.

ونعود في هذا البحث للمسجل البثاث فهناك بعض الصعوبات في استعماله. فهو بحاجة إلى لاقط. وغالباً ما يكون اللاقط صغيراً ومخفياً. وقد ابتكر الخبراء هذه الأنواع من اللاقط « الأنتين » :

١ ــ لاقط بشكل حبة لؤلؤ يوضع في منتصف ربطة العنق.

٢ ــ لاقط بشكل قشة مغروسة في حبة زيتون على مائدة.

٣ ــ لاقط بشكل غطاء عادي لقلم الحبر.

والمشكلة الوحيدة التي قد تعترض تصغير هذا النوع من المسجلات، إلى حجم صغير جداً هي مشكلة البطارية التي هي الأساس في عمل جميع المسجلات الاستخبارية لانها تتحكم بقوة البث.

في الاسواق العادية يجد « الهواة » مجموعات كبيرة من هذه المسجلات، التي يراوح حجمها ما بين علبة الدخان وعلبة الكبريت. وأنا شخصياً ككاتب عن المخابرات وأعمالها والجاسوسية وغرائبها أملك مسجلة بحجم علبة الدخان فقط كهواية وليس لتسجيل أي كلام أسمعه « لأن المجالس أمانات » ما عدا ما يمس أمن بلدي مباشرة.

يتم البث على الموجة المتوسطة، والأف ــ أم. ويمكن التقاط ما تبثه هذه المسجلات، بواسطة أي راديو عادي يلتقط هذه الموجات على ذبذبات تتراوح سرعتها ما بين ٨٠ و١١٠. وأشهر هذه المسجلات البثاثة وأبسطها السماعة التلفونية التي هي نسخة طبق الأصل عن السماعة العادية. وتبث المكالمات على مدار مائتين أو ثلاثماية متر وهي ممنوعة في بعض الدول العربية ومتوفرة في أسواق بيروت. وهناك محاولات

لتطوير السماعة التلفونية بحيث تسجل وتبث كل ما يقال في الغرفة، حتى عندما يكون خط التلفون مغلقاً. يقسم التجسس على الأصوات إلى أشكال متعددة في استعمال التلفون، فالاستماع الى المكالمات ممكن فيما لو ثُبتت وصلة على الخطوط العامة المارة فوق الشارع أو تحت الأرض أو في المقسم الداخلي. لكن هذه العملية الأخيرة يصعب أن يقوم بها إنسان غريب عن مؤسسة الهاتف. وهناك حادثة تثبت هذه النظرية : فقد أوقفت المخابرات الكوبية ثلاثة من عملاء المخابرات الاميركية في هافانا عاصمة كوبا، وتبين أنهم كان يستمعون إلى المكالمات التلفونية الداخلية لوكالة أنباء الصين الشعبية في هافانا ويسجلونها. اكتشف أثناء التحقيق أن عملية تثبيت الوصلة على خطوط الهاتف تمت بمساعدة سكرتيرة السفارة الصينية الآنسة « مارجوري لينوكس ».

وهناك كمية ضخمة من المعلومات التي يتم جمعها بفضل الآلات اللاقطة للوسائل اللاسلكية. ومن عادة المحطات الأرضية والبحرية والمركبات الجوية المزوّدة بآلات لاقطة أن تجمع شتى المعلومات وتنقلها إلى مراكزها الأساسية. ومن المسجلات ما يثبت على الجدار أو على النوافذ من الخارج. لكن هذه الآلات اللاقطة بالغة الدقة، باهظة التكاليف وليست في متناول كل يد.

ولا تنتهي مهمة الجاسوس عند حدود سرقة الصور والتسجيلات. فالمعلومات لا قيمة لها طالما أنها لم تصل الى مستقرها ــ أي إلى مقر مخابرات الرئيس ــ وقد تكون عملية نقل المعلومات أشد خطراً وصعوبة من عملية جمعها، حيث يبدأ الجاسوس بتصغير حجم صوره وتسجيلاته قدر الامكان، ليسهل عليه اخفاؤها. وقد يوصلها إلى أحد المتعاملين معه، وقد تمر على عدد من العملاء قبل أن تتسلمها يد المسؤول الأول عن الشبكة. ومشكلة نقل المعلومات من بلد عدو إلى

بلد بعيد ليست سهلة ولا هي خالية من المخاطر. وقد درجت السفارات على إرسالها « بالحقيبة الديبلوماسية » ومنهم من يعمد إلى إخفائها في كتاب ضخم أو مجلة. وبعض العملاء يخفي أفلامه وتسجيلاته داخل قطعة معدنية أو قطعة غيار لآلة ما، أو أي أداة تستعمل بكثرة. وهنا تلعب مخيلة الجاسوس دوراً أساسياً. أما تقنيات تصغير حجم الوثائق والمعلومات فجد متقدمة. هناك مواد كالتيرفين مثلاً تمكن الصناعات المختصة من انتاج أفلام لا تراها العين المجردة، فحجمها أقل من ميلمتر واحد. ومن المعلوم أن السوفيات هم أسياد هذا الفن. ويقول خبراء المخابرات أن الصينيين ليسوا أقل منهم مهارة، خصوصاً أن فناني الصين القدماء كانوا ينحتون مئات الأحرف على ساعة من العاج لا تزيد على سنتمتر مربع واحد. ويعرض الآن في متحف قصر العظم في مدينة دمشق « حبة قمح » نحت عليها آية قرآنية كاملة وهي في منتهى الابداع العربي في هذا المضمار. لقد توصلت تقنية تصغير الحجم إلى حد يسمح بتقليص صفحة مطبوعات على الآلة الكاتبة إلى مربع لا تتعدى مساحته « نصف ميلمتر ». ويمكن تصغير جميع الوثائق على هذا المنوال، وسواء كانت من نوع التخطيط والكتابة أو الصور... ألخ. ويمكن فيما بعد تكبيرها لتستعيد حجمها الأساسي.

وأول مرة استعمل فيها الميكروفيلم (أو الفيلم المصغر) كانت في عام ١٨٧٠. يومئذٍ كان الجواسيس يتراسلون بواسطة الحمام الزاجل مما اضطرهم الى البحث عن وسائل تصغير لرسائلهم. حيث توصلوا الى تحميل الحمامة الواحدة مجموعة من « الميكروصور » تعادل بفحواها ٣٥ برقية أو وثيقة. ومخترع تصغير الأفلام إلى هذا الحد هو « رينيه داغرون » الذي أهمل اختراعه فترة، ثم استعمله من جديد عام ١٩٢٠ لاهداف سلمية وثقافية، إذ اعتمد كاسلوب لتنظيم الأرشيف في المكتبات الضخمة، ثم لم يلبث أن عاد إلى قواعده الأولى « أي عالم

التجسس ». واهم اختراع في مجال تصغير الوثائق هو بلا شك نسخ الأفلام بالالكترون. أي بدلاً من تظهير الفيلم بالضوء يتم تظهيره بتمرير خط الكتروني عليه. وهكذا يتوافر عنصران أساسيان، عنصر التصغير وعنصر السرعة القصوى في التصغير. ويمكن تشغيل الخط الالكتروني بواسطة آلة حاسبة أو دماغ آلي، مما يوفر أيضاً موظفين اختصاصيين ويحفظ الأسرار وهذا العنصر الأخير بالغ الأهمية. وتوصلت أجهزة المخابرات الى تصغير حجم الوثائق لدرجة قصوى خلال الحرب العالمية الثانية. وقد اكتشف أحد خبراء المخابرات الاميركية رسالة مخفية تحت طابع بريد، يسأل فيها مرسلها عن المكان الذي تتم فيه التجارب على الأورانيوم. وكان التصغير يصنع باليد وقتئذ.

أما اليوم فتؤخذ صورة الوثيقة من خلال مجهر موضوع فوقها بعكس وضعه الطبيعي (أي يُصغر بدلاً من أن يُكبر) فتأتي الصورة بمساحة ميلمتر واحد، أي بحجم يظهر للعين المجردة على أنه نقطة. بعد ذلك يتم تظهير الفيلم ويوضع بواسطة رأس ابرة « تحت طابع بريدي » أو يثبت على أحد الأحرف ضمن رسالة عادية ومطبوعة بالآلة الكاتبة. وأحياناً كثيرة يلجأ الجاسوس إلى الحبر الشفاف لكتابة رسائله السريعة. وقد وفر العلم مجموعة من الوسائل لهذا الغرض، والتي لا يظهر لونها، إلا تحت تأثير مواد كيماوية خاصة معاكسة. وهذه الوسائل لا يكشفها حتى المكبر ولكل منها مادة خاصة بها تعيد إليها لونها. والجاسوس الذي يستعملها هو وحده يملك كمية قليلة منها. ومن عادة الجاسوس أن يكتب بها بريشة ناعمة لا تترك أي أثر على الورقة البيضاء ثم يعود فيخط فوقها رسالة عادية بالحبر العادي[1].

---

(١) طبق الأصل كما شرحنا في الصفحتين (٣٤ و٣٥) في الجزء الأول من هذه الكتب المسلسلة عن أعمال المخابرات حيث نشرنا صوره كاملة لنسخة عن رسالة عميل مزدوجة وقعت في أيدي المخابرات السورية لدى كشفها لهذا العميل وغيره من العملاء.

ونذكر الآن بعض الأدوات التي يستعملها العميل في سبيل جمع المعلومات. مثل أدوات أخذ الصور وتسجيل الأصوات التي تسمى « أسلحة الجواسيس » والتي لولاها لما تمكنوا من إداء مهماتهم الصعبة.

لقد اتخذت كاميرات التصوير أشكالاً جد متنوعة وغريبة وقد ذهبت مخيلة كتَّاب الروايات الجاسوسية الغربيين إلى أبعد وأغرب من الواقع الغريب، فجعلت من آلة التصوير « زراً في بدلة » أو « حمالة للبنطلون » أو « حجراً في خاتم ». على أن الواقع « يكفي » لاثارة العجب فعلاً. فالآلات المصغرة كالقداحات (ولاعات السجائر) لعبت في هذا المجال دوراً كبيراً في الماضي وقد استغني عنها اليوم بعد افتضاح أمرها. بعض عملاء اليوم يستعملون « الكاميرا الخفية » في ساعة اليد. فهم ينزعونها من معاصمهم، ويظهرون أنفسهم أن يملأونها، ثم يتفحصونها برفعها الى آذانهم، ومن خلال هذه الحركات تكون قد صورت الشخص المطلوب من بين مجموعة من الناس. وفي الاسواق أيضاً بقية من هذه الساعات المصوِّرة ويمكن لمن يستعملها أن ينحني كأنه يتفقد الوقت، فيحدد إطار الصورة، ويسجلها. لكن حتى هذه الساعات انتقلت من أعمال الجاسوسية إلى يد الهواة ولا يمكن لعميل يعيش في جو عدائي أن يستعملها بدون أن يكتشف أمره. ويمكن غير ذلك وضع آلة تصوير مصغرة في مقبض عصا طبية أو في قلم الحمرة للشفاه وحتى في جوانب علبة البودرة ضمن الماكياج للمرأة. وقد اكتشفت المخابرات الاميركية منذ مدة (حلية ــ عبارة عن آلة تصوير) تحملها رينيه ليفان زوجة الفرنسي بيتر كرانيك الذي كان يعمل لحساب المخابرات السوفياتية وهذه الحلية هي من نوع ميدالية كبيرة، تتدلى من العنق بسلسلة. وكانت صاحبتها تتلاعب بها فتوجهها إلى حيث تضبط الصورة. وأحد الأسلحة المفضلة للعميل المصور هي العدسة المكبرة وكثيراً ما حصل العميل على صور قواعد عسكرية جوية وبحرية، وعلى صور عملاء لفريق العدو

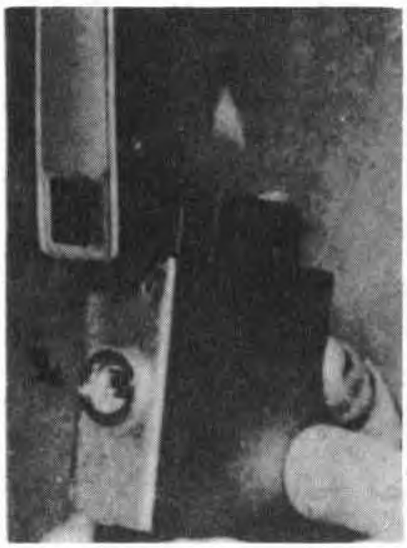
يدخلون مقر سفارة أو يغادرونها، وهو جالس في سيارته الواقفة على جانب طريق بعيد. وعرف عن دوغلاس دونالد بريتر الضابط البريطاني وعميل المخابرات السوفياتية أنه كان يستعمل كاميرا مخفية داخل علبة سجائر (CRAVEN-A) وكان يخرج العلبة من جيبه ويقدم لزواره إحدى السجائر المصطفة أمام آلة التصوير المصغرة التي كانت تعمل بفعالية حتى في الظلام.



ساعة يد بداخلها كاميرا سرية.



علبة سجائر وكاميرا.



ولاعة سجائر وبداخلها كاميرا.

ومن الآلات المعروضة على جمهور الهواة والفضوليين آلة « المينوكس ــ سي » وهي أقدم آلة تصوير مصغرة واكثرها اتقاناً. وهي تعمل بالالكترون وبشكل أوتوماتيكي، وتبلغ سرعتها واحد على ألف في الثانية. وهي مزودة بفلاش (باعث ضوء) ومكبر وركيزة، مما يجعل استعمالها سهلاً ومناسباً لشتى الظروف. أما أفلامها فمن نوع ٣٥ ميلمتر و٩,٥ ميلمتر. ولها ٤ عدسات تتراوح مساحتها ما بين ١٥ و٢٥ ميلمتر، وأقصى امكانية لفتحتها هي ٢,٧ أو ٣,٥ وتكبير صور هذه الآلة ممكن،

ولكن يقتضي مهارة ودقة. وهناك (القلم الآلة) وفتحة عدسته ٣,٥ ميلمتر وسرعته واحد على خمسين من الثانية. وله فلاش وعداد أوتوماتيكي. ويمكن تكبير صورها الملونة حتى ٦ × ٦ سم.

وهناك آلة الروليف ١٦ أبس، المزودة بعين الكترونية تشير إلى كون الضوء كافياً أو غير كاف. وغالباً ما يستعملها المخبر الخاص أو رجال المخابرات المحترفين. وهناك آلة المينولتا ١٦ أم. جي، مع عدسة روكور فتحتها ٢,٨/٢٠ ميلمتر. وسرعتها تتراوح بين واحد على عشرين وواحد على ٢٥٠ ثانية. مزودة بعين الكترونية، وأفلامها ١٦ مليمتراً تباع في كاسية مغلقة. وهناك أنواع من آلات تصوير المينوكس المبالغ في تصغيرها واتقانها، والتي لا يستعملها سوى المحترفين من العملاء. وأحدثها المينوكس « سي » التي لا يزيد حجمها عن حجم قلم الحبر الناشف، وآلة التيسيتا بشكل ولاعة مبسطة، والياشيكا التي يمكن للعميل أن يضعها في قبضة يده دون أن تسترعي الانتباه. وتختلف هذه الآلات عن تلك التي تشابهها شكلاً وتباع في الأسواق « كالستيلوفوتو » مثلاً والتي لا تعطي نتائج مضمونة.

وليس تصوير الأشخاص والأمكنة هو عمل الجاسوس الوحيد. بل قد يكون عملاً ثانوياً من حيث الكمية، لو قيس بجمع الوثائق وأخذ نسخ عنها طبق الأصل عنها وذلك اما باستعارتها لفترة قصيرة، أو بتصويرها حيث هي. وأخذ النسخ لا يستطيع القيام به إلا من رسخت قدماه في عمله. مثل « بينكوفسكي » الضابط في الجيش السوفياتي الذي أصبح عميلاً للغرب بدافع إيديولوجي. حيث بدأ بالعمالة للغرب بمساعدة غردفيل واين عميل المخابرات البريطانية. وخلال ستة عشر شهراً سلم بينكوفسكي أكثر من ستة آلاف وثيقة سرية هامة عن الاتحاد السوفياتي والدول الشرقية، للمخابرات البريطانية والاميركية. وكان يلجأ إلى التصوير بآلات التصوير وطبع نسخ عنها طبق الأصل. ثم يحملها إلى

منزله حيث يحولها إلى ميكروفيلم، ويسلمها إلى المتصلين به من موظفي السفارة الاميركية في موسكو. وكان التصوير أحد أسباب افتضاح أمره. فقد نشط بحماسة جعلته « موضع شك » من قبل المخابرات السوفياتية. وذات ليلة من ليالي شهر تموز (يوليو) الحارة كان على موعد مع زميله واين في إحدى غرف فندق يانكا في موسكو. وكانت الغرفة مجهزة بجميع أنواع المسجلات، لكن العميلين الحذرين تحدثا بشيفرة غريبة لم تتمكن المخابرات السوفياتية من فك رموزها. إلا أن ما لم يحسب العميلان حسابه كان آلات التصوير الخفية المثبتة الى جانب المسجلات. ولا شك أن تصرفات بينكوفسكي وواين قد شكلت برهاناً كافياً لادانتهما. أوقف الكولونيل (عقيد) بينكوفسكي ونقل إلى مركز المخابرات السوفياتية أما واين فقد حمته الحصانة الدبلوماسية إلى أن تمت مبادلته مع عميل بريطاني كان يعمل للمخابرات السوفياتية. حوكم بينكوفسكي وصدر عليه الحكم بالاعدام « رمياً بالرصاص » ونفذ الحكم في ساحة السجن جزاء ما اقترفت يداه من خيانة.

ومن العملاء الذين اعتمدوا آلات التصوير في عملهم التجسسي « وليم فاسال » الموظف في الأميرالية البحرية البريطانية، والذي كان ينقل الوثائق المهمة إلى المخابرات السوفياتية في السفارة، حيث يتم تصويرها. ومن ثم يعيدها إلى مكانها دون أن يتنبه أحد الى « تغيّبها » المؤقت خاصة وإن فاسال كان هو ذاته حارس هذه الوثائق « كما يقال حاميها حراميها ». وحصل أن زوده أرباب عمله البريطانيين بكاميرا « اكزاكاتا » بهدف تقليص مخاطر مهمته حسب اعتقادهم. فأخذ يستغل هذه الكاميرا ويصور الوثائق « مرتين » أي نسختين، نسخة لعمله والنسخة الثانية يسلمها للمخابرات السوفياتية بدون تظهيرها ومع هذا فقد انكشف أمره من قبل عميل آخر وقبض عليه وحوكم حيث حكمت محكمة الجنايات عليه بالسجن ١٥ سنة.

ومن المعروف في مجال المخابرات أن كاميرا « الأكزاكاتا » هي أداة عمل العملاء السوفيات. وهي آلة بالغة الاتقان مصنوعة في مدينة « مدريد ». ومزوّدة بعدسة بسيطة فتحتها ٣,٥. وإن امكانات الآلات المصغرة وأساليب اخفائها بأشكال غريبة تسمح بانجاز أعمال تجسسية باهرة. لكن مخيلة العميل ومهارته هما الأساس الضروري الذي لا بد منه لحسن استعمال هذه الآلات الالكترونية. فرغم اتساع فتحة العدسة، ودقة الآلة وحساسيتها البالغة، فإن استعمال آلة تراوح سرعتها بين واحد على عشرين وواحد على خمسين ثانية يتطلب كمية معينة من الضوء. وتصوير الخرائط أو الصفحات المكتوبة أو المطبوعة يقتضي تركيزاً، وتقديراً صائباً للمسافة، ووضع آلة التصوير والأشياء المطلوب تصويرها في وضع معين لا يتم من خلال نظرة سريعة بل يحتاج كما ذكرنا إلى خبرة العميل. ويستحيل استعمال الفلاش في مثل هذه الظروف. فنُوره غير كاف أو غير موجه ومركّز، وهو يترك انعكاسات على الصورة فيشوهها. فإذا لم يتمكن العميل من سحب الوثائق من مكانها ليصورها في محترفه فعليه أن يحمل إلى مكان الوثائق آلات وأدوات كثيرة. منها عدة لمبات ومرتكز لآلة التصوير ومقاييس وأسلاك ووصلات أسلاك وأدوات احتياطية لاستبدال ما قد يتعطل أثناء العمل. ويصعب على العميل أن يقوم بهذه المهمة بمفرده. لأنه لا بد من مراقبة النوافذ والأبواب والشقوق التي فيها، والتي قد تفضح وجود أضواء أثناء التصوير. ومن عادة رجال المخابرات العاملين في بلادهم أن يأتوا بشاحنة صغيرة في داخلها مختبر متحرك يديره اختصاصيون، حيث يوقفون السيارة المختبر في شارع قريب. ثم يتولى أحد العملاء أخذ الوثائق ونقلها إلى السيارة. ويقضي العرف أن يتحمل العميل مسؤولية ومخاطر عمله هذا بمفرده وغالباً ما يكون « العميل ــ السارق » رجل ظل، يعمل في الليل. وقد توفر التقنية العلمية المتطورة باستمرار وسائل عمل أكثر سهولة وأقل خطراً من الآلات المعروفة حتى الآن، فأجهزة مكافحة التجسس تعمل على اكتشاف سائل

يخفي معالم الوثيقة تماماً حين تسلط عليها أنوار عادية، ولا يظهرها إلا تحت أنوار خاصة.

التصوير من خلف الجدران « حقيقة »

○ توصلت شركات صناعة آلات تصوير التجسس في مجال سرقة المعلومات إلى صنع كاميرا تفوق سرعتها سرعة الصوت، وتأخذ صوراً « عبر » الجدران السميكة وحتى عبر حواجز من الفولاذ. هذه الكاميرا كانت حتى وقت قريب حلماً علمياً، حتى قدمها العلم الحديث هدية لمحترفي الجاسوسية في العالم حيث ظهرت فجأة بشكل آلة معقدة التركيب، سهلة الاستعمال. في البدء كان حامل الكاميرا الأسرع من الصوت يأخذ صوراً عديدة بأوضاع مختلفة للأشياء الموجودة خلف الجدار أو الحاجز. وطورت الكاميرا فيما بعد فأصبحت تعكس الأشياء المطلوب تصويرها على شاشة تلفزيونية، فيتمكن المصور من تصويب آلته عليها. المأخذ الوحيد على هذه الكاميرا ذات الامكانات الهائلة، هو كون حملها ونقلها لا يزال يلفت الأنظار. ولا يمكن توفير الوقاية من خطر هذه الكاميرا أي خطر مشاهدتها حتى اكتشف الخبراء مادة لدهن الأشياء السرية بمادة لا نستطيع تسميتها، ولا كشف عناصر تركيبها، لأنها من أسرار الدفاع الفرنسي. ولم يعرف ما إذا كانت دولة أخرى قد توصلت الى اختراع وسيلة اخرى للوقاية. ولا بد من ملاحظة نعتبرها بالغة الأهمية وهي أن معلومات كثيرة تصل الى العملاء بسهولة، ودون أن يحركوا ساكناً في سبيل جمعها. والذين يسربون هذه المعلومات ــ دون قصد أكثر الأحيان ــ هم الصحافيون، وخصوصاً العاملين منهم في مجالات مختصة، علمية، عسكرية، وذلك عندما ينشرون صورة قاعدة جوية أو سلاحاً سرياً، أو يعددون قائمة الأسلحة التي أوصى عليها الجيش

من مختلف المصادر. أو عندما يُنشر مرسوم استملاك العقار رقم كذا، في منطقة كذا لصالح وزارة الدفاع... ألخ.، قال الرئيس الأميركي كارتر « ان ٩٥٪ من المعلومات السرية تصل الى الخارج عن طريق الصحف ». قد يكون كارتر مبالغاً في هذا الرقم. لكن خبراء التجسس يعتقدون أنه لم يبالغ كثيراً.

فن تسميم عقول الجماهير

○ اطلعنا من مراجع المجلات العسكرية الاكاديمية والعلوم العسكرية على ما يسمى « برنامج تسميم عقول العدو ». ويبدأ هذا البرنامج بالحيلة التكتيكية البسيطة، ليصل الى برنامج ضخم متماسك، هدفه بث الشعور بالخيبة في صفوف العدو أو نشر الأخبار الكاذبة.. الخ وقد تعدى تسميم العقول النطاق العسكري أي تعدى نطاق تسميم عقول العسكريين في الجبهة والداخل بأخبار تدعوهم للتخاذل الذي أصبح جزءاً صغيراً في عالم التجسس ــ ليحتل فيما بعد مركز الصدارة بين أسلحة التجسس الفتاكة في المجالات الديبلوماسية والسياسية والاقتصادية بما في ذلك تسميم عقول الجماهير. وتسميم العقول، حسبما فسره بعض خبراء هذا السلاح، هو عمل خبيث، أو ضغط على العقول من أجل ترسيخ بعض الآراء والأفكار فيها، وذلك بهدف تحطيم المعنويات واحلال الضياع محل التصميم، والوهم والزيف محل الحقيقة والواقع. واداة تسميم عقول الجماهير هي جميع وسائل الاتصالات والاعلام، القادرة على توجيه العقول باتجاه فكري، يفيد الذي « يسمم » والذين « يتسممون ». أما أساليب التسميم فعمليات بطيئة تنفذ بمهارة فائقة، وتركز على ترسيخ فكرة معينة في ذهن قيادة عسكرية، أو سلطة، أو فريق سياسي، أو جزء من الرأي العام، أو تسميم « كل الرأي العام للدولة المستهدفة » من مثقفيه في قمة الهرم إلى رجل الشارع العادي الذي

يمثل قاعدته. وهذا الأسلوب هو أحدث الأساليب العصرية وأخطرها.

ومن نتائج عملية التسميم الناجحة أن تقود الفريق الذي استهدفته إلى حالة من الضياع، يفقد معها كل قدرة على مقاومة أي عدو يهاجمه. وأحياناً يبلغ التسمم درجة تجعل المصاب بالتسمم يستنجد بعدوه الذي سمّه، حاسباً إياه محرراً وليس محتالاً وأصل البلاء. وبعض الدول الشرقية تعتبر استاذاً في استخدام هذا السلاح، لأنها تعتمد على السلاح المنوه عنه وعلى السيطرة والقوة. والولايات المتحدة الاميركية لا تقل براعة عن الدول الشرقية في هذا المجال، وإن كانت تعتمد على « الدولار » بدلاً من الضغط لتصل إلى أهدافها.

ولا يمكن تسميم عقول شعب بكامله إلّا بفضل معرفة عميقة بنفسية ذلك الشعب، وبعلم النفس بشكل عام. وبفضل علم النفس يتم تحطيم معنويات المواطن، وارباك السلطات والجيش والشرطة، والأكثرية الصامتة التي لا تعود تتجرأ على ابراز ردة فعلها فتبقى مكبوتة حتى يصل النظام إلى هاوية الانهيار الكامل. والتسميم الديبلوماسي أو السياسي قد يمهد لعمليات التسميم أو يرافقها، أو يعمل في مجال بعيد عنها ظاهراً، ومتصل بها اتصالاً عضوياً في واقعه. ويسير هذا التسميم باتجاه اقناع العدو بأن الاهتمام مركّز على دولة بعيدة واقعة داخل منطقة نفوذ مختلفة عن التي ينتمي إليها بلد العدو. وأيضاً فإن مشاكله متأتية من تلك الدولة بالذات. ويحقن ذهن العدو بمعلومات تأتيه من مصادر ملتوية ومتنوعة، بحيث يتصور أنه اكتشف سراً خطيراً حسن وصلت إليه، وهكذا يقع في الفخ بسهولة. وتكون ميزات التسميم في الأساليب الذكية الخبيثة، وليدة التفكير العميق والتخطيط الصائب.

وغالباً ما يتبع التسميم أو يرافقه حملة تشويه وتكذيب . فبعد أن يبلغ المتسمم درجة من التضليل تفوق طاقته للاستيعاب، تبدأ عملية جرّه إلى

الخلف. ويعني ذلك بشكل عملي جره إلى اعادة النظر في المعلومات والأخبار والمسلمات التي أعطيت له خلال فترة معينة، ومحاولة اقناعه بأن جزءاً منها كان خاطئاً ومضللاً. والهدف هو اقناعه بأن ما بقي في الغربال هو، هذه المرة، الحقيقة الساطعة التي لا مجال للشك فيها. وهكذا تطمئن ضحية التسمم ــ خاصة وإنها مرت في مرحلة الشكوك ــ وتأمن إلى « موجهها الفكري » الذي التقى معها في الشك، وانتقل معها بعد ذلك إلى نور اليقين. وهذه العملية الأخيرة ــ أي عملية الجرّ الى الخلف ــ أشبه ما تكون بغسل الدماغ. والذي يتعرض لها يصبح سهل الانقياد في اتجاه جديد، يتبعه دون تردد ولا حذر. وربما لو تكشف له هذا الاتجاه الجديد، منذ بداية عملية التسميم لوجد لديه تردداً أو مقاومة.

والأساليب والتأرجحات والمداورات نفسها التي تستعمل في تسميم العقول، تستعمل في حملات التضليل أو « غسل الدماغ ». على أن غسل الدماغ لعبة أدق وأشد خطورة من التسميم، بل هي ذروة التسميم الحاسمة.

وتسميم العقول موجود منذ أن وجد الانسان ووعى مصالحه. وبما أنه عمل ذهني في الأساس فقد تطور بتطور العقل الانساني ومدى إدراكه. وقد عرفه إنسان ما قبل التاريخ وإنسان العصر الحجري والقرون الوسطى، كل على مستوى عصره. أما اليوم فعبارة تسميم العقول، موضة منتشرة تجدها في التقارير العسكرية وفي تقارير الشرطة وفي وثائق الادارات الرسمية. وهي في الشارع وفي المنازل على ألسنة زعماء الأحزاب وجميع الديبلوماسيين.

وليست الكلمة مقتصرة على المجال السياسي، بل هي مستعملة في التجارة والصناعة. وأدوات التسميم الحديثة جد متنوعة. ومنها الصحافة والاذاعة والتلفزيون واللافتات والبيانات والمنشورات على اختلاف

أشكالها وأنواعها. والمهتمون بدراسة ظاهرة تسميم العقول يتفقون على أنها كانت في الماضي بسيطة بدائية، ولا تشكل أية خطورة رغم أنها تعطي مفعولها لدى الخصوم :

○ مثل الهارب من قلعة من قلاع العدو الذي « يطلق » حصانه في اتجاه، ويسير هو باتجاه معاكس ليضلل الذين يلاحقونه.

○ الملوك والأمراء الذين كانوا يعرضون ويتباهون بثرواتهم لم يكونوا ليفعلوا ذلك بدافع التباهي والمغامرة، وإنما ليرسخوا في أذهان الشعب مدى قوتهم وسطوتهم المستمدة من كثرة أموالهم.

○ فرقة الجيش التي أشعلت حول مخيمها « نيراناً كثيرة » لتوهم العدو بأن عددها كبير فرحل عن قتالها.

○ ومن الماضي القريب قيام الزعيم حسني الزعيم، رئيس جمهورية سوريا ١٩٤٩ بالايعاز بوضع مداخن المدافئ بشكل بارز في الخيام ومراكز المدفعية باتجاه الكيان الصهيوني بمعدل ٤ لكل مدفع حقيقي حيث كان العدو الصهيوني يراقب القطاعات العسكرية السورية بالمنظار في حينه فظن أن السوريين قد ملأوا « الجبهة » بالمدفعية وأصبح يعد للألف قبل الاقدام على أي اعتداء.

كل هذا كان في الماضي وكانت هذه الأساليب فعالة لتسميم عقول العدو. وبعضها لا يزال فعالاً ودارجاً حتى عصرنا هذا، مع بعض التطوير والتنويع. ولبعض الباحثين في تسميم العقول نظرية تقول أن تلك الظاهرة كانت تمارس في مناسبات محددة خلال الأجيال الماضية، والتاريخ لا يذكر لنا تفاصيل تثبت أو تنفي صحة هذه النظرية، لكن مما لا شك فيه هو أن الصحافة والاذاعة ـــ السري منها والعلني ـــ وسرعة وسائل الاتصال ونقل الأخبار... كل ذلك يجعل عمليات تسميم العقول سريعة ومتواصلة في عصرنا. وتسميم العقول في عصرنا هو عمل جماعي وليس عملاً

فردياً، وتعمل الجماعة بشكل فريق منسق النشاطات منظم منسجم، كالاوركسترا. ويبدأ العمل بتحديد وجهة العملية، وعرض ما يمكن أن يطرأ على مسيرتها من ردات فعل العدو ومدى تأثره بعنصر أو بآخر تأثيراً ذهنياً وعاطفياً. حيث يبدأ العمل بتحرك بطيء ومتواصل لخلق المناخ المناسب. وتنطلق الاشاعة الأولى بحذر بالغ، ولا تكون واضحة حتى لا تولد صدمة. أما العملاء الذين يتولون نقلها ونشرها فهم من الصنف الخبير المتمرس طويلاً في هذا المجال. ثم يجري تثبيت الاشاعة الكاذبة في الأذهان، برسائل وتفسيرات بريئة في مظهرها، تبث من الاذاعات وتنشر في الصحف وترافقها أخبار تبدو للسامع والقارئ وكأنها أفلتت صدفة من منابعها وضد إرادة أصحابها. فحين يهدف التسميم إلى إسقاط سلطة في بلد ما، مثلاً فقد يبدأ بنشر تعليقات وملاحظات شفهية لها طابع اخباري منطقي منضبط وموضوعي، وخال من أي تهجم أو عنف. ثم تلي ذلك مرحلة انتظار ريثما يكون الرأي العام قد استوعب الأخبار وراح يساهم في نشرها وتضخيمها . ثم يتولى بعض العملاء توجيه النقمة الى « مسؤول » محدد وذلك باسلوب الايحاء لا الفضح. وأخيراً يترك للناس أمر تنفيذ المخطط، حتى تحقيق هدفه النهائي.

خلال الحرب العالمية الثانية كلف سيلتون ديلمان بوضع برامج اذاعية باللغة الالمانية « تبث من بريطانيا » واقترح من جملة ما اقترح من مواضيع وأشكال لبرنامجه أن تذاع « أخبار » توحي للمستمعين الالمان بأنها ليست موجهة إليهم. أي بحيث يظن الالماني الذي يسمعها أنه قد اكتشف صدفة، اذاعة سرية تملكها السلطات الالمانية بينما كانت الأخبار تهدف إلى تحطيم معنويات الشعب الالماني فعلاً.

واليوم لم تعد الاذاعة السرية ضرورية لمثل هذه الأعمال فالاسلوب الحديث يقضي بادخال بعض العملاء سراً إلى المؤسسات الصحافية

والاذاعية والتلفزيونية، في كل دولة يراد تسميم عقول مواطنيها. ومن عادة العسكر أن يعهدوا لعملية تسميم العقول إلى عميل مزدوج، يكلفونه اعطاء العدو معلومات خاطئة. على أن مثل هذا العميل، لا يصلح لتنفيذ مخطط جدي شامل، تضعه القيادة ويقتضي تنفيذه الاطلاع على الأسرار الدفاعية. ذلك أن العميل المزدوج لا يوثق باخلاصه في الغالب، مهما برهن على هذا الاخلاص. وهو فضلاً عن ذلك لا يتمكن من الاتصال بالشخصيات البارزة والمؤثرة في مجتمعها. والعميل المنتقى لتنفيذ عملية تسميم جدية وعلى مستوى عال لا بُدّ له وأن يكون صاحب مواهب تجعل منه شخصاً مرموقاً، ومن صنف نادر. وهو لا يتجسس رغم كونه في الواقع من أخطر الجواسيس، أو أخطرهم على الاطلاق. بحيث لا يظهر عليه أنه يستعلم عن أي أمرٍ ويبحث عن سر. ولا يبدأ بممارسة دوره الفعال في عملية التسميم إلا بعد وقت طويل نسبياً، أي بعد أن يستكمل الشروط والعناصر التي تجعل كلامه مسموعاً وموثوقاً به. وهو ينشر « معلوماته » بالوسائل الطبيعية ودون اظهار أي اهتمام بها أو أي قصد منه بنشرها. وعليه أن يعايش الأوساط الثقافية والعلمية ذات المستوى الرفيع. وبالتالي لا يمكن أن يكون انساناً فاشلاً أو ضعيفاً. بل ولا بُدّ له أن يكون شخصية بارزة ذات علاقات طيبة مع كلا الطرفين (أي الطرف واضع السم والطرف الذي يتلقاه) وحتى لا يثير الشكوك في أقواله وآرائه، لا بُدّ له وأن يكون مطّلعاً تماماً على خطة التسميم ومستوعباً تفاصيلها بكاملها. ولا بُدّ لمستوى هذا العميل من أن يتصاعد باستمرار. فغالباً ما يستقطب العميل من أوساط المسؤولين التقنيين في كادرات الصناعة والجيش والادارة، ويرتقي ليصل إلى مرتبة « عالم » أو ديبلوماسي أو سياسي أو مثقف كبير. وقد بات معروفاً أن المؤسسات المكلفة بتنفيذ هذه المهمات وهي المخابرات وخاصة فروع « مكافحة التجسس » تختار عملاءها من الأوساط الراقية جداً، في مجال العلم والثقافة والنفوذ السياسي وغيرها.

إنَّ أشكال وأنواع التسميم التي حددها مركز الاستعلامات الفرنسي في قيادة الشعبة الثانية أي المخابرات لا تزال صالحة ومطابقة للكثيرين عمليات التسميم العصرية، ويمكن إيرادها كمثال يوضح موضوعنا هذا :

○ تبدأ مهمة العميل بتكليفه بنقل خبر صحيح للعدو. ويسمى هذا العمل « خبر اتصال » وبالطبع غالباً ما يكون الخبر قديماً لم تعد له أهمية فعلية، أو يكون انتقاله الى العدو لا يشكل خطراً لأنه خبر من نوع الاستثمار الذي يقتضي التضحية بجزء من رأس المال. وبعد هذا الاتصال بوقت قد يطول أو يقصر حسب الظروف، تبدأ عملية التسميم الحقيقية. عملية بالغة الدقة، أخبارها ناقصة بحيث تسمح للعدو أن يبذل مجهوداً شخصياً في البحث والتنقيب، حتى يكملها. وتدريجياً تثبت ثقة العدو بالعميل. ويسمح لنفسه بالثرثرة اكثر فأكثر. كما تتكاثر المعلومات الواردة إليه من مستخدميه. وتقضي اصول اللعبة أن يعطى العميل من حين لآخر معلومات تبرهن أن هدفه ليس مجرد إعطاء المعلومات. كما تقضي بأن ينقل أخباراً تدل على حسن نيته وعلى جهله التام باهتمام العدو باخباره وكيفية استخدامه لها. وعليه أيضاً أن يخطئ من حين لآخر وأن يعود فيصحح اخباره الخاطئة. ويركز خبراء التسميم على أهمية هذا الخطأ لأن العميل يبرهن بواسطتها عن كونه ينقل أخباراً لا يعي خطورتها ولا يعتمد نقلها، ولأن ثقة الأعداء تزداد كثيراً حين يرونه جاداً في عرض الأسباب والوقائع التي جرته إلى استنتاجات خاطئة.

* هناك أمثلة كثيرة تبدو أشبه ما تكون بالأساطير والروايات الخيالية، لولا أنها قد حصلت فعلاً. ومن أطرف حوادث التسميم العسكري حادثة الرجل غير الموجود التي رويت بعنوان (المخابرات تستخدم الأموات) في الجزء الأول من هذه السلسلة في الصفحات ٢١٣ الى ٢١٦. صاحب الفكرة كان قانونياً مجنداً احتياطياً مكلفاً بمصلحة أمن بسيطة

أما منفذ الفكرة فكان الضابط البحري أيوين مونتاغو. أما عميل التسميم هذه المرة للعدو الالماني فكانت جثة لرجل ميت.

كان على الضابط مونتاغو أن ينقل معلومات « بالغة الخطورة » إلى قيادة الجيش الالماني ولا يمكن نقلها بواسطة عميل عادي أو سفارة أو أي إنسان، لأنه لا يفترض أن يكون أي إنسان مطلعاً على نيات الجنرال أوشيبالدي والأميرال كوينغهام والجنرال الكسندر. بعد تفكير طويل خطر لمونتاغو أن يضع هذه المعلومات في جيوب ملابس ضابط ميت ثم يلقي بجثته بالقرب من الشاطئ الاسباني. بحث مونتاغو كثيراً حتى عثر على جثة رجل ميت فأقنع عائلته بتسليمه جثته، لأمر خطير يتعلق بالأمور العسكرية الهامة « لصاحبة الجلالة » وجرى تزويد الجثة باسم « الميجر وليم مارتان » وأوجدوا له خطيبة، وحساباً في أحد المصارف. بينما استمر خبراء المخابرات البريطانية في رسم خطوط العملية التسميمية وتحضير الأوراق والمستندات اللازمة لها، وتقرر أن تكون وثائق التسميم صادرة من سلطات عليا جداً وهي :

١ ــ رسالة موجهة من رئيس الأركان المعاون للامبراطورية الجنرال أرشيبالدي إلى الجنرال الكسندر قائد الجيش الثامن عشر في افريقيا. وتحمل الجثة نسخة عنها باعتبار صاحبها الميجر مارتان من الضباط القادة في المنطقة وتقضي الرسالة أو يفهم منها بأن « صقلية » ستكون الهدف القادم للحلفاء.

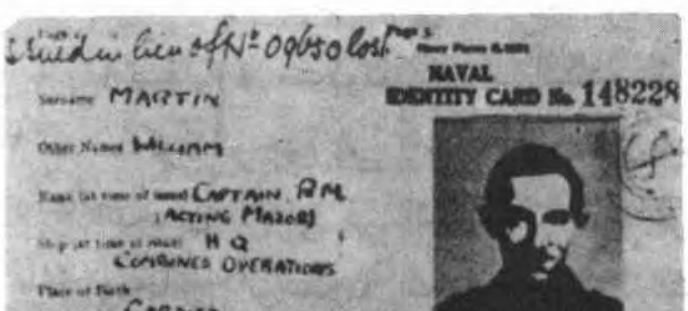
٢ ــ مذكرة موجهة إلى أميرال الاسطول البريطاني السير كوينغهام القائد البحري الأعلى في المتوسط من اللورد مونتباتن يشرح فيها مهمة « حامل الرسالة » الميجر مارتان. لتنتهي المذكرة بهذه الألغاز : ستجدون في مارتان الرجل الذي يناسبكم أرجو إعادته لي فور انتهاء « الهجوم » فربما استطاع أن يحمل إلينا « السردين » فهو متقن هنا... ؟

وهنا يتضح أن الألمان استنتجوا من هذه المذكرة أن الهدف المقبل للحلفاء سيكون « سردينيا ».

واحتراماً لقواعد التسميم فقد اكتفى الحلفاء والمخابرات البريطانية بهذا القدر من التسميم حسب القاعدة التي تقضي باعطاء معلومات ناقصة وغير محددة لتبلغ غايتها لدى الأعداء. وقد أثمرت هذه العملية بشكل جيد وابتلعت السلطات الألمانية التسميم للآخر.



الجثة المهمة طعم التسميم تلقى من الغواصة البريطانية (سارف) قرب الساحل الاسباني بينما أحد الضباط يتلو صلاة الموت.



Issued in lieu of No 09650 lost

NAVAL IDENTITY CARD No. 148228

Surname MARTIN

Other Names WILLIAM

Rank at time of issue CAPTAIN, RM (ACTING MAJOR)

Ship at time of issue H Q COMBINED OPERATIONS

Place of Birth CARDIFF

Year of Birth 1907

Issued by

at ADMIRALTY

Date 2nd February 1943.

Signature of Bearer W Martin

Visible distinguishing marks NIL

البطاقة الشخصية الخاصة بالكابتن « ويليام مارتن » في البحرية الملكية البريطانية. وكلها مزيفة « بعلم من يهمه الأمر ».

* وهناك حادثة تسميم عقول حصلت منذ فترة ليست ببعيدة، وتصلح كمثال سريع عن عمليات التسميم السياسي. فقد كان التنافس على البحر الكريبي بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة قد بلغ ذروته في كوبا. فاعتمدت المخابرات السوفياتية خطة لمصلحة كاسترو وقسمتها إلى ثلاث مراحل. ونجحت المرحلة الأولى بسهولة، بفضل شغف الأميركي بالفولكلور، وبفضلها اكتشف الرأي العام الاميركي أن باتيستا « رئيس كوبا السابق » ديكتاتور فاسد، واكتشف من ناحية ثانية ان فيديل كاسترو إنسان شريف محبب متحمس لمبادئ سامية، بالاضافة الى كونه وسيم. ويذكر المراقبون أن ميل الرأي العام إنطلق وقتئذٍ من النوادي النسائية في الولايات المتحدة ومن المبشرين والمراهقين. ومثل هذه الانطلاقة تصعب مقاومتها كثيراً. وكان أن هرب باتيستا مع عائلته وثروته التي جمعها من الشعب الكوبي، بعد نجاح الثورة. وتسلم فيديل كاسترو زمام الحكم في كوبا، وسط جو من الاعجاب والتمجيد من قبل الصحافة الاميركية. بعد وقت مناسب تأكد المراقبون السياسيون أن المخابرات السوفياتية نجحت نجاحاً باهراً في إعداد الرأي العام الاميركي لتقبل ذلك.

ومعروف أن كاسترو بدأ باعادة المستثمرين الاميركيين إلى بلادهم، لاكتشافه أن الأرباح الطائلة التي كانوا يجنونها من بلاده تستعمل بشكل أفضل فيما لو استقرت « في الخزائن الكوبية ». وكانت ردة فعل الاميركيين دهشة بالغة، وقد ظنوا أنهم يستبدلون باتيستا بشبيه له. ولا شك في أن المخابرات الاميركية، التي لا بد وانها عارفة بماضي كاسترو، كانت هي الأخرى مسممة لدرجة جعلتها تستخف به ولم تبلغ السلطات الأميركية بما لديها من معلومات عنه.

في المرحلة الثانية كانت المخابرات الاميركية تعد العدة للأخذ بالثأر في عملية « خليج الخنازير » وكانت لا تزال تحت تأثير التسميم السوفياتي كما يبدو. إذ أنها أبلغت رئيس الولايات المتحدة أن كوبا

ستقع فريسة سهلة، حالما يطل عليها « المحررون » الاميركيون. ومن قواعد التسميم أن أسهل وأنجح أساليبه يقضي بتثبيت اعتقاد العدو فيما يريد هو أن يعتقده. وبالتالي لم تكن مهمة المخابرات السوفياتية جد صعبة هذه المرة.

التسميم العسكري والسياسي الذي تمَّ قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ :

حادثة ثانية وهامة قريبة العهد تشكل نموذجاً للتسميم السياسي والعسكري. ولنعد بالذاكرة إلى أسابيع الاتصالات التي جرت قبل حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ وباختصار « الكيان الصهيوني كان على أتم الاستعداد للحرب ». فأشاعت وسائل الاعلام الاسرائيلية داخل أوساط معينة في تل أبيب أنها متخوفة من هجوم عربي ساحق عليها، وتساءلت : أي بلد في العالم يظل يهتم بها ويساندها فيما لو خسرت الحرب ؟ وحددت السلطات الاسرائيلية مصلحتها في نقطتين أساسيتين :

الأولى : عدم تدخل الاتحاد السوفياتي بجانب العرب.

الثانية : استغلال عنصر المفاجأة.

وبدأت عملية التسميم بحمل المصريين على الاعتقاد الجازم بأنهم سيكونون وحيدين في هذه المعركة.

كانت موسكو تساعد مصر علناً. والأمم المتحدة أجبرت اسرائيل على التراجع في إيلات. وفرنسا وبريطانيا لم تعودا حليفتي اسرائيل لأسباب « بترولية » مفهومة. وحتى الولايات المتحدة حليفة ومربية اسرائيل الأولى أظهرت تردداً في امكان تدخلها علناً في المعركة.

من ناحية القاهرة ؟ كيف بدا لها الموقف العالمي ؟

كانت القاهرة « تراقب » أبا إيبان وزير خارجية الكيان الصهيوني في حينه وهو يهرول من هنا إلى هناك طالباً المساعدات الدولية. وامعاناً في الخديعة والتسميم المقصود لمصر والدول العربية فقد طلب أبا إيبان « مقابلة » الرئيس الاميركي جونسون وأذيع ذلك اعلامياً في طول الدنيا وعرضها.. ولكن الرئيس الاميركي لم يستقبله وتركه ينتظر فترة طويلة، بينما استقبل أثناء ذلك فريق كرة اليد الرياضي. ثم سافر الى مزرعته تاركاً الوزير الاسرائيلي « ينتظر ». وأخيراً تمّ استقبال إيبان في البيت الأبيض « سراً » ولم يستطع الصحافيون مقابلته سوى في المطار حيث بدا محطماً فاقد الثقة والأمل « بعد مقابلة جونسون الفاشلة » كما ادعى. وتطمئن القاهرة التي اعتقدت نتيجة ذلك التسميم بأن اسرائيل أصبحت معزولة وقد خيّب الأميركيون أملها. وقد اشترك في عملية التسميم هذه أمهر الدبلوماسيين كما اشترك في عملية التسميم « كبيرهم » الرئيس جونسون نفسه حتى انتهت هذه العملية بما سمي « حرب حزيران أو نكسة حزيران » بما عرف من غدر سلطات الكيان الصهيوني.

سوريا بقيادة الرئيس حافظ الأسد
و « ردّ الاعتبار » ومصر العربية



الرئيس الأسد يحيّي أبطال حرب رمضان

○ وقد قامت سوريا بقيادة الرئيس حافظ الأسد وجمهورية مصر العربية (قبل كامب ديفيد) برد الصاع صاعين للكيان الصهيوني حيث تم اجراء تنظيم عسكري على أساس خطة اتفق عليها للهجوم المفاجئ على اسرائيل .كما تمّ الاتفاق بين القيادتين السياسية والعسكرية في مصر وسوريا اعتباراً من شهر نيسان (أبريل) ١٩٧٣ للبدء في دراسة اختيار يوم الهجوم وساعة الصفر بما يتناسب مع موقف كل من الجيشين المصري والسوري ،مع ابتداء خطة متكاملة بين المخابرات السورية والمخابرات الحربية في مصر لبدء العمل في اطلاق أجواء التسميم العسكري والسياسي قبل هذه العملية. وسارت الدراسات سيراً جيداً فالخبراء العسكريون تولوا دراسة موقف العدو وحالة الطقس، وخاصة حركة الشمس على أن تكون الشمس في

ساعة الهجوم في اتجاه أعين العدو الاسرائيلي وخلف القوات العربية على الجهتين السورية والمصرية وقد خصصت الدراسات لاختيار يوم الهجوم وساعة الصفر استناداً لما يلي :

— تم اختيار يوم الهجوم في يوم تكون فيه عدد ساعات الليل أطول من عدد ساعات النهار حتى تتمكن القوات العربية من تأمين رؤوس كباري ليلاً. واقامة الكباري في فترة الليل وذلك لتقليل تأثير ضربات العدو الجوية.

— كان هذا اليوم من الأيام التي تعطل فيها المصالح الحكومية في الكيان الصهيوني كما أعطي هذا اليوم أفضلية خاصة للهجوم باعتباره يوم تقام فيه احتفالات دينية خاصة باسرائيل وهو « يوم الغفران ».

— كان هذا اليوم واليوم الذي يليه من الأيام التي تعطل فيها المصالح الحكومية في الدول الاوروبية حتى يتعطل اجتماع الحكومات أو المنظمات الدولية التي من مهمتها اصدار قرار وقف اطلاق النار قبل تحقيق الأهداف.

— استقر الرأي أن أفضل يوم هو يوم السبت السادس من تشرين أول (أكتوبر) لأنه يحقق العناصر الرئيسية المطلوب توفيرها.

— تم اختيار (ساعة الصفر) أيضاً وهي ساعة بدء الهجوم المشترك على الجبهتين السورية والمصرية وقد رُوعي في اختيار هذه الساعة لكي تحقق المزايا التالية :

أ ــ أن يكون الوقت المناسب لتكون حركة الشمس في أعين العدو الصهيوني في وقت واحد على كلا الجهتين السورية والمصرية وهذا ما ساعد القوات العربية في دقة التسديد.

ب ــ أن توفر ساعة الهجوم للقوات العربية على الجهتين فترة محددة للعمل نهاراً في حدود أربع ساعات بحد أقصى وهو الوقت اللازم لاقتحام قناة السويس وتدمير خط بارليف بسرعة خاطفة. وبنفس

الوقت على الجبهة السورية في الجولان لتعطيل ومنع مدرعات العدو التي تمثل الاحتياطات التكتيكية والتعبوية من التدخل السريع لدعم قواته التي يعتبر أنها ستكون « منهارة » في هذه المرحلة الحرجة من العملية. وأيضاً حرمان العدو على الجبهتين من المعاونة الجوية نهاراً.

جـ ــ أن تكون حركة المدّ في قناة السويس في ذروتها وهذا يساعد على ارتفاع منسوب المياه في القناة مما يسهل سرعة انزال قوات الاقتحام شرقي القناة.

د ــ أن تكون سرعة التيار في حدها الأدنى (٠,٠٨ متر ثانية) حتى يسهل على القوارب ووسائل العبور من المحافظة على اتجاهها وأيضاً أن يقلل من انتشار النابالم في حالة نجاح العدو في إشعال جزء منه.

هـ ــ أن يكون هذا التوقيت غير تقليدي حتى يمكن تحقيق أكبر قدر من المفاجأة وقد جرى العرف أن يبدأ الهجوم اما أول ضوء أو آخر ضوء.

و ــ أن يسمح توقيت ساعة الصفر للقوات الجوية ووسائل الدفاع الجوي من تحقيق الضربة الجوية الأولى والتمكن من عودة الطائرات الى قواعدها لاعادة ملء الخزانات بالوقود لتكون جاهزة لتوجيه ضربة جوية ثانية في حالة الحاجة إليها. وذلك قبل نهاية الضوء، وفي نفس الوقت ونظراً لأن وسائل الدفاع الجوي سوف لا يفرض عليها الصمت أثناء قيام القوات الجوية بتنفيذ ضرباتها. فإن الحاجة لفترة الضوء هذه ضرورية لسهولة تمييز الطائرات من قبل الدفاع الجوي العربي سواء أثناء عودتها أو عند عودة اقلاعها مما يقلل الخسائر الناتجة عن ضرب الطائرات بنوع الخطأ الذي وقعت به اسرائيل نفسها فيما بعد.

○ وهذا الاسلوب الذي تم فيه التعاون الوثيق بين القوات الجوية ووسائل الدفاع الجوي يعتبر تنفيذه ونجاحه الأول من نوعه في الحروب

التي جرت قبل ذلك. ليس في الحروب العربية الاسرائيلية فحسب، ولكن في الحروب العالمية ايضاً فكان هذا نموذجاً للدروس العسكرية السورية والمصرية المستفادة والتي خصصت للبحث والتطوير في جميع المعاهد العسكرية العليا في العالم.

بعد ذلك وبناءً على هذه الاعتبارات التي كان لا بد من مراعاتها عند تحديد ساعة الصفر، وهي ساعة اقلاع القوات الجوية من قواعدها في كل من سوريا ومصر لتوجيه الضربة الجوية الأولى في العمق الاسرائيلي، طرحت هيئة العمليات بالقوات المسلحة العربية اليوم الذي اقترحته وقدمت معه يوماً آخر مماثلاً وساعة صفر مماثلة تتحقق فيهما الشروط المطلوبة ولكن في فترة أخرى وفي فصل آخر من فصول السنة وتركت للقيادة السياسية العليا في كل من سوريا ومصر « حق » اختيار اليوم الأنسب. وبذلك تحقق عامل السرية اكثر حتى بالنسبة لمن قاموا باعداد هذه الدراسة وهم يعدون على أصابع اليد من القادة.

وفي يوم ١٩٧٣/٨/٢٧ تمت الموافقة من قبل القيادة السياسية والعسكرية في كل من سوريا ومصر بناء على ما عرضه الفريق أول احمد اسماعيل وزير الدفاع المصري والذي وقع عليه الاختيار ليكون « القائد العام » لقيادة العمليات على الجبهتين السورية والمصرية على تحديد يوم وساعة بدء القتال المسماة « ساعة الصفر » عسكرياً لتكون الساعة ١٤٠٠ من يوم السبت العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ الموافق للسادس من تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣ م.

وقد تم اختيار يوم ١٩٧٣/٨/٢٧ موعداً لتحديد يوم الهجوم حيث بدأ من ذلك اليوم « العدّ التنازلي » لتنفيذ العملية. ولتوضيح معنى العدّ التنازلي، فليس المقصود هو عدّ تنازلي فقط لكن خطة العدّ التنازلي هي خطة في منتهى الدقة والسرية. كما تمّ بنفس الوقت اتباع طريقة التسميم

العسكري من جهة ثانية فأعلنت القيادة العامة للقوات المسلحة في مصر على تنزيل درجة التعبئة إلى حالتها العادية مما يسمح معه بمنح العسكريين اجازات يصل خبرها عن طريق العملاء إلى العدو ثم أعلنت نفس القيادة عن السماح لألفي حاج من تعداد القوات المسلحة باداء « فريضة الحج » لذلك العام. وقامت الصحف المصرية مثل الأهرام والجمهورية بنشر هذا الخبر المثير حيث علمت المخابرات الاسرائيلية بطبيعة الحال سواء من عملائها أو من نفس الصحف المصرية التي تصلها من سفاراتها في الخارج. وبذلك انطلى عليها التسميم المصري بشكل رائع. كما أصبحت جميع الاشارات اللاسلكية من القيادة الى الجبهة المصرية والمحتمل التقاط العدو لبعضها تحمل صيغة الأوامر بالتدريب العادي فقط.

○ أما في سوريا فقد كان الحال أفضل من ناحية تطبيق عملية التسميم العسكري ضد اسرائيل فقد تم تسريح دفعة كبيرة من العسكريين الاحتياط أي العسكريين الذين أنهوا مدة خدمة العلم وهي الواجب العسكري على كل عربي سوري ويحتفظ بهم لأسباب تقدرها القيادة، ومنها التخوف من نشوب قتال ، أو تكون المنطقة تتعرض لأزمة أو مؤآمرات صهيونية أو امبريالية وهؤلاء يُسمون « الاحتياطيين » وهذا لا يحدث إلّا أن تكون سوريا في حالة عادية جداً وليست مقبلة على حرب مطلقاً.

وهكذا كانت الحال بالنسبة للتسميم السياسي السوري ضد اسرائيل فقد نشرت وسائل الاعلام السورية ومنها صحف تشرين والبعث والثورة أن السيد الرئيس حافظ الأسد سيقوم في يوم السبت ٦ تشرين الأول (اكتوبر) بزيارة للمحافظات الشرقية. وهذا يعني سياسياً أن الرئيس السوري ليس لديه أية فكرة أو نية في هجوم على اسرائيل وليس مشغولاً بالخطط العسكرية مع القيادة السياسية في سوريا وانه « سوف »

يغادر دمشق في زيارة للمحافظات الشرقية كما ذكرنا.. ومتى ؟ في السادس من تشرين الأول... (يوم الحرب). وهكذا ابتلعت اسرائيل وهي المدعية الطعم بالتسميم السياسي والعسكري وفوجئت بالقوات المصرية وهي تدك خط بارليف فوق رؤوس صانعيه وبالقوات السورية تجتاح الجولان المحتلّ بآلاف الدبابات يقودها رجال أبطال،كما كان لسلاحي الجو في البلدين نصيب كبير في ضرب العدو الاسرائيلي وبالعمق حتى علمنا أن معظم الاسرائيليين داخل الكيان الصهيوني قد هيئوا « الأعلام البيضاء » لرفعها فوق منازلهم عندما شاهدوا مئات الطائرات العربية فوق رؤوسهم تدمّر رموز الصهيونية، وعلموا أن القوات العربية اجتازت خط بارليف وعبرت الجولان باتجاه قلب فلسطين.

والذي حدث أن ما توقعته القيادة العامة من احتمال تغيير الموقف قد وقع بالفعل بما سمي في مصر بـ« ثغرة الدفرسوار » وهبوب الولايات المتحدة لنجدة اسرائيل ووضع ثقلها العسكري الكامل بجانبها باقامتها جسراً جوياً[1] وبحرياً لاسرائيل.نقلت لها عبر هذا الجسر أضعاف ما فقدته من العتاد في هذه المعركة المفاجئة وجعلتها تستعيد السيطرة على الأجواء مع الأسف حتى تمّ الاعلان عن وقف القتال في ٢٢ تشرين الأول. مع العرض بأن الهجوم لم يكن قاصراً على القوات المسلحة السورية والمصرية فقط باعتبارهما طلائع هذا اليوم العظيم، وإنما شاركت فيه قوات شقيقة من العراق وليبيا والاردن والكويت والمغرب والسودان

(١) الجسر الجوي: هو عملية نقل مكثفة طويلة الأمد تقوم فيها طائرات النقل العسكرية او المدنية بنقل قطعات أو أسلحة ومعدات وذخائر بشكل مستعجل وبين نقطتين متباعدتين يكون النقل البري أو البحري بينهما متعذراً أو بطيئاً على نحو يؤثر على الوضع العسكري في نقطة الوصول. ولا يعطي الجسر نتائج إيجابية إلا إذا تم بعيداً عن مدن طيران الخصم. وأول جسر جوي في العالم كان لنقل قوات فرانكو من المغرب إلى اسبانيا عام ١٩٣٦.

ومنظمة التحرير الفلسطينية. أما بقية الدول وعلى رأسها المملكة العربية السعودية والملك الراحل فيصل فكان لمبادرتهم بادخال البترول سلاحاً في المعركة مع الدعم السياسي والمعنوي والمادي الذي قدموه ما أعاد إلى الأذهان تاريخ وعظمة الأمة العربية التي وضعت عالمياً في ترتيب القوة السادسة في العالم.

خلفية حرب رمضان من قادة العدو والمتعاونين معه

○ وأخيراً هناك حقيقة واضحة. هناك حرب حقيقية تمت بامكانياتنا المتواضعة. ومعنى هذا أننا نستطيع في أي وقت وبفضل وحدة الارادة العربية أن نتغلب على العدو ولو كان يملك ضعف الامكانيات ونكرر هذه المعركة والنصر إن شاء الله. ونحن نقدم للقارئ في نهاية هذا العرض الحثّ عن حرب رمضان نموذجاً من بعض أقوال قادة وكتاب العدو والمتعاونين معه حتى نرضي رغبات الجميع وهي :

ـــ قالت « غولدامائير » رئيسة وزراء العدو أثناء المعركة :

« ... أما كيف كانت هذه الأيام بالنسبة لي فهذا ما لا أستطيع أن أصفه، يكفي أن أقول أنني لم أكن قادرة حتى على البكاء.. لقد عبر المصريون القناة وضربوا بشدة قواتنا في سيناء وقام السوريون بنفس الشيء في الجولان. وفي يوم الأحد ٧ تشرين الأول « اليوم التالي للقتال » قدم موشي دايان « وزير الدفاع » استقالته لي وهو بائس جداً ولكنني لم استطع قبولها، إنني أعترف أنه حدث لنا ما أحدثناه لمصر عام ١٩٦٧ ».

ـــ الجنرال إيلي زبرا ـــ رئيس المخابرات العسكرية في اسرائيل أثناء الهجوم العربي عليها قال في مقابلة مترجمة عن راديو الجيش الاسرائيلي :



إيلي زبرا

« ... لقد فوجئنا فعلاً. رغم جميع امكانياتنا الاستخبارية وملايين الدولارات التي صرفناها هدراً في سبيل معرفة مثل هذا اليوم ».

وقد أقيل هذا الجنرال من رئاسة المخابرات العسكرية الاسرائيلية فوراً.

ـــ من مقال « منال ممتاز » الذي نشر في مجلة اسبوع الطيران عدد كانون أول (ديسمبر) ١٩٧٣ عن مجلة القوات الجوية في الشرق الأوسط :

« ... لقد قام العرب أيضاً بعمل يحتذى به وذلك باخفاء نواياهم الحقيقية بينما كانوا يقومون بالواجب الشاق نحو تجميع واعداد وتدريب قواتهم الضاربة الكبرى وقد اختاروا بمهارة الساعة المناسبة في اليوم المناسب لبدء عملياتهم للحصول على أكبر مفاجأة وأقل ردّ فعل.. لقد كان اليوم هو « يوم الغفران » هذا اليوم المقدس الذي لا يعمل فيه الاسرائيليون مطلقاً. وكانت الساعة الثانية بعد الظهر أي عندما تكون الشمس في أعين الاسرائيليين ولا يتبقى سوى ساعات قليلة من ضوء النهار، لا تمكن القوات الجوية الاسرائيلية من التصويب بدقة لضرب المعابر التي أقامها المصريون عبر القناة ».

ـــ من كتاب « زلزال في اكتوبر » للكاتب اليهودي « زئيف شيف ».

« ... وازداد الذهول بمفاجأة أخرى لم تكن متوقعة. ففي البداية اعتقد القادة الاسرائيليون أن دبابات جيش الدفاع الاسرائيلي سوف توقف المشاة المصريين بسهولة وكان الجميع مقتنعين بأن ضربة المدرعات سوف تخيف الجنود المصريين. وها هي الأنباء تقول بأن أولئك الجنود يواجهون نجاح دبابات جيش الدفاع الاسرائيلي (أنهم يطلقون علينا الصواريخ والبازوكات بغزارة). كانت هذه الجملة تتكرر دائماً في أجهزة الاتصال الاسرائيلية... وبعد الظهر اصدر الجنرال جوتين أوامره للدبابات الاسرائيلية « بعدم الاقتراب » وأن يطلقوا نيرانهم « على المشاة » حتى من على بعد عدة كيلومترات ».

ــ من مقالة « حرب الشرق الأوسط » لـ« ميليتري ديفيو » الأميركية نشرت عام ١٩٧٤: «لقد تمكن قناصة الدبابات من أفراد المشاة المصريين من تدمير حوالي ٢٠٠ مائتي دبابة اسرائيلية على طول جبهة قناة السويس في غضون ساعات قليلة ».

ــ من مقال حرب يوم الغفران الواردة في مجلة « المشاة » « أنفانتري » الاميركية عدد حزيران (يونيه) ١٩٧٤.

« ... وقد عانت القوات الجوية الاسرائيلية من الخسائر الجسيمة في طائراتها من الدفاع الجوي السوري المتمكن من أسلحته المتطورة والدفاع الجوي المصري أيضاً « عندما كلف الطيران الاسرائيلي بحماية القوات البرية ». وقد تمّ إسقاط ١٠٠ مائة طائرة اسرائيلية عندما حاول طياروها الاغارة على القوات السورية والمصرية « في اليوم الأول والثاني للقتال ».

ــ وفي مجلة « اسبوع الطيران وتكنولوجيا الفضاء » عدد كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٣.

« ... وقد بلغ اجمالي خسائر القوات الجوية الاسرائيلية ومن نفس

المصادر الاسرائيلية ١١٧ مائة وسبع عشرة طائرة أسقطت بمختلف الوسائل وهي تشمل ١٢ طائرة ميراج ٣ + ٣٥ طائرة فانتوم E.4 + ٥٥ طائرة اسكاي هوك A.4 + ٦ طائرات مستير + ٦ طائرات هيلوكبتر، وقد أسقط منهم في اليوم الأول للهجوم ٣٠ طائرة اسكاي هوك A.4، وعدة طائرات فانتوم ».

— ومن كتاب « التقصير » الذي ألفته مجموعة من الكتّاب الاسرائيليين :

« ... وفي اليوم الثالث من الحرب كانت الخسائر الاسرائيلية مرتفعة بدرجة محسوسة وكان بين الأسرى الكولونيل عساف ياجوري والذي ظهر في نفس المساء في التلفزيون المصري. وللمرة الأولى منذ أنشئت اسرائيل أخذت الدبابات الاسرائيلية « تحارب وهي تنسحب » وللمرة الأولى أيضاً تتعطل الدبابات الاسرائيلية الكثيرة في أرض العدو وفي داخلها قتلى وجرحى دون أن يستطيع أحد نجدتهم أو تخليصهم منها. ولقد تمّ قتل وأسر عدد كبير من أطقم الدبابات التي تمّ تدميرها.

« لقد كنا دائماً في جميع حروبنا السابقة ننفذ العقيدة المقدسة لدينا في اسرائيل التي تقول بأنه لا يجب ترك جريح واحد على أرض العدو مهما تحملنا في سبيل ذلك من تضحيات. أما هذه المرة فإن الأمر جد مختلف وكان يتعيّن على أي قائد اسرائيلي يدخل في اتصال مباشر مع العدو أن يختار وفي ظرف ثوان قليلة : هل يخلص الجرحى ؟ أم يقابل من يهاجمه فيقتله هو أيضاً ؟ هل يحترم تلك القاعدة المقدسة ؟ أم يحارب « منسحباً » أي يحارب للوراء لكي يعيد تنظيم صفوفه ويتمكن من استئناف القتال ؟».

— أما خط بارليف فقد وصف أحد كبار المستشارين السوفيات بأنه سلسلة مواقع « من صنع الشيطان » وحده لأنه لم يشاهد في حياته

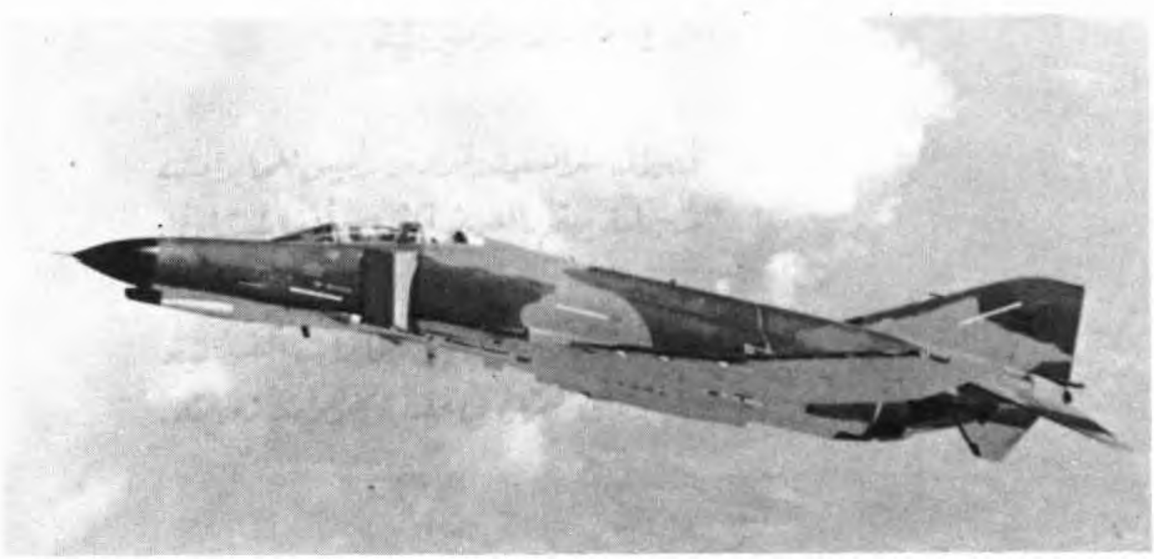
العسكرية مثل هذه السلسلة المنيعة من العوائق والموانع الطبيعية والصناعية التي أقامتها اسرائيل على الضفة الشرقية لقناة السويس وكلفتها عشرات ملايين الدولارات.

ــ نشرت مجلة .M.R عدد شهر آب (أغسطس) ١٩٧٤ في مقال عن حرب اكتوبر ما يلي :

« ... إن حرب اكتوبر قد حطمت الخرافة التي كانت قائمة منذ الانتصار الاسرائيلي السريع في عام ١٩٦٧. وقد أدى النجاح المذهل



وحدة من الدفاع الجوي السوري.



طائرة فانتوم .E.4 أسقط الدفاع الجوي السوري الكثير منها.

للجيشين السوري والمصري في حرب ١٩٧٣ إلى انتفاض الروح الوطنية لدى الشعب العربي بكامله، وتأكيد الذات العربية وقدرتها على القتال وعلى الانتصار. وأكدت للعالم حقيقة القومية العربية، وإن العرب قادرون على نبذ خلافاتهم جانباً وفوراً لمواجهة العدوّ المشترك صفاً واحداً. فهل يعيد التاريخ نفسه وتتحرر مصر العربية من معاهدة الذلّ الاسرائيلية وتعود الى الصف العربي للاشتراك كعادتها وفي هجوم النصر هذه المرة الله أعلم ».

نماذج
من أعمال المخابرات العالمية
التي
يقودها عمالقة التجسس في العالم

- رئيس المخابرات السوفياتية يوري أندروبوف أضاع المخابرات الأميركية.

- الأميرال سترانسفيلد تورنر رئيس المخابرات الأميركية يهتم بالفريز أكثر من أفغانستان.

- الكسندر دومارانش رئيس المخابرات الفرنسية ينقل الوثائق السرية في حقيبة مجوهرات زوجته.

كيف تعمل المخابرات في العالم

○ في شهر كانون الأول من عام ١٩٧٩ اكتشفت الأقمار التجسسية الاميركية ومحطات التنصت اجتياز فرقتين مدرعتين سوفياتيتين للحدود الافغانية متجهتين نحو الجنوب. فأعلم الأميرال ستانفيلد تودنر رئيس المخابرات الأميركية الذي اكتشف أسباب تحرك الجيش الأحمر إلى داخل افغانستان « متأخراً » بالاضافة إلى استنتاجه بنفس الوقت لأشياء خاطئة.

○ في العشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٩ هاجم واعتصم مئات الثوار في المسجد الحرام في مكة المكرمة بتخطيط خارجي ومع هذا لم تلاحظ المخابرات السعودية أو المخابرات الاميركية التي أطلقت أقمارها التجسسية للمراقبة أي تغيير مشكوك فيه قبل هذا الهجوم.

○ أيضاً في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٩ كان الأميركيون يدركون وضع إيران بالتفصيل ولم يصدقوا انتصار الثورة الاسلامية حتى آخر دقيقة لأنه لم يكن هناك من أثر لآية الله الخميني في الأدمغة الالكترونية التابعة للمخابرات الاميركية.

ومع هذه يمكن معرفة أي شيء عن أي بلد ما دون فهم ما يجري وتصوير أشياء صغيرة مثل كرة التنس بواسطة الأقمار التجسسية دون

معرفة نوايا العدو كما يمكن تبذير ملايين بل مليارات الدولارات بينما بامكان « عميل متيقظ » أن يكتشف الضروري والمهم. وتكشف هذه الأزمات الرئيسية الصراع الدائم بين أجهزة المخابرات العالمية والجهاز الحيوي لأي مخابرات هو الجهاز الذي يعتمد على معلومات يعطيها عميل يراقب الأوضاع « محلياً ». بينما الجهاز التقني هو جهاز الكمبيوتر والأدمغة الالكترونية التي تعطي فكرة واضحة عن الوضع في أي بلد وهذه مصادر معلومات المخابرات الحديثة :

١ ـــ خمسين بالمائة من معلومات المخابرات في العالم تؤمنها الأجهزة الالكترونية.
٢ ـــ أربعين بالمائة من المعلومات تأتي من مصادر « مفتوحة » أي من الصحف والمجلات والكتب والأدوات التقنية.
٣ ـــ خمسة بالمائة فقط مؤمنة بواسطة الجهاز الحيوي.
٤ ـــ خمسة بالمائة الباقية فمصدرها أساساً خارجي. فهي تأتي من بلاد تتقاسم معلوماتها مع الولايات المتحدة الاميركية كإسرائيل وبريطانيا ومصر أخيراً.

وتتعدى ميزانية المخابرات الاميركية لجمع المعلومات الالكترونية ٥٠ مليار دولار سنوياً ما بين أقمار صناعية ومحطات تنصت وطائرات استكشاف. ومع هذا لم تنفذ هذه المخابرات سوى ثلاث عمليات خاصة خلال ثلاثين شهراً بين كانون الثاني (يناير) ١٩٧٧ و١٩٧٩ ولكنها حصلت على الضوء الأخضر بعد أزمة أفغانستان للقيام بست عمليات خاصة لم يكن بامكان أحد تصورها قبل ذلك.

نجاح الثورة الاسلامية الايرانية

○ تبقى إيران المثال الأكبر لسقوط الجهاز التقني في المخابرات الاميركية. ففي عام ١٩٧٨ استكملت المعلومات في الكمبيوتر وتابعت أجهزة التنصت عملها بصورة ممتازة مسجلة أي تحرك لأي طائرة أو دبابة داخل إيران وكان الشاه بامكانه أن يطمئن فليس هناك ما يهدده بصورة مفاجئة وحوله أقوى حرس امبراطوري في العالم.ولديه المخابرات الايرانية « السافاك »[1] والأميركيون يعرفون كل شيء « عدا » أن الجيش الإيراني لن يحارب وأن هذا الجيش سيذوب في الاضطرابات وأن آلاف التسجيلات الكاسيت لصوت آية الله الخميني مسجلة في باريس حيث كان يقيم الإمام سوف تقرر مصير الامبراطورية.أما المخابرات الإسرائيلية التي كان لها الباع الطويل في طهران الشاه وكانت السفارة الاسرائيلية « وكراً حقيقياً » من أوكار التجسس ضد إيران وضد الدول العربية والدبلوماسيون الذين يعملون في السفارة كانوا يجيدون اللغة الفارسية كأهلها وقد عرفوا وأدركوا أن الشاه قد انتهى ولذلك قاموا بتدارك الأمور وتهريب الكثير من أعضاء السفارة الاسرائيلية والاسرائيليين العاملين في

(١) هناك فصل كامل عن المخابرات الايرانية في عهد الشاه « السافاك » نشرناه في الصفحات من [٦١ الى ٨١] في الجزء الثاني من سلسلة كتب (المخابرات والعالم) لمن يود معرفة كل شيء عن هذا الجهاز الدموي.

الوكالة اليهودية وأطنان من الطرود الدبلوماسية « هربوا » بها وثائقهم الجاسوسية وكانوا بذلك « أذكى » من الاميركيين الذين استولى الطلبة الإيرانيون السائرون على نهج الامام على سفارتهم فيما بعد.

○ المخابرات الفرنسية فرع السفارة الفرنسية في طهران كانت تراقب الأمور في طهران وشكت في الأمر.

○ رئيس فرع المخابرات الاميركية في السفارة « فلايشمان » القوي بتأكيدات الأجهزة الألكترونية ومئات العملاء في طهران لا يعرف شيئاً لأنه لا يتكلم الفارسية ولأن هدفه الأساسي كان التنصت على الاتحاد السوفياتي من الأراضي الايرانية. وكان نجاح الثورة الاسلامية الايرانية مفاجأة ضخمة للأميرال تورنر رئيس المخابرات الاميركية الذي كان يبلغ من العمر في حينه ٥٧ عاماً وكان صديقاً حميماً للرئيس كارتر في أكاديمية أنابوليس وهو الذي رأس المخابرات الاميركية في أوضاع صعبة منها: طرد مجلس الشيوخ لمستشار الرئيس السابق جون كنيدي من المخابرات لاتهامه باليسارية. قام تورنر بعد ذلك بتنظيف المخابرات الاميركية فطرد خلال سنتين أكثر من ألف موظف مدني وعدداً من العسكريين لأنه أراد اعادة النظام إلى جهاز عاجز عن الحركة تماماً منذ نهاية حرب فيتنام وبعد سقوط الرئيس ريتشارد نيكسون. لكن طريقة تنفيذ الطرد بدت مفاجئة لأن كمبيوتر « ملقم » بالملفات الشخصية لكل موظف أو عميل هو الذي يعطي الحكم دون مراجعة ويرفض الأميرال أن يتغاضى عن حكم الجهاز الالكتروني. وهنا نذكر مثلاً شهيراً كان ميشال ليدن رئيس تحرير « واشنطون كورترلي » يقوله عن أحكام الجهاز الالكتروني التي لا ترد : لقد طرد أحد عملاء المخابرات الاميركية الأكفاء الذي كان يقوم باتصالات مباشرة مع عدد لا بأس به من رؤساء الدول ورؤساء الحكومات لأنهم أي الرؤساء « غير أكفاء » برأي الكمبيوتر.

○ لقد مارس الكونغرس الاميركي وصاية مشددة على المخابرات المركزية الاميركية بعد صدور تقرير السيناتور فرانك تشرش عام ١٩٧٥ بعد التحقيق الذي أجراه عن أخطاء هذه المخابرات وتجاوزاتها. فأصبحت ثمان لجان من مجلس الشيوخ مؤلفة من ٢٠٤ أشخاص منهم ١٦٣ برلمانياً و٤١ موظفاً تمارس المراقبة الفعالة على نشاطات المخابرات وكانت النتيجة أن عقّد الأميرال تورنر بشخصيته الوضع أكثر مما كان معقّداً لأنه كان يعتقد نفسه في فيلم «كاين» يمثل دور الممثل العريق همفري بوغارت كما صرح أحد معاونيه.

○ إنّ عمل تورنر رئيس المخابرات الاميركية الذي يقبع في مكتبه الكائن في الطابق السابع من بناء المخابرات الاميركية في ضاحية لانفلي التي تبعد ١٥ كلم عن العاصمة الاميركية واشنطون يقتصر في أغلب الأحيان على تقديم « الفريز » إلى زواره الذين يصلون إلى مكتبه بمصعد خاص ومباشر لا يقف على الطوابق السابقة. وكان تورنر مغرماً بالفريز إلى درجة أنه نشر بتاريخ ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٩ بياناً مذهلاً حول « سرقة كمية من الفريز من براد مكتبه الخاص في المخابرات » قال في هذا البيان: « بطبيعة الحال سيجري تحقيق رسمي عن سارق الفريز وسوف أعلمكم بأي تطور في التحقيق. والأمل كبير في أن يعترف هذا اللص بجريمته وإنني أراهن براتبي كأميرال للكشف عليه وانني آسف إذ أجد نفسي مضطراً لأن أقوم بذلك لكن الأمن القومي يفرض هذا الاجراء ». وليتصور القارىء معنا اهتمام الأمن القومي الاميركي بسرقة كيلو من الفريز يخص رئيس المخابرات الاميركية ومن أعمال تورنر العجيبة إبان رئاسته للمخابرات نشر إعلان صغير في صحيفتي « واشنطون بوست » و« نيويورك تايمز » يطلب فيه موظفين من الجنسين للعمل في المخابرات وقد تلقى « ٢٣٠٠ » طلب نتيجة هذا الاعلان اختار منهم مئات الموظفين ليغطي النقص لديه بعد تسريحه التعسفي

لمئات من موظفي المخابرات. وأضاف تورنر فرع دراسة وتحليل للتصرفات النفسية والجسدية للموجهين الأجانب في المخابرات. وقد أرسل تورنر عن طريق وزارة الخارجية الاميركية إلى الرئيس أنور السادات ملفاً كاملاً عن مناحيم بيغن رئيس الوزراء الاسرائيلي في حينه وملفاً آخر عن عزرا واينرمان وزير الدفاع وبطبيعة الحال أرسل نفس الملف عن أنور السادات إلى الاسرائيليين لكنه كان يضيع عشرات الساعات لتحليل التقارير التي ترد من موسكو لكي يتأكد في حينه من أن ليونيد بريجينيف زعيم الاتحاد السوفياتي لم يستبدل بآخر شبيهاً له خلال استقباله زواراً أجانب مهمين في مطار سير ميتيفور.

○ بتاريخ ٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٠ أخذ جرس الهاتف يرن بصورة دائمة في مكتب « ريشارد ليهمن » رئيس « جهاز الطوارئ » في قسم التحليل والدراسة في المخابرات. ويقوم هذا القسم على تقويم جميع المعلومات المتعلقة بخطر المواجهة مع الاتحاد السوفياتي. ففي هذا اليوم أعلن الموظف المسؤول عن وصول معلومات خطرة ومتناسبة من الاتحاد السوفياتي : لقد استطاع القمر التجسسي للمراقبة الذي يمرّ فوق الاتحاد السوفياتي كل ٩٠ دقيقة أن يلاحظ تحركات عدة أقسام عسكرية سوفياتية على الحدود الأفغانية. وسجل قمر تجسس آخر هو « ك ــ هـ ــ ١١ » تحركات عسكرية عدة على مطارات متفرقة في الاتحاد السوفياتي. وأبلغت معلومات من قمر آخر كما جاء في أول هذا الفصل وصول فرقتين من المشاة السوفياتية الى القاعدة العسكرية الأفغانية في « باغرام » التي تبعد ٤٥ كيلومتراً من كابول. ماذا تستنتج المخابرات من هذه المعلومات ؟ بقي الشك سائداً خلال ثلاثة أسابيع فيما يتعلق بنوايا موسكو الحقيقية ولم يعد التنصت إلى ما يدور بين قواد الكرملين « مجدياً » لأن السوفيات أصبحوا حذرين. وتبقى الأشياء المصيرية غامضة فلجأت المخابرات الأميركية إلى عملاء لها ممن

يترددون على السفارة السوفياتية في واشنطـون ليتمكنوا من دس ميكرفونات صغيرة داخل هذه السفارة.واتضح فيما بعد أن المخابرات السوفياتية في السفارة اكتشفت هذه الميكروفونات في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٩ واحتاطت للأمر ولكنهم لم يحتجوا إلّا في كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠ بعد أن أقاموا عدة محاضرات « موجّهة » مطمئنة وخاطئة عن الوضع القادم في أفغانستان أي بعد أن « ضللوا » الاميركيين كعادتهم.

المخابرات السوفياتية (K-G-B)
ورئاسة أندروبوف لها

○ اكتفت اميركا باظهار قلقها على الوضع في أفغانستان في ما بين ٤ و٢٦ كانون الأول. والرجل الذي استطاع أن يخدع الأميرال تورنر هو « يوري أندروبوف » رئيس المخابرات السوفياتية (K-G-B) في حينه. وأندروبوف ليس رجلاً دموياً مثل البعض ممن سبقوه بل يصفه دبلوماسي غربي تعرَّف إليه في بودابست بأنه « رجل فكر يهتم بالفن الحديث ويستطيع أن يكون مرحاً » لكنه كان سفيراً لبلاده في العاصمة المجرية خلال عام ١٩٥٦.

وقد برز أندروبوف في أيار (مايو) ١٩٦٧ عندما أقنع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بخطورة الهجوم الاسرائيلي الذي يخطط لسوريا في حينه وقدَّم له عن طريق السفارة السوفياتية في القاهرة ملف « نعمان » الذي حمل اسم الرجل الثاني في الموساد الاسرائيلي وقد حمل هذا الملف (أي نقله) سامي صراف للرئيس عبد الناصر وقد اتضح أنه عميل للـ(K-G-B). وقد نجح أندروبوف إبان رئاسته الطويلة لجهاز المخابرات السوفياتية بتقديم المعلومات الخاطئة وابتكار « ملفات أميركية رسمية » وهذه بعض الأمثلة عن عمله :

ــ في عام ١٩٧٥ وزعت المخابرات السوفياتية برئاسته (دليل

الجيش الأميركي) وهو دليل خاطئ من ترتيب القسم المختص بالمخابرات السوفياتية بموافقة أندروبوف شخصياً وصدر هذا الدليل موقعاً أي يحمل امضاء الجنرال وليام وستمورلاند وبلغ من اتقانه أنه وزع في عشرين بلداً على الأقل وهو يحوي فكرة تدخل الولايات في الأوضاع الداخلية لحلفائها.

— في عام ١٩٧٦ عرضت المخابرات السوفياتية عملية تلغراف لا أساس لها من الصحة عن مقاطعة الدولة الاميركية لاعانة الموظفين مع رواية محرّفة قليلاً (نقلاً عن أخرى حقيقية) تهدف إلى إبراز الولايات المتحدة كدولة تحاول توريط الموظفين الأوروبيين للحصول على معلومات وطنية وسرية.

— في عام ١٩٧٦ أيضاً نشرت المخابرات السوفياتية عدة تلغرافات « برقيات » لا أساس لها أبداً تهدف إلى إشاعة التوتر في العلاقات التركية — اليونانية وإضعاف تأثير حلف شمال الأطلسي.

— في عام ١٩٧٨ نشرت المخابرات السوفياتية معلومات خاطئة على ورقة تحمل شعار (اشارة) حلف شمال الأطلسي وتوقيع جوزيف لونز، السكرتير العام للحلف (في حينه) ويشرح النص « الملفق » أن الأمر يتعلق بحرمان ومعاقبة بعض الصحافيين الذين لا يؤيدون القنبلة النووية.

— في عام ١٩٧٩ نشرت المخابرات السوفياتية على ورقة رسمية من أوراق سفارة الولايات المتحدة في روما خبراً يهدف إلى تأكيد الاشاعات التي أطلقتها أيضاً الـ كي. جي. بي. والتي تشير إلى أن الاميركيين يكدسون الأسلحة الكيمائية والطبيعية في قاعدة تابعة لحلف شمال الأطلسي تقع بالقرب من مدينة نابولي الايطالية. واستطاع أندروبوف إبان رئاسته للـ كي. جي. بي. أن يضيّع الاميركيين فيما يتعلق بتأخير السوفيات في مجال هذه الأسلحة بواسطة جندي فار اسمه فيدور

لقّنته المخابرات السوفياتية المعلومات التي أرادت أن يعرفها الاميركييون. وكانت النتيجة أن الجنرال جورج كيفان رئيس جهاز المعلومات في الجيش الاميركي الجوي سابقاً أكد فيما بعد أن سفناً حربية سوفياتية وهي بالاسم « كييف » و« خاركوف » و« فينسك » كانت مجهزة بقذائف غازية وأن جميع وحدات الصف الأول التابعة لحلف وارسو كانت مجهزة بأسلحة كيمائية. ولقد دهش الاسرائيليون وأصابتهم الرهبة عندما اكتشفوا الكميات الهائلة من الغاز التي بقيت في الجولان عام ١٩٧٣. وفي حين يعتقد الخبراء المختصون في المخابرات الاميركية أن الضباط السوريين قد تلقوا التدريبات الكافية فيما بعد من قبل الخبراء السوفيات. كما تقول مصادر المخابرات الاميركية أيضاً أن بعضاً من العتاد الكيمائي قد جرّب من قبل على بعض الثوار المعادين للشيوعية في « لاوس » وأن بعضاً من الوحدات السوفياتية قد استعملت الأسلحة الكيماوية في أفغانستان. وعندما كان أندروبوف يرأس المخابرات السوفياتية هذا الجهاز الضخم الذي يحوي وسائل الكترونية كان لديه عشرات الألوف من الموظفين والعملاء. وقد أكدت مصادر المخابرات الاميركية أنها لا تملك الآن سوى ست مراكز أو مصادر أساسية في الاتحاد السوفياتي للحصول على المعلومات الاستخبارية بينما هناك حوالي (٢٠٠٠ عميل) بمختلف الأشكال يعيشون في الولايات المتحدة ويعملون لصالح المخابرات السوفياتية. كما يوجد عشرات العملاء السوفيات في قلب العاصمة الفرنسية موزعين بين السفارة والقنصلية وبعض المراكز التجارية. أما في بريطانيا فيوجد مركز مهم جداً للمخابرات السوفياتية[1] وقد استطاع الانكليز أن يبعدوا ١٠٥ من

(١) إلى من يود معرفة تفاصيل مراكز لندن وفرنسا وغيرهم للمخابرات السوفياتية عليه مراجعة الكتاب الوثائقي للمؤلف (ملف الثمانينات عن أعمال المخابرات)...

الدبلوماسيين السوفيات ، اعتبروهم جواسيس بعد اعترافات الجندي الفار أوليغ ليالن وذلك دون أن تحتج موسكو بلهجة شديدة.

وازدادت قوة أندروبوف في حينه بمساعدة أجهزة المخابرات الخارجية له خصوصاً مخابرات المانيا الشرقية التي كان يرأسها العقيد ماركوس « ميشا » وولف صديق أندروبوف الحميم الذي كان يبلغ من العمر الثانية والثلاثين عندما رأس هذه المخابرات. وهو أصغر رئيس مخابرات في العالم يستلم هذا المركز المرموق، ويبقى فيه « ربع قرن كامل من الزمن » فمن هو رئيس المخابرات الالمانية الشرقية :

○ **ماركوس وولف** : عقيد في جيش المانيا الديموقراطية. والده كان طبيباً مشهوراً في مجتمع شتوتغارت يعالج الأغنياء فيقبض منهم غالياً في حين يعالج الفقراء « مجاناً ». وكان مؤلفاً مسرحياً ألف مسرحيات اجتماعية عديدة منها تمثيلية « سيناكالي » و« البروفسور مملوك » ترك المانيا عام ١٩٣٣ وهاجر إلى فرنسا ثم انتقل إلى سويسرا ثم إلى الاتحاد السوفياتي حيث نشأ ولده ماركوس في موسكو وتعلم الروسية والانكليزية حيث تلقى علومه ومن ثم بدأ حياته كصحافي قبل أن يصبح الرقم (٢) في مكتب مكافحة الجاسوسية المركزي. وقد عيّن أخوه رئيساً للأكاديمية الفنية في برلين الشرقية لكن ماركوس تعرف في موسكو على عميل للمخابرات السوفياتية في المانيا الغربية فأغرته الخدمة في الجانب الآخر أي في المانيا الشرقية من خلال صورة رسمها له هذا العميل فنقل عمله إلى المانيا الديموقراطية وتسلسل في مراكز مكافحة الجاسوسية والمخابرات حتى أصبح رئيساً للجهاز وبقي على صداقة العميل الذي شجعه على العمل في المانيا الشرقية. ويقول هذا العميل عنه أن ماركوس يتمتع بصيت حسن لا يتركنا في مأزق بل يحاول دائماً انقاذنا في حال توقيفنا لأي سبب. وقد يرسل لنا بطاقات المعايدة بمناسبة رأس السنة أو يرسل بطاقة تهنئة لكل منا بمناسبة عيد ميلاده.

وطبعه بخلاف صديقه أندروبوف يحب السفر كثيراً لاداء الخدمات لصالح الأحزاب والدول التي ترتبط بصداقة مع بلاده. ففي تاريخ ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٩ كان ماركوس في القصر الحكومي في عدن يوقع « معاهدة صداقة » بين الجمهورية « الديموقراطية » اليمنية والجمهورية « الديموقراطية » الالمانية. لكنه كان « يختبئ » وراء هونيكر رئيس الدولة الالمانية وعبد الفتاح اسماعيل رئيس الدولة اليمنية الديموقراطية في حينه. هذا الرجل الذي نجح في إدارة مخابرات قوية وقفت أمام المخابرات الأميركية ومؤآمراتها. ومن أهم أعماله المخابراتية التي يفخر بها أنه استطاع أن يدخل « عملية غونترغيوم » إلى محيط المستشار الالماني الغربي ويلي برانت حتى أصبح غونتر مستشاراً للمستشار. واكتشفت المخابرات الألمانية الغربية أمره واضطر المستشار إلى الاستقالة نتيجة اكتشاف تجسس مستشاره[١]. وقد بقي ماركوس يتصرف بحوالي عشرين ألف موظف وعميل منتشرين في كل أوساط المجتمع الالماني الغربي وفي أكثر العواصم الافريقية حيث يراقب العملاء الألمان الشرقيين مشاكل الأمن والتمويلات والمؤآمرات. ولا شك في أن شهرة ماركوس هي التي دفعت المخابرات السوفياتية لاعطائه الضوء الأخضر لتعيين جيمس فريدريك ساتلر الاميركي في مجلس الشيوخ بعد أن جنّده وأمدّه بألوف الدولارات وحصل منه تباعاً على معلومات سرية على مستوى مجلس الشيوخ الإميركي حتى اكتشف أمره في عام ١٩٧٦ لكنه استطاع أن يلتجأ إلى برلين الشرقية مروراً بالمكسيك فاستقبله ماركوس بالأحضان وأحسن وفادته وضيافته.

وإذا عدنا للتحدث عن بعض أعمال المخابرات البريطانية الانتلجانس سرفيس نجد أن الانكليز يحافظون من جهتهم عل تقاليدهم: فهوية رئيس

---

(١) إلى القراء المهتمين بمتابعة هذه القصص الجاسوسية الشيقة يرجى مراجعة الجزء الأول من هذه الموسوعة (المخابرات والعالم) الصفحات من ٣٧٧ إلى ٣٨١...

المخابرات البريطانية بقيت « سرية » منذ الحرب العالمية الثانية[٢]. ومع هذا حصلنا على أسماء رؤساء المخابرات البريطانية خلال الربع قرن الأخير بما فيهم السير جون ريني موضوع الحاشية أدناه رقم (٢) وهم :

١ ــ السيد : آرثور تمبل فرانكز.
٢ ــ السيد : ديك غولدسيت وايت (يحمل اسم جيمس بوند).
٣ ــ السيد : موريس أولدفيلو.

والمعروف أن المخابرات البريطانية رغم ضلوعها في التجسس وخصوصاً على الوطن العربي منذ أربعة قرون قد اجتازت هذه المخابرات مشاكل جمة خلال الربع قرن الماضي من عمرها. ومن هذه المشاكل هروب كيم فيلبي الى الاتحاد السوفياتي وهو الذي لم يبق بينه وبين رئاسة المخابرات البريطانية شيء. فقد كان رؤساء الأقسام الستة في الانتلجانس سرفيس يتوقعون أن يصبح فيلبي « رئيساً » للمخابرات البريطانية. وهروب جاك بيرجس ودونالد ماكلين أيضاً إلى الاتحاد السوفياتي وهما من أبرز الموظفين البريطانيين. ومن ثم لحق بهم السير أنطوني بلانت مستشار الملكة الفني المعروف عالمياً حيث أصبحوا جميعاً من « ضيوف » المخابرات السوفياتية. وبقيت المخابرات البريطانية بعد هذه المشاكل تلملم شملها. وأجريت التحقيقات ووضع جميع أعضاء المخابرات البريطانية من أصغر موظف الى المدير العام تحت المراقبة والدراسة واحتمال هروب عناصر جديدة إلى الاتحاد السوفياتي.

وكان السير أرثور تمبل فرانكز رئيس المخابرات البريطانية السابق في السفارة البريطانية في طهران عام ١٩٥٣ أيام سقوط الدكتور مصدق رئيس وزراء إيران في حينه حيث تمكن رجال المخابرات البريطانية أن

(٢) كشفت شخصية السير جون ريني رئيس المخابرات البريطانية بعد إلقاء القبض على ولده تشارلز بتهمة مخدرات.

يوقفوا أعمال الكسندر زيفاروف رئيس المخابرات السوفياتي في اسلام آباد.

ــ أما المخابرات الفرنسية التي رأسها الكونت الكسندر دومارانش[1] واسمها الاداري « الجهاز الفرنسي للتوثيق الخارجي ومحاربة الجاسوسية » فكانت تعمل بصمت وكان لها أخطاؤها أو أخطاء بعض عناصرها. وقد حاول رئيسها دومارانش الاصلاح وهو الذي عينه الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو رئيساً لها عام ١٩٧٠ فأثار بتعيينه تساؤلات كثيرة ومنها :

١ ــ أصغر الضباط سناً.
٢ ــ متزوج من أجنبية (زوجته كندية).
٣ ــ يملك الكثير من الأموال (إذا جمعنا رواتبه من خدمته في الجيش الفرنسي حتى تاريخ تعيينه رئيساً للمخابرات الفرنسية فإنها لا تساوي ٤٠٪ من الثروة التي يملكها).
٤ ــ له الكثير من الأصدقاء « الماسون » والانغلوساكسونيين.
أما عاداته الشخصية فكان فارساً يتردد الى نادي الجوكي للفروسية. وبالنسبة للعمل العسكري فيعرف عنه أنه كان مترجماً ومساعداً للمارشال جوان. ولا يعرف عنه أكثر من ذلك والظاهر أن الاجابة على هذه التساؤلات لم تثر المسؤولين بسبب اقتناع الرئيس بومبيدو أن دومارانش كان فوق الشبهات نظراً لولائه الوطني للدولة الفرنسية.

---

(١) للاطلاع على معلومات إضافية عن هذا الموضوع يرجى مراجعة الصفحة (٣٨٧) من هذه الموسوعة (المخابرات والعالم ــ الجزء الأول)...

معلومات من الماضي عن رئيس المخابرات الفرنسية « دومارانش »

○ ذكرت بعض ألسنة السوء أن الكونت الكسندر دومارانش فشل في امتحان تلامذة الضباط في سنة ١٩٣٩ « بسبب الاملاء ». وفي سنة ١٩٤٢ التحق بوالدته في طنجة مروراً باسبانيا وعين ضابطاً ملحقاً بالقوات الفرنسية نتيجة صداقة المارشال جوان لوالده ومعرفته التامة باللغة الفرنسية. وفي سنة ١٩٤٥ أصبح ليوتانت في الخيالة لكن الغموض بدأ يسود حياته كضابط ولا أحد يعرف كيف وصل إلى رتبة كولونيل « عقيد » ومتى. ولكن الجميع يعرفون علاقاته بالكولونيل فايول الذي كان يرأس المخابرات الفرنسية « جهاز التوثيق الخارجي ومحاربة التجسس » حيث كتب الجنرال « جورج مارشال » سكرتير دولة في الولايات المتحدة يقول عن دومارانش : « أعرفه جيداً. إنه رجل نادر يعرف تماماً القضايا الدولية ». هذا هو الشخص الذي عينه الرئيس بومبيدو بناء على توصية بيار ميسمير ليعيد النظام إلى جهاز المخابرات المحطم من جراء صراع السلطة وقضية بن بركة وانغماس البعض في تجارة المخدرات وبعض الخيانات. وبدت المهمة التي أوكلت الى دومارانش مستحيلة لكنه استطاع أن يبدل كل شيء في المخابرات الفرنسية. فغيّر رؤساء الأقسام وحدّث الأنظمة وطرق المعاملة. وبغض النظر عن أي تسلسلية

اعتمد الكولونيل على مستشاره النفساني الطبيب بيكو الذي يمارس الطب نادراً.

○ ونعود للاطلاع على أعمال المخابرات الاميركية التي توالى على رئاستها خمس رؤساء وقد شلّتها قضية أو فضيحة « ووترغيت » بينما استطاعت المخابرات الفرنسية أن تقوم بأعمال ظاهرة. فقد أوعزت إلى فرقة مدرعة فرنسية بالقيام بعدة حوادث على الحدود الليبية وهدفها القضاء على حكم العقيد معمر القذافي بمساندة دعم الرئيس السادات في حينه. والسبب الرئيسي لهذه العملية هو أن المخابرات الاسرائيلية أخبرت « الريّس » أي السادات أن الرئيس الليبي يخطط لاغتياله. لكن العملية « فشلت » بسبب بطء تحرك الجيش المصري المفترض فيه مساعدة الفرقة الفرنسية المعتدية. ثم ردة الفعل السوفياتية الفورية التي نظّمت خلال ساعات قليلة من بدء التحرك الفرنسي جسراً جوياً بين القرم في الاتحاد السوفياتي وبنغازي في ليبيا وذلك لدعم القوات الليبية أثناء ردّها للهجوم الفرنسي المصري.

وحب الكونت دومارانش رئيس المخابرات الفرنسية للسفر جعله يتنقل في العالم بأسره بسرية تامة ويغضب عندما يظهر أمامه وزير داخلية البلد الذي يزوره. ويتنقل دائماً برفقة زوجته التي يطلق عليها بعض مرافقيه من عناصر المخابرات الفرنسية الشبان لحراسة مجوهراتها اسم « كاستافيور ». وكان من عادة مدير المخابرات الفرنسية أن يدس في حقيبة زوجته بعض المستندات السرية أثناء السفر وتقع المصيبة الكبرى عندما تفقد الحقيبة. وقد حصل ذلك ذات مرة ولكن لحسن الحظ في بلد صديق فأعيدت الحقيبة مع باقة ورد.

أعمال رئيس المخابرات الفرنسية

في باريس العاصمة الفرنسية لا يظهر رئيس المخابرات أبداً لأنه يلعب دوراً مهماً في سياسة فرنسا وهو مسؤول أمام الرئيس (رئيس الجمهورية فقط) ويقوم بصورة منتظمة باستدعاء الوزراء والسفراء الفرنسيين وعدداً من مديري المصانع وبعض الصحافيين ويطلعهم على الأخطار التي كانت تهدد مصالح فرنسا ولا يبخل على الصحافيين بالمعلومات التي يحصل عليها من مصادره في واشنطون وبكين ولندن وطهران وبون وبيروت ودمشق والرباط والرياض أيضاً.

ويهوى دومارانش إهداء كتاب صيني صدر في سنة ٥٠٠ قبل السيد المسيح اسمه « فن الحرب » للكاتب الصيني « صن تزو » ومن هذا الكتاب يفخر دومارانش بقراءة هذه العبارة وتوضيحها لمن يهديهم الكتاب: « إذا كان الأمير خبيراً والجنرال ذكياً يضللون العدو، وإذا كانت انجازاتهم تفوق العادي فإن ذلك عائد للاعلام المسبق — الاستخبارات ». ووصف دومارانش من قبل الجنرال الخبير فرنون والترز الملحق العسكري الاميركي السابق في باريس والذي أصبح مترجماً لخمسة رؤساء أميركيين والرقم (٢) في المخابرات الاميركية. أما الوزير بيرنان الفرنسي السابق فيقول عن دومارانش : إنه مجنون لقد جسر على استدعاء السفير السوفياتي في باريس « ستيفان تشيرفونينكو » بدون اعلام وزارة الخارجية إلى ثكنة « مورتييه » يرافقه رئيس فرع المخابرات في السفارة لكي يطالبهم بالتزام حدودهم. والأغرب من ذلك أن السفير السوفياتي لم يحتج أبداً رغم أن ذلك كان سيثير فضيحة دبلوماسية"ويبدو أن الوزير بيرنان نسي أن السفير السوفياتي هو صديق شخصي لأندروبوف وعراب ربيع براغ وهنغاريا لذلك فهو يفهم تماماً مغزى حديث غير دبلوماسي من رئيس مخابرات غير دبلوماسي. خاصة إذا قرأ رئيس المخابرات للسفير عبارة أخرى من الكتاب الصيني فن الحرب وهي :

« هناك خمسة أنواع من العملاء السريين للاستعمال، عملاء محليون مزدوجون وداخليون وطيارون ويمكن تصفيتهم، عندما يكون هؤلاء العملاء جميعاً في أعمالهم وعندما لا يعرف أحد طريقتهم، يدعون الشلال الالهي ويشكلون ثروة للحاكم.

وإلى هنا ينتهي هذا الفصل عن أعمال المخابرات في العالم بعد أن تمت عملية لا بد منها وهي كسنة الحياة بحيث لا يبقى مسؤول في مركزه مهما طالت المدة التي يبقى فيها. وهكذا أحيل دومارانش الى التقاعد بعد أن بقي هذه السنوات الطويلة رئيساً للمخابرات الفرنسية.

المخابرات الأميركيّة (C.I.A)
في مصر
بعد معاهدات كامب ديڤيد

- تراقب القصر الجمهوري.
- تراقب الحياة العامّة المصريّة.
- تستمع إلى مخابرات الرئيس حسني مبارك.
- تعترض الطائرة المصريّة التي نقلت خاطفي السفينة الإيطاليّة (أشيلي لاورو).

المخابرات الأميركيّة (C.I.A) في مصر
تُراقِب أعمال وتستمع إلى مُكالمات الرئيس حسني مُبارك
(للاطمئنان ؟)

○ إن صداقة الصحافي الاميركي (بوب وود وارد) من صحيفة واشنطون بوست المشهورة الذي سبق له أن أثار فضيحة « ووترغيت » التي أطاحت بالرئيس الاميركي « ريتشارد نيكسون »، للمستر كيسي رئيس المخابرات المركزية الاميركية أتاحت له التعرف والاطلاع على أسرار هذه المخابرات. فقام بنشر كتاب مشوق عن قصة الحروب السرية والمؤآمرات المنفّذة من قبل هذه المخابرات. وقد أثار هذا الكتاب الذي سمي بـ« النقاب أو الحجاب » وقامت دار البيان القطرية بنشره على صفحات جريدة البيان في خمس وعشرين حلقة وبنفس الوقت قامت جريدة الدستور الأردنية بنشره أيضاً على حلقات وذلك في النصف الثاني من عام ١٩٨٧ وتبعهم في نشر هذا الكتاب الكثير من دور النشر الرأي العام العالمي ولكن مؤلفه بوب أكد أنه حصل على بعض المعلومات الهامة لكتابه من مصدرين هامين وهما :

١ ـــ المكتب الصحفي في البيت الأبيض.
٢ ـــ لجنة المخابرات في مجلس الشيوخ الاميركي.

بالاضافة الى «١٠٠» لقاء مع مصادر سرية حتى صدر هذا الكتاب بشكل فضيحة مدوية للمخابرات الأميركية لأنه « تضمّن » اعترافات عجيبة تتعلق باسلوب إدارة كيسي لأجهزة المخابرات في ظل رئاسة ريغان وانتهاكها الصريح لقواعد النظام الدولي المعاصر بل وللقانون الأميركي نفسه والكونغرس الأميركي نفسه وأغلب المؤسسات الأميركية بصورة عامة. ونحن نسير مع قراءنا على قاعدة اطلاعهم على كلّ جديد في عالم المخابرات.نقدم لهم في هذا الفصل معلومات لم تنشر عن أعمال المخابرات الأميركية ومنها أنها أباحت لنفسها في ظل رئاسة ريغان وكيسي نفسه أن تنتهك حرمة مكتب « رئيس دولة صديقة » هي مصر بوضعها أجهزة استماع وتنصت في مكتب رئاسة جمهورية مصر العربية الرئيس حسني مبارك بالذات حيث استطاعت الحصول على معلومات « مهمة جداً » ومنها على سبيل المثال لا الحصر : حصولها على المعلومات التي مكّنتها من ارغام طائرة مصرية مدنية على الهبوط في إحدى قواعد حلف الأطلسي في إيطاليا.ونحن نقدم هذه المعلومات التي أكّدت المصادر الأميركية نفسها أنها تستند فعلاً الى « كيسي » رئيس المخابرات الأميركية.

من أول الطريق

○ في العاشر من تشرين الأول (اكتوبر) عام ١٩٨٥ بدا كل من « أوليفر نورث »[1] عضو مجلس الأمن القومي الأميركي و« جون بويندكستر »[2] مستشار الرئيس ريغان للأمن القومي كما لو كانا يجلسان في مكتب الرئيس حسني مبارك في رئاسة الجمهورية بمصر.لأنه

---

(١) اللفتنانت كولونيل أوليفر نورث.

(٢) أدميرال جون م بويندكستر.

في ذلك اليوم اختطف أربعة فلسطينيين تابعين لجبهة التحرير الفلسطينية، السفينة السياحية أكيلي لاورو وعلى ظهرها «٤٣٨» سائحاً من مختلف الجنسيات. وقد قتل المواطن الأميركي « كلينجوفر » بعد الاختطاف وألقيت جثته في البحر. فبدأ البيت الأبيض حملة ضد الارهاب لأن الادارة الأميركية بعد علمها بمقتل المواطن الأميركي لم تعد بحاجة لايجاد مبرر لبدء حملتها ضد الخاطفين. رست السفينة المختطفة بركابها على الشواطئ المصرية وهي تحت سيطرة الخاطفين الفلسطينيين الذين يحتجزون ركابها الـ«٤٣٨» كرهائن.

كان الرئيس حسني مبارك « يكره » جهاز تأمين الأحاديث وهو جهاز ضد التنصت على المكالمات الرئاسية. هذا الجهاز الذي أهدته اياه المخابرات الأميركية وهو عبارة عن جهاز حديث يركّب تحت جهاز الهاتف ومزوّد بزرّ للتشغيل بحيث لا يستطيع أي شخص أن يدخل على نفس الخط أثناء التحدث وهو جهاز يجعل من الصعب أيضاً تداخل أي خط آخر مع خط التلفون الرئاسي، ومع كل هذه الميزات استخدم الرئيس مبارك « التلفون العادي » لأجل محادثاته مع وزير خارجيته بخصوص عملية اجلاء الفلسطينيين الأربعة من مصر الى الجزائر بعد انتهاء المحادثات معهم على هذا الأساس. وهذه المحادثات لم تنج من « مراقبة » المخابرات الأميركية والتنصت عليها وتسجيلها أي تسجيل وسرقة مكالمات الرئيس مبارك وهو في عقر داره لأن المخابرات الأميركية قامت بتشغيل كامل أجهزة الرصد وجمع المعلومات في مصر وحتى استنفار الأقمار الصناعية التي كانت تحوم فوق مصر باستمرار ابتداء من حصول الاختطاف. وفي ساعة مبكرة من صباح العاشر من تشرين الأول (اكتوبر) أمكن لأجهزة المخابرات الأميركية « التقاط » أول مكالمة للرئيس مبارك مع وزير خارجيته حيث أصدر الرئيس مبارك في هذه المكالمة أوامره بخصوص « مصير » الفلسطينيين الأربعة. وبعد

حوالي نصف ساعة كان نص المكالمة في غرفة عمليات البيت الأبيض المستنفرة في (واشنطن) وبين يدي أوليفر نورث وجون بونيدكستر.

كان الرئيس مبارك قد صرح علناً للصحافة بأن الفلسطينيين الأربعة قد خرجوا من مصر... إلا أن هذه المكالمة كانت تشير إلى غير ذلك.. إذ قال مبارك لوزير خارجيته: « إن الفلسطينيين ما زالوا في مصر وصاح قائلا : إن شولتز مجنون (جورج شولتز وزير الخارجية الأميركية) لأنه يعتقد أن مصر سوف تسلم الفلسطينيين إلى الولايات المتحدة كما طلبت »[1]. في الساعة الحادية عشر من صباح اليوم نفسه وصل الى غرفة العمليات نص مكالمة أخرى تم التقاطها وحدد فيها الرئيس مبارك رقم الطائرة التي ستغادر مصر خلال بضع ساعات وعلى متنها الفلسطينيين الأربعة وهي طائرة بوينغ (٧٣٧) الرابضة في مطار قاعدة الماظة الجوية في القاهرة بانتظار التعليمات النهائية للاقلاع. وهنا أدرك أوليفر أن الحصول على مثل هذه المعلومات الدقيقة ومن رئيس الجمهورية بالذات « أمر نادر » الحصول وأنهم حصلوا بواسطة مخابراتهم التي لا تعرف أيّ حدود للأعراف بين جميع دول العالم على فرصة ذهبية لا ينبغي إهدارها... وعرض على بونيدكستر خطة جريئة طرأت على ذهنه وهي : اعتراض الطائرة المصرية بواسطة المقاتلات الأميركية وارغامها على الهبوط في قاعدة من قواعد حلف الأطلسي ثم القبض على الفلسطينيين. فوافق فوراً وقام بعرض هذه الخطة على « المعلم » أي الرئيس ريغان الذي انبهر بها ووافق عليها أيضاً. وبعد ظهر اليوم نفسه وصل إلى غرفة العمليات في البيت الأبيض وبواسطة أجهزة التنصت التي زرعتها المخابرات الاميركية في القصر الجمهوري المصري « للاطمئنان »

(١) قال الرئيس مبارك في حينه إن مصر دولة عربية لا يمكن أن تدير ظهرها لأشقائها الفلسطينيين...

نصوص عشر مكالمات أجراها الرئيس مبارك وناقش فيها وزير الخارجية ووزير الدفاع المصري بالخطة النهائية لترحيل الفلسطينيين.وقد أظهرت هذه المكالمات « انزعاج » الرئيس مبارك الشديد خلال إدارته لهذه العملية. ففي أول الأمر لم يكن يعلم بمقتل الأميركي كلينجوفر وعندما علم أدرك مغزى تحرك الولايات المتحدة وصاح في الهاتف « لماذا لم تبلغوني على الفور؟ ».

أبلغت غرفة عمليات البيت الأبيض التابعة أصلاً لوكالة الأمن القومي أوليفر نورث وجون بويندكستر مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومي بموعد صعود الفلسطينيين الأربعة إلى الطائرة ورقم الرحلة وخط سيرها باتجاه العاصمة الجزائرية.وقام الأخير بدوره باطلاع الرئيس ريغان المهتم شخصياً بشؤون المائتي مليون مواطن أميركي .. عفواً، المهتم بملاحقة المختطفين شخصياً فأعطى الضوء الأخضر لبدء العملية واستناداً لمعلومات غرفة العمليات المستمدة من « تلفون الرئيس مبارك بالذات » أقلعت أربع طائرات ــ ف ١٤ ــ من حاملة الطائرات الأميركية ساراتوجا واعترضت الطائرة المدنية المصرية وأرغمتها على الهبوط في مطار جزيرة صقلية العسكرية التابع لحلف شمال الأطلسي حيث اعتقلت السلطات الأميركية المتواجدة في الجزيرة الفلسطينيين الأربعة. وفي اليوم التالي بينما كان الرئيس ريغان يجلس في مكتبه منتظراً النتائج دخل عليه بويندكستر مستشاره للأمن القومي حيث أدى له التحية العسكرية مصحوبة بجملة « أحيي سلاح القوى الجوية سيدي الرئيس » وفهم ريغان أن العملية تمت بالقرصنة الجوية التي سمح بها.

وبعد اسبوعين اكتشف الرئيس المصري حسني مبارك وجود جهاز التنصت ضمن جهاز التلفون المهدى له أصلاً من المخابرات الأميركية لاستعماله الشخصي فسكت على مضض لأنه من المفروض أن يوعز بتفتيش هذه الأجهزة الأميركية « فور تركيبها » إلّا أن ثقته التي كانت في

غير محلها هي التي جعلت المعلومات تنساب من فمه شخصياً إلى آلات التسجيل في الولايات المتحدة. ومع ذلك فقد كان للمخابرات الأميركية ثم وكالة الأمن القومي وسائل أخرى للتنصت أكثر تقدماً من التي اكتشفت في القصر الجمهوري المصري حيث استمرت وتستمر المراقبة على جميع الأمور في مكتب رئيس الجمهورية وأغلب المكالمات الهامة في « مصر العربية المغلوبة على أمرها ». ويستمر البيت الأبيض وهو المستهلك الأول لأعمال المخابرات الأميركية غير المشروعة في الحصول على نصوص المكالمات التلفونية الرئاسية ومنها مكالمة توضح « غضب » الرئيس مبارك من سوريا بسبب تسليمها « لأسباب انسانية » جثة الأميركي كلينجوفر للولايات المتحدة بعد انتشالها من البحر بالقرب من الشواطئ في مدينة طرطوس. وربما تكون هذه الحادثة عن غضب الرئيس مبارك من نسج خيال الكاتب باعتباره أميركي أولاً وأخيراً وقد حاول الصاق « عملية اختطاف » الباخرة الايطالية بمنظمة التحرير في كتابه المذكور في مطلع هذا الفصل. كما قام بتغطية أسباب عملية الخطف برمتها ونحن ننشرها للحقيقة فقط وهي أن الفلسطينيين الأربعة كانوا أعضاء في جبهة التحرير الفلسطينية التي يرأسها « أبو العباس » عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية.

وقد ركب هؤلاء في الباخرة وهم يحملون جوازات سفر بغير أسمائهم باعتبارهم « سائحين » وكان القصد من وجودهم في الباخرة هو



« أبو العباس عضو اللجنة التنفيذية » لمنظمة التحرير الفلسطينية

قيامهم بعملية فدائية ضد السلطات الاسرائيلية لدى وصول الباخرة الى إيلات. ولكن اكتشاف أحدهم قبل وصول الباخرة إلى المياه الاقليمية المصرية حيث كان للسائح الأميركي المقعد الذي قتل دور في عملية كشفهم، جعلهم « يحولون » مهمتهم من الدخول الى اسرائيل إلى عملية خطف مؤقت للباخرة رغم كبرها وضخامة عدد المسافرين عليها للنجاة بأنفسهم حيث كانت النتيجة اختطافهم فيما بعد من الطائرة المصرية بواسطة الطائرات الأميركية وانزالهم في جزيرة صقلية الايطالية. ونذكر أن أبا العباس الذي يرأس جبهة التحرير الفلسطينية كان من بين الركاب في الطائرة المصرية أي مرافقاً لجماعته أثناء خروجهم من مصر. وقد اكتشف من قبل السلطات الأميركية التي سلمته مع الخاطفين إلى السلطات الايطالية حسب الأصول. ولما وجدت السلطات الايطالية أن ابا العباس يحمل جواز سفر دبلوماسي وأنه لا دخل له في عملية الخطف وكان السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية يتتبع العملية الجوية الأميركية باعتباره مسؤولاً عن الفلسطينيين « معنوياً » فقام بمساعي حميدة لدى سلطات وزارة الخارجية الايطالية والحكومة الايطالية التي كان لقرارها المستقل والبعيد عن الضغوط الأميركية أطيب الأثر وهو :

١ ــ السماح لأبي العباس بالسفر من صقلية. وقد سافر فعلاً بأول طائرة كانت متوجهة إلى يوغوسلافيا.

٢ ــ احتفاظ السلطات الايطالية بالفلسطينيين الأربعة وعدم تسليمهم للسلطات الأميركية ومخابراتها التي طلعت من المولد بلا حمص، ثم محاكمتهم إيطالياً والحكم عليهم حسب القوانين الايطالية.

○ تلك كانت التفاصيل الكاملة عن قصة التنصت الأميركي على الرئيس المصري مبارك ونتيجة أو نهاية عملية الباخرة أكيلي لاورو. غير أن التجسس الأميركي على الحكومات الأجنبية وأجهزة المخابرات

الأجنبية بما في ذلك الأصدقاء والحلفاء.هذا التجسس الذي أباحه مدير المخابرات الأميركية السابق « لكيسي ستانفيلد » بقوله: إن الدولة العظمى بحاجة إلى التجسس على الأصدقاء والحلفاء وهو أمر كريه لكنه ضروري وأساسي ولو كانت المخابرات الأميركية تتجسس على شاه إيراه « صديقها » في حينه لما استهانت بقوة « الخميني » الذي أصبح الآن يحتجز رهائننا ».

وفي ظل هذه الرواية قامت المخابرات الأميركية التي تولت حماية الرئيس أنور السادات لكشف أي محاولة انقلاب ضده أو مؤامرة لاغتياله وتغلغلت هذه المخابرات داخل مصر بأجهزتها الالكترونية كما تغلغلت بين أعضاء الحكومة المصرية وفي المجتمع المصري حتى وصلت إلى الرئيس.وهذا وصف الرئيس السادات ومن ملف المخابرات الأميركية : السادات يتعاطى المخدرات عندما يصاب بنوبات قلق (عصبي). ولكن ستانفيلد لم يكن يعبأ بهذه الأمور ويعتبرها ثرثرة حيث كانت المخابرات الأميركية لا تفاجأ بما يفعله السادات أو ما كان يحدث في مصر.. فقد كان قصر الرئاسة ملغماً بالأجهزة الالكترونية ومصادر المعلومات « الجواسيس ».

مقتل السادات

لما كانت المخابرات الأميركية تتولى تأمين الحماية للسادات وتدريب حرسه الخاص وامداده بالمعلومات.. فقد كان من الطبيعي أن تسود حالة من التخبط في البيت الأبيض في السادس من تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨١ عندما تمّ اطلاق النار على الرئيس السادات في العرض العسكري الذي أقيم بمناسبة ذكرى حرب تشرين وقتل على الفور.لأن فرع المخابرات الأميركية في القاهرة ظل يردد على

مدى ثلاث ساعات البيانات الرسمية التي تؤكد أن السادات ليس في خطر « رغم أن نشرات التلفزيون الأميركي استناداً لمراسليها في القاهرة كانت تؤكد وفاته ».

كانت مساعدة السادات على البقاء مهمة عسيرة للادارة الأميركية والمخابرات بنفس الوقت بعد أن أصبح معزولاً في الشرق الأوسط منذ توقيعه على اتفاقية كامب ديفيد أو ما سمّي معاهدة السلام.لأن السادات أصبح في حينه رئيس من صنع أميركا وصحافتها. والغريب أن المخابرات الأميركية أمدّت السادات بمعلومات عن التهديدات الخارجية التي كانت تواجهه والقوى التي تعمل ضدّه في الخارج.وفي الشهر السابق لاغتياله حصل على معلومات تفصيلية عن الأخطار التي يفترض أنها تواجهه من ليبيا وسوريا وأثيوبيا وإيران دون أن تهتم هذه المعلومات بما كان يجري ويحضّر داخل مصر. وقد أمضى الرئيس الأميركي ريغان صباح السادس من اكتوبر وهو يمني النفس بتكذيب تقارير التلفزيون الأميركي عن مقتل السادات. بعد ثلاث ساعات من اطلاق الرصاص في منصة العرض العسكري على السادات أعلن راديو القاهرة الرسمي وفاته على الملأ فكانت وفاته صدمة قاسية لرئيس المخابرات الأميركية كيسي الذي كان يخشى هو ونائبه ردبي إنيمان من أن تتخذ الحكومة المصرية التي خلفت السادات برئاسة « حسني مبارك » اجراءً عنيفاً يمس المصالح الأميركية أو أن تبعث باحتجاج شديد اللهجة بسبب « فشل » المخابرات الأميركية في تحذير السادات والعمل على حمايته. ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ولم تتقدم مصر حتى بشكوى معتدلة اللهجة. وتبيّن أن قتلة السادات بهذه الجرأة العالية كانوا ينتمون إلى جماعة اسلامية محلية داخل مصر. وكانت المخابرات الأميركية كما سبق لنا القول قد أغفلت القوى الداخلية المصرية وبدا مقتل السادات شبيهاً جداً بفشل المخابرات الأميركية في إيران.وأصبحت هذه المخابرات بحاجة إلى مزيد من قنوات

المعلومات المستقلة في مصر. وكانت بحاجة الى مزيد من مصادر المعلومات حتى داخل أعلى المستويات في الحكومة الجديدة وبحاجة كذلك إلى التغلغل بأجهزة التجسس الالكترونية الحديثة ففعلت. ولكن وليم كيسي لم يكتف بذلك لأنه كان يعتقد أنه ليس كغيره وأنه يجب أن يرى ويعرف كل شيء بنفسه وعلى الطبيعة. ففي هذه الحالة تختلف الأمور كثيراً وتكتسب أبعاداً أكبر. وفي صيف ١٩٨٣ قرر كيسي القيام بجولة سرية إلى البلاد التي تقوم المخابرات الأميركية التي يرأسها بنشاطات وخدمات فيها فركب مع ستة من مساعديه طائرة اميركية حربية خاصة للنقل الجوي للقيام بزيارة ١١ بلداً على مدى ١٨ يوماً فتوقف في السنغال وساحل العاج،نيجيريا، زائير، زامبيا، جنوب افريقيا، زيمبابوي، كينيا، ومصر. قطع مدير المخابرات الأميركية ومعاونوه ٢٢٠٠ ميل في الطائرة حتى وصلوا « القاهرة » ومن فندق الشيراتون إلى القصر الجمهوري رأساً حيث التقى كيسي بالرئيس حسني مبارك ثم اجتمع برئيس فرع المخابرات الأميركية في مصر لعدة ساعات وهو الرئيس المسؤول عن واحدة من أكبر التسهيلات الخاصة بالمخابرات الأميركية خارج الولايات المتحدة.

السادات كان يعمل لحساب المخابرات الأميركية

○ في البداية وعقب توقيع السادات على معاهدات كامب ديفيد كانت الولايات المتحدة تريد للسادات أن يبقى في السلطة التي وصل إليها عام ١٩٧٠. وبعد عامين أخرج الخبراء السوفيات من مصر فأرسلت المخابرات الأميركية له فريقاً من أمهر رجالها إلى القاهرة ولكن في مرحلة ثانية أصبح ما يعني واشنطون هو تدفق المعلومات إليها من مصادر وثيقة الصلة بالسلطة عن السادات وسياساته واسلوب إداراته للحكم. وكان الكثير من هذه المعلومات عديم الجدوى ولكن المخابرات

الأميركية كانت مولعة بمصادر تتيح لها معرفة أهواء وسياسات الوزراء ونوابهم. ولم يكن هناك تقييم حقيقي لهذه المعلومات حيث تغلب الكم على الكيف. وبعض رؤساء الدول كالسادات كانوا يستخدمون عمليات التخابر كأداة اعتقاداً منهم أنها تفتح أمامهم باباً خلفياً للبيت الأبيض فيستخدمونها كوسيلة لتجاوز القنوات الدبلوماسية. والتعاون مع المخابرات الأميركية مباشرة لطلب معلومات خاصة أو مزايا معيّنة أو حتى أموال وكان السادات يتعامل في بعض الأحيان مع مدير المخابرات الأميركية وكأنه موظف لديه. ويذكر « وليام كولبي » رئيس سابق للمخابرات الأميركية في مذكراته أنه سافر من لانفلي إلى فلوريدا عام ١٩٧٥ للقيام بزيارة مجاملة للرئيس السادات الذي كان في زيارة للولايات المتحدة وقد أضطر كولبي لقضاء الليل جالساً في سيارته (طبعاً سيارة رئيس المخابرات الأميركية تعتبر من الفخامة غرفة نوم ومكتب وبار بنفس الوقت عدا عن ميزات أخرى) أمام مقر إقامة السادات غير أن الرئيس المصري لم يره مطلقاً تلك الليلة فقد فضل السادات عليه مقابلة صحفية مع بربارا ولترز. وعقب كولبي على ذلك بقوله : « أنه في واقع الأمر لم يقطع هذه المسافة من لانفلي بواشنطون إلى فلوريدا « لمجرد » زيارة مجاملة وليس من المنطقي أن يمضي رئيس مخابرات دولة كبرى كالولايات المتحدة أمسية السبت جالساً في سيارته بانتظار مقابلة رئيس دولة صديقة كالسادات « إلّا » إذا كان في الأمر شيء هام ».

وباختصار يمكن القول أن السادات كان يعتبر رصيداً للمخابرات الأميركية ولكنه لم يكن يعمل لها بشكل مباشر ولا تحت إشرافها إلا أنه وهب نفسه لها وفتح بلاده أمامها من أجل ما يعتقد أنه « مصلحة مشتركة ». ولكن بعض مسؤولي المخابرات الأميركية ذوي الخبرة الطويلة كانوا مشككين في جدوى العلاقة مع السادات اعتقاداً منهم بأن

اسلوب السادات هو الايماء للجميع بأنه يدين لهم بالولاء . ولكنه كان يسعى إلى الورقة الرابحة ويوهب نفسه لها تماماً. وهكذا اعتقدت الولايات المتحدة والمخابرات المركزية الأميركية أنه أداة طيّعة « في أيديهم ». وهكذا كان السادات مع قادة الجيش المصري وبعض الدول العربية... وبعد اتفاقيات كامب ديفيد انتقل هذا الاعتقاد إلى اسرائيل أيضاً. وكان ذلك السبب المباشر لعزلته عن شعبه والسبب أيضاً في اغتياله فيما بعد التي أنهت وبشكل مأساوي واحدة من أهم علاقات المخابرات الأميركية بعميل كان يتقاضى أضخم راتب وكانت هذه المخابرات تستمد له هذا الراتب الضخم من إحدى الدول العربية. وعندما تولى الرئيس حسني مبارك السلطة قامت المخابرات الأميركية باعداد فيلم سينمائي عنه ليشاهده الرئيس ريغان وعندما بدأ عرض الفيلم قال المعلق : « هذا هو حسني مبارك الرئيس الجديد لمصر بعد السادات ».وبعد ذلك ظهرت على الشاشة صورة القرية الصغيرة التي ولد بها الرئيس مبارك وهي قرية « كفر المصيلحة » ثم تلا ذلك بعض اللقطات الخاصة عن مبارك وهو في ظلال السادات لأن المخابرات الأميركية كانت تعرف أن الرئيس ريغان لا يميل كثيرا لقراءة التقارير ولذلك أخذت هذه المخابرات « تنتج » له أفلاماً عن الرؤساء والملوك والأمراء ليشاهدها في البيت الأبيض أو في كامب ديفيد.

الخطط العسكرية لمهاجمة ليبيا

كانت التقارير الواردة إلى المخابرات الأميركية من ليبيا تفيد بأن معارضي الرئيس القذافي « في المنفى » أي خارج ليبيا لا يشكلون خطراً حقيقياً على نظامه وإن كانوا يتلقون مساعدات مالية من مصر « في حينه » ومن السعودية والسودان « في حينه » والعراق وبعض من رجالات المقاومة الفلسطينية ويستخدم بعضهم أراضي دولهم لمباشرة نشاطهم ضد القذافي. وهذه التقارير هي نتيجة لمتابعة الادارة الأميركية للموقف في ليبيا وتفكيرها في طريقة للاعتداء على الجماهيرية لردع « العقيد » كما يقولون. وبعد اختطاف طائرة أميركية في حزيران (يونيو) ١٩٨٥ إلى بيروت أصبحت الادارة الأميركية مدعوّة للتحرك. وفي اجتماع عقدته « مجموعة » التخطيط للأمن القومي في البيت الأبيض في منتصف شهر تموز (يوليو) بادر ماكفرلين قائلاً : إن العقوبات الاقتصادية والضغوط الدبلوماسية لم تعد « تخيف » القذافي ويتعيّن اتخاذ اجراءات أشدّ وطرح فكرة « مهاجمة الجماهيرية ». فوافق كيسي رئيس المخابرات الأميركية وجورج شولتز وزير الخارجية وواينبرجر وزير الدفاع... وآخرون وكان مثل هذا الاجتماع نادراً.. وبدأ الاعداد لخطط الهجوم والمواجهة ووضعت كلمات سرية للخطط المناهضة للقذافي وهي :

١ ــ كلمة السر « فلاور » أو الوردة وهو الاسم الذي تمّ اختياره للعمليات المناهضة للقذافي.

٢ ــ كلمة السر « تيوليب » وهو الاسم الذي أعطي لعملية سرية للمخابرات الأميركية تستهدف الاطاحة بالقذافي.
٣ ــ كلمة السر « بلاندي » وهو الاسم المستعمل بين المخابرات الأميركية والمعارضة الليبية في المنفى ومن بينهم جبهة الخلاص الوطني الليبية التي تتعاون مع مصر لازاحة القذافي « في حينه ».
٤ ــ كلمة السر « روز » وهو الاسم السري لخطة الهجوم العسكري على ليبيا بمساندة حلفاء الولايات المتحدة وبصفة خاصة « مصر ». وكانت ثكنة العزيزية التي يقيم فيها القذافي ضمن أهداف هذا الهجوم التي تولت فيه الولايات المتحدة عمليات الهجوم الجوية.

وفي أحد الاجتماعات أثير السؤال الذي ظل يتردد لسنوات عديدة في الادارة الأميركية وعلى أعلى المستويات. هل عملية « روز » هي اغتيال القذافي؟ فقال الرئيس ريغان: لا ينبغي الاهتمام بهذه المسألة. وتعهد بأن يتحمل المسؤولية كاملة. وحسم الأمر.

وكانت الخطتان « تيوليب » و« روز » تكملان بعضهما إذ تستهدفان خلق جوّ من الاضطراب والأزمة حتى يتاح لمعارضي القذافي العمل ضدّه فتصل الأمور للاطاحة به. وبينما كان مجلس الأمن القومي يعد الخطة « روز » كانت أنظار « روبرت ماكفارلين» مستشار الرئيس ريغان (سابقاً) للأمن القومي متجهة إلى لقاء القمة « في حينه » بين ريغان وغورباتشوف.وأصبح بويندكستر مسؤولاً عن الخطة ضد ليبيا وأصرّ على زيارة القاهرة بنفسه لمقابلة الرئيس مبارك لاقناعه بالاشتراك بالخطة « روز ». فقد وصل بويندكستر إلى القاهرة في عطلة الأسبوع التي تلت عيد العمال في أول أيار (مايو) ١٩٨٦. حاملاً معه «وعداً» من الرئيس ريغان بمساندة عسكرية أميركية مباشرة إلى مصر. وقبل أن يتمكن من عرض رؤيته للخطة قاطعه الرئيس المصري مبارك، ويصفه الكاتب بوب

وارد بأنه « رجل نافذ الصبر يفضل أن يتكلم على أن يستمع » قائلاً: سيادة الأميرال. وليس « سيدي » الأميرال كما جاء في الترجمة للنص لأن جميع الرتب العسكرية تتضاءل أمام رئيس الجمهورية وإذا قال الرئيس حسني مبارك للأميرال بويندكستر وهو ضيفه على كل حال « سيادة الأميرال » فذلك من قبيل المجاملة وتواضع الرئيس مبارك حيث قال له : عندما نقرر مهاجمة ليبيا سيكون القرار قرارنا وفي الوقت الذي نحدده وذلك إذا اضطرتنا الأمور. خرج بويندكستر من مقابلة الرئيس مبارك مكفهر الوجه والتقى كبار المسؤولين في وزارة الدفاع المصرية الذين استقبلوا وجهة نظره بطريقة أفضل. وبعد مغادرة بويندكستر لمصر التقى فاليوتس السفير الأميركي في مصر مع أبو غزالة وزير الدفاع المصري وكان منزعجاً لما تسرب من معلومات عن دور المخابرات الأميركية في خطة مهاجمة ليبيا.. وقال للسفير : كيف لمصر أن تثق في الولايات المتحدة. هذه بلدكم تراجعت في عملية خليج الخنازير « ضد كوبا » في آخر لحظة. ورد فاليوتس بأن الرئيس ريغان مستاء للغاية وسيتخذ اجراءات تأديبية ضد المسؤولين عن هذا التسرب.

الصحافة الأميركية تفضح المؤامرة

في الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم ٢٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٦ توجه بويندكستر إلى مقر صحيفة « واشنطون بوست » معترضاً على قصة اخبارية ستنشرها الصحيفة في عدد اليوم التالي « ١٩٨٦/٢/٢٤ » عن قرار الرئيس ريغان إرسال الليفتنانت جنرال ديل فيسر في مهمة سرية إلى مصر بتاريخ اليوم التالي ١٩٨٦/١/٢٥ لمواصلة المشاورات حول خطة عسكرية لمهاجمة ليبيا. استقبل بويندكستر في الصحيفة وودع بكل حفاوة ورغم ذلك « تم نشر القصة الاخبارية » في موعدها.ونقلت وكالات الأنباء الخبر عن الصحيفة إلا أنه لم يحدث أي رد فعل في البيت الأبيض ولم « تحتج » السفارة المصرية إلى وزارة الخارجية في واشنطون ولم يتدخل مجلس الأمن القومي الأميركي فأصيب بويندكستر بدهشة كبيرة.

وبعد نشر النبأ سأل أحد أعضاء مجلس الأمن القومي دون فورتير نائب بويندكستر. ما العمل؟ فأجابه سنوغر بمنع إرسال وتوزيع الواشنطون بوست في مصر. وضحك الجميع. كان من نتيجة فضح الصحف الأميركية لخطة مساهمة مصر في عملية غزو ليبيا أن كتب بويندكستر مذكرة تفيد بضرورة إرجاء مهمة فيسر بضعة أسابيع.وبعد هدوء الضجة الصحفية سافر فيسر إلى القاهرة بعد أن سلمه بويندكستر

مذكرة تفيد أن عليه مناقشة أربع خيارات مع المصريين ثلاثة منها دفاعية والرابع هجومي. وبعد عودة فيسر من مصر أبلغ بويندكستر أنه أجرى المحادثات مع المصريين بكفاءة عالية.

وبعد الهجوم الأميركي على طرابلس في ١٤ نيسان « أبريل » ١٩٨٦ شاع في مصر نبأ الخطة العسكرية المشتركة ونبأ زيارة بويندكستر للرئيس حسني مبارك فكتب ابراهيم نافع رئيس تحرير الأهرام والقريب من الرئيس مبارك يقول: « طلبت الولايات المتحدة اكثر من مرة انضمامنا إلى عملية مشتركة ضد ليبيا ». وأشار في افتتاحية الأهرام إلى ثلاث محاولات أميركية لجرّ مصر للاشتراك في مهاجمة ليبيا ثم رفضها بوضوح. غير أن السفير فاليوتس عاد فأكد في اتصال مع واشنطون أن مبارك أبلغه بشكل خاص أن مصر ستستمر في الخطة وأن ما تكتبه الصحف الأميركية لا تترتب عليه أية نتائج ذات أهمية كبيرة.



القذافي كان المقصود من هجوم ١٤ نيسان



ريغان كان سيتحمل مسؤولية إصابة القذافي.

من أعمال المخابرات الأميركيّة

الإرهاب الأميركي مُسبق الصُّنع

مِهنة جديدة لِلمخابرات المركزيّة الأميركيّة

CENTRAL INTELLIGENCE AGENCY



الرئيس ريغان يسحب يده من بين يدي كولبي رئيس مخابراته (خوفاً على أحد أصابعه من السرقة).

الارهاب الأميركي مسبق الصنع


صورة سماحة الشيخ حسن عبدالله.

○ مهنة جديدة للمخابرات الأميركية.

○ المخابرات الأميركية لديها عملاء في كل مكان في أنحاء العالم ينتظرون الضوء الأخضر منها دائماً.

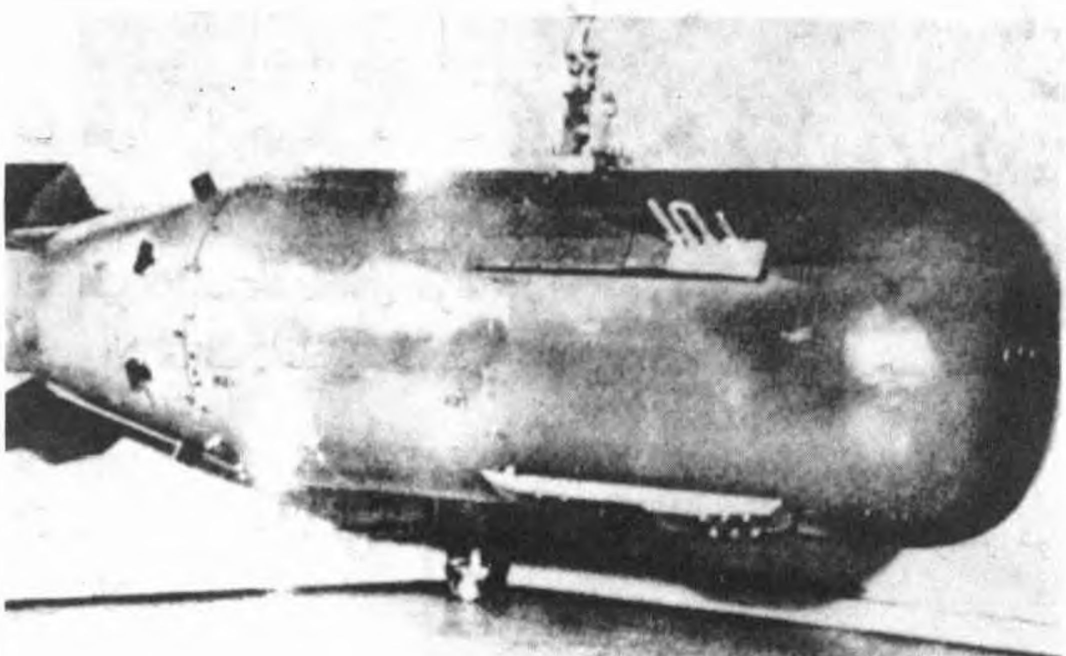
○ عجزت واشنطون عن كشف هوية الانتحاريين فأعلنت الحرب عشوائياً.

○ أميركا أصبحت أول دولة تمارس الارهاب على جميع المستويات.

○ سوريا أول دولة في العالم تطالب الأمم المتحدة بعقد مؤتمر دولي لتعريف الارهاب.

○ في التاسع والعاشر من شهر آب (أغسطس) من كل عام تعود إلينا الذكرى المؤلمة لقيام الولايات المتحدة الأميركية بالقاء قنبلتين

ذريتين على مدينتي هيروشيما وناغازاكي اليابانيتين بواسطة طائرات أميركية من طراز «ب ــ ٢٩» مما نتج عنه مقتل سبعون ألف إنسان ياباني عقب الانفجار الذري للقنبلتين ثم تبعه مقتل سبعون ألف إنسان آخرين فيما بعد نتيجة الاصابة بالحروق الذرية واستنشاق الغبار الذري وللدلالة على هول الفاجعة الذرية فقد استمرت آثار الاشعاعات الذرية « تقتل » اليابانيين على مر السنين أي من عام ١٩٤٥ وحتى الآن. وتشير النشرات الصحية الصادرة عن وزارة الصحة اليابانية خلال سنوات ١٩٨٥ ــ ١٩٨٦ ــ ١٩٨٧ عن وفاة أو « مقتل » أربعة آلاف إنسان ياباني متأثرين بالاشعاعات الذرية وهم ممن بقي يعاني من آلام الاشعاع الذري لأكثر من أربعين عاما وقد بقي الموت بالذرة يتربص بهم هذه المدة الطويلة ولم ينفع التداوي ولا العناية بشيء من ذرة العام سام حتى تاريخه حيث بلغ مجموع ضحايا القذف الذري هذا حتى الآن ١٤٤ ألف إنسان. ولو سألنا أميركا المتمدنة ما هو سبب التهور بالقاء القنبلتين الذريتين على المدينتين اليابانيتين الآمنتين لكان الجواب :



أول صورة طبق الأصل عن القنبلة الذرية التي ألقتها الطائرات الاميركية على مدينتي هيروشيما وناغازاكي.

○ انطلقت العشرات من الطائرات اليابانية (زيرو ــ ٥) التي رسم على جانبيها صورة الشمس والقرص الأحمر وهما العلامة المميزة للعلم الوطني الياباني وهي تحمل قنابل من زنة « ٢٥٠ كيلو » ويقودها طيارون انتحاريون أطلق عليهم في حينه اسم (الطيارون الكاميكاز) أي الطيارون ذوو النفس الالهية. وكانت مهمة هؤلاء الطيارين الانطلاق بطائراتهم والانقضاض على أيّ هدف أميركي يقع في المدى الذي تصل إليه الطائرة حتى ولو كان الهدف يقع في مكان لا يُبقي في خزانها قطرة واحدة من البنزين لأن قائد الطائرة وهو الطيار الكاميكازي سوف يسقط مع طائرته فوق الهدف الأميركي مباشرة. ومن الأمثلة التي سمعناها إبان تلك الحرب إن أحد هؤلاء الطيارين الانتحاريين قد أسقط طائرته وهو معها في مدخنة إحدى حاملات الطائرات الأميركية الضخمة فانفجرت بالحاملة التي قسمها الانفجار الى نصفين وغير ذلك من العشرات من القصص الانتحارية التي قصمت ظهر أميركا وكبدتها خسائر كبيرة من المعدات الحربية والرجال والسمعة مما دعا الولايات المتحدة إلى اتخاذ قرار إلقاء القنابل الذرية على اليابان بعد أن علمت السلطات الأميركية بأن هؤلاء الطيارين الانتحاريين قد جرى اتباعهم لدورات طيارين حربيين واختصر تدريبهم المكثف على قيادة الطائرات إلى أهدافها « فقط » أي أنهم لم يدرّبوا على العودة بها إلى أي مطار.

وفي أيامنا الآن « عادت حليمة » وهذه أميركا تعرض عضلاتها أمام الشواطئ اللبنانية بارسالها الأساطيل وعلى رأسها « نيوجرسي » البارجة ذات التدمير الهائل وغيرها بالاضافة الى إنزال جنود المارينز بالآلاف في بيروت ومعها قوات فرنسية وإيطالية. وقد تعاونت القوات الأميركية مع القوات الاسرائيلية والعملاء الاسرائيليين في لبنان على اخماد الروح الوطنية اللبنانية وضرب مختلف المناطق اللبنانية من البحر بصورة عشوائية. فما كان من اللبنانيين الوطنيين إلا أن شكلوا فرقاً انتحارية تشبهاً

بالكاميكاز من الأبطال اليابانيين الذين سبق أن أزلّوا أميركا وقاموا بهجمات انتحارية على مراكز القوات الأميركية والفرنسية وكان أهمها الهجوم الانتحاري الكاميكازي على « مقر قوات المارينز في بيروت » مما نتج عنه مقتل المئات من الجنود الأميركيين. فتحرك « الشعب الأميركي المغلوب على أمره من الامبريالية الحاكمة » وطالب نوابه أن يطالبوا الحكومة الأميركية بسحب القوات الأميركية من لبنان نتيجة الضرر الذي لحق بها من جراء الهجمات الانتحارية عليها وعدم استطاعة الولايات المتحدة « الرد » عليها. وهكذا تمّ سحب القوات الأميركية على مضض من لبنان ولكن المخابرات المركزية الأميركية ورئيسها الفخري الرئيس رونالد ريغان لم يسكت على الضربات الانتحارية العربية فقرر بالاتفاق مع مخابراته تشكيل مجموعات خاصة من المخابرات الأميركية ومعها مجموعة من العملاء المحليين في كل بلد « تشك » المخابرات الأميركية بوجود ارهابيين فيه كما تسميهم هذه المخابرات وذلك للقيام بعمليات ارهابية أميركية مسبقة الصنع تحت اسم (عمليات وقائية من الارهاب) أي مهاجمة من تعتقد أنهم سيهاجمون المصالح الأميركية في الشرق الأوسط مسبقاً فقامت المجموعات الخاصة المنتقاة من المخابرات الأميركية مع عناصر محلية من مختلف بلدان العالم منها عناصر لبنانية.

○ بتاريخ ٨ آذار (مارس) ١٩٨٥ انفجرت سيارة مفخخة بالقرب من منزل العلامة اللبناني الشيخ محمد حسين فضل الله الزعيم الدين المعروف في بيروت والذي تعتبره المخابرات الأميركية « المسؤول » الأول عن عمليات التفجير الانتحاري ضد قوات المارينز. الأميركية كما يعتبرونه مؤسس حزب الله والمرشد الديني العام لهذا الحزب. وكان هو المقصود من التفجير الأول في عمليات الارهاب الأميركي المسبق الصنع ولكن عناية الله سبحانه وتعالى سلمته من الحادث المؤسف الذي أودى

بحياة حوالي ثمانين شخصاً من الأبرياء، الذين صادف مرورهم أو تواجدهم أمام المنزل وهم لا ذنب لهم لا عسكرياً ولا سياسياً. وقد علم فيما بعد أن المخابرات الأميركية قد نفذت هذه العملية الغادرة باستئجارها بعض العملاء الأجانب المختصين بالتفجيرات يقودهم الكابتن فرانك تومي بالتعاون مع بعض العملاء المحليين مع الأسف حيث خططوا للعملية في القبو المخصص كمستودع في السفارة الأميركية واستلموا المتفجرات التي تدخل منذ سنوات إلى لبنان بالحقائب والطرود البريدية الدبلوماسية الأميركية وقاموا بتفخيخ السيارة ومن ثم تفجيرها فيما بعد أمام منزل الشيخ محمد حسين فضل الله. ولما نشرت هذه المعلومات الدامغة قامت المخابرات الأميركية « وكعادتها » باذاعة بيان بواسطة الصحف الأميركية زعمت فيه أنه لم يكن لها علم مسبق بعملية التفجير غير أن بعض أصحاب الضمير من أعضاء الكونغرس الأميركية وبعض المسؤولين في البيت الأبيض « ردّوا » بالقول ان المخابرات الأميركية كانت مع المجموعة الارهابية حين تنفيذ عملية التفجير بل وبقيادتها وذلك استناداً للتوجيه والأمر السري الرئاسي رقم (١٣٨/ض) تاريخ ٣ نيسان (أبريل) ١٩٨٤ الذي أصدره الرئيس ريغان. هذا الأمر الذي يدعو للقيام بضربات وقائية ضد الارهابيين مسبقاً وضد البلدان التي تساندهم. وأكّد أعضاء الكونغرس ومسؤولو البيت الأبيض أنه بعد يومين من عملية تفجير ٨ آذار « ألغى » الرئيس ريغان الأمر الرئاسي السري القاضي بالقيام بالضربات الوقائية ومما سماه الارهاب المضاد خاصة مع العناصر اللبنانية. وقال المسؤولون الأميركيون أن هذه السياسة قد لقيت التأييد الكامل من قبل وزير الخارجية جورج شولتز ومستشار الرئيس للأمن القومي روبرت ماكفارلين ورئيس المخابرات المركزية الأميركية في حينه وليم كيسي ولكن الكثيرين من ضباط المخابرات الأميركية عبروا عن شكوكهم بقدرتهم على ضبط أعمال (الارهاب المضاد) في البلدان الأجنبية كما عبر هؤلاء عن قلقهم بشأن فقدان أمريكا السيطرة على تنفيذ

خطة كانت هي مسؤولة عن وضعها وبأمر رئاسي وفي بلد مثل (لبنان) لأن المسؤولين في المخابرات الأميركية أنفسهم هم الذين كانوا قد أوعزوا أثر معلومات من عملاء في لبنان بتعقب الشيخ محمد حسين فضل الله الذي تتهمه إدارة ريغان نتيجة المعلومات التي تنقل للمخابرات الأميركية من عملاءها المحليين، بالتخطيط للهجوم على المنشآت الأميركية في الشرق الأوسط. وأضاف المسؤولون أن المخابرات الأميركية لم تكن قد قررت ماذا تريد أن تفعل بالشيخ محمد حسين فضل الله « انتقاماً » للتفجيرات في المراكز الأميركية لكن « أطرافاً داخلية صديقة » حسب زعم المخابرات الأميركية كان لها أهدافها الخاصة من وراء اغتياله وبالتعاون معها. ورغم عدم نجاح العملية بالنسبة للشيخ فضل الله فقد صرح مسؤولو البيت الأبيض أن الادارة الأميركية غير مستعدة للتخلي عن سياسة (الارهاب المضاد). ففي ٢٥ آذار (مارس) ١٩٨٥ صرح روبرت ماكفارلين مستشار ريغان لشؤون الأمن القومي في خطاب له : إننا لن نتورع عن القيام بأعمال العنف لمنع أو اتقاء أو الردّ على أعمال الارهاب حيث تقتضي الظروف استعمال القوة. ونظراً لموقف هذا العدد من مسؤولي الادارة الأميركية في تأييد القيام بالارهاب المضاد المسبق الصنع فمن غير المحتمل أن تبدل الولايات المتحدة هذا الطريق أو أن تلغي عمليات التدريب لبعض عناصر المخابرات الأميركية ومعهم بعض عناصر مخابرات من الدول العربية..؟

من هو المسؤول

من المعروف أن خطة تشكيل وتدريب الفرق الارهابية التابعة للمخابرات الأميركية أقرّت بعد سنوات من المناقشات الحكومية الأميركية التي جرت في واشنطون. والدليل على ذلك (البيانات) العنيفة التي أصدرها الرئيس ريغان بالذات والتي أمر بها بضرورة مواجهة

الارهاب المعادي لأميركا وأصدقاءها بـ(إرهاب مماثل). وبعد ذلك تمّ وضع برنامج تنفيذ خطة الرئيس ريغان السرية من قبل لجنة شكّلها باشرافه ووضع شخصياً شروطها وأهدافها. ولعلم القارئ أنه يوجد دائماً حول أي رئيس من رؤساء الولايات المتحدة حلقة من الأصدقاء سواء من داخل البيت الأبيض أي من المسؤولين المقربين للرئيس أو من الاعلاميين « المرتزقة ». ومهمة هؤلاء هي التخفيف من ردّ فعل الأحداث التي « يتسرّع باقرارها رئيس الولايات المتحدة » أو أن يوافق فيها على عمل له نتيجة سلبية. لأنه من المعروف أن عدة جهات ومنظمات اعتبرت بيانات وأوامر ريغان بموافقته على الارهاب المصدّر « تحدياً » لها فقررت نقل المعركة إلى داخل الولايات المتحدة وفي واشنطون بالذات.
أما بالنسبة لجريمة تفجير السيارة المفخخة أمام منزل الشيخ فضل الله فقد سارع هؤلاء المطبّلون إلى تبرير تلك الجريمة بأنها (دفاع عن النفس) وليس اغتيالاً لأبرياء لا ذنب لهم. وأكّد هؤلاء المطبلون أن الرئيس ريغان قد مارس حقوقه الدستورية. وأكد المسؤولون في الكونغرس والبيت الأبيض فيما بعد أن جورج شولتز وزير الخارجية الأميركية وروبرت ماكفارلين مستشار ريغان كانا العقلين المفكرين اللذين رسما الخطة الارهابية السرية لاغتيال الشيخ فضل الله وإن وزارة الخارجية الأميركية والبيت الأبيض هما اللذان مررا الخطة وأمرا بوضعها موضع التنفيذ ولدى فشلها سارعا للتنصل منها ووافقا على الغاء خطط الارهاب المسبق الصنع. وهكذا ثبت للجميع أن الرئيس ريغان وإدارته بالذات هم المسؤولون أولاً وأخيراً عن عملية محاولة اغتيال الشيخ فضل الله ولكنها غسلت يديها منها بعد فشلها المخزي كعادتها.. مثل النعامة التي تغرس رأسها في الرمل وهي تعتقد أن الصياد لم يعد يراها.

سوريا تطالب الأمم المتحدة بعقد مؤتمر دولي لتعريف الارهاب

○ أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ الثامن من آذار (مارس) ١٩٨٧ وبأغلبية ١٥٣ صوتاً ضد صوتين هما بطبيعة الحال الولايات المتحدة واسرائيل قراراً طالبت فيه الأمين العام للأمم المتحدة أن يلتمس آراء الدول الأعضاء بشأن الارهاب الدولي بكل جوانبه وبشأن طرق ووسائل مكافحته بما في ذلك « عقد مؤتمر دولي » تحت اشراف الأمم المتحدة لتحديد الارهاب والتمييز بينه وبين نضال الشعوب في سبيل التحرير الوطني وقد أقرت نصوص القرار المتضمن صيانة الحق غير القابل للتصرف في تقرير المصير والاستقلال لجميع الشعوب الواقعة تحت النظم الاستعمارية والعنصرية والاحتلال الأجنبي وغير ذلك من أشكال السيطرة الأجنبية وأقرت شرعية كفاحها ولا سيما كفاح حركات التحرير الوطني. ودان القرار جميع أعمال وأساليب وممارسات الارهاب وحث جميع الدول وأجهزة الأمم المتحدة على الاسهام في القضاء التدريجي على الأسباب الكامنة وراء الارهاب الدولي وأن تولي اهتماماً خاصاً لجميع الحالات بما فيها الاستعمار والعنصرية والحالات التي تنطوي على انتهاكات عديدة وصارخة لحقوق الانسان والحريات الأساسية وأيضاً الحالات التي تنطوي على سيطرة أجنبية واحتلال أجنبي التي يمكن أن تولد الارهاب الدولي وتعرض السلم والأمن الدوليين

للخطر كما تمّ التأكيد في القرار المذكور على عدم المساس بأية طريقة بحق تقرير المصير والحرية والاستقلال للشعوب المحرومة. وهذا التأكيد مستمد من ميثاق الأمم المتحدة لصالح الشعوب الرازحة تحت النظم الاستعمارية والعنصرية والاحتلال أو أي شكل استعماري آخر. وذكر في هذا القرار أيضاً عدم المس بحق هذه الشعوب في الكفاح لتحقيق هذه الغاية والسعي من أجل الدعم لهذا الحق والحصول عليه وفقاً لمبادئ الميثاق. ومن جهة ثانية فإن المراقبين السياسيين في الأمم المتحدة أكدوا أن سياسة الجمهورية العربية السورية بقيادة السيد الرئيس حافظ الأسد قد سجلت نجاحاً عالمياً باقرار الأمم المتحدة للمبادرة العربية السورية لتحديد معنى الارهاب والتمييز بينه وبين « نضال الشعوب » من أجل قضاياها العادلة وتحرير أراضيها وإن هذا النجاح الدولي لا يعكس قوة المبادئ التي تدافع عنها سورية فحسب بل يعكس أيضاً ذلك السقوط الزريع للمحاولات المستميتة التي قامت بها الولايات المتحدة واسرائيل وأجهزة الحرب النفسية التابعة لهما للخلط بين الارهاب وحركات التحرر ومن الجدير بالذكر للقراء أن الرئيس حافظ الأسد كان قد طرح في خطاب له أمام المؤتمر الحادي والعشرين للاتحاد العام لنقابات العمال في سوريا فكرة عقد مؤتمر دولي لتعريف الارهاب والتمييز بين الارهاب كفعل مدان ومرفوض وبين النضال المشروع للشعوب من أجل الحرية والاستقلال. وأخيراً يعتبر نجاح هذا القرار من على منبر الأمم المتحدة أي

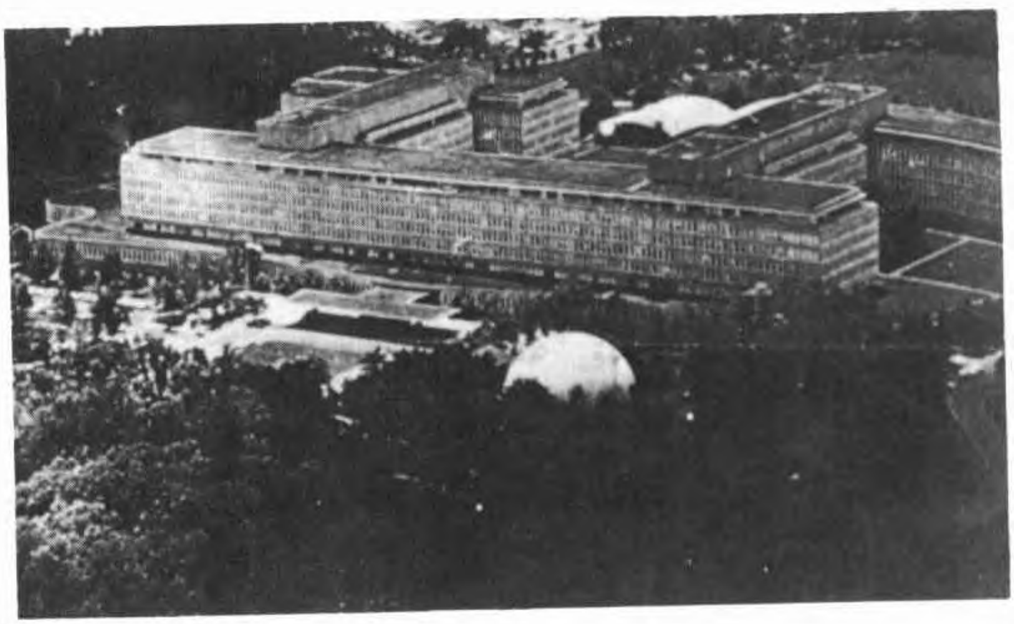


الرئيس حافظ الأسد طالب بمؤتمر دولي لتعريف الارهاب

النجاح على الصعيد الدولي تجسيداً لرغبة المجتمع الدولي ولا سيما قوى التحرر العالمية في تبني طلب سوريا الذي هو بالأصل طلب الرئيس حافظ الأسد لتعريف الارهاب.

مِن أعمال المخابرات الأميركيّة

إرهابٌ مستمرّ مؤامراتٌ دائمة



- جواسيس الحرب النفسيّة • مدرسة الجواسيس
- فضائح الإرهاب في الشرق الأوسط
- رجال الـ (C.I.A) في البلاد العربيّة
- العميل "فرناندو لوغرو" في الخدمة ليلاً نهارًا

جواسيس المخابرات الاميركية للحرب النفسية

○ حصلنا من مصادر موثوقة في أوروبا الشرقية على معلومات مهمة عن قيام الحكومة الأميركية بتأسيس وكالة تجسسية أميركية جديدة هي (وكالة العلاقات الدولية ــ .I.C.A) تعمل إلى جانب (المخابرات الأميركية .C.I.A) في ادارة العمليات الموجهة إلى الخارج « خارج الولايات المتحدة » وبالذات فيما يتعلق بالحرب النفسية والدعائية في المناطق التي تواجه فيها الولايات المتحدة « تحديات سياسية وفكرية ». وتشمل قائمة التحديات مناطق عديدة من العالم، من ضمنها منطقة الشرق الأوسط التي يعتبرها التقرير رقم «٨٨» الذي أعدته المخابرات الأميركية وأصدرته وزارة الخارجية الأميركية واحدة من أكثر المناطق عرضة للتقلب والخطر.

وعلى الرغم من أن هذه الوكالة أسست في عام ١٩٧٨ لتكون الجهاز الأساسي في مجال التعليمات الدعائية الموجهة إلى الخارج، إلا أنها لم تمارس عملها بصورة فعالة إلا ابتداء من منتصف تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٨١ عندما تولى رئاستها أحد أصدقاء الرئيس الأميركي « رونالد ريغان » المقربين وهو « غارس ويك » المعروف بتطرفه اليميني حتى داخل البيت الأبيض نفسه وقد بدأ هذا الرئيس الجديد للوكالة عهده

بتصريح أعلن فيه بدون تردد : « إننا في حرب ذات طابع عالمي ولا يهم إن كانت هذه الحرب معلنة أم غير معلنة ».

وقد تأكد للخبراء أن المخابرات الأميركية وابنتها وكالة العلاقات الدولية وضعتا مؤخراً خطة للعمل المشترك بينهما، تمتد حتى عام ١٩٩٠. وتشمل هذه الخطة الشاملة التي تتعلق بمناطق واسعة من العالم بنوداً مثل تأسيس محطات اذاعة وتلفزيون جديدة والسيطرة على المحطات الأخرى المتعاونة وتوجيهها وفق خطة متطلبات الدعاية الأميركية، ودعم وتوجيه الصحف التي تخدم أو التي يمكن أن تخدم السياسة الأميركية وبخاصة في مناطق الأزمات مع السعي للتأثير على الجماهير ودفعها لتبني « المواقف الأميركية » سواء بصورة واعية أو غير واعية. ومن ناحية أخرى تؤكد الخطة على ضرورة نشر الدعايات المضادة ازاء الدعايات الموجهة ضد الولايات المتحدة وحلفائها. ومن ضمن الدعايات الكاذبة والأساطير التي اختلقتها وكالة العلاقات الدولية ودفعت أجهزة الاعلام التابعة لها إلى نشرها :

١ ـ نشرت خرافة « فرقة الاغتيال الليبية » التي ادعت الوكالة أن العقيد معمر القذافي قد شكلها وأرسلها لاغتيال الرئيس الأميركي ريغان .
٢ ـ نشرت الوكالة أن المخابرات السوفياتية لها علاقة بمحاولات اغتيال الرئيس ريغان أيضاً.
٣ ـ ادعت الوكالة أن المخابرات السوفياتية لها علاقة بمحاولة اغتيال « البابا » التي قام بها التركي محمد علي آقجا.
٤ ـ نشر العديد من أكاذيب عمليات الارهاب الدولي الموجهة ضد منظمة التحرير الفلسطينية.
٥ ـ الاشتراك مع المخابرات البريطانية في نشر الأكاذيب ضد سوريا واتهامها بحادث تسليم المدعو « نزار الهنداوي » لحقيبة مملوءة

بالمتفجرات إلى خطيبته المسافرة على متن طائرة « العال » الاسرائيلية.

وفي الوقت ذاته تستهدف دعاية هذه الوكالة الموجهة نحو الخارج « التأثير على الرأي العام الأميركي بالذات » فهي مثلاً لا تكف عن الحديث عن وجود مؤامرة سوفياتية للاطاحة بالنظام الأميركي القائم. والهدف هو اخافة المواطن الأميركي العادي من « الخطر السوفياتي القادم » بنفس الطريقة التي تتحدث فيها عن الخطر الذي يهدد منطقة الخليج.

وتقول المصادر التي كشفت الخطة ان انشاء « وكالة العلاقات الدولية » كان الهدف منه نقل المعركة بين حلفيّ « الناتو » و« وارسو » إلى مستوى جديد. فالولايات المتحدة و« الناتو » لم يعودا يكتفيان بالتدخل في افريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية فحسب وإنما يريدان التدخل في الشؤون الداخلية لدول حلف وارسو أيضاً، كما حدث مع بولندا. وقد جاء هذا التطور بعد مؤتمر قمة دول الناتو الذي أقر خطة سرية بعنوان « دراسة حول اتجاهات طويلة الأمد في تطور علاقات الشرق بالغرب » لمواجهة ما يسميه حلف الناتو « تصدير الثورة من قبل السوفيات ».واعتماداً على الخطة الأساسية للناتو قامت وكالة العلاقات الدولية بوضع التقرير الخاص رقم ٨٨ الذي ذكرنا أن وزارة الخارجية الأميركية تبنته وأصدرته. ويتضمن هذا التقرير مبالغات يصعب تصديقها مثل أن الولايات المتحدة الأميركية توشك على الانهيار بسبب التسلل السوفياتي الى وسائل الاعلام الأميركية. ومن أجل مواجهة هذا الخطر « المزعوم » قامت وكالة العلاقات الدولية الأميركية تحت اشراف رئيسها الجديد صديق ريغان بوضع ما يسمى **(Project-truth)** أي « مشروع الحقيقة » وقد أعلن ويك رئيس الوكالة أن الوكالة ستحاول عن طريق « الحقائق » أن تظهر للعالم كيف أن السوفيات يعملون عن

طريق المعلومات المزوّرة على تحطيم حلف «الناتو» كما أكد عزم وكالته على مواجهة الدعاية السوفياتية التي « تملأ العالم كله » ولكن مصادر حلف وارسو ترد بالقول :

إن ما يفعله « ويك » رئيس وكالة العلاقات الدولية « يشبه » ما قام به السيناتور عام ١٩٤٧ عندما ادعى أن وزارة الخارجية الأميركية يديرها عملاء « سوفيات ». ويقول الخبراء ان استراتيجية « الناتو » الجديدة في خوض الحرب السايكولوجية والدعائية لا تستهدف التحضير للعمليات العسكرية فحسب وإنما أيضاً توفير الدعم الكامل لعمليات الثورة المضادة سواء في البلدان الاشتراكية أو في البلدان النامية. وتتولى هذه الاستراتيجية القيادات الرئيسية داخل « الناتو » وعلى مستوى رئاسة أركان منطقة شمال الأطلسي والسكرتارية العامة التابعة للناتو. فإلى جانب الخطة ذات الأمد الطويل انتقلت هذه القيادات أيضاً إلى قيادة الدعاية السياسية القومية. وأكثر هذه القيادات نشاطاً هي « إدارة الاعلام » في السكرتارية العامة، حيث تقوم بتنسيق العمل المشترك بين المخابرات واجهزة الاعلام في مجال الدعاية المضادة.

ومن الملاحظ أيضاً في الفترة الأخيرة كثرة عدد « المؤتمرات العلمية » التي عقدها حلف « الناتو ». فقد انعقد مثلاً لأول مرة منذ تأسيس « الناتو » مؤتمر لمندوبي « الناتو» حول قضايا السياسة الاعلامية، حيث طالب هذا المؤتمر بالتأكيد على الجانب الثقافي والاخلاقي في استراتيجية تسليح أوروبا الغربية بالصواريخ الأميركية حاملة الرؤوس الذرية الجديدة. انعقدت حلقة دراسية تابعة « للناتو » لدراسة موضوع « الخطر الجدي الذي يواجه مصادر الطاقة والمواد الخام التي يمتلكها الغرب وكيف يمكن اقناع مواطني دول الناتو بذلك ». وكانت المنطقة العربية في مقدمة المناطق التي جرى التركيز عليها. وفي هذا الاتجاه أيضاً جرت في الشهور الأخيرة عدة لقاءات واجتماعات بين المخابرات

الأميركية والمخابرات الألمانية الغربية بهدف توحيد اتجاه الدعاية الخارجية وتطوير مستوى التعاون فيما بينهما.

وتوضح التشكيلة التنظيمية لوكالة العلاقات الدولية الأميركية خطورة هذه الوكالة وأهميتها في وضع السياسة الرسمية الأميركية. فهي ترتبط مباشرة بالرئيس الاميركي، ومجلس الامن القومي من جهة وبرئاسة أركان عمليات الحرب النفسية في وزارة الدفاع الأميركية من جهة أخرى، هذا بالاضافة إلى ارتباط الوكالة كما أسلفنا بوزارة الخارجية الأميركية. كما أنها توجه ستة مراكز قيادية هي :

١ ـــ دائرة الشؤون العامة في السفارات الأميركية.
٢ ـــ المراكز الثقافية الأميركية في الخارج.
٣ ـــ اذاعة صوت أميركا.
٤ ـــ دور النشر ووكالات الأنباء.
٥ ـــ استديوهات صناعة الأفلام السينمائية.
٦ ـــ مراكز المعارض الأميركية في الخارج.

وتتركز منطلقات الخطة العامة لوكالة العلاقات الدولية في عدة نقاط أساسية هي :

○ محاولة تفجير الوضع الداخلي لبلدان حلف « وارسو » عن طريق تكثيف الهجوم الاعلامي والايديولوجي عليها والعمل على اثارة الخلافات فيما بينها والتأثير على معنويات قواتها المسلحة.

○ اقناع الجماهير الغربية بضرورة دخول « الناتو » في سباق للتسلح الذري مع السوفيات.

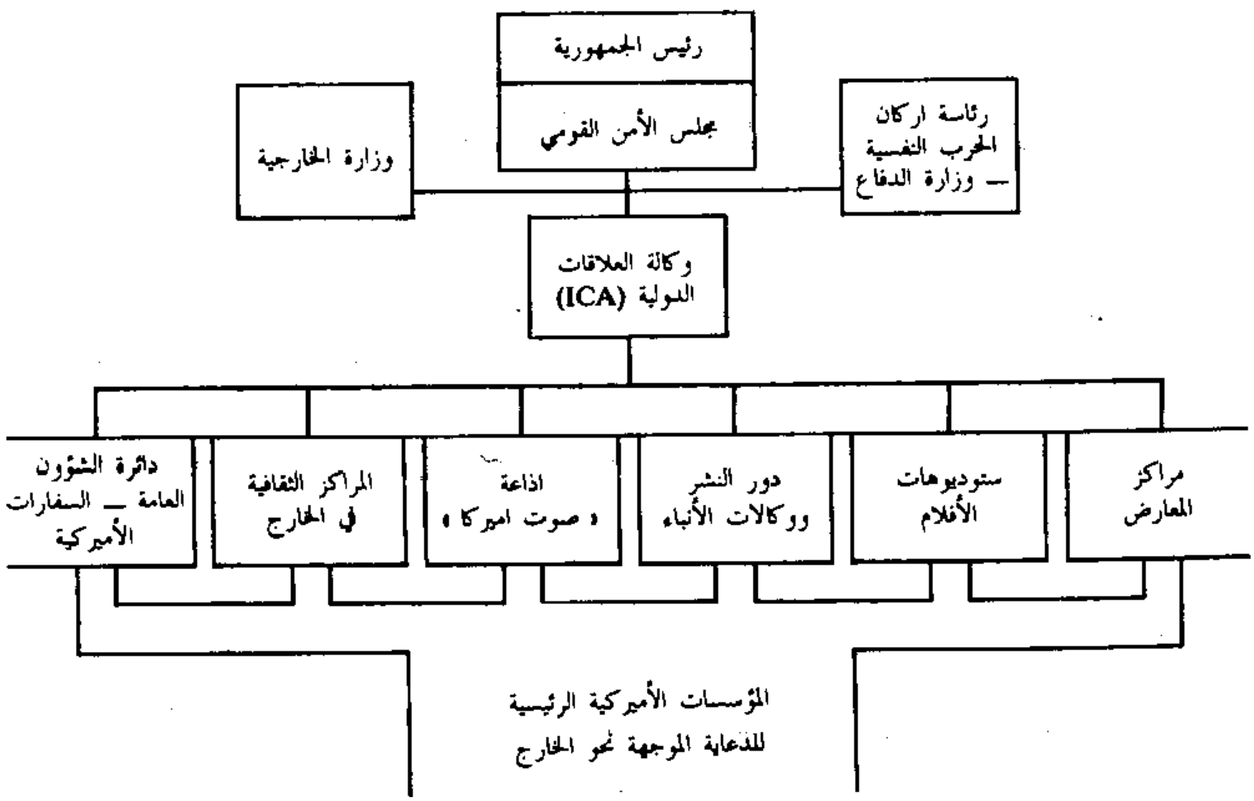
○ ضرب حركات التحرر الثورية في بلدان العالم الثالث بحجة حماية مصالح بلدان « الناتو » الاقتصادية ومواجهة « الارهاب الدولي ».

○ التحضير السايكولوجي والفكري للجماهير على أساس أن الحرب العالمية الذرية أكثر من محتملة.

وعلى الرغم من أن الميزانية المخصصة لوكالة العلاقات الدولية تعتبر سرية « مثل ميزانية المخابرات » إلا أن الخبراء يقدرونها بمئات الملايين من الدولارات وذلك استناداً إلى المبالغ الخيالية التي تنفقها الولايات المتحدة الأميركية على الدعاية، حيث يقدر هؤلاء الخبراء المختصين بالميزانيات ما أنفقته الولايات المتحدة الأميركية على الدعاية لها والدعاية المضادة ما بين عام ١٩٤٧ و١٩٨١ بثلاثة بلايين (مليارات) مارك الماني، أي أن « الحرب الباردة » كما يسمونها كانت أكثر كلفة من الحرب العالمية الثانية بثلاث مرات ومن الحرب العالمية الأولى بـ٣٦ مرة.

التشكيلة التنظيمية لوكالة العلاقات الدولية الأميركية

(ICA - International Communication Agency)



وفي مواجهة هذا التصعيد الجديد للتوتر في العلاقات بين الشرق والغرب تقوم البلدان الاشتراكية باتخاذ سلسلة من الاجراءات السياسية والعسكرية والاقتصادية المضادة والفورية والتشديد في اعلامها على الدور التخريبي الذي تمارسه المخابرات الأميركية ومؤسسات حلف « الناتو ». وقد اعتبر الحزب الاشتراكي الالماني الموحد في المانيا الشرقية هذا التصعيد الجديد للحرب الايديولوجية بين المعسكرين في دراسة نشرت في مجلة الحزب الشهرية تحضيراً شاملاً للحرب من قبَل حلف « الناتو ». وأوضح الحزب أن مهمة مواجهة هذه الموجة الجديدة لا تقع فقط على عاتق المختصين المحترفين أو تنحصر ضمن مجالات معينة وانما هي مهمة المجتمع كله. و« الكفاح للسيطرة على عقول الناس هو المجال الرئيسي الذي يتركز حوله الكفاح من أجل مستقبل البشرية وحمايتها من سيطرة المخابرات الأميركية والوكالة الدولية عليها ».

مدرسة الجواسيس

مستشار سابق في البيت الأبيض يؤسس مدرسة للجواسيس

○ المحامي وعميل مكتب التحقيقات الفيدرالي الأميركي (اف. بي. آي.) والمستشار السابق في البيت الأبيض أيام حكم الرئيس الاميركي السابق ريتشارد نيكسون اشترك اشتراكاً مباشراً في عملية « ووترغيت » المدعو « ليدي كوردون » هذا الرجل الذي كان واحداً من العناصر التي حكم عليها في هذه الفضيحة التي أطاحت بالرئيس نيكسون نفسه من رئاسة الولايات المتحدة في حينه وقد أطلق سراحه بعد أن قضى في السجن خمس سنوات بقوة القانون. وبعد اطلاق سراحه احتار فيما يعمل فلا البيت الأبيض يستقبله ولا مكتب التحقيقات الفيدرالي يعيده للعمالة ولا المخابرات الأميركية تقبل به بعد أن افتضح أمر عمالته وقضى في السجن خمس سنوات طوال. وأخيراً هداه تفكيره الى تأسيس مدرسة للجواسيس أمثاله فحصل على موافقة وزارة الداخلية الأميركية على ترخيص إداري بتأسيس هذه المدرسة باسم « الأكاديمية الأمنية » وأعقب ذلك ظهور اعلان في صحيفة ميامي هيرالد يقول هذا الاعلان الجريء: « هل تريد أن تصبح جاسوساً مثالياً ؟ هل تريد أن

تصبح من رجال الكوماندوس ضد الارهاب ؟ هل تريد أن تصبح من الرجال الشجعان الذين يحررون الرهائن ؟ إذاً تعالَ إلينا فنحن نعلمك كل هذا ».

○ تبلغ تكاليف الدراسة في معهد « ليدي » للحصول على شهادة اتباع دورة كوماندوس وجاسوسية مبلغ (٢٧٠٠ دولار) وتستمر الدراسة فيه اسبوعين فقط لأن الدراسة مكثفة وليس للمعهد « مقر ثابت » بل إنه معهد متجول يتنقل في الولايات المتحدة من أقصاها إلى أقصاها.. والدراسة في هذا المعهد صعبة ومعقدة إذ أن المرشح للعمل التجسسي عليه أن يجيد فن استخدام تكنولوجيا التفتيش عن العدو وتكتيك العمليات ضد الارهاب وخطف الطائرات وحركات السرعة للدفاع عن النفس بفن الكاراتيه، والاطلاع على أسرار التجسس الالكتروني..

○ يتعلم المنتسبون للمعهد اثنتي عشرة ساعة يومياً ويقوم بالتدريس أساتذة بارعين في اختصاصاتهم أي خبراء في تدريس المواد المذكورة أعلاه.. وقد أطلق « ليدي » على الهيئة التدريسية في المعهد اسم « القوة العاصفة ». ويؤكد « ليدي » أنه بمبلغ مليون دولار فقط قادر على إطلاق سراح « أي رهائن » من أيدي المنظمات التي تحتجزهم مهما كانت قوتها ولكن يظهر أنه لم يتنازل أن يجرب هذه الميّزة في لبنان. ولا يحب « ليدي » العودة للسجن ولهذا السبب فهو يحترم القوانين واكثر من هذا فهو مقتنع بأن نشاطه هذا « يخدم وطنه » فيقول : إننا ندرب هؤلاء الرجال كي يقفوا سداً في وجه أي نوع من أنواع الارهاب وبنفس الوقت نعد شباباً للاشتراك في خدمة المخابرات الأميركية فنختار الدارسين في المعهد بعناية فائقة.. وخريج المعهد يمكن أن يوكل إليه أصعب المهام في أي منظمة من منظمات بلادنا.

○ يقبل « ليدي » في كل دورة من دورات المعهد خمسين شاباً بعد دفع مبلغ ٢٧٠٠ دولار واملاء الاستمارة الخاصة. وهؤلاء الشبان يتوزعون بعد تخرجهم من المعهد ما بين المخابرات الأميركية ومخابرات الجيش والقوى الدفاعية ومكتب الأمن القومي لأن كل وكالة من هذه الوكالات تمارس الجاسوسية والجاسوسية المضادة وهم جميعاً بحاجة دائمة لخدمات هؤلاء الخريجين « الجواسيس ». وقد ظهر في الفترة الأخيرة تغيير في الولايات المتحدة وهو نظرة الشعب الأميركي نحو الجاسوسية.. ففي الماضي اعتبر هذا الشعب الجاسوسية « عملاً مخجلاً » أما اليوم فإن مهنة التجسس أصبحت موضة دارجة وقد ذكرنا في الأجزاء السابقة أن المخابرات الأميركية كانت تبذل الكثير من الجهد حتى بنشر الاعلانات لكسب الخريجين للعمل لصالحها. أما الآن فقد اختلف الوضع إذ يتقدم لكل مكان شاغر في المخابرات المركزية الأميركية عشرة خريجين دفعة واحدة.

○ إن إمكانية الاستفادة من خريجي مدرسة « ليدي » للتجسس كبيرة جداً إذ لكل مؤسسة صناعية في الولايات المتحدة جواسيس لها وجواسيس عليها.. وهدف هؤلاء حماية المؤسسة من التجسس التكنيكي



الجاسوس ليدي كوردون مؤسس مدرسة الجواسيس.

والصناعي والتجسس على ما تفعله المؤسسة الصناعية المنافسة والعمل بحدود الامكانية على تعطيل النشاط التجاري والصناعي للمصانع والمنظمات المنافسة أو بالأحرى المصانع والمنظمات الموجدة في الولايات المتحدة. وهكذا يمتد نشاط خريجي معهد ليدي للجاسوسية ليصل إلى تغطية العمليات التجارية السرية (وسوف نتعرض في الأجزاء المقبلة من هذه الموسوعة الجاسوسية لموضوع التجسس الصناعي) كما أن نشاط هؤلاء الخريجين امتد لتأمين البعض منهم الحماية اللازمة للشخصيات الهامة.

وآخر الأخبار عن مؤسسة « ليدي » لتخريج الجواسيس أن المخابرات الأميركية أخذت تغدق عليه الأموال لتضمن استمرار معهده وبالتالي استمرار تزويدها ببعض الجواسيس.



بعض المسؤولين الأميركيين نفخوا في المخابرات الأميركية فطارت

فضائح الإرهاب الأميركي في الشرق الأوسط

○ هل تستأجر حكومة الولايات المتحدة القتلة رغم ضخامة مخابراتها؟

○ تقول المخابرات الأميركية أن الارهاب لا يقاوم إلا عن طريق أساليبه نفسه.

○ هذه القصة ضمن هذا الفصل من فصول هذا الكتاب نقدمها على لسان جاسوس بريطاني عميل للمخابرات الأميركية ولكل من يطلبه. يرويها بنفسه في كتاب أصدره قبل سنوات باسم « الاختصاصي » حيث يقول في مقدمته :

إن كل حدث ورد وصفه في هذا الكتاب هو صحيح مائة بالمائة، مع تغيير في الأسماء فقط وذلك محافظة على أرواح أصحابها وفي جملتهم المؤلف « جيل ريغرز ». وإن ما سنقدمه لقرائنا الاعزاء هو وصف عمليتين تتعلقان بعالمنا العربي وخاصة تخطيط المخابرات الأميركية لالحاق الضرر بسوريا وخطف أحد ضباط مخابراتها وفشلها في ذلك.

البداية : المخابرات الأميركية
تدفع والعملاء يقتلون

○ عندما رفعت سماعة الهاتف في سيارتي التي كنت أقودها على شاطئ بحيرة جنيف في سويسرا سمعت الميجر « توم أودال » من مخابرات القوات البحرية الأميركية يقول: نحتاجك في بيروت للقيام بمهمة تتعلق بالضيوف الزرق. هل بامكانك الحضور بسرعة ؟ والضيوف الزرق مصطلح أميركي « يعني السوريين ». أما الاسرائيليين فهم « الصفر » والدروز « الحمر » والكتائب « الخضر » هذه هي التسميات الرمزية التي كانت تستعملها المخابرات الأميركية. لم أدرك بالضبط ما كان يريد الميجر « توم » مني، ولكن تعاوني معه قبلاً كمرتزق في بيروت جعلني أقدّر أن القضية تتعلق بالوضع الحرج لقوات البحرية الأميركية. بالطبع لم نبحث عبر الهاتف الناحية المالية لأن الميجر وسواه من مسؤولي المخابرات الأميركية يعرفون قيمة « تعرفتي » التي هي كأساس وهو مبلغ (٧٥ ألف دولار) بالاضافة للمصاريف حيث يدفع المبلغ من قبل شركة أميركية خاصة أو سويسرية لبنك أحدده لهم خارج أميركا، ويوضع الى جانبه التبرير القائل بأنه لقاء استشارات أوعمليات مسح واستكشاف. وبالطبع لم يتصل بي « توم » إلا بعد أن يكون قد ضمن على الأقل وضع موازنة للعملية لا تقل عن « ٢٠٠ ألف دولار »

وهو مبلغ يقل عن كلفة اطلاق قنبلة واحدة من بارجة « نيوجرسي » على جبال الشوف. وعلى كل حال، العمل مع المخابرات الأميركية ممتع لأنهم كرماء عندما يريدون انجاز عمل مهم بالنسبة لهم، ومعرفتي بـ« توم أودال » تعود لحرب فيتنام حين كنا نقوم بمهمات خاصة معاً، هو من قبل قوات البحرية الأميركية، وأنا من قبل الحلفاء وكلانا ملحق بالقوات الأميركية الخاصة. وفي بيروت كان « توم » يقوم بمهمة الاتصال بين القوات الخاصة والمخابرات الأميركية. وفور تسلمه منصبه هذا اتصل بي مستفسراً عن الاستعداد للعمل معه في بيروت عند الاقتضاء. وبعد الموافقة أخذ رقم حسابي في سويسرا.

بعد اسبوع من المخابرة الهاتفية ووضع مخابرات البحرية الأميركية مبلغ ٧٥ ألف دولار في رصيد حسابي في سويسرا توجهت الى المطار متجهاً إلى مدينة لارنكا في قبرص كما فعلت ثلاث مرات من قبل بناء على طلب المخابرات الأميركية. كان بانتظاري خارج قاعة المطار الكابتن «بيل لندين» وهو أيضاً من ضباط القوات الأميركية الخاصة وكنت قد تعاونت معه في فيتنام أيضاً. رحب بي ثم انتقلنا إلى ساحة جانبية من مطار لارنكا مخصصة للجيش الأميركي حيث ركبنا طوافة نقلتنا الى الشاطئ الأخضر المخصص للقوات الأميركية في بيروت ومن هناك ركبنا سيارة لبنانية مدنية تعمَّد الكابتن « بيل » السرعة أحياناً والابطاء حيناً آخر للتأكد من عدم الملاحقة حتى وصلنا إلى بناء آمن في بيروت للتاجر اللبناني ابراهيم حسين زنتوت. وابراهيم هذا له باع طويل في حقل التعاون مع المخابرات الاجنبية وتجارة ونقل الأسلحة والمتفجرات وحتى المخدرات وكان مع جماعته قد قام بمسح دقيق للمنطقة المحددة لعمليتنا المرتقبة.

بعد تناول الطعام والمقبلات اللبنانية المشهورة وصل « توم » وآخرون من القوات الخاصة لبحث الخطة التي أوكل إليّ وضعها وقيادة تنفيذها.

ولم يكن من الصعب على الآخرين القبول بقيادتي للعملية لأنهم كانوا من الجنود الذين دربتهم على المهمات الخاصة في أحد المعسكرات في الولايات المتحدة سابقاً.

أما الخطة التي طلب إليّ وضعها فلم تكن سوى الوصول لمركز قيادة عمليات الحزب التقدمي الاشتراكي لاختطاف الضابط السوري الذي يتولى « التنسيق » بين الجيش العربي السوري وهذا الحزب. وقد علمت أن هذا الضابط السوري هو من ضباط المخابرات السورية وله باع طويل في عالم حرب المدن وخبير في مكافحة الارهاب. ويعتقد رجال المخابرات الأميركية بأن الضابط السوري الذي هو برتبة (ميجر — رائد) قد أرسل إلى بيروت للاشتراك مع قوات الحزب الاشتراكي بالحاق أضرار بالغة بقوات البحرية الأميركية التي كانت متواجدة في حينه قبالة الساحل اللبناني.

لذلك كان القرار باختطاف هذا الضابط السوري لانتزاع ما عنده من معلومات. وكان من جملة اختصاصاتي التخريبية « الاغارة » على المواقع المسلحة وهي العملية الأحب الى نفسي وعندي في هذا المجال تاريخ معروف ابتداء من فيتنام ومروراً بموزمبيق وايرلندا الشمالية وايران وغيرها، ونظراً لأهمية وحساسية العملية المرتقبة حصر الموضوع بين الميجر « توم » وواشنطون مباشرة « دون علم القيادة العسكرية للقوات الأميركية في لبنان » وعلى كل حال لا واشنطون ولا القوات البحرية في لبنان لديهم فكرة واضحة عن أسباب التواجد العسكري في المياه والأراضي اللبنانية. ومجمل نشاطهم كان يتوخى الوساطة بين الأطراف المعينة مع بقائهم مخلصين لاسرائيل وقائمين بتعهداتهم ليهود أميركا. وهذا الموضوع، أي الصراع العربي الاسرائيلي كان يشغل حيزاً كبيراً من الحديث بين مضيفي ابراهيم حسين وبيني وغالباً ما كنّا ندين معاً

« السياسة الأميركية الواضحة بانحيازها لاسرائيل » بالرغم من أن كلينا يعمل لأميركا ويقبض منها.

بعد أن شرح « توم أودال » موضوع الغارة وقدم المعلومات اللازمة التي جمعوها عن المبنى المستهدف والعدد التقريبي للذين يشغلون طوابقه الأربعة وجدت أن المهمة هذه المرة صعبة وخطيرة خاصة لأن الميجر « توم » « يصرّ » على تسليمه الميجر أي الرائد السوري « حياً ». وحيال اصراره على القيام بهذه المهمة وعدته بأني سأبذل جهدي ولكني استغليت صعوبة هذه العملية فطلبت منه « مضاعفة » الأجر المعتاد من ٧٥ ألف دولار الى ١٥٠ ألف دولار، وهكذا كان.

المرتزق البريطاني يتذكر

○ بعد أن انفض الاجتماع الذي تمّ فيه الاتفاق على كافة التفاصيل عادت لي الذكرى عن مهمة أخرى كنت قد قمت بها لمصلحة المخابرات الأميركية في منطقة الشوف ولم تستغرق تلك المهمة أكثر من البقاء يوماً واحداً في لبنان توجهت فيه بصحبة أميركي متخصص باستعمال أجهزة أشعة الليزر الى مبنى متهدم وفارغ من السكان يقع قريباً من المبنى « المستهدف ».

من هذا المبنى القديم، وجهنا أشعة الليزر « على الهدف » بعد أن تلقينا المعلومات للقيام بذلك، وفي الوقت المحدد لنا وإذا بالقذائف تتساقط من الطائرات الاسرائيلية بعد ثوان لتحوّل المبنى الذي كان بالأصل « مربض لمدفعية الحزب التقدمي الاشتراكي » إلى ركام. وسلاح الليزر هذا هو كناية عن جاذب للقنابل إلى هدف معيّن توجه له بالكمبيوتر. وعمليتنا هذه تمت بعد أن تمّ تحديد الموقع لنا من قبل لبنانيين وتوجيه الليزر من قبل مرتزق بريطاني هو أنا (أي كاتب القصة الأصلية التي ترجمناها) ومن ثم نسف المبنى من قبل الطائرات الاسرائيلية والتمويل أميركي في جميع هذه المراحل. وفي السابق قمت بعمليتين في بيروت وانتحلت في الأولى صفة سائق سيارة اسعاف للصليب الأحمر، وفي الثاني صفة صحافي، ولكن هذه المرة توجهت الى المنطقة

المحددة بمفردي كما فعل كل واحد من أفراد فريقي وقد لبسنا لباساً عادياً لا يلفت النظر، وحمل كل واحد حقيبة يد فيها عدة العمل من أسلحة ومتفجرات وأجهزة توقيت وذخيرة اضافية للأسلحة. ومع حلول الظلام كنا نحن الخمسة قد وصلنا إلى البناء المتهدم الذي حدده لنا « ابراهيم حسين » بمحاذاة مبنى الحزب الاشتراكي المفترض وجود الميجر السوري به. أمضينا ليلة الوصول وطوال اليوم التالي قابعين بين الأنقاض نتبادل مراقبة الحركة في البناء المقصود ونحضر أسلحتنا المكونة من مدي « بالعربي خناجر » ورشاشات خفيفة ومسدسات وجميع الأسلحة مزوّدة بكاتم للصوت. جهزنا أنفسنا للدخول الى مبنى الحزب الاشتراكي من الأعلى وذلك باستعمال حبل نايلون أسود في رأسه مرساة مربعة ومصنوعة من نوع معيّن من الألمنيوم، وبعد غياب شمس اليوم التالي تأكد لدينا أن الميجر المقصود قد دخل الى البناية التي يخف الخروج منها والدخول اليها كلما تقدم الليل وحسب تقديراتنا ومشاهداتنا أن كبار أعضاء الحزب سيكونون في الطوابق العليا.

خلا الشارع من المارة والأنوار خافتة بطبيعتها نظراً لكثرة الأعطال الكهربائية الناتجة عن القصف المتبادل، حتى القمر كان غائباً تلك الليلة. رمينا المرساة في الوقت المناسب فعلقت منذ الرمية الأولى بحافة ركن حديدي فوق سطح البناء (كما نشاهد في الأفلام السينمائية) وصعدنا الواحد بعد الآخر الى سطح البناء، وبعد أن تبعني الجميع نزلنا الدرج وفق خطة موضوعة سابقاً وسرنا بصمت أخف من الهمس فوجدنا غرفتين في الطابق العلوي بابهما موصدان. وبعد تحر سريع استنتجنا من « رائحة النوم » ومن صوت الشخير بأن من فيهما نائمين. نزلنا بحذر شديد للدور الثالث ولدينا معلومات لبنانية تؤكد بأنه الطابق الأساسي في البناية. وبمجرد وصولنا إليه اقتنعنا بصحة المعلومات خاصة بعد سماع أصوات وانبعاث رائحة السجائر. اخبرنا المرافق الذي يفهم اللغة العربية بأنه

تمكن من تمييز ثلاثة أصوات مختلفة في الغرفة ليس فيهم صوت سوري. وباعتبار أن وجود الثلاثة في الغرفة الأولى يشكل خطراً علينا لدى اقتحام الغرفة الثانية فقد طلبت من « بيل بكلين » أن يتدبر أمر من فيها على أن نتوجه نحو الغرفة الثانية الموصدة. قرع « بكلين » قرعاً خفيفاً على الباب المفتوح جزئياً، وعندما خرج أحدهم لفتحه كلياً بادره بطلقة من مسدسه الكاتم للصوت في صدره أردته قتيلا ثم أطلق باتجاه الآخرين الذين صحوا من نومهم فأودى بحياتهم وأقفل باب الغرفة على من أطلق عليهم النار ثم انضم إلينا لاقتحام الغرفة الثانية. وحيث اننا لا نعرف عدد من فيها فقد انتظرنا قليلاً لعله يخرج أحدهم فيكون بذلك قد فتح لنا الباب من جهة ووضع نفسه تحت تصرفنا من جهة أخرى، وفعلاً لم يمض وقت قصير حتى خرج اثنان من الغرفة تدبرنا أمرهما بالمدي (الخناجر) وعندما خرج الثالث وبيده رشاش كلاشنكوف أطلقنا عليه النار فسقط حالاً واقتحمنا الغرفة مع توزيع مسبق للأدوار وبالأخص دور « بكلين » الذي أولكنا إليه أمر الميجر السوري وحمايته تمهيداً لخطفه. أطلقنا النار جماعياً على ستة أشخاص بقوافي الغرفة واحتجزنا السابع الذي اعتقدنا أنه الميجر السوري.

وبعد تقييم للموقف وتفكير سريع وعلى ضوء ما سمعنا من أصوات في الطابق الثاني « تحتنا » فقد وجدنا أنه من المستحيل الانسحاب مع المخطوف عبر الحبل المنصوب في الهواء. جمعنا ما على الطاولة من خرائط ومستندات ثم أرسلت اثنين عبر الدرج لزرع المتفجرات على السطح ثم نزلنا الدرج للطابق الثاني فسمعنا صوت اثنين يتحدثان ويدخّنان السجائر. وخلال ثوان كان الاثنان في عداد الأموات. خرجنا من مبنى الحزب الاشتراكي مسرعين الى حيث كنا قابعين بين الأنقاض في البناء المقابل وانتظرنا التوقيت الذي أعطي للمتفجرات المزروعة على السطح ومع دويّ الانفجار عمّت الفوضى وبدأ اطلاق الرصاص عشوائياً

وسمعنا عبارات « تدلّ » على أنهم اعتقدوا أن انفجار السطح قنبلة اطلقت من معسكر الكتائب في بيروت الشرقية. وكان همّ المتواجدين من اللبنانيين الوصول إلى الملجأ مما سهل علينا عملية الانسحاب مع هذه الفوضى. أما لو عرفوا بأن المسألة مسألة تفجير لا قصف، فقد كان من المقدر لانسحابنا أن يكون محفوفاً بالكثير من المخاطر. اذاً تمَّ انسحابنا واحداً واحداً مع فواصل زمنية قصيرة وبعد أن التقينا في المكان المقرر سابقاً والذي يبعد حوالي ٥٠٠ مترٍ عن مركز الحزب الاشتراكي ومن هناك قمنا بتفجير المكان الذي استعملناه مخبأ لنا بعد أن زرعنا فيه مواد شديدة الانفجار مما أحدث انهياراً كاملاً للمبنى بواسطة جهاز إرسال معنا. بعدئذٍ مسحنا اللون الأسود من على وجوهنا وتوجهنا إلى صيدلية في بيروت لها مستودع وغرفة نوم ملحقة بها كانت المخابرات الأميركية قد استأجرتها سابقاً وجعلتها واجهة لعملياتها وملجأ لعملائها ومنهم نحن. وبعد الراحة والاستحمام بالمياه الساخنة والراحة والطعام أخذت بسيارة لبنانية خاصة للشاطئ الأخضر ومنه إلى قبرص بطائرة مروحية فأوروبا، وبعد حوالي شهر من هذه العملية استدعيت مرة أخرى الى لبنان للقيام بعملية جديدة استهدفت هذه المرة مراكز مرابض مدفعية الحزب الاشتراكي في الجبال كان من نتيجتها تدمير سبعة مرابض سبق أن ألحقت اضراراً كبيرة بقوات البحرية الأميركية في بيروت قبل هروبها.(١)

---

(١) لم يتعرض المرتزق البريطاني « جيل ريفرز » في قصته هذه عن رد فعل مخابرات البحرية الأميركية في العملية السابقة عندما سلمهم شخصاً من جماعة الحزب الاشتراكي على أنه هو الميجر السوري المطلوب لهم والذي قبض لذلك ١٥٠ ألف دولار. بينما الميجر السوري يتابع عمله الوطني حتى الآن.

الاعتراف ان اسرائيل هي رأس الأفعى دائماً

○ نظراً لكثرة ترددي إلى لبنان واطلاعي على عدة جوانب من مشكلته لم أفاجأ عندما أخبرني صديق لي في لندن وهو من العريقين في عالم المخابرات، بأن معظم الأذى الذي ألحقه اللبنانيون بقوات البحرية الأميركية وقتلهم المارينز بالجملة يعود لرغبة اسرائيل بالذات باخراج الأميركيين من لبنان « ليخلو لها الجوّ » لتنفيذ الجزء اللاحق من سياستها وهذا ما جرى بعد ذلك أي ما فعلته اسرائيل لاحقاً في لبنان.

بعض أعمال المرتزق البريطاني « جيل ريفرز » لمختلف المخابرات

○ ومن البديهي أن ما أقوم به من نشاطات لصالح مختلف المخابرات كمرتزق يزيد من أعدائي الراغبين بإرسالي الى العالم الآخر وأولهم مخابرات الحزب التقدمي الاشتراكي اللبناني. لكنه من غير الطبيعي أن تجري محاولتان خلال بضعة أسابيع وبسبب مهمة واحدة كنت أقوم بها، هذه المهمة كانت تتعلق بصفقة طائرات الميراج الفرنسية للحكومة المصرية عام ١٩٧٥ حيث غادر الرئيس أنور السادات باريس الى القاهرة معلناً أنه حقق نجاحاً بيناً خلال زيارته لباريس في حينه التي أسفرت عن التوصل لاتفاق مع الحكومة الفرنسية لبيع مصر طائرات ميراج وأسلحة أخرى متطورة. وقال السادات في مؤتمر صحفي بأنه لن يبحث التفاصيل لأنها سرّ من الأسرار العسكرية وكل ما بامكانه قوله هو أن الصفقة قيمتها ٢٣٢٠ مليون من الدولارات سيتم دفعها « من » دول الخليج اسهاماً منها بالمجهود الحربي لمساعدة مصر « قبل كامب ديفيد ».

وقد تجنب الرئيسان « السادات وديستان » الخوض في تفاصيل هذه

الصفقة التي قصد منها تعويض ما خسرته مصر من أسلحة ومعدات في حرب ١٩٧٣ التي رفض الاتحاد السوفياتي تعويضها عنها، ومن جهة أخرى كما علمت من وراء الكواليس أن فرنسا قصدت من وراء هذه الصفقة أن تعود للعب دور حيوي في الشرق الأوسط. وقد دعيت لمقابلة تاجر خليجي في فندق « هيلتون لندن » وقد تمت المقابلة بواسطة صديقي البريطاني المهندس « روبرت همسورت » الذي علمت أنَّ له أعمالاً مع هذا التاجر ومع بلده الخليجي .وبعد الترحيب العربي المميز دخل هذا التاجر في الموضوع مباشرة بسؤاله عما اذا كنت مستعداً لنقل مستندات ومعدات تتعلق بالتدريب على استعمال وقيادة طائرات الميراج من باريس إلى القاهرة. والحقيقة أني فوجئت بهذا الطلب وقدرت أن هذا التاجر الخليجي ما هو إلا ضابط كبير من ضباط المخابرات العربية الخليجية وأعترف أني أعجبت بهذا المستوى الجيد للمخابزات العربية



الرئيس فاليري ديستان وافق على تزويد مصر بأسلحة متطورة « بأموال خليجية ».



الرئيس أنور السادات سمح لفرنسا بالعودة إلى الشرق الأوسط.

الخليجية. وطريقة عملها. وبعد هذا التحليل ببضعة ثوان تمكنت من الاحاطة بالموضوع من مختلف جوانبه ولابعاد الشبهة ما أمكن طلب هذا التاجر من صديقي المهندس « همسورت » الاستعانة بشخص حيادي « للقيام بهذه المهمة السرية » وكنت أنا. ومن جهة ثانية وبصفتي طياراً قديماً في سلاح الجو الملكي البريطاني ومدرباً على الطيران الحربي والمدني فقد كان علي أن أحيط بكافة تفاصيل التدريب التي سأحصل عليها من طياري الاختبار في شركة « داسو » التي تنتج طائرات الميراج. وبعد الحصول على التعليمات المتعلقة بالتدريبات نقلت ما يجب نقله الى القاهرة لأني سوف أتولى شرح كل ذلك لطياري الميراج المصريين لزيادة خبرتهم.

مواجهة المخابرات العسكرية الاسرائيلية « الموساد » في فرنسا

○ مهمتي الجديدة هذه تختلف عما اعتدت عليه من مغامرات واقتحامات واغارات ولكنها بنفس الوقت محاطة بأخطار متعددة الجوانب لأنها تدخل ضمن لعبة دولية متشابكة. وقد كان عليّ بنفس الوقت أن أفكر بالمخابرات السوفياتية التي يهمها موضوع استعمال الميراج كطائرة « بديل » لطائرات الميغ التي كانت تزوّد بها مصر. أما الولايات المتحدة فهي أيضاً تنظر للميراج كمنافسة قوية لما تنتجه من طائرات، هذا فضلاً عن معارضتها لكل صفقة أسلحة متطورة للدول العربية وخاصة المواجهة لاسرائيل، وهنا كان عليَّ أن أنتظر تعاون المخابرات الأميركية مع المخابرات العسكرية الاسرائيلية « الموساد » ومع يهود فرنسا وبعض الفرنسيين المتعاطفين مع اسرائيل. هذا فيما يتعلق بالقوى غير الفرنسية. وعند تحليل الوضع الفرنسي وجدت أن شركة

« داسو » المنتجة لطائرات الميراج تتمتع بقوة سياسية عظيمة تتحالف مع الديغوليين وسائر المعسكر اليميني، ولكن ذلك لا يؤدي بالضرورة لتزويد العرب بأسلحة « تهدد أمن اسرائيل » خاصة وأنّ لاسرائيل أنصاراً في كافة القطاعات الفرنسية وعلى مختلف المستويات. ومنذ حرب السويس عام ١٩٥٦ ومعركة الجزائر حتى حصول الجزائر على استقلالها نتيجة تضحية وإصرار مجاهديها وهم من الأهل، نشأت بين المخابرات الاسرائيلية العسكرية « الموساد » والأجهزة الفرنسية علاقات وثيقة بمعزل في بعض نواحيها عن السياسة الفرنسية المتعلقة بمناطق الشرق الأوسط. ونظراً لطبيعة عملي أعرف تماماً مدى تغلغل المخابرات العسكرية الاسرائيلية « الموساد » في صفوف المخابرات الفرنسية « أس. د. آي. سي. » وحتى الأمن العام الفرنسي. وهكذا بدا لي الوضع عشية قبولي هذه المهمة، لذلك منذ البداية كانت عيناي تحاولان النظر في اتجاهات أربعة بنفس الوقت من حولي.

○ بعد هذه الاستنتاجات الاستخبارية وقبل أن أعطي جواباً قاطعاً للتاجر الخليجي « الضابط » توجهت الى القاهرة لدراسة الموضوع على الطبيعة وقد أحطت كافة تحركاتي واتصالاتي بسرية تامة. وكان المسؤول عن مهمتي في القاهرة الكولونيل « العقيد خالد المسوتي » الذي فهمت فيما بعد أنه من الضباط المقربين من الرئيس السادات ويثق به ثقة مطلقة ويسند إليه مهمات خاصة حتى بعد أن تقاعد من الجيش « المخابرات ».وبعد أن تحريت عنه بنفسي وبوسائلي الخاصة علمت بأنه كان ضابطاً في المخابرات المصرية وهو شديد المراس يميل للتعذيب (هذه الصفة وهي التعذيب يجب أن تختفي من أعمال المخابرات، ويحل محلها التحقيق العادل وبالطرق النفسية الحديثة ووجود الأدلة الصادقة بحق أي متهم سواء أمام المخابرات أو المباحث الجنائية أو قوى الأمن ونكران المتهم لكونه سيىء الخلق أو صاحب سوابق يسمح لهذه

السلطات باستعمال التهديد ثم بعض الضرب العادي « وليس التعذيب » كما تستعمل المخابرات الاسرائيلية الكهرباء والوسائل الوحشية لدرجة تسليط الموجات الكهربائية على الأعضاء التناسلية للمجاهدين الفلسطينيين)[1].ونستمر في عرض قصة المرتزق البريطاني في تعامله مع المخابرات المصرية التي يرويها بنفسه فيتابع قوله : كان العقيد المصري « خالد » يستطيب نصب الفخاخ وتخطيط المؤامرات، وبعد تقاعده « تكرم » عليه صديقه القديم في الجيش « أنور السادات » فأمر وزارة الاقتصاد بمنحه رخصة لشركة استيراد سيارات مما جعله يصبح بعد بضعة سنين في مصاف أصحاب الملايين.

○ تمّ الاتفاق بيني وبين العقيد خالد على أن أشحن المعدات من فرنسا إلى لندن قسم الترانزيت ثم أنقلها للقاهرة من هناك على اعتبار أنها أدوات مكتبية، ومن مصر عدت الى لندن للاتفاق النهائي مع التاجر الذي وضع في حسابي المبلغ المعروف وهو ٧٥ ألف دولار. وبعد اسبوعين ذهبت الى فرنسا وتوجهت الى « ايستر » وهو مركز تدريب واختبار لطائرات وطياري الميراج.ويقع هذا المركز قرب بحيرة إلى الشرق من مرسيليا، لقيت في المركز ترحيباً حاراً وأفرد لي سكن مريح وأعطيت مدرباً متمرساً يدعى « ألن ديسار » يتحلى بشجاعة فائقة. سارت الأمور التدريبية في الجو وعلى الأرض سيراً حسناً، ولكن شيئاً فشيئاً نما عندي إحساس داخلي تزايد مع الأيام وهو أن وراء الأكمة ما وراءها. وفي جملة ما اكتشفته كان احساس بعض المسؤولين في مركز التدريب والاختبار بعدم الرضى عن بيع أسلحة متطورة لمصر، كما وأنه بدأ

---

(١) هذه الاضافة عن التعذيب وضعتها ضمن قصة العميل البريطاني جيل ريفرز للتنويه عن كرهي للتعذيب في جميع أنحاء العالم ودعوتي لاحترام الموقوفين حتى بعد أن تثبت ادانتهم لأن القضاء وحده هو صاحب الكلمة والحكم.

الهمس حول امكانية قيام اتحاد عمال الطيران باضراب احتجاجاً على الصفقة، ولكن كل ذلك كان لا يزال وقفاً على الاحساس والتخمين والاشاعة، إلى أن أخبرني بعض أصدقائي ورفاقي القدامى من المرتزقة في مرسيليا بأنني في خطر فعلي « بسبب مساعدتي لمصر ».ومما زاد في دهشتي واضطرابي معرفة عدد كبير من الناس حولي بتحركاتي ورحلتي الى القاهرة مع أنني كنت أعتقد بأنها في غاية السرية، لم أعلق على ملاحظات الرفاق القدامى الذين اجتمعت بهم في مرسيليا حتى تدخل « بويسون » الصديق الذي أثق به ليتحى بي جانباً ويخبرني بأن المخابرات العسكرية الاسرائيلية « الموساد » يحصون عليّ أنفاسي حتى أنهم يعلمون أني في هذه الحانة بالذات أي مكان الحديث مع « بويسون ». ثم نصحني بأن أكون في غاية الحرص لأنهم ينوون لي شراً. وبعد عودتي لمركز التدريب اتصل بي أحد أصدقائي السويسريين الذي تربطني بهم علاقات مالية تجارية قائلا : إن أحد اليهود السويسريين المتنفذين والذين لهم علاقة بالمخابرات الاسرائيلية كعميل كان يبحث عن مصدر تحويل المبلغ الذي تلقيته مؤخراً، لم أهتم بمعرفة المصدر من قبل المخابرات الاسرائيلية لأن البنوك السويسرية لا تتساهل في هذا الموضوع ولكن ما أقلقني كان مقدار الجدية التي أعطتها « الموساد » لهذه المهمة.

○ فكرت ملياً في موضوع الاهتمام الاسرائيلي لأصل الى نتيجة تقول بأن في الصفقة أموراً لا أعرفها ولا بدّ لي من الاطلاع عليها قبل أن أستمر في متابعة المهمة، اتصلت بصديقي « روبرت همسورت » وطلبت منه تدبير لقاء مع التاجر « الضابط » الخليجي الذي قال له عندما لقيته بأنني سأنسحب اذا لم يطلعني على كافة التفاصيل حتى أتمكن من تقدير الأخطار وأتحسب لها. وبعد ثلاثة اجتماعات في يوم واحد مع التاجر الضابط وقيامي بمناورات متنوعة كشف لي الأوراق قائلاً : إن اسرائيل

تخشى هذه الصفقة بشكل خاص لأنه خلافاً لما أذيع بشأن تسليم الطائرات بعد عدة شهور لمصر، فقد علم أن دول خليجية ستشتري لمصر طائرات الميراج الموجودة في ليبيا بأسعار عالية. لذلك لن يمضي وقت طويل حتى تكون الطائرات في المطارات الحربية المصرية. لهذا فإن الجهود الاسرائيلية منصبّة على عرقلة التدريب حتى لا تستعمل مصر هذه الطائرات إذا ما فشلت الجهود التي يبذلها كسينجر « وزير الخارجية الأميركية » في حينه للتوصل لتسوية ولو مؤقتة في المنطقة، لذلك أصبحت أنا المرتزق البريطاني عنصراً حساساً في هذا الموضوع العالمي المتشابك.

○ عدت من لندن باتفاق مالي جديد يتناسب مع الخطورة التي اكتشفتها ذهنياً وبعد اسبوع واحد اكتشفتها عملياً، كنت أقوم برحلة ضمن مناورات عملية تتعلق بخطط حلف شمالي الأطلسي في طائرة ميراج ٢٠٠٠ كمساعد للمدرب الطيار « ديسار » حيث كان علينا أن نطلق الصواريخ على أهداف معينة قريبة من « سردينيا » والعملية كانت لاختبار صواريخ « ماترا ٥٢٠ » التي تطلق من أسفل الجناح لتدمير الدبابات. سارت الأمور سيراً طبيعياً حسناً وبقي معنا صاروخ واحد. ضغطنا زر الاطلاق فأعطت الآلة اشارة انجاز الاطلاق. ولكن الصاروخ بقي معلقاً بأسفل الجناح ويمكن أن ينفجر في أية لحظة. حاولنا مراراً وتكراراً بكل الوسائل الممكنة دون جدوى. اتصلنا لاسلكياً بالمركز فنصحونا بمغادرة الطائرة ولكننا لم نفعل وبقينا على اتصال معهم نعطيهم المعلومات علَّ الكمبيوتر يتوصل لجواب، وعندما عجز الكمبيوتر عن التوصل لحل قررنا توجيه الطائرة للسقوط فوق البحر بعد أن نغادرها. وفي هذه الأثناء بدأت الطائرة بالاهتزاز العنيف دون أن تشير الآلات الالكترونية أمامنا إلى أيّ خلل مما جعلنا نتأكد بأن الطائرة تعرضت قبل الاقلاع (لعملية تخريب) قصد منها القضاء على حياتي أنا بالذات،

وفجأة سمعنا صوت انفجار في الجناح أدى الى انفصاله عن الطائرة التي أخذت تدور حول نفسها افقياً. وبعد لحيظات انطلق منها الطيار المدرب « ديسار » بالكرسي القاذف وتبعته أنا الذي لم أقفز في حياتي من أية طائرة إلى فوق بالرغم من إجادتي ذلك وتدربي عليه، هبطت في البحر ونفخت الزورق المطاطي وصَفَت الماء حولي. وحضرت النجدة بعد ساعتين استعرضت خلالهما هذه المهمة ووحشية المخابرات الاسرائيلية التي كان يمكن لها بسبب رغبتها في القضاء عليّ أن توقع كارثة مريعة بمركز التدريب لو عدنا الى القاعدة والصاروخ « الحي » لا يزال معلقاً بأسفل الجناح.

تبادل اطلاق النار مع المخابرات الاسرائيلية في القاهرة :

○ عدت إلى القاهرة فأخبرني العقيد خالد أنه تلقى معلومات بأن التحقيق الذي أجرته السلطات الفرنسية أكّد على أن « الموساد » كانوا وراء إسقاط طائرة الميراج ٢٠٠٠ التي كانت تقلني مع زميلي الطيار « ديسار ». لم أفاجأ بهذا الخبر الذي كنت موقناً منه بل متأكداً لكن الذي فاجأني في مصر كانت البلبلة التي لاحظتها بشأن مهمتي والتي لم تكتمل لعدة أسباب: منها السمسرات المفضوحة ودور « عصمت السادات » شقيق الرئيس السادات فيها. ثم كان الخلاف الذي نشب بين ليبيا ومصر مما حرم مصر من وصول طائرات الميراج في الوقت اللازم وحرمني أنا أيضاً من القيام بالتدريب الذي كنت أتطلع إليه بشغف خاصة بعد أن قدّمني قائد سلاح الجوّ المصري حسني مبارك (الذي أصبح رئيساً لمصر فيما بعد) لمجموعة من الطيارين المصريين تبين لي من خلال جلسات قليلة معهم على أنهم على جانب وافر من الذكاء والحماس

والوطنية (هذا الكلام لكاتب القصة قبل كامب ديفيد ــ المؤلف) وكنت أود أن أرافقهم في الميراج تلك الطائرة المدهشة ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن. وكل ما قمت به في القاهرة في الفترة القصيرة التي قضيتها كان تلبية الدعوات للولائم وارتياد الملاهي المشهورة.وكنت خلال اقامتي هذه قد تأكدت حسب خبرتي من وجود شخصين يتتبعان خطواتي ويلاحقاني للاجهاز عليّ وعندما رأيت الظرف مؤآتيا أطلقت النار عليهما بعد أن كانا قد نصبا لي كميناً في زقاق مظلم وقد تحسبت للأمر وأتيتهما من الخلف فتمكنت من قتل أحدهما واعتقال الآخر كما يحدث في الأفلام السينمائية وقد سلمته للمخابرات المصرية التي اكتشفت بأنه يهودي فرنسي مثل زميله الذي قتل وأنهما عميلين للمخابرات الاسرائيلية « فرع باريس » وقد رافقاني من باريس الى لندن ثم الى القاهرة.. وبعد أن تأكدت من عدم جدوى بقائي في مصر أرسلت برقية للتاجر الخليجي لينهي خدماتي لدى المصريين ويخرجني من مصر بالتي هي أحسن.

حضر التاجر الى القاهرة على عجل حسب طلبي ليفاجأ بأن مهمتي قد تعثرت لعدة أسباب أبرزها وأهمها طمع « حاشية الرئيس السادات » التي كانت تتوقع الحصول على عمولة دسمة على طائرات الميراج. ولما لم يصلوا الى مبتغاهم عملوا جهدهم لعرقلة مهمتي التي شاءت المتناقضات أن يكونوا متعاونين مع المخابرات الاسرائيلية من حيث لا يدرون :

ــ المخابرات الاسرائيلية تآمرت على حياتي في فرنسا ومصر.

ــ المصريون الذين يعتبرون مسؤولين عن التصدي لاسرائيل « في حينه » تآمروا على اسكاتي وعدم قيامي بمهمتي المخابراتية التي موّلها التاجر الخليجي بأموال من بلاده وبذلك بالهائي بالولائم والنساء.. نعم أعترف بأنهم وضعوا في طريقي أجمل النساء المحترفات ولست

أدري هل كنّ من عناصر المخابرات أم من المتبرعات لتقديم الخدمات الاجتماعية ؟

لكن خبرتي مع النساء وبُعْد نظري ساعداني على كسب واحدة منهن لجهتي حيث كانت لي العون الأكبر على خروجي من مصر سالماً بعد أن وَجَدْتُ فيها مع الأسف من ساعد « الموساد » على محاولة التخلص مني حيث دفع التاجر الخليجي مبلغاً كبيراً اضافياً لتسهيل سفري التسللي حيث اعتبر نفسه مسؤولاً عني وعن سلامتي الشخصية.

رجال الـ (C.I.A) في البلاد العربيّة

○ هؤلاء هم رجال المخابرات الأميركية المعتمدين في سفارات أميركا لدى الدول العربية وهم عملاء بكل معنى الكلمة للعمالة تحميهم الحصانة الدبلوماسية. وقد اطلعنا على أسمائهم وأوضاعهم من تقرير أعده أحد خبراء المخابرات المعروفين في أوروبا الذين لاحقوا باهتمام هذه المسألة. وقد عرف هذا الخبير الكثير عن دور المخابرات الأميركية ونعتذر عن ذكر اسمه بناء على طلبه مع العلم بأنه استقى معلوماته من خلال علاقات لا نستثني منها المعارف الشخصية. كذلك جمعها من خلال وثائق ممهورة بختم « بالغ السرية » « سري جداً » وهي تتضمّن معلومات عن عملاء المخابرات الأميركية في الجزائر، السودان، الأردن، تونس، مصر، الكويت، المملكة العربية السعودية.

○ **الجزائر** : إنَّ اهتمام المخابرات الأميركية بالجزائر ملحوظ والرجالات الذين يعملون هناك يحتلون مواقع في غاية الأهمية ويبدو أن المخابرات الأميركية تفيد بصورة جدية من القنوات التي توفرها العلاقات الاقتصادية والتجارية « نفط، غاز طبيعي » مع تلك البلاد.

أبرز العاملين في السفارة الأميركية بالجزائر « تورمان ديسكوتو » موظف كبير ورئيس فرع المخابرات فيها. كان قبل ذلك رئيس فرع المخابرات في كينغستون بجامايكا في أميركا الوسطى. خدم ديسكوتو

تحت ستار « محلل سياسي » في الجيش الأميركي بين ١٩٦٢ — ١٩٦٥ وهناك شغل أول منصب ديلوماسي بوصفه ملحقاً سياسياً في غويا في القنصلية الأميركية العامة في الأكوادور. نقل عام ١٩٦٧ إلى « بوينس آيرس » عاصمة الأرجنتين ثم أعيد إلى الجيش الأميركي كمحلل سياسي يحمل اسم « ضابط تنسيق البرامج » وذلك في عام ١٩٧٠. عام ١٩٧٣ أعيد إلى غويا مجدداً بوصفه ملحقاً سياسياً. مرّ سريعاً في هيئة الأركان التابعة للمخابرات عام ١٩٧٥ ليصبح بعدها رئيس فرع المخابرات الأميركية في « كينغستون » حيث لعب دوراً رئيسياً في اثارة الاضطرابات ضد حكومة « مايكل مانلي » التي عرفت بعلاقات سيئة مع واشنطون. غادر جامايكا عام ١٩٧٨ (وحل محله للعالم دين ألمي الابن) ومنذ عام ١٩٨٠ و « ديسكوتو » يعمل للمخابرات الأميركية في السفارة الأميركية بالجزائر.

وهناك ضابط مخابرات آخر يعمل في الجزائر اسمه « كلود باتريك كونللي » مواليد ٢٦ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٣، خدم في القنصلية العامة الأميركية في كلكوتا بالهند من عام ١٩٧٢ الى ١٩٧٥ بوصفه ضابطاً مهتماً بالشؤون الاقتصادية — التجارية ثم نقل الى السفارة الأميركية في كولومبو بسيري لانكا. ليس معروفاً بالضبط الوقت الذي أمضاه في كولومبو، لكنه نقل للعمل في الجزائر منذ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٠.

○ **السودان:** يبدو أن عمل المخابرات الأميركية في السودان لا يحتل أولوية كبرى. ويبدو أيضاً أن هذا ناتج عن كون التركيز على السودان يحصل من خلال مؤسسات أخرى كالجيش أكثر مما يحصل عبر المخابرات بصورة مباشرة. في كافة الأحوال فإن أبرز رجال المخابرات الأميركية في السودان هو « روبرت ايرفين ماكال » الذي نقل الى السفارة الأميركية في الخرطوم بدءاً من تشرين الأول (اكتوبر)

١٩٧٩. كان ماكال فيها منذ عام ١٩٧٧ في أديس ابابا عاصمة أثيوبيا. أما عمله في الخرطوم فهو رئيس فرع المخابرات الأميركية في السفارة.

○ **تونس**: لا يبدو أن هناك شيئاً خاصاً بالنسبة للتواجد العملياتي للمخابرات الأميركية في تونس ذلك لأن حلول « الجنرال زين العابدين ابن علي » مكان الرئيس « حبيب بورقيبة » الذي كان رئيساً لتونس خلال ثلاثين عاماً ويُتَوَقع بأنه سيكون « رئيساً لها مدى الحياة مثل الجنرال فرانكو والجنرال تيتو ».وبوجود الجنرال « زين العابدين » على رأس الحكم في تونس نعرض بأنه اكتسب الصفات القوية التي مهدت له الوصول للرئاسة وهي :

١ ـــ بأنه من الجيش لأنه لمع بسرعة نتيجة انضباطه ويقال أن والد زوجته الجنرال « الكافي » هو أول من حمل رتبة (جنرال) في الجيش التونسي وهو الذي لعب دوراً هاماً في دفع وتلميع صهره الرئيس الحالي لتونس.

٢ـــ أجهزة الأمن « المخابرات التونسية ».
في المخابرات التونسية عرف أن بداية نجاحه كانت في اكتساب « فن الأمن » قبل الممارسة.فقد اتبع ثلاث دورات تخصص في المخابرات كان آخرها دورة تأهيل لرئيس مخابرات اتبعها في الولايات المتحدة الأميركية. وكان لا بدّ خلال هذه الدراسات الأمنية من اقامة شبكة علاقات قوية وخاصة مع الجميع لدرجة أنه نجح في ذلك وسمي في تونس (رجل أميركا رقم ١).

٣ـــ من السلك الديبلوماسي : فقد عرف بن علي « أسرار » السلك الديبلوماسي وأسرار علاقاته عندما شغل منصب السفير الأول في بودابست والملحق العسكري التونسي في الرباط في عام ١٩٧٤.

٤ـــ الهندسة الألكترونية : درس بن علي الهندسة الالكترونية منذ البداية

في المراحل الجامعية وقد اكتسب القدرة على التنظيم والمتابعة والعمل لفترات طويلة.

وأيضاً حين أصبح الجنرال « زين العابدين بن علي » وزيراً للداخلية وضعت بين يديه ملفات وأسرار الشعب التونسي. ثم وبضوء أخضر من الرئيس بورقيبة خرق اللائحة التنفيذية وعيّن عضواً في اللجنة المركزية للحزب الحاكم ثم عضواً في الديوان السياسي حتى استتب الأمر له وقام بانقلابه الأبيض داخل السلطة والحزب بعد أن أقنع رجال الجيش والمخابرات بأنه ما زال معهم ومنهم واليهم. وهكذا نجد أن السفارة الأميركية في تونس تعيش شهر عسل متواصل بعد أن أصبح الرئيس بن علي ــ الحبيب بن علي. وهي ليست بحاجة لاملاء كوادرها بالعملاء فقد اكتفت بضابط مخابرات واحد هو « وليام بايكر كارلتون » خدم بين ١٩٧٣ و١٩٧٥ في الرباط في المغرب وكان يستتر في البداية بصفة موظف في القسم السياسي ثم كملحق سياسي. ولم نجد شيئاً بخصوصه في أرشيف وزارة الخارجية الأميركية للسنوات ١٩٧٥ ــ ١٩٧٨ عندما ظهر في السفارة الأميركية في طهران. نقل ابتداءً من ايلول (سبتمبر) ١٩٧٩ إلى السفارة الأميركية في تونس ليعمل بالظاهر رئيس القسم الاقتصادي فيها.

○ **مصر:** تركيز المخابرات الأميركية كان وما زال واضحاً على مصر والانفاق كان كبيراً دائماً على المخابرات في مصر. ولا فارق كبير بين العمل في ظل نظام « صديق » كنظام أنور السادات وما بعده أو في ظل نظام « معاد » كنظام الرئيس جمال عبد الناصر. وبدأ فرع المخابرات الأميركية في القاهرة برئاسة « مورانا تيربوف » (تظهر نهاية الاسم كالأسماء السوفياتية) ولكنه أميركي ابن أميركي مولود في ٤ شباط (فبراير) ١٩٢١ حيث استلم رئاسة فرع المخابرات عام ١٩٧٩

كانون الأول. سابقاً كان ضابطاً في جهاز مخابرات الجيش الأميركي ١٩٥٢ حتى تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٦٠، ثم عمل مساعداً للتدريب في « الشركة التعاونية الدولية »، ثم سفيراً في نيودلهي بالهند من تشرين الثاني ١٩٦٠ لغاية آب (أغسطس) ١٩٦١ ثم عمل سكرتيراً أول في سفارة بلاده في أندونيسيا من آب ١٩٦١ لغاية ١٩٦٤. أصبح لاحقاً سكرتيراً أول أيضاً في السفارة الأميركية بالخرطوم عاصمة السودان، حيث ترأس هناك فرع المخابرات من أيار (مايو) ١٩٧٢ إلى شباط (فبراير) ١٩٧٥. انتقل إلى قيادة المخابرات الأميركية من شباط ١٩٧٥ إلى آذار (مارس) ١٩٧٦ ثم أصبح سكرتيراً أول ورئيس فرع مخابرات السفارة الأميركية في نيروبي — كينيا من آذار ١٩٧٦ الى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩، حين نقل الى القاهرة.

وحسب آخر لائحة امكن الاطلاع عليها بأسماء الدبيلوماسيين الأميركيين في القاهرة فإن مساعد مورانا في جهاز المخابرات بالقاهرة هو « تشارلز أنغهارت » المولود في ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٣ حيث خدم في البداية كمستشار في القنصلية الأميركية في كراتشي من ١٩٧١ إلى ١٩٧٢ ثم عاد الى مقر المخابرات الأميركية. التحق عام ١٩٧٥ بـ« مؤسسة السياسة الخارجية » وعاد فظهر في آب ١٩٧٩ بصفته السكرتير الأول للشؤون السياسية في السفارة الأميركية بالقاهرة حيث يخدم تحت أمرة مورانا. كذلك يعمل بالقاهرة « ماتي ليو هوارو » المولد في المانيا بتاريخ ١١ أيار (مايو) ١٩٤٥ ثم حاز على الجنسية الأميركية عام ١٩٦٢.

المعلومات عن ماتي تقول أنه أمضى سنتين في الجيش بين ١٩٧٠ و١٩٧٢، ثم انتقل لسنتين إلى أحد الأجهزة العسكرية كمحلل للمعلومات وهو منصب يخدم في العادة المخابرات الأميركية تحت ستار

من أجل تمويه تدريب الضباط العاملين. انتقل « ليو هوارو » عام ١٩٧٣ إلى « مؤسسة السياسة الخارجية » ليتدرب على تعلم اللغة العربية ولينتقل بعد ذلك إلى سفارة بيروت في عام ١٩٧٥ ثم انتقل إلى السفارة الأميركية في دولة الكويت كمستشار سياسي لغاية آب (أغسطس) ١٩٨٠ حيث نقل إلى القاهرة كسكرتير ثاني للشؤون السياسية.

أيضاً بين الأسماء الهامة في سفارة القاهرة « جون جيوفري اوكونيل » وهو مولود في ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ ضابط عامل في السفارة الأميركية بالقاهرة منذ آذار (أغسطس) ١٩٧٧ وكان محللاً في مخابرات الجيش الأميركي عاميّ ١٩٧١ ــ ١٩٧٢. أنجز دراسته اللغوية « باللغة العربية » في واشنطون وعمل في بيروت كملحق « لمؤسسة الخدمات الخارجية » من أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣ إلى نيسان (ابريل) ١٩٧٥ وفي بيروت عمل كمستشار تجاري ــ اقتصادي بين نيسان ١٩٧٥ حتى آذار ١٩٧٧ ليصبح بعدها سكرتيراً ثالثاً للشؤون الاقتصادية في سفارة القاهرة. وهناك أيضاً « وولتر كروتزر » مولود في ٦ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٣٢ ضابط عامل في القاهرة، ومستشار في مكتب الأمن في سفارة الفيليبين من تشرين أول ١٩٦٥ الى تموز ١٩٦٨ ثم في فيتنام من آب ١٩٦٨ إلى كانون ثاني ١٩٦٩. وهناك كذلك « رونالد دويل » وهو ضابط عامل في قنصلية الاسكندرية. عمل سابقاً في دولة زائير وفي سوريا، و« هانس مانز » مواليد ٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٢ ضابط عامل أيضاً في قنصلية الاسكندرية كان بين ١٩٦٦ و١٩٧٥ مستشاراً في سفارة فيتنام.

○ **الكويت:** لا نذيع سراً إذا قلنا أن دولة الكويت هي ساحة فسيحة لعمل المخابرات الأميركية في منطقة الخليج والمركز الثاني لعمل المخابرات الأميركية هو دولة البحرين حيث يوجد فيها مجال عمل

مماثل أو مكمل رغم أن سياسة الكويت هي سياسة واضحة وسليمة. وقد أتاحت هذه الدولة منذ الستينات الفرصة لآلاف العمال العرب الذين عاد معظمهم إلى بلدانهم وهم يلهجون بالثناء على الكويت وشعبها الكريم (المؤلف).

رئيس فرع المخابرات الأميركية في سفارة الكويت هو « جيمس فرنالد » أحد كبار خبراء المخابرات الأميركية لشؤون الشرق الأوسط، وأحد أبرز قادة المخابرات الأميركية ورجالها العاملين على نطاق دولي. ولد فرنالد في ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٣١ في نيوجرسي، وخدم في بيروت (لبنان) وتعز (اليمن) وعمان (الأردن) وكذلك في فترة لاحقة في السعودية وأبو ظبي كل هذا قبل أن يجري تعيينه عام ١٩٧٨ في الكويت. وتقول اللائحة الخاصة بأسماء الديبلوماسيين الأميركيين أن فرنالد يشغل في الكويت منصب السكرتير الأول للسفارة، ولكن المعروف عنه أنه لا يحب البقاء (ولا يبقى) في منصبه أكثر من سنتين، لذلك يمكن اعتباره منقولاً من الكويت في هذه الأيام ومن الممكن حين صدور لائحة دبلوماسيين جديدة التأكد من تجديد سنين عمله في الكويت.

○ **السعودية:** عرف بأن رئيس فرع المخابرات في المملكة العربية السعودية هو « جاكسون سيفلر » الذي تسلم منصبه من شهر ايلول (سبتمبر) عام ١٩٧٨ كسكرتير أول ومستشاري واقتصادي وقد ورد اسمه على اللائحة الدبلوماسية السرية الموضوعة في كانون الثاني (١٩٨٢). ومساعد « سيفلر » في فرع المخابرات بالسعودية هو « تشارلز واترمان » المولود في ١٦ شباط (فبراير) ١٩٣٨ وهو من ماساشوستس. تخرج من جامعة « جون هوبكنز » مدرسة الدراسات الدولية العليا عام ١٩٦٣ وانتقل للعمل كمساعد في « لجنة البحث »

الخاصة وهي تغطية غير دبلوماسية لعمله الفعلي، وقد أمضى فيها سنة كاملة، ليبدأ بعد ذلك اعماله الفعلية في عام ١٩٦٤ كضابط مخابرات تحت ستار دبلوماسي.سبق له أن خدم في القاهرة وبيروت وعمان ثم عاد الى بيروت قبل أن ينتقل الى جدة في تموز (يوليو) ١٩٧٩.

○ **الأردن:** بلغت المخابرات الأميركية ذروة عملها ونشاطها في الأردن ما بين عام ١٩٦٧ وعام ١٩٧٢ هذه الفترة التي يصح وصفها بالتأسيسية والتي سمحت بتوفير عمل مستقر وناضج للمخابرات الأميركية في عمان/الأردن. وبعد ذلك عيّن توماس ألبن توتين (مواليد ٣١ آذار ـ مارس ١٩٣٥) سبق أن عمل مرتين محللاً في مخابرات الجيش الأميركي من عام ١٩٦١ إلى ١٩٦٢ كذلك عمل ملحقاً ومستشاراً سياسياً في السفارة الأميركية بلاغوس من ١٩٦٢ الى ١٩٦٦ بعد ذلك نقل إلى ليبيا ليكون مستشاراً سياسياً في « مكتب ليبيا » في بنغازي بين نيسان ١٩٦٦ وأيار ١٩٦٨ ليعود بعد ذلك إلى مقر قيادة المخابرات الأميركية من أيار ١٩٦٨ إلى نيسان ١٩٧٠.وقد أصبح بعد ذلك السكرتير الثاني في سفارة أكرا والمستشار السياسي هناك بين ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣ ثم عاد إلى قيادة المخابرات من ١٩٧٣ إلى ١٩٧٦ ليصبح بعدها السكرتير الأول ورئيس المخابرات في سفارة نيودلهي من آب (أغسطس) ١٩٧٦ إلى تموز ١٩٧٩. وفضلا عن توتين هناك اسمان آخران مهمان في عمان :

١ ـ رالف هيوغز ـ مساعد رئيس فرع المخابرات هناك منذ حزيران ١٩٧٨. كان ضابط البرامج في الطيران من ١٩٦٥ إلى ١٩٧٣ وبعد ذلك عمل في السفارة الأميركية في بيروت من ١٩٧٣ إلى ١٩٧٥ وفي السنة المذكورة انتقل إلى قيادة المخابرات الأميركية ومن هناك نقل للاردن.

٢ ــ دونالد تشارلز ماكلفرنغ ــ الضابط الأعلى للاتصالات في السفارة بعمان منذ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٩ سبق أن عمل في مونتيفيديو بين ١٩٧٥ و١٩٧٧ وفي أثينا بين ١٩٧٧ و١٩٧٩ ثم انتقل الى عمّان.



جواسيس المخابرات الأميركيّة في ألمانيا الغربيّة واليونان

○ **تاريخ المخابرات الأميركية ملطخ بالجرائم التي ارتكبتها داخل المانيا الغربية فهي لا تبسط هيمنتها ونفوذها على أجهزة مخابرات المانيا الغربية فحسب وانما تقوم بالكثير من العمليات الموجهة ضد الحركات السياسية الالمانية نفسها، والأمر الجديد الذي ظهر إلى العلن وأخذ يثير غضب الكثيرين من الالمان هو الدور الذي تلعبه المخابرات الأميركية الآن في برلين الغربية.**

○ سيطرت المخابرات الأميركية بعد دعاوي الارهاب التي لفقتها بصورة تكاد تكون كاملة على أجهزة الشرطة والمخابرات، فهي بحكم كونها مسيطرة على القوة العسكرية في المانيا الغربية. وبرلين الغربية تلاحق من مدة المواطنين العرب وتعتقلهم وتوقف حتى الدبلوماسيين العرب والأفارقة وتحقق معهم ومن ثم تعيدهم الى الطرف الشرقي من مدينة برلين، منتهكة بذلك القوانين والأعراف الخاصة بهذه المدينة. وقد علمنا أن هذه الأجهزة الارهابية أوقفت خلال العام الماضي ١٩٨٧ عشرات الدبلوماسيين والصحافيين ومئات المواطنين العرب وحققت معهم أو لاحقتهم بالسيارات ورصدت كل تحركاتهم. دبلوماسيون عرب

وأفارقة أشهرت في وجوههم المسدسات وأرغموا على رفع أيديهم الى الأعلى على الطريقة الأميركية السينمائية أو كالأسرى. مدنيون مسلحون في سيارات مدنية هاجموا مواطنين عرب وقيدوهم وبعد أن سرقوا أوراقهم الخاصة أولاً وأموالهم ثانياً لاذوا بالفرار. ومهما تكون هوية القائمين بهذه الأعمال فإن المخابرات الأميركية وراءهم وتنظمهم سواء بصورة رسمية أو غير رسمية فهي في المانيا الغربية وبرلين الغربية بالذات تعتبر نفسها في بيتها بسبب الامتيازات الاستثنائية التي تمكنها من تنظيم مؤامراتها ضد الجميع :

البلدان الاشتراكية والحركات التقدمية الالمانية والمؤسسات العربية هي التي تواجه المخططات الأميركية. على أي حال فإن الامتيازات التي تمتلكها المخابرات الأميركية ليست مجرد امتيازات قائمة على التعاون الوثيق مع مخابرات المانيا الغربية وانما مرتبطة باتفاقيات باريس التي تسمى بـ« اتفاقيات القوات » مع الولايات المتحدة والتي تمت المصادقة عليها في عام ١٩٥٥ وأدت إلى الحدّ من سيادة المانيا الغربية. فاتفاقيات باريس تنص على : « ان الحقوق المتعلقة بحماية أمن القوات العسكرية في المانيا الغربية يمكن أن تمارس من قبل قوات الدول الثلاث (الولايات المتحدة الأميركية بريطانيا وفرنسا) ». ولكن هذه الحقوق الأمنية من قبل الولايات المتحدة لم تعرَّف أبداً، بل على العكس جرى استخدامها دائماً بصورة مضادة للمصالح الوطنية للشعب الالماني.
من جهة أخرى عمدت السياسة الحكومية لالمانيا الغربية دائماً إلى تحويل المانيا الغربية الى اكبر شريك « للامبريالية » الأميركية في أوروبا الغربية وداخل حلف « الناتو » عبر الاتفاقيات الثنائية التي حولت المانيا الغربية إلى « تابع » للسياسة الأميركية. ولم تجد الولايات المتحدة الأميركية شروطاً وحقوقاً داخل البلدان الأوروبية التابعة لحلف « الناتو » أفضل من الحقوق المنحدرة من فترة احتلال المانيا، والتي استثمرتها

وأبقت عليها على شكل قيادات عسكرية أو مراكز تجسسية قيادية، متوزعة على مختلف مناطق المانيا الغربية. وباسم المصالح الأمنية جرى تمويه هذه المراكز التي تتقنع تحت أسماء مختلفة، في حين أنها تمارس التجسس والتخريب والارهاب ضد القوى التقدمية. والأكثر من ذلك أن المانيا الغربية نفسها مرغمة على حماية سرية هذه المراكز الجاسوسية الأميركية. وليس صدفة أن الذين يتصدون لكشف أسرار نشاط المخابرات الأميركية في المانيا الغربية يتعرضون للملاحقة القانونية. أما عن ذلك في الصحف فيعتبر من المحرمات التي لا يمكن التطرق لها أو حتى محاولة كشفها. ومن هنا تأتي أهمية كشف هذه المراكز الجاسوسية الارهابية والتي أسهمت بصورة فعّالة ولا تزال في التآمر. ليس ضد البلدان الاشتراكية المجاورة فحسب وإنما تتآمر أيضاً ضد سوريا وليبيا والثورة الفلسطينية. ولعلم القارئ فإن المخابرات الأميركية تمتلك ٧٥ مركزاً تجسسياً في المانيا الغربية وحدها من بين (٢٠٠ مركز) خارج الولايات المتحدة الأميركية. والاكثر من ذلك أن المركز الرئيسي للمخابرات الأميركية لكل القارة الأوروبية يقع في مدينة فرانكفورت (ماين) في المبنى الذي كانت تحتله شركة « اي. غي. فاربين. اندستري » الكيماوية الألمانية الغربية سابقاً، باسم مموّه لاحدى المؤسسات التابعة للجيش الأميركي. وهذا المركز يتسلّم المعلومات الجاسوسية من ٢٥ بلداً أوروبياً.

أما رئيس المخابرات الأميركية لفرع المانيا الغربية فيعمل داخل المكاتب الخارجية الملحقة بالسفارة الأميركية في بون. وهذا يفسر العدد الكبير من الدبلوماسيين الذين يعملون في السفارة الأميركية حيث يزيد عددهم على الألف شخص. وواضح أن معظم هؤلاء هم في الحقيقة جواسيس يعملون لحساب المخابرات الأميركية ولا علاقة لهم بالعمل الدبلوماسي. وهذه أسماء آخر ثلاثة كانوا رؤساء لفرع المخابرات

الأميركية في المانيا الغربية وهم :

١ ــ (وليم جي. غريغير) من عام ١٩٧٦ إلى ١٩٧٧ وهو من مواليد آذار (مارس) ١٩٢٢ وكان ينتحل صفة (ملحق) ويقيم في بون، شارع فريتز ــ ايرلر ــ رقم ٢١ ورقم تلفونه (٢٢٥١٥٦). عمل لمدة ١٩ عاماً في الجيش الأميركي، أمضى ١٥ عاماً منها في وزارة الدفاع. ثم عمل لمدة ١٥ عاماً في المخابرات الأميركية أمضى معظمها في فيينا وبرلين الغربية.

٢ ــ (واري ي. فرانك) من عام ١٩٧٧ إلى ١٩٧٩ وهو من مواليد ٤ حزيران (يونيو) ١٩٢٥ ينتحل صفة (ملحق) وكانت إقامته في شارع مارتن لوتركنغ، رقم ٣/٣ ورقم تلفونه (٣٧٥٥٨٥). وعمل قبل ذلك كمسؤول عن فرع مخابرات مدينة هامبورغ ثم عمل في مركز بون.

٣ ــ (توماس بولغار) من عام ١٩٨٠ ــ ؟ وهو من مواليد ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٢٤ ويحمل أيضاً صفة (ملحق) في السفارة الأميركية ويقيم في نفس المسكن الذي كان يسكنه (وليم غريغير) في شارع فريتز ــ ايرلر رقم ٢١ ورقم تلفونه (٢١٠٧١٥) وهذا الجاسوس الأميركي معروف بتآمره المستمر ضد المانيا الديموقراطية والبلدان الاشتراكية والعديد من البلدان التقدمية في العالم الثالث.

مراكز المخابرات الأميركية في المدن الالمانية

ومن أجل ضمان تدفق المعلومات وممارسة التخريب والارهاب تمتلك المخابرات الأميركية في المانيا الغربية مجموعة مما يطلق عليه اسم قواعد الـ (السي. آي. إيه) ولكل قاعدة مسؤول خاص عنها واليك هذه القواعد مع عناوينها.

- قاعدة مدينة هامبورغ السرية، وتقع في شارع اليستر روفر، رقم البيت (٢٧) رقم التلفون (٣٦٥١٢٤).
- قاعدة مدينة بريمن، وتقع في ساحة الرئيس كنيدي، رقم البيت (١). تلفون (٢٨٦٧١٣).
- قاعدة مدينة دوسلدرون، وتقع في شارع سيسليان إليه، رقم البيت (٥). تلفون (٣٥٧٢٣٤).
- قاعدة مدينة فرانكفورت (ماين) وتقع في شارع سيسمايار، رقم البيت (٢١). تلفون (٢٢٤٨١٥).
- قاعدة شتوتغارتو، في شارع أوربان، رقم البيت (٧).
- قاعدة مدينة ميونيخ في شارع كونيفين، رقم البيت (٥).

○ وهناك أسباب سياسية وعسكرية عديدة تمكن المخابرات

الأميركية من اداء دور خاص في منطقة بايرن. فهذه المحافظة تمتلك حدوداً مع أربع دول، اشتراكية ومحايدة هي المانيا الديموقراطية، تشيكوسلوفاكيا، النمسا، وسويسرا. كما أن بايرن التي تقع في قلب أوروبا تمتلك تاريخياً وروحاً عسكرية رجعية وتعتبر منطلقاً للسياسات العدوانية. في بايرن ايضاً تقع معظم المراكز الأميركية المختصة بخوض « الحروب السرية » والدعاية الايديولوجية والسياسية المعادية والمضادة. وتعتبر ميونيخ مركزاً تقليدياً لمنظمات اللاجئين الرجعية والانتقاميين من كل الأصناف، بالاضافة إلى أنه يقع على مقربة من ميونيخ المركز الرئيسي للمخابرات الالمانية الغربية (B.N.D.) والتي تنسق جميع أعمالها مع المخابرات الأميركية ومع حملة التخريب التي قادتها المخابرات الأميركية ضد بولندا. وظهر مؤخراً اسم رئيس قاعدة ميونيخ للمخابرات الأميركية والمذكور عنوانها بالتفصيل أعلاه، هذه القاعدة تتخفى تحت اسم وهمي مضلل هو (مكتب التنسيق والاستشارة) أما رئيس هذه القاعدة الجاسوسية فهو « وليم ب. لونام »، المولود في ٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٦، والذي عمل قبل ذلك ١٤ عاماً في خدمة البنتاغون، ثم انتقل الى الخدمة في المخابرات الأميركية من منتصف الستينات حيث عمل في روما وميلانو. ثم انتقل بعد ذلك الى المانيا الغربية مع جاسوس آخر هو هانس ناثان توخ الذي يحمل صفة دبلوماسية ويتقن ويتحدث بطلاقة اللغات الالمانية والروسية والانكليزية والبلغارية. ومن أجل تبادل المعلومات السرية بين مراكز المخابرات في أوروبا والمانيا الغربية هناك مركز خاص للاتصالات، يعمل ليلاً نهاراً بدون انقطاع ويقع في قاعدة راين ـــ ماين الجوية الأميركية. وليس نادراً أن يتخفى ضباط المخابرات الأميركية وموظفوها العاملون في المانيا الغربية وراء وظائف عسكرية مثل مكتب وزارة الدفاع الأميركية لشؤون الأمن الدولية. لكن حرية الحركة والعمل أمام المخابرات المركزية الأميركية لا تقتصر على المراكز والقواعد فقط، ذلك أن هذه المخابرات تستطيع أن تتحرك في أي مكان

وأي زمان، ليس في المانيا الغربية فقط وانما في كل أوروبا الغربية، فهي تمتلك مراكز خاصة بها ومحتليات داخل كل رئاسات الأركان التابعة لحلف « الناتو ». وبذلك تحصل على كل المعلومات التي تريدها وتستخدمها لأغراضها الخاصة.

بعض مراكز المخابرات الأميركية ضد الوطن العربي

○ وهكذا علمنا كيف تحصل المخابرات الأميركية على المعلومات التي تتدفق إلى مركزها الأوروبي الرئيسي الواقع في فرانكفورت من أجهزة المخابرات الأخرى الواقعة في قواعد حلف « الناتو » وأهم هذه الأجهزة التي تتعامل معها هي :

١ ــ مركز الخدمة الجاسوسية التابع للمكتب العسكري الدولي داخل اللجنة العسكرية لحلف الناتو في بروكسل ــ إيفير.

٢ ــ قاعدة الخدمة التابعة لحلف « الناتو » والمسؤولة عن كل الأنظمة الجاسوسية والالكترونية الطائرة في أوروبا من طراز « أواكس » ابتداء من القاعدة الجوية الواقعة في تيغيرين على مقربة من غايلينكيرشين الواقعة على حدود المانيا الغربية مع هولندا.

٣ ــ المركز العام لكل قطاعات القوات المسلحة في أوروبا الغربية (USEUCOM) والواقع في شتوتغارت ــ فايهنكين والذي يقوده جنرال اميركي ذو أربعة نجوم، وهو في الوقت ذاته القائد العام لقوات الحلفاء في أوروبا.

٤ ــ المركز العام للجيش الأميركي في أوروبا (USAREUR) والواقع في هايدلبرغ.

على أي حال فإن مجال (USEUCOM) رقم ٣ الذي يمتلك أجهزة تجسسية ذات مستوى علمي وتكنيكي رفيع، يشمل ٣٣٧ ألف ضابط وجندي أميركي ويمتد من الكاب الشمالي في النروج وحتى البلدان الساحلية في افريقيا والشرق الأوسط، وعلى الأخص بلدان البحر الأبيض المتوسط.

○ من المانيا الغربية أيضاً تنطلق الجاسوسية الأميركية الخاصة بأوروبا والشرق الأوسط. ومن أهم هذه المراكز التجسسية العسكرية ضد بلدان حلف « وارسو » والبلدان العربية هي :

- ثلاث مجموعات للاستكشاف البعيد، توجد في هايدلبرغ وفرانكفورت (ماين) وشتوتغارت.

(Intelligence, Military Police and Special Weapons – School-Europe).

مدرسة المخابرات، مدرسة لتخريج الشرطة العسكرية ومدرسة لتخريج خبراء بالأسلحة الخاصة. وتقع هذه المدارس في معسكر هاوكينس في أوبيراميرغا وفي منطقة بايرن والتي تتولى تدريب الجواسيس واختصاصيي التحري البعيد للمهمات الخاصة بالاضافة الى تدريب الشرطة العسكرية واختصاصيّ الأسلحة الكيمائية وتكنيك متفجرات التخريب والارهاب.

- (10. Special Forces Group) وهي المجموعة العاشرة للقوات المسلحة الخاصة والواقعة في بادتولز في بايرن العليا، وهي وحدة خاصة، تقوم بالتجسس والتخريب والتفجيرات والاغتيالات ومركزها الرئيسي في فورت براغ في ولاية كارولينا الشمالية في الولايات المتحدة الأميركية أصلاً.

○ بتاريخ ٣٠ أيار (مايو) ١٩٨٢ كشف الخبراء أن البنتاغون الرئيس الاداري للمخابرات الأميركية كان قد أوعز الى هذه الوحدات

الخاصة بالقيام بسلسلة من التفجيرات وأعمال التخريب المحلية وتدريب عصابات الثورة المضادة ومنظمات الارهاب الرجعية والارهاب المضاد وهو من أعمال هذه المخابرات وتصدير كل ذلك إلى بعض الأقطار العربية التقدمية. وهناك لدينا الكثير من الأدلة على أن هذه الوحدات كانت تقف وراء العديد من المنظمات الرجعية العاملة ضد سوريا بسبب موقفها المتميز ضد مؤآمرات الأمبريالية والصهيونية وضد ليبيا وفي لبنان. والأكثر من ذلك أن الأدلة تتوفر يوماً بعد يوم ومنها التأكد على أن نسف ملهى « لابيل » الذي اتخذته الولايات المتحدة أي « ريغان » ومخابراته ذريعة للهجوم العسكري الغادر على الجماهيرية هذا الهجوم الذي جاء متخطياً جميع الأعراف الدولية والقانونية لكنها المخابرات الأميركية على طريقة (خالف تعرف).

على أية حال فإن هناك « حرباً سرية » يومية مستمرة، تقودها المخابرات الأميركية ليس ضد البلدان الاشتراكية وحدها وإنما أيضاً ضد الأقطار العربية التقدمية، وتوجهها من مراكزها وقواعدها التي ذكرناها والموجودة في المانيا الغربية. وللعلم أنه إذا كانت الطائرات المعادية الأميركية التابعة لحلف « الناتو » قد هاجمت ليبيا من قواعد بريطانية فإن خطة الهجوم والاعداد له وضعت في شتوتغارت بالتعاون مع المخابرات الأميركية نفسها والمركز العام للقوات المسلحة في أوروبا الغربية (USEUCOM)، حيث قامت مجموعات المركز بدراسة الموقف العسكري وتحديد الأهداف ثم أخذت الضوء الأخضر من كبيرهم « ريغان ». وهذا يعني على الأقل أن ينتبه العرب وأولهم الجماهيرية التي سبق أن كتبت للاعلام الليبي فيها عدة مقالات بعنوان « على الجماهيرية اليقظة » حيث حدث ما توقعته ككاتب متواضع. والآن أكرر الطلب بالانتباه الى الدور التخريبي والارهابي الذي تقوم به مخابرات الولايات المتحدة من أراضي المانيا الغربية المفتوحة أمامها للتآمر ضد جميع القوى التقدمية في افريقيا والشرق الأوسط وخاصة بلادنا العربية.

المخابرات الأميركية في اليونان

○ فرع المخابرات المركزية الأميركية في اليونان هو واحد من أهم الفروع في أوروبا الغربية كلها نظراً للابعاد المتعددة الأوروبية والشرقية والشرق أوسطية التي تتمتع بها اليونان. وهذه عيّنة من آخر رؤساء هذه الفروع وهم :

ــ ستاسي ب. هولس. مولود في ٢٥ نيسان (أبريل) ١٩٢٠ سبق أن عمل مستشاراً سياسياً في مخابرات الجيش الأميركي بين ١٩٤٧ و ١٩٥٠. ترك هذا المنصب ليعود إليه في عام ١٩٥٢ ويبقى فيه حتى شباط (فبراير) ١٩٥٥. حيث أصبح ملحقاً ومستشاراً سياسياً في السفارة بلاهاي في هولندا لغاية ١٩٥٨ ثم عيّن قنصلاً في قنصلية تريستا بايطاليا من حزيران ١٩٥٨ الى تموز ١٩٦٢، ثم ملحقاً ومستشاراً في السفارة الأميركية بروما لغاية تشرين الأول ١٩٦٤. ثم انتقل إلى المقر العام للمخابرات الأميركية للعمل في « مؤسسة الخدمات الخارجية » حيث درس اللغة اليونانية ليصبح بعد ذلك سكرتيراً ومستشاراً سياسياً ورئيس فرع المخابرات بنفس الوقت في السفارة الأميركية بأثينا من تموز (يوليو) ١٩٧٢ لغاية تموز ١٩٧٥. نقل في آب (أغسطس) ١٩٧٥ ليرأس فرع المخابرات الأميركية في أتاواة بكندا إلى نهاية ١٩٧٧ ليعود بنفس المرتبة إلى سفارة أثينا.

ــ ريتشارد سكيفنغتون ويلس. من مواليد ١٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٩، كان رئيس فرع المخابرات في السفارة الأميركية بأثينا من تموز (يوليو) ١٩٧٥ إلى كانون الأول من العام نفسه. وبين ١٩٥١ وأيار (مايو) ١٩٦٠ عمل محللاً اقتصادياً في مخابرات الجيش ثم ملحقاً ونائب قنصل ومستشاراً اقتصادياً في القنصلية الأميركية بنيقوسيا عاصمة قبرص حيث نقل الى المخابرات العامة ثم الى السفارة في غواتيمالا من أيار ١٩٦٦ الى آذار ١٩٦٧. بعد ذلك أصبح مستشاراً سياسياً في السفارة بجورجتاون في غوايانا الى ايلول ١٩٦٩.عاد الى المقر العام للمخابرات وبقي فيه حتى حزيران (يونيو) ١٩٧٢ حين أصبح ضابطاً عاماً للعلاقات الدولية في السفارة بليما (البيرو) وهو المنصب الذي بقي يشغله حتى ارتقى الى منصب سكرتير أول في هذه السفارة وظل فيها حتى تموز من العام نفسه ليعود إلى السفارة في أثينا كما شرحنا أعلاه ومن ثم لقي مصرعه واعيد الى مسقط رأسه، في صندوق سياسي يحمل ختم سري جداً.

ــ رونالد ادوارز أستس. من مواليد ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩٣١. سبق أن خدم في مخابرات الجيش من عام ١٩٥٧ الى ١٩٦٢، ثم عمل اخصائياً في ميدان الاتصالات في السفارة الأميركية بنيقوسيا (قبرص) لغاية ١٩٦٤ وأمضى عام ١٩٦٥ في المقر العام للمخابرات الأميركية، ثم انتقل كملحق ومستشار تجاري ــ اقتصادي في السفارة ببراغ (تشيكوسلوفاكيا) لغاية ١٩٦٥ ثم سكرتيراً ثانياً ونائباً للقنصل حتى ١٩٦٧. نقل الى المقر العام للمخابرات الأميركية لغاية ١٩٧٠ ثم انتقل الى السفارة في بيروت كسكرتير ثان ومستشار اقتصادي وتجاري من ١٩٧٠ الى ١٩٧٤ حين انتقل الى أثينا ليبقى فيها.

ــ روبرت سل. من مواليد كانون الأول ١٩٣٥. ضابط الاتصالات في السفارة بأثينا منذ نهاية عام ١٩٧٨. كان تقنياً في شؤون الاتصالات

في مخابرات الجيش الأميركي بين ١٩٦٣ و١٩٦٥، ثم ضابط اتصالات في السفارة الأميركية ببيروت من ١٩٦٥ لغاية ١٩٦٨. انتقل الى بانكوك (تايلاند) في تشرين الأول ١٩٧١، وبعدها الى سفارة ابيدجان (ساحل العاج) كضابط اتصالات حتى شباط ١٩٧٤ تاريخ حضوره الى اليونان.

وهناك لعلم القراء والمسؤولين الأمنيين عناصر أخرى من الصفّين الثاني والثالث عملت في السنوات الأخيرة وبعضها لا يزال يعمل في السفارة الأميركية بأثينا ومنهم :

— ميلتون ألدريدج (مواليد ١٧ تموز ١٩٣٨)
— جس ل. بايكر (مواليد ٣٠ كانون الثاني ١٩٤١)
— روبرت ج. بايكر (مواليد ١٠ تشرين الثاني ١٩٣١)
— جيمس دونالد بالدوين (مواليد ٢٧ آب ١٩٢٩)
— دونالد بيكيت (مواليد ٢٢ نيسان ١٩٢٥)
— روبرت ديوبلاير (مواليد ٣ ايلول ١٩٤٠)
— بيفرلي ب. برادشو (مواليد ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٠)
— رويس ل. برو (مواليد ٧ تشرين الثاني ١٩٢٤)
— هوارد س. بوسي (مواليد ٢٦ تشرين الأول ١٩٣٦)
— جون م. بوش (مواليد ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٩)
— فان كليف كامبيل (مواليد ١٠ تشرين الأول ١٩٢٨)
— إيلدون ي. تشاريست (مواليد ٦ ايلول ١٩٣٢)
— روبرت أ. كلارك (مواليد ٨ تشرين الأول ١٩٣٧)
— ريتشارد س. كوك (مواليد ١٤ شباط ١٩٢٢)
— وليام اي. كريدن (مواليد ٢٦ كانون الأول ١٩٣٢)
— جاين ب. كورتس (مواليد ١٣ نيسان ١٩٤٤)
— دونالد س. دايفل (مواليد ٢ شباط ١٩٣٦)
— سام ب. ايلبون (مواليد ٩ تموز ١٩٣١)
— وليم ج. ايفانز (مواليد ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٩)



(فرناند لوغرو أخطر عميل للمخابرات الأميركيّة) يكشف النقاب عن أعمالها القذرة :

- المخابرات الأميركية تساهم في مقتل همرشولد الأمين العام للأمم المتحدة .

- المساهمة في إفلاس بنك "انترا"

- المخابرات الأميركية تعد كريم بلقاسم ليعمل لصالحها عندما يستلم الحكم بالجزائر .

- العميل فرناند لوغرو - يعيد تاريخ ألف ليلة وليلة على طريقته الأوروبية وعلى حساب المخابرات في العالم .

من هو العميل المصري الأصل « فرناند لوغرو »؟



○ **فرناند لوغرو.** إنسان ينتمي إلى أبناء الجاليات المختلفة في مدينة الاسكندرية في جمهورية مصر العربية مثل، داليدا، وجورج موستاكي، وكلود فرانسوا. ومن منزلة « الصفر » قفز بأعجوبة صاروخية وأصبح ملك الليل واللوحات الزيتية وصديق للمشاهير من الرؤساء والمشاهير. وأخذ يؤثر في سياسة عدد من الدول. من أبرز أصدقائه كان المستر داغ هامرشولد ــ الأمين العام السابق للأمم المتحدة، الدكتور محمود فوزي السياسي الوزير المصري السابق.

المخابرات الأميركية دائماً تبحث عن أمثاله للاستفادة من نشاطاته وعلاقاته مع المشاهير لذلك لم تتأخر عن تطبيعه وجعله من عملائها وأغدقت عليه الأموال وجعلت الكتاب الموالين لها ينشرون عنه

الكتب باللغتين الانكليزية والفرنسية حيث وضع عنه « روجيه بيرفيت » كاتب فرنسا المعاصر مؤلفاً من الأهمية بمكان تحت اسم (المغامر Adventuer) وبسبب وجوده في أوروبا تعرف على بعض الثوار الجزائريين بدءاً من كريم بلقاسم الذي التقى به عند داغ هامرشولد...

في ذلك الوقت كانت الحكومة الفرنسية تضم بين أعضائها وزيراً عرف فرناند من صديقه محمود فوزي أنه كان سفيراً سابقاً لبلاده في مصر. وكانت له في القاهرة علاقات شاذة مع أحد الشبان مما سبب « طرده » من مصر فيما بعد. وكان هذا الوزير على صداقة جيدة وحميمة مع هامرشولد الذي يبدو أنه كان يرعى هذه الطبقة من أهل السياسة والديبلوماسية. وفي عام ١٩٥٨ احتفل فرناند بمليونه الثاني من الدولارات بمتابعته مبيعاته الخارقة التي كان من بينها مبيع لوحة للممثلة غريتا غاربو رسمها الفنان فويار وكأن أعياد الميلاد أصبحت تحسب بالدولارات لا بالسنوات. وفي ذلك الوقت قرر فرناند الذهاب الى المكسيك وبلاد أميركا الجنوبية، فأعطته المخابرات الأميركية توصية للرؤساء هناك كما أعطاه داغ هامرشولد رسائل توصية لأصدقاء له في الحكم، وما كان أكثرهم، بحكم موقعه كأمين عام لهيئة الأمم المتحدة.

ولكن كيف كان فرناند يتصل بعملاء المخابرات الأميركية في البلاد التي يزورها ؟ كان يذهب حسب التعليمات إلى مكان معين في بار أو مقهى. وكان يأتي أحد الأشخاص ويجلس بجانبه ويلفظ على مسمع منه كلمة السر « كوليبري » ثم يطلب من عازف البيانو أغنية « الحياة ذات لون زهري » لأديت بياف وهي الأغنية التي كان فرناند يعشقها ويطلب من رؤسائه في المخابرات الأميركية أن تكون « كلمة السر ».وكان يضحك من ذلك لأنه كان يعرف أن السوفيات كانوا يختارون لجواسيسهم الحاناً مشهورة يستخدمونها كـ« كلمات سر » ويبثونها عبر اذاعة موسكو مثل لحن « بحيرة البجع ». ولكن « كلمة السر » هذه لم تكن تكفي لأنها قد

تكون أتت بمحض الصدفة. وكانت مرحلة حديث فرناند الثانية مع العميل تتعلق بالفن حيث يقول الجملة الآتية : « عندي زبون يطلب لوحة لفان غوغ من فترة حياته في آرل » ومعناها الاجتماع هام جداً ومستعجل ويبدأ الطرفان بالحديث عن التجسس بعد اطمئنانهما لبعضهما.

أما عن العمليات التي قام بها فرناند فهي كثيرة ونذكر في هذا الفصل منها المثير والخطر. ففي ذات يوم تلقى فرناند من المخابرات الأميركية صورة رجل تطلب منه القبض عليه وكانت المخابرات الأميركية على ما يظهر أنها قد عجزت عن القاء القبض عليه لأنه صعب الطباع وكانوا لا يريدون قتله. وهذا الرجل المطلوب من المخابرات الأميركية كان لواطياً ولذلك اختاروا عميلهم فرناند لأنه خبير في هذه الأمور الشاذة كما كان الهدف المطلوب يحب الفن والفنون واقتناء اللوحات الفنية. فتبعه فرناند في أحد الأيام الى المتحف وبدأ معه « صدفة » حديثاً عن الفن، ثم جعل جواز سفره الكندي يسقط على الأرض « خطأ »، (وهو الجواز الذي كان يستعمله فرناند في مهماته) لكي يكسب ثقة الرجل... وبعد الحديث دعاه فرناند الى بيته للتفرج على بعض اللوحات التي بحوزته إذ أخبره أنه « تاجر لوحات ». لبّى الرجل دعوته وفي المنزل دسَّ له في كأس قرصاً منوماً من انتاج الـ سي. آي. اي. جعله ينام بسرعة ثم أخرج الرجل من المنزل في حقيبة كبيرة من قبل المخابرات. ولم يعرف العميل فرناند من كان ذلك الرجل ولماذا تطلبه المخابرات ولا ما حلَّ به فيما بعد.

○ ومع زيادة نشاطه وعمالته طلب منه رئيسه المباشر في المخابرات الأميركية قبول منصب الملحق الثقافي الأميركي في السفارة الأميركية في القاهرة كمكافأة له على اخلاصه لهذه المخابرات على مختلف الأصعدة والتآمر وكان رد فرناند : « أني فخور بكوني أحمل الجنسية الأميركية

الآن ولكني لا أخون بلدي الأصلي « مصر » كما لا أخون الولايات المتحدة ».

ويذكر فرناند عن التجارة التي يحبها ويفضلها، (بعض أعماله التجارية بعيداً عن اللوحات التي كانت تلاقي النجاح الهائل أيضاً). منها تجارة المباني والمنشآت السياحية في البرازيل وجزر الكارايب التي ضاعفت ملايينه. ومن المعروف أنه كان يحب الأوسمة والنياشين لا لشيء إلا للسخرية من القدر وهذه الأوسمة والنياشين كان يملك منها الكثير ومنها وسام عربي من المونسنيور جورج حكيم مطران الكاثوليك سابقاً (البطريرك مكسيموس حكيم) وقد منح له هذا الوسام في ١٥ حزيران (يونيو) ١٩٥٥ وهو وسام « الصليب من الدرجة الأولى » ويقول فرناند : استطعت الحصول على وسام من « المنظمة العسكرية للحلفاء » بتاريخ ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٨ بلقب « ضابط أركان حرب » للشجاعة التي أبداها أمام العدو الألماني في الجبهة ». وكان الوسام عبارة عن ميدالية آيزنهاور. ولكن مانح الوسام نسي أن فرناند لم يكن بحياته ضابطاً كما لم يكن هناك أية جبهة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥. وكانت هذه الأوسمة تأتي نتيجة علاقات شخصية وصداقات حميمة وأحيانا بالهدايا والأموال. ويحكي فرناند أنه في أحد الأيام تملكته الرغبة في أن يتحدى القدر ويعيد قصة الديبلوماسي الفرنسي « بيرل موسميه » الذي ضبط في « سنترال بارك » في نيويورك في وضع شاذ مع أحد الشبان الأميركيين... فذهب الى هناك وكان له ما أراد، ولكن البوليس الأميركي القى القبض عليه واقتاده الى المركز حيث طلب فرناند من قائد شرطة هذا المركز أن يتصل له برقم معين ويقول لهم أنه يتحدث من قبل « كوليبري » وهي كلمة سرّ أو اسمه الحركي لدى المخابرات الأميركية وكان أن تم اطلاق سراحه بعد لحظات فخرج وهو يرمق قائد الشرطة بابتسامة سخرية.

وقد كلف فرناند بمهمة صعبة في الصين الشعبية وكانت المهمة في ذلك الوقت أن يسافر الى « يون نام » ليلتقي بالجنرال يوهان. وهذا الجنرال كان يهتم بتجارة السلاح، وبشكل خاص بتجارة الأفيون. وكانت له مع المخابرات الأميركية علاقات جد سرية وكان المطلوب من الجنرال يوهان أن يعمل على وقف تدفق الأسلحة لبضعة أشهر نحو ثوار الفيتكونغ وأن « يوجّه » تجارة الأفيون نحو الدول الشيوعية لقاء عدة ملايين من الدولارات فقام بمهمته هذه خير قيام. ولدى عودته أضاع المرافق الصيني الذي كان دليله على الطريق فوقع في قبضة إحدى الدوريات الصينية وأخذ الى سجن المخابرات الصينية بانتظار التحقيق. ولكنه استطاع الهرب بعد ليلة قضاها وبمعاونة أحد الحراس الحمر فقد كان عند الرجل دائماً الوسيلة الكفيلة بتليين الحديد والانسان صينياً كان أم غيره ليس من حديد.

ومهمة أخرى في الشرق الأقصى حيث كلف فرناند بمهمة كادت أن تودي بحياته. فقد كان عليه اكتشاف الخطوط التي تمرّ عبرها الأسلحة المهربة بين برمانيا وتايلند. وذهب الى هناك بحجة أنه راقص جاء ليدرس الرقص الفولكلوري في المنطقة الحدودية بين البلدين. وكاد أن يتسمم من جراء تناوله لنوع خاص من السلطة المعروفة في تلك المنطقة وهي سلطة غريبة تختلط فيها الخضار باللحوم والأسماك ومشتقاتها مع التوابل الحارة.

○ كان الأمين العام للأمم المتحدة (في حينه) داغ هامرشولد قد عرَّف العميل فرناند الى صديق من ليبيريا يدعى « أدولفوس تولبير » الذي كان قد حضر الى الأمم المتحدة من أجل قضايا تتعلق ببلاده حيث كان والده نائباً لرئيسها. وبناء لنصائح ادولفوس « استثمر » فرناند أموالاً في مونروفيا (عاصمة ليبيريا) في شركات هامة جعله ادولفوس مديراً عليها. وبموافقة هذا الصديق الليبيري نظم فرناند فرعاً خاصاً من تجارته للتجارة

بالسلاح الخفيف، طالما أنه بعد مهماته في هذا المجال قد أصبح مطلعاً على أسرار هذه التجارة، وكان التهريب يتّم عبر مرفأ مونروفيا. وقد قدم له توليبر بمساعدة والده طبعاً جواز سفر دبلوماسي لتسهيل أسفاره. وكان فرناند يشتري السلاح من أوروبا ويرسله الى مونروفيا ومن هناك يتجه الى اماكن مختلفة من العالم.

مقتل هامرشولد الأمين العام للأمم المتحدة

○ كان فرناند قد أصبح أسيراً لأحلام ذهبية واسعة بعدما أعلن ملك بلجيكا في حزيران (يونيو) ١٩٦٠ استقلال الكونغو ثم انضم هذا البلد في ايلول (سبتمبر) من نفس السنة الى الأمم المتحدة. وكان « موييس تشومبي » ينوي الانفصال بكاتانغا عن الكونغو. وكان « تشومبي » يحوز على اهتمام المخابرات الأميركية بسبب « رغبته » في الانفصال عن الكونغو التي كانت تتجه نحو خط اشتراكي نوعاً ما وهو ما أزعج المخابرات الأميركية لأنه يعتبر خطأً يضر بمصالح الأميركيين ومخططاتهم. وكان هامرشولد يريد الوحدة للكونغو. ومن أجل دعم لومومبا بطل الوحدة وخصم تشومبي فقد استطاع هامرشولد الحصول من مجلس الأمن الدولي على قرار بارسال قوات دولية الى البلاد. وهو ما أغاظ الأميركيين وأغاظ أيضاً فرناند المتحمس لأميركا ومخابراتها. « رغم صداقته المميزة لهامرشولد ». ثم أطاح قائد الجيش موبوتو بلومومبا وقام بسجن تشومبي كما هو معروف. وعندما قتل لومومبا في شباط (فبراير) ١٩٦١ اتهم هامرشولد تشومبي بتدبير مقتله ثم جاء اعتقال تشومبي ثم اطلاق سراحه استناداً لوعد منه بتوحيد البلاد ولكنه خُنث بوعده. فتمّ حينئذٍ تجريد الجيش الكاتنغي من السلاح من قبل قوات الأمم المتحدة.. حيث كان لفرناند دور في كل ذلك وكان يقضي

الأسابيع بين نيويورك وواشنطون والكونغو... حتى وصلت به الأمور من التدخل بالسياسة لزيارة تشومبي في سجنه الذي لم يدم طويلاً.

لقد وصلت الحال بفرناند أنه بدأ يكره هامرشولد حيث اعتبره مسؤولاً عن كل ما حصل من مشاكل في الكونغو فقام بمساعدة تشومبي باستقدام المرتزقة للحرب في كاتانغا. وعندما وجدت الأمم المتحدة أن الانفصال واقع لا محالة وأن الدولة الانفصالية تدافع جيداً عن نفسها بدأ التفكير بعمل عسكري ضدها من قبل الأمم المتحدة. وسافر هامرشولد لاقناع تشومبي بعدم الانفصال قبل أن تتم الحملة العسكرية ضده. وكان الموعد بين الرجلين في « ندولا » داخل روديسيا الشمالية. والتقى فرناند بهامرشولد في ليوبولدفيل وكان سيركب الطائرة معه لكنه أحرج لأن معه مرافقاً من ذوي الوجه الحسن. ومن المعروف أن فرناند عميل المخابرات الأميركية هذا كان يتباهى بشذوذه ويعتقد أن الراحل هامرشولد هو الذي أمر بمنع فرناند من الركوب معه في طائرة واحدة ومعه صديقه الشاذ. وحسب قول المثل الشائع « رُبّ ضارة نافعة » فقد كان منع فرناند اللوطي من ركوب طائرة هامرشولد « سبباً » في انقاذ حياته لأن الجميع يعرفون أن الطائرة قد تحطمت بعد ذلك بتدبير من المخابرات الأميركية ومات « داغ هامرشولد » بتاريخ ١٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٦١. وذهب فرناند بنفسه لحضور جنازته في ستوكهولم وقد حضر هذه الجنازة الكثير من الرؤساء والسياسيين ومنهم « جونسون » الذي كان نائباً للرئيس الأميركي «كنيدي» الذي اغتالته نفس مخابراته[1] التي اغتالت هامرشولد وكان حضور جونسون حسب المثل القائل « يقتل القتيل ويمشي في

(١) الى محبي الاطلاع على أسرار مقتل الرئيس الأميركي جون كنيدي عليهم مراجعة الصفحات من ٢٧٧ لغاية ٣٠٠ من هذه السلسلة عن أعمال المخابرات وفي الجزء الثاني لمطالعة حوادث أغرب اغتيال في القرن العشرين.

جنازته » كما حضر جنازة هامرشولد ضحية المخابرات الأميركية كل من كريم بلقاسم السياسي الجزائري البارز وأدولفوس تولبير الليبيري. كان واضحاً كما ذكرنا أن المخابرات الأميركية هي التي اهتمت بأمر هامرشولد كما سبق لربيبتها المخابرات الاسرائيلية أن اهتمت وقتلت الكونت برنادوت وسيط الأمم المتحدة في فلسطين.

○ تتابعت الأحداث في الكونغو فاستقل تشومبي بمساعدة مرتزقه فرناند في كاتانغا التي أصبحت تعرف فيما بعد بـ« كنشاسا » وأدرك فرناند أن استقلال كاتانغا لن يدوم طويلاً وأنه اذا كان سيستفيد من الوضع فعليه أن يعمل بسرعة ويستفيد من الوقت والفرص التي لن تتكرر فذهب الى سويسرا لدراسة تطبيق مخطط كان يراوده منذ زمن وقد أعجب تشومبي بهذا المخطط لغرض في نفسه، فمنح فرناند جوازاً دبلوماسياً يحمل رتبة « وزير مفوّض ».

في سويسرا طلب فرناند من « الييف بنك » الذي كان يعرف مديره معرفة شخصية، ومن بنك « أنترا » الذي كان يعرف أيضاً مديره اللبناني الفلسطيني الأصل « يوسف بيدس » أن « يطبعا » له عملات كاتانغية بقيمة ١٠٠ مائة مليون دولار على أن تضمن قيمة هذه الطبعة شركة اتحاد مناجم كاتانغا العليا التي كان تشومبي قد أممها، وقد عهد بطبع هذه العملات الى مطبعة « روتو ــ ساداغ » تحت حماية البوليس السويسري (المباحث).

وبعدما تمّ الطبع طلب فرناند من المصرفين أن « يبدلا » نسبة ثمانية على عشرة من الأوراق النقدية الكاتانغية بدولارات أميركية بلغت ٨٠ ثماني مليون دولار استلمها فرناند وحملها عائداً إلى « اليزابيت فيل » العاصمة بطائرة خاصة تاركاً الـ٢٠ عشرين مليون دولار للحكومة الكاتانغية لابعاد الشبهة وقام باقتسام المبلغ مع تشومبي (حاميها

حراميها) مما سبب فيما بعد خسارة فادحة للبنكين المذكورين (وهنا نذكر هذا السر لأول مرة عن مأساة افلاس بنك إنترا اللبناني في حينه وربما كان السبب غلطة الشاطر يوسف بيدس وغلطة الشاطر كما يقال بألف غلطة ؟؟)

المخابرات الأميركية تنقذ حياة عميلها فرناند

○ كلف فرناند بالاتصال برئيس شركة البترول الوطنية الايطالية « أنريكوماتي » الذي كان يؤيد الدول المنتجة للبترول ضد المصالح الأميركية لمحاولة اقناعه بالعدول عن مناهضة المصالح الأميركية العداء وابداء النصح له. فقام فرناند بعدة رحلات معه في طائرته الخاصة وتباحث معه في هذه الأمور وكان ينقل نتيجة هذه المحادثات الى المخابرات الأميركية أولاً بأول وعبر قنوات خاصة. وفي ٢٧ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٦٢ طلب إليه في آخر لحظة أن يمتنع عن ركوب الطائرة مع هذا الرجل... وسقطت الطائرة الخاصة في مطار لينات قرب ميلانو وقتل فيها رئيس شركة البترول الوطنية الايطالية. وأدرك فرناند أن سقوط الطائرات هو لعبة المخابرات الأميركية الجديدة للأشخاص غير المرغوب في استمرارهم أو في بقائهم في أدوارهم.

○ نعود الى صديقه تشومبي الذي انتهت مغامرته الانفصالية في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٣ حيث هرب الى اسبانيا... بينما كثرت وارتفعت ملايين الدولارات من وراء صفقات السلاح لكاتانغا ومن جراء صفقة العملة الكاتانغية في سويسرا. وأثناء مغامراته هذه فقد صديقتين من أهم الصديقات لديه وهما مارلين مونرو التي انتحرت أو نُحرت، وأديت بياف. فقرر العودة الى باريس والاستقرار بها، فاشترى بيتاً في جادة هنري

مارتان بمبلغ ثلاثين مليون فرنك فرنسي كان ملك لثري عربي معروف سبق أن أهداه إلى الممثلة « إيتشيكا شورو » التي اعتزلت التمثيل لأن مبلغ الثلاثين مليون فرنك فرنسي ثمن البيت من رقبة الثري العربي ما كانت تحلم بجمعهم حتى لو مثلت مئات الأفلام.وأقامت علاقات غرامية مع العشرات من الأوروبيين ولكن هنا اكتفت بالعربي الخيّر على الممثلات والراقصات بينما الآلاف بحاجة إلى القوت اليومي مع الأسف.

أقام فرناند في منزله الجديد العامر بالذكريات وروائح الجنس تملأ جنباته فجعله جنة أرضية بحديقته ومسبحه الصيفي والشتوي كما جعل قبضات الأبواب من الذهب الخالص.والشبابيك والأبواب طلاها بالذهب الأصفر الرنان حتى حنفيات الماء طليت بالذهب أيضاً وركبت أجهزة الهاتف الذهبية حتى في المرحاض (عفواً لكن هذا هو واقع القصة). ومع كل هذه الرفاهية سرعان ما ضجر من باريس وقرر التغيير فسافر الى اسبانيا واتجه الى جزيرة إيبيزا الساحرة وقد استطاع أن يشتري فيللا في مكانٍ رائعٍ يشرف على البحر حيث ضمَّها الى فيللاتـه وشققـه الكثيرة. وقد عرج على مدينة مدريد وزار صديقه « شريكه في السرقة » تشومبي الحزين فوجده لا يزال يأمل بالعودة يوماً ما... إلى كاتانغا.

وفي سنة ١٩٦٣ وفي نفس اليوم الذي اغتيل فيه الرئيس الأميركي جون كنيدي كان فرناند في مدينة دالاس أيضاً يقوم بانجاز عملية بيع لوحات فصعقه الخبر لأن الرئيس كنيدي وزوجته جاكلين كانا يحبان كثيراً الرسم والفن. في حين أن الرئيس الأميركي السابق آيزنهاور كان يكره المتاحف. لقد وصل حب الرئيس « كنيدي » للفن أنه أصدر قانوناً لا يزال ساري المفعول يعفي من الضرائب كل الأموال التي تشترى بها اللوحات الفنية المخصصة للمتاحف. أما « لايدي بيرد » زوجة الرئيس الجديد جونسون فقد أخرجت فور دخولها البيت الأبيض مقر رؤساء أميركا لوحة للفنان « مونيه » كانت جاكلين كنيدي قد اشترتها. وهنا

الفارق في الذوق والرهافة بين السيدتين. وكان فرناند يعرض لوحاته في جميع أنحاء العالم وكان بعض الأثرياء العرب ولا نقول الأمراء احتراماً للمراكز يشترون لوحاته الخاصة.وحسب قوله أنه في عام ١٩٦٤ كلفته المخابرات الأميركية بمهمة في الخليج العربي، وحمل معه لوحة للفنان « رينوار » وهي تمثل امرأة عارية اشتراها منه ثري عربي في إحدى الامارات. والطريف في الأمر أن فرناند وجد أو شاهد عند هذا الثري العديد من الأفلام الجنسية الخلاعية التي يحتفظ بها بكل سرور ويتباهى بعرضها على ضيوفه يوم كان الفيديو لم ير النور. وعند هذا الثري تعرّف فرناند الى أحد كبار مهربي الذهب في الشرق الأوسط الذي شكا له صعوبة تهريب الذهب الى بيروت، وكانت بيروت في حينه جوهرة مدن الشرق الأوسط والدول العربية فوعده فرناند بتسليمه الكمية التي يريدها من الذهب وأكّد له أن مكان التسليم « بيروت ».

توجه فرناند الى جنيف في سويسرا واشترى طناً من الذهب دفع ثمنه نقداً من حسابه الذي يحوي الملايين. وبدأ هناك ما يمكن أن يسمى أهم عملية تهريب وأطرفها في التاريخ. فمن جنيف نقل فرناند بمساعدة فرقة مسلحة استأجرها خصيصاً كمية الذهب بسيارة شحن عبر بها الحدود السويسرية الايطالية من مكان معين بعيداً عن أعين الجمارك والبوليس حتى وصل الذهب إلى ميلانو فاتفق مع أحد الايطاليين ليذوّب له الذهب ويصنع منه مرساتين تزن الواحدة منهما ٥٠٠ كيلوغرام ثم طليت المرساتين بمادة الصدأ. ثم تم نقل المرساتين بشكل طبيعي الى مرفأ جنوى حيث تمّ تركيبهما على يخت كمرساتين للطوارئ ورفع اليخت العلم الليبي إبان حكم الملك إدريس الذي كان يشتري الأسلحة من العميل فرناند.لذلك كانت كل الأوراق صالحة ومضبوطة فأبحر اليخت باتجاه بيروت. بينما سافر فرناند بالطائرة الى العاصمة اللبنانية لتحضير الوصول واستقبال اليخت الليبي. وصل اليخت الى ميناء بيروت ورسا في

المنطقة الحرة منه. وفي الليل صعد فرناند إلى اليخت وبمساعدة بعض رجال الضفادع المأجورين تمّ فكّ المرساتين الذهبيتين ونقلهما الى البر حيث تمّ نقلهما بواسطة سيارة شحن الى منطقة صاحب عملية التهريب وجنى فرناند من وراء هذه العملية أرباحاً طائلة.

فرناند عميل المخابرات الأميركية وشذوذه وصبيته

○ بينما كان فرناند يقضي عطلته في التزلج على الجليد في سويسرا وكان معه اثنان من الصبية الشبان المفضلين لديه وهما جوليان ووليام ثم التقى بأحد الصبية هناك فدعاه للانضمام إليهم في مرحهم وشذوذهم فوافق واسمه جان مارك.وبعد التعرف على مرافقيه سأل أحدهم وهو ويليام عن فرناند ومن يكون ؟ فأجابه وليام بصراحة، إنه سيدي يأمرني بما يشاء... وتدور الأيام ويذهب موريس كوف دي مورفيل وكان يومها (وزيراً لخارجية فرنسا) في زيارة الى بانكوك وينزل ضيفاً على سفير فرنسا هناك. وذات يوم يلتقي كوف دي مورفيل في أحد ممرات فيلا السفير بصبي يسأله من يكون وماذا يفعل هناك. لأن وزير الخارجية كان يعرف أن السفير « عازب » فأجابه الصبي الحسن الوجه وقد تعلم الاجابة في مثل هذه المواقف بالصراحة إن السفير سيدي يأمرني بما يشاء. وقد فهم وزير الخارجية أن سفيره لوطي مع الأسف وأن الصبي يدعى جان مارك وقد أرسله فرناند إلى هناك بناء لطلب صديقه السفير الفرنسي.

○ في عام ١٩٦٤ تولى منصب رئاسة مجلس الوزراء في اليابان إيساكوساتو وكان فرناند صديقه ويعرفه جيداً.وكانت فرصة فرناند لكي يجعل هذا الرجل يشتري للمتاحف اليابانية بعض اللوحات الفنية التي كان يملكها وما هي إلا زيارة الى طوكيو حتى أقنع رئيس الوزراء بشراء

لوحات بقيمة ٢٠ عشرين مليون دولار بموجب عقد رسمي يحوّل المبلغ الى حسابه في سويسرا.

ولكن رئيس الوزراء الياباني أصرّ بالاضافة الى وجود شهادة موقعة من خبير والتي ترافق كل لوحة، أن يتضمن ملف كل لوحة « ضمان خطي من شخصية فنية عالمية » ولم يكن الأمر صعباً على فرناند وهو عميل ومحتال بنفس الوقت. ففكر فوراً في الكاتب والأديب والمفكر الفرنسي المعروف الشهير « أندريه مالرو » ووافق رئيس الوزراء الياباني على هذا الاختيار، فبالاضافة الى كون مالرو شخصية فكرية عالمية كان في ذلك الوقت « وزيراً للثقافة الفرنسية » فكان اللقاء بينه وبين فرناند في جنيف أثناء زيارة قصيرة وتم الاتفاق على السيناريو.. كالآتي :

عندما أصبحت الـ ٢٠٠ مائتي لوحة معلقة على جدران متحف الفن الغربي في طوكيو لعرضها قبل شرائها النهائي، حضر الامبراطور شخصياً لرؤيتها ثم حضر وزير الثقافة الفرنسي « شريك فرناند باللعبة » مالرو إلى طوكيو بزيارة ثقافية. وذهب في اليوم التالي إلى المتحف المذكور وأعطى تصريحاً صحفياً مسبق الصنع للصحافيين أنه : « كيف يمكن نزع هذه اللوحات الثمينة والتحف النادرة من فرنسا؟ » . وبعد اسبوع كان ثمن اللوحات قد وصل إلى حساب فرناند في سويسرا.. ونال وزير الثقافة الفرنسي في حينه أندريه مالرو حصته (ويا دار ما دخلك شر). وبعيداً عن اللوحات الفنية يطلب القراء المزيد عن مغامرات هذا العميل.

○ في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٦٥ ــ وكان تشومبي قد عاد من اسبانيا الى كاتانغا ثم أبعد عنها مرة ثانية ــ فعاد الى مدريد ومعه معاوناه أندريه لابيه وتياري دو بونيه اللذان بدأا بالتحضير لعودته الثالثة إلى كاتانغا.. وفرناند يراقب تحركات صديقه تشومبي « لعل وعسى »

تأتيه من وراءه « رزقة ». وفي تلك السنة ١٩٦٥ اغتيل الزعيم المغربي المناضل المهدي بن بركة بعد خطفه من باريس بمعاونة بعض رجال الأمن الفرنسيين (مراجعة صفة ٣٨٨ الى ٤٠٥ من الجزء الأول من موسوعة المخابرات والعالم هذه حيث توجد جميع المعلومات الكاملة عن قضية اغتيال المهدي بن بركة). فتأثر فرناند كثيراً لأن المرحوم المهدي بن بركة كان قد اتصل في تلك السنة بالذات بفرناند وطلب منه شراء بعض اللوحات الثمينة التي سبق أن باعها فرناند لبعض أعضاء جبهة التحرير الجزائرية والتي وقعت بين يديه. ووعده فرناند بأن يجد له من يشتريها... وفعلاً وجد له فرناند الشاري ولكن ابن بركة كان قد اختطف وتمت تصفيته. وفي حينه قرر فرناند أن يقوم بزيارة رؤساء بعض الدول في الكاريبي وأميركا الوسطى ومنهم : سوموزا في نيكاراغوا... فرنانديز في كوستاريكا... أريللو في هندوراس... دوفاليه في هايتي... وتروجيلو في جمهورية الدومينيكان. وكان في اتصالاته يقدم نفسه على أنه « تاجر لوحات » كغطاء لمهماته الأخرى المطلوبة منه من قبل المخابرات الأميركية. فالحقيقة أن الولايات المتحدة، أو مخابراتها على الأصح، كان يهمها في ذلك الوقت تقوية نفوذها في هذه البلاد لتحفظ التوازن مع النفوذ السوفياتي القوي في كوبا. ولكن فرناند كان يقدم نفسه أيضاً (عندما تسمح الظروف) كمورد سلاح. وكان هؤلاء الرؤساء يحتاجون الى الكثير من السلاح لحماية أنفسهم من الانقلابات المتوقعة ضدهم التي يخشونها. وفي هايتي بالذات حقق فرناند إحدى أهم صفقاته التجارية بسبب علاقاته هذه. لقد اشترى من أحد الصناعيين النيويوركيين مصنع نسيج كان على وشك الافلاس بمبلغ ٨٠٠ ثمانماية ألف دولار واستطاع انعاش المصنع باضافة طبع القماش في اليابان بواسطة تسهيلات من رئيس هايتي وبعد عام أعاد بيع المصنع بمبلغ ٢٠ عشرين مليون دولار...

○ **فرناند ... العميل العجيب :**

كان فرناند يحمل سبعة جوازات ديبلوماسية كسفير فوق العادة، مما كان يسهل له الكثير من الأمور... حتى أنه كان يخلط بينها أحياناً فيدخل إلى بلد ما كسفير لنيكاراغوا ويخرج سهواً كسفير لسيراليون. وفي يوم من الأيام كان فرناند مجتمعاً مع جورج بومبيدو ــ وكان في حينه رئيس وزراء فرنسا ــ وبآخرين. وأثناء الحديث قال فرناند، وكان يمازح رئيس الوزراء ومن معه : إنني فخور لكوني يونانياً (كان يحمل الجنسية اليونانية أيضاً) ليس فقط لعظمة اليونان القديم ولكن لأنه البلد الوحيد الذي تجرأ رئيس وزرائه ومدح « الحب اليوناني » أي الشذوذ الجنسي بين الشبان في كتاب « محاورات آثينية » في عام ١٩٦٠ وهو رئيس الوزراء بانايونتيس كانيللو بولوس. في حين أن مجلس النواب الفرنسي ــ رغم أن فرنسا بلد الحريات ــ أقرّ بالاجماع قانوناً يعتبر الشذوذ » أي اللواط مشكلة اجتماعية كبرى ويحرمها قانوناً. فأجاب رئيس الوزراء الفرنسي بومبيدو قائلاً : « ألفت نظرك يا عزيزي فرناند انني لم أكن في ذلك الوقت نائباً... أما الآن فهناك اثنان من وزرائي يتعاطيان نفس الشذوذ ». وكان فرناند على علاقة وطيدة مع بيكاسو وفي كل مرة كان يذهب إليه في اسبانيا ليطلب منه شهادة للوحة اسبانية (وكان بيكاسو يحب كثيراً مدرسة بلاده الفنية) كان بيكاسو يسأل فرناند أولاً : بكم اشتريتها ؟ فيجيب فرناند دائماً : ٥٠ خمسون ألف دولار... وكان هذا السعر المرتفع يؤثر في بيكاسو فلا يعود يدقق في أصل اللوحة ويعطي فرناند شهادة بصحتها وأصالتها.

ومن المستحسن أن نذكر للقراء شيئاً عن هندام فرناند ونظارته السوداء الكبيرة وقبعته السوداء أيضاً ذات الشكل المكسيكي حيث كان مرة في نيويورك في هذا الزيّ الملفت للنظر فأحب الدخول مع صديق له الى أحد النوادي. ولكن فتاة الاستقبال رفضت دخوله بحجة شكله غير

اللائق رغم أن بامكانه شراء أو بالأحرى لديه أغلى الملابس. ومع ذلك فقد طرد من النادي الراقي من أجل لباسه الفولكلوري وقد تأثر كثيراً أمام صديقه. وبعد أيام طلب من نفس الصديق أن يذهبا لنفس النادي لعل الأمور تكون قد تغيرت.وذهبا وتكرر نفس الموقف ومنع من الدخول فعز على نفسه ذلك.وقبل أن تغلق الفتاة الباب وضع رجله ممانعاً ودخل عنوة إلى النادي مع صديقه فطلب مدير النادي البوليس فاقتادوه ولكن بلطف وعدم ازعاج الادارة.وهناك قال لهم اتصلوا بهذا الرقم لتعرفوا هل يحق لي الدخول إلى هنا أم لا. وهكذا كان لأن الرقم الذي أعطاه لهم هو رقم رئيسه في المخابرات. ومع أن الاتصال بالمخابرات كان سبب دخوله النادي إلا أنه بكرمه جعل الجميع يندمون على منعه من الدخول وقدموا له الاعتذارات الشديدة.

حتى ملايين الثورة الجزائرية لم تنج من فرناند

○ من المعروف أن الزعيم الجزائري محمد خيضر كان بمثابة وزير المال للثورة الجزائرية وكان يجمع المال للثورة الجزائرية من كافة الدول العربية والاسلامية بتفويض من مجلس الثورة الجزائرية والحكومة الجزائرية المؤقتة في حينه. وبالتالي كانت الحكومة المؤقتة تشتري مختلف الأسلحة للمجاهدين الجزائريين وكانت سويسرا إحدى محطات شراء الأسلحة مما جعل فرناند يتعرف على محمد خيضر هناك ويعرض عليه خدماته في عملية شراء الأسلحة. وكانت النتيجة ضياع بعض ملايين الثورة ومع هذا فقد أقام فرناند أيضاً صداقة وطيدة مع أحد قادة الثورة المعروفين كريم بلقاسم الذي تعرَّف عليه في الأمم المتحدة وقد دعاه بلقاسم الى لقاء في فندق « كونتيننتال أنتر » في فرانكفورت.فلما جاء إليه في الموعد المحدد كان أمام مفاجأة رهيبة فقد وجد الزعيم الجزائري كريم بلقاسم مخنوقاً في غرفته... ووجدت على جسمه آثار

مقاومة. وكان واضحاً أنه تعرض لهجوم من عدة أشخاص ولم يملك قدرة التغلب عليهم لأنه لم يكن يحمل في يده سلاح لصدهم، أما السبب في أن الرجل لم يكن يحمل سلاحاً في حينه فقد علم فرناند فيما بعد من أحد المقربين الى الزعيم الجزائري أنه لدى مغادرته للأراضي السويسرية باتجاه فرانكفورت أخذ موظفو الجمارك مسدسه منه حسب الأصول المتبعة لديهم ووعدوه أن يعيدوه له عند عودته من فرانكفورت، وهكذا حضر الى فرانكفورت أعزل من السلاح. وقد حزن فرناند حزناً شديداً على وفاة صديقه بلقاسم لأنه كان يأمل منه الكثير حيث كان ينتظر صعوده سياسياً فضلاً عن مساعدة بلقاسم لفرناند في بعض القضايا التي تعرّض لها ووقوفه بجانبه. لقد كلف بلقاسم فرناند الكثير من المال من ولائم وهدايا وحسابات فنادق كان يسددها عنه ويتركها مفاجأة له ليزيد من تأثيره عليه، وكان فرناند ينتظر أن يحقق المكاسب الكبرى من وراء بلقاسم خاصة وأنَّ بلقاسم كان قد أجرى اتفاقاً مسبقاً مع الأميركيين عبر توصية من المخابرات الأميركية. وينص هذا الاتفاق على أنه إذا وصل بلقاسم إلى الحكم في الجزائر. ويظهر أن بلقاسم كان يخطط من وراء زملائه أعضاء جبهة التحرير الوطني الجزائرية، والرئيس الراحل هواري بومدين للوصول إلى أن يكون رئيساً للجزائر في تلك الفترة التي أعقبت الاستقلال سوف يعطي للأميركيين حق استغلال الغاز والبترول الجزائريين لشركات أميركية كما اتفق على موافقته مستقبلاً على انشاء سلسلة من الفنادق الأميركية أيضاً بالاضافة الى شركة لانتاج الأفلام السينمائية وكذلك إنشاء ستوديو سينمائي يكون البديل في الشرق لستوديوهات هوليود، وهو شيء سبق أن وعد به يوسف بيدس لينفذه في منطقة « مونتي فردي » قرب بيروت. كما كان فرناند يخطط أيضاً في حال نجاح كريم بلقاسم أن يحصل على جواز سفر جزائري يضمه إلى مجموعة جوازاته العديدة كسفير فوق العادة للجمهورية الجزائرية.

وكانت الاتفاقات التي ذكرناها قد ضربت على الآلة الكاتبة من قبل

« دانييل » سكرتيرة فرناند التي كان بلقاسم قد أنشأ معها صداقة وكان يرتاح لها. وطبعاً هذه الصداقة كانت طعماً لبلقاسم. وجاء مقتله ليلغي « المشروع » برمته لأنه كان على وشك البدء بتنفيذه (وهذه المعلومات تذكر لأول مرة) فالمخطط قد أعد لقلب نظام حكم الرئيس بومدين، والسلاح قد أدخل الى الجزائر بمساعدة فرناند وغيره من عملاء المخابرات الأميركية ولم يبق سوى تحديد ساعة « الصفر » للتنفيذ والاطاحة بالرئيس الراحل بومدين، ولهذا السبب جرى اغتيال بلقاسم في فندقه كما تمّ بنفس الوقت « خطف » تشومبي إلى الجزائر لاغاظة وتقليم أظافر فرناند. وهكذا فَقَدَ فرناند كبار أصدقائه واحداً تلو الآخر ولكنه لم يفقدهم جميعهم فمحمود فوزي لا زال (في حينه) من رجال الحكم في مصر وجورج بومبيدو أصبح رئيساً للجمهورية في فرنسا وها هو يقضي سنته الثانية في الرئاسة. بالاضافة الى أصدقائه من رؤساء جزر الكاريبي وأميركا الوسطى وكذلك الجنرال « سفرويسنر » في الباراغواي.

وعندما نشبت في سويسرا فضيحة مخططات طائرات الميراج في شهر نيسان (أبريل) ١٩٧٠ التي اتهم على أثرها المهندس السويسري الفريد فراونخت بتسليم المخابرات الاسرائيلية « الموساد » حوالي ٢٠٠ مائتي ألف صفحة من مخططات طائرة « ميراج ٣ » التي كانت قيد التجميع في سويسرا ولصالح الحكومة السويسرية[1].

وقد كلّف فرناند من قبل ضابط مخابرات عربي كبير كان يقيم في سويسرا للاطلاع على مثل هذه المؤامرات للتحري عن موضوع سرقة

(١) (إلى محبي الاطلاع على أعمال المخابرات الاسرائيلية القصة الحقيقية الكاملة لهذه الفضيحة نشرت في كتابي « ملف الثمانينات عن حرب المخابرات » الذي صدر عن دار دمشق للنشر ــ دار الجيل من الصفحة ٤٤٦ الى ٤٥٣).

تصاميم طائرات الميراج وكان لا يزال يقيم في سويسرا « ينتظر » حكم القضاء السويسري العريق في قضية لوحات فنية مزوّرة كان قد باعها إلى عدد من الأثرياء أثبتوا فيما بعد أنها لوحات مزوّرة.فأقاموا عليه الدعاوي التي جمعت لدى محكمة البداية الجزائية في جنيف بدعوى واحدة. وكانت الجلسات تؤجل الواحدة تلو الأخرى. وقد استطاع خلال وجوده في سويسرا أن يتابع نشاطاته في العمالة والاحتيال سواء في بيع اللوحات أو في ميدان الأسلحة. وقد تعرف بطرقه الخاصة على الامبراطور السابق للجيش « هيلاسيلاسي » لدى حضوره الى سويسرا وحصل على ثقته وأصبح ليس فقط وسيط استثماراته في سويسرا بل مورّد الأسلحة له... حتى أنه قام برحلة سرية الى أديس أبابا « عاصمة الحبشة » لم تعلم بها السلطات السويسرية لأنه مُنِعَ بأمرٍ قضائي من مغادرة الأراضي السويسرية بانتظار صدور الحكم عليه في قضية اللوحات المزوّرة. ولعلم القارئ فإن امبراطور الحبشة هيلاسيلاسي كان قد التقى بزوجة رئيس شاطئ العاج « بوينغي » في مؤتمر افريقي وباح لها باعجابه الشديد بما يدعى حب الملوك.وفيما بعد أصبح يرسل لها كعربون لهذا الاعجاب (إلى زوجة الرئيس العاجي) الأسود والفهود والغزلان الحبشية ثم يرسل لها أيضاً وبطائرة خاصة طعام هذه الحيوانات الخاص من الحبشة مباشرة (بينما الآلاف من الشعب في الحبشة يتضورون جوعاً).والمهم في هذه القصة هو أين كان رئيس ساحل العاج من ذلك كله.. الله أعلم. ومع كل ذلك لم يكن الامبراطور هيلاسيلاسي يحب اللوحات الفنية ولم يستطع فرناند أن يبيعه لوحة واحدة رغم أنه كسب منه آلاف الدولارات من جراء بيعه الأسلحة.

وأخيراً قرر فرناند « الهرب » من سويسرا قبل أيام من الحكم لأنه كان يخشى الحكم عليه بالسجن وقد رتب قضية هروبه مع بعض ممن يعتبرهم بلغة اللواطة (عفواً) أبنائه، على أن تظهر وكأنها قضية

« خطف » فاستطاع السفر على متن طائرة خاصة وبواسطة جواز سفر دبلوماسي كسفير لهندوراس إلى مدريد أولاً ثم إلى نيويورك ولا أحد في سويسرا يدري أن العميل فرناند قد سافر بهذه الطريقة سوى أبنائه الذين أثاروا فضيحة في الصحف عن اختفائه المفاجئ. فاهتمت الشرطة السويسرية بالأمر وسجل الأمر لديهم « عملية اختطاف » نتيجة الآثار التي سجلتها الشرطة في دارته من اقتحام وتكسير.. الخ. وهكذا أثار فرناند العميل ضجة من حوله أخفت الضجة المنتظرة من الحكم في قضية اللوحات المزوّرة الماثلة أمام القضاء السويسري في حينه.

وجاء موعد الحكم وصدر على فرناند حكم بالسجن ٨ ثمانية أشهر « مع وقف التنفيذ » وحكم آخر بالابعاد عن سويسرا لمدة عامين. وهكذا خرج فرناند من هذه القضية المعقدة الطويلة التي دامت محاكمتها خمس سنوات « بريئاً ناصع البياض » بعدما صرف في سويسرا حوالي ٢٠ عشرين مليون فرنك سويسري، لتمشيط الألغام المزروعة على طريق براءته. من نيويورك وفي فندق الخمس نجوم قرأ في الصحف الأميركية أنباء الحكم عليه فسرَّ كثيراً رغم أن الحكم يمنعه من المكوث في سويسرا لمدة سنتين لأنه لا يقيم للحدود الدولية وزناً بالنسبة لحمله العديد من جوازات السفر الدبلوماسية وأغلبها بأسماء مغايرة لاسمه ويحمل بها لقب « سفير، أو سفير فوق العادة ». وكانت القضية « الثانية » التي أقيمت عليه بتهمة « تزوير لوحات فنية عالمية وبيع المزوّر » في مدينة تكساس الأميركية أمام القضاء الفرنسي في باريس استناداً لاقامته عند المقاضاة في عاصمة النور. وكان القضاء الفرنسي قد غيّر ثلاثة قضاة في هذه القضية حتى أصبح مجموع ملف فرناند في هذه القضية ٥٠ خمسين كيلوغراماً. وكانت المحكمة قد طلبت بمذكرة رسمية عن طريق وزارة العدل الفرنسية من البوليس الدولي « الأنتربول » القاء القبض عليه واعادته الى فرنسا للمحاكمة فيها لأنه كان يعتبر أن

القضاء الأميركي في ولاية تكساس (مكان بيع اللوحات) هو الجدير فقط بمحاكمته. لأنه كان يعرف مسبقاً أن القانون هناك يخلو من مواد تحاكم التزوير في الفن أو اللوحات الفنية. وكان محاموه الذين بلغ عددهم أكثر من ٢٠ محامياً من مختلف البلاد والجنسيات يتابعون القضية باهتمام شديد. كما تتابعها الصحف والمجلات على اختلاف أنواعها. وكان همهم نقض أو الغاء طلب استرداده بواسطة الأنتربول الى فرنسا. وأخيراً اختار فرناند الهرب الى البرازيل لأن له هناك كما يقال « مرقد عنزة ». ولكن الحظ لم يحالفه في البرازيل رغم ثرائه فوقع في قبضة رجال البوليس ثم أحيل إلى القضاء البرازيلي الذي قام بدراسة ملف إعادته الى فرنسا ... وهذا النوع من القضايا يستغرق الكثير من الوقت لغاية السنوات. ولكن فرناند بطرقه الخاصة حوّل سجنه الى فندق من « الدرجة الأولى » فكان يتناول أفخر المأكولات التي كانت تقدم له من أضخم المطاعم وعلى أطباق من فضة... وكان يشرب الويسكي يومياً في السجن.. وباختصار كان له كل ما يريد فالمال موجود والنفوس الضعيفة جاهزة وهي في كل مكان وزمان متوفرة ولا بد أن تلتقي مع أمثال فرناند. لكن تلك الحياة لا يمكن أن تدوم طويلاً لو كانت حياة مرفهة نوعاً ما.فهو اسمه سجين حتى ولو كان يأكل ويشرب على أطباق الذهب كل ما يريد وينام على فراش من ريش نعام. ففكر فرناند بالهرب من السجن البرازيلي وأعطى أبنائه التعليمات بالرموز فحجزوا له عدة طائرات صغيرة خاصة (لأنه وضع خطة لتغيير عدة مطارات للتمويه) وهذه الطائرات سوف تنتظره لكي يهرب بها أثناء حفلة أقامها على نفقته الخاصة في السجن واحتفالاً بعيد البرازيل القومي، انضم الى هذه البهيجة الجميع بدون استثناء... حتى حراس السطح وحاملو المفاتيح... حدث كل ذلك بتخطيط فعلي كما هي الحال في الأفلام السينمائية.

وكانت خطة فرناند كما رسمها واتفق عليها مع أبنائه أي أعوانه أن

يكون في الويسكي الذي قدم للحراس أقراص منومة. ولكن ضباط السجن الذين بدأوا شرب الويسكي لاحظوا أنه ذو طعم رديء ــ ولسوء حظ فرناند ــ فاكتفوا باعتباره « ويسكي مغشوش » وطلبوا تغييره... فضاعفت الخطة وتداخلت الأمور حتى أن فرناند نفسه شرب من الويسكي الأول أي الممزوج بالمنوم ونام... نومة أهل الكهف... بينما كان أعوانه خارج السجن على أتم استعداد ويضيئون مصابيح السيارة المعدة لنقله الى المطار ويطفئونها « وهي علامة وجودهم والاستعداد لتهريبه » ولكن الرجل كان في غفوة حالمة، وكل ما أعده للهرب تبخر في الهواء وخسر فرناند في هذه العملية تكاليف حجز الطائرات الخاصة التي تكلف حجز كل طائرة منها ٤٠ أربعين ألف دولار بالاضافة الى الضمان الذي دفع إلى البنك. كان ذلك في شهر شباط (فبراير) عام ١٩٧٤. وفي الثاني من شهر نيسان من نفس السنة ١٩٧٤ مات جورج بومبيدو رئيس جمهورية فرنسا ونتيجة لموته أحس فرناند بحزن شديد وقنوط حاد وهو في سجنه البرازيلي ولأسباب عديدة كان بومبيدو (ربما) يفضل أن لا يعاد صديقه فرناند الى فرنسا ونجري محاكمته ولا يستطيع أن يمد له يد المساعدة نظراً لتصلب القضاء الفرنسي. ولكن قنوط وحزن فرناند على بومبيدو تبعه فرح وسعادة وسرور لمجرد أن أعلنت الصحف البرازيلية أن فرناند سيفرج عنه ولا يعاد إلى فرنسا وأن هذا القرار سيتخذه القضاة البرازيليون في ٢٦ نيسان (أبريل) ١٩٧٤.

ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن. اختطاف فرناند لوغرو من البرازيل إلى فرنسا

○ في الرابع عشر من شهر شباط (فبراير) نفس العام قام البوليس الفرنسي بالاتفاق مع البوليس البرازيلي وبدون اذن السلطات القضائية المختصة في البرازيل باختطاف العميل فرناند لوغرو من سجنه مكبل

اليدين حيث نقل الى مطار ريودوجانيرو ووضع في طائرة خاصة غادرت في نفس اليوم الى باريس. ولكن فرناند الذي وصل الى البرازيل هرباً من اعتقال البوليس الفرنسي كان حانقاً جداً مما جرى معه ولم يحتمل فكرة إعادته إلى باريس بالقوة وبالخطف (ربما كان يتوقع ما سيجري معه) فأعد الخطة المعاكسة وقبل وصول الطائرة إلى باريس للهبوط في مطار أورلي ذهب الى المرحاض وهناك ابتلع انبوبة كاملة من مادة « الباربيتوريك » السامة مفضلاً الانتحار[1] على المثول أمام القضاء الفرنسي ولكنه لم يمت (عُمر الشقي بقي). حيث انتبه إليه بعد فوات الأوان أحد رجال المباحث بعد أن دخل ورائه إلى الحمام . فوجد غلاف المادة السامة مرمياً على الأرض. وهنا نؤكد أن فرناند لم يكن ذكياً بما فيه الكفاية ليترك وراءه أثراً يدل على تسميم نفسه لولا تعلقه بأمل خفي في الحياة. وهكذا جرى اتصال مباشر من الطائرة مع السلطات المختصة فنقل فرناند من الطائرة الى مستشفى أورلي رأساً حيث أجريت له عملية « غسل معدة ». بعد ثمانية أيام استفاق فرناند فوجد نفسه في السجن الخاص بالموقوفين وتحت عناية طبية وأمنية مشددة. وقد نشط محاموه العشرون الذين استنفروا وحضروا إلى باريس وأبلغوا القضاء الفرنسي بأن « موكلهم » قد اختطف بالقوة وأحضر إلى باريس وأنَّ سجنه غير قانوني. ولكن ذلك لم يؤد إلى الإفراج عنه. فقاموا بالكتابة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية الجديد (في حينه) فاليري جيسكار ديستان الذي خلف صديقه الرئيس بومبيدو وأرسلوا نسخة من المعروض نفسه إلى محكمة العدل الدولية وإلى لجنة حقوق الانسان.

---

(١) هنا نعيد لفت نظر المسؤولين الذين يرسلون دوريات في مهمات خاصة للمصلحة العامة وليس للاختطاف للتنبيه على العناصر بعدم إتاحة الفرصة للمطلوب بعد إلقاء القبض عليه لالحاق الأذى بنفسه ومن ذلك عدم تركه لوحده حتى ولو بحجة ذهابه إلى (W.C).

رغم أن فرناند طلب ضم أحد المحامين الجدد إلى محاميه العشرين فإن محامياً آخر ومن نوع « خاص جداً » تطوع للدفاع عنه. وجاءت نتيجة مرافعته سريعة وإيجابية أكثر من جميع المحامين وحتى أكثر من جميع الذين تدخلوا. ذلك المحامي من النوع الخاص لم يكن سوى الدكتور هنري كيسنجر اليهودي الأصل والمشرف في حينه على جميع وسائل الأمن القومي في الولايات « وزير الخارجية السابق أيضاً ». بما ذلك اشرافه على المخابرات الأميركية بالذات. لقد أرسل هنري كيسنجر برقية باسمه الشخصي ونفوذه المخابراتي إلى السفير الأميركي في باريس يقول فيها : « كيف أن مواطناً أميركياً اختطف من البرازيل إلى فرنسا من قبل رجال أمن نظاميين وضد كل القوانين الدولية ولا يزال في سجن باريس » ويجيبه السفير في اليوم التالي : « سيدي الوزير — استناداً لبرقيتكم سوف نسهر على مصير السجين وقد أرسلنا عضواً من السفارة قام بزيارته واطمئن على رعايته الصحية كما تقدمت باحتجاج شديد الى وزارة الخارجية الفرنسية واحتجاج آخر إلى وزارة العدل والقضاء العالي الذي يدرس قضية فرناند وذلك عن طريق وزارة الخارجية الفرنسية أيضاً ».

○ أما في واشنطون فإن هنري كيسنجر وباعتباره وزير الخارجية الأميركية فقد استدعى السفير الفرنسي وتباحث معه في القضية طالباً نقل رغبته إلى الحكومة الفرنسية باصلاح هذا الخطأ أي يطلب منه بصراحة إطلاق سراح فرناند. وهكذا... وبضربة ساحر وبعد أن عجز الكثير من المسؤولين في دول العالم ومعهم ٢١ واحد وعشرين محامياً عن اطلاق سراحه، قبل القاضي المكلف بقضية فرناند أن يخلي سبيله بكفالة مالية قدرها ٥٠ خمسون ألف فرنك فرنسي. ودفعت الكفالة فوراً وصدر الأمر باخلاء سبيله واطلاق سراحه كما يقال. فطلب برجاء خاص من مدير السجن الصحي الذي كان يرعاه كثيراً (كما شهد مندوب السفارة

الأميركية) أن يقيم حفلة خاصة لزملائه الموقوفين بهذه المناسبة وكان سخياً كعادته حتى أن معاون مدير السجن حمل له بنفسه حقائبه لدى مغادرته لسجن « السانتية » في باريس، وكأي زعيم سياسي أو انقلابي كان ينتظره العشرات من أبنائه ومؤيديه بالاضافة الى رجال الصحافة خارج السجن. ويعلم أدولفو تولبير رئيس جمهورية ليبيريا بخروج صديقه من السجن فيبعث إليه في باريس كبير الرؤساء الروحيين في غرب افريقيا « سالينوا أواد راغا » ليساعده بصلواته وطقوسه على استرداد معنوياته وصحته ونجاحه. وقد ذكر له أن رجل الدين هذا يرافق كل رؤساء افريقيا في رحلاتهم عندما يركبون الطائرات ليمنع سقوطها وان عليه أن يكرمه خاصة وأن رجل الدين الوقور هذا يتمتع « حسب الادعاء » بمعرفة مواعيد سقوط الطائرات وأسباب سقوطها .. ويصل الرئيس الروحي إلى فندق الانتركونتيننتال في باريس بنفس الوقت مع الجنرال بوكاسا رئيس جمهورية افريقيا الوسطى (في حينه) الذي كان فرناند قد تعرف عليه في سويسرا بواسطة وزير سياحته أنجي باتاسي. وقام رجل الدين سالينوا باجراء طقوسه في جناح فرناند بحضور الرئيس بوكاسا ويظهر أن فرناند كان يعتقد بهذه الشعوذات فاحتفى بسالينوا كثيراً وقبل عودته إلى ليبيريا حمّله فرناند هديتين تليقان بمقامه ومقام فرناند نفسه :

١ ـ شيك بمبلغ نصف مليون فرنك سويسري باسم رجل الدين سالينوا أواد راغا اكراماً له.
٢ ـ عقد موقع سلفاً من فرناند عبارة عن صفقة يستثمر بموجبها فرناند بمبلغ مليون دولار في مناجم الماس في ليبيريا حيث كانت ليبيريا تنتج في السنة حوالي ٨٠٠ ثمانمائة قيراط من الألماس.

وكان فرناند يريد أن يصل بهذا الانتاج إلى الضعف لمعادلة انتاج سيراليون أولاً وثانياً لكي يشكر صديقه الليبيري رئيس الجمهورية.

بَعض أُصدقاء
العَميل
فرناند لوغرو
؟

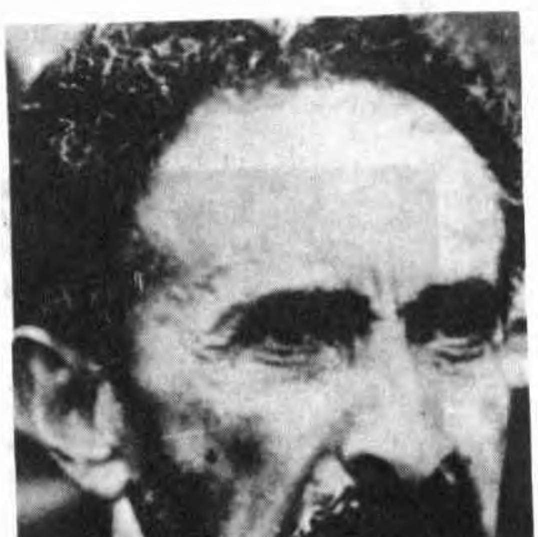
عَميل
المخابرات الاميركية
C.I.A
؟



فرناند العميل متعدد الجنسيات
أمام سيارته الروِيس.



هنري كيسنجر أنقد
فرناند من السجن



الامبراطور العاشق...



داغ هامرشولد ضحية
المخابرات الأميركية.



يوسف بيدس ضحية
تشومبي وفرناند.



محمود فوزي... أيضاً؟



المهدي بن بركه.
حزن فرناند عليه كثيراً.



تشومبي.. الشريك؟

ترك العميل فرناند العمل
في المخابرات الأميركية

○ مهما كانت المغريات التي تقدمها المخابرات المركزية الأميركية لعملائها فإنه بالنهاية يصحو هؤلاء العملاء ويعودون إلى ضمائرهم خصوصاً بعد أن يكتشفوا بأنفسهم الضرر الذي تلحقه هذه المخابرات بالأبرياء، سواء من الشعب الأميركي المغلوب على أمره أم من الذين « يعارضون » سياسة الولايات المتحدة في مختلف بلاد الله الواسعة. أما العميل فرناند فقد ترك العمل بالمخابرات الأميركية نتيجة الحادثة الآتية :

○ كان الجنرال الفرنسي ستيلان مورروا (النائب في مجلس النواب الفرنسي فيما بعد) والذي وصل إلى مرتبة (نائب ورئيس المجلس) قد ارتكب خطأً جسيماً اضطره للاستقالة من منصبه. كان هذا الجنرال (النائب) مهتماً كثيراً بموضوع الدفاع عن أوروبا ضد الغزو السوفياتي المحتمل. وقد أصدر كتابين حول هذا الموضوع وقد ضمّن الكتابين ملاحظات حاول التأثير بها في قضية شراء طائرات عسكرية من أميركا لعدة دول أوروبية غربية، وذلك بتأثير أو دفع من المخابرات الأميركية ولكنه وقع في الخطأ حيث صرح بذلك علانية وليس كما يفعله الكثيرون « سراً ». وقد أثارت قضيته ضجة كبرى في فرنسا مما اضطره للاستقالة. أما في الطرف الآخر أي في أميركا فقد كشفت لجنة تحقيق من مجلس الشيوخ الأميركي أن الجنرال (النائب) المذكور كان يتقاضى أتعاباً من المخابرات الأميركية. وبعد استقالته جرت محاولة لاغتيال ابنه أما الجنرال نفسه فقد قُتل في حادثة سيارة في ظروف غامضة جداً « حادثة مدبرة » طبعاً. وكان فرناند يعرف الجنرال بحكم العمالة مثله للمخابرات الأميركية... وكان قد التقى به عدة مرات. فكان اغتيال الجنرال وذهابه إلى العالم الآخر مبرراً أو سبباً لاقدام فرناند على وداع المخابرات الأميركية لكي

ينقذ نفسه أو كما يقال باللغة العامية (ينفذ بجلده). فاعتزل نوعاً ما هذه الحياة الصاخبة الخطرة واستكان وأراد الراحة لنفسه وقد تجاوز الخمسين من العمر وقد عاشها كأسطورة من أساطير هذا العالم المعاصر التي اقتربت من أن تكون كألف ليلة وليلة أوروبية حديثة وتصلح لمن يهمه الأمر كمسلسل تلفزيوني أو فيلم سينمائي. ومع كل ما ذكر عن فرناند فإنه لم يقل كل شيء وهو حتماً لم يقل كل شيء لأنه احتفظ بدون شك بالكثير الكثير في صدره من الأسرار... لا يبوح بها لأنه عند تسجيل هذه المعلومات منه شخصياً، كان إذا أسرع بالاعلان عن معلومات يقول : « عفواً هذه المعلومات ليست للنشر ». وقد قال كلاماً كثيراً عن مسؤولين لا يزالون في الحكم في مختلف أقطار العالم. أو لا يزالون على قيد الحياة. ولكنه طلب أن يبقى الأمر سراً لا يدري به أحد وكان يقول في حينه : « هؤلاء من أصدقائي ولا أريد أن أجرّح بهم ».
لقد كانت أسلحة فرناند في كل هذه الحياة المليئة بالمغامرات والمفاجآت الكثيرة ومنها : المال، الذكاء، وحسن التصرف، والثقافة الواسعة. وبالطبع مساعدة المخابرات الأميركية له معنوياً ومادياً مقابل خدماته لها، كما أن علاقاته السياسية بالاضافة الى الكثير من الخصال التي كان يتحلى بها وأهمها السماح والكرم الحاتمي في موضعه. وبعد كل هذا ما هو مصير فرناند ؟

العام ١٩٨٤ كان فرناند يعيش متنقلاً بين أميركا وباريس والبرازيل. لم يكن أحد يعرف له عنواناً ثابتاً، ينزل غالباً في الفنادق الراقية ولكنه كان يدخلها من الأبواب الخلفية ويعطي لمن يقابله رقم هاتف مغلوطاً ومن يشاء أن يقابله عليه أن يلاحقه بطرقه الخاصة. في نفس العام طلق زوجته « أم أولاده » الاثنين رغم شذوذه الجنسي وتزوج من أميرة إيرانية من مخلفات الشاه ولم يعط أو يبح باسمها لأحد. أصبح ابنه الأكبر يعمل في ميدان العقول والثاني أصبح محامياً. وكان كعادته إذا خرج من

باريس لا يركب إلّا سيارته الرولس رويس الشهيرة أو سيارة اللينكولن الرئاسية الأميركية التي سبق أن اشتراها من أملاك الرئيس السابق ريتشارد نيكسون... وكان كلبه الأسود لا يفارقه وكان يرتدي قبعته السوداء الكبيرة ونظاراته السوداء القاتمة التي يخفي ورائها عينين سوداويتين خجولتين ــ رغم كل شيء ــ تطويان ألف سرّ وسرّ. كان يقول لمن يقابله : « أنا سعيد وليس عندي أي وقت للضجر ».

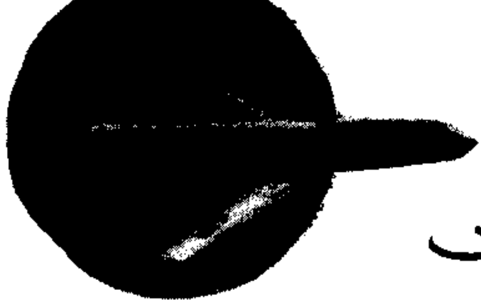
وفي منتصف شهر كانون الثاني (ديسمبر) ١٩٨٤ كان قد عاد من جولاته إلى باريس ليحضر ولادة كتاب له وعنه. ولكي يحتفل بهذه المناسبة أقام حفلة كوكتيل ضخمة في فندق كونتيننتال الشهير في باريس حضرها الكثير من المسؤولين والكتاب المرتزقة (عفواً) لأن هذا هو الواقع مع فرناند وكان كتابه المحتفى به قد أعده له ثلاثة من هؤلاء الكتاب المرتزقة. ولكن هذه الحفلة كانت بمثابة الشؤم له لأنه صدر في اليوم التالي للاحتفال الخبر الآتي في الاذاعات والصحف الفرنسية « فرناند لوغرو يدخل السجن » وذلك أن فرناند ركب سيارته الرولس رويس عقب انتهاء الحفلة وهو مخمور وأصر على أن يقودها بنفسه وهو على هذه الحال فتعرض لحادث مريع وجاء البوليس الفرنسي... والبوليس الفرنسي لا يرحم في مثل هذه الأمور. ويا ليت الدول الأخرى يكون بوليسها مثل البوليس الفرنسي ! وعاد فرناند الى السجن لمدة أربعة أشهر. لم يتمكن أحد من مساعدته، ولم ينفعه ماله وغناه في تخليص نفسه من مخالفة قانون السير الفرنسي وعدم قيادة السيارة أثناء السكر « أي بعد تناول الكحول ».

نهاية المغامر العميل فرناند لوغرو

○ عقب خروج فرناند من السجن الفرنسي في أول شهر تشرين الأول « أكتوبر » ١٩٧٥ أثر حادثة السيارة اختفى عن الأنظار نهائياً. ولم يعد يظهر للمغامر فرناند أي أثر لكل من يسأل عنه. من يعرفه أو كان يعرفه في باريس ولم يعد يسمع باسمه كان يقول : أوه. لقد رحل فرناند عنا وأخذ أسراره معه. فعلاً رحل فرناند الذي كان القفل والمفتاح لأسرار كثيرة إلّا سره هو فلم يكن مفتاحه مع أحد. والنهاية أي نهاية الحياة للجميع مهما كانوا أقوياء مهما كانوا أغنياء فهي محتومة حسب سنة الحياة وسنة الكون. فقد خرج فرناند من السجن كئيباً حزيناً وتوارى عن الأنظار في دارته بباريس ولكن للحق فإن عائلته لم تتركه. زوجته الأميرة الايرانية وولداه كانا يحيطان به حيث أصيب بمرض العصر وهو مرض القلب. وأخيراً أصيب بنوبة قلبية حادة مات على أثرها وتمّ تشييعه بشكل لائق وسار خلف نعشه أصدقاء الأمس يحيطون بأرملته وأولاده بشكل مؤثر. وهكذا انتهى عميل من عملاء المخابرات الأميركية نهاية طبيعية أي بالموت الطبيعي وليس اغتيالاً كنهاية أغلب عملائها وذلك لأن فرناند كان عميلاً من نوع خاص جداً.

أميركا تكشف القناع عن وجهها..؟

جميع أعمال المخابرات الأميركيّة



تحت عنوان

الغاية تبرّر الوسيلة

- أميركا أقامت الدنيا لأجل الطائرة الكوريّة ولم تحرك ساكناً لأجل الطائرة الليبية التي أسقطتها إسرائيل.

- المخابرات الأميركيّة قتلت ٩٠٠ إنسان في غويانا "كتجربة" وقتلت ٢٦٩ إنساناً ركّاب الطائرة الكوريّة أيضاً «كتجربة».

من تجاوزات المخابرات الأميركية
واستهتارها بأرواح المسافرين بالطائرات

الملفُّ الكامل
عَن
إسقاط الطائرة الكوريّة

إعــلان الحــرب
بين : المخابرات السوفياتيّة (K.G.B)
و : المخابرات الأميركيّة (C.I.A)
على الطائرة الكوريّة جامبو (747)

• • •

الملف الكامل عن اسقاط الطائرة الكورية فوق اليابان

في ٣١ آب (أغسطس) ١٩٨٣ أطلقت الطائرات الاعتراضية في سلاح الجو السوفياتي قذائفها الصاروخية على طائرة جامبو (٧٤٧) تابعة لشركة الخطوط الجوية الكورية داخل المجال الجوي السوفياتي فأسقطتها من على ارتفاع ٣٥ ألف قدم في مياه بحر اليابان وتسببت في مقتل جميع ركابها وطاقمها الذين بلغ عددهم (٢٦٩ إنساناً)، كان من بينهم المستر لاري لورنس ماكدونالد عضو الكونغرس الأميركي و٢٧ يابانياً واكثر من ٥٠ راكباً أميركياً و٨٠ راكباً كورياً وبقية الركاب من تايوان وهونغ كونغ والفليبين وكندا وتايلاند واوستراليا. ولم يكن هذا الحادث هو الأول من نوعه في تاريخ الطيران المدني. فقبل عشر سنوات من إسقاط الطائرة الكورية اعترضت مقاتلات من الفانتوم من سلاح الجو الاسرائيلي طائرة ركاب مدنية تابعة للخطوط الجوية الليبية داخل المجال الجوي المصري، فاستدرجتها إلى المجال الجوي فوق الأرض المحتلة بعد أن أوهم الطيارون الاسرائيليون كابتن الطائرة الليبية بأنهم « مصريون ». وبعد أن تمت الخدعة أسقطت الطائرة الليبية بأوامر أرضية من رئيس الأركان الاسرائيلي في حينه دافيد اليعازر وهو في حمام منزله. فلقي ركابها وطاقمها مصرعهم (ما عدا مساعد الطيار وهو ليبي عولج

في اسرائيل)[1]. ورغم أن عملية إسقاط الطائرة الليبية دفعت الى عالم النسيان لكن فاجعة الطائرة الكورية تؤرق ضمائر الباحثين وصحافيين كثيرين في الغرب والشرق لأن إسقاطها بهذا الشكل المفجع يختلف عن سقوط الطائرات بالكوارث الجوية والميكانيكية. ففي هذا العصر عصر الثمانينات الذي بات فيه سقوط الطائرات وموت المئات من ركابها من أحداث كل يوم. أما سقوط الطائرة الكورية « كال ٠٠٧ » فقد تحول الى مسلسل طويل من الاتهامات والاتهامات المضادة وعمليات التمويه ونشر عنه خلال أكثر من سنة عشرات البحوث والمقالات والكتب. والحقيقة أنه لا يكاد يعادل اسقاط تلك الطائرة المنكوبة فيما كتب ويكتب عنه. ومن البحوث هذا البحث المتواضع المملوء بالحقائق والأرقام سوى جريمة اغتيال الرئيس الأميركي جون كنيدي وإنه فيما كتب ويكتب يوجد إصرار مشكور على البحث عن الحقيقة ولا بد من وجود عمليات طلاء وتمويه لطمس الحقيقة. وقد نشر الصحافي الأميركي المعروف « سيمون هرش » كتاباً قيماً عن حادثة إسقاط الطائرة الكورية ونشرته له « دار راندوم هاوس الأميركية للنشر ».هذا الصحافي صاحب أحدث تحقيق في تلك الحملة وهو الذي اشتهر بنزاهته وعدم تورعه عن مهاجمة المخابرات الأميركية بل ومهاجمة « هنري كيسنجر » ذاته في كتابه « ثمن السلطة ». أما عنوان كتابه الذي نشره عن إسقاط الطائرة الكورية فهو « الهدف قد دمّر » وهو يقول في مجلة أطلانطيك الأميركية بعددها الصادر بتاريخ ٩ /٩ /١٩٨٦ أنه قضى عامين « منقباً » وباحثاً في مسألة تلك الطائرة فتبين له أنها « لم تكن في طلعة لجمع المعلومات لصالح المخابرات الأميركية أو لمخابرات كوريا

---

(١) للاطلاع على التفاصيل الكاملة لاسقاط الطائرة الليبية المدنية في ١٩٧٣/٢/٢١ يرجى مراجعة الصفحات من ٤٦٤ الى ٤٦٨ من الكتاب الأول من هذه السلسلة من كتب المخابرات والعالم ويمكن طلبه من المؤلف رأساً. بيروت ص ب (٥١٤٠).

الجنوبية ». وهذا كلام معقول ومريح (مما لو قال ان أجهزة التسمع الأميركية فطنت لفورها لما التقطته من اتصالات السوفيات الداخلية أثر دخول أو اقتحام الطائرة لمجالهم الجوي) إن مسؤولي الدفاع الجوي السوفياتي لم يفطنوا إلى أن الهدف الذي طاردوه كان طائرة « مدنية». ويؤكد الكاتب أن الحكومة الأميركية تعلم ذلك لكنها « تمسكت بالادعاء » بأن الروس أسقطوا الطائرة المدنية « عمداً » وهم يعلمون أنها طائرة ركاب، لأن الحكومة الأميركية اختارت أن تتجاهل ما قد توفر لديها من معلومات. ويؤكد الكاتب الباحث أن فاجعة الطائرة سببه سلسلة من « الأخطار البشرية ». ونحن نبحث في هذا الفصل الأمور الآتية : هل ضلت الطائرة طريقها ودخلت المجال الجوي السوفياتي ذاهبة الى مصيرها المقدّر نتيجة لتلك السلسلة من الأخطاء من جانب الطيارين ومحطات المراقبة الجوية؟

إسقاط الطائرة من جهة النظر الأميركية

بتاريخ ٣١ آب يوم إسقاط الطائرة لم يكن الرئيس الأميركي ريغان في واشنطون بل كان في إجازة قصيرة للاستجمام في مزرعته بين تلال سانتا بربارا بولاية كاليفورنيا. وحين وصلته الأنباء بالأجهزة اللاسلكية التي أعطتها له المخابرات الأميركية قرر قطع إجازته والعودة فوراً إلى واشنطون ليرأس اجتماعاً طارئاً لمجلس الأمن القومي. وبعد دقائق من اذاعة النبأ أطلق السيناتور توماس هارتنت الطلقة الأولى فوصف « القيام بهجوم مسلح على طائرة ركاب مدنية غير مسلحة » بأنه عمل اجرامي يشبه « شن هجوم على سيارة باص مدرسية محمّلة بالأطفال » وفي أعقاب تلك الطلقة الأولى « شنت » وزارة الخارجية الأميركية حملة دبلوماسية بالغة الحدة على الاتحاد السوفياتي. ثم وجه الرئيس ريغان إلى العالم بياناً ألقاه من فوق منصة أعدت له على عجل في مطار كاليفورنيا وصف فيه إسقاط الطائرة الكورية بأنه « عمل بربري كشف عن الدوافع المحركة للسياسة السوفياتية » ثم ركب الطائرة الرئاسية طائرة « سلاح الجو الأميركي رقم واحد » عائداً إلى واشنطون.

○ وقد بدا واضحاً عقب إسقاط الطائرة الكورية أن الحكومة الأميركية قد قررت لأسباب دعائية محضة اتخاذ الحادث، الذي لم يكن الأول من نوعه في تاريخ التناحر بين الشرق والغرب، ذريعة لشن حملة

على السوفيات لم يسبق لها مثيل، منذ الحملة على اليابانيين أثر الهجوم الجوي من قبل سلاح الجو الياباني على ميناء « بيرل هاربر » في ١٩٤١/١٢/٧ وأيضاً استهل الحملة في حينه الرئيس الأميركي روزفلت بخطبة قال فيها : « إن هذا اليوم سيظل التاريخ يذكره في سجل العار ». هذه الخطبة التي يؤكد فيها بعض الأميركيين وباصرار ان الرئيس روزفلت أعدها توقعاً لذلك الهجوم قبل وقوعه بأيام.

○ وفي الحملة ذات النبرة الأخلاقية العالية التي شنتها إدارة الرئيس ريغان إثر إسقاط الطائرة الكورية تكررت الكلمات التي من نوعية « سجل العار » بشكل مكثف، ووصف إسقاط الطائرة بأنه « جريمة في حق الانسانية ». والواقع أنه بدا وقتها كما لو كان الأميركيون قد وضعوا السوفيات في ركن ضيّق وانهالوا على رؤوسهم بألفاظ المبادئ الانسانية التي تستعمل عند اللزوم. وفي اجتماع مجلس الأمن وصف المندوب الأميركي تشارلس ليتشنستين الحكومة السوفياتية بأنها جانحة غير متمدنة لأنها لم تعترف بالمسؤولية وتتخذ من الخطوات ما يكفل عدم ارتكاب مثل ذلك العمل الاجرامي ثانية أبداً. ولعدة أسابيع أقامت الولايات المتحدة الدنيا وأقعدتها، وظلت الحملة تصعد تصعيداً بالغ الحدة حتى بدا كما لو كان القادة الأميركيون قد أخذوا يعبئون الرأي العام في بلدهم وفي العالم ويعدونه للقبول بعمل صارم يتخذ ضد السوفيات.لكن شيئاً لم يحصل والحملة ما لبثت أن خفتت بعد الأسابيع المشتعلة الأولى وأخذت درجة حرارتها تنخفض حيث صدرت اشارات غير مألوفة من الرئيس الأميركي الذي يحرص على عدم التراجع عما كان بدأه، إذا فهم من هذه الاشارات أن المسألة لم تكن بذلك القدر من الاشتعال. وتأكد ذلك عندما وقّع الأميركيون في موسكو بالذات وليس في أي مكان آخر « اتفاقية قمح » كان الروس قد انتظروها طول ثلاث سنوات من التمنع الأميركي سعياً لابرامها. ثم غيّرت الحكومة الأميركية موقفها فجأة من

موضوع خط الأنابيب السوفياتي فعدلت عن الحظر الذي كانت قد فرضته على الشركات الأميركية فمنعتها من توريد بعض احتياجات السوفيات لبناء ذلك الخط الاستراتيجي البالغ الأهمية بالنسبة للسوفيات. ثم أعلن جورج شولتز وزير الخارجية الأميركي وهو الذي سبق له أن رفع صوته قبل وقت قصير قائلاً بأن أي شيء لن ينسينا الجريمة البشعة، سيجتمع في مدريد « كما كان متفقاً قبل إسقاط الطائرة الكورية » مع الرفيق غروميكو الذي كان وزيراً للخارجية السوفياتية في حينه. وبشكل عام بدا في تلك الأوقات كما لو كان السوفيات قد توصلوا إلى « شيء ما » أسكتوا به الحملة الضارية التي شنت عليهم وأقنعوا الأميركيين باعطائهم فوق ذلك ما ظلوا يطلبونه خلال سنوات سابقة : القمح، خط الأنابيب. ولم يقل السوفيات بطبيعة الحال شيئاً عما مكنهم من « تغيير » الموقف الأميركي بتلك السرعة فقد لزموا الصمت حتى في أعنف لحظات الحملة التي شنت عليهم. وفي وسط الضجيج الاعلامي الكبير في أعقاب إسقاط الطائرة وأثناء دويّ صواريخ التصريحات الأميركية الغاضبة لم يكن الكثيرون قد انتبهوا الى الكلام الخطير الذي قالته السيدة كاترين ماكدونالد « أرملة » المستر لورنس ماكدونالد عضو الكونغرس الأميركي ورئيس جمعية « جون بيرتش » العنصرية المتطرفة من أن زوجها « قتل عمداً » وأنه « اغتيل » وأنّ طائرته « الطائرة الكورية » قد أدخلت عنوة الى المجال الجوي السوفياتي ليسقطها السوفيات ويقتلونه بالذات.

○ الصحيفة الوحيدة التي تنبهت إلى خطورة ما قالته مسز ماكدونالد أمام عدسات التلفزيون والصحافيين في مطار اطلانطا كانت صحيفة (أنجيليس هيرالدأكزاميز) فنشرته على صدر صفحتها الأولى وعلقت بأنه من الغريب حقاً أن يقال ذلك الكلام عن « اغتيال ماكدونالد » على لسان أرملته ولا يرد له ذكر في الحملة الرسمية الأميركية رغم أنه كلام

يتلاءم والزخم العام للحملة بالنظر إلى أن ماكدونالد كان من ألدّ أعداء الشيوعية في المؤسسة الأميركية الحاكمة. ومن الأسئلة الجريئة التي طرحتها هذه الصحيفة ولم تتلق إجابة عليها الا من مسز ماكدونالد ولا من أي مسؤول أميركي، سؤال محيّر فعلاً وهو : من الذي قصدته مسز ماكدونالد عندما قالت أن زوجها لاري « قتل عمداً » ؟ هل قصدت الروس ؟ ومع ذلك فبطبيعة الحال لم يكن هناك ما يمنع الأميركيين من الادعاء بذلك بل ولقد بدا فعلاً أن المسؤولين الأميركيين « وإن لم يقولوا ذلك صراحة » قالوه تلميحاً. ففي كلمته أمام مجلس الأمن قال المندوب الأميركي إن على العالم تسمية جريمة السوفيات بأنها جريمة مع سبق الاصرار والترصد ». فكأنما أراد أن يفسر ما قالته أرملة ماكدونالد عن القتل العمد ولكن مع التعميم والابهام إذ يمكن أن يؤخذ ما قاله عن « القتل العمد » بوصفه منسحباً على كل من كانوا في الطائرة ومنهم المستر ماكدونالد. لكن القول أن السوفيات أسقطوا الطائرة ليقتلوا ماكدونالد لأنه من أعدائهم فهذا لا يمكن ابتلاعه بسهولة. فإن كان السوفيات يريدون حقاً « اغتيال » الرجل بسبب معاداته لهم كالمئات غيره من ساسة الولايات المتحدة والمشرعين الأميركيين فلم يكونوا بحاجة لاسقاط طائرة ركاب مدنية باكملها وجلب كل هذه الضجة لهم ولديهم الـ كي. جي. بي. التي يمكنها القيام بالتصفية بطرق اكفأ وأقل اثارة. ومع ذلك ظلت علامات استفهام عديدة وكبيرة تتراقص في الجو وتستفسر عن فاجعة تلك الطائرة. ومما شجع المستائلين على الالحاح في التساؤل عندما علم أن المستر كارول هابارد أحد زملاء ماكدونالد كان سيسافر معه على نفس الطائرة من نيويورك لكنه اعتذر في اللحظة الأخيرة لأنه دعي لالقاء كلمة في اجتماع عام عقد في ولاية « كنتكي ». وعندما كثرت مثل تلك التساؤلات ظهرت فكرة « التجسس » المثيرة.

هل كانت الطائرة في عملية تجسس أم أنها انحرفت ببراءة عن مسار الرحلة ؟

إن حادث إسقاط الطائرة الكورية لم يكن الأول من نوعه إذ أن السوفيات اعترضوا منذ عام ١٩٥٠ ما لا يقل عن ٨٧ طائرةً أميركيةً. أو لها علاقة بأميركا دخلت مجالهم الجوي للقيام بأعمال تجسس. فأسقطوا أو أرغموا على الهبوط منها ٢٧ طائرةً وأفلتت ٦٠ منها. وإن اكثر من ١٥٠ من العسكريين الأميركيين قتلوا في تلك المجابهات. ويضاف إلى ذلك أن نفس قائد الطائرة الكورية كان أصلاً طياراً عسكرياً يحمل رتبة عقيد في سلاح الجو الكوري وأنه كان يتفاخر في أحاديثه الخاصة بقيامه، أثناء قيادته للطائرات المدنية الكورية في رحلاتها إلى الشرق الأوسط والشرق الأقصى، بـ« مهمات خاصة وسرية للمخابرات الأميركية » وأنه أتاح لبعض أصدقائه المقربين فرصة مشاهدة أجهزة التجسس المستخدمة في تصوير المنشآت العسكرية السوفياتية بما في ذلك التجسس عليها الكترونيا من الجو. وعلم فيما بعد أن الخطوط الجوية الكورية « متعاقدة » منذ السبعينات مع المخابرات الأميركية على القيام لحسابها بعمليات تجسس ». كما قيل في هذا المجالى أن الأميركيين أطلقوا من المنطقة اليابانية التي دخلت منها الطائرة المجال الجوي السوفياتي قمراً برمج لتغطية المنطقة التي توغلت فيها الطائرة

الكورية من المجال الجوي السوفياتي وتسجيل مواقع منظومات الدفاع الجوي التي ستنشط للعمل « إثر اقتحام الطائرة الكورية للأجواء السوفياتية ». ومما رجح كون الطائرة الكورية قد دخلت المجال الجوي السوفياتي للتجسس أن السوفيات أنفسهم أصدروا بياناً مريباً غامضاً بعد يومين من اسقاط الطائرة قالوا فيه ان طائرة غير معروفة الهوية قد أسقطت إثر اقتحامها مجالهم الجوي وبعد ذلك قالت وكالة « تاس » ان الولايات المتحدة خططت عمداً الانحرافات التي أقحمت الطائرة في المجال الجوي السوفياتي وتساءلت « تاس » قائلة : لو أن رحلة الطائرة كانت رحلة طيران عادية لطائرة مدنية وضلت الطريق، لِمَ لم يُتَّخذ أي اجراء من جانب السلطات الأميركية لتصحيح مسارها وإنهاء ذلك الاعتداء السافر على المجال الجوي السوفياتي. أما الأميركيون فقد قالوا ما قالوه عن الطائرة المنكوبة وادعوا أنها عندما بارحت مطار كنيدي كانت بحاجة الى اصلاح « أعطال في أجهزة اللاسلكي والملاحة » وأن الاصلاح كان سيجري لها عند هبوطها في مطار أنكوراج بألاسكا. ولم يقل أحد فيما بعد إن كان الاصلاح قد أجري عليها أم لا. ونحن نقول من على الأرض أنه من الغريب فعلاً أن تتمكن الطائرة من الوصول سالمة الى أنكوراج وفيها تلك الأعطال. ثم تضل الطريق وتدخل اجواء الاتحاد السوفياتي بعد إصلاحها « إن كانت قد أصلحت ».

وبعد ذلك جاءت المعلومات من نفس مطار أنكوراج أن الطائرة الكورية وكان اسمها (كال ٠٠٧) قد هبطت في مطار أنكوراج ولم يجرِ عليها أي إصلاح،وقد هبطت بعد دقائق من هبوطها طائرة جامبو ٧٤٧ كورية أخرى وتحمل الاسم (كال ٠١٥) ووقفت بجوارها وهي قادمة من لوس أنجلوس ووجهتها هي الأخرى سيوول وتسير على نفس مسار الطائرة الأولى على الخط « آر ٢٠ » أو الخط ٢٠ الأحمر كما يسميه الطيارون. وهذا الخط على امتداد نقاط مراقبة جوية تبعد كل

منها عن الأخرى حوالي ٢٨٠ ميلاً بحرياً. وكان على متن الطائرة الثانية (كال ٠١٥) ستة من أعضاء الوفد الرسمي الأميركي الذاهب إلى سيوول للاشتراك في الاحتفال بمرور ٣٠ عاماً على توقيع معاهدة الدفاع المشترك بين البلدين وهو الوفد الذي كان لورنس ماكدونالد من أعضائه.

ومن أعضاء الكونغرس الستة المشتركين في الوفد والمسافرين على الطائرة (كال ٠١٥)، كان السيناتور جيسي هيلمز وهو الذي اختار ماكدونالد للمشاركة في الوفد ! ومع ذلك لم يحاول هيلمز أو أي من زملائه الآخرين المسافرين على الطائرة الثانية « السؤال » عن ماكدونالد وهو بجانبهم أو دعوته للانتقال الى طائرتهم للسفر معهم على الطائرة (كال ٠١٥) خاصة عندما علموا أن الطائرة (كال ٠٠٧) ستتأخر لأسباب غير معروفة في مطار أنكوراج بعد أن كان « محدداً » لها الاقلاع قبل الطائرة (كال ٠١٥) بعشرين دقيقة. وعندما سأل الصحافيون أعضاء الوفد الأميركي إلى احتفالات سيوول الذي كان ماكدونالد أحد الممثلين الرئيسيين لليمين الأميركي المتطرف عن عدم التقائهم بماكدونالد اطلاقاً في مطار أنكوراج أجاب السيناتور ستيف سيمز قائلاً باللهجة الأميركية : أوه ــ هذا ؟ الكل يعرف أن « لاري » كان يخلد الى النوم كلما ركب الطائرة. ولذلك لم نستغرب عندما لم نلتق به في أنكوراج ثم أضاف قائلاً : « ولو كنا التقينا به.. من يدري ؟ ربما كنا أقنعناه بالانتقال الى طائرتنا لنكمل الرحلة معاً » وسكت لحظة ثم قال : « أو كان هو قد أقنعنا بالانتقال الى طائرته وكنا معه الآن ؟ » أي في عداد الأموات لأن الحديث بعد سقوط الطائرة.

الرحلة الغامضة

غادرت الطائرة (كال ٠٠٧) مطار أنكوراج بعد اقلاع الطائرة الأخرى بعشرين دقيقة « متأخرة » عن الموعد الذي كان محدداً لاقلاعها بأربعين دقيقة وأيضاً لم يعرف سبب هذا التأخير. كل ما عرف أن قائد الطائرة تزود في ذلك المطار بـ٩٨٠٠ رطل من الوقود زيادة عن حاجة الطائرة طبقاً لخط رحلتها. ولم يعرف بعد ذلك سبب تزود الطائرة بتلك الكمية الاضافية الضخمة من وقود عال الاشتعال. ولم يعرف ثالثه الوقت الذي خرجت فيه الطائرة عن المسار المرسوم لرحلتها وهو الخط الجوي « آر ٢٠ » والذي التزمته الطائرة الثانية (كال ٠١٥) « بدقة » فوصلت الى سيوول في الموعد المحدد لها. والمعتقد أن انحراف الطائرة (كال ٠٠٧) نحو الأجواء السوفياتية بدأ إثر اقلاعها مباشرة تقريباً وعلى بعد عشرة أميال من مطار انكوراج.

ومن المفروض، بل من المقطوع به أن رادارات نقاط المراقبة العسكرية الأميركية اكتشفت لفورها خروج تلك الطائرة المدنية عن خط الرحلة المرسوم لها منذ اللحظة التي انحرفت فيها هذه الطائرة عن ذلك الخط « وكان من المفروض أن يبلغ ذلك فوراً لسلطات الطيران المدني استناداً للاتفاق الذي عقد بين سلطات المراقبة العسكرية والطيران المدني ووزارة الدفاع الأميركية سنة ١٩٨٢ الذي ينص على أن تقوم الرادارات

التابعة لنقاط المراقبة العسكرية « بالتحقق من التزام الطائرات المدنية بدقة لخطوط الرحلات المرسومة لها » وتبلغ هذه النقاط سلطات الطيران المدني بأي انحراف لتقوم مراقبة الحركة الجوية. بالاتصال بالطائرة وتصحيح مسارها.

وقد بيّنت التحقيقات فيما بعد أن نقطة المراقبة العسكرية في كينغ سالمون قد أبلغت مطار أنكوراج بخروج الطائرة (كال ٠٠٧) عن مسارها، لكن تلك المعلومات لم تبلغ من مطار أنكوراج إلى مراقبة الحركة الجوية .كما عرف أيضاً أن نقطة المراقبة العسكرية في « كيب نيو نيهام » لم تُعن باخطار مراقبة الحركة الجوية بالانحراف الكبير الذي سجلته راداراتها في مسار الطائرة. (ولم تعرف أسباب ذلك التقصير حتى الآن) وأيضاً وبالمثل لم يعرف السبب في التزام قائد الطائرة الصمت وعدم إبلاغه نقاط المراقبة بأن طائرته ستتأخر في الوصول إلى مناطقها مخالفةً التعليمات الملزمة للطيار بالابلاغ عن أي تأخير يتجاوز (٣) ثلاث دقائق عن الموعد المحدد لوصوله إلى منطقة أية نقطة من تلك النقاط. وقد ثبت بعد الحادث أن الطائرة (كال ٠٠٧) « مرَّت » وهي تقترب من المجال الجوي السوفياتي بالقرب من طائرة استطلاع عسكرية أميركية « آر — سي — ١٣٥ » أي طائرة تجسس حقيقية على الاتحاد السوفياتي. وقد أعلن المسؤولون الأميركيون وعلى رأسهم الرئيس ريغان بعدم وجود أدنى علاقة بين الطائرتين وأنَّ المسافة بينهما لم تقلّ في أي وقت عن ٧٥ ميلاً بحرياً، وأنَّ ذلك التجاوز كان مصادفة ولعدة لحظات في المرة الأولى وأنَّ الطائرة العسكرية قد عبرت مسار الطائرة الكورية مرة ثانية وكان ذلك على بعد ٣٠٠ ميل بحري.

أما السوفيات فقد أذاعوا تفصيلات مغايرة وحكوا حكاية أخرى وطبقاً لروايتهم، التقت الطائرة الكورية بالطائرة العسكرية على ارتفاع ٢٦ ألف قدم، وطارت الطائرتان جنباً إلى جنب، بنفس السرعة، ولمدة عشر دقائق

بطريقة جعلت صورتيهما على شاشات الرادار السوفياتية الضخمة تتداخلان، ثم انفصلتا وطارت إحداهما شمالاً باتجاه ألاسكا، بينما غيّرت الأخرى مسارها تغييراً طفيفاً وطارت باتجاه مناطق عسكرية استراتيجية فوق مناطق « بتروبافلوفسك » بشبه جزيرة كاماشتكا، وأن الطائرة العسكرية التي تبين فيما بعد أنها هي التي طارت شمالاً إلى ألاسكا قامت قبل انطلاقها في ذلك الاتجاه « بمناورة » لتضليل الرادارات السوفياتية حتى تتيح للطائرة الثانية (كال ٠٠٧) دخول المجال الجوي السوفياتي خلسة.

والفصل في صدق رواية الأميركيين أو رواية السوفيات بطبيعة الحال هي المعلومات التي سجلتها الرادارات الأرضية الأميركية وأجهزة طائرة الاستطلاع العسكرية الأميركية « آر — سي — ١٣٥» ذاتها (لكن تلك المعلومات ظلت بعد الحادثة طيّ الكتمان).

ولما كانت السلطات الأميركية لم تنف وجود الطائرة العسكرية في الجو بالقرب من الطائرة الكورية بل ولم تنف هذه السلطات دخولها المجال الجوي السوفياتي وأنه من المؤكد أن قائد الطائرة العسكرية وأجهزتها الالكترونية « اكتشفا » أن الطائرة الكورية كانت قد انحرفت عن مسارها في نقطة « التقارب » بما لا يقل عن ٢٠٠ ميل، لأنه من المعروف عسكرياً أن ذلك النوع من الطائرات العسكرية أشبه بمعمل عسكري كامل طائر في الفضاء مقام داخل طائرة بوينغ (٧٠٧) عدلت لتمارس أعمال التجسس وسميت « آر — سي — ١٣٥ ». ويدير هذا المعمل الطائر طاقم من عناصر قيادة الجو الاستراتيجية الأميركية بمساعدة فريق كبير العدد من الفنيين والمترجمين ويعمل تحت سلطة وكالة الأمن القومي الأميركية. ومن الأنشطة التي يقوم بها هذا المعمل الطائر نقل الصور التلفزيونية لما يجري حوله في الجو أو تحته على الأرض إلى محطات استقبال أرضية.

ومن المقضي به أن الطائرة المعمل هذه سواء التقت بالطائرة الكورية وسارت بجوارها لمدة عشر دقائق كما يقول الروس وعبرت خط مسارها مرتين مرة على بعد ٧٥ ميلاً ومرة على بعد ٣٠٠ ميل كما يقول الأميركيون سجلت أو بثت لفورها إلى مطار أنكوراج مدى انحراف الطائرة الكورية عن مسار الخط « آر ٢٠ » الذي اتبعته الطائرة الشقيقة (كال ٠١٥) فوصلت إلى وجهتها سيوول سالمة. فإن الطائرة الكورية كان مقرراً لها هذا الانحراف ومكتوباً عليها هذا المصير. والذي لا شك فيه أيضاً أن تلك الطائرة العسكرية « المعمل » فطنت لفورها إلى أن المسار الذي اتخذته الطائرة الكورية عندما انحرفت كان مفضياً بها لا محال الى دخول المجال الجوي السوفياتي الذي تقول الرواية الأميركية أنه كان على بعد ٥٠ ميلاً بحرياً لا أكثر وقد ذكرنا أنها أعلمت فوراً سلطات مطار أنكوراج فلِمَ لَمْ تستخدم تلك المعلومات « من الموقع الأرضي » لتصحيح مسار الطائرة »؟



الرئيس ريغان يتحدث عن
إسقاط الطائرة الكورية

من المعروف أن الرئيس ريغان كان قد قطع إجازته قبل انتهائها بثلاثة أيام كاملة عندما علم بحادث اسقاط الطائرة الكورية وعاد من مزرعته في سانتا بربارا على ساحل كاليفورنيا إلى واشنطون العاصمة وبعد وصوله بدأ سلسلة اجتماعات مكثفة مع مجلس الأمن القومي تلتها دعوة قيادات الكونغرس من الحزبين الجمهوري والديموقراطي إلى لقاء سري وموسع،طرح الرئيس ريغان خلاله تفاصيل اسقاط الطائرة الكورية من وجهة النظر الأميركية يوم الاثنين ٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٨٣. ولم يكن اختيار ذلك اليوم لمخاطبة الأميركيين « صدفة » إذ أنه في بداية شهر ايلول من كل عام يصادف « عيد العمل » وهو عيد أميركي يوازي عيد العمال العالمي في أول أيار. وقد شهدت الولايات المتحدة في ذلك اليوم تظاهرات صاخبة والقاء خطب نارية نظمها وألقاها القادة النقابيون في الولايات المتحدة الأميركية وأعلنوا خلالها أمام مئات الألوف من المشاركين في هذه التظاهرات والمسيرات أن « العمال الأميركيين » هم الذين دفعوا الثمن الأعلى لسياسة ريغان الاقتصادية والاجتماعية. وأكدوا فيها أنهم سوف يجعلون الرئيس يدفع الثمن في الانتخابات القادمة.

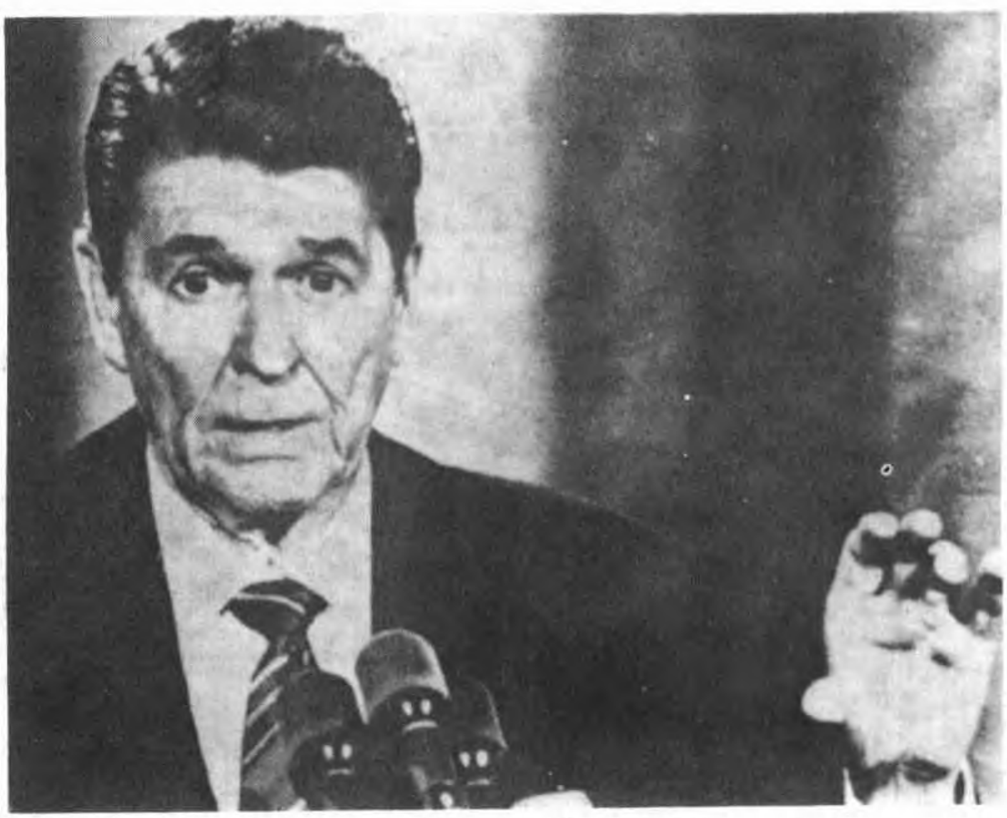
في الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم وقف الرئيس ريغان في البيت

الأبيض مستغلاً « حادثة اسقاط الطائرة الكورية » ليرد على خصومه السياسيين رؤساء النقابات عبر الحديث التلفزيوني المباشر الى الشعب الأميركي عن الرحلة (٠٠٧) للطائرة الكورية الجنوبية المدنية.

بدأ الرئيس كلمته بمشهد عاطفي مؤثر « الرئيس ريغان لا يزال يجيد تمثيل هذه الأدوار لأن التمثيل والفن السينمائي لا يزالان يجريان في دمه » حيث بكى واستبكى الحاضرين عندما أشار الى الرسائل التي تلقّاها من أهالي الضحايا. ثم أكد أن طائرة التجسس من نوع «R-C-135» كانت في مهمة روتينية عندما « التقت » صدفةً وفي ممر جوي واحد بالطائرة الكورية المفقودة وقال إن طائرة التجسس كانت قد هبطت قبل ساعة على الأقل من اسقاط الطائرات المقاتلة السوفياتية للطائرة المدنية الكورية. ثم قام الرئيس وأيضاً على طريقة تمثيله السابق في هوليوود وضغط على زر أمامه وإذا بعبارات خشنة باللغة الروسية تنطلق من آلة تسجيل قربه ولم يكن مهماً أن الكلمات الروسية لم تكن مترجمة فقد كان صوت الطيار السوفياتي الخشن وهو يخاطب القاعدة الأرضية مع ما رافق الصوت من مؤثرات صوتية « يكفي » لاقناع الحاضرين والمشاهدين على شاشات التلفزيون بأن ما حدث كان مجزرة والوصف أيضاً للرئيس ريغان. وتابع الرئيس وأيضاً في لغة سينمائية نادرة قائلاً : لم يكن هناك أي احتمال في أن الطيار السوفياتي لم يكتشف أن الطائرة كانت « مدنية » لأنه إذا وضعنا الأجهزة الالكترونية « جانباً » فقد كانت السماء صافية والقمر بدراً » !

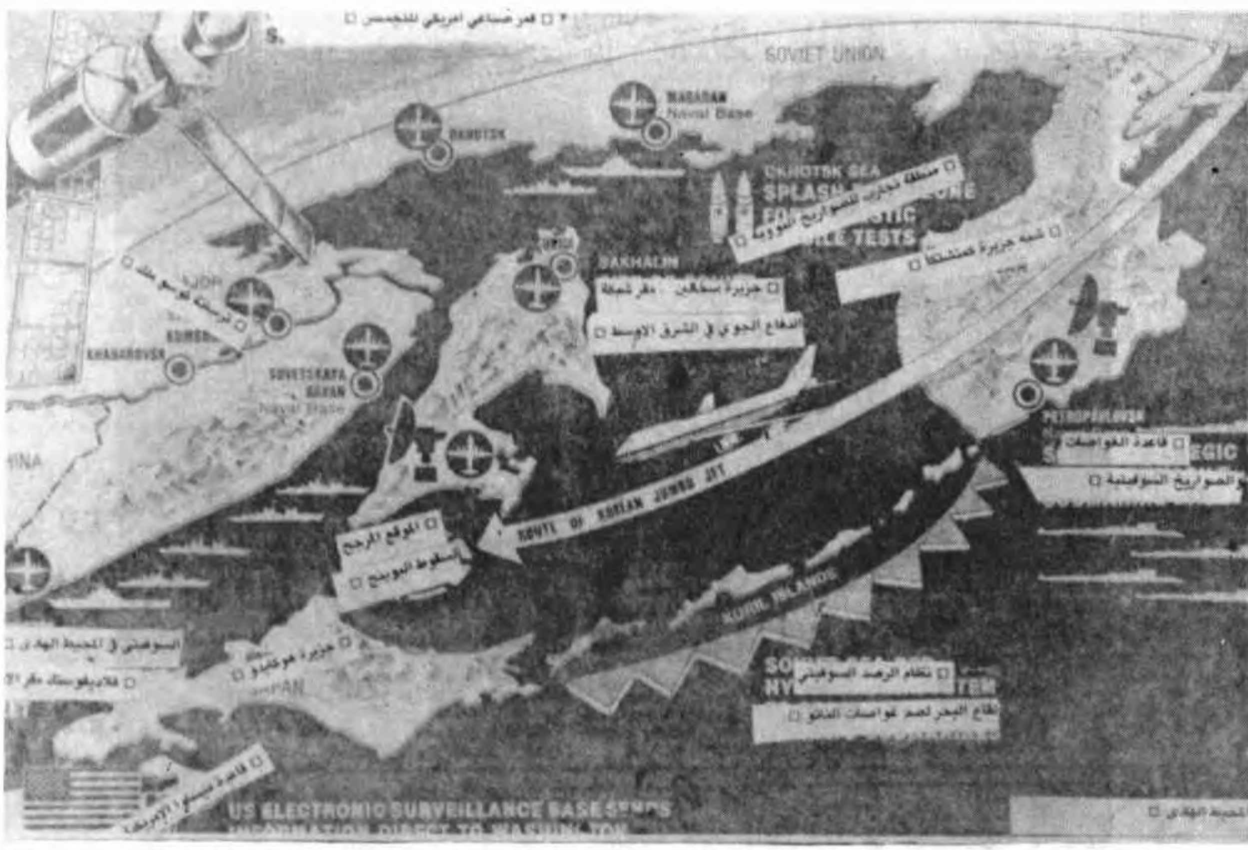
وبعد هذه المقدمة الدرامية انتقل الرئيس ريغان ليؤكد أن الاتحاد السوفياتي ليس ضد الولايات المتحدة وحدها، بل هو ضد العالم كله. ويذكر في لمحة من الخطاب بأن زائير انضمت إلى الولايات المتحدة الأميركية في استنكار المجزرة . وفي هذه المرحلة اشتد الهياج لدى الحاضرين وكانت التوقعات لدى الجميع قد شارفت ذروتها بحيث بات

خبر إعلان الحرب على الاتحاد السوفياتي « مسألة لا تحتمل التأجيل » ولكن الرئيس ريغان وكعادته يفاجئ الجميع بأنه لا يطلب من السوفيات « عملياً » أكثر من أن يدفعوا تعويضات مالية لأهالي الضحايا فقط. ويكشف الرئيس للأميركيين أن الولايات المتحدة قد قررت رفع دعوى لارغام السوفيات على دفع التعويضات المالية لعائلات خمسين أميركياً قضوا بالحادثة منهم كما ذكرنا عضو مجلس الكونغرس « لاري لورنس ماكدونالد». وأشاد الرئيس بشجاعة كندا التي قررت « منع » طائرات إيرفلوت السوفياتية من الهبوط في مطاراتها لمدة ستين يوماً كاملة ثم أخبر الأميركيين بأن الولايات المتحدة « بلاده » لا تستطيع أن تقوم بخطوة مماثلة لأنها ومنذ عام ١٩٨١ منعت هذه الطائرات من الهبوط في المطارات الأميركية رداً على دخول القوات السوفياتية أفغانستان.



الرئيس ريغان ــ يَبكي ويُبكي ــ على الطائرة الكورية (الممثل يبقى ممثلاً لو كان ريغان).

ثم ينتقل الرئيس إلى « بيت القصيد » من الخطاب الرئاسي ويطلب من الكونغرس الأميركي « ببسالة » الموافقة على الموازنة العسكرية للولايات المتحدة التي سيعود الكونغرس إلى مناقشتها « في حينه » وتتضمن هذه الموازنة تمويل صواريخ « أم ــ أكس » والقاذفة النووية « ب ــ ١ » وتحديث أسلحة البر والجو والبحر في مواجهة (العدوان السوفياتي) عبر بناء القوة الرادعة الأميركية. ورغم أن هذه الكلمة الرئاسية كانت هجومية في مفرداتها إلا أنها كانت وفي موقع واحد دفاعية إذ أن الرئيس اكد أنه لا يمكن الربط بين تواجد طائرة التجسس الأميركية «R-C-135» وبين إسقاط طائرة الركاب الكورية المدنية.



صورة خارطة تفصيلية لعملية اختراق الطائرة الكورية للأجواء السوفياتية.

أدق المعلومات عن طائرة التجسس الدخيلة

○ ما هي إذن قصة طائرة التجسس «R-C-135» ؟

عندما خرج جيمس رايت رئيس الأغلبية في مجلس النواب الأميركي من الاجتماع السري الذي دعا إليه البيت الأبيض قيادات الكونغرس يوم الأحد ٤ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٣، أبلغ الصحافيين أن البيت الأبيض يملك تسجيلات بصوت الطيار السوفياتي الذي قام باسقاط الطائرة وهو يخاطب قاعدته الأرضية. وقال النائب رايت : إن الطيار السوفياتي وصف الطائرة التي اخترقت المجال الجوي السوفياتي مرتين على الأقل بأنها طائرة من نوع «R-C-135» أي أن الطيار السوفياتي « خلط » بين الطائرة المدنية الكورية وطائرة التجسس العسكرية الأميركية. ولما بلغ هذا الحديث إلى البيت الأبيض « رئاسة الجمهورية » قامت قيامتهم ووصفوا الحديث بأنه (ترجمة غير صحيحة لما قيل في ذلك الاجتماع) واتصل جيمس بيكر كبير موظفي البيت الأبيض بالنائب رايت يطلب منه توضيحاً. وفعلاً أوضح النائب رايت فيما بعد أن ما قاله المسؤولون خلال الاجتماع هو أن السوفيات وصفوا الطائرة « الدخيلة » بأنها :

— إما طائرة تجسس من نوع «R-C-135».
— أو هدف يحتاج إلى التعريف عن نفسه.

ويبقى سؤال يطرح نفسه بعد هذه المعلومات ؟ لماذا بقيت قضية طائرة التجسس الأميركية مكتومة من يوم الخميس وحتى يوم الأحد ٨٣/٤/٤ بينما لم « يغفل » الأميركيـون ذكر أيّ من التفاصيل الكبيرة والصغيرة حول حادث الطائرة الكورية.ويأتي جواب السؤال بأن الرواية الأميركية تقول أن التسجيلات التي حصل عليها الأميركيون « للحوار » بين الطيار السوفياتي الذي تولى إسقاط الطائرة الكورية وبين قاعدته تشير إلى أن الطائرة الدخيلة هي من نوع «R-C-135» عسكرية وليست مدنية ولأن رحلات التجسس التي يقوم بها هذا النوع من الطائرات لا بد أن تدخل السجلات الرسمية الأميركية مع كافة التفاصيل المتعلقة بكل رحلة، بسبب خوف الادارة من أن يقوم أحدهم « بتسريب » الخبر إلى الصحافة في يوم ما.وربما يكون هذا اليوم قبل الانتخابات، فقد اضطرت الادارة للكشف ولو متأخرة عن « وجود » طائرة التجسس الأميركية في وقت واحد وفي خط طيران واحد مع طائرة الركاب الكورية الجنوبية حيث ذكرت الرواية الرسمية الأميركية أن هذه الطائرة كانت تقوم يوم الخميس « يوم الحادث » برحلة تجسس روتينية خارج الأجواء السوفياتية عندما التقت ولعدة دقائق فقط، وفوق المياه الدولية المحاذية للاتحاد السوفياتي بطائرة الركاب الكورية من نوع بوينغ ٧٤٧ في رحلتها رقم (٠٠٧).ومن المحتمل أن الردار السوفياتي قد التقط وجود الطائرتين ولكن لم يكن هناك مجال للخطأ لأن الطائرة التي اخترقت الأجواء السوفياتية مئات الأميال هي طائرة الركاب وليست طائرة التجسس. لأن الفرق شاسع بين الطائرتين فالطائرة «R-C-135» هي نسخة عن طائرة بوينغ ٧٠٧ ويبلغ طولها ١٥٢ قدماً، وارتفاعها ٤٢ قدماً، وامتداد أجنحتها ١٤٥ قدماً، بينما طائرة الركاب الكورية كانت من نوع بوينغ ٧٤٧ ويبلغ طولها ٢٣١ قدماً وارتفاعها ٦٣ قدماً وامتداد أجنحتها ١٩٥ قدماً.

وقد أوضح لاري سبيكس الناطق الرسمي باسم البيت الأبيض أنه لم

يكن السوفيات بحاجة إلى وقت قصير ليكتشفوا أنهم يتعاملون مع طائرتين مختلفتين ويعترف بأن السوفيات في إحدى الفترات كانوا يتحدثون عن الطائرة الدخيلة على اعتبار أنها طائرة تجسس أميركية. وإضافة إلى ذلك أكدت الرواية الرسمية الأميركية وعلى لسان الرئيس ريغان بالذات أن طائرة التجسس الأميركية كانت قد هبطت في قاعدتها في ألاسكا قبل ساعة على الأقل من اسقاط الطائرة المدنية الكورية، فيما قال مسؤولون آخرون إن طائرة التجسس الأميركية كانت على بعد « مسافة ألف ميل » من طائرة الركاب عند إسقاطها. والجديد الذي أعلن في هذه الرواية هو أن السوفيات « كما يعترف الأميركيون » كانوا عاجزين عن « التمييز » بين الطائرتين على شاشات الرادار، وبالتالي فإن « الرؤيا البصرية » كانت هي العامل الوحيد في معرفة نوع الطائرة بعد فشل الطيار المدني في الاستجابة لتعليمات الطيار السوفياتي بالهبوط « حسب الرواية السوفياتية ».أما الرئيس ريغان فقد اعتمد على دليل واحد في أن الطيار السوفياتي عرف واكتشف أنها طائرة مدنية وهذا الدليل هو أن « الليلة كانت صافية وكان القمر بدراً ».

غلطة أخرى ارتكبها الرئيس ريغان عندما اشار إلى أن الطائرة الكورية الجنوبية أسقطت « بصواريخ » أطلقتها المقاتلة السوفياتية بينما أكدت الرواية الرسمية الأميركية أن « صاروخاً واحداً موجهاً بالطاقة الحرارية » هو الذي أسقط الطائرة. ولدى سؤال البيت الأبيض عما إذا كان الرئيس قد أخطأ عندما استعمل كلمة « صواريخ » بالجمع وليس بالمفرد قال : « إن العبارة في خطبة الرئيس جاءت بالجمع وليس بالمفرد ». وبعد ذلك عم الحزن والأسف والألم والاستنكار عواصم الغرب ووسائل اعلامه الكبيرة جداً ووصفت حادثة اسقاط الطائرة بأنه لم يسبق لها مثيل بل لم تسبقها في حجمها حادثة سابقة. وقد توجه باتريس دوهاميل الصحافي المعروف ليسأل إحدى المستفظعين لحادثة الطائرة الكورية وهي السيدة

« سيمون فايل » رئيس البرلمان الأوروبي :

○ سيدة سيمون سبق أن أسقطت طائرة مدنية في الشرق الأوسط وعلى يد إحدى دول الشرق الأوسط فهل استنكرتم ذلك بمثل هذه « الشدّة »؟

وجاء الجواب الايجابي ومن رؤوس الشفاه ليظهر أن الموت ليس واحداً وان الضحايا ليسوا سيان أكانوا أميركيين أم يابانيين وكوريين يسقطهم سلاح سوفياتي أو كانوا عرباً تسقط طائرتهم اسرائيل عام ١٩٧٢.

اذن لنطلب الرحمة أيضاً لضحايا الطائرة الليبية التي أسقطتها اسرائيل بدون حق ولنطلب الرحمة أيضاً لضحايا الطائرة الكورية التي أسقطتها الطائرات السوفياتية « بحق » لأن للموت « رهبة عظيمة » خصوصاً عندما يصبح الموت حدثاً يومياً كما هي الحال الآن في الضفة الغربية وقطاع غزة ونحن في أيام الانتفاضة الكبيرة (أواخر عام ١٩٨٧ وأوائل عام ١٩٨٨) وكا هي الحال في لبنان. فالموت ذو شأن دائماً.أما الموت سياسياً فقد كان يكفي أن ينتشر نبأ اسقاط الطائرة الكورية حتى « يجد » فيه الرئيس ريغان مبرراً كافياً لسياسته الدولية ويتساءل كيف يمكن الوثوق بمصداقية دولة ترتكب مجزرة « حسب قوله » أو التفاوض معها. غير أنه لا يوازي غرابة هذه المأساة في وقوعها إلا موقف المتباكين عليها والواقعين تحت وزرها.فما إن هدأت التصريحات الفورية حتى ظهر أن الجانبين الذين ارتكبوها والذين بدا أنهم يستغلوها « يريدان نزع فتيلها » بل إن التصريحات الفورية نفسها لم تكن « فورية » لأن نبأ الحادث نفسه جاء متأخراً يومين. فالكوريون أعلنوا في البداية ــ مستشهدين بالمخابرات الأميركية ــ أن الطائرة ربما تكون قد حطت في جزيرة سخالين السوفياتية، قبل أن يعود اليابانيون فيعلنوا بعد صمت طويل نبأ اسقاطها بعد العثور على حطامها. وليس أغرب من مصادر السلطات المدنية الكورية إلا صمت اليابانيين أيضاً. فهؤلاء فسروا صمتهم

« تسريباً » بأنه يعود لعدم الرغبة في إظهار مقدرة أجهزة التنصت والتجسس الألكترونية التي يملكها السوفيات. وكائناً ما كان الأمر فإن طرفيّ القضية :السوفيات من جهة الأميركيون واليابانيون والكوريون من جهة ثانية « أضاعوا » الكثير من الوقت لتفسير الحادث وهو أمر يثير الشبهة. فالسوفيات بدوا مرتبكين بحيث أن وكالة أنبائهم « تاس » لم تعمد إلى تفسير الحادث إلا بعد ثلاثة أيام من وقوعه، في حين أن اليابانيين لم يتذكروا أنه سبق لطيار كوري جنوبي أن ارتكب حادثاً مماثلاً في عام ١٩٧٨ وأن المقاتلات السوفياتية أجبرته على الهبوط في مطار مورمان وأن السوفيات حذروا السلطات الكورية من « إعادة الكرة » والفرق أن الطيار الكوري في تلك الحادثة كان يلعب الورق وهو يقود الجامبو ٧٤٧ وترك « الطيار الآلي » يتولى القيادة في حين أن طياري البوينغ الأخيرة تصرفوا وكأنهم نيام إذ ماذا نقول في طيارين يبتعدون ٥٠٠ كلم عن خط سيرهم الجوي الطبيعي ولا ينتبهون لذلك ».

أما الأميركيون فلم يشيروا إلى خبر اختفاء الطائرة الكورية إلّا بعد أربعة أيام حيث ذكر الأميرال إغان معاون رئيس المخابرات الأميركية في حديث إلى صحيفة « الواشنطن بوست » أنه يعتقد أن مردّ خطأ الطيار يعود إلى خطأ في برمجة الكمبيوتر الالكتروني في الطائرة.الأمر الذي جعل الطيارين الكوريين « لا يحفلون » بتحذيرات الطيارين السوفيات الجدية لاعتقادهم أنهم يحلقون فوق المياه الدولية في حين أن السوفيات اكتشفوا إثر حادث ١٩٧٨ أن نظام دفاعهم كان يشكو من عورات فأعادوا بناءه بشكل كامل واتخذوا عقوبات بحق المسؤولين عن ذلك الخلل مما جعل « هؤلاء » أي الذين نالوا العقوبات السابقة يردون هذه المرة بقساوة لأنهم متأكدون أولاً من جودة أجهزتهم وثانياً تعلموا الدرس. وكذلك فقد لزم الأميركيون أربعة أيام لكي يعلنوا أنه كان ثمة

طائرة تجسس من طراز « أر ـــ سي ـــ ١٣٥ » قريبة للبوينغ الكورية تحلق في المنطقة وتراقب مدى تقيّد السوفيات بمعاهدة الحدّ من الأسلحة الاستراتيجية والنووية، وإن وجود مثل هذه الطائرة قد يكون وراء التباس الطيار السوفياتي والقيادة التي أصدرت له الأوامر من القاعدة. كما لزم الاوروبيون وقتاً مماثلاً كي يكتشفوا ان الطيارين المدنيين الكوريين الجنوبيين هم في « الأساس » طيارون عسكريون سابقون وأنهم بطبيعة الحال من مخابرات بلادهم التي لا تزال تعيش في عقلية مرحلة « الحرب الباردة ».

والواقع أن ردود الفعل الغربية الأولى كانت ردود فعل حرب باردة، بحيث أن الطائرة المنكوبة سميت بـ« طائرة خطوط الحرب الباردة » وأخذت الصحف تبحث عن إجراءات شديدة ضد موسكو وكان ذلك يبشر بموقف دولي متوتر جداً إذا لم يكن حادث الطائرة سببه المباشر، انما كان الحجة التي تذرع بها الداعون إليه. والواقع أنه مما لفت الأنظار، ولو مع بعض التأخير واقتران حوادث الطائرات والطيارين الكوريين الجنوبيين بمراحل الانفراج الاعظم بين الدولتين. ففي حادث عام ١٩٧٨ كما في حادث عام ١٩٨٣ بدا الطيارون الكوريون وكأنهم لم يسمعوا تحذيرات مطارديهم السوفيات، لكن الغريب هو أن واشنطون وموسكو كانتا في كلا حقبتيّ الحادثتين على استعداد لاستئناف المفاوضات حول الحد من الأسلحة النووية وبعد « فترة توتر ». ففي شهر نيسان (أبريل) ١٩٧٨ تاريخ الحادثة الأولى كان وزير الخارجية الأميركي « في حينه » سايروس فانس سيتوجه إلى موسكو لمقابلة غروميكو الذي كان وزيراً لخارجية الاتحاد السوفياتي واجراء محادثات معه. وفي ايلول (سبتمبر) ١٩٨٣ كان غروميكو أيضاً يستعد للقاء زميله الأميركي في محادثات مماثلة، ومثل هذه القرائن تكفي السوفيات الذين يجدون في كل اتهام أميركي « استفزازاً » ويجدون في تصرفات طفحة سيوول المعادية لهم « مبرراً للرد بحزم ».

يبقى أن الحرب الباردة هي الحدّ الذي لا يمكن أن تتجاوزه الصراعات بين العملاقين. ومشكلة الأميركيين هي أنهم استخدموا مختلف الأسلحة التي تتيحها الحرب الباردة سابقاً ولهذا فإن الرئيس ريغان لم يجد في جعبته ما يعاقب به الاتحاد السوفياتي « إلّا » تعليق المفاوضات حول الاتفاق القنصلي وعدم تجديد الاتفاقات الثنائية في ميدان النقل والثقافة والعلم، أما منع الطائرات السوفياتية فهو قرار سبق أن اتخذ بسبب أزمة أفغانستان كما أنَّ حظر التكنولوجيا الأميركية على السوفيات فهو قرار سبق أن اتخذه بسبب أزمة بولندا ثم عاد عنه بسبب عدم جدواه. أما تصدير القمح الأميركي فهو الذي أوقفه لأسباب انتخابية رغم أن العقود الموقعة بين البلدين « تشترط » عدم لجوء الأميركيين إلى تدابير الحظر مما دعا بائعي القمح الأميركيين الذين وجدوا أنفسهم في مركز ضعف أمام زبائنهم من السوفيات إلى الاحتجاج فأُعيد تصدير القمح فيما بعد. إزاء ذلك كله وكما ذكرنا في الصفحات السابقة من هذا الموضوع « غيّر » الرئيس ريغان لهجته أو لنقل أنه أبقى لهجته على حدّتها وغيّر « مضمونها » فقد كان كلام الرئيس الأميركي مزيجاً من كلام الاستنكار والارتباك وهذا المزيج يترجم المأزق الذي وجد نفسه فيه وهو يحاول الحفاظ على مكاسب الحوار مع موسكو « من جهة » وإرضاء الرأي العام الأميركي من جهة أخرى. والغريب في الأمر هو أن حادثة الطائرة أعطت عكس النتائج التي لاحت في الأفق في اليوم الأول لشيوع النبأ، فالقول أن السوفيات « لا يترددون » أمام استخدام القوة التي يملكونها لم يعد يبرر — مثلاً — في رأي هوارد بيكر رئيس الأغلبية الجمهورية في مجلس الكونغرس الأميركي، سياسة التشدد الريغانية بل يبرر الدعوة الى الحوار .فالحادث يشير الى الفكرة الرهيبة التي ترتاد ذهن المواطن الأميركي عندما يتخيّل بأن في قدرة الاتحاد السوفياتي « تدمير » الولايات المتحدة بالسلاح النووي دون تردد، كما يقول شيخ جمهوري هو وليام بروكسماير، ولهذا فإن الناطق باسم وزارة الخارجية الأميركية

« وجد » أن الحادث قد يلقي ظلالاً على الحوار الأميركي السوفياتي لكنه لا يضعه موضع إعادة النظر. في حين اتضح أن إدارة المخابرات المركزية الأميركية « بدت » وكأنها تسعى الى خفض حدة الاستنكارات التي أثارتها ردود الفعل الأولى على الحادث. وبالاجمال فإن حادث الطائرة البوينغ الكورية بضحاياه الـ٢٦٩ لم يترك الأثر ذاته الذي تركه حادث طائرة التجسس « يو. اس. ٢٠ » التي أسقطها السوفيات عام ١٩٦٠ والذي أفشل « في حينه » قمة خروشوف ــ آيزنهاور التي عقدت في باريس. فالانعكاسات الدبلوماسية للحادث الجديد محدودة فلقاء شولتز ــ غروميكو في مدريد لم يلغى ولكن جدول أعماله تقلّص ومفاوضات جنيف لن تلغى ولهذا فإن أحد أبرز الانعكاسات لهذا الحادث هو « إرجاء » زيارة غروميكو لباريس ٤ أيام لأن باريس لا تريد أن تكون أول عاصمة يزورها غروميكو بعد حادث الطائرة لكن الرئيس ميتران أصرّ على ضرورة الحوار مع السوفيات مع انَّه لم يستطيع ترك وزير خارجيته يستقبل غروميكو عند سلم الطائرة الروسية « الايرفلوت » أمام عدسات التلفزيون ومصوّري الصحافة في الوقت الذي تدعو فيه أصوات كثيرة في الغرب إلى مقاطعة شركة الخطوط الجوية السوفياتية. وهكذا كان من أبرز آثار اسقاط الطائرة الكورية هو ارجاء زيارة غروميكو إلى باريس مدة ٤ أيام حيث أنها لم تترك أثراً حقيقياً ملموساً.

ما هي علاقة الطائرة المفقودة بالمخابرات الأميركية ؟

وإذا عدنا إلى ادعاء السوفيات المثبت بالأرقام والوثائق بأن الطائرة كانت في مهمة تجسسية فقد أعلنت الادارة الأميركية عقب اسقاط الطائرة : « إن الولايات المتحدة لا تستخدم الطائرة التجارية في نشاط المخابرات » ولكن نقدم للقارئ هذه المعلومات حسب القول المصري الشائع (من فمك أدينك) : فقد نشرت صحيفة « نيويورك

تايمز » تعليقاً على نكران المخابرات الأميركية لاستخدام الطائرات التجارية للتجسس جاء فيه : إن الولايات المتحدة استخدمت في الخمسينات الطائرات التجارية للتجسس جاء فيه : إن الولايات المتحدة استخدمت في الخمسينات وبعدها خطوط الطيران التجارية عندما زودت الـ« سي. آي. إيه. » عدداً من هذه الطائرات بمعدات للتجسس على النشاطات العسكرية في ألمانيا الشرقية خلال مغادرة هذه الطائرات لمطار برلين الغربية وعودتها إليه. وأيضاً نسبت الصحف الفرنسية إلى أعضاء سابقين في جهاز المخابرات الفرنسية قولهم « إن طائرات الركاب الفرنسية قامت بعدة مئات من رحلات التجسس لمصلحة المخابرات الأميركية أثناء رحلاتها من وإلى « موسكو ». وقد اعترف الطيار السابق « جون ميبرخت » في خطوط « لوفتهانزا » التابعة لألمانيا الغربية في مجلة المانيا بأن ٣٢ طائرة مدنية اسقطت بسبب مخالفتها لقوانين الطيران أو بسبب اختراقها للمجال الجوي، وإن احدى هذه الطائرات اسقطتها قوات حلف شمال الأطلسي نفسها. كما أنه بات من المعروف ووفق اعترافات المسؤولين السابقين في الـ« سي. آي. إيه. » أن مخابراتهم استخدمت كلا من طائرات « بان أميركان » و« إيراميركا » و« إيرآسيا » و« المواصلات الجوية المدنية » بالاضافة الى « خطوط أميركا الوسطى للطيران » في مهمات ثابتة للتجسس.

اذن فإن المخابرات الأميركية أو أي مخابرات أخرى لديها سوابق في استخدام الطائرات التجارية « في التجسس » فلننظر ما هو اثبات « تجسس » الطائرة الكورية موضوع البحث بعد أن اصبحت بعض المصادفات حقائق ملم بها :

١ ــ ذكرنا أن طائرة أميركا للتجسس من نوع « آر ــ سي ــ ١٣٥ » كانت تطير قرب طائرة الركاب قبل اسقاطها بدقائق.

٢ ــ إن طائرة أخرى من النوع نفسه، كانت في المنطقة أيضاً. كما ان

طائرتين اميركيتين للتجسس كذلك كانتا معا في مجال انطلاقها، وإن وصول الطائرة الكورية فوق جزيرة « سخالين » اكثر المناطق السوفياتية « سرية » ترافق أيضاً مع « وصول » القمر الصناعي الأميركي « فيري — دي » في اللحظات نفسها وهو قمر خاص للتجسس، إلى مدار فوق المنطقة نفسها أي منطقة سخالين الهامة عسكرياً. كما أن المدمرة الأميركية « بادجر » كانت تنتظر في المكان الذي كان يفترض فيه أن تمر الطائرة الكورية « فور خروجها » من المجال الجوي السوفياتي « لم يكن احتمال اسقاطها قائماً » وذلك لاستقبال الأفلام التي ستلقيها الطائرة بالوسائل المزوّدة بها من المخابرات الأميركية.

٣ — بقاء الطائرة المنكودة الحظ وهي مطفأة الأنوار لفترة طويلة وهي داخل المجال الجوي السوفياتي المحرّم.

هذه الحقائق ما كانت لتجتمع صدفة في منطقة واحدة من العالم وهذه المنطقة ذكرنا أنها « تعتبر » من أكثر المناطق استراتيجية في الاتحاد السوفياتي.

اذن وصلنا الى أن الطائرة الكورية كانت مكلفة « بمهمة تجسسية فوق الأراضي السوفياتية » **فما هي هذه المهمة؟**

الجواب : يقول خبراء المخابرات والأعمال الجاسوسية أن الأقمار الصناعية قادرة على التقاط اكثر التفاصيل دقة سواء في الليل أو النهار للأهداف التي تسعى هذه الأقمار إلى تصويرها، وبالتالي ليست هناك أية حاجة لارسال طائرة لتصوير المنشآت السرية السوفياتية مثلاً خلال الليل. وهذا الأمر كان قد اكده الزعيم السوفياتي نيكيتا خروشوف بعد اسقاط الروس لطائرة التجسس الأميركية (يو — ٢) عام ١٩٦٠ عندها اعتبر خرق هذه الطائرة للأجواء السوفياتية «استفزازاً لا مبرر له مع وجود الأقمار الصناعية التي تتمتع بكفاءة كبيرة ».

وإذا لم يكن تصوير المنشآت السرية هو المهمة الموكولة للطائرة ٥٥٦ فما هي المهمة اذن ؟ لنأخذ الاجابة من عدد الشهادات الآتية :

أولاً : في حديث أدلى به اثنان من المتخصصين العاملين سابقاً على طائرات التجسس الأميركية « أر. سي. ١٣٥ » هما ادوار أسكلتون وتوم برنارد ومصدره صحيفة « دنفر بوست » جاء ما يلي : إن طائرة التجسس « أر. سي. ١٣٥ » قادرة على البقاء في الجو بين ١٨ و ٢٠ ساعة، وهي تُكلف بتغطية مدار محدد وبقرار مباشر يصدر عن « وكالة الأمن القومي » الأميركية وهي وحدها التي تملك سلطة إصدار الأوامر الميدانية لجميع العاملين في هذه الطائرات. ومن خلال تجربتنا فإن وكالة الأمن القومي كانت في بعض المناسبات، تقوم بتعديل المدارات الجوية لهذه الطائرات بحيث « تخترق عمداً » المجال الجوي للبلد المحدد « فتدفعه » بذلك إلى إعلان حالة الطوارئ في دفاعاته الجوية، وهو ما يسمح لوكالة الأمن القومي « برصد » هذه النشاطات وتحليلها ومعرفة آلية عملها ونقاط القوة والضعف فيها وبناء استراتيجية المجابهة الأميركية على هذا الأساس. كما أن طائرة التجسس هذه تملك نظاماً كاملاً ومتطوراً للاتصالات، وهو متصل مع أعقد شبكة للاتصالات في العالم. وهذا النظام يسمح بأن ينقل معلومات المخابرات الى أعلى المستويات في الادارة الأميركية « بما في ذلك رئيس الولايات المتحدة نفسه » ومن أي منطقة بالعالم بحيث أن رسالة للرئيس ترسلها إحدى هذه الطائرات لا تستدعي اكثر من ١٠ دقائق لتكون بين يديه ».

ويضيف الخبيران : « ان هناك ميزة أخرى لهذه الطائرات، وهي أنها مزوّدة أيضاً بمعدات قادرة على « تعمية » أجهزة الرادار وراديوهات الارسال بما فيها الأنظمة الالكترونية المزودة بها الطائرات الأخرى ».

الهدف تعطيل الرادارات السوفياتية

ومن المعروف لدى خبراء المخابرات أن طائرات « أر. سي. ١٣٥ » تتضمن أيضاً نظاماً داخلياً للانذار، قادراً على التقاط جميع نشاطات الرادارات والنشاطات الجوية في البلد المحدد ضد اية تحركات معادية يمكن أن تستهدف طائرة « أر. سي. ١٣٥ » نفسها.

وأكد الخبيران أنه كان باستطاعة طائرة « أر. سي. ١٣٥ » التي تقوم بأعمال الدوريات على مدى ٢٤ ساعة، والتي كانت قريبة من الطائرة الكورية، تنبيه هذه الطائرة إلى أنها خرجت عن مدارها، وكان فعلاً باستطاعتها الاتصال بها ولكنها لم تفعل.

شهادة أخرى عن نفس الموضوع نشرتها صحيفة « نيوز داي » تقول : « مع أن شهادات البيانات الأميركية أكدت أن طائرات « أر. سي. ١٣٥ » كانت مهمتها مراقبة مدى تقيّد الاتحاد السوفياتي باتفاقات نزع السلاح المعقودة بين السوفيات مع أميركا، فإن مهمة رحلات الاستطلاع لهذه الطائرات التي يطلق عليها اسم التدليل «FERREST» هي جمع المعلومات عن الرادارات السوفياتية: قوتها، موجات عملها، بحيث يمكن للقاذفات الأميركية تعميتها أو التشويش عليها أو خداعها واحداث موجات ذبذبة اصطناعية فيها. وإن مثل هذه العملية قادرة على تزويد القاذفات بدرع الكتروني في حال اتخاذ قرار بالهجوم على الاتحاد السوفياتي ». وهناك مجلة متخصصة لفضح نشاط المخابرات الأميركية تسمى « العمليات السرية » قالت : انه في عصر تكنولوجية « المنسرقة »[1] أو « المنسلة » مع اشارات الرادارات شبه المعدومة، فإن مثل هذه التجارب هي عادية على الأغلب وتهدف إلى تحسين الدفاعات

(١) اسم واحد لطائرة حديثة لا يطالها الرادار ولا الأجهزة الحديثة لرصد الطائرات.

الرادارية. بينما هناك شهادة رابعة نشرتها صحيفة « نيويورك تايمز » تقول : إن المراقبين السوفيات على الأرض عانوا من صعوبات في توجيه المقاتلات السوفياتية كي تعترض الطائرة 007 بعد اختراقها المجال الجوي السوفياتي، أي أنه كانت هناك صعوبة بالاتصال بين الرادارات السوفياتية الأرضية وبين الرادارات داخل الطائرات السوفياتية المقاتلة التي كانت تحاول اعتراض الطائرة 007. وشهادة أخيرة هي أن الرادارات اليابانية لم تلتقط بدورها خروج الطائرة الكورية عن خط سيرها وطيرانها وتوغلها في المنطقة المعروفة دولياً بأنها « منطقة الموت بدون انذار » اذن هل الصدفة وحدها هي سبب سقوط الطائرة الكورية أم طائرات التجسس الأميركية قامت بتجربة ناجحة في تعطيل الرادارت السوفياتية وحتى اليابانية « تمهيداً » للتسلي بالقاذفات ؟ الحقائق تتكشف يوماً بعد يوم وقطرة أثر قطرة وسواء كانت العلاقة بين الطائرة « أر. سي. ١٣٥ » والطائرة الكورية قائمة وهي علاقة فعلية وظرفية أو استنتاجية، فإنه من الثابت أن برنامجاً للتسلل أميركي الجنسية لن يبخل بحياة الركاب المدنيين من أجل نجاحه. ولنكن صريحين أكثر فإن أرواح المدنيين ولو بالمئات هي دائماً « ضحية » أهداف المخابرات الأميركية ومنهم ضحايا الطائرة المدنية الكورية البوينغ ٧٤٧.

وقد أعدت مجلة الملحق الدفاعي البريطانية تقريراً عن ردود الفعل عن اسقاط الطائرة الكورية في كل من واشنطون ولندن ليس فقط لأهمية المعلومات أو الاطروحات الجديدة فيه، ولكن نظراً لاهتمام وزارة الدفاع البريطانية به. ويؤكد التقرير أن الطائرة المدنية الكورية التي اسقطت داخل المجال الجوي السوفياتي كانت « فعلاً » بمهمة تجسسية بتوكيل من واشنطون ولحسابها.وقد علم أن معلومات التقرير نابعة من الاطلاع على معلومات فنية غير منشورة سابقاً يستفاد منها وجود « دليل جديد » على أن طائرة الركاب المدنية الكورية قد « حوّلت » مسارها عمداً

ودخلت المجال الجوي السوفياتي بهدف « استفزاز » الدفاعات السوفياتية التي عليها في هذه الحالة فتح الرادارات الجوية وكشف اسلوب عملها ثم الاتصال بالقيادة المحلية السوفياتية في الشرق الأقصى والقيادة المركزية في موسكو. وهو أمر هام جداً للمخابرات الأميركية التي تحاول دائماً كشف اسلوب العمل الدفاعي الجوي والشيفرة السرية السوفياتية واسلوب الاتصالات القيادية. المهم في الأمر أن السوفيات لم يقوموا بشيء من ذلك كله بل أرسلوا طائرتين مقاتلتين خلف الطائرة الكورية لارغامها على الهبوط وحين رفضت تم اسقاطها بالصواريخ في البحر، وبدون أن يتمّ اجراء اتصال قيادي مع موسكو نظراً لضيق الوقت، حسب التفسير الروسي ولافشال المخطط الأميركي. لأنه كان من المفترض لو جرت اتصالات وتحركت الدفاعات السوفياتية أن تلتقطها عدة أساليب فنية اميركية متطورة ومستعدة لهذه العملية بالذات وهي :

١ ــ كاميرات وأجهزة الطائرة الكورية نفسها.
٢ ــ القمر الاصطناعي الأميركي للتجسس « فيريل »
٣ ــ المكوك الفضائي « تشالنجر » الذي كان قد أطلق إلى الفضاء في تلك الفترة.

والأهم من ذلك أن المخابرات الأميركية كانت « تفترض » أن الاتحاد السوفياتي إذا اكتشف أن الطائرة « مدنية » فلن يتعرض لها، وكان أمل « المخابرات الأميركية » أن تكون موسكو قد نسيت حادثتين مشابهتين وقعتا قبل ٢٠ عاماً، وأن تنشط دفاعاتها لتكشفها. ولكن الأمرين لم يتحققا إذا أسقطت المقاتلات السوفياتية الطائرة المكلفة بالاستفزاز وراح ضحيتها ٢٦٩ راكباً « قتلوا في سبيل عملية تجسسية أميركية ». وقد رفضت واشنطون جميع التفسيرات المشابهة وأصرت على أن الطائرة « ضلت » طريقها وان وجود القمر الصناعي والمكوك الفضائي في تلك المنطقة آنذاك، كان « صدفة » وحين اعترفت

واشنطون في ذلك الحين ضمناً بوجود طائرة تجسس من طراز « أر. سي. ١٣٥ » قرب الطائرة الكورية البوينغ ٧٤٧ نسبت الأمر « للصدفة » وهو الأمر الذي ينفيه التقرير البريطاني الذي يؤكد أن الطائرتين دخلتا « معاً » المجال الجوي السوفياتي. وحين شعرت طائرة التجسس بالطائرات السوفياتية انسحبت الى خارج المجال الجوي « تاركة المهمة للطائرة المدنية » وبقيت الأجهزة التجسسية للطائرة التجسسية نفسها « ترصد » تطورات الحدث الذي لم يسر حسب التخطيط والتوقعات الأميركية. وهذه القصة أوردتها المصادر السوفياتية الرسمية آنذاك، وأكدتها.

وحين نشر هذا التقرير أعلن متحدث رسمي باسم البيت الأبيض بأن « هذه القصة فارغة المحتوى ». أما المتحدث باسم البنتاغون « وزارة الدفاع الأميركية » الكولونيل كوك فقد صرح بأن وزارة الدفاع الأميركية لن تعلق بشيء قبل الاطلاع على التقرير الكامل وأعاد التفكير بالنفي السابق للوزارة نفسها والادارة الأميركية. أما المتحدث باسم وزارة الدفاع البريطانية فقد أعلن من طرفه بأن وزارته « لا علاقة لها أبداً بالأمر » ولذلك لا يوجد لديهم ما يقولونه حول موضوع الطائرة الكورية.

ونحن نقول كمتابعين للموضوع وتعقيباً على التقرير البريطاني بأنه لا أحد ينكر حقيقة أن مأساة مروعة قد وقعت في أعالي الفضاء عندما قامت طائرات مقاتلات سوفياتية بملاحقة طائرة الركاب المدنية الكورية (كال ٠٠٧) وأسقطتها بصاروخ وهي تطير بسرعة ٢٦٥٠ كيلومتراً في الساعة، بعد أن خرجت عن خط الطيران الدولي (رونالد ٢٠) وتوغلت مسافة مئات الكيلومترات داخل الأراضي السوفياتية، محلقة فوق أهداف عسكرية بالغة الأهمية وسرية جداً عند جزيرة سخالين وأودى إسقاطها بحياة ركابها وطاقمها الـ(٢٦٩) شخصاً الذين لا ذنب لهم. وإسقاط

هذه الطائرة مأساة حتى في نظر الرجل الذي تحمل مسؤولية اسقاط الطائرة وهو المارشال نيكولاي أوغاركوف، نائب وزير الدفاع السوفياتي. اذن لماذا حدثت هذه المأساة ؟ السوفيات من جهتهم ألقوا بالمسؤولية على عاتق « المخابرات الأميركية » التي استخدمت الطائرة الكورية المدنية « كطعم » للقيام بمهمة تجسسية ضد الأهداف العسكرية السوفياتية وبصورة خاصة ضد قواعد الصواريخ العابرة للقارات السرية وهم يقولون أن الطائرة الكورية كانت « توجّه » من قبل طائرة التجسس الأميركية (أر. سي. ١٣٥) التي كانت تحلق في الفضاء الدولي بالقرب منها. ونحن نسأل لصالح القارئ : هل يمكن للطائرات المدنية أن تقوم بالتجسس ؟ ولماذا تلجأ المخابرات الأميركية والدولية الى الطائرات المدنية لتصوير القواعد العسكرية الاستراتيجية وهي التي تمتلك مركبات فضاء وأقمار تجسسية مكرسة لتصوير قواعد الخصم ؟ وهل يدافع السوفيات عن فعلتهم عن طريق إلقاء اللوم على المخابرات الأميركية. أم أن هناك « حرباً » غير مرئية بين المخابرات الدولية « أداتها الطائرات المدنية »؟

معلومات أكيدة عن استخدام الطائرات المدنية للتجسس

هناك أسباب كثيرة تدفع المخابرات الدولية بشكل عام لاستخدام الطائرات المدنية في شركات الطيران الدولية. ذلك أن الكثير من هذه الشركات لا تعتمد على مواردها الخاصة فقط بها، وانما على موارد سرية أخرى، لقاء « بعض الخدمات » التي تقدمها هذه الشركات للمخابرات دون مشقة كبيرة. وتقوم المخابرات بتدريب عملائها الذين يعملون في مختلف الفروع السرية، وهي تفعل الشيء ذاته مع العملاء الذين تعدّهم ليكونوا طيارين أو عاملين على متن الطائرات المدنية. وبعد ذلك يرتدي هؤلاء العملاء قبعتين في الوقت ذاته : أولا قبعة المخابرات غير المرئية ويقال عنها تشبيهاً « طاقية الاخفاء » وفوقها قبعة العمل داخل طائرة مدنية.

والمهمات التي توكلها المخابرات الدولية الى هؤلاء الجواسيس المدربين كثيرة ومتعددة وأهمها بالطبع « تصوير مناطق البلدان الأخرى التي يحلّقون فوقها » وربما استطاع القارئ أن يكوّن تصوراً كاملاً عن الدور التجسسي الذي يمكن أن تقوم به الطائرات المدنية فيما لو قرأ

كتاب فيليب بيرنيه (SDECE) أو (الخدمة ٧)[1] الذي صدر في باريس ١٩٨٧ ويروي قصته العقيد « لي روي فنفيل » الذي سبق أن عمل في وكالة أخبار البلدان الأجنبية والتجسس المضاد. أما الآن فإنه يعمل في « الادارة العامة للأمن الخارجي » ولنترك له الكلام عن قيامه بالتجسس الجوي من الطائرات المدنية :

○ كان التعاون بيننا (أي الفرنسيين) وبين الأميركيين على أفضل ما يرام، عندما استدعاني المدير العام بورسيكو وأسند إليّ مهمة مساندته في تصوير قواعد الصواريخ السوفياتية. فقد كانوا لا يعرفون المواقع التي يخفي فيها الروس صواريخهم. وقد كنا حينذاك البلد الغربي الوحيد الذي يمتلك خطاً للطيران عبر أراضي المعسكر الشرقي. واعتماداً على المعاهدات الخاصة التي أبرمها صديقي « رول » أحد مدراء شركة طيران ايرفرانس « وهو عميل في الخدمة السرية ــ ٧ ». وقد نجحنا في إقامة خط منتظم للطيران بين باريس ــ موسكو. كما أفلحنا بعد مفاوضات مضنية من فرض خط الطيران الذي كنا نريده، حيث أسند إلينا « الأميركيون » مهمة تصوير المناطق السوفياتية التي تحلق فوقها طائراتنا بكاميرات خاصة بالتجسس الجوي. ولم يكن علينا سوى تسخير طائراتنا المدنية لهذه المهمات التجسسية، لا أكثر ولا أقل.

[ملاحظة : الروس لا يعرفون المزاح مع المواطنين الغربيين الذين قد يُشَكُّ في حقيقة العمل الذي يقومون به].

ويضيف العقيد فنفيل : وهكذا بدأت عملية التجسس بالطائرات المدنية « ما كنت أريده كان شديد الخطورة. فقد كان ينبغي على الطيار

---

(١) كتاب (الخدمة SDECE-V تأليف فيليب بيرنيه يباع في المكتبة العامة لمحطة القطار الرئيسية في باريس. لمن يهتم بمثل هذه المواضيع الشيقة.

في بعض المواقع التي يحددها الأميركيون الخروج عن خط الطيران الدولي. فالروس لا يترددون في فعل أي شيء ضد أية طائرة غربيّة « تضل » طريقها فوق الأراضي السوفياتية. فقد يطلقون صواريخهم عليها حتى بدون انذار مسبق أي بدون تحذير. وليس جميع الطيارين مستعدين لتعريض حياة ركابهم الذين يعتبرون حسب العرف الدولي « أمانة في رقبتهم » إلى الخطر حتى « بسبب اعتبار التجسس عملاً وطنياً » لأن عملهم يسمى بـ« الشغل الوسخ » وقد استثمر العمل عدة شهور. فقد كان الخطر يتزايد مع كل تحليق جديد. وقد درست المخابرات باهتمام وعناية،واحدة من العمليات التي قامت بها هذه الطائرات المدنية، حيث ادعى كابتن الطائرة المدنية الفرنسية أن بوصلة التوجيه قد أصيبت بعطب، وخرج عن الخط المقرر لطائرته مسافة (٥٠) خمسين كيلومتراً فوق الأراضي السوفياتية وعند ذلك حلقت طائرات الميغ السوفياتية فوراً واطبقت على الطائرة وأرغمتها على العودة الى خط سيرها الأصلي ثم اضطروها إلى الهبوط واجراء تحقيق مع الكابتن الذي ادعى كما ذكرنا أن بوصلته قد أعطبت وقد أفرج عنه وعن الطائرة في حينه « الركاب كان عمرهم طويل ».وقد تسبب هذا الحادث بأزمة دبلوماسية حيث قامت موسكو بتوجيه مذكرة شديدة اللهجة الى الخارجية الفرنسية تندد فيها بالعملية، وتطلب معاقبة الطيار لأن الخبراء السوفيات ليسوا أقل شأناً من خبراء الطيران الغربيين وهم يعرفون بل ويؤكدون بأنه لا يمكن لطائرة بوينغ ٧٤٧ (نفس الطائرة الكورية) المسيرة بأجهزة الكترونية أن تضل طريقها. وطلبت موسكو في مذكرتها معاقبة الطيار الفرنسي وأكدت أن طائرات الميغ سوف تقوم باسقاط الطائرة اذا كررت خروجها عن خط سيرها الطبيعي، ولم تمتلك الحكومة الفرنسية في حينه سوى الصمت ازاء هذه الفضيحة، فقد كانت العملية فعلاً خاضعة للمخابرات العسكرية السرية الفرنسية ثم تجيّر للمخابرات الأميركية حسب الاتفاق. ويقول العقيد فنفيل الفرنسي الذي يعترف في كتابه : ان الحكومة الفرنسية

أوعزت بسحب رخصة الطيار المخالف كتغطية للعملية ومع ذلك وافق طيارون آخرون على مواصلة العمل ذاته « معرضين بذلك حياة الركاب للخطر »، فقد كان من الممكن بالنسبة للروس أن يطلقوا صواريخهم على إحدى هذه الطائرات لوقف أية محاولة للخروج عن الخط الدولي.

من أعمال التجسس بواسطة الطائرات المدنية

اعترف العقيد فنفيل بأنهم استطاعوا بفضل الكاميرات الخاصة التي زودتهم بها المخابرات الأميركية وركبت على طائراتهم تصوير الأراضي السوفياتية مئات المرات. وقد تمكنوا من اكتشاف خمس قواعد لصواريخ من طراز جديد تماماً، كانت مغطاة بالزهور، تم تسجيلها ضمن خارطة حلف الأطلسي كأهداف عسكرية. وبالاضافة الى ذلك كان الطيارون الجواسيس يعودون في كل مرة ومعهم (مرشحات) وتسمى فلترات، تساعد الخبراء الغربيين على تحليل الطقس الذي يشير بدوره الى التجارب النووية التي يقوم بها الاتحاد السوفياتي، مهما بعدت. وبهذه الطريقة استطاعت المخابرات الأميركية والغربية الحصول على الكثير من المعلومات التي كانت « تنقصهم » عن التجارب التي يقوم بها السوفيات. لأن هذه الفلترات كانت ترسل مباشرة بعد عودة الطائرات الفرنسية من موسكو إلى مختبر خاص في المانيا الغربية، على متن طائرة عسكرية خاصة تابعة للمخابرات الأميركية ومخصصة لهذا الغرض.

الى هنا ينتهي اعتراف العقيد فنفيل عن تجسس الطائرات المدنية الفرنسية. ونحن نقول ونذكر بأنه من الممكن أن تظهر بعض الاعتراضات التي تقول :

ما جدوى التجسس الذي تقوم به الطائرات المدنية مع وجود أقمار

تجسس اصطناعية ؟ هذا السؤال صحيح الى درجة معينة فقط، ولكن للخبراء وجهة نظر أخرى. فقد أوضح الجنرال المختص بيير ماري كالوا في مقابلة أجراها معه (راديو أوروبا ١) قائلاً : تقوم الأقمار الصناعية بعملها بدقة متناهية وهي تلتقط الصور من ارتفاع ٣٠٠ كيلومتر، وبالطبع هذا العلو ينخفض إلى ١٠ كيلومترات بالمقياس الى الطائرات المدنية وهنا تكمن فاعلية استخدام الطائرات المدنية. ومهما كانت النتيجة من تجسس الطائرات المدنية فإنه من المؤلم أن يلقى ٢٦٩ شخصاً حتفهم بطريقة مروعة للغاية، دون أية جريرة لهم. ولكنه الشغل الوسخ للمخابرات الأميركية كالعادة ونحن نعرف أن ضمير من أوعز بالعملية القذرة لم يتحرك حتى حين علم أن ركاب الطائرة الآمنين المطمئنين « سابقاً » إلى أنهم سيصلون إلى أهلهم كانوا حتى اللحظة الأخيرة يشاهدون واحداً من فيلمين « الجامبو ٧٤٧ في شاشتين لعرض الأفلام السينمائية على الركاب وهم في مقاعدهم » وكانت الطائرة المنكوبة تعرض على الشاشة الأولى فيلم « الفهد الأحمر » من تمثيل بيتر سيلرز. وعلى الشاشة الثانية فيلم



ملابس ضحايا الطائرة الكورية



الطائرة المنكوبة على الرادار السوفياتي

« البطل المحلي » وهو من انتاج أميركي لم يتم عرضه حتى الآن في أغلب دول العالم.

وعلى الأرض كانت القاعدة السوفياتية التي رصدت اختراق الطائرة الكورية للمجال الجوي السوفياتي وأخذت الأوامر النهائية باسقاطها لتوفير « سوء النية من اطفاء الأنوار وتكرار حادثة اختراق المجال الجوي السوفياتي » فأعطت الأوامر للطائرات المقاتلة للتنفيذ وبعد أن أصبحت الطائرة الكورية المدنية في مرمى صواريخ المقاتلة السوفياتية جو ــ جو طلب قائدها الاذن من القاعدة السوفياتية على الأرض فأعطي الأمر: أطْلِق النار. وبعد عشرة ثوان اجاب قائد المقاتلة السوفياتية: أطلقت النار. أبيد الهدف سيدي. وفي هذه اللحظات الحزينة بقي الفيلم الأميركي في الجامبو الكورية « ناقصاً » بدون نهاية لأن تحليق الجامبو انتهى الى الأبدية بعد رحلة استمرت ١٤ ساعة و٢١ دقيقة. وبعد هذه الآراء والأبحاث المستفيضة عن قضية الطائرة الكورية استخلصنا هذه الأسئلة ونطرحها بروح رياضية. أي ليس طرح هذه الأسئلة لصالح السوفيات ولا لصالح الأميركيين بل لمعلومات القارئ فقط:

أولاً: كيف فقدت الطائرة الكورية طريقها إلى سيوول وتوغلت كل هذا التوغل في الأجواء السوفياتية فوق منطقة عسكرية بالغة الخطورة؟

ثانياً: كيف استمرت في تحليقها داخل الأجواء السوفياتية الفسيحة لمدة ساعتين تقريباً دون أن تدرك أنها أخطأت وجهتها ودون أن يعلمها أحد من الأرض ــ خصوصاً أجهزة المراقبة الأميركية واليابانية ــ أنها ضلت طريقها وأنها في وضع جوي يهدد بكارثة؟

ثالثاً: كيف استطاعت هذه الطائرة الذهاب بعيداً إلى هذا الحد دون أن تواجهها منذ البداية الأجهزة الجوية السوفياتية وترغمها على العودة

إلى خطها النظامي أو انزالها فوراً في أحد المطارات كما سبق أن فعلوا ؟ وكيف يفسر هذا البطء السوفياتي في ادراك الطائرة ثم اسقاطها؟

رابعاً : لماذا حرصت الدوائر الأميركية والسوفياتية واليابانية على عدم جلاء غوامض هذه الحادثة مع أنه من المفترض أن تكون مصالح واشنطون وموسكو متضاربة في هذا المجال؟

خامساً : هل صحيح أن الطائرة الكورية فجرت بواسطة قنبلة مزروعة فيها مسبقاً قبل أن تسقطها المقاتلات السوفياتية وذلك خشية ارغامها على الهبوط في الأراضي السوفياتية وفضح مهمتها؟

نقل قضية الطائرة الكورية إلى مجلس الأمن الدولي

نقلت الولايات المتحدة قضية الطائرة الكورية إلى مجلس الأمن الدولي فشهدت المجموعة الدولية عدة جلسات حادة عن الموضوع في مجلس الأمن تبادل خلالها « العملاقان » تهم الكذب والخداع والاستغلال والاستفزاز والتحريض والتجسس. وكلاهما وصف الآخر بأنه مجرد من الانسانية. وكانت أبرز التهم الأميركية ضد السوفيات هي أنهم أسقطوا طائرة مدنية مع العلم المسبق أن الطائرة هي طائرة مدنية، وأنهم كذبوا على العالم لمدة خمسة أيام من خلال اخفاء الحادثة وتجاهلها حيث أصدرت الحكومة السوفياتية بياناً اعترفت فيه بالتعرض للطائرة واتهمت أميركا بالتجسس والتحريض. وقد اتضح من مناقشات مجلس الأمن عدة نقاط بارزة تظهر « منهجين » في التفكير، المنهج الغربي، والمنهج الشرقي الشيوعي. فالغربيون يميزون تمييزاً قاطعاً بين حالتي الحرب والسلم. وهم يقبلون حتمية تعرض آلاف وملايين الأبرياء للقتل في حالة الحرب. فاسقاط القنابل فوق المدن مبرر باسم الدفاع عن النفس وحماية أمن الدولة. وهو باختصار، عمل وطني. انما في حالة السلم فقتل واحد أو اثنين يتعرض للسخط والسخرية والادانة.

البسكيولوجية السوفياتية مختلفة فهي تتخوف من أيّ عامل أجنبي، ومعقدة من أي دخيل على أراضيها سائحاً كان أو جاسوساً ؟ ولا تفصل السكيولوجية السوفياتية بين حالة الحرب وحالة السلم فهما لديها حالة واحدة اما في حرب ساخنة أو في حرب باردة كذلك ؟ فعند السوفيات « عقدة التفوق الأميركي في مجال التكنولوجيا ». وعليه فإن كل ما يهدد حماية سرية المعدات والاستعدادات العسكرية السوفياتية يهدد الأمن السوفياتي الشامل.

وقد عرض أمام مجلس الأمن شريط التسجيل الذي قدمته أجهزة الرصد والتجسس الأميركية. وبعد أن شاهده أعضاء مجلس الأمن واستمعوا إليه، قالت رئيسة البعثة الأميركية في حينه بالأمم المتحدة « جين كيركباتريك » أن هذا الشريط ببساطة تامة يؤكد أن السوفيات قرروا اسقاط طائرة مدنية، قاتلين ٢٦٩ شخصاً على متنها. ثم اتبع عرض الشريط مواجهة كلامية داخل مجلس الأمن وخارجه. فقد أخذ الأميركيون يلقون خطباً بليغة تضمنت وصف الحادثة بأنها عمل بربري ضد الانسانية « كما قال ريغان نفسه للشعب الأميركي » أما مندوبة أميركا فقد قالت : « الحقيقة هي أن العنف والأكاذيب هما اداتان عاديتان للسياسة السوفياتية ». ورد السوفيات بايراد قصة مخالفة تماماً للقصة التي رواها الأميركيون وقدموا من الحجج البليغة ما يناقض كل ما قاله الفريق الآخر، بل انهم أثبتوا أن الطائرة الكورية تآمرت على الأجواء السوفياتية حين لم تتجاوب مع طلبات تحديد هويتها ووجهتها حسب الأعراف الدولية المتبعة. ومن الأسئلة التي طرحت في مجلس الأمن ما يتعلق بطائرة التجسس الأميركية أي طائرة الاستطلاع « أر. سي. ١٣٥ » ورحلاتها الاستفزازية والتجسسية بنفس الوقت لتقييم نوعية « التنبّه السوفياتي » والقدرة على مواجهة الأحداث الطارئة. وتعدد رحلات هذه الطائرة إلى منطقة ــ كمشاتكا ــ يثبت أن هذه المنطقة حساسة جداً

لأنها منطقة تقييم التكنولوجيا السوفياتية بالنسبة للصواريخ والرادارات الحديثة.

وما يقوله الأميركيون ويكررروه أن هذه الطائرة لا تنحرف عن مسارها ولا تتيه في الأجواء السوفياتية، وأنها تعمل الكترونياً للحؤول دون ذلك. فالانحراف في هذه الحالة يعني الاسقاط. وهذه الطائرة هي طائرة تجسس. وسقوط طائرة تجسس أميركية في أيادي السوفيات هو آخر ما يسمح به الأميركيون. وعليه فان الأميركيين نفوا نفياً قاطعاً ما جاء على لسان السفير السوفياتي الى الأمم المتحدة، في مجلس الأمن عندما قال : أعلم مجلس الأمن المحترم أنه خلاف ما جاء حتى الآن على لسان ممثلي الولايات المتحدة، قامت طائرات أميركية بانتهاكات متعمدة لحدود الاتحاد السوفياتي. وقد تمت هذه الانتهاكات الأميركية على افتراض انها استغلت من العقاب وبشكل أصبح يوماً بعد يوم اكثر انتظاماً. وقد وقعت هذه الانتهاكات على الأجواء السوفياتية بتاريخ ٢٢ شباط (فبراير) و١٣ آذار (مارس) و٤ و٧ أيار (مايو) من عام ١٩٨٢ وبعد ذلك وحتى تاريخ « اعتراض الطائرة الكورية » وقع على الأجواء السوفياتية ١٢ انتهاكاً مماثلاً بما فيها انتهاك وقع بتاريخ ٤ نيسان (ابريل) ١٩٨٣ من جانب طائرات أميركية جاءت من حاملتي الطائرات « ميداوي » و« أنتربرايز ». وفي جميع هذه الحالات قدم الاتحاد السوفياتي « احتجاجات رسمية » ومع ذلك لم تتخذ الولايات المتحدة أي اجراء بل على العكس، تزايد نشاط طائرات الاستطلاع الأميركية على مقربة من الحدود الجوية السوفياتية. وفي ٣١ آب (أغسطس) ١٩٨٣ وعشية انتهاك الطائرة التابعة لكوريا الجنوبية للمجال الجوي « موضوع هذا البحث ». تم تسجيل ٧ طلعات لطائرات استطلاع أميركية من طراز « أر. سي. ١٣٥ » في المنطقة ذاتها ومنذ الساعة ١٧,٤٥ إلى الساعة ٢٠,٤٩ « بتوقيت موسكو ». تم أيضاً رصد طائرة استطلاع أميركية تقوم

بمناورات على مقربة من نقطة دخول الطائرة الكورية الى المجال الجوي السوفياتي وعلى ارتفاع ٨٠٠٠ متر. وفي نفس الوقت ظهرت ثلاث سفن حربية للولايات المتحدة قريبة جداً من المياه الاقليمية السوفياتية. فبماذا يفسر السادة أعضاء المجلس كل هذه التجاوزات والانتهاكات الاستفزازية (إلى هنا انتهى رد السفير السوفياتي لدى الأمم المتحدة الى مجلس الأمن).

أما الأميركيون فقد اعترفوا بقيام طائرة الاستطاع بمهمتها بجوار الحدود السوفياتية خلاف فترة انحراف الطائرة الكورية، لكنهم ينفون قطعاً ما يقوله السوفيات بأن طائرات الاستطلاع خرقت « مراراً » الأجواء السوفياتية، هذا الاختلاف يضيف أيضاً حصته على غموض مسألة الطائرة الكورية خاصة وأنه خلال ملاحقة الطائرة السوفياتية التي أسقطت الطائرة الكورية لها، جاء على لسان الطيار السوفياتي ــ كما نقل الشريط المسجل ــ « إنني أرى الاثنين » فهل عنى الطيار الطائرتين أم عنى بالاثنين ــ الرادار والعين المجردة ؟ فإلى ماذا ستؤدي الأجوبة على التفاصيل اذا ما توفرت ؟ هل ستضعف موقف السوفيات، أم أنها ستضعف الحجة الأميركية؟ وبالنسبة للسوفيات فإن الحادثة أدت الى تجريدهم من المصداقية في نظر الغربيين على الأقل بعدما تأخروا عن الاعتراف بأن طائراتهم اسقطت الطائرة الكورية لمدة خمسة أيام، اعترفوا بعدها بالاسقاط لكنهم رفضوا اللوم والمسؤولية، كما أدت الحادثة إلى تخوّف المجتمع الدولي من الآلة العسكرية السوفياتية التي تنفذ الأمر بدون تردد، حتى وإن كان الثمن خسارة ٢٦٩ شخصاً على متن طائرة مدنية. ولكن بالنسبة لهم فإنهم كانوا يستردون معنوياتهم في حادثة مشابهة لطائرة كورية أخرى وقعت في عام ١٩٧٨ وانتهت بهبوط تلك الطائرة على الجليد وكانت تلك الحادثة قد اعتبرت إهانة للقدرة السوفياتية العسكرية. فتوغلت طائرة دخيلة في الأجواء

إهانة للقدرة السوفياتية العسكرية. فتوغل طائرة دخيلة في الأجواء السوفياتية أدى الى التساؤل حول قدرة السوفيات على حماية سيادتهم على أجوائهم فحادثة عام ١٩٧٨ كانت « الاهانة » وحادثة ١٩٨٣ كانت « ردع للاهانة » حسب المنطق السوفياتي.

السنون تمضي والدعاوي انهالت على موسكو والشركة الكورية

بعد مضي اكثر من سنتين على اسقاط المقاتلات السوفياتية للطائرة الكورية فوق بحر اليابان وقيل الكثير يومها كما أسلفنا خاصة ما ذكره الغرب أن حادثة الاعتداء كما اسموها ليست سوى مظهر من مظاهر السياسة السوفياتية ومع كل ذلك ورغم مضي هذا الوقت فإن الاهتمام بتلك القضية لم يهمد حتى الآن (أي حين تحرير هذا الفصل من الكتاب فهناك العديد من التحقيقات والمقالات والكتب المثيرة للجدل ثم هناك الدعاوي القانونية التي ما زالت تضع القضية في أولويات اهتمام الرأي العام الذي يطالب بايجاد الأجوبة الصحيحة والقاطعة حول حقيقة ما حصل بالفعل).

والجواب الحقيقي الثابت والأكيد حول الكارثة، هو أن الطائرة أصيبت فوق جزيرة ساخالين السوفياتية بصاروخ جو ـــ جو، وهوت في بحر اليابان مودية بحياة جميع الركاب، وكل ما يتعدى نطاق هذه الحقيقة الثابتة هو مجرد فرضيات ابتداء من السؤال الآتي : **لماذا كانت الطائرة تحلق في عمق المجال الجوي السوفياتي ؟**

الجواب : موسكو ادعت منذ البداية أن الطائرة كانت في مهمة

تجسس وقد شرحنا وجهة نظرها سابقاً وبالتفصيل، لكن خبراء الطيران الغربيين ومعهم خبراء من الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية واليابان ومنظمة الطيران العالمية في مونتريال في كندا توصّلوا في تحقيقاتهم إلى القول بأن الطائرة « انحرفت » عن خطها الأساسي خلال رحلتها الليلية من انكوراج الى سيوول بسبب خطأ من الطيار. لكن منظمة الطيران الدولية أياتا اعترفت صراحة بأن هذا التفسير للحادث هو مجرد احتمال، بسبب عدم توفر البراهين القاطعة. ويزيد ضياع « الصندوق الأسود » في الطائرة من الغموض الكامل حول الحادث. مما دفع ببعض المحققين « استندوا » إلى معلومات طفيفة أو أجزاء معلومات تمّ جمعها في السنتين الأخيرتين ليؤكدوا أن الطائرة ذهبت ضحية مؤآمرة كبرى تقف الولايات المتحدة وراءها. أحد المصادر الذي يثبت أن الطائرة ذهبت ضحية أعمال المخابرات الأميركية هو الدعاوي التي رفعتها أكثر من مائتي عائلة من ذوي الضحايا أمام المحكمة الفيدرالية في واشنطون. ويقول المدّعون في جملة ما يدّعون به ضد وزارة الدفاع الأميركية بأن المخابرات الأميركية كانت على علم مسبق بأن الطائرة انحرفت بشكل خطير عن خط سيرها، ولكنها « أي المخابرات الأميركية » لم تتدخل لمنع وقوع الكارثة. وبعض المشككين في تقرير « إياتا » يذهبون الى حد القبول بادعاء موسكو بأن الطائرة كانت « جزءاً » من مؤآمرة أوسع تهدف إلى « تجربة » أنظمة الدفاع الجوي السوفياتية في المناطق الشرقية من أراضيه. ولكن بعض المحللين الآخرين ادعوا أن شرود الطائرة كان حقيقياً وغير متعمد، ولكن المسؤولين في المخابرات الأميركية تركوها تكمل سيرها دون أن يتدخلوا، وذلك لكي يختبروا مدى الرد السوفياتي. وحتى اكثر المحللين تشاؤماً اعتمدوا على مجرد وقائع ظرفية، مما يزيد من عدد الأسئلة دون إيجاد الجواب الشافي لها حتى الآن.

وقد صدر تقرير « أياتا » الذي نشر بعد شهرين من وقوع الكارثة

احتمالين لخطأ الطيار، كل منهما يقود الطائرة إلى المرور فوق جزيرة ساخالين :

الأول : هو أن ملاحيّ الطائرة الكورية « أهملوا » واجباتهم وتركوا الطيار الأوتوماتيكي في رأسية مغناطيسية دائمة من ٢٤٦ درجة، عوضاً عن تغييره الى طريقة ملاحة جامدة مبرمجة مسبقاً.

الثاني : هو أن أحد الطيارين أخطأ في تلقيم المعلومات لكومبيوتر الطائرة قبل بدء الرحلة، مما أدى الى انحرافها بعشر درجات طول حافظت عليها طوال مدة الرحلة حتى وصولها إلى المكان الخطر الذي أسقطت فيه.

شكوك كثيرة تدور حول دقة هذين التفسيرين وليس ما يبددها بشكل قاطع سوى المزيد من البحث والانتظار.

قميص عثمان تحت ستار « سيناريو خطأ الطيار »

○ شهد عالم الطيران في الماضي اخطاء مماثلة دعاها الخبراء « أخطاء ملاحية فادحة » ونذكر أحد هذه الأخطاء بالتفصيل بعد أن مرّ ذكره في هذا الفصل عرضاً. وهو أن أحد طياري نفس شركة الخطوط الجوية الكورية الجنوبية ارتكب خطأً مماثلاً سنة ١٩٧٨ عندما انحرف بطائرته الجمبو مسافة ألف ميل عن خط سيرها الأساسي وذلك أيضاً فوق المنطقة الشمالية من أراضي الاتحاد السوفياتي يومها اعترضت مقاتلات سوفياتية الطائرة الكورية وأجبرتها على الهبوط فوق بحيرة متجمدة. ومر الحادث بسلام ولكن هذا الخطأ لا ينطبق بالضرورة على حالة الطائرة التي أسقطتها أيضاً الطائرات السوفياتية فوق جزيرة سخالين بدليل أن ما من أحد استطاع تقديم التفسير الكافي حول كيفية وقوع الحادث.

ومكتب الملاحة الجوية التابع لوكالة الطيران العالمية اعترض في تقريره الرسمي حول الموضوع على مبدأ « خطأ الطيار » وهو قميص عثمان الذي تستر به الغربيون ووجد من الصعب تأكيده والأخذ به. واعتراض المكتب يستند إلى سببين، فهو يشك في أن الطاقم بقي طوال خمس ساعات من الطيران « دون معرفة » مكان تحليق الطائرة الحقيقي، كما ويستبعد عدم ادراكه خطأ تحديد المسار طوال هذه المدة أيضاً. ويبقى خط سير الطائرة الفعلي أحد أبرز الأسرار التي ما تزال تكتنف الحادث.
فبعد وقوع الكارثة بقليل قدم المسؤولون السوفيات لوكالة الطيران الدولية « رسيّم رادار » عن خط مسار الطائرة المنكوبة في ساعاتها الأخيرة. ويظهر الرسيّم انحرافاً حاداً للطائرة فوق جزيرة سخالين مما يدعم مزاعم موسكو بأن الطائرة كانت تقوم بمهمة تجسس. وبدورهم قام المسؤولون اليابانيون بتقديم بعض المعلومات حول الرحلة من ضمنها مقتطفات من حديث طاقم الطائرة مع ابراج المراقبة الجوية في اليابان، ولا تشير أي من هذه المعلومات إلى اهتمام غير عادي لطاقم الرحلة (٠٠٧) ولكن القيادة العسكرية الأميركية « المخابرات » التي تحتفظ بمراقبة دقيقة للنشاطات السوفياتية في المنطقة، رفضت الادلاء بمعلوماتها الخاصة عن الرحلة، متذرعة بضرورة حماية مصادر معلوماتها العسكرية السرية. ومهما يكن من أمر فإن المعلومات المتوافرة كلها تشير إلى عدم تنبيه الطاقم بتاتاً إلى خطأ مسار الطائرة. مسؤولو الطيران في اليابان قالوا أنه لم يتمّ الربط بسرعة كافية بين صورة الرادار التي تُظهر الطائرة الكورية المنكوبة نفسها فوق جزر سخالين. « جون كيبيل » الموظف المختص في وزارة الخارجية الأميركية وأحد الذين قاموا بتحقيقات شخصية حول الموضوع، يقول : إن المراقبين الجويين في مطار أنكوراج تشاوروا بين بعضهم البعض حول ضرورة تنبيه طاقم الطائرة إلى خطأ المسار، ولكنهم لم يقوموا بهذا التنبيه لسبب ما زال مجهولاً حتى الآن. « وفي انتظار جلاء بعض الغموض الذي يلف هذه الكارثة الجوية »

تبقى قضية الدعاوي الموحدة في دعوى واحدة التي أقامها ذوو الضحايا أمام المحاكم الأميركية « ضد » حكومة ومخابرات الولايات المتحدة بالاضافة الى شركة الطيران الكورية، تتفاعل في صفوف الرأي العام.

التهمة الموجهة هي اخفاق الادارة والشركة في ابقاء الطائرة خارج المجال الجوي السوفياتي. والدعوى مستمرة وقد طلب محامو الدفاع « رد الاتهام » عن الحكومة الأميركية ومخابراتها والشركة الكورية على أساس ان المسؤول المباشر والرئيسي عن اسقاط الطائرة هو الاتحاد السوفياتي. وليس المدعى عليهم كما وان القاضي « أوبري روبنسون » الذي يرأس المحكمة التي تنظر في القضية « رفض » طلب محامي الاتهام « دونالد مادول » السماح له بالتدقيق في ملفات المخابرات الأميركية بحجة أن هذا العمل من شأنه الاضرار بسلامة الدولة. ولكن هذا الرفض لم يمنع المحكمة من إصدار أمر إلى المسؤولين الأميركيين لتقديم العديد من الوثائق والسجلات المتعلقة بمراقبة عمليات الملاحة الجوية في ألاسكا عشية ويوم اسقاط الطائرة. ويبقى السر الذي يحيط بالقضية وبما جرى حقيقة على متن الطائرة « مدفوناً » في الصندوق الأسود المدفون بدوره في مكان ما من أعماق بحر اليابان. ويصرّ أولئك الذين يقولون بنظرية « الخطأ الملاحي » على أنه لا يوجد أدنى دليل على أن الطائرة كانت تقوم بعمل ما غير نقل الركاب الى سيوول. وفي المقابل يقول بعض النقاد ان الخلافات حول الموضوع طويلة وعميقة وإن الوقائع الحقيقية ما زالت مخبأة لأسباب عديدة منها « ضرورة » اخفاء عنصر الاهمال في القيادة أو المراقبة الجوية، أو من أجل التستير على عملية تجسس فعلية. ويمكننا اختصار الجدل القائم حول الكارثة(1)

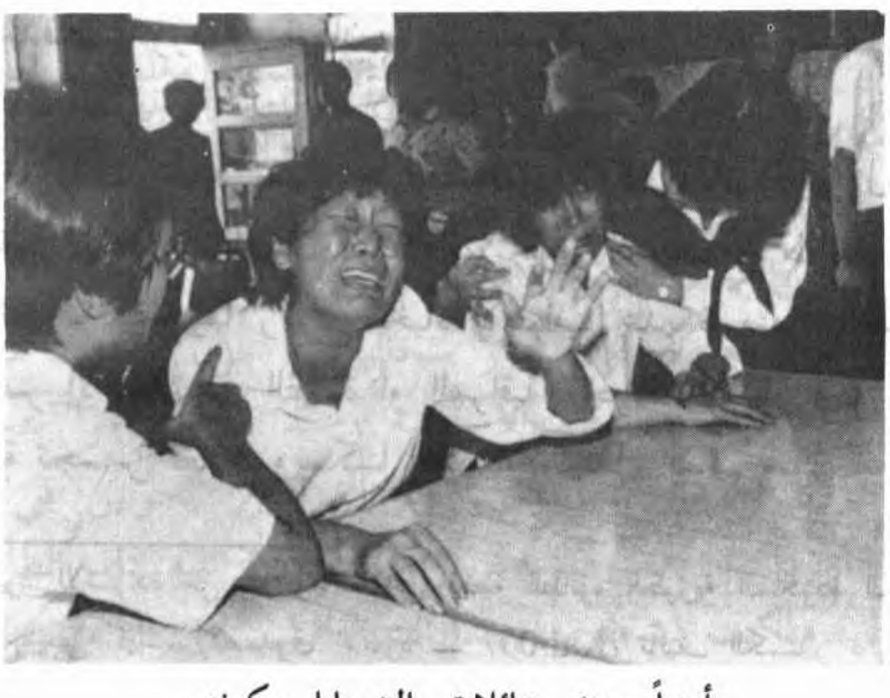
---

(1) لمن يود الاستزادة من المعلومات عن قضية الطائرة الكورية المنكودة الحظ عليه الاطلاع على كتاب (الصندوق الأسود ــ Kal-007) تأليف الكسندر داليه الاستاذ في جامعة ستانفورد.

بما يلي: « إذا كان هناك من عملية تجسس، فسيُكشف النقاب عنها آجلاً أم عاجلاً. وفي حال افتراض عدم وجود عملية تجسس أو علاقة للمخابرات الأميركية بالقضية فإن الأجوبة المقنعة والحقيقية ستظل جاثمة في قعر بحر اليابان ».



بعض أهالي ركاب الطائرة الكورية والمأساة واضحة.



أيضاً بعض عائلات الضحايا يبكونهم.

إسقاط الطائرة الكورية من وجهة النظر السوفياتية

○ والآن وبعد هذه الصفحات العديدة عن عملية إسقاط الطائرة الكورية وقد طرحنا فيها الكثير عن التحقيقات والاستقصاءآت من وجهة النظر الأميركية والغربية لذلك يجب علينا الانتقال إلى معرفة « وجهة النظر السوفياتية » في هذه القضية لنكون مع القراء على بينة من الحقائق وليس ادعاءآت الدول الغربية وعلى رأسها أميركا .فقد وصف الجنرال السوفياتي « سيميون رومانوف » رئيس الأركان العامة لقوات الدفاع الجوي السوفياتية ان انتهاك الطائرة الكورية الجنوبية لحرمة الأجواء السوفياتية هو عمل مقصود به استفزاز الاتحاد السوفياتي. ونقل عن الجنرال رومانوف قوله في حديث لصحيفة « البرافدا » السوفياتية : إن هذا الحادث قد أعدت تفاصيله كلها وراء المحيط وهناك من راهنوا على حياة العديد من البشر الذين فارقوا الحياة « أي الركاب » ليس بذنب السوفيات بل انما الذنب يقع على قادة الحرب الباردة التي ينفذها البيت الأبيض. وأشار الجنرال رومانوف الى أن الطائرة الكورية « تسللت » ليلاً إلى المجال الجوي السوفياتي وانحرفت مئات الكيلومترات عن خط التحليق المقرر لها وحاولت المقاتلات السوفياتية لفت انتباه قائد الطائرة باطلاق نار تحذيرية « أي طلقات لا تؤذي بل

تحدث ألوانا وومضات » حتى لو اصطدمت هذه الطلقات بجسم الطائرة لأن الطائرة كانت تحلق بأنوار مطفأة وكان هيكلها يشبه طائرة الاستطلاع الأميركية المارّ ذكرها « آر. سي. ١٣٥ ». وأضاف أنه لا يسعنا إلا إبداء « الحيرة » حول ما اذا كانت الطائرة تقوم برحلة عادية بين نيويورك وسيوول كما يحاولون في الغرب تصوير الأمر.

ولكن سؤالنا لماذا لم تلتزم الطائرة بأبسط قواعد التحليق الدولية؟ وكشف الجنرال رومانوف أن الطائرات الأميركية العسكرية انتهكت حدود الاتحاد السوفياتي (في عام ١٩٨٣) أي في حينه تسع مرات بمنطقة جزر كوريل بالشرق الأقصى. كما انتهكت الطائرات الأميركية أيضاً حرمة الأجواء السوفياتية في جزيرة أرمانوف في مضيق بيرينغ. وقال الجنرال رومانوف في حديثه : إن هذه الانتهاكات لم تأت مصادفة وإنما هي استفزاز مقصود سيعرقل تحسين العلاقات بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ويثير الريبة وعدم الثقة ببعضهما البعض.

وأكد المارشال نيكولاي أوغاروف رئيس الأركان العامة للقوات المسلحة السوفياتية بعد ذلك إن الحقائق والاستنتاجات التي توصلت إليها اللجنة الحكومية السوفياتية الخاصة رفيعة المستوى التي شكلت حول اختراق طائرة البوينغ ٧٤٧ الكورية الجنوبية للمجال الجوي السوفياتي قد أثبتت بشكل لا يدحض ان الطائرة كانت في عملية تجسسية مقصودة ومخطط لها بامعان. ونقل عن المارشال أوغاروف قوله في مؤتمر صحفي عقد في المركز الصحفي لوزارة الخارجية السوفياتية في موسكو : إن الطائرة الكورية الجنوبية كان يجري توجيهها من مراكز معينة في أراضي الولايات المتحدة الأميركية واليابان وقد وقع اختيار المخابرات الأميركية على الطائرة المدنية « عمداً » دون اعتبار أو حساب لوقوع ضحايا بشرية « وربما حسبت المخابرات الأميركية لوقوع ضحايا ». وذكر بأن الطائرة منذ المرحلة الأولى للتحليق من مطار

« أنكوراج » المرحلي الواقع في ألاسكا لم تتجه وفق الخط الدولي المحدد لها بل توجهت نحو كامتشاتكا على الرغم من أن هذا الخط مجهز بوسائل راديوتكنيكية أميركية ويابانية لارشاد الطائرة المحلقة عليه. وتساءل أوغاروف : لماذا لم تعمل الهيئات الأميركية على دق جرس الانذار فور انعدام التقارير والاشارات المتعارف عليها من قبل الطائرة المحلقة على هذا الخط حول مرورها عبر نقطة المراقبة المعروفة لدى قائد الطائرة الكورية. وقال انه في لحظة اكتشاف الطائرة من قبل الوسائل الرادارية السوفياتية في نقطة تقع على نحو ٨٠٠ كلم شمال شرق بتروبافلوفسك كامتشاتسكي كان انحرافها قد بلغ ٥٠٠ كلم داخل الأراضي السوفياتية. وقال رئيس الأركان العامة للقوات المسلحة السوفياتية وبودي أن ألفت الانتباه على الأخص إلى أن الطائرة الكورية الجنوبية دخلت منطقة استكشاف الوسائل الرادارية السوفياتية بالذات في المكان الذي تقوم فيه طائرات الاستطلاع الأميركية من طراز « أر. سي. ١٣٥ » بطلعات دورية دائمة. وأضاف ان وسائل الرادار السوفياتية اكتشفت أن هناك طائرتين من نوع « أر. سي. ١٣٥ » حيث أقتربتا إلى حد دمج العلامتين على شاشة الرادار لدينا وسارتا معاً لفترة حوالي عشر دقائق بعدها اتجهت إحداهما إلى ألاسكا، أما الثانية فاتجهت نحو بتروبافلوفسك كامتشاتسكي ومن الطبيعي أن مراكز دفاعنا توصلت إلى استنتاج مفاده ان طائرة استطلاع تقترب من المجال الجوي للاتحاد السوفياتي. وأكد أوغاروف أن الطائرة الكورية الجنوبية كانت تتجه مباشرة نحو أهم القواعد النووية الاستراتيجية في منطقة جزيرة سخالين وان الطائرة لم ترد على الاشارات التحذيرية للطائرات الاعتراضية السوفياتية وأنها أخذت تقوم بمناورات في الاتجاه والارتفاع والسرعة والترنح « مما يدل » بوضوع على أنها كانت تريد التخلص من طائرات الدفاع الجوي السوفياتية المواكبة لها والتي يقودها طيارين محترفين. وقال أنه في الساعة ٢ حسب التوقيت المحلي للاتحاد السوفياتي غيّرت

الطائرة المخالفة اتجاهها « بشدّة » لتفادي مواقع الوحدات الصاروخية المضادة للطائرات وحلقت فوق أهداف عسكرية هامة في القسم الجنوبي من الجزيرة. وعندئذ لم يتبق شك في ان طائرة استطلاعية تحلق في الجو. وعند بلوغ الطائرة المخالفة القسم الجنوبي الغربي من الجزيرة جرت محاولة أخيرة لانزالها في مطار سوفياتي. واكد المارشال أوغاروف أن الطائرة التي لم تنصع للطلقات التحذيرية وحاولت الهرب بأن سارت في الاتجاه العام نحو فلاديفستوك فقد صدر الأمر في الساعة ٦,٢٤ إلى الطائرة الاعتراضية « بايقاف » تحليقها باستخدام القوة ونفذ هذا الأمر. وذلك أن القوات المسلحة السوفياتية التي تحمي العمل السلمي للشعب السوفياتي قد نفذت واجباتها بشرف في تاريخ الدولة السوفياتية كله وستنفذ مهمتها القتالة في المستقبل أيضاً إذا ما تطلب الأمر ذلك. وبعد ذلك حَمّلت الحكومة السوفياتية قادة الولايات المتحدة الأميركية كامل المسؤولية عن الفاجعة التي حلت بالطائرة الكورية الجنوبية وأعربت عن أسفها لمصرع كامل طاقم وركابها الأبرياء. ونقلت وكالة تاس بيان الحكومة السوفياتية الذي صدر في حينه بشأن الطائرة الكورية ان ركاب الطائرة ذهبوا ضحية للجريمة الجديدة التي استخدمتها الخدمات الخاصة الأميركية في أمورها القذرة تنفيذاً لأوامر المخابرات الأميركية. وأشار البيان إلى أنه لا جدوى من محاولات الولايات المتحدة بتغطية سياستها هذه بالثرثرات حول الأركان الانسانية وروح الانسانية وقيّم الحياة البشرية وقال أنه لا يمكن للشخصيات السياسية في بلاد « سلبت » بأشرس شكل أرواح الملايين من البشر في الهند الصينية ثم قامت نفس الولايات بقيادة ريغان ومن قبله من رؤساء الولايات بمساعدة المعتدي الاسرائيلي على قتل الفلسطينيين وشاركت بقتل اللبنانيين وآلاف الوطنيين التشيليين والسلفادوريين لا يحق لهذه الدولة أن تتكلم عن الانسانية والأخلاق. وكرر بيان الحكومة السوفياتية أن الطائرة الكورية دخلت المجال الجوي السوفياتي فوق كامتشاتكا في المكان الذي تقع فيه أهم قاعدة للقوات

النووية الاستراتيجية للاتحاد السوفياتي وبنفس الوقت وهو ما اعترف به الجانب الأميركي كانت تحلق في هذه المنطقة قرب الحدود السوفياتية وعلى نفس الارتفاع طائرة استطلاع أخرى شبيهة بها تابعة للقوات الجوية الأميركية من طراز « آر — سي — ١٣٥ ».وأضاف البيان أنه ارتفعت حالاً في الجو طائرات اعتراضية مؤلفة من خمسة طائرات (سو — ١٥) وخمس طائرات (ميغ ٢٣) فانشق قسم من هذه الطائرات لمراقبة أعمال الطائرة الأميركية « آر — سي — ١٣٥ » واتخاذ الاجراء اللازم بحقها. ودخلت بقية الطائرات إلى منطقة تحليق الطائرة الكورية المنتهكة للحدود وأعطتها الارشادات بأنها اخترقت المجال الجوي للاتحاد السوفياتي ولكن الاشارات أهملت من قبل طاقم الطائرة. وذكر البيان السوفياتي أنه عند المدخل الى جزيرة سخالين عادت المقاتلات السوفياتية واعترضت الطائرة المنتهكة للمجال الجوي وجرت أيضاً محاولة جديدة لاقامة اتصال معها وذلك عن طريق الاشارة المعروفة للنداء العام على الذبذبة الدولية للحوادث وهي المعتمدة دولياً بـ« ١٣١,٥ ميغاهيرتس ».وقال البيان انه خلافاً للمزاعم الزائفة من الرئيس الأميركي ريغان فإن المقاتلات السوفياتية للدفاع الجوي مزوّدة بوسائل الاتصال التي تسجل فيها هذه الذبذبات وعلى ذلك فإن هذه الاشارات يجب أن تكون الطائرة الكورية قد تلقتها ولكنها لم ترد عليها.وترد أيضاً كما أفيد سابقاً على الاشارات الأخرى واعمال المقاتلات السوفياتية الروتينية. وأوضح البيان ان الخدمات السوفياتية للمراقبة قد سجلت إشارات الراديو القصيرة المرموزة بالشيفرة التي كانت تبث دورياً وهي التي تستخدم عادة عند بث المعلومات الاستطلاعية. وإن قيادة قوات الدفاع الجوي في المنطقة توصلت بعد اجراء التحليل بدقة لأعمال الطائرة المنتهكة للحدود وسير تحليقها المار أيضاً بمنطقة سخالين فوق القواعد العسكرية الى الاستنتاج بشكل نهائي أنها طائرة استطلاعية تنفذ مهام خاصة تحلق في المجال الجوي السوفياتي والذي يدفع الى هذا

أيضاً أن تلك الطائرة قطعت طريقها عبر مناطق هامة واستراتيجية من الاتحاد السوفياتي. وأعاد البيان التأكيد بأن المقاتلات السوفياتية أطلق طلقات تحذيرية كاشفة عن خط حركة الطائرة المنتهكة للحدود وهذا التدبير هو ما تنص عليه القواعد الدولية. وبما أن الطائرة المنتهكة للحدود لم تخضع أيضاً لطلب التوجه الى مطار سوفياتي وحاولت التهرب من كل الفرص التي أتاحتها لها قيادة الدفاع الجوي السوفياتي بالأرض والجو، فإن (الطائرة السوخوي ١٥ ــ المعترضة) نفذت أمر المقر القيادي في الدفاع الجوي بقطع الطريق على استمرار التحليق المخالف لحرمة الأجواء السوفياتية والأعراف الدولية وإن هذا العمل الشرعي ينسجم تماماً مع القانون حول الحدود الرسمية للاتحاد السوفياتي الذي سبق نشره. خاصة وإن الطيارين السوفيات لم يعرفوا أنها طائرة مدنية لأنها حلقت بدون أضواء وفي وقت متأخر من الليل وفي ظروف الرؤية الرديئة ولم ترد على جميع الاشارات الموجهة لها. وكرر البيان أن مزاعم الرئيس الأميركي بأن الطيارين السوفيات كانوا يعرفون أن هذه الطائرة مدنية « لا تنسجم » مطلقاً مع الواقع. وأضاف البيان إن عشرات الخطوط الجوية الدولية « تمر » فوق الاتحاد السوفياتي وتحلق عليها الطائرات على مدى عشرات الأعوام ولم يحدث لها أي شيء لأنها « تراعي » القواعد والخطوط المرسومة لها بدقة. وأوضح البيان أن الرئيس الأميركي ريغان يضع نفسه في موضع الانسان الجاهل باعلانه في كلمته يوم الخامس من ايلول (سبتمبر) ١٩٨٣ بأن الاتحاد السوفياتي يعلن كيفياً حدوده الجوية لأن القضية ليست في الجهل لدى هذه أو تلك من الشخصيات الرسمية الأميركية وانما هي عمل مقصود ومخطط سلفاً في منطقة هامة استراتيجياً بالنسبة للاتحاد السوفياتي لأنه ليس من الممكن أن مدبّريه لم يدركوا ما الذي يمكن أن ينتهي إليه الأمر. إلاّ أنهم أقدموا على تحقيق العملية الاستطلاعية الكبرى باستخدامهم كما يتضح « طائرة مدنية » ووضعوا عن قصد ركابها عرضة لخطر الموت (وهذا

ما حصل) ولهم أسبقيات في ذلك. لأن ما قامت به مخابرات الولايات المتحدة ليس غلطة تكتيكية لأنه أقيم الحساب على أنه سوف يتاح دون عائق تحقيق العملية الاستطلاعية المذكورة « ولكن » اذا قُطعت فإن هذا كله سيتحول الى عملية استفزاز سياسي واسع النطاق موجه ضد الاتحاد السوفياتي. وأكّد البيان أن الغرض من محاولة التشهير بالاتحاد السوفياتي ونظامه الاجتماعي هو اثارة شعور البغضاء تجاه المواطنين السوفيات وصرف الأنظار عن مبادراته السلمية ورغبة الولايات المتحدة وقادتها التهرب من حل المشاكل الدولية الكبرى المتعلقة بمصائر الشعوب والابتعاد عن ايقاف سباق التسلح واقصاء خطر الحرب النووية الذي يزداد على العالم بشكل كبير.

آخر العنقود « الوقائع تفضح المستفزين »

○ نقدم في آخر هذا الفصل عن إسقاط الطائرة الكورية الأقوال الحقيقية للطيارين السوفيات ــ قادة الطائرات الاعتراضية « السوخوي والميغ ٢٣ ــ وهم شهود عيان للانتهاك الفظ المخطط لحدود الدولة السوفايتية والتي تؤكد مسؤولية طاقم الطائرة المخالفة ومن ورائهم[1]:

منذ أن أصبحت الطائرة المخالفة فوق سخالين أنجزت قيادة الدفاع المضاد للجو في المنطقة تحليلها لتصرفاتها وقد اتضح نهائياً أنها طائرة تجسس تؤدي مهمة خاصة فوق الأراضي السوفياتية المحظور دولياً

(١) في طوكيو أعلن المدير العام لشركة الطيران الكورية الجنوبية « شوشونغ كو »: ان الشركة مسؤولة مئة بالمئة عن حادث الطائرة الكورية الجنوبية المدنية البوينغ ٧٤٧ وهذا الاعتراف صدر عن مدير الشركة أمام ٦٠ شخصاً من أهالي ٢٨ من ركاب الطائرة من اليابانيين ونفى أن تكون الشركة تعرف شيئاً مسبقاً عن انحراف سير الطائرة.

المرور فوقها لأي سبب. كما أن جميع الخبراء السوفيات في الدفاع الجوي السوفياتي يعرفون أن معدات المتن الرادارية في البوينغ ٧٤٧ الكورية المخالفة هي معدات « مكررة ثلاث مرات » تحسباً لحالات الطوارئ وهذه المعدات تتيح التعرف على ملامح شبه الجزيرة مع تحديد موقع الطائرة بدقة، وهذا برهان لا يضاهى. والبرهان الحقيقي الآخر الذي لا يدحض هو الذي قدمه الرفيق النقيب الطيار « فاسيلي كازمين » قائد الطائرة الاعتراضية الذي كان يتولى « قيادة مجموعة الطيارين » في تلك الليلة وقد دعي للتحليق للتعرف على الطائرة المخالفة واقتيادها الى أقرب مطار سوفياتي.

• صعد النقيب كازمين مع سرب من المقاتلات السوفياتية (شرحنا عدده سابقاً) خلال دقيقة زمنية فقط.

• ماذا رأى قائد الطائرة الاعتراضية النقيب كازمين حين رصدت رادارات طائرته الطائرة المخالفة ؟

• كانت نقطة الهدف بلغة الطيران الحربي مضيئة على شاشة الرادار وتشير بدقة إلى مكان الطائرة المخالفة والمسافة بينها وبين الطائرة الاعتراضية تتقلص بسرعة.

• تلا ذلك تأكيد من مركز القيادة والتعرف على الطائرة وارغامها على الهبوط.

• حاول النقيب كازمين إقامة اتصال مع الطيار المخالف (أي كابتن الطائرة الكورية الجنوبية) بواسطة اشارة الاستدعاء المعروفة وعلى ذبذبة الطوارئ الدولية والتي سجلتها المقاتلات السوفياتية التابعة للدفاع المضاد للجو.

• كانت طائرة كازمين تحلق بأنوار متن ملاحية « مضاءة » ومع

كشاف. وكان الطيار كازمين وهو الخبير بهذه الأمور يجعل أضواء طائرته تتوامض بلا انقطاع ليلفت انتباه طاقم الطائرة الكورية.

• مرّ النقيب الطيار كازمين بطائرته بجانب الطائرة الكورية وحلق أمامها بنفس اتجاهها مواصلاً إرسال الاشارات المقررة دولياً.

• قام أيضاً الطيار كازمين بالعودة للتحليق أمام الطائرة الكورية وهو يؤرجح طائرته وجناحيها يميناً ويساراً مشيراً بابهام يده لطاقم الطائرة بالهبوط.

كل ذلك والطائرة المخالفة تواصل طيرانها المخالف داخل الأجواء السوفياتية وكأن شيئاً لم يحدث ويتابع النقيب كازمين قائلاً : كانت الرؤيا سيئة في الليل والهدف كان يحلق وأضواء الملاحة مطفأة كما كانت أنوار الوقاية من التصادم مطفأة أيضاً. أي أن الطائرة المخالفة كانت تتلصلص تحت جنح الظلام. اقتربت منها لمسافة بضع عشرات من الأمتار ومع ذلك فإن علامات هوية الطائرة لم تكن ترى على مستوياتها وجسمها. كما لم تكن نوافذ الصالون العلوي باعتبارها طائرة درجة أولى مضاءة أيضاً. كان شبح الطائرة يذكرني بطائرة التجسس الأميركية (آر — سي — ١٣٥) والاقتراب منها أكثر كان يشكل خطراً لأنه في ظلام دامس كهذا يمكن الاصطدام بها. وواصلت الطائرة المخالفة رحلتها في مجالنا الجوي دون التفات الى ما نرسله لها من اشارات. وحاول المركز المحلي على الأرض التحكم بحركة الطائرة داخل الأراضي السوفياتية وإقامة اتصال معها على ذبذبة الطوارئ المنصوص عليها في معاهدة (إيكاو) الدولية. بيد أن طاقمها « رفض » الرد على نداءات الأجهزة الأرضية السوفياتية كما رفض الرد على اشارات الطائرة الاعتراضية.

اللحظات الأخيرة للطائرة الكورية

○ لم يكن لدى الضباط السوفيات في مركز قيادة وحدة الدفاع المضاد للجو أيّ شك في أن الطائرة المخالفة تجري مكالمات لاسلكية مع مراكز السيطرة الأرضية المسؤولة عن الطائرة والرحلة والعائدة للولايات المتحدة واليابان بذبذبات متفق عليها سلفاً. اما ان الطائرة كانت تمر فوق مناطق تضم منشآت استراتيجية سوفياتية فذلك دليل ساطع على أن هذه الرحلة قد أعدت سلفاً وأن الطائرة كانت آنذاك متجهة داخل المجال الجوي السوفياتي للقيام بأغراض تجسسية مشينة.

ومن أصول الممارسة الدولية أن كل دولة تضع بنفسها قواعد وسبل الدفاع عن سيادتها وحرمة حدودها. ويحدد قانون الاتحاد السوفياتي الخاص بحدود الدولة السوفياتية /المادة ٢٦/ التدابير الواجب اتخاذها تجاه من ينتهك حدود الدولة السوفياتية براً وبحراً وجواً في الحالات التي يتعذر فيها وقف الانتهاكات بوسائل أخرى عندئذ يستخدم السلاح والمعدات الحربية المناسبة لوقف الاعتداء. وهذا ما كان يعرفه جيداً كل من كان في تلك الليلة يحرس المجال الجوي للبلاد السوفياتية ويتضح مما ذكر آنفاً ان قيادة منطقة الدفاع للجو استرشاداً منها بالاعتبارات الانسانية المحض حاولت الصبر وقتاً طويلاً وباصرار لتشخيص هوية الطائرة وارغامها على الهبوط في أقرب مطار سوفياتي. وقد وضح ذلك توضيحاً تاماً في المؤتمر الصحفي الذي عقده مارشال الاتحاد السوفياتي نيقولاي أوغاركوف رئيس الأركان العامة للقوات المسلحة السوفياتية (ذكرنا عنه في الصفحات السابقة) فقد أجاب بوضوح على اسئلة الصحافيين الحاضرين بأن رحلة الطائرة المخالفة كانت تنسق وتدار بدقة من قبل الأجهزة ذات العلاقة « وراء المحيط » وكانت رحلة استفزازية مخططة حلقت خلالها الطائرة المخالفة فوق قاعدة للقوات الاستراتيجية السوفياتية. واكد المارشال أوغاركوف أن جميع مراكز قيادة الدفاع

المضاد للجو كانت على ثقة تامة من أنها طائرة تجسس تؤدي مهمة خاصة فوق الأراضي السوفياتية. وفي نفس جزيرة سخالين تكلم في



عملية إسقاط الطائرة الكورية كما تخيّلها رسام النيوزويك



صورة منقولة عن التلفزيون للطيار الروسي الذي أسقط الطائرة الكورية.

المطار العسكري قائد الطائرة الاعتراضية الذي كان آخر من اعترض الطائرة المخالفة وهو النقيب الطيار (P-S) الذي صرح بأنه عندما أعلن رؤسائه في القاعدة حالة التأهب القتالي كان قد أصبح معروفاً في مركز القيادة ان هناك طائرة تجسس مخالفة تنتهك حدود الدولة وتتصرف بشكل استفزازي داخل المجال الجوي السوفياتي كان الطيـار (P-S) يرتدي خوذة الانصات وقد تلقى الأمر التالي عبر اللاسلكي وهو يطير ضمن التشكيلة المؤلفة من عشر طائرات مقاتلة سوفياتية اعتراضية بقيادة زميله الرفيق النقيب فاسيلي كازمين : الهدف « أي الطائرة الكورية » يقع إلى يسارك وعلى بعد ١٣٠ كلم افتح الأضواء الملاحية والكشاف. تقدم إلى أمام الطائرة ودلّها على اتجاه مطار الهبوط. وأيضاً قال الطيار (P-S) إنه شاهد الطائرة المخالفة « شبحاً » ولا يوجد عليها أية إنارة. لم يكن هناك عليها أي ضوء. كانت الطائرة معتمة تماماً. وحتى على الجانب المعتم من السماء لم تكن هناك أية معالم إنارة في جسم الطائرة وتابع الطيار السوفياتي قوله : كانت أمامي مهمة واضحة المعالم وقد بذلت جهدي لأدائها بأفضل وجه. إنها المهمة القتالية التي اعتبرها مغزى حياتي كلها لخدمة بلادي.

○ كان هذا بعد أن عبرت الطائرة سمـاء كامتشاتكا وقد بذلت المحاولات لوقفها واعادتها للنزول في المطار العسكري. لكنها واصلت طيرانها ! إذاً لا بد أنها طائرة معادية. أجل لقد فكرت بذلك، لأني طاردتها وقد عبرت حدودنا فظهرت لديّ ثقة كبيرة بأنها طائرة معادية سطت على أراضينا وراحت تحلق وهي معتدية فوق بيتي، فوق نقطتنا العسكرية بالضبط. كان الناس ينعمون بنوم هادئ تاركين مهمة حمايتهم لنا ولبقية القوات المسلحة السوفياتية. بينما كانت الطائرة المخالفة تطير فوقنا لتنفيذ مهمة تجسسية. أول شيء قمت به وحسب الأوامر الصادرة لي هو أنني اقتربت منها وأضأت أنوار المتن المتوامضة. ثم أرجحت

جناحي الطائرة وكـان مرئياً أيضاً أن أنواري تتأرجح هي الأخرى وهذا يعني حسب مجموعة الرموز الدولية إنها « أي الطائرة الكورية مخالفة » لذلك كان عليهم أن يردوا عليّ بشكل ما إما بالاعتراف بمخالفتهم والانصياع لي أو اعلامي بأنهم موشكون على كارثة. وعندها كان عليّ مساعدتهم فيما لو كانوا مصابين بعطل ما، فاذا كان الطيار مخالفاً فقد كان بامكانه الهبوط في مطارنا الذي سنرشده إليه ولاستطلعنا الأمر فوراً على الأرض والركاب في أمان. لقد كانت الطائرة ضخمة وبالتالي فمن الطبيعي أن يكون طاقمها كبيراً أيضاً. وكان عليهم أن يروا وميض أضواء متن طائرتين. ثانياً إنني قمت باطلاق أربع رشقات من القذائف الكاشفة المضيئة أمام مقدمة الطائرة المخالفة بالضبط. وهي اطلاقات تُرى ليلاً من مسافة كيلومترات عديدة بينما كنت قريباً جداً من الطائرة. بينما واصلت الطائرة المخالفة رحلتها على نفس الخط. بعدئذٍ أخذت تناور بسرعتها وارتفاعها محاولة الافلات منا « أي من رتل الطائرات الاعتراضية » عند ذلك أبلغت القيادة بأن « الهدف » يناور ولا ينصاع للاشارات وأوامر الهبوط فتلقيت الأمر القاطع بانهاء التحليق المخالف ونفذته بدقة فانقطعت رحلة الطائرة المخالفة فوق الأراضي السوفياتية الى الأبد.

المخابرات الأميركيّة تتابع التجسّس على الجمهوريّة الإسلامية الإيرانيّة وتحاول إغراق إيران بالدولارات المزيّفة

○ منذ نجاح الثورة الايرانية عام ١٩٧٩ او سقوط الشاه محمد رضا والمخابرات الأميركية غير مصدقة ما جرى حتى الآن وكأنها في حلم. لكنها لم تسلم للأمر الواقع بل ثابرت على « محاولاتها » إيجاد جسور لها من العملاء داخل إيران الثورة.ولكن المخابرات الايرانية كانت لها بالمرصاد.وهذه القصة القصيرة نموذج لطريقة عمل المخابرات الأميركية في استغلال أي أميركي تسمح له ظروف عمله بالتواجد في إيران حتى بعد الثورة الاسلامية :

المهندس الاميركي جان باتيس ــ مدير التصميمات لشركة الاتصالات (كاسموس) اعتقل في طهران من قبل المخابرات الايرانية بسبب تعامله مع المخابرات الأميركية الثابت عليه.وها هو يجيب على عديد من الأسئلة نقدمها بعد الترجمة من اللغة الايرانية الى اللغة العربية حول نشاطاته ودوره التجسسي :

سؤال : يرجى من السيد باتيس أن يعرّف عن نفسه، ويتحدث عن الفترة التي قضاها في إيران، وماذا كان يعمل فيها، ولماذا ألقي القبض عليه ؟

جواب : اسمي « جان باتيس » أميركي من مواليد ١٩٣٦ ــ

كارولينا، اشتغلت في إيران منذ عام ١٩٦٩ حتى ١٩٧٩ حيث سافرت إثر استلام الثورة الاسلامية للحكم بعد هروب الشاه إلى مصر. بعد ذلك رجعت مرة ثانية في أعوام ١٩٨٤ ــ ١٩٨٥ ــ ١٩٨٦ للعمل في إيران. وفي الأيام الأولى عملت مع نظام (المايكروويف) في مجال التخطيط وتنفيذ التصميم المعدّ له. وخلال فترة العمل تجولت في جميع المناطق الحدودية وهي : كردستان، آذربيجان، كيلان، مازندران، خراسان، وسيستان بلوجستان. وفيما يتعلق بمسؤولياتي عن الأعمال الجاسوسية قمت بزيارة المدن والقرى والعديد من القواعد العسكرية، وكنت اتنقل بين الجبال والسهول وأختار المناطق الخاصة لاقامة محطات المايكروويف. وفي السنين الماضية لـ١٩٧٠ عملت في شركة الخدمات النفطية في محافظة خوزستان بوظيفة « مسؤول التخطيط » لتجديد أجهزة الاتصال للمناطق البعيدة حيث آبار النفط. وكانت عودتي إلى إيران خلال السنوات ٨٤ ــ ٨٥ ــ ١٩٨٦ من أجل العمل وفق تصميم خاص للشركة الحالية (كاسموس) في منطقة أسدآباد همدان، وهناك كنا مشغولين بنصب مُرسلة صغيرة لتمشية الخدمات المؤقتة ولتغيير المرسلة الأصلية لسد الاحتياطات الجديدة. وقد دخلت ايران آخر مرة باستعمال جواز سفر إيطالي مزوّر باسم (جيوفاني باتيس).

[وهنا أعترف بغباء الموظف في المخابرات الأميركية الذي قدم لي جواز السفر المزوّر لأنه السبب في وقوعي بين أيديكم لأن من المفروض بأي مخابرات تودّ إرسال عميل لأي بلد أن تعطيه جواز سفر صادر من دوائر الأمن على مسؤوليتها وباسم ولقب مغايرين لاسمه ولقبه كلياً مع بعض التغيير في شكل العميل ــ فيجب إعطائه الجواز بصورة يظهر فيها شاربه بشكل جيد إذا كان « معروفاً » بدون شارب، أو إعطائه الجواز بدون شارب إذا كان « معروفاً » بالشارب وهكذا، أما العميل المهندس في قصتنا من إيران هذه فاسمه الحقيقي « جان باتيس » والأسم الجديد الذي أعيد به

إلى ايران هو (الايطالي جيوفاني باتيس). أي بدون تغيير اللقب مما دعا إلى إلقاء القبض عليه في فندق شيراتون طهران بعد عرض اسمه على « فيش » أي أرشيف المخابرات الايرانية وبعد ذلك اعترف بالنشاطات الجاسوسية].

سؤال: متى كان تاريخ إلقاء المخابرات الايرانية القبض عليك من فندق شيراتون طهران؟

جواب : بتاريخ ٩ حزيران (يونيو) ١٩٨٦ وما زلت معتقلاً.

سؤال : ما هو نوع المعلومات التي كنت مكلفاً بجمعها للمخابرات الأميركية ؟

جواب : يمكن درج المعلومات التي كنت مكلفاً بجمعها لهذه المنظمة ضمن المعلومات العسكرية المخابراتية السرية، وعن انتاج النفط الايراني، الأوضاع الداخلية، التضخم، مشاكل المواد الغذائية، وفي المجال العسكري كانت الـ(C.I.A.) قد طلبت مني تزويدها بالمعلومات حول طريقة تأمين قطع الغيار للتجهيزات الخاصة بالاتصالات اللاسلكية الأميركية الصنع، لذلك استطعت أن أقدم لأعضاء في المخابرات الأميركية « قائمتين » بذلك الطلب في سنة ١٩٨٤ وسنة ١٩٨٦ بعد حصولي على المعلومات أثناء وجودي للعمل في طهران. كما أرسلت المعلومات التي جمعتها من خلال مشاهدة برنامج تلفزيوني عام ١٩٨٥ حول أحد المصانع الخاصة بانتاج الأسلحة والتجهيزات العسكرية الايرانية[1] وأخبرتهم عن محطة أسدآباد والكثير من المعلومات.

(١) نقل المعلومات العسكرية عن التلفزيون المحلي لأي بلد هو خطأ مخابرات ودوائر الاعلام في ذلك البلد، وهنا قصدت السلطات الايرانية أن تعلن عن امتلاكها لمعمل للأسلحة والتجهيزات للتباهي أو رفع المعنويات فحصلت على العكس بوجود هذا العميل الذي شاهد البرنامج ونقله كمادة تجسس إلى مخابراته.

وأخبرتهم « أي للمخابرات الأميركية » عن قدرات عدد من المحطات الخاصة بالمايكروويف بين طهران وبندر عباس وبين أصفهان والأهواز وبين أصفهان وطهران أيضاً. وكذلك كتبت للمخابرات الأميركية عن محطات على الحدود التركية كانت في مرحلة الاعداد والنصب وعن محطات أخرى جديدة.

وفي مجال انتاج النفط فقد طلبت مني الـ (C.I.A.) تقريراً عن مقادير وكميات النفط المصدرة من جزيرة (خارك) وكنت بدوري أستطيع أن أستطلع وأخمّن الكميات المصدرة. وكان من المتفق عليه خلال عودتي إلى أميركا عام ١٩٨٦ أن أنقل لهم معلومات عن الخسائر الملحقة بمحطات الضخ في آبار النفط، والاجراءات المتخذة هناك وأيضاً طلبوا مني معلومات عن نسبة تضخم الريال الايراني، وفرق التصريف لسعره في السوق السوداء وسعره القانوني. وأعترف بأنه سبق أن كتبت تقريراً إليهم بهذا الشأن أيضاً.

سؤال : ما هو سبب تورطك بالتجسس وأنت مهندس ومورذك المادي من عملك واختصاصك جيد جداً ؟

جواب : سبب تورطي معهم هو دخولهم في حياتي عن طريق المظاهر الخادعة، فعندما تقدمت للحصول على موافقتهم للعمل في إيران (اصطادوني) حيث شعرت بأنني لن أحصل على العمل إذا لم أوافقهم على طلبهم التعاون معهم وهكذا بدأت العمل لصالحهم.

سؤال آخر بنفس المعنى : هل هناك سبباً آخر لتورطك بالتجسس ؟

جواب : نعم هناك السبب الأهم لتورطي بالتجسس وهو المال. فقد كانوا يدفعون لي مبلغ خمسة آلاف دولار لقاء كل بحث أو تقرير أو جواب لأسئلتهم وكانت هذه الآلاف من الدولارات سبب الترف الذي كنت أعيشه وسبب نزولي في فنادق الشيراتون وتنقلي بأفخم وسائط

النقل وحتى مصادقة النساء، كل ذلك كنت أصرف عليه من هذه الدولارات الحرام.

سؤال : هل أنت نادم على قيام بالتجسس ضد الجمهورية الاسلامية ؟

جواب : نعم أنا نادم على ذلك كثيراً. وأطلب الرحمة منكم.

وهكذا انتهى استجواب المهندس جان باتيس وأعيد الى السجن انتظاراً لتقديمه للمحاكمة.

المخابرات الأميركية لا تزال تقوم بتزوير الدولار

○ قامت المخابرات الأميركية بتزوير كميات ضخمة من الدولار الأميركي أثناء الحرب الفيتنامية وذلك من أجل « تدمير » الاقتصاد الفيتنامي. وقام المكتب المالي في هذه المخابرات بعملية التوزيع حسبما ذكرنا في الصفحة ٢٤٨ من الجزء الأول من كتبنا المسلسلة هذه والثابت أن المخابرات الأميركية تمتهن الأذى وإلحاق الضرر بالدول التي تقع ضمن دائرة عدائها وحقدها وذلك بأي شكل من أشكال الضرر والأذى. ومن هذا الحقد عملية « تزوير الدولار » رغم أنه العملة الأميركية الرسمية ومغطى بمليارات مماثلة من الذهب لقيمته لدى البنك المركزي الأميركي في واشنطون. وغالباً ما تكون عملية التزوير لتغطية مصاريف باهظة لعملية أو مؤآمرة تنفذها المخابرات الأميركية ومنها الصرف على عميل باهظ التكاليف حيث تزوده بكميات هائلة من الدولارات المزيفة كمكافأة له على عمالته وتجسسه أو صرفه على شبكة تجسس. وقد صرح أحد المختصين في الصحافة الأميركية بعد اطلاعه على كتابي الجزء الأول بأن معلوماتي عن عملية تزوير الدولار صحيحة ولكن التزوير كان يتم بمعرفة وموافقة الحكومة الأميركية أولاً وليس المخابرات لأن المخابرات الأميركية رغم استقلاليتها وتحديها للحكومة الأميركية وحتى

الرئيس، لكنها لا تقوم بعملية التزوير إلا بعد موافقة البنتاغون « وزارة الدفاع الأميركي » المستمدة من موافقة الحكومة الأميركية ككل.

ومن أخبار التزوير الجديدة التي هي « استمرار » المخابرات الأميركية لعملية التزوير الروتينية عند الحاجة قيام الحرس الثوري الايراني في طهران بمصادرة سيارة بيك آب تحمل لوحة دبلوماسية ايرانية وهي تحاول الدخول الى السفارة الأميركية في طهران قبل الاستيلاء على هذه السفارة من قبل الطلبة المسلمين السائرين على نهج الامام الخميني. ولدى تفتيش هذه السيارة اتضح أنها محملة بصناديق كرتونية تحوي « ملايين الدولارات الأميركية المزورة » تزويراً متقناً أي بنسبة ٨٠٪ وقد عرضت هذه السيارة على التلفزيون الايراني في حينه. وهكذا تأكد استمرار المخابرات الأميركية بالقيام بتزوير الدولار.وما مصادرة هذه الكمية الهائلة من الدولارات المزورة الموجهة الى السفارة الأميركية في طهران إلّا دليل واضح على أن فرع المخابرات الأميركية في السفارة كان ينوي توزيع هذه الدولارات في طهران خاصة على عملائه المخدوعين من ضعاف النفوس ليقوموا بطرحها في السوق السوداء في إيران وهنا تكسب المخابرات الأميركية ما يلي :

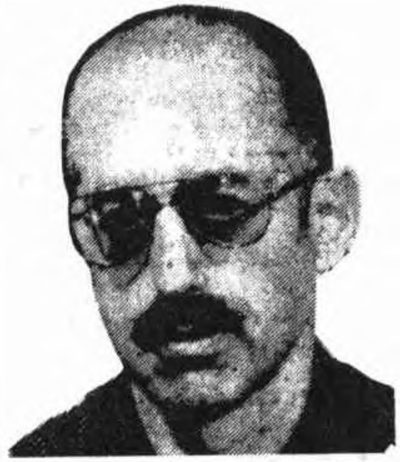
١ ــ عدم دفع أتعاب العملاء الايرانيين وغيرهم بالعملة الصحيحة وهذا يعني أن خيانتهم لوطنهم وتعاملهم مع المخابرات الأميركية في طهران كان بدون أتعاب حقيقية، أي أن أجرة تعاملهم كان دولارات مزورة، والأجر والثواب على الله.

٢ ــ اغراق السوق السوداء المزدهرة في حينه في ايران بملايين الدولارات المزورة، مما يضعف بالتالي سوق المال ويشغل جميع سلطات الأمن التي سيكون شغلها الشاغل « البحث » عن مصدر توزيع الدولارات المزورة ... الخ.

٣ ــ التخلص من العملاء المحليين في إيران بعد أن تستنفذ طاقتهم

التجسسية فتعطيهم التعويضات السخية عن أعمالهم بالدولارات المزورة ثم تقوم بطرقها الخاصة بالاعلام عنهم للسلطات الايرانية فيقبض عليهم بتهمة « ترويج » الدولارات المزورة. ويضطر هؤلاء العملاء تحت الضغط والتعذيب غالباً حتى بالكهرباء للاعتراف عن مصادر من مخيلته ــ مثل أن يقول اشتريتها من سائح... الخ. وهنا يكون العميل قد ربح « عدم افتضاح أمر عمالته وتجسسه » لصالح المخابرات الأميركية التي تكون قد ضربت حسب المثل العامي « عصفورين بحجر واحد ».

اعترافات جان پاتیس جاسوس سازمان «سیا» در ایران



جان باتيس ــ الجاسوس الجديد للمخابرات الأميركية في طهران.



الدولار المزيف لا يفرق عن الأصلي في مطبعة المخابرات الأميركية

كل شيء عن المخابرات الإسرائيلية

معلوماتٌ جديدة ومُفصَّلة

عَن

عمليّة اغتيال ثلاثة من قادة المقاومة الفلسطينيّة

في بيروت





معلوماتٌ تُنشر لأوّل مرّة

كيف تمت عملية المخابرات الاسرائيلية الغادرة باغتيال ثلاثة من قادة المقاومة

○ فندق (سندس) في بيروت هو من فنادق الدرجة الأولى حيث كانت العاصمة اللبنانية في عام ١٩٧٣ تعيش عصرها الذهبي وحياتها البوهيمية ولياليها الحمراء. وأغلب السكان يؤثرون الصعود الى الجبال لقضاء فصل الصيف الذي يبدأ في نيسان من كل عام ولغاية ايلول ويتفرقون في مصايف عاليه وبحمدون. وكانت مئات السيارات تبدأ في الصعود يومياً باتجاه المصايف من الساعة الخامسة مساءً وينعكس الأمر صباحاً حيث تعود السيارات الى بيروت بأصحابها ولكن كانوا يعودون إلى أعمالهم وليس الى منازلهم التي يغيبون عنها طيلة أشهر الصيف فتبقى بيروت الساهرة مرتعاً خصباً للسياح الأجانب والعملاء.. نعم كانت بيروت تبقى للعملاء ليلاً وهم يتآمرون فيها ما يحلو لهم التآمر.

فقد وصل إلى فندق (سندس) يوم ٣ نيسان (أبريل) ١٩٧٣ سائح انكليزي يحمل حقيبة سفر متوسطة وقدّم جواز سفره إلى موظف

الاستعلامات في الفندق حيث قام بتسجيل المطلوب للسلطات اللبنانية :

الاسم : ديتر ألتور.
العمل : تجارة.
قادماً من مطار بيروت الدولي ... الخ.

وبعد بعض الاستراحة صرح لموظف الاستقبال أنه « هاوي » صيد السمك ليلاً وأن هواية صيد السمك ليلاً متأصلة فيه وهي هواية غريبة ولكنه يحبها. وصيده ليلاً « لغرض في نفسه » هو عكس الصيادين اللبنانيين الحقيقيين الذين يتوجهون في ساعات الصباح الأولى ليعودوا معهم مختلف الأسماك يبيعونها الى مطاعم بيروت التي تقدمها مقلية أو مشوية في وجبات شهية نتمنى أن تعود بيروت الى عهدها القديم هذا. أخذ ديتر يخرج مساء كل يوم من الفندق بحجة التوجه لاشباع هوايته في صيد السمك في الليل ويسير على الشاطئ وسط الظلام وهو يحمل أدوات الصيد حتى يصل الى منطقة ساحلية تسمى « مغارة الحمام » يمارس فيها هوايته المحببة ويعود في ساعة متأخرة من الليل الى الفندق وكان يبدو ظاهرياً كالرجل العائد من الصيد حقاً.

○ في السادس من نيسان (ابريل) وصل الى نفس الفندق ثلاثة سياح آخرين قادمين من أوروبا عن طريق مطار بيروت هم أيضاً وهم :

أولاً : وصل الانكليزي « آندرو تيسلاو » واتضح من تصريحاته بعد قدومه وأحاديثه ولباسه أنه مواطن انكليزي جنتلمان ومن المدرسة الفكرية القديمة.

ثانياً : بعد ساعتين وصل البلجيكي « شارل بوسار » قادماً من روما وهو في الأربعين من عمره.

ثالثاً : انكليزي آخر وصل الى نفس الفندق في ساعات المساء ويحمل اسم « جورج ألوار » وهو في الحادية والثلاثين من عمره.

وقد أمضى السائح الأخير في غرفته عدة ساعات دون أن يكلم أحداً أو يطلب شيئاً من العاملين في الفندق.ولكنه نزل فجأة الى صالة الفندق في منتصف الليل تقريباً وسأل موظف الاستعلامات كيف بامكانه أن يصل الى شاطئ البحر.وقد أرشده الموظف إلى الطريق المؤدية للشاطئ حسب طلبه.

○ الشخص الأخير الذي ينتمي إلى مجموعة « السياح الجواسيس » لم ينزل في فندق (سندس) مع زملائه الجواسيس بل توجه من المطار رأساً الى فندق (أطلانتيك) الكائن على شاطئ البياضة واسمه « أندرو ميسي » وكان انكليزياً أيضاً. أخذ من حين وصوله يوزع الأموال على موظفي الفندق ويبدي اهتماماً كبيراً بحالة الطقس. وفي كل يوم كان يهتم ثلاث مرات بالسؤال عن حالة الطقس بتفاصيلها الكاملة.

هؤلاء الجواسيس المحترفين لم يلتقوا أبداً مع بعضهم على الأقل أمام موظفي الفنادق التي نزلوا بها.وقد تصرفوا وهم مدربين على هذا المسلك أي كأن أحدهم لا يعرف الآخر مطلقاً.ونادراً ما كانوا يتواجدون داخل الفندق في ساعات النهار حيث أنهم كانوا يقومون بجولات طويلة « سيراً على الأقدام » داخل بيروت وهي جولات استطلاعية تمهيداً لقيامهم بعملية مرتقبة في حينه لأنهم قد « مرّوا » مرات عديدة أثناء تجوالهم من شارع الخرطوم أمام مكاتب قيادة الجبهة الشعبية الديموقراطية الفلسطينية.وحتى أن بعضهم اقترب من حراس المبنى وتبادل معهم الأحاديث والسجائر (وهذا خطأ كبير من الحراس) ويوجد في نفس امتداد الشارع الخرطوم ملعب رياضي كبير وحديث وكان السياح الجواسيس يبدون اهتماماً كاذباً بهذا الملعب لكنهم من خلال وجودهم في المكان كانوا يراقبون مبنى قيادة الجبهة الشعبية.كما مرَّ الجواسيس مرات عديدة في شارع فردان حيث يقع المبنى الذي يقيم فيه بعض قادة فتح ومنظمة ايلول الأسود.

○ إضافة الى هذا النشاط قام السياح الجواسيس باستئجار سيارات لبنانية خاصة من وكالة (أفيس) ووكالة (لينا كار) لتأجير السيارات للسياح. وقد طلبوا سيارات أميركية وتحدثوا لموظفي تأجير السيارات عن رغبتهم كسياح في الحصول على سيارات قوية للتنزه في الجبال والمناطق الوعرة وعبور الأراضي اللبنانية من شمالها الى جنوبها وبهذه الطريقة استأجروا :

— ثلاث سيارات بويك « سكايلرك ».
— سيارة واحدة « بلايموث ».
— سيارة واحدة « فاليانت ».
— سيارة واحدة « رينو ١٦ ».

وذلك بعد تسجيل أسمائهم من جوازات سفرهم (المزوّرة) ودفع كل منهم مائتي دولار (طبعاً من أموال المخابرات الاسرائيلية) كسلفة عن الايجار وعن كل سيارة حسب الشروط. وانطلقوا بهذه السيارات لكي يبدأوا بالتمرين على قيادتها في طرقات بيروت وخاصة الطرق الساحلية المؤدية ذهاباً وإياباً الى المكان الذي عينته لهم المخابرات الاسرائيلية مسبقاً في منطقة برج الحمام وهو بنفس الوقت « المكان الذي اختاره أحدهم وهو الجاسوس الأول ديتر ألتور لصيد السمك ليلاً ».

ابتداء المهمة القذرة

○ في الساعة السادسة من صباح يوم ٩ نيسان (أبريل) ١٩٧٣ انطلقت إلى قلب البحر الأبيض المتوسط قافلة بحرية صغيرة تابعة لسلاح البحرية الاسرائيلي منها سفينة حاملة صواريخ وسفينة اعتراض من طراز « دبّور ».واندمجت هذه السفن في الحال مع حركة السفن العابرة في الخطوط البحرية الدولية.

ــ سفينة الصواريخ « مبطاح » كانت تحمل في جوفها جنود المظليين الذين ألقيت عليهم مهمة مهاجمة مبنى قيادة الجبهة الديموقراطية.

ــ السفينة الثانية « غاعش » فكانت تحمل أيضاً جنود مظلات مهمتهم مهاجمة واغتيال قادة المقاومة في منازلهم بشارع فردان. وقبل صعود المظليين الى السفينة « غاعش » تلقى كل منهم من ضابط مخابرات اسرائيلي « أربعة صور » لكل من أبو يوسف النجار ــ كمال عدوان ــ كمال ناصر ــ علي حسن سلامة ــ وهم الأربعة المقصود تصفيتهم في شارع فردان لكي يتأكد هؤلاء المعتدين من ضحاياهم وشخصية أهدافهم.كما أن صوراً كثيرة لعلي حسن سلامة وزعت على جنود الوحدات الأخرى فلربما اصطدموا به في مكان ما أثناء العملية لأنه

هدف ثمين للمخابرات الاسرائيلية باعتباره « ضابط العمليات في منظمة ايلول الاسود » حسب الترجمة عن الصحف الاسرائيلية. وكانت الأوامر الصادرة عن قيادة المخابرات الاسرائيلية الى المهاجمين واضحة ومشددة للجميع وهي :

١ ـــ قتل (اغتيال) قادة المقاومة الثلاث يوسف النجار ـــ كمال ناصر ـــ كمال عدوان. وعنوانهم بيروت شارع فردان بدلالة المقيمين في بيروت من عملاء المخابرات الاسرائيلية بشكل سواح.

٢ ـــ قتل (اغتيال) علي حسن سلامة أينما وجد وفي حالة الاصطدام به لأن عنوانه ليس مؤكداً لديهم بأنه يقيم في شارع فردان.

٣ .ـ عدم ترك قتلى أو جرحى من جميع العناصر ـــ عملاء ـــ عناصر مخابرات مظليين في ساحة العمليات تحت أقسى الظروف.

وقد تمّ تزويد الجميع بصور اضافية للمناطق التي سيمرون بها أثناء تنفيذ العملية وخرائط دقيقة ومجسّمة لمناطق العمليات في شوارع وأحياء بيروت وأمكنة الانتظار وطرق الانسحاب ومكان التجمع بعد تنفيذ العمليات. وقد صدرت الأوامر بتنفيذ الهجوم بموجب عمليّتي إنزال بحري الأولى تتمّ في شاطئ البياضة والثانية في شاطئ مغارة الحمام.

بدأت القافلة البحرية الاسرائيلية بالاقتراب من شواطئ بيروت. وفي الساعة التاسعة والنصف مساءً ألقت السفن الاسرائيلية مراسيها في بحر بيروت الهادئ وأخذت تنتظر ساعة الصفر والجميع من السفن العدوّة يشاهدون بيروت من البحر وهي تتلألأ بأنوار النيون والزينات البهيجة. جنود المظلات كانوا يرتدون الملابس المدنية وبعضهم كان يرتدي اللباس الرياضي وعناصر المخابرات المرافقة لهم كانوا بطبيعة الحال باللباس المدني. أما الأسلحة فكانت أسلحة خفيفة بنادق سريعة الطلقات وأسلحة متوسطة بالاضافة إلى مدفعي رشاش ثقيل ومدفعي هاون ومورتر

من عيارات متوسطة. أما ضباط الحملة فكانوا يحملون مسدسات بريتا سريعة الطلقات أيضاً.

○ قائد هذه الحملة العسكرية البرمائية كان المقدم « آهود براك » كان ينظر إلى عقارب ساعته وهي تقترب من الساعة الثانية عشر ليلاً وعندها أعطى الاشارة بالبدء بالعملية. فأنزلت القوارب المطاطية المتوسطة من السفينة الى البحر ومن ثم قفز اليها الجميع. فتحركت باتجاه شواطئ بيروت حتى رست السفينة الأولى مبطاح أمام وبالقرب من شاطئ البياضة. ورست السفينة الثانية غاعش أمام وبالقرب من شاطئ مغارة الحمام. ومن المعلوم أن شواطئ بيروت يخلو منها المارة عند منتصف الليل وحتى العشاق المحبين القلائل الذين كانوا على الشاطئ أخذوا يغادرون الى منازلهم. والقوارب المطاطية الاسرائيلية تقترب وتستمر بالاقتراب من مناطق الانزال المحددة لها وعلى أضواء بطاريات العملاء من الساحل حسب الاشارات المتفق عليها. وهؤلاء العملاء كانوا قد أوقفوا سياراتهم بهدوء تام قرب منطقتي الانزال واطفأوا أنوارها وتسللوا إلى أقرب نقطة على الشاطئ وتلقوا الاشارات المتفق عليها من قوارب الانزال المطاطية وأعطوا اشاراتهم التي تدل على خلو المكان من أي عائق للعملية. وعاد كل منهم يجلس خلف مقود سيارته بانتظار رجال الحملة الاسرائيلية وكأنه سائق تاكسي ينتظر ركاباً.

قفز رجال الحملة من القوارب المطاطية الى الشاطئ وركضوا باتجاه السيارات التي كانت تنتظرهم وصعدوا اليها بسرعة البرق وجلسوا بهدوء عجيب وراء سائق عجيب قد سبقهم إلى بيروت بأيام « على عينك يا تاجر ». وقد استوعبت السيارات الأميركية (وهذا معروف للجميع وليس للدعاية) كل منها لسبعة عسكريين مع أسلحتهم وذخيرتهم. وقد جرى ترتيب مسبق لدى توزيع عدد وأسماء عسكريّ كل سيارة بأن يكون من بين ركاب كل سيارة « ضابط » لكي يحسن التصرف إذا ما تعرضت

السيارة لأي حادث أو « حاجز ».كما أن المخابرات الاسرائيلية تملك كما هو معروف عنها من الدهاء والخبث الشيء الكثير. فقد روعي أثناء التحضير للعملية وجوب وجود ضابط في كل سيارة للتصرف أولاً وأن يجيد اللغة العربية ثانياً فاذا كان الضابط لا يحسن العربية فيجب أن يكون من بين طاقم الجنود السبعة من يحسن التكلم باللغة العربية. ويجب على هذا الضابط أو الجندي الذي سيكون مرشداً للسيارة بسبب إجادته اللغة العربية أن يحمل معه عدة آلاف من الليرات اللبنانية لكي يتخلصوا من أي طارئ قديتعرضون له. توجهت السيارات بهم الى شارع فردان بقيادة السياح الذين سلكوا هذا الطريق عشرات المرات وأصبحوا يعرفون كل شبر فيه .وأثناء اجتياز السيارات لمدينة بيروت كان الجنود المدنيون ينظرون باعجاب تام كبير الى الرجال السائقين غير المعروفين لديهم والذين كانوا يقودون السيارات بهم بثقة وأمن كاملين في الشوارع المتعرجة في قلب بيروت حتى وصلوا بهم إلى شارع فردان وهناك انفصلت قوة بقيادة المقدم « لفكين » واتجهت نحو منطقة الملعب حيث هناك قيادة الجبهة الديموقراطية. وفي الساعة « ١,٠٩ » بعد منتصف الليل وصل جنود المظلات الاسرائيليون ومرافقيهم من رجال المخابرات الاسرائيلية « إلى اهدافهم المحددة ». فالمجموعة التي كلفت باغتيال قادة المقاومة وصلت بسيارتين الى شارع فردان ونزل الجنود من السيارتين واختبأوا في بيت الدرج المظلم التابع للمبنى المؤلف من سبع طبقات. أما أفراد المجموعة الثانية فقد نزلوا من سيارتهم في شارع غانا وتسللوا وسط الظلام نحو شارع الخرطوم حيث يقع مبنى الجبهة الديموقراطية.

دفاع المقاومة البطولي

○ في الوقت الذي كانت فيه سفن سلاح البحرية الاسرائيلية تنقل عناصر المخابرات والمظليين الاسرائيليين الى شواطئ بيروت لتنفيذ عملية اغتيال بعض قادة المقاومة، كانت أنظار قادة فتح وبقية المنظمات الفلسطينية تتجه نحو نتائج اجتماع المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية الذي بدأ في ٨ نيسان (أبريل) ١٩٧٣ في بيروت عوضاً عن دمشق التي تبعد عن بيروت مائة وعشرة كيلومترات وهي الأكثر « أمناً » وقوة لحماية القادة الفلسطينيين. انتهت محادثات اليوم الأول في ساعة متأخرة من الليل وبعد انتهاء المحادثات دعا كل من أبو يوسف النجار وكمال ناصر وكمال عدوان « أبو أياد » نائب ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الى عشاء « سمك » في مطعم السلطان ابراهيم على شاطئ الأوزاعي، إلاّ أن أبا إياد لم يتحمس لهذه الدعوة فهو شديد الحذر والحرص على أمنه وحياته لأنه يعرف نفسه « مستهدفاً » من قبل المخابرات الاسرائيلية بشكل دائم لذلك كان يتجنب الدعوات العامة والجلوس في الأماكن المزدحمة. ولكن في النهاية وبعد ضغوط والحاح من جانب الثلاثة استجاب أبو إياد لدعوتهم وشاركهم عشاء السمك بعد أن اتخذ اجراءات أمنية احتياطية وكان العشاء الأخير معهم لأن أبا إياد صرح بعد يومين والدموع في عينيه قائلاً: لست أدري ما

الذي دفع بي وجعلني أوافق على تلبية دعوتهم. فلقد شعرت برغبة شديدة للبقاء مع رفاقي الثلاثة (كانوا قد استشهدوا كما سنعرض) وعدم الافتراق والابتعاد عنهم ولو لساعتين اثنتين.

○ في الساعة التاسعة مساءً (١٩٧٣/٤/٩) بتوقيت بيروت انتهت محادثات المجلس المركزي الفلسطيني فتفرق الأعضاء كل إلى منزله أو فندقه. أما أبو إياد فقد توجه الى كمال ناصر أثناء خروجهم وسأله : هل استطيع قضاء السهرة هذه الليلة عندك. فردّ كمال ناصر : هذه الليلة بالذات أريد أن أكتب عن عيسى نخلة ووجودك سيضطرني لترك الكتابة (عيسى نخلة شاعر معروف توفي قبل أسابيع من تاريخه). عند ذلك تخلى أبو إياد عن فكرة السهر لدى كمال ناصر بعد جوابه « عمره طويل » وقد قرر عوضاً عن ذلك « لقاء » الفدائيين الثلاثة الذين نفذوا عملية استاد ميونيخ الفدائية. وهذه العملية كانت بقيادة علي حسن سلامة وقد صوّرت فيلماً شيقاً عرض في بيروت باسم ٢٤ ساعة في ميونيخ وكانوا قد أطلق سراحهم حديثاً من السجون الألمانية في حينه فعادوا الى بيروت. وقد توجه أبو إياد الى البناء الذي يقيم فيه هؤلاء الثلاثة والذي يقع مقابل بناء قيادة الجبهة الشعبية الديموقراطية ولا تفصل بين البنائين سوى عشرة أمتار. وحين دخول أبو إياد البناء لاحظ أن هناك استعدادات عسكرية أمام مبنى قيادة الجبهة الشعبية فصاح بقوله : ماذا يجري هنا ؟ فأجابه الحارسان الفلسطينيان اللذان يقفان عند مدخل البناء بعد أن أديا له التحية والاحترام. « نحن نتوقع هجوماً مسلحاً ».

قال أبو إياد: « تتوقعون هجوماً مسلحاً؟ ممن؟ »

أجاب الحارسان: « من جانب الجبهة الشعبية بقيادة جورج حبش ». وقد تأثر أبو إياد بشدّة عندما سمع ذلك لأنه كان حريصاً على نبذ أية خلافات بين المنظمات الفدائية ثم تابع سيره صاعداً الى منزل الفدائيين

العائدين من المانيا لتهنئتهم. ومن هناك أجرى اتصالات هامة لتهدئة الوضع بين المنظمتين.

○ المقدم آهود براك قائد حملة المظليين والمخابرات الاسرائيلية أصدر الأمر الى جنوده بالتقدم لتنفيذ العملية. وفي نفس الوقت كانت تنبعث أصوات الموسيقى الغربية الصاخبة والراقصة من النادي الليلي « جولدن روم » في مبنى فندق بريستول المقابل. وأول أمر أصدره المقدم براك ببدء التنفيذ هو للملازم أول « أبيدع شور » وصديقه المقرب ضابط الصف حجاي معيين بأن يطلقا النار من مسدسات كاتمة للصوت على الحارسين الفلسطينيين الواقفين عند مدخل بناء قيادة الجبهة الديموقراطية. فتقدم الاثنان ببطء وحذر وهما يسيران على الرصيف متجهين نحو مدخل البناء وكأنهما يقومان بنزهة ليلية وكانا يخفيان تحت ملابسهما مسدسين من نوع بريتا المزوّدين بكاتم للصوت. وكانت الأوامر الصادرة لهما من المقدم براك هي أن يقتربا من البناء قدر الامكان لكي يستطيعا اطلاق النار على الحارسين من مسافة قريبة جداً لأنه بعد ذلك سيصدر الأمر العام بالهجوم.

تقدم الملازم أول أبيدع ورفيقه حجاي حتى وصلا الى مسافة خمسة أمتار من الحارسين المسلحين تسليحاً قوياً وقد توقف الاثنان فجأة. أما الجنود الآخرون الذين هم بقيادة المقدم لفكين والجنود الآخرون الذين هم بقيادة المقدم براك قائد الحملة نفسه والذين كانوا يختبئون ويقفون على مقربة من المكان وينتظرون « إشارة » البدء بالهجوم فكانوا يعيشون هذه الدقائق واللحظات على أعصابهم وقد حبسوا أنفاسهم خشية حدوث شيئاً لم يتوقعوه ولم يحبسوا حسابه كأن يحدث شيء مفاجئ قبل لحظات « قتل الحارسين ». ولدى توقف الاثنان فجأة أشعل ابيدع سيجارة لنفسه وبعدها أشعل سيجارة أخرى لزميله حجاي وذلك على مرأى من الحارسين الذين لاحظا ما يجري على مقربة منهما ولم يخطر

على بالهما شيء كما لم يحركا ساكناً. وفي هذه اللحظات كانت عقارب الساعة تشير الى الواحدة وسبع وعشرين دقيقة من صباح العاشر من نيسان ١٩٧٣. وبعد أن أشعل أبيدع وحجاي سيجارتيهما تابعا السير حتى أصبحا على مسافة « متر واحد فقط » من الحارسين.حياهما أبيدع بالانكليزية ثم أتبع التحية بالاعتذار « آي آم سوري » وبنفس الوقت أطلق عليهما النار مع حجاي بوقت واحد أيضاً من مسدسيهما المزودين بكاتم للصوت فسقطا أرضاً وقد أطلق أحدهما صرخة مدوية. وكانت المفاجئة للملازم أول أبيدع وحجاي وللقوة جميعها أن قفز فدائيان مسلحان من سيارة فيات كانت تقف على مقربة من المكان ولم يشاهد أحد من الاسرائيليين الأذكياء حسب ادعائهم وتخطيطهم لكل شيء هذين الفدائيين داخل السيارة الفيات. بادر الفدائيان باطلاق رشات من الرصاص بمبادرة شخصية منهما وباتجاه أبيدع وحجاي فور خروجهما من الفيات بعد مشاهدتهما مقتل الحارسين.فأصاباهما إصابات مباشرة وسقط الاثنان يسبحان بدمائهما « تمّ نقلهما أثناء الانسحاب ولم يعرف عنهما شيئاً بعد ذلك ».

الشهيد الأول :

○ كان الشهيد كمال ناصر لا يزال منهمكاً في الكتابة عن عيسى نخلة عندما سمع صوت اطلاق النار « صوت رصاص الفدائين وليس رصاص الغدر المكتوم ».فقفز من مقعده لجلب سلاحه ولكن باب شقته كسر فجأة ودخل حوالي ستة من الاسرائيليين شاهرين سلاحهم فحاول كمال ناصر الالتفاف من ورائهم بعملية انتحارية فأصابته على الأقل ثلاثين رصاصة من بنادق ومسدسات المهاجمين حيث أصيب في جميع أنحاء جسمه واستشهد. لم تخرج من فمه كلمة واحدة ومع ذلك وكنتيجة للحقد الأسود لدى الاسرائيليين فقد أعادوا اطلاق النار على جثته هلعين

خائفين وأطلقوا النار على أثاث الشقة بغزارة وعلى طريقة المافيا. ثم تولى اثنان من المهاجمين جمع أوراقه ودفاتره وسرقوها للاطلاع عليها فيما بعد...

الشهيد الثاني :

○ محمد يوسف النجار « أبو يوسف » كان يجلس في غرفته يستعد للنوم وكان أولاده الخمسة يقظين يطالعون في كتبهم المدرسية ويحضرون وظائفهم لغد ذلك اليوم. وفي هذه اللحظات انفجرت عبوة ناسفة دمرت باب شقته تماماً ودخل المعتدون الاسرائيليون وهم يرتدون على رؤوسهم « كلسات نسائية » وأيضاً على طريقة سارقي البنوك في الأفلام الأميركية. وعندما أصبحوا داخل الشقة وقف في وجههم نجله البالغ من العمر سبعة عشر عاماً وكان يعتقد بأنهم « لصوص » لارتداءهم الجوارب على وجوههم كأولاد عمهم الأميركان ولكنهم سألوه عن أبيه بلغة عربية ركيكة. عندها أدرك الفتى بأن المهاجمين أخطر من أن يكونوا لصوصاً متأمركين فركض مذعوراً من أمامهم باتجاه غرفة نوم والده ليحذّره ولكنه وقع أرضاً فسبقه الجناة. أما أبو يوسف فقد قفز من فراشه عندما سمع صوت انفجار باب شقته واتجه الى غرفة الضيوف وصاح بزوجته « مها » أن تحضر له مسدسه. فركضت الزوجة بصورة هستيرية نحو خزانة الملابس حيث كان المسدس بداخلها[1]. وفي هذه اللحظات وبعد سقوط ولدها على الأرض أمام غرفة النوم وهو يحاول انذار والده فيها أطلق الجناة النار

(١) هذا خطأ رجل مسؤول ومستهدف من قبل المخابرات الاسرائيلية ليلاً نهاراً بأن يترك سلاحه في خزانة ملابس وبعيداً عنه. نصيحة لجميع الذين يتعرضون للتهديد أن يبقوا سلاحهم بجانبهم لأنه إذا كان القتل مكتوباً فعلى الأقل أن لا يموت الانسان رخيصاً.

عشوائياً باتجاه باب غرفة النوم فمزقوه أرباً لاعتقادهم أن أبا يوسف النجار في تلك الغرفة وكسروا الباب ودخلوا غرفة النوم فلم يجدوا أبو يوسف فتوجهوا نحو غرفة الضيوف. تخلت الزوجة مها في هذه اللحظات عن التفتيش عن مسدس زوجها وسارعت للدفاع عنه. وهنا نقف باحترام واجلال لهذه الزوجة المناضلة التي ألقت بنفسها وجسمها أمام زوجها فور وصول المعتدين ومباشرتهم باطلاق النار عليه فأصيبت بعدة طلقات سقطت على أثرها أرضاً والدماء تنزف منها أمام وبين يديّ زوجها الذي سقط بدوره بجانبها مضرجاً بدمائه وهو يصيح بأعلى صوته : « جبناء ــ طول عمركم جبناء ». حتى استشهد في الحال. بعد ذلك ركض الجنود الاسرائيليون نحو مكتبته وأخرجوا منها كافة أوراقه وسرقوها أيضاً.

الشهيد الثالث :

○ كمال عدوان كان يكتب أيضاً في شقته عندما سمع أصوات الرصاص وانفجار العبوة في منزل أبي يوسف النجار. فأدخل زوجته وكانت من آل الجيوسي مع الأطفال الى غرفة داخلية وتوجه عائداً لحمل بندقيته الكلاشينكوف. وأيضاً فوجئ بكسر باب شقته بعنف حيث اقتحم أكثر من ثمانية اسرائيليين الشقة وأطلقوا عليه ناراً غزيرة. فأصيب في ظهره ووقع على الأرض وذلك على مرأى من زوجته وأطفاله الذين أخذوا يصرخون ويبكون من هول الفاجعة. ومع ذلك سرق الاسرائيليون الكثير من أوراقه الهامة وسارعوا الى الهرب وخلال خروجهم وانسحابهم فتحت جارة مسكينة باب شقتها المقابلة لشقة كمال عدوان فأطلقوا النار فوراً باتجاهها فقتلت خلف الباب وكانت امرأة ايطالية في السبعين من عمرها. واتضح أن هذه المرأة نهضت من نومها على أصوات الرصاص وحاولت فتح الباب لمعرفة ما يجري فوجدت الموت بانتظارها.

كان الملازم الأول أبيدع وزميله حجاي لا يزالان ينزفان أمام مبنى قيادة الجبهة الديموقراطية وعلى مقربة منهما سقط الجندي يفئال لابين جريحاً أيضاً. وكان على آمر القوة الثانية المقدم لفكين حسب الخطة القيام بتفجير المبنى فأجرى اتصالاً لاسلكياً عاجلاً مع العقيد « شيكد » الذي كان يراقب العمليات من مقر قيادته على متن السفينة الاسرائيلية مبطاح وطلب منه العمل على إرسال تعزيزات عاجلة لمساعدته على فك حصار الفدائيين عن قواته. فحوّل العقيد شيكد النداء الى اسرائيل حيث قامت طائرات هيليكوبتر بانزال وحدات اضافية من المظليين الاسرائيليين كانوا ينتظرون في الحدود الاسرائيلية اللبنانية بشكل احتياط. وقد تم الانزال في الملعب الرياضي وقد أجلى الاسرائيليون جرحاهم في نفس هذه الطائرات إلى المستشفيات الميدانية في شمال اسرائيل.

وكان الفدائيون قد أحكموا الطوق حول القوات الاسرائيلية المتواجدة في الشوارع القريبة من بناية الجبهة الديموقراطية وتبادلوا معهم اطلاق النار من مسافات قريبة جداً. وخلال الدقائق التي استمرت فيها المعركة بين الجانبين كان مقرراً للقوات الاسرائيلية أن تنفذ هجمات متعددة على مستودعات للذخيرة وأهداف ومكاتب أخرى. وبنفس الوقت كانت هناك وحدات تقترب من شاطئ بيروت بواسطة القوارب المطاطية بقيادة « العقيد شموئيل فرسبورغر » فأصدر العقيد شيكد باعتباره قائد العملية أمره الى هذه القوة طالباً تقديم موعد الهجوم وذلك من أجل تخفيف الهجمات والحصار عن قوات المقدم لفكين والمقدم براك أمام مبنى الجبهة الديموقراطية وفي منطقة الملعب. بالفعل تم تقديم موعد الهجوم فالتقت القوتان: القوة التي هبطت من طائرات الهيليكوبتر في الملعب والقوة البحرية الجديدة بقيادة العقيد شموئيل ونجحوا في فك الحصار عن زملائهم. ومن ثم نجح بعض ضباط الهندسة الاسرائيلية في الوصول الى مدخل بناية قيادة الجبهة وهم يحملون كمية من المواد الشديدة الانفجار

التي وضعوها داخل المبنى لتفجيره من غرفة المصعد الكهربائي ووضعوا لها الصواعق وساعات التوقيت وسارعوا الى مغادرة المبنى. وفي هذه الأثناء بدأ الجميع بالانسحاب من مظليين ومخابرات وهندسة فتولت وحدة الهاون « ٨١ » تغطية هذا الانسحاب باطلاق قذائف الهاون باتجاه تجمعات الفدائيين التي كانت تضغط على الاسرائيليين نتيجة خطة فدائية مشتركة وعفوية ولدت في حينه ولدى اكتشاف وصول الاسرائيليين الى شارعي فردان والخرطوم. وهذه الخطة تقضي بأسر جميع الاسرائيليين لولا القوات الاضافية التي تولت فك الحصار عنهم وقذائف الهاون التي أطلقوها عشوائياً في المنطقة. فأخذت السيارات اللبنانية التي كانت تنتظرهم والتي يقودها رجال المخابرات الاسرائيلية السياح سابقاً كما ذكرنا في أول هذا الفصل تقوم بنقلهم الى الشاطئ حيث كانوا يمتطون القوارب المطاطية « عائدين » إلى السفن البحرية. وقد ساعدت الطائرات المروحية باستعادة القسم الكبير من القوات الاضافية بالاضافة الى نقلها لجرحى هذه المعركة وقتلاها قبل كل شيء. وبعد نقل « آخر » دفعة من الاسرائيليين بالسيارات إلى الشاطئ ترك رجال المخابرات السيارات بحالة جيدة ومفاتيحها عليها قرب الشاطئ وصعدوا في القوارب المطاطية حيث لحقوا بزملائهم عائدين الى اسرائيل. وما إن بدأت السفن بسحب المراسي وإدارة محركاتها استعداداً للابحار سمع الجميع صوت انفجار قوي من ورائهم في بيروت حيث كانت المواد الناسفة التي وضعتها الهندسة الاسرائيلية في مبنى الجبهة الديموقراطية قد دمرت المبنى بكامله بعد انسحابهم.

خلفيات هذا الهجوم الغادر

○ أثناء قيام قوات المظليين والمخابرات الاسرائيلية بهذا الهجوم الغادر واستطاعتهم « اغتيال » قادة الفدائيين الثلاثة كمال ناصر وكمال عدوان وأبو يوسف النجار « كان أبو إياد يجلس مع الفدائيين الثلاثة العائدين من المانيا » وقد أعلم أثناء صعوده بوجود « نية » للجبهة الشعبية بالهجوم على الجبهة الديموقراطية وقد أجرى اتصالات هامة بين الطرفين وعندما سمع الانفجار وصوت اطلاق الرصاص بغزارة تأثر كثيراً وصاح قائلاً: « لقد أفلت الأمر من يدنا. رجال حبش يهاجمون رجال حواتمة ». ثم سمع أبو إياد صوت قذائف الهاون فقال: « هذا غير معقول ولا يمكن السكوت عنه ». ورفع سماعة الهاتف لكي يتصل بأبي عمار ولكن في هذه الأثناء وصل أحد الحراس وأخذ يصرخ أمام بابي إياد والفدائيين الثلاثة: « اليهود وصلوا الى هنا.. اليهود هنا ».. فظن أبو إياد أنه المستهدف وتساءل هل يمكن للاسرائيليين أن يكونوا قد عرفوا أنه هنا مع الفدائيين الثلاثة. ومن المؤكد أن المخابرات الاسرائيلية والدولة الاسرائيلية ككل عندما علموا لاحقاً « بوجود » أبي إياد والفدائيين الثلاثة على بعد خطوات من قواتهم التي اغتالت القادة الثلاثة في تلك الليلة المشؤومة قد أصيبوا بنكسة قوية وصدمة لأن حقدهم الأسود على ابي إياد وجميع القادة الفلسطينيين وأبطال العمليات يوازي حقدهم على القادة الثلاثة الذين اغتالوهم بعملية قذرة كلفت اسرائيل خمسة قتلى بينهم ضابط وسبعة جرحى بالاضافة الى مبلغ أربعين مليون دولار هي مصاريف هذه العملية.

حمل أبو إياد بندقية كلاشينكوف وتأبط مخازن ذخيرة تتسع لثلاثماية وستين طلقة وحمل الفدائيون الثلاثة أيضاً السلاح مثله وصعدوا بالمصعد الكهربائي إلى الطابق الأخير وأبقوا باب المصعد مفتوحاً بغية عدم نزوله أو انزاله من قبل الاسرائيليين أي تعطيله عن العمل أولاً وثانياً لكي يضطر الاسرائيليون لصعود الدرج « إذا » علموا بأمر وجود أبي إياد ومن معه

وعند ذلك يتمكن أبو إياد من الدفاع عن نفسه لا سيما ومعه ثلاثة مقاتلين من الطراز الأول وقد توجه إليهم بقوله: « إذا أراد الاسرائيليون الحضور إلينا فإنهم كما تشاهدون سيضطرون إلى الصعود سيراً على الأقدام لأنهم سوف يصعدون الدرج ومن هنا نستطيع السيطرة عليهم وإبادتهم إن شاء الله وسوف ندافع عن أنفسنا حتى الرصاصة الأخيرة ». وبقي الأربعة في وضع استعداد حتى دوي انفجار مبنى الجبهة الديموقراطية القريب واتضح انسحاب الاسرائيليين الذين لم يكن لديهم أي خبر بوجودهم هنا.

○ قام رجال الجبهة الديموقراطية بالرد الفوري على مصادر النيران الاسرائيلية. ففي أعقاب الخلافات الدموية التي اندلعت في حينه بين الجبهتين تمّ وضع رجال الجبهة الديموقراطية في حالة تأهب قصوى ونظراً أنهم كانوا يتوقعون هجوماً من قبل رجال الجبهة الشعبية فإنهم كانوا يحملون بنادقهم الكلاشينكوف وبين أيديهم آلاف الطلقات وعشرات القنابل اليدوية. لهذا فقد سارعوا للتصدي للقوات الاسرائيلية عندما تأكدوا من هويتها وأخذوا يطلقون النار عليها من النوافذ والشرفات والأسطح ومنعوا الاسرائيليين من التحرك لتنفيذ « بقية » مهمتهم. وخلال دقائق كان زملائهم رجال الجبهة الشعبية يشتركون معهم في عملية « تطويق » للاسرائيليين على مبدأ « أنا وابن عمي على الغريب » فحدثت اشتباكات عنيفة بينهم وبين المهاجمين الاسرائيليين الذين كانوا يحاولون فك الحصار عنهم واحتلال مبنى الجبهة الشعبية. وقد وصف المقدم « لفكين » نفسه هذه الاشتباكات فيما بعد بأنها كانت جحيماً حقيقياً وأنهم كانوا قد فشلوا لولا وصول القوات الاضافية التي أنقذتهم من الأسر.

○ في الأبنية القريبة والمجاورة خرج المئات من الفلسطينيين واللبنانيين بعد سماع تبادل اطلاق النار وأخذوا يراقبون العمليات القتالية

عن بعد وهم يعتقدون أن المعركة بين منظمات مختلفة ولا يدرون أنهم إنما يشاهدون عملية « غدر اسرائيلية ».

○ كان لاستشهاد القادة الثلاثة في هذه العملية واستشهاد بعض المقربين منهم وبعض مقاتليهم وحراسهم الأثر المفجع. واعتبرت هذه



قبور الشهداء كمال ناصر، كمال عدوان، يوسف النجار في مقبرة الشهداء في بيروت.



جورجينا رزق زوجة علي حسن سلامه.

العملية « درساً وعبرةً » لكافة قادة المنظمات وحتى المسؤولين المستهدفين من المخابرات الاسرائيلية والعملاء. إذ يجب عليهم جميعاً لجهة الاحتياطات الأمنية تبديل اماكن سكنهم حتى ولو كان في ذلك تكاليف وارهاق لأن المخابرات الاسرائيلية لا تعرف الكلل ولا الملل وهي تبحث دائماً عن الطرق الكفيلة باضعاف المقاومة الفلسطينية سواء بالغارات الوحشية على المخيمات بحجة أو بدون حجة. وخير دليل على الحقد الاسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني هو بتخطي الأعراف والقوانين الدولية والحدود، الاغارة من قبل الطيران الاسرائيلي على مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس رغم أن هذا المقر يتمتع بحصانة دبلوماسية وإذا لم نقل دبلوماسية فيجب على الأقل احترام « ضيافة » الحكومة التونسية.

المُخابراتُ الإسرائيْليَّة
تشترك باختطاف
وَزيرٍ نيجيريٍ مِنْ لندن
فيْ صندوق خَشَبي
عَمَليّة اختطاف مكشوفة
وَالتخطيط إسرائيلي

المخابرات الاسرائيلية تشترك باختطاف وزير نيجيري

المخابرات الاسرائيلية لا تتبدل في طريقة اشتراكها في عمل اللامعقول لقاء المال كمخابرات مرتزقة وثانياً تعمل المستحيل لقاء بقاء سمعتها كمخابرات تعمل على مبدأ « خالف تعرف ». وها هي (الموساد) أي المخابرات العسكرية الاسرائيلية تشترك في عملية اختطاف وزير نيجيري سابق من مكان اقامته كلاجئ سياسي في لندن. ففي ظهر يوم الخميس تموز (يوليو) ١٩٨٥ تمت عملية اختطاف فاشلة للوزير النيجيري السابق للمواصلات في بلده نيجيريا .وأبطال هذه العملية هم المخابرات النيجيرية بالاشتراك كمنفذ للعملية مع المخابرات العسكرية الاسرائيلية (الموساد) أي أن عملية الخطف تمت بعلم كامل من الحكومة النيجيرية التي تملك علاقات تجارية طيبة مع بريطانيا بحجم العلاقات البريطانية الأميركية أو الألمانية. ورغم انتهاك الأعراف الدبلوماسية فإن هذه القضية قد تم حصرها في أضيق نطاق للمحافظة على العلاقات التجارية بين بريطانيا ونيجيريا أولاً وثانياً لافتضاح اشتراك الموساد في هذه العملية رغم وجود بني آدميين في صناديق نيجيريا الدبلوماسية ورغم وجود المليونير السياسي الهارب الوزير السابق عمر ديكو تحت حماية الحكومة البريطانية وهو المطلوب الأول.

من هو عمر ديكو وكيف تمت العملية الفاشلة

○ عمر ديكو وزير المواصلات السابق في حكومة نيجيريا التي كان يرأسها « نسيبه » شاغاري المسجون في نيجيريا مع العديد من أمثاله خاصة الأغنياء منهم. وهؤلاء كانوا يعتبرون بريطانيا أمهم وأباهم فيها تلدهم أمهاتهم وبها يتلقون علومهم وثقافتهم ليعودوا لبلادهم جاهزين للحكم. وحين ينقلب عليهم غيرهم من متعلمي بريطانيا والولايات المتحدة ولكن في الكليات العسكرية هذه المرة يعودون إلى بريطانيا التي تتحول الى منفى لهم بعد أن كانت منفى لأموالهم التي اكتنزوها أيام الحكم وهنا تقوم بريطانيا بحمايتهم ولا تسلم أحداً منهم حتى ولو قامت حكوماتهم بطلبهم بالطرق القانونية. وذلك على مبدأ المحافظة على التقاليد البريطانية وبحجة الحصانة المعترف بها دولياً للاجئين السياسيين.

الاختطاف: يوم الاربعاء ٤ تموز (يوليو) ١٩٨٤ شوهد اسرائيليان يجلسان في باص صغير أصفر مقابل منزل عمر ديكو في منطقة بيزووتر الواقعة في وسط لندن يراقبان الوضع.وكانا يوقفان باصهما أمام منزل سفير بيرو المقابل لمنزل عمر ديكو وفي موقف مخصص للسيارات الدبلوماسية مما أثار انتباه سكان الشارع ومما أوحى بأن الاسرائيليين قد وصلا حديثاً إلى لندن كما علم فيما بعد أن خبرتهما في الاختطاف تعود لقيامهما بعمليات اختطاف سابقة في دول أميركا اللاتينية وقد تبين أيضاً الاستخفاف والغباء. وقد استخفا بالشرطة البريطانية وقدراتها. والغباء كان في الاعداد للعملية بهذه الشكل المكشوف.

ظهر اليوم التالي الخميس ٥ تموز (يوليو) وفي الساعة (١٢,٣٠) ظهراً خرج عمر ديكو من البيت وسار على الرصيف بشكل طبيعي متجهاً الى سيارته فهاجمه الاسرائيليان ومعهما شخص ثالث وعلى مرأى من المارة في الشارع.فتعارك معهم بالأيدي ثم تغلبوا عليه وحملوه الى

الباص الأصفر نفسه الذي كان يستعمل للمراقبة وانصرفوا. وتم الأمر كله أمام أعين سكرتيرة عمر ديكو الخاصة التي راقبت الأمر من نافذة المنزل فاتصلت بالشرطة المحلية التي نقلت الأمر فوراً إلى قيادة شرطة مكافحة الارهاب لدى المباحث العامة البريطانية « سكوتلانديارد » التي علمت بالأمر في تمام الساعة ١٢,٤٠ أي بعد عشر دقائق فقط من عملية الخطف. وأول عمل قام به قسم مكافحة الارهاب هو ابلاغ الموانئ الجوية والبحرية في الجزيرة البريطانية بالأمر وطلب ضرورة الانتباه. ثم طلب رئيس هذا القسم وأكّد على ضرورة مراقبة أي عملية « شحن » لنيجيريا خاصة بالصناديق الدبلوماسية التي ستغادر بريطانيا « ربما فكر في قصص مماثلة خطف بها اناس بوضعهم بعد التخدير في صناديق » ولأنه استغرب أن يقوم بالخطف وبهذه الطريقة المكشوفة « اسرائيليون ». وفعلاً سارت الأمور بعد ذلك وكأن رئيس قسم مكافحة الارهاب « أحد ضاربي الرمل » فقد هبطت طائرة شحن نيجيرية في مطار ستاندسيت في اليوم السابق للخطف أي الأربعاء وعلى غير عادة. وقد جاء في أسباب هبوطها « أنها جاءت لتحمل طلبية معدات مطبخ وزنها ٤,٥ طن رغم أن حمولة الطائرة ٤٠ طن. والمعروف أن المعاملات التجارية البريطانية النيجيرية كبيرة جداً وليس من المستغرب حضور هذه الطائرة بشكل مفاجئ لأن مئات الأطنان من البضائع والمعدات تشحن يومياً من لندن الى نيجيريا. وكان من المفروض أن تقلع هذه الطائرة يوم الخميس صباحاً ولم تفعل حيث صرح الطيار بأنه ينتظر طلبية شحن خاصة ستصل قريباً وحين اتصل قسم مكافحة الارهاب بالمطارات كانت هذه الطائرة هي المرشح الأول للاهتمام ولم يطل انتظار رجال الجمارك وقسم مكافحة الارهاب فقد وصل في الساعة الرابعة من بعد الظهر باص صغير لونه أصفر وأنزل منه صندوقين كبيرين عليهما عناوين المرسل : سفارة نيجيريا في لندن. المرسل إليه : وزارة الخارجية النيجيرية لاغوس — العاصمة ». وكان في صحبة الصندوقين الموظف في السفارة أديت

ولكنه لم يكن يحمل أوراقه الدبلوماسية ولم تكن لديه تعليمات خطية كما لم تكن الصناديق مختومة بالشمع ومع هذا تقدم ضابط الجمارك من أديت وسأله بأدب جم : هل هذه الصناديق دبلوماسية أم لا ؟ فتردد بالجواب ونظراً لعدم حمله أوراقه الدبلوماسية فقد طلب منه رجال سكوتلانديارد قسم مكافحة الارهاب أن يصحبهم إلى إحدى غرف الجمارك في المطار حيث اعتبر موقوفاً. وجرى اتصال من قبل وزارة الخارجية بسفارة نيجيريا بنفس الوقت وانتهى الاتصال لأن لاغوس أنكرت أي صلة بالأمر وكان أهم الاثباتات اعتصام أديت بالصمت وعدم الجواب. عند ذلك وصل الجميع إلى « فتوى » مفادها أن الصناديق ليست دبلوماسية ولا بد من فتحها قبل الاطالة في القصة لكي لا تتحول لقضية مثل حصار المكتب الشعبي الليبي « السفارة الليبية » الذي لو تكرر مع أية سفارة، فقد قررت السلطات البريطانية اقتحامها فوراً لأن الانكليز على ما يبدو توصلوا لدرس مفاده التصرف أولاً وبسرعة ثم التبرير والاعتذار فيما بعد.

○ فتح الصندوق الأول وهو الأكبر فوجد فيه عمر ديكو فاقد الوعي وبجواره اسرائيلي بكامل وعيه ومعه حقيبة مليئة بالحقن والمهدئات لضمان بقاء المختطف فاقد الوعي حتى انتهاء العملية، وهو نفس الأسلوب الذي اتبعته الموساد في خطف آنجمان من الأرجنتين ومن الشارع أيضاً وقد قدموه للمحاكمة في اسرائيل عام ١٩٦١ بتهمة إبادة اليهود حرقاً في ألمانيا النازية[1]. ويبدو أن كمية المخدّر التي حقن

(١) أدولف انحيمان جنرال ألماني كان مسؤولاً تجاه هتلر عن إعدام اليهود حرقاً في أفران الغاز حتى بلغ مجموع ما أعدمه حوالي ستة ملايين ولمن يحب الاطلاع على قصته الشيقة كاملة عليه مراجعة الصفحات من (٤١٥ الى ٤١٩) من كتاب المخابرات والعالم الأول من هذه الموسوعة.

بها ديكو كانت كبيرة لدرجة أنه بقي فاقد الوعي الى صباح ٨ تموز (يوليو) الجاري ولكن حالته الصحية وجسمه لم يكونا في خطر. وقد تم أخذ أقواله وأعيد إلى منزله تحت الحراسة المشددة لصالحه مع التمني عليه تبديل مكان سكنه خوفاً من تعرضه للخطف بطريقة أخرى.

○ وجدت المباحث البريطانية في الصندوق الثاني بعد فتحه الاسرائيلي الثاني ورجلاً آخر افريقياً وهما بكامل الوعي ويبدو أنهما أرادا مغادرة بريطانيا بهذه الأسلوب الخطير لسببين :

الأول : اطمئنانهما التام لنجاح العملية.

الثاني: الاثنان معروفان من الشرطة البريطانية: الاسرائيلي صورته موجودة لدى جميع مراكز الحدود البريطانية كمخرب وعميل وجاسوس « خطر » والثاني الافريقي اشترك في الاعداد لعملية الخطف وكان قد دخل بريطانيا بشكل غير مشروع. وكان يصعب عليهما المغادرة فيما بعد « بطريق آخر » لأن الشرطة في مراكز الحدود لديها معلومات مسبقة ستسهل عملية التعرف عليهما.

اعتقلت الشرطة الجميع فوراً بمن فيهم طاقم الطائرة والدبلوماسي أديت وكل من تواجد حول الطائرة « ما عدا رجال الأمن » حيث بلغ عدد المعتقلين ١٧ شخصاً من عدة جنسيات أطلق فيما بعد سراح معظمهم ما عدا الاسرائيلين اللذين ثبت أنهما من عناصر المخابرات الاسرائيلية « الموساد » وهما برسم الاعادة للمخابرات النيجيرية. ولهذا كانت المشاركة الاسرائيلية مثيرة جداً نتيجة اتفاق مسبق تقبض بموجبه المخابرات الاسرائيلية ملايين الدولارات.

التدخل الاسرائيلي في افريقيا ونيجيريا

○ قبل سرد قصة تدخل اسرائيل في افريقيا ونيجيريا وغرض هذا التدخل لا بد من العودة لتعريف القارئ بمن هو عمر ديكو وببعض أحوال نيجيريا التي كانت قد حصلت على الاستقلال من بريطانيا في عام ١٩٦٠ ثم شهدت بعد الاستقلال عدداً من الانقلابات الناجحة والفاشلة وانقلابات أخرى صغيرة لم تحسب في الحساب السياسي.وإن جميع هذه الانقلابات لم تخرج نيجيريا من عضوية « الكومنولث » بقيادة بريطانيا. ولدى العودة لمسلسل الانقلابات لا بد من ذكر أن الميجر محمد بوهاري الذي درس العسكرية في بريطانيا والهند « شارك » في انقلاب تموز (يوليو) ١٩٧٥ وساهم في إحضار الجنرال مرتلا محمد الى سدة الحكم لستة شهور. وبعد عودة حكم المدنيين لنيجيريا لم يتجرأ أحدهم على « تحجيم » العسكر الذين بقوا للمدنيين بالمرصاد ومن وراء حجاب.

وفي انتخابات عام ١٩٧٩ نجح شاغاري عن الحزب الوطني النيجيري وتسلم رئاسة نيجيريا وقاد عملية استخراج مركّزة للنفط وقام بتبذير الأموال بفساد فاق معدلات دول العالم الثالث الأخرى وذلك لوجود « ثمن النفط » أي كان التبذير من الأموال النفطية.وفي آب (أغسطس) ١٩٨٣ جاء موعد الانتخابات مجدداً ورشح شاغاري نفسه

طبعاً وترأس تنظيم حملة الانتخابات لشاغاري نسيبه « أي قريبه » عمر ديكو (الذي فشلت عملية اختطافه من لندن موضوع هذا الفصل من الكتاب). فقام عمر بتزييف الانتخابات ونجح شاغاري.

في الأول من كانون الثاني (يناير) ١٩٨٤ تمّ انقلاب جديد في نيجيريا بقيادة الجنرال بوهاري « السابق الذكر » فترأس البلد وطالب « الفاسدين » من أعضاء الحكم السابق بأن يسلموا أنفسهم للسلطات تمهيداً لمحاكمتهم. وفعلاً سلم « ٥٠٠ منهم بين مدنيين وعسكريين » أنفسهم واعتقل الرئيس النيجيري شاغاري نفسه ولكن عمر ديكو وبعض الرؤوس الكبيرة الأخرى من زعماء أحزاب ووزراء وأصحاب السلطات التنفيذية تمكنوا من الهرب من نيجيريا وتوزعوا حسب « الانتماء الى بريطانيا او الولايات المتحدة. حتى هذا المستوى من أحداث نيجيريا فالأمر عادي بالمقاييس النيجيرية ولكن عمر ديكو لم يكتف بما يفعله أمثاله في تلك الظروف من الاستمتاع بالملايين التي هرب بها وهي أصلاً من أموال الشعب النيجيري وغيره من الهاربين يستمتعون بها فيعيشون بين الخضرة والماء والشكل الحسن. لكنه جعل من نفسه « سياسياً » ثقيل الوزن في المنفى يعمل على إسقاط العسكر بمختلف الأساليب ومنها القوة. وقد كشفت التقارير البريطانية أن عمر ديكو كان في آذار (مارس) ١٩٨٤ في نيويورك يرأس اجتماع متآمرين ضد نيجيريا. وأنه زار قبل مدة السعودية وطلب من رئيس المخابرات السعودية أن يتدخل مع الحكومة السعودية لاعطائه الدعم المالي لاسقاط العسكر في نيجيريا ولكنه أفهم أنه لا المخابرات السعودية ولا الحكومة السعودية تتدخل في مثل هذه الأمور.

وقد أعلن ابراهيم جمباري وزير خارجية نيجيريا أثناء زيارته الى لندن بأن المعارضين النيجيريين في المنفى ومنهم عمر ديكو يعملون على تكوين جيش من المرتزقة لمحاربة حكومته والاطاحة بها وإن رصيدهم المالي هو ٣٠٠ مليون دولار. أما داخل نيجيريا فقد ارتفعت

الأصوات الشعبية بعد انقلاب كانون الثاني تبحث عن « المجرم » المسؤول عن تدهور أحوال نيجيريا أغنى بلدان افريقيا واشتدت المطالبة بضرورة إعادة وإحضار من هربوا ومحاكمتهم مع غيرهم ممّن كانت محاكمتهم قد بدأت بعيداً عن العلن حيث يتم تصوير أفلام عن هذه المحاكمات لتستغل فيما بعد للاثبات بالذنب. ولأن عمر ديكو قد زوّدها كثيرا فقد أصبح المطلوب رقم واحد لدرجة أن الرئيس محمد بوهاري صرح بأنه سيحصل عليه مهما طال الوقت. عمر ديكو جانبه « صرح » قبل اسبوعين من محاولة اختطافه لاذاعة لندن بأنه سوف يستعمل « العنف » أيضاً للاطاحة بحكومة بوهاري إذا لزم الأمر.

الاتهامات المباشرة لعمر ديكو تقول أنه كان فاسداً حينما كان مديراً لبرنامج استيراد كبير للمواد الغذائية كلف الدولة في عام ١٩٨٣ (٥٠٠ مليون نيرة) أي ما يساوي ٧٥٠ مليون دولار وأنه قبض عمولات كبيرة عن هذه الصفقات لأنه سلمها لتجار معروفين من قبله لقاء مبالغ خاصة له لتصل هذه المواد للشعب بعد عدة عمليات سمسرة. كذلك ضبط الجيش بعد الانقلاب مخازن مليئة بالمواد الغذائية رغم تذمر الشعب من نقص هذه المواد واختفائها. وقد تبين أنها خزنت لرفع عملية المضاربات في الأسعار التي استفاد منها أخيراً عمر ديكو حتى بلغت الأموال التي هرّبها إلى خارج نيجيريا وهو لا يزال فيها حوالي مليار دولار. وحين سئل عن هذه الأموال قال « إنها أرباح الرجل السياسي التي تعود في النهاية للشعب لأنه يصرفها « أي السياسي » لكسب أصوات هذا الشعب ». ورغم هذه الفلسفة الفريدة فلم يسخّر عمر ديكو هذه الأموال للاطاحة بالعسكر ولكنه استثمر أموالاً أخرى لذلك الغرض من الدول المناهضة لبلده نيجيريا.

وهكذا توصلت حكومة بوهاري إلى قرار محاسبة أنصار الرئيس السابق شاغاري بعد الضغط الشعبي وعلى رأس هؤلاء الأنصار عمر ديكو

وقد شكلت الحكومة فرقاً خاصة وزعت على السفارات النيجيرية مهمتها « تصفية » أنصار شاغاري في المنفى. ولم يطلب بوهاري من الحكومة البريطانية رغم قوة العلاقات معها تسليمه عمر ديكو لأنه يعرف مسبقاً أن لندن سترفض بحجة أن عمر لاجئ سياسي أولاً ولأن المحاكمات في لاغوس لا تتم في العلن ثانياً. والسبب الحقيقي هو أن بوهاري يعرف أن بريطانيا لا تضع أوراقها على رجل واحد ولا تقوي علاقاتها على حساب علاقات أخرى وأنها في النهاية تريد علاقات قوية مع الجميع. لذلك كان القرار بالتصرف الخاص لاسترجاع عمر ديكو دون الخوف من أن تسوء العلاقات مع بريطانيا التي ستحرص في النهاية على استمرار العلاقات الطبيعية خاصة وإن قطعها فجأة يسبب خللاً قوياً في الاقتصاد البريطاني نظراً لعظم صادرات بريطانيا لنيجيريا عدا عن تشغيل المصانع البريطانية من قبل العمال النيجيريين .كذلك ضخامة حجم الاستثمارات المالية البريطانية في قطاع النفط النيجيري الذي قد تؤممه الحكومة النيجيرية في حال غضبها من أي تصرف بريطاني وتقصم ظهر الاقتصادي البريطاني.

○ لدى سماع نبأ اكتشاف العملية الفاشلة لمحاولة اختطاف عمر ديكو في لاغوس واحتجاز السلطات البريطانية للطائرة النيجيرية واعتقال طاقمها على ذمة التحقيق، قامت الحكومة النيجيرية بالايعاز إلى السلاح الجوي النيجيري باعتراض طائرة بريطانية تابعة لشركة « بريتش كاليدونيا » وانزالها من سماء لاغوس واحتجازها. أما في بريطانيا وبعد تطور الأمور إلى احتجاز الطائرة البريطانية فقد أعلنت الحكومة أنها لم تعلن أن الصناديق كانت كأنها حقائب دبلوماسية وأن لندن لا ترى دلائل كبيرة لمشاركة حكومة لاغوس في عملية اختطاف عمر ديكو وأن حكومة نيجيريا سوف تثبت حسن نيتها حين تطلق سراح طائرة « بريتش كاليدونيا » التي أنزلت من سماء لاغوس.

وفعلاً عادت الطائرتان لبلديهما وثبتت حسن نية نيجيريا التي أعلنت

منذ اللحظة الأولى أن لا علاقة لها بالأمر.ولكن الأيام التالية أبرزت بوقائع ثابتة أن حكومة لاغوس مشاركة تماماً في العملية وأن لندن تعرف هذا الأمر ولكن سياق الأحداث لا يحتاج لاثبات.وإذا كانت بريطانيا تريد « لمّ » الموضوع وتغطيته فحكومة لاغوس لا تريد بدورها قطع العلاقات مع بريطانيا وتحويل لندن لطرف معاد لخطورة ذلك على اجمالي أوضاع الحكومة النيجيرية غير المعادية في أي توجه لبريطانيا.وقد تلجأ لاغوس لبعض التصريحات المعادية لبريطانيا لكسب الرأي العام النيجيري داخلياً كما حصل فعلاً وهو نشر تصميم نيجيريا على استرجاع عمر ديكو. ولكن في النهاية اتحدت المصالح المشتركة على تسوية الأمر وهذا ما تم فعلاً منذ اللحظات الأولى .« بعكس » عملية التهويل التي اعتمدتها بريطانيا في حادثة المكتب الشعبي الليبي في ساحة سانت جيمس في لندن والتي نسيها الرأي العام على ما يبدو حتى تنتهي آثار العملية النيجيرية. وحين استدعى الجنرال حنانيه سفير نيجيريا في لندن لوزارة الخارجية وبعد حديثه لمدة نصف ساعة مع السير جيفري هاو وزير الخارجية البريطانية خرج لينفي أية علاقة لبلاده بالأمر وأجاب على سائله بالاثبات الواضح للعلمية بقوله: ربما كانوا أصدقاء طيبين لنيجيريا أولئك الذين حاولوا اختطاف عمر ديكو. فهل الاسرائيليون طيبون وأصدقاء لنيجيريا ؟ أبداً فقد كان مصدر تمويلهم ووعدهم بالملايين المخابرات النيجيرية نفسها ومن ورائها الحكومة النيجيرية.

أصابع المخابرات الاسرائيلية وراء العملية

○ نحن نعرف أن التغلغل الصهيوني في افريقيا منتشر منذ الستينات ورغم قطع ٢٨ دولة افريقية علاقاتها مع اسرائيل إثر حرب عام ١٩٦٥ وحرب ١٩٧٣ فقد استمرت عدة دول ومنها نيجيريا في علاقاتها مع

اسرائيل بشكل غير رسمي وخاصة العلاقات بين المخابرات النيجيرية والمخابرات الاسرائيلية. وقد انطبق هذا الأمر على الحكومات المتعاقبة في لاغوس حتى تاريخ العملية. أما بالأرقام فأكثر من ٤٠ شركة اسرائيلية تعمل في نيجيريا وحجم التبادل التجاري يساوي في السنة « ٢٥٠ مليون جنيه استرليني ». ولدى وقوع الانقلاب الأخير كانت عدة وفود من الضباط النيجيريين تزور اسرائيل لأسباب تتعلق بشراء الأسلحة منها وقد باعت اسرائيل لشرطة نيجيريا بمبلغ أربعة ملايين جنيه استرليني مسدسات وقنابل غاز وهراوات وسترات واقية من الرصاص تستعمل القوات الاسرائيلية منها الآن الكثير في قمع انتفاضة الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين حيث يتم التسجيل في شهر كانون الأول (ديسمبر) لعام ١٩٨٧. وقد استمرت بعد ذلك زيارة الوفود العسكرية لعقد صفقات أسلحة للجيش النيجيري خاصة بعد إخلاص اسرائيل في خدمة العسكر ضد نظام شاغاري الذي اشترى بدوره أيضاً أسلحة اسرائيلية وقد تكون تل أبيب تريد من ضمن سياستها هذه خلق رأي عام افريقي معها يساعد على دفع حكومات افريقية أخرى لاعادة العلاقات الدبلوماسية رسمياً معها مثلما فعلت ليبيريا التي زار رئيسها اسرائيل وطلب منها تزويده بالأسلحة والخبراء والتعاون في مجال المخابرات أثناء زيارته.

ويعود التدخل الاسرائيلي في غرب افريقيا لفترة سابقة دربت فيها اسرائيل المخابرات العسكرية لكل من نيجيريا وغانا اي منذ عهد الاستقلال. وبعد قطع العلاقات مع اسرائيل عقب الحرب مع الدول العربية في عام ١٩٦٧ عادت اسرائيل ودخلت إلى افريقيا عبر قناة السويس بعد حرب ١٩٧٣ فاحتفظت بعلاقات مفتوحة مع زائير وليبيريا في غرب القارة الافريقية ومع ليزوتو وسوزاي لاند وملاوي في الجنوب ومع كينيا في الشرق. ولا يكون هذا الكتاب قد صدر الى المكتبات العربية إلا وتكون كل من نيجيريا وكينيا وغيرهما من الدول الافريقية قد أعادت علاقاتها





عملية خطف الوزير عمر ديكو،
وفشلها في مطار لندن.

الدبلوماسية مع الكيان الصهيوني، وأيضاً قامت غانا التي تولى فيها نظام ثوري السلطة بطرد المدربين الاسرائيليين من البلد واتهمتهم بالمشاركة مع المخابرات الأميركية « السي. اي. إي » بالاعداد وتشكيل جيش من المرتزقة لغزو البلد. ورغم نفي واشنطون المشاركة قام جنود مرتزقة حضروا من توغو باختراق الحدود مع غانا وحاولوا قلب الحكومة. وبعد شهرين من ذلك ذهب الرئيس الليبيري الجنرال صاموئيل دو لزيارة اسرائيل.وتم جمعه هناك مع قائد معارضة من غانا مضاد لحكومتها كان قد تلقى تدريبات استخبارية اسرائيلية، واتفق الاثنان على تشكيل جيش مرتزقة للعمل ضد الحكم في غانا وهذه هي اسرائيل. وأيضاً في أواخر شهر أيار (مايو) ١٩٨٥ فشلت محاولة انقلاب أخرى ضد الحكومة الوطنية في غرب افريقيا وهي حكومة فولتا العليا، وصرح المشاركون بعد القاء القبض عليهم بأن الدعم للانقلاب قد أتاهم من فرنسا واسرائيل.

ضمن هذه الخلفية من شكل العلاقات الاسرائيلية الافريقية يمكن فهم مشاركة اسرائيل في عملية الاختطاف لعمر ديكو الأخيرة في لندن بأنه ليس لتأييد اسرائيل لحكومة بوهاري لأنها كانت تؤيد حكومة شاغاري السابقة ولكن لانتهاز كل الفرص لاعادة العلاقات الدبلوماسية مع دول افريقيا ولاعادة « السيطرة » الاسرائيلية التجارية والسياسية العسكرية من وراء الكواليس على دول افريقيا وذلك بمختلف السبل وأهمها عملية محاولة اختطاف ديكو التي نفذتها الموساد وكان نتيجتها الفشل كما شرحنا.. إنها اسرائيل.

الجاسوسة العاشقة

تبيعُ أسرار بلدها لعشيقها

قصّة

الجاسوسة جودي كوبلن وغرامها

من قصص الجاسوسيّة العجيبة

● ● ●

قصة جاسوسة دفعها حب الجنس للانخراط بالتجسس

○ جودي كوبلن ـــ أميركية من مواليد ١٩٢١ كانت « أثناء » حدوث هذه القصة الشيقة معها وانتسابها للجاسوسية وعمل المخابرات فتاة جميلة جذابة ذات شعر أشقر، تحب وتعشق الفنون والموسيقى ولكنها لم تخلق لكي تكون جاسوسة وذلك على الرغم من أنها جلبت انتباه الآخرين إليها طويلاً، كما أنها لم تكن من طراز أولئك الجواسيس الذين يمكن أن يكون أحدهم مقيتاً أو مكروهاً. وبما أن الأجيال الماضية والقادمة لن تتذكر الجاسوسة ماتاهاري كما أنها لن تشعر بالكراهية تجاه دليلة التي « خانت » شمشون، فماذا سيكون حكم التاريخ على بطلة قصتنا الحقيقية هذه « جودي كوبلن » التي انغمست بالجاسوسية من أجل الحب ؟

لقد كانت جودي تتمتع بامكانية التعرف الى رجلين بوقت واحد، وقد وقع محاميها تحت تأثير سحرها وفتنتها وأصبح في أعماقه يشفق عليها. لقد كان شغفها الجنسي وافتقارها الى التجربة، وغباؤها، وطيشها، من العوامل التي دفعت بها الى ميدان التجسس.

○ قبل يومين من عيد ميلاد عام ١٩٤٨ انفجرت قنبلة في قلب مبنى

المباحث السياسية في واشنطون ثم أتبعها استلام هذه المباحث تقريراً يتضمن اعلاماً عن وقوع وثائق للمباحث السياسية لها طابع السرية للغاية، ووثائق هامة من وزارة العدل في يدي السفير السوفياتي في حينه بواشنطون. فكُلفت المخابرات الأميركية باجراء التحقيق وكانت حديثة العهد فاستدعى ادغار هوفر رئيس المخابرات في حينه معاونيه الرئيسيين إلى اجتماع فوق العادة. وفي هذا الاجتماع تمّ رسم الخطوط اللازمة للبدء في البحث عن أخطر مأساة في تاريخ الجاسوسية. كان مصدر التقرير أحد عملاء المخابرات الأميركية الذي أمكن ادخاله إلى قلب شبكات التجسس الروسية في الولايات المتحدة الأميركية، وقد تمّ الابقاء على اسمه « سرياً » بصورة مستمرة. ولم تكن مهمة هذا الرجل سوى تقديم المعلومات المختصرة وغير الكاملة، كان كل ما علمه أن هناك نوعين من التقارير تمّ وقوعها في يدي المخابرات الروسية.

١ ــ معلومات سرية عن نشاط الشيوعيين الأميركيين.

٢ ــ ملاحظات تم تسجيلها عن عملاء وديبلوماسيين يعملون بالخارج.

وكان ذلك العميل يعتقد أن تلك التقارير تمّ نقلها بواسطة امرأة كانت تعمل فيما مضى في وزارة العدل في نيويورك، وتوجد في حينه بمكتب احصاء ومراقبة الأجانب في ذات الوزارة، ولكن في مركز واشنطون.

وفي أحد أيام الشتاء ابتدأت تحريات رجال المخابرات بعمق ودقة للبحث عن النشاط الماضي والحاضر لكل امرأة عملت في وزارة العدل، إلى أن أمكن حصر البحث مع ثلاثة من النسوة ممن كن يعملن في نسخ الوثائق السرية وتصنيفها. وكان من بينهن واحدة عملت في فرع نيويورك فعلاً، وكانت هذه تتميز بتحليلها الرائع للأحداث الراهنة اسمها جودي كوبلن. وقد عرف عنها بعد التحقيق أنها فتاة جميلة، قصيرة القامة إلى حد ما، ذات شعر أشقر تحب الفنون الى درجة العبادة، وتعشق

الموسيقى. كانت المتاحف الرائعة للفن الحديث في نيويورك من الأمكنة المفضلة التي كانت تتردد إليها كثيراً، كما كانت تنتقل الى واشنطون لزيارة متحف الفن الوطني فيها، وكانت لما تتمتع بخيال خصب ومتوثب تستطيع الامساك بدون أية صعوبة بأطراف المشاكل المتعلقة بالأعمال الغربية والأجنبية. أما في تلك الفترة التي كانت تتم فيها دراستها في الجامعة (درست في جامعة برنارد) في نيويورك، فكثيراً ما كانت تعمل على تحرير افتتاحية صحيفة الطلبة، وكانت مقالاتها تحمل طابع الآراء الراديكالية. ولما كان طابع الشباب هو المبالغة في وصف الأشياء، لذا لم يكن أحد ليعتقد بأن ما تكتبه تلك الفتاة وتقوله هو ما يمكن حمله على محمل الجدية.

لقد كانت في بدايتها مثالية ولديها الاستعداد الدائم لنجدة ومساعدة الآخرين، ذلك أنها كانت ترغب في أن تكون محببة إلى قلوب الآخرين، كما كانت تريد في الوقت نفسه إدراك النجاح. وكانت جودي تعمل بصدق واخلاص في حياتها ودراستها حتى واتتها الفرصة ووظّفت في المكتب « ٢٢٢٠ » في وزارة العدل الأميركية وفي القسم الداخلي والخارجي للأمن. يتكون المكتب من غرفة فسيحة ومريحة تتقاسمها جودي مع وكيل الدعاوي لمؤسسات الحكومة واسمه « فاتان لانفان » وكانا على وفاق تام. وكانت الرفوف حول الغرفة تملأها الاضبارات والمصنفات التي تتضمن معظم المواضيع القديمة والحديثة. أما وسط الغرفة فكان يشغله مكتب تتراكم فوقه التقارير والاضبارات المهيأة للتنفيذ أو التصنيف. ارتفع راتب جودي إلى ٤ آلاف دولار سنوياً كما استلمت في تلك السنة رسالة شخصية من الجنرال توم كلارك يهنئها فيها لكفاءتها في تحليل الأحداث ويشجعها على متابعة عملها الرائع.

○ الجنرال نفسه الذي شجعها أصبح بعد فترة رئيساً للمحكمة العليا التي حاكمت جودي فيما بعد مرتين وأصدر حكمه عليها في المرتين

بتهمة سرقة وثائق الدولة والتآمر ضد حكومة الولايات المتحدة الأميركية. فكيف تمت المحاكمة وماذا ارتكبت جودي من الجرائم ؟ وكيف ؟ لعل الاجابة على هذا السؤال تتطلب استشارة طبيب نفساني اكثر من استشارة اخصائي في علم الجرائم الجاسوسية. ولعل جودي كوبلن نفسها لم تكن راغبة في الحاق الأذى بوطنها ولكن الحب أعماها فأوقعتها قلة خبرتها في شبكة جاسوسية سوفياتية يديرها رجل ذكي اسمه : « لافوانتي بيريا » الذي كان يشغل رئيس فرع المخابرات السوفياتية.

ابتداء مراقبة جودي كوبلن نتيجة الشك بها

○ نتيجة حصر الشبهة في جودي كوبلن تم تكليف موظف خاص من رجال المخابرات للقيام بالتحريات اللازمة عنها، وكان ذلك الموظف رجلاً ذكياً وخبيراً في عمله اسمه « فكينيت دولامبين ». وقد ابتدأ مهمته بتنظيم مراقبة دقيقة لها، ذلك أنه لم يكن لدى المخابرات حتى ذلك التاريخ سوى شكوك واتهامات تفتقر الى الأدلة والوقائع. كانت الخطوط الأولى للتحقيق هي اكتشاف المنازل المتتابعة التي أقامت بها جودي ولم يكن ذلك بالأمر الصعب.

ـــ تم تحديد الشقة التي كانت تقطنها في مبنى صغير في منطقة تونلور من واشنطون. ولقد صرح صاحب المنزل والجوار والذين عرفوها من صورتها التي عرضها رجل المخابرات وقالوا عنها أنها متعلمة ذات أخلاق عالية، كانت تقرأ كثيراً ويسمعونها تعمل بالضرب على الآلة الكاتبة باستمرار حتى في أيام الآحاد. وكانت عوضاً من أن تعود إلى منزلها وبرفقتها رجل تقضي معه وقتها، فقد كانت تعود إلى منزلها دائماً وذراعها مثقلة بأحمال الصحف والمجلات. ثم تركت تلك الشقة لتشغل غرفة مفروشة في جيفرسن هول الكائن في ماكلين كاردين في حي يقع على مقربة من مقرّ عملها.

وابتداء من معرفة المخابرات لأماكن سكنها ولعدة أسابيع أصبحت جودي تحت الرقابة وملاحقة رجال المخابرات في كل خطوة تخطوها وعلى الرغم من أن المراقبة كانت سرية وبشكل خفي، إلا أنها كانت قوية وفعالة بشكل لم تشعر معه جودي بأنها تحت مراقبة المخابرات ونحن نؤكد هنا في كل كتبنا عن أعمال المخابرات بأن تكون مراقبة مثل هذه الجاسوسة الخطرة دقيقة ومدروسة جداً بين العناصر التي تتولى المراقبة وبين رئيس مفرزة المراقبة أو الموظف المختص بالموضوع وأن تزرع العناصر المدربة في أماكن يمكن لها الاطلاع على سير حركة المراقب ويقال له بلغة المخابرات « الهدف » بدون أن يشعر أو تشعر المراقبة بأنها مراقبة. وبالنسبة لجودي الموضوعة تحت رقابة الموظف فكينيت وزملائه فقد مضى الشهر الأول على مراقبتها بنتيجة مخيّبة للظنون. فقد كانت الفتاة من عائلة عريقة، وكان والدها صاموئيل كوبلن صاحب مصنع لأدوات المطبخ عرف عنه شعوره الانساني ومساعدته للبؤساء والمعوَزين، كما كانت زوجته « والدة جودي » من طراز ربات البيوت السيدات الهادئات، والشيء الوحيد الذي أمكن لرجال المخابرات اكتشافه هو أنها كانت على علاقة ببعض الرجال، بعكس ما كان يعتقد بها الجوار. ولكنها كانت تتردد « هي » إلى منازل هؤلاء وتقيم معهم علاقات جنسية بحيث لم تصطحب أي إنسان إلى مكان سكناها.

○ في أحد أيام المراقبة شاهد رجال المخابرات جودي وهي تخرج من سكنها لتركب بجانب شاب يقود السيارة نوع « فورد ــ رقم ٣٤٨٢ــ٧ » انطلق بها الى « فندق الجنوب » في مدينة بلتيمور حيث حجز الغرفة رقم (٤١٢) باسم السيد والسيدة هـ. ب. شبيرو، وعنوانهما « الكاذب طبعاً » ١٢٢ شارع بيير نايد من هارت فورد. وفي الوقت نفسه احتل الموظف المختص بملاحقتها فيكينيت وزملاؤه الغرفة (٤١٣) المجاورة ومعهم التجهيزات اللازمة من ميكرفونات حساسة لاقطة

للصوت إلى أجهزة تصوير تعمل باشعة اكس القادرة على التقاط الصور حتى من خلف الجدران.

وفي تلك الليلة لم يدر بين الرجل وجودي أي حديث له علاقة بالسياسة أو الجاسوسية، بل تبيّن أنهما كانا يقضيان تلك الساعات الطوال في تبادل العواطف الحارة وتبادل الحب المثير. وفي اليوم التالي اكتشف فكينيت وزملاؤه بأن السيد شبيرو هو من المحامين اللامعين ومن محامي قضايا الدولة، ويعمل في نفس الجناح الذي تعمل فيه جودي. ولم يغادر الثنائي العاشق الغرفة رقم ٤١٢ إلا بعد ظهر اليوم التالي وكان يوم أحد « أي يوم عطلة الموظفين » حيث انتقلا بالسيارة إلى مدينة « فيلادلفيا » وكانت قافلة المخابرات في أثرهم، إلى أن توقفا أمام فندق « سترافورد بيللفو » وهو من الفنادق المشهورة في فيلادلفيا. ثم ذكر نفس الأسماء كما ذكرت في الليلة السابقة، وكذلك عنوان الاقامة وأعطيا الغرفة رقم (١٥٢٣) كما احتل رجال المخابرات أيضاً وللمرة الثانية الغرفة المجاورة، وكان كل ما جرى تلك الليلة هو تكرار لما حدث في الليلة السابقة، وقد ظن زملاء فكينيت أنه أتى بهم لمراقبة ومطاردة اثنين متهمين بالجاسوسية، بينما أنهم لم يشاهدوا نتيجة المراقبة إلا زوجاً من العاشقين وأن هذه المهمة قد أفسدت عليهم(أي على عناصر المخابرات) عطلة نهاية الاسبوع.

شعر فكينيت ورؤساؤه بالحرج والضيق نتيجة هذه المراقبة، فلقد كان السيد صاموئيل كوبلن (والد جودي) رجلاً شريفاً للغاية، كما أن السيد شبيرو من المحامين الأفذاذ المعروفين في القصر العدلي بمتابعة قضايا الدولة، ولم يكن في ماضي جودي أي مجال للشبهة، فهل كانت المعلومات التي وصلتهم من المعلومات الكاذبة ؟... وهل كان الاتهام مجرد ظن بفتاة بريئة، وقع لها ما يقع لكثير من الآخرين في ميدان الحرب الباردة ؟... ولكن كان القرار من رئيس فرع المخابرات المهتم

بالقضية هو « متابعة » المراقبة لأنه من الممكن أن تكون علاقاتها الجنسية هذه تغطية لعملها الجاسوسي. وفعلاً كان رئيس فرع المخابرات على حق في قراره متابعة المراقبة لأن جودي تصرفت في الأسبوع الذي تلا مشاهدتها مع المحامي شبيرو تصرفاً غير طبيعي عندما تقدمت من رئيسها (الذي كان على اطلاع بتحريات المخابرات عنها باعتبارها موظفة تعمل في دائرته) وقالت له : كنت قد وعدتني بتسليمي تقريراً سرياً للغاية عن العملاء السوفياتيين في أميركا، فهل باستطاعتي أن أرى هذا التقرير ؟... لأنني بحاجة له في عملي. أجابها رئيسها وهو « ويليام فولي » بعد فترة من التفكير بأنه لم يتمكن لعدم وجود الوقت لديه من الاطلاع وتفحص ذلك التقرير. وكان الهدف من اجابته تلك هو كسب الوقت. فسكتت على مضض وعادت الى عملها. نقل رئيسها المتعاون مع المخابرات للمصلحة العامة هذا الخبر إلى فكينيت حيث أطلعه على ما جاءت جودي تطلبه منه.

فرح فكينيت بهذه النتيجة المفاجئة حيث أعلم بها مدير المخابرات ادغار هوفر شخصياً الذي طلب الاهتمام بالقضية منذ حينه وتوجه حالاً لزيارة ويليام فولي رئيس جودي المباشر الذي أعاد عليه ما جاءت جودي تطلبه منه. وعندئذٍ وضع هوفر مشروعاً، بعد أن تأكد من أن رجاله قد عجزوا من العثور على أي أثر أو دليل يدين جودي. وقد فكر قبل قدومه لهذه الزيارة بتصنيف ذلك الاتهام مع نتائج المراقبة في مصنفات المحفوظات، رغم أن رئيس فرع المخابرات المعني بالقضية أفهمه بأن « لا دخان بلا نار » وها هي الحادثة الجديدة تثبت بأن العميل الذي أبلغ ذلك التقرير كان « صادقاً » في معلوماته، لذا فكر هوفر رئيس المخابرات باتباع اسلوب جديد يكون بمثابة الرهان الأخير، على أمل الحصول على أية نتيجة تثبت علاقة تلك المرأة مع المخابرات السوفياتية.

○ أرسل رئيس المخابرات هوفر رسالة خاصة إلى ويليام فولي

(رئيس المتهمة بالتجسس جودي) تتضمن طابع « سري للغاية » وكانت هذه الرسالة تتضمن أسماء ثلاثة من الشخصيات الهامة العاملة في إحدى المؤسسات السوفياتية والمقيمين في واشنطون. وهي تشير أي الرسالة بأن هؤلاء الثلاثة العاملين في شركة التجارة المساهمة السوفياتية الرأسمال والاسم هم من العملاء السريين المتعاونين مع المخابرات الأميركية، وأنه قد وضعهم تحت « اختبار جديد » يهدف التأكد من بقائهم على ولائهم لأميركا. وقد ألمح هوفر على تسليم تلك الرسالة الى جودي ضمن عملها قائلاً : اتركوا لها الحرية لتهتم بهذه الرسالة، فاذا كانت فعلاً على اتصال بالمخابرات الروسية فستجد نفسها مضطرة لانذار أصدقائها، لأن هذه المعلومات من الأنباء التي تصلح « طعماً لها » وستهتم بها فعلاً.

○ استدعى فولي الانسة جودي وسلمها الرسالة طالباً إليها دراستها عوضاً عن التقرير السري الذي طلبته لأنه قد حفظ في الأرشيف لعدم الحاجة له، وأن عليها احضار الدراسة مع كافة الاختبارات المتعلقة بهؤلاء الأشخاص الثلاثة (طبعاً دون أن تعلم أن هذه الرسالة الكاذبة قام بتحريرها ووضعها رئيس المخابرات بالذات للايقاع بها).

في صباح يوم الجمعة التالي تقدمت جودي من رئيسها طالبة إليه مساعدتها واعطاءها اجازة لفترة بعد الظهر، ذلك لتستمتع باجازة طويلة لنهاية الأسبوع تقضيها في نيويورك. تمّت الموافقة لها على تلك الاجازة (بعد اعلام المخابرات) وخرجت من مقر عملها إلى المحطة فاستقلت « قطار الساعة ١٣ » المسافر الى نيويورك من محطة يونيون ستيشن وصعد معها الى نفس القطار أربعة من رجال مفرزة المراقبة في المخابرات. وبعد أربع ساعات من الزمن وصل القطار الى محطة بنسلفانيا في نيويورك حيث كان بانتظارها اكثر من عشرة عناصر من المخابرات ومعهم سياراتهم المجهزة بأحدث أجهزة الاتصال.

توجهت جودي فور هبوطها من القطار الى المغاسل ودورات المياه، وغادرتها بعد أن قضت فيها زهاء خمسة وأربعين دقيقة، بعد أن أودعت متاعها في إحدى العينات الفردية والشخصية من قسم الأمانات وتوجهت إلى احدى المكتبات ثم الى احد المقاهي حيث جلست في زاوية لتتناول بعض الشطائر الخفيفة، واستقلت بعد ذلك قطار تحت الأرض المتجه الى مانهاتن ونزلت منه في موقف الشارع (١٩١). وصعدت الى الشارع وسارت على قدميها عشرات الدقائق، وكان الظلام قد بدأ ينشر جناحيه على المدينة، كما كانت المصابيح الكهربائية قد بدأت تنير الطرقات، وكانت جودي بين الحين والحين تنظر الى الوراء من فوق كتفها كما لو كانت تخشى بأن يكون هناك من يسير خلفها. وأخيراً توقفت أمام بائع للمجوهرات ونظرت طويلاً الى معروضات واجهة المحل، وكان الزجاج يمكّنها دون شك من مراقبة ما يجري خلفها، كما أن عناصر المخابرات التي تلاحقها تحسب لكل هذه الأمور حسابها فلم تدعها تشعر بشيء مريب مطلقاً. استمر وقوفها أمام محل المجوهرات مدة سبع دقائق عندما ظهر رجل ذو شعر أسود يرتدي الملابس الأنيقة وله تقاطيع تشبه تقاطيع الخدم، وما أكثرهم في نيويورك. ابتدأ ذلك الرجل بالدوران حول المبنى وهو ينظر مراراً « وراءه » ومن خلف اكتافه وفي آخر دورة تبعته جودي دون أن تتبادل معه كلمة واحدة.

استمر سيرها كذلك لمدة دقائق ثم دخلا فجأة الى مطعم صغير اسمه « دولوكس » وجلسا الى طاولة تقع في زاوية منه، وجلس رجل المخابرات على مقربة منهما، لكنه لم يتمكن من التقاط أية كلمة من حديثهما والذي كانت تغرقه الضجة وأصوات مكبرات الصوت التي كانت تردد الأغنيات من آلة وضع الأغنيات مقابل خمسين سنتاً يضعها الزبائن في فتحة الآلة.

قضيا زهاء ساعة كانت جودي خلالها تتحدث بانفعال، وتلوح بيديها

كثيراً، وكانت تبدو ورفيقها بحالة انفعال ظاهري عندما غادرا المطعم، حيث ركبا قطار تحت الأرض والمتجه الى قلب المدينة. صعد رجال المخابرات في المقطورة ذاتها وكان هدير المحركات يطغى على حديثهما وعندما كان القطار على وشك مغادرة الموقف في محطة شارع ١٢٥ « قفز » الرجل ذو الشعر الأسود مرافق جودي فجأة خارج القطار، وتمكن رجل واحد من عناصر المراقبة من القفز وراءه الى الرصيف خارج القطار وهو يستأنف سيره. استقل ذلك المجهول خلال نصف ساعة عدداً من سيارات الأجرة « التاكسي » وعربات النقل الكبيرة « الباصات ». وقطار تحت الأرض مرة ثانية حتى تمكن من تضييع أثره عن رجل المخابرات الذي كان يلاحقه والذي أصابه الذعر لفشله في مطاردته رغم أنه بذل قصارى جهده. وعندما عاد الى مكتب المخابرات كان على يقين بأن ذلك « المجهول » من المواطنين السوفيات وأنه اكتشف ملاحقته له ومن ثم تأكد أيضاً بأن جودي كانت ملاحقة وقد أيده رفاقه في رأيه هذا.

في الساعة السابعة من صباح اليوم التالي كان عدد من رجال المخابرات يحتلون مراكزهم أمام وخلف السفارة السوفياتية ينتظرون حضور الرجل المجهول. وفعلاً كان ظنهم في محله فقد حضر الرجل نفسه في الساعة العاشرة تماماً[١] وقد أمكن معرفته بسهولة وبدون أي

---

(١) طبق الأصل عما جرى معنا في المخابرات العربية عندما تمكن الملحق العسكري التركي في بيروت وكان بنفس الوقت عميلاً لمخابرات حلف الأطلسي من الافلات من كمين أعددناه له وهو يحاول استلام فيلم مزوّر عن خصائص الطائرة الميغ ٢١ من طيار متقاعد باشرافنا. فقمت بنفس الوقت وعلى مسؤوليتي بالتوجه بسيارة مخابرات الى السفارة التركية وقد وصل الملحق العسكري الى أمام السفارة فألقيت القبض عليه بمعونة السائق. وكانت النتيجة استغلاله للحصانة الدبلوماسية بحضور القنصل التركي الذي اصطحبه الى خارج الحدود.

شك، وبقي رجال المخابرات في الانتظار زهاء ساعة أخرى من الزمن حيث غادر ذلك « المجهول » السفارة السوفياتية واستقل سيارة نقل كبيرة ثم انتقل الى قطار تحت الأرض حتى موقف الشارع (١١) حيث ذهب من هناك الى الشقة التي يقطنها دون أن « يشعر » بمراقبة المخابرات. عمل رجال المخابرات على استجواب حارس المبنى الذي أعطاهم فكرة مبدئية عن ذلك الرجل « المجهول » إنه المهندس الروسي بالنتان غوبيتشوف الملحق في قسم التصنيف في الأمم المتحدة.

(هذه العملية كانت الخطوة الأولى نحو النصر)

ولقد كان رئيس فرع المخابرات المختص بالعملية على حق عندما طالب بمتابعة المراقبة وكان رئيس المخابرات هوفر على حق أيضاً عندما « غيّر » طريقة المراقبة ووضع لجودي طعماً جعلها تسرع بكشف نفسها واتصالاتها مع المخابرات الروسية.

بعد هذه النتيجة تمهلت المخابرات باتخاذ أي اجراء ضد جودي واستمرت بمراقبتها ووجهت طلباً إلى فولي باعاقة الآنسة كوبلن من العمل في قسم الوثائق السرية، ولقد ضايقها هذا التغيير كثيراً فطلبت تفسيراً لذلك، وقد ألحت في طلبها مدعية بأن هذا التغيير يعني انتقادها في حسن سير عملها وكانت غاضبة جداً وعلى وشك البكاء وذرف الدموع. شرح لها رئيسها فولي بأن نقلها من مركزها كان طبيعياً جداً وحسب الأوامر الدائمة في الوزارة وأن مركزها الجديد سيكون له أهميته، وأنه بحاجة هو شخصياً لكفاءتها وتمكنها من مثل هذا العمل. كما أن راتبها سيبقى كما هو. قبلت جودي على مضض ولم تتمكن من إدراك الموقف وباشرت عملها الجديد بعيداً عن الوثائق والأسرار الهامة ولكنها بقيت تتردد كل يوم ولفترة قصيرة على مكتبها السابق ثم أصبحت بعد فترة وجيزة على علاقات طيبة مع السيدة ريالتي والتي خلفتها في عملها على اعتبار أن هذه الأخيرة حديثة العهد في عملها

وبحاجة للمساعدة والعون. وهكذا « اغتنمت » جودي الفرصة لتتمكن من الاطلاع على كافة الوثائق ذات الطابع السري للغاية التي كان رجال المخابرات يضعونها فوق مكتب السيدة ريالتي « كطعم » لجودي، كما اطلعت أيضاً على ذلك التقرير الذي طالبت به رئيسها السابق فولي منذ عدة أسابيع وكان قد أعدّ خصيصاً لتطلع عليه أيضاً، وقد كانت شهادة السيدة ريالتي فيما بعد أنها وضعت بين يدي جودي حوالي ستين تقريراً سلموا لها من قبل المخابرات بما فيهم ذلك التقرير الخاص.

كان رئيس المخابرات على علم بزيارة جودي وترددها لمكتبها السابق، ولكن لم يكن قد أصبح بين يديهم أي دليل يثبت عليها جريمة التجسس بشكل مباشر. وقد كانت المخابرات بحاجة للبراهين والأدلة التي سيقدمونها للمحكمة فيما بعد، لذا مكثوا ينتظرون بصبر على أمل لقاء آخر لها مع غوبيتشوف، بينما كانت تذهب من وقت لآخر لزيارة صديقها المحامي شبيرو. وفي يوم آخر تقدمت جودي مرة أخرى بطلب إجازة لفترة ما بعد ظهر يوم جمعة، ومنحت الاجازة بموافقة المخابرات فاستقلت قطار الساعة الرابعة عشرة المتجه الى نيويورك. وكان رجال المخابرات قد اتخذوا نفس الاجراءات التي اتخذوها في المرة السابقة، ولكن هذه المرة مع رجال المخابرات « فتاة جميلة » اسمها الآنسة سافو مانوس من منتسبي المخابرات والمدرّبة تدريباً جيداً لمثل هذه المطاردات. ابتدأت الرحلة من قطار تحت الأرض في اتجاه مانهاتن. وكان القطار مزدحماً كما كانت جودي محاطة بالمخابرات. وعندما فتحت بشكل عفوي محفظة يدها لتعيد إليها ترتيبها، لاحظ أحد رجال المخابرات وجود أوراق مطبوعة على الآلة الكاتبة في جوفها.

غادرت جودي القطار من جديد في محطة شارع (١٩١). وكانت الأخيرة بين الركاب الذين ركبوا المصعد الذي يرتفع بهم حتى مستوى الشارع العام. وكانت الآنسة مانوس وبرفقتها رجل مخابرات آخر بنفس

المصعد معها، بعد أن استمرا في ملاحقتها طوال الفترة الماضية. وقد شكت جودي في كونهما يقومان بمراقبتها فعملت على المسير أمامهما واقتيادهما الى شارع مسدود، ثم استدارت فجأة لتلاحظهما من جديد، ولكن عناصر المخابرات المدربة ادركت ذلك، فضحك كل من مانوس ورفيقها وتظاهرا بأنهما عاشقين بوضعه يده حول خصرها ولما وصلا لقربها سألتها مانوس بدلال : أوه لقد ضللنا الطريق نحن أيضاً، هل لك في إرشادنا الى اتجاه برودواي ؟..

جودي : نعم. تفضلا من هنا.

وقد شعرت جودي بالسرور وهي تشير للعاشقين الى الاتجاه المطلوب.

ترى هل عرفت جودي من هم هؤلاء الذين التقت بهم يسيرون في أثرها ؟

⊙ في مفترق شارع برودواي تابعت مانوس وزميلها سيرهما طبيعياً (وهنا دخلت مراقبة جودي ضمن مسؤولية فريق آخر من عناصر المراقبة) بينما سارت جودي بنفس شارع برودواي. ودخلت في أوله الى دكان تصليح أحذية « كندرجي » لتعمل على اصلاح إحدى فردتي حذائها. ثم تابعت سيرها خلال دقائق عديدة. وكان الجزع بادياً عليها عندما أوشكت على ترك شارع برودواي لتدخل شارعاً آخر. أخيراً ظهر أمامها « غوبيتشوف » بصورة مفاجئة ولكنه لم يطيل الوقوف معها إلّا ثوان قليلة، وكانت الظلمة الدامسة تحيط بهما بشكل كان يصعب معه رؤيتهما أو رؤيتها إذا عملت على تسليمه الوثائق التي تحملها ثم ترك كل منهما الآخر فجأة مثلما التقيا. واستقل غوبيتشوف سيارة اجرة بينما عادت جودي باتجاه محطة بنسلفانيا. كان رجال المخابرات على ثقة تامة بأن غوبيتشوف قد تسلم خلال تلك الفترة « وثائق سرية » ولكنهم كانوا يفتقرون الى الدليل لاثبات ذلك، كما أن ذلك الروسي قد تمكن من

جديد من الافلات من مراقبيه وتضييع كل أثر له رغم احتياط المخابرات الأميركية.

○ بعد فترة اتصل رجال المخابرات في نيويورك بزملائهم في واشنطون هاتفياً لاعلامهم بأن جودي هتفت إلى والدتها وأعلمتها بأنها ستعمل على قضاء اجازة نهاية الأسبوع معها، وفعلاً طلبت جودي من جديد منحها اجازة لفترة بعد الظهر، ومنحت الموافقة على تلك الاجازة أيضاً. ثم تقدمت من رئيسها الجديد طالبة إليه « بغباء » اطلاعها على بعض الوثائق السرية للغاية، عندئذ قال لها مستذكراً أن السيد فولي رئيسها السابق كان قد طلب منه أن يسألها فيما إذا كانت تذكر التحريات عن أولئك الأشخاص الثلاثة الذين يعملون في مؤسسة التجارة المساهمة الروسية، لأنه قد استلم من جديد بعض المعلومات المتعلقة بموضوعهم. وقد ذكرنا في هذه القصة الجاسوسية وفي الصفحات السابقة أن هذه الرسالة هي من وضع المخابرات وهي بصدد التحريات عن أوضاع تلك الشركة السوفياتية فعلاً وقد تبين أن الثلاثة الذين طلب من جودي البحث عن علاقتهم اصبحوا مكشوفين للمخابرات واثنين منهم أي من مدراء هذه الشركة هم « مخبرين » لدى مخابرات العم سام أي المخابرات الأميركية، كما كانت الشكوك تحوم حول الشخص الثالث واسمه « جيبي تيد لمانفيتش ». ولقد كان التقرير الذي وضعته المخابرات ينوه عن عدم الرضى والشك بهذا الرجل الذي كان يتعامل معهم كما ذكرنا في اول هذه القصة وهو الرجل الذي كان يقدم تقاريره مختصرة وناقصة المعلومات، وكان هذا التقرير بالذات الذي تم إعداده ليقع في أيدي المخابرات السوفياتية بهدف إيقاع جودي في الفخ واضافة الى محتويات التقرير السابقة، كانت هناك إيضاحات عن علاقات الشركة مع غيرها من الشركات الأميركية المختصة بانتاج توابع ومستلزمات التجارب الذرية المدنية في الولايات المتحدة الأميركية. وكان يبدو أن

الشركة تبعث إلى الخارج عدا التقارير والمعلومات المتعلقة بأسرار النماذج الذرية، ترسل أيضاً المعلومات عن أحدث الانتاج الذري وأدواته المستعملة في ذلك الانتاج.

○ إلى هنا أصبح « الفخ » جاهزاً.. لنرى مع المخابرات هل ستقع جودي ؟

كانت الرحلة الثالثة الأخيرة في رحلاتها لملاقاة غوبيتشوف عندما ادعت انها ذاهبة لقضاء نهاية الاسبوع لدى والدتها.

تحرك في اثرها العديد من رجال المخابرات مرة جديدة أيضاً، وكان الطريق هو ذات طريق المرات السابقة مع بعض التغييرات القليلة :

محطة بنسلفانيا، قطار تحت الأرض حتى محطة شارع (١٩١) صعودها للشارع العام ولقاءها غوبيتشوف، نزهة في نفس الشوارع، الدخول الى المطعم، ثم محل بياع حلوى، ثم صائغ مجوهرات، ومع كل ذلك نظرات حذرة من فوق الأكتاف بين حين وآخر، للتأكد من أن أحداً لا يلاحقهما. ثم من جديد عودة الى قطار تحت الأرض وسيارة نقل كبيرة « باص » ثم مسير بخطوات سريعة ثم الوقوف فجأة وتبادل بعض الكلمات وهنا « شعروا بل تأكدوا » من محاصرتهم من قبل رجال المخابرات لأن المنطقة الأخيرة لمراقبتهم كانت مكشوفة إذ أنّ المخابرات أنفسهم كانوا بالاتفاق مع النائب العام ينوون وضع حد لهذه المغامرة الجاسوسية خشية حدوث مضاعفات. فحاول غوبيتشوف الفرار من جديد عائداً الى موقف الباص ولكنهم تمكنوا من القاء القبض عليه وقد أنهمكوا جميعاً بمطاردته و« نسوا » جودي التي استغلت ذلك بالهروب والعودة الى المدينة فعاد رجال المخابرات للبحث عنها والعودة الى أماكن عملها وسكنها، ولقد كادت أن تضيع آثارها ثلاث مرات خلال تلك المطاردة المجنونة إلى أن تم أخيرا اعتقالها في الساعة التاسعة

والدقيقة الخامسة والثلاثين ليلاً وهي تعبر تقاطع الشارع الثالث من الطريق العام (١٣).

ـــ في مركز المخابرات صرح غوبيتشوف بقوله : (هذا أمر مضحك للغاية) أما جودي فقد انخرطت في البكاء. ثم جرى تفتيشهما تفتيشاً ذاتياً كل على حدة وفي غرفة خاصة. ولقد تذمرت جودي عندما اضطرتها إحدى ضابطات المخابرات[1] إلى خلع ثيابها كلها، رغم أن المخابرات كانت منذ البدء غير راغبة في المجازفة بأية مخاطرة مجهولة النتائج.

لم تكن جودي تخفي شيئاً على جسدها بأي شكل. عند ذلك عمل رجال المخابرات على تفتيش حقيبة يدها « الشنطة » التي تحوي عادة على كل ما تحتاجه المرأة للزينة، وكان هناك ورقة مطوية من الأوراق المستخدمة في حفظ الجوارب وهي مزدوجة وملتصقة بواسطة الأوراق اللاصقة القوية. بعد أن تم سحب الورقة اللاصقة وقصها بمشرط ورق فتح ذلك الغلاف فأمكن استخراج أربعة وثلاثين نسخة ورق وملخص عن وثائق حكومية سرية للغاية، ومن بينها « صورة » عن تلك الرسالة الخيالية التي وضعها رئيس المخابرات هوفر بالاضافة للتقرير المتعلق بنشاط شركة التجارة المساهمة السوفياتية. كما كان هناك رسالة مطبوعة على الآلة الكاتبة عملت جودي على تحريرها قبل مغادرتها واشنطون مباشرة وكان نصها كما يلي :

(١) نشجع هنا نقل وانتساب الفتاة العربية الى مهنة المخابرات للحاجة الماسة إليها في العديد من المهمات التي لا يمكن للرجل أن يؤديها خاصة وانَّ القطر السوري بقيادة الرئيس حافظ الأسد قد سمح للفتاة العربية السورية بالانتساب الى الكلية العسكرية وسابقاً الى كلية الشرطة حيث تخرج حتى الآن الكثير منهن كضابطات. (مراجعة صفحة ٣٩ من الجزء الأول من هذه الكتب).

سيدي المحترم،

إنني لم أعد أتمكن واعتقد بأني لن أتمكن مستقبلاً، من الحصول على تقارير عن المخابرات السرية للغاية عن نشاط وأعمال المنظمات السرية السوفياتية والشيوعية في الولايات المتحدة الأميركية، والتي تكلمت عنها مع ميخائيل. أعلمكم بأني طلبت من « فولي » عندما بدت لي فرصة مناسبة اطلاعي على التقارير التي أعلمني ذات يوم بأنه استلم تقريراً مماثلاً عنها، وقد أخبرني بأن التقرير الآن في حوزة أحد المسؤولين في الوزارة، وأن فولي بالذات لا يأمل أن يراه مرة ثانية. كما أعلمني فولي بأن ذلك التقرير لا يحتوي أية معلومات جديدة لكنني استطعت الاطلاع على هذا التقرير لمدة دقيقة، وقرأته بسرعة كبيرة، وانني أذكر بعض محتواه بشكل مختصر ذلك لأنه مؤلف من خمس عشرة صفحة، وهو يلخص أعمال المنظمات السرية السوفياتية ويأتي على ذكر ـــ مارتن ـــ ولو ـــ وبونيتر آليتشولر ـــ وسيلفرماستر ـــ والآخرون كما يركز التقرير على الموظفين السوفيات في منظمة الأمم المتحدة. هذا ما أذكره عن محتوى التقرير. وأذكر أن ما تبقى من التقرير يتضمّن نشاط البولونيين واليوغوسلافيين.. ألخ كما كان يتضمّن بعض المعلومات عن الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأميركية.

في مطلع الفصل الأول لهذا العام ترددت على الجامعة الأميركية في واشنطون وبقيت حتى انتهاء المرحلة التحضيرية لشهادة الليسانس في تنظيم العلاقات العالمية ولم يبق عليّ سوى تقديم الأطروحة للحصول على شهادتي على الرغم من فتور حماسي للدراسة، وأعتقد أني سأنتهي منها في الصيف، إن ذاكرتي تخونني في بعض المشاهد والمواقف عن دور الدعاية العالمية ومراقبتها. استلمت مع الشكر جميع المخصصات وبانتظار توجيهاتكم.

(**ملاحظة**): كانت الرسالة تحمل توقيع حرف (H) مع شطب بسيط عليه وقد ظهر الحرف والشطب بأنهم توقيع المرسلة.

ولا يمكن هنا ذكر كافة الوثائق التي وجدت مع جودي ولكن المقدم ريتشارد هيرش ــ محقق كبير وأحد الخبراء الرئيسيين في قضايا الجاسوسية لخص أهمها وهي كالتالي :

١ــ وثيقة رقم (ت ــ ٢٧٩) وهي ملخص عن نشاط أعضاء السفارة السوفياتية وفيه اعلام أيضاً بعدم استلام أية معلومات، كما أن هناك « اقتراح » لادخال بعض عناصر السفارة السويسرية في نشاط الجاسوسية السوفياتية.

٢ــ رسالة صادرة عن رئاسة المخابرات وفيها « موافقة » على اجراء تحريات عن شخص يدعى ستوجان كستيك يعمل مستخدماً في القنصلية اليوغوسلافية في شيكاغو بهدف التأكد وتثبيت المعلومات الواردة عنه، والتي يمكن بواسطتها اثبات اشتراكه في أعمال الجاسوسية.

٣ــ بموجب رأي بعض دوائر الدولة فإن ذلك الشخص الذي تقدم بطلب منحة جواز سفر باسم (شارلز فرانسيس شيز). قد يكون عميلاً سوفياتياً يحمل اسم (جون شيرمان).

٤ــ إن ذلك الشخص الذي كان يشك به « المخبر » على أنه يعمل للمخابرات البلغارية أو السوفياتية، قد تمكن من إيجاد عمل له في منظمة الأمم المتحدة، وذلك حتى يتمكن من الحصول على مزيد من الحرية للعمل في الولايات المتحدة الأميركية، وإن ذلك الشخص يعمل حالياً في قسم الهجرة ودائرة الأعمال الاجتماعية في هيئة الأمم المتحدة.

٥ــ (ت ــ ٥) السكرتير الأول في السفارة البلغارية، هو العنصر الممثل

للحزب الشيوعي في السفارة، وهو يشغل منصب رئيس فرع المخابرات في السفارة أيضاً.

٦ــ الأمر الذي يؤكد بأن ستيوارت ليج هو عميل للمخابرات السوفياتية.

نتائج ارتكاب اعمال التجسس في هذه القصة

○ بالاتفاق التام بين المخابرات الأميركية ووزارة الخارجية وحسب الأصول الدبلوماسية « تم إبعاد غوبيتشوف » من الأراضي الأميركية بسبب تمتعه بالحصانة الدبلوماسية. ومن المعروف أنه يمنع اتخاذ أي اجراء مع الدبلوماسيين الحقيقيين حتى ولو اعتقلوا وهم متلبسين بجريمة التجسس. أما جودي فقد انهارت تماماً وكانت تبكي باستمرار وتصرخ حتى يغمى عليها، وقد أعلنت أنها بريئة، ولكن المحكمة أعلنت أنها « مذنبة » منذ اللحظة الأولى. وكان أكثر ما ضايقها في المحكمة وأمام الصحافة الأميركية افتضاح قصتها الغرامية مع الأستاذ شبيرو.

ولم يصدق المحلفون بأنها كانت على علاقة غرامية وحب مع كل من غوبيتشوف والمحامي شبيرو « في وقت واحد » وقد صرحت بأنها لم تخلع ثيابها اطلاقاً في غرفة الفندق التي كانت تتقاسمها مع المحامي شبيرو ولكن أحداً لم يصدقها في ذلك، لا سيما رجال المخابرات الذين كانوا يحتلون الغرفة المجاورة ومعهم آلات التصوير المجهزة بأشعة اكس، بالاضافة للاقطات الصوتية الحساسة التي سجلت لها شريطاً واضحاً جلب الى المحكمة واستمعت إليه في جلسة سرية.وقد سمعت المحكمة أدق الأصوات التي صدرت عن العاشقين بما في ذلك صوت تدفق مياه الدوش في الحمام خلال اليومين « موضوع استماع المخابرات ». كما أنها لم تعترف بشيء وأنكرت كل شيء عن علاقتها مع غوبيتشوف مدعية بأنها قد تعرفت عليه في متحف الفنون الحديثة

الذي كان يثير اهتمامها كثيراً، كما ادعت أنها تقابلت معه مرة ثانية في سنترال بارك وعندئذ اعترف لها بأنه « متزوج » وأنه يأمل في الحصول على الطلاق من زوجته الروسية ليتزوج منها. ولكن المحقق ستيد ماكلن ضغط عليها كثيراً أثناء التحقيق وأوهمها بأن لديهم تسجيلات كاملة صوتية عن علاقتها الغرامية والجنسية مع غوبيتشوف فانهارت واعترفت بعلاقتها الغرامية معه « قبل المرات التي تمت فيها مراقبتها معه » حيث كانت تقضي معه الساعات الطويلة في منزله الشخصي وقد وصفته بأنه فحل روسي بكل معنى الكلمة، بل إن علاقتها الحميمة معه كانت « السبب » في موافقتها على التجسس لصالح المخابرات السوفياتية عن طريقه ولعدم حرمانها من الساعات السعيدة التي كانت تقضيها معه.

○ أحيلت إلى المحكمة المختصة بجرائم التجسس برئاسة الجنرال توم كلارك وقاضيين بصفة مستشارين وابتدأت محاكمتها بشكل جدي تماماً، والتزم الجميع بالصمت احتراماً للمحكمة. أما هي فكانت تضحك بغباء كما لو أن أعضاء المحكمة يعملون على تسليتها، بينما جلس المحلفون في أماكنهم بمنتهى الجدّية، ولم يكونوا مصدقين لحديثها بأنها كانت تحب غوبيتشوف فقط، كما أنهم لم ينظروا إلّا إلى الأربع وثلاثين وثيقة التي تمكنت من سرقتها من بين وثائق الدولة لتسلمها للمخابرات السوفياتية. ولقد صرحت بأنها لم تعمل على تحرير أية رسالة إلا تلك الملاحظات التي كانت تأمل في إعدادها بهدف تحرير قصة عاطفية، وعندما تم اعتقال غوبيتشوف كان في جيبه مظروف يحتوي على ألف دولار من فئة المائة دولار ولقد صرح بأن هذا المبلغ هو لمصروفه الخاص بينما لم يصدقه أحد من أعضاء المحكمة في ادعائه هذا. حاول أوشيبالد بالمير (محامي الدفاع عن جودي) تقديم دفاعه أمام المحكمة بشكل مثير عندما قال موجهاً حديثه للمحلفين بينما كانت موكلته تضحك :

ــ عندما يقع الانسان في الحب، فانه لا يهتم إن كان ذلك المحبوب أحمر أو أخضر، لأن الحب لا يخضع لقوانين الحدود، ولا يعرف له وطناً.

ولقد وجدت جودي بأن محاميها يدافع عنها بشكل يدعو للاعجاب فصفقت له زيادة في اظهار غبائها، ولكن المحلفين لم ينقطعوا عن التساؤل :

وحبها للمحامي شبيرو ؟

فقالت أمام المحكمة موجهة كلامها للمحلفين: ــ لقد قضيت الليل معه فعلاً، ولكننا لم نمارس الجنس مطلقاً، كما أنني لم أحاول ذلك ولو مجرد محاولة.

وسألها النائب العام: ــ هل كان ذلك خلال الليلتين؟.

أجابته جودي : نعم خلال الليلتين لم نتبادل حتى القبلات.

أجابها النائب العام متهماً : هل تنكرين وجود العلاقة الجنسية مع المحامي شبيرو رغم وجود شرائط التسجيل الفاضحة التي سجلت حتى تنهداتك الحميمة. ولقد ذهل أعضاء المحكمة من هذه المرأة التي تظهر نفسها أنها « تعجز » عن ادراك ما مرّ معها خلال ليلتين ولا تعترف بالحقيقة رغم ثباتها. وكانت حجتها الواهية التي تمسكت بها للدفاع عن نفسها إضافة لظهورها بمظهر الغباء والضحك عندما صرحت بلهجتها « البروكلينية » بأنها تعاني وتتألم من مرض يتغلب عليها هو « الجنس الحرام ». وهي عندما تقابل شخصاً ما لا تدري ما يحدث معها بعد ذلك، إلا بعد فوات الأوان. لكن تلك الحجة أيضاً لم تقنع أحداً. وانتقلت المحكمة الى بحث حالة التجسس المثبتة بالوقائع كالأربعة وثلاثين وثيقة سرية جداً والألف دولار التي صودرت من غوبيتشوف،

وكافة المقابلات السرية (عدا عن مقابلاتها الغرامية مع المحامي شبيرو التي لم تدرج في موضوع التجسس). وكانت الأدلة دامغة حيث انتهى الأمر بمحاميها إلى ترك الدعوى، فاستدعت المحامي الشيوعي « مومر أنتزا » الذي طالب المحكمة بالتأجيل للاطلاع على ملف الدعوى، وبعد التأجيل وقبول المرافعة منه تمّ الحكم عليها كما يلي :

○ ترى المحكمة أن الأعمال التجسسية التي قامت بها المدعى عليها جودي بنت صاموئيل كوبلن والمثبتة بالوقائع والأدلة وأقوال الشهود تستحق تطبيق القانون الخاص بخيانة الوطن والذي يقضي بالاعدام حتى الموت في زمن الحرب، ولكن وبما أن فصل الوقائع قد حدث أثناء « الحرب الباردة » فقد أمكن المتهمة من الاستفادة من الدفاع أولاً ومن بعض الأسباب المخففة صدر الحكم عليها بالسجن الفعلي خمس سنوات. وفي أثناء المحاكمة كانت « قصة حب جديدة » تنشأ بين جودي والمحامي بومر الذي أخذ يزورها باستمرار في سجنها،



مهنة المخابرات بين الجبارين

وبعد مدة تمكن من أن يستصدر لها أمراً قضائياً يقضي باخلاء سبيلها بسبب « مرض عضال » أصيبت به في السجن. فخرجت من السجن إلى سجن الزوجية حيث تزوجت محاميها الذي أحبته من وراء القضبان. ويجدر بنا التساؤل أخيراً ترى هل كان المحامي الشيوعي بومر أنتزا على حق عندما قال معلقاً على قصة زواجه من متهمة بالتجسس « انه رجل مجنون تماماً، وانها امرأة مجنونة أيضاً !»

ونحن نقول.. طبعاً إنهم مجانين فعلاً وهذه هي الجاسوسية في كل زمان ومكان[1].

---

(١) نهاية الجاسوسة جودي تشبه نهاية الجاسوسة الاسرائيلية باتريشيا دوكسبورغ التي شاركت في اغتيال المراكشي احمد بو شيكا ظناً أنه علي حسن سلامه وحكم عليها بالسجن خمس سنوات ونصف من قبل محكمة الجنايات النروجية بفضل محاميها إينوس شودن. ولما كانت السجون في النروج « راقية » لدرجة السماح للمساجين بالخروج مساء السبت والعودة صباح الأثنين للسجن فقد كانت تخرج اسبوعياً مع محاميها الذي أصبح عشيقها حتى تمكن من استصدار أمر قضائي باخلاء سبيلها لأسباب طبية وعلى وجه الدقة لضعف في قلبها « وهذه الأسباب نقول أنها كاذبة لأن من كان قلبه ضعيفاً لا يعمل مع المخابرات الاسرائيلية المعادية » ثم سافرا معاً إلى جنوب افريقيا العنصرية حيث تزوجا هناك والقصة الكاملة هذه نشرناها في الصفحات ٤٣٠ ــ ٤٣١ ــ ٤٣٢ في (ملف الثمانينات).

أضواء جديدة على أعمال ونشاط المخابرات البريطانيّة الأنتلجانس سرفيس

- (فضيحة العصر) مدير المخابرات البريطانيّة جاسوس سوفياتي
- مستشار الملكة أيضاً جاسوس للمخابرات السوفياتيّة
- نهاية الجاسوس المثقَّف "كيم فيلبي"
- موظَّفة مخابرات بريطانيّة تعشق ضابطاً مصريًا
- ضابط مخابرات بريطاني يتحوّل إلى إمرأة
- المخابرات البريطانيّة تكشف عميلاً سوفياتيّاً
- إنغماس الوزراء البريطانيّين بالجنس وتعاطي المخدرات

فضيحة العصر

مدير المخابرات البريطانية جاسوس سوفياتي

موظف بريطاني وصل الى مرتبة مدير المخابرات البريطانية وهو عميل للمخابرات (K.G.B.) ولم يكتشف حتى وفاته.

○ في منتصف الثلاثينات من هذا القرن، وفي الفترة التي شهدت الانهيار الاقتصادي في الغرب وبريطانيا بشكل خاص، وفي وقت بلغت فيه البطالة حوالي نصف القوى العاملة أو تجاوزت ذلك، وسقطت فيه قيمة العملة الورقية وانفجر التضخم المالي كما لم يحدث من قبل، وأصبح منظر الجياع بالألوف مألوفاً في لندن وبقية المدن البريطانية.. في هذا الوقت، شهدت الحياة الثقافية في بريطانيا إحدى أشدّ موجات النقمة على النظام القائم، وهو ما يسمونه : المؤسسة، وكفر جزء كبير من المثقفين بالنظام الرأسمالي واعتبروه نظاماً عاجزاً ومتهالكاً قد استنفذ أغراضه وتحول إلى نظام للقهر والظلم والعجز الاقتصادي في آن واحد. ولم يكن غريباً في هذه الفترة أن تسيطر النزاعات الماركسية واليسارية المتطرفة في الجامعات البريطانية، خاصةً في جامعتي أكسفورد وكمبريدج موطن أولاد الذوات والارستقراطيين البريطانيين الذين وجدوا في المراكسية والنسخة الروسية منها التي تمثلها ثورة أكتوبر في روسيا

أمل الخلاص أو الطريق الآخر، وكان التنكر للمجتمع الرأسمالي وهو وسيلتهم للتعبير عن غضبهم والتنفيس عن ضمائرهم بصفتهم أبناء الطبقة المسؤولة عن عذاب الجماهير وفقرها وجوعها. هذه الفترة بالذات، أنتجت أقدر الجواسيس البريطانيين من طلبة أكسفورد وكمبريدج والذين ينتمون الى أرفع طبقات المجتمع الأرستقراطي، والذين وضعوا أنفسهم في خدمة المخابرات السوفياتية.وقد علمنا من كتبنا المسلسلة هذه أو من غيرها من الكتب التي أصدرها كتّاب غربيّون أنه قد تمّ الكشف عن أربعة جواسيس من النوع الراقي المثقف يعملون عن عقيدة للمخابرات السوفياتية أي بمعنى أنهم يعملون للنظام السوفياتي حيث كانوا يجدون فيه راحتهم الفكرية وهم :

○ دونالد ماكلين، الذي كان موظفاً رفيعاً في السفارة البريطانية في أميركا ومسؤولاً عن أدق أسرار الأبحاث الذرية الأميركية والبريطانية المشتركة.

○ غابي بيرغيس « بيرجيس ». الموظف الكبير في الخارجية البريطانية وأحد المسؤولين عن العلاقات الأميركية ــ البريطانية حتى انكشافه.

○ أنطوني بلانت، مستشار الملكة الفني ولم يكشف أمره إلّا في السنوات القليلة الماضية وهو الوحيد الذي « أعطي » حصانة قبل اعترافه بالتجسس.

○ كيم فيلبي، الذي كان رئيساً للقسم السوفياتي في المخابرات البريطانية وقد كشف للمخابرات السوفياتية كل أسماء العملاء الأميركيين والبريطانيين في الدول الشرقية .كما أحبط محاولات التسلل الى المعسكر الشرقي وقام بكشف عملية ثورة مسلحة أعدتها المخابرات البريطانية في

ألبانيا. « يوجد في هذا الكتاب وهذا الفصل عن أعمال المخابرات البريطانية فصل خاص عن نهاية فيلبي بوفاته في موسكو ».

وأخيراً كان هنالك « الرجل الخامس » أو الجاسوس الخامس واسمه الحركي « إيلي » الذي تأكد وجوده سابقاً الى جانب هؤلاء الجواسيس الأربعة الذين افتضح أمرهم وعرفت أدوارهم.. ولكن الجاسوس الخامس لم تعرف هويته في حينه على وجه التحديد واليقين.

من هو الرجل الخامس ؟

أخيراً تضافرت أدلة متعاظمة بأن الرجل الخامس لم يكن سوى « مدير المخابرات البريطانية بالذات » الذي شغل إدارة المخابرات البريطانية من عام ١٩٣٦ الى عام ١٩٦٥ أي لمدة ٢٩ تسعة وعشرين عاماً المستر « روجر هوليس » الذي ابتدأ عمله موظفاً بالمخابرات البريطانية ثم تدرج بالترفيع حتى أصبح مديرها العام ورجلها الأول في السنوات الأخيرة من عمله. وهذه هي قصته قصة الرجل المكلف بالتجسس على السوفيات الذي كان في حقيقة الأمر جاسوساً كبيراً للسوفيات أي بالعكس وحسب المثل العامي « حاميها حراميها ».

○ ولد روجر هوليس سنة ١٩٠٥ من والد كان رجل دين معروف بميوله اليمينية التي سهلت للابن قبوله موظفاً في المخابرات البريطانية. وهو من هذه الناحية شبيه بأنطوني بلانت، العميل الآخر رقم (٣) الذي كان والده رجل دين أيضاً. كان روجر في صغره ضعيف البنية، فأحس بشيء من مركب النقص نحو أشقائه الثلاثة وقد صار أحدهم كوالده رجل دين، في حين أن الثاني اهتم بالتاريخ والعمل السياسي فاستطاع أن يكون نائباً، أما الثالث فكان مثله ميالاً للخدمة في المخابرات، وقد عمل بالفعل في القسم الذين عمل فيه فيلبي « قسم مكافحة الجاسوسية

السوفياتية » بالذات. وبعد الدراسة في كليفتون كوليدج في بريستول، التحق روجر بجامعة أوكسفورد، لمتابعة دراسته الجامعية غير أن نتائجه الدراسية لم تكنَ مشجعة على ما يبدو في السنتين الأولتين.فآثر أن يترك الجامعة خوفاً من الفشل في الدراسات النهائية كما يقول متهموه متظاهراً بأنه يفضل الذهاب الى المكسيك بصحبة أحد رفاقه الذين تعرف إليهم في الجامعة. ولكن حياته في مرحلة التعليم كانت تتسع لأكثر بكثير من مجرد الشاطات التعليمية، فقد نشط في ناد جامعي للاصلاح الاجتماعي والسياسي. وتعرف الى زميل له يعمل في جريدة « الدايلي ووكرز » الشيوعية، وهو كلود كوكبرن الشيوعي، ثم تعرف على شيوعي آخر هو موريس ريتشاردسون. ولعل أهمية هذه الفترة القصيرة في الجامعة هو مشاركته في الأجواء الليبرالية الجامعية المناهضة للسلطات المحافظة، وتعزيز مزية الاستقلالية لديه، ويبدو أن بذور المعارضة بدأت تترسخ عنده هنا، إنما بشكل سري وهادئ.

○ غضب والد روجر لتركه الجامعة قبل إتمام تعليمه. وامتنع عن الصرف عليه. ثم أصيب روجر بنكسة أخرى حين علم أن رفيقه موريس ريتشاردسون عدل عن رأيه بالذهاب معه الى المكسيك فما كان منه إلا أن بحث عن عمل فوجده في أحد المصارف اللندنية لتأمين نفقاته. ولتوفير بعض المال لتنفيذ مشروع عمل بالصين عوضاً عن المكسيك.

○ لماذا اختار روجر الانتقال الى الصين ؟ لا ندري.لعلها رغبة من قبيل الرومانسية والتعلق بالشرق، أو لعلها مغامرة لجمع المال، بدلاً من الذهاب الى المكسيك. على أن ذهابه إلى الصين هو دليل عناد ومثابرة. وكانت السنوات التي قضاها في الصين مهمة بالنسبة لهذا الشاب وخصوصاً لعمله في المستقبل. ولعل عزمه وإصراره كانا تعويضاً على ما بدا عليه من مستوى عقلي معتدل، في رأي منتقديه، أو لانعدام موهبته كما يقول خصومه. ولكنه استطاع برغم ذلك أن يجد له مجالاً للعمل

في شركة تبغ أميركية بريطانية في شنغهاي « قسم الاعلان » بينما كان ينضب ما معه من مال. ولهذه السنوات التي قضاها في الصين أهمية أخرى في حياته بالنسبة للمستقبل. ففي شنغهاي التقى بصحافية أميركية يسارية تدعى أغنيس سميدلي، التي كانت معروفة بعلاقاتها بالكومنترن « أي الشيوعية الدولية » وبفرع المخابرات السوفياتية في الصين. وفي أجواء الصين وخاصة جو العلاقات الصينية اليابانية المتشنجة وسياسة تشان كاي تشيك المعادية للشيوعية في حينه، ونشاط المخابرات السوفياتية لدعم النضال الصيني ضد اليابان، تعرّف إلى « أورسولا بيرتون » وهي شيوعية معروفة، كما ألف أجواء الصراع الطبقي المحموم الذي كان المناخ السائد في تلك الأيام.

○ ليس هناك من يجزم بأن روجر قد تعرف الى المسؤولين السوفيات في هذه الحلقات، لكن الأنباء التي نشرتها عنه المخابرات الأميركية بعد الشك في أمره، منذ سنوات قليلة، أشارت الى اشتغاله آنذاك « عميلاً » للقسم العسكري في هيئة المخابرات السوفياتية العامة «K.G.B.» وباشراف الجاسوس السوفياتي الشهير « ريتشارد سورج » الذي أسس بعد ذلك أضخم شبكة تجسس للمخابرات السوفياتية في طوكيو. وألقي القبض عليه نتيجة خطأ مهني وأعدم في السجن لأن المخابرات السوفياتية لم تستطع الاعتراف به في حينه لضرورات الأمن وقد نشرنا قصته كاملة لمن يحب الاطلاع في الصفحات ١٠٦/٨٢ بالجزء الأول من هذه الكتب المسلسلة عن المخابرات، وعزي تجنيده في هذا القسم إلى أن المسؤولين عن المخابرات السوفياتية استغلوا ميوله الجنسية العنيفة وانغماسه في المغامرات النسائية في شنغهاي بالصين مما يحمل على الاعتقاد بأن روجر أصبح « شيوعياً » ومن ثم « عميلاً للشيوعية » وهو في الصين أي أنه دخل في خدمة المخابرات السوفياتية قبل دخوله في خدمة مخابرات بلاده بريطانيا.

○ من المعروف أن الابتزاز الجنسي والتهديد بالتشهير والفضيحة كانا من الوسائل المجدية لاختراق المخابرات البريطانية التي كانت تضم عدداً كبيراً من اللواطيين.وهذا شيء غريب في بريطانيا ككل المخنثين وأصحاب العادات الجنسية المنحرفة المنتشرة بين الانجليز، والتي هي الأخرى إحدى الصفات المشهورة للأرستقراطية البريطانية. ومن أشهر حوادث التجسس التي تعبق برائحة الجنس والشذوذ قضية الجاسوس البريطاني وليم فاسال الذي باع للسوفيات أسرار البحرية البريطانية، وقد تستر عليه روجر فيما بعد حين أصبح رئيس المخابرات البريطانية ومديرها العام.

○ في الصين أصيب روجر بداء الصدر. فانتقل الى سويسرا للاستشفاء عبر خط سيبيريا الحديدي ماراً بروسيا حيث قضى وقتاً قصيراً. والمعروف أنه اجتمع باورسولا بيرتون التي تعرف عليها بالصين مرة أخرى في سويسرا أثناء وجوده فيها للاستشفاء.ولهذه المرأة أهمية خاصة في حياته ولو أنه تجاهل في وقت لاحق معرفته بها كما سنرى، ثم أن أهمية وجودها في أوكسفورد عند وجود روجر فيها أيضاً لم تتضح سوى عام ١٩٦٧.

روجر هوليس يكلف بالتحقيق عن « نفسه » بتهمة الجاسوسية

○ بعد الصين وبعد الاستشفاء في سويسرا عاد روجر الى وطنه الى لندن الضباب ليؤدي دوره الذي أسند إليه من قبل المخابرات السوفياتية هناك وكان عليه أن يلتحق بالمخابرات البريطانية وبالقسم الذي يتولى عمليات مكافحة التجسس الخارجي وخاصةً الجاسوسية السوفياتية. كيف يتسنى له ذلك وهو الشيوعي والعضو في المخابرات السوفياتية « مسبق الصنع »؟

○ من المعروف أن هنالك أولويات عمل للمخابرات السوفياتية في خطتها لاختراق المخابرات البريطانية فهي تفضل أن تزرع عميلها في المجالات التالية التي نذكرها بحسب أهميتها من وجهة النظر السوفياتية :

أولاً : ضمن المخابرات البريطانية نفسها وفي قسم مكافحة النشاطات السوفياتية إن أمكن. وقد نجحت المخابرات السوفياتية بزرع روجر ثم فيلبي في نفس هذا المركز بالذات.

ثانياً : في هيئة الاذاعة البريطانية (بي. بي. سي.) لما يوفره مثل هذا الموقع من صلات واسعة في السياسة البريطانية والعالمية.

ثالثاً : في جريدة « التايمز » لما يتيحه المكان من صلات واسعة مع كبار المسؤولين في الحكومة أو الجيش أو الاقتصاد.

رابعاً: في وزارة الخارجية البريطانية.

خامساً: في وزارة الداخلية بما فيها « المباحث العامة اسكتلنديارد ».

وهذا الترتيب في الأهمية يعكس الأهمية الحقيقية لمختلف المجالات المتصلة بعالم المخابرات في بريطانيا إذ تتيح هذه المجالات الاطلاع على أكبر قدر من المعلومات.

○ والظاهر كما شرحنا أن تحركات روجر في الصين وعلاقاته هناك كانت تتمّ وفق خطة موضوعة، مكّنته فيما بعد من الالتحاق بالمخابرات البريطانية لأن هذا ما أرادته له المخابرات السوفياتية. ولكن كانت حالته الصحية غير جيدة، كما كان في وضع معنوي متدهور، لا سيما بعد فشله في أول محاولة له لدخول المخابرات البريطانية، لكنه عاد وتمكن من الالتحاق بالمخابرات البريطانية ــ هيئة مكافحة التجسس السوفياتي ــ كما خطط له، حيث ابتدأ عمله مساعداً لجاين سيسمور المسماة « جاين آرتشر في وقت لاحق » وهي موظفة كبيرة في المخابرات البريطانية، من غير أن يخضع للتحقيق الصارم المألوف بالنسبة لتعيين أمثال هؤلاء الموظفين. لقد كانت الفرصة مؤآتية له آنذاك إذ أن هذه الهيئة كانت تتوسع بسرعة خصوصاً لمواجهة الخطر السوفياتي مما استلزم تجنيد عدد متزايد من رجال المخابرات.ومن المؤكد أن بيئته الدينية بصفته ابن أسقف « أوحت للمخابرات البريطانية بالاطمئنان إليه » وقُبِلَ دون أن يتم التحقيق عنه.

○ من الطبيعي أن لا يذكر روجر علاقاته اليسارية في طلب التوظيف في المخابرات وتسمى بالبلاد العربية « نشرة استعلامات » أثناء وجوده بالجامعة أو أثناء عمله بالصين، حتى أنه لا وجود لملف له عن هذا

النشاط في القسم الذي عمل به وحتى نهاية عمله بالمخابرات التي بلغت ٢٩ تسعة وعشرين عاماً بصفته موظفاً عادياً في البداية، ثم نائب مدير قسم ثم مدير قسم وفي النهاية مديراً عاماً للمخابرات البريطانية، وعلى الأغلب أنه هو نفسه قد أتلف ملفه.

○ كانت مهمة أو عمل روجر الرئيس باعتباره المساعد الأول لجاين سيسمور في ابتداء عمله أن يشرف على عمليات المخابرات السوفياتية في بريطانيا ومستعمراتها. وكان طبيعيا وهو في هذا المنصب أن يطلع على محاولات المخابرات البريطانية لاختراق الحزب الشيوعي البريطاني وتجنيد أعضائه، أو زرع عملاء في داخله. والملاحظ أن المخابرات البريطانية كانت قد تمكنت أن تفك رموز الشيفرة السرية لاتصالات الكومنترن بالأحزاب الشيوعية وبرجال المخابرات السوفياتية. ومن هنا كانت أهمية إصرار المخابرات السوفياتية على دخول روجر إلى هذا القسم أو المنصب. والواقع أن كل الاتصالات المذكورة عبر تلك الشيفرة والرموز قد توقفت بعد انتساب روجر الى هذا القسم.

○ الحياة الشخصية لروجر هوليس ذات أهمية كبيرة، لأن تجاهلها كلياً يترك فراغاً لا مبرر له. ولعل الاشارة السريعة إليها تثير شيئاً من التسلية القصصية للقارئ وتلقي بعض الضوء على شخصيته وعلى اسلوب تفكيره ومعتقداته، وإن طلاقه لزوجته الأولى وزواجه من سكرتيرته له علاقة وثيقة باثارة التحقيق معه في سنة ١٩٧٠.

○ كان روجر وسيماً، متوسط القامة، هادئاً بوجه عام متكتماً بطبيعته، قليل الكلام. فلا يفتح شفتيه إلا نادراً حين يرد على سؤال موجه إليه، كما أنه كان يكره النقاش والحوار. ولئن اعتبره اصدقاؤه وخصومه معاً غير موهوب، فالواقع أنه كان محباً للدعابة ولكنه رصين إلى أبعد حدّ في الوقت نفسه، دقيقاً في تعليماته، واضحاً في تحديد ما يريده.

وجميع هذه المزايا كانت قد أصبحت معروفة عنه حين استلم « رئاسة » قسم مكافحة التجسس بدلاً من جاين سيسمور نفسها، وبذلك بلغ أول مركز مرموق في جهاز المخابرات البريطانية.

○ كذلك كان معروفاً عنه أنه يجيد لعب الغولف. ويذكر الذين رفضوه في محاولته الأولى لدخول المخابرات أنهم لم يروا فيه سوى شخص عادي لا يصلح سوى لوظيفة عادية لأن مزيته الوحيدة أنه يلعب الغولف.

○ على أيّ حال فإن نجاح روجر في التسلل الى المخابرات البريطانية ووصوله الى المركز الذي أرادته له المخابرات السوفياتية يدل بوضوح على قصور اجراءآت الأمن في المخابرات البريطانية والتي كانت تعتمد على العلاقات الخاصة بين أفرادها الذين ينحدر معظمهم من الطبقات الأرستقراطية والمحافظة، وهي صنعة كانت تفتح الأبواب وتتيح الفرص دون تحقيقات جدية.

ابتداء الشك بروجر هوليس

○ ابتدأت الشكوك تحوم حول روجر عندما لجأ الى الغرب عدد من ضباط المخابرات السوفياتية، وكشفوا عن مدى التسلل السوفياتي في المخابرات الغربية والبريطانية « بشكل خاص » وعن وجود حلقة مؤلفة من « خمسة » من البريطانيين في خدمة المخابرات السوفياتية، وكان هروب دونالد وبيرغس العاملين في المخابرات البريطانية إلى الاتحاد السوفياتي بداية تشكيك قوي وتنبيه عنيف إلى هذه الحلقة وضرورة معرفة بقية أفرادها اعتقاداً بأن العميلين المزدوجين اللذين فرّا هما اثنان فقط من بين الخمسة. والواقع أن المخابرات الأميركية لم تتمكن من الكشف عن هذه الحلقة الخماسية. يضاف الى ذلك أن الملاحظات

حول تصرفات روجر لم تثر أي اهتمام به أو انتباه اليه. ولكن المعلومات أو الوقائع التي توفرت في وقت لاحق دفعت البعض الى الشك به وتوجيه أصابع الاتهام اليه. والجدير بالذكر هنا أن المخابرات الأميركية كانت واثقة من ضلوع روجر بالخيانة. وقد قامت بالتحقيقات بمعاونة مكتب التحقيق الاتحادي الاميركي وفق خطة مدروسة خاصة بالمؤسستين. وقد اعترف شخص يدعى آرغو وهو موظف الشيفرة في السفارة التشيكية بواشنطون وعميل سري لمكتب التحقيقات الاتحادي، بمعلومات عن وجود « عميل مهم » للسوفيات في المخابرات البريطانية وقد عمد العملاء السوفيات الى تغيير طريقة عملهم مما يدل على معرفتهم بأنهم مراقبون. وبعد ذلك أبلغ غوليستين الموظف بالسفارة السوفياتية في هلسنكي (فنلندا) المخابرات الأميركية بوجود عميل كبير للسوفيات في المخابرات البريطانية، وأشار الى حلقة خماسية معززاً بذلك انباءً وشكوكاً سابقة. وأيضاً كشف ايغور غوزينكو الموظف في السفارة السوفياتية في أوتاوا (كندا) لأول مرة عن وجود عميل سوفياتي في المخابرات البريطانية باسم إيلي (ELLI) وقال عنه أنه موظف عالي الرتبة، واستطاعت المخابرات الغربية بالتالي أن تكشف النقاب عن حلقة من العملاء السوفيات في الغرب، أما العميل العالي المكانة، الملقب إيلي، فظل مجهولاً لأن اتصال المخابرات السوفياتية به كان عبر رسائل سرية توضع له في أمكنة سرية وفي شقوق أو ثقوب لا تخطر على البال» وباعتبار روجر مسؤولاً عن مكافحة الجاسوسية السوفياتية في بريطانيا والبلدان الأخرى الخاضعة لها، فقد انتدب هو بالذات للذهاب إلى كندا للتحقيق بشأن غوزينكو وصحة معلوماته. ومن المعلوم أن « إيلي » أبلغ السوفيات عن معلومات المخابرات البريطانية بشأن العملاء الروس في بريطانيا.

والطريف الخطر هنا في عمل المخابرات أن « إيلي » وهو نفسه « روجر » قد كلف بالتحقيق في كندا مع غوزينكو السوفياتي عن

معلوماته عن « إيلي » نفسه. وفي العام نفسه جاء أحد رجال المخابرات السوفياتية إلى سفارة بريطانيا في أنقره بتركيا وأبلغها نبأ وجود عميل للمخابرات السوفياتية في رئاسة المخابرات البريطانية، لم يستطع تحديد هويته لكنه أكد أنه رفيع المستوى. وحين كثرت المعلومات المتواردة للمخابرات البريطانية عن وجود عميل رفيع المستوى للمخابرات السوفياتية بين جدرانها أرادت المخابرات البريطانية أن تقوم بحملة واسعة لمكافحة عمليات التجسس والتخريب الشيوعية في بريطانيا. وطلب من « روجر هوليس » نفسه وكان مدير دائرة مكافحة الجاسوسية السوفياتية أن يجري « تحقيقاً » حول هذا الموضوع، فقام بتحقيق تافه وبسيط ينفي هذه الادعاءات ولم يتضمن هذا التحقيق أية معلومات ذات قيمة، رغم اعتقاد رئيس المخابرات ورئيس الوزراء الذي يطلع على بريد وأعمال المخابرات البريطانية بوجود مثل هذه العمليات.

○ في هذه الفترة أيضاً وأثناء رئاسة روجر لقسم مراقبة النشاطات السوفياتية في بريطانيا وافق على استخدام العالم الذري « كلاوس فوخس » في المحطة الذرية البريطانية للأبحاث الذرية، وهو المعروف بميوله الشيوعية منذ لجوئه إلى بريطانيا من المانيا. وكانت السلطات البريطانية المختصة بالمخابرات والمباحث العامة قد أجرت بشأن العالم الذري كلاوس ستة تحقيقات متواصلة ولكنها لم تسفر عن شيء، كما تجاهل روجر بالذات علاقة كلاوس بالشيوعية أورسولا بيرتون وغض النظر عن قيامها بدور المراسلة له وعن علاقة الاثنين بحلقة مخابرات سوفياتية في سويسرا، وهي معلومات كان يفترض أنها معروفة جيداً من رجال المخابرات المتخصصين في مراقبة محاولات التسلل السوفياتية، رغم أن روجر نفسه كان على علاقة بأورسولا أثناء وجودها بالصين وتجددت هذه العلاقة في جامعة أوكسفورد، التي انتقل إليها روجر فترة من الوقت.

○ تمكنت المخابرات الأميركية من فك رموز شيفرة سوفياتية تكشف عن عمالة العالم الذري كلاوس فوخس وقدمت هذه المعلومات كهدية منها للمخابرات البريطانية. لم يعترف العالم الالماني كلاوس بعمالته للمخابرات السوفياتية إلا بعد تحقيق عنيف متواصل من قبل أحد المحققين البريطانيين المعروفين بالحنكة والقدرة، وبمشاركة المخابرات الأميركية ورغم اعتراف كلاوس لم يتبيّن بصورة مباشرة أي دور لروجر في اخفاء حقيقته في الفترة السابقة.

لقد كان افتضاح أمر كلاوس فوخس ضربة عنيفة، لا من حيث القاء الشك على قدرة المخابرات البريطانية فحسب وإنما أيضاً من حيث أثرها على العلاقات بين بريطانيا والولايات المتحدة، ذلك أن المخابرات الأميركية أصبحت لا تثق بالمخابرات البريطانية ولا تضمن أن لا يسرب العملاء السوفيات من داخلها كل المعلومات التي تصلها من الولايات المتحدة. وبالتالي فإن الأميركيين أصبحوا أقل تعاوناً مع البريطانيين في مجالات المخابرات. ولم تمض فترة قصيرة حتى حدث ما يعزز المخاوف والشكوك الأميركية في المخابرات البريطانية. قبل الهروب كانت الشكوك تحوم حول ماكلين وبيرغس واحتمال اتصالهما بالمخابرات السوفياتية. ومرة أخرى لعب روجر دوراً هاماً في هذا المجال إذ أبلغهما ومعه فيلبي عن عزم المخابرات البريطانية واهتمامها بإجراء تحقيق معهما بشأن هذه الظنون حولهما مما أدى الى فرارهما الى موسكو الأم في حينه. وليس هنالك ما يثبت بصورة قاطعة بأن روجر الذي كان « في حينه » مسؤولاً عن قسم مكافحة الشيوعية والنشاط السري السوفياتي في بريطانيا، هو الذي قام بدور التنبيه وحده للعميلين ولكن القرائن الميَسرة بهذا الصدد هي التي توجه أصابع الاتهام نحوه، وحده كان في وضع يستطيع معه معرفة موعد التحقيق وكل تفاصيل الرقابة الموضوعة عليهما والأنباء المتواترة في أوساط المخابرات بعد

اعتراف العديد من العملاء الهاربين من الاتحاد السوفياتي الذي أكّد وجود عدد من العملاء للمخابرات السوفياتية. وعادت اعترافات الفارين بعد فرار ماكلين وبيرغيس « تؤكد » بقاء أو وجود عميل آخر ضمن إدارة المخابرات البريطانية وفي مركز عال وحصرت دائرة الاتهام روجر وحده وعلى نار هادئة. فهناك عميل روسي واسمه « راستورروف » رفض الذهاب الى لندن بعد انقلابه على بلاده « خوفاً » من اختراق المخابرات السوفياتية المعروف للمخابرات البريطانية. وهناك قول لأنطوني بلانت العميل للمخابرات السوفياتية وهو مستشار الملكة شخصياً بأن السوفيات لم يطلبوا منه أية معلومات عن القسم الذي يرأسه روجر. وتفسير ذلك أن روجر كان ينقلها لهم بنفسه، ثم أن نجاح المخابرات البريطانية بالنسبة للمخابرات غير السوفياتية بالمقارنة مع فشلها المتواصل مع المخابرات السوفياتية بالذات يؤكد الشكوك حول روجر.

○ قصة نهاية فيلبي لها فصل خاص في هذا الكتاب وبذلك أصبحت حكايته معروفة للقارئ لكننا نودّ هنا أن نتعرض لموقف روجر بمقدار ما يؤكد خيانته وضلوعه مع السوفيات. فالرأي الذي طرح على بساط البحث في دوائر المخابرات الغربية هو أن قيام روجر وفيلبي بتسهيل فرار ماكلين وبيرغيس « كان يستهدف » إنقاذ كيم خوفاً من أن يؤدي التحقيق معهما إلى افتضاح أمره في وقت كان يتولى فيه كيم إدارة الدائرة السوفياتية في المخابرات البريطانية. والواقع أن الشكوك كانت تحوم حوله قبل ذلك بسنوات من غير أن يكشف التحقيق ما يدينه. وبازدياد هذا الشك كان روجر لا يزال مسؤولاً عن فرع مكافحة أعمال المخابرات السوفياتية في بريطانيا و« نائباً » للمدير العام فقام بالاتفاق معه أي المدير العام وأرسل فيلبي الى بيروت كمراسل صحفي... ألخ. لابعاده عن مرمى بصر المرتابين به في لندن أو واشنطون حيث كان الشك قد أخذ يساور المخابرات الأميركية، بل أن نائب المدير فيها « بيدل سميث » كان يعرف بالتأكيد من أن فيلبي « جاسوس سوفياتي ». ووقتها برز دليل

جديد على علاقة كيم فيلبي بالمخابرات السوفياتية. ونعتذر من قرائنا لعدم ذكر هذا الدليل من حياة فيلبي مع الفصل الخاص به في هذا الكتاب لورود هذه المادة المترجمة من لندن بعد ختم موضوعه بوفاته. فقد كانت إحدى « رفيقاته » بالحزب الشيوعي سيدة يهودية تدعى فلورا سلومون وهي بنفس الوقت صديقة كيرنسكي، وكانت تعلم بصلة الرفيق فيلبي بالمخابرات السوفياتية بل وكانت تتابع رسائله الصحافية التي كان يرسلها وتنشر تباعاً في جريدة « الاوبزرفر » البريطانية من بيروت، فغاظتها جداً الرسائل التي كانت تنتقد اسرائيل اشد الانتقاد وتصفها بالمعتدية وبذلك لم يأت بشيء من عنده كما غاظها أن يأخذ فيلبي جانب العرب والاشادة بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر وأعماله في تلك الفترة.

فقررت أن تكشف أمر فيلبي، وبالفعل أبلغت معلوماتها للمخابرات البريطانية وبذلك انقطع الشك باليقين، وتأكدت عمالة فيلبي للسوفيات بما لا يقبل الشك.



الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كان فيلبي يشيد بأعماله الوطنية ويكتب عن ذلك إلى « الاوبزرفر Observer

وأخيراً الجاسوس روجر هوليس يصبح رئيساً للمخابرات البريطانية

○ بعد أن تأكدت عمالة فيلبي للمخابرات السوفياتية اسقط في يد روجر هوليس وكان قد أصبح «مديراً للمخابرات البريطانية» وهو لا يستطيع بحكم منصبه أن يرفض اجراء التحقيق مع كيم وموافقته ضرورية للقيام به. ووصول روجر الى رئاسة المخابرات البريطانية وهو أول جاسوس بالتاريخ يصبح مديراً لمخابرات بلده وهو يخدم ويتجسس ويعطي ولاءه لبلد معاد «إنها مهنة المخابرات والجاسوسية».وكان ترشيحه لرئاسة المخابرات البريطانية من قبل رئيسه المباشر السير ديك هوايت، وموافقة رئيس الوزراء البريطاني في حينه انطوني إيدن شخصياً. ولذلك كان روجر مضطراً لمواجهة فيلبي. كذلك «عرف» فيلبي بما يدور من حوله وبشهادة السيدة اليهودية. فهل كانت معرفة كيم بما يحوم حوله مجرد حدس؟ أم أنه عرف بذلك نتيجة إتنبيه من شخص ما كلّف بذلك؟ إن الأحداث المتصلة بهذه القضية تتهم روجر بأنه الشخص الذي أنذر كيم وأعلمه بانكشاف أمره.وكان فيلبي في بيروت وقتئذٍ ولا بد من إرسال محقق متمرس للوصول الى الحقيقة فتقرر إرسال «آرثور مارتن».ولكن مدير المخابرات البريطانية روجر وهو عميل مثل فيلبي عمد الى تغيير المحقق الوحيد تقريباً الذي يمكنه أن يحمل فيلبي

على « الاعتراف بعمالته ». ورغم الضجة التي انفجرت داخل المخابرات فإن مديرها روجر تمكن بحكم سلطته من تنفيذ كلمته وتغيير المحقق، ثم وافق على اجراء تحقيق ملطف مع كيم في بيروت دون اللجوء الى استدراجه الى لندن أو خطفه من بيروت وكان لديهم الامكانية للخطف ولكنه « تُرك » في بيروت ليتمكن من الهرب (يرجى مراجعة فصل نهاية فيلبي في هذا الكتاب بالذات). وبدئ مع فيلبي بتحقيق ملطف يبين إن كان يعلم برغبة المخابرات بالتحقيق معه من قبل وقد استعد فيلبي للاجابة على جميع الأسئلة. والآن وبعد هذه السنوات « تأكد لنا » أن فيلبي لم يهرب من التحقيق « قبل هروبه الأخير » لئلا يشك بأن هنالك شخصاً آخر قد أبلغه بما حدث « وهنا الوفاء ».

○ أثناء التحقيق الهادئ مع فيلبي في بيروت عرض المحقق عليه أن يعطى حصانة من توجيه أي اتهام له، إذا اعترف وتعاون مع المخابرات البريطانية في كشف ماضيه ومن يتعامل معهم. بكل احتراف الجاسوس اعترف فيلبي بالقليل من ماضيه غير الضار أي أنه اتصل بالمخابرات السوفياتية وعرضوا عليه العمل معهم فوعدهم بدراسة العرض، ولكنه أنكر أنه تعاون معهم فيما بعد كما أنه حاول تضليل التحقيق باعطاء المحقق معلومات تافهة ومضللة، ثم طلب وقتاً للتفكير بشأن القبول بالحصانة والعودة بملء إرادته الى لندن. لكنه وهنا القول الصحيح كان قد استنفذ خلال سنواته الثلاثين كعميل مزدوج للمخابرات البريطانية التي يعمل بها، والمخابرات السوفياتية التي كان يعمل لها جميع أنواع العمالة وأعطي الضوء الأخضر للاستراحة في كنف المخابرات السوفياتية وضيافتها حتى نهاية العمر وكما حصل بالفعل وذكرناه في الجزء الأول من هذه السلسلة وفي هذا الكتاب أيضاً فقد نجح في الهروب من بيروت في ٢٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٣ إلى « موسكو ».

والى هنا نغلق الباب نهائياً عن أعمال فيلبي التي فاتنا أن نذكرها في

الفصل الخاص به ونعود الى قصة الأهم من فيلبي الذي كاد أن « يصل » الى مرتبة مدير المخابرات البريطانية وهو عميل للمخابرات السوفياتية الى العميل المماثل الذي وصل بالفعل الى ادارة المخابرات البريطانية وهو أيضاً عميل للمخابرات السوفياتية « روجر هوليس » وقبل متابعة القصة الى النهاية.. وحتى تاريخ انكشافه اللاحق واجراء التحقيقات المتعلقة بروجر بالذات. وقبل أن نتناول قصصاً أخرى كانت لروجر علاقة بها بحكم مركزه، ينبغي أن نذكر التطورات التي حدثت لروجر بالنسبة لمركزه. ففي الوقت الذي كان تصرفه في عمله بالمخابرات البريطانية مثار شك على الأقل بالنسبة للبعض، أو اثباتاً على خيانته فيما بعد بالنسبة للبعض الآخر، وقد لاحظنا أن مركزه في المخابرات البريطانية كان يرتفع ويترسخ برغم هذه الشكوك الآخذة بالتزايد إلى أن أصبح روجر نائباً لرئيس المخابرات، ثم ليصبح بعد ثلاث سنوات مديرها العام برغم الشكوك الحائمة حوله، حتى قيل أن فترة إدارته للمخابرات البريطانية التي امتدت تسع سنوات كانت ولا سيما في القسم الثاني منها، فترة صراع عنيف ظاهر حيناً وخفي حيناً آخر بين روجر والمشككين.

○ لقد استمر عمل روجر في المخابرات البريطانية تسعة وعشرين عاماً كانت من أكثر الفترات أحداثاً في هذا القرن الخصب، وكان طبيعياً أن تكون للمخابرات البريطانية علاقة بهذه الأحداث، كما كان طبيعياً بالتالي أن يكون لروجر موقف من كل منها، أو تصرّف معيّن حيالها، مما يفسح أمام خصومه ومتهميه بالعمالة والخيانة مجالاً جديداً لتعزيز الشكوك. والواقع في هذا الاطار أن جميع تصرفات روجر كانت عرضة للريبة قبل استقالته. ثم موضوعاً لأكثر من تحقيق بعد ذلك، ثم حكاية طويلة وخطيرة تثير اهتمامات الحكومة البريطانية بالذات بعد وفاته ببضعة أعوام وعرضاً تفصيلياً لأعمال من وصفته المخابرات الأميركية « بأخطر الجواسيس ضرراً في التاريخ ».

○ لقد تناولنا حتى الآن حياة روجر من بداياتها وسردنا بعضاً من الحوادث والقضايا التي أدت إلى تزايد الارتياب فيه، وهو المسؤول الأول عن الدفاع عن الدولة والحؤول دون تسرب أسرارها إلى الخصوم فهل يستطيع المشككون به أن يثبتوا خيانته ؟ فلنتابع القصة للآخر :

○ ظلت المعلومات السرية الخطيرة تتسرب الى المخابرات السوفياتية أولاً بأول وعلى مدار الأيام والشهور والسنين. هكذا توحي الأحداث المتوالية بالنسبة لعدد من رجال المخابرات البريطانية ولكن روجر نفسه كان يرفض اجراء التحقيقات مع أحد من منتسبي المخابرات البريطانية « بحجة » ان توجيه التهم مهين للعاملين في هذه المخابرات ويؤدي الى تثبيط العزائم وتدمير المعنويات، إن لم يؤد الى اضطراب العلاقات بين الدول الصديقة لبريطانيا، وكثيراً ما سخر من القول « بوجود » عملاء للسوفيات ضمن المخابرات البريطانية.وهو نفسه الذي وقف بوجه التوسع في التحقيق مع أحد رجال البحرية بلاي هوتون عن علاقته بالمخابرات السوفياتية بعد أن تلقت المخابرات الأميركية وشاية عنه من أحد عملائها في بولونيا ويدعى ميكل غولينفسكي ولقبه « القناص » الذي أكد أيضاً وجود عميل كبير للسوفيات في المخابرات البريطانية. وكان مبرر « المدير العام » روجر نفسه لمعارضة التحقيق الموسع، إن ذلك قد يضر بمنظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو) لأنه سيتناول أشخاصاً آخرين أيضاً، ويفضح عدداً من كبار المسؤولين الغارقين في حياة الشذوذ الجنسي. وأيضاً أبلغ روجر عن وجود عميل بريطاني لتشيكوسلوفاكيا ينقل معلومات عن الصواريخ البريطانية ولكنه كمدير للمخابرات البريطانية لم يفعل شيئاً مع العلم بأن العميل ألقي القبض عليه وأدين قضائياً بهذه التهمة وأودع السجن.

○ وأيضاً جرى اعتقال أعضاء حلقة تجسس في البحرية البريطانية بقيادة مسؤول في المخابرات السوفياتية حمل اسماً مزوراً هو (غوردون

لونسدايل) وأدت التحقيقات التي أجرتها المخابرات البريطانية إلى معرفة تحركات لونسدايل واتصالاته (قصته الكاملة للراغبين منشورة في الصفحة ٤٠٣ من الجزء الثاني من هذه الكتب عن المخابرات) ثم إلى مداهمته وهو يجري اتصالاً لاسلكياً مع إدارة المخابرات السوفياتية في موسكو. كان المحققون ينوون مواصلة التكتم حول الموضوع للكشف عن أعضاء آخرين واعتقالهم، ولكن الخوف من تسرب النبأ إلى السوفيات « بَتَرَ » عملية التحقيق وفرض الاسراع باعتقال لونسدايل. ولعب المدير العام روجر دوراً مهماً في بتر التحقيق وإعلانه وإنذار من يجب إنذاره قبل توسع التحقيق.

○ حتى عام ١٩٦٤ كان عدد الذين افتضح أمرهم من أفراد الحلقة الخماسية الذين يعملون للمخابرات السوفياتية كما سبق أن ذكرنا أربعة وهم: ماكلين وبيرغيس، وفيلبي، وبلنت. وبقي الخامس الذي كان معروفاً أن اسمه المتداول في الاتصالات السرية هو (إيلي ـــ ELLI) وهو روجر هوليس بالذات. إن اعترافات بلنت لم تثبت ذلك ولم تنفه. ثم أن القرائن التي أثبتت ذلك على وجه اليقين والقطع ودون أدنى شك ليست متوفرة، ولكن استمرار انتقال المعلومات السرية الى المخابرات السوفياتية أثبتت وجود رجل خامس وفي مركز عال في المخابرات البريطانية. والدليل على ذلك تطورات لا يمكن أن يعرفها غير روجر أو من هو في مركزه.

○ لقد وجدت المخابرات البريطانية « صعوبة » إلى درجة الاستحالة في تجنيد مواطن سوفياتي واحد من الجالية السوفياتية أو من أعضاء السفارة السوفياتية في لندن ليعمل لمصلحتها أثناء رئاسة روجر للمخابرات البريطانية. وتفسير ذلك أن روجر نفسه ومنذ كان يرأس قسم مكافحة المخابرات السوفياتية إلى أن رأس المخابرات البريطانية كان « يبلغ » المخابرات السوفياتية عن مثل هذه المحاولات. وبهذه المناسبة

شهد ضابط مخابرات سوفياتي كان على صلة بالمخابرات الأميركية أن الجالية السوفياتية في لندن لم يكن لها قسم خاص بها، كما هي الحال بالنسبة للجاليات السوفياتية في دول أخرى. لا بد أن روجر نفسه كان هو « المخبر » بالنسبة لأفراد هذه الجالية. وَمَنْ غيره في مركزه السابق كرئيس لقسم المكافحة، أم في مركزه التالي، كمدير عام للمخابرات، يستطيع أن يحصل على أسماء الرجال السرّيين الذين يعيّنون من قبل المخابرات البريطانية « لمراقبة » المشتبه بهم من الروس؟ إنه روجر الذي كان ينقل هذه الأنباء للمخابرات السوفياتية. وقد تأكدت المخابرات البريطانية أنها لم تكن تتخذ إجراءآت لمراقبة أي مسؤول سوفياتي في لندن حتى يقوم هذا المسؤول بتغيير كل نشاطاته السابقة بما في ذلك نقل السكن حالاً إلى سكن جديد غير معروف من قبل المخابرات « مما يؤكد معرفته بأنه كان تحت مراقبة المخابرات ».

○ وإذا لم نأخذ بمعلومات نقلها عملاء ومخبرون في سفارات غربية في دول شرقية، أو مواطنون سوفيات عاملون في المخابرات السوفياتية ثم انقلبوا ولجأوا الى الغرب، عن وجود موظف كبير في المخابرات البريطانية « يعمل » لمصلحة المخابرات السوفياتية، فمن كان يستطيع أن يعرف بوجود ثقب صغير بقدر رأس دبوس في جدار السفارة السوفياتية في لندن للتنصت على السفارة؟ إن اكتشاف ذلك بالصدفة مستحيل، فكيف إذا كان اكتشافه قد تم بسرعة؟ ومن المعروف أن لدى المخابرات السوفياتية في موسكو ملفاً كبيراً عنوانه « معلومات عن المخابرات البريطانية » ومن الطبيعي أن يكون روجر هو الذي وفر هذه المعلومات لأن المعلومات التي تجمعت حول ذلك الملف تشير إلى أنه هو « الرجل الخامس » في حلقة الجواسيس الكبار.

○ كان نشاط روجر لمصلحة المخابرات السوفياتية « يتجاوز » لندن ليصل الى السفارتين السوفياتيتين في « أوتاوا » بكندا و« كانبيرا »

في اوستراليا. في هذا الوقت كان روجر قد أصبح « نائباً » لمدير المخابرات البريطانية وهذا المركز يتيح له الاطلاع على معلومات سرية وخطيرة ومهمة.

○ شب حريق في السفارة السوفياتية في كندا ولما أرادت السلطات السوفياتية إعادة بناء سفارتها، استغلت السلطات الكندية والمخابرات البريطانية هذه المناسبة فدسّت بين العمال الذين قاموا باعادة البناء بعض خبراء المخابرات لادخال أجهزة تنصت سرية. وقد تم وضع الاجهزة والميكروفونات أثناء البناء وصب الباطون المسلح، لكنه تبين بعد وقت أن السلطات السوفياتية عرفت واكتشفت أجهزة التنصت هذه فحفر فريق من الخبراء السوفيات وحصروا أماكن الميكروفونات ومن ثم أجروا تعديلاً في غرف المخابرات وأمكنة اجتماعات السفير بهم، وبعد ذلك أصبحت المخابرات السوفياتية ترسل عبر هذه الأجهزة معلومات لا قيمة لها تضليلاً للمتنصتين. إنها المخابرات المضادة.

○ علمت المخابرات الاوسترالية أن السوفيات يعملون على قلب حكومة أوستراليا فعمدت هذه المخابرات إلى وضع أجهزة تنصت في السفارة السوفياتية، خاصة في مكتب رئيس فرع المخابرات. كانت هذه الأجهزة تدار بتموجات إشعاعية من أمكنه مجاورة للسفارة ولكن مخابرات السفارة السوفياتية كشفت ذلك وتركت هذه الأجهزة تعمل.. وإنما في نقل معلومات غير ذات قيمة، بحيث أضاع الأوستراليون وقتهم وجهدهم سدى. وبذلك فشلت الحكومة الأوسترالية في محاولاتها، وقد وافق رئيس الحكومة الأوسترالية على تخصيص مراقبين سريين من المخابرات الأوسترالية لأفراد البعثة السوفياتية الدبلوماسيين في أوستراليا، ولكن المراقبة لم تسفر عن نتيجة لأن روجر رئيس المخابرات البريطانية قد علم بذلك وسرّب الخبر الى السوفيات.

○ استطاع روجر مدير المخابرات البريطانية اقناع وزارة الداخلية باعلان ان السلطات البريطانية ستعتقل ماكليـن وبيرغـيس إذا « مـرّا » ببريطانيا، وكان العميلين سيمران بلندن وهما في طريقهما إلى مؤتمر في كوبا وقد لا يكون مثل هذا الاعلان ضرورياً « لتحذيرهما » ولكنه يعتبر نوعاً من التنبيه من المدير العام للمخابرات البريطانية الذي كـان يقضّ مضجعه أدنى احتمال لوقوع أحدهما في أيدي مخابرات بلاده لأن ذلك سيؤدي بطبيعة الحال الى كشفه وفضحه.

بداية ونهاية

○ في سنة ١٩٦٥ وبعد حياة حافلة وخدمة المخابرات البريطانية من موظف حتى وصوله الى مرتبة المدير العام « استقال » روجر هوليس من إدارة المخابرات البريطانية ليعيش حسب ادعائه في حينه « حياة هادئة » وبعد ذلك لوحظ أن المخابرات البريطانية ولأول مرة منذ استقالته من منصبه « استطاعت » هذه المخابرات أن تحقق بعض الانتصارات على المخابرات السوفياتية في حربهما السرية الدائمة والمستمرة حتى أيامنا هذه.

○ أول ما نشير إليه هنا هو اعتقال المخابرات البريطانية لجاسوس للمخابرات السوفياتية « جورج بلايك » الذي كان يعمل في المخابرات البريطانية نفسها وقد تمت عملية اصطياده واعتقاله في الأيام الأخيرة من خدمة روجر وبدون علمه وقد فوجئ بها ولم يستطع انقاذه.

○ بعد ذلك عمدت السلطات البريطانية الى « طرد » مائة ضابط مخابرات سوفياتي كانوا يعملون في السفارة السوفياتية في لندن وقد عرفت اسماؤهم من عميل بريطاني في المخابرات السوفياتية جرى التعامل معه بعد استقالة روجر.

○ حتى الجاسوس الالماني الشرقي غونتر غيوم « مستشار »

المستشار الالماني السابق فيلي برانت لم يكن من الممكن كشفه لو بقي روجر على رأس المخابرات البريطانية لثبوت صلة المخابرات البريطانية في كشفه (صفحة ٣٧٧ حتى ٣٨١ ـــ من الجزء الأول من هذه الكتب المسلسلة عن المخابرات).

○ يؤخذ على روجر أنه لم يجر أي تحقيق بوفاة هيو غايتسكيل «بمرض غامض» أثبت خبراء المخابرات البريطانية بأن المخابرات السوفياتية «دسّت» له جرثومة في القهوة والكعك الذي قدمته أثناء زيارته للقنصلية السوفياتية في لندن لأخذ «تأشيرة» لزيارة الاتحاد السوفياتي. ومن المعروف أن غايتسكيل كان المرشح الأقوى لزعامة حزب العمال ومعروفاً باتجاهاته اليمينية في الحزب وحرصه على التعاون العسكري والنووي مع الولايات المتحدة، ويعتبر اغتياله من قبل المخابرات السوفياتية حدثاً تاريخياً في حزب العمال أتاح لليسار البريطاني فرصة القبض على زمام الأمور.

○ في معرض الصراع الداخلي في بريطانيا بين حزبَيْ المحافظين والعمال، وقعت فضيحة جنسية بطلها وزير الحربية السابق جون بروفوميو بسبب علاقته بفتاة شابة تعمل بغي راقية وتُطْلب «بالهاتف» اسمها «كريستين كيلر». والقصة باتت معروفة لا سيما وقد نشرت الفتاة قصتها في الصحف البريطانية الباحثة عن الفضائح. ونحن أيضاً نشرنا القصة كاملة في الجزء الأول من سلسلة المخابرات والعالم في الصفحة (٢١٩) وأسفرت هذه الفضيحة الأخلاقية فيما بعد عن:

١ ـــ تعرض الحكومة البريطانية للانتقاد في مجلس العموم (في حينه).
٢ ـــ استقالة الوزير جون بروفوميو من وزارة الدفاع.
٣ ـــ طلب مغادرة الملحق العسكري السوفياتي «يوجين إيفانوف» خلال ثلاثة أيام وفعلاً غادر لندن في حينه.

٤ ــ استقالة مدير الفرع أم ــ إي ــ ٦ وليس المدير العام روجر هوليس.

٥ ــ انتحار المخبر الأساسي وهو ستيفان وارد.

٦ ــ الشهرة التي اكتسبتها صاحبة الفضيحة كريستين كيلر والأموال التي غنمتها من الصحف والتلفزيون حتى أن هذه الفضيحة أنتجت فيلماً سينمائياً.

والمهم في هذه الفضيحة موقف مدير المخابرات البريطانية روجر واهتمام المخابرات السوفياتية بها في معرض السعي للحصول على معلومات بشأن تسليح المانيا الغربية في حينه بأسلحة ذرية. ويبدو أن أهمية القصة نشأت عندما ارتبطت كريستين كيلر بعلاقة جنسية مع الملحق العسكري السوفياتي في لندن يوجين إيفانوف وكانت تدعوه بالفحل. ونتيجة هيامها به أخذت تقص عليه أثناء ساعات المتعة والجنس ما تعرفه عن أصدقائها ومنهم السير جون بروفوميو وزير الدفاع البريطاني فطلب منها الحصول من الوزير المذكور على معلومات حول تزويد بريطانيا لالمانيا الغربية بالأسلحة الذرية .ولكن وزير الدفاع انتبه للفخ السوفياتي ورفض أن يقول ما يعمله. ففشلت المحاولة السوفياتية هذه لا سيما وإن جهات أخرى غير المخابرات وضعت يدها على القضية وعملت على إفشال المحاولة السوفياتية وكانت النتيجة بالنسبة للسفارة السوفياتية بأن طلبت من ملحقها العسكري مغادرة لندن بناء لطلب وزارة الخارجية البريطانية وانتهى الأمر عند هذا الحد. وفي نظر متهمي روجر مدير المخابرات أن المخابرات السوفياتية. لم تكن تستطيع توجيه القضية لصالحها على أحسن مما فعل روجر مدير المخابرات البريطانية.

○ بعد خمس سنوات من استقالته تجمع لدى المخابرات البريطانية عددٌ من الأدلة ضده وقد ضممت جميعها بشكل ملف عهد به الى خلفه في رئاسة المخابرات البريطانية للتحقيق معه للكشف عن الواقع ليس إلا.

والظاهر أن هذا التحقيق الذي استمر بضع جلسات خلال يومين أثبت رباطة جأش روجر في جو التحقيق المكهرب وليس براءته. لأنه اعترف بعلاقاته ببعض الشيوعيين في جامعة أوكسفورد كما اعترف بصلته بأغنيس في شنغهاي، لكنه عجز عن تبرير رغبته في الانضمام إلى سلك المخابرات، كذلك لم يكشف بوضوح عن تحركاته ونشاطاته منذ عودته من الصين مما أضفى الغموض على تحركاته خلال هذه الفترة، كذلك تناسى عنوان منزله في أولى مراحل حياته بعد العودة من الصين، وأنكر معرفة أحد الموظفين في المخابرات البريطانية مع أنه كان صديقاً حميماً للجاسوس الآخر بيرغيس. والغريب في الأمر أنه لم يعثر له على ملف في كل تلك السنوات.

أما بالنسبة لخلافه مع المحقق المقتدر آرثر مارتين ورفض تكليفه بالتحقيق مع كيم فيلبي فأجاب روجر في التحقيق : إن سبب ذلك يعود الى ميول هذا المحقق وأساليبه الشبيهة بميول الغستابو أي المخابرات الألمانية أثناء حكم هتلر. كذلك تبين من هذا التحقيق أن روجر كان يعارض اجراء تحقيقات بشأن الاختراق السوفياتي للمخابرات البريطانية، كما تبين أن ذاكرته كانت « وفق » رغبته ومصلحته، تخونه في مناسبات معينة من التحقيق، أو حين تكون أجوبته غير مقنعة، ولا تخونه في مناسبات أخرى. وأما بالنسبة لمحاكمته كرئيس للمخابرات البريطانية وله حصانة أقوى من حصانة رئيس مجلس العموم البريطاني. فقد ارتأت الحكومة البريطانية أن ذلك لا يخدم مصلحة الوطن كما أن المحاكمة سوف تضر بالعلاقة مع الولايات المتحدة الأميركية التي كان لديها دائماً من يشكك بالمخابرات البريطانية ويدعو إلى الاحتياط منها وعدم التعاون معها. أثناء التحقيق مع رئيس المخابرات السابق استمر روجر محافظاً على رباطة جأشه، ولم يتراجع لأنه كان خبيراً ويعلم أن « القانون البريطاني » لا يحاكمه إذا لم يعترف، ولذلك أصر على

الصمت أو النسيان أو الانكار. ولعل أبرز ما يثبت هذه القدرة على رباطة الجأش والانضباط هو حديث جرى بين روجر وأحد المحققين على الوجه التالي :

ــ قال روجر للمحقق : لماذا تعتقد أنني جاسوس ؟

بلع المحقق ريقه وهو يحقق مع رئيسه السابق ثم روى له الأسباب التي تدفعه على هذا الاعتقاد ثم سأله :

ــ هل تنكر هذه الحقائق الثابتة ؟

وهزّ روجر كتفيه وقال :

ــ إن كل ما أستطيع أن أقوله هو أنني لست جاسوساً.

المحقق : وهل لديك ما يثبت هذا النفي ؟

ردّ روجر على ذلك وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة :

ــ كلا وهل تحسب أنك وضعت القيود في يدي ؟

ثم عاد إلى منزله بمنتهى الحرية وكأن شيئاً لم يكن.

○ في سنة ١٩٧٣ توفي روجر هوليس أثر نوبتين قلبيتين، وهو بالطبع عالم بما كان يدور حوله من شبهات من اصرار الكثيرين على اثبات هذه الشبهات. وما كان لوفاته أن تنهي القضية. ومرة أخرى أثيرت قضية اتهام روجر بالجاسوسية حتى بعد وفاته وبقوة وبتحريض من رجال المخابرات البريطانية. وكان لا بد من تحقيقات جديدة تتناول التحقيقات السابقة كلها بدون استثناء في محاولة جديدة للبت بالموضوع. وفي سنة ١٩٧٤ قامت لجنة ثانية بعملية التحقيق بشأن التهمة الموجهة إلى روجر وابتدأت عملها بمقابلات مع الأحياء واعادة النظر بملفات التحقيق السابقة فأثبتت وجود عميل أو عميلين على الأقل في دوائر المخابرات البريطانية من غير تسمية. وقد استمرت تحقيقات هذه اللجنة وهي برئاسة اللورد تريند سنة كاملة، فشملت أعمال اللجان السابقة وملفات موظفين في مراتب مختلفة وتبين لها أن المخابرات

البريطانية كانت في الواقع مخترقة حتى النخاع، لكن تحديد الأشخاص لم يكن ممكناً. وإن القرائن لم تكن لتدين روجر على وجه القطع واليقين ودون أدنى شبهة.. كما أنها لم تكن لتبرئه. والملاحظ أن اللجنة قررت عدم نشر التحقيقات والملابسات. وفي رأي البعض أن تكليف اللورد تريند باجراء التحقيق كان يستهدف لفلفة القضية، والجدير بالذكر أن التقرير النهائي لم ينشر كله ولا يسمح بنشره حتى سنة ٢٠٠٤ م أي بعد انقضاء ثلاثين عاماً على اجراء التحقيق حسب القوانين البريطانية.

○ بعد هذا كله يجب أن نتساءل : هل نجح الخصوم باثبات التهمة على روجر وهل هو حقاً عميل مزدوج؟ وهل أدّت التحقيقات للوصول الى الرجل الخامس في الحلقة؟ وهل انتهت الاختراقات حقاً؟ لقد ذكرنا في هذا الفصل العجيب جميع القرائن التي تشير بأصابع الاتهام، مباشرة أو غير مباشرة. ولكن اللجنة لم تستطع أن تعتبر ذلك كله كافياً للادانة والاثبات. إن العناصر التي يمكن الاستناد اليها لادانة روجر تتلخص بعدة نقاط أبرزها :

أولاً : اعترافات بعض رجال المخابرات السوفياتية الذين لجأوا إلى الغرب.

ثانياً : وجود روجر في مركز يستطيع معه أن يعرف كل شيء ومعرفة السوفيات بالتالي بالكثير مما كان يدبر للسفارات السوفياتية.

ثالثاً : معارضة روجر للتحقيقات الموسعة عند ظهور شبهات في هذا المجال.

رابعاً : روجر لم يذكر صداقاته وعلاقاته القديمة وحتى عنوان منزله وهذا منتهى الدهاء.

خامساً : امتناعه عن تقديم العملاء السوفيات لدى اعتقالهم إلى القضاء.

سادساً : امتناعه أيضاً عن اتخاذ التدابير المتوقعة في حالات معينة.

كل ذلك مما زاد الشك به. ولعل أبرز « مبرر » لاتهامه هو أن المخابرات البريطانية لم تستطع أن تحقق أية نجاحات في مكافحة الجاسوسية والمخابرات السوفياتية أثناء إدارته للمخابرات البريطانية، بالمقارنة مع النجاحات التي تحققت في هذا المجال « بعد استقالته » كل ذلك كان يدفع بالتأكيد الى عمالته للمخابرات السوفياتية.

○ رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر قالت إن مبرر إجراء التحقيقات بشأن السير روجر هوليس حتى بعد وفاته كان لوجود دلائل، لا اثباتات، تشير إلى وجود عميل روسي في مركز عال في المخابرات البريطانية.وقد اعتبرت صحيفة « التايمز » اللندنية هذا التصريح من تاتشر اعترافاً رسمياً بشكوك خطيرة حول السير روجر هوليس، لم يؤد التحقيق إلى نفيها. وهكذا تنتهي هذه القصة العجيبة عن الجاسوسية والمخابرات والتي كان من الممكن أن لا يصدقها أحد لولا البراهين والحقائق التي قدمناها بين يدي القارئ كعادتنا في هذه الكتب عن أعمال المخابرات في العالم.



قصر وست مينستر.



تاتشر تعترف بتجسس روجر.

أضخم فضيحة تجسس في بريطانيا



○ بلاء بريطانيا بالجواسيس العظام الذين يعملون للمخابرات السوفياتية.

○ مستشار الملكة اليزابيت جاسوس للمخابرات السوفياتية منذ ٢٥ سنة وبمعرفة المخابرات البريطانية.

○ المخابرات السوفياتية تعرف أدق الأسرار عن العائلة المالكة البريطانية وجميع الأمور السياسية الهامة في بريطانيا.

○ أصيب الأمن البريطاني ومن ورائه المخابرات البريطانية بأضرار فادحة نتيجة هروب كل من دونالد ماكلين وجاك بيرغيس وجورج بليك وأهمهم كيم فيلبي وغيرهم من الجواسيس المزدوجين إلى الاتحاد السوفياتي، ومن هذه الأضرار كشف عشرات الجواسيس الذين زرعتهم المخابرات البريطانية والغربية في بلدان الكتلة الشرقية واعدام بعضهم نتيجة كشفهم ومن ثم توقف حصول المخابرات البريطانية على

المعلومات عن الدول الشرقية وخاصة الاتحاد السوفياتي لمدة طويلة حتى تمكنت المخابرات البريطانية والغربية من زرع بعض العملاء الجدد لكنهم لم يكونوا بأي حال أحسن من العملاء الذين كشفوا. ومع ذلك « بقيت ثغرة » في بريطانيا تتسرب منها المعلومات الى الاتحاد السوفياتي فأثيرت الشكوك حول « السير أنطوني بلانت » مستشار القصر الملكي في لندن وهو بنفس الوقت مستشار الملكة اليزابيت الفني. ولكن أحداً لم يستطع إظهار هذه الشكوك من القلب إلى العلن حتى عام ١٩٧٩ حين قامت المخابرات البريطانية بتكليف القاضي ستيفن بلوك وهو من القضاة البريطانيين المتمرسين في عملهم بالتحقيق في هذه « الشكوك ». وقد اصطدم هذا القاضي في كل مرة كان يطلب فيها المستشار أنطوني بلانت للتحقيق معه حول الشكوك به، بصدور أوامر ملكية من القصر الملكي بالذات باقفال ملف التحقيق. وكان يقال تلميحاً عن القصر بأن سبب إقفال التحقيق بأوامر ملكية هو لسدّ الطريق على الاشاعات التي ستطلق حول المستشار بلانت فيما لو خضع للتحقيق أو اعتقل لأن هذه الاشاعات كانت ستخترق « حزام العفة » الذي يحيط بأسرار العائلة المالكة البريطانية، وكان بعض الذين يقفون وراء أنطوني بلانت ويحبونه عن غباء ودون علمهم أنه يعمل قبلاً للمخابرات السوفياتية، يصورون للملكة بأن « أعداء التاج البريطاني » يراهنون على انهيار الملكية في بريطانيا من وراء مثل هذه الادعاءآت. ولكن الصحف البريطانية التي تبحث عن الأسرار والفضائح الحقيقية لتقديمها إلى ملايين القراء أكدت أن الملكة اليزابيت تعلم منذ عام ١٩٧٥ بنشاط « مستشارها » الذي كان يتخد من البلاط الملكي فترة ذهبية يختبئ وراءها، ولكن الملكة لم تفعل شيئاً تجاه بلانت لأنها كانت مقتنعة بأن مستشارها فنان يتعاطف فقط مع الفنون السوفياتية، وأن المسألة لا تتعدى كونها « تعاطفاً وجدانياً » يمتلكه فنان حيال أوضاع معينة. ومع ذلك حاول رجال المخابرات البريطانية إيجاد تفسيرات مغرضة وسيئة ضدّه ولكن

عندما يجد ضابط المخابرات مهما كانت رتبته بأن الملكة شخصياً « تحمي » مستشارها المتورط وتنفي عنه تهمة التجسس... فماذا يفعل...؟

السقوط :

● من المعروف أن أي جاسوس مهما كان بارعاً في عمله ومتستراً وراء منصبه « لا بد من سقوطه يوماً » ولا بد من أن تضع المخابرات يدها على كتفه « تفضل معنا ». إلاّ إذا تدارك الأمر وهرب إلى البلد الذي يتجسس له كما فعل الجواسيس الذين ذكرناهم في أول هذا الفصل. وخير دليل على ذلك إلقاء المخابرات الألمانية الغربية القبض على الجاسوس العقيد « غونترغيوم » الذي وصل بتجسسه للمخابرات الألمانية الشرقية إلى مرتبة السكرتير الأول « مدير مكتب المستشار الألماني الغربي فيلي برانت — في حينه ». الذي لم يتمكن من الهرب فاعتقل وهو على رأس عمله مما سبب استقالة المستشار الألماني بالذات من منصبه الرفيع واعتزاله السياسة.

وأنطوني بلانت الذي نسلط الضوء على قصته كان يتعامل مع نفس المخابرات البريطانية قديماً وقد استخدمته هذه المخابرات رغم معرفتها بكونه ماركسي النزعة، بل ولم يكن ماركسياً عادياً في جامعة كمبريدج فقد قاد « موضة الشيوعية » التي تفشت في حينه. كما أن المخابرات البريطانية التي كانت تأمل منه الكثير تغاضت عن « الشذوذ الجنسي » الذي كان يمارسه بلانت. وكان بلانت قد أعلم كيم فيلبي الذي كان يشغل منصباً مماثلاً في المخابرات البريطانية عن الشكوك التي أحاطت بزميلي الدراسة الجامعية جاك بيرغيس ودونالد ماكلين مما جعله ينصحهما بالهروب « أي فيلبي » لكي لا يقعا في قبضة المخابرات البريطانية وهكذا كان. وقد استمر بلانت في العمل لصالح الفرع (أم —

أي ــ ٥) حتى قبلت استقالته لينتقل للعمل « مستشاراً فنياً » في قصر برمنغهام وليكون عمله الاشراف على المجموعة النادرة من التحف والآثار التي كانت بحوزة الملك جورج السادس.والسبب المباشر لموافقة القصر الملكي على منحه لقب (مستشار) هو كونه مؤرخاً فنياً عالمياً.

ومن أهم أعماله الفنية دراسة لوحات الفنان نيقولا بوسان ووضعه كتاباً شيقاً عنها دلّ على وجود تعاطف داخلي شديد بين بلانت وبين بوسان صاحب الشخصية المليئة بالمتناقضات والشكوك عدا عن كونه من ألمع مؤرّخي الفن في العالم حتى أن الجامعات الأجنبية كانت تعتمده كمرجع أول في عمليات تقييم النظريات والأعمال الفنية. وقد وجد في بريطانيا بلد المتناقضات « من يقول » : إن المخابرات البريطانية نفسها هي التي « زرعت » بلانت في القصر الملكي لتبقى على اطلاع تام ومعرفة « خبايا القصر الملكي » وإن هذه المخابرات كانت تعرف بأن بلانت يتعامل مع المخابرات السوفياتية بتأثير المراهقة الفكرية وإن المخابرات البريطانية أيضاً عادت وأقنعته « بوصل » الخيوط مع موسكو وذلك بالاتفاق مع شريكتها المخابرات المركزية الأميركية التي تقاسمها مثل هذه الأعمال.ولكن بلانت الذي كان يخدم المخابرات السوفياتية عن (عقيدة راسخة) وجد هذه الفرصة مؤآتية لأنه كان منذ نشأته يكره الأنظمة الرأسمالية والملكية خصوصاً. وبعد أن أصبح فناناً مرهف الحس زادت كراهيته لهذه الأنظمة، ووجد في العقيدة الشيوعية راحة نفسه واستقرارها، فأخذ يزوّد الانتلجانس سرفيس « قبل استقالته » بمعلومات (خاطئة) سواء عن القصر أو عن العملاء السوفيات. بينما كان يزوّد المخابرات السوفياتية بمعلومات (صحيحة) وقد رأى أن هذه خير وسيلة لتحطيم الملكية من الداخل.

○ الكاتب البريطاني الشهير « أندرو بويل » بقي سنوات طويلة وهو يتقصى أعمال المخابرات البريطانية وعملائها في الداخل والخارج.وعندما

تجمعت لديه معلومات مذهلة عن هذه المخابرات وكيف تعمل أصدر كتابه الشهير (مناخ الخيانة) الذي كشف به شبكة جاسوسية مؤلفة من خمسة وعشرين عميلاً وعلى رأسهم المستشار أنطوني بلانت الذي أثبت أندرو أنه عميل للاتحاد السوفياتي... وكان بلانت من الذكاء بحيث هيأ نفسه لمثل هذه الفضيحة المرتقبة فحبس نفسه في مكتبه بالقصر الملكي تاركاً الأمور بين يدي الملكة. عند ذلك أسقط في يد الملكة فاستدعت مارغريت تاتشر رئيس الوزراء وعقدت معها اجتماعاً مغلقاً توجهت تاتشر بعده إلى مجلس العموم البريطاني الذي انعقد في جلسة مغلقة أيضاً وصرحت أمام الأعضاء: « إن السير أنطوني بلانت (المستشار الفني للملكة) كان يعمل لحساب المخابرات السوفياتية ». بينما كانت الملكة تستمع الى اعتراف رئيسة وزرائها بتجسس بلانت وعيناها تدمعان لدى سماعها ذلك، ولكن هل تكفي هذه الدموع لطي دور الملكة في هذه القضية ،لأنه من الثابت من التحقيق فيما بعد أن بلانت سبق أن أخبر سكرتير الملكة بعمالته للمخابرات السوفياتية بحكم كونه صديقاً له وان هذا السكرتير أبلغ الملكة بذلك.ومع هذا فإن الملكة تجاهلت الموضوع وكأن بلانت قد ارتكب « مخالفة سير » ولم يرتكب « الخيانة بحق وطنه » بحيث علم البريطانيون من صحفهم أن جميع أسرارهم وأسرار ملكتهم قد ذهبت الى المخابرات السوفياتية على طبق من ذهب.. ومع ذلك باعتقادنا كخبراء في هذه الأمور التي تحدث في أغلب دول العالم أن هذه القضية طويت بعد أن منح أنطوني بلانت « حصانة ملكية » مثلما طويت قضايا غيره من الجواسيس العظام.ولو أن قضية مثل هذه القضية قد حصلت في أيّ بلد آخر لدفعت نظام ذلك البلد للسقوط ولكن في بريطانيا كم من الأمور تطوى بهذا الشكل حيث أصبح المجهول في قضية هذا الرجل أكثر من المعلوم. ولعل هذه هي المرة الأولى التي تطرح فيها قضية جاسوس من هذا الحجم « في حضوره » أي دون أن يكون قد فرّ كفيلبي أو مات كروجر. وأهم ما في هذه القصة عن الجاسوس.

بلانت الذي اعترف عن تجسسه للمخابرات السوفياتية وأعطي حصانة كما ذكرنا لقاء هذا الاعتراف. وبالتالي لم تتمكن المخابرات البريطانية من تقديمه للمحاكمة، فعاد للعيش كإنسان مثقف وفنان. ومع ذلك أخذ بعض السياسيين البريطانيين الذين هزّتهم الفضيحة يحاولون نبش تهمٍ أخرى غير التي اعترف بها. قد دفع هؤلاء السياسيون بعض الصحافيين البريطانيين لاستجواب بلانت في مبنى صحيفة « التايمز » اللندنية المعروفة، حيث قَبِل بلانت التعرض لهذا الاستجواب بروح رياضية لأنهم صحافيون وليسوا مخابرات.



الجاسوس غونتر غيوم بجانب المستشار فيلي برانت.



تاتشر أبكت الملكة باعترافها بتجسس بلانت.



أنطوني بلانت جاسوس بحصانة.



تبديل الحرس في القصر الملكي

ثلاثة صحافيين يستجوبون الجاسوس بلانت
وهذا أهم ما ورد في الاستجواب

○ تقول أنك أخذت اجازة سنة من جامعة كامبريدج، أين قضيت هذه السنة ؟

— في روما حيث وضعت دراسة حول الأمور الهندسية. أجل لقد قضيت ذلك العام بين روما وجنوب المانيا.

○ لقد طرحت عليك هذا السؤال لأن البعض يقول أنك ذهبت إلى روسيما للقاء غي بيرغيس العميل الذي فر إلى الاتحاد السوفياتي مع دونالد ماكلين.

— لقد ذهبت فعلاً الى روسيا في اجازة ولكن ليس للقاء بيرغيس الذي لم يكن قد فر أصلاً الى موسكو. إنما كانت تلك رحلة سياحية عادية نظمتها وكالة « أنتوريست » وقد ذهبت إلى هناك برفقة بعض الماركسيين واليساريين المتحمسين.

○ هل لك أن تحدد لنا بالضبط التاريخ الذي أقنعك فيه بيرغيس بالعمل للسوفيات؟.

— لا، لا يمكنني بالتحديد. لكني أعتقد أن ذلك تمّ في أوائل ١٩٣٦.

○ قلت أن نشاطك في ذلك الوقت كان لمناهضة الفاشية، فهل كانت مهمتك انتقاء المؤهلين للعمل مع المخابرات السوفياتية ؟

ـــ نعم.

○ كم رجلاً اخترت للعمل في هذا المجال ؟

ـــ إنني لا أستطيع الافصاح عن ذلك وفقاً للقانون المتعلق بأسرار الدولة.

○ خلال تلك الفترة، هل كنت تعرف أن بيرغيس وماكلين لا يزالان يعملان للمخابرات السوفياتية ؟

ـــ أجل.

○ كيف حدث ذلك ؟ كيف توصلت إلى معرفة وضع بيرغيس وماكلين ؟

ـــ عن طريق كيم فيلبي.

○ متى حدث ذلك ؟

ـــ بعد عودة ماكلين من أميركا وقبل فراره إلى موسكو بعشرة أيام.

○ هل أن ماكلين هو الذي أخبرك بأن فيلبي أطلعه على قرب انكشاف أمره وبيرغيس ؟

ـــ أجل.

○ ألم تشعر آنذاك أن من واجبك اطلاع المخابرات ؟

ـــ لا، لأنهم كانوا أصدقائي.

○ لقد قلت في بيانك الى الصحافة أنك أجريت اتصالاً مع الروس لحساب بيرغيس.

ــ أجل وكان ذلك بعد ذهاب ماكلين. وقد أمرت في ذلك الوقت أن أذهب الى روسيا لكنني لم أذهب.

○ إنك تستخدم كلمة أوامر. ماذا تقصد بذلك ؟ فأنت تقول أنك لم تعمل لحساب المخابرات السوفياتية بعد الحرب ؟

ــ الحقيقة أنني لم أقطع معهم العلاقة رسمياً.

○ إنك تقول أنك لم تتصل بهم خمس أو ست سنوات، فماذا كانوا يعتقدون أنك كنت تفعل خلال هذه الفترة ؟

ــ أعتقد أنهم كانوا يظنون أنني لا أزال معهم.

○ هل كان بيرغيس هو الذي دعاك لكي تعمل مع هؤلاء الناس ؟

ــ نعم.

○ هل كان ذلك لأنك كنت آنذاك في كلية « ترينتي » وتمثل نوعاً من النموذج لجيل من الخريجين ؟

ــ إلى حد ما. ولأنني كنت أسكن في كامبريدج.

○ ماذا كنت تعمل عندما جئت الى لندن ؟

ــ لقد حصلت على عمل في معهد « واربورد ».

○ هل كنت لا تزال تمارس آنذاك مهمة اختيار العملاء للمخابرات السوفياتية ؟

ــ لا.

○ إنني لا أدري كيف ينطبق قانون أسرار الدولة على الافصاح عن عدد أولئك الذين اخترتهم للعمل مع المخابرات السوفياتية ؟

ــ أجل أعتقد أن ذلك ينطبق على هذا القانون.

○ أريد أن أكرر بأن لا يعتبر قانوناً سرياً ما هو ليس معلومات حكومية، فهل أفهم من ذلك أنه طلب منك ألّا تكشف النقاب عن تلك الأسماء ؟

ـــ حسناً. ألا يعني لكم أنني قد كشفت عن هذه الأسماء للمخابرات وبالتالي أصبحت (سراً) من أسرار الدولة.

○ هل بحثت هذا الأمر مع المخابرات وهي التي قررت لك ماذا تستطيع أن تفشي من الأسرار وماذا لا تستطيع، وبالذات مع السير روبرت أرمسترونغ الوزير الأول المسؤول عن هذه القضية ؟

ـــ لا. إنني أفعل ذلك حسب فهمي لقانون أسرار الدولة.

○ هل كان بيرغيس الرابط الوحيد بينك وبين المخابرات السوفياتية ؟

ـــ لقد كنت أعرف أيضاً بوجود فيلبي وماكلين.

○ هل كانت علاقتك الوحيدة مع المخابرات السوفياتية ؟

ـــ نعم.

○ ألم يكن هناك رجل أو عميل أو رسائل أو اي شيء من هذا القبيل ؟

ـــ لقد أصبحت في النهاية على اتصال شخصي بالمخابرات السوفياتية.

○ على ما نعتقد هناك من يقول أن المخابرات البريطانية رفضت طلبك للعمل معها.

ـــ نعم. لقد قبلت ثم رفضت من المسؤولين أنفسهم، ومن ثم انضممت للجيش.

○ علمنا أنك ذهبت الى فرنسا، ثم عدت منها وانضممت الى المخابرات، كيف تقدمت بالطلب وهل رتَّب لك احدٌ ذلك؟

ـــ فعلاً لقد تمّ ذلك ببساطة، فقد أوصى بي أحد العاملين في المخابرات.

○ هل لك أن تسمي هذا الشخص ؟

ـــ أفضل ألّا أفعل.

○ هل كان ذلك الشخص نظيفاً ؟

ـــ تماماً.

○ عندما قبلت في المخابرات هل دققوا في أمرك قبل قبولك ؟

ـــ أعتقد أنهم فعلوا ذلك بالطريقة الروتينية.

○ هل لأن الجميع كانوا مشغولين في ذلك الوقت ؟

ـــ أعتقد أن الأمر كذلك.

○ الأرجح أن الرجل الذي ذكاك للعمل في المخابرات كان يعرف ميولك العلنية السابقة.

ـــ نعم.

○ عندما كنت تعمل مع المخابرات السوفياتية، إلى من كنت تقدم المعلومات ؟ هل كنت تقدمها إلى عميل أو الى أحد أصدقائك الانكليز العملاء ؟

ـــ إلى الاثنين معاً.

○ إذن لقد التقيت العميل، هل كان روسياً ؟

ـــ نعم كان روسياً.

○ هل كان من موظفي السفارة السوفياتية في لندن ؟
ـــ أعتقد ذلك.

○ أين التقيتما ؟
ـــ حسناً، إنني أعتقد مرة أخرى أن هذه الأشياء يجب عدم ذكرها.

○ أي نوع من المعلومات كنت تقدم ؟
ـــ تقريباً لا شيء مهم. ففي تلك المرحلة كنت في قطاع غير مهم اطلاقاً ـــ قطاع لم يكن يمكنني من الحصول سوى على القليل من المعلومات ـــ كان نوعاً من القطاعات الروتينية جداً.

○ بعد ذلك أي نوع من المعلومات كنت تعطيهم ؟ الأرجح أنك كنت قد أصبحت في منصب أعلى آنذاك.
ـــ أجل كنت قد ترقيت. لم يكن منصباً رفيعاً جداً وإنما كنت في وضع يمكنني من الاطلاع على الكثير من المعلومات الهامة.

○ هل كان جهاز « أم. أي. ٥ » من المخابرات البريطانية في ذلك الوقت مهتماً بالنشاط السوفياتي في بريطانيا ؟
ـــ نظرياً أجل. وكان هناك « فرع » من الجهاز عمله تتبع النشاط السوفياتي والحزب الشيوعي البريطاني، لكنه كان فرعاً عادياً جداً وغير دقيق.

○ هل كانت لديك معلومات سوفياتية حول هذا الموضوع ؟ ذلك لأننا نعتقد أنه كان هناك بعض القلق من النشاط السوفياتي في بريطانيا والأرجح أنك قدمت للمخابرات السوفياتية مثل هذه المعلومات.
ـــ لو توافرت لديّ مثل هذه المعلومات لكنت قدمتها فعلاً، ولكنني لا أذكر ذلك.

○ إن الكثيرين من رفاقك في كامبريدج وغيرها تخلُّوا عن الشيوعية. لكنك لم تفعل. ماذا كنت تشعر آنذاك ؟

— حسناً إنني لم أفعل لأن حجتي كانت ببساطة آنذاك قوية.

○ هل استمروا مهتمين بك ؟ هل كانت لديك اتصالات مستمرة معهم ؟

— لا أعتقد. ولكنني لم أكن في مكانة تخولني من إعطائهم أية معلومات مهمة. وثمة من يقول أنني اطلعت على أوراق سرية في قصر باكنغهام، ولكن هذا بالطبع هراء.

○ لقد قيل أيضاً أنك استمريت في العمل معهم على أيّ حال، وإنك كنت صلة الوصل بين بضعة عملاء للمخابرات السوفياتية ؟

— إن ذلك غير صحيح مطلقاً.

○ كيف توقفت عن العمل والاتصال مع المخابرات السوفياتية ؟

— ماذا تقصد، في أية مرحلة ؟ في نهاية الستينات. حسناً، لقد حصل ذلك. لقد تيقنوا أنني لم أعد مهماً بالنسبة لهم في حينه.

○ إن اسم العميل غي بيرغيس لا يكف عن الظهور. إنه أحياناً يصوّر كسكير وأخرى كشاذ جنسي ومتوحش وما الى ذلك. ويبدو أنه لعب دوراً بالغ الأهمية. كيف تقيّم أنت زميلك بيرغيس؟

— كان بيرغيس شخصاً ممتازاً جداً وكان اكثر اللامعين بين رفاقه الجامعيين. ودعني أشدد وهذا من واجبي بأنه كان من أذكى الرجال الذين عرفتهم.

○ إلى أي مدى كانت إتصالاتك مع الأعضاء السابقين في المخابرات ؟

ـــ لم يكن لي أية اتصالات سوى أنني كما أعتقد كنت ألتقي من حين الى آخر بواحد أو اثنين « على كأس » ولم يكن لي أي اتصال رسمي بهم من أي نوع.

○ اذكر أنني قرأت في مكان ما أنك كنت تلتقي بالسير « ديك وايت » الذي كان يحتل مركزاً رفيعاً جداً في المخابرات البريطانية ؟

ـــ أجل لقد عرفته. لقد كان السير ديك وايت رئيسي المباشر، إلاّ أنني لم ألتقه سوى مرات قليلة. لقد التقيته طبعاً خلال التحقيق، وبعد ذلك لم أعرفه شخصياً بصورة حسنة... وهو لم يكن من الرجال الذين لهم نشاط اجتماعي.

○ متى ابتعدت عن السوفيات أي عن المخابرات السوفياتية بشكل عملي ؟ هل كانت هناك نقطة حاسمة بالنسبة إلى ذلك ؟

ـــ أجل لقد شعرت بوضوح أنني أردت العمل، بعد أن أعطيت « الوظيفة الملكية » فابتعدت عن الجاسوسية.

○ هل خطر في بالك آنذاك أنه بسبب ماضيك قد يكون بعض الاحراج للتاج ؟

ـــ أعتقد أنني في ذلك الوقت اعتقدت أن الأمر لن ينكشف على الاطلاق.

○ إذاً الاحراج لم يخطر ببالك؟

ـــ الواقع أنني نظرت إلى المنصب كمستشار فني للملكة هو ضمن نطاق اختصاصي الفني الأكاديمي فعلاً، وقد كان مهماً بالنسبة لي لأنه كان في مقدوري القيام به.

○ هل أن المخابرات أعطتك الضوء الأخضر للوظيفة ؟

ـــ أجل.

○ هل أخبرت الذين حققوا معك قبل إعطائك الوظيفة عن رفاقك القدامى ؟

ـ أجل. لكنني أخشى أنه ليس في استطاعتي أن أجيبك على هذا السؤال بوضوح.

○ تقول في بيانك أنك استجوبت ١١ مرة. ماذا كانت طبيعة تلك الاستجوابات، هل كانت استجوابات بالمعنى الكامل للكلمة، أو كانت مجرد لقاءات وأسئلة حول كأس ؟

ـ قبل كل شيء إن الرقم (١١) لا يعني لي شيئاً في هذا المجال. ثانياً، إن معظم هذه الاستجوابات جرت نتيجة لهروب ماكلين وبيرغيس وكانت تلك الاستجوابات في معظمها عبارة عن محادثات مريحة وفي منتهى الصراحة، لكن كان واضحاً في أيّ حال أني كنت موضع شبهة.

○ هل أن زملاءك السابقين هم الذين أجروا معك هذه التحقيقات ؟

ـ أجل لقد أجراها أناس التقيتهم في لندن، ولكن لم أكن صديقاً لهم.

○ في تلك المرحلة كنت في حالة نفسية قلقة ومع ذلك فقد قطعت مرحلة الاستجواب بهدوء ورباطة جأش ؟ كيف فعلت ذلك ؟

ـ لست أدري، وعلى كل حال لعل المرء ينمي في نفسه شيئاً من المقاومة في مثل هذه الحالات.

○ لقد كان أولئك الذين استجوبوك اناساً تعرفهم. وهذا يعني أيضاً أنهم عملوا معك في المخابرات نفسها ؟ فهل كانوا يعتقدون أنك مذنب ؟

ـ أعتقد أن البعض ظن أني مذنب، أمّا البعض الآخر فلا.

○ عندما أنعمت الملكة عليك بلقب « سير » وهو أمر كما تعرف

من شأنها وحدها ولا حاجة بها للعودة إلى رئيس الوزراء فيه، هل خطر لك آنذاك أن مثل هذا اللقب يجعلك في مكانة رفيعة بحيث أن أي انكشاف لأمرك قد يحرج التاج بعد تلك الاستجوابات ؟

ــ لا. لقد اعتقدت خطأً أن المسألة قد انتهت.

○ هل أصبحت بعد ذلك متفقاً تماماً مع النظام البريطاني ؟

ــ نعم.

○ إن عدداً كبيراً من الناس يتحولون من اليسار الى اليمين وقد أصبحوا إما كاثوليك وإما يمينيين متطرفين. فإلى أي الفريقين تنتمي؟

ــ أنا لا أنتمي لأي من الفريقين، وأعتقد أن الطريقة البريطانية في الحياة الدستورية البريطانية هما الأفضل.

○ لماذا تقول ذلك، هل هي أفضل من النظام الأميركي ؟

ــ دعنا لا ندخل في ذلك. لا علاقة لهذا بذلك.

○ هل لا تزال اذن تحمل شيئاً من العداء نحو الأميركيين ؟ إن ذلك كان معروفاً عنك كما تدري.

ــ لا. كنت سابقاً في حالة حقد وخوف وهستيرية خوفاً من أن تقحم المخابرات الأميركية نفسها في التحقيق.

○ هل قررت الاعتراف بماضيك قبل أن تمنح « الحصانة » أو بعدها ؟

ــ لقد حدث الأمران في وقت واحد تقريباً.

○ هل تعني أنهم عرضوا عليك الحصانة عندما جاءوا لبحث أمر التحقيق معك ؟

ــ نعم.

○ هل لك أن تصف لنا كيف وقعت تلك الأحداث ؟ إن كل شيء يبدو أنه انتهى فماذا حدث ؟

ـ أعتقد أن هذا شيء لا يمكنني الدخول في تفاصيله. لكنهم جاءوا إليّ ببعض المعلومات التي أظهرت لي أنهم كانوا « يعرفون الكثير عني ».

○ أعتقد أنك قلت في الحديث التلفزيوني أن هروب كيم فيلبي هو الذي جعلك تشعر بالتحرر من ولائك لأصدقائك، هل هذا صحيح ؟ وأعتقد أنك قلت أيضاً أن الذي حررك هو الأفعال وليس أقوال أصدقائك.

ـ أجل لقد قلت هذا وهو صحيح.

○ هل أن المعلومات التي حملها إليك جهاز المخابرات كان مصدرها جواسيس هربوا أم من زملاء سابقين؟

ـ لم تكن من الهاربين.

○ وهذا يعني أنها جاءت من زملاء سابقين ؟

ـ أجل، إنها من زملاء أو أصدقاء في المخابرات البريطانية.

○ لقد أدلى فيلبي باعتراف، هل للمرء أن يعتقد بأن الاعتراف الذي أدلى به هو الذي كشف أمرك بحيث تغير الوضع كلياً ؟

ـ لا أعتقد.

○ هل لك أن تعرف مصدر تلك المعلومات، هل أتت من روسيا أم من هذا البلد ؟

ـ إن هذه النقطة كما ترى شيء رئيسي، إنني لا أستطيع أن أفصح عن أي شيء من هذه الناحية.

○ هل أن المعلومات التي أعطيتها للمخابرات البريطانية واعترافك كانا من الأهمية بعد مضي كل هذه السنوات ؟

ــ أجل، لقد اعتبروها مهمة. فقد رأوا برغم أن الزمن قد مرّ عليها أنها منطلق لأبحاث جديدة تؤدي إلى مواضيع جديدة.

○ هل لنا أن نسألك من الذي جاء بالتحديد إليك في هذا الموضوع ؟

ــ كان عضواً بارزاً في فرع (أم ــ إي ــ ٥).

○ هل كان رجلاً تعرفه ؟

ــ أجل كنت أعرفه ولكن ليس جيداً.

○ هل هو المحقق في المخابرات « فيك سكدرون » الذي استجوبك ؟

ــ لا.

○ إذا هل هو المحقق « هولس » ؟

ــ لا. اني آسف لا أستطيع التذكر تماماً. إني أتذكر اسمه الأول ولا أتذكر اسم عائلته.

○ إن السؤال الذي طرحه المهتمون وننقله للقراء هو أنك رجل ارتكبت « خيانة » ضد بلدك بريطانيا، ثم غيّرت رأيك بعد ذلك ولكن بعد أن ارتكبت الجريمة، ويستغرب الكثيرون أن تعطى « الحصانة » بعد أن تكون قد أدليت باعترافك، فهل كان ذلك لأن المعلومات التي أعطيتها ذات قيمة؟

ــ أجل أعتقد أن ذلك كان الدافع. وأعتقد أنهم شعروا بأنني إذا أُعطيت الحصانة فمن الواضح أني أتعاون معهم. ولكني لا أعرف إذا

كانوا قد اعتقدوا أنني سأكون كعميل مزدوج. وإن اعتقدوا ذلك فانهم كانوا على خطأ.

○ هل حاولوا استخدامك كعميل مزدوج ؟

ـ لا. ربما لأنه لم يكن لديّ أية وسيلة لمثل هذا العمل.

○ هل عرضوا عليك الخيار (هذا السؤال مكرر من صحافي آخر) أن تعترف ثم تعطى الحصانة أم ماذا؟

ـ لا، لأن ما فعلت كان بكل بساطة اعترافاً مباشراً.

○ ماذا تفهم الآن عن شروط تلك الحصانة ؟ وكيف فهمتها في ذلك الوقت ؟

ـ لقد فهمتها ولا أزال أفهمها كونها تعني الحصانة التامة من التقديم إلى المحاكمة.

○ أي أنها لا تشمل النشر في الصحافة وكتب المخابرات ؟

ـ لا، لا أعتقد أن ذلك ممكنٌ من الناحية القانونية.

○ لكنك اعتقدت ذلك لبعض الوقت ؟

ـ لقد اعتقدت في الواقع أن القضية كلها ستبقى طيّ الكتمان داخل جدران بناء المخابرات.

○ عرضت عليك هذه الحصانة بتخويل من فرع (أم ـ إي ٥)؟

ـ لقد كنت تحت انطباع قوي، بل أني أخبرت بالواقع أنها عرضت بناء لطلب سلطة عليا.

○ ماذا تعني بـ« سلطة عليا » ؟

ـ لا أريد أن أحدد هذه الأشياء ولكن انطباعي الشخصي أن الذي

أعطى التحويل هو رئيسة الوزراء، غير أني لا أريد أن أؤكد ذلك لأن رؤساء الوزراء يقولون أنهم لا يعرفون على ما يبدو. وربما أنني كنت على حق.

○ هل جاءتك الحصانة ضمن نطاق المفاوضات، أم كصفقة شاملة واحدة ؟

ــ لقد جاءت كذلك، والواضح أنه كانت هناك محادثات قبل ذلك ولكن ليس معي.

○ هل عرضت عليك على أساس أنها مسألة لها سوابق مماثلة وأنهم أقدموا عليها في حوادث سابقة ؟

ــ لا.

○ ألم يقولوا لك بأننا سوف نعطيك الحصانة ؟ وإننا مستعدون بأن نفعل ذلك بالنسبة إلى الآخرين من الذين كانوا أصدقاء لك ؟

ــ لا، كل ما حدث أنه عرضت عليّ أنا الحصانة فقط على حدّ علمي هـذا لم يحدث مع غيري.

○ هل فهمت آنذاك أن الملكة اطلعت على الأمر ؟

ــ حسناً، إنها مسألة أخرى أشعر أنني لا أعرفها تماماً. ففي حينه لم أعرف أي شيء، لكنني أبلغت فيما بعد بأن الملكة كانت مطلعة على الأمر. وكان هذا انطباعي دائماً.

○ إذن إن سكرتير الملكة كان قد علم بالأمر ولكنه قرر بمبادرة منه أن يطلع الملكة ؟

ــ حسناً ولكن ليس في ذلك الوقت. وبعد ذلك تأكدت أن السكرتير الخاص قد عرف، سواء أخبر الملكة أم لا، فإني لا أدري.

○ لقد أكد بيان السيدة تاتشر رئيسة الوزراء، أن بقاءك في منصبك في القصر الملكي كان ضرورياً من أجل تأمين تعاونك مع السلطات ؟
ــ هل قالت ذلك حقاً ؟

○ لقد قالت ذلك مرتين.وورد ذلك في بيانها.
ــ كنت أجهل ذلك تماماً.

○ إن مسؤولياتك في القصر الملكي في ذلك الوقت كانت محصورة في التحف والصور الفنية، إذن أيّ نوع من الصلة كانت لك مع الملكة والناس القريبين منها ؟
ــ كانت صلتي قليلة جداً. فقد كانت مهمتي الرئيسية العناية باللوحات العريقة. وكان يفترض أن أحادث الملكة فقط في حال الاضطرار إلى قرار بشأن إعادة تعليق التحف، أو تغيير الديكور.

○ هل أزعجك انكشاف تعاملك مع المخابرات السوفياتية ؟
ــ بالطبع لقد أزعجني ذلك. وإنني لا أستطيع القول بأني اعتقدت في أية مرحلة بأن الحصانة تعني أن الأمر لن ينكشف، لا بصراحة. ولقد قيل بأني غضبت من السيدة تاتشر لأنها خرقت دورها في صفقة الحصانة لكن الواقع أني لم أقل شيئاً من هذا القبيل.

○ لقد قال أحد أصدقائك أنك أخذت تصبح أكثر راحة مع الناس وأكثر اطمئناناً، هل هذا صحيح ؟
ــ أجل، وقد ظهر ذلك جلياً عليّ. وكانت راحة كبرى لي أن أزيح هذا العبء عن صدري.

○ لقد قيل أن السبب الذي كشف أمرك ليس الصحافة ولا التلفزيون ولا كتاب المخابرات بل هم بعض أعضاء المخابرات الذين لم يكونوا راضين

عن الصفقة التي تمت معك على الاطلاق وهذا ما حملهم على فضح القضية.

ــ ربما وهذا ممكن . وقد اعتقدت بعض الوقت أن هذا محتمل، ولكن عندما قال أندرو بويل مؤلف كتاب المخابرات في لندن بأن اسمي قد أعطي له من قبل غولوريسز شعرت بأن ذلك كان تفسيراً كافياً. وهذا يعني أنه لم يكن هناك أي تسريب معلومات من الفرع (أم ــ إي ــ ٥)

○ هل كانت لك إتصالات مع أجهزة الأمن الأخرى أو مع أيّ مسؤول آخر حول إمكانية اجراء أي اتصال مع المخابرات السوفياتية أو حول أية معلومات أخرى ؟

ــ لقد استمرت المحادثات والتحقيقات من قبل المخابرات فقط ولفترة طويلة. وأعتقد أنهم كانوا يعدّون في كل مرة بعض الأسئلة.

○ أين تمّ ذلك. ثم هل أنهم كانوا يفرغونك من المعلومات بالمعنى العسكري للكلمة أو ماذا ؟ وهل تمّ ذلك خلال سلسلة من الاجتماعات ؟

ــ أجل تمّ ذلك في سلسلة من المحادثات التي جرت في مقر المخابرات حيناً وفي شقتي حيناً آخر.

○ من الذي كان يستجوبك ؟

ــ لا أعتقد أن ذلك مهم خصوصاً وأن زميلك قد سألني نفس السؤال وعلى كل حال إنه ضابط أحيل على التقاعد.

○ دعنا نطرح عليك سؤالاً عاماً جداً. قد يكون محرجاً بعض الشيء ولكن إذا نظرت إلى إناس مثل بيرغيس وماكلين (وليس فيلبي) ترى أنهم شاذون جنسياً ؟

ــ سبق أن دافعت عن ماكلين وأكرر الآن أنه لم يكن شاذاً جنسياً.



شارع السفارات في لندن مقصد الجواسيس



الجاسوس غاي بيرغيس
هل كان شاذاً؟



كيم فيلبي في شبابه



الجاسوس دونالد ماكلين
كان طبيعياً

○ إن الجواسيس الآخرين اشتهر عنهم أنهم شاذون جنسياً. أقصد هل هناك علاقة ما بين الشذوذ الجنسي وبين الخضوع لمهنة التجسس، هل أن «الشاذ» يفعل ذلك لأنه يشعر بأنه مرفوض من المجتمع ؟

ــ لا أعتقد ذلك، أعني أنه في هذه القضية بالذات فيلبي لم يكن شاذاً على الأطلاق، وماكلين كان طبيعياً إلى حد بعيد، لا أعتقد في حالات الخضوع للتهديد أنه قد استخدم الشذوذ مع غيرهم. لكن هناك أساليب أخرى لابتزاز الانسان من قبل المخابرات وتسخيره لخدمتها.

○ ألم تطلب أو تحاول استئناف الاتصال مع المخابرات السوفياتية بعد حصولك على الحصانة؟ أو بالأحرى بعد انتهاء التحقيق معك وهدوء الأحوال؟

ــ أبداً.

○ قبل ذلك هل جرت أية محاول لوصلك بأية دولة أخرى وراء الستار الحديدي ؟

ــ لا.

○ هل جرى تهديدك في أي وقت من قبل المخابرات السوفياتية أنك إذا لم تنفذ الأوامر فسوف تواجه مضاعفات. وبالأصح هل كان لهم أي ممسك عليك يستعملونه كنقطة ضعف ؟

ــ لا، وأعتقد أنهم كانوا يعرفون بأنني سوف أنفذ طلباتهم.

○ ألم يقولوا لك بأنهم قد يقتلونك ؟

ــ كلا.

○ لكنك في النهاية اعتقلت وأدليت بما لديك ؟

ــ أجل.

○ ماذا كان نوع المعلومات التي أدليت بها، هل أعطيت عدداً من الأسماء؟ من الواضح أنك عرضت تاريخ القضية كلها، لكن المخابرات كانت مهتمة بأسماء الذين كانوا باقين على قيد الحياة

ــ أجل، خصوصاً أولئك الذين كانوا يعملون مع المخابرات السوفياتية.

○ هل استطعت أن تعطي تلك الأسماء وضميرك مرتاح؟

ــ لا، لكني استطعت بخبرتي إعطاء بعض الأسماء دون أن يتعرضوا للأذى.

○ هل استطعت أن تحدد هوية عناصر المخابرات السوفياتية العاملين في هذا البلد ؟

ــ أجل.

○ كيف استطعت تحديد هوياتهم ما دمت لم تكن على اتصال بهم ؟

ــ هنا كان استعمالي للذكاء والخبرة. فقد كان الذين حددت هوياتهم من الذين كنت على اتصال بهم في البداية أي أني أعترف باتصالي بالمخابرات السوفياتية سابقاً استناداً لحصولي على الحصانة ولكن جميع الذين ذكرتهم كانوا قد غادروا لندن. أو أنهم لم يكونوا هنا.

○ هل حددت هوية أي بريطاني يتعامل مع المخابرات السوفياتية أو أحد معاصريك أو زملائك ؟

ــ إن ذلك ــ لا شك ــ كان من الاهتمامات القصوى بالنسبة إلى فرع (أم ــ إي ــ ٥).

○ سرت تكهنات كثيرة أخيراً بأن عدداً كبيراً من الناس هم في مثل

وضعك، البعض قدرهم بثمانية والبعض الآخر يقول عشرين.فما هو تقديرك لهذا العدد ؟

ــ هذا مجرد تكهن. وأعتقد أنه كان هناك عدد كبير من الناس الضالعين في العمل الجاسوسي وأنهم جميعاً توقفوا عن ذلك منذ فترة طويلة.

○ هل لا تزال أسير الرغبة في حماية أصدقائك القدامى في هذه القضية؟ لقد كنت شديد التحفظ حول البعض منهم.

ــ إن هذه المشكلة لم تعد قائمة.

○ هل نفهم من ذلك أن الأصدقاء الذين كنت تدين بالولاء لهم قد ماتوا جميعاً الآن، أو ذهبوا؟ ثم أن جميع اولئك الذي التقيتهم في جامعة كامبريدج قد ماتوا؟

ــ آسف لا أستطيع الاجابة على ذلك.

○ إنك قلت أنه كان هناك عدد كبير من الناس ضالعين في مثل هذا الأمر فهل كان هؤلاء في الخدمة العامة ؟

ــ أعتقد ذلك إلى حد كبير، لكني آسف إذ يجب أن ألتزم الصمت حول هذا الموضوع لأنني أتحدث الآن عن معلومات رسمية عامة.

○ لقد قلت في حديثك التلفزيوني أن حلقة كامبريدج كانت مؤلفة من بيرغيس، وماكلين، وفيلبي، وأنت ولم يكن أحد غيركم ؟

ــ لا.

○ ألا تعتقد أنه كان هناك عملاء آخرون في جامعة كامبريدج ؟

ــ لا، ليس في الوقت الذي تحدثت عنه.

○ لقد قيل أيضاً أن تلك المشكلة لم تكن قائمة في كامبريدج وحدها بل أن أشياء مماثلة حصلت في اكسفورد وجامعات أخرى.
ــ هذه مسألة لا أعرف عنها شيئاً.

○ لكن بالنسبة لتجربتك هل تعتقد أن هذا صحيح ؟
ــ اجل. إذا كنت تطلب مني مجرد التكهن، لا بد من إجابتك أن هذا صحيح.

○ لقد سئلت وأكرر عليك السؤال بالنسبة الى الكشف عن أمرك كخائن .كيف تشعر ؟
ــ من الصعب الرد على هذا السؤال، وأوضح في النهاية أني أصبحت مضطرباً بعد هذا السيل من الأسئلة التي لم تسألها المخابرات لي. أما بالنسبة لشعوري فلا أستطيع تقديم تعبيراً كافياً عنه ولا عما أشعر، إلا أنني « أشعر » وقد يبدو لكم ذلك غريباً، أني تصرفت وفقاً لضميري، أما كلمة « خائن » فهي من ضميركم أنتم فقط.

وهكذا تنتهي هـذه المقابلـة الصحافيـة « الاستجـواب » لجاسـوس القصر الملكي البريطاني « أنطوني بلانت » وقد تجرأ في نهاية هذه المقابلة واعترف لهم بأن اسئلتهم كانت أقوى من أسئلة المخابرات البريطانية أثناء التحقيق معه.ونحن نقول أن موضوع التحقيق معه واعترافه بالتجسس الصريح لصالح المخابرات السوفياتية وحصوله على حصانة حَمَته من إحالته الى المحاكمة كان من أغرب ما مرّ علينا.ومع ذلك يمكن أن يكون في ذلك مصلحة عليا لا نعرفها. إنها دنيا المخابرات. دنيا العجائب.



أضواء جديدة
على أعمال
الجاسوس البريطاني
كيم فيلبي
الخارقة

النهاية الطبيعيّة للجّاسُوس المُثقّف

كيم أخطر جاسُوس سُوفياتي

- - - - -

فيلبي ، بريطاني وُلِدَ في الهند وعاش
في بريطانيا والبلاد العربيّة وتوفي جنرالاً
في الجيش الأحمر

أضواء على أعمال ونهاية الجاسوس كيم فيلبي

○ لكل شيء نهاية ونهاية الجاسوس البريطاني المثقف المستر كيم فيلبي كانت في موسكو حيث أذاع القسم العربي من الاذاعة البريطانية في الساعة السابعة من صباح يوم الخميس الموافق ١٢ أيار (مايو) لعام ١٩٨٨ عن « وفاة » الجاسوس البريطاني كيم فيلبي في موسكو الذي هرب اليها بقصة أغرب من الخيال سبق أن نشرناها في الجزء الأول من كتاب (المخابرات والعالم) في الصفحات ١٠٦ إلى ١١٨. وبعد انقطاع خلال إصدار كتاب المخابرات والعالم — الجزء الثاني وكتاب ملف الثمانينات عن حرب المخابرات عن ذكر أي شيء من المعلومات التي توفرت لنا عن الأعمال والنشاطات التي لم تذكر في الكتب السابقة حتى لا نتَّهم بتكرار المواضيع ولكن وفاة هذا الجاسوس المثقف في موسكو عن ستة وسبعين عاماً حافلة بأعمال الجاسوسية والمغامرات النسائية. وها نحن نقدم أول حديث على لسان زوجته اليانور برور الأميركية الأصل التي سبق أن انتزعها من زوجها زميله الصحافي الأميركي سام بوب برور مراسل جريدة « النيويورك تايمز » في بيروت التي تحدثت بعد اختفاء زوجها كيم فيلبي من بيروت بتاريخ كانون الثاني ١٩٦٣ بفترة قصيرة فقالت أنها كانت تعلم أن زوجها جاسوس..!

ولكنها لم تكن تتصور أنه جاسوس للسوفيات، وأنه ظل يضحك على المخابرات البريطانية ثلاثين سنة كاملة. وقالت إن زوجها الجاسوس فيلبي كان يسحر النساء وقد وقعت سيدات كثيرات في حبه لأنه كان لطيفاً معهن بالاضافة إلى كونه ذكياً وماهراً.

○ في ١٤ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٦٧ كشفت وثائق وزارة الخارجية البريطانية أنها هي التي « باعت » فيلبي لصحيفة الأوبزرفر وكشفت وثائق أخرى في ذات الوقت النقاب عن أن فيلبي بدأ حياته السياسية بعد تخرجه من جامعة كامبريدج نازياً متطرفاً، وقد سافر إلى اسبانيا خلال الحرب الأهلية ووقف إلى جانب الجنرال فرانكو، ولكنه ما لبث أن عاد الى لندن والتحق بالمخابرات البريطانية بعد أن أصبح ماركسياً وجاسوساً للاتحاد السوفياتي، وكان من المهارة والبراعة ومتانة الأعصاب بحيث أنه لم يكشف نفسه « أي لـم يخطئ » خلال ثلاثين سنة.

وتابعت زوجة فيلبي حديثها عن زوجها الجاسوس بقولها :

الجميع يسألونني إذا ما كنت على علم بأن كيم (اسم الدلع لفيلبي) كان يعمل في حقل المخابرات. طبعاً كنت أعلم أنه يعمل في المخابرات البريطانية، ولكن لم يخطر ببالي قط، ولا حتى في الأحلام، أنه كان بنفس الوقت جاسوساً للمخابرات السوفياتية. غير أني عندما أعود ببصري إلى الوراء يخيّل إليَّ أن زوجي كان يستخدم عمله في « الانتلجانس سرفيس » ليخفي تجسسه لحساب السوفيات، كما كان يستغل عمله الصحفي كمراسل لصحيفتي « الأوبزرفر » و« الايكونوميست » لتغطية عمله في المخابرات البريطانية والمخابرات السوفياتية بنفس الوقت وعلى حد سواء. لكنني لم أشك يوماً في أن له علاقة بالمخابرات السوفياتية على الرغم من أنني كنت أشاهده يجتمع بأشخاص لا أعرف

عنهم شيئاً، لكنني كنت أظن أن اجتماعه بمختلف أنواع الناس يشكل جزءاً من عمله الصحفي. ومن المعروف أن دوائر المخابرات اعتادت أن تبلغ زوجات الجواسيس أو زوجات البعض بأن أزواجهن يقومون بأعمال سرية دون التوسع في التفاصيل. لأن الذين يصلون إلى مرحلة إدارة جهاز مخابرات يعرفون من الخبرة الماضية الشيء الكثير عن النفس البشرية، ويدركون أن الزوجة يجب أن لا تترك في حالة غموض كامل حول طبيعة عمل زوجها وإلا سببت له متاعب كثيرة. ولذلك وبغية تحاشي متاعب من هذا النوع، جرت العادة في المخابرات البريطانية على اطلاع الزوجة على ما يكفي لمنعها من القلق وإثارة المتاعب. وفي بعض الحالات تقوم المخابرات باستخدام الزوجة أيضاً، بحيث يصبح الزوج والزوجة « جاسوسين » متعاونين متلازمين يعملان كفريق واحد. ولكن الوضع لم يكن كذلك بالنسبة لي. وبكلام آخر فإن « الانتلجانس سرفيس » لم تفكر باستخدامي قط. وكنت في أغلب الأحيان أعرف ما يحدث عندما يغادر كيم المنزل للاجتماع بالجاسوس البريطاني الآخر الذي كان مكلفاً بالاتصال به من بيروت « حسب إدعائه ». ولم تكن ثمة مشكلة هنا لأن هذا الشخص كان بالاضافة الى عمله مع زوجي، صديقاً لنا، ولكني عندما أعود الآن بذاكرتي الى الوراء أعتقد أن كيم كان يتوجه أحياناً لمقابلة عناصر المخابرات السوفياتية الذين كان يعمل معهم ولهم، عندما كان يدّعي أمامي أنه متوجهاً لمقابلة زميله البريطاني..

ولقد كان أول اتصال لي مع المخابرات السوفياتية في بيروت إثر اختفائه أو هروبه.

ففي ذات ليلة ممطرة عاصفة في آخر كانون الثاني (يناير) ١٩٦٣ وبعد استلامها عدة رسائل من فندق النورماندي. ذكر لها بآخر رسالة أنه إذا احتاجت أية خدمة ضرورية فما عليها إلا أن تضع لناءً معيناً فيه ورد في نافذة غرفتها فسوف يأتي شخص موثوق به

لخدمتها فوراً. فتقول اليانور أنها قرأت الرسالة بتعجب وعلمت بينها وبين نفسها أن المخابرات السوفياتية تراقبها منذ مغادرة زوجها للأراضي اللبنانية وقررت أن تجرب موضوع الإناء، فوضعته في النافذة حسب طلب زوجها. وبعد أقل من ساعة قرع باب شقتها شخص مؤدب قدم نفسه باسم مانويل قائلاً لها : « هل تريدين رؤيتي يا مسز فيلبي ؟» فعرفت أنه موظف في السفارة السوفياتية في بيروت وسوف ينفذ لها أي طلب فصرحت له بحاجتها إلى تأمين بطاقات السفر من مكتب الخطوط للجوية التشيكية. فأجابها بأن عليها أن تذهب في الوقت الذي حدده لها زوجها الى مكتب شركة الطيران التشيكية وتعلن عن اسمها إلى مدير المبيعات فستجد تذاكر السفر بانتظارها، لها وللأولاد. فشكرته وقالت له : الآن اطمأنيت على زوجي فانصرف. وهنا والكلام لزوجة الجاسوس فيلبي « اكتشفت بل تأكدت من أن كيم كان يعمل للمخابرات السوفياتية، وهو الذي يفخر بحمل وسام الملك جورج السادس نظير خدماته. وفي الشهور المقلقة أي قبل سفري شاهدت عدداً كبيراً من موظفي المخابرات ومن جميع الجنسيات ومنهم ضباط من المخابرات العربية رغبوا بكل أدب أن يطلعوا مني عن نشاط زوجي قبل اختفائه وأجبتهم بما أعرفه. ولعل أغرب ما لاحظت خلال اختلاطي بهؤلاء الضباط وغيرهم من الضباط حرصهم الشديد ويقظتهم المتناهية، بل ولطفهم الزائد. والواقع أني ذهلت لهذا اللطف الذي لم أكن أتوقعه قط من رجال كهؤلاء يخيل للمرء للوهلة الأولى وكما كنا نسمع ونتخيّل بأنهم وحوش في ثياب رجال. وكنت قبل أي اجتماع مع رجال المخابرات وخاصة البريطانية والسوفياتية أحسب لهذه المقابلة ألف حساب.ولكن في جميع الحالات تقريباً كنت أعامل معاملة لطيفة وكريمة جداً، ولكن الجميع يحرصون في الوقت نفسه على ابقائي في الظلام وعدم تعريفي بشيء حقيقي تقريباً. صحيح أنني كنت أعرف دائماً كذب الاسطورة التي تصور الجاسوس أو رجل المخابرات بأنه شخص متوحش يعمل بعنف



وسام الامبراطورية العظمى
تقديراً لخدمات الاستاذ فيلبي

PHILBY



وسام العلم الأحمر ــ اعتراف
بالجميل للجنرال كيم فيلبي

(المخابرات السوفياتية ترفض جاسوساً بريطانياً)

● أذاع القسم العربي في اذاعة لندن بتاريخ ١٩٨٧/٤/١٧ ضمن نشرة أخبار الخامسة أن المستر « مايكل بتياني » وهو بريطاني الجنسية قد حكمت عليه المحكمة المختصة بالسجن ثلاث سنوات لأنه « حاول » التجسس لصالح المخابرات السوفياتية بأن قدم لهم بعض المعلومات. ولكنهم رفضوا التعاون معه وردوا له المعلومات ظناً منهم أنه جاسوس مزدوج.

شديد. ذلك أنّ طبيعة عمله تحتم عليه أن يكون رقيقاً لطيفاً وناعماً مهذباً، كما ينبغي عليه أن يكون ــ كما اكتشفت فيما بعد ــ قادراً على السيطرة على أعصابه بشكل لا يصدق وفي كل زمان ومكان ».

لقاء زوجي الهارب في موسكو

○ انتظرت اليانور وحسب تعليمات زوجها حتى شهر نيسان (أبريل) وقامت بشراء بطاقة طائرة لها ولولديها على طائرة الخطوط الجوية البريطانية عبر البحار إلى لندن وحددت عليها الـ« أوكي » أي تاريخ السفر. ثم توجهت خفية إلى مكتب شركة الخطوط الجوية التشيكية وقدمت نفسها إلى مدير المبيعات الذي رحب بها كثيراً وسلمها بطاقات سفر إلى لندن مع الأولاد حيث حدد عليها الـ« أوكي » أيضاً بنفس تاريخ سفر الطائرة البريطانية إلى لندن مع فارق ساعة فقط. وقد علمنا أن فيلبي مع مضيفيه في موسكو بحثوا وانتظروا حتى توافق موعد الطائرة البريطانية مع الطائرة التشيكية. بسبب الحصانة التي ستكسبها حين صعودها للطائرة التشيكية. وقد توجهت مع أولادها إلى مطار بيروت قبل ساعة فقط من الموعد وقد سمعت النداء للرحلة ٥١٢ للطائرة البريطانية إلى لندن (فتجاهلته) وصعدت حالاً الى الطائرة التشيكية. هذه المقدرة على التحضير والتكتيك من قبل فيلبي من وراء آلاف الكيلومترات لزوجته لكي تحضر إليه دون أن يمسها أي أذى أو مضايقة ليست بغريبة عليه بعد أن أمضى ثلاثين عاماً في سلك المخابرات البريطانية وهو يخدعها ويعمل للمخابرات السوفياتية. ونعود لحديث اليانور زوجة فيلبي عن هذه السفرة العجيبة فتقول :

« عندما وصلت الى موسكو على الطائرة التشيكية بعد أن رتب لي كيم هذه الرحلة العجيبة وبطريقة ملتوية يقال لها « من دواعي الأمن » فهمت فعلاً وللمرة الأولى في حياتي أن زوجي كان عميلاً راقياً للمخابرات السوفياتية من طريقة الاستقبال في مطار موسكو حيث استقبلني من على سلم الطائرة. ثم انتقلنا بسيارة خصوصية سوداء تشبه سيارات الرويس يقودها سائق سوفياتي ساعدنا على استلام حقائبنا وبدون أية اجراءات ثانية. وبعد هذه الزيارة اضطررت للنظر الى علاقاتنا الخاصة نظرة جديدة تختلف اختلافاً كلياً عن النظرة السابقة. وكان ردّ الفعل الأول في نفسي هو أن حياتي الزوجية مع كيم كانت كلها فراغاً لأنها كانت قائمة على الكذب من قبله. ولكن يخيل إلي أن علاقة كيم مع النساء ومعي بالطبع بصورة خاصة اكثر تعقيداً مما ظننت عندما اكتشفت علاقاته السرية بالمخابرات السوفياتية للمرة الأولى. إن النقطة الهامة هي أنه على الرغم من أن كيم أبعدني تماماً عن هذا الجانب من شخصيته، فإن زواجنا كان من ناحية ثانية زواجاً مثالياً، وكنت مغرمة جداً به لدرجة أننا كنا قلما نفترق إلّا عندما يتطلب عمله الخاص ذلك. وباختصار كان كيم « أفضل الأزواج وأحسن الآباء في العالم » وكنا نعيش في شهر عسل دائم صدقاً. هذا هو اللغز الذي كان يحيرني منذ أن تركته في موسكو، أو بالأحرى منذ أن تركني. وإن أحد الأسباب الرئيسية يدفعني لمحاولة استعادة ما حدث لي بالتفصيل لكي أستطيع أن أفهم كيف كان زواجي بمثل هذه السعادة والهناء مع رجل أُدْرِك أني ما عرفته يوماً على حقيقته. كما يخيل إليّ الآن أن الأشخاص الذين يكرسون أنفسهم وحياتهم كلها للجاسوسية، يلجأون دائماً للحذر ويخفون أسرارهم العادية حتى عن أقرب الناس إليهم، وهذا شيء طبيعي، بل إنه نتيجة منطقية للعمل الذي يقومون به. ويخيل إليّ أيضاً أن الأشخاص الذين يعيشون حياة كهذه حافلة بالغموض وملأى بالأسرار كثيراً ما يحاولون التعويض عن ذلك بالاسراف في علاقاتهم الشخصية مع النساء والسخاء في اظهار

عواطفهم، وهذا بالضبط ما حدث لكيم فيلبي معي ومع النساء. ولربما كانت علاقات كيم النسائية المتعددة هي التي مكنته من تحمل الارهاق الذي عاش في ظله كجاسوس محترف طوال ثلاثين عاماً. ومهما يكن من أمر فليس من الغريب أن يكون كيم زير نساء مشهوراً، فقد كان والده المشهور سان جون فيلبي المشهور باسم (عبدالله فيلبي) الذي اعتنق الدين الاسلامي أثناء عمله مدة طويلة مستشاراً للملك الراحل عبد العزيز آل سعود وقد جمع بين زوجتين في آن واحد لأن الدين الاسلامي يسمح للرجل بأربع نساء.وقد تزوج عبدالله فيلبي والد كيم جارية أهداها له الملك عبد العزيز أنجبت له عدة أولاد بالاضافة الى زوجته الانكليزية التي أشهرت اسلامها معه أيضاً. وقد أثرت شخصية عبدالله فيلبي في ابنه كيم من زوجته الثانية الانكليزية تأثيراً كثيراً، وكان كيم بجانب سرير والده عندما لفظ أنفاسه الأخيرة.. وبقي كيم يذكر آخر عبارة قالها والده قبل أن يغمض عينيه : يا رب لقد مللت هذه الحياة ».

وأعتقد الآن (والكلام لا يزال لزوجة فيلبي) أن مشاعر الوله الشديد التي أظهرها كيم لي كزوجة طوال حياتنا الزوجية إنما كانت لشعوره بأنه كان يجد بين أحضاني الاستقرار والطمأنينة اللذين كان يفتقدهما في عمله المحفوف بالأخطار، فضلاً عن التفهم العميق والحب. ولا أنكر أنني شعرت بالألم لأن كيم تزوج مرة أخرى، أثناء وجوده في الاتحاد السوفياتي كما قيل، إذا لم يكن لشيء فلأنه لم يطلقني قط. ومع ذلك فإن أنباء زواجه من مليندا ماكلين زوجة « تلميذه » في الجاسوسية الدبلوماسي البريطاني السابق ماكلين الموجود مثله في الاتحاد السوفياتي، لم تفاجئني كثيراً. فإن قصة غرامه بمليندا — وهي أميركية مثلي — بدأت عندما كنت لديه في موسكو. وانني أشعر الآن بالأسى والشفقة على زوجها دونالد ماكلين وعلى أطفاله بالذات. فإن كيم ودونالد كانا يعيشان في شبه عزلة بموسكو ولا شك أن طلاق مليندا من زوجها

السابق وزواجها بكيم أدى إلى خلاف بين الصديقين السابقين وبالتالي زاد من عزلتهما وهما في كنف المخابرات السوفياتية التي لم تتدخل قط في الحياة العائلية والشخصية لجواسيسها. ومع ذلك ينبغي الاعتراف بأن كيم ودونالد لم يكونا في يوم من الأيام صديقين حميمين. الواقع أن الصداقة الحميمة كانت موجودة بين كيم وبيرجيس الدبلوماسي البريطاني الذي عمل وفرّ إلى الاتحاد السوفياتي أيضاً. ومع ذلك لم يقدّر لي أن أرى بيرجيس في يوم من أيام وجودي في موسكو لأنه قضى نحبه في حينه. ثم هناك الجاسوس الآخر جورج بليك وهو من الجواسيس البريطانيين الذين عملوا للاتحاد السوفياتي ثم هرب إلى موسكو بمساعدة سجين مثله حيث كان قد حكم عليه بالسجن لمدة (اثنين وأربعين عاماً). وأعتقد أن بليك هذا ليس ما يجمعه مع كيم أو يجعله صديقه وقد علمت أن كيم كان قد اجتمع مع بليك عندما كان كلاهما يدرس في معهد شملان بلبنان[1]، ولكن كيم قال لي عندما طرح اسم بليك أنه لم يسبق له أن اجتمع به. وأظن أن هذا الجواب بالنفي وهو غير صحيح كان من حرص زوجي على عدم اطلاعي على شيء من أعماله للمخابرات الصديقة وغيرها. وقد حاولت أخيراً عن طريق أحد المحامين أن أجس نبض كيم وأعرف ماذا يريد أن يحدث لعلاقتنا الزوجية.وقد ردّ كيم بقوله أنه لا يعتزم أن يطلقني أو يتزوج امرأة غيري. ولكني علمت أن الطلاق في الاتحاد السوفياتي سهل جداً خاصة إذا كان المرء له أصدقاء، مثل زوجي كيم. وبعد هذا التصريح الكاذب أيضاً علمت أنه طلقني قبل أن يتزوج من مليندا إلّا إذا كان قد فعل ما فعله والده من قبل

---

(١) معهد شملان في لبنان هو معهد دراسة الجواسيس الغربيين ويقع في ضواحي بيروت الجبلية واسمه الحقيقي (معهد السلك الدبلوماسي الاميركي) يقبل للدراسة به جميع الجواسيس الغرّبيين المثقفين أمثال كيم. وتنفق السفارة الأميركية في بيروت على هذا المعهد.



فيلبي (الى اقصى اليسار) مع المشير السلال عقب ثورة اليمن.



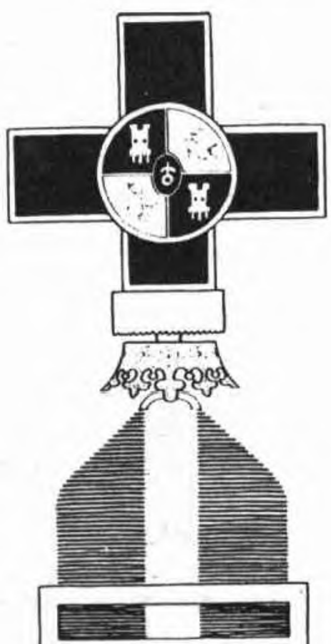
اليانور — رفيقة فيلبي في موسكو.



فيلبي (ضمن الدائرة) في حفلة الجمعية الالمانية البريطانية في لندن..



فيلبي على شرفة منزله في شارع القنطاري ببيروت...



وسام الاستحقاق العسكري منحه اياه فرانكو...

حيث جمع زوجتين في وقت واحد. وعندما اختفى فيلبي من بيروت بهذا الشكل المفاجئ عشت شهوراً في قلق وخوف، وأخيراً تقبلت الفكرة التي حدثني عنها الجميع وهي أنه من المحتمل أن يكون قد فر الى الاتحاد السوفياتي. وعندما تأكدت من الحقيقة عشت في حالة من الصراع بين حبي لهذا الرجل وبين كل شيء آخر لأني ترعرعت وأنا مؤمنة به. وابتدأت أطوف على أصدقائي واتصل بهم سائلة نصحهم عما ينبغي عليّ أن أفعله، ولكنهم جميعاً تخلوا عني وفرّوا من وجهي فرار الشخص السليم من الأجرب. وأخيراً أدركت أن ما من أحد سواي يجب أن يتخذ القرار النهائي ولذلك توجهت إلى موسكو. إن حياتي مع كيم علمتني الحقيقة البسيطة الأساسية التي قلما نعترف بها وهي أن ما من إنسان يستطيع أن يفهم إنساناً آخر على حقيقته مهما كان مقرباً منه وملتصقاً به ». وقد نشرت صحيفة « الأوبزرفر » التي زرع فيلبي فيها من قبل المخابرات البريطانية كمراسل لها في بيروت وبقي مراسلاً لها حتى فراره الى الاتحاد السوفياتي، تحقيقاً صحفياً روت فيه كيف استخدمت فيلبي، وقالت في التحقيق الصحفي أن وزارة الخارجية البريطانية هي التي زرعت بطلب من المخابرات البريطانية هذا الجاسوس في مؤسستها.

وأضافت تقول: « قبل ساعات معدودة من وقوف إدوارد هيث وزير الدولة البريطانية السابق في مجلس العموم البريطاني ليعلن أن « كيم فيلبي » كان جاسوساً للسوفيات « فعلاً » وأنه ثبت ذلك بالدليل القاطع والبرهان الساطع، تلقت الصحيفة مخابرة هاتفية من وزارة الخارجية. كان على الجانب الآخر من الخط احد كبار موظفي وزارة الخارجية وقد طلب أن يتحدث الى رئيس التحرير حيث أبلغه النبأ المذهل : إن مراسلكم في بيروت كيم فيلبي جاسوس للاتحاد السوفياتي، وسيعلن هذا النبأ رسمياً في مجلس العموم بعد قليل (في حينه).. وقد رغبت أن أبلغكم ذلك مسبقاً لأنه كان لوزارتنا يد في توظيفه لديكم. وقد اعترف الموظف الكبير بأن الرجل الذي « باعته » الوزارة للأوبزرفر كان جاسوساً

للسوفيات طول حياته.. بل اعترف هذا الموظف بما هو أدهى وأمرّ.. اعترف بأن وزارة الخارجية « كذبت » عامدة متعمدة على الصحيفة البريطانية ولم تعلمها بخلفية فيلبي الجاسوسية وذلك بطلب من المخابرات البريطانية التي طلبت زرعه فيها وارساله إلى بيروت لسببين لا يعلمهما إلا رئيس فرع (M-G) في الأنتلجانس سرفيس وهما :

١ ــ إرساله كمراسل لصحيفة الأوبزرفر في بيروت بعيداً عن مركز الأنتلجانس سرفيس في لندن الذي كان يزحف فيه فيلبي بدهائه وسني خدمته لكي يصبح رئيساً للمخابرات البريطانية. ثم العمل على كشفه على حقيقته كعميل للمخابرات السوفياتية حيث عادت الشكوك حول علاقته بالايعاز إلى صديق دراسته بيرجيس بالهرب لأن المخابرات البريطانية تودّ اعتقاله في حينه.

٢ ــ تعمدت المخابرات البريطانية أيضاً إرساله إلى بيروت لكي تضعه تحت المجهر وقد أرسلت خلفه خيرة الضباط البريطانيين لمراقبته ٢٤ ساعة. وكانت نتيجة المراقبة « ثبوت » عمالته للمخابرات السوفياتية فأحضر إلى السفارة البريطانية وواجهه ضباط المخابرات البريطانية بما عرفوه عن اتصالاته بطريقة الأدب البريطاني المعروف فلم يجب بأية كلمة بل بقي هادئاً متزناً كعادته في الأزمات ولذلك طلبوا منه عدم مغادرة بيروت فقط لحين التشاور مع المخابرات البريطانية. وكان بامكانهم ابقاؤه في السفارة قيد الاعتقال لا سيما وهم سفارة دولة عظمى كما يقولون. ولكن الاتفاق كان « ترك مجال » له ليتمكن من الفرار من بيروت أفضل من تقديمه لمحاكمة لا يعلم سوى الله تعالى ما كان سيكشف بها ومن ثم قيام المخابرات السوفياتية بتهريبه من بريطانيا ومن بين يدي الانتلجانس سرفيس كما سبق أن هربت زملاءَه ماكلين وبرغيس وجورج بليك من لندن إلى موسكو ».

وهكذا نذكر القارئ بأنه اختفى أو هرب من بيروت مساء كانون الثاني (يناير) ١٩٦٣ كمن يلبس طاقية الاخفاء وهذا طبعاً من ترتيب المخابرات السوفياتية وقد ظهر فيما بعد في موسكو وسافرت إليه زوجته... الخ.

آراء اصدقائه في بيروت عنه

○ بعد هذه المعلومات الجديدة التي نقلناها للقارئ عن كيم فيلبي « جاسوس القرن العشرين » على لسان أقرب الناس إليه وهي زوجته وشريكة حياته التي كان يتجسس عليها ولم يكن يتجسس عليها أي يقدم عنها معلومات للمخابرات السوفياتية.. أبداً بل كان تجسسه عليها هو إخفاؤه عنها وببراعة وذكاء عمله مع المخابرات السوفياتية طيلة سنوات شهر العسل كما سمتها هي بنفسها. نقدم نموذجاً لآراء وأحاديث أصدقائه في بيروت الذين لم يكن لدى أيّ منهم أدنى شك بأن فيلبي الذي عرفوه هو غير فيلبي الحقيقي الجاسوس.

فقد كان كيم وزوجته اليانور يشتركان مع جيرانهم « آل فيستر » في تناول ديك الحبش بمناسبة عيد الشكر، الأمر الذي يبدو بمثابة قصاص ذاتي لفيلبي الذي كان معروفاً عنه نفوره من طريقة الحياة الأميركية، وقد تعمقت علاقاتهم مع مرور السنين بحيث وصف فيستر فيلبي بأنه واحد من أقرب أصدقائه. ولكن بعد فراره إلى الاتحاد السوفياتي أخذ فيستر يجمع ذكرياته عنه، مثل جميع الذين عرفوه في بيروت بحثاً عن تلميحات سابقة نطقها فيلبي تكشف بأنه كان يخفي ميولاً سياسية يسارية. فتذكر أمرين فقط : ذات ليلة كان فيستر يناقش مجموعة من القوميين العرب حول موضوع كان مطروحاً بقوة « هل أن الأهداف الأساسية للديموقراطية الأميركية والشيوعية الروسية مشابهة ؟ » القوميون

العرب ردّوا بالإيجاب، أما فيستر فكان رأيه : بكل تأكيد، لا. وباعتباره أميركي قال أن الشيوعية السوفياتية تهدف إلى استعباد الرجال الأحرار. واستنجد فيستر بفيلبي الذي أعرب ببرودة أعصاب بأن الأهداف متشابهة. مؤخراً قال فيستر « لقد اعتقدت دائماً بأن فيلبي يؤيد العالم الحر، ولم أفهم كيف كان بامكانه أن يساوي بين الشيوعية والحياة الأميركية ». وقد أثيرت قضية القوميات في مناسبة أخرى حضرها فيلبي مع فيستر فقال فيلبي « ولدت في الهند، وعشت في أنحاء مختلفة من البلاد العربية، ودرست في انكلترا، فأنا لا أشعر بأنني أنتمي إلى أية قومية ». هذا الكلام دهش فيستر الذي قال فيما بعد : « لم يكن باستطاعتي تصديق ذلك. كيم كان يظهر بريطانياً جداً. وبدا أنه يتنكر لبلاده ».

○ ثنائي لبناني كان يتحدث لساعات « للجار » الانكليزي فيلبي حول شؤون الشرق الأوسط، السيد يوسف الصايغ وزوجته السيدة روز ماري. بعد فراره أمضيا أياماً عديدة وهما يحاولان أن يتذكرا أي شيء يكشف « ميوله السوفياتية » على امتداد صداقة استمرت أربع أو خمس سنوات كان بامكانهما أن يتذكرا « فقط » بأن فيلبي قد قال مرة بأن « النظام الطبي في روسيا جيد ».

○ جيران آخرون يتذكرون، محسن البحري وزوجته هدى من فلسطين العربية قالا أن فيلبي كان من الذكاء والتعاطف وحسن الجوار بحيث يزورهم في الأعياد الاسلامية ويتعشى لديهم في بعض أيام رمضان من كل عام حتى اختفائه.

نادراً ما كان فيلبي يخوض في مناقشات سياسية. كان خلافاً لذلك مستمعاً جيداً، يتخصص في مقاطعات ذكية. كما شارك في عدد لامتناه من اللقاءات السياسية، وكانت مهنته الصحافية تفرض ذلك، في الوقت

الذي تمكن فيه من اقناع أشخاص متنوعين مثل « القوميين العرب » وحتى بعض الأميركيين الأعضاء في أندية الروتاري وهي أندية تغطي الماسونية أقنعهم بأنه « واحد منهم ».

○ بعض البريطانيين في بيروت « زعموا » في وقت لاحق لهروبه بأنهم كانوا قد أصبحوا ملمين حينذاك بازدواجيته، وكانوا يزودونه بمعلومات خاطئة على أمل أن يقوم بنقلها الى الروس.

○ وأخيراً هل كان فيلبي يعلم أن المخابرات البريطانية تعلم بدورها ؟ وهل في المقابل جعلهم يعتقدون بأنهم يستخدمونه طول الوقت، بينما كان فيلبي يستخدمهم؟ ما هو مؤكد أن فيلبي كان يقدم « تقارير » إلى المخابرات البريطانية وأنه قد زار قبرص عشرين مرة بين العامين ١٩٥٦ ــ ١٩٥٨ لتغطية الحرب مع اليونان، وأنه أصبح صديقاً مع محام هندي يدعى روستومجي وكانا يشربان بكثرة. وكان هذا المحامي معادياً للبريطانيين واليونانيين ويعتقد بأن الأتراك لا يلقون الاهتمام الكافي من الخدمات الحكومية، ويسيء البريطانيون واليونانيون معاً معاملتهم. أما فيلبي فكان يهاجم روستي لمحاربته إلى جانب البريطانيين في الحرب العالمية الثانية، ومع ذلك فكان يبدي اهتماماً بجميع الأمكنة التي كان يزورها روستي وخاصة المحاكم العسكرية حيث كان يدافع عن أفراد القوات المسلحة البريطانية. وكان فيلبي بحكم عمله للمخابرات السوفياتية أو البريطانية يسأل اسئلة مثل، ما هو الموقف الحقيقي في قبرص تجاه بريطانيا ؟ هل تستمر الحكومة طويلاً ؟ ومعظم هذه الأسئلة وأحاديث غيرها كانت تدور حول كأس من الويسكي في فندق ليدرا بالاس، أو في نادي نيقوسيا، أو نادي سانتكلير الذي يبقى مفتوحاً حتى آخر رجل فيه، وغالباً ما كان فيلبي الرجل الأخير. وعاد الى بيروت مقره الرسمي وعاد إلى حياته الروتينية كصحافي يستيقظ في الساعة العاشرة ويتناول شراب الصدف الذي يعده بنفسه ثم يسير حوالي

٣٠٠ متر نزولاً إلى فندق النورماندي في منطقة الزيتونة حيث يتفقد بريده ويشرب أول كأس ويسكي له. كان يمضي حتى بعد الظهر في النورماندي ويتناول العشاء مساءً مع أصدقائه العديدين في الخارج. أما عمله الصحفي في صحيفتي الأوبزرفر والايكونوميست فظل كفوءاً ومتماسكاً ويرتكز بنوع خاص وبدقة على وقائع العالم العربي. وقد وسع اتصالاته الرسمية ولكنه كان يمضي وقتاً طويلاً مع رجال السفارتين البريطانية والأميركية « دون أي مراسل صحفي آخر ».كان يمضي وقتاً في مكتب رئيس فرع المخابرات البريطانية في المنطقة (ومكتبه ضمن السفارة البريطانية) وأيضاً كان في حينه على علاقة حميمة مع ميلز كوبلاند المستشار في المخابرات الأميركية المتقاعد الذي يقطن بيروت أيضاً. ولكن قبوله من هؤلاء لم يكن يتم بدون « تحفظ ». فقد انفرد أحد ضباط المخابرات الأميركية الذي وصل إلى بيروت بالصديق اللبناني ــ ك. ص ــ لفيلبي وقال له : كن حذراً من هذا الرجل.

○ القضية الوحيدة التي خدم فيها فيلبي المخابرات البريطانية حدثت خلال الأحداث التي أدت إلى نزول قوات البحرية الأميركية « المارينز » إلى شواطئ بيروت عام ١٩٥٨، فالتجمعات الناصرية بدأت بالتحرك في لبنان في بداية ذلك العام ضد تجديد الرئيس الراحل كميل شمعون الذي كان ينوي دعوة المجلس النيابي اللبناني لتعديل الدستور لكي يتاح له التجديد، حيث انطلقت بعض أعمال العنف في أيار، وأصبح من الصعب السيطرة عليها فاستدعى الرئيس شمعون القوات الأميركية لمساعدته على حفظ النظام، ونزلت هذه القوات فعلا الى بيروت يوم ١٩ تموز (يوليو) ١٩٥٨. كان فيلبي دقيقاً جداً فيما يتعلق بوصول المارينز، أبلغ زملاءه المراسلين الصحافيين الآخرين قبل ثلاثة أيام بالأمر، بطريقة مختلفة عن التكهنات الصحافية. تكلم كشخص يعلم بكل تأكيد ماذا سيحدث. أي عن معرفته المسبقة بوصول المارينز وكما أعلم المخابرات البريطانية « بصدق » المنتسب لها عن ذلك.

○ في سنته الأخيرة في بيروت أصبح فيلبي يسكر غالباً وكلمة يسكر في بيروت والشام معناها « يفقد الوعي من السكر » وفي مصر يقال عن السكير أو السكران « طينة ». وفي بعض الأحيان كان يسكر من تناول مارتيني واحد. ومع ذلك لم يزل لسانه بشيء عن عمله بالجاسوسية. تهدمت حياته العائلية، وتوقف الأصدقاء عن الاتصال به، متذرعين بأنهم لم يعد باستطاعتهم تحمل شتات ذهنه ولا شكاوي زوجته اليانور عن المتاعب المالية. ومع هذه المتاعب المالية كان بامكان فيلبي جمع المال لمساعدة صديق كان في ضيق وهو رالف إيزارد البريطاني الذي أمن له ١٠٠ ألف جنيه استرليني كان بحاجة لها للذهاب الى لندن لمعالجة ابنه المريض.

○ كان كيم فيلبي متحمساً بصورة عامة للميول العربية : فتاة بريطانية كانت تروي في بيروت وبحضوره كيف تناولت الطعام مع بعض الشيوخ العرب المسؤولين وكيف أن أحد الشيوخ « بادلها الصحن » وفي وقت لاحق علمت أن هذا الشيخ كان يخشى أن يكون الطعام مسموماً. وقد جلبت هذه الرواية ضحكاً فتحمس فيلبي لأنه كان مغتاظاً جداً حيث ألقى ما يشبه المحاضرة حالاً على الموجودين عن الضيافة العربية والكرم العربي الأصيل ووجدوا صعوبة في تهدئته حتى اعتذرت المتحدثة عن العرب له.

○ ازداد سكره في أوائل عام ١٩٦٣ ونضب إنتاجه الصحفي. وقالت زوجته اليانور لعدد من الأصدقاء في حينه بأن فيلبي يعاني من كوابيس مرعبة، وكان يستيقظ أحياناً طالباً النجدة. تخيّل الجميع أن ثمة متاعب منزلية أو عاطفية أو مالية وراء انهياره ولكن السبب الحقيقي كان تأكده بأن المخابرات البريطانية قد أيقنت بما لا يقبل الشك بأنه عميل للسوفيات (هذا الأمر قبل استدعائه للسفارة البريطانية ومجابهته بالحقيقة).

كيف غادر فيلبي بيروت الى موسكو

○ وأخيراً وضع فيلبي نهاية درامية لاقامته وعمله الصحفي ومغامراته في بيروت وتجسسه واختفى بتاريخ ٢٣ كانون الثاني (يناير) وقد ذكرنا هذا الاختفاء أو الهروب الكبير في الجزء الأول من هذه السلسلة في ما يلي:

دعي فيلبي وزوجته اليانور الى الحفلة التي أقامها المستر « غلين بلفور » السكرتير الأول للسفارة البريطانية في بيروت، ولكن اليانور وصلت الى الحفلة وحدها وصرحت للذين سألوها عنه أنه اتصل بها هاتفياً، وطلب منها الذهاب وحدها للحفلة لأنه سيلحق بها. ونظراً لأن فيلبي سبق له أن فعل ذلك عدة مرات فقد ذهبت بمفردها للحفلة، وهي مطمئنة انه سيلحق بها كعادته. ولكن الحفلة انتهت ولم يحضر فيلبي فتطوع أحد أصدقائه بتوصيلها للمنزل لعل فيلبي كان مشغولاً بتتبع خبر صحفي. ولكن مضى الليل طويلاً على اليانور وأصبح الصباح ولم يعد فيلبي الى منزله لأول مرة في حياته الزوجية. اتصلت اليانور برجل أعمال أميركي تعلم أنه على اتصال مع السلطات اللبنانية، وطلبت مساعدته في البحث عن زوجها. وحالاً اتصل الأميركي بالعقيد توفيق جلبوط الذي أجرى « جرداً » على جميع مخافر الحدود اللبنانية براً وبحراً وجواً، فاتضح أن فيلبي لم يغادر « رسمياً » من أي مركز حدود، ثم أجرى

فحصاً شاملاً ودقيقاً للمستشفيات والنظارات، والسجون اللبنانية فلم يعثر له على أثر.لقد اختفى فيلبي تماماً...!

○ المؤلفون الصحافيون بروث بيج، ديفيد ليث، وفيليب كانتلي، أكدوا في لندن بأنهم يكشفون « للمرة الأولى » بأن فيلبي وصل إلى أراضي الاتحاد السوفياتي بعد أربعة أيام من مغادرته بيروت أي أنه وحسب حسابهم ظهر في موسكو بتاريخ ٢٧ كانون الثاني ١٩٦٣. أما عن الطريقة التي سلكها في هروبه فيقولون بأنه بالرغم من أن لدى المخابرات البريطانية والأميركية تفسيراتهما، فقد كانتا غير قادرتين على تأكيدها بصورة جازمة. أما فيلبي نفسه فقد رفض حتى مماته التحدث عن فراره ربما لحماية الأشخاص الذين ساعدوه على الفرار. الكشف الجديد هو أنه قد صرح لأحد أولاده عندما زاره في موسكو بأنه وصل إلى دار الأمان بالنسبة له أي « موسكو » وقد أنهكت رجلاه من السير الطويل والصعب. والرأي الجديد الذي اكتشفه هؤلاء الصحافيون وينشر لأول مرة هو أن فيلبي ركب مع صديق لبناني وهو الذي تكتم على اسمه حتى الموت وبمعنى أنه أوفي لهذا الرجل اللبناني الذي ساعده وعده بكتمان اسمه حتى النفس الأخير. ركبا سيارة مرسيدس ـــ ١٩٠ عمومي لبنانية حيث أوصله هذا الصديق الى « نقطة ما من الحدود السورية » فتركه استناداً لوجود أصدقاء ينتظروه على الجانب السوري.ومن هناك ركب شاحنة تركية خرجت به الى تركيا وهو يحمل جواز سفر « مزوّر » ومن تركيا انتقل الى أرمينيا السوفياتية حيث قدم نفسه للمخابرات في أرمينيا التي أمنت نقله حالاً إلى موسكو بكل وسائل الراحة والاحترام. وفي المخابرات السوفياتية (K.G.B.) التي خدمها ثلاثين عاماً استقبل في مقرها الفخم الكائن قرب الكرملين في ٢ ساحة دزيرجنسكي المطل على مسرح بولشوي ومدخل الساحة الحمراء ومنح منزلاً فخماً (جميع مخابرات العالم حتى المخابرات العربية لديها مثل

هذه المنازل الفخمة استعداداً للطوارئ) وبعد استراحة وجولات للتعود على « جو » الاتحاد السوفياتي أعلم بشكل إداري أنهم يرغبون إليه متابعة الافادة من خبرته اعلامياً هذه المرة.وأخذوا يضعون تحت تصرفه كل صباح الصحف البريطانية ليقرأ مقالاتها وما تحويه ويضع تقريراً مفصلاً بذلك وعما يجده مناسباً من الردّ على بعض هذه الصحف. وبنفس الوقت كما شرحنا أحضرت زوجته إليه ومن ثم أولاده. ثم تزوج وتابع إقامته في ضيافة المخابرات السوفياتية وفي أعلى المعنويات.ومن المعلوم أنه منح رتبة عسكرية حين وصوله إلى موسكو وقد تدرج ترفيعه حتى أصبح برتبة « جنرال » حين وفاته.

وأخيراً النهاية الحتمية للجميع :
« وفاة كيم فيلبي »

○ أذاعت محطة لندن كما شرحنا في أول هذا الفصل عن وفاة كيم فيلبي ودفنه في موسكو.وبعد ارتحاله عن الدنيا نشرت الصحف معلومات جديدة عن حياته قبل لجوئه في الاتحاد السوفياتي (ومنها معلوماتنا الجديدة هذه) زواجه في موسكو، هواياته، إضافة الى دوره في الاتحاد السوفياتي بعد اللجوء. وفي مقابلة أخيرة مع راديو ليتيوانيا، أذيعت قبل شهر من موته، أشار فيلبي عن شعوره بدنو أجله وأنه يريد أن « يدفن » في الاتحاد السوفياتي، كما عبّر عن عدم شعوره بأي ندم لدوره وماضيه، بل بالعكس فقد كان فخوراً بخدماته لبلده « الجديد » الاتحاد السوفياتي. كما أظهر في هذه المقابلة الاذاعية شعوره بالفخر لمناصبه العسكرية في المخابرات السوفياتية وقد ذكرنا أن رتبة « جنرال » أي عميد في الجيوش الأخرى كانت آخر رتبة حصل عليها. كما ذكر أنه سعيد جداً بشقته الكبيرة الفخمة في وسط موسكو. وبزوجته الأخيرة وهي فتاة روسية، وفخور بكتبه وصداقاته. لكنه كان « يأمل » زيارة بريطانيا ولو لمدة شهر ليرى إلى أيّ مدى تغيّر بلده الأول.

○ بمناسبة وفاته انفتحت الجروح القديمة في أجهزة المخابرات: زملاء فيلبي أدلوا بآرائهم من جديد حوله وحول مدى الضرر الذي ألحقه

بالأمن الغربي وأسرار الغرب. بعضهم كان رحيماً وتكلم بلغة رؤوفة عن وحدته وحزنه وغربته. لكن الصحف البريطانية البارزة التي تمثل الاعلام البريطاني ركزت على إدانته وإدانة الحزب الشيوعي الذي تأسست من خلاله هذه الحلقة الخطيرة من العملاء السوفيات. بينما كانت الجهات الرسمية في موسكو ترتب لتشييع جنازته. تم نقل جنازته من منزله في وسط موسكو بحضور الأهل والأصدقاء إلى المقبرة الخاصة بشكل مؤثر جداً فقد سار خلف سيارة النعش مسؤولون سوفيات وجنرالات في المخابرات السوفياتية إذ كان فيلبي أحد زملائهم يتقدمهم جندي يحمل وسادة صفت عليها الأوسمة الخاصة به. ويبدو أن خدماته للسوفيات « فاقت » في أهميتها كل الاعتبارات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفياتي وبريطانيا بلده الأصلي، فدفن باعتباره مناضلاً أممياً، بينما كانت اللعنات تنهال عليه وعلى ماضيه في معظم وسائل الاعلام الغربية وخاصة البريطانية الحاقدة عليه وعلى المخابرات السوفياتية.

○ كان فيلبي قد كرس حياته وكتابته لادانة النماذج الديكتاتورية وأساساً الستالينية. وضع حياته لخدمة نفس النموذج مؤكداً على قوة التربية الأيديولوجية الستالينية واخلاصه لها. كما ناقض فيلبي اتجاه والده في التفكير والانتماء السياسيين، إذ كان والده ميالاً إلى الفاشية البريطانية. وما هو غريب بالأمر أن فيلبي « خان الجميع » أصدقاءه صديقاته.

(من تصريحات كيم فيلبي في موسكو)

١ ــ إن المخابرات البريطانية أوعزت باغتيال الصحفي المرحوم « كامل مروه في بيروت ».

٢ ــ إن السيد فريد شهاب كان يتعامل معه شخصياً. وقد نفى السيد شهاب ذلك نفياً قاطعاً.

زوجاته. رؤساءه البريطانيين. لقد كان يعتبر الخيانة أمراً ضرورياً لانقاذ الانسانية من شرور الرأسمالية وقد قدم إخلاصه للايديولوجية على انتمائه الوطني ولم يندم على هذا الموقف حتى مات.

○ وبوفاة فيلبي انتهى عصر تجسس الرباعي البريطاني الشهير ماكلين، بورغيس، جورج بليك، وفيلبي. الذي انضم لخدمة الجاسوسية السوفياتية بواسطة أحد رجال المنظومة الكومنتيرن الشيوعية الذي أقنعهم خلال وبعد تخرجهم من جامعة كامبريدج بأنهم سيعملون من أجل الشيوعية الدولية وليس من أجل موسكو. إضافة إلى أن المعلومات التي كانوا يمدون بها الاتحاد السوفياتي لم يكن لها في البدء أي طابع سري. فلم يشعروا بأنهم كانوا يقومون بعمل تجسسي.كل ذلك كان استراتيجية طويلة الأمد من دون شك وقد ساروا بها. إن تجنيد العملاء المثقفين في خدمة الـ(ك. ج. ب.) تبدلت اليوم لأن عدد أصحاب العقائد الخياليين انخفض، وأصبح من الصعب على أي « مثقف يساري » أن يدعي أن الاتحاد السوفياتي، هو أرض حرية، وديموقراطية، إضافة الى أن حجة محاربة الفاشية فقدت معناها في عالم اليوم. كما أن المعروف أن الرباعي التجسسي الراقي فيلبي وماكلين وبرغيس وجورج بليك كان يطمح الى الوصول إلى المراتب العليا. وقد ذكرنا أن فيلبي بالذات كاد أن يصبح « رئيساً » للأنتلجانس سرفيس. ولكنه في أيامنا من الصعب أن يطمح جواسيس اليوم إلى مثل هذه المستويات لأن مستوى الجواسيس نفسه قد انخفض.وهذه الملاحظة الأخيرة هي جامع مشترك بين جواسيس الشرق وجواسيس الغرب على حد سواء.

ونختم هذا الفصل الكامل عن الأضواء الكاملة عن نهاية جاسوس العصر ونحن نؤكد أننا قد قدمنا كل شيء عنه ولم يبق ما يقال عنه ولن يظهر بعد الآن غرائب تستدعي العودة للكتابة عنه.ومسك الختام كما

يقولون نقدم للقارئ ما كتبه الزميل غسان الامام عن نهاية فيلبي في الوطن العربي العدد (٦٤ ــ ٥٩٠) :

○ الجاسوسية منطقة خفية ضائعة بين الدبلوماسية والصحافة والسياسة. والجاسوس كوكتيل عجيب من الفضول والخيال والحقائق والأكاذيب.

كان نابليون يرفض مصافحة الجواسيس لأنهم عملاء له خانوا أوطانهم.

وكان خروشوف يدعو ندّه جون كنيدي لاطفاء لهيب الحرب الباردة، لأنه ضاق ذرعاً بأكاذيب الجواسيس والعملاء « المدوبلين ».

أما جاك شيراك فلم يؤمن قط بأجهزة المخابرات، لأنها مُختَرَقة من كل الثقوب والجوانب.

الأقمار الصناعية والأجهزة الالكترونية وأقبية التعذيب والمسدسات الكاتمة للصوت واكياس الدولارات « بهدلت » مهنة الجواسيس.

الجاسوس التقليدي « جنتلمان » انكليزي من نتاج الثالوث المقدس : العائلة. الجامعة. المؤسسة.

وفيلبي سر أبيه. « ومن شابه أباه فما ظلم ».

ــ الأب جون فيلبي من المدرسة المخابراتية التي أنجبت لورنس وغلوب. فقد فتن بسحر الشرق فعاش في الهند، وهوى صحراء العرب، فدرج على رمالها، وارتدى عباءتها، واعتَمَر بعقالها، وتكلم لغتها، وأسلم لالهها، وحج إلى بيتها، وتسمى بأسمائها فكان « الحاج عبدالله » الخادم المطيع للأنتلجانس سرفيس.

ــ هارولد بن عبدالله وعى في جامعة كامبريدج صراع الثلاثينات الأوروبي بين الفاشية والشيوعية والرأسمالية، فاختار الماركسية عقيدة،

والجاسوسية مهنة. وفي أول مهمة له في فيينا، جندته يهودية اسمها ليتزي فريدمان لخدمة المخابرات السوفياتية، فتزوجها مكافأة لها، لكن اخلاصه ووفاءه كانا للزوجة الثانية الشيوعية.

ـ هارولد فيلبي جاسوس العصر الذي كان يقتل بلا مسدسات، ويطعن بلا خناجر، ويخون وهو يغازل، ويتجسس وهو يشرب أقداح الويسكي إلى الثمالة.

هارولد فيلبي مايسترو الخداع الذي كان يرسل مئات من عملائه البريطانيين والأميركيين إلى حتفهم، ثم يأوي إلى مكتبه في بيروت ليكتب تقاريره الصحافية إلى « الأوبزرفر » و« الأيكونوميست » كمراسل أمين لصحافة المؤسسة الحاكمة.

هارولد فيلبي ملك « الدوبلة » الذي ألهم غراهام غرين[1] وجون لوكاريه أروع قصص الجاسوسية.

هارولد[2] فيلبي مات جنرالاً متقاعداً في المخابرات السوفياتية وعاش رئيساً لقسم مكافحة الشيوعية في المخابرات البريطانية.

وينتهي الى هنا ما كتبه الزميل غسان الامام عن نهاية فيلبي وأنا أضيف إلى ذلك بالاذن من الاستاذ غسان بأن هذه الأسطر البليغة كانت بمثابة رثاء جاسوسي أو عزاء مخابراتي.. والى اللقاء مع « فيلبي » آخر...

---

(١) غراهام غرين كاتب بريطاني معروف دافع عن فيلبي بكتاب سماه (انطباعات عن شخصية فيلبي).

(٢) مع الاحترام للزميل غسان الامام فان اسم هارولد اسم بريطاني صحيح وعريق لكنه ليس اسم جاسوسنا فيلبي. فهو من مواليد ١٩١٢ في مدينة أمبالا بالهند وسماه والده « كيم » تيمناً ببطل رواية رود يارد كبيلينغ الشهيرة والاسم الكامل السابق للحاج عبدالله فيلبي، هو: المستر هاري سانت جون بريد فيلبي، موظف سابق لدى حكومة الهند.

موظفة كبيرة بالمخابرات البريطانية
تعشق ضابطاً مصرياً

خيانة رئيسة مخابرات القنال لقاء علاقاتها الجنسية

○ أصبحت الجاسوسية مع تطور الزمن عماد كافة الدول في كل شيء للوصول إلى معرفة أسلحة الجيش وعتاده وأسرار الاختراعات والتكنولوجيا العسكرية والأوضاع العسكرية والأوضاع الاقتصادية والسياسية والداخلية لدى الدول المعادية. وكثيراً ما قامت أجهزة المخابرات بالتدخل لخلق أجواء ثورية تربك الدول الأخرى وتجعلها في شغل شاغل في الداخل كيلا تفيق لمواجهة أعداء الخارج. وقد أصبحت هذه الأجهزة تتصرف حتى في سلطات رؤساء الدول أنفسهم. والأمثلة كثيرة ذكرنا بعضها في كتبنا السابقة والبعض الآخر ينشر تباعاً خاصة عن الدولتين العظميين.

في الخمسينات كان اللواء صلاح متولي الضابط السابق في قوى الأمن المصرية مديراً للمباحث العامة في منطقة القنال بمصر. وكانت القوات البريطانية موجودة في تلك المنطقة أي أن الاستعمار البريطاني كان لا يزال يتحكم بمصير الشعب المصري. وكانت المقاومة الشعبية المصرية في ذلك الوقت على أشدها للعمل على اخراج هذا المستعمر

من أرض مصر وتسعى جهدها إلى إقلاق أفراد هذه القوات وبث الذعر في نفوسهم حتى يفكروا تفكيراً جدياً في عدم الانتظار ليغادروا مصر الى غير رجعة. كانت المعسكرات البريطانية على امتداد قنال السويس من بورسعيد والاسماعيلية حتى السويس، وكان لهم في هذه المناطق كل شيء: المحلات «سوبرماركت» النوادي، المسابح، المساكن، المستشفيات، المنتشرة على ضفاف البحيرات وكافة سبل المواصلات. وبذلك كانوا يشكلون مملكة داخل مملكة وكأنهم يعيشون في بريطانيا نفسها والفارق هو جمال جو مدن القنال المصرية. وقد اتحد الشعب المصري في كفاحه ضد المستعمر.فقد امتنع التجار في منطقة القنال عن بيع الأجانب بالمنطقة سواء كانوا من العاملين بالقوات البريطانية أو في شركة القنال من الفرنسيين. وبدأ اللواء متولي بتنظيم المقاومة الشعبية.

عرف أن الأغذية كانت تستورد لهم من الخارج إلّا أنهم كانوا بحاجة ماسة الى الألبان (الحليب يسمى في مصر لبن) ومنتجات الطيور فراريج — حمام — عصافير والبيض وجميع أصناف الخضروات والفواكه، واللحوم الطازجة. وبدأ اللواء متولي بالاشراف على أفراد المقاومة الشعبية. ويقبض على أي شخص وطني يتعامل مع الانكليز سواء بالمساعدة أو الاتجار.وقد تمكن مع المقاومة الشعبية من الاستيلاء على الكثير مما يرسل لهم من الخارج من معدات وأغذية فبدأوا يشعرون بالحصار الوطني المدبّر. كانوا في البداية يتعاملون مع متعهدين للحوم والخضروات والفاكهة ومنتجات الألبان، ويعتمدون على مقاولين محليين في كل شيء. وبدأت المقاومة الشعبية المصرية في قطع ذلك عنهم تدريجياً. وكان رجال المخابرات البريطانية ينشطون للحصول على تحركات المقاومة المصرية وما ترمي إليه. وكان اللواء متولي معروفاً منهم بالطبع بأنه يوجه ويقود الحركة ضدهم وعلى ذلك كان اللواء متولي نصب أعينهم وكان يعاونه بعض الضباط وضباط الصف والعساكر وبعض

المرشدين (درج البوليس المصري وحتى أيامنا بالاستعانة بالمرشدين لكشف العصابات والأعمال المخلة بالأمن ويسمون في بعض البلاد العربية « المخبرين » جمع « مخبر » وتستعملهم المخابرات أيضاً بكثرة) الموثوق بهم الذين جندهم اللواء متولي في مجال الاطلاع على أعمال ومؤآمرات البريطانيين. وقد ذهل البريطانيون من نشاط المقاومة المصرية رغم قدرة مخابراتهم التي اشتهروا بها.

○ في تلك الفترة الحرجة دخل أحد الضباط المرموقين ــ وكان موضوع ثقة اللواء متولي ــ إلى مكتبه وبعد التحية طلب الاذن في الجلوس لسرد قصة عجيبة على السيد اللوء. فسمح له لأنه كان بحالة يرثى لها وفاقداً لأعصابه. طلب له اللواء متولي القهوة واستمع إليه حيث قال : عندي موضوع خطير جداً وهو أني وقعت فريسة المخابرات البريطانية. فطمأنه اللواء متولي حالاً بأنه لن يمس بأي أذى أو ضرر طالما « صرح » عما وقع به من الخطأ قبل إتمامه عملاً بالمادة ٨٤/أ من قانون عقوبات مصر العربية أولاً، وثانياً لأن وضع قوات الأمن المصرية في حينه يسمح بمثل حالات التسامح هذه. وطلب منه لأن يصارحه ويكاشفه بخطأه الذي أوقعه فريسة المخابرات البريطانية بكل أمانة وصدق فقال الضابط : « يا افندم منذ حوالي شهر تقريباً وعند عودتي إلى منزلي، شعرت بأحدٍ داخل المنزل.. ولما دخلت الصالون المعد لجلوس الضيوف وجدت سيدة أجنبية جميلة جداً استقبلتني بالأحضان وهنا كانت المفاجأة حيث صرحت لي بأنها زوجة أحد مديري شركة القنال الأجانب وقد اختارتني أنا شخصياً لتكون صديقة لي باعتباري عازباً وأنه سيكسب كل منا من الآخر متعةً لا حدّ لها... في الواقع (والكلام لا يزال للضابط المصري) أنا لا أنكر أنني وجدت فيها وفي جمالها فرصة العمر لأنها امرأة أجنبية وفي منتهى الجمال والأنوثة ويتمناها أي رجل خاصة وقد حضرت بنفسها إلى منزلي. فجلست إلى جانبها أسألها عن

حياتها مع زوجها وكيف عرفتني وعرفت مسكني وكيف دخلت المنزل وهنا كانت المفاجأة.. اعترفت لي أنها تعمل في فرع مخابرات القنال البريطاني وأنها كانت مكلفة بتعقب حركاتي حتى جمعت عني كل المعلومات وعرفت أني أعزب وليس لي علاقات نسائية مع أحد، وأنها رأتني عدة مرات بالعين المجردة وأعجبت بي إضافة لوظيفتها. ونظراً لأنها تميل للعلاقات الجنسية لدرجة الشبق بسبب انشغال زوجها عنها لذلك فكرت وتجرأت وقررت أن تقيم معي انا علاقات جنسية إضافة إلى طلبها قيام تعاون مخابراتي بيننا. والمنفعة متبادلة فهي تزودني بمعلومات « تنفع في عملي » وأنا أزودها بمعلومات تعزز مركزها في فرع المخابرات البريطاني ! في الحقيقة (والكلام لا يزال للضابط المصري) وافقت إثر سحرها وحديثها العذب وخاصة لأني كنت متشوق لأية امرأة لكوني أعزب وأشاهد الكثير من النساء الأجنبيات الجميلات مثلها. وقد لعب الشيطان برأسي فوافقت واعتبرتها صيداً ثميناً وابتدأت معها الجنس المحرم. كانت تحضر لمنزلي كل يومين مرة حيث نمضي الليل سوياً



موظفة المخابرات البريطانية التي قدمت نفسها للظابط المصري.

حتى تطورت العلاقة وأصبحت أتمنى لقاءها أكثر فأكثر كما لمست منها ذلك أيضاً.. واليوم (حين يعترف الضابط للواء متولي) كاشفتني بصراحة عن طلب خطير للمخابرات البريطانية التي تبارك علاقتها الجنسية معي خدمة لمخابرات صاحبة الجلالة، وطلبها أن أعطيها « نسخة طبق الأصل » عن تقاريرك التي ترسلها إلى وزارة الداخلية عن أعمال المقاومة وما سيقومون به مستقبلياً من العمليات أولاً بأول. وتركتني على أن تعود بعد يومين كعادتها، وبعد انصرافها وجدت أنها تركت في درج مكتبي أثناء وجودي في الحمام مبلغ ٥،٠٠٠ خمسة آلاف جنيه مصري (المبلغ ضخم جداً في حينه وحتى الآن في مصر) ولم تكن قد ذكرت لي شيئاً عن هذا المبلغ... هذا كل شيء عنها يا سيادة اللواء وهذه صورتها وها هو المبلغ تحت تصرفكم ».

○ عندما انتهى الضابط من رواية الجاسوسة البريطانية كان اللواء متولي رئيسه المباشر قد فهم وفكر بكل حرف وكلمة حكاها الضابط وبالاجراء الذي سيتخذه. فخطر على باله أن يستغل ميلها الجنسي نحو الضابط فقال له: أنت تأخذ الفلوس ديّه. أي الخمسة آلاف جنيه وتقوم باجازة إلى بلدك ولا تعود إلا عندما أطلب منك ذلك. وقام اللواء متولي بتحرير كل ذلك على محضر رسمي أرسله للرئاسة. مرّت ثلاثة أيام وإذا بزوجة اللواء متولي تتصل به من المنزل تخطره بوجود سيدة أجنبية تود لقاءه ؟ كان يعرف من هي ومن تكون فطلب من زوجته أن تستقبلها وتكرمها إلى حين حضوره. توجه اللواء متولي إلى منزله فوراً وكانت زوجته قد سمحت للسيدة الأجنبية بالدخول وقدمت لها « حاجة ساقعة » كما يقولون. انتاب زوجة اللواء متولي الشك بزوجها عندما سلم على السيدة الأجنبية وأدخلها إلى صالونه وطلب من زوجته أن ينفرد بها فتركته على مضض.. قالت المرأة للواء متولي بصراحة : أنا جئتك لنعقد صفقة وهي أن تترك لي الضابط. وأنا مستعدة للقيام بأي عمل تكلفني

به.. ولن أخفي عليك بأنني أصبحت رئيسة فرع مخابرات المنطقة ولكني كامرأة لن أقوى فراق.. الضابط. وبكت وتوسلت إلى اللواء متولي أن يعيد لها صديقها وحبها. شعر اللواء بأن أنوثتها وحبها للجنس تغلبت على اخلاصها للوظيفة الهامة التي تتمتع بها في المخابرات البريطانية. أو أنها وعدت رؤساءها بأنها ستفعل المستحيل لاعادة الضابط لها ولهم فهي تشبع نهمها الجنسي أولاً وثانياً تستمر في اصطياد المعلومات الهامة منه أثناء ساعات الصفاء. تعلم اللواء متولي من هذا الحديث على الفور الطريقة التي تتبعها المخابرات البريطانية فقال في نفسه : لماذا لا نحاربهم بشيء من طرقهم فقال للسيدة الأجنبية أنا موافق على طلبك ولكن لا بدّ لي أن أطلع على دليل من إخلاصك لنا وإلا لن تنالي من الضابط شيئاً. فقالت:إن عندي التقرير اليومي عن أعمالنا والذي يرسل الى الرئاسة، وأنا على استعداد بأن أحضره لك يومياً قبل إرساله ولمدة نصف ساعة فقط. وكانت النصف ساعة كافية لتصوير التقرير وإعادته لها. وهكذا خرجت من منزل اللواء متولي تحت نظرات زوجته المحرجة ولكنه أفهم زوجته فيما بعد سبب زيارتها بشكل مختصر.

أصبحت ترسل التقرير اليومي حسب الاتفاق يومياً. وأعيد الضابط المصري إلى عمله وإلى علاقاته معها. وكان اللواء متولي يتأكد من صحة التقرير لما يحدث من جانب القوات البريطانية في الأيام التالية. وفي نفس الوقت كان الضابط المصري يطلعها على أسرار مفتعلة ومهيأة وغير صحيحة عن نشاط المقاومة الشعبية المصرية. وتأكدوا من ردود فعل التقارير المصرية المزيفة بأن أعلمها مرة بأن المقاومة الشعبية ستهاجم معسكر الجيش البريطاني في منطقة فايد بمنطقة القنال. وفي اليوم التالي كانت جميع قوات الشرطة العسكرية تحاصر المعسكر وتتحقق من هويات الداخلين والخارجين، فتأكدوا أن لهذه المرأة فعالية ومركز مرموق في المخابرات البريطانية.

كان الضابط « حسن » العنصر الهام في الابقاء على الحصول على المعلومات الهامة من رئيسة فرع مخابرات القنال التي باعت نفسها في سبيل شهوتها الجنسية. دائماً الطبيعة تتغلب على كل شيء فهي لم تخرج من أن تكون امرأة تسعد بلقاء الرجل الذي تتمناه اية امرأة أيضاً. كانت هذه المرأة نموذجاً للطرق التي تستخدمها المخابرات للوصول إلى مآربها وغاياتها من الوصول الى الأسرار الدفينة نتيجة الاغراء سواء بالنساء أو الأموال أو العطايا.

وقد تعلّم اللواء متولي من هذه الواقعة أن يحارب الانسان سواء كان ضابط مخابرات أو ضابط مباحث جنائية الداء بالداء نفسه. فالأمراض المستعصية يعدّون لها أمصالاً من نفس نوع الميكروب الذي أحدث المرض فيكون كفيلاً بالقضاء على المرض نفسه بنفسه.

النهاية

لكل قصة نهاية ونهاية قصتنا الحقيقية هذه من عالم المخابرات أن السيدة كلير جوردن وهو اسمها الحقيقي رحلت فجأة مع زوجها. وقد علم اللواء متولي أنه صدرت لهما الأوامر بالانتقال من منطقة القنال مع طلب التحقيق معهما في لندن. وذلك لأن رئاسة المخابرات كشفت أنها أصبحت عديمة الفائدة لأن التقارير التي كانت تقدمها نتيجة الموافقة لها على التضحية بنفسها وبسمعة الأنتلجانس سرفيس كانت مفتعلة وكاذبة. لأن الضابط المصري كان يعطيها معلومات عن هجوم في مكان وساعة محددة فيستعدون له بينما تضرب المقاومة في مكان آخر لم يكونوا هم قد استعدوا فيه. وبذلك ارتبكوا ارتباكاً كاملاً، أما نتيجة أعمال المقاومة المصرية المنظمة في القنال والمناطق المصرية الأخرى مع اندلاع ثورة

تموز ١٩٥٢ بقيادة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ورفاقه الضباط الأحرار فكانت اغلاق قناة السويس وتأميمها ثم خروج المستعمر البريطاني من مصر نهائياً بعد ذلك...

من غرائب المخابرات البريطانية..!

ضابط مخابرات بريطاني يتحول الى امرأة..!

المخابرات البريطانية رغم عراقتها خلال الأربعمائة سنة التي مضت على تأسيسها تحوي بين منتسبيها منذ عشرات السنين وحتى الآن أغرب حالات الشذوذ والشواذ. وها هو « لورنس » يطل علينا من الماضي البعيد بكوفيته أي عقاله العربي وقد أمضى السنوات العديدة في الجزيرة العربية يخدم المخابرات البريطانية وكان من الشاذين. ولمن يهمه الاطلاع على المعلومات الكاملة عن حياته عليه مراجعة الصفحات ١٥٦ إلى ١٦٧ من كتاب (المخابرات والعالم ــ الجزء الثاني) لنفس هذه الموسوعة المسلسلة عن المخابرات. كما أن المخابرات البريطانية نفسها زرعت ستيفان وارد ومهنته تسهيل لقاءات رجال الأعمال والسياسيين البارزين مع فتيات مومسات ومنهن كريستين كيلر التي اشتهرت من وراء فضح علاقتها الغرامية مع وزير الحربية في حينه. وأيضاً النص الكامل لهذا الموضوع نشر في كتاب (المخابرات والعالم ــ الجزء الأول) صفحات ٢١٩ و٢٢٠. وأيضاً نعرض في هذا الجزء الثالث من سلسلة كتب المخابرات والعالم قصة موجزة لضابط مخابرات بريطاني سابق يدعى « جيمس موريس » خدم في الفرقة التاسعة من جيش الاحتلال البريطاني لفلسطين قبل عام ١٩٤٨ كضابط مخابرات منتدب الى فرع



الكابتن جيمس موريس الضابط في المخابرات البريطانية في صورة تذكارية مع أحد العرب الفلسطينيين.

في أسفل الصورة « السيدة جين موريس » سيدة تبحث عن زوج.

مخابرات مدينة القدس وكان يتجسس على الفلسطينيين العرب في حينه. هذا الضابط تحوّل مؤخراً على يد طبيب بريطاني مقيم في الدار البيضاء في المغرب الى « امرأة » بعد عملية جراحية ناجحة حيث أصبح يدعى « السيدة جين موريس » وأصبحت هذه السيدة تبحث عن زوج شاذ مثلها يرضى بها زوجاً ويتحمل معها ما تحمل من أثم ووزر في الحاق الأذى بالمناضلين الفلسطينيين. وأيضاً قامت السيدة جين موريس مؤخراً بتأليف كتاب تروي فيه قصة حياتها أو حياته.. سابقاً بما فيها من غرابة الشذوذ والمغامرات العديدة في عملها ــ أو عمله بالمخابرات البريطانية وأضاف لهذه المغامرات محاولة قهر قمة جبل أفرست بعد أن تحول للحياة المدنية. وهكذا نتساءل هل هي المصادفة أن يكون بعض العاملين في المخابرات البريطانية وضد العرب من هذه الأصناف؟

المخابرات البريطانية
تكشف عميلاً سوفياتياً

○ المخابرات البريطانية « الأنتلجانس سرفيس » تعمل منذ إنشائها قبل حوالي أربعمائة عام في كل مكان وزمان. فعملاؤها وضباطها منتشرون في جميع دول العالم وقد ذكرنا عن نشوئها وبعض أعمالها ونشاطاتها الهامة في الجزء الأول من سلسلة المخابرات والعالم وذلك في الصفحات ١٨٠ إلى ٢٢١. ونظراً لاستمرار هذه المخابرات في التآمر والنشاط وبسبب ظهور بعض المعلومات عن أعمال سابقة قامت بها هذه المخابرات العريقة عدنا للكتابة عن بعض هذه الأعمال في الجزء الثاني من سلسلة المخابرات والعالم في الصفحات ١٥٦ إلى ١٨٤. أما في كتابي (ملف الثمانينات ـــ عن حرب المخابرات) الذي صدر إلى أسواق الكتب فلم أذكر شيئاً عن أعمال هذه المخابرات المستمرة نظراً لتخصيص الملف لمواضيع خاصة بالثمانينات. وفي هذا الجزء الثالث من سلسلة المخابرات والعالم نعود إلى عرض مواضيع هامة عن المخابرات البريطانية، وقد آن الأوان لتقديمها أو عرضها على القراء حسب السياسة التي اتبعناها في اكمال الاعلام عن أعمال المخابرات بشكل عام مع مراعاة عدم تكرار المعلومات.

المخابرات البريطانية تساعد على كشف عميل سوفياتي بالنرويج

○ درجت جميع مخابرات العالم على مراقبة أي عميل تشك في نشاطه لتعلم مع من يتصل من مواطني البلد التي يتجسس بها. ولكن المخابرات البريطانية بالتعاون مع المخابرات النرويجية بدأت في قصتنا هذه بصورة مغايرة. فعندما علمت المخابرات البريطانية بطرقها الخاصة أن المدعو « آرني ترهولت » السكرتير الصحافي في وزارة الخارجية النرويجية قد باع نفسه للمخابرات السوفياتية (K.G.B.) أعلمت زميلتها المخابرات النرويجية بذلك واتفقت معها على اجراءآت إلقاء القبض على المذكور بالجرم المشهود (كما يقال بلغة المباحث الجنائية). فجرى ترصد حركاته حيث تأكدوا أنه يقيم في فندق هيلتون في فيينا التي اختارها مركزاً للالتقاء برؤسائه الروس لتقديم المعلومات التي جمعها لهم ثم قبض ما يستحق له لقاء ذلك. وقامت المخابرات النرويجية بترصد خروجه من الفندق وقاموا بتصويره حينما كان يسير مع الجنرال تيتوف والمقدم الكسندر لوباتين وهما من ضباط المخابرات السوفياتية وذلك بتاريخ يوم ٢٠ آب (أغسطس) ١٩٨٣. وفي يوم ٢١ آب تمت متابعة مراقبته من قبل دورية مختلطة من المخابرات النرويجية والبريطانية وهو يتصل بالضباط السوفيات ويسلمهم الوثائق والأوراق السرية فتم تصويره أيضاً. ثم عاد الى الفندق ودفع حسابه وتوجه الى مطار أوسلو لمغادرة البلاد. وفي المطار وعندما وصل الى المكان المخصص لمشاهدة جواز سفره وختمه ختم المغادرة، عندها تقدمت منه عناصر المخابرات النرويجية وعرفته بأدب عن نفسها ثم طلبوا منه التوجه معهم برفق وبدون ضوضاء إلى مركز المخابرات (كثيراً ما نشاهد مثل هذه المناظر في الأفلام السينمائية).

وفي التحقيق اعترف ترهولت بأنه يتعامل مع المخابرات السوفياتية من أواخر الستينات عندما تعرف على الجنرال تيتوف وكان برتبة أقل من ذلك والذي كان يعمل في سفارة بلاده في نفس أوسلو حيث قبضت عليه المخابرات النرويجية سابقاً في عملية تجسس أخرى.وتم في ذلك الوقت طرده فقط من النرويج لأنه يتمتع بالحصانة الدبلوماسية.أما في هذه المرة فكان الجنرال تيتوف قد عاد الى النرويج بجواز واسم جديدين لمتابعة الاتصال مع ترهولت عميل الأمس القريب. وكانت المخابرات السوفياتية قد اختارت ترهولت للتعامل معه بعد أن أجرت دراسة تامة عن تاريخ حياته قبل التعامل معه حتى وصلوا الى اكتشاف « نقطة ضعف » لديه. فقد كان على علاقة غرامية مع فتاة بلجيكية تعمل في حلقة تجسس أيضاً كما عرفوا عنه إنغماسه في لعب القمار بالاضافة الى خسارته حوالي ٨٠ ثمانين ألف دولار في سوق الفروسية.وأيضاً عرفوا عنه ذكاءَهالمفرط وسعة ثقافته والمستقبل السياسي الذي كان ينتظره بعد أن كان يعمل صحافياً في الجريدة الرسمية للحزب الديموقراطي الاشتراكي (أربا يتربلات) وأنه كان يشق طريقه بثقة تامة بنفسه حتى أصبح في مطلع الثمانينات نجماً ساطعاً في سماء السياسية النرويجية وفي عام ١٩٨٣ أصبح سكرتيراً صحافياً في وزارة الخارجية. وفي التحقيق اعترف أنه كان سيعود إلى فيينا بتاريخ ٢٩ كانون الثاني (يناير) من نفس العام لاجراء مقابلة ثانية مع الجنرال تيتوف. وطبعاً فإن هذه المقابلة ألغيت بعد إلقاء القبض عليه. وكان الجاسوس ترهولت قد تقدم قبل القبض عليه بأوراق حقيقية للحصول على جواز سفر جديد لتنقلاته في عالم الجاسوسية دون أن يختفي وراء اسم مستعار مثل معلمه الجنرال تيتوف الذي ذكرنا أنه عاد الى النرويج بجواز سفر مزوّر. وقد أثيرت زوبعة سياسية أثر القاء القبض عليه في الحياة السياسية وقررت الحكومة النرويجية طرد خمسة دبلوماسيين سوفيات من النرويج نظراً لعلاقتهم مع العميل ترهولت وبسبب الأسرار التي يمكن أن يكون هذا

العميل قد نقلها لهم والتي تخص الأمور العسكرية الهامة في حلف شمال الأطلسي. وأثناء فترة الحجز والتحقيق التي امتدت ثلاثة أشهر استمر ترهولت في الادلاء باعترافاته الغزيرة التي بلغت ١٠٠ مائة صفحة ضمنها أسماء عملاء آخرين كانوا يعملون تحت أمرته اعتقلوا أيضاً بأمر النيابة العامة. وفي نهاية التحقيق عبّر ترهولت عن أسفه لتجسسه ضد بلاده.

وأكد رئيس الوزراء النرويجي « كاري فيللوخ » في مقابلة صحافية أن الجاسوس ترهولت قد سبب بتجسسه لبلاده خطراً وأضراراً كبيرة. وقد علمت المخابرات النرويجية أثناء التحقيق أن ترهولت كان قد تقدم بطلب للاشتراك بدورة عسكرية لمدة سنة في أكاديمية أوسلو العسكرية ووافقت له وزارة الدفاع النرويجية في حينه. وقد ثبت أنه أراد بذلك الانتساب زيادة معلوماته العسكرية لاستخدامها في نشاطه العسكري التجسسي ضد حلف شمال الأطلسي. ومما لا شك فيه أن ترهولت كان يمثل الجناح اليساري في حزب العمال الاشتراكي الديموقراطي أي أنه كان يمثل وجهة النظر السوفياتية. وتعتبر فترة خدمته في مكتب وزير البحرية جيمس إيفنس من أخطر الفترات نظراً للمشاكل البحرية التي كانت قائمة بين النرويج والاتحاد السوفياتي والتي انتهت بشكل يلائم الطرف الآخر وذلك بتأثير من ترهولت. ومن المعروف أن السفارة السوفياتية في أوسلو أبقت لديها حوالي مائة دبلوماسي بعد طرد النرويج لخمسة دبلوماسيين كانت الأدلة قد أشارت الى علاقاتهم مع ترهولت عدا عن اعترافه عليهم.

وأخيراً انتهى التحقيق وقدم الى محكمة جنايات أوسلو التي حكمت عليه بالسجن الفعلي خمسة عشر عاماً ونقل بعدها الى سجن أوسلو المركزي ليقضي عقوبته « إلّا » إذا جرى تبادله مع جاسوس مثله في الطرف الآخر... إنها حياة المخابرات.

انغماس الوزراء البريطانيين بالجنس والمخدرات

اهتمام المخابرات البريطانية بفضائح الوزراء البريطانيين

○ اهتمت المخابرات البريطانية ـ الانتلجانس سرفيس ـ بالفضيحة الجديدة التي طغت على الأحداث السياسية وهي فضيحة انغماس بعض الوزراء البريطانيين بتعاطي المخدرات والجنس الحرام. وها هو التاريخ يعيد نفسه بعد فضيحة البغي كريستين كيلر التي هزت الحكومة البريطانية وأطاحت بوزير الدفاع « في حينه » السير جون بروفيومو. وها هو وزير جديد يقع فريسة انغماسه بتعاطي المخدرات والجنس الحرام.

○ اللورد جيليكو كان عضواً في الوزارة البريطانية منذ عام ١٩٧٠ ثم عيّن حامل أختام الملكة ثم زعيم المحافظين في مجلس اللوردات وبحكم منصبيه المذكورين كان مطلعاً على أهم أسرار الدولة البريطانية. كشفت المخابرات البريطانية مؤخراً أنه كان يقيم علاقة جنسية مع بعض فتيات الهوى بواسطة الاتصال بوكالة تعلن عن نفسها في الصحف البريطانية بأنها مستعدة لتقديم الفتيات « كمرافقات » لرجال الأعمال وضيوف بريطانيا. وكان اللورد جيليكو يتصل بالوكالة ويطلب فتاة « ستكون جميلة بطبيعة الحال » ثم يدعوها للعشاء ثم يصطحبها بطبيعة

الحال إلى شقته الخاصة بعيداً عن عش الزوجية وإلى عش الجنس الحرام والشاذ لأن الأفعال التي يقوم بها مع مثل هذه البغي الراقية يمنعه حياؤه ولو كان بريطانياً من ممارستها مع زوجته وأم أولاده. وقد تعامل مع عدة وكالات لتأمين الفتيات المرافقات بالهاتف وتحت اسم مستعار ولم يكشف النقاب عن هويته الحقيقية أو وظيفته الهامة لأية فتاة وفي أي وقت من الأوقات. وعلى الرغم من ذلك الحرص فإن هويته الحقيقية « عرفت » وأصبح بالتالي محوراً للاشاعات والهمس. وبحكم المصادفة فقط تسربت هذه المعلومات إلى المخابرات البريطانية التي لها في كل مكان « عين » وأذن كما علمنا من العديد من القصص في هذا الجزء وغيره من كتب المخابرات.

○ اللورد لامبثون ــ الوكيل البرلماني لوزارة الدفاع البريطانية لشؤون السلاح الجوي البريطاني والوكيل البرلماني لوزارة الدفاع البريطانية ــ أيضاً كانت له علاقة جنسية مع المومس البريطانية « نورما ليفي » وقد تعرف عليها أيضاً عن طريق الاتصال بالهاتف مع وكالة خاصة لتقديم الفتيات لطالبي اللذة مقابل اجور عالية جداً. كما تعرّف اللورد لامبثون على غيرها من فتيات الهاتف وأخذ يستفيد من خدماتهن الجسدية لتبييض الوجه أمام بعض أصدقائه اللوردات أيضاً، وأبقى لنفسه المومس نورما ليفي. واسمها الكامل كما عرف فيما بعد : هانور ماري رسل، كما سمت نفسها أيضاً : « نورما رسل » ونورما هارينغتون. وقد تزوجت من رجل مشهور في عالم الاجرام والاحتيال وتسهيل الدعارة يدعى كولين. وقد واظبت على تعاملها الجنسي مع اللورد لامبثون ولكن بأسعار عالية، وكانت المواعيد تنظم هاتفياً وعن طريق « المدام » صاحبة وكالة تقديم المرافقات. وكان من بين زبائن المدام (الشبكة) الكثير من رجال السياسة ورجال الأعمال والادارة.

نورما ليفي تتبع خطى كريستين كيلر في فضح السياسيين

○ كان اللورد لامبثون يستقبل نورما في شقة قريبة من مكتبه للاختلاء معها وكان يدفع لها مقابل الجنس مئات الجنيهات الاسترلينية ثم أخذ يعطيها ثمن الجنس أو بدل أتعابها « شيكات » تحمل اسمه وتوقيعه وهنا الغلطة أو الطامة الكبرى. وقد حاول أحد الزملاء في أيام ماضية إعطاء شيكات بنفس الطريقة ولكن زميلاً آخر نصحه فامتنع، ويظهر أن اللورد لامبثون لم يجد من ينصحه. وقد عرفته نورما من أول « شيك » وأعلمت زوجها عن شخصيته السياسية الهامة فاعتقد كولين أن بامكانه أن يحصل على مال وفير بطريقة الابتزاز بعلاقة زوجته مع اللورد فاتفق معها وهما شريكان حيث التقط صوراً جنسية فاضحة وحتى شاذة لزوجته وللورد لامبثون في الفراش واللورد لا يدري شيئاً. بعد طبع الصور الفاضحة توجه كولين الى صحيفة « نيوز أوف ذي وورلد » المتخصصة بنشر الفضائح حاملاً الصور. وبعد جلسة مريحة مع رئيس التحرير طلب منه مبلغ ٣٠ ثلاثين ألف جنيه استرليني ثمناً لهذه الصورة ولكن رئيس التحرير استمهله وأخذ يماطله بحجة التأكد من « صحتها ». عند ذلك كانت نورما تعيش على أعصابها فوقع خلاف بينها وبين زوجها. عند ذلك غضبت نورما وتوجهت الى المباحث العامة « اسكوتلنديارد » وأعلمتهم عن علاقتها الجنسية مع اللورد لامبثون لتقطع الطريق على زوجها وتمنعه من ابتزاز الصحيفة أو اللورد بواسطة الصور الفاضحة التي التقطها بنفسه لها وللورد.

○ أصبح بين يديّ المباحث البريطانية ملف عن علاقة اللورد لامبثون مع المومس نورما ليفي زوجة كولين وبين يدي المخابرات البريطانية ملف عن علاقة اللورد جيليكو بالمومسات وتعاطي الممنوعات لدى المخابرات البريطانية. وطالما أن الجهازين يتبادلان المعلومات والقضايا

المماثلة لبعضه فقد تم توحيد الملفين تحت اسم « فضيحة الجنس والمخدرات ». ونظراً لمكانة اللوردين الاجتماعية والسياسية فقد شكلت وزارة العدل البريطانية لجنة قضائية عليا برئاسة القاضي اللورد « ديبلوك فارد » للتحقق من هذين الملفين، وقد أمضت هذه اللجنة ٣٨ يوماً في البحث والدراسة والتحقيق والاستماع إلى الشهود، وقد نشرت فيما بعد تقريرها الذي كان هدفه الرئيسي بيان « هل هناك خطر على الأمن نتيجة انغماس اللوردين بالجنس والمخدرات ». ومن المعلوم أنه قبل أن تبدأ اللجنة أعمالها « استقال » اللورد لامبتون، ثم تبعه بالاستقالة اللورد جيليكو أي بعد انفضاح تورطهما في شبكة الدعارة والمخدرات. صدر تقرير اللجنة بشكل موجز لم يزد عدد صفحاته على تسع صفحات ولكنه كشف بلغة بسيطة واضحة ليس ما حدث فقط، بل ما كان يمكن أن يحدث في عالم يقع فيه اختيار المسؤولين الهامين على إحدى المومسات لقضاء الليل معها بسبب مشاكل معينة مع زوجته أو بسبب « شذوذ ما » ثم يتبين أنه ربما لها « علاقة » مع مخابرات أجنبية ربما تكون معادية لبريطانيا.

○ عندما شكل وزير العدل البريطاني هذه اللجنة باسم الحكومة البريطانية أبلغ رئيسها بأن مهمته الأولى تنحصر في الاجابة على السؤالين التاليين :

١ ــ هل تسربت معلومات سرية يحتمل أن يؤدي تسربها لالحاق الضرر بمصالح بريطانيا وحلفائها من قبل دولة أجنبية يمكن أن تصبح معادية لبريطانيا ؟

○ ردّ قرار اللجنة بعد التحقيق: كلا لم تتسرب أية معلومات.

٢ ــ هل كان من الممكن أن يتعرض أمن بريطانيا وحلفائها إلى الخطر لو أن اللورد لامبتون واللورد جيليكو « بقيا » في منصبيهما

الوزارَيْن الهامين، واستمرا في إقامة العلاقات الجنسية مع المومسات المشبوهات ؟

○ فيما يتعلق باللورد جيليكو كان جواب اللجنة هو : النفي، وقال التقرير : لا. إننا لا نعتقد أن بقاء اللورد جيليكو في منصبه كان من الممكن أن يكشل خطراً، حتى لو استمر في معاشرة فتيات الهوى، ولكن فيما يتعلق باللورد لامبتون فقد كان جواب اللجنة مختلفاً حيث ذكرت في تقريرها: « من المحتمل أنه لو بقي اللورد لامبتون في منصبه الوزاري لكان ذلك قد شكل خطراً على أمن بريطانيا وحلفائها وذلك بسبب انحرافاته الجنسية من ناحية وبسبب تعاطيه المخدرات من ناحية ثانية ».

وقد استهلت اللجنة تقريرها بالقاء أضواء كاشفة على الأخطار التي كان من المحتمل أن تلحق بأمن بريطانيا وحلفائها نتيجة اتصال أشخاص ذوي مراكز حساسة تمكنهم من الاطلاع على أعظم وأدق الأسرار بالمومسات.

وجاء في التقرير : من المعروف أن المخابرات في العالم تضطر للاستعانة بالمومسات خاصة في أوروبا للوصول الى الأسرار الهامة. فإذا كان عشيق أو « زبون » المومس مطلعاً على أسرار بلاده الهامة، أو قادراً للوصول إليها، فإنه ذلك يعرض الأمن بصورة عامة للخطر بطريقتين مختلفتين :

١ ــ يقوم هذا الشخص الزبون بكشف الأسرار الى المومس أثناء أوقات المتعة وبقصد التباهي أمامها.

٢ ــ إنه نفسه قد يعرض نفسه للخطر بعد تصويره مع المومس وهو لا يدري طبعاً بالفراش وبأوضاع مخزية ثم يجري تظهير الصور والبدء بعملية المساومة والابتزاز المالي أو التجسسي. وفي هذه الحالة قد يضطر إلى تقديم ما يطلب منه مرغماً الى المخابرات الأجنبية أو المبتزين ليتحاشى فضحه والحيلولة دون التشهير به

وتصبح هذه العملية مثل ابريق الزيت الذي يتندر به اللبنانيون لأن الصور لا تنضب طالما لها أصل ولا يصدق من يتمسك بمثل هذه الصور طالما أن « بطل الفيلم » يدفع من ماله أو كرامته.

○ ونعود لمحتويات التقرير التي تقول : إن خطر كشف المعلومات والأسرار دون قصد موجود في جميع أشكال الاتصالات الاجتماعية مع المعارف الذي يلتقي بها الانسان بطريقة عابرة، أو مع الغرباء. وإن كشف المعلومات يمكن أن يحدث خلال حفلات الكوكتيل أو في مآدب العشاء المختلطة واكثر ما يحدث من كشف للمعلومات هو ما ذكرنا « أثناء المتعة مع المومس ». لكن الخطر الأكبر ينجم عن اضطرار الشخص المطلع على الأسرار إلى كشف المعلومات تحت ضغوط التهديد بالابتزاز والتشهير. ولهذا السبب بالذات تلجأ المخابرات الأجنبية وخاصة المخابرات الاسرائيلية للاستعانة بخدمات « فتيات الهوى » المدربات في معهد خاص بتل أبيب. ومن أهم أعمالهن مع الشبكات المختصة ومن أخطر أساليب التهديد واكثرها فعالية « التقاط الصور الفاضحة » للشخصية المقصودة والمطلعة على الأسرار. ومع هذا فإن الخطر على الأمن الناجم عن الابتزاز يجب أن ينظر إليه في إطار الظروف الخاصة المحيطة به. فهو من ناحية يتطلب تسهيلات للحصول على صور فاضحة حقيقية وخاصة إذا كان « للمستهدف » شذوذ ما، فتبدأ الاتصالات بتوجيه المومس المدرّبة من المخابرات ضد الضحية فتستدرجه إلى الشقة المعدّة للتصوير الخفي (مع الاعتذار من الفنان فؤاد المهندس وبرنامج الكاميرا الخفيّة). فيحدث ما يحدث. وهنا نؤكد أنه ليس كل الضحايا على استعداد لخيانة بلادهم. أما إذا كان الضحية يقيم فقط علاقات جنسية مع مومس عادية ومهما كان شأنه في الدولة فإن ذلك لا يشكل جريمة ولا خطيئة في « بريطانيا » إلّا بالنسبة لزوجة الضحية وأسرته.

وذكر في التقرير أيضاً :

إن التحقيقات التي أجريت أثبتت أن أياً من أعضاء شبكات الدعارة المستترة تحت اسم (وكالات تقديم المرافقات) لم يكن على اتصال مع اية مخابرات أجنبية أو معادية لبريطانيا سواء في الداخل والخارج. وختم التقرير باسهاب كيف انفجرت الفضيحة وكيف استقال اللورد لامبثون واللورد جيليكو من منصبيهما. وإن اللجنة واثقة من أن اللورد لامبثون « لم يفش » أية أسرار هامة، لكن الخطر كان موجوداً باحتمال حدوث ذلك نتيجة لادمانه على تعاطي المخدرات. وقد ثبت للجنة بأنه كان يتعاطى تدخين الحشيش فقط، وقد جعله ذلك معرضاً للابتزاز والتشهير اكثر من التشهير بالصور الفاضحة التي التقطت له مع المومس نورما ليفي من قبل زوجها. كما ذكر التقرير أن جميع الاشاعات القائلة بأن وزراء آخرين في حكومة صاحبة الجلالة « متورطون » في مثل هذه الفضيحة جاءت من مصادر غير موثوقة. ونحن نقول أن هذه الاشاعات صحيحة وسيأتي الوقت والسبب لكشفها. وإن غداً لناظره لقريب.

نشاط المخابرات الاسرائيلية في بريطانيا

عش الجواسيس الاسرائيليين في لندن

○ تمكنت المخابرات البريطانية في شهر تموز ١٩٨٨ من كشف « خلية جواسيس » للمخابرات الاسرائيلية هدفها التجسس على العرب بصورة عامة وملاحقة النشاط الفلسطيني على الأراضي البريطانية. وقد علم أن أعضاء خلية الجواسيس هذه قد غادروا لندن بعد أن طلبت الخارجية البريطانية بالاتفاق مع المخابرات ترحيلهم بهدوء « بدلاً » من تفجير العلاقات البريطانية الاسرائيلية، التي تمر من اكثر من سنة بفترة حساسة نتيجة بعض التراكمات وبعض الممارسات الجاسوسية والسياسية بين الطرفين. ورحيل الخلية الجاسوسية الاسرائيلية من لندن، بعكس رغبة الطرفين البريطاني والاسرائيلي في عدم تفجير المزيد من الخلافات بين البلدين، خصوصاً بعد أن كشفت المخابرات البريطانية بالصدفة البحتة تغلغل المخابرات الاسرائيلية في بريطانيا وقيامها بعدة عمليات على الأراضي البريطانية. وقد تمت هذه العملية المفاجئة عندما قبضت المخابرات البريطانية على شخص اسمه « اسماعيل حسن صوان » من مواليد ١٩٦٠ فلسطين ـــ للاشتباه في أنه قاتل رسام الكاريكاتير

الفلسطيني المرحوم « ناجي العلي ». وأثناء التحقيق مع اسماعيل الصوان اكتشف المحققون أنه « عميل » للمخابرات الاسرائيلية وأن هذه المخابرات قد زرعته داخل منظمة التحرير الفلسطينية للتجسس على نشاطها ورصد تحركات أفرادها. وقد اعترف « صوان » بالاضافة لتجسسه لاسرائيل.

وقال المحامي البريطاني « دايفيد كوكس » أثناء المرافعة الدفاعية عن موكله « اسماعيل صوان » أمام محكمة أولد بيلي أن موكله يعترف بتجسسه لصالح المخابرات الاسرائيلية وأنه كان يتقاضى منهم راتباً شهرياً هو « ٦٠٠ ستماية جنيه استرليني » لقاء مدّهم بمعلومات حول نشاطات عضو منظمة التحرير الفلسطينية عبد الرحيم مصطفى الذي تعتقد المخابرات البريطانية أنه وراء جريمة اغتيال ناجي العلي. وقال القاضي فرانش هايدن في الحكم الذي أصدره على اسماعيل صوان الذي أدانته هيئة محلفين بريطانية مؤلفة من ١٢شخصاً، بأنه مذنب وأنه ارتكب جناية خطيرة. وكان المدعي العالم البريطاني قد طالب بالحكم على اسماعيل صوان بأقصى العقوبات لأنه قبل تخزين حقائب الأسلحة والمتفجرات لمصطفى عبد الرحيم، مع معرفته الأكيدة بعلاقة المذكور بمنظمة التحرير خاصة وأنه كان يتجسس « عليه » لصالح المخابرات الاسرائيلية منذ فترة طويلة. وكان اسماعيل قد اعترف بأنه كان مكلفاً من « الموساد » باقامة علاقات مع « مصطفى عبد الرحيم » العضو البارز في الفرقة «١٧» الانتحارية الفلسطينية كما يدعي « صوان » والتي تعتقد المخابرات البريطانية أنه يقف خلف عملية اغتيال « ناجي العلي ». ومن المهم التأكيد على أن قصة عبد الرحيم مصطفى، وتخزين الأسلحة لدى اسماعيل صوان هي من صنع المخابرات الاسرائيلية بالكامل وأن الصوان لم يرد كشف هذه القصة أمام المحكمة، حتى لا يحاكم بعملية اغتيال ناجي العلي لأن الموساد يهمها إثارة الشكوك حول دور منظمة التحرير

في عملية اغتيال رسام الكاريكاتير الراحل. وقد فجرت اعترافات الصوان بأنه عميل للموساد أخباراً في غاية الخطورة، فكما يقول خبراء المخابرات والمحللون أن المخابرات البريطانية اكتشفت أن هناك شبكة جاسوسية كبيرة للمخابرات الاسرائيلية تعمل في بريطانيا وهي لا تعلم عنها شيئاً. وأدركت هذه المخابرات أنها أمام نشاط استخباري قوي يعمل من خلف ظهرها لحسابه الخاص ولتصفية القضايا المعادية له. هذا الاكتشاف أصاب المخابرات البريطانية بذعر شديد، خصوصاً وأن المسألة لها علاقة بالسيادة الأمنية، فالمخابرات البريطانية لا يمكن أن تسمح لأي جهاز مخابرات أن يعمل على أرضها « بدون علمها » وبدون أن تعلم أهدافه ونواياه. وهذه الحادثة أضاءت الضوء الأحمر، في مكاتب عمليات المخابرات البريطانية، التي فتحت حالاً ملف المخابرات الاسرائيلية في لندن. وعندما فتحت هذا الملف، وجدت أوراقاً في غاية الخطورة، تؤكد نشاط الموساد في بريطانيا منذ سنوات، وتدلّ على عمليات معينة قامت بها أجهزة المخابرات الاسرائيلية في قلب بريطانيا. ولخصت المخابرات البريطانية الموضوع في تقرير شامل ومكثف وجدته مارغريت تاتشر رئيسة الوزراء على مكتبها في شارع « داوننج ستريت ١٠ » وعليه كلمة « سري جداً » وكلمة « عاجل ».

وعندما قرأت تاتشر محتويات التقرير لم تخف انزعاجها الشديد وقلقها، لأنها ترفض تماماً كمخابراتها أن تتحول بريطانيا لساحة مفتوحة أمام أية أجهزة مخابرات، يتساوى في ذلك الأصدقاء والأعداء معاً، لأن قضايا الأمن القومي، تخص البريطانيين وحدهم، ولا يشاركهم فيها أيّ جهاز آخر من مخابرات العالم.

لذلك عندما ظهرت تاتشر في برنامج تلفزيوني بريطاني اسمه « العالَم من حولنا » لم تخف انزعاجها الشديد من مضمون ومعلومات التقرير الذي قدمته لها مخابراتها عن نشاط المخابرات الاسرائيلية في بريطانيا

(هكذا عندهم رئيسة الوزراء تطرح على مشاهدي التلفزيون موضوع تقرير سري جداً رفع إليها من المخابرات). وقالت لمعدّ ومحلل البرنامج أنها أرسلت رسالة إنذار وجهتها إلى إسحاق شامير رئيس وزراء اسرائيل حول نشاط المخابرات الاسرائيلية في لندن. وجاء في رسالة تاتشر لاسحاق شامير كما قال معدّ البرنامج أن المخابرات الاسرائيلية ستجد نفسها على لائحة الأجهزة غير الصديقة إذا ما استمرت في مثل هذه النشاطات السرية الضارة بأمن بريطانيا. وهنا نذكر أنه طالما البرنامج برنامج تلفزيوني رسمي يُحضر السيدة تاتشر كرئيسة وزراء لمناقشتها فمعنى هذا أن بريطانيا « تعلم بعلم رئيسة الوزراء أن للمخابرات الاسرائيلية نشاطاً في بريطانيا ولكنها تعتبرها من المخابرات الصديقة ». وذكر البرنامج أن هذه الرسالة من تاتشر قد أرسلت الى شامير بعد شهرين من اعتقال « اسماعيل صوان » بتهمة حيازة أسلحة ومتفجرات في شقته بمنطقة « هال » في لندن، وبعد أيام على ابعاد شخص آخر يدعى بشارة سمارة عن الأراضي البريطانية بتهمة أن المخابرات الاسرائيلية قد « زرعته » أيضاً للتجسس على النشاط الفلسطيني.

وبعد انفجار أسرار قضية « اسماعيل صوان » وعلاقته بالمخابرات الاسرائيلية طلبت وزارة الخارجية البريطانية ترحيل الدبلوماسي الاسرائيلي « جاكوب براد » لأنه أصبح شخصاً غير مرغوب فيه. وقالت المصادر المقرّبة من المخابرات البريطانية : أن جاكوب براد كان يدير النشاط الاستخباري في السفارة الاسرائيلية (وكر التجسس في لندن) وهو الذي كان يتولى نشاط سماره والصوان المدسوسين على الفلسطينيين، وأنه قد غادر لندن فعلاً إلى تل أبيب حيث لا تسمح السلطات البريطانية بعودته بعد ذلك. وتم أيضاً إبعاد الملحق في السفارة الاسرائيلية « آري رجف » أثر انفجار قضية سمارة والصوان.

وقامت في الوقت نفسه السلطات البريطانية، بابعاد أحد العاملين في

مكتب « منظمة التحرير الفلسطينية » النظامي في لندن وهو السيد زكي أبو الهدى، بسبب انتمائه الى الفرقة الضاربة رقم (١٧) كما قالت مصادر الخارجية البريطانية. وتضيف الخارجية أن أبا الهدى والفرقة (١٧) الفلسطينية هما وراء اغتيال ناجي العلي في لندن. ولم تكن عملية ابعاد الملحق الاسرائيلي « آري رجف » والدبلوماسي الفلسطيني زكي أبو الهدى من لندن نهاية المطاف بعد فضيحة الصوان وسمارة لأن المخابرات البريطانية اكتشفت أن هناك « شبكة مخابرات اسرائيلية » تعمل بنشاط وحيوية شديدة على الأراضي البريطانية ومنذ مدة طويلة. وقد أعادت هذه المخابرات إلى الأذهان واقعة محاولة ترحيل الوزير النيجيري المعارض لحكومته عمر ديكو من أحد مطارات لندن في صندوق خشبي للبضائع، هذه المحاولة التي اكتشفت بالصدفة. وبعد التحقيق اكتشف تورط المخابرات الاسرائيلية « كما جاء في الفصل السابق لهذا الموضوع » واكتشفت علاقة الموساد بأجهزة المخابرات في بعض الدول الافريقية ودورها في القيام بعمليات خاصة لصالح بعض الأنظمة والحكومات الافريقية.

○ واقعة ثانية أو عملية ثانية قامت المخابرات الاسرائيلية بتنفيذها في لندن هي خطف المهندس الاسرائيلي النووي « مردخاي فانونو » العامل في المفاعل النووي الاسرائيلي في ديمونا من لندن، بعد قيامه بكشف أسرار الصناعة النووية الهدامة في اسرائيل عبر تحقيق باعه لجريدة « الصانداي تايمز » اللندنية لقاء مبلغ ضخم أغرته به هذه الجريدة. وقد اختفى هذا المهندس من لندن عقب نشر التحقيق بشكل سري، حيث ظهر فجأة بعد ذلك في اسرائيل أمام محكمة عسكرية اسرائيلية حكمت عليه بالسجن ١٨ عاماً بسبب إفشاء الأسرار العسكرية النووية لاسرائيل. وقد تمكن فانونو أثناء نقله من السجن الى المحكمة أن ينقل إلى بعض مراسلي الصحف خبر « خطفه » من لندن عبر روما إلى اسرائيل. مكتوباً



مقر السفارة السورية في لندن والحقد البريطاني الواضح



شامير، أنذرته تاتشر
لسحب مخابراته
من لندن.



ناجي العلي.
من قتله؟



هنداوي ومحاولة
نسف طائرة العال
الاسرائيلية.



فانونو اختطف
من لندن
لاسرائيل.

على ورقة صغيرة التقطها أحد هؤلاء المراسلين. وقد تأكدت المخابرات البريطانية بعد ذلك بأنه قد خطف فعلاً من لندن وتمّ ترحيله إلى اسرائيل بشكل سري ومخالف لجميع أنواع الأنظمة والقوانين.

○ والواقعة الثالثة هي وجود أكثر من إشارة استفهام في لندن ترصدها المخابرات البريطانية تدل على ضلوع المخابرات الاسرائيلية في فبركة قصة محاولة نسف وإسقاط طائرة العال الاسرائيلية بوضع قنبلة موقوتة ضمن حقائب إحدى المسافرات إلى تل أبيب من قبل الاردني « نزار هنداوي » واتهامه بأنه « عميل » للمخابرات السورية وأن هذه المخابرات هي التي دربته للقيام بهذه العملية. وما نتج عن ذلك من تدهور العلاقات بين بريطانيا وسوريا إثر هذه الاتهامات المغرضة والتي انساقت اليها السلطات البريطانية دون أن تتأكد أن الموساد الاسرائيلية هي « وراء » هذه العملية القذرة. وقد حكم على الهنداوي فيما بعد دون ذكر اسم المخابرات السورية مما جعل المخابرات البريطانية « تتأكد » من عملية توريط اسم السلطات السورية من قبل المخابرات الاسرائيلية نتيجة الحقد الأسود المتمثل في السعي للاساءة للمخابرات السورية البعيد كل البعد عن هذه العمليات. ومع هذا استمرت الحكومة البريطانية برئاسة تاتشر في تعنتها مدة من الزمن ثم بدأت بمحاولة إعادة العلاقات مع سوريا وجس النبض عن طريق وسطاء أوروبيين ولكن الحكومة السورية لم تستجب لأن موقفها واضح وهي صاحبة حق في الاستمرار بقطع العلاقات مع بريطانيا المتجنية دائماً.

○ هذه المعلومات أعادت المخابرات البريطانية قراءتها جيداً مرة أخرى. واكدت عمليات الرصد البريطانية، أن هناك خلية اسرائيلية كاملة من المخابرات الاسرائيلية « تعمل باستمرار في لندن ومن مقر السفارة الاسرائيلية التي يجب أن تغلق ». وان هذه الخلية تعمل تحت اسماء وصفات مستعارة ووظائف وأعمال وهمية غير حقيقية، وقد قامت

المخابرات الاسرائيلية بعد ذلك بسحب بعض عملائها من لندن واعادتهم الى تل أبيب بعد أن كشفتهم المخابرات البريطانية.

والحقيقة ان طريقة سحب هذه الخلية يكشف أن الطرف البريطاني، لا يريد توسيع نقطة الصدام مع الطرف الاسرائيلي، خصوصاً أن هناك فترة توتر منذ بعض الوقت في العلاقات نتجت بسبب تصريحات بعض المسؤولين في وزارة الخارجية البريطانية، اعتبرتها اسرائيل معادية لها. وأيضاً سحب هذه الخلية من قبل اسرائيل بهدوء ودون ضجة، يترجم رغبة الجانب الاسرائيلي في عدم استفزاز المخابرات البريطانية، أو إحداث أيّ حرج للخارجية البريطانية، لأن اسرائيل تعلم أن انفجار فضيحة الصوان وسمارة قد أضرّت بالعلاقات الاسرائيلية البريطانية، خاصة وأن بعض المسؤولين البريطانيين هاجموا السياسة الاسرائيلية في الأراضي المحتلة إبّان الانتفاضة التي عرفت الآن ونحن في عام ١٩٨٨ أنها حرب الحجارة والبطولة ضد جيش محتل وقوي. وان المسؤولين البريطانيين هاجموا اسرائيل ووصفوها بأنها تطبق الاجراءات الشديدة ضد المواطنين العرب أصحاب الأرض أصلاً، بنفس الأساليب التي تتبعها جنوب افريقيا وحكومتها العنصرية. وقد كشف في لندن أيضاً أن سفر الخلية الاسرائيلية إلى فلسطين المحتلة تمّ على متن طائرة اسرائيلية تابعة لشركة العال، قامت برحلة مستأجرة من المخابرات الاسرائيلية واضافية عاجلة لانجاز هذه المهمة بشكل سريع. وقد رفضت في حينه وزارة الخارجية البريطانية والسفارة الاسرائيلية في لندن، بحث الموضوع باعتبار أنه يدخل في نطاق الأمن. كما أكدت مصادر بريطانية أن الاسرائيليين الخمسة الذين أبعدوا بعد ثبوت مشاركتهم في العمليات التجسسية ومؤآمرات خطف الناس في بريطانيا، كانوا يتنكرون خلف صفة رجال أعمال، وأنهم غادروا بريطانيا بهذا الشكل السريع بعد عملية الكشف التي قامت بها المخابرات البريطانية، وفضحت نشاط هذه الخلية

الجاسوسية التي كانت تمارس عملية التجسس، وعملية ترتيب ترحيل الخلية، بشكل سري وغير معلن، يكشف أن هناك عمليات تهدئة وتصفية، قامت بين الطرف البريطاني والاسرائيلي. فبريطانيا من ناحية لم تكن تريد تفجير الصدام الجديد مع الاسرائيليين، كما ان الاسرائيليين لم تكن لديهم الرغبة في إحداث المزيد من الخسارة لعلاقاتهم ببريطانيا، هذه العلاقات التي شهدت مصادمات عديدة في الشهور الأخيرة.

○ وقد بدأ مسلسل التصادم بين بريطانيا واسرائيل كما يلي:

١ ــ عندما نقد وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية ممارسات اسرائيل الهمجية لجهة قتل المواطنين الفلسطينيين يومياً، حصول عدة حالات تكسير وتعطيل أعضاء بعض الشبان الفلسطينيين شاهدها الجميع على شاشات التلفزيون حيث وصفها الوزير المذكور بأنها « وصمة عار » في جبين البشرية إذا سكتت عن هذه الممارسات الاسرائيلية البشعة.

٢ ــ الصدام التالي، عندما عقدت بريطانيا صفقة العصر مع المملكة العربية السعودية، التي ستقوم بريطانيا بموجبها ببيع أسلحة للسعودية تبلغ قيمتها حوالي ١٠ عشرة مليارات جنيه استرليني، وأعلنت اسرائيل عن خوفها صراحة من هذه الصفقة ومن وصول هذه الأسلحة المتطورة الى السعودية لأنها تهدد الاحتجاج الاسرائيلي غير المنطقي والذي اعتبر « تدخلاً » في الشؤون البريطانية.

٣ ــ الصدام الثالث، هو ما ذكرناه من تهجم وزير الشؤون الخارجية « دايفيد ميلور » على ممارسات السلطات الاسرائيلية المحتلة في الأراضي المحتلة ووصفه هذه الممارسات بأنها شبيهة بتلك التي تطبقها الحكومة العنصرية في جنوب افريقيا. هذا التصريح

« الجريء » من وزير بريطاني قد أثار اللوبي الصهيوني في بريطانيا وخارجها ضد السياسات والتوجهات البريطانية.

○ ويأتي حادث « ترحيل » الخلية الجاسوسية الاسرائيلية من بريطانيا، دون ضجة ليؤكد أن الطرفين، يريدان التخلص من عوامل القلق وفتح صفحة جديدة. وكان الطرف البريطاني قد اشترط أن تقوم اسرائيل بحل هذه « الخلية » وترحيلها من لندن، حتى يمكن تهدئة الجو المتوتر بين الطرفين.

ويرى بعض المحللين في أمور المخابرات أن هذه المسألة هي نهاية فصل[1] من فصول الجاسوسية الاسرائيلية في بريطانيا. ويرى البعض الآخر، أن هذه العملية، قد تكون بداية لصيد عشرات خلايا التجسس الاسرائيلية التي لم يفضح أمرها وهي موجودة فعلاً في بريطانيا لأن من المعروف عن المخابرات الاسرائيلية أنها تزرع في الدولة التي يوجد لها مصلحة دائمة في التجسس عليها وبها، عدة خلايا جاسوسية « منفصلة عن بعض » حتى إذا كشفت إحدى هذه الخلايا « استمرت » بقية الخلايا في التجسس. ورغم الخلاف في وجهات النظر، إلاَّ أنه من المؤكد أن المخابرات البريطانية ستتعامل مستقبلياً مع نشاطات المخابرات الاسرائيلية بطريقة مختلفة، عن تلك التي كانت قائمة قبل انفجار فضيحة الصوان وسمارة وعمالتهما لتلك المخابرات وغير ذلك من المؤآمرات الاسرائيلية التي نفذت بين ظهراني التاج البريطاني.

---

(١) المصدر: جريدة البيان عدد ١٩٨٨/٨/٣ ومن الزميل خليل التقي مراسل مجلة الموقف العربي في سوريا. جريدة النجم الأحمر عدد ١٩٨٨/٨/٩، ومن الزميل مراسل وكالة سانا للأبناء في موسكو.

هذه المخابرات إذا لم تراقب السفارة الاسرائيلية في لندن ١٠٠٪ لاستمرت المياة تسير من تحتها وتظهر بين الفينة والفينة فضيحة جديدة عن تدخل المخابرات الاسرائيلية في الحياة البريطانية وتنفيذها المؤامرات على الأرض البريطانية.



دايفيد ميلور الوزير البريطاني الذي هاجم التصرفات الاسرائيلية



من كاريكاتير ناجي العلي

التّاريخ يُعيدُ نفسَه

إغتيال
نائب القائد العام للثّورة الفلسطينيّة
المرحوم خليل الوزير - أبو جهاد
في تونس

من قِبل المخابرات الإسرائيلية
في صورة طبق الأصل

عَن

عملية إغتيال كمال ناصر وكمال عدوان ومحمّد يوسف النجّار
في بيروت عام ١٩٧٣

أول وأدق التفاصيل عن عملية « اغتيال » المرحوم ـ خليل الوزير ـ أبو جهاد.



○ التاريخ يعيد نفسه كما يقال. وهنا الحقد الاسرائيلي الأسود لا يتغير ولا يتبدل حيث تأتي جريمة اغتيال الشهيد خليل الوزير « أبو جهاد » نائب القائد العام للثورة الفلسطينية فجر يوم السبت الواقع في ١٩٨٨/٤/١٦ (١٦ نيسان أبريل ١٩٨٨) في منزله الكائن في الضاحية الشمالية في منطقة سيدي بوسعيد بالجمهورية التونسية، بعد خمس عشرة سنة بالضبط من تاريخ عملية مماثلة وطبق الأصل أقدمت عليها المخابرات والبحرية الاسرائيلية. وبالتحديد كانت العملية السابقة بتاريخ ١٩٧٣/٤/١٠ (العاشر من نيسان أبريل ١٩٧٣) وفي منطقة « فردان »

في بيروت وعرفت في حينه بـ« عملية فردان ». وقد تمكنت مجموعات من الكوماندوس والمخابرات الاسرائيلية من اغتيال ثلاثة من كبار القادة الفلسطينيين في منازلهم وهم الشهداء:

أولاً : محمد يوسف النجار « أبو يوسف » الذي كان المسؤول العسكري لحركة « فتح » وأحد قادتها التاريخيين.

ثانياً : كمال عدوان، المسؤول عن العمل النضالي داخل الأرض المحتلة، حيث استولى المهاجمون الاسرائيليون على وثائق هامة من منزله. وقد شرحنا قصتهم في الصفحات السابقة.

ثالثاً : كمال ناصر، الناطق « في حينه » باسم منظمة التحرير الفلسطينية.

والجريمة الجديدة ليست الضربة الاسرائيلية الأولى ضد القيادة الفلسطينية بعد انتقالها إلى تونس، إذ سبق أن أغارت الطائرات الاسرائيلية على مقر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في منطقة حمام الشط من الضاحية الجنوبية في العاصمة التونسية بتاريخ ١٩٨٥/١٠/١. (الأول من تشرين الأول ــ اكتوبر ــ ١٩٨٥). حيث تقدمت تونس في حينه بشكوى عاجلة الى مجلس الأمن فأصدر المجلس إدانته لاسرائيل في نفس شهر تشرين الأول ١٩٨٥، بسبب قصفها لمقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس، وهي العملية التي أسفرت في حينه عن مقتل « ١٥٦ شخصاً بين فلسطينيين وتونسيين ». لكن اسرائيل وكعادتها لم تعترف رسمياً في حينه بمسؤوليتها، وعندما أعادت اسرائيل المعتدية الكرّة واغتالت خليل الوزير على الأراضي التونسية، تقدمت تونس بشكوى جديدة إلى مجلس الأمن الدولي وسافر وزير الخارجية التونسية

محمود المستيري إلى نيويورك حيث ألقى كلمة أمام مجلس الأمن يوم ٢٢ نيسان (أبريل) ١٩٨٨ طالب فيها أعضاء المجلس ببحث الوضع الناجم عن « العدوان الجديد المبيت ضد أمن وسلامة تونس ». ودعا الوزير التونسي إلى « إدانة قوية وصريحة لارهاب الدولة الذي تمارسه اسرائيل مع اتخاذ الاجراءات اللازمة لمنع تجدده فوق الأراضي التونسية ». وأضاف المستيري بأن لدى تونس ما يكفي من الأدلة لاتهام « اسرائيل » بتنفيذ هذه العملية الارهابية مشيراً بالتفصيل الى نتائج التحقيق التي توصلت اليها تونس. وجاء أصلاً في الشكوى التي قدمتها تونس الى مجلس الأمن أن اغتيال القائد الفلسطيني أبو جهاد يؤكد التدخل الاسرائيلي وانتهاك سيادة الأراضي التونسية حيث أن تونس من الدول المستقلة، وهي عضو في الأمم المتحدة. وما قيام اسرائيل بانتهاك سيادتها وللمرة الثانية إلا دليل واضح على تجاهلها التام للأعراف والقوانين الدولية وميثاق الأمم المتحدة في كل زمان ومكان. وأيضاً لم تعترف اسرائيل بكل وقاحة بعمليتها الجديدة الأمر الذي شكل مبرراً للمندوب الأميركي وبعض المندوبين الآخرين في مجلس الأمن لإبداء تحفظاتهم ازاء مسودة مشروع القرار الذي تقدمت به ست دول تنتمي إلى حركة عدم الانحياز، ويدعو مجلس الأمن إلى ادانة اسرائيل وأعمالها الارهابية واتخاذ الاجراءات الفورية والفعالة لمنعها من تكرار مثل هذه الأعمال الاجرامية. وهكذا عارضوا ادانة اسرائيل بالاسم، وطالبوا أن يكون هناك برهان ساطع أو اعتراف رسمي من جانب الحكومة الاسرائيلية. وفي مقابل المساندة القوية للموقف العربي التي أبداها المندوبان السوفياتي والصيني حول وجود ما يكفي من الأدلة لادانة اسرائيل، كان المندوب الياباني الموال للمندوب الأميركي بطبيعة الحال واضحاً في ابداء تحفظات بلاده مطالباً بحجج دامغة. كذلك أدان ممثلا فرنسا وبريطانيا اغتيال ابو جهاد وعبرا عن تعاطفهما مع تونس. لكنهما امتنعا عن توجيه اتهام مباشر لاسرائيل لعدم كفاية الأدلة وهذا يعتبر تواطئاً

صريحاً منهما. وهكذا نظراً الى اعتراضات الدول الغربية وافق وزير الخارجية التونسي محمود المستيري على أن لا يشير مشروع القرار إلى اسرائيل بالاسم سوى في مقدمته التي تتحدث عن الشكوى التي رفعتها تونس ضد اسرائيل في هذا العمل العدواني الجديد الذي جاء عقب اعتداء ١٩٨٥ المشكو منه والمسجل لدى مجلس الأمن كسابقة عدوان ضد اسرائيل.

وأعرب المستيري عن أسفه لموقف البلدان التي ترفض قبول أو الاعتراف بمسؤولية اسرائيل واستبعد أن تقدم تونس تنازلات أخرى في شأن نص مشروع القرار قائلاً: « ان النص يجب أن لا يكون ضعيفاً الى درجة تجعله يتحول إلى برقية تعزية لعائلات الضحايا ».

وفي مساء يوم الاثنين ٢٥ نيسان (أبريل) ١٩٨٨ أدان مجلس الأمن اسرائيل على العدوان الذي تعرضت له الأراضي التونسية وتنفيذ عملية اغتيال خليل الوزير نائب القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية. وجاءت الادانة بأغلبية ١٤ صوتاً لمصلحة القرار، وامتناع الولايات المتحدة عن التصويت. واعتبرت الادانة العملية التي قامت بها اسرائيل « انتهاكاً صارخاً لميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي »، وحثت الادانة الأعضاء على اتخاذ التدابير الملائمة لمنع تكرار مثل هذا الاعتداء الذي يهدد الاستقرار في حوض البحر الأبيض المتوسط كما حث قرار الادانة على « اتخاذ الخطوات اللازمة لتنفيذ هذا القرار » مع ترك هذه المسألة قيد النظر الى حين الحصول على « عناصر جديدة ».

خلفية عملية الاغتيال لدى الحكومة التونسية

○ بعد ادانة اسرائيل من قبل مجلس الأمن حسبما شرحنا قام الرئيس التونسي الجديد « زين العابدين بن علي » بتقديم التهنئة للشعب التونسي عبر الاذاعة التونسية بمناسبة هذا الانتصار الذي ردَّ الاعتبار ودل على احترام تونس أمام المجتمع الدولي. كما عبّر أحمد المستيري الأمين العام « لحركة الديمقراطيين الاشتراكيين » المعارضة عن ارتياحه « لهذا النجاح الذي حققته الدبلوماسية التونسية ». وبعد ذلك شكلت لجنة تحقيق من قبل الرئيس التونسي زين العابدين بن علي وبدأت البحث فوراً في ملابسات جريمة الاغتيال الغادرة التي تمت بمشاركة المخابرات الاسرائيلية « الموساد » والقوات البرية « كوماندوس » والبحرية والجوية الاسرائيلية بتنسيق كامل. وقد تم التحضير للعملية بواسطة ثلاثة عناصر من رجال المخابرات الاسرائيلية الناطقين باللغة العربية مع الأسف لعدم كشفهم وقد حضروا إلى تونس بجوازات سفر لبنانية مزوّرة « وما أكثرها » وهم :

١ ـــ خليل صبحي كاتم ـــ من مواليد ١٩٤٨.
٢ ـــ حوات علام مصطفى ـــ من مواليد ١٩٤٧.
٣ ـــ مجيد رياض أبو رياح ـــ من مواليد ١٩٤٨.

وهؤلاء الثلاثة هم الذين استكشفوا الطريق إلى منزل أبي جهاد وهم الذين استأجروا السيارات المدنية لاستعمالها في الاغتيال « بصورة طبق الأصل عن عملاء عملية فردان في بيروت منذ ١٥ سنة ». أما الطائرة العسكرية الاسرائيلية التي اشتركت في العملية فهي من طراز « بوينغ ٧٠٧ » تحمل الرقم ٤X٩٧٧. وهي معدّلة لتكون طائرة تجسس وتشويش بنفس الوقت ويجب إسقاطها من قبل الدول التي تحترم سيادتها بعد التأكد من عدم وجود ركاب مدنيين بها. وقد تزامن تحليقها في ممر

دولي للطيران على بعد ٥٥ كلم من المجال الجوي التونسي في نفس زمن ووقت تنفيذ عملية اقتحام منزل خليل الوزير واغتياله أي من الساعة ١,١٥ ـــ إلى الساعة ١,٤٥ ـــ وتمثل دورها في التشويش الالكتروني وتعطيل شبكة الاتصالات السلكية واللاسلكية في المنطقة « أي أن مدى تشويشها وتجسسها يمتد الى اكثر من مسافة ٥٥ كلم بكثير » مع قيامها بالاتصال بنفس الوقت مع أفراد عملية الاغتيال وتوجيهها للسفينة الاسرائيلية إلى شاطئ « روّاد » التونسي المقفر حيث وجدت آثار انسحاب القتلة هناك.

وأكدت إيطاليا المعلومات التي توصلت إليها لجنة التحقيق التونسية، حيث ذكرت نقابة مراقبي الجو الايطاليين أن فنيين إيطاليين يعملون في برج مراقبة إيطالي اتصلوا بطائرة بوينغ ٧٠٧ إسرائيلية كانت تعبر أجواء البحر الأبيض المتوسط أثناء عملية اغتيال أبي جهاد. كما أكدت معلومات خبراء المخابرات والاعلام العسكري من جهتها، أن طائرة « بوينغ ٧٠٧ » على متنها ضباط اسرائيليون بينهم الجنرال أفيهو بن نون قائد القوات الجوية والميجر جنرال إيهود باراك، قد عبرت أجواء الساحل التونسي وأشرفت على تسيير وضبط عملية اغتيال ابي جهاد.

عملية الاغتيال ولحظات الرعب لحظة بلحظة

○ قبل انتقال ابي جهاد وعائلته الى العاصمة التونسية أثر أحداث بيروت وبعد انتقالهم، كانت « أم جهاد » واسمها انتصار الوزير تواصل العمل إلى جانبه في أحلك الظروف وأقساها، لا كزوجة فحسب وإنما كمقاتلة ومسؤولة، وكعضو في المجلس الثوري لحركة فتح الذي يعتبر المحطة الثانية في القيادة الفلسطينية. وكما في حصار بيروت وفي طرابلس وجميع معارك منظمة التحرير، برزت أم جهاد كواحدة من أفضل النساء الفلسطينيات، حيث بقيت إلى جانب زوجها الراحل ابي جهاد حتى شاهدت لحظات استشهاده على يد العملاء المأجورين وقتلة المخابرات الاسرائيلية المحترفين. وحتى أنها حاولت أن تفديه بنفسها ولكن القتلة كانوا يريدونه هو نتيجة حقدهم الأسود على جميع القادة الفلسطينيين سابقاً ولاحقاً.

قبل الدخول إلى منزل ابي جهاد في ضاحية سيدي بوسعيد في الضاحية الشمالية من العاصمة تونس. هذا المنزل الذي استشهد فيه قبل ساعات فقط من هذه المقابلة الحيّة التي أجرتها الصحافة مع أم جهاد، وكانت آثار دمائه الزكية لا تزال على الجدران، كان من المتوقع رؤية امرأة منهارة ومحطمة بسبب اغتيال زوجها أمام عينيها. لكن كانت هناك

« مفاجأة ». فقد بدت « أم جهاد » غاية في الحزن وكانت آثار الفاجعة على وجهها البشوش رغم ضخامة المأساة. لكنها كانت متماسكة وتتصرف برباطة جأش وقالت لدى محاولة مؤاساتها: « لقد أعدني أبو جهاد لمثل هذا اليوم منذ أكثر من عشرين سنة ». وقد عُلم أن أم جهاد لدى عودتها من المستشفى الوطني التونسي الكائن في العاصمة التونسية والذي كان جثمان الشهيد مسجى فيه بانتظار نقله الى دمشق، انطلقت أصوات النسوة اللواتي كنّ قد تجمّعن في منزلها بالصراخ والعويل فوقفت أم جهاد أمامهن وقالت بصوت عال « كفى عويلاً وبكاءً. لقد استشهد أبو جهاد ورحل. هذه حقيقة. وعلينا أن لا نتوقف ونستمر في الطريق الذي سار عليه ». ووضعت في آلة التسجيل شريطاً مسجل عليه بعض أناشيد المقاومة وأخذت تزغرد. بينما عقد أولادها جهاد وباسم وإيمان وحنان دبكة فلسطينية على أنغام الشريط الوطنية الفلسطينية، بينما أخذ نضال الصغير الذي يعتبر نسخة عن والده الراحل يصفق بيديه الصغيرتين.

وقف الجميع دقائق إجلالاً لروح الشهيد التي كانت لا تزال ترفرف فوقهم ثم شربوا القهوة « المرّة » حسب الطريقة الفلسطينية. وفي سكون ليل تونس الطويل روت « أم جهاد » ما جرى في الدقائق واللحظات القاسية بحضور عدد من مسؤولي المقاومة الفلسطينية ومرافقي ابي جهاد وعائلته فقالت :

بقي أبو جهاد في لقاء عمل مع الأخ أبو اللطف « فاروق القدومي » « وزير الخارجية الفلسطيني المقبل » حتى الساعة الحادية عشرة قبل منتصف الليل. وعندما عاد إلى المنزل بدا لي مشرقاً وفرحاً ومتحمساً أشد الحماس. وبعد أن تناولنا العشاء صعدنا إلى الطابق العلوي وجلسنا في غرفة النوم التي تضمّ مكتبه الذي يستخدمه للعمل في الليل. لقد كنا هو وأنا وابنتنا حنان، بينما ذهب بقية الأولاد للنوم للتو وأولهم نضال.

وتضيف أم جهاد وهي تحاول بجهد كبير التقاط خيوط تلك الرواية الدامية التي امتدت لحظاتها وكأنها الدهر كله فتقول :

« بينما كنت مستلقية على سريري جلس أبو جهاد وراء مكتبه وأخذ يقرأ على مسمعي تقريراً جاءه من الأرض المحتلة قبل ساعات. ثم ضحك بأعلى صوته وهو يقرأ وأخذ يردد : « إن الله مع شعبنا.. إننا سننتصر. تصوري ؟ لقد اصطدمت باخرتان قبالة شاطئ غزة فسقطت حمولتهما من المواد الغذائية من جبن وسمن ومعلبات في البحر وطفت مع جرف الأمواج للساحل فهرع الناس المحاصرون وأخذوا ينتشلون هذه المعلبات ويوزعونها على العائلات الفلسطينية المتضررة في المخيمات. وعندما علمت الحكومة الاسرائيلية ومخابراتها صاحبة الحقد الأسود بذلك أعلنت أن المواد التي تحتويها الصفائح « مسمومة » لكن الناس في غزة عرفوا أن هذا الاعلان مجرد خدعة وكذبة من فبركة المخابرات الاسرائيلية بادعائها أن الأطعمة الطافية على وجه البحر قبالة غزة « مسمومة »[1] فاستمروا في التقاطها وغنموا اكبر كمية منها ».

وتستطرد « أم جهاد » وبحسرة : « ليتني لم أنم لكن النعاس غلبني حوالي الساعة الثانية عشرة والنصف من بعد منتصف الليل. آخر كلمات أبي جهاد التي سمعتها أنه طلب من ابنتنا حنان أن « تترجم » له تقريراً باللغة الانكليزية كان قد وصله مؤخراً من الأرض المحتلة[2] وسمعته ـــ وأنا بين الحلم واليقظة ـــ وكان لا يزال مرتدياً لباسه العسكري الكامل وهو يجلس خلف مكتبه ».

---

(١) اعتراف واعلان اسرائيل عن السم منتهى الوقاحة كما أنها سممت الحمضيات فعلاً لتلحق الضرر بالمزارعين العرب.

(٢) ما هو مصير هذا التقرير، وقد ذكرت ام جهاد أن المهاجمين لم يأخذوا معهم أية أوراق رسمية لأبي جهاد.

لحظات الجريمة والغدر الاسرائيلي

○ كانت أم جهاد قد استسلمت للنوم باطمئنان الزوجة لوجود زوجها بجانبها وبين أولادها وقد استفاقت مرعوبة بعد اقتحام القتلة المنزل وها هي تتابع سرد لحظات الرعب : « كنت أغطّ في نوم عميق وإلى جانبي ابني نضال، فاستقيظت مذعورة على صوت صرير طاولة أبي جهاد (أي إزاحتها من مكانها بضغط من أبي جهاد على الطاولة فوق بلاط الغرفة) عندما نهض فجأة ودفعها إلى الأمام وسحب الكرسي الذي كان يجلس عليه إلى الخلف. وهنا بالضبط فتحت عيني فرأيته ينهض بعد هذه الحركة ويتجه نحو باب غرفتنا « غرفة النوم » بحذر وسرعة وهو يحمل مسدسه بيده يشهره بمحاذاة كتفه. هنا نهضت من سريري فوراً ولحقت به. وكانت المسافة بيني وبينه نحو ثلاثة أمتار. وعندما وصلت إلى جانبه تماماً أشار لي رحمه الله بالابتعاد دون أن يلفظ كلمة واحدة، وفتح باب الغرفة وانتحى هو مكاناً في زاوية بهو صغير ملحق بغرفة النوم وأطلق رصاصة واحدة باتجاه الدرج المؤدي من الطابق الأرضي إلى الطابق الثاني الذي نحن فيه وتقع فيه غرفة النوم. وبعد ذلك مرت لحظات سريعة لكنني خلتها الدهر كله. لم نسمع أي اطلاق رصاص جواباً لطلقة زوجي. لقد نظرت من جانب زوجي باتجاه نهاية الدرج الموصل من الطابق الأرضي الى الطابق العلوي فرأيت أشباحاً تصعد الدرج وتتقدم وهي تطلق النار باتجاه زوجي، أحسست بالرصاص ينطلق وأنا ساهمة من هول المفاجأة دون أن أسمع شيئاً. ورأيت أبا جهاد وقد انطرح على الجدار بجسده ــ فيما غطت الدماء وجهه. وسقط المسدس من يده وهوى بعد ذلك على الأرض بعد إصابته بالعديد من الرصاصات في صدره ورأسه (من فمه) وساعده ».

فتوقفت أم جهاد عن الكلام برهة وقد سرحت بنظرها قليلاً الى الأعلى ثم استدركت قائلة :

• لقد كان القتلة أربعة.

• لم ألاحظ إذا كانت بينهم فتاة أم لا.

• لم أتمكن من التأكد إذا كانوا يحملون كاميرا ويصورون أم لا.

• لقد كان ثلاثة منهم متشابهين بالطول ونحالة الجسم.

• كان الرابع بديناً إلى حد ما.

• كانوا جميعاً يضعون على أنوفهم وأفواههم كمامات من النوع الذي يستخدمه الأطباء خلال العمليات الجراحية.

• لم أرَ وجه أي منهم بالضبط ولكني أتذكر كالحلم في مخيلتي أن أحدهم كانت عيناه زرقاوين.

• كانوا يرتدون ملابس عسكرية داكنة وأحذية رياضية ضخمة.

• كانت مسدساتهم من النوع الرشاش الخفيف المزوّد بكاتم للصوت وقد صوبوها نحو أبي جهاد. ومن كثرة الطلقات التي أصابته مالت طاقيته العسكرية إلى الأمام وغطت وجهه.

• تكلم أحدهم باللغة العربية لدى انسحابهم من الطابق العلوي إلى الطابق السفلي، عندما قال لابنتنا حنان التي خرجت من غرفة نومها المقابلة لغرفتنا وهي تصرخ من الفزع « بابا.. بابا » : « روحي لعند أمك ولّا ».

○ واصلت أم جهاد روايتها المؤثرة عن لحظات الجريمة الاسرائيلية البشعة والرعب فقالت :

« بعد أن سقط أبو جهاد على الأرض، أخذ الأربعة القتلة يتناوبون في اطلاق النار عليه. لقد كان أحدهم بعد أن يفرغ خزان مسدسه صوب جسد أبي جهاد المسجى بجانب الحائط، يخلي مكانه الى الآخر. وهكذا حتى أفرغوا أربعة مخازن في جسده الذي تناثر دمه على جدران البهو وسال الدم من تحته في المكان بكل اتجاه. وكان أحدهم يراقبني بالذات فكلما حاولت القاء نفسي باتجاه أبي جهاد يصوب مسدسه

نحوي ويطلب مني الابتعاد باشارة من المسدس الذي كان يحمله. وقد هددني به أكثر من مرة لاسكاتي عندما كنت أصرخ من هول الجريمة وكان يضع فوهة المسدس على رأسي. وكنت أشيح بوجهي نحو الحائط وأنا أردد بعض آيات القرآن الكريم. وعندما انتهى رابعهم من افراغ طلقات مسدسه في جسد أبي جهاد وجدت نفسي وقد فقدت السيطرة على أعصابي وصحت بأعلى صوتي : « خلاص.. خلاص.. لقد مات. ماذا تريدون ؟ حرام عليكم ».

○ وسكتت ام جهاد لحظات ثم استعادت انفاسها وتابعت قائلة : « لم تستغرق الجريمة سوى دقيقتين أو ثلاثة دقائق. وبعد أن أفرغوا رصاص خزاناتهم في جسد أبي جهاد وتيقنوا من أنه قد فارق الحياة بالفعل، توجه أحدهم بعد أن غاص بحذائه الثقيل في دم الشهيد الى غرفة كان نضال ينام فيها وأطلق عدة رصاصات أتبعها برصاصات أخرى على الجدران وستائر الشبابيك، ثم عاد مسرعاً والتحق بالآخرين فنزلوا جميعاً الى الطابق السفلي. وقد ظننت أنه قتل الطفل نضال أيضاً فاتجهت حالاً نحوه فوجدته يصرخ ويبكي من هول إطلاق المجرم النار بجانبه وفوق رأسه فعرفت أنه لا يزال على قيد الحياة فحملته وخرجت به وأعطيته الى شقيقته حنان، ثم عدت إلى أبي جهاد وانحنيت فوقه متحسسة جبينه. كان جسمه حاراً. لم أشعر أن نبضه كان لا يزال مستمراً. حاولت استخدام الهاتف لكنني وجدته معطلاً. فتركته ونزلت الى الطابق الأرضي مع الأولاد وخادمة المنزل التي كانت شبه فاقدة الوعي ».

استدركت أم جهاد قائلة : « كنت قد لاحظتهم وأنا في الطابق العلوي ينسحبون من باب الحديقة الخارجي باتجاه الشارع العام. كان عددهم أكثر من أربعة. وقد نزلت متجهة نحو خارج المنزل فوجدت الحارسين الفلسطينيين مقتولين. وكذلك الرجل التونسي الذي يعتني بالحديقة قتله المجرمون أيضاً. فأخذت أصرخ بأعلى صوتي. كان نضال

الصغير يسألني : هل أنت خائفة يا ماما ؟ أين بابا يا ماما ؟ لماذا حبيب « الحارس التونسي » نائم يا ماما ؟ بينما اختفى المجرمون الذين لم تدم غارتهم الدموية الرهيبة سوى ثمان دقائق. وفي الشارع العام أمام المنزل، أخذت أصرخ بأعلى صوتي دون أن يجيبني أحد. وكأن هذه المنطقة قد خلت من أي كائن حي بعد استشهاد زوجي وحراسه والحارس التونسي للحديقة. كنت أهرول بين طابقي المنزل حيث أبي جهاد والحديقة حيث جلست الخادمة مع الأولاد، وحيث بالقرب منهم جثث الحراس والبستاني ممدة على أرض الحديقة. لقد مرت أكثر من نصف ساعة وأنا على هذه الحالة(١) وفجأة ساقت ليّ الأقدار سائقاً فلسطينياً يسكن في جوارنا فهرع فوراً لمساعدتنا فقمنا بنقل أبي جهاد بسيارته للمستشفى، ولكن بعد فوات الأوان. لقد كنت متأكدة من أنه فارق الحياة منذ اللحظات الأولى للهجوم الغادر عليه واطلاق النار بهذا الحقد وهذه الغزارة رغم أن الأخ الذي جاء لمساعدتنا وحمل أبا جهاد إلى سيارته قد أكّد لي أن عروق أبي جهاد كانت لا تزال تنبض وأنه لم يفارق الحياة في الطريق الى المستشفى ».

○ وحول ما إذا كان القتلة المجرمين قد حملوا معهم أية أوراق أو وثائق قالت أم جهاد : « أبداً. لقد كنت أراقب كل حركاتهم وهم ينفذون الجريمة. انهم لم يأخذوا شيئاً لأن أبا جهاد لم يكن يحتفظ بالوثائق المهمة في هذا المنزل. إنني متأكدة من أنهم لم يأخذوا شيئاً، وإن حقائب أبي جهاد التي كنت قد أعددتها للسفر منذ الصباح وفيها

(١) هل من المعقول أن تبقى أم جهاد نصف ساعة وهي تصرخ وتستغيث بعد استشهاد زوجها بدون أن يهب أحداً لنجدتها؟ هل من المعقول أن يبقى منزل « نائب القائد العام للثورة الفلسطينية » يحرسه حارسان فقط ومن المفروض أن يكون المكان يعج بالحراس لمعرفتهم بغدر المخابرات الاسرائيلية، لا أن ينقل الحراس إلى الأراضي اللبنانية لمقاتلة أشقائهم.

جميع أوراقه اليومية، لا تزال في غرفتنا التي اقفلتها بيدي ولم يمسسها أحد ».

بهذه الكلمات أنهت أم جهاد حديثها الحي الى الصحافة وبعض الأهل والأصدقاء حيث روت عملية الاغتيال الغادرة من الألف الى الياء. وقد تم نقل جثمان الشهيد أبي جهاد في اليوم التالي إلى دمشق وسجي في مستشفى المواساة الرسمي حيث شيع في اليوم التالي في دمشق تشييعاً رسمياً يليق بقائد عسكري شهيد.وقد سار خلف نعشه كبار المشيعين من المسؤولين السوريين ومن الدول العربية والدول الصديقة فكيف تم ذلك ؟

الرئيس حافظ الأسد يوافق شخصياً على دفن « أبو جهاد » بدمشق



الرئيس حافظ الأسد استقبل عرفات بعد استشهاد أبو جهاد.

○ أثر وصول جثمان الشهيد خليل الوزير الى المستشفى الرسمي في تونس وإعلام رفيق دربه أبي عمار، اجتمعت القيادة الفلسطينية المتواجدة في تونس وتداولت بالبحث عن المكان الذي سيتم فيه « دفن الشهيد ». فاقترح بعض الحضور أن يتم الدفن في تونس مكان الاستشهاد باعتبار أنه أصبح في تونس مقبرة للشهداء الفلسطينيين عقب الغارة الاسرائيلية الوحشية على مقر منظمة التحرير الفلسطينية في حمام الشط بتونس واستشهاد ١٥٦ شخصاً بين فلسطيني وتونسي ودفنهم فيها. بينما اقترح البعض الآخر أن يتم دفنه في مقبرة الشهداء في بيروت بجانب زملائه القادة الثلاثة الذين استشهدوا في منطقة فردان بعملية مماثلة من الغدر والحقد الاسرائيلي الأسود عام ١٩٧٣. والبعض اقترح القاهرة

والآخرون عمّان. كما تم عرض الجمهورية العربية اليمنية بترحيبها على لسان العقيد علي عبدالله صالح باحتضان جسد الشهيد الكبير ودفنه فيها. ولكن الأغلبية من المجتمعين فكرت بدفنه في دمشق ورجحت هذه الفكرة. وهكذا تم الاتصال بالسيد خالد الفاهوم (أبو العبد) رئيس المجلس الوطني الفلسطيني السابق ورئيس جبهة الانقاذ حالياً المقيم بدمشق. وجرى إبلاغه القرار مع رغبة عائلة الشهيد خليل الوزير بدفن شهيدهم في مقبرة الشهداء في مخيم اليرموك بدمشق. توجه الفاهوم على رأس وفد من جبهة الانقاذ وعرض هذه الرغبة على السيد عبد الحليم خدام نائب رئيس الجمهورية العربية السورية، الذي نقلها فوراً الى السيد الرئيس حافظ الأسد الذي يقدس الشهادة تقديساً كبيراً وهو الذي أطلق الشعار الأبدي عن الشهداء بأنهم « أكرم من في الدنيا وأنبل بني البشر » فوافق فوراً وكلف نائبه السيد خدام بالاشراف على ترتيبات التشييع مع وفد جبهة الانقاذ برئاسة السيد أبي العبد الفاهوم، بما في ذلك استقبال الجثمان وتشييعه بكل مظاهر التكريم العسكري اللائق بمكانة الشهيد. وتضمنت هذه الترتيبات التي أشرف عليها السيد عبد الحليم خدام استقبال الشخصيات العربية الرسمية والصديقة التي حضرت لدمشق بعد إعلان نبأ « دفن جثمان الشهيد أبو جهاد » فيها ومنها :

١ ــ السيد محمد شريف ساعدية ــ الأمين المساعد لحزب جبهة التحرير الجزائرية.

٢ ــ السيد مروان دودين ــ وزير شؤون الأرض المحتلة (في حينه) في الأردن.

٣ ــ السيد عبدالله بركات ــ وزير الداخلية في الجمهورية العربية اليمنية.

٤ ــ السيد أحمد القروي ــ مدير التجمع الدستوري الديموقراطي التونسي.

٥ ــ السيد نجيب بن عمار ــ وزير الداخلية التونسي.
٦ ــ الباهي الأدغم
٧ ــ الأخضر الابراهيمي.
٨ ــ الوفد السوفياتي برئاسة ميخائيل كابيتسا رئيس لجنة التضامن الأفرو أسيوي.

إضافة إلى القيادات السورية واللبنانية والفلسطينية، كما أعطيت التعليمات الرسمية لرجال الشرطة العسكرية وقوى الأمن الداخلية بمصاحبة الجثمان ومرافقة التشييع من مستشفى المواساة إلى مقبرة الشهداء في مخيم اليرموك بدمشق، والتغاضي خلال التشييع عن كل الشعارات التي انطلقت في لحظة فوران العاطفة. حتى الشعارات التي تشكل إساءة ما. فلحظات وداع الشهيد مقدسة، لا يجوز إفسادها لأي سبب من الأسباب. وهذا ما جرى فعلاً ولكن بدون أية هتافات مغايرة للأصول. فقد تجمع أكثر من نصف مليون مواطن فلسطيني وعربي أتوا من جميع الاتجاهات واماكن التجمع. فقد أتى الفلسطينيون من لبنان ومن الأردن حيث منحوا التسهيلات الانسانية لحضور تشييع أبي جهاد، وأتوا من مخيمات اليرموك، وحمص، وحماه، وحلب، واللاذقية، وخان الشيخ، خان دندن، السبينة، جرمانا، وانتظروا جميعا وصول الجثمان المسجى على «عربة مدفع» تكريماً لمكانته في الثورة الفلسطينية كشهيد كبير للشعب الفلسطيني. وما إن وصل موكب الجنازة الى موقف الجسر في بوابة المخيم حتى اندفعت الآلاف نحو النعش وحملوه من على عربة المدفع وساروا به مرفوعاً على الأيدي وهم يرددون : لا إله إلا الله. والشهيد حبيب الله. ومنهم من هتف لوحدة منظمة التحرير الفلسطينية حتى تمّ دفنه في مقبرةالشهداء في مراسم تليق بالشهداء الكبار وودع المسؤولون الفلسطينيون الضيوف الذين حضروا خصيصاً للمشاركة في التشييع. ومن ثم عاد الجميع إلى منازلهم وبقي جسد

الشهيد أبي جهاد يرقد تحت تلة صغيرة من التراب تغطيها أكاليل الورود الدمشقية ولم يبق بجانبه سوى زوجته أم جهاد المتشحة بالسواد وأولاده الخمسة يودعونه بالبكاء. وقد استمرت السيدة أم جهاد وأولادها وشقيقات أبي جهاد وبعض النساء الفلسطينيات يزورونه في مرقده لعدة أيام.

○ خلال ذلك كان السيد ياسر عرفات ــ أبو عمار يراقب سير الأحداث من تونس. ولما اطمئن إلى اتمام عملية دفن الشهيد أبي جهاد في دمشق طار الى الجزائر حيث اجتمع بالرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد بحضور السيد شريف مساعده الذي كان قد عاد من دمشق بعد حضور التشييع. ثم انتقل أبو عمار الى الجماهيرية حيث اجتمع بالعقيد معمر القذافي وبعض أعضاء قيادة ثورة الفاتح، عارضاً رغبته في السفر الى العاصمة السورية بصحبة قائد ثورة الفاتح العقيد القذافي « ليضمن » استقبالاً رسمياً وهو بصحبة العقيد القذافي من الرئيس حافظ الأسد. ولكن العقيد القذافي رفض طلبه وسمح للعقيد مصطفى الخروبي بالسفر معه إلى دمشق واتصل بالسيد الرئيس حافظ الأسد هاتفياً متمنياً على سيادته استقبال ياسر عرفات في هذه الظروف وهكذا تم. فقد حطت في مطار دمشق الدولي مساء الأحد ٢٤ نيسان (أبريل) ١٩٨٨ طائرة ليبية خاصة هبط منها رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية السيد ياسر عرفات والعقيد مصطفى الخروبي عضو مجلس قيادة ثورة الفاتح، والسيد صلاح خلف (أبو إياد) وبعض المرافقين الأمنيين. وكان في استقبالهم السيد سعيد حمادي عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي، والدكتور محمد حربة وزير الداخلية السوري. وكان هناك موكب رسمي يحوي العديد من السيارات الرسمية السوداء ــ سيارات المراسم ــ يحيط بها الكثير من راكبي الدراجات النارية حيث توجه الموكب بعرفات والخروبي ومرافقيهم رأساً إلى مخيم اليرموك

بدمشق حيث قرأوا الفاتحة على روح الشهيد وفوق ضريحه الندي. وفي اليوم التالي استقبل السيد الرئيس حافظ الأسد ياسر عرفات في القصر الجمهوري ولمدة أربع ساعات، وقد حضر اللقاء السيد فاروق الشرع وزير الخارجية السوري وبعض أعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح. وصرح الأستاذ جبران كورية الناطق الرسمي الصحفي للقصر الجمهوري (أنّ الحديث دار حول الوضعين العربي والفلسطيني وبخاصة حول الانتفاضة الشعبية ضد المحتلين الاسرائيليين في الأراضي الفلسطينية المحتلة وأهمية دعمها. قد سبق هذا اللقاء استقبال الرئيس حافظ الأسد للعقيد الخروبي الذي ذكرنا أنه حضر مع عرفات بنفس الطائرة الليبية. وقد صرح عرفات بعد ذلك بقوله « أشعر أني أعود إلى إخواني وأحبائي ورفاق الخندق الواحد، وسنسير سوياً إن شاء الله حتى يرتفع علم امتنا العربية فوق مآذن القدس وأسوار القدس وكنائس القدس.. إن الانتفاضة هي التراكم الثوري في أمتنا العربية وفي شعبنا الفلسطيني. نحن على موعد أن نلتقي في القدس لنصلي سوياً إن شاء الله ». وقد غادر عرفات دمشق بعد ٤٢ ساعة واستمعنا إلى تصريحات لأكثر من مسؤول فلسطيني فيما كان الحديث عن غياب ابي جهاد بأن الخسارة أكبر من أن تعوض، وأن الظروف لا يمكن أن تتكرر بسهولة وهي التي ساهمت في وضع هذا الرجل في المواقع الأولى وجعلته يشغل المكانة التي كان يشغلها. وأنه في حين كان بالامكان « تعويض » قياديين فلسطينيين آخرين سقطوا شهداء على طريقة المسيرة الفلسطينية، فإن تعويض خليل الوزير لا يمكن أن يكون سهلاً، وإن تعبئة الفراغ الذي تركه تحتاج إلى جهود بالغة.

المخابرات الأميركية تدّعي أن العملية كانت لاختطاف أبو جهاد وليس اغتياله

○ بعد الاعلان عن عملية اغتيال ابي جهاد من قبل فريق اغتيالات اسرائيلي مؤلف من عناصر مجرمة من المخابرات الاسرائيلية والكوماندوس والبحرية والقوى الجوية الاسرائيلية تصاحبهم امرأة مجرمة شقراء اللون كانت تحمل كاميرا فيديو صوّرت بها عملية الاغتيال والانسحاب بكاملها، طلبت المخابرات الأميركية والوكالات الأمنية والعسكرية الأميركية « الحصول » على نسخة من فيلم الفيديو التسجيلي للعملية، كما أبدت دوائر قيادات القوات الخاصة الأميركية وفروعها المختلفة في وزارة الدفاع اهتماماً شديداً بدراسة مخطط العملية من الألف للياء، وذلك بهدف استخلاص « الدروس المستفادة ».. وبالأحرى معرفة ما يمكن تطبيقه من جوانب الخبرة الاسرائيلية بهذا النوع من العمليات. ولم يعرف فيما إذا كانت القيادة الاسرائيلية قد استجابت لمطلب المخابرات والقيادات الأميركية المعنية بشأن « فيلم الفيديو » التسجيلي للعملية. ونحن نقول : إذا كان هناك فيلم فيديو مصوّر عن العملية وقد نفت أم جهاد وهي الشاهدة الوحيدة أنها لم تشاهد أحداً يصور العملية كما أنها لم تلاحظ وجود أية امرأة مع الفريق المجرم. نقول إذا كان هناك أي فيلم تم تصويره من قبل المخابرات الاسرائيلية، فسوف تحصل عليه المخابرات الأميركية إن عاجلاً أو آجلاً.وذلك مسألة

وقت باعتبار أن هذه ليست أول مرة تتاح فيها للمخابرات والأجهزة الأمنية الأميركية الاطلاع ودراسة العمليات الاسرائيلية بعد تنفيذها. وقد علمنا من مصادر اعلامية مترجمة عن « تقرير سري » رفع إلى وكالة الأمن القومي التابعة للبنتاغون ينطوي على « نظرية » على درجة عالية من الاثارة.. ويقول هذا التقرير وفقاً لتلك المعلومات أن « عملية الاغتيال التي اعتبرتها الدوائر الأميركية دقيقة مئة بالمئة من حيث التخطيط والتنفيذ » ما هي في الحقيقة سوى « عملية اختطاف فاشلة ». والمقصود أن العملية الاسرائيلية كانت مخططة على أساس أن تكون عملية اختطاف الزعيم الفلسطيني خليل الوزير لنقله الى اسرائيل وتقديمه هناك الى المحاكمة فيما بعد، ولها في ذلك باع طويل. فقد اختطفت المخابرات الاسرائيلية الجنرال النازي السابق « آدولف آيخمن » بعد عشرات السنين من اختفائه في البرازيل (للاطلاع رجاء مراجعة الجزء الأول من المخابرات والعالم من الصفحة ٤١٥ الى الصفحة ٤١٩). ويذهب التقرير الى أن العوامل التي أدت الى هذا الفشل لم تدرس بالتفصيل بعد. وعلى الرغم من أن هذه المصادر الأمنية لا تقول صراحة أنها كانت على علم مسبق بالعملية ضد أبي جهاد سواء اغتيال أم اختطاف. إلاّ أنها تبدو على ثقة من أن الهدف الحقيقي للعملية كان الاختطاف وليس الاغتيال. وتشير أنّ التقرير السري الأميركي المشار اليه يتضمن ما يعتبر دلائل على صحة هذه « النظرية » ومنها :

١ — إن الاحتياطات الكثيفة والتفصيلية التي اتخذت حول المبنى الذي يسكنه أبو جهاد، والتي تطلبت اشراك عدد كبير من الاسرائيليين — مخابرات — كوماندوس — مشاة — بحرية — قوى جوية — لم يكن يستوجبها هدف «التصفية» فضلاً عن إشراك سيارات ميكروباص.

٢ — إن اغتيال ثلاثة فلسطينيين وتونسي حراس مبنى ابي جهاد لم يكن ضرورياً لو كان الهدف هو التصفية.

٣ ــ إن العملية لم تكن فيما يبدو وفقاً لهذه المعلومات « المحاولة الأولى » إنما سبقتها محاولات سابقة اخطأت عناصر الوقت أو المكان، وإن المحاولات السابقة وقعت كلها منذ عام ١٩٨٢، أي منذ انتقال القيادة الفلسطينية الى تونس. وكانت آخر محاولة لاغتيال ابي جهاد ستتم في شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٧ لكنها فشلت.

٤ ــ إن تنفيذ العملية الأخيرة سبقه تجميع قائمة اتهامات طويلة وجديدة ضد ابي جهاد منها أنه حضر « قمة سرية إرهابية » استضافها العقيد معمر القذافي في الجماهيرية. وكان الهدف من تلك القمة « وضع خطط لعمليات كبيرة وهامة وعلى درجة كبيرة من الخطورة ضد اسرائيل » وهي خطط وضعها التقرير الأميركي ــ ونقلاً عن مصادر المخابرات الاسرائيلية ــ بأنها « على درجة عالية من الطموح سواء من النواحي العملياتية أو السياسية.

وأنه في ذلك المؤتمر بدأت التمهيدات للجمع بين قيادات القوى الأكثر عداءً لاسرائيل: سوريا ــ ليبيا ــ إيران ــ منظمة التحرير الفلسطينية، وتصفية أية خلافات يمكن أن تكون باقية... في ضوء التأثيرات التي أحدثتها الانتفاضة الفلسطينية البطلة في الأرض المحتلة. كما زعمت المعلومات الأميركية ــ الاسرائيلية ان الخطط المبدئية وضعت في ذلك المؤتمر لعدة هجمات عسكرية فلسطينية مفاجئة وغير متوقعة داخل اسرائيل (أي داخل الأراضي المحتلة منذ عام ١٩٤٨). وشاركت في وضعها الجماهيرية مع خبراء من دول أوروبا الشرقية في وضع خطط العمليات الخاصة ».

٥ ــ إن الدور الذي أدته الطائرة المدنية الاسرائيلية المحولة إلى طائرة تشويش وتجسس، والتي شاركت في تنفيذ العملية وقامت بالتشويش على الأجهزة السلكية واللاسلكية التونسية ــ لم يكن

الدور الوحيد.. بل إن الدوائر الأميركية تعتقد أن مثل هذا الدور لم يكن مرسوماً للطائرة، إنما استخدامها كان سيتم إذا لزم الأمر في حال نجاح عملية « الاختطاف ».

وعلى أي حال فإن المصادر الأميركية تشير من ناحية أخرى إلى أن الاختطاف يبدو هدفاً « أكثر اثارة » في الظروف الاحتفالية التي تمت بمناسبة مرور ٤٠ عاماً على قيام الكيان الصهيوني. وهي ترى مع ذلك أنه ربما كانت الأوامر التي حملها الفريق المنفذ هي القيام بالاغتيال « إذا » بدت هناك أية عقبات قد تفشل عملية الاختطاف.

ولا تزال الخلافات مستمرة داخل وزارة الخارجية الأميركية حول كيفية التعامل العلني مع قيام الاسرائيليين باغتيال أبي جهاد على الأراضي التونسية.. وهي الخلافات التي أربكت المتحدثين الرسميين في الرد على التساؤلات عما إذا كانت الحكومة الأميركية تعتبر أن هذه العملية تقع تحت التعريف الأميركي للارهاب. وقد كان جورج شولتز وزير الخارجية الأميركية صاحب التوجيه الذي قضى بوصفها بأنها « عملية اغتيال سياسي » وشجبها على هذا الأساس رافضاً الاستدراج إلى أي تصريح أو تلميح يفيد معرفة الحكومة الأميركية المسبقة بحقيقة ان اسرائيل هي التي نفذت العملية لوحدها. وبينما تلاشت في واشنطون الأصوات التي حاولت أن تلقي اللوم على اسرائيل، فإن المخابرات الأميركية والوكالات الأمنية الأخرى توسع دائرة اهتمامها « بالمشاركة » في المعلومات التي حصلت عليها اسرائيل خلال تنفيذ عملية اغتيال أبي جهاد. ويبدو أن الاسرائيليين قد تعمدوا إصدار اشارات أو تلميحات معينة عن انجاز العملية وتصويرها الى الأجهزة الأميركية « لاسالة لعابها » ووجود ملفات وأوراق اقتنصها الفريق الاسرائيلي الذي نفذ العملية من جوارير مكتب أبي جهاد. ولهذا يعتقد الأميركيون — في تلك الأجهزة أن

الاسرائيليين حصلوا على « ثروة من المعلومات في هذه الملفات يمكن أن تكون مفيدة ليس للاسرائيليين وحدهم.. وإنما أيضاً للأميركيين ».

ومن الواضح أن المخابرات الأميركية تعلق آمالاً كبيرة على النصيب الذي يمكن أن يعود إليها من هذه المعلومات.. ولديها أمنيات خاصة بأن يكون فيها ما يتعلق بالولايات المتحدة وشركاتها ومؤسساتها وافراد سفاراتها في الشرق الأوسط. أما فيما يتعلق بمدى « مصداقية » المعلومات التي تقول أن الأجهزة الأميركية كانت بشكل أو بآخر — على علم مسبق بعملية اغتيال ابي جهاد — فإن قياس هذا المدى قد يبقى صعباً مدة طويلة.. قد تمتد لسنوات، ولكن الأمر المؤكد أن المخابرات الأميركية والاسرائيلية « تنسق » الآن معاً دراسة شاملة لاحتمالات الضربات الانتقامية التي ستأتي « مستقبلاً » وكيفية « تفاديها ». وقد بدأت الحكومة الأميركية بايعاز من مخابراتها بالاتصال السري مستخدمة بعض « قنواتها » العربية في توجيه تحذيرات مشددة لعدم « شمول » المصالح الأميركية لدى القيام بأعمال انتقامية من هذا القبيل بحجة عدم تدخلهم بعملية الاغتيال. فهل نصدق؟



الرئيس حافظ الأسد استقبل عرفات
بعد استشهاد أبو جهاد..



المسؤولون السوريون والفلسطينيون
والأصدقاء خلف نعش الفقيد.



شامير سيدفع الثمن.



أم جهاد تشير الى مكان
الرصاص في مكتب زوجها



« رؤوس » المخابرات
الاسرائيلية (موساد)

إعرف عدوّك

مَخاوِف إسرائيليّة مِن سُوريا

استمرار المخابرات الاسرائيلّية "الموسَاد" بالتجسّس وَالادّعاءآت الكاذبة وَعلى سُوريَا الحَذَر !

التجسس على الدول العربية وخاصة سوريا

○ كشف تقرير سري تسرب من المخابرات الأميركية أو سُربَ منها لا فرق في واشنطون إثر أزمة الجاسوس الأميركي الاسرائيلي جوناثان بولارد، النقاب عن الأساليب التي تتبعها ربيبتها المخابرات الاسرائيلية (الموساد) بشكل تفصيلي والأجهزة التي تستغلها كغطاء لعملائها وجواسيسها في جميع دول العالم. وأفاد التقرير السري أن الموساد تقوم بالتجسس على نطاقين جسب تقديرات المخابرات الصهيونية :

الأول : هو التجسس على الأقطار العربية وخاصة على سوريا لتخوف اسرائيل دائماً من تقدم الاستراتيجية العسكرية فيها.

الثاني : التجسس بهدف الحصول على المعلومات العلمية والأسرار العسكرية وتوجه نشاطها في هذا الاتجاه إلى الدول المتقدمة علمياً وذات التقنيات العسكرية الراقية.

وقد خص التقرير الصادر عن المخابرات الأميركية أن المخابرات الاسرائيلية توجه اهتمامها فعلاً وبالدرجة الأولى في تجسستها على الأقطار العربية إلى سوريا التي تحسب اسرائيل لتقدمها العسكري والعلمي ألف حساب. وقد أعدت لهذا الهدف « شبكة كبيرة من الجواسيس العرب »

وجعلت من مصر مركزاً أساسياً « لعبور » الجواسيس إلى الأقطار العربية وأيضاً بصورة خاصة الى سوريا بعد تدريبهم. والمخابرات الاسرائيلية تتجسس للحصول على معلومات تتعلق بسياسة البلدان الغربية في الشرق الأوسط والفاتيكان والأمم المتحدة، وكذلك المعطيات الضرورية لارغام التكتلات المعادية لاسرائيل في الغرب لالتزام الصمت. والموساد تتجسس أيضاً على الدول المتقدمة علمياً للحصول على الأسرار العلمية إضافة الى تجسسها على البلدان الافريقية. وأيضاً تقوم الموساد بالتجسس للحصول على معلومات وأسرار علمية ولا يقتصر هذا التجسس على الدول المعادية لاسرائيل، بل يمتد الى البلدان الصديقة المتقدمة علمياً بما في ذلك الولايات المتحدة وذلك « لسرقة » الأسرار المتعلقة بصناعة الأسلحة المتقدمة علمياً التي تحجبها واشنطون عنها. وقضية بولارد لا تزال ساخنة .وذلك لاستخدامها في صناعة الأسلحة في الكيان الصهيوني.

وفيما يخص تجسس اسرائيل في البلدان الافريقية يقول التقرير أن نشاط الموساد يشمل التجسس على كل شيء يخص هذه الدول من جيش وقوات الأمن الداخلي والاقتصاد وجميع الشؤون الأخرى التي تهم المخابرات الاسرائيلية والأميركية معاً. ومن المعروف أن الموساد تجند الجواسيس لصالحها بوسائل مختلفة وبالتعاون مع مختلف الأجهزة الأمنية والوزارات المعنية حيث تقدم وزارة الخارجية الصهيونية غطاءً جيداً لعدد كبير من هؤلاء الجواسيس باسم ممثلين دبلوماسيين عاملين في السلك الدبلوماسي. وكذلك فإن الشركات الحكومية الصهيونية مثل شركة « العال » للطيران وشركة « تسيم » للملاحة البحرية تقدمان غطاءً منظماً لجواسيس للموساد باسم « وكلاء » لهاتين الشركتين. وهناك الكثير من الجواسيس يعملون تحت غطاء غير رسمي مثل وكلاء سياحيين أو رجال أعمال أو أعضاء في المنظمات التجارية الدولية. ونحن نؤكد أن المخابرات الاسرائيلية تتبع كافة الوسائل الوحشية وغير المعقولة

حيث ترى أن هذه الوسائل مفيدة لها أو تحقق أغراض حكومة الكيان الصهيوني. ومن هذه الأعمال الوحشية التي ذكرناها في أماكن أخرى من هذا الكتاب وغيره اغتيال العديد من قادة ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية في أنحاء العالم. وكان آخرها اغتيال الشهيد خليل الوزير في تونس في عملية جيمس بوندية شرحناها في هذا الكتاب بالتفصيل.

شركة « أوتراغ » تنفي ادعاءات اسرائيل عن سوريا

○ نفى المدير الفني لشركة « أوتراغ » الألمانية الغربية فرانك فوكاتش نفياً قاطعاً الأنباء التي نشرتها صحيفة « معاريف » الاسرائيلية بأن شركته قد وقعت عقداً ضخماً مع سوريا بشأن انتاج صواريخ ووقود سائل وبيعها لها. وأضاف فوكاتش أن شركته التي تنتج الصواريخ والوقود السائل فعلاً ليس لها أية طموحات لبيع انتاجها العسكري ولا تربطها في الوقت الراهن عقود مع اية دولة من دول العالم بما في ذلك الدول التي تخشى اسرائيل « بيعها » هذه الصواريخ وأولها سوريا والجماهيرية والسعودية. وقال المدير العام أيضاً نحن متأكدون أن هذا النبأ الذي نشرته الصحيفة الاسرائيلية هو من اختلاق القسم الصحافي الخاص بالمخابرات الاسرائيلية في تل أبيب عاصمة الكيان الصهيوني.

خشية الكيان الصهيوني من سوريا

○ أذاعت محطة الاذاعة الاسرائيلية للكيان الصهيوني في نشرتها باللغة العربية في الساعة ١٢,٣٠ من ظهيرة يوم ١٩٨٨/٧/٢٦، ان اسرائيل اخذت تخشى السلاح الكيماوي الحديث الذي أصبحت سوريا تمتلكه وسوف تستعمله بضخامة لدى أول مجابهة عسكرية مع

اسرائيل. ومن المعروف اعلامياً أن اسرائيل تطلق بين الفينة والفينة مثل هذه الأخبار وخاصة عن سوريا كبالون اختبار. ومن المفروض أن يقف الاعلام السوري « ضد » هذه الأخبار ليفشلها.

ادعاء اسرائيل أن سوريا تهددها

○ كما جاء في الافتراءات الاسرائيلية ما أذيع في نشرة أخبار القسم العربي من الاذاعة الاسرائيلية على لسان الميجر جنرال بيند الاسرائيلي وقائد منطقة غاليه العسكرية في جنوب اسرائيل في الساعة ٩,٣٠ من يوم ١٩٨٨/٨/٢ الذي صرح بأن سوريا أصبحت تهدد اسرائيل وأنها (أي سوريا) سوف تشن الحرب ضد اسرائيل وأن اسرائيل سوف تتأثر كثيراً من اية حرب مفاجئة تشنها سوريا بسبب الضائقة الاقتصادية التي تعاني منها.

مخاوف اسرائيل أيضاً من سلاح الدبابات السوري

○ وتتابع سلطات الكيان الصهيوني في ادعاءاتها المغرضة ضد سوريا ولكن هذه المرة عن طريق مصادر بريطانية في لندن ونحن لا نستغرب اشتراك المصادر البريطانية مع المصادر الصهيونية في اي عمل دعائي أو افتراء ضد سوريا بعد تلفيق عملية نزار هنداوي واتهام المخابرات السورية بها في حينه. فقد أعلنت مصادر بريطانية بواسطة صحيفة الصانداي تلغراف اللندنية وطبعاً « ثمن النشر » مدفوع سلفاً، أن اسرائيل تتخوف من التصفيح الاضافي للدبابات السورية في مرتفعات الجولان.وذكرت هذه المصادر البريطانية الصهيونية بتاريخ ٢٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٧ « أن مئات الدبابات السورية المنتشرة في

المناطق المقابلة للجولان مزوّدة بمواد مصفحة بالغة السرية والقوة من صنع الاتحاد السوفياتي. وهذا التصفيح يزيد بشكل كبير من قدرات تلك[1] الدبابات في الصمود أمام دبابات اسرائيل الموجودة في الطرف الآخر من مرتفعات الجولان في حالة نشوب حرب تتخوف منها اسرائيل.

وقالت هذه المصادر « إن التصفيح الاضافي يعد بمثابة غطاء آخر للدبابات السورية قابل للانفجار بطريقة معينة عند إصابته بقذيفة أو صاروخ بحيث « يبدّد » تأثير الانفجار عن هيكل الدبابة الأساسي ويمتص مفعول الانفجار مهما كان قوياً بحيث يقلل الضرر إلى درجة كبيرة ». وأشارت هذه المصادر المغرضة إلى أن البرلمان الاسرائيلي « الكنيست » ناقش موضوع نشر هذه الدبابات السوفياتية الصنع بناء لطلب وزارة الدفاع والمخابرات الاسرائيلية. وقد اتخذت توصيات في حينه تسمح لوزارة الدفاع والمخابرات العسكرية الاسرائيلية « الموساد » بتحري هذا الأمر بدقة ومن ثم إعادة عرضه على لجنة الدفاع الصهيونية في الكنيست.. ألخ. وأفادت هذه المصادر أن القوات المسلحة السورية قد نشرت أكثر من ١٣٠٠ ألف وثلاثماية دبابة سوفياتية من طراز تي — ٧٢ ثم تزويد معظمها بذلك النوع من التصفيح الخاص بالمضاد لأقسى أنواع القذائف والصواريخ وذلك خلال عامي ١٩٨٦ و١٩٨٧ بحيث أصبحت هذه الدبابات أكثر مقاومة أمام راجمات الصواريخ الاسرائيلية المضادة للدروع.

---

(١) المصدر الزميل خليل التقي وجريدة البيان الصادرة بتاريخ ٢٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٧ نقلاً عن صحيفة الصنداي تلغراف البريطانية الصادرة بتاريخ ٢٧ كانون الأول ١٩٨٧.

وأضافت المصادر البريطانية الناطقة بلسان الكيان الصهيوني أن الاسرائيليين باتوا يخشون من هجوم سوري مباغت مستقبلاً من ناحية مرتفعات الجولان المحتلة. وأوضحت هذه المصادر « أنه بالرغم من اعتراف المسؤولين الاسرائيليين في الوقت الحاضر (أي في أواخر عام ١٩٨٧) وأمام الكنيست بعدم توقع هجوم مفاجئ من طرف سوريا »، إلا أنهم يصرّون على أن يضعوا في حساباتهم بأن استمرار تدهور الأوضاع لديهم سيعقبه « حدوث هجوم مفاجئ من سوريا » لا أحد يعرف الى أي مدى يصل مثل هذا الهجوم.ثم يعقبه طلب سوريا وقف اطلاق النار خلال ٤٨ ساعة تكون القوات الاسرائيلية قد انسحبت من الجولان « قبل » أن تتمكن من استدعاء قواتها الاحتياطية. ونسبت هذه المصادر القول إلى عسكري اسرائيلي بارز قوله : إن القوات الاسرائيلية كانت في الماضي تعتمد على تفوقها التكنولوجي لتعويض نقص الأفراد لديها، لكن تقدم « التكنولوجيا السورية » وتطويرها منذ عام ١٩٨٢ بشكل متقدم جداً وضعت التكتيك الاسرائيلي في دائرة الخطر على اسرائيل بكاملها من القوات المسلحة السورية البرية والبحرية والجوية.

السوريون يصنعون الصواريخ البعيدة المدى

○ إن مراجعة بسيطة للاتفاقات التي وقعها الجنرال الأميركي جيمس ابرامسون المدير التنفيذي لبرنامج « حرب النجوم » في تل أبيب، تظهر أن اسرائيل تتحول تدريجياً إلى ورشة فضائية، وكان دافيد بن غوريون أحد مؤسسي الكيان الصهيوني قد وصفها بالورشة الإلهية. فقد انشأت مصانع مشتركة لأكثر السلع التكنولوجية تطوراً، وهذا ما حمل مسؤول كبير في البرنامج على القول « ولو من قبيل الدعاية للكيان الصهيوني » ان هذه المصانع تؤمن مستوى من المناعة للدولة اليهودية لا تؤمنه حتى القنابل الذرية، أي أن أمن اسرائيل حسب الادعاء سيوازي من حيث

الحساسية، أمن الولايات المتحدة وهذا زمن الواقعية، ويجب أن يكون الجواب واقعياً لنكون أبناء هذا الزمن. واذا استطردنا في العملية الحسابية، من المعروف عن الاسرائيليين أنهم طوروا صاروخ سموه « أريحا ــ ٢ » الذي افتتن الاميركيّون به وأنهم لن يقفوا عند ذلك بل سيقومون خلال خمس سنوات بانتاج صاروخ أضخم ويصل الى مدى أبعد. « ومع ذلك » فالأميركيون والاسرائيليون يعلنون حالة الاستنفار لأنهم « سمعوا » أن سوريا ستحصل على صواريخ م ــ ٩ الصينية والتي تصل الى مدى أبعد من مدى صاروخ أريحا ــ ٢ وبامكانها أيضاً أن « تحمل رؤوساً نووية ». وهكذا ينبغي أن نفهم « المعادلة الصهيونية الأميركية » على أصولها: يسمح لاسرائيل بأن « تصنع » الصواريخ الكونية، ولكن يحظر على سوريا أن تشتري الصواريخ الاقليمية إذا جاز التعبير، وحتى ولو كانت هذه الصواريخ من صنع صيني ولمهمات سورية دفاعية محضة. ومع ذلك فإن الخبراء العسكريون لديهم معلومات بأن السوريين لم يشتروا من الصين أية صواريخ[1] بل إنهم يصنعونها بأنفسهم أيضاً وهذا هو الصحيح والخط الصحيح لأن اسرائيل لا تفهم سوى لغة القوة والعين بالعين.

(١) نفت وزارة الخارجية الصينية بيع سوريا أية صواريخ وقالت ان اسرائيل تتذرع بهذا الادعاء لغرض في نفسها، كما أن مسؤولاً عسكرياً سورياً نفى في الساعة ٨,٣٠ من مساء ١٩٨٨/٧/٢ على شاشة التلفزيون وقال بأن سوريا لم تشتري مثل هذه الصواريخ. وأيضاً الزميلة سلوى الاسطواني مكاتبة الاذاعة البريطانية في دمشق أكدت نفي سوريا لهذه الدعاية وذلك في رسالتها المذاعة من لندن صباح ١٩٨٨/٧/٣ الساعة ٨,٢٠...

القوة العسكرية السورية تشكل الخطر العسكري الرئيسي على اسرائيل

○ في سياق التهديدات الصهيونية لسوريا التي تواجه المخططات الأميركية والاسرائيلية نقلت اذاعة العدو في النشرة العربية المذاعة صباح ١٩٨٨/٩/١١ عن اسحق شامير رئيس وزراء العدو الصهيوني قوله: « إن سوريا تشكل خطراً بارزاً على اسرائيل وإن خطر الحرب معها ما زال ماثلاً لأنها لم تغيّر سياستها واستعداداتها الضخمة ».

وقال وزير الحرب الصهيوني اسحق رابين في نفس الاذاعة: « إن سوريا تشكل الآن تهديداً عسكرياً رئيسياً لاسرائيل ». وأضاف في حديثه ان اسرائيل تستطيع ضرب الخطوط السورية لكنه « اعترف » في الوقت نفسه بأن اسرائيل « غير قادرة » على التصدي للصواريخ السورية الحديثة البعيدة المدى.

وهكذا طرحنا في الصفحات القليلة السابقة مقتطفات من الادعاءات الصهيونية المغرضة ضد سوريا وما على المسؤولين سوى « استخلاص » النوايا الاسرائيلية من بين السطور لأن الكيان الصهيوني عوّدنا على « الغدر » من حرب السويس ١٩٥٦ إلى حرب حزيران الغادرة ١٩٦٧ إلى جميع الاعتداءات الاسرائيلية الغادرة وما علينا سوى الوقوف له بالمرصاد وأكرر أن العدو الاسرائيلي لا يرتدع ولا يفهم سوى بسلاح القوة والاتحاد. فهل نحن فاعلون؟



أميركا تتابع تجسسها على العالم
برًّا وبحرًا وجوًّا

• • •

هكذا تتجسس أميركا على الجميع

- مكوك الفضاء للتجسس لا للإنجازات العلمية.
- روّاد الفضاء الأميركيون، عملاء في الـ"سي. آي. إي".
- طائرة أس. آر. ١٣٥، تتجسس وهي على إرتفاع ٢٥ كم.
- أسرار مصرع الكابتن بوند (007)

مصرع الكابتن الأميركي « بوند 007 »

○ بتاريخ ٢٨ نيسان (أبريل) ١٩٨٣ صدر بيان مقتضب عن البنتاغون (وزارة الدفاع الأميركية) يفيد بمقتل الجنرال روبرت بوند في حادث تدريب، ولم يتوفر من البنتاغون أي تعليق حول الحادث. وساعة بعد ساعة بدأت الأسئلة تتراكم عن مصرح الجنرال بوند:

١ ـــ هل هناك علاقة تربط بين مصرع الجنرال روبرت بوند نائب القائد العام لنظام القيادة في سلاح الجو الأميركي، وبين اسقاط الطائرة الكورية الجنوبية ـــ 007 فوق الأراضي السوفياتية؟

٢ ـــ هل قتل الجنرال اثناء قيادته لاحدى الطائرات المتطورة ؟ واذا كان هذا قد وقع فعلاً، ما هو نوع هذه الطائرة ؟

٣ ـــ كيف قتل الجنرال بوند وحده وهو الذي يبلغ من العمر ٥٤ عاماً، بينما تنص قوانين سلاح الطيران الأميركي على أن كل طيار تجاوز عمره ٤٥ عاماً لا يمكن له أن يطير بمفرده، إذ لا بد من وجود مرافق معه؟

هذه الأسئلة يبدو طرحها أقرب الى روايات « إيان فليمينغ » البوليسية من طرحها في مثل هذا الكتاب عن المخابرات،وذلك لأن سلسلة من الأحداث الغامضة رافقت الحادثتين تبرر طرح هذه الأسئلة على الأقل إن لم تقطع بوجود العلاقة السرية موضوع الفقرة (١). ونبدأ بمقتل الجنرال

بوند (يرجى ملاحظة المصادفة البوليسية بين اسم الجنرال بوند وبين رقم رحلة الطائـرة الكورية 007 وبين اسم فيلم روجر مور العميل السري جيمس بوند 007) وقد استغربنا في الفقرة (٣) طيرانه بمفرده ولكن يوماً بعد يوم بدأت الاجابات تظهر: بعضها يعتمد على التخمين، وبعضها يتم تسريبه من مصادر في البنتاغون شرط عدم ذكر اسم المصدر. وكانت هذه الأجوبة تقول أن الجنرال « قتل في قاعدة نيلز » الجوية في نيفادا. وهذه القاعدة هي مركز القيادة لعدد من البرامج السرية-الجوية، ومن بينها برنامج « ستيلت » أي « الطائرة المنسلة » أو « الطائرة المنسرقة » ويقضي هذا المشروع بتطوير قاذفة قنابل استراتيجية، بالاضافة إلى طائرة مقاتلة قادرة كل منهما على الانسلال داخل المجال الجوي للعدو دون أن يكون باستطاعة حتى أحدث أجهزة الرادار التقاطها. وقالت الرواية الأولى أن الجنرال بوند قتل أثناء قيادته لطائرة تدخل ضمن هذا المشروع الذي يعتبره البنتاغون اكثر المشاريع سرية في سلاح الطيران، وهو ما يبرر أن يتولى الجنرال شخصياً القيام بالتجربة. ثم بعد ستة أيام وقعت المفاجأة عندما كشف في البنتاغون أن نائب القائد العام لنظام القيادة في سلاح الجو قتل بينما كان يقوم بتجربة طائرة سوفياتية من نوع « ميغ ٢٣ ». وبررت هذه المصادر كتمان الخبر في عدة روايات « من بينها » عدم احراج الرئيس ريغان الذي كان يزور الصين في حينه، على اعتبار أن هذه الطائرة متوفرة في الصين، وقد يستنتج المراقبون أن الولايات المتحدة حصلت عليها من الصين. وقالت هذه المصادر ان قاعدة « نيلز » تضم أيضاً مراكز لتقييم واختبار السلاح السوفياتي بادارة المخابرات الأميركية حيث يتم الحصول على السلاح السوفياتي « سراً » ومن السوق السوداء التي تغذيها اسرائيل ومخابراتها. وقالت مصادر في الادارة الأميركة أن اسلحة الجو والبحر والبر والمخابرات تقوم بتجربة مختلف الأسلحة السوفياتية. وأنه نتيجة الحروب بين اسرائيل والعرب حصلت الولايات المتحدة على كمية كبيرة من الأسلحة

السوفياتية وأخذت تقوم بتقييمها وبتجربتها لاكتشاف نقاط الضعف والقوة فيها ومقارنتها بالسلاح الأميركي. وقالت مصادر البنتاغون أيضاً أن الجنرال بوند أمضى ٣٣ سنة في سلاح الطيران، حيث قام باكثر من ٥٠٠٠ خمسة آلاف ساعة طيران. ولعل هذا ما يبرر أن يقوم بالتجربة منفرداً. بينما كشفت مصادر في سلاح الطيران أن « جهاز اللاسلكي اللاقط » في « الميغ ٢٣ » استخدم في تجربة ميدانية في اطار مشروع « الطائرة المنسلّة » في ظروف مشابهة للمعارك الجوية الحقيقية واضافت هذه المصادر : « ان الجنرال يمكن أن يكون قد شارك في تجربة من هذا النوع أدت إلى مقتله أو ببساطة، إنه كان يقوم بتجربة « ميغ ٢٣ » ضمن مشروع « المنسلة » حيث تطلق قيادة حلف الأطلسي على « الميغ ٢٣ » اسم « فلوغر ».

من أين حصلت الولايات المتحدة على هذه الطائرة اللغز مع العلم بأن نفس الولايات وابنتها اسرائيل تكبدتا صرف الملايين للحصول على نموذج من الطائرة « الميغ ٢١ » حتى حصلت اسرائيل على طائرة بواسطة الطيار العراقي الخائن « منير روفة ».وللاطلاع على عملية سرقة « الميغ ٢١ » العراقية يرجى مراجعة الصفحات من ٤٢٨ حتى ٤٣٦ من كتاب المخابرات والعالم الجزء الأول. كما تكررت هذه الحادثة بفرار الطيار السوفياتي « فيكتور بيلينكو » إلى الولايات المتحدة عن طريق اليابان بطائرة « ميغ ٢٥ » سوفياتية تعتبر أهم من الطائرتين « ميغ ٢١ وميغ ٢٣ » بكثير حيث جرى تفكيك هذه الطائرة الهامة في قاعدة (هاكوداني) اليابانية بحضور أكثر من خمسين خبيراً أميركياً. ثم جرى نقل هيكل الطائرة السوفياتية من اليابان الى قاعدة (هيكوري) بواسطة طائرة نقل أميركية ضخمة من نوع (س. ٥. جالاكس) أرسلت خصيصاً من قبل المخابرات الأميركية التي تبنت هذه العملية وموّلتها. وإذا عدنا للاستفسار من أين حصلت الولايات المتحدة على طائرة

« الميغ ٢٣ » ؟ المصدر ما زال سرياً، لكن الخبراء العسكريين يقولون ان هذا النوع من الـ« ميغ » ظهر للمرة الأولى في الاتحاد السوفياتي عام ١٩٦٧ ثم حصلت عليه في حينه، مصر، الجزائر، العراق، فيتنام، أثيوبيا، الهند، كوبا وبعد ذلك بسنوات قليلة حصلت سوريا والجماهيرية الليبية على العشرات من هذه الطائرة. ويضيف الخبراء العسكريون هؤلاء ان الأنواع الأخرى من الـ« ميغ » متوفرة حتى أن سلاح البحرية الأميركية تلقى عرضاً لتزويده بـ ٢٤ طائرة من نوع « ميغ ٢١ » المعدّلة ليستخدمها في التدريب على القتال. غير أن الـ« ميغ ٢٣ » التي اعتمدت كطائرة رئيسية للقتال الجوي في الاتحاد السوفياتي نادرة جداً في الولايات المتحدة وإن الطائرة الـ« ميغ ٢٣ » الوحيدة التي وجدت في قاعدة « نيلز الجوية في نيفادا » والتي قتل الجنرال بوند فيها بعد أن تحطّمت شرّ تحطيم لم يكشف النقاب حتى الآن عن مصدرها أي لم يعلم حتى الان من أيّة دولة حصلت المخابرات الأميركية عليها. كما أن مقتل الجنرال بوند وهو ذو خبرة ٣٣ سنة طيران بعد أن قادها للمرة الأولى يعيد للذاكرة ادعاء الخبراء السوفيات بأن هذه الطائرة تقتل من يقودها بدون أن يعرف « سرها ».

تلك هي الرواية السائدة حتى الآن عن مصرع الجنرال بوند والنقطة المركزية فيها هي أن سلاح الجو الأميركي يضع في رأس قائمة اهتماماته تطوير مشروع « المنسلة » أو « المنسرقة » عبر صنع طائرة قادرة على التسلل من بين أجهزة الرادار الأرضية والجوية في البلد المعادي، دون أن يتم اكتشافها، وإن تكليف الجنرال « شخصياً » بقيادة طائرة « الميغ ٢٣ » وفي ظروف معركة جوية حقيقية هو لمعرفة مدى نجاح مشروع « المنسلة » في تعطيل رادارها، هو دليل على هذه الأهمية.

المخابرات الأميركية تدّعي التنصت على العقيد القذافي

○ المخابرات الأميركية تضحي بكشف بعض تصرفاتها التجسسية ضد دول العالم وشعوبه المستقلة من أجل تضخيم الأزمة التي حصلت بين بريطانيا والجماهيرية عقب مقتل شرطية بريطانية أمام سفارة الجماهيرية. كما تم في حينه كشف عدد من الجواسيس في مركز بريطانيا للتجسس في قبرص « يوضح » تجسس بريطانيا على دول الشرق الأوسط وخاصة « سوريا » بسبب مواقفها الوطنية، ومركز التجسس الرئيسي في بريطانيا يرصد كل الاتصالات العالمية. ومع ذلك لم يكتشف ما ألفته وادعته المخابرات الأميركية من سيناريو التقاط الأقمار الصناعية الأميركية « للأوامر » الصادرة من الزعيم الليبي معمر القذافي في طرابلس للمكتب الشعبي في لندن، تخوله هذه الأوامر استعمال العنف ضد الشرطة البريطانية التي كانت « تحاصر » السفارة الليبية في حينه فما هي الحقيقة في كل ذلك ؟

○ رغم تطور علوم الفضاء واستغلالها لأغراض التجسس بدرجة كبيرة لا يمكن القول بأن عالم اليوم خال من الأسرار، لأن من يعرف اسلوب عمل هذه الوسائل الاستطلاعية يعرف أيضاً كيف يحمي نفسه منها. ومع ذلك يجب الاعتراف بقدرة الدولتين العظميين، بالدرجة

الأولى، على الاطلاع على العديد من الأمور والأسرار لدى الأمم الأخرى. والولايات المتحدة تتفوق في هذا المجال خصوصاً لجهة تسخير آخر مخترعات العصر لأغراض التجسس على الجميع.

ولأن الأسرار درجات وأنواع فإن أي مهتم مثلاً يعرف الكثير عن تنصّت واشنطون ولندن ودول أخرى على الاتصالات الدولية بأنواعها، كما يعرف الكثير عن استغلال واشنطون للأقمار الصناعية في عملية التنصت والتصوير من الفضاء. ولكن أن تعترف المخابرات الأميركية بذلك « أي بتنصتها » في اطار ظروف سوف تسمح بنشر واسع لهذا الاعتراف يعم من يعرفون ومن لم يسمعوا بهذه الامكانية قط، هو أمر له مغاز كثيرة ويوضح أهمية الظرف الذي اعترفت به واشنطون. ولا يخفى على أحد للوهلة الأولى، أن واشنطون تضحي بزيادة سوء سمعتها بهذا التصرف من أجل الوصول لهدف وهو ارهاب الشعوب المستقلة وحكوماتها بسيف التجسس المسلط عليها بالعلم من الفضاء. ولا يوجد في العالم حكومة تجهل قدرة الأقمار الصناعية على التجسس، وقدرة المخابرات الأميركية والغربية على فك الشيفرات والاشارات السرية بين اية حكومة وسفاراتها بالعالم، بل إن هذه المعلومات يعرفها الكثير من الأفراد والتجار الذين لا يتحدثون بأسرارهم على الهواتف بين العواصم التي تستعمل الأقمار الاصطناعية في الاتصالات.

ونتيجة لهذه المعرفة، ومن الصعب توقع أن تلجأ أية حكومة لهذا الأسلوب وتوجه تعليمات حساسة لسفاراتها في الخارج، ولكن واشنطون وبهدف ارهاب الشعوب، أعلنت أن أقمارها الاصطناعية التقطت اتصالاً بين طرابلس ومكتبها الشعبي في لندن « السفارة الليبية » وأن محتوى الاتصال أرسل للقاعدة الخاصة في واشنطون التي قامت بتحليل الاتصال. وعندها تأكدت أنه صوت العقيد القذافي (وهنا يظهر الافتراء لأن السيد العقيد القذافي لا يتكلم على الأجهزة اللاسلكية بين طرابلس وجميع دول

العالم والذين يتكلمون هم خبراء ليبيون مختصون ينقلون الأوامر الخاصة بوزارة الخارجية الى سفاراتها). وعندما وجدت المخابرات الأميركية أن الاتصال يتعلق ببريطانيا فقد أعلم به أحد الضابطَين البريطانيين اللذَين يعملان في قسم التنصت الأميركي كمندوبَين ليُعْلِم به الخارجية في لندن. الهدف الأميركي من القصة التي لم تؤكد ولم تنف من قبل الخارجية البريطانية، هو اتهام طرابلس بتدبير حادث لندن لتصعيد الأزمة، ونحن نقول حسب خبراتنا بالتعاون الأعمى بين المخابرات البريطانية والمخابرات الأميركية أن الموضوع مدبّر بينهما بشكل مسبق.

المهم في سرد الموضوع أن بريطانيا تملك بنفسها واحداً من اكبر مراكز التجسس على الاتصالات في العالم ومقره في شلتنهام وله عدة مواقع اضافية أحدها في جزيرة قبرص. وقد كشفت حوادث تجسس مؤخراً داخل المركز الرئيسي وحوادث اضطرابات عمالية. ان مركز شلتنهام هذا من ضمن أعماله التنصت على الاتصالات بين جميع العواصم العالمية، وأولها بالطبع السفارات في لندن. كما أن قوة الأجهزة المسخرة لهذا العمل تتنصت على مكالمات سائقي التاكسي في موسكو واتصالات القيادة السوفياتية من سياراتهم الخاصة بمواقع عملهم. ويضم المركز خبراء في كل اللغات العالمية، ولكن مركز شلتنهام لم يستمع للاتصال الذي ادعت المخابرات الأميركية أن أقمارها الصناعية التجسسية التقطته وهذا أمر عجيب. ثم أنه قبل حادث السفارة الليبية بأيام معدودة طفحت على السطح هناك معلومات عن اكتشاف عملاء سوفيات في المقر البريطاني للتجسس في قبرص وتم توقيف ونقل ستة من العاملين بالمقر إلى لندن للتحقيق معهم ثم قدموا الى محكمة جنايات لندن. وقيل حينها وفي العلن عن هذا المقر أنه تابع لمركز شلتنهام ووظيفته محددة في التنصت على الاتصالات والتحركات في الشرق الأوسط وخاصة سوريا. وهذا يدل على تدخّل وحقد المخابرات البريطانية على سوريا

بسبب مواقفها الثابتة في وجه الصهيونية والامبريالية والمؤامرات الغربية التي تشترك بها « بريطانيا تاتشر بشكل مكشوف » ومع ذلك فهذا الموقع أيضاً لم « يسمع » المكالمة التي ادعيَّ أن القمر الصناعي التجسسي الأميركي التقطها والتي تناولتها الصحف البريطانية وأجهزة الاعلام.

ـ فنتج ان ابتلع المواطن البريطاني الطعم وأدت القصة دورها في تسخين الجو منذ البداية حيث تم قطع العلاقات من قبل بريطانيا. ومع ما بذلته المخابرات الأميركية المغرضة للحصول على مثل هذه النتيجة فإن صحيفة « الغارديان » وهي صحيفة تحترم قراءَها صدرت لتنقل بحياء وبغير تكذيب قصة أقرب للواقع حين نقلت على صفحتها الأولى عن مصادر أجنبية « لم تحددها » في العاصمة البريطانية تأكيدها « أن مثل هذه التعليمات من المستحيل أن تكون قد صدرت عن القذافي أو حكومته التي تقدر دور أوروبا وبريطانيا ». وأكدت المصادر أن اطرافاً أخرى قد تكون أجرت الاتصال بالمكتب من طرابلس ليلتقطها القمر الأميركي المسلط طبعاً على طرابلس. واذا تمت المكالمة بهذا الشكل فلا مانع من أن توجد مكالمات أخرى قبل اليوم المخصص للرحيل وبها تعليمات ليست من الحكومة الليبية. وحاولت الـ« غارديان » تبرير إرسال وفد دبلوماسي ليبي الى لندن وهو مزوّد بصلاحيات تامة لانهاء الموضوع على أرض الواقع دون اتصالات ولا تطورات. وهكذا اذن فإن مراكز بريطانيا المخصصة للتنصت أساساً، ورغم عظمتها وتخصصها في حماية لندن ووجود فرع لها في الشرق الأوسط، لم تلتقط اتصالاً وهمياً، بينما تخرج واحدة من كبريات الصحف البريطانية « تكذّب » بأدب صحفي جريء القصة الأميركية « ولكن بعد أن أدت مفعولها ».

الأقمار الصناعية التجسسية
حقيقة واقعة فوق الجميع

○ تكذيب القصة الأميركية عن التنصت على القذافي لا يعني بحال أن الأقمار الصناعية التجسسية غير قادرة على التقاط الاتصالات، بل ان قدرات هذه الأقمار اكبر من ذلك بكثير وهي في تحسن مستمر سواء على صعيد التقاط الاتصالات أو التقاط الصوّر. فمنذ صعود أول قمر اصطناعي للفضاء عام ١٩٥٧ وهو قمر سبوتينك السوفياتي، أصبح يجوب الفضاء الآن ٦٠٠٠ قمر وهيكل من صنع الانسان، منها ١٣٢٩ قمراً اصطناعياً أو محطة ارسال تقويه اتصالات تعمل بشكل متواصل، و ٢٥٠٠ تقريباً انتهى مفعولها وتجوب الفضاء ، وقد تسبب بعضها في حوادث تصادم أدت الى أن تصبح الهياكل كلها والناتجة عن التصادم ستة آلاف هيكل. ومن الهياكل العاملة، هناك الآن ١٧٠ قمراً اصطناعياً تستعمل للاتصالات الهاتفية العادية بين العواصم التي لا توجد بينها خطوط كوابل سلكية مباشرة. وتدور هذه الأقمار على ارتفاع ٣٦ كيلومتراً من الأرض وحولها. ولكن الأقمار الاصطناعية التجسسية للأغراض العسكرية لها النسبة الكبرى في الفضاء الخارجي وعددها في تزايد على حساب الأقمار التجارية والمدنية. وتغطي الأقمار العسكرية أعمالاً تبدأ من رصد الأحوال الجوية من وجهة النظر العسكرية،

والتصوير بأنواعه لاهداف محددة أو بشكل مسح لسطح الكرة الأرضية وحتى الاستماع للاتصالات والتشويش عليها إن تطلب الأمر.

من الأقمار الاصطناعية المخصصة للتنصت فقط أرسل الاتحاد السوفياتي حتى الآن اكثر من ٢٥٠ قمراً اصطناعياً، ومثلها تقريباً تملك الولايات المتحدة. بينما بدأت دول أوروبا الغربية مؤخراً بارسال أقمارها الخاصة بها. ولا يحتاج اسلوب عمل هذه الأقمار للكثير من الشرح، وهي تشابه في عملها بشكل عام الأقمار التجارية التي تستقبل المكالمات التلفونية وترسلها فوراً للطرف الآخر عبر البث اللاسلكي. ولكن الأقمار الاصطناعية العسكرية طاقتها اكبر ومعدة لالتقاط المكالمات بشكل عام، أو بتجدد مسبق لعواصم وأرقام معينة حين تتصل مع بعضها بدون اللجوء للأقمار الاصطناعية التجارية، وهي أجهزة تستعملها بعض العواصم في الاتصال مع سفاراتها عبر العالم وتشابه في عملها أجهزة الارسال والاستقبال للراديو، ولكن على موجات خاصة إلاّ أنها ليست بعيدة عن قدرة الأقمار الاصطناعية لسماعها. كذلك فإن مركز شلتنهام وأمثاله عبر العالم، مخصص للقيام بهذه المهمة من خلال رصد كل ما يقال عبر الأثير سواء من محطات الراديو العادية أو عبر أجهزة الاتصالات اللاسلكية بأنواعها المدنية والعسكرية والخاصة، الصغيرة والكبيرة. أما التنصت على التلفونات وأجهزة الاتصالات السلكية فيتم عبر رصد الأرقام المطلوب التنصت عليها سواء في مراكز الهواتف المحلية أو عبر الأسلاك بالقرب من الهواتف نفسها أو عبر أجهزة دقيقة في المباني .وهذه الأجهزة من انتاج المخابرات.

بالعودة للأقمار الصناعية التجسسية للتنصت نجد أنَّ أقمار واشنطون تمتاز عن مثيلاتها السوفياتية بطول العمر في الخدمة مما يدفع السوفيات لمجاراة ذلك بارسال عدد اكبر. القمر طراز « رايوليت » الأميركي الذي بدأ إرساله للفضاء منذ عام ١٩٧٢ مخصص للتنصت

ويمكن سماع كل الاشارات بالرادار والراديو وموجات الميكرو، وهو الذي سجل حديث الطائرة الكورية مع المطارات السوفياتية (١٩٨٣) وأرسل التسجيل في حينه لوكالة الأمن القومي الأميركية (NSA) في فورت ميد بالقرب من واشنطن وهي التي ادعت استقبالها للاشارات من طرابلس. الأقمار الأميركية من طراز « آندوز » مثلاً، وظيفتها تسجيل أي تفجير نووي على الأرض أو تحتها بواسطة رصد الأثر النيتروني من التفجير وتحديد مكانه، بالاضافة للتجسس على أيّ مصدر لأشعة « اكس »أو غاما. ومن الواضح أن هذه الأقمار تستعمل في أوقات السلم لتكشف المخابرات الأميركية ما يدور من تجارب نووية على الأرض، وفي أوقات الحرب لتعرف أين وقعت هذه الحرب بدقة. أما أقمار التصوير الاصطناعية فتشهد بلا شك تقدماً مستمراً، ولكن التمويل في هذا الأمر منتشر جداً والقصص الخرافية حول قدرات ودقة التصوير اكثر انتشاراً. وهناك العديد من الصحف التي وقعت في فخ التهويل والقول مثلاً بأن كاميرات الأقمار الصناعية التجسسية تقرأ وتصور عناوين الصحف الصباحية وهي على الأرض أو ما شابه من التهويل الأميركي المقصود. ولم يصدر حتى الآن أي تصريح علمي من الطرف الروسي أو الأميركي « يحدد » قدرات العدسات في الأقمار الاصطناعية الخاصة بالتصوير، ولكن نظرياً وحسب رأي الخبراء، فإن أدق العدسات الممكن صناعتها ستكون قادرة على توضيح وتصوير معالم جسم بطول عشرة سنتيمترات وليس أصغر من ذلك بأيّ حال نظراً لتأثير طبقات الجو من ارتفاع ٢٥ إلى ١٥٠ كيلومتراً حيث تدور الأقمار المختلفة للتصوير ولكن مثل هذه العدسات لم تخترع رغم أن المتوفر منها دقيق جداً وقريب لهذه القدرات. ونعرض أن آخر وأحدث طراز أميركي للتصوير. يسمى « كي هول ــ ١١ » ثقب المفتاح الذي ظهر أول واحد منه عام ١٩٧٦ ضمن قمر صناعي للتجسس. وقضى فترة عمل طويلة مداها ثلاث سنوات حلق خلالها حسب البرمجة المسبقة على ارتفاع يتراوح ما بين

٢٤ و٥٣ كيلومتراً. والمعروف الآن أن دقة التحديد لأجهزة التصوير تصل إلى حجم ٣٠ سنتيمتراً، أي اذا كانت حروف مانشيت الصحيفة بهذا الحجم فإن قمر ثقب المفتاح الأميركي يستطيع قراءتها. والجديد في هذا الطراز هو عدم استعماله كاميرات عادية مثل بقية الأقمار السابقة.

وبعض الأقمار السوفياتية الحديثة الآن يستعمل كاميرات عادية. وبعض الأقمار يقوم أوتوماتيكياً بدفع الفيلم بعد التصوير في كبسولة بمظلة تفتح فيما بعد وتلتقطها الطائرات من الفضاء مما يضيع الكثير من الوقت الذي قد يكون ثميناً في بعض الحالات خاصة في الحروب الحديثة. الاسلوب الجديد يعتمد على الكمبيوتر في القمر الاصطناعي التجسسي والقاعدة الأم على الأرض. فبعد التقاط الصورة فوراً بالاعتماد على المعطيات الحرارية تجزأ الصورة وترسل على شكل أرقام عبارة عن « كود » سري متفق عليه ما بين الكمبيوتر في الفضاء وزميله على الأرض ليعيد الكمبيوتر الأرضي فك « الكود » الرقمي لاشكال معينة تشكل من جديد الصورة التي التقطها القمر فوراً. وفي عالم التجسس لا بد من التجسس الضروري بالأقمار وهذا ما يفعله السوفيات الذين حصلوا من قمر جاسوس أميركي في عام ١٩٧٨ على « سر » الارسال للصور عبر الأرقام .فصنعوا قمرهم الرقمي وأرسلوه للفضاء بعد ثلاث سنوات فقط أي في عام ١٩٨١. وفي محاولة لتجنب مصاعب التصوير خلال الغيوم والضباب هناك محاولات لاعتماد اسلوب الرادار، بارسال الموجات للأرض لترتطم بها وتعود للفضاء ليلتقطها هوائي القمر الاصطناعي التجسسي الذي يرسم الصورة حسب زمن ارتداد الصدى. ورغم أن هذا يعتبر حلاً، إلاّ أنه لا يخلو من المشاكل وأهمها قدرة الطرف الآخر على تسجيل موجات الارسال وتتبعها لمعرفة وتحديد مكان القمر الاصطناعي وتحديد المدار الذي يسير فيه في الفضاء وبالتالي اخفاء ما يلزم عنه في ذلك المدار أو مدّه بالمعلومات والصور الخاطئة.ومن الأنواع الأقدم أي

من الجيل الرابع للأقمار الاصطناعية لدى الأميركيين هناك طراز « بغ بورد » (العصفور الكبير) الذي يبلغ وزنه ١٣ طناً وقطره ٣ أمتار وطوله ١٥ متراً ويعمل من ارتفاع ١٨٠ ـ ٢٩٠ كيلومتراً ومن المعروف أن الأميركيين قد أطلقوا أول أقمارهم التجسسية عام ١٩٦١.

المخابرات الأميركية تتجسس بأقمارها على الأصدقاء أيضاً

○ الحقيقة الثابتة أن المخابرات الأميركية في واشنطون لا تتجسس فقط على الاتحاد السوفياتي رغم أنه يحظى بالنصيب الأكبر من الاهتمام، ولكن التجسس يشمل كل دول العالم الصديقة والحيادية والمعادية لواشنطون وبدرجات متفاوتة بالطبع. أما أساليب التجسس فتبدأ من العميل السري بالنظارة السوداء وتصل للأقمار الصناعية التجسسية مارة مثلا بحوالي ٤٢٠٠ محطة الكترونية أرضية منتشرة فوق الكرة الأرضية لصالح المخابرات الأميركية. ومنها بعض المحطات على الأرض العربية تبث كلها معلوماتها للمخابرات المركزية الأميركية ووكالة الأمن القومي. عدا المحطات هناك السفن الالكترونية لرصد الاتصالات وتتبع الأهداف، وهناك طائرات « آر.سي. ١٣٥ » للتنصت والرصد وعددها ٤٧ طائرة واحداها كما ذكرنا رافقت الطائرة الكورية التي اسقطت في بحر اليابان بعد اختراقها المجال الجوي السوفياتي كما شرحنا في الفصل السابق. ووظيفة هذه الطائرات اجمالاً الطيران على الحدود السوفياتية أو غيرها لرصد وسماع ما يدور من اتصالات، واستفزاز الدفاعات الجوية أحياناً لمعرفة « رد الفعل السوفياتي » ابتداء من اسلوب وموجات عمل الرادار وليس انتهاء بالمكالمات بين الطائرات المطاردة والأوامر الصادرة لها.

○ ويلي هذا الاسطول الطائر المؤلف عن طائرات « يو ــ ٢ » الشهيرة التي أسقطت موسكو واحدة منها فوق الأراضي السوفياتية عام ١٩٦٠ رغم تحليقها العالي (راجع الصفحات ٢٩٥ إلى ٢٩٨ من هذه السلسلة ــ المخابرات والعالم) والنوع الأحدث لهذه الطائرات هو « تي. آر. ٧١ » ويوجد منها ٣٥ طائرة تستطيع الطيران بارتفاع عشرين كيلومتراً ورصد ما يدور في حدود عمق ٥٠٠ كيلومتر، بالاضافة الى امتلاك المخابرات الأميركية لـ٣٤ طائرة « أواكس » التي تتوفر فيها معدات أضخم ولها مهام توجيه اضافية. وقد اشترت المملكة العربية السعودية عدداً من طائرات « الأواكس » هذه وأضافتها إلى سلاح طيرانها القوي للاستفادة من خصائصها المعروفة. وأيضاً تملك المخابرات الأميركية طائرة « أس. آر. ٧١ » التي يصل مدى ارتفاعها ٢٥ كيلومتراً مما يجعلها بعيدة عن مدى الصواريخ المضادة عندما تحلق فوق أية أراض ملتقطة للصور

ونحن نقول وليس قولنا دعاية بل حقيقة بأن أسلحة الدفاع الجوي السوفياتية أصبحت الآن « تطال » أية طائرة تتجرأ على اختراق المجال الجوي للاتحاد السوفياتي. ويصل عدد الاسطول الجوي التقليدي لطائرات التجسس الأميركي الذي يتبع المخابرات المركزية الأميركية ووكالة الأمن القومي الأميركية إلى ٤٠٠ طائرة من جميع الأنواع التي ذكرناها والتي بلغت تكاليف صنعها مليارات الدولارات من أموال الشعب الأميركي المغلوب على أمره أمام مخابراته. حيث تُسخر هذه الآلة الجهنمية الأميركية مهامها الارهابية مركزة على عدة شؤون عالمية، منها. مثلاً رصد « كامل لتحرك القوات السوفياتية والشرقية »، ورصد عدد الأسلحة الجديدة وأنواعها وقدراتها وقدرات انتاج المصانع، وتحديد زمان ومكان عمل أجهزة الرادار عبر العالم بما في ذلك الدول المحايدة، لدرجة تتبعها أيضاً الطائرات المدنية والحربية في الفضاء واتصالاتها اللاسلكية. كما أن بامكانها رسم مسار الصواريخ بأنواعها المختلفة

المستعملة في العالم، ومتابعة السفن الحربية ومسارها واتصالاتها. والتجسس على السفارات ومكالماتها مع عواصمها وحتى داخل العواصم التي تعمل بها، بل إن واشنطون ومخابراتها تسجل وتراقب تقارير الصحافة الأجنبية من الولايات المتحدة وتتنصت على المعاملات التجارية للشركات المدنية الأميركية. وهكذا تثبت المخابرات الأميركية أنها تتجسس على الجميع من الفضاء وعلى الأرض والبحر في كل زمان ومكان حتى أنها تتجسس على الدول الصديقة وعلى الشركات المدنية على طريقة « الأذى طبع ».

مِنْ أعمال المخابرات المركزية الأميركية

الإرهاب الأميركي حول العالم

كيف أسقطت المخابرات المركزيّة الأميركيّة
حكومة
الدكتور مصدق في إيران

حقائق
تُنشر لأوّل مرّة عن تدخل
(C.I.A)
في حياة الشعوب

حقائق تنشر لأول مرة بعد كشفها

كيف أسقطت المخابرات الأميركية حكومة مصدق في إيران

○ تتدخل المخابرات الأميركية منذ تأسيسها وحتى الآن في حياة الشعوب في جميع أنحاء العالم خاصة في الدول النفطية. ومن الماضي القريب وإبان حكم الشاه صعد « مصدق » في ٢١ تموز (يوليو) ١٩٥٢ إلى رئاسة الوزراء الايرانية وهو معروف بعدائه للأميركيين والرجعيين الايرانيين. وفي ١٢ آب (أغسطس) أعلن مصدق « حل البرلمان الايراني » عن طريق استفتاء شعبي. فقد كان مطلعاً على عملية شراء النواب الايرانيين من قبل المخابرات الأميركية حيث قامت في حينه عملية هروب جماعية من قبل الضباط والتجار الرجعيين لأنهم فقدوا الحصانة السابقة التي كانوا يمتلكونها. وهنا بدأ تفكير المخابرات الأميركية بالاطاحة بحكومة مصدق حيث أوعزت للسفير الأميركي في طهران هندرسون بالاعداد لعملية إسقاط مصدق. وبدأ السفير العد العكسي فعلاً مع شقيقة الشاه الأميرة أشرف بهلوي.

○ في مصح عالمي في جنيف التقى رجل أشيب الشعر برجل بارز آخر ادّعى هو الآخر أنه قدم للاستشفاء. ثم انضم إليهما رجل ثالث ثم اكتملت الحلقة بظهور امرأة على قدر كبير من العظمة والجمال وفي

منتصف الثلاثينات من عمرها. كان هؤلاء الأربعة المتآمرون هم:

١ ــ ألن دالاس ــ مدير المخابرات الأميركية.

٢ ــ الجنرال شفارتز كوبف ــ رئيس فرع المخابرات الأميركية في طهران.

٣ ــ السفير لوي هندرسون ــ السفير الأميركي في طهران.

٤ ــ الأميرة أشرف بهلوي ــ الأخت التوأم للشاه.

تحدث ألن دالاس وتحدثت الأميرة بإسهاب عن خطورة الوضع في إيران من وجهة نظرهم. ثم جرى توزيع المهمات بسرعة إذ كان يفترض التعامل بأقصى قدر من السرعة مع الوضع في إيران. فقد كانت المفاوضات النفطية بين إيران وإيطاليا واليابان قد اتخذت أشكالاً ملموسة. وهاتان الدولتان هما المنافستان للمصالح النفطية الأميركية وخاصة «مؤسسة ستاندرد أويل». كما وصلت إلى المخابرات الأميركية معلومات مؤكدة من عملائها في طهران. تقول هذه المعلومات أن ثمة تحضير لتنظيم مظاهرة في ٢١ تموز (يوليو) ١٩٥٣ بمناسبة الذكرى الأولى لاعادة مصدق الى رئاسة الوزارة (وقد خرجت هذه المظاهرة بالفعل وكان قوامها اكثر من مائة ألف إيراني يحملون عشرات اللافتات التي تندد بأميركا والرجعية) وهذه نماذج حقيقية عما كتب في هذه اللافتات:

(الموت للأمبرياليين الأميركيين). (نطالب بحل البرلمان الرجعي) (ليتوقف تدخل القصر في شؤون البلاد). (لا. لتدخل المخابرات الأميركية)

وكانت إيران تقف على أعتاب ثورة شعبية عارمة ولكن مصدق وهو الرجل القادر على الحسم والذي كان كل شيء يتعلق بأقواله وأفعاله «إختار الصمت» لأنه ربما لم يفهم أبداً مقدار القوة التي يملكها

الشعب الايراني لا سيما وقد رأى اندفاع سياسييه « أيّ جماعته » ولكنه لم يكن يثق بصلابة الايرانيين البسطاء.ومعروف عن مصدق أنه لم يسمح للحزب الشيوعي الايراني « توده » بالعمل السياسي ولا « ليوم واحد » مما دعا الرئيس الأميركي الجنرال أيزنهاور إلى القول : طالما يوجد رجل مثل مصدق فينبغي على الولايات المتحدة الأميركية أن تقطع الطريق على الشيوعية في إيران والبلدان الأسيوية الأخرى .

الهروب الأول للشاه

قبل أن تستفحل الأمور في طهران وتصل هذه الدراما إلى نهايتها عادت الأميرة أشرف إلى طهران تحت اسم مستعار. ومع ذلك فقد تمّ التعرّف عليها في المطار وأمر رئيس الوزراء مصدق باخراجها من إيران خلال « ٢٤ ساعة » لأنه كان يكرهها بسبب علاقاتها المكشوفة مع المخابرات الأميركية. ونحن نقول رغم مضي السنين كان على مصدق أن لا يمنحها ولا ٢٤ دقيقة في حينه لأنها في هذا اليوم المنفرد الذي قضته في طهران قبل إعادتها الى سويسرا قامت بزيارة العديد من الأصدقاء كما أنها زارت القصر الامبراطوري وسهرت مع شقيقها « الشاه » الذي اتهمته في وجهه وعلناً بأنه « ضعيف ».

بعد أيام من ذلك وصل الجنرال شفارتز كوبف تحت ستار زيارة خاصة يقوم بها الى بعض الأصدقاء القدامى. كان البرلمان الايراني قد حُلّ كما ذكرنا وحصل مصدق على صلاحيات مطلقة وواسعة ولذلك قام الجنرال شفارتز بزيارة الشاه وطلب منه بشكل واضح : « ينبغي إقالة مصدق فوراً قبل استفحال أمره وتعيين زاهدي رئيساً للوزراء عوضاً عنه ». أخذ الشاه بالنصيحة الأميركية من مسؤول المخابرات واعتقد أنه لا يزال الأقوى كفاية فقرر إقالة مصدق. ولذلك سلم قائد قوات القصر الامبراطوري الشاهنشاهي العقيد نصيري كتاباً يطلب فيه الامبراطور من

مصدق التنحي عن الحكم وتسليم الجنرال زاهدي رئاسة الوزارة بدون تردد. ثم اعتقاله أي يقوم العقيد نصيري نفسه باعتقال مصدق. توجه العقيد نصيري في ١٦ آب لتنفيذ المهمة الامبراطورية مخترقاً شوارع طهران على رأس شاحنتين محملتين بأفراد الحرس الامبراطوري قدّر عددهم بستين رجلاً. توجه العقيد نصيري على مسؤوليته وبدون أمر من الشاه الى منزل الجنرال زاهدي « مرشح المخابرات الأميركية » لرئاسة الوزارة وأبلغه بأنه سيصبح في غضون ساعات قلائل رئيساً للوزراء ثم عرّج وهو في طريقه وعلى مسؤوليته أيضاً إلى شارع الزهور فيللا رقم ١١٥ حيث يقطن رئيس الأركان الموالي لمصدق الجنرال رياحي ولكنه لم يجده فتوجه إلى الفيللا ٢٨ واعتقل وزير الخارجية ثم تابعت الشاحنتان سيرهما باتجاه فيللا مصدق رئيس الوزراء.

موقف مصدق رئيس الوزراء البطولي من أمر الشاه

دخل العقيد نصيري الى فيللا رئيس الوزراء مصدق وسلمه كتاب الإقالة وهو يزهو بنفسه لأنه يعرف أنه يسلمه كتاب أو أمر عزله. قرأ الرجل العجوز الكتاب بتمعن تام ثم حدّق بتركيز حاد بالعقيد نصيري المنتظر ثم تراجع بحركة جريئة وبطولية خطوتين إلى الخلف وقال لحرسه الخاص بصورة غير متوقعة مطلقاً: « أيها الحراس اعتقلوا هذا الرجل ». صحيح أن مصدق لم يكن مستعداً حتى لمثل هذه المفاجآت لكن موقف الشاه وأمره المنافي للأعراف السياسية جعله يتصرف هذا التصرف المفاجئ. وأحاط حرس مصدق بالعقيد نصيري وجردوه من سلاحه. فخرج باقي أفراد الوحدة الخاصة من الحرس الامبراطوري هاربين إلى الشاحنة بشكل مشتت بعد أن فقدوا رئيسهم. قام مصدق باذاعة ما جرى من الاذاعة الايرانية على الشعب الايراني فوراً فتجاوب هذا الشعب القوي معه وخرجت الالوف بمظاهرات عفوية فأصيب الشاه بالذعر

فاستقل هو والامبراطورة ثريا طائرة خاصة هبطت بهما في روما.

أسقط الأمر في يد المخابرات الأميركية بعد هروب الشاه حيث قرر ألن دالاس رئيسها الخروج الى العلن في عمله والهجوم بواسطة رجاله الخاصين به والمهيئين في طهران لمثل هذا الوقت وكان عليه العمل بأقصى سرعة مستغلاً جميع الظروف. قام متظاهرون إيرانيون بتحطيم نصب الشاه في طهران، والدعوة إلى إعلان الجمهورية. ولكن مصدق أظهر في هذه اللحظات الحاسمة « عجزه » عن مواجهة هذا الموقف السياسي. فعوضاً أن يستغل الظروف وطلبات الجماهير دعا إلى عقد اجتماع لمجلس الوصاية وأعلن رفضه إقامة نظام جمهوري. في ١٧ آب وصل إلى مطار طهران السفير الأميركي لوي هندرسون على متن طائرة عسكرية خاصة وكان ذلك إعلاناً مستهدفاً القوة وعرض العضلات. وفي اليوم التالي قابل رئيس الوزراء الدكتور مصدق وقال له « بوقاحة سياسية » : إن الولايات المتحدة لا تعترف إلّا بالجنرال زاهدي رئيساً للوزراء — ليس عندي شيء آخر أقوله لكم ». هذا التدخل الفظ في الشؤون الداخلية للدولة الايرانية وقع في نفس الساعة التي انطلقت فيها مظاهرات « مدبّرة » من عملاء المخابرات الاميركية في طهران حيث التقت بمظاهرات أخرى ضد اجتماع لأحد الأحزاب المؤيدة للشاه.

اختلط المتظاهرون الذين أصبحوا لا يعرفون بعضهم بعضاً ولا يعرفون ما يريدون من تظاهرهم. أخذ الجنود والشرطة يضربون المتظاهرين بالهراوات وقنابل الغاز لتفريقهم وهم يزدادون هياجاً. وفجأة دوى صوت طلقات الرصاص من جميع جوانب المتظاهرين وعليهم. من الذي أمر باطلاق النار على المتظاهرين؟ أو من الذي أطلق النار على المتظاهرين؟ البلاد في فوضى والشاه قد هرب الى أوروبا ومصدق يرفض إعلان الجمهورية ويدعو لانعقاد مجلس الوصاية على العرش أي أنه يتمسك بالملكية. لذلك قام الجنرال رياحي رئيس الأركان الخائف من تأييده

لمصدق والسير وراء سياسته الوطنية بنشر شائعات تقول أن حزب توده قد نظم هذه المظاهرات تأييداً للشاه بهدف إسقاط حكومة مصدق. ولكن الجنرال رياحي نفسه هو الذي كان قد أصدر أوامره باطلاق النار وكان رياحي قد استهدف من هذه العملية أمرين :

الأول : التضليل الكامل للجيش والشرطة.

الثاني : دفع المتظاهرين المؤيدين لحكومة مصدق الى الاعتقاد بأن رئيس الوزراء هو الذي أمر باطلاق النار عليهم.

وفي هذا الجو المتوتر امتلكت المخابرات الأميركية الحرية الكاملة للعمل وكان الأمر وكأنه من أعمال وتخطيط « جيمس بوند » أبو العجائب الجاسوسية.فمنذ تموز (يوليو) ١٩٥٣ وصل الى السفارة الأميركية في طهران المستر كيرميت روزفلت والذي يسمى اختصاراً بـ« كيم » وهو حفيد الرئيس الأميركي السابق تيودور روزفلت وأحد اخصائيّ المخابرات المركزية الأميركية للشرق الأوسط .وقد اتخذ احد سراديب السفارة مقراً له وبدأ يعدّ بدقة كل الأمور المتعلقة بيوم ١٩ آب (أغسطس) يوم المظاهرات المشؤوم القادم.وقد قام بتزويد رجل إيراني طائش يسمى « الذي لا عقل له » ومجموعة معه من رجال العصابات بالمسدسات ورزم من النقود الايرانية[1] كما اتفق مع بعض العملاء من رجال الجيش والجندرمة « الدرك » للنزول الى الشارع في وسط

(١) هذه النقود أصلها مليون دولار وضعت تحت تصرف « كيم » مسؤول المخابرات الأميريكة الذي امتدح نفسه فيما بعد في كتاب أصدره بأنه لم ينفق من المليون دولار هذه سوى مبلغ ٧٥ ألف دولار.لأن رجال العصابات والعملاء اكتفوا بالمبالغ الصغيرة.ويقول فيليب آجي من موظفي المحاسبة في المخابرات الأميركية أن الشاه عندما سمع بذلك طالبه برد مبلغ ٩٢٥ ألف دولار الباقية لديه عندما غادر الشاه إيران هارباً للمرة الثانية والنهائية عام ١٩٧٩ بعد نجاح الثورة الاسلامية الايرانية...



الشاه عاد من الهروب
الأول بطائرة أميركية



أيزنهاور.. منع الشيوعية
في إيران.

CENTRAL INTELLIGENCE AGENCY
UNITED STATES OF AMERICA



مصدق رئيس وزراء إيران، أقعده الانقلاب الأميركي..

المظاهرات وفي الوقت المناسب ليلعبوا جميعاً دور « الشعب » وهذه الطريقة لا تزال تستعملها المخابرات الأميركية حتى الآن وفي كل زمان ومكان.

ألن دالاس رئيس المخابرات الأميركية يقود الانقلاب ضد مصدق

تولى ألن دالاس رئيس المخابرات الأميركية القيادة التنظيمية للانقلاب عبر رجل أميركي يدعى وارن مدير بعثة النقطة الرابعة وسميت عملية الانقلاب هذه باسم « اياكس ». وتولى الجنرال زاهدي تعبئة وحدات الضباط المضادة لمصدق، هذه الوحدات التي وجدت نفسها في حيرة من أمرها من تضارب الأوامر التي كانت تصلها من زاهدي ومن الضباط المؤيدين للحكومة. ولكن وارن كان يريد أن يجعل الأمر وكأن « الشعب » يقول كلمته (والشعب الذي تقصده المخابرات الأميركية هو زمرة من المتآمرين) فقد طلب وارن مرة أخرى من « الذي لا عقل له » أن يجمع رجاله في التاسع عشر من آب واندفع الجميع باتجاه طهران ولحق بهم الكثير من الايرانيين بدون هدف أو معرفة سبب التظاهر هذه المرة أيضاً. وقامت الشرطة الايرانية بالتصدي لهم وحدث اطلاق نار مدبّر ولم يعد أفراد الشرطة قادرين على التمييز بين المتظاهرين وبين من يملك السلطة والأمر ومن عليهم إطاعته. وأفلت الأمر فأعطى ضباط الشرطة الأمر لرجال الشرطة بالانضمام إلى العصابات القاتلة عوضاً عن اطلاق النار عليهم. وكانت المظاهرات موجهة كما ذكرنا من عملاء المخابرات الأميركية. فاتجه قسم كبير منها نحو المباني الحكومية بينما اتجه قسم آخر بقيادة مستشار الشرطة الايرانية الكولونيل ماك ليند الذي كان يستقل سيارة جيب عسكرية للقيام بجولة تفتيشية على المتظاهرين

المسيرين. وعندما تأكدت المخابرات الأميركية من نجاح المظاهرات المدبّرة في شل الحياة العامة في طهران أوعزت إلى الجنرال زاهدي بالتوجه إلى محطة الاذاعة حيث أعلن من هناك « الانقلاب » ضد مصدق. وعند ذلك توجه المتظاهرون المتآمرون بقيادة عناصر من المخابرات الأميركية الى فيللا الدكتور مصدق رئيس الوزراء فلم يجدوه.

حوالي الظهر وعندما عرف الناس في طهران من يزحف ضد من كان الوقت متأخراً فقد أصيب الجميع بالشلل بسبب ما حدث من اطلاق النار على المتظاهرين. كما أن مصدق التزم الصمت ولم يَدْعُ الناس للمقاومة وكان بامانه فعل ذلك وقد سيطرت قوات زاهدي على المدينة وبدأت في العصر التصفيات الدموية.

في اليوم نفسه ١٩ آب أعلن الشاه في روما مبتهجاً أمام الصحافيين : « لقد علمت من الاذاعة الوطنية الايراينة كل شيء. إن شعبي يحبني ». وانتهى منفاه القسري الأول. وقد ظل الشاه أسير تصوّر غريب عن « شعبه » حتى سقوطه الأخير نهائياً بعد ثورة آية الله الخميني عام ١٩٧٩. فقد كان يتحدث دائماً سواء سئل أو لم يسأل عن « المؤآمرة الشيوعية » كما كان يسمي انتفاضة مصدق التي كان يقول عنها أنها لم تجد صدى لدى شعبه.

○ الدكتور مصدق لم يهرب ولم يجبن بل انتظر حتى هدأت الأمور ثم سلم نفسه إلى الانقلابيين الذين قدموه للمحاكمة بتهمة « خيانة الوطن » فدافع عن نفسه بصورة أفضل من وزرائه. حكم عليه بالسجن ثلاث سنوات تعقبها ثلاث سنوات إقامة جبرية ولكن الألوف الآخرين من الايرانيين لم يحصلوا على مثل هذه الرحمة. ففي الساعات الأولى لاستلام زاهدي رئاسة الوزارة تمت تصفية حساب كبرى جرى فيها قتل المئات بعد المئات في السراديب وباحات السجون والثكنات العسكرية بأوامر امبراطورية. وبعد أن تم الانقلاب الأميركي في طهران ضد مصدق

وحكومته الوطنية من قبل الجنرال نعمت الله نصيري والجنرال زاهدي والجنرال الأميركي شفارتز كويف قامت المخابرات الأميركية بوضع برنامج شامل لاعادة تنظيم جهاز المخابرات الايراني وتحديثه واعادة تجهيزه. فسميت المخابرات العامة الايرانية منذ ذلك الحين « السافاك » التي ولدت في أحضان المخابرات الأميركية (يوجد فصل كامل عن أعمال السافاك البشعة بعد ذلك حتى نهايتها مع الشاه. للاطلاع عليها مراجعة الصفحات ٦١ حتى ٨١ من الجزء الثاني من سلسلة المخابرات والعالم) كما انهالت القروض بعد نجاح الانقلاب وعودة الشاه من روما إلى طهران. ففي التاسع والعشرين من تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٥٤ جرى تحويل النفط الايراني إلى كونسرتيوم دولي حصلت فيه الاحتكارات الأميركية على أغلبية الأسهم. وهكذا جرى حل مشكلة إيران لصالح ستاندرد أويل، غولف أويل كوربوريشن، تكساس كومباني، وشركة .B.P البريطانية. وفي كتاب سري وجهه نيلسون روكفيلر إلى الرئيس آيزنهاور يظهر بكل وضوح تأثير احتكارات النفط على السياسة الخارجية يقول فيه : سيدي الرئيس: إن المثال الواضح لذلك في الواقع ولما أعنيه هو التجربة الايرانية التي تعاملنا معها سوية وبصورة مباشرة. فقد نجحنا من خلال تقديم المساعدة المالية والاقتصادية في فتح الطريق الى النفط الايراني كما استطعنا احراز مواقع ثابتة في اقتصاد هذا البلد. إن تقوية مركزنا الاقتصادي في إيران مكنتنا من وضع سياستها الخارجية الكاملة تحت سيطرتنا ومن ثم أدخلناها في حلف بغداد ». وما زالت القاعدة السياسية تقول : « ما يصلح للاحتكارات النفطية كستاندرد أويل يصلح للولايات المتحدة ومخابراتها حتى اليوم ».

كيفيّة إلقاء القبض على جاسوسة

الاحتياطات العامة الواجب اتخاذها لدى القاء القبض على جاسوس أو جاسوسة

○ من المعروف الآن أن جميع أجهزة المخابرات في العالم أصبحت تزوّد جواسيسها بمختلف الوسائل التقنية الحديثة (للانتحار) لدى إلقاء القبض عليهم، لذلك يجب على المخابرات المعنية التي تلقي القبض على أحدهم التقيد بما يلي :

عدم الموافقة على أي طلب يتقدم به المقبوض عليهم (ما عدا الطلبات الضرورية طبعاً كالتبوّل والطعام والشراب وحتى بعض حالات المرض) وطبعاً يتم ذلك باشراف موظفي المخابرات بدقة، ومن الأفضل الابتداء بوضع محرمة في فم المقبوض عليهم (التنفس من الأنف ولا يغير وضع المحرمة في الفم) للتأكد من عدم وجود (سن مسمومة) مزروعة بين الأسنان يكون الجاسوس أو الجاسوسة قد درّبا على ابتلاعها بطريقة الكسر لدى إلقاء القبض عليهما. كما أنه يجب مراعاة مختلف الاحتياطات مع الجواسيس المعتقلين وقد نوهت في كتابي الأول من هذه السلسلة (المخابرات والعالم) صفحة ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠ ـــ لدى البحث في أمور عمل رجال المخابرات وكيفية اعتقالهم العملاء والجواسيس الأعداء للدول العربية وبصورة عامة. ونقدم للقراء في هذا

الكتاب وهو الجزء الثالث من كتب المخابرات والعالم ريبورتاجاً حيّاً كما وعدناهم عن عملية اعتقال جاسوسة وسوقها إلى مركز المخابرات للتحقيق معها. وقد صورنا بعض الاجراءآت الضرورية الواجب اتخاذها للمحافظة على حياة الجاسوس الغالية لاحتمال تبادله مع جاسوس أغلى منه أو منها.



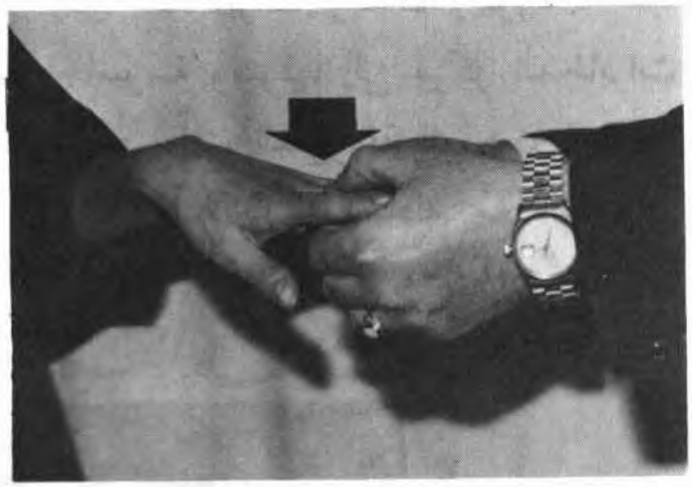
محاولة الجاسوسة اظهار مفاتنها لاغراء المحققين



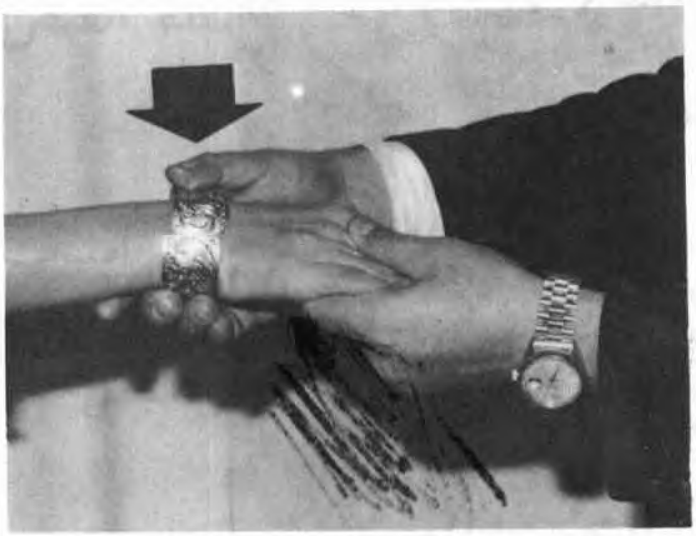
نظرة اغراء يجب الحذر منها



متابعة الاغراء ويجب الحذر باخفاء مفاتنها



تجريد الجاسوسة من الخواتم
والحلي مهما كانت



سحب جميع الحلي من يديها



تفتيش شعر الجاسوسة خشية
اخفاء أي شيء



محاولة واضحة للجاسوسة
لايذاء نفسها بالكهرباء



التفكير بكيفية الوصول
للتيار الكهربائي



عصب عيني الجاسوسة
اول مراحل الاعتقال.



تقييد يديها خلف ظهرها
لشل حركتها.



أثناء نقلها الى مركز المخابرات تقييدها
يداً بيد مع رجل المخابرات.

مسابقة الكتاب

مسابقة ثقافية يقدمها الصحافي الكاتب سعيد الجزائري مؤلف سلسلة كتب المخابرات والعالم ــ والماسونية.

أيها القارئ الكريم

سواء كنت عسكرياً أو مدنياً موظفاً أو طالباً أو تاجراً أو كنت تركت التعليم لأسباب مادية، والأهم سواء كنت غنياً أو من ذوي الدخل المحدود، سواء اشتريت جزءاً أو أجزاء المخابرات والعالم هذه من المكتبات في بلدك أو بطريقة المراسلة، أو كنت قد قرأت هذه الكتب بالاعارة (أنا آسف لظروفك)،

أتقدم إليكم جميعاً

بالعرفان بالجميل والشكر لأن شراءكم لسلسلة كتبي المتواضعة هذه هو مصدر تشجيع للناشر على إعادة الطبع وتحسين النوعية كما فعل الأستاذ عبود عبود صاحب مؤسسة دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع الذي انتقلت إليه حقوق طبع هذه الكتب المسلسلة بواسطة الاستاذ محمد اسامة الكرم صاحب دار اسامة الذي أدين له بالفضل بتحسين نوعية التأليف والتسويق. ولا أنسى السادة أصحاب مكتبة النوري الذين أدين لهم بفضل انطلاقة كتبي هذه الى السوق العربية. هؤلاء مع القراء

هم المشجعون على اعادة الطبع والاستمرار في إصدار هذه الكتب المسلسلة طالما كانت هناك حياة وطالما كانت مخابرات تعمل وتجدد أعمالها وطالما هناك جاسوسية عالمية، وطالما يتجدد قرائي الكرام وخاصة رجال المخابرات العربية ورجال قوى الأمن الداخلي العرب شرطة ــ ومباحث، الذين يدفع بعضهم ثمن كتبي من رواتبهم مفضلين شرائها على شراء بعض الحاجيات الضرورية. وحيث أن هذا الكتاب هو الجزء الثالث من سلسلة المخابرات والعالم التي ينحصر طبعها والتوزيع بدار الجيل فقط، فإني اطرح أمامكم هذه المسابقة الثقافية وهي استفتاء لكم بمناسبة توفر الكثير من المواد العالمية والمترجمة عن أعمال المخابرات ونشاط الجاسوسية المتجدد. لذلك أقدم هذا الاستفتاء للاجابة على الاسئلة الآتية :

١ ــ هل توافق على الاستمرار باصدار هذه السلسلة من كتب (المخابرات والعالم)؟

٢ ــ هل تحوي مكتبتك الأجزاء السابقة؟

٣ ــ ما هو رأيك الصريح بهذه النوعية من الكتب وبتسلسلها؟

٤ ــ هل يستفيد القارئ من اصدار هذه السلسلة سواء من جهة زيادة معلوماته المخابراتية أم من جهة تعلمه الحذر واليقظة من العملاء؟

هذه هي المسابقة والجواب برسالة مسجلة الى عنواني الدائم (بيروت ــ ص.ب.: ٥١٤٠) أو عنوان التوزيع (دمشق ــ ص.ب.: ٤٨١٦). وبعد جمع الأجوبة ستقوم لجنة اعلامية برئاسة الصحافي الكاتب خليل تقي وعضوية الكاتب محمد الحسني والصحافي نزار أورفلي، بانتقاء الفائزين بالقرعة وسيمنح الفائز الأول مبلغ ٢٥ (خمسة وعشرون دولاراً مع نسخة مهداة من المؤلف، ويمنح الفائز الثاني مبلغ ١٥ خمسة عشر دولاراً مع نسخة بتوقيع المؤلف أيضاً، ويمنح الفائز

الثالث مبلغ ١٠ عشرة دولارات ونسخة من الكتاب، والفائزَيْن الرابع والخامس فتكون جائزتهم نسخة موقعة من المؤلف شخصياً.

وهكذا تستمر الحياة ويستمر التقارب بين الكاتب والقراء.

وإلى اللقاء.

المؤلف

سعيد الجزائري

فهرس المخابرات

إنَّ نِظَامَ
المخَابَراتِ الصّحيح هُوَ عبارةٌ
عن مَنْشَأةٍ ذاتِ إمكَاناتٍ هائلة للخير
وَالشّرِّ، مُسْتَخدمَةً الرّجالَ وَالنِسَاءَ وَجميعَ
الوَسَائِل كَافَةً فَهِيَ رَقيقةٌ وَشرِسَةٌ، تتعامَلُ
مَعَ الأبْطَالِ وَالخَوَنةِ، ترشي وتفسِدُ وَتختَطِفُ
وَأحيانًا تقتلُ. تَقْبضُ على قُوّةِ الحياةِ
وَالموْتِ ... إنَّها تستغلُّ أسْمَى وَأدنى العَوَاطِف،
وَتَسْتَخدِمُ الوطَنيَّةَ حتى أعظَمَ مَعَانيهَا
وَالنزوَاتِ حتّى أحطِّ مَداركِهَا،
وَتُبَرِّرُ الوسَائِلَ الّتي تحقّقُ
أغرَاضَهَا.